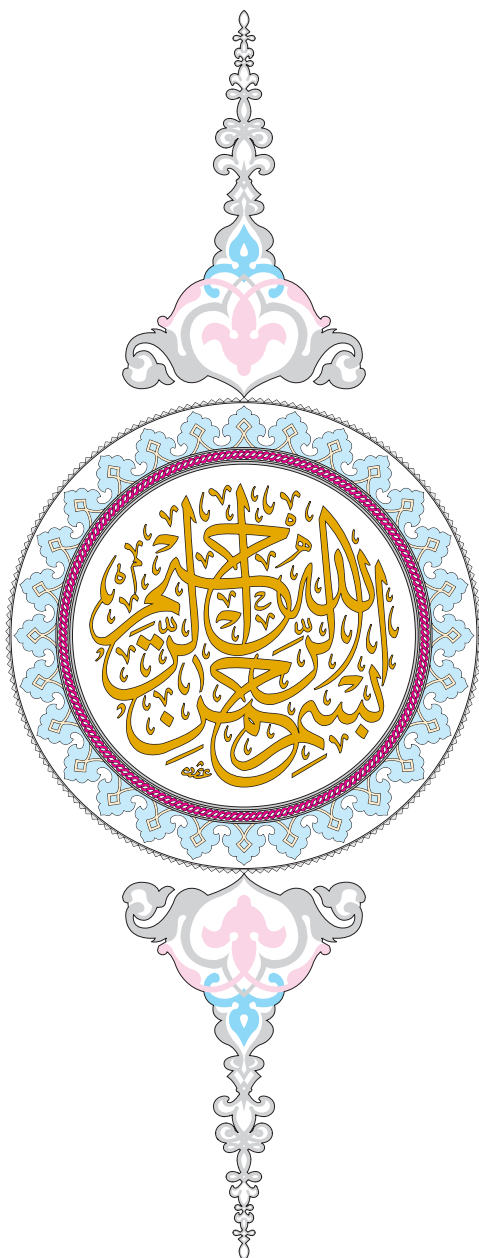
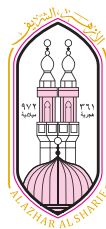






مَجَلَّةُ الْأَنْفَرِ

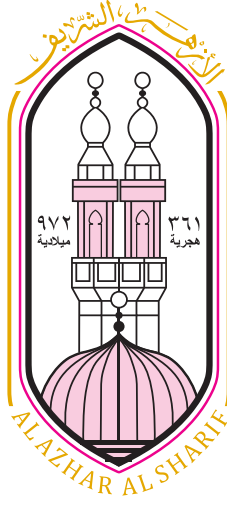
مَجَلَّةُ شَرْعِيَّةِ جَامِعَةِ

تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَنْفَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ عَرَبِي

٣٧

المجلد الخامس والثلاثون

السنة ١٣٨٣ هـ



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFATRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

يَشْرِكُ فِي الصِّدْقِ
عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْغُبَّارُ
بَدَلًا لِأَخِيهِ
٤٠ فِي الْمَجْمُوعَةِ الْغُرَبَاءِ الْمُتَحِدَةِ
٥٠ غَارِجِ الْمَرْبُورَةِ
وَالْمُسْتَعِينِ وَالطَّلَابِ بِتَحْمِيلِهِمْ

مَجَلَّةُ الْأَنْزَهَرِيَّةِ

مجلة شهرية جامعية

مَدِيرُ الْمَجَلَّةِ وَرَئِيسُ الْخَبَرِ
أَبُو حَسَنٍ الرَّيَّانِي
الْمَسْنُونِ
بَوَارَةِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ
بِالْقَاهِرَةِ
١ ٤٦٢١٤

تَبَصُّرٌ عَنْ شَيْخِنَا الْأَنْزَهَرِيِّ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ رَجَبٍ

الجزء الأول — السنة الخامسة والثلاثون — المحرم سنة ١٣٨٣ هـ — يونية ١٩٦٣ م

٢٩٢٢٦
دوريات

سنة ١٣٨٣ هـ

أُمَّةُ التَّوْحِيدِ تَتَوَحَّدُ

بقلم : أَحْمَدُ حَسَنُ الرَّيَّانِ

الطريق إلى الغاية التي تنتهي إليها الجماعة
وتم عندها الوحدة .

ونفذت إرادة الله على ما سبق من هله
وجرى في حكمه فتوحد الفئات والتأم
الشمل وبلغت وحدة العرب والمسلمين غايتها
من الشمول والقوة في عهد الرشيد حتى قال
يوما لغمامة مرت من فوقه : « امطرى حيث
شئت فإن خراجك لى » . وظلت هذه الوحدة
شاملة قوية حتى خلافة المتوكل ، ثم نجمت
ردوس الضباط من الأعاجم في الدولة فتشر

كان العرب في جاهليتهم قوى مبعثرة
على رمال البوادي ومياه الأنهار يفتنى بعضهم
بعضا بالغزو والثأر حتى أراد الله الذي يصطفى
من الملائكة رسلا ومن الناس أن يجعل
منهم أمة وسطا بين مادية اليهود وروحانية
النصارى تصلح الدنيا بالدين ، وتصل الأرض
بالسما ، فألف قلوبهم على حبه ، ووحد
شعوبهم على رسالته ، وأخرجهم من الجزيرة
يحملون مشاعل الهدى وسيوف الحق ليقبضوا
الميزان ويحطموا الطغيان ويبينوا معالم

في مشاعب هواها تتلهى بالنظر الغرير إلى
حركات زعمائها وهم يتكالبون على عرض
الدنيا ويتواثبون إلى كراسي الرياسة كأن
السلامة والسلام أمران يجريان من حياتها
بحرى الأمور الطبيعية كالغوم واللذة
والضحك فهي لا تشغل هما البال ولا تدير
عليهما الفكر . وكأن غريزة حب الحياة
التي جعلت من ضعاف النمل أمما متحدة
ومن بغاث الطير أسرابا متعاونة لم تسكن
من غرائز أهله ولا من نحائز حاكميه !

لذلك شعرت كل أمة من أمة في وسط هذه
الكوارث السود التي تتفجر عليها من الداخل
والخارج بما تشعر به الشاة الشاردة عن القطيع
وكبها الغرور أو الضلال ساعة من الزمن
فنسيت أن قرنهما الحاد لا يقوى على التاب
الاعصل ، وأن عيشها مقيدة مع الراعى خير
من عيشها حرة مع الذئب ، وأن أسهل على
الطبيعة أن تعيد اتحاداً ألفه الله من صلة الدم
ونسب الروح ووحدة المصير من أن تبدى
اتحاداً صنعه الشيطان من جون بول وحسين ،
ومن ألم سام وسعود . ومن السيدة مريان^(١)
وعشاقها من هنا وهناك ، فإن هذا الاتحاد
الذى ألفه الدينار والدولار والفرنك من

الشعوبية والزندقة والفرقة فانقطع الخيط
وانقرط العقد واختلط اللسان وتفرقت الكلمة
وانشعبت الخلافة الإسلامية ثلاث شعب :
شعبة في العراق ترفع العلم الأسود ، وشعبة
في مصر ترفع العلم الأخضر ، وشعبة في
الأندلس ترفع العلم الأبيض ، ثم جف الثرى
بين الإخوة فتصارعوا على الحكم وتنازعوا
على السلطان :

وتفرقوا شيعاً فكل مدينة

فيها أمير المؤمنين ومنبر

ثم دها العالم العربي الاستعمار الانجليزى
والفرنسى مع الحروب الصليبية ففرق ليحكم ،
وقسم ليستغل ، وجر ليسقبد فنشأت العصية
الإقليمية لدرء خطره أو تخفيف ضرره ولكنه
كان قد استشرى واستضرى وتوقع ، ففسد
النظام واختل الميزان وذل الحق وأفلس
المنطق وأصبح من فوق الطاقة ووراء
الإمكان أن يناضل الهوى المتفرق الرأى
الجميع ، وأن ينازل الحق الأعزل عدوان
الباطل المسلح ، وكان لا بد للعرب أن
يماجلوا ضعف الفرقة بقوة الجماعة ، وأن
يتركوا بنيات الطريق إلى سواء الجادة .

وما كان للعالم العربى وهو يرى الخطوب
تتوالب على جوانبه والنوازل تتفاقم في
أحشائه أن تظل كل دولة من دوله سادرة

(١) جون بول لقب انجلترا ، وألم سام لقب
أمريكا ، ومريان لقب فرنسا .

وآثاره مصر وسورية والعراق ، وحطموا
من بينها الأسوار والحدود ، وكسروا من
حولها الأغلال والقيود ، فتلاقى الإخوة
وجها لوجه ، ولساناً لسان ، ويداً بيد ،
وفي أيديهم أعلام العباسية ، والفاطمية ،
والأموية ، مصورة في علم واحد ذى ثلاثة
ألوان وثلاثة نجوم يتذاكرون أمانى الأخوة
ويتناشدون أغاني الوحدة ، ويتساقون
كثوس المودة مترعة من كوثر النيل
ورحيق بردى وسلاف دجلة .

ويمثلون الأقطار الثلاثة في اتحاد عام
يتوحد فيه الاسم والرئيس والعلم والجيش
والدستور والتعليم والاقتصاد والخطبة
والغاية ، فلا يبقى وراء ذلك كله إلا شئون
محلية يختص بها إقليم دون إقليم ويختلف فيها قطر
عن قطر .

هذه الأقطار الثلاثة هى أساس الوحدة
الشاملة ، وضعه الثوار على تقوى من الله
ورضوان لنقوم فوقه الجمهورية العربية
المتحدة بأقطارها الثانية عشر .

ولو علمت أن كل قطر من هذه الأقطار
الأساسية الثلاثة قد قامت فيه خلافة وتمكنت
فيه دولة وازدهرت به حضارة ، وأن الأقطار
التسعة الباقية إنما كانت أقساراً توابع لها
تدور في فلكها وتجرى لمستقرها ، وأن

دول ثلاث ومن أفراد ثلاثة لا يدوم إلا ريثماً
تألف الشعوب وتغضب . والألفة والغضب
شيمة الأبي الحر ، والإباء والحرية أصلان
في طبع العربي لا ينفكان عنه إلا بالقهر .
والقهر وما يتبعه من الذل والفقر معناها
الاستعمار . فتنى لتحلل كابوسه الفادح عن
صدر الأمة العربية وجدت نفسها الضائعة
وأدركت وجودها المتميز فنهضت تجمع
أطرافها وتصل أجزائها وتسأل عن صلة
القربى الواشجة كيف قطعها الدخيل ، وعن
رقعة الوطن المتصلة كيف مزقها المستعمر ،
وعن هذه الأسماء المتعددة لهذه الأمة الواحدة
كيف اقتطعها الدخلاء والعملاء ليكون لكل
اسم منها دخيل في يده أصابع قرد ، ولكل
دخيل فيها حميل في أصابعه مخلب قط ...
وما هذه الثمرات المأكولة بالباطل إلا رزقى
ورزقك ورزقه من أبناء هذه الأمة الكادحة
المحرومة اقتطعها الملوك بالصوالجة واغترفوها
بالتيجان ليقدموها قرايين غير مقدسة إلى
آلهة الخمر والقمر والفسق والرذيلة .

• • •

شعر بمخاطر الاستعمار وغنازيه ضباطنا
الأحرار ، وتبلورت فيهم ثورة الشعب ،
فدكدكوا حصونه عليه ، وكسكبوا سماسرته
صرعى من حواليه ، وطهروا من أوزاره

والانجليز والاطليان يعود التراث المحمدي إلى
أهله ومعه ما ضيع الجهل والفقر والانحلال
من كلفة التوحيد وتوحيد الكلمة فيسعى
بعضه إلى بعضه ، وينضم قاصيه إلى دانيه ،
ويشعر ثمانون مليوناً من العرب يعيشون
بين المحيط والخليج بأن لهم كياناتاً طبعياً
تميز بالجنس واللغة والدين والتاريخ والموطن
والمجد والثقافة ، فمن حقهم أن ينزلوا في
مكائهم من صدر الوجود ، وأن يشاركوا
بإمكائهم في سياسة الدنيا ، وأن يقولوا
للكتلتين الرأسمالية والشيوعية : إن الكتلة
العربية هي وحدها التي تملك غرس الوئام
في النفوس وإقرار السلام في العالم ؛ لأنها
تقوم على الإيمان المحض ، وتنزل في خير
مكان من الأرض ، وتهيمن على الموارد
الأولى في الاقتصاد ، وتدين بالآديان السماوية
المثلث للاجتماع ، وتشرق أعمالها في الصفحات
العظمى من التاريخ ، فافسحوا لها في الطريق ،
ومدوا إليها يد الصديق ، وأريحوا أنفسكم
من السكيد لها والاثتار بها ، فقد جربتم معها
كل سلاح ماعدا سلاح الحق فجربوه ولومرة !

أحمد محمد الزيات

الحوائل العارضة التي كانت تحول بين الفرع
وأصله ، وتفصل بين الجزء وكله ، قد زالت
أو كادت ، لعلبت يقيناً أن الوحدة في الوطن
ستعم وإن بعدت في بعض أرضه الشقة ، وأن
النجوم الإثنا عشر ستبزع في العلم وإن
تراكت في بعض سمائها السحب .

إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة لأنها
قامت على العقيدة ، ولكن العقيدة مهما تدم
قد تضعف أو تحول . وإن الوحدة الصلاحية
كانت جزئية خاصة لأنها قامت على السلطان ،
والسلطان يعتره الوهن فيزول . أما الوحدة
الناصرية فباقية نامية لأنها تقوم على الاشتراكية
في الرزق والحرية في الرأي والديمقراطية
في الحكم . وهذه المقومات الثلاثة ضمان
دائم للوحدة ألا تستأثر فستغل ، وألا تستبد
فتظني ، وألا تحكم فتتحكم ، والأثرة والطامعية
والظفیان والحسد كانت وما زالت حلة العلل
في فساد الزمان وهلاك الأمم .

بعد قرابة ألف سنة من تمزق الوحدة العربية
بين الترك والفرس والمغول والصكرد
والجرکس والأسبان والعثمانيين والفرنسيين

في مطلع العام الهجري

للإمام الأكبر الشيخ محمد شلتوت

ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ، ، ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء فتطردم فتكون من الظالمين . .

ثم تركها الرسول الكريم ، والمصلح العظيم ، صلوات الله وسلامه عليه ، بعد أن حول جهالتها علماً وحكمة ، وشتاتها قوة واجتماعاً ، وشكها إيماناً واطمئناناً ، تركها بين الأمم قوية عزيزة ، لها في شئون الحياة رأى ، وفي مجال الحياة أعمال وآثار تعرف للضعيف واجبه والفقير حقه ، وتجعل ذلك نصب أعينها ، وتدعو إليه في كثير من مواطنها : د وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ، ، د وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فسموا في الحياة ، وسميت بهم الحياة ، وظلت على هذه المبادئ ترقى سلم المجد ، وتمضي قدماً في سبيل العز ما دامت حريصة على مبادئها ، قوية الإيمان بفكرتها ، فلما بدلت وغيّرت ، وفرطت وضيعت وهانت على نفسها ، وهانت عليها مبادئها ، وأعادت

هذا هو الفلك يدور دورته ، فيمضي عام ويقبل عام جديد آخر ، عام مضى لا ندرى ما الله فاعل به ، وعام أتى لا ندرى ما الله صانع فيه ، وبين هذا وذاك ينادى مناد يقول : يا ابن آدم أنا عام جديد وعلى عملك شهيد ، فتزود مني قبل أن أذهب ولا أعود .

د إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب . الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقتنا عذاب النار . نحن - معشر المسلمين - إذا نظرنا إلى تاريخنا كأمة ، قرأنا كتاباً أوله مشرق وحاضره مظلم : أوله أمة قوية فنية تكونت من لبنات صحراوية متفرقة جمع التوحيد بين قلوبها وربطت الأخوة الدينية بين عواطفها ، وجعلت قيمة الإنسان في عمله وجهاده ، لا في حسبه ونسبه : د إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، . د لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، ، د واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تدعيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ،

يحذر بنا أن ننظر في مطلع كل عام هجرى إلى هذه الصفحات لنعلم أن السبب في نجاح آباءنا ، وقوة أسلافنا ، يرجع إلى أن قلوبهم قد هاجرت من الرذيلة إلى الفضيلة ، ومن الباطل إلى الحق ، وأنهم آمنوا بفكرتهم ، وصدقوا في دعوتهم وجاهدوا في سبيلها لله وفي الله ، وأن هجرة أبدانهم من مكة إلى المدينة لم تكن فراراً من الاضطهاد أو ضعفاً في مقاومة الأهوال ، ولا التماساً لمال ، ولا طلباً لسلطان ، وإنما كانت تلبية لهذه الهجرة القلبية ، وعملاً على إقرار الحق ، وإزهاق الباطل ، متمثلين أمامهم : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترنتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين . »

ما أخرجنا معاصر المسلمين إلى أن تهجر قلوبنا ما هجرته قلوبهم وإن نطالع هذه الصفحات ، وأن نذكر هذه العبر ، ما أخرجنا إلى الإخلاص في الدعوة والصدق في الكلمة ، والصبر على المسكاره لنشق طريق السابقين بعزائم قوية ، وهم عالية وأخلاق كريمة ، وإصغاء لصوت الحق .

ما أخرجنا - وأخص أهل القيادة والفكر وأرباب القلم واللسان - إلى أن نكون كما كانوا

حوادث الدهر أذنا صماء وعيونا عشواء ، واشتغل أفرادها ورؤساؤها ورجال الفسكر والرأى فيها بما لا يجدى من اللهو واللعب وألوان العبث بدل الله عليها ، وغير أحوالها ، فأخذت تتفكك وجعلت تنحدر حتى وصلت إلى موضع الإطماع ، وتطلعت إليها الذئاب والسباع ، وشغلت بنظرات الخوف والحذر « تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت . »

« وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، » ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يفـيروا ما بأنفسهم .

« واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه . »

وصدق رسول الله صلى عليه وسلم إذ يقول : « توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقالوا : أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن : قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكرهية الموت . »

العدد في اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

مسألة العدد أو مسألة التفرقة بين المفرد والمتعدد ، هي إحدى مسائل الدلالة العقلية التي تميز بها اللغات في مقاييس النمو والتقدم ، العلم بدرجةها في التجريد ، والحسية . ولا تزال الأصول الحسية لفكرة العدد ملحوظة في جميع لغات الحضارة ، فوحدة العشرة هي عدد أصابع اليدين ، ووحدة العشرين هي جملة أصابع اليدين والقدمين ، ولا تزال كلمة «ثمانين» الفرنسية تدل على أربعة عشرينات ، وكلمة «تسعين» تدل على أربعة عشرينات تزيد عليها عشرة ، وكلمة (اسكور) Score بالانجليزية تقابل كلمة الحز أو الفاصل بين مقدارين ، لأنهم كانوا يضعون الحز بعد تمام العد بأصابع اليدين والقدمين ، ويقولون (ثلاثة حزوز) بمعنى ثلاثة عشرينات Threescores .

مثلاً حياة أمام الناس في السيرة والدعوة والأخلاق واتحاد الكلمة ، ألا إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله . أما بعد : فتلک هي الذکريات الإسلامية الأولى ، نطالع فيها أسباب العزة والجد ، وتتلقي عنها دروس الحياة القوية الناهضة ، ونعرف بها أن سنة الله في نهضة الأمم ، واستقرار سلطاتها ، ترجع أولاً وقبل كل شيء إلى الإيمان المالك للقلوب ، وإلى الصبر الذي يذل الصعاب ، وإلى الإخلاص الذي يربط الإنسان بربه ، وتهون به وسائل التضحية . بها نعرف أن أسلافنا ما عرفتهم العزة عفواً ولا هبطت عليهم منحة ، وإنما وصلوا إليها بالجهد والعمل والمثابرة ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

فعلينا أن نفقه هذه الذكريات واحدة فواحدة ، وأن نتعرف فيها مواطن العظة والاعتبار ، ونتخذ منها مصابيح الهداية والإرشاد ، فتسمو حياتنا ، وتنظر إلينا أرواح الأولين وهي في علينا ، نظرة الفرح والابتهاج بمحافظتنا على مقدساتهم وسيرنا في سبيلهم بما آتاهم الله من فضله ، « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

« والعصر . إن الإنسان لئ خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » . محمد وسنن

شيخ الأزهر

على أن الأرقام لا تعيننا هنا بمقدار عنايتنا بتراكيب الكلمات في بنية اللغة التي سبقت اختراع الأرقام والأعداد ، بل سبقت علم الحساب في أدواره الشفوية وأدواره الكتابية ، لأن تكوين الكلمات في اللغة هو الدليل الأصيل على طبيعة التعبير عند القوم من نشأتها الأولى ، ثم يأتي تكوين القواعد النحوية والصرفية دليلاً آخر على أصالة الإدراك العقلي في طبيعة اللغة المتطورة ، لا فرق بينه وبين هذا الغرض وبين الأدلة العضوية أو الحيوية ، ونعني بها ما يعرف بالأدلة البيولوجية .

ولا توجد في لغات العالم المتحضر لغة واحدة حلت فيها مسألة التفرقة بين المفرد والمتعدد مثل محلها المكيّن المتأصل من بنية اللغة العربية .

أول علامات التمييز بين الإفراد والتعدد أن اللغة العربية تقسم المتعدد إلى قسمين ، فليس كل ما عدا الواحد جمعاً في التعبيرات العربية ولكن المتعدد قد يتألف من واحد وواحد ، وقد يتألف من الكثرة التي هي زيادة على واحد ومعه واحد آخر .

نعم إن الثنائية تلاحظ في بعض اللغات الأوربية عرضاً عند تصريف الفعل في بعض الحالات على غير أطراد في جميع الأفعال ولا في جميع مواضع الإعراب .

ومن المعلوم أن كلمة « رقم » Fingere اللاتينية ترادف كلمة « إصبع » ، ولا تزال كلمة الرسم أو الرقم Figure باللغات الأوربية مأخوذة من هذا الاشتقاق .

والمتمعن عليه أن العالم المتحضر قد نقل عن العرب صور الأرقام في المرحلة الكتابية بعد تلك المرحلة الشفوية التي تخلفت إلى اليوم في اللغات الأوربية ، بين لاتينية وجرمانية . فهم يسمون الأرقام في اللغات الأوربية « بالصور العربية » ، وكلمة الصفر لا تزال محفوظة بلفظها في جميع تلك اللغات ، مبتدئة من (سفر) إلى (زفر) إلى (زير) إلى (زيرو) كما تنطق اليوم بالانجليزية .

ولا نريد في هذا المقال أن نطيل البحث في أصل هذه الصور العددية ، فقد تكون هندية في أصلها القديم كما هو الشائع بين مؤرخي العلوم الرياضية ، ولكن الأمر الذي لا خلاف عليه أنها تأصلت في البلاد العربية وانتقلت منها إلى الأقطار الأوربية ، وأن أهم هذه الأرقام وهو « الصفر » محفوظ باسمه العربي وعلامته النقطة (٠) هي العلامة التي تقابل النقطة الهندسية بتعريفها الرياضي الذي يجردها من الطول والعرض والامتداد حيث كان ، ولم تكن لهذا (الصفر) علامة هندية معروفة قبل القرن التاسع للميلاد ؛ وهو القرن الذي شاع فيه استعمالها في كتب الرياضة العربية .

بلا اختلاف بين الثلاثة أو الأربعة أو المائة أو الألف المؤلفة ، وإنما تكون التفرقة هنا تفرقة بين جمع قليل وجمع كثير ، وليست تفرقة بين الفردية والاثنية ولا بين الاثنية وما زاد عليها .

ولم تهمل اللغة العربية أن تميز بين جمع القلة وجمع الكثرة في صيغ كثير من الجموع كما هو معلوم ، بل وجدت فيها الصيغ التي تدل على القليل كما وجدت فيها الصيغ التي تدل على الكثير ، ولم تترك التمييز بينهما للوصف وحده ، كما يقال مثلاً طائفة صغيرة وجمهور كبير ... وقد يكون ذكر كلمة الطائفة وكلمة الجمهور في اللغة العربية مغنياً عن اتباعها بالوصف لما في معظم هذه الكلمات العربية من الدلالة على القلة والكثرة بغير حاجة إلى الصفات .

ثم يأتي الجمع باختلاف الصيغ واختلاف المميزات بين الجموع وبين أنواع الكثرة التي لا ينحصر معناها في مجرد التعدد بغير دلالة أخرى .

فهناك الجمع القياسي في المذكر والمؤنث ، وهناك الجمع القياسي للعاقل وغير العاقل .

وهناك جمع التكسير على غير قاعدة واحدة تقاس في جميع الكلمات ، ولكن قواعدها تحصر على كثرتها فلا تخلو من رابطة بينها أو رابطة بين الكلمة والشيء المحدود .

ولكن اللغة العربية ، وحدها ، بين اللغات الكبرى هي التي قام تركيبها الاصيل على قواعد مطردة للتمييز بين المثنى والجمع ، في تصريف الأفعال وتصريف الضمائر وتصريف الصيغ التي تستخدم للتكلم أو للخطاب أو للغائب ، في جميع مواضع الإعراب .

وقد وضعت اللغة العربية معنى الجمع وعقلاً في موضعه الصحيح الذي نخلص إليه بعد تحقيقه من الوجهة الفلسفية ، فكل ثلاثة فما فوقها فهو الجمع مميزاً من معنى الأفراد ومعنى الاثنية .

ولو جاز أن نبدأ الحساب من المئات والألف لاحتجنا إلى فاصل عقلي ، للتفرقة بين العشرين والسبعة والأربعة والخمسة ، في معنى « الصفة الجمعية » .

وفي هذه الحالة يجوز للسائل أن يسأل : لماذا تكون العشرون جمعاً ولا تكون الخمسة أو الأربعة أو الثلاثة ؟ .

ولكننا نبدأ الحساب من الواحد وهو أول العدد ، فإذا جاوزنا الواحد لم يبق أمامنا غير واحد وواحد آخر ، ولم تنتقل من فكرة التوحد والتفرد إلا لنقول إنهما واحدان أو فردان أو اثنان .

ثم نصل إلى الثلاثة فنصل إلى معنى آخر غير معنى الواحد مفرداً أو معنى الواحدين مفردين ، وهذا هو معنى « الصفة الجمعية » ،

إلى أناس تخصصهم اللغة لأسبابها ، وليس
قصارى الأمر فيهم ملعون ، وملعون ،
وملعون ...

بل توجد غير جموع التكسير ألفاظ بصيغة
المفرد مخصصة لهذا المعنى في مواضعه ،
ونعني بتلك الألفاظ أسماء الجمع وتلحق بها
أسماء الجنس الجمعي من بعض الوجوه .

فأسماء القوم والنساء والخيول والإبل هي
أسماء للجموع لا تأتي لمجرد الدلالة على التعدد
أو التفرقة بين الواحد والاثنين وما هو أكثر
من الواحد والاثنين ، ولكنها تفيد التمييز
بين الفرد والنوع كيفما كان عدده أو كيفما
كانت كثرته بالنسبة إلى واحد ، ويلحق به
اسم الجنس الجمعي الذي يدل اشتقاق المفرد
منه على أنه قد وجد - أصلاً - للجماعة
ثم أخذ منه المفرد كما ينبغي عقلاً بالنسبة
إلى الجماعة التي ينسب إليها واحداً ، فكلمات
الترك والروم والنمل والشجر لم تؤخذ
من المفرد التركي أو الرومي أو من النملة
والشجرة ، ولكن العكس هو الصحيح في هذه
الجموع وأمثالها كافة .

ويجب أن نقرر هنا فضل اللغة العربية
في الاستعداد للتفكير الفلسفي في هذه القضية
التي تقدمت جميع القضايا الفلسفية في بحوث
الخلاف العويص بين المفكرين من قبل
أرسطو وأفلاطون إلى ما بعد مدرسة

فالغالب في أسماء الأفراد التي تعرف لها
جموع تكسير أن جمعها غير القياسي يشتمل
على نوع من التعريف لا يستفاد من جمعها
على القياس .

فإذا قيل عاملون وزارعون وحاصدون
وفارسون فهذا غير قولنا (عمال ووزراع
وحصدة وفارسان) لأننا نلصق في جموع
التكسير معنى الفئة ذات الصناعة الخاصة
التي تنزل من جملة المجموع بتلك الصناعة ،
فليس معنى (عمال) مائة أو ألف أو ألوف
عدة في حالة العمل الذي يقوم به كل عامل ،
ولكن الكلمة تفيد معنى التعريف لطائفة
من الناس بين طوائف أخرى لها مثل هذا
التعريف بين تنكيرات الجموع على الإطلاق .

ولم تترك اللغة العربية هذه التفرقة لجموع
التكسير على اختلاف الصيغ واختلاف
الدلالة على القلة والكثرة .

وعما نستدل به على أطراد هذه الدلالة
أن صيغة مفعول لا تجمع على صيغة من صيغ
جموع التكسير ، ولكنها تشذ أحياناً
فيستفاد من اللفظ الشاذ معنى التخصيص ،
أو التعريف ، لطائفة خاصة لها صفاتها
المميزة لها بين جملة أفرادها ، وكذلك يستفاد
من كلمة « ملاعين » غير ما يستفاد من كلمة
« ملعونين » التي هي الجمع على القياس ،
وينصرف الذهن عند سماع كلمة « ملاعين »

فما هو التفسير العقل لهذه المزية في تعبيرات العدد باللغة العربية ؟

إننا نرجع أن تمييز العربي بين المثنى والجمع راجع إلى مزية أخرى في اللغة سابقة لمزية الإفراد والتثنية وهي مزية التذكير والتأنيث التي تأصلت في لغة العرب قديما من عهد اشتغالهم بالرعاية وتقسيمهم الأحياء إلى أزواج وإطلاقهم معنى الزوج على الاثنين تارة وعلى الفرد المتم للجنس الآخر تارة أخرى . هذا سبب راجع يضاف إليه سبب آخر ، وهو أن مسألة الكثرة والقلة على درجاتهما قد كانت هي مسألة الحياة والموت ، ومسألة القوة والضعف ، ومسألة الثروة والفاقة ، ومسألة الأصول والفروع ، عند قوم يعتزون بالقبيلة ويعتزون بما تملك من أنعامها وبما تحسب من أصولها وفروعها ، فلا غرابة في تخصيص كل عدد بالصيغة التي يتميز بها مما عداه .

وقد تكون لهذه المزية أسباب غير ما تقدم ترجع إلى المطابقة بين الكلمات والأصوات عند النطق بها لا يتسع هذا المقال لتفصيلها وتحقيقها ، ولكننا لا نحتاج إلى تحقيق الأسباب وبراهينها لكي نقرر الواقع من ثبوت تلك المزايا ، لأن بيان هذه المزايا لا يتوقف على تفصيل أسبابها ؟

عبد الله محمود العفاد

الواقعيين والاسميين في القرون الوسطى . إذ كان الخلاف بين الطرفين في كل قضية من تلك القضايا المتلاحقة أيهما أسبق إلى العقل : إدراك الجنس والنوع أو إدراك الفرد والواحد ؟ !

فهذه تراكيب اللغة العربية تحسب الحساب لكل من هذين الغرضين ، فيوجد فيها اسم الجنس الذي يتبعه الفرد وتوجد فيها صيغة المفرد الذي يتكاثر بالعدد وصيغة المفرد الذي يتكاثر في طائفة معينة وعلى وصف محدود . ونعود فنقول في هذا الصدد كما قلنا في بحوث أخرى من قبل إن اللغات الكبرى لم تخل من دلالات على هذه الفوارق في جملتها ، وليكنها دلالات مبعثرة لم تجتمع لها قواها المطردة في أساس التركيب كما نرى في قواعد اللغة العربية حيثما بحثناها في باب العدد أو باب الصفة أو باب الظرف أو باب الجمل الفعلية والجمل الاسمية ، أو غير ذلك من أبواب القواعد النحوية والصرفية التي تناولنا البحث عنها أو تناولناها فيما يلي من الفصول .

ونحن نؤثر كلما استطعنا أن نفسر هذه المزايا في لغتنا العربية بتفسيراتها العلمية أو الفكرية التي نستطيع أن نذكرها بالقياس إلى الواقع وإلى الحقائق الواقعية أمام أعيننا من قبيلها .

مناهج الإسلام

للقوية روابط الأسرة

للأستاذ محمد محمد المدني

— ٤ —

مقوى الزوجية :

لكل من الزوجين حقوق على صاحبه :
١ — فالزوج عليه النفقة وكل ما يحتاج إليه بيت الزوجية :

ومن هدى النبوة في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، أى في عتق رقبة - وذلك هو تحرير العبد أو الأمة من الرق - ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، - أى زوجتك - : أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك ، »

وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل : ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شيء فلا أهلك ، فإن فضل عن أهلك شيء فلهذى قرابتك فإن فضل عن ذى قرابتك شيء ، فهكذا وهكذا ، »

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تصدقوا . »

قال رجل : عندي دينار ، قال تصدق به على نفسك ، قال : عندي دينار آخر ، قال : تصدق به على زوجتك ، قال : عندي دينار

آخر ، قال : تصدق به على ولدك ، قال : عندي دينار آخر ، قال : تصدق به على خادمك ، قال : عندي دينار آخر ، قال : أنت أبصر به ، وهذه الأحاديث تدل على أن نفقة الزوجة مقدمة على نفقة جميع الأقارب .

ويبلغني أن نهم أن قوله صلى الله عليه وسلم في هذا المقام : « تصدق به على زوجتك ، » لا يراد به تقرير أن هذا من قبيل الصدقة التى تعتبر عطاء للفقير المحتاج ، والزوجة ربما أنفت منه إذا كان على هذا الوضع ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل لفظ الصدقة في هذا المقام حتى بالنسبة لمالك الدينار ، إذ يقول له عن الدينار الأول : تصدق به على نفسك ، والمراد أن ينفقه على نفسه ، رضى النفس ، صادق النية ، واضعاً إياه في موضعه . فيكون له به ثواب الصدقة . وقد أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم للزوجة أن تنفق من مال زوجها ولو بدون علمه على نفسها وأولادها بالمعروف .

وذلك فيما روى عن عائشة رضى الله عنها : أن هنداً قالت يا رسول الله : إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطينى ما يكفيني وولدى إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم ،

فقال : خذى ما يكفيك وولديك بالمعروف .
٢ - وعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف ، وألا يضخم ما عسى أن يجده فيها من نقص يمكن علاجه ، أو الغض عنه ، فإن من يشدد البكاء المطلق لن يجده ، وربما كان في الزوجة بعض نواح حسنة تجبر ما عسى ألا يعجب الزوج منها .

وفي ذلك يقول الله عز وجل :
د وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا .
ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : لا يفرق مؤمن مؤمنة - أى لا يبعدهما - إن كره منها خاتما رضى منها غيره .

د أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنفسيهم .
د خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى .
وهذان الحديثان الأخيران يدلان على أن مقياس رضى الرجل هو معاملته بالحسنى لزوجته ، وهذا المقياس النبوى هو الذى يتشدد بعض الناس بأنه مقياس المدنية الأوربية .

٣ - وبلغ الأمر في رعاية حق الزوجة إلى أن يرشد النبي صلى الله عليه وسلم الرجال إلى عدم مفاجأة النساء بالدخول عليهن بعد القدوم من السفر وذلك لإعطائهن فرصة لإصلاح شأنهن ، والاستعداد لأزواجهن . ومن ذلك :

قال الإمام الشوكاني في نبيل الأوطار :
والحكمة في النهى عن الطروق المفاجيء - أن المسافر ربما وجد أهله مع الطروق وهم شعورهم بالتقدم على غير أهبة من التنظيف والتزين المطلوب من المرأة ، فيكون ذلك سبب النفرة بينهما .
٤ - والزوجة عليها طاعة زوجها في السر والعلانية لا في المظهر فقط .
وفي ذلك يقول الله عز وجل : فاصالحات قاتلات حائضات للغيب بما حفظ الله .
والقنوت : هو الطاعة في إخلاص وخشوع أى أن على الزوجة أن تطيع زوجها طاعة حقيقية صادقة ، وبعض النساء يخرجن على

٤ - والزوجة عليها طاعة زوجها في السر والعلانية لا في المظهر فقط .
وفي ذلك يقول الله عز وجل : فاصالحات قاتلات حائضات للغيب بما حفظ الله .
والقنوت : هو الطاعة في إخلاص وخشوع أى أن على الزوجة أن تطيع زوجها طاعة حقيقية صادقة ، وبعض النساء يخرجن على

الحياة الزوجية من الثورة الظاهرة المبردة
وفي كل خطر شديد لو يعلم الناس .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض
دخلت الجنة » .

« إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت
أن تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة
حتى تصبح » .

« لو كنت امرأة أحداً أن يسجد لأحد ،
لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » .

« لا تصوم امرأة ، وزوجها شاهد ، يوماً
من غير رضاهن إلا بإذنه » .

« لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ،
والأيدخلن أحداً تسكرهونه بيوتكم
إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة » .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، وهو
من الصحابة الذين دخلوا مصر : أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال :

« إياكم والدخول على النساء » ، فقال
رجل من الأنصار : أفرأيت اللحم ؟ قال :
« اللحم الموت » . . قال العلماء اللحم هو أخو
الزوج وما في معناه من أقارب الزوج ابن العم
ونحوه كأخيه وابن أخيه وأقارب الزوجة
يسمون الاختان وهم في معنى اللحم .

وقال ابن الأثير : « اللحم الموت » هذه
كلمة تقولها العرب ، كما تقول : « الأسد
الموت » ، و « السلطان النار » ، أى لغاؤها

هذه الطاعة ، فتفسد العلاقة بينهم وبين
أزواجهم وبعض النساء يطمئن أزواجهن في
الظاهر ، بينما يخرجن على هذه الطاعة في السر
حين يأمن علم الزوج وإطلاعه ، وذلك من
شأنه أن يهدد الحياة الزوجية ، ويبعث الشك
في نفس الرجل ، ولذلك يصف الله الزوجات
الصالحات بأنهن مع الطاعة الصادقة المخلصة
حافظات للغيب أى محافظات على غيب أزواجهن
كما من محافظات في حضورهم ، وقوله : « بما
حفظ الله » ، إما أن يكون المراد به أنهن محافظات
على غيب الأزواج بما شرع الله من أحكام
وآداب للزوجية يتبعنها وينفذنها فيكون
حفظهن بحفظ الله . وإما أن يكون المراد به
أن يعمل النساء على حفظ غيبة الأزواج
بمترسلات بحفظ الله ، طالبت توفيقه ومعاونته ،
فإن الأمر منه وإليه .

وأياً ما كان المعنى فإن المراد هو أن تبذل
المرأة كل ما في وسعها لتحقيق طاعتها السكاملة
المخلصة لزوجها مع محافظتها التامة ، فإن ذلك
هو الذى يدرأ عن الحياة الزوجية أكبر
الخطر ، وإذا تحققت طاعة المرأة لزوجها ،
وشعر الرجل بأنه « للقيام » حقيقة على
المرأة كان ذلك هو صمام الأمان الزوجي ،
وإلا فإنه يشور ظاهراً أو باطناً ولا يسمح
إلى وضعه الزوجي ، فيعاند ويصادم وإن لم
يقصد وربما كانت ثورته الباطنية التى لا تظهر
أو المكبوتة - كما نعبه الآن - أشد خطراً على

ففي هذه الحال يحل للمرأة أن تختلع ويحل للرجل أن يأخذ مال الخلع .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة » .

« إن المختلعات هن المنافقات ، وما من امرأة تسأل زوجها الطلاق من غير بأس فتجد ريح الجنة - أو قال - رائحة الجنة » .

٦ - ومن حقوق الزوج الى جعلها الإسلام له بحكم العقد ملك العصمة ، فمن حقه أن يبقى على عقد الزوجية ، ومن حقه أن يفرضه ، ولم يجعل الشارع هذا الحق للزوجة أصالة ولكنه أباح أن يملكها الزوج أمر نفسها ، إما عند العقد . وإما بعده فلم حينئذ أن تفصم عقدة الزواج ، ويكون هذا في الحقيقة فصماً من الزوج لأنه هو الذي أعطاهما هذا الحق ، وإرادته ثبت لها .

ولما الزوجية على هذا النحو هو المعروف بالطلاق ، ومع كون الطلاق من حق الرجل أصالة ، فإن الإسلام لم يتركه دون أن يضع له من الأحكام ما يتمشى مع روح المحافظة على رابطة الزوجية وما يحول بين الزوج وبين اتخاذ وسيلة للظلم وإساءة استعماله بوجه من وجوه التعسف .

ولكي نعرف شريع الإسلام في أمر الطلاق ، وتنازع خطأه التي تدل على ما ذكرناه ، نؤجل الكلام عنه إلى العدد المقبل إن شاء الله تعالى ؟

محمد محمد المهدي

عميد كلية الشريعة

مثل الموت والغار يعني أن خلوة الحم أشد من خلوة غيره من الغرائب ؛ لأنه ربما حسن لها أشياء وحملها على أمور تثقل على الزوج من التماس ما ليس في وسعه . أو سوء عشرة أو غير ذلك ، ولأن الزوج لا يؤثر أن يطلع الحم على باطن حاله بدخوله بيته .

هـ - ولا يجوز للزوجة أن تسأل زوجها الطلاق بدون سبب ، ومع كون الإسلام يبيح « الخلع » وهو الطلاق في مقابل مال تدفعه المرأة لزوجها ، فإنه ينظر إلى هذا الخلع نظرة كراهية .

فالقرآن الكريم يقول : « ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتاكم من شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله » ، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به .

يعني إن مال « الخلع » هو في الأصل مما لا يحل للزوج ؛ لأنه يأخذ مما أعطاه من المهر شيئاً ، أو يأخذه كله ، والله تعالى يقول : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتهم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » . تأخذنه بهتاناً وإثماً مبيناً . وكيف تأخذونه وقد أفضى بكم إلى بعض ، وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً .

لكن أبيع ذلك فيما إذا وصل الأمر بالزوجين إلى حال من القلق الزوجي لا يمكن معها إقامة حدود الله في الزوجية بأن يظلم الزوج زوجته ، أو تخرج هي على طاعته ،

فتح القدر

العبث بالتاريخ الصحيح ضلالة في الدين

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(أ) « إنما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ، .
(ب) « يحلونهم عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، .
(ج) « فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدي
أقوام الكافرين ، .

تمهيد :

حدثناك في المقال السابق عن عناية القرآن
باعتقاد التاريخ في تقويم الحياة ، وما الأخذ
بالتاريخ من أهمية في شأن الفرد والجماعة ،
بل في جانب الدنيا بوجه عام .

وكان اعتمادنا في الحديث على آيات ، وسنة .
فن الآيات قوله تعالى : « وجعلنا الليل ،
والنهار آيتين ، فحونا آية الليل ، وجعلنا
آية النهار مبصرة ، لتبتهوا فضلا من ربكم
وتعلموا عدد السنين والحساب » - « يسألونك
عن الأهلة ، قل هي مواقيت للناس والحج » -
« هو الذي جعل الشمس ضياء ، والقمر نورا ،
وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ،
وكذلك ما ورد عن الرسول في احتسابه

الأشهر القمرية ، واستيفاء عددها باثني عشر
شهرا كما قرر القرآن ، وكما كان جالوا
في الشرائع الأولى .

وكما كان تقديره الأشهر القمرية مناط
المعرفة لموعد الصوم ، والحج ، وموعد
الزكاة ، وأمد المعاهدات بين المسلمين
وسواهم ، إلخ ...

وما كانت شؤون الحياة لتأخذ وضعا
الصحيح لولا تنسيق الأمور في نظمها التاريخي
كما أسلفنا .

ومن هذا كله يكون الأخذ بالتاريخ سنة
حتمية مشروعة من جانب الله ورسوله ،
ولا يعتبر وصفا تقليديا ، ولا أمرا اعتباريا
ويكون له أثر في إفساد النظام
مفروض ، وتعرضا لأضرار جسام . والله

ينهى عن الفساد ، وعن التعرض للأضرار وإن هان شأنها .

١ - ومع ما وضع لنا في سياق الحديث

السابق من توجيهات نحو اعتماد التاريخ في تقييد أمورنا ، وتقدير أعمالنا : فإن الله تعالى

يزيدنا بياناً في ذلك بما ينسكه على الكافرين قديماً إذ كانوا يقدمون ، ويؤخرون بين

الشهور ، ويبدلون في أسمائها ، ويتوصلون بهذا الفسء إلى استحلال الحرف في الأشهر الحرم ، وتحريمها في أشهر أخرى بدلاً منها ، ثم يعكسون هذا في عام آخر .

ولم يكن هذا الفسء والتلاعب به مرة ، أو مرات ، معدودات بل ظل عشرات من السنين ، حتى استوعب جميع أشهر العام مرة ، أو مرات وبسببه كان موعد الحج يخرج بتفديمه أو تأخيره عن ميقاته الزمني في ذى الحجة ، فلم يكن حجمهم صحيحاً على دين إبراهيم كما زعموا حتى صادف وقوع الحج في شهره مرتين متعاقبتين - على ما قيل - .

وإحداهما حجة الوداع التي كان الرسول فيها على رأس الحجيج ، وكان الحج صحيحاً على الأصل المشروع من عهد إبراهيم عليه السلام .

وهذا ما قرره النبي صلى الله عليه وسلم - في خطبته الأخيرة التي ظلت منهجاً إسلامياً بعد

ومما قال فيها - صلوات الله عليه - ... إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض

يريد : أن الزمان عاد إلى ترتيبه بعد دوراته الخالفة ...

ثم لا نسى بعد ، ولا جاهلية ، ولا عبث بالاحكام ، ولا مزبد في عدد الأشهر .

فإن ذلك كله زيادة في الكفر ، ويفتن به الذين كفروا ، فيسلكون به مسلك التحليل في عام والتحريم في عام ، ويختالون في تحريم أربعة أشهر من السنة حسب اختيارهم ، ويختالون أنهم اتبعوا ما عرف لهم من دين إبراهيم في تمام العدد ، ويهجمهم لاقتسام هذا النوع . وإن علموا أنه ضيعهم ، وأنه مخالف ، وباطل ، وافترأ على الله ، وعلى دين إبراهيم !

٢ - وإذا كان القرآن يعيب على الكافرين هذا التغير ، فهو يستحثنا لإيجاباً على اعتماد التاريخ ، ويشدد في إنكاره سلباً للعبث منا بالتاريخ .

فليس ذلك حكاية مجردة عن الأهداف ، ولا خصوص حديث قاصر على شأن الكفار ، وإنما هو قصص يساق للتوجيه إلى العمل أكثر مما يساق للحكاية والتشفيع .

النفقة عليه ، أو تكسب حقا في ميراثه ببقاء السعدة المصطنعة ، أو تلحق به ولدا جاءت به بعد العدة الواقعية .

وقد تعتمد الزوجة أو الزوج إلى الاحتيال في تقديم العدة ليتخلص أحدهما أو كلاهما من قيود العدة الصحيحة .

٣- والتدليس في التاريخ أنواع شتى ، وصور لا تحصى .

وساحات الفضاء حافلة بالمشاكل من هذا القبيل ، وفيها ألوان شيطانية ، يرتكبها المحتالون في حذق ، ويماني فيها القضاء جهودا مضنية .

وآثار ذلك كله غير هينة في اضطراب الحياة ، وفساد العلاقات ، وزعزعة الثقة .

حتى لترى بعض الناس ينكشون في المعاملة ، ويقبضون أيديهم عن تبادل المنافع : خوفا من التعرض للتجاهد ، وبعدا عن مظان الخلافات ، ومسالك الضلال ، وهذا ضرر عام .

وقد أحاط القرآن بكل ما يدرأ هذا في كثير من مقاماته .. نحو قول الله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها إلى الحكام ، لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم ، وأنتم تعلمون » .

وواضح أن التلاعب في التاريخ وخاصة

وإذا كنا ضربنا بعض الأمثال بما نحتاج فيه إلى ضبط التاريخ والاعتماد عليه في معرفة المواقيت للعبادة ، وحلول الدين في مواعده ، وخروج المعتدات من عدتهن ، وتحمل المسؤوليات الدينية ، والمدنية ، والجناينية لمن بلغ رشده في السن حاقلا ، والتجمل من المعاهدات المؤقتة بزمان محدود بين المتعاهدين فإن هناك أمورا سلبية في مقابلة هذه الإيجابيات وتكون لها أضرار خطيرة تهب علينا من إهمال التاريخ ، أو من اللعب به تقديمًا أو تأخيرًا .

وذكر النسيء - وهو التأجيل - لا يخرج التقديم في التاريخ عن الحداثة . فإن كل تأخير في التاريخ يلزمه تقديم لما كان متأخرا عنه ، أو يلزمه إثبات الاستحقاق لغير ما يستحق .

فالمذنب مثلا - يعيث بوثيقة الدين ، ويقدم تاريخها ، ليتعجل دينه قبل مواعده . والمدين يعيث في الوثيقة التي تكون بيده ليسقط الحق ، أو يبعد أجله إن استطاع .

والأب قد يؤجل قيد مولوده لغاية ما ، فيكون هناك زمن مختلس من عمر الصبي ، وذلك قد يكسبه حقوقا ليست له في الواقع . والزوجة ترجى تاريخ فرقتها للزوج ، وترجى نهاية العدة ، ليتسع لها زمن

النفس ، وما هو من قبيله عملا كفريا ، وضلالا يباع العبد عن هداية ربه ومناجزته .

فقد انتقل بنا من هذه الآيات إلى آيات فيها عتاب على المؤمنين في شأن التخليف ، أو التباطؤ عن النهوض إلى القتال حين دعوتهم إلى النفرة لقتال العدو .

« يا أيها الذين آمنوا ما لكم ، إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثاقتم إلى الأرض ، ؟ » وهل هناك مناسبة بين الحديث عن النفس الذي ارتكبه الكافرون ، وبين العتاب على المؤمنين في تباطؤهم عن القيام سراعا إلى جهاد العدو ؟ .

إن المناسبة في سياق الآيات ليست حتمية دائما ، فمقد يكون لكل آية مقام خاص بها وغرض لا يرتبط بالآخرى في موضوعها بالذات : فكل مقام مقال ، كما يقول البلاغ .

على أن المناسبة هنا يسيرة المدرك بين الحديث عن النفس ، وبين العتاب على المؤمنين فإن السياق كله تهذيب ، وتربية للمسلمين .

ومجال التربية يتسع لسوق الحديث في ألوانه العديدة .

وفي ذكر النفس تطهير للمسلمين من لوثة الكفر التي كانت لأصحاب النفس ، وترفع بهم عن الوقوع فيه ...

وكذلك في العتاب على المؤمنين لتخليفهم ،

تاريخ الوثائق : من أخطر الوسائل إلى أكل الأموال بالباطل .

وقد حرم الله ذلك الأكل ، وحرم كل وسيلة تؤدي إليه .

٤ - ومن الإمام بما ذكره القرآن عن النفس ، وما يتصل به عن عبث في التاريخ : تقديم ، أو تأخيرها يدين لدى الوعي أن من حق التاريخ علينا ألا نشوبه بتدليس ، وألا نتخذ منه وسيلة إلى الإخلال بالأوضاع الصحيحة .

وحسبنا أن الله أخذ على الكافرين كفرهم واشتد في إنكار ضلالهم بتحويلهم الحرام إلى حلال وحرّمهم الله من هدايته الموصلة إلى رضاه فقال : « والله لا يهدي القوم الكافرين » .

وكل حرام يعاب على الكافرين فهو معيب على المؤمنين ، وليست هناك محاباة في تشريع الله لعباده فإن الله حق ، ولا يرضى من عباده غير الحق ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » .

ه - وإذا تحدث القرآن أولا - عن الإشادة بالتاريخ في قوام الحياة .

وتحدث ثانيا - عن خطر التلاعب بالتاريخ في الجانب الديني ، والدنيوي ، واعتبر

أو تباطؤهم عن الجهاد حفزاً لعزائمهم ،
وبعداً بهم عن مظهر التخاذل ، وكرامة
الجهاد كما يفعل المنافقون .

ومع هذا خرج إلى الجهاد من خرج ،
وظهر من المنافقين من لم يكن معروفاً بوضوح
وأراد الله ألا يكون قتال ، حيث ظهر كذب
الأخبار عن احتشاد الأعداء ، فكفى الله
المؤمنين القتال .

وفي كلا التوجعين دفع بالمسلمين إلى التخلص
من الغمائن الدينية والخلقية ، ورغيب لله
في محاولة السكال اللاتق بهم وهم تحت لواء
الإسلام .

وكان تكليف الناس بالنفرة لمجرد الاختيار
ولإظهار المنافقين ، وتعليم المؤمنين ألا يتخلفوا
عن الدعوة إذا اقتضاهم الأمر .

فليس لغيره من أهواء الإسلام أن يقول :
إن الآيات ليست متماسكة في سياقها .

وليس ذلك خاصاً بعهد الرسول بل هو
درس تربوي يعتبر منهجاً خالداً في الحياة
الإسلامية بعد .

فأنها آيات مفصلات في أغراض مقصودة
ومتعددة يزيد بها روعة أن تكون كذلك .
فضلاً عما بينها من تناسب في الغرض العام -
وهو التربية الإسلامية .

فما يتخلف عن الجهاد حين الدعوة إليه
غير منافق يجنح إلى القعود والراحة ، ويرضى
بالدنيا عن الآخرة وهيئات أن تطيب له الدنيا
كما يزعم ، ومهما كانت فتناتها قليل وزائل .

وموضوع العتب على المؤمنين : أنهم
في العام التاسع للهجرة قاموا بغزوة في الطائف ،
وفي حنين ، ثم فوجئوا بنبأ عن قدوم جيش
الروم لمحاربتهم في تبوك - مكان معروف
بين المدينة ودهشق .

والمؤمن الحق لا يخذل دينه ، ولا يفتن فيه
بعمل المنافقين .

وكان الحر شديداً حين دعاهم الرسول إلى
النفور للقاء العدو المحتشد إليه .

وعلى هذه الشاكلة الكريمة تكون
حياة المسلمين الصرحاء .

وكانت ثمار البساقين على وشك النضوج ،
وهم في ذلك الاوان معسرون من المال ،
والأرباح فكان من البعض تباطؤ في الاستجابة

عبد اللطيف السبكي

المحرم والسنة العربية وعاشوراء

بلاستاذ الدكتور على عبد الواحد وائى

المحرم هو اسم للشهر الأول من شهور السنة العربية القمرية . ومن المتفق عليه أنه كان لشهور هذه السنة في أقدم عهود الجاهلية أسماء أخرى غير الأسماء المعروفة الآن ، وإن اختلف الرواة في تحديد تلك الأسماء . وأشهر ما ورد في هذا الصدد أنه كان يطلق على المحرم اسم « المؤتمر » ، لأن العرب كانوا يعقدون فيه المؤتمرات للفصل في أقضيتهم ، فيستفتحون السنة بتصفية خلافاتهم في العام السابق ورسم ما ينبغي أن تسير عليه هلاقاتهم في العام الجديد ؛ وعلى صفر اسم « الناجر » ، من النجر أى شدة الحر ؛ وعلى ربيع الأول اسم « الخوان » ، كشدة من الحيانة ، وعلى ربيع الثانى اسم « الصوان » ، من الصيانة ، وعلى جمادى الأولى اسم « الزباء » ، وهى الداهية الكبيرة ؛ وعلى جمادى الآخرة اسم « البائد » ، لكثرة القتل والقتال فيه ، فقد كانوا يحرسون في هذا الشهر على فض خصوماتهم بحمد السيف والانتهاز من حروبهم قبل أن يجرى شهر رجب الذى كان من الأشهر الحرم التى لا يجوز القتال فيها (وذكر صاحب القاموس المحيط أنه كان يطلق على هذا الشهر اسم « رنة » ، ولعله من رنين الأسلحة) ؛ وعلى رجب اسم « الأصم » ، لأنهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صليل السيوف (وقد بقيت صفته هذه بعد الإسلام ، فكان يطلق عليه « رجب الأصم ») ؛ وعلى شعبان اسم « الواغل » ، لهجومه على رمضان (والواغل فى الأصل هو الداخل على القوم فى شراهم من غير أن يدعى لآليه ، كالوارش فى الطعام) وعلى رمضان اسم « الباطل » ، وهو وعاء يكال به الخمر (وذكر صاحب القاموس المحيط فى مادة « رمض » ، أن رمضان كان يسمى « الناق » ، من نقه إذا زعزعه ونفضه) ؛ وعلى شوال اسم « العاذل » ، من العذل وهو الملامة ؛ لأنه أول أشهر الحج ، فكانه يلوهم على ما يزاولونه من غير أعمال هذه الشريعة ، ويثنهم عن كل شيء ماعدا مناسكها . ولعله سمي بذلك لشدة حره ، فقد كانوا يصفون الأيام الشديدة الحر بأنها « معتذلات » ، و « عذل » ، بضمين . وتردد صاحب

وذو الحجة والمحرم ورجب ، ؛ والثاني
 د صفر ، لما كان يعتريهم فيه من مرض
 تصفر به ألوانهم ؛ والثالث والرابع
 د ربيع الأول ، و د ربيع الثاني ، لأنهما
 كانا يأتیان في الحريف ، وكانت العرب تسمى
 الحريف ربيعا ؛ والخامس والسادس
 د جمادى الأولى ، و د جمادى الآخرة ،
 لحيثما في أيام الشتاء إذ يجمد الماء ويقاظ
 الجليد ؛ والسابع د رجب ، من الرجب
 وهو الكف لأنهم كانوا يسكفون فيه عن
 القتال ، فهو أحد الأشهر الأربعة الحرم ،
 أو من الرجب وهو التعظيم لأنهم كانوا
 يعظمونه فلا يحاربون فيه ؛ والثامن
 د شعبان ، لأنشعب القبائل فيه إلى طلب
 الماء والسكلا وإغارة بعضهم على بعض ،
 والتاسع د رمضان ، من الرمز وهو شدة
 الحر لحيث في صنفوان الصيف ؛ والعاشر
 د شوال ، من شال القوم إذا ارتحلوا
 وتفرقوا وخلت منازلهم منهم ؛ لأنهم كانوا
 يرتحلون فيه ويتفرقون في طلب
 السكلا والماء ، أو من شالت
 النوق بأذنابها إذا رفعتها لشهوة الضراب ،
 لأن هذا الشهر كان موسم لقاحها ، ولذلك
 كانت العرب لا تجيز الزواج فيه حتى
 لا يتشبهوا بالأنعام ؛ والحادي عشر
 د ذا القعدة ، لقعودهم فيه عن القتال ؛ لأنه
 كان من الأشهر الأربعة الحرم ؛ والثاني عشر
 د ذا الحجة ، لإقامتهم الحج فيه .

القاموس في اسم العاذل فذكر أنه اسم شعبان
 في الجاهلية أو شوال) ؛ وعلى ذي القعدة
 اسم د رنة ، لأن الأنعام كانت ترن فيه
 أي تصوت لقرب النحر (وذكر صاحب
 القاموس المحيط أن ذا القعدة كان يسمى
 د ورنه ، بالواو) ؛ وعلى ذي الحجة اسم
 د ترك ، لأنهم كانوا يتركون الإبل فيه .
 وتتفق هذه الأسماء مع ما نقله الخطيب
 خیر الدين المدني في تذكرته .

وقد أورد محمود باشا الفلكي في رسالته
 التي ألفها بالفرنسية وترجمها إلى العربية
 أحمد بك زكي بعنوان : د نتائج الأفهام
 في تقويم العرب قبل الإسلام ، أسماء أخرى
 للشهور في الجاهلية ، وهي على التوالي ،
 ابتداء من المحرم : نائق ، ثقيل ، طليق ،
 ناجر ، أساج أو أسلخ أو سماح أو سماخ ،
 أمنح ، أحلك ، كسع ، زاهر ، برط
 أو مرط ، حرف أو نعيس ، نعس
 أو مريس .

أما أسماء المستعملة الآن فالمشهور أنها
 وضعت في عهد كلاب بن مرة أحد أجداد
 الرسول عليه الصلاة والسلام . وكان ذلك
 قبل الإسلام بنحو قرنين ، وقد اختلف في
 تعليل تسميتها بهذه الأسماء . وأشهر ما ورد
 في هذا الصدد أن العرب سمو الشهر الأول
 د المحرم ، لحرمه القتال فيه فقد كان أحد
 الأشهر الأربعة الحرم د ذو القعدة

يهودهم تقويمًا شمسيًا ثم تحولوا عنه فيما بعد إلى التقويم القمري ، مع احتفاظهم بالأسماء القديمة الدالة على الفصول والأحوال الجوية ، وهي أسماء لا تستقيم مدلولاتها ولا تطرد إلا مع التوقيت الشمسي . ويذهب بعض الباحثين إلى أنه كان لديهم تقويمان تقويم شمسي وتقويم قري ، وأنهم سماوا شهور السنة القمرية بالأسماء نفسها التي كانوا يطلقونها على شهور السنة الشمسية حتى لا تختلف أسماء الشهور في التقويمين ، وإن كانت المدلولات لا تصدق إلا في شهور السنة الشمسية ، ثم اقتصرُوا فيما بعد على التقويم القمري .

ويظهر أنه كان لشهر المحرم مكانة خاصة كبيرة في نفوس العرب بدليل أنه اختص من بين الشهور الأربعة الحرم بالاسم الذي يدل صراحة على حرمة وقد احتفظ له الإسلام بهذه المسكنة ، فسماه الرسول عليه الصلاة والسلام « شهر الله » ، ولم يندب عليه السلام إلى صيام شهر كامل على سبيل التطوع غير شهر المحرم ، وجعله أفضل صيام بعد رمضان فمن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الصيام أفضل بعد رمضان ؟ فقال « شهر الله » الذي تدعونه المحرم ، (رواه أحمد ومسلم وأبو داود) .

ومع أن السنة العربية سنة قريية تتحدد شهورها بدورة القمر حول الأرض ولعلاقة لأشهرها بالفصول لأن الفصول إنما تتحدد بدورة الأرض حول الشمس (فقد يأتي الشهر العربي في سنة ما في الصيف ثم يأتي بعد بضعة سنين في الحريف ثم في الشتاء ثم في الربيع) مع ذلك فإن بعض الشهور العربية قد سميت بأسماء تشير إلى أحوال جوية خاصة أو إلى أمور تقع في فصول معينة ، وهي شهور صفر وربيع الأول وربيع الثاني وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورمضان وشوال ، وقد علل ذلك محمود باشا الفلكي في رسالته السابق ذكرها « بأن العرب أطلقت على الأشهر أسماء تناسب الحوادث الجوية أو غيرها التي كانت جارية في وقت القسمية فقط ، ولم يرسلوا أنظارهم إلى ما وراء ذلك ؛ لجهلهم أنه بعد مضي سبع عشرة سنة تنتقل شهور الصيف في الشتاء وبالعكس ، - وإلى هذا المعنى يشير الفيروز أبادي في « القاموس المحيط » إذ يقول في مادة « رمضان » إنه « سمي به هذا الشهر لأنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت منها ، فوافق نائق (ونائق هو الاسم القديم لرمضان على ما يذهب إليه الفيروز أبادي كما تقدم) زمن الحر ، - أو لعل تقويمهم كان في قديم

وأمر بصومه ، قالوا يا رسول الله يوم تعظمه اليهود والنصارى ، فقال : « إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع » فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم (رواه مسلم وأبو داود) . ولا أكاد أطمئن إلى هذه الروايات التي تربط بين صيام عاشوراء عند المسلمين وصيام اليهود . ويبدو لي ضعفها من عدة وجوه أهمها ما يلي :

١ - أن ما يسمونه عاشوراء اليهود هو اليوم العاشر من الشهر السابع العبري (تشرين) الذي كان يسمى عندهم كذلك يوم « كبور » أى يوم الكفارة ، وقد جاء أمر اليهود بصيام هذا اليوم وعدم مزاولته الأعمال فيه في عدة فقرات من أسفار العهد القديم (انظر من ذلك : سفر اللاويين ، ١٦ : ١٦ ، فقرات ٢٩ وتوابعها ، وإصحاح ٢٣ : ٢٧ ، فقرات ٢٧ وتوابعها ، وسفر العدد : إصحاح ٢٩ : ٧) ولما كان هذا اليوم لا يوافق العاشر من شهر المحرم في أية سنة من السنين التي قضاه الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة وذلك أن الرسول عليه السلام قد دخل المدينة على أرجح الأقوال يوم الاثنين ١٦ من ربيع الأول الموافق ٢٠ من سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية ، وكان هذا اليوم يوافق اليوم العاشر من شهر تشرين العبري وهو يوم عاشوراء

هذا ، ويسمى اليوم العاشر من شهر المحرم « عاش - وراء » وقد يسمى التاسع كذلك « تاسوعاء » . والراجح أن هذه وتلك تسميتان عربيتان قديمتان وليستا منهولتين من لغة أخرى . وقد روى عن الرسول عليه الصلاة والسلام بعض أحاديث تدب فيها إلى صيام يوم عاش - وراء ويوم تاسوعاء واليوم الحادى عشر من المحرم . واستخلص ابن قيم الجوزية من الأحاديث الواردة في هذا المصدد أن أكل الحالات أن يصام يوم عاشوراء ويوم قبله ويوم بعده ؛ ويلها أن يصام تاسوعاء وعاشوراء فقط ؛ وبلى ذلك لإفراد عاشوراء بالصوم . ويرى أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة رأى طوائف اليهود فيها تصوم عاشوراء ، فسألم عن ذلك فقالوا : « إننا نصومه تخليداً لذكرى اليوم الذى نجي الله فيه موسى وبنى إسرائيل من فرعون وكبيده ويسر لهم الهجرة من مصر » فقال عليه السلام : « نحن أولى بموسى منهم » ، وإنى لأحتسب على الله أن يكفر بصيام هذا اليوم ذنوب العام السابق له . فصامه وحسب المسلمين في صيامه ويقال إن النبي عليه السلام قد حرص على مخالفة اليهود فندب إلى صوم التاسع مع العاشر فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما صام رسول الله عليه وسلم يوم عاشوراء

وأنا أميل إلى ترجيح هذه الرواية على الرواية السابقة التي ظهر لنا ضعفها ، والتي تربط بين صيام يوم عاشوراء عند المسلمين ، وصيام « يوم كبور » ، عند اليهود .

وتحافظ بعض فرق المسلمين على أنواع من الصيام ترتبط بمواقيتهم بأحداث اجتماعية ذات بال في تاريخها الخاص . ومن ذلك لإحياء بعض فرق الشيعة للأيام العشرة الأولى من المحرم بالصيام والقيام وترتيل الأوراد وتعذيب الجسم تخليداً لذكرى من استشهد من آل البيت في هذه الأيام .

ويظهر أن هذه الفرق قد استغلت الأحاديث الواردة في صيام عاشوراء فأولتها على الوجه الذي يتفق مع حرصها على تخليد ذكرى شهداء آل البيت في كربلاء ، مع أن الأحاديث والروايات السابق ذكرها تدل على أن الصيام يوم عاشوراء أصلاً يختلف كل الاختلاف عما تذهب إليه هذه الفرق ، ومع أن إجماع الثقات من فقهاء المسلمين منعقد على أنه ليس من تعاليم الإسلام اتخاذ أيام وفاة الأنبياء والشهداء والصالحين من المؤمنين أيام صيام ولا أيام مأتم وعزاء ؟

دكتور علي هبملو

عند اليهود (حسب ما حققه محمود باشا الفلسكي وغيره) . فلا يمكن إذن أن يكون العاشر من شهر تشرين العبري قد جاء في العاشر من شهر المحرم العربي في أية سنة من السنين العشر التي أقامها الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة ، سواء اعتبرنا السنة العبرية سنة قمرية أم اعتبرناها سنة شمسية .

٢ — أن اليهود لا يصومون هذا اليوم تخليداً لذكرى اليوم الذي نجي الله فيه موسى وبني إسرائيل من فرعون وكيدته ويسر لهم الهجرة من مصر كما تذكر الروايات التي تناقشها ، وإنما يصومونه للاستغفار وطلب العفو عن الخطايا كما تصرح بذلك نصوص العهد القديم التي أشرنا إليها في الفقرة السابقة بل إن اسم هذا اليوم عندهم ليدل على ذلك ، فهو يسمى عندهم « يوم كبور » ، أي يوم الكفارة .

هذا . وقد روى عن عائشة ما يفيد أن صيام عاشوراء يرجع إلى أصل عربي جاهلي لا إلى أصل يهودي . فقد قالت : « كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش في الجاهلية . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه . فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه . فلما فرض رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه » ، (حديث متفق عليه من الجماعة)

الإسلام والمدنية الحديثة

لأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

- ٢ -

١ - إذا نظرنا إلى مدينة الصين ، وإلى مدينة الهند ، فإننا نجد أنهما قائمتان على الدين ، وكذلك الأمر في كل الحضارات القديمة ، ولم تكن الحضارة الإسلامية بدعا في هذا الأمر : إنها كذلك تقوم على الدين .

وقد رأينا في المقال السابق : أن الدين - وهو عقيدة وأخلاق - لا يتعارض مع الاتجاه العملي أو التطور المادي ، بل رأينا على العكس من ذلك : أنه يبحث على التقدم في مختلف ميادين الصناعة والزراعة وغيرها مما يتصل بالمادة .

ولكن الحضارة المادية ، إذا لم تقم على مبادئ من الخلق السليم وعلى الإيمان بالله وباليوم الآخر ، فإنها تدمر نفسها ، وتشقى بها الإنسانية .

ولا ريب في أن العقيدة الصحيحة ، ليست اختراعا بشريا ، ولا يمكن أن يكون الخلق السليم نتاجا من صنع البشرية ذات الأهواء المتعارضة .

والكلمة الأولى والأخيرة إذن ، في العقيدة والأخلاق ، إنما هي الوحي المنزل المصوم .

وما من شك في أن الطابع الجوهري الذي يجب أن يكون للعقيدة والأخلاق ، إنما هو أن تكونا مبادئ ثابتة لا تتقلب بحسب الظروف ، ولا تختلف باختلاف الأهواء ، ولا تخضع للشهوات فتتكيف تبعاً لها .

ومن المسلم به أنه لا بد للحضارة ، أيما كانت من أن تقوم على مبادئ ثابتة ، ومن أن تركز على عقيدة صحيحة ، ومن أن تكون أهدافها : إسعاد الإنسانية بالسير بها في الطريق الذي رسمه الحكيم الخبير ؛ والذي ترشد إليه النصوص التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، وإلا لما كانت الحضارة حضارة ، بل ارتكاسا وانتكاسا .

ولا ريب ، أن كل من يتدبر ما قدمناه يرى دون كثير من الجهد : أن الأمر كما ذكرنا ، أو على الأقل أن الأمر : « ينبغي » أن يكون كما ذكرنا .

٢ - بيد أن الحضارة الحديثة : تمردت على كل هذه القواعد ؛ وشذت على كل هذه المبادئ ، وكانت بدعا من الحضارات ، ونشازاً من المدينيات !!!

ونظرة الدين : تصل الإنسان بالكون كله : سمائه وأرضه ، بحاره وجباله ، وهاده وسهوله ، كواكبه ونجومه ، واكنها تصلة أيضاً بما وراء الكون : بالانهاية لأنها لاتحد الإنسان ولا تسجنه في حسه ، ولا تقيد به سلاسل وأغلال .

هكذا شأن الإسلام مع الإنسان . وكان الأمر كذلك في الحضارات السليمة ، التي توات على الإنسان منذ أقدم العصور .

وبينما المدنية الحديثة تربط الإنسان بالمادة ، برباط محكم ، إذا بالدين يرفعه إلى الله ، فيصله به .

وبينما الحضارة الحديثة تخضعه للسلادة ، إذا بالدين يخضع المادة له ويجعله سيد الكون وخليفة الله تعالى .

وبما هو جدير بالذكر : هذه الأمثلة الكثيرة التي يتحدث بها القرآن عن الإنسان ؛ فيرفع بها من درجته ؛ ويعلى بها من شأنه ، في مقابلة سائر المخلوقات .

ولقد وصل الدين في تكريم الإنسان إلى ما لا يتطرق إليه خيال المدنية الحديثة ولا وهما ؛ لقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم تكريماً له ، فأدم إذن وبنوه : يمكنهم أن يترقوا في المجالات الروحية إلى ما هو أعلى درجة من الملائكة .

أما بيان ذلك وتوضيحه : فليس بالأمر العسير :

لقد بدأت الحضارة الحديثة - في ميدان المعرفة - بقلب الأوضاع الثابتة الصحيحة السليمة ، فحددت ميدان العلم الصحيح بأنه الميدان المادى فحسب ، حتى لقد أصبحت كلمة : « العلم » ، لامدلول لها في الحضارة الحديثة إلا المعرفة في الميدان المادى ، وفي الدائرة الحسية .

لقد حصرت الحضارة الحديثة نفسها ، منذ المبدأ ، إذن ، في دائرة المادة ، وسجنت نفسها في سجون الحس ؛ ولأنها حينئذ اتخذت الملاحظة والتجربة أساساً ، والاستقراء حكماً وميزاناً ، فإنها بذلك : استبعدت - بحجة قلم - الميدان الروحي ، أو ما وراء الطبيعة ، أو الإلهيات عن الميدان العلوى ، وعن مجالات المعرفة الصحيحة

وما دام « ما وراء الطبيعة » ، لا يظهر في العمل وفي المصنع ، ولا ينظر بعين ، ولا يمسك بركب ، فإنه إذن لا يدخل في المحيط العلوى .

هذه النظرة القاصرة ، تقابلها النظرة الرحبة ذات الأفق الواسع ، أعنى نظرة الدين ، إنه يدع للحس مجالاً لا يسرح فيه ويجول بالملاحظة والتجربة والاستقراء ، ويدع للعقل مجالاً يستنتج فيه ويستنبط ، ويدع للروح مجالاً تستشف فيه وتستلهم .

بالسيطرة على الكون : ما ظهر منه وما خفي ،
حينما يتخذ الوسائل المادية والروحية لهذا
التسخير ، والإنسان إذن دون منازع :
سيد هذا الكون .

ذلك تكريم الحضارة التي تقوم على الدين
للإنسان .

أما المدنية الحديثة : فإن من نظمها التي انتهت
إليها في أحدث مثلاً وفي آخر أطوارها ،
إنما هو : النظام الشيوعي .

ولا نستطيع أن نجد تعريفاً للنظام الشيوعي
أدق من أنه : استعباد المادة للإنسان
وسيطرتها عليه ، إن المادة هي : أساس
النظام ، والمادة : هي هدف للنظام والمادة :
هي هم الشيوعيين المقيم المقعد . لقد أصبح
الإنسان في النظام الشيوعي : آلة من الآلات
المادية بل جزءاً في آلة ، كسائر مثلاً في حذاء
مارد مدمر ، هو المادة .

ونظرة الحضارة الإسلامية إلى الإنسان
والعلم إذن : تختلف اختلافاً جذرياً عن النظرة
الشيوعية وإذا كانت النظرة الشيوعية تقول :
ولقد سخرنا بني آدم ، وتتخذ ذلك مبدأ لها ،
فإن النظرة الإسلامية تتخذ مبدأها من القرآن :
« ولقد كرّمنا بني آدم ، » .

وبالله التوفيق ؟

المركنور عبد العظيم محمود

وقد أذن الله بهذا التصوير الجميل : - سبحانه
الملائكة لآدم - للإنسان أن يسمو روحياً
إلى ما لا نهاية .

ولم يقف ذلك عند حدود الإمكان فحسب ،
بل لقد تحقق بالفعل :

فما هو ذا سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ،
وصل من القرب في المجال الروحي إلى سدة
المنتهى ، وإلى قاب قوسين أو أدنى ،
وأوحى الله إليه مباشرة ، وأراه من
آياته الكبرى .

وأما صلة الإنسان بالمادة فإنها صلة
تسخيرها لأمره وإرادته ، لا تسخيرها لها :
فسيدنا داود : سخر له الحديد ليغنا بصوغه
كيفما شاء .

وسيدنا سليمان : سخرت له الريح تجري
بأمره رغاء حيث أصاب ، وسخرت له الجن
والطير على اختلاف أنواعها ، فكان الحاكم
عليها بإذن الله .

وسيدنا إبراهيم ، سخرت له النار ، فكانت
عليه برداً وسلاماً .

وسيدنا عيسى : سخرت له الطبيعة في مظاهرها
المختلفة ، يخلق من الطين كهيئة الطائر ، فينفخ
فيه فيسكون طيراً بإذن الله ، ويرى الآلهة
والأبرص ويمحي الموتى بإذن الله .

إن الله يرشدنا إلى أنه يأذن للإنسان

وحدة الشاعر

للأستاذ العوض الوكيل

نستعرض في هذا المقال ثلاثة شعراء ، أحدهم عربي وهو العقاد ، الثاني فرنسي وهو لامارتين ، والثالث انجليزي وهو إسكندر بوب .

نستعرض ما قالوا في موضوع كان القول فيه حظاً مشاعاً بينهم ، وهو وحدة الشاعر ، وبين يدي الحديث أحب أن أتقدم بكلمة إلى السيد / عبد الوارث سعيد الذي نشر في عدد رمضان سنة ١٣٨٢ هـ من هذه المجلة (فبراير سنة ١٩٦٣) كلمة عاب فيها على أن جعلت العنوان الجانبي لهذه الكلمات لفظة « أدب مقارن » .

وهو يرى أننا أسأنا التعريف وتجاوينا عن وجه الحق وذلك ، لأن الأدب المقارن مفهوماً محدداً عند دارسيه ، يخالف المفهوم الشائع لكلمة مقارن أو مقارنة ، هذا المفهوم هو البحث في الصلات التاريخية بين الآداب المختلفة ، وما لهذه الصلات من تأثير أو تأثير .

وأنت بعد هذا التعريف الرسمي المسجل ، لا تستطيع أن تستعمل مادة المقارنة فيما وضعها له اقتنا ، ولا تستطيع أن تدنو

من مادة « د . ق . ر . ن » ، بحال من الأحوال ، إلا إن أردت المعنى الذي أورده السيد / عبد الوارث فضيق به مفهوماً واسعاً رحباً لهذه المادة .

لن تستطيع بعد هذا أن تسلك شيئاً في نظام ، ثم تتخذ من ذلك سبيلاً إلى الموازنة ، ثم تسمى هملك هذا قرناً ، أي ربطاً ، أو مقارنة أي موازنة .

والسيد عبد الوارث كان حريصاً في كلبته على أن يثبت مراجعته بالتفصيل ، ولكنه مع هذا كان خليقاً به أن يجعل من مراجعته معاجم لغة العرب ، وتراثها في الشعر والنثر ، ليعرف أن العرب تعرف مدى القرب بين المقارنة والموازنة .

وكنت أحب للسيد عبد الوارث ، وهو ابن من أبنائنا بدار العلوم أن يتروى فيما يكتب مادام لا يستطيع أن يكون من أصحاب الارتجال . وعليه السلام .

وحدة لامارتين ، إحدى قصائد التأملات ، وقد سبق لنا التعريف بلامارتين في عدد شوال سنة ١٣٨٢ هـ (مارس سنة ١٩٦٣)

يهجمان على أصحاب المذاهب المخالفة لها بين الشعراء والأدباء : كتبت مجلة « بلاكود » ، الأدبية فصولها عن ديوان « ساعات الفراغ » ، فاشتدت عليه وسخرت منه ، فأراد الشاعر أن يتتصف لنفسه ، وأن يمل النقد أن عروس الشعر تحسن النضال في ميدانه ، ونظم قصيدته التي سماها « الشعراء الانجليز والصحفيين الإيقوسيين » ، فأوسع فيها النقد سخرية وهجوا وعرج على نظرائه من شعراء عصره فقال فيهم مقالة ، وأعمل فيهم لسانه وخياله ، وحسبها الأدباء يومئذ مثلاً من أمثلة الردود الطريفة ولم يحسبوها فناً من فنون النقد ، أو ميزانا من موازين التمييز والتقدير .

وكذلك صنع « بوب » ، حين أنحى عليه نقد عصره ، وخالفه النظراء في مذهبه فإنه نظم شعراً ، ولم يكتب نثراً في الدفاع عن أدبه ليثبت لنقاديه أن سلاح الشاعر لا يقصر عن سلاح الناقد النائر في ميدانه ، وأرسل قصيدته إلى صديقه الطبيب الأديب « أربنتوت » يشرح مذهبه ويكيل الصاع صاعين لخصومه ومنافسيه ، وقيل عنه يومئذ إنه عرفهم بأقدارهم ، وإن لم يحمده له ميزانه في تعريف الناس بتلك الأقدار .

أما أستاذنا العقاد فهو غفى كل النقي عن التعريف ، وقد اخترنا له في مقام عرض المقاربات في الأدب العالمي عن الوحدة

من هذه المجلة ، حين كنا نستعرض بحيرته ، وبركة البحري .

والتأملات ديوان شعري لهذا الشاعر الفرنسي العظيم نظمه حوالي سنة ١٨٢٠ م ، وصادف بنشره نجاحاً منقطع النظير ، وارتقى به الشاعر - في سرعة - درجات في سلم الجهد والشهرة والخلود .

وقد سماها النقاد التأملات الأولى تمييزاً لها عن التأملات الجديدة ، التي نظمها بين عامي ١٨٢٣ ، ١٨٣٠ م وبها - أو بغيرها - دخل الشاعر الأكاديمية الفرنسية سنة ١٨٣٠ م .

أما إسكندر بوب فهو شاعر انجليزي عاش في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وقد نشأ معتل الصحة ، واهى البنية ، وصحكن مرض الربو صدره ، حتى أودت به أزمة من أزماته سنة ١٧٤٤ عن ستة وخمسين عاماً قضاها في القراءة والتفكير ونظم الشعر ، وكتابة المقالات النقدية .

وقد استطاع بوب ، وتلاه من بعده لورد بيرون أن يجمعلا من الشعر وسيلة للرد على نقادهما ، يقول العقاد^(١) :

« على أن « بيرون و بوب » لم يكونا ناقلين فيما نظما من القصيد بل كانا مدافعين يردان هجمات النقاد عليهما ، وكانا أحياناً محاربين

(١) مقدمة ديوان رسوم وشخصيات من نظم كاتب المقال .

قصيدة لا تحمل عنوان الوحدة كصاحبه :
 الانجليزى ، والفرنسى ، وإنما تحمل عنوان
 « يا كتيبى ، وإن كانت له قصائد ومقطوعات
 كثيرة تتحدث عن الوحدة والانفراد ومن ذلك
 قطعة الشعر (١) ووقفه في الصحراء (٢)
 وغيرها .

قصيدة لامارتين ، ترسم صور الطبيعة
 ناطقة بالروعة والجمال ، وتصور لنا نفسه
 وقد غامت فيها سحب الحزن والألم ، ثم لا تلبث
 أن تتجه إلى الله يستهل الشاعر قصيدته
 بقوله :

أسرح الطرف في الوادى الذى انبسطت
 أمام عيني ووجداني مرانيه
 والشمس تسبح نحو الغرب في طفل
 وقد جلست حزين الفكر طانيه
 في ظل « بلوطة » أمست كهولتها

تذرو الصجون على الوادى وما فيه
 أرى هنا غالباً في وحدة عجب
 مشرداً وكأن القلب في تيه
 وفي المقطع الثانى من القصيدة يرسم لنا
 النهر هادراً في واديه ، حيناً ، وسائراً يتلوى
 حيناً ، وماء البحيرة كأنه نائم يلفه الصمت
 العميق ، ونجم المساء يصعد من جانب الأفق
 إلى كبد السماء بهياً جميلاً ، يقول :

لكن هناك شمس جد ساطعة
 شمس حقيقية في عالم فان

(١) ديوان من دواوين ص ٤٤ .

(٢) الجزء الأول من ديوان العقاد .

هل لي سمو بروحي وهو في جسد
مركب الجسم من أحلاط أدران
ويكون ليله نوماعيقا ، ونهاره رضاء وبراءة ،
وتأملنا لطيفا :
يقول بوب :

هناك أتمل من ورد ومن نهل
يا طالما رمته من قبل سلسلا
هناك سوف ألقى الحب مبقسما
هناك سوف تلاقى النفس آمالا
وفي ختام القصيدة يبرز شوق الشاعر
إلى عالم المجهول ، فيطلب من ريح الشمال
أن تحمله إليه عاصفة به دون أن تأخذها
في ذلك رحمة أو شفقة .

إذا هوت من ذرا أغصانها ورقة
والشمس في موقف التوديع محترقة
تهب ريح فتذروها وتحملها
إلى عوالم لم تحلم بها حدقة
ولم تقي مثلها لا شيء . يفرقني
عنها ولا هي عنى قط مفترقة
هيا احمليني يا ريح الشمال ولا
ياخذك في العصف ولا شفقة !

أما وحدة بوب ، فدون ذلك بكثير ، سواء
في حجمها وعدة أبياتها أو أفكارها ومعانيها ،
فهى وحدة بسيطة يعرضها الشاعر في صورة
رجل يكتفى بما عنده ، ويستغنى عن غيره ،
ثم لا تكون به حاجة إلى أن يتدخل في شأن
غيره ، فتمضى حياته هينة لينة ، هادئة صافية ،
هكذا دعنى أعيش .
غير معروف . هكذا دعنى .
أعصى متسللا من العالم غير مأسوف على .
ثم لا حرج ولا شاهد يدل على حيث أرقد .
أما قصيدة أستاذنا العقاد ، فقد قلنا
إن موضوعها الأصيل ليس هو وحدة الشاعر ،

كأننى الملح تحت الدجى
جماجم الموتى بدت تخطب
ولهذا المعنى الأخير معنى قصة ، فقد كنت
أقصى جانباً من الليل فى مكتبتي الخاصة ،
وورد على خاطرى هذا البيت ، فها هو إلا
أن تصورت الكتب فى شجار وجدال ،
وتصورت أصحابها يتحدثون ، فاقشعر بدنى
وقت من فورى وغادرت المكتبة الصاخبة
الساكنة !

ووحدة العقاد إذن وحدة الأديب العالم
الفنان ، وحدة العقاد حين يلتقى بالقائلين
من كل عصر وجيل ، ومن كل قطر وبلد
يبعثهم خياله أحياء ينطقون ، وتشخص أمام
عينه صورهم وأزياؤهم وكأنهم أصحاب سر ،
ورواد ندوة ، والعقاد يرهقه الجهاد فى سماعهم
وقراءتهم ، ولكنه مع هذا لا يرجو أن يزياله
ذلك الإرهاق

يا كتبي ألبست جلدى الفنى
لم يغنى عني جلدك المذهب
يا كتبي أين ترى المنتأى
عن أسر أرواحك والمهرب
أنفقت منى ما يرضى الورى
به على الله ولم يذنبوا
من ضوم عيني ومن صحتي
سدى ومن وقتي وما أكسب
ومن شباب فيك ضيعته
فأنا إلا الفتى الأشيب

العروضى الوكيل

[٣]

ولكنها مع ذلك تتحدث عن الشاعر بين كتبه
وحيداً يحن عليه الليل بينها ، فإذا هو عاكف
عليها ، لا يجفوها مهما أرهاقته ونال العكوف
عليها من صحته ، وهو يعرف أنها صرفته
عن ملاذ الحياة فالتاس بين نائم غارق فى كراه ،
وبين معاصر كآسا يرتشف طلاها أو عاشق
بين يديه معشوقه .

وتأسره أرواحها فيسألها كيف يحل هذا
الأسر ، وماذا الذى كسب منها ؟ هل كسب
النور والمعرفة ؟ لقد طالما كشفنا له
عن القبيح :

إذا أرانى النور قبحا فيا
حسن الذى يضمه الغيب
هل كسب الأحاديث والمنى والخبرة ،
إن صاحبها لمتعب :

ينتفع المرء بما يقتنى
وأنت لا جدوى ولا مأرب
إلا الأحاديث وإلا المنى
وخبرة صاحبها متعب
لقد صور العقاد فى بلاغة وقوة كيف
تقف الكتب حوله بالليل وكأن جماجم
أصحابها تنهيا للحديث ، ثم لا تلبث أن تتجادل
وتتناقش بصوت يسمعه قلب العقاد الذكى
ويميه خاطره الخصب :

كم ليملة سوداء قضيتها
سهران حتى أدبر الكوكب

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

- ٢ -

١ - العدل :

قلت في ختام كلمتي السابقة إن الاشتراكية في الإسلام هي ما يفهم من قول الله : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى » وقد أكد الله مفهوم هذه الكلمات بالنهي عما يقابلها . إذ قال : « وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » فإن المتأمل في معاني للفحشاء والمنكر والبغى يجدها تقابل العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، لأن الفحش - وهو تجاوز الحد - كما يقع على القول يقع على الفعل ، وهو - دون شك - ضد العدل والفحشاء والفاحشة هي القبيح الشنيع من الأقوال والأعمال ، وقد استعملت الفاحشة في معنى البخل ومنع الصدقات حيث يقول الله : « الشيطان يمدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » واستعمل الفاحش بمعنى البخل في قول الشاعر القديم :

أرى الموت يعمام الكرام ويصطفى

عقيلة مال الفاحش المتسدد
أما استعمال الفحشاء بمعنى تجاوز الحد في القبح فقد فهم من قوله تعالى في الشيطان :

« إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » وقوله تعالى : « يأمرها الذين آمنوا ألا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر » وقد أطلقت الفاحشة على الزنا - لأنه غاية في الشناعة والقبح وجاء من ذلك قول الله : « واللاتي يأتين الفاحشة من أنفسكم » وقوله « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة » وقوله في قوم لوط : « إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين » وهي هذا المعنى أيضا تقع في مقابل العدل لما فيها من الجور وتجاوز الحد ، والخروج عن القصد ، ولأن العدل قد فسر بالواجب وقيل في توجيه هذا التفسير : إن الله عدل فيه على عباده لجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاعتهم ، فكل ما أوجبه الله عدل وخير ، وكل ما نهى عنه جور وشر ، ومن ثم يتبين مدى ما تسمعه كلمة العدل من معاني الإنصاف وتوخي القصد في الأمور . والمثل والنظير والجزاء والقضاء . وما إلى ذلك من المعاني اللغوية . وكل ما يدل على المعادلة والمائلة ، وهذه المعاني يجب أن تطبق في كل شئون

لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ، ، بل إنه إذا خاف المؤمنون من قوم خيانة فليس لهم أن يسبقوهم بالخيانة ، بل عليهم أن يجاهروهم بنبذ العهد إن كان بينهم وبينهم عهد ، كما يفهم من قوله تعالى : « ولما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » ومن هذا التوجيه الإلهي الرشيد ، نبعت القاعدة الشرعية المعروفة لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

فالعدل هو حجر الأساس في بناء المجتمع السليم ، وهو قوام النظام في شريعة الإسلام بل هو الغاية من كل ما جاء به الأنبياء قبل محمد عليه السلام ، فإن ذلك بهض ما نفهم من قول الله : « لقد أرسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » . ولا شك أن العقل السليم يستحسن العدل - ويجد فيه بعد النظر المبرأ من الهوى والقصور ومصلحة المجتمع ومصلحة الأفراد في المجتمع ، فالمسكر - وهو ما ينسكركه الشرع القويم . ويقبو عنه الطبع السليم : ويتجافى عن العرف الصالح - في الطرف المقابل -

المجتمع والحياة ، فالعدل في الحكم ، والعدل في القضاء ، والعدل في تقدير الأجور ، والعدل في الرضا ، والغضب والعدل في إسناد وظائف الدولة لمن ترشحهم مواهبهم لخدمة الدولة ، والعدل في تهيئة الفرص المتكافئة لتربية المواهب والانتفاع بها في خدمة الأمة ، وكل علاقات الأفراد بالمجتمع وعلاقات المجتمع بالأفراد يجب أن تقوم على العدل ، لا على الغرض والهوى ، فإن ذلك بعض ما يفهم من قول الله : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وأن تلووا أو تعرضوا فإلله كان بما تعملون خبيرا ، وذلك - كذلك - بعض ما يفهم من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » . فالقسط - وهو العدل - يجب أن يكون رائد المؤمنين وأولى الأمر فيهم فيما يكون بينهم وبين أنفسهم أو بينهم وبين غيرهم ، فلا ينحرف بهم الغرض والبغض إلى ظلم غيرهم مهما يكن شعورهم نحوه بالكره والشنآن ، حتى ولو كانوا يخالفونهم في الدين بدليل قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين

كذلك - لمعنى العدل ، والبغى - وهو الجور .
 وابتغاء الاستيلاء على حق الغير - ظلم يتجافى
 عن معنى العدل ، ومن ثم نجد فى النهى عز ،
 الفحشاء والمنكر والبغى تأكيذا للأمر
 بالعدل . وسنجد فيه كذلك تأكيذا للأمر
 بالعدل ، وسنجد فيه كذلك تأكيذا للأمر
 بالإحسان وإيتاء ذى القربى

٢ - المقصود من

والإحسان فى المرتبة التى تلى مرتبة العدل
 فى الوجوب والاهتمام ، وليس معناه قاصرا
 على التبرع بالصدقة ، أو النفقة كما تبادر -
 ولا يزال يقبادر - إلى بعض الأفهام ، وإنما
 معناه واسع جامع بحيث يتناول كل قصد
 حسن . وكل قول حسن . وكل فعل حسن ،
 وذلك بعض ما يفهم من قول الله ، إنما
 لا تضيق أجر من أحسن عملا ، فقد نكر
 للعمل ليشمل كل عمل . وكما يفهم من قول
 النبى صلى الله عليه وسلم : (إن الله يحب إذا عمل
 أحدكم عملا أن يحسنه) . فإنكار العمل وإحسانه
 يدخل فى عموم معنى الإحسان ، ولا شك
 أن المراد به العمل الصالح وهو الذى يحقق
 مصلحة فردية لا تضر المجتمع أو أحد أفراد
 المجتمع أو مصلحة اجتماعية ينفع بها المجتمع
 وأفراد المجتمع . ففى كل العمل مصلحة
 كان حسنا ، وما يقال فى العمل يقال فى الكلمة
 الطيبة والنية الطيبة ، وإيهما كذلك من

الإحسان بمكان ، كما يفهم من قول الله :
 و إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
 يرفعه ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم :
 إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ
 ما نوى ، فالأعمال تقرب بالنيات الباعثة عليها
 صلاحها يقاس بالدوافع النفسانية الخفية
 التى تسكن وراءها ، ولا يطلع عليها إلاعلام
 الغيوب ، ولهذا قرن الله للعمل بالإيمان
 ليكون منه بمنزلة الثمر من الشجر ، وما يقال
 فى العمل يقال فى الكلمة الطيبة كما يفهم من
 قوله تعالى : ألم تتركب ضرب الله مثلا كلمة طيبة
 كشجرة طيبة أصاها ثابته وفرعها فى السماء
 تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، وقد ورد
 عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الكلمة
 الطيبة صدقة كما أن العدل بين اثنين صدقة ،
 وإمالة الأذى عن الطريق صدقة ، هذه
 إشارة عابرة إلى مفهوم الإحسان ومدى
 انطباقه على كل ما يصدر عن الإنسان سواء
 كان قولاً أو عملاً أو نية تسكن وراء القول
 والعمل أما تفصيل ذلك فيحتاج إلى كتاب
 ولا يستوفيه استيعاب ، وما قيل
 فى مقابلة لعدل بالفحشاء والمنكر والبغى
 يقال فى المقابلة بينها وبين الإحسان بل إن
 مرتبة الإحسان فوق مرتبة العدل لأنه زيادة
 فى الخير والفضل ، فهو بالفسب إلى الفحشاء
 والمنكر والبغى على طرف النقيض .

٣ - إيتاء ذى القربى :

هذا هو الأصل الثالث الذى يقوم عليه كيان المجتمع الاشتراكي فى ظل الإسلام ، وذكره بعد العدل والإحسان يشعر بأنه فى القمة العالية منهما ، فإن أحق الناس بهما هم ذوو القربى . أى أصحاب القرابة ، بل إن لهم بحكم روابط النسب ورشائج القربى ما ليس لغيرهم ، ومن ثم جعل الله تركه المتوفى شركه بين أقربائه ، يأخذ كل منهم بمقدار ما فرض الله له فيها على حسب درجة القرابة ووفق ما يقضى به العدل والفضل . للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا . وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فازروهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً . وقد أوجب الله للتفقه على القادرين الموصرين للبحاثين من الأصول والفروع كالأب والجد والابن وابن الابن ، وجعل نفقة الزوجة والأولاد حقاً على الزوج ، ولا شك أن ذلك وغيره مما لا يتسع المجال لذكره - مظهر من مظاهر الاشتراكية التى شرعها الإسلام ، وقام عليها المجتمع الإسلامى ونلحها فى قوله تعالى : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » . وقوله سبحانه : « والمؤمنون والمؤمنات

بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرهم الله إن الله عزيز حكيم ، فإن الاشتراكية فى الأسرة تتركز فى معنى قوله « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض » ، والاشتراكية فى المجتمع تتركز فى معنى قوله : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ، ولا شك أن الأسرة أساس المجتمع وأن كل المعانى الانسانية السامية التى تراد لتحير المجتمع تنبع من المعانى الصافية التى تسود جو الأسرة ، فالرحمة مشتقة من الرحم ، والأخاء مشتقة من الأخوة .

وكل المعانى الطيبة ترجع إلى المعانى الفطرية التى تجمع بين الأقربين وتكون منهم الأسرة أو العشيرة ، إيتاء ذى القربى أصل من الأصول التى تقوم عليها الاشتراكية .

وظلم ذوى القربى أشد مفاضة على النفس من وقع الحسام المهند فهو خشاء . وهو منكسر وهو بغي ، وهكذا نجد فى الآية الكريمة قواعد الاشتراكية السليمة بل نجد بها كما وجدها أسلافنا أجمع آية فى القرآن إذ كل ما يرجى من خير فى العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى : « قل ما ينهى من شرفى الفحشاء والمنكر والبغى » .

وفقنا الله إلى الخير ، ووقافنا من الشر ، وهذا إلى سواء السبيل .

عبد الرحيم فوده

حُرُوفُ الْقُرْآنِ وَحَدُودُهُ

لِلْأَسَازِ مُحَمَّدٍ الشَّرْقَاوِيِّ

التاريخ وجدنا أن العصر الأول ، عصر الصحابة والسلف ، كان فقه القرآن فيه وفهمه والزام حدوده وفنائه وغاياته مة-دما على مجرد التلاوة والترديد ، بلا تأثر ولا التزام حدود ، لم تكثر فيه تلاوة القرآن تلاوة السرد وترديد الكلمات ، بل يكثرفيه فقه القرآن وإدراكه والتأثر به في القلب والضمير والسلوك والخلق والعلاقات بين الناس ، والرعاية لحقوق الله ، كما يقول الحارث المحاسبي (١) .

عصر كانت تحفظ فيه الحدود التي أمر الله بحفظها ، أكثر مما تحفظ فيه الحروف التي تتلى والناس لهم من هذه الحدود ومن خلقهم وضميرهم عاصم ودافع : عاصم يعصم فقيرهم ومحتاجهم من السؤال : يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، ودافع يدفع قادرهم على أن يعطى ويبذل . عصر يطيل فيه الناس الصلاة ، كما قال ابن مسعود ، لما فيها من المناجاة والقرب من الله والخشوع له ،

د تأمل حديث ابن مسعود رضى الله عنه في الموطأ : إنك في زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه ، تحفظ فيه حدود القرآن وتضييع حروفه ، قليل من يسأل كثير من يعطى ، يطيلون فيه الصلاة ويقصرون فيه الخطبة ، يبدوون أعمالهم قبل أقوالهم . وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير قراؤه ، تحفظ فيه حروف القرآن وتضييع حدوده ، كثير من يسأل قليل من يعطى ، يطيلون فيه الخطبة ويقصرون الصلاة ، يبدوون أهوائهم قبل أعمالهم .

هذه السطور القوية المخلصة المنيعة تجدها في كتاب : «الموافقات» (١) للإمام الشاطبي ، فهو صاحب الفضل في هذا العنوان الذي اخترته من حديث ابن مسعود . هذا الحديث الذي يقدم لنا هذا التحديد والتمييز بين «حروف القرآن» التي تحفظ ، وبين «تضييع حدوده» .

فإذا تأملنا ، هذا الحديث ، كما طلب إلينا الشاطبي ، وطابقنا بينه وبين وقائع

(١) شيخ الإمام الغزالي ، وقد تأثر به كثيراً في كتاب : «إحياء علوم الدين» . وله في النصف الثاني من القرن الثاني بلبصرة ومات سنة ٢٤٣ .

(١) ص ١١٨ الجزء ٢ - طبع المطبعة السلفية بالقاهرة .

كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم
حشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها
من العلم والعمل، وروى أحمد في مسنده
عن أنس : « كان الرجل إذا قرأ البقرة
وآل عمران جد في أعيننا »^(١) أى ارتفع
قدره وعظم شأنه . وقد أقام ابن عمر على حفظ
البقرة ثمان سنين^(٢) وكذلك قالت عائشة :
« كنت جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً
من القرآن ... والتسيت اسم يعقوب
فما أذكره فقلت : « ولكن سأقول كما قال
أبو يوسف : فصبر جميل والله المستعان
على ما تصفون »^(٣) .

فالغاية الأولى عند صحابة الرسول ، رضوان
الله عليهم ، كانت العمل بآيات الله المنزلة بعد
فهمها وتدبرها ، وكانت هذه الغاية سابقة
مقدمة على الحفظ والتلاوة المجردة والترديد
والترتيل .

وليس معنى كلامنا التزهد في حفظ القرآن
وتلاوته ، فقد حفظناه صبياناً ، ودرسناه
فتياناً وشباناً ، وما نزال نتلوه ونسمعه
فتخضع نفوسنا وتطمئن قلوبنا : ألا بذكر الله
تطمئن القلوب . بل الذى نريده هو أن يعمل

ويقصرون الخطبة إذ كانت حديث ألفاظ
وحركة لسان ومنطق حروف ، يحاسبون
أنفسهم على العمل والبدء به ، قبل أن يوجهوها
للحديث والقول والجدل .

ثم نجد ، في حديث ابن مسعود هذا ،
أن الناس ، في آخر الزمان ، على عكس هذه
الحال ، تكثر فيهم تلاوة القرآن ولكنها
تلاوة لا تجعل القلوب فاقهة ولا مدركة ، يحفظ
أناس منهم حروف القرآن ولكنهم يضيعون
حدوده ، ليس لهم من وازع ولا دافع ،
فسائلهم كثير وبأذلم قليل ، يخطبون فيعطيلون
لأن حركة اللسان لا تكلفهم شيئاً ، ويصلون
فيقصرون لأن قلوبهم لا تشعر بأنس المناجاة
وسعادة القرب ولذة الخشوع والتلاشى والفناء ،
يوجهون أفئدتهم وألستهم نحو المظهر
من القول ولا يحاسبون أنفسهم على العمل
ورقابة الضمير والتزام الحدود والغايات
والمقاصد ، يبدعون أقوالهم قبل أعمالهم .

العلم والعمل : صنوان لا يفترقان ، الحروف
والحدود : أولاهما لا بد أن توصل إلى الثانية
هكذا كان المؤمنون في العصر الأول ، وهكذا
يجب أن يكونوا في كل عصر وكل مكان .

حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل :

وقد روى عن أبي عبد الرحمن السلى
أنه قال : « حدثنا الذين يقرءون القرآن ،
كعثان وعبد الله بن مسعود وغيرهما ، أنهم

(١) لسان العرب ، ص ٧٨ الجزء - ٤ - الطبعة
الأميرية .

(٢) الإتيان في علوم القرآن ص ٢٠٨ الجزء - ٢ -

(٣) حديث الإذك .

« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وحروفها هي شروطها وأركانها وما يتلى فيها ، بما تفصله كتب الفقه ، وحدودها هي الانتهاء عن الفحشاء والمنكر . ولكن بعض الذين يحرصون على الحروف قبل الحدود ولا يهتم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر ، وبعض الذين يدرسون شريعة الله يحرصون على الحروف قبل الحدود أيضا ، لهذا البعض : « أبواب كثيرة ، ومباحث متعددة كلها تدور حول ضبط الأرقام وتسمية الأشكال . . كيف يقف المصلي وكيف يسوى يديه ورجليه ؟ وكيف يركع وكيف يسجد ؟ وما الزاوية الهندسية التي يأخذها في الركوع والسجود ؟ إلى غير ذلك مما يتصل بهذه الصور ، أما القلب وكيف يخشع ، والضمير وكيف يصحو ، والمشاعر وكيف تجتمع لهذا الموقف العظيم بين يدي رب العالمين فذلك ما لم يكن في نظر أصحاب الفقه موضع بحث أو محل جدل أو خلاف ، لأنه كما يبدو شيء عرضي لا يمس الصميم من الصلاة . . فإن الصلاة كما عرفها الفقهاء : « أقوال وأفعال مبتدأة بالتكبير ومختتمة بالتسليم ، هذه الصورة الكاملة للصلاة في مباحث الفقه ، وإنما الصورة باهتة هزيلة لا تهز قلبا ، ولا تحرك شعورا ؛ لأن الفقهاء لم يلتفتوا إلى هذه الناحية ، ولم يكن مهمهم البحث فيها ، ولم يكن يعينهم أن تحقق الصلاة

رجل الدين ويدعو الناس إلى العمل ، بكتاب الله والتزام حدوده وآدابه وفضائله . وأن يكون هذا العمل وهذا الالتزام مقدمين عنده .

الشرعة والفلسفة معاً :

حدود القرآن ، وليست حروفه وحدها ، مقصودة للشارح الحكيم من الشريعة ، وهذا الإدراك الحكيم حدده عالم حكيم ، هو ابن حزم ، وجمع بين الشريعة والفلسفة معاً في هذه الكلمات الناصعة : « الفلسفة على الحقيقة إنما معناها وثمرتها والغرض المقصود نحوه بتعليلها ليس هو شيئاً غير إصلاح النفس بأن تستعمل في دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها في المعاد ، وحسن السياسة للنزول والرعية . وهذا نفسه لا غيره هو الغرض في الشريعة . هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من العلماء بالفلسفة ولا بين أحد من العلماء بالشريعة ، (١) .

الصورة التي لا تنهى عن الفحشاء والمنكر :

ولكن نذكر أثر الحرص على الحروف وحدها ، بل جنائية هذا الحرص على الحدود ، فنضرب مثلاً للصلاة التي أمر بها الله وجعل لها حروفاً وحدوداً فقال في حدودها :

(١) ص : ٩٤ من كتابه : « الفصل في اللل والأهواء والنحل » الجزء - ١ - الأدبية بالقاهرة ١٣١٧ .

وبين أن يكون صحيحاً وشبهاناً . وبين أن يعرف حد السكر وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تنصاعد من المعدة على معادن الفكر ، وبين أن يكون سكرانا ، بل السكران لا يعرف حد السكر وهو سكران ، وما معه من هله شيء . والصاحي يعرف حد السكر وأركانه وما معه من السكر شيء ، والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها وهو فاقده للصحة ، (١) .

هذا الامتزاج في النفس بين حدود القرآن التي ترعى وحروفه التي تتلى هو الذي يجعل إيمان القلب والحرص على مثل العقيدة أغلى من كل شيء في الحياة ، بل أغلى من الحياة نفسها ، وهو الذي أخرج لنا وللناس هذه النماذج النادرة التي خلقتها الحياة ثم أعجب بها كل من عرفها في هذه الحياة .

رَبُّوا الْقُرْآنَ بِالْفِعَالِ :

وهذا مثل نجده عند هؤلاء الصحابة الذين امتزجت في نفوسهم وقلوبهم وضمائرهم حدود القرآن وغاياته وقضائيه ، مع حروفه وكتباته :

في حروب الردة وفي غزوة اليمامة خاصة ،

(١) حجة الإسلام الإمام الغزالي : كتابه : « المنقذ من الضلال » طبع مطبعة ابن زيدون في دمشق بإشراف الدكتورين جميل صليبا وكامل عياد ١٩٣٤ .

أولا تحقق شيئاً للبصلي .. أتريد دليلاً لهذا القول ؟ . مهلاً !

اختلف الفقهاء في قراءة الفاتحة في الصلاة كما اختلفوا في القدر المطلوب قراءته . ومن وجوه الرأي في هذا الخلاف جواز قراءة آية من القرآن الكريم ولو لم يكن لها معنى مستقل كآية « ثم نظر » وآية « مداهماتان » ، فذلك مما تصح به الصلاة عندهم عملاً بظاهر قوله تعالى « فاقرءوا ما تيسر منه » ، على ما ذهب إليه بعض أصحاب المذاهب الفقهية .

إلى هذا الحد من الهزل أو السطحية في الفهم ينتهي الرأي عند بعض الفقهاء في موقف حاسم في الصلاة . غايته ذكر الله وتمجيده بتلاوة ما يملأ القلب ويشرح الصدر من أي الكتاب الكريم . وطبيعي أن تلاوة آية « ثم نظر » أو آية « مداهماتان » ونحوهما - مما لا يحقق معنى إلا إذا ارتبط بما سبقه أو لحقه من الكلام - لا تبعث في النفس أي إحساس (١) .

الصحيح والمريض والسَّامِ والمَجْنُون :

وهذا التفصيل والتثيل الذي كتبه مؤلف جديد ، أجمله ومثل له قبل قرون طويلة إمام عظيم يقول : « ... فكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة وحد الشيع وأسبابهما وشروطهما

(١) عبد الكريم الخطيب ، ص ٨٠ من كتابه : « في طريق الإسلام » - الكتاب العربي -

نجد مثلاً لذلك صار رمزاً وعلماً وشعاراً يدل على هذا الخلق المرذول وهذه الفطرة الفاسدة . هم جماعة من اليهود القدماء كانوا يسمون أنفسهم « الفريسيين » يريدون بذلك أنهم ممتازون مختارون ^(١) . هؤلاء الفريسيون كانوا يعرفون بالتسك الشديد بنصوص « الشريعة » وحروف التوراة وأوامر الديانة اليهودية . ثم أصبح اسم هؤلاء القوم علماً على كل من يعنى بالمظاهر الخارجية للدين - كل دين - دون روحه وجوهره وغاياته . أى من يعنى بالحروف دون الحدود .

وليس عجيباً بعد ذلك أن يصم القرآن الكريم هؤلاء اليهود ويضعهم بمثابة الخمار إذ يقول : « مثل الذين حلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الخمار يحمل أسفارا » ^(٢) .

هؤلاء وأمثالهم هم الذين قال عنهم ابن مسعود : « يبدءون أهواءهم قبل أعمالهم » .

« البقية في العدد القادم »

محمد الشرفاوى

(١) الفريسيون : نسبة إلى « الفرز » أى الاختيار والانتقاء وتجد في الإنجيل لوماً شديداً من المسيح لهم .

(٢) الآية - ٥ - من سورة الجمعة .

لقى المسلمون حرباً وعتناً شديدين ، حتى تراجعوا ودخلت جيوش مسلمة الكذاب فسطاط خالد بن الوليد ، ثم آبت لهم شجاعتهم وارتدت إلى قلوبهم الحمية فوقفوا وثبتوا ، وتارت الرياح في وجوههم تحمل التراب وتحول دونهم ودون عدوهم ، وأحسوا بالخرج مرة أخرى فذهب قوم منهم إلى زيد ابن الخطاب يطلبون مشورته ، فكان جوابه أن قال : « لا والله لا أتكم اليوم حتى نهزمهم أو ألقى الله فأكله بحجتي . غضوا أبصاركم وعضوا على أضراسكم أيها الناس واضربوا في عدوكم وامضوا قدما » واندفع يقاتل وقومه من وراءه حتى لقي الله شهيداً . وصاح أبو حذيفة فيمن حوله : « يا أهل القرآن ، زينوا القرآن بالفعال » ثم ألقى بنفسه يقاتل حتى لقي الله شهيداً ، وتقدم مولاة سالم خمل الراية وقاتل وهو يقول : « بتس حامل القرآن أنا إن لم أثبت ، وثبت يقاتل حتى لقي الله شهيداً .

وهذه أمثلة نجلدها ونعجب لها في ذلك العصر الأول . ولكننا إذا عرفنا السبب - كما يتولون - بطل العجب .

وعلى العكس من ذلك نجد ، في التاريخ القديم ، قوماً يحرصون على حروف الشريعة دون حدودها ، ونجد لهم في كل عصر أشباهاً ونظائر ، وفي عصرنا هذا وفي مستقبل الزمن أيضاً .

من معاني القرآن

« هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » .

أُمياً مثلهم . فكان من مظاهر قدرته تعالى فيه أن يقرأ عليهم آياته ، ويظهر نفوسهم من الخبائث ، ويحرر عقولهم وقلوبهم من شرك الشرك والأوهام ، وينمي فيهم نوازع البر والخير ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وقد كان كما يقول الله فيه : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » ، وبذلك صاروا إلى ما صاروا إليه من الخير والقوة والعلم والحكمة وكانوا قبل أن يرسله الله رحمة لهم وللناس كافة في ظلام لا يتعرفون من خلاله الطريق إلى الخير والحق ، وكان هذا الظلام بينما ظاهراً لاسيلاً إلى الشك فيه . ثم صاروا بفضل الله وبفضل الله عليه وعليهم إلى ما يشير إليه قوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

والمأمل في هذه الآية وفي دعاء إبراهيم عليه السلام إذ قال « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » يدرك أن محمداً عليه السلام كان دعوة إبراهيم المستجابة ، إذ الكلمات هي الكلمات والألفاظ هي الألفاظ ، وما كان من خاتم الأنبياء كان تحقيقاً لمعنى الدعاء . **عبد الرحيم فودة**

الأمي : هو الذي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب ، وقد لوحظ في هذه القسمية النفسية إلى الأم على معنى أن من لا يكتب ولا يقرأ من كتاب يكون على ما ولدته أمه عليه من الغفلة والجهالة ، وعدم الخبرة ، والتلاوة : القراءة لأن فيها تتابع الكلمات والألفاظ في النطق ، ومادة التلاوة تفيد معنى التتابع ، إذ تقول تلاه بمعنى تبعه . وتالت الأمور بمعنى تابعت .

والزكية : تفيد معنى التطهير من الخبائث كما تفيد معنى التسمية والتقوية ، لأن مادتها الزكاة والزكاة ، وهما يفيدان معنى الطهارة والنفو والبركة .

والضلال : البعد عن الحق والصواب ، والضياع ومن ذلك ضلت الإبل بمعنى ضاعت .

المعنى :

الله الذي ينزهه عن كل ما لا يليق بكمال جلاله وجماله كل ما في السموات والأرض ، المتصرف المطلق التصرف ، الطاهر المبرأ من كل نقص ، الغالب الذي لا يقهر ، الحكيم الذي لا يخطئ في قول أو فعل هو الذي بعث في العرب على ما كانوا عليه من جهل وغفلة وعدم دراية بالقراءة والكتابة رسولا منهم

مَنْ رَوَّاعِ الْمِثْنِيِّ بْنِ حَارِثَةَ

لِلأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ رَجَبِ الْبَيْتُومِيِّ

قد انفردت بين القبائل بمنازلة الفرس ،
وتحدى آل ساسان ومن شايهم من بني
المنذر بن ماء السماء فكانت غاراتها المتتابعة
لا توجه إلى الأعراب من بني القربى وذوى
الرحم بل تهدف في صميمها إلى منازلة الأماجم
من يبسطون سيطرتهم على العرب في تفرس
وخيلاء حتى عرفت ربيعة بين القبائل بريعة
الأسد وربيعة الفرس رمزاً لشجاعتها الخارقة
وعملوا همتها في مصالوة الأكاكرة العتاة ،
وبنو شيخان من ربيعة في الذروة والسنام
إذ كانوا قادة المعركة في يوم ذي قار ، حتى
ضرب بهم المثل فقيل كثر بشيان
وحارب بشيان ! .

وقد نشأ المثنى بن حارثة في هذه القبيلة
الباسلة ، تجرى في عروقه دماء العزة والأنفة
وتغور نفسه حفيظة أن يسيطر على قومه
أعجمي غريب يستعين عليهم بالأساورة
والمرازبة والدهاقين ! فوقف يوم الفرات
أحد أيام العرب في الجاهلية : على رأس

لا أدري لماذا يتردد اسم المثنى^(١) حالياً في
العراق وخافتاً في شتى عواصم العربية ؟ لأنه
الفارس البطل الذي ضم ما حول الفراتين
إلى الإسلام ، فحق له أن يذكر هناك بالحمدة
والثناء ؟ ولكن ما لعمر وخالد وسعد
وأي عبدة تتردد أسماؤهم رنانة في كل مكان
يشيد بالفتح العربي والتاريخ الإسلامي ؟
أيسكون المثنى أقل منهم كفاحاً ؟ وأهون
استقبالاً ؟ إن تاريخه ليشهد أنه قريع هؤلاء
الأبطال ونظيرهم همة وشجاعة وتمرساً
بالخطوب والأهوال ، وما قرأت وقائمه
المجلية إلا عجبت كيف لا تفرد السكتب
الخاصة بتحليل روائعه ، وهأنذا أشير إليه
من بعيد ، راجياً أن أوفق إلى رسم خطوط
واضحة عن بطولته الشام ! .

لقد انحدر المثنى بن حارثة الشيباني من
قبيلة بكر بن ربيعة ذات الأنفة والعزة
والاستعلاء ، وتاريخها في الجاهلية عبق فواح
يتأرجح بعير العزة والحرية ، إذ أن ربيعة

(١) كتبت إجابة لرجاء الأديب حسين أحمد جادة من قراءة مجلة الأزهر .

وكان الأقدار قد سايرت هواه فلم تلبث حروب الردة أن نهضت بعد وفاة الرسول على قدم وساق وصارت الجيوش الإسلامية من المدينة تصاول أعداء الله من المتنبيين ومن لف لفهم من المؤلفة قلوبهم والمنافقين ووقفت القلة المؤمنة أمام الكثرة المارته ومعها إيمانها الراسخ، وبقيها الأكيد . فسارع المثنى مشوقاً إلى أداء واجبه في هذه المعركة الخطيرة وقاد كتائبه من ربيعة وشيبان حتى التحق بعلاء ابن الحضرمي قائد جيوش المسلمين بالبحرين ، فأسهم معه إسهاماً باسلاً وأخذ يواصل القتال متقبلاً كتائب الكفر والمروق ، حتى استولى على القطيف ، وتابع الزحف إلى دلتا الفرات حتى أشرف بجيشه على أرض السواد ، وتمت كلمة الله بانتصار الإسلام فرجع المثنى بقومه سعيداً منتشياً دون أن يعرفه أبو بكر خليفة المسلمين ١١ وأخذ يحس بفرحة تغمره إذ بدأ الجولة الأولى من جولات الإسلام ، وطأنا وازن بين شعوره بالنصر في معركة الردة ، وشعوره بالنصر قبل ذلك في معارك الجاهلية ، فرأى أن المعركة الأخيرة ذات طعم مهيء لذيقه ، فأجرها العظيم مدخر عند الله في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للبتقين ، أما معارك الجاهلية فذات طنين يدوي

المقاتلين من بني شيبان ونازل الأعاجم بسيفه حتى شردهم أباديده ، وغرق مئات الأساورة في الفرات وساق أنعامهم وخيولهم وأموالهم نهياً مقسماً لبيعة الأسد ، حتى أرخت ربيعة بيوم الفرات كما أرخت قريش بيوم الفيل ! وحين أشرق نور الإسلام كان المثنى مع قومه على شواطئ الفرات لا يعلم كثيراً عن حقيقة الدعوة الإسلامية فالأنباء تصله من مكة والمدينة متضاربة متناقضة لا ترسم لهينه طريق الهداية على وجهه الصحيح ، فرأى أن يترث حتى يستيقن ، وبعث بمن يجمع له الحقائق عن قريش بمكة ، والأنصار بالمدينة ، وأخذ يوازن ويعمل ، حتى اهتدى إلى الدين الصحيح ، فأسرع بالرحيل إلى المدينة ، وبايع الرسول الأعظم على الإسلام في السنة التاسعة ، ورجع إلى مقره ، مطمئناً واثقاً بدينه الجديد ١١ .

وكان يخلو إلى نفسه فيتذكر جهاد المسلمين في بدر وأحد والخندق وخبير ومؤتة وتبوك فيستشعر أسفاً بضيق به إذ ابتعد عن شرف هذه المعارك ، وهو البطل الفارس ، وتمنى أن تعود الغزوات من جديد ليقف إلى جوار رسول الله بسيفه وبسالته جنباً لجنب ١١ لقد فاته الشرف الأسنى إذ تقاعس معذوراً عن ميدانه الأصيل في حمى المسلمين ! وليت الأيام تفسح المجال من جديد .

الرهيب ، فتفرق كثة بنى شيبان وربيعة تفرقا لا يرضى البطل الكبير ، ومن ثم فقد أعلن الحرب على العجم ، وقاد الجيش الإسلامى من ربيعة إلى ميادين رائقة ، نازل بها فريقين مجتمعين فريق الأساورة الفرس عن تعاضلهم أن يقف القائد العربى أمامهم بشجاعته الباسلة وفريق العرب من أتباع كسرى وخشاة بأسه من يستكثرون على أنفسهم منازلة طاغية جبار يسيطر على الشرق منذ أحقاب طوال وإذا كانت الأعمال بالنيات ، فقد استطاع المثنى ومعه أخواه البطلان الباسلان المعنى ومسعود أن يهزم كتائب الفرس حين تحرك شمالا على رأس قوة من رجال القبائل مساحلا الخليج الفارسى حتى بلغ مصب نهري دجلة والفرات ، فأدار المعركة الأولى فى فارس بعد الإسلام لإدارة المنتصر الباسل ، وتردد نجاحه الرائع فى آفاق العروبة حتى جاء أبابكر بالمدينة فدهش كثيرا لما علم ، وأخذ يسأل أصحابه : من هذا الذى تأتى أخبار وقائعه قبل معرفة نسبه ، فرد عليه قيس بن عاصم المنقرى (هذا المثنى بن حارثة الشيبانى رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ولا ذليل العاد ! إنه المثنى !) .

كانت جيوش الخلافة الإسلامية تتجه بكتائبها المحتشدة لغزو الروم فى ديار الشام ، ولم يكن ليجول بخاطر أبى بكر أن يبعث

فى القبائل دون أن يكون له نصيبه الضخم من رضوان الله ! وشتان ما بين الناحيتين من فروق ، ومن ثم فقد عزم على مواصلة الجهاد تحت لواء الإسلام ليضيف إلى سعادته الراهنة فيضا من السعادات !! .

وكان مما يأكل قلب البطل منذ نعومة أظفاره خضوع القبائل الضاربة حول الفرات لسلطان العجم وخنوع الحيرة بملوكها وأمرائها لكسرى وذويه ، فلماذا لا يحمّد جهوده ، للحرب هؤلاء الملتسلطين ، تحت راية الإسلام لقد كانت العروبة وحدها تلهب أحاسيسه فتدفعه إلى منازلهم رغم ضالة ما يمتلك من سلاح وهتاد ! أما الإسلام اليوم فقد أصبح دافعا قويا لهذه الحرب الضروس ، وإذا كان هذا الدين القيم عربى النشأة فلا بد أن يمتدح حتى يشمل هؤلاء الذين يدينون بتفاوت الطبقات فى فارس ، ولا يعلمون ما هله الإسلام لأبنائه من أن الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فرق بين عربى وأعجمى إلا بتقوى الله والجهاد ! إن هذه المشاعر الإسلامية الجديدة تفتح منافذ جديدة فى أحاسيسه ، وتغمره بقوة لا تنفد ، فتدفعه دفعا إلى منازلة الفرس ، ودعوتهم إلى الدين الجديد ، وقد شاء أن ينهض لذلك الأمر بنفسه دون أن يرجع إلى خليفة المسلمين خشية أن يجد لديه ما يخالف رأيه فى هذا الميدان

أبو بكر أن يحرمهم من الجهاد في الفتح الإسلامي ليقتصر شرفه على الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الوفاء للدين والثبات عليه، فكان من رأى المثنى أن يرجع أبو بكر عن قراره ليتيح لهؤلاء سبيل التوبة الحقيقية إذ يمتشقون الحسام دفاعاً عن دين الله وتكفيراً لما أسلفوا من حرب الإسلام!! وكان للبطل منطلقه السديد، ورأيه النافذ فاقنع أبو بكر بوجهة نظره، ودعا المسلمين عامة إلى البلاء في الغزو فساحت الفرصة أمام هؤلاء النادمين ليقوموا بما يكسبهم شرف الرجولة فينسخوا إميل الماضي بصباح الغداة... وما أعظمها خطة جعلت كتائب المجاهدين تتدفق من كل مكان راغبة في الجهاد عن طوعية وترحاب، وسالت الشعاب المنفرجة في بطن الجزيرة هاتفة بالغزو، مدوية بنشيد الجهاد: الله أكبر الله أكبر!! غير أن التفكير كان متجهاً هؤلاء إلى الروم لا إلى فارس، ولكن المثنى الباسل يعقل المنبر ليهون من شأن الجوس، ويلفت الأنظار إلى الميدان الجديد، وقد شاء الله أن يختار أبا بكر إلى جواره الكريم قبل أن يصدر قراره النهائي، فاستدعى رضى الله عنه عمر بن الخطاب في مرضه الأخير ليقول في إصرار: (اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به، إنى لأرجو أن أموت من يومى هذا، فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع

وجاله إلى فارس، فالروم منذ غزوة مؤتة في تبصر وتأهب للملاقاة المسلمين، وقد كان اتجاه الرسول إلى غزوهم بالشام مبعث ثقة وإيمان في النفوس، فكل مجاهد ينهض لهؤلاء إنما يحقق رغبة نبيه، ويتابع خطته مطمئناً إلى نجاح العاقبة بإذن الله، أما الفرس فقوم صلاب شداد سار لهم في العرب ذكر مهيب مخوف، والتفكير في منازلهم مظنة خطر بعيد، إذ أن أفيالهم الكثيرة تتقدم جيوشهم الظافرة فتغنى غناة أشنع الأسلحة فتسكا، وأعطى الذخائر إبادة. فكيف يلي أبو بكر دهوة المثنى إلى نضال آل ساسان؟! لو كانت دعوته تلك قد سبقت أو أنها قبل أن تتحرك الجيوش إلى قتال الروم، لأمكن الخليفة أن يوحد جهة القتال، فيجعلها في الشرق مع فارس دون أن يتشعب الجيش الإسلامي إلى فرقتين متباعدتين! الحق أن المأزق حرج، ولا بد للخليفة أن يقبصر مواطئ أقدامه قبل أن يصدر قراره النهائي!! فيلبث حيناً لا يدري ماذا يصنع!

ولكن المثنى العظيم يصل إلى المدينة بنفسه فيقابل خليفة رسول الله، ويهون من شأن الفرس إذ يسطر أمامه سبيل حروبه معهم في الجاهلية والإسلام، ثم يتشعب الحديث، فيناقش أبا بكر في قراره الذى اتخذ به بشأن المرتدين بعد أن رجعوا إلى الإسلام، إذ شاء

أبا بكر وعمر، وخطب الناس بالمدينة فثبت
بقيتهم وهون عليهم أمر الجوس ! فسارت
الكتائب مشوقة للصراع ...

على أن عظمة المشئي الباهرة تتخطى الحدود
المعقولة، حين نجده يتناسى شخصه، فيقبل
بارتياح تام أن يكون الأمير المسلم على
الجيوش غيره، وهو الذى ذلل عقبات
النصر وفتح باب الهجوم على الأساورة
متحدياً جميع الصعاب مهما تجمعت من حوله
وثأبت عليه، ! حين جاء خالد بن الوليد
إلى الحيرة بادر فانضوى بجنده تحت لوائه
وأبدى من الجهاد والبسالة ما تعجب له خالد
وأكبره ! وحين هم بالرحيل إلى اليرموك
شد على يد المشئي وقال له فى اهتزاز: ارجع
إلى إمارتك - مصوراً سيّداً كما كنت، وقد
يكون خالد أعرف الناس ببسالة صاحبه،
كما يكون المشئي أكثر ميلاً إلى الانضواء تحت
رايته من غيره إذ أن كفاح سيف الله فى
حروب الردة قد جعل القيادة من حقه فى
معتقد بعض الناس، أما الذى يثبت العظمة
النفسية على وجهها الصريح للمشئي فهو قبوله
إمارة أبى عبيد بن مسعود الثقفى حيث أمره
عمر بن الخطاب دون المشئي ! ولم تكن له
من السابقة الذائعة ما يقنع المشئي بكفائته
هن يقين، ولكن المشئي كان أطوع له من
بنائه، وقد أخذ يبصره بمواقع الأمر تبصير

المشئي، وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن
حتى تندب الناس معه، ولا يشغلنكم مصيبة
وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم،
وقد رأيتنى متوفى رسول الله وما صنعت،
ولم يعصب الخلق بمثله).

مات أبو بكر ! فبايع الناس عمر، وكان
أول ما بدأ به أن ندب الناس مع المشئي قبل
صلاة الفجر من هذه الليلة نفسها، وقام المشئي
خطب الناس بعد البيعة قائلاً: (أيها الناس
لا يعظم عليكم هذا الوجد، فإننا قد تبجحنا
ريف فارس، وغلبناهم على خير شقى الواد،
وشاطرناهم، وثلنا منهم، واجترأ من قبلنا
عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها ! !) ثم
تحدث المشئي عن جهاد خالد معه فى حرب
العراق وكان أبو بكر رضى الله عنه قد أمدّه
به ليحمى العرب على شواطئ الفرات فقط
دون أن يدور بخلفه امتداد القتال إلى بطن
فارس فأبلى خالد أحسن البلاء مع المشئي
وانتصر القائدان فى مواقع ذائعة نذكر منها:
الولجة، وذات السلاسل، والأنبار. ثم جاء
أمر أبى بكر بانتقال خالد إلى كفاح الروم
فى اليرموك مكتفياً بتأمين الحدود العربية !
فأسف المشئي أسفاً زائداً لمحاولة انتهاء المعركة
مع فارس على هذا النحو المفاجئ وجاء بشخصه
إلى المدينة ليعلن تصميمه على مواصلة القتال،
والحق أنه نجح فى مسعاه أكبر نجاح إذ أقنع

الفارسيون ليكون أمام العرب مقسع من البادية إذا حان خطر شديد ، وصم أبو عبيد أن يعبر المسلمون لتشتد حماسهم الدافعة ، وتكون الثقة الحية في نفوسهم كفيلاً بالتقدم فالأكتساح ، وقد أطاع المثنى أمر القائد العربي كارها غير راغب ، وزحفت الجيوش الإسلامية ترى كوكبة من الأفيال تبعث الرعب في النفوس ، وقد سارع أبو عبيد إلى الفيل الأكبر يضرب خرطومه بسيفه ضربة لم تصب مقتله فهم عليه ووطأه بخفه فسقط شهيداً ، ودب الرعب في نفوس المسلمين ، وهمو بالانسحاب إلى الجسر ولكن أحد المتحمسين من العرب قدارتكمب خطأ فاحشاً حين هدمه لينع الفرار ... ونظر المثنى فإذا الحرب بعد سقوط الجسر تصبح حرب إبادة واستئصال للصلبين ، فتقدم مضيقاً بنفسه مع لفيق من قومه الأشداء ، وتصدى صابراً لهجمات الفرس ثم بحث بمن يعيدون بناء الجسر فأمكنهم في ظل هذه المؤخرة الصامدة الثابتة التي دفعت باستبسها المستميت كل زحف أن يقوموا برسالتهم فنهض الجسر كما كان ، وانسحب الباقيون إلى حيث كانوا من قبل ، ولولا وقفة المثنى وجهته لكانت موقعة الجسر موقعة إبادة واستئصال للعرب ! ولكن الله قد أبد البطل بروح من عنده

من يرجو على يده النجاح والظفر !! وكان في أبي عبيد التقى ليمان وإخلاص ، ولكن الدربة الحربية كانت تعوزه وهي وحدها وسيلة الانتصار ، فحين تجمعت الجيوش الفارسية في معركة الجسر وقد حشد لها رسم مئات المهرة من القواد وعشرات الآلاف من الجنود مصماً أن يقذف بالعرب نهائياً من أرض العراق ! أقول حين حشد رسم جموعه السكيفة خلف الأفيال والخيول والسلاسل ، ونظر المثنى فعلم أن الجيوش العربية مستطوق تطويقاً حاصداً بهذا الجمع الهائل المديد. أشار على أبي عبيد بالانسحاب من الحيرة إلى خفان ، ليستطيع أن يجد في الصحراء الممتدة ملاذا للفرار إذا ضاق به المأزق ، وتلك خطة سيدي إذ أن سياسة الاحتفاظ بالأماكن المحتلة كثيراً ما تجلب الوبال على المحتفظين ، وقد قبل أبو عبيد مشورة صاحبه ، فأنكفأت الجيوش متراجعة إلى خفان .

وحانت الساعة الفاصلة أمام جسر الفرات ، فرأ المسلمون على الضفة المقابلة من الطوفان الفارسي الزاحف ما لا يحصى هده غير الله من الجنود والخيول والسلاح . وبعث جاذويه قائد الفرس رسوله إلى العرب يسأل من الذي يعبر الجسر من المتقاتلين ليلتحم النضال ، وكان من رأى المثنى أن يعبر

وطار له معها بين العرب حديث سببه
الفرزدق بعد عشرات السنوات حين قال :
ومنا المثنى قاتل الفيل وحده

يبابل لاذ في فارس حكم بابل
أجل هم المثنى على الأفيال جريئاً غير هياب ،
وهجم أخواه المعنى ومسعود معه في ساحة
الموت مستبسين ، ونظر المسلمون فإذا آل
حارثة الشيباني يتوسطون النار الملتبئة
مغامرين فغمرت الناس حماسة لا تعهد ،
واندفعوا وراء الأبطال ، وكأنهم فقدوا
عقولهم فلم يفكروا في خطر الأفيال
والسيوف والرماح ونظروا لثني فإذا صفوف
بنى عجل تتقدم ، فترك مكانه ليصرخ في
وجوههم : يا بني عجل اتقوا الله حق تقواه
ولا تفضحوا المسلمين ثم عاد إلى مكانه فوجد
أخاه مسعوداً قد استشهد فخاف أن يزعم
مصرعه بعض النفوس فسكظم حزنه الأليم
وصاح يا بني الإسلام لا يزعمكم مصرع أخى
فكئذا مصارع الأخيار ، واندفع إلى الميدان
مجلجلاً بالتكبير !

وكان البطل قد جمع إلى جيشه في معركة
البويب طائفة من نصارى العرب يقاتلون
حمية لإخوانهم في الدم لا في الدين ، فلما طال
القتال واشتد أراد أن يلهب حمية المسلمين
فتقدم إلى أنس بن هلال النخري وقال له :
(لآنك أمرؤ عربى وإن لم تكن على ديننا

فلم يتوان لحظة في مأزقه مع ماصوب إلى جسده
من النصال ! لو أن جيوش (جاذويه)
تدبعت فلول المنهزمين إثر معركة الجسر
لاندحر المسلمون اندحاراً يتغير معه وجه
التاريخ ، ولكن الخلاف حول الحكم في
المدائن بين رستم والفيروزان قد وجد سبيلاً إلى
الجيش الفارسي ، فلم يقتنموا الفرصة السانحة
وأضاعوا النصر الساحق لأمر قدره الله ،
فأخذ المثنى يجمع الفلول المتناثرة ، ويرسل
إلى العرب في القبائل البعيدة يدعومهم لنصرة
إخوانهم المستبسين ، وأمدّه همز من الخطاب
بسكتائب جديدة تعوض بعض ما ضاع يوم
الجسر من آمال ، ثم احتشد مجموعته بالبويب
قريباً من الكوفة ، وشهد الفرات مرة
أخرى جيشين يتقابلان على ضفتيه وليس
بينهما غير الجسر ، فبعث مهران القائد
الفارسي الجديد رسوله يسأل من الذى يبدأ
بالعبور ، وكان المثنى هو القائد دون سواء
فلم يقع في خطأ أبي عبيد ، وطلب من الجيش
الفارسي أن يجرب دوره في العبور ، ثم استعد
بأبطاله ليقابل المندفعين إليه كالطوفان المزيد
يملئون الأرض عجيجا وجلبة ، وقد وجد
المسلمين يقفون القبلة خائفين ، فتجراً
هلى منازلها بالسيف عن خبرة واقتدار ،
وقد سبق أن عرف مقاتلها في معركة بابل

ولإيمان ، وحين يقرن الموت دعا كاتبه ليعلى عليه كتاباً إلى القائد الجديد ضمنه خلاصة تجاربه ، وزبدة نصائحه ، فضرب بذلك أرفع الأمثلة في الإخلاص لعقيدته والحرص على انتصار ذويه ، وإن كان النصر على يد غيره من اللاحقين .

مات المثنى فبكته البطولة والكرامة ، وجاء سعد بن أبي وقاص ليلتقي بجيوش فارس في القادسية ، وقد تكاثرت الغيلة تكاثراً هنيئاً بسطوتها القاهرة على للعرب فقر كثير من المسلمين مذعورين ، ورأت سلى زوجة المثنى - وسعد من بعده - ما كان ، فصاحت في غضب وامشاه ١١ ولا مثنى للخيل بعد المثنى ! خجل الفارون خزياً ورجعوا إلى الحومة مستبشرين ! حتى كسبوا النصر ، وقال قائلهم في لكبار : رحم الله المثنى فقد نفعننا حياً بمجاهده وميتاً بذكره .

محمد رجب البيومي

المدرس الأول بدار المعلمين بالفيوم

فإذا حملت على قائد العجم فأحمل عليه معنا فأطاعه أنس مع نفر من قومه وحملوا على القائد فقتله غلام نصراني من تغلب ! ورأى المسلمون ذلك فاستبسلوا مستميتين ، حتى انكشف الأعداء ، وقد اهتبل المثنى الفرصة فتقدم إلى الجسر فأسقطه لينتقم للسلبين من المعركة السابقة وخف المنزومون من الفرس إلى الجسر فلم يجدوه ، فتبعهم العرب قتلاً واستمصالاً وصاروا بين قتيل وغريق ... وقر المثنى حيناً بالنجاح .

هال يزجر ملك الفرس ماحل بقومه بعد معركة البويب فاستعد لموقعة تكون في رأيه معركة الحياة أو الموت ، وجاءت النذر للمثنى بما ينويه صاحب الفرس ، فكتب إلى عمر بن الخطاب يسأله المدد الحفيل فأرسل سعد بن أبي وقاص على رأس جيش كبير إلى المثنى ، وقد شاء القدر ألا يتقابل البطان حيث مات المثنى متأثراً بجرح أليم أصابه يوم الجسر فظل يهادنه مستعيناً بالصبر حتى انتفض عليه لحاء فأسلم الروح شهيداً أيماً ذا همامة وعزة

من أقوال مصطفى صادق الرافعي في الغنى والفقر :

- * ينبغي أن تقدر ثروة الإنسان لا بأمواله ومستغلاته ، بل بعدد الأشياء التي يستطيع أن يعيش غير محتاج إليها .
- * الغنى أن تملك من الدنيا ، ولكن أحسن الغنى أن تهتم في الدنيا .
- * الفقر خلو من المال ، ولكن أقبح الفقر خلو من العافية .

محاولة لبعث المتدين

للدكتور أحمد كمال زكي

تقديم

هذا أن توجهوا إلى دراسة الآثار الأدبية - ولاسيما الشعر - دراسة فيلولوجية ساعدهم فيها علماء الغرب ببسط أساليب التحقيق الفني أمهاتهم - واستطلعنا عن هذه السبيل أن نصل إلى الحقيقة العاريفة التالية : وهى أن أدب التقليديين فى حرصه على تحقيق مثالية الجاهليين الشكلية أهدر عبقرية الشعراء وألقى ذائبتهم .

وكان من الممكن أن يستمر الأمر على هذا النحو ، إلا أن الجهود ما لبثت أن تضافرت على وضع الأساس لبناء جديد استعين فيه بواحد كطه حسين وآخر كـ محمد أحمد خلف الله وثالث كبروكلمان ، وقدم من ثم الدكتور محمد نجيب البهيتى كتابه « تاريخ الشعر العربى إلى نهاية القرن الثالث ، كما قدم الدكتور شوقى ضيف أول أجزاء تاريخ الأدب العربى كله وكما يقدم غيرهما أعمالا فيها الأصالة المنشودة وفيها الدقة والمنهجية التى كادت تقصر على نيكلسون وبروكلمان .

وقامت فى الوقت نفسه حركة تبعد قليلا عن الحركة السابقة . . حركة قصد بها تجديد

محاولات الرصد العلمى لأدبنا لم تقتله إلا إلى نتائج محدودة ، ولعل حظ الإخفاق فيها أكبر من حظ التوفيق ، ولم تجد محاولات المستشرقين إلا فيما قدمه بروكلمان^(١) من ناحية وجرونيار^(٢) من ناحية أخرى ، وتوارحت أعمال غيرهما بين العرض التاريخى أحيانا والنقد التأثرى أحيانا بغير جدوى كبيرة فى الغالب . بل لعل ضيقا كالفى قدمه الدكتور طه حسين مثلا فى « تجديد ذكرى أبى العلاء ، . كان أجدى على أدبنا ما قام به نلينو وهو من نعرف فى ميدان الاستشراق !

ولقد أسهم أساتذتنا من جانبهم فى المجمود الذى حمل لواء المستشرقون ، غير أن كثيرا من عملهم لم يخرج عما قدمه جوزيف بروجمستال سنة ١٨٥٠ ، وكان من نتيجة

(١) أصدر فى فينا كتابه « تاريخ الأدب العربى » فى سبعة أجزاء عرضت لنحو عشرة آلاف أدب .

(٢) يجب أن نقر هنا أن فون كرىمر كان من البرزين فى هذا الميدان ولعل جرونيار يمثل الآن نشاطه الآن من بعض الوجوه .

في البصرة ، ويتم ثالث بمثل هذا وذاك في الحلة ، وعرض رابع للحلب وهكذا ...
فهي سهيل التجرية :

وقد يعن لنا تطبيق نظرية الإقليمية أن نسأل بادئ ذي بدء ماذا حمل النص ثم إلى حد ترابط نتائج البحث بالكيان الكلي للأدب ؟ والشق الأول من السؤال يقضى بدراسة آثار العسروبة الأم مع دراسة آثار الإقليم الأول ، والشق الثاني يقضى إلى المقارنة بين الأصل وما تفرع عنه لوضع أيدينا على الملاحم المشتركة فتعرف - بعد - على وجوه الخلاف ، وإذ ذاك يتبلور الجديد .

وليس هذا عسيراً ما خلصت إليه وصح العزم ، فإن من أقوى الدعائم أن تناقش الآثار في أدق أبعادها وفي أعماق جذورها وليس يصح أن يقال مثلاً : إن نظرية أرسطو في الشعر والخيال هونت من حظ الخيال عند العربي وأضعفت من طاقاته الخلافة (١) لجرد أن تثبت عراقة التقليد أو ضخامة التوليد خلال العصور التي أعقبت الجاهلية .

إن وراء ذلك من الأسباب ما تملأها طبيعة الإقليم من ناحية وطبيعة اللغة التي تحتل هذا الإقليم كأداة تعبير رئيسية من ناحية ثانية . ومن هنا تكون نظرتنا إلى الكوفة مثلاً غير

(١) واجم جوستاف فون جرونباوم في « دراسات في الأدب العربي » ص ٩ .

الدرس الأدبي تجديداً يقوم على فهم القديم داخل بيئة الخاصة ، وكانت تصاحبها حركة ماثلة تقوم على نقد الفنون الأدبية نقداً يفترض كثيراً من النظريات التي تفسر نشأتها وتحدد خطوات سيرها ، وأتيح لهاتين الحركتين أن تبقىا إلى الآن متزعمي الأولى الشيخ أمين الخولي وحاملا لواء الثانية جولدتسيهر ، وربما لو اتحدت مجاهدتهما . . فأخذ كل بالإقليمية العلمية وبفلسفة الإيحاء الفني وروحه مع العناية بأسباب الاقتصاد وغيره ، فكانت النتيجة خيراً لا شك فيه .

على أن الآثار كلها لم تلبث أن كشفت عن حق ما ذهب إليه الدارس العربي ؛ لأنه في حقيقة الأمر لم يكن يحمل شيئاً مما يحيط بأي نص أدبي كما لم يحاول أن يغفل أية دراسة يمكن الانتفاع بها . . بغض النظر عن اقران فكرته بما تهاجم به من احتجاج يقدمه غلاة القومية ، وهم هؤلاء الذين يحاولون إلغاء الإقليمية على أسس من التحمس العجيب !

ويمكن القول بصفة عامة إن قسم اللغة العربية بأداب القاهرة استجاب للدعوة - على أي وجه - وجدد أبنائه للدرس الإقليمي المتخصص ، فقام بعضهم بدراسة الكوفة ورصد آخر لمعالم البيئة الأدبية

عربي من الجنوب وعرفت باسم كويقة ابن عمرو الأزدي^(١).

فإذا انتقلنا إلى البصرة نراها - في عرف التقليديين - إسلامية بينها عتبة بن غزوان في السنة الرابعة عشرة من الهجرة ، ولكن إسلاميتها لا تثبت أمام ما وقع فيه رواية الأخبار حين أرادوا أن يفهموا مدلول التسمية ، ولما استعان هؤلاء بالمعويين وقعوا في سلسلة من المتناقضات لأن البصرة عندهم فيها حجارة سود أو لأن فيها حجراً أبيض أو لأنها دكان ، أو ذات أرض غليظة أو صلبة أو طين علك^(٢).

في مثل هذه الظروف يجب على الباحث أن يتشكك ، ويبدأ في هذه الحال إلى دراسة تاريخ موقعها ، وهنا نجد بصرياً في الآرامية ونرى بعض الباحثين يقول إن «بصر» بالكلدانية الجزء الضعيف و «بصريا» و «باصرا» و «باصري» محل الأكواخ. وفي العهد الفارسي نراها «بسي راه» أي الطرق الكثيرة يروي ياقوت لحزة الأصماني أنه سمع أحد الفرس يقول : البصرة تعريب

نظرتنا إلى بغداد وغير نظرتنا إلى الموصل أو الحلة أو واسط، وتكون النظرة إلى هذه البيئات جميعاً غير النظرة التي تسدد إلى بيئات مصر أو الشام أو اليمن .

نحن نهتم بالتأريخ في المحل الأول ، فإذا قلنا متعجلين إن أدب العراق يختلف عن أدب مصر في عصوره الأولى على نحو ما فتن لا تقدر مدى الخلف حقاً حتى ندرس بيئات هذا الأدب ولن نصل إلى ما نريد حتى نستعين بالمسيولوجيا والانتوجرافيا والأنثروبولوجيا وغيرها من ألوان العلم المنظم .

ويهدينا هذا العلم إلى أن كثيراً من المدن التي قرر الدارسون أنها بنيت في الإسلام كانت تلعب دورها في التاريخ قبل أن تعرف هذا الدين الجديد ، وأن نشاطها الأدبي - بناء على ذلك - يجب أن يتعرض لهذه المرحلة «الإسلامية» . . فالكوفة مثلاً لم يؤسسها العرب في العام السادس عشر أو السابع عشر الهجري^(٣) . وإنما كانت موجودة باسم العاقولا أو الياكيولو^(٤) ، ودلت الأبحاث على أن في مكانها قرب الخورنق والسدير كانت ثمة منطقة يحكمها

(١) راجع فتوح البلدان للبلاذري صفحة ٣٨٤

ومعجم البلدان لياقوت ٧ : ٢٩٥ .

(٢) يزعم ماينتيون أن هذه تسمية سريانية

«كوفة» .

(١) لسان العرب مادة «كوفة» .

(٢) لسان العرب مادة «بصر» .

أرض البصرة كانت مضطربة لا تثبت على حال تأكلها البطائح مرة وتاكل هي من البطائح مرة ، وتشقى الأنهار حيناً وتعلم هذه الأنهار حيناً آخر كما ندرك أنها تفر تقوم حياه على الاخذ والعطاء والمناقشة والمساومة ومن هنا يحتمك الفارسي باليوناني ويحتمك هذان بالنبطي ، ويسمع من الجميع زنجي من الزنوج ولا يلبث أن يحمله إلى هندي فيتمتع ويتأنى ولكنه لا ينزل عن شيء من حقه لأنه هو الذي يكذب وهو الذي يتغرب ، وينظر النظرة نفسها سواء فتشيع الفردية وتمظم الانانية ويكره الجميع أن يحد أحد من سلطانهم وهكذا .

ولذن فلم يكن العرب من تميم هم الذين لونوا حياة البصرة بلون ثامر ... بل العكس يقال هنا ، فقد مثلت تميم في بيئة البصرة كل قوى المحافظة ، وأبت أن تنزل عن كثير من عادات العرب الأقحاح ولا سيما طوال القرن الاول الهجري وبعض الثاني ونصبت نفسها حامية للغة والفصاحة ، داعية إلى عروبة ارستقراطية أثار عليها حفيظة العناصر السكانية الأخرى ، ومن ثم بدأ تيار الشعوبية في الظهور .

وربما يحسن أن نتصرف عن التفاصيل في مناقشة هذا الجانب ، وإنما نقول إن كل شيء في البصرة أصبح يمد لظهور المتكلمين

بسي راها لأنها كانت ذات طرق كثيرة انشعبت منها إلى أماكن مختلفة (١) .

ولذن فتأريخ أدب البصرة العربي - كتأريخ أدب الكوفة لا يمكن أن يكون كتأريخ الأدب في بغداد التي أنشئت عام ١٤٥ ، ولا يبدأ بدخول العرب المسلمين لإقليم العراق ، وإنما يمد له كل ما مر على البصرة والكوفة من أحداث في عهودها الآرامية والفارسية ثم العربية . . . لأن الأدب فن ، والفن ابن التاريخ البعيد .

ويتبع هذه دراسة د سكانية ، تبين حقيقتين هامتين أولاهما غلبة الآراميين والينيين (٢) على الكوفة وتسود الفرس وتتميم مدينة البصرة ، إلا أن هذا لم يمنع وجود عناصر أخرى - ولا سيما في البصرة أشهرها الهنود والزنوج والسرمان الذين يختلفون في أصلهم اختلافاً كبيراً .

وليس من شك في أن هذا يعقد الأمور إلى حد بعيد ، فإذا قلنا بعد ذلك إن سكان البصرة كانوا يميلون إلى الثورة ويمنحون إلى الشك ويحسنون الجدل وينزعون نزعة استقلالية ويأخذون بواقعية مغرقة في المادة إذا قلنا ذلك قلناه ونحن ندرك أن طبيعة

(١) لكتاب المقال « الحياة الأدبية في البصرة »

وفيه من ذلك كثير

(٢) أشهر قبائلهم همدان وحمر ومذحج وكندة والأزد .

في صلب معرفة تلك الحقيقة ، وهو افتراض يستند التاريخ وتطاهره النصوص نفسها . . . إنه لا يعتبر من قبيل المعرفة وإن يكن يقضى بالأنحلال عنه صفة الصدق المطلق ، وعلى هذا الأساس لا تقبل كل ما يصل إلينا داخل الإقليم الواحد ، وبالتالي لا ندرجه تحت أى لون من ألوان التقسيم الزمنى الذى يقرره مؤرخو الأدب .

إننا قد نجد بعض الملحوظات الهامة عند هؤلاء المؤرخين ، تماماً كما نجد مثل هذه الملحوظات تتساقط من أفواه الرواة الكلاسيكيين ، فإذا لم تكن هذه مما يهدر الذاتية ويفتئت على المنهج العلمى أمكن جعلها علامات على الطريق .

قد تقبل من طه حسين مثلاً منهجه الديسكارتى ، وقد نطبق دعوة جب إلى الاهتمام بدراسة مراكز التطور الثقافى فى المجتمع الإسلامى ، وقد ننحو نحو شوقى ضيف فيما ذهب إليه فى كتابه « التطور والتجديد » . . . قد نفعل ذلك ، ولكننا لا نفعله بصفة عامة ، وإذا فعلناه اصطنعنا أسلوب النقد التاريخى لأننا سنفترض أنهم استعانوا بتراث ضاع معظمه وحرف من ناحية ووثقوا قوماً كان من الواجب ألا يكونوا عدولاً على خط مستقيم .

فأبو الفرج مثلاً يشوه مروياته عن أبى

ولا سيما المعتزلة آخذين أصول العقائد على أساس عقلى ، ومناقشين النقول القديمة على ضوء الحقيقة ، فشكوا فيما لا يقبله المنطق ، وقعدوا اللغة بعد بحث دقيق فى مرويات الجاهلية .

وبدا الأمر كما لو أن المعتزلة كانوا مسئولين عن تحطيم كثير من التراث وإنكاره ، فوجد الشعوبيون فرصة ذهبية للمشاركة فى عملية التحطيم لإحلال حضارة الفرس التى اندثرت بانتصار العرب المسلمين غير أن هذه الموجة لم ترتفع إلا منذ القرن الثانى الهجرى ، وأما القرن الأول فقد مضى والسلطان العربى فى أوجه وكانت تميم كما قلنا توجه الحياة وجهة محافظة وتربى جيلاً من الفصحاء نشأ فى كنفه ابن المقفع وظهر فيه جرير والراعى والفرزدق الذين تحول شعرهم إلى ضرب من الجدل شغف به كل البصريين .

وقد لوحظ أن أغلب الشعوبية وسيظهر فيهم عمالة الشعر والنثر كانوا يشبون فى كنف ربيعة والأزد ، فثل هؤلاء موجة التحرر والخروج على سلطان تميم الرجعى ، ولم تفقد تميم هذا السلطان إلا بعد انتصار العباسيين واستعانتهم بعلوية ربيعة وشيعة الأزد .

هذه: التجربة الغريبة

وأخشى أن ألجأ إلى ضرب من الافتراض

على أن احتسبك هذا الأدب بما في المصر الجديد القديم ، وجلسوا الأماجم إلى سماحه باعتبار أن لغته هي لغة القرآن الكريم ، ثم محاولة بسط السلطان القبلي على أنه مظهر لتماصك العرب .. أقول كان هذا يفدى تيار الأدب بدم آخر ، وكان جيل الأدباء - خضوعا لسنة التطور ونتيجة للتفاعل الحتمي - يتخلى عن كثير من أصالة الفنان الجاهلي .

معنى هذا أن الفنان البصري بدأ يظهر .. تماما كما بدأ الفنان الكوفي يظهر ، وأخذ كل منهما يعيش حياته التي كانت تأخذ من العروبة شيئا وتقبل من الشعوبية شيئا آخر !

وكانت النتيجة أن الأدب في البصرة عاش في أنماط لغوية لم تختلف عن أنماط الجاهلية طوال العهد الذي تـودته تميم ، فلما تخلت تميم عن هذه السيادة - لأسباب سياسية في الغالب - أفسح المجال لأدباء خلفوا آل الأهم وغول النقائص جميعا وكانوا من الموالي ، ولم يكن ثمة فاصل حقيقي بين عهدي تميم وما أعقبه غير أننا نجعل أيام هشام فقط انتقال : وكان عصر تميم عصر الحفاظ للغوى ، وكان عصر ما بعد هشام عصر التحرر للغوى .. كانت اللغة كظاهرة اجتماعية تعرض لكل هزة يضطرب لها المجتمع الإسلامي ، وقد استطاع العرب أن يحفظوها حتى ولد الموالي من الأدباء .. فحوروها ، ومالوا بها عن

العتامية في كتابه ، إذ يسوق أغلب أسانيد هذه المرويات عن خصوم للشاعر ، وإذا كان منهجه يرفض ما تتطلبه منه أساسا فإن مروياته - رغم ذلك - تظل عارية عما يشترطه الباحثون في أسلوب « السيرة » ، لأنها لا تعنى برصد الزمن أو تطوره ، ولأنها تشبه أشعار بشار بن برد - من وجهة نظر الناقد القديم - من حيث إن فيها الشذرة بجانب البصرة !

ومعنى هذا بعبارة موجزة أننا نتقبل ما يقيم أحكامنا ويؤيدها .. معناه أننا نغنى بالصالح مما قاله غيرنا ، ومن ثم نصل إلى أن المحاولات بما تستند إليه من تمحيص ونظر تقدم الحقائق بغض النظر عن كل المتناقضات العرضية ! ويبدو من العسير علينا حقا أن تعرض لأدب البيئة داخل الإقليم المعين .. فكيف نبدأ - في البصرة مثلا - ومن أين وإلام نظل متعلقين بماضى العرب مع وضع ماضى البلد كله في كفة ميزان ؟

لنعد إلى الافتراض ، ومن ثم نتصور - في أول عهد المدنية السهلة - حياة القلق وعدم الاستقرار ، ثم نقرر أنه لم يكن هناك أدب إلا بعض ما كان يتردد على لسان العجم ولم يكن للعرب به دراية ! وإذا كانت البصرة قد سمعت مع ذلك شيئا من الأدب العربي فإنها لم تسمع إلا أدب الجاهلية .

عبر به الأديب عن تجاربه التي اضطرب بها .
 فإذا هو في آخر الأمر تعبير عن ماض كان وعن
 حاضر كائن وعن مستقبل يمكن أن يكون .
 وبهذا التقسيم تتجنب الوقوع فيما وقع
 فيه الدارسون القدماء من تناقض . جوهرى
 أنهم لا يستطيعون أن يضعوا علامات مميزة
 على قوالب التعبير لأنها نتيجة تجارب نفسية
 معقدة ، فقد كان الشاعر حين يمدح مثلاً
 لا يتخلص من استعداده السيكولوجى ومن
 النظم الفنية المتوارثة ، فيفخر ويتغزل
 ويصف ويحقق ما يسميه الكلاسيكيون
 بفنون الشعر ؟

لقد كان من شأن القيود التي فرضها
 الأولون على دراسة الأدب أنها حالت بين
 طبيعته وبين أن يصبح جانباً من جوانب
 المعرفة شبه اليقينية ، ومن أجل ذلك اضطرت
 - غير آسفين - إلى إلغائه كثير مما وضعه
 الأجداد ما دمنا نستبدل به شيئاً أكثر
 جدوى وأعظم غناء .

وتلك حقيقة التجربة !

هى أن نعبد النظر في تنسيق ما صح
 من النصوص داخل الإطار البيئى ، ودراسة
 المحصلة على أساس أنه تعبير يشغل حيزاً
 زمنياً معيناً ؟

دكتور أحمد كمال زكى

مدرس الأدب العربى بجامعة عين شمس

الجادة ميلهم إلى الحياة المدنية التي كان قوامها
 القذة وانتهاك حرم التقليد ! .

ويمكن أن نلاحظ بسهولة رجلين قاما بتشكيل
 أدب التحرر اللغوى ، هما ابن المقفع في النثر
 وبشار بن برد في الشعر ، وكلاهما كان مولى
 مضيق النسب^(١) يكره العرب ويدعو إلى أن
 يتملك الأحرار من الفرس ولا يحترم الدين
 ويجيد فنون الكلام من خطابة ورجز
 وغريب ويتظاهر بالعلوية ويأخذ بأسباب
 اللهو ويصادق كل منهما الآخر ويموت مقتولين .

لقد استطاع ابن المقفع وقد انصرف إلى
 الكتابة أن يجعل النثر فناً لا يقل أثراً عن
 القصيدة ، وعبر بأسلوب فنى في كلىة ودمنة ،
 وبأسلوب تقريرى في رسالة الصحابة ، عن
 مأساة الموالى وطموح الشعوبية .

واستطاع بشار أن يعطى للشعر مفهوماً
 ضمنه الفكرة التي ألح عليها ابن المقفع ،
 وألحق بالقصيدة العربية إلى العامة فاستغل
 تلاميذه هذا أحسن استغلال .

ولكن تقسيمنا التطور الأدبى على
 ابن المقفع وبشار لا يعنى أننا نقسم الأدب
 إلى شعر ونثر في المحاولة التي نقصدها ، فقد
 آثرنا أن نجعل الأدب بنوعيه كلا متماسكا

(١) كان أبو بشار طياناً صمد الرواة بنسبه إلى
 لهراسف الملك الفارسى ، وكان أبو ابن المقفع يصنع
 الفراع ، ولكن الكاتب جعله أميراً من أمراء
 الخراج أيام الحجاج .

النفاش السلمى حول الثقافة فى الإسلام

للأستاذ حسن فتح الباب

- ١ -

نمبر :

المحايدة داعية إلى تضافر الجهود الصادقة البناءة فى داخل الأمم المتحدة وخارجها للبحث على إبرام معاهدة بين الدول الذرية لحظر التجارب النووية ونزع السلاح نزعاً شاملاً .
غير أن الدعاة إلى سيادة العدل الدولى ، واستتباب السلام العالمى قد شغلهم متابعة المعركة السياسية والاقتصادية الدائرة بين المعسكرين والبحث عن سبيل لإيقافها ، فلم يبينوا من خلال النجوم الكشيفة التى رانت على العلاقات الدولية ذلك الجانب الهام الذى تمخض عنه النزاع وهو الصراع الثقافى .

الحرب الباردة فى المبرام الثقافى :

ولئن كانت الحرب الباردة فى الميدان الثقافى هى إحدى المشكلات الفرعية التى نجمت عن الصراع السياسى بين الماردن الجبارين ، فإنها لا تقل خطراً عن غيرها من الأزمات الدولية وهى بالتالى تستوجب دراستها ، ومناقشة ما تسفر عنه تلك الدراسة النظرية من آراء ومقترحات ، ووضع الأنسب منها فى موضع التنفيذ . ويمكن من هذا السبيل المشاركة الإيجابية فى قضية السلام والتمهيد لتصفية الجوانب الأخرى من الخلاف .

أثيرت فى الآونة الأخيرة مشكلة الحرب الباردة التى تدور رحاها بين المعسكرين المتنازعين فى ميدان جديد لم يسبق أن تناولته تصريحات الساسة أو تداولته أقلام الكتاب والمعلقين على الأنباء العالمية فى أجهزة الإعلام المختلفة ، ونعنى به : الميدان الثقافى .

فقد ظل الصراع المبرم بين الكتلتين الكبيرتين منذ نشب فى أعقاب الحرب العالمية الثانية قاصر على الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية بوصفها المحور الرئيسى الذى يدور حوله النزاع حتى يوشك أن يهوى بالعالم من جراء هذا الانقسام فى أتون حرب جديدة مدمرة تقضى على حضارة الإنسان ، وتمعيده إلى عصر الهمجية الأولى .

وأصبحت قضية نزع السلاح أخطر القضايا التى يواجهها عالم اليوم منذ انتهى الرأى العام العالمى إلى أن عقد معاهدة نزع السلاح ، هو الحل الحاسم لمشكلة الحرب الباردة ، والعلاج الناجع للأدواء التى نجمت عنها ، وأغرقت الشعوب فى دوامة من القلق والتوتر والخوف على مصير الجنس البشرى ، ومن ثم ارتفعت الأصوات من صفوف الدول

في إشعال نيران الحروب . فالثقافة تؤثر في الكيان السياسي والاقتصادي للدول مثلما تتأثر به ، بل إن الانقسام الذي يفصل الدول الكبرى إلى فريقين يختلفان في الأنظمة السياسية والعسكرية والاقتصادية إنما نشأ في الأصل نتيجة للاختلاف الأيديولوجي ونعني به الاختلاف في العقائد والافكار .

والثقافة هي البوابة التي تنصهر فيها التيارات الفكرية التي تسود مجتمعاً معيناً فتميزه عن سائر المجتمعات ، وتقيم بينه وبينها حواجز من اختلاف النظر والحكم على الأمور .

ومن هنا تبرز أهمية معالجة الانقسام الدولي في الميدان الثقافي وما يستتبعه من إذكاء لهيب الصراع في الحرب الباردة فكما أن الخلاف في هذا الميدان كان من عوامل الاختلاف في مختلف النظم ، فإن الحد منه أو تصفيته من أسباب إزالة الجفوة بين المعسكرين والتخفيف بالتالي من حدة الصراع والتهديد لجو من الثقة المتبادلة في سبيل استتباب الأمن الدولي ودمم السلام وتحقيق الرخاء للبشرية .

دور الفكر والثقافة في التطور الإنساني
فن نافذة القول أن نقرر ما للفكر من شأن بالغ في تطور البشرية حتى ليعد بمثابة البنيان الأعلى للمجتمع والإطار المعنوي الذي يضم مختلف المبادئ ويشكل أخلاقيات الجماعة وقواعد العرف والسلوك .

ذلك أنه مع التسليم بصحة الرأي القائل إن القضاء على الحرب الباردة قضاء جذرياً يمنع التجارب الذرية ونزع السلاح كفيلاً بإزالة كل ما ترتب عليها من آثار ، وإن الصراع الثقافي في حقيقته لا يعدو أن يكون انعكاساً لهذه الحرب وواحداً من تلك الآثار . مع التسليم بصحة هذا الرأي ، فإن من الخطأ البين أن ندفع هذه الأدوات الفرعية تستفحل بدهوى انتظار الوقت المناسب الذي تهل فيه المشكلة الكبرى ، ولا سيما إذا أدركنا أن هذا الحل يقتضى مرحلة طويلة من الزمن للإعداد له وإخراجه إلى حيز الواقع ، وقد تتدهور الأوضاع الدولية في هذه الأثناء وتتحدر من سيئ إلى أسوأ .

وضع حد للصراع الثقافي :

إن المبادرة إلى وضع حد للصراع الثقافي في حينه تنطوي على جهد إنساني كبير في سبيل إذابة الجليد بين المعسكرين ، وانتزاع الأعشاب الضارة من الطريق ، وتطهير النفوس من رواسب الأحقاد وافتقاد الثقة ، تلك الرواسب التي تقف عقبة كأداء في وجه الجهود المبذولة لتخفيف من حدة الخلاف وإعادة الأمور إلى نصابها وفقاً لمصالح البشرية وتأميناً لمستقبلها .

فالواقع أن منع الصراع في الميدان الثقافي لا يقل أهمية عن حظر استخدام العلم الحديث

الفرد والقيم الإنسانية عند الجماعة . فلا خير في علم لا ينتفع به في صلاح النفس .

وويل للعلماء إذا استخدموا عليهم وهو قس من نور الخالق في غير صالح البشرية ، إن وزرهم حينئذ يبلغ أضعاف ما يقرنه غير العلماء من آثام .

وكما كان المفكرون والعلماء في مجتمع ما ، ذوى نزعات إنسانية تغلب جانب الخير على الشر وتؤمن بمستقبل الإنسان في ظل الحضارة والسلام ، كان هذا المجتمع أقرب إلى المثالية واستطاع أن يقوم بدوره في تحقيق حياة أفضل للإنسانية جماع شعابها والمعتقدات السمحة والقيم الخلقية الفاضلة .

الثقافة - سبيل الإخاء بين الشعوب :
ومن الخير الذي تهدي إليه هذه النزعات الإنسانية أن تباح الثمار العلمية التي جنتها إحدى الجماعات لغيرها من أعضاء الأسرة البشرية وألا تقام الأسوار والحدود لمنع تبادل الفكر والمعرفة بين شعوب الأرض جميعاً ، وألا تستخدم الثقافة في تأريث العداوات والإحسان بين الناس .

فالثقافة رسول المودة ومشعل النور للإنسان وينبغي أن تدع الدول أهل العلم والثقافة أحراراً فلا توجههم لخدمة مطامعها أو تشوه لمتأجهم الفكرى الدعاية لمذهبها أو تفرض عليه الحصار فلا يبلغ غيرها من الدول .

وقد كان للنظريات الفلسفية من قديم . وهي تلك التي نبعت من ممارسة الحياة عن طريق الملاحظة والاستقراء والتجربة والاحتكاك بالواقع - والرسالات السماوية التي أنزلت على الأنبياء ، الدور الأكبر في القضاء على العقبات الطبيعية التي تقف في وجه الإنسان وتحول دون تطلعه إلى آفاق جديدة نسيحة . وكان للبادي والافكار الإنسانية أعظم الأثر في بناء المدنية واستمرار التقدم على مدى العصور والأحقاب .

والثقافة - في انجال القوى - هي الركيزة الأولى في تكوين المجتمع الواحد الذي يتألف من أفراد متجانسين يستظلون بالأبنية العليا التي يشكلها الفكر المشترك وتتحدد تبعاً له علاقاتهم بغيرهم من الجماعات البشرية وطرائق تفكيرهم وتصرفاتهم .

غير أن الثقافة : كما دلت على ذلك الأحداث التاريخية المتعاقبة - سلاح ذو حدين .

فهى إثراء للبشرية وسبيل لتقدمها إذا استخدمت في سبيل الخير .

وهى جناية على الإنسان قد تصل به إلى حافة الهاوية إذا أساء استخدامها فمأى بها أهلها من مقاصدها الحميدة .

فالعلم - وهو أهم روافد الثقافة - مرتبط في ميزان الفكر السليم ، بالقيم الخلقية عند

السمحة فأدركوا أن السبيل إلى تعارف الناس وتعارفهم هو نشر الثقافة الصحيحة والمعرفة الشاملة بينهم ، فإن ذلك خليق بتقويض الضلالات القديمة وخلق واقع جديد للمجتمع الإنساني يسير في هداه حتى يبلغ غايته السامية في توحيد أفراد وضمأن الرفاهية لهم .

الإسلام ثورة ونبية علمية :

وإن حركة التاريخ وتطوره الدائم وما سجلت صفحاته من وقائع وأحداث تشهد جميعا أن الدين الجديد الذي جاء به محمد ، كان ثورة اجتماعية شاملة بأجل معانيها ، ومن ثم وعت رسالة الإسلام الدور الضخم الذي يؤديه العلم ، في بناء الفرد وهو وحدة الأسرة التي تشكل خلية المجتمع ، وأدركت ما تفتحها المعرفة والثقافة من آفاق رحبية نحو مستقبل حر كريم للإنسان ، وما تفجره من طاقات خلاقة في الأفراد والجماعات .

ففتحت المغالق وأزالت السدود التي كانت تقف حائلا في سبيل العلم ، ومهدت له الطريق ليمسلك إلى كل عقل كي يتيمأ لاستقبال الرسالة الإسلامية الكبرى والإيمان بها ، وهي رسالة إنسانية طابعها العلم والحضارة والتقدم . ويتوارد على الخاطر في هذا الصدد ما عرضه الرسول صلى الله عليه وسلم على أسرى المشركين في غزوة بدر من إطلاق سراح من يقتدى

الثقافة في المجتمع الإسلامي :

لقد ازدهرت الثقافة في المجتمع الإسلامي في ظل الدولة الإسلامية الأولى ، وقدمت للعالم حضارة زاهرة تتميز بالخصب والتكامل ، فأخرجت الناس من ظلمات الجهالة والعبودية إلى آفاق الكرامة والحرية والمساواة وكفالة الرزق للجميع في ظل نظم اقتصادية واجتماعية وإدارية تتميز بالكفاية والعدالة وتعمل لصالح العام وفقا لأحكام الشريعة .

وكانت هذه الحضارة على موعد مع التاريخ ، فإن جانبها الإنساني هو أعظم الجوانب وأكثرها إشراقا . ولم يكن العالم في جميع مراحل تطوره أشد حاجة إلى الروح الإنسانية - التي تحقق الخير للجماعة ولا تقدر الفرد تقديسا مطلقا - منه في تلك المرحلة .

فلا غرو أن تقترن الدعوة الإسلامية منذ بدايتها بالهبة الثقافية القائمة على أسس إنسانية كريمة عادلة ، وأن يكون شعارها العلم للجميع ، فهي تقوم على جناحي المادة والروح معا . وقد جاء الإسلام لتعظيم الطغيان وإقامة العدل وإتاحة فرص الحياة للمحررين وإرساء مبادئ الحق والمساواة . وبعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - للناس كافة فدعا إلى وحدانية الله والإخاء بين البشر ، واهتدى أئمة المسلمين بمبادئ الشريعة

ويبحث أهله على الناس الثقافات مهما بعدت
مناهلها، إنما يؤكد بذلك دور الثقافة في تعميق
وعى الفرد والجماعة بشئون العقيدة والحياة
وخلق مجتمع تتحقق لأبنائه العزة والرفاهية .

المحور الأول: التبادل الثقافي :

ويرى الإسلام كذلك إلى صلاح أسر
الأسرة البشرية عن طريق نشر الثقافة المشتركة
وتبادل الفكر بين الناس جميعا ، وهو أقرب
طريق إلى تعارف الأفراد والجماعات وتجانسهم
وتحطيم ما يحول بينهم من أسوار العزلة
والفرقة التي تشقتهم شيئا وأحزابا وتجعل
بعضهم لبعض عدوا . وهذه هي الغاية الكبرى
للعقيدة الإسلامية . فهي عقيدة تحررية كبرى
جاءت لتطلق الفرد والمجتمع من إسار الشرك
بأفقه والإضرار بالخلق ولتبدل ظلمات الناس
وجہالاتهم بنور ، فيصبحوا بنعمة الله إخوانا
متحابين يعملون يدا واحدة في سبيل
التقدم البشري .

وما كان الإسلام ليحقق مقاصده الرشيدة
التي انطوت عليها رسالته العالمية إلا بتحرير
العلم والثقافة من شرور الفتنة والاستغلال
والتناؤد التي تجعل منهما سلاحا مدمرا يشهره
أعداء البشرية في سبيل تحقيق أطامهم
ومصالحهم الذاتية .

لقد فتح الإسلام كل النوافذ والأبواب
ليغشى العلم كل مكان ويعمر كل قلب

منهم نفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين ،
ففي الحق أنها أشبه بغدية النفس بالنفس .
فالجهل عدو النفس البشرية وملقها في ركاب
العدم ، ولكي تبني دولة عليك أن تحرر
النفوس من عبودية الجهالة ، وتضيء بصيرتها
بنور المعرفة فتبعثها من الموت إلى الحياة .

والإسلام منذ نشأته أكبر من أن يخوض
غمار صراع ثقافي ، فالثقافة في شريعته حق
للناس جميعا ، والعلم فريضة وهو أكرم
عند الله من أن يرتزق به أو يحرم منه بشر
أو يصبح ميدانا للاتجار والمساومة ، وإن
آية الرسول الأولى هي «القرآن» الذي حوى
من العلم كل شيء ، وقد جعل الإسلام من
اللسان العربي الذي نزل به القرآن لغة
المعرفة والحضارة .

والمساواة الإسلامية لا تقتصر على
الحقوق السياسية والاقتصادية ، بل تمتد حتى
تشمّل جميع المناحي الاجتماعية وفي مقدمتها
العلم والثقافة . فالعلم حق للإنسان لا يقل
شأنا عن حقه في الحياة الحرة والعيش الآمن
السكريم ، فإنه لا حرية ولا كرامة في ظل
الجهالة ، والسبيل الحق لنهضة الجماعة هو نشر
الوعي والمعرفة بين أبنائها جميعا .

والإسلام حين يجعل طلب العلم في مرتبة
الفرائض ، ويعمل من منزلة العلماء ، ويجعل
من المساجد مدارس لتلقى أصول المعرفة ،

المسلمون الأوائل في سبيل قضية العلم ، إيماناً منهم بقديسته وفهما لرسالته .

فالإسلام هو دين العلم والعمل وهو - بطبيعته - دعوة إلى الحق صدح بها صاحبها للعالم بأسره . فليضرب أبنائه في فجاج الأرض ، ولينهلوا من منابع العلم مهما بعدت المسافة وشقت الطريق وليكن البحث العلمي رائدهم في حلهم وترحالهم ذلك أدنى أن يحقق غاية من أنبل الغايات التي تتوخاها العقيدة الإسلامية . فالمسلم في سعيه إلى المعرفة يرتاد آفاقاً جديدة ، ويختلط بأشخاص وجماعات كانت تفصله عنهم هوائق وحوارج شتى . فيتم بذلك لقاء فكري خالص لوجه الحقيقة صادر عن أكرم حوافز النفس البشرية وهي التأخي والتعاون في الكشف عن خبايا الطبيعة وحقائق المجهول . ولا ريب أن هذا اللقاء الفكري يقرب بين الطوائع المتنافرة ويؤلف بين المذاهب المتناقضة ، ويسفر عن نتائج إيجابية للعمل المشترك في سبيل الصالح العام للبشرية . فهو يوثق العلاقات بين الناس ، ويقيم الروابط الودية والصلات الحميدة فتتضاءل مسافة الخلف بينهم ، ويفتح السبيل للتوفيق والمصالحة وحسم المنازعات ؟

رائد : حسن فتح الباب

وخصه بأكرم الأماكن وهي بيوت الله ، وجعل موضعه من المجتمع بمنزلة الروح من الجسد . ولم يحرم الإسلام حتى عاداته من حق التزود بالمعرفة لعلمهم لإذا سقنارت بصائرهم وشفقت ضمائرهم أن يفيثوا إلى الحق ويجهنوا الشر والعدوان . وقد أدرك المسلمون الأوائل أن الانقسام الفكري هو شر المحن التي تبتلي بها البشرية فهو فرع من شجرة الحقد والبغضاء والنزوات الشريرة ، وأن القضاء على هذا الانقسام كفيل بتقريب شقة الخلاف بين الناس ورمد جسر للتفاهم والتجاوب والمودعة .

ومن ثم كان التبادل الثقافي من أهم الأسلحة التي حاربت بها الدولة الإسلامية في عصورها الزاهرة عوامل الشر والعدوان حتى تهيا لها تحقيق غاياتها من خلق مجتمع متكافل حرو وعزيز الأمن والسلام في العالم ، وقد استخدمت هذا السلاح في موضعه - فلم تجنح به إلى غير ما قصد به . فلا تمييز بين الناس في حق التعلم والتزود من المعرفة ، ولا عصبية ، ولا طغيان ، بل مساواة وعدل يظللان الخصوم والأصدقاء . وفي سبيل تحقيق رسالة الإسلام في تطهير النفس البشرية وإشاعة المساواة في كافة أرجاء العالم ونشر مبادئ الإخاء بين أبناء الأرض على اختلاف أجناسهم وألوانهم ورتباين ألسنتهم ونزعاتهم ، سجل الإسلام في صفحته الخالدة أعظم المواقف التي ألزمتها

بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

للأستاذ محمد عبد الوهاب

- ٦ -

الله به ، وليدين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ، (٣) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مثالا كاملا للوفاء بالعهد في سيرته وفي علاقته مع الناس ومعاهداته مع المحاربين والأعداء ، فلم يخص عليه غدره قط ، وقد سمعت في المقال السابق نبيه المؤكد لقواد الجيوش والسرايا عن الغدر والخيانة ، وثبت عنه أنه قال : (إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال هذه غدره فلان) رواء البخاري ومسلم ، بل بلغ صلوات الله وسلامه عليه غاية السمو الإنساني والخلق حينما أمر بعض أصحابه بالوفاء بالعهد الذي أخذه عليهم الكفار مع ما يترتب عليه من تقليل سواد المسلمين في أول غزوة وأهمها في الإسلام .

روى مسلم في صحيحه بسنده عن حذيفة قال : ما منعتني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي « حسيل » - والد حذيفة - قال :

من كثرة في العدد والعدة وما تملك من آلات الدمار والحراب أو الحرس على أن تكون هكذا فاعتبروا يا أولى الأبصار .

(٣) النحل : ٩١ - ٩٢ .

الجانب الإنساني والوطني

في القسريات الإسلامية

في المقال السابق تكلمت عن بعض الجوانب الإنسانية في الإسلام ولما ينته الحديث ، واليوم سأتناول بعض الجوانب الأخرى فأقول وبالله التوفيق :

لقد أوجب الإسلام الوفاء بالعهد حتى ولو كانت مع الأعداء ، أو منهم ، وحرم الغدر بجميع صورته ، ففي الكتاب الكريم : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً » (١) وقال سبحانه : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ، إن الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالأئمة نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ، أن تكون أمة هي أربى من أمة (٢) ، إنما يبلوكم

(١) الإسراء : ٣٤ .

(٢) ومصدق هذا القول الحق ما نعلمه من نقض الدول الكبيرة لعهود الدول الصغيرة ونبذهم لها ما دام في هذا مصلحة وإرضاء لنزوات الدول الكبيرة ، وإثراء على حساب الدول الصغيرة ، وعلة الملل في هذا النقض ما تتمتع به الدول الكبيرة

ومن المثل العليا في هذا الباب - باب إعلان الأعداء قبل الهجوم - ما حدث في جيش كان يتولى إمرته السيد الجليل معاوية - رضى الله عنه - روى الإمام أحمد في مسنده عن سليم بن عامر قال : كان معاوية يسير في أرض الروم ، وكان بينه وبينهم أمد - أى عهد - فأراد أن يدنو منهم ، فإذا انقضى الأمد غرم - أى أخذهم على غرة - فإذا شبح على دابة يقول : الله أكبر ، الله أكبر ، وقاه لا غدر ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من كان بينه وبين قوم عهد ، فلا يحلن عقدة ، ولا يشدها حتى ينقضى أمدها ، أو يفند إليهم على سواء) . فبلغ ذلك معاوية فرجع ، فإذا الشيخ هو (عمرو بن عتبة) رضى الله تعالى عنه .

فأين من هذه التشريعات الإسلامية في المعاهدات والحروب التي شرعت وطبقت تطبيقاً دقيقاً منذ قرابة أربعة عشر قرناً هجرياً - القوانين الوضعية التي انتهت إليها حضارة القرن العشرين في الحروب والمعاهدات والتي لا تعدو أن تكون حبرا على ورق ؟ !

إن إنسانية نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه بلغت الغاية في السمو والترفع عن الأحقاد والعداوات حيناً مر على النبي صلى الله عليه وسلم بجنادة فقام لها ، فقالوا له :

فأخذنا كفار قريش قالوا : إنكم تريدون محمداً فقلنا : ما نريده وما نريد إلا المدينة ، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر فقال : د انصرفا ، نفي لهم بمهدم ، ونستعين الله عليهم . فهل لهذا مثيل في غير شريعة الإسلام ؟ !

ومن تشريعات الإسلام في هذا ، التي يعتبر نسيج وحده فيها أنه يلزم المسلمين إذا كان بينهم وبين غيرهم من الدول عهود ، ولاحت لهم أمارات نقضها من جانب الأعداء ألا يسارعواهم بالنقض ، ويأخذوهم على غرة ، بل لا بد من إعلانهم أولاً بنقض العهد حتى يأخذوا أهبتهم ، ويكونوا على علم به . قال سبحانه وتعالى : د ولما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ، () أى أعلمهم قبل الهجوم عليهم بنقض العهد حتى تكونوا أنتم وهم سواء في هذا العلم ، وهذا الأدب الإسلامى في الحروب لم تصل إليه دول الحضارة في القرن العشرين ، ولعلنا على ذكر مما جرى في الحربين العالميتين في قرننا هذا من نقض وغدر وهجوم من غير سابق إنذار ، ولا يزال هذا ديدنهم ما داموا لا يحتسبون إلى شريعة الرحمن ، شريعة الإيمان ، والعدل والرحمة ، والوفاء .

على الإنسان بل تعدته إلى الحيوان والرقب به ، والإحسان إليه فقد جعلت ما يأكله الحيوان أو الطير من زرع إنسان صدقة وسأوت بين الإنسان والحيوان في هذا ، ففي صحيح البخارى عن أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما من مسلم يزرع زرعاً ، أو يغرس غرساً ، فيأكل منه طير ، أو إنسان ، أو بهيمة إلا كان له به صدقة) وأمر الشارع بعدم إيذاء الحيوان والطير هذ الذبح ، ففي الحديث الذى رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ^(١) ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته) وجعل تعذيب الحيوان سبباً في دخول النار ، ففي الصحيحين مرفوعاً (عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وصقتها إذ حبستها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) ^(٢) .

كما جعل الرحمة بالحيوان سبباً لدخول الجنة ففي صحيح البخارى مرفوعاً (بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فزل فشرب منها ، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث : يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد

يا رسول الله إنها جنازة يهودى فقال النبي : أليست نفساً منقوسة ١١٩

بل إن إنسانية التشريعات الإسلامية تتجلى أيضاً في رعاية حرمة الإنسان في حياته وبعد مماته ، بل وفي عدم النيل من الموتى أو سبهم ، أو التمثيل بهم أو إهانتهم .

ففي الحديث الذى رواه البخارى في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تسبوا الأموات فقد أفضوا إلى ما قدموا) يعنى من حمل ، وإذا كان نهى عن سبهم فن باب أولى عن التمثيل بهم ، وتتجلى إنسانية الشريعة الإسلامية أيضاً في قيام المسؤولية الجنائية تجاه الأحياء دون الأموات ، وتجاه الإنسان العاقل دون الحيوان والجماد .

ولعلك تعجب حقاً إذا علمت أن عقوبة الحيوان والجماد قد أقرتها الشريعة اليهودية ، وقوانين اليونان ، والرومان والفرس في العصور القديمة ، كما أقرت عقوبة الحيوان قوانين الأمم الأوروبية المسيحية في العصور الوسطى ، وصدر العصور الحديثة ، وهكذا يتبين لنا سمو الشريعة الإسلامية عن الشريعة اليهودية والقوانين الوضعية السابقة ، وسبقها للقوانين الحديثة بتقرير هذا الأصل بأكثر من عشرة قرون ، وتبلغ التشريعات الإسلامية غاية مداها في الرحمة حينما لم تقصر تشريعاتها

(١) يني حدا أو قصاصاً .

(٢) هوامها وحشراتنا والواحدة خشاشه .

هذه التشريعات الإسلامية الرحيمة ما تقره بعض التشريعات الوضعية في بعض الدول في قرننا العشرين من التحريش بين بعض الحيوانات والطيور حتى تسقط صريعة الجراح والآلام ، ومن اتخاذ بعض الطيور غرضا يرمى ، ولا غرض لهم في هذا إلا التلهي والقسلية ، وهكذا لم تصل بعض القوانين الوضعية المعاصرة إلى ما وصلت إليه الشريعة الإسلامية من قرابة أربعة عشر قرنا ، وإذا كانت القوانين الوضعية الحديثة قامت على رعاية الجوانب الإنسانية فهذا أمر لم تعرفه إلا بعد القرن الثامن عشر ، وأغلب الظن أن تكون تأثرت - فيما تأثرت به - بالشريعة الإسلامية فقد كان للاتصال بين الشرق والغرب آثاره في كل منهما ، وإليك كلام رجل عالم بالشريعة والقانون قال : (ولا يفوتنا بعد هذا أن نذكر أن القانون الوضعي كان حتى آخر القرن الثامن عشر قانونا وحشيا بعيدا عن أفق الإنسانية ، فكان يحاكم الأحياء والأموات ، والحيوان والجماد ، وينزل بالجميع عقوبات شتى قائمة على التمثيل والتشهير ، كان القانون الوضعي هكذا حتى أخذ في القرن الثامن عشر بأول مبدأ من مبادئ الشريعة الإسلامية فانقلب قانونا إنسانيا محمدا ، إذ أصبحت العقوبة فيه قائمة على أساس التأديب والزرع بقصد حماية

بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فزل البئر فلاحقه ، ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له) وفي رواية (فأدخله الجنة) قالوا يا رسول الله : وإن لنا في البهائم لأجرا فقال (في كل ذات كبد رطبة أجر) ونهى الإسلام أن يتخذ كل ذي روح غرضا روى البخاري ومسلم عن ابن عمر : أنه مر بفتيان من قریش قد نصبوا طيرا وهم يرمونه ، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا أى هدفا يرمى إليه ورويا أيضا عن أنس قال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصبر البهائم) يعنى تحبس لتقتل ، ويسمى الإسلام في معاملة الحيوان فينهى الرسول أصحابه أن يلعنوا حيوانا وأمرهم أن يسان وجهه عن المثلة والتقبيح إذا ما اضطروا إلى كيه للاستشفاء ، وقد صار الرفق بالحيوان مما يدخل في الحسبة في الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم ، وكان يعز من لا يرفق به . روى ابن الجوزي عن المسيب بن دارم قال : رأيت عمر - ابن الخطاب - رضى الله عنه - يضرب حمالا ويقول : حملك جملك مالا يطيق . فأين من

المجتمع ، ولم تعد هناك حاجة للتمثيل والتشهير ، ولم يعد منطق القانون يقبل محاكمة الأموات والحيوانات والجمادات ، وهذا المبدأ الأول الذى لم يعترفه القانون إلا فى القرن الثامن عشر عرفته الشريعة مع غيره من المبادئ من القرن السابع الميلادى ، ولذلك تركزت المسؤولية الجنائية من يوم نزول الشريعة فى الإنسان الحى ، ولم يحمل غيره أهلاً ولم يعرف عن الشريعة ما عرف عن القانون من محاكمة الأموات والحيوان والجماد ، ولم يعرف عنها أنها تقبل التشهير

والتمثيل ، بل عرف عنها أنها تأباه أشد الإباء ، ... ويكفى الشريعة الإسلامية نفراً بعد هذا أنها سبقت تفكير العالم بأحد عشر قرناً وأن العالم يسير على آثارها من قرنين ، ولا تزال تسبق تفكيره بمراحل ، (١) .

هذا ولا يزال فى المقارنات مجال ومجال فإلى المقال الآتى إن شاء الله تعالى ؟

محمد محمد أبو شهبة

(١) التصريح الجنائى الإسلامى مفارنا بالقانون
الوضعى ج ١ ص ٦٢٨ .

الإسلام والأئتمان المصرفى

أقترح أن يحل التكافل الوثيق بين طبقات المجتمع الإسلامى بالنسبة للقروض الاستهلاكية ، والتعاون المثمر بين رأس المال والعمل بالنسبة للقروض الإنتاجية ، محل بعض وظائف النظام المصرفى السائد فى الاقتصاد الغربى .

فالزكاة والإنفاق فى سبيل الله ، سوف يقضيان على الحاجة إلى عقد قروض استهلاكية ربوية . أما فى القروض الإنتاجية فالمال الذى أودعه صاحبه فى بنك لن ينال عنه د فائدة ، ثابتة تنقسم بسمات الربا المخبى عنه ، بل ربما عادلاً يتسكفاً مع الدور الذى أداه ماله فى التنمية الاقتصادية . وهذا بلا شك تشجيع كاف لكل مدخر على موالاة الادخار - العنصر الأساسى فى تكوين رأس المال القومى .

والبنك من جانب آخر - بما فيه مساهميه - سينال ربحه المشروع جزاء وفاقاً على ما بذل من جهد وبصير وفطنة واعية فى توجيه مال المساهمين ومال المودعين فى استثمارات مجزية ، هذه الروح التعاونية التى تجمع بين رأس المال والعمل فى تحالف سليم هى روح إسلامية خالصة .

الدكتور محمد عبد الله العربى
المستشار القانونى للمؤتمر الإسلامى

[من محاضرة بجامعة الإمام محمد عبده]

النَّصُور السِّيَاسِيّ

في شعْر ذكريّات الهجرة الحديث

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

من ملوك تلك الأقطار التي سادها الإسلام ،
أو من ساداتها على استعداد لأن يذهب إلى
المدينة المنورة ليعلن تنازله عن سلطانه
وجاهه إلى خليفة المسلمين ، أو يدخل
في مبادئ الدين الجديد .

وحسنا صنعت الشعوب الإسلامية
في الاحتفال بذكرى الهجرة ، لما في هذه
الذكرى من عبر ، وإلهام باستمرار الكفاح
والجهاد في سبيل الدفاع عن الحق ، ومناصرة
المظلومين ، وطلب العزة والكرامة .

والمعروف أن الاحتفال بأواسم الإسلامية
- غير العيدين - وعلى رأسها الاحتفال بالمولد
النبي الشريف ، قد بدأ من عصر الفاطميين
بمصر ، ومن تلك المواسم كان الاحتفال
برأس العام الهجري (١) .

وفي أوائل عصرنا الحديث كان الاحتفال
بمناسبة الهجرة قاصراً على رفع التهانى
للخديويين والحكام كسائر المناسبات الأخرى .
وكان الشعراء يتخذون من هذه المناسبات

لقد أصاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه
حينما اختار يوم الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامى
لإذ كانت هذه الهجرة المباركة فتحاً مبيناً للدعوة
الإسلامية ، واتخذ المسلمون منها قدوة
في نشر دينهم في الأقطار ، فخرجوا بعد أن
رست قواعد هذا الدين الحالد إلى العراق ،
وإلى بلاد الفرس والشام وغيرها ، مهاجرين
بمبادئهم القويمة ، هاجرين أو طائنين ، متمثلين
قول الله تعالى : « ومن يهاجر في سبيل الله
يجد في الأرض مراعماً كثيرة وسعة ، ومن
يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم
يدركه الموت ، فقد وقع أجره على الله ،
وكان الله غفوراً رحيماً » (١) .

ولولا تلك الهجرات الأولى ، وما قصد
إليه المهاجرون من رغبة صادقة في إعلاء
كلمة الحق ، ونشر مبادئ الإسلام التي تشيع
الحرية والعدالة والمساواة بين الناس ، وتكف
أيدي أقويائهم عن ضعفائهم ... لولا تلك
الهجرات ما انتشر الإسلام ، وما كان أحد

(١) راجع خطط الأقرىزى ج ٢ ص ٢٨٤ وما بعدها .

(١) سورة النساء ١٠٠ .

قصرت عليك العمر وهو قصير
وغالبت فيك الشوق وهو قدبر
وبعد أن يسكيل المدح والثناء ، يبين عن
غرضه ، ويعرض حاجته فى ضراعة :

عسى ذلك العام الجديد يسرنى
ببشرى ، وهـ لى للبائسين بشير
وينظر لى رب الاربيكة نظرة
بها ينجلي ليل الاسى وينير

لخ أما عبرة الهجرة وما فيها من دروس ،
فلا شئ من ذلك ، ولكن بعد أن أخذ
الوعى الإسلامى طريقه إلى النفوس ، وبعد
أن تنفس الناس قليلا فى ظلال دعاوى الحرية
التي ملأت الأجواء بخطب مصطفى كامل
وكتابات اللواء ... وبعد أن ضاق الناس
ذرا بما يملأ أسماعهم عن أجداد أوروبا ،
وانحطاط الشرق ... وبعد أن تجاوزت
أصداء البعث الإسلامى فى دعاى جمال الدين
الأفغانى ومصطفى كامل ومحمد عبده ... عند
ذلك انجست الأنظار إلى ماضى الأمة الإسلامية ،
وركزت الأنظار بنوع خاص حول يوم
الهجرة النبوية وبدأ الشباب يعنون بالاحتفال
بذكرى هذا اليوم لما فهموه منه من معانى
البطولة والتضحية والإيثار ، وما فيه من
إلهامات تدعو إلى اليقظة والكفاح .

وقد كانت أولى مظاهر الاحتفال بهذا اليوم ،

فرصا يرفعون فيها المدائح إلى الحكام متزلفين
متقربين لينالوا حظوة عند حاكم أو عظيم
دون أن يلتفتوا إلى ما فى مناسبة الهجرة مثلاً
من عبر ، وصور حية للكفاح والجهاد ،
أو يوجهوا نظر أحد لذلك .

فنجده مثلاً السيد على أبو النصر ، أحد
الشعراء المقربين إلى الخديو إسماعيل يرفع
إليه تهنئة بمناسبة حلول الهلال لمطلع عام
١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) يقول فى مطلعها :

أراك أراك الحى تحمل غردا
فهل كلما غفنتك تذكر خردا (١)

وبعد أن يسكيل المدح والثناء للخديو ؛
ويخلع عليه ما شاء خياله أن يخلع من صفات ،
يعود فيذكر مناسبة الهجرة فى بيتين ، لا أثر
فيهما لإشارة ما ، عما فى الهجرة من معانٍ وهجر :

وقد أقبل العام الجديد بسعده
يقول له : أبشر ، فلا كانت بعيدا

فحق على مثلى ببشره به
وينظم فى بشراه دراً منضدا

وحافظ إبراهيم يهنيء عباساً بمطلع العام
الهجرى ١٣٢٢ الموافق ١٩٠٤ بقصيدة
يقول فى مطلعها :

(١) أراك الأولى : فعل ومفعول به ، والثانية
منادى ، وهى شجر الأراك الذى تتخذ منه عيدان
السواك .

بأسمائها لم يترك تركيا ولا فارس ولا تونس
ولا المغرب ولا جاوة ... ومطلع هذه
القصيدة :

أطل على الأكوان والخلق تنظر
هلال رآه المسلمون فكبروا
تجلى لهم في صورة زاد حسننا
على الدهر حسنا . أنها تتجدد

وبعد أن أشار إلى ما حدث في العام
المنتهى بكل قطر إسلامي سواء بالعزة
والخير كقوله :

وفي دولة الأفغان كانت شهره
وأيامه بالسعد والين تزه

وفيه بدت في أفق جاوة لمعة
أضاءت لأهلها السيل فكبروا

أو بوال الملك ممن لم يحسنوا عليه القيام
كما حدث للملك مراکش الذي عرف
بالتعاون حينذاك :

وفيه هوى (عبد العزيز) وعرشه
وأخفى عليه الدهر والأمر مدبر

ولا عجب أن ثل عرش ممالك
قوائمه عود ودف ومزهر

بعد ذلك اتجه يتحدث عن التصوير
السياسي في مصر وتوثب المصريين ضد
الانجليز ، معتبرا أن ضغط كرومر كان خيرا

ذلك الاحتفال الرائع الذي أقامه شباب
المدارس الثانوية بدار التمثيل بالقاهرة في مطلع
عام ١٢٢٦ الموافق ١٩٠٨ ، وقد ألقى في هذا
الحفل الكثير من الخطب والقصائد من
مندوبي الطلبة وغيرهم ، ثم أخذ الشعراء
يتحدثون عن روعة هذا الاحتفال ، وما
يبشر به من بعث وسجلوا ذلك التوثب ضد
سياسة الاستعمار .

وبعد أن ذاع نجاح هذا الاحتفال الذي
يعتبر مؤتمرا سياسيا هاما ، وبعد أن تهيأت
النفوس لتقبل مايلقى في هذا المؤتمر من خطب
وأشعار تبعث الشجاعة في نفوس المترددين ..

عند ذلك اضطرت الحكومة إلى بحساراة
الشعور العام فأصدر مجلس الوزراء (برئاسة
بطرس غالى) قرارا في يناير ١٩٠٩ وكان
قد حل مطلع العام الهجرى ١٣٢٧ واعتبر
ذلك القرار يوم الهجرة عيداً رسمياً تعطل فيه
مصالح الحكومة والمدارس . وفي مطلع ذلك

العام أقيم أول احتفال رسمي بدار التمثيل
أيضا ، وقد ألقى فيه حافظ إبراهيم قصيدة
عامة لم يكن ميدانها تمجيد الخديو كما كان في
الماضى ، بل إن تيار الأحداث قد جرفه ،
فاندمج في الجو السياسى العام للأمة الإسلامية
وراح يصور أحداث مصر وسائر الأقطار
الإسلامية قطراً قطراً . سجلها في قصيدته

لأنه وجهه نظر المصريين وحفزهم إلى الانفجار :

وفيه سرت في مصر روح جديدة

مباركة عن عبء تتسعر

خبث زمنا حتى توهمت أنها

تجافت عن الإبراء^(١)، لولا (كرومر)

تصدى فأدراها ، ومهيات أن يرى

سيلا إلى إخمادها وهي تزفر

مضى زمن التنويم يا نيل وانقضى

ففي مصر إيقاظ على مصر تسهر

فلما كان العام التالي أنشد قصيدة مطلعها :

لي فيك حين بدا سنك وأشرق

أمل سألت الله أن يتحققا

وفي ذلك العام (١٩١٠ / ١٣٢٨) كانت

المناقشات تدور حول مدى امتياز قناة

السويس ثم إن الانجليز قيدوا الصحافة ...

وفي هذه القصيدة نجد حافظا يصرح بهذا

الضغط السياسي ، غير عابئ برهبة سلطان

الإنجليز ، ولعله استمد حريته هذه من

تحرره من قيود الوظائف لأنه في العام

التالي (١٩١١) عين بدار السكتب فلم يقل

بيتاً واحداً في مناسبة الهجرة إلى عام ١٩٣٢

(١) الإبراء : مأخوذة من أوردى الزند : أخرج

ناره . والتعبير هنا مجازي والمراد ثورة النفوس

بمامل الضغط .

حينما انتقل إلى رحمة الله . استمع إلى تصويره
في قصيدة ١٩١٠ وهي آخر قصائده الثلاثة
في هذه المناسبة :

حصدت مناجله غرائس رجائنا

ولو أبها أبت عليه لأورقا^(١)

فتقيدت فيه الصحافة عنوة

ومشى الهوى بين الرعية مطلقا

وأنى يساوم في القناة خديعة

ولو أنها تمت لتم بها الشقا

إن البلية أن تباع وتشتري

مصر وما فيها . وألا تنطقا

كانت تواسينا على آلامنا

صحف . إذا نزل البلاء وأطبقا

وفي العام التالي (١٩١١ / ١٣٢٩) أنشد

المرحوم عبد الحليم المصري قصيدة مطلعها :

الله أكبر لاحت طلعة القمر

فاستقبلوه بمحمد الله والصور

وبعد أن تحدث عن حرب طرابلس ،

وفظائع الطليان الذين انتهزوا فرصة انشغال

الحليفة بثورة في الين واضطاراه لسحب

جيش طرابلس فهجموا عليها مطمئنين لموافقة

الانجليز ، بعد ذلك اتجه إلى تصوير الأحوال

السياسية في مصر ، وكيف أن الانجليز

(١) الضمير إلى العام للنتهى .

في مناسبات الهجرة يتطور بتطور الظروف
وتزداد صراحتهم عاما بعد عام :

في عام ١٩١٩ إبان اشتعال الثورة المصرية
أطل على العالم هلال عام ١٣٣٨ ، وهنا انبرى
المرحوم أحمد محرم يحمي هذا الهلال مصورا
ظروف البلاد في تلك الفترة وقسوة الانجليز
في قتل الأبرياء بغير حساب ، مصورا كذلك
وحدة الأمة ووقوفها صفوا وحدا ضد الطغيان
منهكما بوعود الانجليز وما أذاعوه من مبادئ
تقرير المصير على لسان ولسون لتخدير
الشعوب ، حافظاً هم المصريين ومطلعها :

حيوا الهلال وحيوا أمة النيل
واستقبلوا العيد عيد العصر والجيل
ومنها في تصوير وحدة الأمة ووقوفها
صفوا واحدا :

قالوا : أقاطيع يغشى النذل ساحتها
فاهتاجت الأسد تحمي عزة النيل
وأقبلت مصر يمشي أهلها زمرا
من حاشدين ، ومن شق أبابيل
لم تبق في خدرها بيضاء ناعمة
من العساذى ولا العوذ المطافيل
يهتفن : مصر ، ومصر كل منجبة
ومنجب من بنها غير موصول
ومنها في التكم بمبادئ ولسون وإخلاف
الانجليز وعودهم :

يستولون على خيراتها ويتركون أهلها في فقر
حافظاً هم المصريين :

يأبها العلم المصرى : طل شرفا
لا زال ظلك مدوداً على النهر
نغديك من خافق كالقلب إن وقفت

به الصباية بين الوجد والحصر
يا شعب : إنك في عهد إذا طلعت

به نيرات الليل لم تنر
فكن وقلبك أنى كان منبعا

تجد من النفع ما تخشى من الضرر
أنحرت الأرض في مصر ونزرعها

ويجتنى القوم فيها يانع الثمر^(١)
ولقد وجد الشعراء في مناسبة الهجرة

متنفسا يعبرون قيه عما يجيش في نفوسهم
ونفوس الشعب من مآسى الاحتلال ، وظلم

الانجليز ، وخنقهم للحريات . . وكان الشعر
بذلك منبراً عاما ، وحي يلبأ إليه الشعراء

ليمتدثوا إلى حدا ما عن سياسة الحكومة
والاحتلال في زمن كان الحديث في السياسة

محظورا فيه على مختلف طوائف الأمة إلا
من يسمح له المستعمرون في حدود أهوائهم

أو يخرج على قيود السلطات فيلقى به في
غيابات السجون .

وقد أخذ تصوير الشعراء للأحوال السياسية

(١) يعني بالقوم : الانجليز .

فلما كان عام ١٩٣٦ وامتلأ الجو السياسى
فى مصر بما دار حول المعاهدة البريطانية التى
وقعت حينذاك ، سجل كثير من الشعراء ذلك
الجو فى ظلال قصائد الهجرة والمولد النبوى ،
ولمحرم فى تلك المناسبة كثير من الشعر
الصادق فى تصوير الشعور العام ومن ذلك
قصيدة كبرى فى ذكرى الهجرة عام ١٣٥٦
(أوائل ١٩٣٧) بعد أن وقعت المعاهدة
وقد وضح فى هذه القصيدة أن الحقوق
لا تؤخذ بالأقوال ، وإنما لغنة السيوف
هى الفصيل فى كل خلاف بين عات متجبر
ومطالب بحقوقه ، ضاربا المثل من كفاح
الرسول الكريم ، ومطلعها .

أقبل ، عليك من الشعوب سلام
فزع الصليب إليك والإسلام
ويسجل فى هذه القصيدة ما ينبغى أن تكون
عليه الأمة الإسلامية اقتداء بما ضيها الجيد :
اضرب لنا مثل الجهاد ، ومر بنا
نغشى الوقائع ، فالحياة صدام
هل أسلم الهادى الأمين قياده
أم كان منه النقص والإبرام
رفع الحياة على أساس صالح
والسيف ركن ، والكتاب إمام
(أحد) و(بدو) شاهدان ، فاعلى
من يسفح الدم فى الحقوق ملام

قالوا : السلام فهز الكون صارخهم
عن منهل بدم الأبطال معلول
واسترسلت ترفع النجوى وتنفضها
أيدي اليتامى ، وأفواه المراميل
وبشرونا بما سن (الرئيس) لنا
من شرعة ذات تبيان وتفصيل^(١)

لو قيل : يوم يقوم الناس موعدا
قالوا : مساريع راعونا بتعجيل
ومنها فى حفز همم المصريين وأنهم رجال
بأس سيصلون إلى حقوقهم :

إنا لعمر الألى ظنوا الظنون بنا
لا بالضعاف ولا القوم التنايل
نسمو إلى الشرف الأعلى ويرفعنا
بجد لنا لم نرده غير تأئيل
راس على الدهر إن جاشت زلازله

توهى الجبال ، وترمى بتحويل
نصون مصر ونحميها بما علبت
من الدروع العوالى والسرايل
يا مصر : عامك هام الخير فارقتي
فيه المنى ، وثقى منه بتحويل
ما أخلف الله من وعد ، ولا كذبت

آمال شعب بلطف الله مشمول

(١) يشير إلى مبادئ ولبن الأمريكى التى نادى
بها سنة ١٩١٨ متضمنة « حق الشعوب فى تقرير
مصائرهما » .

تلك المشاهد : جال فيها مصحف

أم جال فيها مصحف وحسام
ومن طرائف هذه الألوان في التصوير
السياسي صورة رسمها الأستاذ محمود غنيم
لأوسوليني عندما ادعى أنه د حامى حمى
الإسلام ، وذلك من قصيدة إبان الحرب
العالمية الثانية (١٣٦٠ هـ) .

يا شاهرا لحماية الإسه

لام سيف ابن الوليد
جددت في لوبيا سنا
بغداد في عصر الرشيد
وظهرت في هدى الحسين
وأنت أشقى من يزيد
هلا تركت حماية الإسه

لام لله الحميد ؟ ملخ ...
وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية
أوزارها في منتصف عام ١٩٤٥ هل عام
١٣٦٥ فأنشد الأستاذ غنيم قصيدة كبرى
سجل فيها اليةطة العربية والدعوة إلى الوحدة ،
ومن هذه القصيدة :

ذكرى وموعظة ، أسوقهما إلى
قوى ، فهل تقوم سمع واع ؟
هل يجمعون على الخطوب أمورهم
فالخير كل الخير في الإجماع
أبناء يعرب : لا حياة لأمة
بالذكريات ، بل الحياة مساع

فشبو إلى الأهداف وثب مغامر

لا واجب قلبا ، ولا مرتاع ...
تلك هى بعض الأمثلة من شعرنا الحديث
في ذكريات الهجرة في فترة ما قبل الثورة
المباركة ، وقد رأينا فيها كيف تجاوب الشعراء
مع الأحداث السياسية التي مرت بها البلاد ،
وسجلوا في شعرهم صوراً رائعة لتطور
الظروف العامة ، وأبرزوا آمال الشعب
في أن يحيا حياة كريمة ، ويتخلص من أدران
الاحتلال ، حتى قبض الله لهذه الأمة رجالا
من أبنائها الكرام ، وحقق على أيديهم تلك
الآمال العراض في ذلك اليوم المجيد الذى
انبثق ضوؤه قويا وهاجاً في ٢٣ يوليو
سنة ١٩٥٢ .

ولقد اتجه التصوير السياسي في شعر ما بعد
الثورة وجهة جديدة تتمشى وتطور الظروف
الجديدة ، إذ ظهرت أمور شغلت الأذهان :
كالجلاء ، والنصر في العدوان الثلاثي ، والدفع
الثورى في ميادين الاقتصاد والتشريعات
الاجتماعية ، وإبراز ما يترتب على وحدة
الشعوب العربية من آثار تحقق عزتها
وسيادتها . ولقد أسهم الشعراء في تصوير
كل ذلك .

وسنكتفي هنا بعرض أبيات من نموذجين
أحدهما حول قضية فلسطين وعودة اللاجئين ،
والآخر حول قضية الجزائر :

يسترده الحقوق من غاصب ما
شاء إلا مذلة ، فارتداها
وفي مطلع عام ١٣٧٩ (١٩٥٩) وثورة
الجزائر على أشدها ، أنشد قصيدة مطلعها :
هلال العام قد وافى مشيرا
لبن النصر ، قد زف البشائر
إلى أن يقول :

أخى فى الحق : فلتسرع لعون
فذا حق العروة والعشائر
لقد كشفت فرسا عن وجوه
صفاق . وانبرى غل السرائر
أخى : حرية الأوطان خذها
فما نال المطالب غير قادر
إلى أرض العروة نفتديها
فما بالفدا نحمى الجزائر
أخى : فلنضربن واقه يرعى
حمانا . لأنه للحق ناصر
يقين النصر ، فى قلبى أراه

ضياء ساطعا يمجو الدياجر
هكذا حقق الله أمنية الشاعر فى البيت
الآخر إذ تم النصر للجزائر باتفاق إنيان .
اللهم حقق آمال شعوب الأمة العربية فيما
ترجون من عزة وقوة ، وأزل الغشاوة عن
أعين الغافلين . إنك سميع مجيب ؟

المكتوب سعد الدين الجبزاوي

فى أغسطس سنة ١٩٥٦ م زار الأستاذ
عبد الحافظ (١) ريان مدينة غزة ضمن لجنة
امتحان الثانوية العامة ، وهناك رأى من
أحوال اللاجئين ما حفزه على ارتجال قصيدة
فى مناسبة العام الهجرى ١٣٧٦ هـ الذى هل
حينذاك : قال فى مطلعها :

يا هلالا أتى لدنيا معيدا
قصة كان من قديم رواها :
أن فى السكون أنفسا شرها
باتهاك الحقوق تبغى علاها :
قد صحا الشرق يا هلال . فكبر
إن فى العرب من يصون حماها
ومنها :

يا لقلب فى ليله بات يشكو
ويعانى من حال كات دجاها
هاله صرخة لأم جنوب
رمىت من عاد باؤم رماها
ويقول فى ختامها :

وأرى عملاق العروبة لى
لفلسطين دعوة وقدناها (٢)
وأرى الزحف راعدا كالأعاصير
سير العواتى قد طوحت بعدها

(١) للدرس الاول بوزارة التربية والتعليم .
وكان والده من علماء الأزهر الشريف .

(٢) يشير إلى الرئيس جمال عبد الناصر .

الإسلام... في المعركة ضدّ الجوع

(بمناسبة الحملة ضدّ الجوع التي نظمتها منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة)

للأسْتَاذ فـتحى عثمان

« إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ،
وأنت لا تظلم فيها ولا تضحي » .
هكذا جاء عهد الله لأبى البشر ...
وعاش آدم في الجنة لا يكدر ولا يجوع ...
ثم شاءت إرادة الله أن ينقله إلى عالم جديد
ليعيش بطريقة أخرى .
وهبط الإنسان إلى الأرض ... مشحوناً
بطاقة العمل في الكون ، محتاجاً للوقود الذي
يغذو هذه الطاقة .

« ولقد كرّمنا بنى آدم
وحملناهم في البر والبحر
ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » .
كان لا بد أن يعمل لياكل ، فقد انتهى
عهد الجنة التي كان يرزق فيها بغير حساب !
وشهدت الأرض هذه القوة الجديدة ، التي
أخذت مكانها تحت الشمس .

شهدت « الإنسان » ،
وانضادت هذه الطاقة الفريدة إلى ما في هذا
الكون من طاقات ...

وتفاعلت هذه الطاقة مع تلك الطاقات .
وتولدت الحضارة العملاقة ! !

وحاش الإنسان : يعطى ويأخذ ، ويرسل
ويستقبل ، ويبذل ويأكل ... ويفتح بطاقته

والجوع يهدم الشخصية ، ويقضى على
التجاوب الطبيعي بين الإنسان وجميع
مؤثرات بيئته البعيدة عن إشباع غريزة الأكل
ولا يبقى للعوامل الأخرى التي تصوغ
السلوك البشري أى تأثير ، وكذلك تختفى
بالتدريج دوافع المحافظة على الحياة وتحكم
العقل إلى أن تنتهى بانعدام كل حذر وكل

شفاء ! فيينا ينشأ عن الجوع الحاد في العادة نوع من التهيج غير العادي ، نحمد الجوع المزمن يسبب الكآبة والتبدل، والذين يعانون الجوع المزمن سرعان ما يفقدون شهيتهم للطعام ، ولا يعودون يحسون بالجوع ، وبهذا توقف استجابتهم للدوافع التي تحجب العمل إلى الإنسان ! .

والأثر النفسي للجوع المزمن هو أن يكسب غريزة الجنس من الأهمية ما تعوض به عاطفياً فقدان شهية الطعام ، خلافاً للقصور الحاد الذي يقلل الرغبة الجنسية .

والأرقام تبين بوضوح أنه كلما زادت نسبة البروتين هبطت قوة النسل بنفس النسبة ، على أنه كلما زادت نسبة البروتين في الطعام زادت مناعة الصغار ضد الأمراض ، فتقل بينهم نسبة الوفيات ! ...

هذه كلمات منيرة لباحث في معهد التغذية في جامعة البرازيل :

هو جوزويه دى كاسترو ...

وهي تبرز خطر (الجوع) في تهديد (الإنسان) ...

(الإنسان) في حقيقته وكرامته ومعنوياته .. لا مجرد بناءة البيولوجي ! ومن أجل (الإنسان)

... جاء القرآن يعدد نعم الله على الناس ، فقرن التحرر من الجوع إلى التحرر من الخوف ، قرن الجوع إلى الخوف في الابتلاء :

وازع من ضمير ، وعندئذ يستحيل الإنسان حيواناً ضارياً قد سيطرت عليه الحاجة القصوى إلى إثبات وجوده ، فيقاتل ، ويفزو ويدمر .

والشعور بمحنة الجوع ليس متواصلاً بل هو متقطع وله فترات ازدياد ونقصان ، وأول مراحله : الهياج العصبي غير العادي وسرعة الغضب المتناهية وتوتر في الحواس ، يعقبه تلبد في الإحساس واكتئاب شديد وغشيان وعجز عن التركيز .

وثمة ظاهرات اجتماعية متعددة : كقطع الطريق ، والعزلة الكسائية ، والثورات التي لا تنقطع في جهات أخرى ، والدعارة والانحطاط الخلقي — ترجع كلها بدرجات متفاوتة إلى الانحلال الذي يحدثه الجوع في توازن الشخصية البشرية وتكاملها ، وفي خلال تجارب أجراها دكتور كيز ، نشأ عن الجوع التهاب حقيقي في الأعصاب مصحوب بشعور الكراهية للجمع ، فإذا بلغ الجوع ذروته محبته حالة من الهياج والجنون ، عرفها بحارة القرنين السادس عشر والسابع عشر باسم (سعار الجوع) .

وآثار نقص التغذية أو الجوع المزمن على الروح المعنوية أقل وضوحاً من آثار القصور ، لكنها أطول مدى وأصعب

فإن التعبير « بالطيبات » يستلزم أن يكون الطعام :

من كسب مشروع : ليس فيه إخلال بحق فرد آخر أو بحقوق الجماعة .

وأن يكون الطعام طيباً من الوجهتين الغذائية والصحية : بأن يتحقق فيه كفاية المقومات الغذائية اللازمة ، والوقاية من أسباب المرض .

ولم يغفل القرآن الإشارة إلى ما فسيه الآن (بالجوع الجزئي) ... إشارة إلى « شئ من الجوع » وأشار إلى « نقص من الأموال والأنفس والثمرات » !

« والجوع ، كلمة ذات معان عديدة ... الجوع الفردي : سواء في مجاله الفسيولوجي ، أو في مظاهره السيكلولوجية ... والجوع الجماعي ، الجوع المحلي أو العام الذي يتعرض له أعداد هائلة من البشر ... الجوع الكلي :

أى العجز التام الناجم عن نقص الطعام (التضور) والذي يقتصر على مناطق تنزل بها كوارث شديدة أو على ظروف استثنائية ، والجوع الخفي الذى يقضى على بعض الجماعات بالموت البطيء جوعاً لنقص بعض العناصر الغذائية التى لا غنى عنها مع أنهم يشبعون كل يوم ! ... وهذه الأنواع الجزئية الخاصة من الجوع التى كشف العلم الحديث عن نواحيها العديدة فى كل جهة من العالم هو أهم ما يعنى به

« وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، !

ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، !

كذلك قرن القرآن الجوع إلى الخوف عند تعداد النعماء وكشف الضراء :

« فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف ، !

« واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض ، تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم ، وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات ، !

والدين لا يكتفى بأن يحقق للإنسان ما يملأ فراغ المعدة ويقضى ميكانيكياً لحسب على الإحساس بالجوع ...

لأنه يعالِب الإنسان طيبات الرزق .

« يأبى الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم

واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ، . وشكراً لله على نعمته فى الرزق ، وحكمته فى البيان ! .

من أمراض التغذية - وهو الاسم الذي يطلق على أنواع من الجوع الجزئي - قد لا تبين لها أعراض ظاهرة ولو أنها تؤثر في الصحة ، وهناك أنواع أخرى تظهر واضحة في شكل أمراض معينة وهي أمراض نقص الغذاء . وأهم أنواع هذه الأمراض تلك التي تنجم عن نقص مقدار البروتين ، أو بعض المواد الدهنية أو الأملاح المعدنية ، أو الفيتامينات . والذين لا يرضى عن الجوع الجزئي ، كما لا يرضى عن الجوع السكلي ...

لأنه لا يرضى لكرامة الإنسان إلا طيبات الطعام ، على اختلاف الألوان .

« والأنعام خلقها لكم ، فيها داف ومنافع ومنها تأكلون ، ... »

« هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . » وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ، ... »

« وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً . فسكلى واشرب وقرى عينا ، . » وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً ، .

« وإن لكم في الأنعام لعبرة ، نسقكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً

في الدراسة حالياً ... وعلى ذلك فإن الجوع يشمل كل شيء ابتداء من أحوال نقص الغذاء وسوء التغذية إلى الموت من الجوع فعلاً ... فالغذاء هو الوقود الذي تستخدمه الآلة البشرية لتوليد الطاقة ، وهو الذي يمد الآلة البشرية الحية أيضاً بكل العناصر اللازمة لحياتها وإصلاحها وتأديتها لوظيفتها . . وعن طريق الطعام يحصل الجسم على الطاقة الضرورية لتأدية وظائفه ، وعلى المواد الأولية الضرورية لبناء أنسجته وتمريض خسائره الفسيولوجية ... ولما كان جسم الإنسان غير قادر على إنتاج هذه المواد مباشرة كان لابد من أن يحتوى عليها غذاؤه حتى لا تتعرض الآلة البشرية الحية للأمراض الخطيرة . والتغذية الكاملة الواقية يجب أن يتوافر فيها أمران : أن تمد الجسم الحى بكل الطاقة التي يحتاجها ، وأن تمدّه بكل المواد الممنوعة اللازمة لحفظ توازنه . فإذا لم يحصل الفرد على قدر من الطاقة يساوى ما يفقده فإنه يتعرض لجوع عام أى نقص في الطاقة ، فإذا كان الفرق كبيراً فإنه يقترب من درجة التضور ، وإذا اختفت العناصر المذكورة كلية فإنه يتعرض للوثة جوعاً . . وإذا نقص عنصر من العناصر الأساسية - بغض النظر عن مسألة توجيه الطاقة - تعرض الإنسان للجوع الجزئي أو النوعي . وكثير

سائغا للشاربين . ومن ثمرات النخيل
والأعناب تتخذون منه سكرأ ورزقا حسنا
إن في ذلك لآية لقوم يعقلون . وأوحى ربك
إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن
الشجر وما يعرشون . ثم كلّي من الثمرات
فاسلكي سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها
شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في
ذلك لآية لقوم يتفكرون .

« أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات
ويقبضن ما يمسكنهن إلا الرحمن ، إنه بكل
شيء بصير ، ... »

« قل أحل لكم الطيبات ، وما علمتم من
الجوارح مكبلين تعلمونهن مما عليكم الله ،
فسكروا مما أمسكن عليكم ، واذكروا اسم الله
عليه ، واتقوا الله ، إن الله سريع الحساب . »

هذه دعوة الدين ...

دعوة إلى الطيب من كل شيء ...
الطيب من القول والعمل ، والطيب من
الطعام والشراب واللباس والسكن ...
وكل طيب حلال للإنسان أيا كان ، وعلى
الطيبات يتعاون الإنسان والإنسان على
اختلاف الأديان والأوطان .

« اليوم أحل لكم الطيبات ، ... »
« وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم
وطعامكم حل لهم ، ... »

وهذا ما يليق بكال الدين وكرامة الإنسان
« يأياها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات
ما أحل لكم ، ولا تعتدوا ، إن الله
لا يحب المعتدين . »

« وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ،
واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ، . »

فتعني عثمان

الإسلام والأموال

فكرة الإسلام عن النقد تلخص في أنه بجميع صورته ، لا ينبغي أن يكون إلا الدولة ،
ومن ثم يكون سك النقود وإصدار العملة الورقية ، وخلق النقود الحسابية بالائتمان مثلا
هذه كالفروع لوظيفة واحدة . وهذه الوظيفة لا ينبغي إلا الدولة .

ومن ثم تكون المصارف وهيئات تكوين رؤوس الأموال (كشركات التأمين وتوظيف
المدخرات) منشآت لا يجوز للفرد ولا للشركة أن تملكها إلا إذا رجعنا القهقري وأجزنا
للفرد أن يسك العملة وأن يصدر النقود الورقية ، وأن يتقلد في عشيرته أو في المجتمع ،
وظائف القضاء والأمن .

الملكفور عيسى عهده إبراهيم

الأستاذ في كلية تجارة عين شمس

البابية أو البهائية

للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

- ٢ -

في النفوس حتى انكشف أمرهم في محاولة قتل الشاه ، فعرضوا لرحلة شديدة كادت تودي بهم ، وأودع ميرزا حسين السجين حتى أنقذه الاستعمار الروسي بعد أن ظل في السجن أربعة أشهر ، ورحل إلى العراق في حماية الروس أيضا . وكان صبح أزل أخو البهاء قد أعلن بعد مقتل الباب أنه الموعود بقول الباب « من يظهره الله ، وآمن به جماعة من البابيين وكان يدعو إلى المبادئ التي أعانها الباب في كتابه البيان .

ولما رحل البهاء إلى بغداد أخذ يمد السبيل إلى نفسه ، ويلقي في روح أتباعه أنه الموعود ببشارة الباب ، فوقع صدام بين أتباعه وأتباع أخيه صبح أزل ، وكان الأزيلون في ذلك الوقت يمثلون الاكثية واجتمع كبار زعماء البابية ، وأخذوا يعرضون على البهاء مثالبه ونقائصه فلم يجد بدا من ترك بغداد والفرار إلى صحراء السليمانية يعمل الحيلة ويفكر في أساليب جديدة للخداع ، وأخذت نفسه تهتمل بالخد

قلنا في مقالنا السابق إن الإسلام غاتم الشرائع ، وإن محمدا صلى الله عليه وسلم غاتم الانبياء والمرسلين .

وأشرنا إلى ما تتابع في التاريخ الإسلامي من دعوات المتنبيين وكشفنا عن العقيدة والبيئة اللتين كانتا متمازجتا لهذه الدعوات الضالة . وكشفنا عن الربط بين هذه العقيدة وتلك البيئة وبين ظهور البابية ، وعرضنا لحياة الباب ومحاولات أتباعه ، والعقائد التي دعا إليها .

ولم تسكد الحياة تستريح من شرور الباب وآثامه بمقتله حتى تجمع أتباعه حول رغبة الثأر والانتقام ، فألفوا جمعية سرية تفتك بكل من يعارضها ، وتعدله من أساليب الغدر والخديعة ما تاباه كل نفس إنسانية شريفة ، وكان الميرزا حسين على الملعب فيما بعد بالبهاء هو الرأس المفكر لهذه الجماعة المتعطشة للدماء وكان أعضاء الجماعة ينفذون أغراضهم الشريرة بالذبح ، أو بالسسم ، أو بالخنجر المسومة ، وظلوا يشيعون الرعب والهلح

مظاهر الحزن والأسى على ما أصاب الحسين فكان ذلك داعياً أن يطلب علماء العراق طرد الباطنيين من ديارهم ، فنفوا إلى الاستانة سنة ١٨٦٤ هـ .

وأعلن البهاء حينئذ أنه الموعود الذى بشر الباب بظهوره منتزاً فرصة اجتماع الباطنيين قبل تفرقهم .

وفى تركيا سلك البهاء كل سبيل للقضاء على أخيه وإزالته من طريقه ، وساعده على الوصول إلى أغراضه ما جبل عليه من دهاء ومكر ، ومن معرفة أكثر أساليب الباطنية ، واستطاع أن يوجد من الباطنيين حزينين متنازعين ، على رأس كل منهما أخ يكيد لأخيه ويصطنع الأساليب والوسائل المختلفة للفتك به والبطش بأتباعه حتى إن البهاء حاول قتل أخيه غيلة ، ولما رأت الحكومة التركية ذلك نفت يحيى إلى قبرص ، وظل بها حتى مات ، ونفت البهاء وأتباعه إلى عكا ، وجعلت على كل منهما رقباء من أتباع الآخر ، إلا أن تعطش البهاء إلى الدماء دعاه إلى أن يدبر مؤامرة فى عكا لاتباع أخيه أبادهم فيها على يدرجاله بالساطور والحرايب فى وحشية سافرة لا تصدر إلا عن نفس امتلات بالإثم وانطوت إلى أقبح معانى القدر والحسة وأخذت البهائية بعد ذلك تراث الباطنية

الأسود على أخيه وأتباعه ، ويستعمل من أساليب النفاق ما يمهده السبيل للوصول إلى غاياته وأهدافه الخبيثة ، وكان قد شاع أمره وانكشف كفره لعلماء السليمانية ، وهموا أن يأخذوه بكفره ، فلما أحس منهم ذلك فرثانية على كره منه إلى بغداد ، زاعماً أن وحياً إلهياً قد نزل عليه وأمره بالعودة إلى بغداد ، وأخذ يعلن أن الوحي جاءه بنسخ بعض أحكام الباطنية ، فاشتعلت الفتنة بينه وبين الباطنيين ، وأخذوا يرمونه باللعنة ويصوبون نحوه سهامهم ، وأخذ يرد عليهم فيما يزعم أنه وحى ، ويرميهم بالفكر والسفه وتراشق الفريقان السباب والشتائم وأخذ كل يؤكد أن الباب كان يعنيه هو ، ومن قول الأتليين فى ذلك : « إن الباب كان يعنى يحيى بما قاله فى كتابه البيان : « لا إله إلا أنت ، لك الأمر والحكم ، وإن البيان هدية منى إليك ، وأخذ يحيى يصف أخاه بالإثم ويسميه العجل ويصف أتباعه بأنهم يشركون ، ومن قوله فى ذلك : « خذوا ما أظهرنا بقوة ، وأعرضوا عن الإثم لعلمكم ترحمون ، إن الذين يتخذون العجل من بعد نوراؤه أولئك هم المشركون » .

وكان تنن البهائية ومجونهم قد فاح خاصة إذا جاء شهر المحرم ذكرى احتفالهم بمولد الباب ، وهذا الشهر الذى يحلل الشيعة فيه

ويبدو من سلوك البهاء وأخلاقه أنه كان رجلاً بعيد الأطماع واسع الحيلة يتخذ من الوسائل والأسباب ما يصل به إلى هدفه وغاياته مستعيناً بدهائه الخفي ومكره المحكم وقوة السيطرة على أتباعه .

ووجد البهاء في الاستعمار والصهيونية قوة تعينه على الوصول إلى أهدافه ، ووجد فيها أداة يوجهونها كيفما شاءت أطماع الاستعمار ، وحقد الصهيونية من إشاعة البلبلة والفرقة والتباعد في المجتمع الإسلامي ، وإغراقه في الخلافات . وشغله المنازعات الداخلية ، فأمدوه بالمال ، وأضفوا عليه خلل حياتهم وبسطوا له في الأمل ، وكلما فتحت ثغرة زادوه هواناً وتأييداً ، فاستغل كل منهم الآخر لتحقيق مآربه وأهدافه .

وأخذ المال ومظاهر التأييد والجلال تتوالى على البهاء من الاستعمار ورجاله حتى أصبح يحيا حياة مرفهة ناعمة في مدينة عكا التي اتخذها مقراً ومقاماً ، وأخذ منها يوجه الرسائل ، والكتب إلى كثير من الملوك والحكام في أوروبا وغيرها يدهوهم فيها إلى اتباع دينه الجديد .

وكافت له تنبؤات مع بعضهم حققت الصدف بعضها فاتخذها أتباعه دليلاً على صدق دعواه ، وأبرزها تنبؤه بهزيمة نابليون قبل وقوعها بأربع سنوات .

في كل شيء تبقى من تعاليم الباب ما تشاء وتلقى منها ما تريد وتضيف لآليها ما تحب .

وكان البهاء قد أعلن أنه المظهر الأكمل الذي بشر به الباب والذي يتحقق على يديه بلوغ رسالته إلى درجة أعلى من الكمال .

فالباب كان مهداً للبهاء ، وفي شخص بهاء الله عادت الروح الإلهية إلى الظهور لكي تتحقق على وجه الكمال ما مهد له الباب في دعوته ، وعلى هذا فبهاء الله أعظم من الباب ؛ لأن الباب هو القائم . والبهاء هو القيوم ، أي الذي يظل ويبقى ، وليس في ذلك ما يدهو إلى الدهشة أو العجب ؛ لأن الباب نفسه تحدث عن خليفته في المستقبل بقوله : « إن الذي يجب أن يظهر في يوم من الأيام هو أعظم من ذلك الذي سبق ظهوره ، وللبهاء كتاب هو الأقدس أفضل من البيان وما سبقه من الكتب . والبهاء لم يثبت في دعواه على أمر واحد ، فبينما يزعم أولاً أنه خليفة القائم إذا به يعود ، ويدهي أنه القائم نفسه ، ثم عاذنقلع على نفسه صفة النبوة ثم صفة الألوهية والربوبية زاعماً أن الحقيقة الإلهية التي لم تنل كما لها الأعظم إلا بتجسدها فيه .

وقد رأى فيه مریدوه أنه كائن فوق البشر ، ووصفوه بكثير من الصفات الإلهية في أناشيدهم الحماسية التي اتخذوها سبيلاً لمديحه والثناء عاينه .

ملكوت الرحمن منذ عدة سنين خاصا لاسم
الله زين اقرين عليه بهاء الله الأبهي - قوله
تعالى - يقصد قوله هو . فضلا على العباد
قررنا الربا كسائر المعاملات المتداولة بين
الناس - أي ربح النقود - صار ربح النود حلالا
طيبا طاهرا ، وقد توقف القلم الأعلى - يعني قلبه
هو - في تحديده حكمة من عنده وسعة لعباده .

المجهراد :

ثم حرم الجهاد ودعا إلى هذا في أكثر من
موضع ومن قوله في ذلك : (البشارة الأولى
التي منحت من أم الكتاب في هذا الظهور
الاعظم لجميع أهل العالم بحكم الجهاد من
الكتاب ، وقد نزل هذا الأمر المبرم من
أفق لإرادة مالك القدم) ، وقد وجد الاستمرار
في هذه الدعوة فرصة سانحة لتحقيق أغراضه
في ابتلاع العالم الإسلامي ، وتربيتهم على
الذلة والاستكانة لينفرد بمغانم بلادهم
ويستأثر بخيراتهم ، فرحب بهذه وساندها
بكل قواه ، وأخذ يصطنع من أساليب
التأييد كل ما يستطيع حتى يرضى نزعته
الشهيرة في صفيعته الظالم إلى الشهرة ، وكان
الاستمرار يحشد له عددا ضخما من أصحاب
الصحف ومراسليها ومنسوبي وسائل
الإعلان المختلفة ليلتقروا عنه ما يهذى به من
هراء وينقلوه إلى أرجاء العالم المختلفة لأن في
هذا تحقيقا لما أرهبهم التي يرمون إليها من

ولكن العقل المنطوق من قيود الأوهام
يستطيع أن يدرك أن مثل هذا قد يقع إذا
ما تمهيات أسبابه ، وليس من العسير على
رجل عادي أن يدرك ذلك بالنسبة لما يلاحظه
من تطورات وأسباب .

من تعاليم البهاء :

المصورة :

وقد خالف البهاء الباب فيما أقام عليه من
عبادات منها أنه جعل الصلاة تسع ركعات
في الصباح والزوال والبكور ، ومن كلامه
في ذلك في الأقدس (قد كتب عليكم الصلاة
تسع ركعات لله منزل الآيات حين الزوال
وفي البكور والآصال ، وعفونا عن عدة
أخرى أمراً في كتاب الله يقصد الكتاب
الأقدس - إنه هو الأمر المختار) .

القبلة :

وجعل القبلة حيث يكون قصره في هكاليه
يحجون ويتجهون في صلاتهم مادام حياً وفي
مئاته اتخذ البهائيون قبره قبلة لهم ، ومن قوله
في كتابه الأقدس في تحديد القبلة . (إذا أردتم
الصلاة ولوا وجوهكم شطرى الأقدس المقام
المقدس الذي جعله الله مطاف الملائكة الأعلى) .

الربا :

وقد سأل أحد اليهود البهاء عن حكم الربا
فأجاب : وأما ما سألت عن أرباح منافع
الذهب والفضة فقد صدر البيان الآتي من

وهو التوراة . وأخذ أتباعه يفتشون في
في تنابا الكتاب المقدس عن كلمات يوم
ظاهرها تأييد دعوته والتبشير بمقدمه
واصطنع أصحابه لغة الإجلال للكتب
المقدسة والأنبياء السابقين ليضمنوا استماع
أتباعهم لإلههم حتى يصبوا في آذانهم
ما يريدون من إلك وضلال ، وقد اندفع
بعض اليهود في استخراج آيات من التوراة
تضفي على دعوة البهاء صنعة الوحي المنزل
والإشارة إليها في الكتب السابقة .

وهذا أبو الفضل الجرفادقاني أحد الدعاة
البهائيين يقول في محاولة يبغى من ورائها
أن يجد أصلا في الكتب السماوية لحجى البهاء
فيقول : (البشارات الواردة في بحى يوم الله
ونزول روح القدس وقيام مظهر أمر الله ،
وهذا اليوم هو اليوم العظيم الرهيب المهيب
الذى عبر عنه في الكتب السماوية بتعبيرات
شقى ، وسمى بأسماء عليا من قبيل يوم الرب
ويوم الملكوت ، ويوم الحسرة ويوم التلاق
ويوم القيامة والساعة وأمثالها ، وقد ذكر
الأنبياء عليهم السلام لحجى هذا اليوم أشرافا
وعلامات وشواهد وأمارات ودلائل ومقدمات
بما هو مذكور ومدون في كتب الأولين
ومنصوص ومصرح به في كلمات الأقدمين ،
ثم ينتهى إلى أن التوراة هى أقدم كتاب سماوى
موجود ، ويستشهد منها بالآية الثانية

استغلال العالم الإسلامى والانفراد بخيراته ،
وقد سلك الاستعمار الغربى هذا المسلك
مع كل خارج على مبادئ الإسلام داع
إلى النيل من جلالها وتفكيك وحدتها فى أى
مكان نشأ ، وقد وقف الاستعمار هذا الموقف
من القاديانى الذى ادعى النبوة فى الهند ،
ووضع تحت يديه من ألوان التأييد وأضفى
عليه من سبل الحماية ما يمكنه من نفث
سمومه وبلبلة أفكار المسلمين وتمزيق
وحدته ، ولا شك أنه وجد فى البهاء سلاحا
خطيرا فاستغله وبذل له المال جما كثيرا
ومن المصادفات التى تستدعى انتباه الباحث
وتستوقف نظره فى دعوة كل من هذين
الكذابين البهاء ، والقاديانى أن كلا منهما
دعا إلى تحريم الجهاد ، ولآقى من تأييد
الاستعمار وحمايته النصيب الأوفى .

وكما مضى البهاء إلى نهاية الشوط فى خدمة
الاستعمار وتحقيق مآربه فظهير ما يعنفيه
عليه من حماية وما يبذل له من أموال ،
انجحه إلى بمالة الصهيونية والسير فى ركابها
لتحقيق أغراضها . وأراد بهذا النفاق أن
يضمن تأييد اليهود وهونهم فأخذ يدافع
عن حقوقهم فى الأرض المقدسة ، ويفترى
الوحي المنزل عليه فى إثبات حقهم . بل مضى
خطوة أبعد بأن أعلن أنه يدعو إلى توحيد
الاديان كلها على أساس أقدم الكتب المنزلة

المتحمسون للبهائية في إخراج ما يحتمل أن يشير إلى ذلك وتأويله سواء في التوراة والإنجيل وزعموا أن ما جاء في سفر أشعياء من الإصحاح التاسع عدد ٦ إنما يقصد به عبد البهاء وهو : يولد لنا ولد ونعطي ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيراً إلهاً قديراً أبا أبدياً رئيس السلام ، من أجل ذلك اندفعت الصهيونية في تأييد البهائية بكل ما أوتيت من قوة ، واندفع البهاء وابنه وأتباعهما في خدمة الصهيونية جهدهم طاقتهم متسترين بمظهر العالمية في الدعوة والإنسانية في الفطرة .

وظل البهاء سادراً في غيه عاملاً على نشر كفره وباطله حتى استراحت من شروره الحياة سنة ١٨٩٢ تخلفه ابنه عباس عبد البهاء وأخذ يعمل على سعة أبيه في عمالة الاستعمار والتزلف إلى الصهيونية والسكيد للإسلام والتنادي في الكفر والتويه على الناس محاولاً زبط تعاليم البهائية بأفكار الحضارة الغربية مدخلاً عليها من التعديلات ما يحاول به أن يلائم طبيعة الغربيين في تفكيرهم ، وقد انتقلت البهائية من المجال الإسلامي إلى المجال الأوروبي والأمريكي وأخذوا ينشثون لهم مراكز في أوروبا وأمريكا وبنوا لهم داراً في الولايات المتحدة - تسمى مشرق الأذكار ، وأصبحت لهم مجلة تصدر في أمريكا

من الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية من أسفار التوراة التي تقول : جاء الرب من سيناء ، وأشرف من سعير وتلاًلاً من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه قبس الشريعة ، ثم يعلق عليها فيقول : فهذه الآية المباركة تدل دلالة واضحة أن بين يدي الساعة وقدام مجيء القيامة لابد من أن يتجلى الله على الخلق أربع مرات يظهر أربع ظهورات حتى يكمل بني إسرائيل وينتهي أمرهم إلى الرب الجليل . فيجمع شقيتهم من أقصى البلاد ويدفع عنهم أذى كل العباد ويسكنهم في الأراضي المقدسة ويرجع إليهم موازينهم القديمة إلى أن يقول : فظهر أولاً بمقتضى هذه الآية الكريمة سيدنا موسى عليه السلام فتجلى عليهم بظهوره من جبل سيناء ، ثم ظهر ثانياً سيدنا هيسى عليه السلام فتجلى عليهم من جبل سعير ، ثم ظهر ثالثاً سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم فتجلى بظهوره من جبل فاران ، فدارت الأدوار وتتابع الليل والنهار حتى ظهر الرب المختار وتم الظهور الرابع بأمر الملك الجبار . ويقصد بذلك . . ظهور البهاء ، بل لم يكتف البهائيون بذلك بل زعموا أيضاً أن الميرزا عباس عبد البهاء بشرت به السكتب أيضاً وهو ما أشارت إليه آية التوراة السابقة بقولها ، وعن يمينه قبس الشريعة . وجد اليهود

ويفسرون الأرض التي يقبضها الله بالعلم والمعرفة ، والسموات التي تطوى بيمينه سبحانه والأديان المنسوخة .

وللقيامه في أوام البهائية تفسير عجيب ، فهم عندهم نوحان : صغرى وكبرى أما الصغرى فخلول روح الله في جسد بشرى ، ويرون أن العالم قد شهد عدة قيامات ؛ لأن الحقيقة الإلهية عندهم لا تغيب عن الهياكل البشرية وهم تبعاً لهذا يرون أن نفس الله قامت بكل واحد من الانبياء السابقين أما القيامة الكبرى فهي قيام الروح الإلهية في جسد البهاء ، وواضح من هذا التفسير أنهم ينسكرون القيامة بمعنى اليوم الآخر الذي يحشر فيه الناس لرب العالمين وينسكرون ما يتبعه من بعث وحساب ورؤية فالبعث هو اليقظة الروحية ، والحساب هو الفصل بين المؤمنين بتجسد الله في البهاء وبين الكافرين بالتجسد أيضاً ، ورؤية الله هي رؤية الجسد البشري الذي حلت فيه روح الله ، ولقاء الله في جلالة الأعظم هو لقاء البهاء .

والجنة هي رياض المعرفة التي فتحت أبوابها في عهد البهاء ، ومعرفة الكتب الإلهية بواسطة البهاء ، وهي الإيمان بأن البهاء هو رب السموات والأرض إلى آخر هذا الطوفان من الهراء والعبث والضلال الذي لا يأوى إلا في عقول خربة ، ونفوس مظلمة ، رقلوب

منذ سنة ١٩١٠ تسمى نجم الغرب ويصدر منها في العام تسعة عشر عدداً لأن العدد ١٩ مقدس لدى البهائيين ثم تولى أمر البهائيين بعد هلاك عبد البهاء ابن اخته شوق رباني وتلفعت البهائية في كثير من الأحيان بالتيقن واصطنعت النفاق حتى تصل إلى أهدافها فإن وجدت فرصة انتهزتها وإن رأت الأنوار سلطت عليها قبعت في جمورها وادعت الإسلام شأنها شأن كل مدع جبان .

والبهائية خارجة على الإسلام كفرة به منكرة لتعاليمه ، ولم تأويلات باطلة وانحرافات ضالة في تفسير ما جاء في القرآن الكريم ليتفق مع نزعاتهم المنحرفة وضلالهم الآثم وحسب القارىء أن نضع بين يديه طائفة من هذه التأويلات ليدرك مدى ما يرتعون فيه من ضلال وخاصة في أمور الآخرة فهم يفسرون النفخ في الصور بأنه خطب قره العين ، ثم نداء الميرزا بأنه رب القيامة وإفاضة الوجود الإلهي على كل الممكنات ، ويفسرون انفطار السماء بأنه نسخ الأديان السابقة وبطلانها ولا سيما الإسلام والقرآن ويفسرون تبديل الأرض بأنه تبديل القلوب بما أنزل عليها من أسرار الملكوت والكدار النجوم وتكوير الشمس بضلال العلماء واحتجاب التعاليم الدينية بالآوهام ونسخ الأحكام في الشريعة السابقة .

من صفاء جوهره ، وتلقى بنفسها في أحضان
الاستعمار والصهيونية وتدف إلى أغراضها
في أسلوب حقير جبان ، قد باعت نفسها
للسيطان ، والإسلام منها براء وحاشا لساحته
النقية أن يلوثها هذا الدنس أو ينال من رفعة
هذا الهراء ، وواجب المسلمين أن يتنبهوا
لهؤلاء الادعاء ويقفوا لهم بالمرصاد حتى
ينقذوا العالم من شرهم ، ويجنبوا المجتمع
الإسلامي وباءهم المقيت .

ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه
وهو في الآخرة من الخاسرين ؟

محمد إبراهيم الجبوري

أعياها الهوى وأضلتها الشهوة وإليك النص
الذي كتبه البهاء يحدد فيه معنى هذه الأشياء
قال : « هل القيامة قامت ؟ بل القيوم - يريد
نفسه - بملكوت الآيات « وهل ترى الناس
صرعى ؟ بلى ، وربى الأعلى الأبهى ، قال :
أين الجنة والنار ؟ قل : الأولى لقائي ،
والأخرى نفسك أيها المشرك ... إلخ

ومن الجلي أن البهائية في هذا يتابعون
أسلافهم من الملاحدة والباطنية وذوي
العقائد الضالة ويوهمون الناس أنهم جاءوا
بشيء جديد وما هم إلا نقلة كفر وضلال
ودعاة هدم وتخريب وطلاب مطامع ومغانم
وأدوات تسخر نفسها لهدم الإسلام والنيل

خطئان مطبعيان

في افتتاحية العدد

جاء في صفحة ٣ في السطر العشرين من العمود الثاني :

(بأقطارها الثانية عشر) والصواب : بأقطارها الاثني عشر .

وجاء في صفحة ٤ في السطر الخامس من العمود الأول :

(وأن النجوم الاثنا عشر) والصواب : الاثني عشر .

مبدأ من مبادئ الإسلام الخالدة

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

الدين وترك بعضه ، وما أصدق ما يقول الله عز وجل في كتابه الحكيم : « إن الذين يكفرون بالله ورسوله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً . أولئك هم الكافرون حقا ، وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً » (١)

إن ذلك كله خطأ ما بعده خطأ في حكم العقل وحكم الدين أيضا ، فالإسلام لا يدعو إلى وحدة الصف وإنما يدعو إلى وحدة الهدف فليكن الإنسان مؤمناً أولاً بالدين ، فهذا الإيمان أساسى وضرورى لتحقيق وجود الإنسان الروحى والفكرى والأدنى أولاً ، ثم بعد ذلك عليه أن يلتزم آداب الدين وأركانه وشعائره ، ويعمل بها ليحقق الغاية من الإيمان ومن الدين ؛ وفى ذلك يقول الله عز وجل : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون تقصيراً » (٢) . ويقول وما أصدق ما يقول : « يا أيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر »

١ — لا يزال كثير من المسلمين المعاصرين يفهمون الإسلام بالتقليد ، ويؤمنون بأصوله وأركانه بالوراثة ، يأخذون أحكامه وآدابه بالتناقل . . . دون أن يرجعوا إلى العقل وأحداث الزمن الحاضرة في فهمه ، وتدبر غاياته وأهدافه ، وكثيراً ما يترثون بما لا يفهمون ، ويهرفون بما لا يعرفون ، ويقولون ما لا يتدبرون . والعجب العاجب أن تسمع من بعضهم أن الاجتماع على الفضائل الإنسانية ، والمثل والقيم النبيلة ، يكفي في الإسلام وفى كل دين ، دون دخول في الإسلام ، وإيمان بالدين . وقصدي بمرسالة محمد صلوات الله عليه .

وليس أغرب من هذا الفهم فى عرف العقل ، ولا فى رأى الدين نفسه ؛ وكأنى بهؤلاء يقولون إن : « وحدة الصف » هى الغاية وعليها المعول وفيها الكفاية . وحسبهم أن يجتمع الناس على الخير ، ويؤمنوا بالفضيلة ، ويصدقوا بوجود الله ؛ ففي ذلك كل الغنى ، وفيه الفوز برضاء الله ونعيمه الأبدى . . . ولقد اجتمع كثير من الدعاة المضللين على الدعاية لفكرة توحيد الأديان ، لغرض فى نفوسهم ، ومرضى فى قلوبهم ، فهذا التوحيد لن يؤمن به اليهودية ولا المسيحية ، ولا يؤمن به الإسلام نفسه ما دام أساسه أخذ بعض

فقد ضل ضلالاً بعيداً،^(١)

إن التوحيد في الأديان أو بينها هو ما نص عليه القرآن الكريم في قوله عز وجل : « قل آمنا بالله ، وما أنزل علينا ، وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون »^(٢) .

وبهذا تتحقق وحدة الهدف بين أتباع الدين ، أما أن يجتمع الناس كافة على بعض أصول الدين دون بعض ، تحقيقاً لفكرة وحدة الصف ؛ فهذا خطأ في التفكير والفهم ؛ وقد كان لنا من عبر الحاضر ما يذكرنا بمحقق الدين وحكمة تشريعاته وأصوله ، فقد كنا ندعو إلى وحدة الصف ، ثم هدانا ندعو إلى وحدة الهدف أولاً بعد أن تبين لنا أن وحدة الصف لا تكسبنا ولا تكسب دعوة العروبة والقومية والوحدة خيراً ... فهل يلام الإسلام إذا مادعا أولاً إلى وحدة الهدف ، فطالب الناس بالدخول في الإسلام أولاً ، ثم طالبهم بعد ذلك بأعمال الإسلام وتشريعاته وآدابه وأحكامه ؟ .

٢ - إن الدين والإيمان باقيا أولاً هو الحد الفاصل بين روح الإنسان وبين غرائز الحيوان : بين المدنية والوحشية ، بين العقل والجهل ، بين النور والظلام . والإيمان بالوحي والرسالات السماوية أمر

حتمى ؛ لأنها خيوط الفجر في ظلمات الحياة ، ومبادئ الحق والخير والعدل والحرية في ضلالات الباطل والشر والظلم والطغيان ، ولأن الرسل الذين اصطفاهم الله لرسالاته هم دعاة المثل والقيم الإنسانية الرفيعة وحاملو لواء المدنية والحضارة والهداية في الأرض . والإيمان برسالة الإسلام إيمان بالتطور والتجديد وبالكمال الروحي والنفسي وبالفضائل والمبادئ الشريفة ، وبالحياة نفسها ومثالياتها العالية ... وما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أعظم الدعاة إلى أعظم المبادئ وأكرمها وأشرفها عند الله والناس ، وهو الذي قاد الحياة إلى هصر جديد ، وشرع لها من المبادئ والأصول ما أهزها وسماها إلى غايات رفيعة من السلام والخير والهدى والإيثار والمحبة ورضا الله والناس ، ونقلها إلى حياة النور والمدنية والعدالة والإخاء والمساواة ، وعليها أن الدين هو الحياة الشريفة ، وهو موجه الحياة إلى أشرف المبادئ والأهداف ، وقائدها إلى أسمى الغايات وأنبيل الاتجاهات والمساعى . والعمل الصالح ، والتزام الفضائل ، وإيثار العدل ، وحب الحرية ، والإيمان بالمساواة والإخاء ، وبالإيثار ، والعمل لخير المجتمع ؛ هو تحقيق لمداول الدين نفسه وعمل بمبادئه ، وتطبيق لأحكامه ...

وذلك كله تحقيق لوحدة الهدف قبل كل

معلنا ألا مكان لإيمان صادق مخلص في مجتمع
و يسخ إهدار البشرية ، و يطبق أن يمسك الطعام
في يوم مجاعة عن يقيم ذى قربى أو مسكين
معدم ، لا يجد إلا القرب (١) ،

ومعنى ذلك أن الإيمان في المرتبة الثانية
لا الأولى ؛ ودائما نقول : إنه لا يستطيع
المحافظة على حقوقه إلا مؤمن بها ، وأن
الإيمان أولا ، وكل شيء يحىء في المرتبة
التالية له ، فوحدة الهدف أولا . . . والإيمان
في يد الرفيق وثيقة الحرية ، وفي يد الفقير
والمسكين وثيقة العدالة الاجتماعية ، وما جدوى
تحرير الرفيق إذا لم يكن يملك الإيمان به ،
ولا يملك الوثيقة التي أعلنت تحريره وما جدوى
عدالة اجتماعية ، إذا لم تكن هذه العدالة
جزءا من الدين والإيمان ، وشعيرة من
شعائرها ، وحقا واجبا للفقير أو المسكين واليتيم
الإيمان أولا ؛ لأن الإيمان هو الحرية والوسيلة
إلى الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية .
فالقرآن الكريم جعل كل هذا من اقتحام العقبة
وتحمل المسؤولية ، والإنسان مطالب بها
جميعها ، وقدم القرآن فك الرقبة والإطعام للاهتمام
بهما في مجتمع جاهلى خوطب بالقرآن ثم رفع
من منزلة الإيمان بالتعبير بـم ؛ لأن الإيمان
إذا وجد وجد كل عمل صالح وخلق كريم .
والأمر كله أن القرآن والإسلام يعتبران
وحدة الهدف أولا : فكل الطاعات والأعمال

شيء ؛ دون نظر إلى وحدة الصف ، التي
تعنى جمع الأنصار والأتباع ، دون أن
يشملهم جميعا السلام الروحى ، ودون أن
يجتمعوا كلهم على هدف واحد وغاية واحدة
وسبيل واحد .

٣ - وحدة الهدف أولا مبدءا من
مبادئ الإسلام الأولى ، عناء الدين وألزم
به أتباعه ، وطبقة في كل أموره ودعوته .

ولست مع من يرى أن بعض الأعمال يمكن
أن تقدم على الإيمان بالدين نفسه ، كائنة
ما كانت هذه الأعمال ، وبالغة ما بلغت من
السمو والرفعة والشرف ..

وفي التفسير البياني ، للدكتورة الكبيرة
بنت الشاطئ - وهو تفسير جديد قيم يسير
على مناهج علمية ثابتة - عند تفسير قوله
تعالى من سورة البلد : د فلا اقتحم العقبة .
وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو إطعام
في يوم ذى مسغبة . يقيما ذامقربة . أو مسكينا
ذا مرتبة . ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالرحمة . ترى الدكتورة
الأخذ بصريح الترتيب في الآيات ، وتقول
مانصه : (يبين القرآن مراحل اقتحام العقبة ،
فيضع كرامة الإنسان بالعقبة ، والعدالة
الاجتماعية بإطعام فقير أو مسكين ، خطوتين
سابقتين على الإيمان ، مقررأ الأسبيل إلى رجاء
الإيمان فيمن غره جاهه فاسترق مخلوقا مثله ،
وتحجر قلبه فلم يطعم في المجاعة يقيما أو مسكينا ؛

وجعلت الناس إخوة ، ونادت بوحدة إسلامية تسع المسلمين جميعا ، وهى التى تنادى بها اليوم فى وحدة عربية ، فهى وحدة عربية إسلامية مصغرة ، كما نادت بوحدة إنسانية عامة ، يشترك المسلمون وأتباع الديانات السماوية الأخرى فيها فى المحافظة على السلام وعلى القيم الإنسانية ، وعلى بناء الحضارة ، وعلى أصول المدنية والمستولية الأدبية بين العبد وربّه . فالوحدة الأولى هى وحدة فى الهدف ، وهى مقدمة على كل شئ . والوحدة الثانية هى وحدة فى الصف ، وهى لا تقوم إلا إذا وجدت الأولى ، وهى ضرورية للتوازن العالمى ولسيادة السلام فى الأرض ، ولتبادل التجارة والمنافع بين البشر جميعا . يقول الأستاذ الدكتور محمود حبيب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر : « من محاضرة له فى قاعة الإمام محمد عبده ^(١) ما نصه : « إذا كان المسلمون قد انحدروا من أجناس وأنساب شتى ، وجاءوا إلى الإسلام من ثقافات وحضارات شتى ، ولهم لغات ولهجات متباينة فإنه لحق كذلك أن الإسلام قد جمع بينهم ، والإسلام عقيدة وشريعة ، مبادئ ومثل وطريق للسلوك فى الحياة ، للسلوك فى شتى أنواعه ومظاهره ، ففرس لذلك بين الأمم والشعوب التى اهتمت عادات وتقاليدهم تشابهة

الصالحات لا تحبب عبادة مقصودة يتقرب بها إلى الله إلا بعد وجود الأساس الذى تبنى عليه هذه الطاعات ، وهو الإيمان ، وبدونه تكون هذه الأعمال أعمالا إنسانية نبيلة ليس المقصود بها طاعة الله بل إرضاء نزعات أخرى ، وهى لا ترفع مسئولية الإنسان عن وجوب الإيمان بالله ورسالاته ولا تبعد عنه عذابه وغضبه فى اليوم الآخر وليست مرضاة الله فى الآخرة إلا عن المؤمنين المصدقين ثم الطائعين . . وفى هذا يقول الله عز وجل : « قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . . . إلى أن قال عز وجل : « أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون . »

إن وحدة الهدف مبدأ ظاهر واضح فى تعاليم الإسلام وشعائره وأصوله . . فهى تلى فى المنزلة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبخاتم الرسل وبرسالته الكريمة الخالدة .
٤ — ووفق ناموس التدرج والارتقاء لا بد أن تأوى الإنسانية إلى هذه الشريعة السمحة الكريمة ، ولا بد أن ترد إلى أصولها العامة ، ومبادئها الشريفة ، التى وسعت الناس جميعا واتى ساوت بينهم فى الحقوق والواجبات وأعلنت مبادئ الحرية والإخاء بين البشر كافة ، وشرعت شرائع الشورى والديمقراطية والعدالة والحق ، والتكافل الاجتماعى ،

(١) راجع مجلة الأزهر عدد رجب ١٣٨٢ هـ

ص ٥٩٣ وما بعدها « الإسلام والعالم » .

ولا يعنى ذلك أن ندخل في الإسلام تقاليد المسلمين المتأخرة، وجودهم الذى صاروا إليه، ولا أن نحاسبه على أعمالنا نحن، وعلى ركوع البعض منا أمام القوة والجبروت والسلطان؛ بل إن الإسلام هو التحرر والانطلاق والحق والإنصاف، وهو السمو النفسى والروحى فى كل نواحيه، وهو كل دعوة كريمة فى الحياة وليت شعرى متى يفهم المسلمون رسائلهم فى الحياة حق فهمها؟ ومتى يؤمنون بالإيمان لا الأثرة، وبالحق لا بالباطل، وبالعادل لا بالجور، وبكل قيم الحياة ومثالياتها الرفيعة؟ اللهم لأنك ربى، وأنت القادر على تغيير الطباع، وتصحيح الأوضاع، وعلى أن يعود مسلمو اليوم كما كانوا بالأمس، مثلاً رفيعة، وأمثلة حية لمبادئ الإسلام وآدابه وأصوله. اللهم أنت الذى أنزلت رسالتك، وأنت الذى وعدت بحفظها فى الأرض لتبقى فيها ما بقيت الحياة، تبعث الإيمان والخير والفداء والتضحية والبطولة والشجاعة والنبل والشمم والخير بين الناس. فاكتب للدين وأهله العزة والسيادة والمنعة والقوة والظفر، حتى تبقى الراية مرفوعة، والقواء خفافاً، والعلم مرفرفاً؛ يجتمع عليه الناس كلها فرقتهم الحياة، وأغرثهم الدنيا، ووسوست لإيهم المادية ودعاتها المبطلون؟

محمد عبد المنعم خفاجى

فى الحياة، ووحدها بين اتجاهات المسلمين فى تصرفاتهم وطرائق سلوكهم فى الحياة، ولم يوحد الإسلام بين المسلمين فى كلفة التوحيد فحسب، بل ووحده بينهم كذلك فى قواعد السلوك، وفى أساليب السلوك فى الحياة، فأصبحت عاداتهم متقاربة متشابهة، فالوحدة بين المسلمين وحدة حقيقية؛ لأنها وحدة فى الإيمان، وحدة فى المثل وفى الأهداف، وحدة فى الشعور، ووحدة فى السلوك والأخلاق، وفى التقاليد والعادات.

• — إن الإسلام يقف اليوم فى مركز الثقل فى العالم، يحفظ للإنسانية روحها، ويجدد للحضارة بناءها، ويبنى للحياة قيمها ومثلها، تفر من أمامه نزعات الإلحاد والمادية وتحاول أن تطفئ عليه نزعات الفساد والتحلل فلا تلبث أن تجد العود الصلب، والحق الثابت، والقوة الفتية، والشباب المتجدد، والمثاليات الإنسانية الكريمة، فتخشع وتطأطأ الرأس صاغرة ذليلة.

الإسلام هو الحياة المتوثبة، والشعائر الكريمة الحية المتجددة، هو كل قوة وكل خير وكل عدل ورحمة فى الأرض؛ دله لا عيب فيه، ولا ينقصه شيء من مقومات الحضارة، بل هو الموجد لأعلى أنواع الحضارات؛ فإذا كانت هناك عيوب، وإذا كان هناك تخلف، فهو نتيجة لتفكيرنا، ولعملنا نحن المسلمين، وليس نتيجة للإسلام، (١).

(١) المرجع السابق نفسه.

طبيعة الشعر العربي

للدكتور عبد الله الطيّب

- ٣ -

فرضه الشعر :

عسى هذا الذي قدمناه أن يكون قد أوقع في نفسك أيها القارئ الكريم شيئاً مما نراه ، من أن القافية والوزن معاً مفتاح القصيدة بما يشيعان في موسيقاها من وحدة وارتباط . ولما هما كذلك فإنهما وثيقا الصلة بالمعاني التي تدور في قلب الشاعر وتنبعث من أعماق تجربته إلى محض البيان . ولقد تذكر أنا فردنا في كتابنا المرشد الأول بحثاً مستفيضاً عن طبائع الأوزان طوالها وقصارها وما يرتبط بهن من ألوان المعاني . فالذي زعمناه هناك نريد أن نجعله هنا أساساً لزعم آخر قد كنا ألمعنا لك بطرف منه ، وهو أن اتحاد القافية مع الوزن يحصر دائرة المعاني التي يهتم بها الشاعر في نطاق أقل حيز من نطاق الوزن الجرد قبل أن تصحبه القافية . ثم ضروب التنويع الموسيقي من زخاف إلى مسكنات وحركات وهلم جراً ، يزدن في هذا الحصر حتى لا تبقى أمام الشاعر إلا وثبة البيان التي تحيل مدلول موسيقا الوزن والقافية والزخاف

والحركات والمسكنات والاختلاسات ، كل ذلك إلى تعبير ناطق .

وأقول وثبة البيان ؛ لأن الوزن والقافية وما يتبعهما من كل ذلك في الإمكان تصوره مجرداً غير مصحوب بتجربة الشاعر . ولنا أن نزعم أن محض القدرة على تصنيع الإيقاع كفيل بأن يهيئ هيكل ، ذا وزن وقافية وأصناف من الزخارف النغمية . ولكن هذا الهيكل يكون بارداً خالياً من الروح هامداً حتى تصحبه وثبة البيان المنبثقة من حاق التجربة والرغبة في التعبير عنها . ووثبة البيان هذه هي ما كان يسميه القدماء (نفس الشاعر) يعنون به الروح الذي يفتظم رنة نظمه من المطلع ويربط بين سائر أجزاء كلامه ويشيع فيها وحدة عميقة ذات جرس مبين ووحى نافذ . وإذا بلغنا هذا المبلغ فإننا نجسر فنقول إن العقيدة العربية شكل وهيكل ذو وحدة تامة مصدرها إطار موسيقى السمع ونفس حار ينبعث منه هذا الإطار الموسيقي حتى يكون مفتاح التعبير له ، ووسيلة تأتية إلى البيان .

وتصحبه في انتقاله هذا نشوة نفسية تزداد
هففا كلما قارب البيان والإفصاح — هذه
النشوة النفسية إنما هي ضرب من الجذب
الروحي الذي يعترى الكهان والعرفانين
وأمثالهم من أهل الوجدان والتطلع إلى
الملا الأعلى .

والشاعر قد تعتريه هزة الجذب الروحي
والنشوة الشعرية قبل أن تتفتح نفسه إلى
موضوع بعينه . وقد تعتريه بعد أن يصد
نفسه حادث ما أو موضوع ما . فإذا اعترته
قبل أن يكون قد استقار موضوع يعرف
أمره ، فإن حالته النفسية تكون في ظلام
من الانقباض أشبه شيء باليأس الحائق
على أنه وهو في هذه الحال ، يدرك أنها
إرهاص بالتعبير الذي لابد أنه تاليها ثم
ينكشف عنه الظلام إما رويدا رويدا إلى نور
الإفصاح وإما بفتحة بعد عسر طويل ،
والغالب عليه في هذه الحالة أن يتخبط في
التماس سبل البيان آخذا آنا بهذا الوزن
وتلك القافية ، وآنا بهذا الوزن وهاتيك
القافية ، وربما نظم قصيدة كاملة ثم وجدها
لا تحمل كبير معنى من نفسه فاطرحها
ولا يزال في نحو من هذا العناء حتى يفرج عنه .
والحق أن الشاعر في هذه الحالة إنما يكون
قد ألت به دوافع تجارب من الماضي طال
اختباؤها حتى إذا حان أوان بروزها

ذلك بأن الشاعر العربي يقبل على القول
إقبالا مباشرا ولا يتكلف القاس الوسائط ،
وأعنى بهذا أنه يروم إيصال تجربته إلى السامع
فيها مشاركة تامة ، وحتى يصير كأنه هو نفسه
قد اجتاز بمراحلها وأحس نشواتها وحرقاتها
وهذا المرام من الشاعر العربي يضطره إلى
الصراحة وإلى أن يكافح نفس سامعه
كفاحا حتى يتصل بها اتصالا لا تشوبه شائبة
من حجاب .

وإذا الصراحة طريق عسر ، فإن
الشاعر العربي قد طلب لها التدليل بإيرادها
في إطار من الوزن والقوافي والزخرفة النغمية
نوع من مادة الموسيقى والغناء . ذلك بأن
الموسيقى والغناء بما يحركان النفوس ويسموان
بها — يسموان بنفس الشاعر حتى يملك
الشجاعة التي يقوى بها على الصراحة وعلى
مكافحة نفوس السامعين ، ويسموان بالسامعين
حتى يتجردوا من حجب الذائبة إلى لقاء
الشاعر في تجاربه .

والشاعر يرزم في أعماق فؤاده بالموسيقى
والنغم والحركات والسكنات قبل أن تسمح
نفسه إلى طريقة من الوزن والتقفية وهذا
الأردام يكون أول مراحل التعبير وأول
مراحل الرتبة البيانية ومن طريقه ينتقل
الشاعر من أرض الحجاب الذي يكون بينه
وبين السامع المنتظر ، إلى سموات من الأسفار ،

مباشر لإثارة التجارب المودعات . وكثير من حالات الجذب تقع في طرائق وسط بين مجرد الانبعاث من دون سابق حادث أو مجرد الاستجابة إلى صدمة حادث أو موضوع ، من ذلك مثلاً أن يتذكر الشاعر حادثاً مضى ثم يعثره انقباض ما إلى أن يقول فيه بيتاً أو بيتين . ثم يقطع به ، ثم يراجمه القول بعد ذلك .

هذا وإن من تجارب الشاعر ما يندفع به إلى البيان اندفاعاً ومنها ما يستمر إلى حين . ومنها ما يروم خرجاً وأكثرها يختم ويتعق ويمكث دهوراً ثم يحدث في نفس الشاعر ما سبق لي نعته من انقباض وظلام ثم وضوح وانبلاج وإفصاح .

وهذا الوصف كله تقريبي لا أزعم أنه يصدق على أحوال الشعر جميعها وأراني غير واجد بدأً من أن أستثنى ضروب القول المتعمد ، وهو الذي يصطلح له المعاصرون قولهم شعر المناسبات إذ الشاعر لا يصدر فيه عن دافع منبعث من الأعماق ، ولكننا يستجيب إلى دعوة من الخارج يسخر لها ملكته .

على أنه حين يجمع أطراف ملكته ويتخير مفتاح التعبير في الوزن والقافية ، ويمد بنات فكره إلى شتى قطوف المعاني ، لا يخلو

اجتذبه بصنفها فلم يجد بداً من الانقباض والضجر حتى يستذكرها إلى أن تشرق عليه واضحة جبهة . وهذا وإذا اعترت الشاعر حالة الجذب بعد حادث بعينه ، أو موضوع بعينه فالغالب أن يكون اهتراؤها إياه يسير المس أول الأمر ، ضعيف الإلمام ، وربما وجد نفسه ينطق برنة الوزن والقافية ، أو ببديع كامل أو عدة أبيات

وقل أن يستوفي التجربة حقها فإذا أهرض بعد ما تأتي له أولاً فإنه لا بد أن تعاوده دوافع هذه التجربة ولو بعد أمد طويل وتصنع به نحواً مما قدمنا نعته من قبل وإن لم يعرض ، وأقبل على إيفاء التجربة حقها من التعبير ، فإنه لا بد أن تلم به حالة الضجر والقلق والظلام بعد انقطاع أوائل الأبيات أو أوائل التعبير عنه ، ولا تزال هذه الحال تشتد به وهو يلتمس السبل إلى البيان حتى يجد مسالكه إليه . ومن هنا تشابه حالة الجذب في مظهرها - أي حين تعرو وبلا سابق حادث وحين تعرو بأثر صدمة حادث بعينه أو موضوع . وعندى أن مفشاً هذا التشابه من أن الشاعر في كلتا الحالتين يروم استخراج خبيء تجارب الماضي التي توحى إليه بالبيان . ولعل صدمة الحادث المعين أو الموضوع المعين إن هي إلا مجرد سبب

في كل ذلك من رجعة إلى ماضى تجاربه ،
ومن وثبة إلى قنن من الخيال . وحينئذ يبطل
عامل المناسبة ، ويتلاب التعبير على طريقة
مستقيمة من طرق البيان الاصيل . ومضى تأتى
للشاعر ذلك أمكنه أن يصعد بالنفس الخطابي ،
وهو النفس الغالب على أصناف البيان المتعمد
بمعرض المناسبات ، إلى طرق من الإفصاح
الرحب المدى ، الذى ربما استثارهم مجموعة
بأسرها . على أنه لابد من الاحتراس هنا
بأن النظام فى المناسبات منزلة أقدام . وربما
وثق الشاعر بملكته ثقة أعتمته عن حقائق
حوامل الاصاله فى نفسه . فيكون الترنيم
بأنفاس بما أوتيه من ملكة ودربة ،
ويحكم نظاما من المعانى ، ثم لا يصاحب ذلك
جميعه عنصر الجذب الرضى الذى لابد منه
لحياة الإطار الموسيقى والعبارة البيانية .
وقد كان أحمد شوقي رحمه الله كثيراً
ما يزل هذا الزلل ، وتشفع له قدرته على
النظم والتنظيم . ولقد سبق لى أن
ضربت من ذلك فى المرشد أمثالا ، ولا أهاب
هنا أن أصف سائر مراثيه بأنها من شعر
المناسبات وأنها خالية من الروح كل الخلو
لا أكاد أستثنى من ذلك شيئا إلا بيته فى سعد
رحمه الله :

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها

وانثنى الشرق عليها فبكاه

والصناعة فى الشطر الاول لا تخفى إذ ضمنه
قوله تعالى : « والشمس وضحاها » على أنها
صناعة خفية التسكف ورفعة النغم تشفع لها
هذا ، وما يقارب شعر المناسبات فى
خطورة المرقى ، ومقاربة الزلل ، شعر
المجاريات ، وأحسب أن المجازاة الجيدة
لا يقدر عليها إلا ملهم موفق أو تبحر على
محض الاتفاق والمصادفة .

ذلك بأن الوزن والقافية كما قدمنا لك هما
مفتاح للتعبير . فالذى يجارى شاعراً آخر ،
إما أن يكون قد اتفق له ذلك اتفاقاً ، وإما
أن يكون قد تعمد ، فن أمثلة الاول كلة
أبى الطيب :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب

فهذه لا يغفل أن يكون هو قد تعمد بها
مجازاة أبى تمام حيث قال :

السيف أصدق بأنباء من السكت

ومن أمثلة الثانى كلة شوقي :

بسيبك بعلو الحق والحق أغلب

فإنه جارى كلة أبى الطيب :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب

ومحل النظر هو هذا الضرب الثانى ،
لأن الشاعر الذى يوافق آخر قبلة
فى الوزن والقافية على سبيل الاتفاق
والمصادفة ، إنما يشابهه فى أمر واحد فقط
وهو أن كلامه فى جملة داخل فى حيز المعانى

ولعلنا لا نباعد أن هدودنا هذه
المجاراة أدخل في باب الانفاق
والمصادفة منه في باب التعمد البحث الكالح ،
الذى استشهدنا له بكلمة شوق في مجارة المتنبي .

ذلك بأن المتعمد تعمداً بحتاً وإنما يروم
بجارية الوزن والقافية بالاجتهاد وقوى
الملسكة ، ولا أشك أنه يرتكب السكفة
والصناعة باديء أمره ، وربما همد إلى
ألوان من التدليس بما هو بضاعة الشعراء
كالافتنان في التنعيم والمحسنات البلاغية
واصطياد المعاني الشاردة ، كل ذلك يروم أن
يضاهى به ما لا بد للشعر الصالح منه ، من
حرارة النفس ، واندفاع الطبع .

وقدر للشاعر المجيد بعد هذا التسكف أن
تنفتح بعض آفاق نفسه فيصدق في التعبير ،
على أن هذا إن تأتى إنما يحىء كالفلة وفي
الآبيات القلائل وأكثر بجاريات المرحوم
أحمد شوقي من هذا الضرب ، كهذه البائية
التي استشهدنا بمطلعها فإنها في جملتها ليست
بشيء وكسينيته التي جرى بها البحرى وليته
لم يفعل ؟ ومن أغرب ما قرأت من الجاريات
كلمة الأديب الغزى أوردتها صاحب الجريدة
في اختياراته ، يجارى بها نائية أبي العلام
التي في سقط الزند :

هات الحديث عن الزوراء أو هيتا
وموقد النار لا يسكرى بتكربتنا

العاطفية التي تشير إليها طبيعة الوزن والقافية
كاستشعار البطولة مثلاً - إذ غير خاف أن
أبا الطيب أسبغ على خولة ألواناً من البطولة
استشعر ذلك منها وحسبك شاهداً صريحاً
قوله :

فما تقلد بالياقوت مشبهها

وما تقلد بالهندية القضب

ولا تصح المجازاة المتعمدة من الضرب الثاني
إلا إذا احتدم جانب العاطفة والروح وغلب
على الشاعر غلبة جعته يتخذ من وزن الشاعر
الآخر هو الذي يجاريه ومن قافيته نموذجاً
يحتذى ، ويجرى يرتاد فيه مسالك تجربته
وانفعاله ومقاصد تعبيره ، ولا ريب أنه
تصاحب هذا النوع من التعمد حالة من حالات
الجدب شديدة بما يعانيه الشاعر حين تظلم
نفسه قبيل إشراف الشعر عليه ، وذلك أنه
بالتماسه للنموذج يكون كالمحتسب في الظلمة ،
فتق وقع خاطره على كلمة شاعر بعينها نزلت
عنده بمنزلة المفتاح لما يحتاج في نفسه ،
ولا أكاد أمترى أن هبة بن الطيب قد لاقى
عناء من هذا الضرب في قصيدته التي أولها :

هل حبل خولة بعد الحجر موصول

أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

إذ قد نظر فيها إلى كلمة كعب بن زهير :

بانع سعاد فقلبي اليوم متبول

وهي كلكته :
 أمط هن الدرر الزهر اليواقيتا
 ونثر المحبوب بزحمه يزداد حسنا على اللثم
 فوه مهنا يربى على الحجر الاسود ، فتأمل
 هذا العنت .
 واجمل لحج تلاقينا مواقيتا
 ولا أدري لماذا يطلب المواقيت إذا تيسر
 التلاقي ، ولكنه أتى من طلب المؤاخذ بين
 الحج والمواقيت فأفسد هذا المعنى كل
 الإفساد ، وخور الشطر الأول لا يخفى
 على القارى :
 فتغرك اللؤلؤ المبيض لا الحجر
 المسود لأنمه يطوى السباريتا
 والثم يححف بالملثوم ككرته
 إلى قول المعري : —
 ذم الوليد ولم أذم دياركم
 فقال ما أنصفت بغداد حوشيتا
 والمقابلة مهنا بين اللؤلؤ المبيض والحجر
 المسود اجتمع مرهق . ولعمرى لو شبه
 نثرها بالحجر الاسود لكان أبلغ ، إذ يسبغ
 عليه قدامة ونورا ولكنه اندفع مع الطباق
 ورام المقابلة بذكره أن لا ثم الحجر الاسود
 يطوى السباريت ، وهذا كما لا يخفى معنى سرفه
 من أبى الملا المعري إذ هو كثير الدوران
 في لزومياته ، وما على من يريد لنا من نثر
 محبوب أن يطوى إليه السباريت ؟
 أمست سعاد بأرض لا يلفها
 إلا العناق النجيات المراسيل
 هذا ولقد جمع خيال الغزى رحمه الله - اللهم
 غفرانا ، بل إغرابه حتى أخذ ينمى على الحجر
 الاسود أن الشفاء أجمحت به وأثرت فيه
 ونثر المحبوب بزحمه يزداد حسنا على اللثم
 فوه مهنا يربى على الحجر الاسود ، فتأمل
 هذا العنت .
 واجمل لحج تلاقينا مواقيتا
 ولا أدري لماذا يطلب المواقيت إذا تيسر
 التلاقي ، ولكنه أتى من طلب المؤاخذ بين
 الحج والمواقيت فأفسد هذا المعنى كل
 الإفساد ، وخور الشطر الأول لا يخفى
 على القارى :
 فتغرك اللؤلؤ المبيض لا الحجر
 المسود لأنمه يطوى السباريتا
 والثم يححف بالملثوم ككرته
 إلى قول المعري : —
 ذم الوليد ولم أذم دياركم
 فقال ما أنصفت بغداد حوشيتا
 والمقابلة مهنا بين اللؤلؤ المبيض والحجر
 المسود اجتمع مرهق . ولعمرى لو شبه
 نثرها بالحجر الاسود لكان أبلغ ، إذ يسبغ
 عليه قدامة ونورا ولكنه اندفع مع الطباق
 ورام المقابلة بذكره أن لا ثم الحجر الاسود
 يطوى السباريت ، وهذا كما لا يخفى معنى سرفه
 من أبى الملا المعري إذ هو كثير الدوران
 في لزومياته ، وما على من يريد لنا من نثر
 محبوب أن يطوى إليه السباريت ؟
 أمست سعاد بأرض لا يلفها
 إلا العناق النجيات المراسيل
 هذا ولقد جمع خيال الغزى رحمه الله - اللهم
 غفرانا ، بل إغرابه حتى أخذ ينمى على الحجر
 الاسود أن الشفاء أجمحت به وأثرت فيه

من الوثب والاندفاع . تأمل في التدليل على

هذا الذى نذهب إليه قول الفرزدق :-

إن الذى سمك السماء بنى لنا

بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا زرارة محتب بفنائمه

ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

أحلامنا تزن الجبال رزاة

وتخالنا جنا إذا ما نهجل

وتأمل بعده قول جرير :

أخزى الذى سمك السماء مجاشعا

وبنى بناءك بالحضيض الأسفل

بيتا يحمم فينسمك بفنائمه

دنس مقاعده خيث المدخل

أبلغ بنى وقبان أن حلومهم

خفت فما يزنون حبة خردل

ولعمري إذ عهد الفرزدق إلى التفخيم والرفع

فلا شيء أبلغ في نقض ذلك من التحقير

والخفض وهذا ما عهد إليه جرير فأجاد .

وقد تجد أحد هذين الشاهرين ربما هدل

عن وزن صاحبه ورويه ، متى بدا له أن يغير

بجال القول نفسه ، فإما تبعه صاحبه وإما

خالفه ، وجرير أبدا يروم جذب الفرزدق

إلى الوافر والكامل والقوافي الدلل المنطلقات

والفرزدق أبدا يجمع إلى الطويل وإلى ما يكون

حزنا من ضروب الروى .

يادرة الخدر في لج السراب أرى

مقـلداً بعقيق الدمع منكوتا

إلى آخر ما قاله . ولقد بالغ في التسكف

وإنما سقنا هذا الذى سقناه من قائمته

لضرب مثالا على المجازاة التى يراد بها إظهار

الصناعة فإنها أكثر ما تنول إلى نقيض

ما يريد صاحبه .

هذا والنقائض في الشعر مما يدخل في باب

المجازاة المتعمدة كالذى تجده في مناقضات

جرير والفرزدق . غير أن هذين كانا مجريان

كلامهما مجرى الخط وقد سبق لهما قبل المباشرة

أن حددا لأنفسهما مجال القول فإذا استهل

أحدهما بوزن ما وقافية ما كان ذلك كما مؤذن

لصاحبه بأن مجال القول ههنا . فتى جراه

صاحبه في وزنه وقافيته لم يكن بالمبعد

كل الإبعاد عن طريقة الرضى التى تنشأ من

الانفعال والنفس العاطفى الحار . ولقد نرى

عند جرير والفرزدق أنه ربما عمد أحدهما

إلى مخالفة صاحبه في القافية لا في الوزن

ليجعل ذلك أقرب ما يهمه هو بقوله من ذلك

ما فعله جرير في مجازاة الفرزدق إذ يقول .

إن الذى سمك السماء بنى لنا

بيتا دعائمه أعز وأطول

فانه قد خفض الروى لينجو بالقرول

عن التفخيم إلى ما هو من طريقه ومذهبه

سَيِّطَانُهُ الشَّعْرُ :

هذا ونعود بك أيها القارئ الكريم إلى ما كنا فيه من نعت حال الشاعر حين يروم القول ويلتمس أسبابه في أصناف النظم الذي يصير من بعد مفتاحاً للتعبير وطريقة للبيان والإفصاح .

إن حال الجذب والانفعال التي ترافق تطلع الشاعر إلى تحصيل في الوزن المناسب والقافية المؤاتية ، هي نفسها التي تصبغ كلامه كله بصبغ واحد وتشيع فيه روحاً واحداً وتجعله ذات نفس واحد متصل وهي في رأينا سر الوحدة عند الشاعر العربي وجوهر الروح العاطفي في كلامه . تفيض أول أمرها نقماً صرفاً ثم تدسرب بعد ذلك في مسارب القول الناصح .

وقد بينا لك آنفاً أن طريقة الشاعر العربي في التعبير الجدير المباشر هي التي ألجأته إلى أن يصعد بنفسه إلى قمم من الانفعال حتى يقدر على التصريح غير هائب . لأن همه الاعتراف . وحتى يتقبل السامعون ذلك من صنيعه قبولاً حسناً وهو إذ يصعد بنفسه إلى علياء الانفعال ويهيمهم في أعماقها بالنغم ملتصقاً بالتعبير ، يصير كما قدمنا إلى شيء من حالة الجذب والهيام ، يرتفع به عن مطلق الفردية البشرية إلى شيء من البطولة . ولذلك زعمت العرب أن الشاعر يصاحبه شيطان يلقي إليه ، قال سويد بن أبي كاهل :

وأتاني صاحب ذو غيث

زفيان عند إنقاد القرع
قال ليك وما استصرخته
حافر للناس قوال القذع
ذو عباب زبد آذيه
نخط التيار يرى بالقلع
زهرني مستعر بمهره

ليس للساور فيه مطلع
هل سويد غير ليث عادر
ندت أرض عليه فانتجع
وغير خاف ههنا أن شيطان سويد هو
سويد نفسه بدليل البيت الأخير ، وهذا يقوى ما نزعهم من حالة الجذب ، وقضية شيطان الشعر معروفة فلا تحتاج إلى بسط ههنا ، وبحسبك شاهداً على إيمان العرب بها أن الذين أُلْمِعَ إلى مذهبهم هذا في قوله تعالى :
« هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثهم كاذبون . والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي مققلب ينقلبون . » والمنعوتون بالإفك والإثم والكذب ههنا هم السكهان ، ثم أضيف الشعراء إليهم بسبيل المشابهة والمضاهاة ومنهم من

بمعراضه ، إذا استعطر دنا بالقارىء شيئاً إلى
نعت بعض شعراء العرب المشاهير بنعوت
شياطينهم أليس معلوماً أن كل شاعر قد كان
يدعى لنفسه شيطاناً ؟ أم لم يمر بك كلام
سويد بن أبي كاهل من قبل ؟ أم لا تعلم
قول حسان :

ولى صاحب من بنى الشيطان
فطوراً أقول وطوراً هو
وقول الأعشى :

دعوت خليل مسحلاً ودعواه
جهنم جعداً للهجين المذمم
فأبو العتاهية مثلاً شيطانه من الجن بالحاء
المهملة ، وهم أمة حسياسة من الجن شديدو
ابك مع ضعف وتخاذل . ويخيل لى أن
أكثر شياطين الشعر المعاصر من هذه القبيلة .
وآية الضعف والتخاذل فى أبى العتاهية أنه
تشكك الجزالة فى التعبير بدعوى الزهد ،
والناس يذكرون أنه كان زنديقا وكان جشعاً
وأشد خلق الله حرصاً على المال ، والذي
فى أسلوبه من الركاكة والهجنة لا يخفى .
وأحسبه لو لم يتخذ الزهد طريقة ما كان
لينفق فى زمان كان يستمع إلى أبى نواس ،
وبشار ومروان بن أبى حفصة .

(البقية على صفحة ١٠٩)

استثنته الآيات كما ترى . وفى الأثر أن حسان
ابن ثابت أعين بروح القدس بعد أن أسلم ،
وهذا أيضاً دليل على إثبات الهاتف الذى
يجذب الشاعر ويجيش فى صدره .

ويحسن بنا هنا أن نوازن بين مزاعم
الفرنجية فى نسبة الشعر إلى الميوزات ،
أو « عرائس الشعر » وبين مزاعم العرب
فى الشيطان والرقى . ألا ترى أن الذى تلمه
العرائس جدير أن يكون فى بيانه ذا ريت
ومهل وانفعال بنفسه شيئاً ما عن طبيعة
الموضوع الذى هو بصددده ، حتى يحىء كلامه
نعتاً أو كالنعت لا اعترافاً ولا تصريحاً ،
ولا روما إلى إيصال تجربة بعينها لإيصالاً
مباشراً إلى نفس السامع ، ذلك بأنه من
طبيعة المستلهم إلى العرائس أن يتأملهن
ويعجب بهن ويتأق إلىهن ، وفى كل هذا شوق
وطرب مع تقية وانفعال .

أما من كان قريته شيطاناً فإنه يخالطه
بخالطة لا يدع معه أنه انفراداً بنفسه أو انفعالا
بذاتها . وعلى هذا فإن تعبيره يكون ضربة
لازب ألواناً من الاعتراف يتدافع تدافعا
وينفجر انفجاراً . فعسى هذا التمثيل أن
يعين شيئاً على إدراك بعض حقيقة الفوارق
بين مذاهب الشعر الإفرنجي والشعر العربي .

هذا وإذا نحن بصدد الحديث عن شيطان
الشعر ، فقد لا نجد عن تثبيت معانى ما نحن

سَبْعَةُ يَظْلِمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ لِلْأُتَادِ عِبَاسَ طَه

السبعة ، وإنما ذكرنا على وجه التثنية لأن الغالب في المحبة التي تجري بين الناس أن تكون متبادلة ، فالنفس دائماً تستريح إلى النفس التي تحبها ، فتؤدي استراحتها لها إلى مشاركتها لها في المحبة . قيل : إن رجلاً طلب إلى أحد الملوك أن يحب ابنه ، فرد عليه بأن المحبة ليست أمراً اختيارياً يملكه الإنسان من نفسه حتى يطلب منه تحصيله ، فقال له : طريق ذلك أن تحسن إليه فيحبك فتحبه ، وحقيقة جبلت النفوس على حب من أحسن إليها ، كما قال الأول :

وكل امرئ يولى الجميل محب

وكل مكان ينبت العز طيب
واستدعاء محبة أحد الطرفين محبة الآخر
أمر يكاد يكون مطرد المشاهدة :

والشيء مع الشيء مقابيل وأشبهاء
وللقب على القلب دليل حين يلقاه
نعم قد قالوا : إن أصل كل المحبة محبة المرء لنفسه ، ومنها يتفرع حبه لغيره ، فهو إذا أحب المحسن فإنه إنما أحبه لذات إحسانه ، وإذا أحب جمالا في المخلوقات كالوان الزهر وتجلى الشمس والقمر كان مرجع ذلك إلى

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نقيا في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما نفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) .
ومن نافلة القول العرض حتى ولو لماسا للأنواع الثلاثة التي وردت في صدر الحديث وإنما الخلق بالعرض والتحليل والإشادة والتفصيل ما سنسطه بإسهاب فيما يلي :
أولا : رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه :

غير خاف أن العدد هنا عدد الأصناف لا عدد الأفراد ، أى سبعة أصناف وأنواع من الناس يجمع كل صنف صفة من الصفات فلا يرد أن هذا الرابع فيه رجلان فحق العدد أن يكون ثمانية ، وذلك لأنهما وإن كانا رجلين فإنهما مشتركان في صفة واحدة فهما صنف واحد ، فليس للبذكور زيادة على

وسرى القطى والخليل بن أحمد من علماء
الصوفية المتقدمين أطلبوا على أن محبة الله
مطلب لا ينال إلا بالرياضة والإقبال على الله
والتجرد من الدنيا وعلائقها مع الاحتفاظ
بنصيبتهم فيها وقد جاءت السيدة رابعة العدوية
وهي قطب من أقطاب علم التصوف فقالت
مخاطبة لله عز وجل :

أحبك حين حب الهوى

وحبا لأنك أهل لذاك

فأما الذى هو حب الهوى

فكشفكلى المحب حتى أراك

وأما الذى أنت أهل له

فشغلى بذاتك عن سواك

ثانيا : ورجل طلبته امرأة ذات منصب
وجمال فقال إني أخاف الله .

غير خاف أن تغفل الشهوة في قلوب
الناس وتمكنها من نفوسهم أمر معروف

بلامرية ، وإنما يتفاوتون في الفضل بقدر
ما يبذلون من جهد للتخلص من إساها ،

وقهر النفس على الفرار من سيئاتها ، وقد
يكون الحلاص منها لضعف تعلق النفس

بها لأنها لم تستكمل كل الرغائب ، كأن يكون
الوصول إليها متعاصيا لاطاقة للبر عليه ،

أو أن تكون داعية الجبال فيها ضعيفة
فتضعف الجاذبية أو أن تكون في إنسان

مرذول تنفر بعض النفوس من الاتصال به

استمتاع حواسه أو استرواح نفسه ، هذا
من ناحية ، ومن ناحية أخرى فلأن الله
أودع هذا السرف في هذا الزهر لأنه يريد أن
يسوق الناس إلى محبته .

وكلمة (تحابا) على صيغة تفاعل ، وهذا
الوزن يأتي في العربية لمعان ، منها وهو المراد
هنا أن يشترك اثنان أو أكثر في فعل بدون
أن يلحظ أن لأحدهما صفة البدء به أو المجاورة
على بدئه .

وأما قوله - اجتماعا على ذلك وتفرقا عليه -
فعناه أنه حب قلبي وروحي صادق ، ليس
رياء ولا ملقا فهو في حال الاجتماع والافتراق
سواء ، يثمر في الأول العطف والإيناس
والتواد ، وينتج في الثاني رد غيبته ، وحفظ
حقه ، ورعاية مصلحته . وخلق بمن أحرز
هذا الوصف أن يكرمه الله بإخلاله بظله يوم
لا ظل إلا ظله .

هناك محبة هليا لا تسمو إليها إلا النفوس
الخيرة هي محبة الله ، لله وفي سبيل الله ، محبة
تسمو على الاعتبار والنزوات ولذلك
يقول صهيب رضى الله عنه عمدة أهل الحق :
« اللهم أنت تعلم أني لا أحبك طمعا في جنتك
ولا خوفا من نارك ، ولكنك الانقياد إلى خير
طريق وأبلغ محبة ، وإن أجل ذلك يقول عمر
ابن الخطاب : « نعم العبد صهيب لو لم يخف
الله لم يعصه » . وقد روى أن أيوب السخيتاني

إلى الخوف صراحة . وقريب من هذا ما في قوله تعالى : « وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون » .

ثالثاً : ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه :

للنفوس ولوع بالمال وإحرازه والتحفظ عليه والاستمساك به والمسلكة في سبيله لا يدانيه ولوع بأى شئ آخر ، فهم يرون فيه جماع أغراضهم ، وملاك رغباتهم ، ونيل مشتمياتهم :

والمال مذ كان تمثال يطاف به

والناس مذ خلقوا عباد تمثال

إذا جنى الدور فافع القاطنين بها

أو الممالك فاندجها كأطلال

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخمير المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » .

وقوله : « تصدق أخفى ، جملة أخفى حال ، أى تصدق بخفياً صدقته ، وروى فأخفى ، وروى إخفاء ، وروى تصدق بصدقة فأخفاها ، ووجه رواية الغاء أن الإخفاء أو الجهر حال من أحوال الفعل وصفة من صفاته ، وصفة الشئ متأخرة في الملاحظة عن وجوده وإن لم تنفصل عنه وجوداً .

وقوله : (حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) .

لحقارة شأنه وأنفة النفس من معاشرته فإذا كملت الرغائب وهى مبنية على النزوات كانت الصلة ميسورة ، وكان أمامها ما يرغب فيه ولا تعاف النفس مقارفته . فهذا هو الامتحان حقاً ، فن أعرض عنها وقد توافرت رغباته فيها ، فإنما يكون ذلك خوفاً من الله ولمن خاف مقام ربه جنتان .

وهذا هو ما صوره الحديث الشريف ، فقد بدأ بأن العاقل من المرأة ، وهذه أول درجات الإغراء ، وثنى بأنها ذات منصب أى شرف وحظوة فلا تأنف النفس من الاتصال بمثلها ولا تحتقرها ، وثلك بأنها ذات جمال ، وذلك أساس الرغبة الشهوية ، فإذا امتنع عن ذلك مخافة من الله دخل في قوله جل شأنه : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى السأوى » ، وقوله : « قال إني أخاف الله ، أى قال لنفسه ذلك يعظها ويذجرها ، ويربى في نفسه خروف الله ، فهم لضعفها أحق بأن تخاف ما يخافه الرجل القوى ، وتخصيصه في الإجابة بالخوف بنفسه وكأنه يقول لها : أنا خفت على نفسى فإن كان يهملك نفسك تخافى أنت أيضاً على نفسك فسكأنه يتركها وقد فتح لها باب المخافة لتتعبط هى بنفسها الخوف على نفسها ، وهذا فى الغالب أشد تأثيراً من أن تدعو الشخص

ولا شك أن الرعيل الأول من المسلمين كان يخفى صدقته أو معوته وعن هذا الفريق يحكى الله في قوله تعالى : « للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً ، وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم » .

رابعا: ورجل ذكر الله غاليا ففاضت عيناه لا مشاحة في أن فيض العيون عند الخلو بالله عز وجل نعمة كبرى يفيضها الله على عباده ، فالعبد إذا خلا بربه ذكره ذكر المؤمنين ، وخشيته خشية الخائفين ، لأنه يعلم السر والنجوى ، ويعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ، ويعلم خائفة الاعمى وما تخفى الصدور ، فالعبد الخائف من ربه حين يخلو به يظهر أمامه على حقيقته دون مصانعة ولا مخاتلة ، وهذا الفضل قد يكون في غير المسلم فأولى أن يكون في المسلم الذى يعتقد أن هناك ثوابا وعقابا في دار الجزاء ، وليست الدموع التى تفيض من عين العبد عند خلوه بربه دموعا مصطنعة ولا زائفة وإنما هى دموع الرجل الخائف المضطر ، روى الإمام الغزالي في كتاب الإحياء أن بعض الخائفين من الله كان يحصى هل نفسه من وجه النهار إلى آخره جميع ما يصدر عنه من الأعمال فإذا جن الليل استحضرت السيئات

غير خاف أن الترغيب في إخفاء الصدقة محمول على صدقة التطوع ، أما زكاة الفرض فالأفضل إظهارها لأنها شعيرة من شعائر الدين ، وفي إظهارها إظهار لعزة الدين ، وليكون قدوة للمالكين معينا لتضافرهم هل أدائها .

ومما لا مرية فيه أن الصدقة الخفية فضلا عما فيها من سد الخلة ففيها عدم إحراج للمتصدق عليه .

روى الجاحظ في كتابه - البيان والتبيين - أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها جلست ذات يوم في دارها وحوّلها فضليات النساء من الصحابة فقالت عائشة : (رحم الله لبيد حين يقول :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم

وبقيت في خلف كجلد الأجر

فقال بعض الحاضرات من النسوة : كيف ذلك يا أم المؤمنين وما مضاه . فقالت عائشة : ذهب قوم كان أحدهم إذا علم عن أخيه خلة سدها بغير هله ، وجاء قوم في أعقابهم كان أحدهم إذا علم عن أخيه خلة استوثق من صاحب الخلة ثم سدها بعلمه ، ثم جاء من بعدهم قوم كان إذا علم أحدهم خلة انتظر حتى يسأله ، فإذا سأله سدها ، فجاء من بعدهم قوم أشباح النفوس مهملو الرءوس كان أحدهم يذهب إليه ليسد خلته فيأبى ذلك عليه ، وهو أسوأ الفرق الماضية والحاضرة) .

والشهود أنه علم عن أخ له في الله كثرة بكانه ونحول جسده حتى كاد بصره أن يكف فأنشد رضى الله عنه :

من أين للعارض السارى تلبه
أم كيف طبق وجه الأرض صيده
هل استعار دموى فهى تنجده
أو استعار ضلوى فهى تلبه ؟

نسأل الله أن يحشرنا وإخواننا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ؟

عباسى ط

منها وبكى في جوف الليل وسكونه إنابة إلى الله حتى يبلل الأرض بدموعه فيغفر الله له تلك الهنات ، روى الحاكم من حديث أنس مرفوعا (من ذكر الله ففاضت عينه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذب يوم القيامة) وروى عن أبي هريرة مرفوعا (لا يبلغ النار أحد بسكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع) وروى أن داود عليه السلام سأل ربه : ما جزاء من بكى من خشيته حتى تسيل دموعه على وجهه ؟ قال : أسلم وجهه من لقع النار .

وروى عن سيدي عبد العزيز الدباغ وهو عاقل من عواهل علم التصوف والمعرفة

(بقية المنشور عل صفحة ١٠٤)

من العظم أحسبه سبق بها أبا تمام لما كان يستعمله من البديع والإغراب . وروى له ابن رشيقي أنه ألم به دعبل فأنشده قوله : كأنها ما كأنه خلل الحلة وقف الحبيب إذا بغا وإنما أراد أن يروحه بهذا ، فأنكره دعبل عليه وسخر منه .

المكتور عبد الله الطيب

(للبحث بقية)

ودعبل شيطانه من الجن الأبدن سكان الفلوات والقفار الذين يلون بالناس أحيانا ليصرعهم . وقد ذكر الرواة أنه كان يألف القفار وربما صاحب جماعة الشطار واللصوص وربما قطع الطريق ، وهو في كل ذلك يلم بالحضر وما كان يفعل ذلك إلا ليفتك بعظيم أو خليفة بهجاه يصمه به آخر الدهر . وديك الجن ، وهو من معاصري دعبل ، وقد كان شيطانه من العمار وهم الجن الذين يسكنون البيوت . وقد كان صاحب طريقة

ما يقابل عن الأسيلا

الإسلام في تاريخ العالم

للأستاذ عباس محمود العقاد

ما لم يكن لزميليه السابقين ، وإن لم يبلغ مبلغهما من الملكة العقلية واستقلال الرأي أمام التقاليد . والخاصة التي تتميز بها التواريخ العالمية في مجلد واحد أنها تكتب من وجهة نظر مقدورة في موازين مؤلفيها ، فليست هي مجموعة من المتفرقات لا تربط بينها رابطة غير الاجتماع على خريطة الكرة الأرضية ، وليست هي مجموعة من الوقائع مجردة من المغزى والدلالة على طريقة المؤرخين المسجلين للحوادث العامة في كتب المطولات ، ولكنها أشبه بقصة متناسقة يعرضها شارح واحد يقدم للنظرة شريطاً من الصور المتحركة ، ويذكر لكل مرحلة منه مناسبة ملحوظة تلحقه بالمراحل التي سبقته وتصل بينه وبين المراحل التي تليه .

ولقد كان د ولز ، كفئاً لهذا التنسيق على أساس النظرة الواسعة إلى الوحدة الإنسانية في أطوار التقدم الاجتماعي والانتقال من نظام د معيشي ، إلى نظام د مخلفه ويحل في أكثر الشعوب محله ، وكذلك نظر إلى دور الصيد ودور المربي ودور الصناعة ، ثم دور

من موضوعات التأليف التي كادت أن تصبح لها في اللغة الإنجليزية د دورة ، كالدورة الصحفية موضوع الكتابة من تاريخ العالم في مجلد واحد ، يختصر أو يطبع في الطباعات الدقيقة التي تسمى هندم بمكتبة الجيب . ومن الواضح أن الدورة في هذه المؤلفات تحسب بعشرات السنين : كل عشرين سنة هجرية ، أو كل ثلاثين سنة ، أو كل جيل من الأجيال البشرية المتعاقبة ، إذا حسبنا للجيل ثلث قرن على العرف الشائع ، لأن السنين الثلاث والثلاثين يلتقي فيها على الدوام جيل قديم ، وجيل مقبل ، وجيل قائم في إبانه . وقد ظهر في الجيل الأخير باللغة الإنجليزية ، ثلاثة تواريخ عالمية من مطبوعات المجلد الواحد : وهي تاريخ د ولز ، المصلح الاجتماعي والكاتب القصصي ، وتاريخ فان لون الناقد الفني والكاتب الأدب ، ثم هذا التاريخ الذي بين أيدينا لمؤلفه جون باول Bowle المشرف على تأليف الموسوعة الجامعة لتاريخ العالم ، وله من مؤهلات الإحاطة بالتواريخ الإنسانية ، والتواريخ الشرقية على الخصوص

عن ديانات رومة وأثينا والصين والهند بأنه هو الديانة الثالثة الكبرى بين الأمم السامية ، وأولها اليهودية ثم المسيحية .

ويقارن بين النبي عليه السلام وبين السيد المسيح صاحب الديانة السامية الأخرى وبين بوذا ، صاحب الديانة الآرية المهذبة ، فيقول إنه مثلهما يملك العبقرية الدينية ولكنه يمتاز عنهما بالكماسة السياسية مع القدرة العسكرية .

فإذا تسكلم عن العوامل الاجتماعية ، والنفسية ، التي ينسب إليها تمكن الإسلام في وطنه ثم انتشاره في سائر الأوطان على نحو لا نظير له من قبله ولا من بعده ، فهناك تغلب عليه تلك الفسكرة « التقليدية » عن عقيدة السيف والغنيمة ، وفوته التعليل التاريخي الأول الذي ينبغي أن يسبق كل تعليل : وهو انتشار الإسلام لأنه وافق في العالم كله حاجة عامة ، بعد أن حان أوانها وتمهدت الأسباب للوفاء بها في عالم الفكر والضمير فكل ما عدا القدرة السياسية والعسكرية في نبي الإسلام فهو قابل للتفسير بحماسة والتعصب ، العنيف وبالرغبة في كسب الغنائم ، وبالطبيعة البدوية التي بنيت على تعدد الرحلات والغارات .

ويقين قصور هذا المؤلف خاصة عن تعليل للحوادث العظمى كلها ذكرنا أنه أعرف من زميليه بتواريخ المشرق في كل من الهند والصين والبلاد الملاوية ، وهي

التوسع في العلاقات الاجتماعية والأخلاقية التي تقوم عليها دعائم المجتمعات والهيئات الحاكمة وكان فان لون مقتدراً على تنسيق التاريخ العالمي في نطاق الحركة الفكرية والدلالات الفنية ، كأنهما ينظر إلى الإنسانية في مراحلها المتتابعة نظرت له إلى بعثة ثقافية تشتغل بالتحوين إلى جانب اشتغالها بالبحث والتحصيل .

أما المؤلف الأخير - وقد ظهر كتابه في أواخر السنة الماضية - فالمرجع الأكبر أمامه هو مرجع الجغرافي الذي استوفى أسانيد الإحصاء وأنباء الصحف والإذاعة ، وأخذ ينقل الأبعاد الزمانية إلى خريطة مكانية يعرض فيها مواقع الماضي كأنها تحصل في الوقت الحاضر ، ولم يتخذ له في هذا العرض موقفاً مستقلاً هير الموقف « التقليدي » الذي يصطنعه « المسجل المعاصر » حين يدين نفسه بمظاهر « الاستقارة » على حسب اصطلاح العرف الحديث ... فكل تعليقاته على الحوادث التاريخية الكبرى فهي تعليقات مسبقة من بقايا القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، مضافاً إليها علم الرجل العصري كما يستمدّه من مراجع الإحصاء والإذاعة ، وبخاصة في القسم المفرد أو الأقسام الموزعة التي عرض فيها لتاريخ الإسلام

يبدأ بتقرير الواقع المشهور عن دور الإسلام بين أدوار الديانات العالمية ، ويفصله

وبين الذخائر التي تخلفت باللغة اليونانية في جميع هذه الموضوعات ، بل لا يكلف نفسه مؤنة البحث في المسائل المنقولة والمسائل المبتكرة التي تحتوى فيها احتوته ردودا على حكماء اليونان وعلماهم وزيادات مستقلة في دراسات الحكمة والطب لم تؤثر عن مرجع يوناني وصل إلى العرب أو بقله أثر في القارة الأوروبية وقد كان أولى من ذلك كله وأقرب إلى التحقيق العلى أن يسأل المؤلف نفسه : لماذا حوربت الثقافة الإغريقية عند نقلها إلى الأوروبيين ولم تحارب هذه الثقافة - بمثل هذه الشدة بين شعوب الإسلام على اختلاف الأجناس ؟ وربما كان أولى من ذلك أيضا أن ينظر المؤلف إلى الفن العربى الإسلامى فى البناء ليعلم مبلغ استقلال الذوق العربى عن اليونان فى ناحية ثقافية من الصق النواحي بهم وهى ناحية الفنون الجميلة ، ويعلم كذلك أن الذوق العربى قد استعمل بفنه بين أمم شرقية كثيرة مسبقته أبناء الجزيرة العربية إلى تشييد العائم وابتكار أصاليب البناء .

ولسكن المؤلف يشهد للحضارة العربية الإسلامية شهادة تشفع له فى هذه الزلة التقليدية ، لأنه يقرر بعد إسهاب الكلام عنها أنها لم تستقبح فى التاريخ دورا من أدوار الظلمات كما حدث بعد الحضارة الرومانية اليونانية بين أبناء القارة الأوروبية .

* * *

البلاد التى يوجد فيها اليوم قرابة ثلثائة مليون مسلم دخلوا فى الديانة الإسلامية بعد عصر الفتح بعدة قرون ، وبغير عامل من تلك العوامل التى تفسرها غارات البدو أو طمع الفقراء من أبناء البادية فى كسب الغنائم واغتصاب الديار .

ويتبين هذا القصور من وجهة النظر المصرية قبل كل شئ ؛ لأنهم تعودوا فى هذا العصر أن يعملوا كل نجاح كبير بمقدار الحاجة له والموافقة بينه وبين أشواق النفوس ومطالب المعيشة وضرورات الحياة ... فإذا يفعل الطمع فى الغنائم لولم تكن للإسلام منزلة إنسانية يتطلبها العالم ويستعد لها قبل أو انما ؟ ولماذا لم يفعل هذا الطمع فعلة فى تاريخ انتشار الديانة المهدية وهى ديانة قبائل بادية ومطامعها فى الغنائم واغتصاب الديار تحمل هندا محل الشريعة المقررة فى مواعيد الإله ؟

وينتقل المؤلف من هذه النظرة التقليدية إلى نظرة تقليدية أخرى عند الكلام على الحضارة الإسلامية بعد انتشارها بين الشعوب السامية الآرية ، فهو يعيد هنا تلك الدعوة المحفوظة من استعارة الثقافة العربية خاصة والإسلامية عامة من الثقافة الإغريقية ، ولا يكلف نفسه مؤنة المقابلة بين ذخائر التراث العربى الإسلامى فى الحكمة والطب والكيمياء والجغرافية والتاريخ والأدب

واستغناؤه بدليل العقل عن أدلة الحوارق والمعجزات .

وشفيح المؤلف في هذه الأسطورة التقليدية أنه خص الإسلام بالقوة الصالحة لتوثيق الوحدة « الأخوية » بين المؤمنين وأنه لم ينظر إلى فارق من فوارق الجففس واللون أو فوارق الغنى والفقر كأنه فارق حائل دون جامعة الإخاء بين أبناء آدم وحواء ، ولكنه على هذا التقدير منه لدعوة الأخوة الإنسانية في الإسلام لم يذكر لهذا الدين حسنته الإنسانية ، الأولى في إنقاذه لبنات حواء من مذلة العبودية ، ومن مذلة الحرمان من الروح ، ذلك الحرمان الذي أوشك أن يلحقها بالخلاق العجماء .

وقد لازمه خطأ الفهم إلى النهاية حين ختم فصله الخاص بانتشار الدين معيداً قوله في الفصل كله : إن الصبغة « الحربية » قد لازمت حضارة الإسلام في كل صفحة من صفحاتها التي مثلتها عواصم دمشق وبغداد والقاهرة والقسطنطينية ، وإن سر هذه الصبغة كامن في الدفعة « الديناميكية » الباقية منذ قيامه على « عصبية الصحراء » . وينسى في هذا الختام الموجز كل ما قرره عن خاصة « الأخوة الإنسانية » التي اختص بها هذا الدين « السمع » ، الكريم ؟

عباسي محمود التهامي

ومن النظرات التقليدية التي سيق إليها المؤلف تلك المقارنة بين العقيدة الإسرائيلية والعقيدة الإسلامية كما وردت في كتب الديانتين ، ويذكر من هذه المقارنات أن القرآن يسأل الإنسان : « أفرأيتم الماء الذي تشربون . أنتم أنزله من المزن أم نحن المنزلون » ، وعنده أن هذا السؤال الإلهي كسؤال الله للبي أيوب أنت الذي زينت جناحي الطاووس ؟ ، وأن العقيدة الإلهية متقاربة — إذن — بين الديانتين !! وفي هذه المقارنة أكثر من خطأ واحد لأنها مجموعة من الأخطاء لا يتخللها صواب واحد في جهات الموازنة بين الجانبين .

فالخطأ الأول أن سفر أيوب ليس من الأسفار الإسرائيلية ، لأنه خلا من كل إشارة إلى الفساد أو إلى المسيح المنتظر لخلاص بني إسرائيل ، ولم يكتبه نبي من اليهود .

ويمثله في الخطأ أن الإله في سفر أيوب لا يمثل إله الكتيب الإسرائيلية « يهود » الذي يدين عباده بميزان محدود ، ويدين سائر العباد بميزان آخر غير ذلك الميزان .

ويأتى بعد ذلك خطأ المقارنة بين عبارة عارضة في سفر أيوب وبين العبارات القرآنية التي تنتظم السكتاب كله ولا تدع في الأرض أو السماء صورة من صور الخلق لا يقام بها الدليل على وجود الخالق وعلى رحمته وعدله

الكتب

نقد وتعريف : (مؤلف محمد عبد الله السمان)

١ - منهج الإمام محمد عبده

في تفسير القرآن

للأستاذ عبد الله محمود شحاته

هذا البحث تقدم به المؤلف إلى جامعة القاهرة لنيل الماجستير ، وأشرف على الرسالة فضيلة الشيخ محمد محمد المدني ، والذي كان رئيساً للجنة التي ناقشتها على مدرج كلية دارالعلوم - وكان عضواً للجنة الأستاذ الدكتور محمود حب الله والأستاذ عبد الوهاب حمودة ، وقد منحت اللجنة المؤلف درجة جيد في العلوم الإسلامية (مادة الشريعة) وقام بطبعها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وكتب مقدمتها فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة .

الرسالة تقع في حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير ، الباب الأول تناول المؤلف فيه حياة الإمام ، وترجم له ترجمة مركزة لا إسهاب فيها ، وفي الباب الثاني تناول المؤلف منهج الأستاذ الإمام في تفسير القرآن مقارناً بمنهج المفسرين السابقين ،

واعتبر أن منهجه قام على تسعة أسس : اعتبار السورة وحدة متناسقة ، عموم القرآن وشموله ، القرآن المصدر الأول للتشريع ، مناهضة التقليد ، المنهج العلمي في البحث ، تحكيم العقل ، ترك الإطناب في المسائل المهمة ، التحفظ من التفسير المأثور ، تنظيم الحياة الاجتماعية على هدى القرآن . أما الباب الثالث والأخير فقد تناول المؤلف فيه مدرسة الإمام في التفسير ، ويعني بها مدرسة المنار ، وخصائصها الخمس : التحقيق العلمي ، تأثر الشيخ رشيد بآبن كثير ، تأثره بالفزالي ، التوسع والإطالة ، بيان السنن الاجتماعية وأسباب التطورات التاريخية مستنبطاً ذلك من القرآن .

الأستاذ شحاته لم يسكن في بحثه هذا موالياً لآراء الإمام في كل ما رأى ، بل له وقفات معارضة لآسيا عند الكلام عن تحكيم العقل في فهم القرآن ، وإن كانت هذه الوقفات جانب بعضها الصواب ، فالإمام لا يتأثر بالمؤلفين الفرنسيين في حديثه عن المعجزات والنبوات كما يرى المؤلف ، ومحاولة الإمام

تناقض المؤلف مع نفسه ، ولو جرى هذا لكان هناك مجال للتشكيك في نزاهة إبلاغ الرسول عن ربه ، ولا يستبعد أن يكون قد نزل شيء للتبليغ في تلك الفترة ، والتشكيك في سلامة رواية الحديث أجدر وأحق من التشكيك في التبليغ ، وسد لباب لا يأتي بخير ، لا سيما الحديث من الآحاد التي لا يعول عليها في المسائل العقيدية .

أما اعتبار كلام الإمام (بأن السحر ليس علما يعتمد على الحقائق) فيه مجانبة للصواب كما يرى المؤلف ، ففي هذا الاعتبار شطط ، فقد أشار القرآن في بعض آياته أن السحر تخيل وخداع ، ولم يثبت عليها أن السحر من الحقائق العلمية إلى اليوم ، فهو ما زال ضرب من الشعوذة ليس إلا .

الحق أن البحث الذي نحن بصده بحث جيد ولا يحذر من قيمته معارضة المؤلف لبعض آراء الأستاذ الإمام ، والذي ألاحظه أن الترجمة للإمام كانت مقتضبة ، وأن الأسس التسعة التي اعتبرها المؤلف بما قام عليها منهجه في التفسير لم تشمل كل الأسس المعروفة عن منهج الإمام ، وأنا أعتز بكلمة الشيخ أبو زهرة في مقدمته للبحث : وهو أن السيد المؤلف ضايع خوضاً شديداً نوافقه في بعضه ونخالفه في بعضه ، ولسكننا في الموافقة والمخالفة نقدر اجتهاده .

أن يقرب إلى الأذهان المعجزات الإلهية ويعمل وقوعها بما يوافق العلم والعقل ليس فيه خروج عن أصول التفكير والبحث السليمين ، ولا تأثر بالمفسرين الفرنسيين ، وقد سبقوا بمفسرين إسلاميين لهم مكانتهم في مجال الفكر ، كالمعتزلة وغيرهم ، ومسألة خلق عيسى من غير أب التي وقف عندها المؤلف ، لأن الإمام يرى أن الاعتقاد القوي الذي يستولى على القلب وعلى الجموع العصبية يحدث في عالم المادة من الآثار على خلاف المعتاد ، لم ينكر الإمام عندها قدرة الله سبحانه ، وإلا فمن الذي بعث الملك لينفخ في فرج العذراء ؟

من المسائل التي تعرض لها الإمام ووقف منها المؤلف موقف المعارض ، مسألة السحر ، وسحر الرسول - صلوات الله عليه - بوجه خاص ، فالإمام يستبعد أن يكون الرسول قد سحر إلى الدرجة التي تجعله يظن أنه يفعل شيئاً وهو لا يفعله ، كما يستبعد مسألة سحر الرسول إطلاقاً ، والمؤلف يوافق الإمام في الجانب الأول ، ولا يوافقه في الجانب الآخر ، وإن كان يرى أن سحر الرسول بمثابة إصابته بنوع من الهم أو الثقل امتحاناً له ، ويعود المؤلف فيحاول تأييد حديث البخاري ويدافع عنه ، وفيه أن الرسول سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتين ، وفي هذا

٢ - النبي محمد :

للأستاذ عبد الكريم الخطيب
عنوان الكتاب الذي نشرته دار الفكر
العربي بالقاهرة للأستاذ الخطيب ، هو :
(النبي محمد ، إنسان الإنسانية ونبي الأنبياء)
وأعتبر أن هذا البحث الذي يقع في حوالي
٥٠ صفحة من القطع الكبير ، حلقة ثالثة
سبقها كتابه (قضية الألوهية بين الدين
والفلسفة) في حلقتين (الله ذاتاً وموضوعاً)
(الله والإنسان) .

تناول البحث : النبوة ، النبي ، المعجزة ،
الإعجاز ، مصادر الرسالة الإسلامية ،
خاتم النبيين ، الداعي وموطن الدعوة ،
الرسول ومعجزاته ، الرسول والمعجزة
الكبرى ، بشرية الرسول ، المرأة في حياة النبي ،
في الملحمة ثم في الرحمة .

الأستاذ المؤلف في بحثه عن النبوة ،
وهو هي ضرورة لافسانية ، عرض مذاهب
الناس تجاه النبوة ، فهاك المؤمنون بالشرائع
السموية إيماناً كاملاً وهم مقرون بالنبوة
بالطبع ، وبصلتها بالسماء ، وهناك غير
المؤمنين بالشرائع السموية ، فمنهم من يعتقد
في الله ويذكر رسالات الأنبياء ، ومنهم
من ينكر الله ، وينكر الشرائع السموية
إطلاقاً ، وقد كان لفلاسفة اليونان والهند
وغيرهم نصيب أوفر في إنكار كمال الجنس
ليرقى إلى مرتبة النبوة .

والمؤلف يناقش في البابين الثالث والسابع
قضية المعجزة ، ومعجزات الرسول صلى الله
عليه وسلم ، ففقد أولاً رأى بعض الفلاسفة
المنكرين للمعجزة عن يرون أن كل ما يقع
في الحياة مألوف وغير مألوف هو جار على
طبيعتها ، وواقع على ما تقضى به سننها ، وأن
الأحداث التي تبدو غريبة أو غارقة لمألوف
الحياة هي في الواقع أحداث طبيعية لم تعرف
أسبابها التي لا بد أن تكون قائمة وراءها ،
وأما فيما يتصل بالمعجزات التي حفلت بها
كتب السيرة ونسبت إلى الرسول ، فالمؤلف
مع تقريره بأن من مستلزمات المعجزة أن
تكون للتحدي ، يعرض هذه المعجزات
وينعى على منكريها ، وهي في مجملها ليس
فيها شيء من التحدي اللهم إلا في قصة
الشجرة التي ذكرت في قصة الأعرابي الذي
عرض عليه الرسول الإيمان فأنى إلا بدليل
فاستشهد الرسول الشجرة فأقيمت تنطق
بالشهادة بنبوة محمد ثلاثاً ثم عادت أدراجها
فأمن الأعرابي .

والمؤلف نقل القصة من كتب السيرة
دون ما إشارة إلى سندها وروايتها ودرجة
صحتها في مجال البحث العلمي للحديث النبوي
ومع إيمانه بأن المعجزة الكبرى هي القرآن
الذي توافر له كل مؤهلات التعبد ،
يعود فيحاول إسناد قصة الشجرة بتحليل
بعيد عن المنهج العلمي .

أقدم على شرحها شرحاً مطولاً ؛ لأنه يرى من ناحية أنها أعظم ما ألف في التعريف بمذهب السلف الصالح في إثبات الصفات لله تعالى مع تنزيهه عن مشابهة المخلوقات والرد على فرق الزيغ والضلال من المعطلة الغفلة ، أو المجسمة الغلاة ، ومن ناحية أخرى ، أن هذه القصيدة لم تزل بكرة لم يفتض ختامها ، والمحاولات التي سبق أن تعرضت لشرحها يسيرة ليس فيها شفاء لعليل ، ولا روى من غليل ، .

أما منهج الشارح الذي ذكر في المقدمة أنه قد التزم به ، فهو الشرح الوسط بين البسط والإيجاز ، والواقع أن فضيلته لم يلتزم تماماً هذا الوسط في الشرح ، فقد أضفى على تفسير أبيات القصيدة النونية الكثير من الشروح وأعتقد أن هذا كان ضروريا ، فالشعر مهما كانت بلاغته يقصر دون عرض القضايا الكلامية عرضاً تاماً سليماً ، وابن قيم الجوزية حاول في قصيدته أن يعرض مذهب السلف في إثبات الصفات لله ، وأن يجادل ويناقش المنحرفين عن مذهبهم من الجهمية وغيرهم ، وأستاذ ابن تيمية سبقه عن طريق النثر ، وتأثر تلميذه به في الجدل والمناقشة حين عرض هذه القضية في كتابه (الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة) .

إن شرح القصيدة النونية بالطريقة المسببة

إن القرآن قطع بأن معجزته هي المعجزة الكبرى حين جاء في سورة العنكبوت : « وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله ، وإنما أنا نذير مبين . أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ،

والمؤلف في عرضه للمعجزة غفل جانباً مهما في القضية . فالمعجزات التي ترددها في كتب السيرة من الأمور العقيدية التي تتطلب خيراً قطعي الدلالة والورود ، وكنت أود أن يناقش العجرات بالروح التي ناقش بها ختان الرسول وشق صدره بعد عامه الثاني فقد كان واسع الأفق خصب التفكير ... وللؤلف بعد ذلك تقديرنا ، فقد أضفى على بحثه لونا من التحليل العميق لجاء بحثاً شيقاً متمماً .

٣ - شرح القصيدة النونية :

لفضيلة الشيخ محمد خليل هراس هذا المكتاب في جزئين كبيرين نشرته مكتبة أنصار السنة المحمدية بعابدين والقصيدة النونية التي تبلغ أكثر من ستة آلاف بيت ، وضعها العلامة ابن قيم الجوزية ، وأسماها « الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، وقام بشرحها والتعليق عليها فضيلة الشيخ محمد خليل هراس المدرس بكلية الشريعة وفضيلته

يعرف صحيح المنقول من ضعيفه ، ومقبوله من مردوده) .

بدأ البحث بالرواية وأقسامها وكونها طريقا للعلم وتاريخها ، ثم ميزاتها في الإسلام ثم تناول الحديث في عهد الرسول وعصر الصحابة والتابعين ، ثم تحدث عن كتب أصول الرواية وشروط الراوى ومناهج المحدثين في النقد ، ثم أسباب الجرح ومراتبه وشروط المتواتر ، وشبهاته ، ثم أخبار الآحاد وأقسامه ، ثم تناول البحث قصة الموضوعات وأمارات الوضع ، وانتشار الموضوعات في كتب العلوم وكتب التفسير وكتب الوعظ وكتب السير والأدب واللغة وختم البحث بعرض لكتب الموضوعات والأحاديث المشتهرة والتخارج .

الكتاب - وإن كان هلى ما يبدو ، مدرسى المنهج ، ولذا جاء مقتضبا غاية في التركيز - إلا أن الأستاذ المؤلف ، قدم لنا دراسة طيبة عن أصول الحديث لا يفيد منها الطالب وحده ، وإنما يفيد منها أيضاً كل من يعينهم الأصل الثانى من أصول التشريع ، والذي ما زالت فضيته مثار أخذ ورد ، وجادل ونقاش ، وتحتاج دائماً إلى دراسات مستفيضة وعلى مستوى عال من المنهج العلمى فى أصول البحث .

محمد هبم الله السمان

التي انتهجها فضيلة الشيخ هراس ، كان ضروريا فالشعر يقصر دون إيضاح المسائل العقلية المعقدة ، وقد اعترف بذلك ابن قيم الجوزية حين جاء فى بعض أبياته حين تعرض لأدلة العلو والاستعلاء :

والنظم يمنعنى من استيفائها
وسياقة الألفاظ بالميزان
فأشير بعض إشارة لمواضع

منها وابن البحر من خلجان المهمة التي أداها الشارح جديرة بالتقدير ، وكان ينقصها مقدمة تلخص منهج ابن قيم الجوزية فى القضايا الكلامية التي أمارها ، كما كان ينقصها التبويب المنسق الذى ييسر على القارئ استيعاب هذه القضايا المعقدة المتشعبة وروح البحث العلمى المجرد من العنف والصلابة فى الرأى .

٥ - فى أصول الحديث

لفضيلة الشيخ محمد أبوشهبة

المؤلف هو الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد أبوشهبة ، الأستاذ بكلية أصول الدين جامعة الأزهر ، واحد كتاب مجلة الأزهر المعروفين ، والموضوع من الموضوعات العلمية الشاقة التي تحتاج إلى علم وذهن خصب ودقة فى البحث والاستيعاب ، فأصول الحديث - كما يقول الأستاذ المؤلف (من أجل العلوم وأشرفها وأدقها وأعظمها إفادة إذ به

انبثاء وآراء

ولكن معناه أن كل فرد من أفراد الشعب يؤمن بربه : فالمسلم يعبد ربه وفق تعاليم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، والمسيحي يعبد ربه وفق تعاليم عيسى ، ويؤدى البوذى مراسيم عبادته تبعا لكتبه الدينية وحيثند تكون أندونيسيا دولة تؤمن بالله .

فهلوا نعمل بأوامر الدين سواء المسلم منا أو المسيحي ، وقد أوصى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصايا كثيرة فى القساع واحترام الأديان ، كما أوصى بذلك أيضا عيسى المسيح . فهلوا بنا - عملا بتلك الوصايا - نعلن مبدأ الإيمان بالله الذى يعنى عبادة الله الشاملة لمكارم الأخلاق وتبادل الاحترام والتقدير .

ومن هذا يتبين الخطأ الذى وقع فيه الكاتب وقد يكون مصدر هذا الخطأ قصورا فى فهم صحيح للمبادئ الخمسة التى كان ينبغى عليه كأندونيسى أن يلم بها إلماما كاملا .

وعليه فالجمهورية الأندونيسية عملا بهذه المبادئ الخمسة تحمى حرية العقيدة ، ولا تسمح

مدول موضوع التبشير فى أندونيسيا :

زار السيد الملحق الصحفى لسفارة أندونيسيا بالقاهرة إدارة المجلة وتحدث عما نشر بعدد شوال عن موضوع التبشير فى أندونيسيا ، ثم قدم سيادته مذكرة بالمبادئ الخمسة « البانجاسيلا » وهى المبادئ التى أشار إليها الكاتب فى حديثه عن التبشير فى أندونيسيا وهى :

(١) الإيمان بالله .

(٢) القومية الأندونيسية .

(٣) الإنسانية .

(٤) الديمقراطية « سيادة الشعب » .

(٥) العدالة الاجتماعية .

ثم قال إن المبدأ الأول : وهو الإيمان بالله شرحه الرئيس أحمد سوكارنو فى خطابه الذى حدد فيه فلسفة الثورة الأندونيسية إذ قال : مبدأ الإيمان بالله ليس معناه أن الشعب الأندونيسى يؤمن بربه فحسب ،

حول مقال القورة الوطنية والفنية

فى شعر أحمد محمد

أقبلت بشغف على مطالعة مقال الباحث
الفاضل الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي
عن (محرم) لأننى أحس فى كل ما يكتب
عن محرم فى هذه الأيام بالذات بفروع
من المشاركة الوجدانية مبغته اهتأى بمحرم
وتراثه ومصاحبتى له سنوات أفقتنى بأصالة
الفنية وخصبه المتعدد الفواحي على الرغم
بما لاقاه من جحود وإهمال . وكان كتابنا عنه
هو أول محاولة تهدف إلى لفك الأنظار
إلى ما يستحقه هذا الشاعر العظيم من تقدير .
وإلى الكشف عن خصائصه الفنية وشاعريته
الخصبة ، فضيت فى مطالعة المقال مستحجبا
هذا الإحساس المشوب بالرضا .

غير أنى استوقف نظرى وأنا أقرأ البيت :

قتلت برشوة حقا ضعيفا

له من إثمها كفن ورص

أن السيد الباحث أشار فى الهامش إلى
مصدر البيت على أنه الجزء الثانى من الديوان
ص ١٨٨ - ولما كنت موقنا أن قصيدة
الرشوة لم ترد فى الديوان عدت إلى الصفحة
المشار إليها ، فلم أجد القصيدة وتأكد ظنى ،

لأى دين بأن يعادى ديننا آخر الأمر الذى
يهدم مبدأ من مبادئه البانجاسيلا ،
ويتعارض معها ويهيننا فى هذا الأمر أن
نشير إلى نقطتين هامتين جاءت فى كلام السيد
الكاتب :

الأولى : تختص بالعون الذى تقدمه
وزارة الشؤون الدينية بآندونيسيا للهيئات
الدينية والتعليمية المختلفة من حيث المساواة
فى هذا العون بين المسلمة منها وغير المسلمة ؛
والمعروف أن عدد المسلمين بآندونيسيا
يمثل ٩٥ ٪ من الشعب الآندونيسى والباقي
هو ٥ ٪ موزع بين المسيحيين والبوذيين
وليس من المنطق ولا الواقع أن يتساوى
العون مع هذا الفارق العددي الضخم .

الثانية : عما جاء فى كلام السيد الكاتب
من دخول الأجانب دون قيد ولا شرط
والحق : أنه لا يسمح لأى أجنبي بدخول
البلاد إلا بشروط قررتها الحكومة
إذ لا يعقل غير هذا كما هو المتبع فى أى
دولة أخرى .

والمجلة تفسح صدرها لهذا التعقيب ،
وتعقب عليه بقول الله تعالى :
« إن الدين عند الله الإسلام » .

تفصيلات :

- ١ -

بين الكسائي وسيبويه :

قرأت ما كتبه الأستاذ محمد رجب البيومي
ليدافع عن الكسائي فلقد تلوث الغربال
بعنوان ... وهو الكسائي وصحة عار في جميع
الضاد - ويقول الأستاذ إنى قرأت ترجمته
في كثير من الكتب . ولكننى أقول له بقى
كتاب لم يطلع عليه وهو بقية الوعاة للسيوطي
فقد كتب فيه أسطراً في ترجمة الكسائي
ونقل عن ابن الأعرابي ، قال : كان الكسائي
أعلم الناس ضابطاً عالمًا بالعربية قارئاً صدوقاً
إلا أنه كان والحياء يمنعنى أن أسطر
ما كتبه فراجع صفحة ٢٣٦ . أما سيبويه
وحكايته مع الكسائي فسوف يكون في مقال
آخر إن شاء الله .

- ٢ -

الدكتور محمد البرين الرمادى

العلم والعمل في الإسلام

قرأت مقال الدكتور أيضاً فراقنى أسلوبه
وقدوت نفسيته التي صورت هذا المقال إلا
أننى كنت أنتظر أنه لا يكتب حديثاً إلا
إذا راجع مظان الأحاديث فإنه يكتب

ورجعت إلى كتاب شاعر العروبة والإسلام
فوجدت البيت واحداً من قصيدة الرشوة
ص ١٨٨ وقد دعانى ذلك إلى مراجعة سريعة
لمصادر البحث فوجدت نظائر لهذه الحاشية
في الأبيات التي تشير إلى تعليم البنات ، أشار
في الهامش إلى أن مصدرها ص ٢٧٦ ج ٢
من الديوان ، والصواب أن الصفحة المذكورة
من كتاب شاعر العروبة والإسلام ومصدرها
في الديوان ص ١٥٠ ج ٢ .

والأبيات التي يقول في ختامها :

راودتنى عصابة عن حقها

وأبى العرق الكريم المقتضى

يشير إلى مصدرها ص ١٥٩ ج ٢ والصحيح
ص ١٥٦ ولعل التصحيف وقع أثناء الطبع
وعلى الرغم من أن السيد الباحث كان حريصاً
على الإشارة إلى مصادره بالنسبة للديوان
فإنى أراه كان على العكس من ذلك بالنسبة
لقصائد أخرى لم ترد في الديوان فقد استشهد
بأكثر من ثلاث عشرة مرة من كتاب شاعر
العروبة والإسلام بأبيات من قصائد لم ترد
في الديوان ولم يشير إلى الكتاب إلا مرة
واحدة وكان يسرنا أن يشير الباحث الفاضل
إلى مصادر القصائد الأخرى ، وله مع عتبنا
شكرنا والسلام .

محمد إبراهيم الجبوشى

ذكرى الرافعى :

لم ألق في الأدباء مثلك (مصطفى)
تحكى براعته الحسام المرفعا
تحمى حى أم اللغات بمجده
وتذود عنهما من بغى وتصفوا
قول كآيات الكتاب تنزلت
قد جل حسن بيانه أن يوصفا
كالصبح نوراً والنسائم رقة
والدر نظماً والربيع مفضوا
ألقى البيان قياده لك تنتقى
منه - كما شئت - الأرق الألفوا

* * *

يا ناصر الفصحى بقولك لم تكن
متصنعا فيه ولا متكلفا
أعليت بالأدب الرفيع لواءها
فهنا على العرب الكرام ورففا
وأعدته شعبا قويا بعدما
قد كان أوهى ما يكون وأضعفا
فلتبق ذكراك الكريمة بيننا
فهى الأحق بيومها أن يحتفى

عبد الرحمن نجوا

في مجلة الأزهر ولها شهرة عالمية كالا يحتفى
فلا يصح أن يكون مصدراً لذكر أحاديث
تكلم فيها بالوضع ، مع أنني أكرر وأقول إن
مقاله في مستوى رفيع وهو المطلوب
من العلماء فلا غبار على الأسلوب وملاحظتى
على ذكره للأحاديث ألقى ذكرها ، فمنها أنه
كتب وقال : (من طلب الدنيا فعليه بالعلم ومن
طلب الآخرة فعليه بالعلم) هذا كله لم يسمع
من الأفواء ولم يذكر في كتاب أنه حديث وإذا
كان قد ذكر على أنه حديث فليبين ، ولا يصح
التساهل . فقد جاء الوعيد في التساهل ، كذلك
ذكر حديث (إذا أتى على يوم لا أزداد فيه
علما يقربنى إلى الله عز وجل فلا بورك لى فى
طلوع شمس ذلك اليوم) وقد نبه عليه جلال
الدين السيوطى فقال مفكر لا أصل له .
والحكم كذاب يروى الموضوعات .

وقال ابن عدى لا يروى عن الزهوى
غير الحكم ثم عقب عليه في صفحة ١٠٩
في كتاب الأكل المصوغه والعالم ليس فى حاجة
إلى ذكر أحاديث لم تصح لحسه قوله جل
ذكره . د قل هل يستوى الذين يعلمون
والذين لا يعلمون ، ... ولنا كلمة أيضاً
في مقال الأستاذ الشرقاوى فى القهوة سنذكرها
في مناسبة قادمة بعون الله تعالى .

سليم على الطرجمى

مِنْ ضَائِرِ الْجَنَازَةِ الْفَتَوَى

أَبْرَاهِيمَ مُحَمَّدٍ الْأَحْمَدِيِّ

بشرف عليه :

السؤال :

ثبتت في الذمة مترتبة فإنه يجب فعلها كذلك مترتبة . فإن خالف وعكس الترتيب بأن صلى العشاء قبل المغرب كما في مسألتنا كان فعل العشاء باطلاً يجب فعلها ثانياً بعد صلاة المغرب . ومذهب الحنفية عدم جواز الجمع تأخيراً بالمطر وعليه ففعل المغرب مع العشاء في وقت العشاء لا يكون إلا قضاء . والترتيب في فعل المقضيات مندوب خروجاً من خلاف من أوجبه لا واجب ، فإذا صلى العشاء أولاً والمغرب ثانياً وقعت صحيحة وإن لم يأت بالمندوب .

الجمع بين صلاة المغرب والعشاء لعذر المطر جماعة جمعوا بين صلاة المغرب والعشاء بسبب غزارة المطر وصلوا العشاء قبل المغرب ، بحجة أن وقت المغرب قد فات لأنهم صلوا بعد وقت العشاء . فهل صلاتهم صحيحة وفي أي المذاهب تصح وأياها تبطل ؟

عبد العزيز عبد الله القطيفي - الكويت

الجواب :

ومذهب الحنفية عدم جواز الجمع إلا في الظهر والعصر تقديمًا بعرفة والمغرب والعشاء تأخيرًا بمزدلفة فلا يجوز الجمع عندهم في غير ذلك ، وعليه ففعل المغرب في وقت العشاء في غير المزدلفة يعتبر قضاء ، والترتيب واجب إن كان من أهل الترتيب بأن لم يترك في حياته ست صلوات ولو من أيام متفرقة لسهولته عليه حينئذ فإن لم يكن من أهل الترتيب بأن اجتمع عليه ست صلوات فأكثر سقط وجوب الترتيب وله أن يصلها كيف شاء ، فإذا صلى العشاء قبل

مذهب الإمام أحمد رضى الله عنه جواز الجمع بين المغرب والعشاء خاصة للمطر تقديمًا وتأخيرًا بشرط أن ينوي الجمع في وقت المغرب قبل خروجه بما يسع الصلاة لئلا يمتنع التأخير المشروع عن التأخير تعدياً ، فإن لم ينو كان متعدياً بتأخيرها وكان فعلها في وقت العشاء قضاء .

وعلى كل : سواء فعلت مع العشاء أداء للعذر أي نوى التأخير قبل خروج وقتها أو قضاء فإنه يجب الترتيب بين المغرب والعشاء لأن الفعل يحاكي استقرارها في الذمة ، وحيث

الوضوء والغسل سواء أثناء الحيض أو أثناء الطهر منه وأن الأصباغ التي يحنط بها النساء أظافرهن الآن لا تمنع الطهارة فيها وقد نص الحنفية في باب الغسل كما في شرح الدر على أنه لا يمنع الطهارة ما على ظفر الصباغ كما نص الشافعية في هذا الباب كما في حاشية الباجوري على شرح ابن قاسم على أنه : ويجب إزالة ما على اليدين من الحائل كالوسخ المتراكم من خارج إن لم يتعذر فصله ، وإلا لم يضر لكونه صار كالجزم من البدن .

ولا شك أن إزالة الخضاب في كل وضوء وغسل متعذر فيصح وضوءه من غسلهن دون أن يكلفن إزالة هذه الأصباغ .

وأما عن السؤال الثاني فنفيد : بأن التلقيح الصناعي المذكور في السؤال محرم شرعا وفيه من اختلاط الأنساب ما لا شك فيه فيحرم قطعاً سواء رضى الزوج به أم لم يرض .

أمره مكنت المداينة في السؤال :

السؤال :

اشترى شخص من الجزائر سوقا من الحكومة وهذه السوق تستعمل في بيع المواشى فيحضر البائع ماشيته ليبيعها في هذه السوق ، ولما لك السوق الحق في أخذ مبلغ معلوم على كل رأس تدخله . فهل المبلغ المعلوم هذا حلال أم حرام ؟

ميساوى الأخضر

المغرب حينئذ وقعت صحيحة لعدم وجوب الترتيب .

ومذهب المالكية عدم جواز الجمع بين المغرب والعشاء تأخيرا بالمطرقا - ير المغرب إلى وقت العشاء موجب للإثم والترتيب بينهما واجب بحيث لو فعل العشاء قبل المغرب كانت العشاء باطلة .

وهذا هو حكم المسألة في المذاهب الأربعة كما طلب السائل .

الفصل مع صبغ الشعر وتخفيف الظفر والخل الصناعي

السؤال :

١ - هل الشارع يمنع الحائض أثناء الحيض من صبغ شعرها وتخفيف أظفارها وإن فعلت لا يصح لها غسل لا متناع وصول الماء للشعر والظفر لكونهما تخفيا وهما بحالة غير طاهرة ؟

٢ - تقدم الطب الذي تمكن من إعطاء مصل منوى للمرأة بطريقة الحقن تحمل بواسطته طفلا وتنجب أولاداً فما رأى الشرع ؟

مدير الأشغال العامة بطرابلس - لبنان

الجواب :

عن الأول نفيد بأن الأصباغ التي يصبغ بها الشعر ويبقى أثرها لا تمنع فيه الطهارة في

بسبب ما يوجد حول هذه الصنعة من الاحتياط
ودفع المنضبط الصحيح عياره منها دون غيره
فيجوز حينئذ إقراضها على أن يرد مثلها
وزنا وعيارا وصنعة وإن ارتفع الثمن وقت
التسديد عن وقت الاقتراض .

الفصل الخطأ

السؤال :

كنت سائقا سيارتي الخاصة وفي أثناء
سيرى بها صادفتي شخص يركب دراجة
فاصطدم بالعربة دون خطأ من مما أدى
إلى قتله

وأريد أن أعرف حكم الشرع في هذه
المسألة حتى لا أسأل عنها أمام الله ؟

ح - ب - عناية - الجزائر

الجواب :

صاحب السيارة إذا لم يتمكن من تفادي
هذا الصدام بأى وجه من الوجوه يكون
لا دخل له في القتل وحينئذ فلا شيء عليه
ولا تلزم الدية . أما إذا كان يستطيع أن
يتلافى هذا الصدام بوجه من الوجوه ولكنه
لم يفعل يكون عنه نوع من التقصير فتكون
الدية مناصفة نصفها عليه والنصف الآخر
يسقط عنه .

ويكون عليه كفارة القتل الخطأ وهو
صوم شهرين متتابعين فإن لم يستطع فإطعام
ستين مسكينا لكل مسكين مد من الطعام .

الجواب :

هذه أجرة جائزة على مكث الماشية في السوق
يوم البيع والشراء ولا يضر في ذلك
تفاوت المدة طولا وقصراً لجريان العادة
بذلك ورضا الناس به ما دامت الأجرة
معلومة كما ذكرت .

إقراض المصوغات المنضبطة وزنا وعيارا

السؤال :

أرادت سيدة أن تقترض من أخرى مبلغا
هو خمسون جنيا ولكن السيدة الثانية لم يكن
معها سوى ٢٠ فقط ، فألحت الأولى كثيرا
لتقترض من الثانية مما استدعى الثانية أن
تعرض عليها بيع بعض المصوغات لسد
حاجتها ، ففعلت - لا اتفقنا على أن تباع
الثانية الذهب ولما ذهبنا إلى الصائغ وجدت
السيدة الثانية أنها إذا باعت الأساور سوف
تخسر جزءا من قيمتها عند الاسترداد
فعرضت عليها الأولى أن توفي بجميع المبلغ
بما فيه الحسارة وفعلا بيع ما قيمته ١٨
قيراطا من الذهب على أن يرد ثانية عند الوفاء
١٨ قيراطا ثم حدث عند الوفاء
أن زادت قيمة هذا القدر عن المبيع سبعة
جنيهات مصرية .

والسيدة الثانية تسأل عن حكم أخذ هذه
الزيادة ؟ محمد على

الجواب :

الأساور الآن منضبطة وزنا وعيارا وصنعة

بَيْنَ الصَّحْفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق : الأستاذ عبد الرحيم فودة

تمكين الحق

إن إرادة الله كانت تحتم تمكين الحق من السلاح الأقوى لكي يستطيع أن يعلى كلمة الله بنصره .

وفي نفس الوقت بذلتم جميعاً هناك أخلص الجهود وأكرمها لكي لا تسيل على أرض اليمن دماء غزيرة ، ولقد كن سلاحكم قادراً - لو تركتم له العنان - أن يسيل دماء بغير حساب ، لكن العقاب لم يكن غايتكم ، لقد كنتم هناك أصدقاء الحياة ولم تكونوا أعداءها .

وإني لأعلم أن كثيرين من شهدائنا الأبرار الذين جادوا بالدم الزكي على أرض اليمن راحوا ضحية محاولتهم تجنب سفك المزيد من الدماء ، وكشفوا أنفسهم للعراء أمام كل فرصة لاحت للسلام .

لقد وضعتم الدعوة جنباً إلى جنب مع طلقة الرصاص ، وفتحتم قلوبكم قبل أن تفتحوا نيران مدافعكم ، ووصلت رسائلكم بكلمة

الهدى تصبى طائراتكم ، كل ذلك حرصاً على الحياة ، وفهما عميقاً للرحلة التي تجتازها أمتكم وفيها من يسعى على أرضها بالضلال والتضليل ويترك للبخدوعين أن يدفعوا وحدهم ثمنها . .

الرئيس جمال عبد الناصر
من خطابه في الاحتفال بعودة الأبطال
« جريدة الأهرام »

بنى ولا يهرم

والاجتماع الإسلامي لا يهدم من كيان الاجتماع الذي استفاده بنو الإنسان من أطوار حياتهم الاجتماعية في الحقب الطوال ، لأن المفهوم من سير الهداية الإلهية كما يسردها القرآن الكريم أن حياة النوع الإنساني تاريخ متصل يتم بعضه بعضاً . وتنتهي إلى التعارف بين الشعوب والقبائل في أخوة عامة لا فضل فيها لقوم على غيرهم إلا بالعمل الصالح ، ولهذا يحرص الإسلام على كيان الاجتماع في الشخصية الفردية وفي الأسرة وفي الإيمان بوحدة النوع ،

أو معالم الحياة الإنسانية كما يتصورها العرب ويؤمن بها ، وهذه القيم هي :

أولا : الإيمان بالقوى الروحية ، وإذا كانت الحضارات المعاصرة قد نعتت في فترات من تاريخها بالانقياد لتعاليم الديانات السماوية ، فإن الحياة الواهية لشعوب الغرب اليوم لا تنفس مكانا للديانات . أو القوى الروحية ، وكان من ذلك ما يعرفه كل أحد من سيادة التقيم المادى للحياة والاحياد ، وانتزاع الأمن والرضا . واختفاء السعادة الإنسانية الأصلية من حياة الناس .

ونحن العرب نؤمن دائما بالله .. وبالغيب . وبالأخرة . وبالقيم الروحية التي تميز الإنسان باعتباره نفحة من روح الله ، ونؤمن بأن تجديد هذا الإيمان في نفوس العرب أولا . ثم في نفوس الناس كلهم ثانيا هو مفتاح السر الذي يفتح آفاق الخير والحضارة الإنسانية الحقبة أمام الشعوب كلها ..

ثانيا : الإيمان بالإنسان ، وإذا كانت الحضارات كلها تدعى لإيمانها بالإنسان فإننا نحن العرب نستمد هذا الإيمان من تصور خاص للإنسان باعتباره مركز هذا الكون ومحوره ، وباعتباره صاحب الخلافة عن الله في أرضه ، وإيماننا بالإنسان يتخذ — فوق ذلك — صورة الحرص على تكريم

ولا يهدم بنية من هذه الأبنية الحية التي « تحققت ، لتعيش بين القوى العاملة في المجتمع لا لتهدم وتندثر في حقبة بعد حقبة كأنها من الشرور التي تولد على الرغم منا . وتعود كلها استأصلناها كرة بعد كرة ولا ندري من أين تعود ..

عباس محمود العقاد

من كتاب الشيوعية والإنسانية

بسم الفتح بالقلم

قالوا غزوت ، ورسل الله ما بعثوا

أقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم

جهل وتضليل أحلام وسفسطة

فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

والشر إن تلقه بالخير صقت به

ذرها وإن تلقه بالشر ينحسم

« شوقي ،

من الشوقيات

فهم الحضارة العربية

.. والقيم التي تستطيع الحضارة العربية ويستطيع العرب أن يفيتوها على البشرية تناول جوانب الدنيا كلها ، ولكن منها قيا ثلاثة نعتبرها محاور الحضارة العربية

الحياة لمؤقويات :

لأننا لا نريد أن تساس مصر بأسلوب هؤلاء الفلاسفة ، وإن كنا نرحب بهذا الأسلوب على أنه لون من ألوان الثقافة النظرية يضيف إلى أذهاننا معلومات ، وإنما نريد أن تساس بأسلوب الحياة التي لا تحترم إلا القوة ، ولا يعيش فيها إلا الأقوياء ، وإذا كنا مع دولة (صدقي باشا) في أنه يجب الاعتماد على أنفسنا والعناية بشئوننا الخاصة ، وعدم الاسراف في العاطفة نحو جيراننا . فإننا مع ذلك يجب ألا نتخلى عن التبعات الثقيلة التي ألقمتها الأقدار على عاتق مصر من قديم ، فاضطلعت بها في صورة كريمة مشرفة يزدان بها تاريخها المجيد ، فقد حطم التتار بغداد وقوضوا صروح حضارتها ، ثم اندفعوا يهلكون الحرث والنسل إلى أن جاء دورهم مع مصر فخطمتهم وأنقذت الشرق من شرورهم وأخطارهم ، وقد انتزع الصليبيون بيت المقدس من المسلمين ، وظل في أيديهم أحقابا طويلا ، ثم جاء دور مصر معهم فردتهم على أعقابهم ، واستردت منهم هذه الوديعة التي أوثمن عليها المسلمون والعرب .

ع . ف

من مقال بحريدة الزمان

الفرد ، واحترام ذاته ، وتقديس حريته ، لأن الله تعالى يعامله على هذا النحو فيقول « ولقد كرمنا بني آدم » ثم يقيم شريعته كلها على أساس هذا التكريم ، فيقرر له حرية اختيار العقيدة والفكرة ، ويحمي حياته وماله وحرقة من الأذى والعدوان . وإذا كانت مشكلة الحضارات ليست في جملتها سوى مشكلة الإنسان ... فإن هذا التقييم الخاص للإنسان كفيل في الحقيقة بحل أزمة الحضارة المعاصرة .

ثالثا : الإيمان بالسلام ، والدعوة إليه .. وهذه القيمة مستمدة من الأخرى من أديان السماء ، فالمسيحية جاءت سلاحا خالصا للناس والاسلام يستمد اسمه من السلام ، ويجعل تحميته السلام ، ويجعل الأصل في علاقات الناس حتى مؤمنهم وكفارهم هو السلام فيقول « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » .

والدنيا اليوم عامرة بالحقد والعداوة والبغضاء ، ونفوس الناس مستعرة بنار هذه الأحقاد ... وهيات أن يصنع السلام أمثال هؤلاء ... أما عن العرب فندعوهم إلى إقامة السلام داخل النفس البشرية أولا ... حتى إذا توافقت طاقاتها على الخير كأن من الطبيعي أن تصنع السلام العالمي وأن تتمكن له ؟

دكتور احمد كمال أبو الجند

من مجلة الرابطة الاسلامية



يَشْرِكُ فِي الْقِيَمِ
عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ
بَدَلُ الْأَشْتَرِ
ع. في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ شارع الجمهورية
والمدرستين والطالبات يتبعين لهم

مَجَلَّةُ الْأَزْهَرِ

مجلة شهرية جامعية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المصنوع
إدارة أجمع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

بَصْدُ عَنْ شَيْخَةِ الْأَزْهَرِ فِي ذَوْلِ كَلِّ شَهْرِ رَجَبِ

الجزء الثاني — السنة الخامسة والثلاثون — صفر سنة ١٣٨٣ هـ - يولييه ١٩٦٣ م

١٤
٢٢٢٢٦
درري

السَّالِمَاتُ الْمَرْغُوبَاتُ

حول « أمة التوحيد تتوحد » للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر

اطلعنا على عدد المهرم من مجلة الأزهر ، وقرأت فيه مقال رئيس التحرير الأستاذ أحمد حسن الزيات المعنون « أمة التوحيد تتوحد » . وقد لفت نظري في هذا المقال تلك المقالات التي عقدها بين بقاء عناصر الوحدة ودوامها ، وعدم ثباتها واستقرارها . وليس بخاف كما يؤكد التاريخ والواقع أن عناصر الوحدة الإسلامية ومقوماتها كانت - ولا تزال - ذات أثر فعال ، وصلاحية إيجابية في بناء مجتمع قوى متماسك وبخاصة في الفترات التي ينتهيا فيها الأمة الإسلامية قادة يأخذون بمبادئ الإسلام وعناصره الخالدة في العقيدة والنظم والأخلاق ، ومن هنا كانت الوحدة الإسلامية خالدة بخلود هذه العناصر التي أرادها الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم أساسا لقيامها وقواعد لسيانها .

ومن هنا كذلك كان نجاح الثورات الإصلاحية مرمونا بمدى تجاوبها مع هذه المبادئ وتلك الأسس . هذا . وقد وافق الأستاذ الزيات على أن ينشر بياننا في هذا العدد يصحح فيه الفسكرة ، ويزيل اللبس الذي وقع في مقاله السابق لتطمئن النفوس إلى أن مجلة الأزهر حريصة على اتجاهها العلمي وطابعها الإسلامي . وإنا نلجج لمجلة الأزهر ، ولكل أجهزة الدعوة الإسلامية التوفيق في الوصول إلى الأهداف التي جاءت بها شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، والتي بها تدوم وتم ، وهي التي من أجلها يعمل الأزهر . ونسأل الله التوفيق في العمل ، والعصمة من الزلل ... ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ...

مجلة الأندلس

مجلة شهرية جامعة

بصدور من شيخنا الأزهري في أول كل شهر عربي

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
المفتون
إدارة أجمع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

يشارك في التحرير
عبد الرحمن محمد العقاد
بذل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ فمصر المنورية
ولمدرسين الطلاب يتبعون

الجزء الثاني — السنة الخامسة والثلاثون — صفر سنة ١٣٨٣ هـ - يوليو ١٩٦٣ م

السلامة العامة

إيضاح وبيان :

وحدة لا وحدتان

خالج بعض النفوس المؤمنة شيء من قولي
في العدد الماضي من هذه المجلة : « إن الوحدة
المحمدية كانت كلية عامة لأنها قامت على العقيدة .
ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف
أو تحول . وأن الوحدة الصلاحية كانت
جزئية خاصة لأنها قامت على السلطان
والسلطان يعتريه الوهن فيزول . أما الوحدة
الناصرية فباقية نامية لأنها تقوم على
الاشتراكية في الرزق والحرية في الرأي
والديمقراطية في الحكم ، وهذه المقومات

الثلاثة ضمان دائم للوحدة ألا تستأثر
فقتنغل ، وألا تستبد قنطفي ، وألا تحكم
فتتحكم .
والقول الذي اعتقده وأقصده هو أن
الوحدة الناصرية المقترحة غير مغيرة
ولا مستقلة عن الوحدة المحمدية وإنما هي
تجديد لها ؛ لأنها كما قلت في عدد شعبان الماضي
من هذه المجلة : « طبقت مبادئ الإسلام التي
فهمت ولم تعتقد ، أو اعتقدت ولم تطبق ؛
فالامر شورى والحكم عدل والرزق شركة

والناس سواسية والشعب حاكم ، ، فإذا قلت
لأنها إذا نفذت ستبقى وتدوم فذلك لأنها
هى الإسلام مطبقاً بالفعل منفذاً بالقانون
مؤيداً بالحكم . ولو كانت غير ذلك
لما اطمأن إليها قلب ولا اجتمع عليها رأى .

ولو كان الأمر أمر السلطان بغير عقيدة
لكان من الممكن أن يحدث للوحدة الناصرية
ما حدث للوحدة الصلاحية .

ولو كان الأمر أمر العقيدة من غير تطبيق
لحدث ما حدث للوحدة السياسية المحمدية :
فقد ظلت عامة قوية حين كان الإسلام
معتقداً مطبقاً فى عهد الخلفاء الراشدين ومن
استار سيرتهم . فلما طغت العصية فى عهد
الأمويين ، واشتدت الفردية والشعوبية

ولو ظلت الوحدة الإسلامية قوية
فى النفوس مطبقة فى الحكم كما كانت
فى صدر الإسلام لظلت الوحدة المحمدية
السياسية باقية نامية من عصر إلى عصر
حتى يوم الناس هذا .

هذا ما اعتقدته وأردته . ولعل الإيجاز
الذى أدت به هذه الجملة اعتماداً على ما كتبت
من قبل فى هذه المجلة كان سبباً فى هذا الإيهام
فأنا أوضحه فى هذه الكلمة ؟

أحمد حسن الزيات



في مطالع الأعيان نظرة إلى التنجيم في العالم المتمدن للأستاذ عباس محمود العقاد

كان علم النجوم في زمن من الأزمنة الغابرة يسمى بالعلم السماوي ، أو العلم العلوي ، أو العلم الإلهي ... وكان علماً واحداً ينطوي على عدة علوم : أولها علم الدين ؛ لأن الأقدمين كانوا يعبدون الكواكب ويخضعون كل نجم بالربوبية على جزء من أجزاء الطبيعة أو قوة من قواها .

ومن علوم النجوم « علم الفلك » الذي يبحث في حركات الكواكب ومواقيت طلوعها واحتجابها .

ومنها علم الملاحة لاعتماد السفن على رصد الكواكب واختلاط الأمر يومئذيين دراسة الفلك ودراسة الظواهر الجوية على إطلاقها .

ولقد كان علم الزراعة يرتبط بعلم الفلك ؛ لاعتماد الزراع قديماً أن المحاصيل الزراعية تنمو بفضل البروج والمنازل السماوية التي تشرف عليها وتقرن أحياناً بمواعيد الأمطار والفياضات .

وأما العلم الذي كان في الواقع يغطي على

علوم الفلك جميعاً فهو « علم التنجيم » ، أو علم الطوالع وما تنطوي عليه من أرصاد السعود والنحوس . فقد كانت كلمة التنجيم إذا أطلقت تعني في عرف الأكثرين علم النظر في الغيب واستطلاع السعود والنحوس وتدير أسباب الوقاية التي يزعم المنجمون بطلاسهم وأباطيلهم أنها تنفع في هذه الأمور .

ولقد مضى الزمن ، وتقدم الناس أو تقدم المتمدنون منهم ، فتركوا عبادة النجوم وعرفوا الحقائق عن علوم الملاحة والزراعة ، وعرفوا ما لم يعرفوه قط - من قبل - عن حركات الأفلاك ومنازل الفضاء ، فأصبح للفلك علم مستقل غير علوم اللاهوت وعلوم الملاحة والزراعة وانقطعت الصلة تماماً بين هذا العلم الواسع وتلك الحزبهلات التي كانت تسمى بعلم التنجيم ، واضطر علماء الغرب أن يفصلوا بينهما في لغاتهم ، فأصبح علم « الاسترونومي » أي علم الفلك غير علم « الاسترولوجي » الذي يطلق على التنجيم .

والطوابع ، مخصصة كلها لمسائل التنجيم ونبوءات الحاضر والمستقبل ، ودلالات الأفلاك على مصائر العظماء ومقادير الدول والحكومات وفي كل لغة من اللغات الحية تصدر التقاويم السنوية ، وتصدر المجلات الدورية ، وتصدر الكتب والمصنفات ، وتصدر دوائر المعارف ومراجع التاريخ وينتظم صدورها كما ينتظم صدور أمثالها من المطبوعات المختصة لمباحث العلوم والآداب والفنون ، ويشتريها طلاب الطوابع بالآثمان الغالية التي تزيد أحيانا على أثمان كتب العلم والصناعة ودراسات الفنون والصناعات .

وقد عنيت إحدى المجلات السيارة بإحصاء هذه الظاهرة العجيبة ، فتبين لها أن الاهتمام بالتنجيم في ازدياد ، وأن الأمم الأوروبية والأمريكية لا تقل عن أبناء القارات الأخرى في إقبالها على قراءة كتب التنجيم ، وعلى استشارة المنجمين في أخطر الشئون : ومنها مشروعات التجارة والاقتصاد ، واختيار الشركاء والأزواج .

وإذا صح الإحصاء الذي اعتمدته المجلة فقد ازداد عدد المقبلين على استشارة المنجمين في الولايات المتحدة - بعد الحرب العظمى - من ثلاثة ملايين إلى عشرة ملايين ، وأصبح هدايا المكاتب المفتوحة لقراءة الطوابع يقارب

وكان المظنون أن أبناء الغرب المتمدنين قد فرغوا من أمر التنجيم وخرائقاته ، وقد عرفوا من حقائق الأفلاك في هذا الزمن ما يعرفه عن تلك الخرافات التي صدقها أسلافهم ؛ لجلبهم بأقرب السكواكب إليهم وخططهم بين مواقع النجوم التي ترى بالعين المجردة ، وهم لا يعرفون أبعادها ولا يدركون آفاقها .

أما اليوم والأرصاد الفلكية تكشف الآفاق إلى مدى الملايين من السنين الضوئية وعلما الفلك يعرفون عن تكوين السكواكب مثل ما يعرفون عن تكوين هذه الكرة الأرضية ، ويتحدثون عن السفر إلى تلك السكواكب كما يتحدثون عن الممكنات أو عن الصعوبات التي تقبل التذليل ، فلا ندري كيف يعقل الإنسان المتمدن أن أسرار السماء والأرض في الحاضر والمستقبل ، يكشفها المنجمون الجهلاء وينبئ عنها من غاب عنه كل كشف جديد من كشوف السماء ولكن الواقع العجيب أن المصدقين بالتنجيم اليوم بين المتمدنين في الغرب ، يزدون كلما ازدادت كشوف الفلك الحديث ، وأنتا لا تزال تلقى من المطبوعات الأوروبية والأمريكية أشتاتا من التقاويم والمجلات وجداول الأرصاد

بمثل هذه الأمانة في الحكاية، وفيها ما فيها من التشكيك على الأقل بفريق من المحترفين لصناعة التنجيم .

قالت إن ثلاثة من سبعة من كبار المنجمين المشهورين رسموا خريطة السيارات الشمسية فوضعوا الأسفل منها في موضع الأعلى . . ولا تدري المجلة - كما تقول - أعن جهل كان ذلك أم إهمال ؟ .

وقالت عن عالم برازيل أنه ضجر من إلحاح بعض النashرين عليه ليرسم له خريطة سماوية مقرونة بالطوالع، فتخلص منه بإحالة إلى سكرتيره ليقنعه أو يريجه من إلحاحه، فاخترع له السكرتير خريطة من عنده نقلها من بعض المهملات المهجورة، ولا تزال هذه الخريطة المخترة تباع وتشتار في مهام الأمور .

ويقال كاتب البحث عن التنجيم : ترى ماذا يصنع المنجمون في أمر التوائم الذين يقشاهون بأسماء الآلهات والآباء وساعات الميلاد وأماكن الولادة، ولا يمكن أن يتفقا في حواث الحياة ؟ .

ويجب الكاتب : لماذا يذكر الناس قليلا من الأخبار التي تصح ببعض التأويل بل لا تصح إلا مع التعسف في التأويل، ثم هم لا يذكرون عشرات الأخبار التي كذبت

خمس آلاف، ويقدر عدد المؤمنين بالطوالع الفلكية في ألمانيا بنسبة سبعة وعشرين في المائة من مجموع سكانها، وأن رجال السياسة في إيطاليا كثيرأ ما يزورون مكاتب المنجمين تحت جنح الظلام ليسألوهم عن طوالع الأحزاب والحكومات، وأن دور الملاحه في اليابان لا يندر أن تستشير المنجمين لاختيار الساعة الملائمة لإزالة السفن الجديدة إلى الماء، وأن النashرين اليابانيين وزعوا في سنة واحدة ثمانية ملايين نسخة من خرائط الطوالع التي تسمى بالاصطرلاب، وأن في إيطاليا عشرين مجلة منتظمة لا تنشر شيئا غير النبوءات وما يتعلق بها من أسئلة القراء وأجوبة المنجمين، وأن طائفة غير قليلة من أصحاب الإهمال يتذكرون إلى اليوم مقدرة المنجمة إيفانجيلين آدمز Evangelin adamz التي كانت تقنع مورجان - صاحب الملايين بنبوءاتها عن تقلبات السوق، ولا يبالون من أجل ذلك أن يجازفوا بأموالهم معتمدين على أرواح المنجمين والمنجمات .

وقد أرادت المجلة أن تلتزم جانب الحيدة العلمية في رواية تلك الأخبار، فنقلتها على حلاتها ولم تظهر للقارئ أنها تستخف بها ولا أنها تصدقها وتطمئن إليها، ولكنها نقلت كذلك أخباراً أخرى عن بعض المنجمين

الميلاد بمائة وخمسين سنة ، ولأن الفلكيين قبل ذلك التاريخ كانوا يحسبون أن مدار الأرض فيها ثابت على اتجاه واحد ،

ولكن الفلكي هيباركس Hipparchus أثبت أن البروج تنتقل من أماكنها ، وثبت بعد ذلك أن خط البروج انتقل قبل ألفي سنة من برج الحمل إلى برج الميزان ، وأنه الآن ينتقل من برج الحوت إلى برج السنبلة ، ولا تزال تتقهقر حقبة بعد حقبة حتى تعود إلى أماكنها ، فلا يتم انتقالها إلا مرة في كل ستة وعشرين ألف سنة ، ولا تتفق طوابع المواليذ اليوم وطوابعهم قبل ألف سنة ولا قبل مائة سنة ، لأن مواضعها في أفلاك البروج لا تزال في انتقال واختلاف .

هذه الحقائق الفلسفية قد أصبحت أكثر من مجرد حقائق علمية يدرسها الرياضيون في مراصدهم ، لأنها وقائع تلمس آثارها كل يوم في أرصاد الأجرام السماوية وأدوار المذنبات وحساب الكسوف والخسوف ، وبها يستطيع الفلكيون أن يقدروا بالساعة والدقيقة مواقيت الحوادث الماضية في المنظومة الشمسية كما يقدرون أمثالها بعد ألف سنة ، وكل حقيقة منها تنقض أباطيل المنجمين عن السيارات والبروج وعن الشمس والقمر من غير السيارات ، وثبت لنا أن أولئك المنجمين قد جهلوا ظواهر الفلك الواضحة

كل الكذب ، ومنها أخبار المنجمين في القرون الوسطى عن نهاية الدنيا وهي قائمة بعد تلك النبوءات لا تزال ؟ .

إلا أن المجلة في الواقع قد بالغت في احترام تلك الخرافات وفي مناقشتها كما يناقش الجد الذي تخفى أباطيله أو تحتاج إلى بحث يكثُر فيه الغال والقييل .

إن الأساس الذي يقوم عليه التنجيم قد تهدم ، ولم يبق للبطل على أبسط بسائط الفلك ذرة من الشك في بطلانه .

فهم يبنون علوم التنجيم على السيارات السبع ، ويعدون فيخطئون لأنهم يحسبون القمر من السيارات وليس هو منها ، ولا يحسبون الكرة الأرضية وهي في وسطها .

وكان المنجمون الأقدمون يجهلون ثلاثاً من السيارات لأنها لم تكتشف قبل اختراع المنظار المقرب أو التلسكوب . وهي أورانوس الذي كشفه وليام هرشل سنة ١٧٨١ ، ونبتون الذي كشف في منتصف القرن الماضي ، وبلوطس الذي كان معروفا بالظن ولم يعرف على وجه التحقيق قبل سنة ١٩٣٠ وأدل من ذلك على جهل المنجمين الأقدمين أنهم يذكرون بروج الفلك ويذكرون سلطان كل برج منها كأنه ثابت في مكانه ، لأن معلوماتهم عن دائرة البروج ترجع إلى ما قبل

وقد يشجع العلم رهوس الناس ولكنهم لا يزالون بقلوبهم جميعا إلى غذاء آخر يستمدونه من قوة أخرى ، وهو الذى يلتسمونه من هنا وهناك بين الصواب والخطأ وبين الهداية والضلال .

إن التنجيم باطل ، ولكن شوق النفس البشرية إلى المجهول صحيح ، وليس من النافع لها أن تكف عن طلبه ، ولكن من النافع لها أن تميز بين طريق الهداية وطريق الضلال ، وأن تطلب الحق حيث يطلب وإن طالت بها شقة الطريق . فليس يعصمها إذا استقامت على الجادة أن تطول الطريق .

ولا ندرى ما هى النسبة العددية التى تظهر لنا بالمقارنة بين الأمس واليوسم هل يزيد الإقبال على التنجيم فى بلادنا أو ينقص ؟ وهل يصدق علينا ما ترويه المجلة الغربية عن العالم الغربى أو لا يصدق على ذلك المثال ؟ .

ولكننا ندرى إن شاء الله ، ما يجب علينا فى هذا المقام .

ندرى أننا سبقنا الغرب إلى معرفة التنجيم آلاف السنين ، فمن حقنا أن نسبقهم إلى العلم بأباطيله ، وأن نقنع منه بنصدينا فى الماضى فلا نشاركهم فى بقيته الباقية بعد اليوم .

عباس محمود العقاد

فضلا عن أسرار المستورة عن النظر أو فى مجاهل الغيب .

فهم لم يكشفوا السيارات نفسها فضلا عن أن يستعينوا بها على كشف الحاضر والمستقبل من حوادث الدنيا وضمائر الناس .

وهم قد جهلوا مركز الأرض بين الأجرام السماوية ، فضلا عن مراكز الأحياء والأموات الذين يعيشون ، أو كانوا يعيشون على ظهرها .

وهم قد جهلوا أن البروج تنقل من أماكنها فضلا عن الأماكن التى تتسلط عليها تلك البروج كما يزعمون ، ومنها يقنبثون بتقلب الناس فى الحل والترحال ، وما يعترضهم فى أسفارهم من السعد والفحس أو من الكسب والخسارة ، وأن العلم الذى يخطئ فى ما يعلمه الآن كل إنسان هيهات أن يحيط بالمجهول الذى لا يعلمه أحد ، ولا يتأتى عليه لغير علام الغيوب .

إلا أن التنجيم الذى يقبل عليه المتحدنون فى هذا العصر يعلمنا شيئا يعيننا جداً أن نعرفه عن أسرار النفس البشرية فى كل زمن وفى كل بلد . وبيننا خفايا الضمير التى تبين على غير قصد من المنجمين ولا من طلاب التنجيم .

إن عبرة الإقبال على التنجيم فى عصر العلم أن النفس البشرية لا تحب أن تنقطع عن عالم الغيب ولا تشعر بأن الظواهر المكشوفة تغنيها عما وراء الحجاب من مقادير الوجود ،

هذا بيان للناس من فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت إلى العالم الإسلامي لوقف العدوان على علماء إيران

خلق يأمر به الإسلام ويفرضه ، وليس
أدعى إلى النجدة من رفع الأذى عن لحقه
دفاعاً عن دينه ، واستمساكاً بواجبه ، وتضحية
من أجل رسالته .

وعلماء الإسلام في إيران قد تكرروا الاعتداء
عليهم ، ونالت ويلات السجون منهم ، وحيل
بينهم وبين الأمر بالمعروف الذي يطلبه
الإسلام من كل قادر عليه ، والنهي عن المنكر
من كل مستطيع له ، ولن يكون فضل هذه
الدعوة إلا للأمة ، ولن يكون خيرها إلا للجماعة ،
نخبة الأمم بالاخلاق ، وعماد الاخلاق دين الله :
أحكامه وآدابه ، وتشريعاته وإرشاداته
وإن أصحاب التوجيه وعوامل التأثير هم العلماء
في كل أمة ، والاخلاقيون في كل شعب ،
بدعواتهم وإرشاداتهم قهياً للأمة أسباب
الارتقاء ، ويتحقق للأبناء كمال الحياة ...

أيها المسلمون :

لننا على أبواب فترة من الزمن شغل بعض
الناس فيها عن دينهم مظاهر المدنية وزخرف
الحياة ، بنينا شخصت أبصار كثيرة في الشرق
والغرب تتلص بالخلاص والنجاة . وتفتحت
قلوب كثيرة على هدى الإسلام ونور الله ،
انسأقت إليه بفطرة سليمة ، أحست الجمال
في وقاره والأمان في رحابه ، والقوة في توجيهه
والسداد في إرشاده ، والعدالة في تشريعه ،
دفطرة الله التي فطر الناس عليها .

في هذه الفترة تتعالى صيحات ، وبشكر
في وضع النهار اعتداءات ، ضحايا علم
الإسلام في إيران والمبشرون بدعوة الله
والقائمون على أمر دينه ، وليس عليهم
من مأخذ إلا أنهم يعلنون كلمة الله .

أيها المسلمون :

وليس من ريب في أن قيام العلماء بواجبهم
أن يتحقق إلا بالمحافظة عليهم ، واحترام أقدارهم
ولإنزالهم منازل الكرماء .

إن العمل على إنقاذ المظلوم أمر يحتمه
الإسلام ويوجبه ، ورفع الضرر عن الناس

المسلم في إيران إلى هذا الاعتداء الصارخ ،
وليعملوا على إقناذ علماء إيران من طغاة
إيران ، ولا تركنوا إلى الذين ظللوا قنمكم
النار وما لكم من دون الله من أولياء
ثم لا تنصرون . .

لأنها سابقة لا يقدم عليها إلا متحطل من دينه
خارج على عقيدته منكر لما أكدته الله
عز وجل من حق العلماء ، شهد الله أنه
لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما
بالقسط . . وإنما يخشى الله من عباده
العلماء . . .

فأشهدك اللهم أن اعتداء على حملة رسالتك
قد وقع ، وأن رفع الأذى عن أوليائك
فرض في رقاب المؤمنين بك وأنت نعم المولى
ونعم النصير ... ؟

محمود شاتوت

(شيخ الأزهر)

وكيف يستقيم حال أمة تعطلت رسالة
العلماء فيها ... ؟

إذن لتحطمت القيم ، وأهدرت المثل
وضاع في الناس معنى الإنسانية وكلها .
فما رسالة العلماء إلا الشحنة الدافعة لكل عمل
إنساني ووطني على مر الدهور .

وفي تاريخ إيران نفسها خير شاهد على ما لعلمائها
من فضل يؤثر ، وجهد يشكر ، وفداية
في سبيل الله والوطن لا تنسى ولا تمحى .

أيها المسلمون :

إن الاعتداء على علماء الدين جريمة في حق
الأخلاق ، ووصمة عار في جبين الأمة وفي وجه
البشرية ، ويوم تهون أقدار العلماء لن تكون
الكلمة إلا لهوى النفوس الجامحة ، وقوى
الشر المخربة ونزعات الفساد المدمرة ، وماذا
بعد الحق إلا الضلال . .

ألا فليقتبه المسلمون في كافة الأقطار ، والشعب

مناهج الإسلام

لنقوية روابط الأسرة

للأستاذ محمد المدني

- ٦ -

الطلاق

- ١ - أبغض الحلال إلى الله الطلاق :
إن الشريعة الإسلامية تعتبر عقد الزواج عقد دوام واستقرار ، وأن فسخه خلاف الأصل ، وحكمه الحظر ، وأنه إنما يلجأ إليه حين يكون استمرار العلاقة الزوجية بين الزوجين مستحيلاً أو مفضياً إلى ما حرم الله ، وأن الرحمة في مثل ذلك تقتضي أن يمنح كل من الزوجين فرصة جديدة لاستئناف حياة جديدة غير هذه الحياة التي لم تعد صالحة .
ومن هنا نفهم السر في قوله صلى الله عليه وسلم : (أبغض الحلال إلى الله الطلاق) وفي قوله عز وجل : « وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعاً حكماً » .
- ٢ - المتلاعب بالطلاق آثم مستهزئ
بآيات الله :
ولقد أجمع العلماء على أن المطلق بدون سبب ، أو لسبب لا يعترف به الشارع ، والمطلق على غير السنة المرسومة للطلاق ، آثم
- متخذ آيات الله هزواً ، متلاعب بكتاب الله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا علم بطلاق لم تراخ فيه السنة المشروعة غضب وقال : (أتلعبون بكتاب الله تعالى وأنا بين أظهركم) .
وفي آيات الطلاق من سورة البقرة يقول الله عز وجل في أثناء بيانه لأحكامه :
« ولا تتخذوا آيات الله هزواً ، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم » .
وهي مناشدة قوية للأزواج وتحذير لهم من أن يتلاعبوا بعلاقة الزوجية ، ومن أن يعيشوا بأحكام الطلاق أو يتعدوا فيها حدود ما أنزل الله ، وهي تجعل الأمر عدواناً موجهاً إلى آيات الله التي هي أحكامه ومبادئه وما شرعه للناس من عدل ، وبذلك تصور الظالم المعتدى في صورة المواجه لآيات وبه

آمنة من أن تكون حاملا ، فلا تطول العدة ولا يقع اشتباه فيها .

ومن الحكم المصلحية المقترنة بهذا الحكم أن فيه تمويقا عن الطلاق ، وحيلة وتلطفا قد يفضيان إلى عودة الصفاء بين الزوجين ، وذلك أن الرجل والمرأة إذا حدث بينهما ما يقتضي فسخ عقدة النكاح وكانت المرأة حائضا ، وانتظر الرجل حتى تطهر ليطلقها في طهر ، فإن حدة الغضب قد تهدأ ، وفترة التوتر قد تنتهي وإقبال الطهر ربما كان داعيا فطريا جنسيا من شأنه أن يصلح عاطفة الزوجين وأن يخفف من حدة الخلاف بينهما فإذا اجتمعا تلبية لداعى الفطرة والجنس غطى ذلك على أسباب نفورهما إلى حد بعيد ثم عاد الزوج فوجد أنه وإن كانت المرأة طاهرا ، لكنه قد مسها واتصل بها فليست صالحة لأن يوقع عليها الطلاق الآن فليتنظر فترة أخرى ، حتى تحيض ، ثم تطهر ، وهكذا يفوت وقت طويل يندري به شر وينقمع به غضب ولا ندري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ، :

٤ - هل يقع الطلاق في الحيض أو

في الطهر الذي مسها فيه ؟

الحديث ينكر لإيقاع الطلاق على الزوجة في حالة الحيض ، ومثلها حالة النفاس طبعاً ، ويأمر بإرجاعها والانتظار بها إلى طهر

مواجهة العايب بها ، الهازي منها ، وهو تصوير خفيف لمن يعرفه ويدرك ما ينطوى عليه من تهديد ووعيد ، ثم تعود الآية بعد هذا التخويف إلى نوع من المناشدة فيه تحريك للعواطف فتقول : واذكروا نعمة الله عليكم ، أى بالزوجة وما جعل فيها من مودة ورحمة فلا تفسدوها ولا تبطروا في شأنها بالإسفاف والتلاهب والاسترسال في الظلم والبغى .

٣ - من السنة ألا يطلق المدخول بها إلا في طهر لم يمسه فيه :

نهى رسول الله صلى عليه وسلم الأزواج أن يطلقوا أزواجهن المدخول بهن إلا في طهر لم يقع فيه بين الزوجين اتصال .

يدل على ذلك ما روى عن عبد الله بن عمر أنه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر ؛ فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسه ، فتلك السنة التي أمر الله أن يطلق لها النساء .

ويشير هذا الحديث إلى قوله تعالى : يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ، أى مستقبلات عدتهن ، والمرأة لا تكون مستقبلية العدة إلا إذا وقعت الطلقة في الطهر الذي لم يمسه الزوج فيه ؛ لأنها حينئذ تستقبل أول حيضة من حيضاتها التي تعتد بها ، وهى

الزوجة وعقد جديد دون أن تنكح زوجا غيره ، إذا كان الطلاق باثنا بيمينونة صغرى . واليمينونة الصغرى : هى التى يمكن أن يعود الزوجان بعدها إلى حياتهما الزوجية بعقد جديد دون اشتراط نكاح المرأة لزوج آخر ، كما إذا طلقها الطلقة الاولى ، أو الثانية وخرجت من العدة .

أما اليمينونة الكبرى : فهى التى لا يمكن فيها إعادة الحياة الزوجية إلا بعد أن تنكح المرأة زوجا آخر ، كما إذا طلقها الاولى ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، حسب الأوضاع المقررة شرعا فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره .

وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

« الطلاق مرتان ، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » .

فقوله تعالى : « الطلاق مرتان » يريد به المرحلتين الأوليين اللتين يمكن أن تعود فيهما الحالة الزوجية سيرتها الأولى بالمراجعة أو العقد الجديد .

وقوله : « فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » ، بيان لأن المرحلة الثالثة التى تعقب هاتين المرحلتين وهى مرحلة يكون فيها الزوج إما بمسكا لعصمة زوجته التى لم يبق لها إلا طلاق واحدة ، وإما مسرحا لها تسريحا بإحسان ، أى مطلقا الطلاق الأخير ، على أن يكون

لم يمسا فيه ، ويفهم من ذلك أن الطلاق فى الحيض حرام ، وأن الطلاق فى طهر مسما فيه حرام كذلك .

إلا أنه قد وقع الخلاف بين العلماء : هل يحسب الطلاق فى هاتين الحالتين فيكون قد وقع على المرأة طلقة أولا يحسب لأنه منهى عنه لم يشعه الله ولم يأذن به .

والمحققون من العلماء يقررون أن مثل هذا الطلاق لا يقع أصلا ، ولا يحسب لأنه لم ينعقد .

ومن ذهب إلى ذلك الباقر ، والصادق ، وابن حزم ، وابن القيم ، وشيخه ابن تيمية وقد أطال ابن القيم الكلام عليه فى كتابه (زاد المعاد فى هدى خير العباد) ، كما بين حجته الإمام الشوكانى فى كتابه : (نيل الأوطار) وذكر أن الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير ألف فيه رسالة طويلة فى مقدار كراستين من القطع الكامل ^(١) .

هـ - الطلاق المشروع على ثلاث مراحل : ومن رحمة الله تعالى أن جعل الطلاق المشروع على ثلاث مراحل ، وجعل للزوج أن يراجع زوجته فى كل من المرحلتين الأولى والثانية ، دون حاجة إلى عقد جديد ، إذا كان الطلاق رجعيا ، وباتفاق بينه وبين

(١) راجع ص ٢٢٦ ج ٦ من شرح نيل الأوطار للشوكانى طبع المطبعة العثمانية المصرية سنة ١٣٥٧ هـ

وتصفو لهم الحياة الزوجية بالتسامح والمحاذرة
والبعد عن تضخيم الخلاف .

أما الحالة الأخيرة ، وهى الطلقة الثالثة ،
فهى جديرة بأن تذكر الأزواج الآخرين
بمثل هذا المصير ، والرجل عادة لا يطيق
أن يسترد امرأة تزوجت من بعده ثم طلقت ،
فهو يحرص على ألا يطلق الثالثة إلا إذا لم
يكن من ذلك بد ، وكان متأكداً من أن
مصلحته فى القطيعة النهائية ، وأن واقع
حياته أو حياة زوجته يفرض هذا
الانفصال الدائم .

٦ - التحكيم بين الزوجين :

وبما قرره الإسلام ، محاولة لتصفية
الخلاف بين الزوجين ، وعودة الصفاء إلى
حياتهما الزوجية : ما أرشدنا الله إليه
من أنه إذا شجر بين الزوجين خلاف
فلنبعث حكماً من أهل الزوج ، وحكماً من أهل
الزوجة ، محاولين إصلاح ما بينهما ،
وإذا نلجأ إلى قسم العلاقة إلا إذا لم يكن
هناك مندوحة من ذلك ، بل قال بعض العلماء :
إنه ليس للحكمين أن يفرقا بين الزوجين
إن أعيانهم الإصلاح بينهما ولكن عليهما
حينئذ أن يشهدا على الظالم مهما بطله ،
واختلفوا أيضاً فى الحكم : هل له أن يفرق
بين الزوجين بما ينهى إليه الحكمان ، فنهى

ذلك بإحسان ، والإحسان هو اتباع ما شرعه
الله وعدم الخروج على حدوده .

وفى ذلك كله إبعاد للنهية السيئة التى لا يحبها
الله ، وهى انفصام عقدة النكاح .

فأما العدد ففيه إعطاء فرصتين لاستعادة
الصفاء ينهزهما الرجل بإرداته إذا كان الطلاق
رجعياً والمرأة ما زالت فى العدة ، فليس عليه
إذا أراد إلا أن يراجعها بنيتها ، ويعيدها
إلى عصمتها ، أما إذا كان الطلاق بائناً ، كما إذا
حكم به القاضى فى حالات خاصة ، أو كانت
الزوجة قد خرجت بعد الطلاق الرجعى من
العدة ، فإنهما قادران على إعادة الحياة
الزوجية بينهما برضاها وبعقد جديد ، يكون
بمثابة امتداد واستعادة للعهد الأول ،
ويحسب عليه ما كان من الطلاق فى العهد
الأول ، إن واحدة فواحدة ، وإن اثنتين
فاثنتين ، وبهذا يظل كل منهما معتبراً بما كان
معتداً به ، عارفاً أنه لم يبق له من النهاية
الخفيفة إلا خطوة أو خطوتان ، فيخشى أن
يخطوهما ، ويحجز نفسه عن الوقوع فيما وقع
فيه من قبل حين فعل ما ندم عليه ورأى
القراجع منه خيراً له ، وقد جربنا هذا كثيراً
فى حياة الأزواج حيث يحرصون على مابقى
لهم من الطلاقات الثلاث ما لم يكونوا من قبل
يحرصون ، فيعيشون هادئين مستقرين ،

في الجمهورية العربية المتحدة بالمذهب القائل بأنه لا يقع بذلك إلا واحدة ، وعلى ذلك جرى العمل في القضاء والإفتاء إلى اليوم . وأدلة هذا المذهب كثيرة ، وقد أطل الاحتجاج له فريق من العلماء وإن خالف ما ذهب إليه الجمهور ومنهم أهل المذاهب الأربعة المشهورة .

٨ - أنواع أخرى من الطلاق لا تقع : كما أخذ قانون الأحوال الشخصية بعدم وقوع :

- ١ - طلاق السكران والمسكره .
- ٢ - الطلاق غير المنجز إذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه .

وبيان ذلك أن الطلاق ينقسم إلى منجز وهو ما قصد به إيقاع الطلاق فوراً كأن يقول لزوجتي : أنت طالق ، أو مطلقة ، وإلى معلق على حصول شرط كأن يقول لها : إن دخلت الدار فأنت طالق ، أو إن لم أقض ديني غدا فأنت طالق ، أو على الطلاق لا أفضل كذا ، أو لا تخرجين من البيت ، أو نحو ذلك . والمعلق ينقسم في معناه إلى يمين ، وإلى طلاق على الصفة ، مثلاً . أرادت الزوجة أن تخرج وأراد الزوج منعها من الخروج ولم يرد طلاقها ولكنها هددتها فقال لها : إن خرجت فأنت طالق ، فهذا يمين لأنه أراد منعها من الخروج وليس له في الطلاق إرادة

من قرر أنه ليس للحاكم ذلك ، وفي ذلك يقول ابن حزم :

(ليس في الآية ولا في شيء من السنن أن للحكمين أن يفرقا) ولا أن ذلك للحاكم ، وقال عز وجل : « ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، (فصح أنه لا يجوز لأحد أن يطلق على أحد ولا أن يفرق بين رجل وامرأته إلا حيث جاء النص بوجود فسخ النكاح فقط ، ولا حجة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

فهذه عقبة أخرى دون الطلاق الذي يكرهه الشرع بضمها تعويقاله ، ومحاولة لدفع أسبابه وتثبيطاً عنه .

٧ الطلاق الثلاث في لفظ واحد : المقترن بعدد ، أو بلفظ أو إشارة ، هل يقع ؟ .

وقد اختلف العلماء في ذلك فذهب بعضهم إلى عدم وقوعه أصلاً ، فلا يقع به واحدة ولا أكثر عند هؤلاء ؛ لأنه جاء على خلاف السنة فهو رد أي مردود ، وذهب بعضهم إلى وقوعه واحدة فقط ، وذهب الجمهور إلى وقوعه حسب العدد الذي قيد به فإن طلقها اثنتين وقع به اثنتين ، وإن طلقها ثلاثة وقع به ثلاثة ، وهذا الخلاف قديم واستمر في جميع العصور .

وقد أخذ قانون الأحوال الشخصية

ومثال آخر : طلبت زوجته الطلاق ورضى به وقال لها إن دفعت إلى مائة جنيه فأنت طالق فهذا يريد الطلاق وله هدف من إيقاعه على صفة مخصوصة ، وهي أن يكون بعوض ومقابل .

ففي المثال الأول لا يقع الطلاق وفي الثاني يقع .
٣ — كنيات الطلاق وهي ما تحتمل الطلاق وغيره ، لا يقع الطلاق بها إلا بالنية ، كل هذا أخذ به قانون الأحوال الشخصية ، واستمدته من أحكام الشريعة الإسلامية مع عدم التقيد بمذهب معين ما دام هناك من الفقهاء من يقول بالرأى المختار .

٩ — الإشهاد على الطلاق :

قال الله تعالى في سورة الطلاق : « فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم » .
وهذه الآية تفيد أننا مأمورون بالإشهاد على كل من الرجعة والطلاق ، وبذلك فسرت الآية .

وروى في سنن أبي داود وابن ماجه عن عمران بن حصين (أنه سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها ، فقال : طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة . أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد) .

وقال ابن جريج : كان عطاء يقول « وأشهدوا ذوي عدل منكم » .

قال لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاع إلا شاهدا عدل ، كما قال الله عز وجل
الا أن يكون من عذر .

ومذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية — ومنهم شيعة العراق وإيران وبعض بلاد لبنان وسوريا وغيرها — أن الإشهاد على الطلاق ركن من أركان الطلاق ، فلا يقع الطلاق إلا إذا شهد بسماعه شاهدا عدل ، أخذاً من هذه الآية .

قال نجم الدين جعفر بن الحسن الحلبي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ في كتابه (المختصر النافع في فقه الإمامية) :

(الركن الرابع : في الإشهاد ، ولا بد من شاهدين يسمعهما ، ولا يشترط استدعاؤهما إلى السماع ، ويعتبر فيهما العدالة ، وبعض الأصحاب يكتفي بالإسلام ، ولو طلق ولم يشهد كان الأول لغواً ، ولا تقبل فيه شهادة النساء) .
ويمكن أن يؤخذ بهذا المذهب في قانون الأحوال الشخصية فيكون ذلك تعويفاً آخر للطلاق ، وتقليلاً لفرص وقوعه .

وقد سبق في التشريع المصري الاعتماد على هذا المذهب ، فلا مانع من الاعتماد عليه في هذا أيضاً .

(ج) فيما بعد انقضاء الزوجية :

نرى الإسلام :

١ — يثبت الثروات بين الزوجين ، فإذا

٤ - ويرى بعض العلماء أن المرأة المطلقة لها متعة واجبة من الزوج ، سواء أكانت مدخولا بها أم غير مدخول بها .

ومن هؤلاء ابن حزم إذ يقول في كتابه (المحلى) :
المتعة فرض على كل مطلق واحدة أو اثنتين أو ثلاثا ، أو آخر ثلاث (دخل بها أم لم يدخل) فرض لها صداقها أم لم يفرض لها شيئا يتمتعها ، وكذلك المفتدية أيضاً - أى التى طلبت من زوجها الطلاق على مال أى على سبيل الخلع ولها المتعة أيضاً - ويجبره الحاكم على ذلك أحب أم كره ... برهان ذلك قول الله تعالى :
و للطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين ،
وقوله تعالى و متعوهن على الموسع قدره وهلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقاً على المحسنين .

فعم عز وجل كل مطلقة ولم يخص ، وأوجبها حقاً لها على كل متق يخاف الله تعالى .. وكل مسلم هلى أديم الأرض هو بقوله (لا إله إلا الله محمد رسول الله) من جملة المتقين بقوله ذلك وإيمانه ومن جملة المحسنين .. (لخ) .

ومن الممكن أن يأخذ بهذا الرأى ليمكون ذلك تعويضاً عن الطلاق الذى تصاب فيه الزوجة بكارثة . ومن شأنه أن يقلل أيضاً من فرص الطلاق ، أو يتحاشى الأزواج الإقدام عليه حين يعلمون أن من ورائه تكاليف كثيرة ؟

(انتهى البحث والحمد لله)

محمد محمد المدنى

عميد كلية الشريعة

حات أحدهما كان للآخر نصيب من تركته حسب المقرر فى أحكام الميراث .

وذلك حكم منصوص عليه فى القرآن الكريم حيث يقول الله عز وجل :

« ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد ، فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ، ولن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد ، فإن كان لكم ولد فلهن الثلث مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين . »

ولا شك أن هذا القسريع فيه إشعار بما كان بين الزوجين من رابطة تقتضى لونا من الشركة فى المال المكسوب ، وأن لكل منهما حقاً فيه .

٢ - الزوجة المتوفى عنها زوجها تعتد إما بأربعة أشهر وعشر ليال ، وإما بوضع حملها إن كانت حاملا .

وبذلك لا يحمل الزواج منها إلا بعد انقضاء العدة ، وفى ذلك رمز لاحترام الزوجة لذكرى زوجها ، واحتياط فيما يتعلق بالنسب .
والزوجة بعد ذلك أن تزوج .

٣ - المطلقة نفقتها فى زمن العدة ، ولها الحق فى حضانة الصغار على التفصيل المبين فى النفقة ، وهلى الزوج نفقة الأولاد كذلك .

والمراد بالنفقة ، ما يشمل الإطعام والكسوة والإسكان ، وبعد العدة تكون الزوجة صالحة للأزواج فتسقط النفقة .

نفاية القرآن

القرآن يشهد لأبي بكر الصديق

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(أ) «إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ،
إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا .
(ب) «فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة
الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم .

قالقرآن في هذا المقام يعتب على المسلمين
- أولا - ما بدا من تردد بعضهم في الخروج
إلى غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة .
وكان هذا التردد لأسباب تتعلل بها المناقون
الذين يعيشون بين المسلمين ، ثم خرج
المسلمون ولم يصادفوا حربا في تبوك .
ولكن الله يوجه عتابه إلى الجميع ،
كدرس تربوي يختبرهم به ، ويحذرهم أن
يعودوا إليه .

وفي سياق هذا العتاب يشيد القرآن بمناقب
أبي بكر منذ صدر الإسلام ، ويستثنيه من
هذا العتب ، ويمجده بصفات لم تكن لغيره
من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيقول
الله تعالى :

لأن لم تنصروا رسول الله - في تبوك

كان حادث الهجرة فصلا ختاميا لسياسة
الموادعة بالرفق ، والصبر على احتمال المكروه
ثلاثة عشر عاما .

وكان في الوقت نفسه أول تخطيط للجهاد
المادى ، وردع الكفار عن مقاومة
الدعوة ، وانقشالهم من ضلال يخيم عليهم ،
ومكر يحيق بهم . ومصير يتلقفهم إلى عذاب
واصب في جحيم يتلظى .

وما أريد أن أخوض في حادث الهجرة ،
 وخروج النبي وصاحبه : كتدبير
حصيف : لإحباط المؤامرة العاتية ، أو كبدا
حكيم لتنفيذ ما وراه من سياسة لتنفذ
المجتمع الجديد .

وإنما أريد أن تتبع الآيات فيما ذكرته
من أبي بكر - رضى الله عنه - في هذا
الموقف الرهيب :

كما سبق إلى نزول الغار ليتحسس ما به من
الهوام ، خوفاً على الرسول أن يلم به مكروه .
وحينما أصابت العقرب أبا بكر في إصبعه
كان يتغنى بذلك : بهجة بأنها لم تكن في إصبع
الرسول صلى الله عليه وسلم ويقول :

ما أنت إلا إصبع دमित

وفي سبيل الله ما لقيت
وبعد الاستقرار في الغار أحس أبو بكر
باقتراب الكفار من مخبئهما فاشتد وجله على
النبي ، وتوقع أن تقع عليهما عين الطغاة ،
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر ،
ما ظنك بأتينين : الله ثالثهما .

فالنبي يعترف له أنه صنوه في هذا المقام
ويعترف له بأنه في معية الله معه إذ هما في
الغار ، ولا تحزن إن الله معنا ، برعايته ،
وحفظه ، فالقرآن يقرر له هذه الصحبة بقوله
تعالى : إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا .
ولإي هنا يكون أبو بكر مشهوداً له بمناقب
الصحبة في أجد معانيها منذ آمن أول من آمن
من الرجال ، وإذ كان هلى أتم الولاء
لرسول الله بنفسه ، وبماله حتى أشاد له النبي
بهذا هلى مسمع من صحابته ، وإن من آمن
الناس على في محبته وماله أبا بكر .

وحتى بشره النبي فيما بشره بقوله : (أنت
صاحبى في الغار ، وأنت معى على الحوض) .
لم يكن النبي في خوف ، ولا تخبتاً عن جبن ،

أو سواها - فإن الله كفيل بنصره كما سبق في
حادث الهجرة ، حيث كان حادثاً خطيراً .

ولم يكن مع النبي سوى شخص يرافقه .

ثم لم يحمل القرآن كلامه بل اعتبر النبي
ثاني اثنين... وهذا تنصيص على اعتبار أبي بكر
واحداً من اثنين دون تخفيض من مقامه في
هذا الموقف ، فكل منهما ثان بالنسبة للآخر .

ثم يقول القرآن : إذ هما في الغار ، فالأثنان
سواء في هذا الموقف العصيب ، وفي التعرض
لما يكون من الكفار لو صادفوهما .

والمساواة بينهما في هذه الاحتجاجة تشهد
لأبي بكر بتمام الاستعداد للتضحية عن إيمان
كامل ، وعزيمة صادقة ، وبذل للروح عن
طيب خاطر في مؤازرة الرسول .

بل كان أبو بكر شديد الهمد على سلامة
الرسول ، وشديد الخوف مما يتوقعه ،
وشديد الحزن لما هسى أن يبدر من الكفار
نحو الرسول من إساءات لو استطاعوا .

وقد كان هم أبي بكر من أول أمره أن
يصحب الرسول في هجرته ليظفر بشرف
الصحبة ، وليكون فداء له من كل شر .

حتى كان يتخيل أن صدوا يلاحقه من
الخلف فيمشى خلفه ، أو يلاحقه من الأمام
فيمشى أمامه ، وهكذا عن يمينه ، أو شماله .

لديه كيد الكافرين وإن تألبت جموعهم
وإن يكن أبو بكر محور هذا الحديث
بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد
عودنا القرآن أن يعطف عليه بالثناء،
وبالتمجيد في مقامات سوى مقام الهجرة .
فهو في طليعة الأنبياء ، حق قيل : إنه
المقصود بقول الله سبحانه : « ويؤثرون على
أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق
شغ نفسه فأولئك هم المفلحون » ، وهو الذي
تأمر الكفار والمنافقون على أن يشيروا
حوله منكر القول في أم المؤمنين عائشة
الصديقة رضي الله عنها - فانتصر الله له ولبقته
ولرسول الله في زوجته الأثيرة عنده وإن
الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ، لا تحسبوه
شرا لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرئ
منهم ما اكتسب من الإثم ، والذي تولى كبره
منهم ، له عذاب عظيم ، .

فهذه نعمة الله على أولئك الأفاكين الذين
تمادوا في الحقد على أهل الإيمان ، حتى تخيلوا
أن يمسوا شيخ الصحابة في طهره وطهر
أم المؤمنين .

وهي وشيجة القربى بين الصديق ، وبين
الرسول الذي يتخذونه عنواناً للإيمان في أكل
صوره وحينما غضب أبو بكر لهذه الفرية
غضب على قريب له ، ممن كان يغمرهم بالعطاء
ولكن هذا لم يخرج أن ينغمس في الإثم

ولإنما هي أسباب عادية تقتضيها حكمة الله ،
لما يترتب عليها من مسببات في شئون الحياة .
وقد كان في اطمئنان إلى رعاية الله له
ولصاحبه ، ... وهو مع هذا على ارتياح
دائم لما يكون من بلاء في جهاده .

ولم يكن هناك بلاء ولا رهبة في معية الله
- سبحانه - وإنما هناك خوف وإشفاق
هذه أبي بكر على حياة الرسول ، وعلى
سلامته من كل حدث .

ولكن الرسول طمأنه ، وزاده ثقة في
رعاية الله لها ، ونصرهما على كيد أعدائهم .
وقد تبدلت مخاوف أبي بكر أمنا ، وعاد
وجهه اطمئنانا ، وهدوء خاطر .

(ب) « فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده
بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا
السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، واهه عزيز
حكيم ، .

نعم نزلت السكينة على أبي بكر ، وأيد الله
رسوله بالملائكة ليحرسوا رسوله من أعين
الكفار ، كما أيده بالملائكة في غزوة بدر ،
وفي كل محنة يتعرض لها في جهاده وقضت
حكمة الله أن تكون سياسة الكفار دائماً
في خسران . وكلمتهم التي يجتمعون عليها في
كفرهم ، أو تديرونها - ضد رسوله
والمؤمنين - في هبوط وانحمار .

واقه قوى السلطان عزيز الجانب ، لا يفلح

النبي خليفة في صلواته حين غيبته ، ورشحه للخلافة من بعده ، ورضيه المسلمون إماما في خلافته الكبرى ، وسياسته للسبلين ، وقائما بالأمرفيهم بعد رسول الله . .

فإذا وجدنا في الناس طائفة أو طوائف يفضون بالباطل من شأنه ، ويتناولون على مقامه . ويحمدون خصائصه ، ويقولون في إرجافهم ما يقولون ، حتى قامت على ذلك الضلال مذاهب ، وامتلات به كتب ، وتشدق به صفاء ، وحاولوا أن يسموا هذا تعصبا لإمام غيره ، أو يعتبروها غيره على حق ، فسا ذلك إلا ضلال مبين ، وظلمات بعضها فوق بعض .

وهم لم يحسنوا الإيمان بأبي بكر ، ولا بغير أبي بكر ، بعد أن كذبوا بالآيات .
ولقد صدق الشيخ الألوسي في تفسيره حين قال : - وبالجملة : إن الشيعة قد اجتمعت كلتهم على الكفر ، بدلالة الآية على فضل الصديق - رضى الله عنه ...

عبد اللطيف السبكي

مع بقية المنافقين ، ويسفه على بيت النبوة حينما غضب أبو بكر لهذه المسألة المفتراة كادت تضن يده بالعطاء ، وتميل نفسه إلى الشح على هذا القريب ، وحلف ، أو كاد يحلف على حرمانه ، حتى لا يزيده ذلك تماديا .

ولكن الله لم يرض لأبي بكر أن ينزل عن فضله ، أو يجارى ذلك السفه في عمله وأمره أن يظل على صلته ، حتى يظل بره مرصولا بنذى رحمه ، وإن أساء ذو الرحم ، ويظل ثوابه جاريا ولو بالإحسان إلى من كفر بالإحسان . فإن العرف لا يذهب بين الله والناس .

د ولا يأتل - لا يحلف - أولو الفضل منكم ، والسعة ، أن يؤثوا أولى القربى ، والمساكين . والمهاجرين في سبيل الله وليمضوا ، وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم .
فأبو بكر له شأنه في الصحبة ، وله شأنه في الإحسان ، وله فضله في بيان الله لأحكام نستفيدها : ديننا ، وخلقنا . .

وأبو بكر هذا هو أبو بكر الذى ارتضاء

قال الشريف الرضى في الحلم :

ولكن أوقاتى إلى الحلم أقرب
ويعجم فى القائلون وأعرب
لواعج ضغن أننى لست أغضب

وللحلم أوقات وللجهل مثلها
يصول على الجاهلون وأعتلى
يرون احتمالى غصة ويزيدهم

نَدَاءُ الْمُخَاطَبِينَ فِي الْقُرْآنِ أَسْرَارُهُ وَبَلَاغَتُهُ لِلأَسْتَاذِ الدُّكْتُورِ عَلِيِّ عَبْدِ الْوَاحِدِ وَائِلِي

وهو تأكيد هذا التشريع ، والإشارة إلى قوته ، وحرص الشارع على تنفيذه ، وبيان أنه تشريع للؤمنين خاصة . والنداء في اللغة العربية إذا سبق طلباً كان دالاً على شدة اهتمام المتكلم بهذا الطلب وحرصه على تنفيذه من جهة وعلى أن الأمر به مقصور على المنادى من جهة أخرى . وقد يضيف القرآن إلى ذلك تأكيداً آخر ، فيعبر عن التشريع بفعل « كتب عليكم » . وذلك أن التعبير بهذا الفعل يفيد قوة الأمر وتوكيده وشدة العناية به وأنه لا يجوز إغفاله . ويرى العرب إلى هذه المقاصد جميعاً حينما يستخدمون هذا الفعل في كلامهم . فمن ذلك قول الشاعر :

كتب القتل والقتال علينا

وعلى الغانيات جبر الذبول
وقد استخدم القرآن النداء مع فعل « كتب » في ثلاثة تشريعات إسلامية هامة ذكرت متوالية في سورة البقرة ، وهي الخاصة بالقصاص والوصية والصيام . فبدأ التشريع الأول بالنداء مع هذا الفعل ، فقال : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى » ،

ترجع أهم الطوائف التي يتجه إليها النداء في القرآن إلى ست طوائف :

١ ، ٢ - فعظم نداءات القرآن تتجه إلى المؤمنين خاصة فيقال : « يا أيها الذين آمنوا » ، أو إلى الناس كافة فيقال : « يا أيها الناس » .

وتوجيه النداء بالصيغة الأولى وهي « يا أيها الذين آمنوا » قد سار عليه القرآن في الآيات المدنية . وذلك لأن الآيات التي نزلت بعد الهجرة ، وهي الآيات المدنية ، يتجه النداء فيها أولاً وبالذات إلى مجتمع أهل المدينة ، وهو مجتمع كان يتألف معظمه من المهاجرين والأنصار ، أي من أفراد آمنوا بالله ورسوله . فكان خطابهم بالذين آمنوا أمثل أنواع الخطاب لإبانة لحقيقتهم . هذا إلى ما ينطوي عليه من الدلالة على سموهم وفضلهم على سائر الخلق في هذا العصر . فقد كانوا هم وحدهم الذين هداهم الله للإيمان . ففي نداءهم بهذه الصفة زيادة إيناس وتكريم لهم ؛ لأن أحب نداء إلى الإنسان هو أن تناديه بما يدل على عظمته وسموه . ويضاف إلى هذا الغرض غرض آخر حينما تكون الآية لتشريع إسلامي ،

كان يتألف معظمه من المشركين ، أى من مجرد أناسى ، من أفراد لا يزالون فى الطبقة الدنيا من طبقات الآدميين فى نظر الله ، ولم يرتقوا بعد إلى ما هو أعلى منها . فكان خطابهم بيايها الناس هو أدق أنواع الخطاب دلالة على حقيقتهم .

ولا توجد آية مكية اتجه الخطاب فيها إلى الجمهور بغير هذه الصيغة . أما الآيات المدنية فقد خرج منها عن الطريقة التى ذكرناها سبع آيات فقط اتجه النداء فيها إلى الجمهور بقوله « يا أيها الناس » بدلا من « يا أيها الذين آمنوا » كما هى الطريقة السائدة فى الآيات المدنية . وهذه الآيات السبع هى :

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » (آية ٢١ من سورة البقرة) .

« يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان لأنه لكم عدو مبين » (آية ١٦٨ من سورة البقرة) .

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ... » (الآية الأولى من سورة النساء) .

« إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا » (آية ١٣٣ من سورة النساء) .

إلى قوله : « ولكم فى القصص حياة يا أولي الأبصار لعلكم تتقون » (١) .

ولجئنا إلى آيات الدالة على التشريع الثانى وهو الخاص بالوصية بعد الآيتين الداليتين على التشريع الأول مباشرة ، لم يكن ثمة ما يقتضى تكرار النداء ، واعتبر النداء الأول مسلطا على كلا التشريعين ، فقال تعالى : « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف » ، إلى قوله : « فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم » (٢) . ولكنه كرر النداء فى التشريع الثالث وهو تشريع الصيام ، فقال : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (٣) .

بعد العهد بالنداء الأول ولإظهار مزيد من العناية بهذا التشريع الأخير . وأما توجيه النداء بصيغة « يا أيها الناس » فإن القرآن قد سار عليه فى الآيات المكية ، وهى الآيات التى نزلت قبل هجرة الرسول عليه السلام من مكة . وذلك أن الخطاب فى هذه الآيات كان يتجه أولا وبالذات إلى مجتمع أهل مكة قبل الهجرة ، وهو مجتمع

(١) آيتى ١٧٨ ، ١٧٩ من سورة البقرة .

(٢) الآيات ١٨٠ - ١٨٢ من سورة البقرة .

(٣) آية ١٨٣ من سورة البقرة .

على العموم ، وما كان يسوغ أن يتجه الخطاب فيها إلى المؤمنين وحدهم . ولو بدئت جملة كهذه من كلام البشر بآيها الذين آمنوا لكانت لغوا من القول . تعالى كلام الله عن ذلك علوا كبيرا .

وما قيل في هذه الآية يقال مثله في كل آية من الآيات الست الأخرى التي خرجت عن طريقة الآيات المدنية في النداء فاتجه الخطاب فيها إلى الجمهور بآيها الناس .

٣ - ويتجه النداء أحيانا في القرآن إلى المفكرين أولى الألباب ، وذلك إذا كانت الحقيقة التي ينادى من أجلها تحتاج إلى مزيد من التأمل وحق في الفهم ؛ كما في قوله تعالى : ولكم في القصص حياة يا أولى الألباب ، فالقصص في ظاهره قتل وإزهاق للأرواح وهذا هو الذي يفهم منه في بادئ الرأي . ولكنه في حقيقته حماية للأنفس وحياة للبعثات ، فلما كان إدراك هذه الحقيقة يحتاج إلى تأمل هقيق لا يقف عند ظواهر الأمور بل ينفذ إلى كنهها وما تؤدي إليه ، اقتضى : أقام أن يتجه الخطاب إلى القادرين على هذا الضرب من التأمل ، وهم أولو الألباب من الناس .

٤ - ويتجه النداء أحيانا في القرآن إلى أفراد معينين . ويحيى هذا لعدة أغراض بلاغية فيجى تارة لإيناسهم وتكريمهم

وآيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم ... (آية ١٧٠ من سورة النساء) .

وآيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا ، (آية ١٧٤ من سورة النساء) .

وآيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، (آية ١٣ من سورة الحجرات) .

وكان ذلك في كل آية من هذه الآيات السبع لأسباب تقتضيها المعاني التي تشتمل عليها الآية ويقتضيها مقام الخطاب ، وإليك مثلا قوله تعالى : وآيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، فهذه هي إحدى الآيات المدنية السبع التي خرجت عن طريقة الآيات المدنية في النداء ، فاتجه الخطاب فيها إلى الجمهور بآيها الناس بدلا من بآيها الذين آمنوا . وذلك لأن الآية تقرر حقيقة عامة تصدق على جميع بني آدم لا على الذين آمنوا وحدهم ، وهذه الحقيقة هي مساواة الناس جميعا بعضهم لبعض في القيمة الإنسانية المشتركة وأنه لا فضل لأحدهم على الآخر بشعبه ولا بقبيلته ، فكان من المتعين إذن أن يتجه الخطاب فيها إلى الناس كافة ، إلى آدميين

الكتاب عامة ، ويقصد بهم في الغالب اليهود والنصارى . ويحيى هذا النوع من النداء كذلك لعدة أغراض بلاغية : فيحيى لتذكيرهم بنعم الله عليهم ، أو لتأنيبهم لكفرهم بهذه النعم ، أو لتوكيد ما يلحق عليهم من شرائع وما يكلفونه من أعمال أو لزجرهم ؛ أو للكشف عما يخفونه من حقائق أو يرتكبونه من جرم أو يبيتونه من سوء ، أو لأكثر من غرض واحد من هذه الأغراض .

والتذكير والتأنيب والتوكيد والزجر والكشف كل ذلك من الأغراض البلاغية التي يقصد إليها العرب من النداء . فمن ذلك قوله تعالى : « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأرثوا بعدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافرين ولا تشكروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون » (١) وقوله : « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وإني فضلتكم على العالمين » (٢) .

وقوله : « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون » (البقية على صفحة ١٥٦)

(١) آيتي ١٥٠ ، ١٥١ من - سورة البقرة .

(٢) آية ٤٧ من - سورة البقرة .

وتطليب نفوسهم كما في قوله تعالى : « قد أتيت هؤلاء يا موسى » (٣) ، وقوله : « يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك : هلي نساء العالمين » (٤) ، وقوله : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله يأذنه وسراجاً منيراً » (٥) . ويحيى تارة لتهيئة المخاطب لتلقى نبأ عظيم كما في قوله تعالى : « يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً » (٦) ، وقوله : « يا أيها المدثر قم فأندر » (٧) ، وتحيى تارة لتحذير المخاطب وتنبيهه ، كما في قوله تعالى : « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » (٨) ، وقوله : « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك » (٩) ، وقد يحيى لأغراض بلاغية أخرى تظهر من التأمل في المعاني التي يمد لها بالنداء أو تختتم به .

٥ - ويتجه النداء أحياناً في القرآن الكريم إلى بني إسرائيل خاصة ، أو إلى أهل

(١) آية ٣٦ من - سورة طه .

(٢) آية ٥٢ من - سورة آل عمران .

(٣) آيتي ١٥٠ ، ١٥١ من - سورة الأحزاب .

(٤) آية ٧ من - سورة مريم .

(٥) آيتي ١ ، ٢ من - سورة المدثر .

(٦) آية ٢٦ من - سورة ص .

(٧) آية ١ من - سورة التحریم .

الإسلام والمدنية الحديثة

للأستاذ الدكتور عبدالحليم محمود

إن المدنية الحديثة : تتابع في ميدان ما وراء الطبيعة ، وفي ميدان الأخلاق المنهج الذى رسمه أرسطو . ولقد أفسد أرسطو على الإنسانية تفكيرها في هذين الميدانين إفساداً لم تخلص منه إلى الآن ، ذلك أنه أخضع « ما وراء الطبيعة » وأخضع « الأخلاق » ، إلى تكييف العقل ، وتقديره وحكمه المتأرجح ، الذى يختلف من شخص لآخر ، ومن بيئة لأخرى .

لقد كانت الحضارات القديمة تدع لكل قوة من قوى المعرفة فى الإنسان ميدانها الخاص بها : فتدع للحس ميدانه - الطبيعة أو المادة أو الكون الحسى - وتدع للعقل ميدانه : وهو الاستنتاج من عالم الطبيعة ، وتدع للروح مجالها ، وهو عالم ما وراء الطبيعة .

وما كانت الحضارات القديمة تقحم العقل قط فى عالم « ما وراء الطبيعة » ، إنه « غيب » . على حد التعبير القرآنى - إنه « إلهيات » ، على حد تعبير فلاسفة الإسلام .

والغيب أو الإلهيات : لا يدرك بالإنعام نظر ، ولا بإعمال فكر ، وإنما يتلقى وحياً

أو كشفاً ، أو إلهاماً ، عن طريق الروح والبصيرة .
ومن أخص صفات هذا الغيب : أنه ثابت ولا يتغير ، وهو إذن حقائق مستمرة ، ومبادئ لا تختلف ومعرفة الصحيحة إذن لا تختلف باختلاف الأشخاص أو الأزمنة .
وكان من الطبيعي إذن أن يكون دين الله واحداً ، مهما تطاولت الأعصر واختلفت البيئات وتعدد الرسل ، وأن تكون الأخلاق الحقة واحدة لا اختلاف فيها ولا تباين على مر الزمن وعلى كر الدهور .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . . . »

إن هذه السكلمة القرآنية الكريمة تعبر عن النهج الصحيح الذى فهمه كل من هداى الله إلى الطريق الصواب فى القديم والحديث .

بيد أن أرسطو حاول بكل ما يملك من قوة عقلية جبارة وبكل ما يستطيع من تفكير بشرى هائل . أن يتعبد على هذا الوضع الحق

يعترف بوجود الحقائق وبإمكان معرفتها ، فوجه همه إلى هذه المعرفة ، وحاول أن يؤسسها على دعائم من المنطق والحجج ، بينما السوفسطائيون لا يعترفون بذلك .

ولكننا إذا نظرنا إلى الموضوع من زاوية أخرى ، فإننا سنجد في النظرة العميقة ، أن أرسطو ليس إلا امتدادا للاتجاه السوفسطائي لأنه حينما أخضع عالم الغيب للعقل ، وحينما أخضع عالم الأخلاق للعقل ؛ فإن معنى ذلك : أنه أخضعهما للظروف والمناسبات والثقافة والبيئة والزمان والمكان .

الواقع : أن الأمور - تاريخيا - سارت على هذا النسق ، فاختلف أتباع أرسطو بسبب تحكيمهم عقولهم في عالم الغيب ، وفي عالم الأخلاق ، وكانت الأبيقورية ، وكانت الرواقية ، وكان غير ذلك من المذاهب التي تختلف وتتمدد باختلاف أصحابها وتعدددهم . وتخطى الاتجاه الأرسطي الزمن قرنا ، فقرنا ، حتى تبنته الحضارة الحديثة ، فكان ديكارت وكان كانت ، وكان سبينوزا ، وكان غيرهم ، إلى أن كان برجسون ، وبرتراند راسل في هذه السنوات الأخيرة واختلفت مذاهبهم كما اختلفت مذاهب الفلاسفة في الماضي ، والحق عند كل منهم : إنما هو ما رآه ، وهي إذن سوفسطائية ، أو تشبه أن تكون سوفسطائية ، بل لقد وصل

فنجح في أن يحول المجرى الإنساني عن الطريق المستقيم إلى الطريق المعوج ، ونجاحه هذا إنما هو عبارة عن تحويل الإنسانية من الاستسلام للتوجيه والإرشاد الإلهي ، إلى الاستسلام للتوجيه والإرشاد الإنساني البشري ، أو بتعبير آخر : تحويل الإنسانية من الاستسلام إلى الأمر الإلهي إلى الخضوع للعقل .

والمثل الصارخ لهذه النزعة : يتمثل في إبليس حينما رفض الخضوع للأمر الإلهي ، واستسلم لنزوة عقله فكانت عاقبته الطرد من رحمة الله ، وكما أن أثر إبليس لا يزال يجرى في الإنسانية جريانا ظاهرا يتمثل في جميع هذه الشرور والآثام التي يشقى بها بنو البشر ، فإن أثر أرسطو لا يزال يوجه الحضارة الحديثة في موقفها من عالم الغيب . ومن هنا كانت كل هذه الفلسفات التي نشأت والتي لا تزال تنشأ ، والتي سيقدر لها الاستمرار ، إذا بقيت الإنسانية مكبلة بأغلال من تقليده .

ولقد عارض أرسطو السوفسطائيين في قوة وفي استفاضة ، عارضهم بمنهج في البحث ، وعارضهم بأرائه وسفه أفكارهم بمنطقه .

ومؤرخو الفلسفة : يعرفون ذلك له ويظهرون هذا التعارض بين أرسطو والسوفسطائيين في صورة واضحة . ولاشك : أن هذا التعارض صحيح ، إذا نظرنا إليه من زاوية أن أرسطو

عاجزاً خطاء ، لا يثبت على رأى ولا يستقيم له بنيان .

أما الدين فإنه تنزيل من حكيم حميد ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وهو ، منذ أن نزل من عند الله : واحد ، لم يتعدد ولم يختلف . يصوره في جميع مراحلها الكتاب الوحيد في العالم أجمع الذي احتفظ بلفظه ومعناه كما أنزل من السماء إلى الآن ، وهو : القرآن

ولهذه الميزة : ميزة الحفظ لفظاً ومعنى : يحاول كثير من كبار الفسكين الغربيين أن يقشربوا به ويستظلوا بلوائه ، ويعتصموا بحبله حق يأمنوا أضاليل العقل ومناهات الفكر البشري ، وحتى يخرجوا من الظلمات إلى النور .

وهؤلاء إذن لم يرفضوا الحضارة الحديثة في جانبها الصناهى والعملى ، وإنما رفضوها - وهم من أبنائها - في جانبها الخاص بما وراء الطبيعة ، ذلك أنها في هذا الجانب : لا تعدو أن تكون تقليداً لانحرافات نشأت في الإنسانية منذ خمسة وعشرين قرناً .

أما هؤلاء الذين لجشوا إلى الإسلام معتصمين به : من كبار الغربيين فلنا معهم أحاديث أخرى . وبالله التوفيق ؟

الركفور عبد الحليم محمود

رئيس قسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر

الأمر في الحضارات الحديثة - مع مذهب البراجماتيزم - إلى السوفسطائية الصافرة ذلك أنهم حددوا الحق بالنافع : فما كان نافعا كان حقاً ، ويختلف الحق باختلاف النفع حينما يختلف النفع باختلاف البيئات أو الظروف ، وكلية النفع على كل حال كلية غامضة مهمة ، تتذبذب وتتأرجح وتتكيف بحسب الاتجاهات والنزعات .

وأيا كان الأمر ، فإنه مما لا مارة فيه إن الفلسفة العقلية :

١ - أخفقت إخفاقاً تاماً في الوصول إلى مبادئ يقينية في عالم ما وراء الطبيعة .

٢ - وما لا مارة فيه أيضاً : أن الفلسفة العقلية في عالم ما وراء الطبيعة لم تتقدم خطوة واحدة إلى الأمام حق إنه لا يتأتى للإنسان أن يظن ، فضلاً عن أن يعتقد : أن هناك أملاً في أن يصل الإنسان بعقله ولو تدريجياً إلى اليقين في عالم ما وراء الطبيعة .

٣ - وما لا شك فيه أيضاً : أنه لا يوجد في عالم ما وراء الطبيعة ما يسمى بالرأى الفلسفى ذلك أن كل مبدأ ، أو كل رأى يوجد من يثبته ، ويوجد من ينفيه ، ويوجد من يقف بين الإثبات والنفى متردداً بينهما ، أو مرجحاً لأحدهما على الآخر .

والحضارة الحديثة إذن ، حينما تتخذ العقل أساساً لما وراء الطبيعة فإنها تقبى عاملاً

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

- ٣ -

اشتراكية الأسرة

منهم وحدة اجتماعية قوية ، ومن ثم كان للأسرة اسم يدل على الصحة وحسن العشرة وهو « العشيرة » ، واسم يدل على معنى العول والقيام بما يحتاج إليه العيال وهو « العائلة » واسم يدل على معنى التقارب والتجاوب وهو « القبيلة » ، وكل هذه الكلمات تشير إلى الأواصر والصلات التي يقوم عليها مدلول الاشتراكية في المعاني النفسية والشئون المادية لذوي القربى وأولى الأرحام ، أما المعاني

١ - المودة في الزمري :
يلاحظ أن معنى كلمة الأسرة هو العشيرة وأهل البيت ، وأن هذه الكلمة فيها كذلك معنى الأسر وهو القوة ، ومعنى الإسار وهو الرباط ، أو السير من الجلد الذي يشد به الشيء أو يحكم به جمعه ووضع ، ولا شك أن أفراد الأسرة يقوى بعضهم بعضاً ، وأن روابط القرابة تجمع ذوى القربى ، وتجعل

(بقية المنشور على صفحة ١٥٢)

وقوله : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ؛ إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله ؛ وكلّته ألقاها إلى مريم وروح منه ؛ فآمنوا بالله ورسوله ؛ ولا تقولوا ثلاثة ؛ انتهوا خيراً لكم ؛ إنما الله واحد ؛ سبحانه أن يكون له ولد ؛ له ما في السموات وما في الأرض ؛ وكفى بالله وكيلاً ، (١) .

الله ... (١) ؛ وقوله : « يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت الذرارة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ، (٢) ؛ وقوله : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأتمتعون ، (٣) ؛ وقوله : « قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأتم شهداء ، وما الله بغافل عما تعملون ، (٤) ؛

(١) آية ١٧ من سورة النساء .

(٢) آية ٦٥ من سورة آل عمران

(٣) آية ٧١ من سورة آل عمران

(٤) آية ٩٩ من سورة آل عمران .

المكرر على عبد الواحد وافي

(١) آية ١٧١ من سورة النساء .

ثم عز المسلمون ، ووجد المهاجرون الفرص المواتية للعمل والكسب وتحصيل الرزق ، وزالت عنهم وحشة الغربة ، فكان طبيعياً أن يصير الأمر إلى وضعه الطبيعي ، وأن ينزل في ذلك قوله تعالى : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض » ، ويمكن أن يفهم من هذه الجملة معان أخرى لا تتعارض ولا تتناقض مع هذا الذي ذكرناه وذكره المفسرون ، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكلمة « أولى ببعض » تتناول مع الإرث الود والنصرة ، والعون وكل ما هو خير وبر ، لأن معنى « أولى » أحق وأجدر وأقرب ، وقد جاء في الحديث (ألحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت سهام فلأولى رجل ذكر) . ومعناه أن ما بقي بعد أداء الفرائض لأهلها يعطى للأقرب في النسب إلى المورث ، وما يقال في الميراث يقال مثله في النفقة الواجبة على بعض أفراد الأسرة نحو بعض مع اختلاف في بعض التفاصيل . كالاختلاف في الدين ، فإنه يسقط حق الوارث في الميراث ولا يسقط حقه في النفقة إذا أصر واحتاج إلى النفقة ، كما أن عليه النفقة للحتاج إليها من الأقربين المعسرين مع الاختلاف في الدين ، فإذا كان للحتاج ولدان أحدهما مسلم والآخر مسيحي كانت النفقة عليهما بالتساوي لأنهما مقساويان في (العلة وفي الجزئية) وفي قرب القرابة ، وكذلك

النفسية فهي على اختلافها تتلاقى في « المودة » فإنها وجدان جامع نابع من الإحساس الفطري بالآبوة والبوة والأخوة والعمومة والحثولة وما يتصل بكل ذلك ، ومن ثم كان أقل ما يطلب من حقوق القرابة « المودة في القربى » كما يفهم من قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » ، فإن معناه - والله أعلم - إلا أن تودوني في قرابتي ، وذلك أمر فطري تخليه طبائع الأشياء .

٢ - الإرث والنفقة :

وأما الشؤون المادية فهي كذلك هي اختلافها تتلاقى فيما يفهم من قوله تعالى : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » . فإن معناه أن الأقرباء من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى بأن يرث بعضاً من الأجانب ، أو أن أولى الأرحام - بحق القرابة - أولى وأحق بالميراث من المؤمنين الذين كانوا يرثون بحق الدين ، ومن المهاجرين الذين كانوا يرثون بحق الهجرة ، فقد كان نظام المؤاخاة في صدر الإسلام ، وفي أول عهد المسلمين بالمدينة يقضى بأن يرث المسلم - بالولاية في الدين - أخاه المسلم ، وكان الإخاء يعقد بين المهاجر والأنصاري . فكانت الولاية في الدين والهجرة إلى المدينة هما المبرز لليراث لا القرابة ،

فإنه يكلف أن يصونهم عن خسيس الكسب إن قدر على ذلك، ويبيع عليه في كل ما ذكرنا ما به عنه غنى من عقاره وعروضه وحيوانه إلى آخر ما قال .

ومن ذلك نرى مدى سعة دائرة النفقة الواجبة ، فإذا أضفنا إليها ما تحمله (العاقلة) - العصبية - من ديات القتل بالتضامن ، وماثرته بالتعصيب مما يدخل في معنى (الغرم بالغنم) تبين لنا أن الاشتراكية في الأسرة حقيقة دينية وطبيعية واجتماعية ، وأنها من السعة بحيث تشمل النفقة على الخادم ، إذا احتاج أحد الأقربين المعسرين إلى خادم ، وإذا لاحظنا مع ذلك أن القانون الإنجليزي ينقل ثروة المتوفى إلى أكبر أبنائه فيستبد بها ويستأثر بخيرها ظهر لنا الفرق الواسع والبون الشاسع بين ما شرعه الله ، وما شرعه أو يشرعه الناس .

٣ - البر والصلة :

وهناك نوع آخر من البر والمعروف أخشى أن أقع في الظلم والإثم إذا عزوته إلى الاشتراكية أو عزوت الاشتراكية إليه ؛ لأنها بمدلولها المعروف لا تثق به ولا تعتمد عليه وهو بمدلوله الرفيع الواسع بحيث تشرف بالانتساب إليه ولا يزداد شرفه بالانتساب إليها ، لأنه ليس ثمرة الشعور بالحق ، وإنما هو ثمرة الشعور بالموودة والرحمة ، ذلك هو

إذا كان له بنت وابن فإن النفقة عليهما بالتساوي لأنهما متساويان في القرب وإن اختلف مقدار ما يأخذ كل منهما من الميراث ولا يزيد هنا أن نعرض للخلاف بين المذاهب أو نستعرد إلى ذكر التفاصيل ؛ لأن ذلك ليس موضوع هذا البحث ، وإنما موضوع الإشارة إلى مظاهر الاشتراكية في الأسرة ، وحسبنا في ذلك أن ننقل ما نقله الدكتور محمد يوسف موسى عن ابن حزم في كتابه (أحكام الأحوال الشخصية) فقد جاء فيه ما يلي : -

(يقول زعيم أهل الظاهر بأنه يجبر القادر على النفقة على المحتاج من أبويه وأجداده وجداته وإن علوا ، وعلى البنين والبنات وبنهم وإن سفلوا ، وعلى الإخوة والأخوات والزوجات ، كل هؤلاء يسوى بينهم في إيجاب النفقة ، ولا يقدم منهم أحد على أحد ، فإن فضل عن هؤلاء بعد كسوتهم ونفقتهم شيء أجبر على النفقة على ذوى رحمه المحرمة ومورثيه) (أى من يرثهم لو ماتوا عن مال يرث عنهم) إن كان من ذكرنا لا شيء لهم . ولا حمل بأيديهم تقوم مؤنتهم منه ، وهم الأعمام والعمات وإن علوا . والأخوال والحالات وإن علوا ، وبنو الإخوة وإن سفلوا ، ومن قدر من كل هؤلاء على معاش وتكسب وإن خسيسا فلا نفقة له إلا الأبوين والأجداد والجدات والزوجات

الإحسان كما يأمر القرآن ، وقد ذكرت في مقال سابق أنه يتناول القصد الحسن والقول الحسن والفعل الحسن ، فالإحسان إلى الوالدين وذوى القربى قد جعله الله في المرتبة التي تلي عبادته حيث قال : « واهبوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى » . ولا شك أن الإتفاق على الوالدين وذوى القربى من الإحسان ، بدليل قوله تعالى : « يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فلوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم » ، والإتفاق من الخير على الوالدين والأقربين بر ، كما يفهم من قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين إلخ » . فأعطاء المال - مع حبه والحاجة إليه - ذوى القربى . من البر الذي أمر الله به ، وصلة الأرحام بما أمر الله به أن يوصل ، بل إن أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه . كما قال صلى الله عليه وسلم ، ومعناه أن يصل الإنسان بالإحسان من كان صديقاً لأبيه ، وقد وردت أحاديث كثيرة في بيان

فضل بر أصدقاء الأب والأم والزوجة لا يتسع المقام لذكرها ، ومن ذلك ما روى عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه حيث قال : (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني حنظلة فقال يا رسول الله ، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ فقال : نعم الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما . وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقيهما) . وعما يسترشد به في هذا المقام ، ويستشف منه مدى العناية الإسلام بروابط القرابة وأواصر الأسرة ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال : إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى قال : فذلك لك ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرءوا إن شئتم : « فهل هسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » .

عبد الرحيم فوره

من تاريخ الأزهر :

الوزير يعقوب بن كلبس للاستاذ محمد رجب البتومي

إلى إعادة النظر في مباحثه . وسأقصر حديث اليوم على ما جاء بشأن الوزير الفاطمي يعقوب بن كلبس ، إذ ظلمته الكتابة ظلماً لا يستند إلى مرجع تاريخي واحد . ولكنها عرفت مبدئياً أنه كان يهودياً وأسلم فراث في يهوديته السابقة ما استعانت به على الاتهام والازدراء ولم تقدم مرجعاً واحداً يؤيد رأيها في الرجل المظلوم ! ولكنه الاستنتاج المفسر فقط . وسأنقل هنا بعض مقالات الكتابة الفاضلة ثم أشفعه بما أرى من النقد والتصويب راجعاً أن أصل الحق من طريق قريب . تقول السيدة سنية قراعة فيما قالت ص ١١٥ :

« عندما هرب اليهودي الحاقد يعقوب بن كلبس من مصر حتى لا يظفر به أعداؤه في بلاط كافور الإخشيدي ووصل إلى المغرب مركز الدعوة الفاطمية ليحرض المعز على غزو البلاد التي آوته وأعلنت من قدره لم يكن ينبغي إلا أن يتم الفتح الفاطمي ليعود ثانية إلى مصر ، وقد نال من سادته الجدد ثمن خيانتة فيصبح من المقدمين في الدولة الجديدة :

من يطالع تاريخ الأزهر في نشأته الأولى يجد اسم الوزير الفاطمي الكبير يعقوب بن كلبس يتألق بوضوح ، إذ كان من متقدمي علمائه الذين قرءوا العلم في حلقاته ، كما كان صاحب اليد الأولى في جعله مهجداً علياً لا يقتصر على العبادة وحدها بل رتب له طلاب العلم من التلاميذ ، وأساتذة التوجيه من المدرسين . حتى أخذ بذلك صبغته العلوية وأصبح حرم الشريعة وحى اللغة على كر العصور ، والعجيب بعد ذلك أن نجد من الكتاب من يضطرنا إلى المناقشة فيما كتب عن الرجل كأن تاريخه الثابت المتداول غامض مجهول .

قرأت كتاب « مساجد ودول ، للسيدة سنية قراعة وقد فاز بالجائزة الأولى من وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٨ ، كما صدره السيد وزير الأوقاف الأسبق بكلمة تجمع الشناء عليه وتدعو إلى متابعة التأليف في موضوعه ، مما يوحى بأهميته وجودته ، ولكنني - والحق يقال - لمست في بعض فصوله تسرعاً عاجلاً ، واستغباتاً بعيداً يدعو

ليصيب ويذم ويقتل ويشفي غليل العداوة من المسلمين الذين آروه وأكرموه .

وقبل أن نأخذ في مراجعة هذه الأقوال نذكر أن كتابة التاريخ عسيرة شاقه تستلزم قراءة الصحف الكثيرة من متقدمة ومتأخرة ونوجب على صاحبها أن يبني استنباطه على استقرار تام لما قيل . فنن القصر الواضح^(١) أن تطرأ على الكاتب فكرة توحى بهام مناسبة ما ، فتسكون نقطة ارتكاز تمتد وتعلم دون أن تسفدها رواية صحيحة أو حقيقة ناصعة ! وإلا فهل كانت يهودية ابن كلس الأولى كافية عند الكتابة لأن تلقى من الوجود صحائف أعماله وسجلات ، وثقاته وتجعل منه وصولاً حاقدا يظهر الإسلام ويبطن الكفر ، وإن أجمع على غير ذلك مؤرخو الرجل ، ووقفوا من الكتابة الفاضلة على النقيض .

نحن نعلم أن كثيراً من اليهود كعبده ابن صبا وأشباعه أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر يريدون أن يطفئوا نور الله بما يأتون ويحترمون ، فجاءت أفعالهم المنكورة صارخة بإجرامهم البغيض ، ولم يسكت عنهم أحد

(١) من هذا القصر العاجل حديث المؤلف في موضع آخر عن كافر الإخشيدي فقدرأت في يهوديته موضعاً للتهجم للصعوب بالازدراء ، ونحاول في مقال تال أن نصف الرجل الحازم للفكر مما أضيف إليه من أخطاء مؤهومة ، ساق إليها القصر الطائر دون سواء .

لقد وجد اليهودى الطامع في الدعوة الإسلامية بغيته وكان لفظه بالشهادة يوم أشهر إسلامه معبراً إلى التمكن والسيادة ورسالة انتهائية للتقدم في صفوف الدعوة ، حتى لقد تمكن وهو حديث العهد بالدين والدعوة من وضع مصنفات في فقه الشيعة وشق أهدافها السرية التي لا يصل إلى معرفتها والعلم بها غير أصحاب الخطوة من المقدمين المقربين إلى الإمام .

لقد حالت بعض الظروف المذهبية الخاصة دون يعقوب والظهور في حلبة الحكم أيام المعز ، وبرغم هذا لم يتبرم ولم يحاول أن يرفع رأسه بل تصاغر وتراجع واعتزل واعتبر تلك الفترة فترة استجمام ، ورغبة في الاستفادة من ذلك الاعتزال بأن راح ينقب ريبحت ويدرس . ثم تحدثت المؤلفة بإفاضة عن جهوده التعليمية في عهد العزيز بالله ، لتخلص منها إلى قولها العجيب ص ١٢٤ :

لقد كان اليهودى القديم الذى تظاهر بالإسلام ووجد فيه متنفسه وذريعته إلى المطامع ما زال يفكر بعقلية اليهود الذين قال الله فيهم : لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ، ومن المؤسف أن الرجل ووجد سلاحه البتار في الدعوة الغامضة فأراد أن يشحذه وأن يوجهه إلى أهداف أقرب ،

من ساء به الجسد ثمن خيائته فيصبح من
المقدمين في الدولة الجديدة .

وظاهر هذا الكلام ، أن الرجل حين
هرب إلى المغرب كان يهودياً حاقداً غائبا
يخاف ذوى النفوذ في بلاط كافور ، وهذا
غير الواقع . فقد أسلم الرجل قبل هروبه إلى
المغرب بأمد طويل ، إذ أنه كان قبل إسلامه
أثيرا لدى كافور الإخشيدي تسند إليه
وظائف العمارة والحجاية والخراج فيؤديها
بنزاهة بالغة واهتمام كبير ، وكان كافور
الإخشيدي عاقلا لا ينخدع ، فليس من مهارة
يعقوب وإخلاصه ما جعله يقيمه رئيسا
لديوانه الخاص ثم يبالغ في الثقة فيأمر أصحاب
الدواوين ألا يصرف شيء ما من المال دون
توقيع ابن كلس ١١ وإن إنسانا يبلغ هذا
المبلغ من نفس الحاكم الأعلى الحصيف وهو
بعد يهودى يدين بغير ما يؤمن به السواد
من رجال الأمة لذو المعية لأمعة ، وحيلة
ممتازة فإذا أعلن إسلامه بعد استعلاء منزلته
وبعد صيته فهو إسلام البصير المدرك
المتيقن ؛ إذ أنه قد درس قواعد الدين سراً
قبل أن يسلم وألم بما تتضمنه شريعة الإسلام
من عبادات ومعاملات وعقائد على يد أناس
متخصصين ، حتى إذا اقتنع بمبادئ أهل
إسلامه فجأة قد دخل - كما يقول المؤرخون

من يميزون الطيب من الخبيث ، بل وضعت
أفعالهم السافرة موضع التعليل والتشريح
فدمغتهم بالخيانة النسيئة ، والحق الثاني
البعيضا ، وأجمع المؤرخون على دناءتهم
الخفية ، دون أن يجرؤ كاتب على تبرير
مسالكهم الشائنة ، وموارثهم المستفظة ،
ولكننا نعلم مع ذلك أن يهودياً كيعقوب
ابن كلس قد أسلم عن اعتقاد ، ولم يسلف
من الأعمال ما يضعه موضع الموازنة من
معاصريه مع من تلاهم من الأجيال ، أفيجوز
لنا أن نطمس أعماله الرائعة وأن نكذب
التاريخ في تسجيل صنائعه الحافلة ؛ لأنه كان
يهودى النشأ فقط ١ مع أن الإسلام يجب
ما قبله كما قال الرسول الكريم ١١ ذلك منطلق
ساذج نوباً بذوى الأقلام أن يأخذوا به في
قليل أو كثير ، وسنناقش الآن بعض
ما ذكرته المؤلفات الأدبية لرفع عن الوزير
المظلوم ما نزل به من حيف شديد ١١

قول السيدة الفاضلة : د عندما هرب
اليهودى الحاقدا يعقوب بن كلس من مصر
حتى لا يظفر به أعداؤه في بلاط كافور
الإخشيدي ووصل إلى المغرب مركز الدهوة
الفاطمية ليحرض المعز على غزو البلاد التي
آوته وأعلت من قدره لم يكن يبغى إلا أن يتم
الفتح الفاطمى ليعود ثانية إلى مصر وقد نال

وذميين خوة أيضا . وهذا ما لم يقل به أحد لأن أكثرية الشعب قد قابلت جوهر الصقلي بالترحيب ، ولم تتم حرب ما بين الفاطميين والمصريين عند قدوم الغزاة من القيروان ، ولو أراد يعقوب الخيانة مشلا لتوجه إلى البيزنطيين دون الفاطميين ، فهم أثناء هذه الفترة كانوا أعداء المسلمين ! أما الفاطميون فلم يكونوا في رأى الأكثرية الكاثرة شرا من الأتراك الإخشيد ، بل كانوا وسيلة الإنقاذ من العنف الجائر مع ما يحبه من الأوبئة المتلاحقة والمجاعات المتتاليات ١١

وأنظر إلى كلام المؤلفة من ناحية ثانية فأقرر أن الرجل لو أخر إسلامه إلى حين اتصاله بالمعز لكان هناك وجه ضعيف لصحة ما قالته من أنه وجد في الدعوة الإمامية بغيته وكان نطقه بالشهادتين يوم أشهر إسلامه وسيلة انتهازية للتقدم في صفوف الدعوة الفاطمية ! .

ولكن إسلام الرجل قد تم في عهد كافور ، والبلاد المصرية حيثئذ من الثبات والاستقرار والعلمانية بحيث لا يفكر أحد في نجاح حملة ما شرقية أو مغربية توجه إلى مصر ! ثم إن ابن كلس قد شفع لإسلامه بدراسات أكاديمية جعلته في صفوف كبار العلماء ، فقد ألف فيما بعد كتباً كثيرة في الفقه الإسلامى

جامع عمرو وصلّى الصبح في موكب حافل حتى إذا انتهى من صلاته ركب في موكبه إلى كافور فأحسن استقباله وهنأ وخلع عليه ، ثم رتب لنفسه شيوخا من الفضلاء جعل يقرأ عليهم القرآن والحديث ويتعمق معهم في القراءات والأصول ، وظل على حظوته لدى كافور إلى وفاته سنة ٤٥٦هـ (١١)

وكان من الممكن أن تسير حياته هادئة سهلة بعد ذلك ولكن الوزير جعفر بن الفرات قد تحرش به وأمر باعتقاله طمعا في أمواله السكينة ، وكانت الدولة الإخشيدية بعد وفاة كافور في احتضارها الأخير ، تدب فيها جرائم الفساد والضعف ، وتعصف بأمراتها عوامل الترف والنزق والمجون ، وقد حل الوباء بالبلاد وارتفع الغلاء ارتفاعا فاحشا أوجد تدمر العامة بالحاكمين ، ففسكر كثير من الوجهاء والأعيان في الاتصال بالمعز الفاطمى ، لينقذ البلاد مما انحدرت إليه بعد كافور ، وكان يعقوب بن كلس أحد هؤلاء الذين ولوا وجوههم شطر الدولة الفاطمية فراراً من الظلم والعسف ، وتطلعا إلى عهد جديد ، يؤذن بالاستقرار النسبى بعد القلق والفرع والانحلال ، فلو كان اتصال يعقوب بالمعز خيانة في رأى الكتابة ، فلها أن تجعل جميع الذين اتصلوا به غير يعقوب من مسلمين

لإجراء النفقات الوافية عليهم كل أسبوع لما يكفل لهم رغد العيش ونعيم الحياة مع الاهتمام الحريص بجمع الكتب الدينية ونسخها وتذليل طرقها للقراء والمستفيدين وإقامة الدور الخاصة بالمكاتب والورقة والنسخ، كل ذلك ينطق باهتمام المؤمن وحرص العالم وكلف الفقيه، وقد شاع أمره واستفاض من حق لم نجد كاتباً متقدماً جعل عقيدة الرجل موضع الغمز والتجريح على كثرة من أرخوا للوزير في القديم والحديث كابن منجب الصيرفي وابن خلكان والمقرئ وابن تغري بردي وسوام من المؤرخين إلى أن جاءت صاحبة (مساجد ودول) فخرجت علينا برأيها الجديد دون دليل ١ .

وكنتم أطمع أن تقرأ المؤلفات تاريخ الرجل في مظانته القريبية كيلا تسجل عليه غير الواقع الأكيد، فقد ذكرت « أن بعض الظروف المذهبية الخاصة قد حالت بينه وبين الظهور في حلبة الحكم أيام المعز وبرغم هذا لم يتبرم ولم يحاول أن يرفع رأسه بل تصاغر وتراجع واعتبر هذه الفترة فترة استجمام »

وهذا كله غير الواقع، فالرجل لم يتضائل ولم يتصاغر في عهد المعز، بل أسندت إليه كبريات المهام من سياسية ومالية وعلمية، فقد كان القيم الأول على شئون الخراج

والأديان السماوية، والقراءات القرآنية وآداب رسول الله، والحديث النبوي، وواضح أن هذه الدراسات العميقة المتشعبة لا يضطلع بها غير عالم غلص يعتنق مذهباً يؤمن به وينافح عنه، وفرق بعيد بينها وبين دراسات الاستشراف عن الإسلام في العهد الحاضر لأن كتب يعقوب كانت كتب الدولة الرسمية في العهد الفاطمي وقد أقرها أفذاذ العلماء من آل النعمان وهم حملة الفقه الشيعي إلى مصر كما قرأها المعز الفاطمي وولده العزيز، فلو كان بها شبهة مغرضة توحى بفساد عقيدة يعقوب، وشذوذه عن الدائرة الإسلامية ولو في رأى الفاطميين على الأقل، ما تبوأ هذه المكانة في الدولة الجديدة، بل إن يعقوب كان يعقد مجلساً علياً يحضره كبار الفقهاء والقضاة والمتكلمين والمتناظرين كل أسبوع فيشرح ويفسر ويعترض ويناقش ويستدل بالقرآن والحديث .

والذى يظهر الإسلام ويبطن اليهودية لا يتسنى له أن يحمّد من المطاوعة النفسية والإخلاص العلمى ما يبؤنه سدارة العلماء، وإمامة الفقهاء دون أن تصدر عنه بادرة ما توحى بانحرافه والتواءه بل إن عنايته ينشر العلم بالجامع الأزهر وتخصص طائفة من العلماء للدراسة أولاً والتدريس ثانياً مع

أول من تقلده ولقب حينئذ بالوزير الأجل .
وإذن فقد أسندت إليه أعمال الوزير في عهد
المعز دون لقبه الذي لم يوجد بعد ، حتى إذا
وجد في عهد العزيز أسند إليه قبل سواء ،
ويهمنا هنا أن نعلن ما ذكره الأستاذ البجائي
محمد عبد الله عنان ، وهو حجة في التاريخ
الفاطمي بشأن هذه الحقيقة الواضحة نقلا عن
مجلة الرسالة العدد ١٣٦ في ١٠/٢/١٩٣٦ .
حيث يقول مستنداً إلى أمهات المراجع المعتمدة :

« ولما قدم المعز إلى مصر بأهله وأمواله
وجيوشه في رمضان سنة ٣٦٢ هـ قدم معه
ابن كلس ، وقلده المعز شئون الحراج ،
والأموال والحسبة والاحباس وسائر الشئون
المالية الأخرى ، فأبدى في إدارتها وتنظيمها
براعة ، وزاد الدخل زيادة واضحة ، ثم عهد
إليه المعز بشئون (قصره) الخاص ، فكيف
تسترسل الكتابة بخيالها في معرض التاريخ
لتصور من ابتكارها الخاص مسألة التصاغر
وللتراجع والاعتزال ، ثم تبنى على ذلك
ما تفرضه في الرجل الكبير من خيانة وخداع »

على أن أعجب ما قرأته المؤلف هو قولها :
« إن اليهودي القديم الذي تظاهر بالإسلام
ورجد فيه متنفسه وذريعته إلى المطامع
ما زال يفكر بعقاية اليهود الذين قال الله
فيهم : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا »

والحسبة ، والمستشار المفضل في أمور
السياسة والتعمير والإنشاء ، والعالم المصنف
المشرح ! إذ بدأ في إصدار مدونه الفقهية ،
وقد سميت فيما بعد بالرسالة الوزيرية ويقولون
هنا إنها تبلغ نصف حجم البخارى ، وتشتمل
على فقه الطائفة الإسماعيلية ، وقد تبرع
الرجل فذكر أنه نقل أحكامها مما سمعه من
دروس المعز لدين الله ، وهو قول يزيد
في قيمة الرسالة وجلالتها الشرعية والسياسية
دون أن تكون له حقيقة المسئلة ، إذ لا يعقل
أن المعز كان ملياً ، وابن كلس مجرد كاتب ،
ولو كان الأمر كذلك لأسندت الرسالة مباشرة
إلى المعز ، ولعل ما اشتهر عن العلاء من
نسبة كتبهم حيناً أو إهدائها أحياناً إلى
الرؤساء كان عاملاً في تقرير هذه النسبة إلى
المعز ، ومن يدري فلفل المعز تكلم في بعض
المسائل الدينية ، فحرص يعقوب على تدوينها
والتعليق عليها ، وضم التشابهات من المسائل
والفروع والأبواب لما ثم جعل من ذلك كله
ما نسبته إلى علم الخليفة وتوجيهه ، فالرجل
إذن كان صاحب المكانة المرموقة في عهد المعز
دون أن يجحد ما يضطره إلى الاعتزال
والترجع ، والمطلع على تاريخ الفاطميين
بمصر يعرف أن منصب الوزارة لم يوجد
إلا في عهد العزيز بالله ، وقد كان يعقوب

الخليفة العزيز بنفسه وقال له في تأثر: وددت لو أنك تباع فأشتريك بملكى أو تفقدى فأنتديك بولدى فهل من حاجة توصى بها؟

فبكى ابن كلس وقبل يده وجعلها على عينه ثم أوصى العزيز بصدّة وصايا هامة كانت موضع تقديره، وحين مات جزع عليه الخليفة ودفنه في قبة كان قد أسر بينائها لنفسه، وآثر بها وزيره العزيز، ثم أصدر أمره بإغلاق الدواوين عدة أيام حداداً عليه، وشيع تشييعاً لم تعرفه مصر آنذاك لوزير كبير حتى رثاه مائة شاعر بمائة رثاء. ١١

فليت شعرى أتكون هذه المكانة الخائن مضطرب حقود يخفى نياته الخبيثة عن جميع رجال عصره ومن تلام من الباحثين حتى تعرفها المؤلفة الفاضلة توها دون دليل.

إن الطريقة الطبيعية لكتابة التاريخ أن تستقرى مراجعه الكبيرة ثم توازن وتنفذ ونفسر أما أن تتوهم فتجزم ثم تؤرخ فذلك طريقة تحتاج إلى تعديل؟

محمد رجب البيومى

المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

اليهود، ولو كان الرجل من أشد الناس عداوة للمؤمنين حقاً ما كانت مؤلفاته الدينية الكثيرة المرجع الأول لدولة إسلامية قتية تجمع عشرات الفقهاء، والقضاة من ذوى البصر والنفاذ، وقد درسوها باهتمام وناقشوا الرجل في أكثر مسائلها على رؤوس الأشهاد فما وجدوا بها ما يباب، بل لو كان الرجل كذلك ما رتب في قصره الخاص عشرات العلماء والفقهاء والقضاة للدراسة العلمية الخاصة ثم أجرى عليهم الأرزاق من جيبه الخاص وحدد لهم يوماً خاصاً في الأسبوع للنقاش والمطارحة والمحاج، هذا إلى ما سبقت الإشارة إليه من ملته جماعة من الفقهاء بالأزهر وبناء الأروقة الخاصة بهم وتوجيه العزيز إلى وطائهم وتقديمهم وحمل الناس على احترامهم وقهظيمهم، مع تخصيص جانب كبير من قصره لجماعة من الكتاب ينسخون القرآن والحديث وكتب الفقه والعلب ١١

أما اهتمامه بالجامع الأزهر وجامع الحاكم ومسجد عمرو، فما يضاف إلى سجله الدينى الحفيل، وقد روى المؤرخون أن الوزير حين مرض مرض الموت زاره

حُرُوفُ الْقُرْآنِ وَحَدُودُهُ

لِلأُسْتَاذِ مُحَمَّدٍ الشَّرْقَاوِيِّ

— ٢ —

في غير إعلان ، يقض الله حاجتك ويستجب لدعوتك . فهو ينهى ابنه عن النفاق والرياء ويأمره بالإخلاص في الصلاة والدعاء .

ومن التوراة نكتة في بكلمة قاهلا فيعون ، والفيلسوف اليهودي ^(١) ، وهي : « إن الله لا يفرح بالضحايا ، ولو حسبت بالمشات . لأنه مالك كل شيء ومعطى كل شيء ، ومن عطاياه تلك الضحايا . وقد يكون التقرب بخبز الشعير عنده أقوم من التقرب بالنفائس والذخائر . بل من تقدم إليه بنفسه ، لا يحترق شيئاً غير الصدق وخلاص النية أكرم عنده من يبذل الأموال ثم بسوء قوله وعمله ^(٢) . »

ومن الإنجيل نذكر هذه القصة التي رواها لتلاميذه السيد المسيح : «... سائر في الطريق ، خرج عليه اللصوص فسلموه ما معه وضربوه ، وتركوه بين الحياة والموت ومر به كاهن يلبس المسوح فأهمله ومضى في

هؤلاء الذين يحرصون على الحروف أكثر من حرصهم على الحدود ، أو يحرصون على الحروف ولا يحرصون على الحدود . الذين يشغلهم الشكل والمظهر أكثر مما يشغلهم الخبر والجوهر .

هؤلاء القوم نجد لهم ذكراً في كل دين وكل عقيدة . وذكرهم فيها مشفوع بالزراية والإنكار والزجر .

في عقائد مصر القديمة نجد ذكراً لهؤلاء القوم مشفوعاً بالإنكار والزراية في « كتاب الموتى » ، الذي هو كتاب العقيدة المقدس عندهم قبل آلاف السنين . ونجدوا واضحاً بيناً في هذه الكلمة التي نقشها ملك مصرى من ملوك الأسرة التاسعة وهي : « إن الفضيلة يتحلّى بها الرجل العادل ، أفضل عند الله من الثور الذي يذبحه الرجل الشرير قرباناً له . » ونجد ، عندهم في هذه ، في الوصية التي وصى بها الملك « آني » ، ابنه : لا تعترف بالإثم ... لا تفرض نفسك على موكب الإله ، ولا تواجم بمرفيقك لجل قربانه . خف الله واتق غضبه ... وإذا صليت فلا تجهر أو تصيح . صل بقلب مؤمن يخاطب الله

(١) ولد في الإسكندرية قبل ميلاد المسيح بثلاثين سنة .

(٢) عباس محمود العقاد : هبة المصباح ص : ٦٦ - ٦٧ .

ولذكر الله أكبر ، . فالذي لا تحجزه صلاته
عن المنكر والفحشاء لم يصل ، كما أمر الله ،
ولم يعم ولم يتعبد .

لا نكاد نجد آية من كتاب الله تذكر فيها
التكاليف والأوامر إلا مقروناً بها الأمر
بالمفضائل الخلقية ، من البر والصدق
والمعروف والأمانة والمودة وأمثال ذلك .
ويعيننا أن ذلك لم يذكر عن غير قصد ،
تعالى الله ، حتى الآية الكريمة التي عرف الله
بها كتابه وذكر الغاية من وحيه وتنزيله
والهدى به ، ذكر الصلاة ونذكر معها البذل
والصدقة : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون
الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (١) » .

وحين أخذ الله ميثاق بني إسرائيل كان
ميثاقه عليهم ألا يشركوا وأن يبروا والديهم
وذوي قرباهم واليتامى والمساكين وأن
يقولوا للناس قولا حسنا . ثم يذكر بعد
ذلك الصلاة والزكاة ، التي هي عبادة وبر معاً :
« ولما أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون
إلا الله وبوالدين إحساناً وذو القربى
واليتامى والمساكين وقولوا للناس
حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم
إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون (٢) » .

طريقه . وجاء لاوى فضى أيضاً ولم ينتفت
إليه ... وراه سارى فأشفق عليه ومال
إليه فضمد جراحه وأركبه على دابته وجاء
به إلى فندق فأنزله فيه ورعاه ، وقبل أن يتركه
لسفرة أخرج له صاحب الفندق دينارين
لينفقهما عليه ويعني به وقال للفندق : مهما
تنفق على هذا المريض المسكين فإني موفيه لك
عقد رجوعى . ثم قال السيد المسيح
لتلاميذه ، وقد ضرب لهم امثال الواضح
الدلالة : أى الثلاثة أقرب إلى ذلك الصريح
الجريح ... ؟ (١) .

ثم نذكر عن الإنجيل هذه الكلمة من
كلمات السيد المسيح : « إن قدمت قربانك
وذكرت حقاً لأخيك عليك ، فدع قربانك
أمام المذبح واذهب قبل فصالح أخاك ، .
ونكتني بهذه القصة وهذه الكلمة .

أما القرآن الكريم* فلا نجد أصرح منه
ولا أقوى بياناً أو أعظم حرصاً على الحدود
والحروف معاً : هذه توصل لتلك .

هذه آيات من كتاب الله فتلوها وتأملها
فلا نجد فيها سوى شيء . هو تثبيت قول
الرسول عليه السلام في الحديث الشريف :
(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

أولى هذه الآيات هي قول الله تعالى :
« إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

(١) البقرة : ٢ - ٣ .

(٢) البقرة : ٨٣ .

(١) ملخصاً عن إنجيل لوقا : ١٠ - ٢٥ .

لربهم بحمداً وقياما، (١). ومن سياق هذه الآية وترتيبها ندرك شيئاً كثيراً.

ومن يقرأ كتاب الله قراءة تدبر وتفكر يحد شيئاً أكثر وأكثر في أمر هذا الذي نعرفه باسم «الحروف والحدود».

عن عبد الله بن عمرو بن العاص «لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن حيث نزل له دوى حول العرش كدوى النحل». يقول الرب: مالك؟ فيقول: يا رب، أتلى ولا يعمل بي، (٢).

فأصحاب «الحروف»، كما يقول هذا الحديث الشريف، يتلون القرآن تلاوة الحفظ والسرود ولكمهم لايتأثرون به في قلوبهم ومشاعرهم وضمائرهم، يحرصون على الحروف ولا يحرصون على الحدود

ومن التمييز الصادق بين الحروف والحدود هذا الاثر الذي روى عن عمر، وهو أنه «سمع رجلاً يثنى على رجل، فقال له: من أين عرفته؟ هل سافرت معه؟ هل كانت بينك وبينه خصومة؟ هل اتهمت على شيء؟ فقال: لا. فقال عمر: إنك لم تعرفه. أراك رأيت يرفعه رأسه ويخفضه في المسجد» (٣).

(١) الفرقان: ٦٣ - ٦٤

(٢) شرح السنة للبغوي ص: ٧٠ الجزء ١ - (مخطوطة)

(٣) نيل الأوطار للشوكاني

وكذلك نحمد في آية أن الله أخذ عليهم الميثاق وبعث منهم اثني عشر نقيباً، فكان ميثاقه أن يقيموا الصلاة ويؤدوا الزكاة، وأن يؤمنوا بالرسول، ويصروهم ثم تذكر الآية بعد ذلك فرض الله الحسن من عمل الخير: «ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبمئتنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله لاني معكم لأن أقيم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمتم برسلي وعزوتهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لا تكفرون عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار، فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل».

وعند ما يأمر القرآن بالحج والعمرة والإنفاق في سبيل الله وإحسان العمل، ويقدم هذه على تلك: «وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين». وأتمموا الحج والعمرة لله، (١).

وحين نحمد القرآن الكريم يذكر عباد الله الذين نسبهم إلى صفة «رحمته»، فيسميهم «عباد الرحمن»، يذكر أول صفاتهم، فضيلتهم من فضائل النفس والخلق فيقول: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً». والذين يبيتون

(١) البقرة: ١٩٥ - ١٩٦.

من شماله ومن الخلف وسأله الرسول وكل من
الجواب هو الجواب .

وما أشد وقع حكم الرسول على المرأة التي
قيل له فيها : إن فلانة تصوم النهار وتقوم
الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها
فقال : (لا خير فيها ، هي من أهل النار) .

ما أشد وقع هذا الحكم على هؤلاء الذين
وقفوا من الدين عند المهمة بالقسبيج
وكثرة التحدث عن الفضيلة ، وصور العبادات
وأشكالها . ثم ما كانت نفوسهم منطوية إلا
على الغش والمكر والخداع والمق والنفاق
يدبرون السوء ويفسدون ما بين الناس من
روابط مستعنيين بتشويه الحقائق ودس
الأكاذيب والعمل على ستر كل ما يقوض دعائم
الحياة الطيبة الفاضلة ، هؤلاء في واقعهم ليسوا
من التدين في شيء ، وإن الله سبحانه لم يجعل
الإيمان به أساس دينه ، ولم يجعل العبادات
أركاناً له إلا لما تحدثه من أثر طيب في النفوس
يكون عنصراً لتكوين الخلق الفاضل .

وانظر في مثل قوله تعالى : « قل إنما حرم
ربي الفواحش ما ظهر منه وما بطن ، والإثم
والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله
ما لا تعلمون »^(١) لتعرف أن هؤلاء - بوضعهم
الخلق وميلهم بين الناس والمصالح العامة -

(١) الأمراء : ٢٢ .

« ... وليس الخلق المطلوب في هذه الشعب
التي يرجع إليها الدين عند الله هو مجرد أن
يعرف أن الصدق فضيلة والكذب رذيلة ،
وأن الإخلاص سمو ، والمكر والخداع
انحطاط . ولا مجرد الحديث فيما بين الناس
عن ذلك ، وأن الناس تخلوا عن الأخلاق
الفاضلة . وإنما الخلق هو انفعال النفس
وتأثرها بما ينبغي أن يكون فيفعل ، وبما
لا ينبغي أن يكون فيترك .

والخلق ، بهذا المعنى ، هو الصيام لهذه
الشعب كلها ، وهو المعتصم الذي يتمسك به
من أراد أن يكون (مسلماً حقاً) . والعقيدة
وما إليها دون خلق شجرة لا ظل لها ولا ثمر ،
والخلق دون عقيدة ظل لشج غير مستقر .

ومن هنا كانت عناية الإسلام بالخلق عناية
تفوق كل عناية ، لقد وصلت هذه العناية
عند الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن
جعل الخلق متعلق رسالته : (إنما بعثت
لأتمم مكارم الأخلاق) .

وقد كثرت توصيات الرسول في هذا
الجانب حتى قال : (أنقل ما يوضع في الميزان
يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق) وحتى
جاء رجل ذات مرة ووقف بين يديه وسأله :
(ما الدين يا رسول الله ... ؟ فقال : حسن
الخلق . فجاءه من قبل يمينه وسأله السؤال
نفسه وكان الجواب : حسن الخلق . ثم جاءه

استحلوا لأنفسهم الإثم والبغى بغير الحق ، وقالوا على الله ما يعتقدون بغض الله له^(١) . هذه صيحة قوية تبين فرق ما بين أصحاب « الحروف » وأصحاب « الحدود » فتجعل هؤلاء الذين يحرصون على الحدود والحروف ، وحرصهم على الحدود شديد ، هم « المسلسلون حقاً » . وتجعل أولئك الذين يحرصون على الحروف دون الحدود قد « استحلوا لأنفسهم الإثم والبغى بغير الحق » وقالوا على الله ما يعتقدون بغض الله له . هذه « الحروف » التي يطالعها القارئون أو يحفظها الحافظون دون أن تترك أثرها في قلوبهم وضمائرهم لن تغني عنهم ولا عن

الدين والعقيدة شيئاً . بذلك أخبر النبي الصادق الأمين في هذا الحديث الذي شبه فيه القوم باليهود والنصارى ، الذين حرفوا وبدلوا ولم تغن عنهم الحروف شيئاً : « جاء رجل إلى النبي عليه السلام يقول : كيف نهلك ونحن نقرأ القرآن أبناءنا ، وأبنائنا يقرءون أبناءهم : قال عليه السلام : نكلتكم أمك . . . ! أو ليس اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل . . . ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال فما أغنى عنهم ذلك . . . ؟ قال : لا شيء يا رسول الله^(٢) » .

محمود الشرفاوى

(١) الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت : « الإسلام : عقيدة وشرعة » ، ص ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٢) أخرجه أحمد وابن ماجه من حديث زياد ابن لبيد ، والدارمي من حديث أبي أمامة .

رسالة السلام والتحرر

جاء الإسلام برسالة إنسانية تحرر العالم من العبودية وتقرر المساواة بين البشر جميعاً في الحقوق والواجبات . وقد بين الله سبحانه وتعالى لرسوله وللمؤمنين طريق الدعوة إلى هذه الرسالة وهو طريق المجادلة بالحسنى ، والرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن سوى بشير للإنسانية بالخير والعدالة ، ونذير لها إذا هي حادت عن طريق الخير والعدالة .

محمود فريد أبو حمزة

عضو المجلس الأعلى للفنون والآداب

بمناسبة الحملة ضد الجوع التي نظمتها هيئة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة :

من أجمل الطيبات للاستاذ فتحي عثمان

- ٢ -

القول بأن الجوع نتيجة نوع من القوانين الطبيعية قول لا يسنده رأى على ، ومجرد تحليل بعض الأرقام يبين لنا أن هذا رأى غير حقيقي ، فالمحيطات تغطي ٧١ ٪ من مساحة سطح الأرض ، ٢٩ ٪ هي الجزء اليابس من مساحة السطح ، وهي تبلغ ٥٦ مليون ميل مربع .

وقد قدر علماء الزراعة والتغذية الذين يدرسون العلاقة بين المساحة المزروعة وإنتاج الطعام في ضوء علم التغذية الحديث أن نحو فدانين لكل فرد يكفيان لتوفير العناصر الضرورية لغذاء معقول . وعلى أساس هذه النسبة تستطيع الزراعة أن تستغل ربع المساحة الصالحة للزراعة في العالم .

وإلى اليوم لم تبلغ المساحة المزروعة في العالم أكثر من بليونين من الأفدنة ، أى بنسبة اثنين من المساحة الممكن زراعتها ... وقد أسقطنا من حسابنا نصف مساحة اليابس ، فالجبال والصحارى لم تحسب ضمن الأرض الصالحة للزراعة ، مع أن

منها ٣٠ ٪ تغطيه الغابات ٢٠ ٪ تغطيه السهول العشبية ١٨ ٪ جبال ٣٢ ٪ صحارات حارة أو قطبية

ويقدر روبرت سولتر وهومر شانتز من خبراء وزارة الزراعة في الولايات المتحدة : أن ٢٥ مليوناً من الأميال المربعة - أى نصف مساحة اليابس فقط - يمكن استغلاله في الزراعة بالطرق المتبعة حالياً في استغلال التربة . أما الجبال والصحارى فلا تعتبر صالحة للزراعة ، ولو أن السنوات الأخيرة

ويعتبر روبرت سولتر وهومر شانتز من خبراء وزارة الزراعة في الولايات المتحدة : أن ٢٥ مليوناً من الأميال المربعة - أى نصف مساحة اليابس فقط - يمكن استغلاله في الزراعة بالطرق المتبعة حالياً في استغلال التربة . أما الجبال والصحارى فلا تعتبر صالحة للزراعة ، ولو أن السنوات الأخيرة

هذه الفترة قد تستخدم وسائل جديدة تؤدي إلى رفع هذه الزيادة إلى ٥٠ في المائة .

ويمكن أن يحدث نفس الشيء في جهات كثيرة من العالم .

وبقدر ريموند كريستنس أن نصف الزيادة في الإنتاج الزراعي بالولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية كان يرجع إلى إدخال طرق فنية جديدة ...

إن إمكانيات علاج الحيوان المستأنس والنبات بوصفها وسائل إنتاج غذائي تستطيع زيادة حصيلتها كما وكيفا .

ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك ، بين الحريين العالميتين الأولى والثانية استطاعت تربية الحيوان على أسس علمية أن تزيد من معدل إنتاج اللبن في الدانمرك من ٢٠٠٠ إلى ٣٢٠٠ رطل لكل رأس ، وفي إنجلترا من ٢٧٠٠ إلى ٣٢٠٠ رطل ، وفي نيوزيلندا من ٢٠٠٠ إلى ٣١٠٠ رطل . وهناك طريقة التوسع الزراعي بزراعة أراضي جديدة وأنواع جديدة من التربة ، وإدخال نباتات وحيوانات جديدة للأغراض الغذائية ، كذلك نستطيع استغلال موارد غذائية لم تطرق بعد كالشعير المائلة التي تزخر بها البحار ، كما أنه من الممكن تربية الأحياء في مياه المحيطات لزيادة من موارد الإنسان الغذائية إن أول نصر كبير على الجوع سوف يأتي

مئات الآلاف من الأفدنة في الصحراوات المدارية قد تحولت أخيراً إلى الزراعة بفضل الأساليب الحديثة وأن الروس يكسبون بطرقهم الزراعية المدهشة أراضي جديدة واسعة من الصحاري القطبية يحولونها إلى الزراعة ١١

ومن النظريات الأخرى التي تثير الفزع القول بأن إنتاج الطعام لا يمكن زيادته ، لأننا بلغنا الحد الأقصى لطاقة التربة ، وكذلك حدود التشبع البشري ١١

ولكن الحقائق هي :

أولاً : من الخمسين في المائة من أراضي العالم التي يمكن زراعتها لا يزرع الآن سوى عشرة في المائة .

ثانياً : أن غلة الفدان في أكثر جهات العالم يمكن زيادتها زيادة كبيرة باستعمال طرق زراعية معقولة .

وقد انتهت لجنة منطقة الأغذية والزراعة التي طبعت التقرير الخاص بالتغذية في العالم إلى أن إنتاج القمح في الهند يمكن زيادته ٣٠ في المائة في عشر سنوات .

منا ٢٠ ٪ بواسطة استخدام المخصبات
٥ ٪ بواسطة استعمال أصناف جديدة
٥ ٪ بواسطة حماية المخصول من الآفات والحشرات .

ويستطرد التقرير فيقول : إنه بعد انقضاء

وببارك الإيمان هذه الطاقات العاملة التي تطلق آيات الله في الآفاق ! .

يكرم الإنسان : فيغدو الحفاظ على كرامة الإنسان فريضة الإيمان وشرعية الدين .

ويبرز جلال الكون ؛ فيجعل تأمله وتدبره ، والعلم بنواميسه والعمل للإفادة من طاقته ، سياحة قدسية وعبادة خاشعة .

« فإذا قضيت الصلاة ، فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » .

« هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها ، وكلوا من رزقه ، وإليه النشور » .

« وهكذا يطلق الدين قوى الإنسان — في أنقى وأصفى حالاتها ، لتعمل عملها مع قوى الطبيعة تعمل بصد أن تقاها الإيمان من اليأس الكثير والبطر المغرور ، وصرف مشاعر الخوف والرجاء في الإنسان إلى من لا يتجبر بها بغير الحق وهو غنى عن العائين ، وآزره وهو يعالج الكون العملاق بالاستناد إلى باري الكون وفاطر الإنسان والتطلع إلى عالم آخر هو خير وأبقى ، فيه جنة عرضها السموات والأرض أعدت للتقين .

وهكذا تأتي العقيدة في الله تعزيراً لسمى الإنسان في سبيل الحياة ...

في شكل زيادة أساسية في الإنتاج العالمي للغذاء ، وتقف الطبيعة والعلم كلاهما على استعداد للمعاونة في هذا السبيل وهناك مساحات شاسعة من الأراضي غير المستغلة تنتظر الاستغلال — وتستطيع الفنون الزراعية أن توضح لنا أحسن طرق استغلالها كما تستطيع أن تبين لنا كيف نزيد استفادتنا من الأرض التي تزرع فعلا ، وكذلك من البحر أو حتى من مركبات المواد غير العضوية ...

هكذا يبسط لنا خير مذهب التغذية بجامعة البرازيل « جوزويه دى كاسترو » آمال العلم ... والدين قروقه رحمة وسمت كل شيء ، والكون فطرة ليس فيها ثغرة إذ هذا الكون من صنع الله الذي أتقن كل شيء كما قرر للإنسان كرامته ومكانته في الكون وبين سائر الخلق ... وهو بهذا كله ينفث خلال عقائد الإيمان الأساسية طاقات كبرى للانطلاق .

لأنه يفتح طاقات الكون على طاقة الإنسان في تأثير متبادل فعال !!

يبدل الإنسان طاقته في معالجة طاقات الكون ، ويمنح الكون هذا الإنسان ما يحفظ عليه حياته وحيوته وطاقته لينفق هذا كله في العمل في الكون ...

وهكذا تتفتح الطاقات هنا وهناك .

تأتى إطلاقا للقوى الإنسانية في أوسع
حداها ، وتسخييراً للقوى الكونية في شق
أصاها ، مع سد المسارب التي تنبدد منها
هذه وتلك على السواء .

مقشابه ، أنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ،
إن في ذلكم آيات لقوم يؤمنون .

ومن هنا تنطلق كل الطاقات ، إلى أقصى
الغايات ، في رحاب الإيمان .

لقد ساق القرآن للناس عقيدته في موكب
من الحياة والحضرة والنور .

ويصعد الله د بالابتغاء من فضل الله ،
فيؤمنون الجهد .

ويطوى السكون .

ويعز الإنسان .

وهذه هي البركات التي تتحدث عنها
كتب السماء :

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا ،
لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » .

« ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل
وما أنزل إليهم من ربهم ، لاكلوا من فوقهم
ومن تحت أرجلهم » .

فنفى عثمان

« إن الله فائق الحب والنوى ، يخرج الحى
من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ذلكم
الله فائق تفككون . فائق الإصباح وجعل الليل
حنكناً والشمس والقمر حساباً ، ذلك تقدير
العزيم العليم وهو الذى جعل لكم الفجر لتهتدوا
بها في ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات
لقوم يعلمون » . « وهو الذى أنزل من السماء
ماء فأخرجنا به نبات كل شئ » ، فأخرجنا
منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ، ومن
النخل من طلعمها قنوان دانية ، وجنات من
أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير

قال الإمام الغزالي : كنت أنشر العلم الذى يكسب الجاه وأدعو إليه بقولى وعملى ،
وكان ذلك قصدى ونيق ، أما الآن فأدعو إلى العلم الذى به يترك الجاه ويعرف به سقوط
رتبة الجاه - وهذا هو الآن نيقى وقصدى وأمنيقى ، يعلم الله ذلك منى ، وأبغى بهذا أن أصلح
نفسى وأصلح غيرى .

من معاني القرآن

« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً
ونذيراً وداعياً إلى الله يأذنه وسراجاً منيراً ، » .

والشواهد . المنذر بالشر والعقاب . الداعي إلى الله بإذنه الله وتيسيره . المصباح الذي يضيء الوجود بنوره ، وقد وصفه الله بأنه نور حيث قال : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، ووصف الدين الذي بعث به بأنه نور حيث قال : « أفن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ، ووصف القرآن الذي أنزل عليه بأنه نور فقال : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ، ومن ثم يفهم من قوله تعالى : « نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء » . أنه صلى الله عليه وسلم هو النور الذي أنزل عليه النور ، وأن محاولة الغرض من شرف مكانته ومنزله عند الله وعند الناس تحبط الأعمال وتهبط بصاحبها إلى حيث يشير قول الله : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون » .

فأي كلام يشتم منه تفضيل غيره عليه أو قياس غيره به ، أو سوء الأدب معه ، يجب أن يكون موضعه من قلوب المسلمين الاسقياء والازدراء .

عبد الرحيم فودة

النبا : هو الخبر الذي له شأن ، والنباوة : الربوة أو الأرض المرتفعة ، وكلمة النبي إذا كانت مأخوذة من النبا فهي بمعنى النبي أي المخبر عن الله أو الذي يتلقى الأنباء منه ، وإذا كانت مأخوذة من النباوة أي الربوة أو الأرض المرتفعة : فهي بمعنى الشريف الرفيع الشأن والمقام .

والشاهد هو الذي يخبر بما يعلم ، والشأن فيه أن يعرف عدله ويقبل قوله .

والمبشر هو الذي يخبر بما يسر ويظهر أثره على البشرية .

والنذير هو الذي يحذر ويخبر بما يخيف والسراج هو المصباح .

المعنى :

يخاطب الله خاتم أنبيائه ورسله باللقب الذي يدل على شرفه وعلو منزلته وسمو قدره فيقول يا أيها النبي ، ولا يناديه باسمه فيقول يا محمد ، كما نادى الأنبياء بأسمائهم فقال « يا نوح ، ، يا موسى ، ، يا عيسى ، ، ويؤكد له أنه - جل شأنه - أرسله شاهداً على الناس ، وعلى الأنبياء الذين أرسلهم إلى الناس كما يفهم من قوله تعالى : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ، ويصفه بأنه المبشر بالخير

التنافس السامي حول الثقافة في الإسلام

للأستاذ حسن فتح الباب

- ٢ -

ازدهر التبادل الثقافي في ظل الدولة الإسلامية . ولا سيما في عصور العباسيين في بغداد والأمويين في الأندلس ، إذ أدرك الخلفاء - بعد أن اتسع نطاق الدولة الإسلامية

وتحتفظ فيها .

ومن ثم لم يقف اختلاف هذه النظم بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصور الوسطى حائلا دون تلاقحهما في الميدان الثقافي وكانت الدولة العباسية والدولة البيزنطية أعظم قوتين سياسيتين في ذلك الحين . فقد امتدت رقعة الإسلام من أطراف الصين شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ، وذلك فضلا عن امتداد أرجائها شمالا وجنوبا . وكانت امبراطورية الروم المسيحية -

الامبراطورية البيزنطية - تبسط سلطانها على آسيا الصغرى وبلاد البلقان وإيطاليا . ولم تقصر الامبراطورية الإسلامية علاقاتها الثقافية على الدولة البيزنطية ، فقد امتدت بها إلى سائر الممالك من الأمم . فساوت البعثات العلمية بين البلاد الإسلامية وبين القسطنطينية وروما ، وملكه البلقار ، ودولة الفرنجة التي خرجت من أضلاع بزنطة والمند

وبسطت ظلها على كثير من بلاد العالم القائم حينئذ - أنه لا حائل بين العقيدة الإسلامية وبين الانتشار في ربوع الأرض فلا ضرورة إذن للجهاد ما لم يصد عاد عن سبيل الله ، والاولى أن تدخل الدولة الإسلامية في علاقات عهدية مع العالم المسيحي في ذلك الحين ومع سائر الأمم المجاورة ، حتى يتفرغ ولاء الأمر من المسلمين لشئون دولتهم المترامية الأطراف في ظل عالم يسوده الأمن والسلام .

وليس أفضل من رسالة الفسكرك المشترك سفيراً لإنشاء العلاقات الودية وتوطيد الروابط بين الأمم والشعوب ذلك أن تبادل المعاني والأفكار لا يقل أثراً في ديم الصلات الحميدة من تبادل المنافع المادية ، فهو يقرب بين النظرات المتباينة ويهيئ النفوس لاقتلاع بذور الشك وعدم الثقة ، فيصنح الطريق بهذا للتعاون والتضامن

وبذلك وحده تعود الثقافة إلى طابعها العالمى الإنسانى الأصيل الذى تدهو إليه المبادئ الإسلامية .

ولقد أدت تلك السياسة الإنسانية الرشيدة إلى ذوبان الجليد بين المسلمين والمسيحيين فى تلك العصور الزاهرة فتم التقارب والامتزاج والتزاوج الثقافى بين الكتلتين رغم ما بينهما من خلاف دينى . وساعد على القضاء على عقدة الخوف والشك والكراهية بين الجانبين ، تلك العقدة التى نشأت بسبب اختلاف أنظمتها . وترتب على ذلك أن حلت كثير من المشكلات الدولية فنغم العالم بسلام دام فترة طويلة من الزمن مما هيا السبيل لازدهار المدنية التى حملت فى أحشائها البذور الصالحة لانبعاث عصر البعث العلمى وبزوغ فجر الحضارة المدنية .

التنافس السلمى حول الثقافة :

ولئن أخذت الدولة العباسية فى علاقتها مع الدولة البيزنطية بمبدأ التنافس السلمى فى الميدان الثقافى ، فلا عجب أن تنهج هذه الوجهة فى علاقتها مع الدولة الأموية المناوئة لها فى الأندلس بجامع العقيدة الإسلامية بينهما .

وفى ظل هذا المبدأ بلغ التبادل الثقافى ذروته فى تلك العهود بفضل النهضة العلمية

والصين وجرت بينها المفاوضات فى سبيل دعم الروابط العلمية والثقافية وتوثيق الصلات الدولية ، وكان السفراء فى ذلك الحين يقومون بما يشبه المهمة التى يضطلع بها المستشارون الثقافيون فى سفارات الدول الحديثة اليوم وأسفرت تلك المفاوضات التى تمت عن طريق تبادل الكتب والرسائل الودية وإيفاد المندوبين عند عقد معاهدات لإقـرار التبادل الثقافى ، وكانت تلك المعاهدات تنص على دراسة الكتب النادرة التى تتوافر لدى الجانبين أو فى مكتبتهما العامة وتبادل البعث العلمية وتيسير مهام الطلاب والباحثين فى جامعات المسلمين والبيزنطيين وفى عواصمهم .

هزل الثقافة من صيرانه الصراع :

وانعكس هذا التيار الثقافى على السلام العالمى نتيجة التقاء المحسرين الكبارين فى ذلك الحين على صعيد العلم والمعرفة ، وكان الفضل فى ذلك للسليين الذين نزهوا الفكر عن استخدامه أداة للصراع الدنى والسياسى وحرروه من الوقوع تحت تأثير هذا الصراع . فالعلم حق ينبغى أن يتاح للإنسان فى كل مكان من العالم حتى يعرف النتائج التى توصل إليها العقل البشرى فى كافة المجالات دون قيود أو سدود .

- ونعني بهم البيزنطيين - إلى العرب ماسة ومستمرة وكأوا ضعفاء أمامهم منذ وحدة العرب أيام الخلافة الإسلامية وما أحرزوه من انتصارات ودخول الناس كافة في دين الله وكان التوازن الدولي في ذلك الحين في صالح الإسلام ، ومن مصلحة الروم أن يكونوا هم الساهين إلى توثيق العلاقات السلية بينهم وبين المسلمين انقاء لبأسهم ، ولا سيما وقد بدأ التصحح يدب في أركان الدولة البيزنطية بعد أن قامت دولة الفرنجة وظهرت الأمم البربرية المستقلة على حدود الرومان .

التي ازدهرت في العواصم الإسلامية والمسيحية ، فقد كانت بغداد وقرطبة القسطنطينية مراكز إشعاع للعلوم والفنون والآداب تنافس كل منها الأخرى في النزود بالعلم والثقافة والبحث عن كل جديد ومبتكر من المعارف والأفكار ، وتشجيع العلماء والطلاب على البحث والدراسة ، والإكثار من البعثات الثقافية لتحقيق هذه الأغراض . وقد لعبت تلك البعثات دورا هاما في إقرار السلام بين تلك القوى الكبيرة التي كانت تحتل السياسة الدولية حينئذ .

عربة الفكر في الإسلام - مرم أساس

التنافس السلي مستمر من المبادئ

التنافس السلي :

المقدمة :

وبرغم هذه الظروف لم يعتمد المسلمون إلى فرض حرب ثقافية على معسكر المسيحيين لأن هذه الحرب منافية لمبادئهم السمحاء بحافية لروح شريعهم الغراء فسياسة المنافسة السلية حول الثقافة متأصلة في العقيدة الإسلامية ، نابعة من صميم تلك العقيدة ، ذلك أنها إحدى مظاهر حرية الفكر التي اعتنقها المسلمون منذ بداية الدعوة وتميزت بها عقيدتهم وحضارتهم كما يشهد بذلك الأعداء قبل الأصدقاء . وكانت تلك الحرية شريعة المعاملة بينهم وبين سائر الشعوب ، فلا تمييز بسبب العنصر أو الملة أو اللون .

وفي الحق أن سياسة الدولة الإسلامية في التنافس السلي حول الثقافة مستمدة من المبادئ الإسلامية وليست تخطيطا سياسيا مرهونا بمحس أو مرحلة تاريخية مؤقتة ، ومصدق ذلك أنه كان بوسع المسلمين أن يفرضوا قوتهم ونفوذهم في الميدان الثقافي أسوة بالمهاجرين السياسية والعسكرية ، فيشهرروا سلاح الثقافة على المسيحيين ، يحرمونهم منها ولا يعطونهم بدلا ، يستولون . وهم الغالبون . على مكتباتهم وعلماهم وثمرات حضارتهم ولا يبيحون لهم الاطلاع على مكنون العلوم الإسلامية ومعارفها ، فقد كانت حاجة الروم

أن يحول دون انتشار نوره في العالمين حائل أو يصد عن سبيله أحد . ومقياس قيمة المرء علمه وعمله ، وكفى بذلك تكريماً للعلم والعلماء .
 «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» .
 ولقد وعى هذه الحقيقة كثير من الباحثين والمفكرين الغربيين فشهدوا بسبق المسلمين في مضمار العلم وتقديسهم لحرية الفكر وحرية العقيدة ، وفي ذلك يقول «دراير» أحد المؤرخين وكبار الفلاسفة الأمريكيين :

إن المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصرُوا في معاملة أهل العلم من النصارى ومن اليهود على مجرد الاحترام ، بل فوضوا إليهم كثيراً من الأعمال الجسام ورقوموا إلى أعلى المناصب في الدولة ، حتى إن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة يوحنا بن ماسويه . وكانت إدارة المدارس مفوضة مع نبل الرأي وسعة الفكر من الخلفاء إلى النصارى تارة وإلى اليهود تارة أخرى .
 لم يكن ينظر إلى البلد الذي عاش فيه العالم ولا إلى الدين الذي ولد فيه ، بل لم يكن ينظر إلا إلى مكانته من العلم والمعرفة .

وبفضل هذه الحرية التي طبقت شهرتها الآفاق وفد إلى ديار الإسلام كثير من العلماء والباحثين من سائر الأقطار ومختلف الأديان ينشدون فيها الأمن والسلام حتى يتفرغوا لرسالتهم العلمية ويشاركوا علماء المسلمين

ولقد تعلم علماء أوروبا في العصر الوسيط حرية الفكر عن المسلمين ، فكانت هذه الحرية هي القربة الصالحة لفساد بذور الحضارة الغربية ، ولولاها لما استطاعوا أن ينتزعوا راية العلم من رجال الكنيسة المتعصبين المستبدين ، ويطهروا عقولهم من رواسب المعتقدات الخرافية القديمة ويؤمنوا بالعلم وقد رتبهم على التحكم في مصائرهم . كما تعلموا من المسلمين دقة البحث العلمي ، فتمكنوا من تحقيق كشوفهم العلمية ، وفي ذلك يقول العلامة الاجتماعي جوستاف لوبون : «إن العرب هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين» .

العلم والثقافة : مدبرهما فروبي

المجفسي والريع :

العلم والثقافة عند المسلمين لا يتأثران بالخلاف في الجنسية أو اللغة أو العقيدة . فالعلم لا وطن له بل هو جوهر الإنسانية وسبيل تقدمها وتدعيم قيمها السامية وهو ملك بني الإنسان كافة .

فليختلط المسلمون بغيرهم من أهل العقائد والملل في سبيل العلم لا يحدهم زمان ولا مكان وليكن منهجهم في ذلك التزود بالثقافة في سبيل الحياة والحق والسلام ، فالمعرفة سرافقه أودعه الإنسان خليفته في الأرض ، فلا ينبغي

بين نقطة صلحاً دائماً والتي قطعة ذهبية في مقابل حضور هذا العالم إليه .

ولكن تيوفيل أصر على رفض هذا العرض بدعوى أن أبحاث ليو كانت تتعلق في شطر منها بأسرار الدولة وشؤونها العسكرية .

وحين نذكر قوة الدولة الإسلامية في عهد المأمون وسمى الدولة البيزنطية إلى خطب ودها والدخول معها في علاقات عهدية ، ندرك مبلغ سخاء هذا العرض من جانب المأمون ومدى حرص تيوفيل على منافسة الخليفة في ميدان البحث العلمي . فقد كان ما عرضه المأمون من توقيع معاهدة للصلح بين المسلمين - رغم أن ميزان القوى في صالحه - ينطوي على تضحية منه . ولكنه أدرك بثاقب نظره وواسع فكره أن قدوم هذا العالم العبقري إلى بغداد كفء لهذه التضحية ، بل إنه يرجحها إن لم يكن يعدلها في الميزان الصحيح الأمور . وفي هذا أبلغ دليل على تقدير الحكام المسلمين للعلم واعتدادهم به كدعامة أساسية من دعائم دولتهم وركيزة للبيادى الإسلامية في أرجاء العالم .

ودلالة هذا الموقف كذلك هي حرص المأمون على جعل السلام من طريق التبادل الثقافي بديلاً للعرب . وقد كان في وسع خليفة المسلمين أن يشن حملة تأديبية على الإمبراطور [البقية على صفحة ١٨٨]

في جهودهم المبذولة في سبيل قضية العلم من أجل الحياة والحضارة والحرية ، منهم من آمن بالعقيدة الإسلامية عن اقتناع ويقين بالحق ، ومنهم من بقى على دينه لا يخشى جوراً عليه ولا اضطهاداً .

موقف الخليفة المأمون في التنافس السلي

وفي ختام هذه الدراسة نسوق مثالا تاريخياً يشهد بما بلغته الدول الإسلامية في هدها الزاهر من ذروة السبق بانتهاج سياسة التنافس السلي حول الثقافة مع جيرانها من الأمم والشعوب التي تخالفها في العقيدة .

فقد نمّا إلى علم الخليفة « المأمون » - وقد بلغ اهتمامه بالثقافة حدّاً ليس له سابقة في تاريخ النهضة العلمية - نبأ عالم رومى نابغة يدعى « ليو » ذاع صيته في علوم الفلك والهندسة . فتناق إلى قدومه إلى ديار الإسلام للإفادة بعلبه الواسع في الرياضيات في تدعيم حركة البحث العلمي ، وأنفذ لذلك سفارة خاصة إلى الإمبراطور البيزنطي « تيوفيل » يطلب إليه حضور هذا العالم إلى بغداد لفترة قصيرة من الزمن . وقال : خليفة المسلمين في رسالته « إنه يعتبر ذلك حملاً ودياً ، غير أن تيوفيل لم يستجب له ، وتكررت المفاوضات حتى بلغ الأمر بالمأمون أن عرض على الإمبراطور

سَيَّارَةٌ بَعِيرٌ وَقَتُّودٌ

يَخْتَرِعُهَا عَالَمُ أَزْهَرِي

تَجَارِبُ وَذِكْرِيَّاتُ

لِلْأُسْتَاذِ أَبِي بَكْرٍ ذَكْرِي

البعيدة عن ضجيج الحضارة وكنت باستعدادي
الخاص أميل إلى الهدوء والسكون والتأمل
فيما حولي .

كما كنت ذا إحساس دقيق بكل ما يحس
به الناس من آلام حياتهم وبضروب كفاهم
المربو من أجل الحياة .

وكنت بما أتيح لي من تربية المكتب
والاختصاص بالتعليم وبحظ من رفاة الطفولة
وحذب الوالدين أعتبر نفسي نمطا خاصا
غير كافة الناس الكادحين من حولي ؛ إذ كان
أكثر من يشاطرونني مهمة التعلم لا يخرجون
من الكتاب إلا إلى السكك في حقول
أهلهم .

وكانت كل ذرة من فراغي لا تخلو من تأمل
في شيء أو محاولة عملية لتحليل شيء آخر
بغية اكتناه حقيقته على دقة من الفهم .

وكنت أختلس أوقاتا أطرق فيها أبواب
ما كينات « الطحين » وما كينات المياه لها لها
في نفسي من روعة وقيمة .

بل كنت أقف لقطار متعمدا على الطريق
الزراعي لأرى كيف يتاح له جر حمله الثقيل

يسألني الناس ولا يزالون يتابعون أسئلتهم
عن حقيقة اختراعي الذي سجل ونال « براءة
اختراع » من الجمهورية العربية المتحدة
والسودان وهو عبارة عن « عربية تسير
بدون وقود » . موجعين عادة هذه الأسئلة :

١ - ما حقيقة هذا الاختراع ؟

٢ - ما الداعي إلى التفكير فيه ؟

٣ - متى بدأت فكرته تجول في نفسك ؟

٤ - كيف تسنى لك إخراجهم مع اشتغالك
بميدان آخر من الثقافة ؟

٥ - من أين استقيت القواعد العلمية
التي قد تكون هونا لك على ذلك ؟

ثم أسئلة كثيرة طالما سمعتها ولا أزال
أسمعها كلما مر بعض الناس بشركة الشرق
الأوسط بشارع السبتية بالقاهرة ورأوا
التجربة الأولى لهذه المحاولة .

أما قصة ذلك فأحب أن أسوقها إلى قراء
مجلة الأزهر خادمة العلم والثقافة في المحيط
الإسلامي والعربي عسى أن يكون فيها هبة
لمعتبر أو تشجيع لناشي أو درس للمستفيد .
كنت منذ حداثتي ونشأتي في إحدى القرى

ما مضى بطنى بعض أساتذتى أحاول بعض التجارب فى الفصل فكان ذلك منهم مشار العجب والغضب لولا شفاعته زملائى الذين يسرعون بتزكىتى والإشادة باجتهادى فى كل ما أتعلبه .

وبتطور الحياة كانت معارفى تنمو فى مجال الطبيعة الحر الواسع دون قيود أو حدود .

وبينا الدنيا كلها تعمل وتخترع وتنتج للأسواق على الطريقة التقليدية (الكلاسيكية) يعمل بعضهم على طريقة بعض ويتم لاحقهم ما بدأ به سابقهم ، كنت أنا أروود بجالات لم يروودوها وأدخل من الطبيعة أبواباً لم يدخلوها .. كان موقفهم من الطبيعة موقف التاجر والصانع يعمل للعرض والطالب .

وكان موقفى منها موقف الراهب المتبتل يتصق الأسرار ويحزن للخفايا وينقش للتجليات ويتلقى الفيوضات ليخترنها فى أحماق روحه ما دام لا يجد مكاناً لإذاعتها .

ومع ذلك كنت لا أتأخر عن تقديم أية مساعدة من تجارى لمن أجده بحاجة إليها .. عرفت نفسى سريع الانفعال بالآلام كل من أعاشره سريع الاستجابة لكل نداء يوجه ولو لغيرى ما دمت أستطيع قضاء ما للناس بحاجة إليه .

ولا أعرف حتى اليوم حادثة ذات بال تأثر بها الناس إلا رحمت أصل الليل بالنهار

من العربات ؟ وما الذى يفعل ليقوم بذلك ؟ .

أما الأسلحة النارية التى كان يحملها رجال الأسيرة لحراسة الحقول وإطلاقها فى الأفراح فكنت بها ولماً حتى أصبحت أستطيع فكها وربطها وصنع بعض أجهزتها التى بتعسر الحصول عليها . وطالما تعرضت لآخطار الموت منها لولا طول فى الأجل .

والتحقت بمعهد الإسكندرية عام ١٩١٣ لارى الحرب بعد عام واحد تدرج فى العالم كله ولأشهد الجيوش المحنة تجوب الطرقات بمختلف الأسلحة . ولأرى الأساطيل الحربية والمدافع الثقيلة والطائرات على مختلف أشكالها .

ولم أكن ألح من ذلك شيئاً إلا انفعلت بمراء وتحميت لوطنى أن لو صنع مثله . ولما قررت علينا دروس الطبيعة فى القسم الثانوى كان تلقىها مرحلة انتقال فعالة فى حياتى كنت أنتظرها بشوق لا يعدله شوق على عكس زملائى الذين كانوا يرون فيها عبثاً يضاف إلى أعبائهم .. حتى استأذنها نفسه المتخرج من المدارس العليا كان يدرسها كجهد واجب مفروض .

أما طليذه الصغير فكان يخرج من الدرس ليحضر الخشب والحديد والأسلاك ويحاول تطبيق ما يتعلمه بالعمل والتجربة . وكثيراً

لحل مشكلاتها ووضع الفروض المختلفة للوصول إلى أفضل حل لها .
ومن مثل ذلك على صفرها أن جاءوني ذات يوم بطفلة انزلت في أذن حبة قمح وتضخمت بفعل الرطوبات الداخلية وتعاطمت آلام الطفلة وحرمت هي وأهلها النوم . وللحال وثب إلى ذاكرتي صورة فقيه الكتاب إذ كان من هواة الحياطة وكان يسخن الإبرة في النار حتى إذا أبيض سننها حناه على أى شيء صلب ليتخذ منه مشبكاً يشبك به الثياب ويضعه بين ساقه ويخذه منعاً للشوب من الانكماش . . . وبدأ لي إن أتيت بإبرة وصنعت بها ذلك ثم أضفت إليها مثلها وأدريهما على محور بحيث ينطبق السنان على حبة القمح ليسكن سنجها إلى الخارج . وقت وصلت ذلك وصهرت لها القصدير وثبتتهما به فتحصلت على آلة لم تكن قد وجدت بعد بالقرب لتغني عن آلة الطب المسماة بـ (الجفت) . والتي كان الحصول عليها من العسر بمكان إذ ذاك .

ويادخال الآلة مرة واحدة في أذن الطفلة نشب سننا الإبرتين بحبة القمح وسحبنا إلى الخارج بلا أدنى ألم . وخرجت الطفلة ضاحكة لاعبة وخرج أهلها سعداء ضاحكين ولم أنس تحذيرهم من إناستها على أكوام الحب لما في ذلك من الخطر .
وإذا كنت قد كابدت مر البلاء حتى تيسر لي إخراج أول تجربة عملية إلى النور بعد جهاد نحو عشرين سنة لإخراج هذه « العربية بلا وقود » التي شغلت الناس وأثارت عشرات بل مئات من أسئلتهم وعلى الخصوص بعد أن سمعوها مرتين من برنامج « جرب حظك » ، ومرتين من برنامج « مع الشعب » ، فإني سأشرح لهم في العدد الآتي من مجلة الأزهر الغراء إن شاء الله كيف كان ذلك . ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ، صدق الله العظيم .

أبو بكر نكري

الأمم المساعد بجامعة الأزهر

عبر وعظمت لأحمد شوقي :

- ١ - كن مع الله - ثم كن كيف شئت ، فإنك مع كريم .
- ٢ - زكاة العلم العمل ، وزكاة الجاه النفع .
- ٣ - الغضب يدمي صاحبه ، ويضل راكبه ، يريه صدر الأمر ولا يريه عاقبته .
- ٤ - من كرمت نفسه عليه هانت الدنيا في عينيه .
- ٥ - الإقدام والجد إذا اجتماعا لرجل لم يقف شيء في طريقه .

ابن الفارض وما يُقال عنه للأستاذ عبد المجيد شلبي

وليس هذا فقط بل إن الأدب الصوفي سواء في مواجده الشعرية ، أو أفانيسه الشعبية يصور - عن عرض - أخلاق المصريين ، ونزعتهم الدينية العميقة ، وكثيراً ما تكون القصة في ثوبها الشعبي تنفيساً عن رغبات مكبوتة في نفوس الناس وتعبيراً عن أمانى عز عليهم تحقيقها في دنيا الواقع ، فراحوا يشبعون رغباتهم بها في عالم الخيال - فدرس الأدب الصوفي من هذه الوجهة درس للنفسية المصرية .

وليس هذا فقط بل هناك شيء آخر ذلك إن مصر تربة خصبة للتصوف فهي من قديم كانت مهد الرهبنة ، وقد بنيت فيها البرابي والأديرة للتبتل والانقطاع للعبادة من زمن بعيد جداً ، فلما جاء الإسلام وأبطل الرهبنة نما فيها التصوف - وليس من شك أن المظالم الكثيرة التي توالى على الشعب المصري كانت عاملاً من عوامل رهبنته وتصوفه . فالإنسان حين يضيق بدنياءه ويعجز

دراسة التصوف والصوفية وخصوصاً في مصر بحاجة إلى مزيد من العناية والبحث العميق ، ذلك أن التصوف يكون في تاريخ الفكر المصري جانباً لا يقف عند التاريخ الأدبي وحده . بل هو يلعب دوراً هاماً في تاريخنا السياسي ، ويصور جانباً من من حياتنا الشعبية ، ويكيف إلى حد كبير مظاهرنا الاجتماعية بما يؤثر في سلوك الأفراد ويربط بين بعضهم وبعض ، بل هو يتعدى ذلك إلى التأثير في علاقاتنا الخارجية وما بيننا وبين الأقاليم الإسلامية الأخرى من علاقات .

وليس هذا كل ما يدعو للعناية بدراسة التصوف بل هناك ما هو أهم ، ذلك أن التصوف المصري بصفة خاصة تجافى عن الناحية الفلسفية ونظريات التصوف ، وجنح دائماً إلى ذكر الكرامات والخوارق ، وبرعت العقلية المصرية في نسج أفانيس حول المتصوفة هي أدنى للخرافة وأقرب إلى العقلية العامة الساذجة ، وليس من السهل أن تتقبلها العقلية المستنيرة أو تثبت للتمحيص العلى .

عن إدراك مآربه المادية يمنح للحياة الروحية
ويلتمس العوض في آخرته عما فاته في دنياه .

والمعروف بعد هذا - أن عصر الفاطميين
كان نقطة تحول في تاريخ التصوف المصرى
بل وفي تاريخ مصر كله . فالمصريون
لم يندمجوا بفاح بلادهم اندماجهم بالفاطميين
فهؤلاء امتازوا بمظهر شعبى قريب من
المصريين وكانت أعيادهم الدينية تمتاز بمظاهر
شعبية ترضى ذوق المصريين وميولهم . وكان
انتسابهم إلى بيت رسول الله مما جعل لهم
في نفوس الناس مكانة أدنى إلى التبجيل

والمقداسة لكن الفاطميين أشاعوا في المصريين
كثيراً من ألوان الخرافة وبشوا في نفوسهم
كثيراً من تعاليم الشيعة الباطنية . كما أن الطرق
الصوفية كثرت في عهدهم وتفرعت فيما بعد ،
وكثر معها ذكر الكرامات والحوارق .
ولامر ما نجد موجة من الزهد وحب التقشف
تغلغلى على حياة المصريين عصر الفاطميين ،
وعصر الأيوبيين الذى تلاه ، وأكبر الظن
أن الأفاقيص الكثيرة التى تنسب لذى القنون
المصرى إنما وضعت بعد العهد الفاطمى
أو خلاله ، كل هذا يجعلنا نقرأ أخبار
الصوفيين ، وخصوصاً الذين جاءوا فى هذا
العهد أو بعده بشئ كثير من التحفظ ،
وآلا تتقبل كل ما يقال عنهم من خوارق

وكرامات - فالعقيدة الشعبية الفئانة غير العقلية
العلمية المستدلة .

ولقد كان خليقاً بالاستاذ الكبير الدكتور
مصطفى حلى أن يقدم لنا عن ابن الفارض
دراسة متخصصة واعية تبرز جوهر تصوفه
نقياً خالياً من خبث الخرافة . فالدكتور
حلى صاحب ابن الفارض وصاحب الصوفية
لمدة طويلة ، وكان ابن الفارض موضوع
رسائله لنيل درجة الدكتوراه الجامعية ،
لهذا كان أملنا قوياً فى أن نظفر منه بدراسة
أعمق وأدق من هذه الدراسة .

لم نقبل من كتابه أو هو لم يشأ أن يبين
لنا مصادر تصوف ابن الفارض ولا نوع
هذا التصوف - أهو مجرد رياضة وتعبد أم
هو مبنى على ثقافة ودرس . إن البيئة المصرية
جديرة أن تبث فى النفس المستعدة نوازع
التصوف كما أن الدرس الفلسفى - وإن لم يكن
من سمات المصريين - غير بعيد عن أفرادها .
وأكبر الظن أن ابن الفارض كان يتصوف
تصوفاً عملياً وأنه لم يكن من ذوى الدراسة
الفلسفية وإذا صح هذا فليس من البعيد أن
تكون الآيات التى جاءت فى تأييده تعرض
للحلول ووحدانية الوجود إنما هى آيات دست
على القصيدة فيما بعد - ولعل المصريين الذين
لم يعجبهم عجب الدين بن العربى ولم يتقبلوا

مذهبه أرادوا أن يبينوا أن ابن الفارض لا يقل عنه في مضمار الفلسفة أو أنه لا يوافق مذهبه في الحلول أو الوحدة وليس من السهل درس تائيته الكبرى فقد قيلت في فترات منقطعة قد تختلف فيها نفسية الشاعر ثم يقال لأنها قيلت في حالات جذب وغيوبة أحياناً ومثل هذه الحال تسهل على الواضع أن يدس فيها ما يشاء . ولا ريب عندنا أن شعر ابن الفارض كان موضع تلاعب ، يدل عليه عدم اتفاق نسخ الديوان - وقد رأينا سبطه يحاول أن يصنع له عينية بدل عينيته التي فقدت ولم يحفظ منها غير مطلعها . وانظر إلى هذا التضارب في شأن هذه العينية . لقد كان أهل مكة يحفظونها أولادهم في المدارس وينشدونها من فوق المآذن في الأسفار ومع ذلك تفقد حتى يظل ولد ابن الفارض يطلبها نحو الستين عاماً فلا يجدها ثم يطلبها سبطه أيضاً أربعين عاماً أخرى - فكيف تكون لها كل هذه الشهرة ويعنى بها كل هذه العناية ثم بعد ذلك تخفى هذا الخفاء فلا توجد مكتوبة ولا محفوظة .

أما كرامات ابن الفارض ، وخوارقه ، ومناياته ، فقد استساغ المؤلف أن يتقبلها على ما فيها من مبالغات وكثرة فهو يركب الأسد المتوحش ويقطع المسافات الطويلة في لحظات ويعلم ما يجري بظهر الغيب ويقرأ ما بنفس جليسه وأخيراً يرى ربه قبل أن يموت - ويقول المؤلف لأنها أعلى مراتب الصوفية وإذن فهناك صوفيون آخرون رأوه أو من الجائز أن يكون ذلك - ونحن لا نعلم أحداً نسبت إليه رؤية ربه غير النبي محمد صلى الله عليه وسلم على ما في المسألة من خلاف معروف وحديث عائشة ، لقد قف شعري بما ذكرت ، من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، حديث مشهور

مذهبه أرادوا أن يبينوا أن ابن الفارض لا يقل عنه في مضمار الفلسفة أو أنه لا يوافق مذهبه في الحلول أو الوحدة وليس من السهل درس تائيته الكبرى فقد قيلت في فترات منقطعة قد تختلف فيها نفسية الشاعر ثم يقال لأنها قيلت في حالات جذب وغيوبة أحياناً ومثل هذه الحال تسهل على الواضع أن يدس فيها ما يشاء . ولا ريب عندنا أن شعر ابن الفارض كان موضع تلاعب ، يدل عليه عدم اتفاق نسخ الديوان - وقد رأينا سبطه يحاول أن يصنع له عينية بدل عينيته التي فقدت ولم يحفظ منها غير مطلعها . وانظر إلى هذا التضارب في شأن هذه العينية . لقد كان أهل مكة يحفظونها أولادهم في المدارس وينشدونها من فوق المآذن في الأسفار ومع ذلك تفقد حتى يظل ولد ابن الفارض يطلبها نحو الستين عاماً فلا يجدها ثم يطلبها سبطه أيضاً أربعين عاماً أخرى - فكيف تكون لها كل هذه الشهرة ويعنى بها كل هذه العناية ثم بعد ذلك تخفى هذا الخفاء فلا توجد مكتوبة ولا محفوظة .

وإنك لتقرأ هذه القصيدة كما تقرأ شعر ابن الفارض في قصائده الأخرى فلا تعجبك منه غير المواجد والأشواق ، أما من الناحية

سبحانه وتعالى لا تدركه الابصار وكلامه تعالى لا يصون ولا يحرف، فنحن لا نصدق سبط الفارض في كل هذا الذي ينسبه لجسده وقد كان الأولى أن يبحث عن مصدر هذه الحرافات فأثر الفكر الشيعة ظاهر فيها وقد نسب الشيعة للحسين بن علي أشياء مثل هذا نزول جبريل عليه فلم يتقبلها الناس فكيف تتقبل نحن ما هو أشد وأبعد .

وأخيراً فإن الكتاب لا يخلو من حسنات لعل أهمها درس عصر ابن الفارض والإلهام بأشهر العلماء المعاصرين له أمادارة ابن الفارض المباشرة فهي دون ما كنا نتوقع ودون ما ينبغي أن يصدر عن أستاذ كبير تخصص في درس التصوف الإسلامي .

عبد الجليل سليمي

كما أن الله سبحانه وتعالى قال لموسى النبي عليه السلام ... ولئن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا وخسر موسى صمعا، فابن الفارض رأى ما لم ير أنبياء الله وأكثر من هذا أنه سمع أصواتا من قبل الحق ! على أن في نقل هذا كله عن سبط ابن الفارض ما يحمد على التحفظ والشك فضلا عن أنه « شطط » لا يليق بعقيدة جامعية محققة .

وإذا كان متكلمو المسلمين قد اختلفوا في حصول الرؤية في الدار الآخرة فإن المؤلف يجهن وقوعها في الدنيا ويجهن لإبراهيم الجبري وقد حضر وفاة ابن الفارض أن يسمع أيضا خطاب الله إياه ، ومن المعروف أن الله

(بقية المنشور على صفحة ١٨١)

الحربية مما يهدد بزيادة رجحانها على القوة العسكرية للبينطين - لا ريب أن هذا الشك لم يكن في موضعه ، إذ تشهد السوابق التاريخية أن المسلمين الأوائل لم يشنوا قط حربا عدوانية ، وإنما كانت حربهم جهادا في سبيل حرية العقيدة ودفاعا عن شريعة الله . ولم يكن المسلمون ليستخدموا العلم في سفك الدماء بغير حق ، وإنما العلم لديهم وسيلة للتقدم وقبس من نور الله ، وسبب من أسباب الأمن والسلام في الأرض .

رأى : حسن فتح الباب

البينطين جزءا موقفه غير الودي ، ولا وزر من المأمون في ذلك ولا خسران فهو راجح هذه الحرب لا محالة .

غير أن المأمون ملك نفسه وفاء إلى روح الإسلام التي تدعو إلى حرية الفكر وحرية العقيدة ، فلا إكراه في الدين ، ولا إكراه في العلم والمعرفة ، وإنما الأمر تنافس سليمي يمد الطريق للسلام .

ولا ريب أن الشك الذي ساور تيوفيل في حسن مقاصد المأمون ، وخشيته من أن يستخدم المسلمون علم (ليو) في تدعيم أدايتهم

صلة القرابة في نصوص القرآن

للدكتور سعد الدين المجيزاوى

وتوفر علمها راية العدالة ، وتعلو فيها كلمة الحق : كلمة الحق دون سواها ؛ فقد وجه النظر إلى تلك الصلة الهامة ، وبين ما يترتب عليها من أمور في حياة الفرد والمجتمع ، ووضح في صراحة ما ينبغى أن تحاط به عاطفة القرابة من قيود تحد منها إذا انحرفت ، وتجعل للفرد شخصية مستقلة ، وتخلق فيه الاستعداد لتحمل المسؤولية عن أعماله أمام ضميره ، وأمام ربه ، وأمام المجتمع الذى يعيش فيه ، فلا يكون رائده غير الحق ، ولا يقيم وزنا لصلة القرابة إذا انحرف القريب عن جادة الصواب . تلك الشخصية هى التى ينشدها الإسلام ، وهى الأساس الأول فى بناء المجتمع الصالح .

لقد وجه القرآن الكريم نظر المؤمنين حيال تلك الصلة ، وما يترتب عليها إلى أمرين : أولهما : دعوات عامة إلى رعاية تلك الصلة ، وما ينبغى أن يكون بين الأقرباء من مودة ، وألفة ، وتعاطف ، وتعاون ... مع إشارة خاصة إلى الوالدين .

وثانيهما : تحذير المؤمنين أن يزلقوا وادع عاطفة القرابة ، وإرشادهم إلى أن صلة الأبوة

من الموضوعات الاجتماعية التى عنى بها القرآن الكريم ، وتحدث عنها فى أكثر من موضع : صلة القرابة ؛ ذلك لأن تلك الصلة من دواعى توثيق الروابط بين الأفراد ، وإقامة مجتمعات صغيرة يشعر كل فرد فيها نحو الآخر بعاطفة خاصة ، ويكون أقرب الناس إلى نصرته ومعونته .

وقد تودى العاطفة بين الأقرباء إلى المجاملة والمحاباة ، وما قد يترتب عليهما من ضياع الحقوق . وقد يحدث العكس ، فتودى إلى التحاسد والتباغض ؛ لأن القريب عادة أكثر من غيره تقصيا عن أمور قربه ، فإذا أود أن ينتقم مثلا ، كان أعرف الناس بما يؤذى قربه ، وينغص عليه حياته ، لما تديحه له تلك الصلة من الفرص فى معرفة أمور لا يعرفها إلا ذو القرابة ، فيسكون ظله شديد الوقع على النفس ، كما أشار إلى ذلك شاعر عربى :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة

على المرء من وقع الحسام المهند
ولما كان القرآن الكريم يرمى إلى قيام مجتمعات سليمة صالحة ، تسودها الألفة ،

بجميع أموال مساعدة للرسول الكريم ،
أم كانت دعوة لامة محمد عليه الصلاة والسلام
لكي يراعوا أهل بيته ويبروهم ، ويحسنوا
معاملتهم وعشرتهم على مر العصور ، أم
كانت دعوة عامة للؤمنين ليرعوا ما بينهم
من قرابات ... فإن هذا التوجيه يدل على
أهمية صلة القرابة ، وما ينبغي لها من رعاية.
ولقد أشارت آيات كثيرة إلى هذا المعنى ،
مثل قوله تعالى : « وآت ذا القربى حقه » (١)
والحق هنا يشمل الإنفاق على غير الوالدين
مثل الوالدين كما هو موضح في كتب الفقه ،
كما يشمل المودة والعطف ، والمشاركة
في السراء والضراء .

وعند ما أوصى الله تعالى برعاية الجار ،
خص الجار ذا القربى فقال تعالى :
« وبالوالدين إحسانا ، وبذي القربى واليتامى
والمساكين ، والجار ذى القربى ، والجار
الجنب : » (٢) . والأقرب أن المراد : الجار
ذو القرابة .

وعند ما كان المسلمون يسألون رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن نوع النفقات وجنات
صرفها وجهتهم الإجابة إلى البدء بالأقرباء :
« يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل : ما أنفقتم
من خير فلولو الدين والأقربين » (٣) ...

أو البنوة أو الزوجية أو غيرها من صلات
القرابات المختلفة لا تغنى عن الحق شيئا .

ولنصحب الآن بعض آيات الكتاب الكريم
لنرى كيف عاجلت هذين الأمرين :

١ - من الآراء التي ذهب إليها العلماء
في تفسير قوله تعالى : « قل لا أسألكم
عليه أجراً إلا المودة في القربى » . (١) أنها
تذكيرة لقريش بصلة القرابة التي بينها وبين
الرسول عليه الصلاة والسلام ، لعل تلك
الذكرى تكون من بواحث يقظة قلوبهم .
قال الشعبي : (أكرم الناس علينا في هذه
الآية ، فكاتبنا إلى ابن عباس نسأله عنها ،
فكتب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان أوسط الناس في قريش ، فليس بطن
من بطونهم إلا وقد ولده ، فقال الله له :
« قل : لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في
في القربى » : إلا أن تودوني في قرابتي منكم
أى ترأعوا ما بيني وبينكم فتصدقوني .
فالقربى ها هنا : قرابة الرحم ، كأنه قال :
اتبعوني للقرابة إن لم تتبعوني للنبوة . قال
عكرمة : وكانت قريش تفضل أرحامها ، فلما
بعث النبي صلى الله عليه وسلم قطعته ، فقال :
صلوني كما كنتم تفعلون . فالمعنى على هذا :
قل : لا أسألكم عليه أجراً ، لكن أذكركم
قرابتي (٢) .

وسواء أكان التوجيه في هذه الآية
لتذكير قريش ، أم رداً على الذين هموا

(١) الإسراء ٣٦

(٢) النساء ٣٦ .

(٣) البقرة ٢١٥ .

(١) الشورى ٢٣ .

(٢) راجع تفسير القرطبي ج ٦ : ٢١٠ .

د بآيها الذين آمنوا : قوا أنفسكم وأهليكم
نادا ... (١) .

وفي تصوير أهوال يوم القيامة نبه على أن
صلة القرابة التي تكون مدعاة إلى التناصر
في الدنيا بين التي يلجأ إليها الأقرباء كلما نزل
بهم خطب .. لا تغنى عنهم شيئا يوم القيامة ،
لأن المقياس هناك عدالة مطلقة ومسئولية
شخصية د كل ارى بما كسب وهين .
قال تعالى : د يوم يفر المرء من أخيه . وأمه
وأبيه . وصاحبه وبنيه . لكل ارى منهم
يومئذ شأن بغنيه ، (٢) . وهؤلاء هم ألصق
الناس بالإنسان ، وأقربهم إلى أن يشعر
بالألم ، ومع ذلك فهو لا يلتفت إليهم ،
ولا يلتفتون إليه . وقال تعالى : د ... يود
المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه .
وصاحبه وأخيه . وفصيلته التي تؤويه .
ومن في الأرض جميعا ثم ينجيهم ، (٣) .
وقال تعالى : د يوم ترونها تذهل كل مرضعة
عما أرضعت ... ، (٤) .

وهناك آيات نوهت بشأن الوالدين خاصة
مثل قوله تعالى : د وقضى ربك ألا تعبدوا
إلا إياه ، وبالوالدين إحسانا ؛ إما يبلغن

وعند ما حولت القبلة وكثرت الأقاويل
في شأنها ، أراد الله أن يبين للناس وجوه
البر التي ينبغي أن يصنوا بها ، فقال تعالى :
د ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم
الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى
المال على حبه ذوى القربى ، واليتامى
والمساكين .. ، (١) وجعل الإنفاق إلى ذوى
القرابة المحتاجين في مقدمة الإنفاق .

ولقد خصصت آية أخرى القريب اليتيم ؛
لأن اليتيم ادعى إلى تراحم الأقرباء . قال تعالى :
د فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة :
فك رقبة . أو إطعام في يوم ذى مسغبة .
يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة ، (٢)
وفي هذا ما فيه من اعتبار صلة القربى .

ولقد حكي القرآن على لسان أهل الجنة
أن من أسباب تمتعهم بنعيم الجنة ، برهم
بأهلهم . قال تعالى : د وأقبل بعضهم
على بعض يفسلون قالوا : إنا كنا قبل
في أهلنا مشفقين . فن الله علينا ، ووفانا
عذاب السموم ، (٣) .

وفي التحذير من عذاب جهنم جعل صلة
القرابة كالنفس تماما حيث قال تعالى :

(١) التحريم ٦ .

(٢) عبس ٣٤ - ٣٧ .

(٣) للمارج ١١ - ١٤ .

(٤) الحج ٢ .

(١) البقرة ١٧٧ .

(٢) البلد ١١ - ١٦ .

(٣) الطور ٢٥ - ٢٧ .

هذه الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما :
 أف ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما .
 واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل :
 رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ، (١) وقوله
 تعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا
 حملته أمه كرها ووضعته كرها ... » (٢) .
 وقوله تعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه ؛
 حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله في طامعين
 أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير .
 وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس
 لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا
 معروفا ... » (٣) .

٢ - ولنتقل الآن إلى الحديث عما يجب
 نحو هذه القرابة :
 لما كانت صلة القرابة مظنة للانحراف ،
 وبملااة الأقربين دون نظر - أحيانا - إلى
 ما قد يترتب على ذلك من ضياع الحقوق ،
 فقد حذرت آيات الكتاب الكريم المؤمنين
 أن ينساقوا وراء العاطفة ، ونهت على وجوب
 رعاية أحكام الله تعالى ، كيفما كانت صلة القرابة
 حتى لا تكون تلك الصلة مدعاة إلى غضب الله
 والوقوع في الإثم المبين .

ولقد سلكت الآيات في ذلك مسلكا
 صريحا واضحا ، يرمي إلى تحديد المسؤولية
 الشخصية حتى لا يلتقي أحد تبعه تقصيره
 على غيره ، أو يتحمل إنسان نتيجة أخطاء
 الغير :

فصلاح الآباء لا يغني عن الأبناء شيئا .
 وقد ضرب الله مثلا لذلك ما كان بين نوح
 عليه السلام وابنه ؛ فحينما عصى الولد أمر ربه
 ورضى الكفر ... أخذت نوحا عاطفة الأبوة
 وسأل الله أن ينجيهِ من الغرق : « فقال : رب :
 إن ابني من أهلي ، وإن وعدك الحق ، (١) .
 غير أن الله تعالى قد عاتبه على ذلك لأن الوعد
 السابق لم يكن على إطلاقه بل قال : « إلا
 من سبق عليه القول : » . ولكن عاطفة الأبوة
 غلبته ، فوجه الله نظره إلى أن حق الله فوق

ونرى في هذه الآيات تفصيلا في وجوب
 بر الوالدين والإحسان إليهما ، حتى إن بعضها
 قد قرن الإحسان إلى الوالدين بعبادة الله
 تنويها بشأنهما ، كما أن الآية الأخيرة لم تعتبر
 اختلاف الدين سببا في قطيعة الوالدين
 فيما يتعلق بأمور الدنيا دون اعتداء
 على حقوق الله .

هذا ما كان من تنويه الآيات الكريمة
 بشأن صلة القرابي ، وما ينبغي أن يكون لها
 من رعاية ، وقد سبقنا أمثلة لذلك ولم نستقص
 جميع الآيات .

(١) الاسراء ٢٣ - ٢٤ .

(٢) الأحقاف ١٥ .

(٣) لقمان ١٤ - ١٥ .

(١) هود ٤٥ .

أصحاب الجحيم ، . ثم ساق الله قصة إبراهيم مع أبيه فقال تعالى : وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ؛ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، (١) .

وصلاح الرجل لا يغني عن زوجته شيئاً إذا حقت عليها كلمة الله ، وقد ضرب الله لذلك مثلاً امرأتى نوح ولوط عليهما السلام فقد كانتا تفاقان ، وتبطنان الكفر ، وتظاهران على الرسولين الكريمين : فامرأة نوح كانت تمأله قومه وتقول : إنه مجنون ، وامرأة لوط تأمرت مع قومه الفاسقين ودلّتهم على ضيوفه الأكرمين ، ولم ترعيا حرمة الزوجية ، فاستحققتا الحرمان من شرف الانسحاب إلى الزوجين الكريمين وألحقنا بالقوم الكافرين : « ضرب الله مثلاً للذين كفروا : امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين ، (٢) .

ولقد ساق الله هذه القصة ، هتافاً لبعض زوجات النبي صلى الله عليه وسلم حين دار بينه وبين إحداهن حديث ، وأمرها ألا تذيعه ، فلم تف بوعدها ، وأفشت له لميلها فأغضب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

حقوق الأبوة : « قال يانوح : إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم ، إني أخذك أن تكونن من الجاهلين ، (١) وهنا تنبه نوح عليه السلام وطلب العفو والمغفرة : « قال : رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ، وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ، (٢) .

وصلاح الأبناء لا ينفع الآباء ، وقد ضرب الله مثلاً لذلك ما كان بين إبراهيم عليه السلام وأبيه إذ كان الأب كافراً ، وعاطفة البنوة دفعت إبراهيم إلى أن يحرص على هدايته حتى إنه وعده بالاستغفار له آملاً أن يدفعه ذلك إلى الإيمان . غير أنه عند ما أصر على الكفر تبرأ منه .

وقد روى أن محمداً عليه الصلاة والسلام قال لعنه أبي طالب عند ما دعاه إلى الإسلام ورأى منه إصراراً على الإشراك : لا أزال أستغفرك ما لم أنه عند ذلك ، وروى أنه قال : (استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي) . وتوكيداً لتقديم حق الله على سائر الحقوق نزل قوله تعالى : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ، ولو كانوا أولى قربى من بعض ما تبين لهم أنهم

[١] النوبة ١١٣/١١٤

[٢] التحريم ١٠ .

(١) هود ٤٦

(٢) هود ٤٧

ولما كان القرآن يرى دائما إلى رسم سياسة عليا للأسرة ؛ فقد أنزل آيات فيها عتب على الزوجتين ، وتعرض بما للزوج من حقوق « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ، وإن تظاهرا عليه ، فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير . صى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن : مسلمات ، مؤمنات ، قانتات ، تائبات ، عابدات ، سائحات ، ثيبات وأبكارا ، (١) .

والمسألة الثانية لا يغنى عن زوجها شيئا إذا حقت عليه كرامة العذاب ، وقد ضرب الله مثلا لذلك امرأة فرعون ، إذ لم تدخل في دين زوجها وقومه ، بل لأنها بمجرد عليها بمعجزات موسى عليه السلام ، وبطلان سحر الفراعين ، خشع قلبها ، وآمنت بالله رب العالمين ، ولم تخش وعيد فرعون ، بل صمدت لألوان التعذيب ، راضية بنفسها ، فتقبل الله إيمانها وثباتها بقبول حسن ، وأثابها جنات تجرى من تحتها الأنهار : « وضرب الله مثلا للذين آمنوا ، امرأة فرعون ، إذ قالت : رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ، ونجني من فرعون وعمله ، ونجني من القوم الظالمين (٢) » .

ولما شهدنا الدعوة الإسلامية إبان قيامها صراعا عنيفا بين «العقيدة» و«القراية» ؛ فقد كان على من يدخل في صف محمد عليه عليه الصلاة والسلام ، ويؤمن برسائله أن يصبح عدوا للشركين ، وأن يشهر سيفه في وجه كل من يعترض سبيل الإسلام ، ولو كان أباه أو أخاه أو ابنه أو من قبلته ، ولم يكن إيمان المرء حينذاك يكمل إلا إذا قاتل في سبيل الله دون نظر إلى من يقتل ، وأن ينبذ معاملة كل من يعادى الإسلام ، وقد تغلبت عقيدة الإيمان على صلة القرابة ، غير أن ذلك قد شق على البعض وهم حديثو عهد بالإسلام فراحوا يشكون إلى الرسول الكريم ما يصيبهم بسبب ذلك . وهنا حسمت السماء الموضوع ، وبيّنت في صراحة ووضوح أن القرابة كيفما كانت ينبغي ألا تكون حائلا أو معوقا في سبيل دعوة الحق ، فنزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا : لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولم منهم ، فأولئك هم الظالمون . قل : إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله ، فربصوا

ولما كان القرآن يرى دائما إلى رسم سياسة عليا للأسرة ؛ فقد أنزل آيات فيها عتب على الزوجتين ، وتعرض بما للزوج من حقوق « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ، وإن تظاهرا عليه ، فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير . صى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن : مسلمات ، مؤمنات ، قانتات ، تائبات ، عابدات ، سائحات ، ثيبات وأبكارا ، (١) .

والمسألة الثانية لا يغنى عن زوجها شيئا إذا حقت عليه كرامة العذاب ، وقد ضرب الله مثلا لذلك امرأة فرعون ، إذ لم تدخل في دين زوجها وقومه ، بل لأنها بمجرد عليها بمعجزات موسى عليه السلام ، وبطلان سحر الفراعين ، خشع قلبها ، وآمنت بالله رب العالمين ، ولم تخش وعيد فرعون ، بل صمدت لألوان التعذيب ، راضية بنفسها ، فتقبل الله إيمانها وثباتها بقبول حسن ، وأثابها جنات تجرى من تحتها الأنهار : « وضرب الله مثلا للذين آمنوا ، امرأة فرعون ، إذ قالت : رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ، ونجني من فرعون وعمله ، ونجني من القوم الظالمين (٢) » .

(١) النحر ٤

(٢) النحر ١١

أن تعدلوا ، وإن تلوا . أو تعرضوا ،
فإن الله كان بما تعملون خبيراً ، !

هذا هو التوجيه السليم في خلق الشخصية
التي تجعل الحق رائدها ، وينبغي أن يكون
مثل هذا التوجيه رائد كل من يتصدى للتعليم
والإرشاد لأن العناية بتقويم الشخصية هو
الأساس الأول في التربية السليمة .

ولقد أشارت آية أخرى إلى هذا المعنى
السامى : « وإذا قاتم فاهدوا ولو كان
ذا قرى ، وبعهد الله أوفوا . ذلكم وصاكم به
لعلكم تذكرون ،

وبعد : فهذا عرض لصلة القرابة كما
تحدثت عنها آيات الكتاب الكريم ، ونرى
في هذا العرض بياناً لما لهذه الصلة وما عليها .
اللهم اهدنا إلى سبيل الرشاد ، ووفقنا إلى
ما فيه الصواب ، وانفعنا بالذكرى ، فإن
الذكرى تنفع المؤمنين ؟

المركنور سهر العريبي الجبازى

حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم
الضالين ، (١) .

ولما كانت هناك أمور تقتضى الشهادة في
معاملات الناس سواء أمام الأفراد أم
المحاكم ، وكانت عاطفة القرابة مدعاة إلى إثارة
قريب على قريب أو غريب فقد أنار الله
السبيل أمام المؤمنين بأن الشهادة ينبغي أن يراعى
فيها حق الله ، والعدالة دون تأثر بهوى
أو بميل قريب كيفما كانت درجة قرابته ،
وكيفما كانت حالة القريب الاجتماعية فلا
يجامل لغناه وجاهه إن كان غنياً ، ولا يشفق
عليه لفقره أو لضعفه إن كان فقيراً أو ضعيفاً
ما دام قد جانب الصواب . بل إن قرابة المرء
لنفسه يجب ألا تحول دون قوله الحق على
نفسه ؛ قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا :
كونوا قوامين ، بالقسط شهداء لله ، ولو على
أنفسكم أو الوالدين والأقربين ؟ إن يكن
غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى

(١) التوبة ٢٣ ، ٢٤ .

الرياضة الروحية تربية عقلية ودراسة علمية يتم بها التجرد عن ضلال الانانية ، وأباطيل
المألوف والمعهود .

شكيب أرسلان الناقد

آراؤه في الشعر

للمستأذ أحمد الشراصي

- ٢ -

أشعر الشعراء :

إذا كان شكيب قد اشترط شروطاً لتمام الشاعرية ، فمن الطبيعي أن يحدثنا عن أشعر الشعراء عنده ، وهو يخبرنا في كتابه : « أحد شوقي أو صداقة أربعين سنة » ، بأنه اطلع على شعر البارودي في صدر شببته واستفاد منه ، ثم يقول :

« كنا أنا وأخي نسبب رحمه الله نضبو من صبا إلى طريقة الأولين في الشعر ، ونؤثر شعر الجاهلية والمخضمين والبطن الأول من المولدين على شعر أهل العصر الأخيرة مهما حلت نكاتهم ، وكثرت الأنواع البديعية في أشعارهم . »

ثم يذكر طائفة من هؤلاء القمداى ، ويذكر أن المتنبي كان لا يروقه إلا من جهة الأمثال والحكم ، ويرى شعره نازلاً في بعض الأحيان عما يجب أن يكون ، ثم يقول : « قلنا قرأنا شعر محمود سامي سكرنا بأدبه ، ورقصنا على قصبه ، وبعث لنا نشأة روحية لم نعهدها في أنفسنا (١) . »

ويذكر أنه حفظ جميع قصائد البارودي

الموجودة في كتاب « الوسيلة الأدبية » ، لا يخرم منها بيتاً ، وكانت هذه القصائد من أقوى عوامل الشعر فيه ، ويقرر أنه خريج البارودي في الشعر ، وأن البارودي إمامه (٢) . ثم يرتب لنا صفوة الشعراء في رأيه ، ويذكر أشباههم من السابقين ، ويبين وجه الشبه بين كل معاصر وكل سابق ، فيقول :

« أشعر الشعراء عندي هو محمود سامي ، ثم شوقي ، ثم حافظ ، وهؤلاء الثلاثة في هذا العصر هم السابقون في حلبة الشعر ، الفائزون في لجادته ، هم أشبه بالثلاثة الماضين : أبي تمام الشعر ، ومتنبيه ، وأبي عبادته ، بل هم اليوم لات الشعر وعزاه ومناته ، والذي رجحت لهم على غيرهم بيناته ، وأحب أن أشبه البارودي بأبي تمام في علو نفسه ، وقوة ملكته ، ومثانة أسلوبه ، وأن أشبه شوقياً بالمتنبي في دقة معانيه ، وسمو حكمه ، وكثرة جوامع كله ، كما أن حافظاً يشبه البحرى في سلاسة لفظه ، وحسن سبكه ، وتأثيره في النفس (٣) . »

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٢ ، ١٠٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) كتاب « شوقي » ، ص ١٠١ .

وبعد حديث عن شهرة المتنبي يعود شكيب ليقول إن عيون شعر شوقي : « لا يقدر على مثلها حافظ وغيره ، وقد يحاق في سماء الخيال أحيانا حتى يفوق البارودي نفسه ، وهو عندى حامل اللواء وأبو الجميع » . ويدفع شكيب تهمة الزكافة عن شوقي بعبارة أخرى ، ويرى أن : « نقاوة اللغة هي الشرط الأول للشاعر والكاتب ، والمعاني وحدها لا تكفي ، ولا ينض بركاكة اللفظ علو المعنى ، وهذا أمر اتفق عليه العرب والعجم ^(١) » .

ويتحدث عن غفة شوقي في شعره ، وعن أخلاقه وصفاء نفسه ، وإغضائه عن حساده بسكوت هو أقتل من الكلام أحيانا . ويدافع عن معارضة البارودي للقدماء ، ويرى أنه « اختار المعارضة في بعض المظان ليعلم الناس شأوه مع من تقدمه ، ويقرر أن البارودي يكون مظلوما إذا قيل عنه إنه لم يلحق متقدميه في معارضته ، فحمود سمي قد عارض وفاق من تقدمه ، وقال في غير معارضة ، فأتى بالشعر الفعجل الذي يعيا على الأوائل فضلا عن الآخرين ، وكل ذي مسكة يقدر أن يميز بين التقليد والتوليد ^(٢) » . وكان شكيب خشي أن يفهم قارئوه أنه حين نوه بالشعراء الثلاثة الأعلام : البارودي

وهذه العبارة منقولة من مقال لشكيب يبين به رأيه في « أشعر الشعراء » ، وقد كتبه لإجابة لسؤال وجهه إليه سليم سركتيس صاحب مجلة « سركتيس » سنة ١٩١٠ ، وفي هذا المقال يوازن شكيب بين شوقي وحافظ ، فيرى لحافظ طلاوة ، ولشوقي إجادة ، ويدفع عن الشاعرين بعض التهم ، فيقول : إن عامة شعر حافظ أطل من عامة شعر شوقي ، وغاية ما يقال فيهما إن جيد شوقي أحسن من جيده ، وإن هذا أعلى وذاك أطل .

وأما كون أسلوب شوقي ركيكا فهو غير صحيح ، وهذا القول في حق شوقي هو أشبه بالقول الآخر في حق حافظ بأنه صانع ماهر ، وأن حيلته أكثر من شعره ، وعندى ألف شاهد - لولا خوف الإطالة لأوردتها - على متانة أسلوب شوقي وتسمنه غارب العربية كما أن لى بقدرها على قدرة حافظ الحقيقية ، وأنه شاعر مطبوع الفصاحة فيه سجية لا تلهو ^(٣) ، وأن مثل حافظ في الشعراء قليل . نعم إن شعر شوقي ليس طبقة واحدة ، حتى لا يخاله القارىء نسجا واحدا ، وهو يذهب مذاهب غريبة أحيانا ، وربما أتى في كلامه بالتعقيد ، وهذا من وجوه الشبه بينه وبين المتنبي .

(١) كتاب « شوقي » ، ص ٩٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الهبة : التحسن بما ليس موجودا (القاموس) .

كلها جمل منحوتة من معدن الحقيقة. وفلذات منقطعة من كبدة الصواب، فإن الشهرة مزلفة ولا يصح اتخاذها معيارا، وقد يقع في كسور الخمول من لو اطلعت على حقيقته لاجلته وأحلتته أعلى مقام (١).

ويذكر شكيب من هذا الطراز أخاه نسيب الذي كان من غول الشعراء، وكان يفر من الشهرة فلا يعرفه الكثيرون ويعود شكيب ليحتس، فقد يظن ظان بكلامه أنه يحارب حب الشهرة. فهذا الحب عنده هو مبعث الهم، ومثار كوامن الفضل، ومظهر درو القرائح من أصداف الأدمغة، ولكنه يريد أن تكون درجة الشهرة هي درجة الفضل، أي أن يكون نصيب المرء من شهرته بقدر ما له من مكاتنه وعبقريته. ولما كان شكيب قد وصف البارودي بأنه أمير الشعراء، وبأنه الشاعر الفرد الأوحده، وكان ذلك الحكم قبل أن تتجلى عبقرية شوقي، فقد عاد يذكر أن البارودي قد انطوى، وأن شوقي قد استولى على المسكنة الأولى، فأصبح نسيب وحده لا يجد الناس عنه عوضا، ولا يبتغون به بدلا، وأصبح آثر في النفوس من كل شاعر سواء، ولم ينحصر المجد في نفسه، بل تناول وطنه مصر فصارت تزهبه على غيرها (٢).

وشوقي وحافظ، يستخف ببقية الشعراء أو يبخسهم حقهم، ولذلك احتس فقال: ولا يجب أن يؤخذ من كلامي هذا في تفضيل الثالث الشعري الاستخفاف بقدر الباقين، فإن الذين فضّلوا حبيبا والمتنبى والبحرّ لم يحصروا الشعرفهم، ولا ازدروا سائر الشعراء، ولكن لسان حالهم يقول: بحاسن أصناف المغنين جمّة

وما قصبات السبق إلا لمعبود ولا بد في الميادين من جمل ومصل وقال ومرتاح إلى السكيت وإلى أرى الكاظمي وصبري وناصف والمطران وسائر من ورد ذكرهم من الشعراء أشبه بالناشي والنامي والزاهي والمعري وأمثالهم، فليست شاعرية أي تمام والمتنبى والبحرّى بناقية براعة هؤلاء بل هؤلاء مواطن لا يلحقهم فيها أولئك (٣) وأعتب على شكيب وضعه المعري في آخر من ذكر، وإن كانت الواو لا تفيد ترتيبا ولا تعقيبا، ولكن المتبادر أن المذكور أولا أهم في نظر ذاك.

ثم يرى شكيب أن الشهرة لا يحسوز أن تكون ميزانا للفضل؛ لأن في الناس من يغتصب الشهرة ويلصقها بنفسه، بينما الآخر قد قنع من الأدب بسلاة نفسه، فلا يترنم بقصائده في النوادي، ولا يبتاع من الصحف الألقاب، ولا يستخدم الكتاب لإطرائه ولا يتم نقصه بالغض من مقام غيره، وهذه

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق ص ٩٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٩١.

وإذا كان شكيب قد أبدى رأيه في إماره شوقي للشعراء نثراً ، فإنه قد عاد وترجم عنها شعراً ، حيث قال من رثائه لشوقي :

ولقد رويت الشعر عن آحاده
وألفت للسباق في حلباته
وقضيت فيه صبوتي وصبابتي
وقطفت منه خبير نواراته

وأثرت في البیداء بزل فحوله
وأطرت في الآفاق شهب بزاته
فرايت شوقي لم يدع في عصره
قرونا يز قناته لقناته (١)

* * *

وإذا وافقنا شكيب على رأيه في شوقي فإننا نتوقف عند رأى قائله شكيب في شاعر النيل حافظ إبراهيم ، فقد أقيمت حفلة تكريم لحافظ سنة ١٩٠٤ وكتب بعض الإخوان شكيب من مصر إليه في سورية يقترحون عليه إرسال أبيات لتلقى في الحفل ، ومن جملة ما ذكروا من محاسن حافظ أنه يحب السوريين ، وكان ذلك قبيل عيد الأضحى ، وكان البارودي أحد شعراء هذه الحفلة فأرسل شكيب أبياتاً منها قوله يخاطب حافظ :

فأنت إمام النثر غير مدافع
وأنت أمير الشعر من بعد أحمد
وهذا في رأى توصل في الحكم ومبالغة
في الرأى ، فلو أن إماره حافظ للشعر بعد أحمد

ثم يتعرض شكيب لنقد الرافعي في رأى له حول الشعر في مصر ، فقد قال الرافعي عن شوقي . انقلت شوقي من تاريخ الأدب لمصر وحدها كإفلات المطرة من سخابها السائر في الجو ، فأصبحت مصر به سيدة العالم العربي في الشعر وهي لم تذكر قديماً في الأدب إلا بالنسكة والرقه وصناعات بدعية ملفقة ولم يستفرض لها ذكر بنا بغة ولا عبقرى ، وكانت المستجديّة من تاريخ الحواضر في العالم .

ويرد شكيب على الرافعي قوله « ذا كراً أن البلد الذي نبغ فيه مثل ابن الفارض والبهاء زهير وظافر الحداد والأبوصهرى صاحب البردة الشريفة في القديم ، ومحمود سامى البارودى ومحمود صفوت وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وأحمد محرم وإسماعيل صبرى وغيرهم في الحديث لا يقال إنه منقوص الحظ من الشعر ، » (١) .

والحق مع شكيب ، فقد قسا الرافعي في حكمه ونلاحظ في رد شكيب اطلاعه على تاريخ الشعر في مصر ، وإحاطته بأسماء الشعراء ومكانتهم ، وإنصافه في الحكم ، ولذلك نراه بعد أن خالف الرافعي هذه المخالفة يعود إلى موافقته على أن شوقي هو وحده الذى وضع تاج الشعر على مفترق مصر ، وموافقته على أن شوقي اجتمع له ما لم يجتمع لسواه (٢) .

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق ص ٩٤ .

(١) الديوان ص ٨٣ وكتاب شوقي ص ٩٦ .

وبعد أن يورد الطاهر نموذجا لنثر حافظ يقول : « وما يحسن بنا أن نمضى في هذا النثر المعقد الممجوج ، ثم يقول : « وألف حافظ في صباه كتاب « ليالى سطيح ، نحافيه منحنى وأسلوبا مسجوعا لعل أقرب صورة إليه وأقرب أسلوب له حديث عيسى ابن هشام ، وهو فيه مقلد للقداى ، بعيد عن المحدثين ، حريص على اللغة وألفاظها ، أكثر من حرصه على المعاني والصور والاختيالة العالية » (١) .

ثم يحمل الطاهر رأيه في نهاية الكتاب عن حافظ بقوله : « وأوفى ما يقال فيه إنه شاعر مصرى بكل ما تحتل المصرية من معان ، وإنه في الشعر الحزين من أقوى الشعراء ، وإنه شاعر خلل جزل اللفظ جميل الأسلوب » (٢) .

وقد حرصت على أن أستشهد بباحث درس حافظ إبراهيم دون الاختصار على رأيي ، ليسكون ذلك أدل على أن شكيبا كان متوسعا في حكمه حينما قضى لحافظ بالإمامة في النثر هير مدافع .

وبما كان الأفضل : في بحث هذا الرأي أن يرد ضمن آراء شكيب في الكتابة والكتاب ، ولكنه جاء هنا لأن شكيبا أصدر حكمه شعرا ، ولأن عجز البيت السابق

احتملت أكثر من قول في رأيي ، فإن لإمامته للنثر بلا مدافع قول غير مسلم ، فإن مكانة حافظ في الشعر تفوق مكانته في النثر بمراحل .

ولقد ألقى الأستاذ أحمد الطاهر محاضرات عن حافظ في معهد الدراسات العربية سنة ١٩٥٣ ، وتحدث عن نثره ، فغاية ما قال فيه إنه « من أرفع أساليب النثر » (١) ، وقال أنه ليس بين أيدينا من نثر حافظ شيء يعتد به غير ترجمته لرواية « البؤساء » ، وأن « أسلوب حافظ في جزء كبير من أول هذا الكتاب فيه شيء من الألفاظ الغريبة على أسماعنا » (٢) .

وذكر أن حافظا في أسلوب بعض رسائله كان « مقلداً للقدماء ، مترسما خطاهم ، لا يخرج عن أسلوب ابن زيدون في رسائله الجديدة والهزلية ، إلا ليدخل في أسلوب الحريري ، ويتحدث بلسان السروجي ، أو يطلع علينا بروح بدیع الزمان الممذاني ، ليس في هذا النثر شيء من طبع حافظ ولا من روحه ، وما كان حافظ ليكتب نثراً بهذا الأسلوب ، وهو صاحب الشعو الميسر السلس العذب ، ولكنه حمل نفسه على غير سجيته مقلداً وعامداً ، وأراد أن يطلعك على علمه باللغة وألفاظها الغريبة عليك ، وعلى علمه بالتاريخ العربي القديم » .

(١) المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٢) المرجع السابق .

(١) محاضرات عن حافظ إبراهيم ، ص ٦٤ .

(٢) المرجع السابق .

عاد مباشرة ليقول : « وغاية ما يقال فيهما أن جيد شوقي أحسن من جيمده (حافظ) ، وأن هذا (شوقي) أعلی ، وذاك (حافظ) أطل^(١) .

ويعود ليؤكد سبق شوقي لحافظ فيقول إن عيون شعر شوقي « لا يقدر على مثلها حافظ ولا غيره ، وقد يخلق في سماء الخيال أحيانا حتى يفوق البارودي نفسه ، وهو عندي حامل اللواء وأبو الجميع »^(٢) .

ويعود ليقول إنه بعد موت البارودي أصبح شوقي « نسيج وحده » ، لا يحد الناس عنه عوضا ، ولا يبتغون به بدلا ، وأصبح أثر في النفوس من كل شاعر سواه^(٣) .

وأما إذا كان المراد أن إمارة الشعر لحافظ بعد أحمد شوقي ، فمع أن القدر قد سبق بالحكم في ذلك ، إذ مات حافظ قبل أن يخلو عرش الإمارة من شوقي أرى أن أفراد حافظ بالإمارة بعد شوقي حكم فيه توسع ، والتدليل على ذلك يقتضى بحثا لا يطيقه هذا المجال .

ولا يفوتني أن أعيب التعليق الذي جاء بالهامش ، إذ أنه مبهم بحير ، ولظان أن

قد تحدث عن إمارة حافظ الثانية : إمارته في الشعر من بعد أحمد .

ولقد جاء في هامش الديوان تعليق على كلمة « من بعد أحمد » . وهذا التعليق يقول : « من شاء يفهم أن حافظاً هو أمير الشعراء بعد المتنبي ، ومن شاء أن يفهم أنه ثان لشوقي »^(١) .

ومع ما في أصل الحكم بإمارة الشعر لحافظ من حاجة إلى نظر ، جاء هذا التعليق فزاده حاجة إلى نظر ونظر .

فلنبدا بدعوى إمارة حافظ للشعر بعد المتنبي : لعله من الخير أن أستعين بشكيب نفسه لإبانة الاحتياج إلى هذا النظر ، فهو نفسه يقرر في موطن آخر أن خليفة المتنبي هو شوقي . يقول : « ومن ياترى يصح أن يخلف المتنبي اليوم ؟ أولها أحمد وآخرها أحمد »^(٢) .

وشكيب في مقالة « أشعر الشعراء » التي لخصناها سابقا يجعل حافظا بعد شوقي في ترتيب الشعراء الأعلام^(٣) ، فكيف يخلف حافظ المتنبي وشوقي موجود ؟ ، وشكيب نفسه قد قرر أن حافظا لم يعمل علو شوقي في بعض أبياته ، وإذا كان قد حكم لعامة شعر حافظ بأنه أطل من عامة شعر شوقي ، فقد

(١) للرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

(٣) للرجع السابق ، ص ٩٢ .

(١) الديوان ، هامش ص ٤١ .

(٢) كتاب « شوقي » ، ص ٧٩ .

(٣) للرجع السابق ، ص ٨٨ .

فقلت لهم : أننى عليه بصالح
عن العرب طراً ذاك أصلى ومعتدى

وبما يدلنا على ذلك أيضاً أن شكيباً
انتز مناسبة لإقامة الحفل في جو عيد الأضحى
- وهو عيد لمن حج وطاف واعتمر وضى -
وتحدث في القصيدة بعقله وصنفته عن أشياء
تتعلق بالحج والسكعبة والحطيم وزمزم ،
والطائفين والراكعين ، والمشاة والركبان
على كل ضامر ، فقال ، ولم يكن بحاجة إلى
ذلك الذى قال .

حلفت بما بين الحطيم وزمزم
وأقسمت بالبيت العتيق المشيد
وبالطائفين العاكفين بهذى الية
الى تراه من ركوع وسجد
يرمون مشوى للخليل ومرقدا
تلاً نورا بالنبي محمد
مشاة وركبانا على كل ضامر
ومن فوق قضبان الحديد الممدد
فا في حديث الحج لين ، وقد غدا
يجىء على شرط البخارى بمسند
وهذا شغل جانبنا من القصيدة بما ليس
من هدفها في قليل أو كثير .

أحمد الترمذى

يظن أن شكيباً أراد أن يرضى شاعر النيل
- ولا تنسى أن حافظاً يحب السوريين -
وأن يرضى الذين اقترحوا عليه تكريم حافظ
وفي الوقت نفسه لا يغضب صديقه وحبيبه
شوقي ، فقال هذا البيت ذا الوجهين ، وجاء
هذا التعليق فأكد ما فيه من إبهام وتلاعب
بالألفاظ .

ويخيل إلى أن شكيباً قد اندفع إلى هذا
الحكم متابعاً لأستاذه وإمامه ، البارودى ،
فقد علم أن البارودى شارك في تكريم حافظ
ولقد أسبغ من قبل عليه حلل الثناء ، فليتابع
شكيب خطوات أستاذه . بدليل أنه جاء
قبل البيت الذى معنا مباشرة بيت يقول :
وقبل قد أولاك د سامى ، شهادة
ومشلى بمحمود السجية يقتدى
وجاء في الديوان تعليق على كلمة د سامى ،
في هذا البيت يقول : د أى محمود باشا سامى
البارودى الذى قرط حافظاً في هذه الحفلة ،^(١)
وبما يدلنا على روح الجمالة والتصنع في
هذه القصيدة أن شكيباً لم يقلها ابتداء ،
بل اقترحها عليه إخوان له ذكروه بحب حافظ
للسوريين ودهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ،
ولذلك يقول شكيب في القصيدة :
يقولون لى ، شيد عن الشام ذكره
ألم يك ولى الشام شطر التودد

(١) الديوان ، هامش ص ٤١ .

مع البلاغيين :

اللفظ والمعنى

للأستاذ على العمّار

- ٣ -

لقد كان الجاحظ - كما سبق أن أشرنا - أول من فاضل بين اللفظ والمعنى ، وهو صاحب العبارة المشهورة التي اتخذها العلماء أصلاً يعتمدونه أو ينقضونه ذلك قوله (والمعاني مطروحة في الطريق) .

فقد ذكر أنه سمع أبا عمرو بن العلاء يستحسن بيتين من الشعر لمعناها ثم قال : وقد بلغ من استجابته لهذين البيتين ، ونحن في المسجد يوم الجمعة أن كلف رجلاً حق

أحضر دواة وقرطاساً وكتبهما له . قال الجاحظ : وأنا أزعّم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً ، ولولا أن أدخل في بعض القيل لزعمت أن ابنه أشعر منه ، وهما قوله :

لا تحسبن الموت موت البلى
وإنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا
أفقطع من ذا لذل السؤال
ثم قال : وذهب الشيخ إلى استحسان المعاني والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها المعجمي

والعربي ، والبدوي والقروي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتمييز اللفظ وسهولته ، وسهولة الخرج ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة ، وضرب من الصنيع ، وجنس من التصوير ^(١) .

وفي هذا النص ما يدلنا على مذهب الجاحظ في اللفظ والمعنى ، ولكن لا بد من ملاحظة أمور :

أولاً : أن الجاحظ يعارض أبا عمرو ابن العلاء ، وهو من رواة الشعر والأخبار وقد كان رأى الجاحظ في هؤلاء ، وفي فهمهم للشعر بجحفاً ، فقد كان يعتقد أنهم لا يحسنون نقد الشعر ، ولا يعينهم منه إلا ما أتصل بغاياتهم فهو يقول : ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إهراب ، ولم أر غاية رواة الشعر إلا كل شعر فيه غريب ، أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج ، ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل . بل نراه يتعدى التعميم إلى التخصيص ،

(١) الحيوان ج ٣ ص ٤٠ .

عن يحفظ الشعر ، ولا يقوله ، وإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقة .

وكان هؤلاء الرواة من جانبهم يقابلون هذا التحدى بتحد مثله ، فأبو عبيدة معمر ابن المثنى يمتدح خلفا الأحمر بأنه معلم أهل البصرة ، والآخرش يقول : لم أدرك أحدا أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمى ، وأبو زيد الأنصاري يقول : وكان يونس - يعني يونس بن حبيب - أمام نخبة البصرة في عهده - عالما بالشعر ، نافذ البصر في تمييز جيده من رديئه ، عارفا بطبقات شعراء العرب ، حافظا لأشعارهم ، يرجع إليه في ذلك كله (١) .

وقال قائل لحلف الأحمر : إذا قلت شعرا فأعجبني فأبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك فقال خلف : أرايتك لو أخذت درهما فاستحسنته ثم قال لك الصيرفي أنه بهرج هل ينفعك استحسنائك له ؟

فهى إذن العصبية أو ما يشبهها ، أو إن شئنا قلنا العداوة بين العلماء وأهل البيان ، فهل صدر الجاحظ عنها ؟

ثانياً : أن البيهتين - في الحقيقة - ساقطان ، ومن الغفلة استحسنهما مهما كان المعنى الذى اشتتملا عليه ، فهما لا يدخلان في باب الحميد

فيذكر جماعة من الرواة ، ويذكر ما يحسنه كل واحد منهم ، وهم جميعا عنده لا يحسنون نقد الشعر ، وتمييز الجيد من الردى ، فيقول : (طلبت علم الشعر عند الأصمى فوجدته لا يحسن إلا غريبه ، فرجعت إلى الآخرش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار ، وتعلق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب ، كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات) .

والذى يريد الجاحظ وراء كل هذه المعارف ، أنه يريد (علم الشعر) وهو علم لا يحسنه - في رأيه - إلا (أدباء الكتاب) .

وهكذا كان يرى غيره من جهاذة الكلام سئل أبو نواس عن جرير والفرزدق ففضل جريرا فقيلا له : إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا ، فقال : ليس هذا من علم أبي عبيدة وإنما يعرفه من دفع إلى مضايقة الشعر .

وسئل البحتري : أتعلم أشعر أم أبو نواس ؟ فقال : بل ، أبو نواس لأنه يتصرف في كل طريق ، ويبرع في كل مذهب ، إن شاء جسد ، وإن شاء هزل ، ومسلم يلزم طريقا واحدا لا يتعداه ، ويتحقق بمذهب لا يتخطاه ، فقيلا له : إن أحمد بن يحيى ثعلبا لا يوافقك على هذا ، فقال : ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه

(١) معجم الأدباء ج ٢ ص ٦٥ .

وقد ذكرت في مقال سابق قول الجاحظ :
إن المتكلم لا يكون بليفاً حتى يعطى اللفظ
حقه من البيان ويحقق للكلام حظه من المعنى ،
ويضع جميعها مواضعها .

فالمعنى ركن وركن في الكلام البليغ وما كان
للجاحظ ولا لغيره من كبار العلماء والكتاب
أن يستبين به .

غير أن الجاحظ كان يرى أن المبالغة
مفسدة لكل شيء ، فالمبالغة في تهذيب
الألفاظ بمقوّة والمبالغة في اختراع المعاني
بمقوّة كذلك (١) .

وقد ساق في كتابه البيان قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم (لا خلافة) والمراد بها
المخادعة بحسن المنطق ، وتهذيب الألفاظ
ثم قال : (فالقصد في ذلك أن تجتنب السوق
والوحش ولا تجعل همك في تهذيب الألفاظ
وشغلك في التخلص إلى غرائب المعاني ،
وفي الاقتصاد بلاغ ، وفي التوسط مجانبة
للوعورة ، وخروج من سبيل من لا يحاسب
نفسه) (٢) .

وهو يكره المبالغة التي تؤدي إلى الوعورة
كما يفهم من قوله ، ولذلك نراه حين تعرض
لبعض العبارات التي تشتمل على كلمات غريبة
وأن العلماء كانوا يديرون في كتبهم أمثال

مطلقاً ، وإنما ينشدان على أنهما كلام له معنى
صادق ينبغي أن يكون في صدر كل محتاج .

ثالثاً : أن الجاحظ في بيانه لم يغفل شأن
المعاني ، فهي وإن كان يعنى باللفظ عناية
كاملة ، فيختار ألفاظه ، ويفسق عباراته ،
ويصفها من الشوائب ، ويدقق في أداء المعنى
حتى ليقول : (ربما خرج الكتاب من
تحت يدي محصفاً كأنه متن حجر أملس
بمعان لطيفة محكمة ، وألفاظ شريفة
فصيحة) . أقول هو وإن كان كذلك إلا أن
عنايته بالمعاني لا تقل عن عنايته بالألفاظ ،
واعتقد أن إعجابنا بالجاحظ لم يكن لأن
ألفاظه جميلة ، وأسلوبه عذب مسترسل
بل كان لذلك ولروعة معانيه ، وسعة أفقه
في التصرف في هذه المعاني .

والجاحظ نفسه أشار أكثر من مرة إلى
ضرورة المعنى الشريف مع اللفظ الشريف ،
ومن قوله في ذلك : (وأحسن الكلام
ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه
في ظاهر لفظه ... فإذا كان المعنى شريفاً
واللفظ بليفاً ، وكان صحيح الطبع ، بعيداً
عن الاستكراء ومنزهاً عن الاختلال ،
مصوناً عن التسكف صنع في القلب صنيع
الغيث في القرية الكريمة) .

فهو يرى أن الأثر الجيد للكلام والتأثير
الحسن له في النفوس إنما يكون حين يجمع
بين المعنى الشريف ، واللفظ البليغ .

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٧ . ط المطيب .

(٢) ج ١ ص ٢٥٥ . ط هروى .

المعارض ، وصارت المعاني في معنى الجوارى والقلب ضعيف ، وسلطان الهوى قوى ، ومدخل خدع الشيطان خفي ^(١) .

ونحن إذا تجاوزنا الحال التي قيل فيها هذا الكلام والتحذير الذي وجهه هذا الواعظ من الانخداع بحسن المنطق خلاص لنا أن الجاحظ يرى أن اللفظ الشريف يحول المعنى عن مقداره ، ولعله نظر في ذلك إلى قول الأصمعي ، وقد سئل : من أشعر الناس ؟ فقال : الذي يجعل المعنى الخسيس بلفظه كبيراً ، أو يأتي إلى المعنى الكبير فيجعله خسيساً ، أو ينقضي كلامه قبل القافية فإذا احتاج إليها أفاد معنى ^(٢) .

رابعاً : ما المراد بالمعنى في كلام الجاحظ ؟ وما المراد باللفظ ؟

ذهب بعض الكتّاب إلى أن المراد بالمعنى عند الجاحظ هو المعنى العام ، قال : وهذه هي المعاني التي يفقد عليها الناس جميعاً من مثل الامتداح بالشجاعة أو بالكرم أو ما أشبه ذلك وإنما ذهب إلى هذا التفسير لينفي عن الجاحظ تهمة الغفلة أو الرأي الفطير ، وأنه من غير الممكن أن يعتقد الجاحظ أن كل إنسان عربي أو عجمي قادر على أن يحییء بالمعنى القريب المبتدع .

هذه العبارات يقول : فإن كانوا إنما رويوا هذا الكلام لأنه يدل على فصاحة فقد باعده الله من صنعة البلاغة والفصاحة ، وإن كانوا إنما دونوه في الكتب ، وتذاكروه في المجالس لأنه غريب فأبيات من شعر العجاج وشعر الطرماح وأشعار هذيل تأتي لهم مع حسن الرصف على أكثر من ذلك ^(٣) .

ومن رأى الجاحظ أن البليغ يستطيع أن يكسو المعنى الوسط عبارة تجعله رائعاً وأن المعنى يتحول عن مقداره إذا زين وزخرف ، وقد نقل عن بعض العلماء الأدباء من أهل المعرفة من البلغاء ومن يسكره القشادق والتعمق ، ويبغض الإغراق في القول والتكلف والاجتلاب ، ويعرف أكثر أدواء الكلام ، نقل عنه عبارات وأقربها فكانت رأياً له : « أنذرکم حسن الالفاظ ، وحلاوة مخارج الكلام ، فإن المعنى إذا اكتسب لفظاً حسناً ، وأعاره البليغ خرجاً سهلاً ، ومنحه المتكلم دلاً متعشقا ، صار في قلبك أحلى ، ولصدرك أملاً .

والمعاني إذا كسبت الالفاظ الكريمة ، وأكسبت الالفاظ الرفيعة تحولت في العميون عن مقادير صورها ، وأربت على حقائق أقدارها ، بقدر ما زينت ، وحسب ما زخرفت ، فقد صارت الالفاظ في معاني

(١) البيان ج ١ ص ٢٥٤ .

(٢) العمدة ج ٢ ص ٤٦ . ط . أول .

(٣) البيان ج ١ ص ٣٧٨ ط هروى .

وهذا حق ، ولكن الذى يعنى النظر فى كلام الجاحظ فى غير موضع من كتبه يدرك بسهولة أنه يريد بالمعنى ، المعنى الخاص ، من تشبيه مصيب تام ، أو معنى غريب عجيب ، أو معنى شريف كريم ، أو بديع مخترع . وأن هذه المعانى هى التى يمكن أن تسرق من أصحابها فإذا ووجه السارق ادعى أنه لم يسمع بهذا المعنى قط ، وقال : إنه خطر على بالى من غير سماع .

ومن الأدلة على أنه يريد المعنى الخاص حديثه عن معنى عنزة فى بيتيه المشهورين وصفا للذباب ، فإنه رأى أن عنزة وصف الذباب فأجاد وصفه ، وأن جميع الشعراء تحاموا معناه فلم يعرضوا له ، وقد عرض له بعض المحدثين ممن كان يحسن القول قبله من استكراهه لذلك ، ومن اضطرابه فيه أنه صار دليلا على سوء طبعه فى الشعر :

قال عنزة فى وصف روضة :
جادت عليها كل عين ثرة
فتركن كل قراوة كالدرم
فترى الذباب بها يغنى وحده
هزجا كفعل الشارب المترنم
غردا يحك ذراعه بذراعه
فعل المسكب على الزناد الأجذم
قال الجاحظ بعد أن أورد البيتين : ولم

أسمع فى هذا المعنى بشعر أَرْضاء غير شعر عنزة .
أما مراده باللفظ فيتضح أيضا من مراجعة أقواله فى أثناء كتبه . وفى هذه العبارة نفسها - وهو - كما يبدو واضحا يريد الالفاظ المفردة ، لأنه وصف اللفظ بالسهولة كما يريد الأسلوب ، إذ يقول : وإنما الشعر صناعة ، وضرب من الصبغ ، وجنس من التصوير .
لكل ذلك أعتقد أن الجاحظ - مع كراهيته للبالغة - بالغ حين قال : والمعانى مطروحة فى الطريق . وأن الذى دعاه إلى ذلك - فى الأرجح - سر عميق فى نفسه بمعارضة أبى عمرو بن العلاء وأمثاله ممن يحكمون فى الشعر ، وليس ههنا الذوق الفنى السليم - كما يرى - .

وليس أحد ممن يقرأ كتب الجاحظ يجهل أن له مبالغات مفرطة فى بعض الأحايين ، وحسبنا بعض قصصه فى كتاب البخلاء ، وبعض نوادره عن المعلمين وغيرهم .
وقد مرت الكلمة من قلبه فى مناسبة خاصة ولم يحاول أن يرجع عنها ، وإن كان كل ما كتبه بعد ذلك فى كتاب البيان تعديل لوجهة النظر هذه - على حد تعبيرنا - .

* * *

هذا : وقد ذكر بعض الباحثين المحدثين

ولقد أنصف الدكتور شوقي ضيف حين قال عن الجاحظ : (وكانى به لم يكن يفهم أن الكتابة الأدبية ألفاظ ترصف ، وإنما كان يفهمها على أنها معان تنسق في موضوع خاص مما يتصل بالطبيعة أو بالإنسان ، وكان لذلك صبغته الخاصة في كتابته ، فإنها كتابة ذات موضوع قبل أن تكون ذات أسلوب ^(١)) .

ومن عجب أن ذلك الكاتب الذى رعى الجاحظ هذه الأوصاف الغليظة ، أخطأ حين تكلم عن غاية البيان ، فقد عاب على الجاحظ اعتباره غاية البيان الإفهام ، ثم قال : أما غاية البيان الحقيقية فهى ما يستفاد مما ذكره أخيراً من التأنق في رسم الصورة ، وإبراز الفكرة الأدبية مصطبغة بالصبغة الفنية ^(٢) .

والتأنق وإبراز الفكرة وسيلتان لغاية من البيان ، لأن الغاية هى الإفهام - كما قال الجاحظ - أو هى التأثير كما يجرى على ألسنة نقاد اليوم .

على العمارة

(١) الفن ومداهبه في النثر العربى ص ١٦١ .

(٢) الدكتور بدوى طيبانه في كتابه (دراسات في نقد الأدب العربى) ص ١٥٥ .

أن الجاحظ ركب في هذا القول متن الشطط وأن الذى قاده إلى ذلك هو تعلقه بمذهب الصنعة ، هذا التعلق الذى أعماه عن تقدير المعنى .

ثم قال بعد أن ذكر رأى الجاحظ في اللفظ نقلاً عن كتاب الحيوان ، وذكر كلامه في أول كتاب البيان ، وأن غاية البيان الإفهام : وفي ذلك الرأى يبدو التعارض ، ويبدو أن الجاحظ يسير في طريق لا يعرف غايته ، ويرى إلى غير هدف معين .

وهذه أوصاف أقل ما يقال فيها لأنها ظلم للجاحظ ، وغبط لحقه ، فالجاحظ أعماه التعلق بالصنعة عن تقدير المعنى ، وهو يسير في طريق لا يعرف غايته ، وهو يرى إلى غير هدف : أليس هذا كثيراً على أديب العربية الأكبر ؟ .

وأعتقد أن الجاحظ لم يكن متعصباً بالصنعة إلى الحد الذى ذكره الكاتب ، فإن الذى يكره المبالغة في تهذيب الألفاظ ، ويدعو إلى الاقتصاد والتوسط ، والذى كان يدعو إلى النظر في مواقع الألفاظ ، وأين استعملها العرب ^(١)) مثل هذا الكاتب لا يعنيه التعلق بصنعة الكتابة عن اختيار المعاني .

(١) الحيوان ج ٣ ص ٣٤٣ .

من اعلام المسلمين في الهند ، مولانا أبو الكلام آزاد للاستاذ عبد المنعم النمر

- ٢ -

في العدد الأول ^(١) من مجلته «البلاغ» التي أصدرها بعد أن أغلقت السلطة البريطانية مجلته «الهلال» كتب افتتاحية طويلة باللغة العربية ، وقد وقع في يدي هذا العدد حينما كنت بالهند ، فطالعت هذه الافتتاحية بشغف ، ولست فيها تفكيراً وأسلوباً يتفاهان كثيراً مع تفكير وأسلوب الشيخ محمد عبده . وكان عنوان المقال : (المسلمون بين الاجتهاد والتقليد) ، رأيت فيه التوفيق والمهارة في عرض الفكرة ، والاستشهاد بالقرآن الكريم والسنة النبوية مما يدل على تمكن في فهم الدين . وإحاطة في حفظ القرآن والسنة وفهمهما فهماً جيداً ، فإذ ذكر آية إلا ذكر رقم السورة ورقعها ، وما ذكر حديثاً إلا أخرجه .

ويهمني هنا أن أعرض أمامك مقتطفات من هذه المقالة لكي تشترك معي في الحكم ، وأظن أنك ستشاركني الإعجاب كذلك . . .
افتتح مقاله فقال : « الحمد لله الذي رضى لنا الإسلام ديناً ، ونصب لنا الدلالة على صحته برهاناً مبيناً ... إلى أن قال والصلاة والسلام

(١) الصادر في ٤ من المحرم ١٣٣٤ هـ .

[٦]

دخل مولانا آزاد ميدان السياسة عن طريق الدين وفهمه الفهم الصحيح المستقيم ، لقد فهم من دينه أنه دين لا يرضى بالذلة والاستعباد ، وأنه دين الحرية والمساواة ، فاتخذ من هذه المبادئ شعلات يلمب بها جذوة الحماس في نفوس المسلمين ، ويهيب بهم أن ينفضوا عنهم غبار الذلة والاستكانة ، وأن يتحرروا قبل كل شيء من أسر الأوهام والخرافات والتقليد الأعمى حتى يستطيعوا أن يطلبوا الحرية لأنفسهم ، وكان يتخذ من مجلته ومن خطبه وسيلة لإبلاغ دعوته ، وكان خطيباً مغوها كما كان كاتباً بارعاً مجدداً في أسلوبه الأوردي وتفكيره ويكتب أحياناً باللغة العربية - التي يتقنها - افتتاحيات مجلته ، وهذه الافتتاحيات العربية كان يقرؤها في الهند العلماء بخاصة لأنهم الذين يعرفون العربية ، ويحبون كثيراً أن يقرءوا بها ويهدف من توجيه الخطاب إلى العلماء أن يصلح نفوسهم وتفكيرهم ، باعتبارهم قادة لهم تأثير قوى على جمهرة المسلمين ، ويرجو أن يكون ذلك وسيلة لإصلاح العامة منهم .

أنه الحق^(١)، أنزل عليهم كتابا احتج على صحة العقائد بآيات الله في الأنفس والآفاق، وجاء بالبينات والهدى ونهى عن التقليد واتباع الهوى، وقرر حرية الوجدان، والاجتهاد في جميع الأعمال والاعتقاد، وعظم شأن الفكر والعقل. فامتاز دينه على سائر الأديان، بأنه دين الحجة والبرهان، الناعى على متبعي الأوهام والظنون بأنهم لا يعقلون شيئا ولا يهتمدون، بل وصفهم بقوله: أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون،^(٢) وصم بكم عى فهم لا يرجعون^(٣).

ثم تحدث عن السبب في ضلال العالم قبل الإسلام: حتى جاء الإسلام والعالم كله في تأخر من جميع الوجوه. فلم يمر قرن واحد حتى جدد للعالم كله ديناً قيمياً، وعلماً محكماً، ومدنية سعيدة، وسياسة رشيدة، ونشر ذلك كله في مشارق الأرض ومغاربها، وأخذ يبين في تفصيل كيف قضى الإسلام على الفساد وأقام مدينته السعيدة، حتى كان المسلمون نوراً ساطعاً، ومجداً طالعاً، ونفوذاً قاهراً، وعزاً باهراً، وعلماً زاهراً، وخلقاً ساحراً، سياسة ملكت الانظار،

على سيدنا ونبينا محمد خاتم أنبيائه ورسله، وصفوته من خلقه، ووجهته على عباده، وأمينه على وحيه، الذى بعثه بتوحيد الألوهية، ليحرر الخلق من رق العبودية، وتوحيد الربوبية، ليعتقهم من رق التقاليد الدينية، التى ألحقها رؤساء الأديان بالشرائع الإلهية. وتوحيد السياسة لتكون الشعوب والقبائل أمة واحدة، قضمها شريعة عادة واحدة، وتعارف بلغة واحدة، ليطلقهم من قيود الحكومة الشخصية الجائرة... فاهتدى بكتابه العقلاء المستقلون، وضل به السفهاء المقلدون...

ثم أخذ يتكلم عن تطور الإنسانية وتطور الأديان معها. وعنه انصراف الناس عن الدين حتى قال: «فانتقل البشر من حال إلى حال، وارتقوا من طور إلى طور، حتى إذا ما ارتقت عقولهم بتقلب الزمان، واستعدوا لتحكيم العقل والفكر، في مدركات الحس والوجدان، بعث فيهم خاتم النبيين والمرسلين الذى جعل الفكر والنظر أحاسن الدين ومنحه دين الإسلام، المنطبق على مصالحهم في كل زمان ومكان، فهو للقبائل الساذجة كالمرنب الرحيم، وللشعوب الراقية كالإمام الحكيم، كلما ساروا في العلوم والمدنية شوطاً رأوه المجلى في ميدان السبق: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم

(١) ٤١: ٥٣.

(٢) سورة ٧ آية ١٧٩.

(٣) سورة ٢ آية ١٨.

فجعلوا التعصب للذاهب ديانهم التي بها يدينون ، وردوس أهوالهم التي بها يتجرون ، وآخرون منهم قنعوا بمحض ، التقليد ، اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ،^(١) وحجروا على رب العالمين مثل اليهود ، ألا بيعت الله بعد أئمتهم وليا مجتهدا ، وأنكروا ما قاله الرسول ، حيث قال : « لا يزال بيعت على رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها » . وأخذ يعرض صورا من كلام المقلدين المتعصبين أن يقلدوهم وكيف أن كل جماعة حرمت على نفسها وعلى الناس أن يختاروا غير ما اختاره إمامهم ، سواء كان في الفقه أو الأصول أو التفسير وحتى في العلوم العقلية والإلهية إلى أن قال في أسلوب ساخر : فانظر كيف اسقبدوا الباطل بالحق وأولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى . فاربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ،^(٢) . واستمر يناقش في سخرية كذلك هؤلاء المقلدين ويذكر أقوالهم العجيبة التي تحجر التفكير الحر على الناس وتسد أمام عقولهم الأبواب فتجده يقول من ذلك مخاطبا لهم : فإذا لم يكن لأحد أن يختار بعد من ذكرتم ، فمن أين وقع لكم اختيار تقليدكم دون غيرهم وكيف حرمت على الرجل أن يختار ما يؤديه

ومضرت الأمصار ، وكياسة ارتاحت لها القلوب واطمأنت لها الأمم والشعوب ثم انتقل إلى ما صار إليه المسلمون بعد ذلك من ضعف وأخذ يبين أسبابه وعمله ، ويورد النصوص من القرآن والسنة التي حذرنا ونهتنا وتطرق منها إلى موضوعه فقال :

« ولكننا خالفنا كل هذه النصوص فتفرقنا وتنازعنا ، إذ اتخذنا مذاهب متفرقة كل فريق يتعصب لمذهب ويمادى سائر إخوانه المسلمين لأجله ، زاعما أنه ينصر الدين وهو يخذله بتفريق كلمة المسلمين » . وأخذ يعرض أمثلة واقعية لذلك من التاريخ ثم قال ، فسلط الله على جميع هذه الأحزاب أعداء ، خضدوا شوكتها وزلزلوا دولتها ، ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . ثم بين بعد ذلك أن طريق الحق هو الوحدة والإسلام وأن اليهود لما تفرقوا وحرفوا ، مزقهم الله وتلك سنته في خلقه وأن المسلمين كانوا أمة واحدة يهديها عقلها البصير الفاهم لكتاب الله وسنة رسوله ، وكانت مملوءة بالجهتدين إلى أن خلف من بعدهم خلف فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، ففقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون^(١) ،

(١) ٩ : ٣١ .

(٢) ٢ : ١٤ .

(١) ٢٣ : ٥٣ .

النقمة وذهبت الريح والشوكة ، إلى أن وصلنا إلى هذه الدرجة من الضعف والذل . ذهب ملكنا ، وصارت المملكة الكبيرة من ممالكنا ، تقع في قبضة الأجانب ، فلا يبالي بهم سائر المسلمين ١١ فأين الوحدة والأخوة ، والتواد والترحم ، والتعاون والتناصر ؟ أين تمثيل مجموعهم بالجسد الواحد ؟ كل ذلك قد زال ، وكان مبدأ زواله الاختلاف ١١ « فسا هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا (١) » . وتروى من شدة حملة مولانا أزداد على التقليد أن جعله أصلا لكل بلاد نزل بالمسلمين فهو الذي أصابهم بالخنول والضعف ، وهو الذي فرق كلمتهم ، وأطمع فيهم أعداءهم ، وأضعف الصلة بينهم وبين شريعتهم ودينهم .

وإذا كان هذا يمثل الحقيقة إلى حد كبير فإنني أعرف أن الذي حمل مولانا أزداد كذلك على تركيز هجومه على هذه الناحية بالذات إنما هو إسراف المسلمين في الهند في التقليد ولا سيما تقليد أبي حنيفة إلى حد أنهم لا يبالون كثيرا بدلالة النصوص بجانب أقوال المذهب ، وإلى حد أنهم ينظرون إلى المخالف لهم نظرة مريبة ، وربما يشعرون عليه ، هذا بجانب ما لمسته فيهم من حدة في الاختلاف ، حتى على الأمور البسيطة التي

إليه اجتهاده ، وأبجتم لأنفسكم اختيار قول من قلتموه ؟ وأوجبتم على الأمة تقليده ، وحرمت تقليد من سواه ؟ فما الذي سوغ لكم هذا الاختيار ، الذي لا دليل عليه من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس أو قول إمام من أئمتكم ؟ . بالعجب ١١ .

وقد اعتبر هذا الحجر شدة وغلوا في الدين لم يأذن به الله ، مع أن الله جعل دينه يسرا لاعسرا ، ومن رأيه أن هذا الغلو في التضييق كان صيبا في هجر السلاطين للشريعة في أمر القضاء والسياسة ، بزعم أن الشريعة شاقة ، غير مطابقة لمصلحة الزمان ، وهجر عامة المسلمين لها أيضا في أكثر أحوالها ؛ إذ أن الطوائف المقعدة لم تستطع بعقليتها الجامدة وانحصارها داخل إطار المكتب والآراء المدونة ، أن تجابه حوادث العصر بأحكام من الشريعة ، ومع ذلك تجددهم مختلفين فيما بينهم أشد الاختلاف حتى حزبوا الأمة وفرقوا شملها وشوهوا من أجل ذلك وجه الشريعة القراء حين قصروها على ما في بطون الكتب السابقة والآراء القديمة ، حتى ظن من في عقله ضعف أن هذه هي الشريعة ١١

« فيالله وللمسلمين من هذه الفاقة التي هي أعظم فوارق الدين ، والرزقة التي ما رزى بمثلها سبيل المؤمنين ؟ .

فمذجاء التقليد والتخرب والتعصب ، حلت

واقعد كان التقاليد والتعصب له سبباً في القضاء على كثير من المفكرين الإسلاميين الذين قلما يجود الزمان بمثلهم مثل ابن تيمية وابن القيم اللذين خفيت كتبهما عدة قرون وهي أقوى من سائر كتب المسلمين .

ويصل بالثأر مداه بعد هذا البحث القيم اللامع فيطيقها زفرة مرة لجهل الناس بحقيقة الإسلام دآه ما أشد غفلة الناس عن حقيقة الإسلام !! أى سعادة للناس تعلو عرفان كل فرد من أفرادهم أنه أوتي من الاستعداد ما أوتي من يوصفون بالولاية والقدااسة ويدلون بالزعامة والرياسة .

إن مولانا آزاد وصل إلى القمة في التفكير والإحساس كما وصل إلى أعماق النفوس وهو وهو يطلق هذه الزفرات . . نعم إن إشعار كل فرد من المسلمين بأن عقله قاصر عن أن يصل إلى ما وصل إليه السابقون يوحى إليه مقدما بالعجز وإغلاق الفكر ، والقعود على أعتاب السابقين ، ويقضى على كل استعداد فيه وهذا لا ينتج إلا العقم ، ولا يلد إلا أقزاما في الفكر في كل ناحية من نواحي الحياة ، لأن ناحية الفقه والعلوم الدينية غُصِبَ ، إن المسلم الذي يسمع من صغره أن الأول لم يترك للآخر شيئاً ولم يكن في الإمكان أبدع مما كان وأنتا مهما أوتينا من العقل والعلم ، فلن نبليح ما بلغه الأولون ، ولن نصل إلى أقدامهم ،

لا تمت إلى جوهر الدين بصلة فهم يقومون ويقعدون ، ويلقون المحاضرات ، ويطوفون في البلاد ، ويؤلفون الكتب ، من أجل الاختلاف مثلاً حول رفع اليدين عند التكبير للركوع ... وهو أمر لا يصل إلى درجة السنة عند من قال به . فكان لا بد لتطرفهم هذا وإغراقهم في الخلاف من أجل التوافق لا بد أن يركز مولانا آزاد هجومه ، على هذه النواحي فربما يقلل من أمر هذه الخلافات . لقد خلص من ذلك كله إلى أن الذي صار إليه المسلمون بسبب التقليد من الاختلاف والتفرق أمر ينافي كل المناقاة روح الدين ونصوصه ، فالأمة واحدة ، وكتابها واحد وقبلتها واحدة ، ورسولها واحد ، ومع ذلك كان التعصب للذاهب وتقليدها سبباً في زوال شوكتها ، دأقراً في التاريخ حوادث الفتن بين أهل السنة والشيعة ، وبين المنتسبين إلى السنة ، بعضهم مع بعض ، بين الأشاعرة والحنابلة ، بين الحنفية والشافعية ، وبين الشافعية والحنابلة ، ومن أغرب ما تجد أن العداوة بين الشافعية والحنفية كانت من أسباب حملة التتار على المسلمين ، تلك الحملة التي كانت أول صدمة صدعت ببناء قوة المسلمين صدمتا ، لم يلتئم من بعده ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد، (١)

تفكيره وتوجيهه ، وما أطيب ما ختم به
هذا البحث القيم الذى طفت بك فى بعض
جوانبه حين يقرر هذه الحكم أو هذه
الأصول التى يجب أن يفهمها المسلمون لاسيما
فى بلاده ، حتى ينفقوا عقولهم ، وينهضوا
بتفكيرهم ، وتتوحد صفوفهم ، وتقوى كلمتهم
ويستعيدوا بالتالى مجدهم ، إنه يقول ويقول
كل قائل معه هذا القول :—

« لا إصلاح إلا بدعوة ، ولا دعوة إلا
بمحبة ، ولا حجة مع بقاء التقليد . فإغلاق
باب التقليد الأعمى (لا باب الاجتهاد) ،
وفتح باب النظر والاستدلال هو مبدأ كل
إصلاح ، والسلام على « الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولوا الألباب » .

نسأل الله أن يجعلنا منهم . وسلام عليك
من الله فى قبرك - يا آزاد - جزاء ما قلت
وعملت وأخلصت فى قولك وعملك ؟
عبد المقيم القمى

المسلم الذى يسمع هذا - وكل مسلم تقريبا
يسمعه - يخلد إلى الأرض ويعتقد أن زمان
العقول الجبارة قد ولى ، وأنه وغيره يعيشون
حالة على السابقين ، وهذا قتل للأمة وللنبوغ
فيها وقضاء على كل حيوياتها .

ولا شك أن الفرد الذى يولد ويشعر
دائما أن باب الاجتهاد والاختراع والنبوغ
والوصول للقيمة مفتوح للجميع فى كل فروع
العلم والمعرفة تتطلع نفسه إلى أن يصل
ويحاول ، وإن لم يصل هو فسيصل غيره .
فوق أنه وهو يفهم ذلك ، ويشعر به ، يحس
سعادة ذاتية بنفسه وقيمه ، ويشعر أنه ليس
ليس أقل شأنًا ممن سبقوه ، بل أنه قد يكون
أحسن منهم ، حين يستفيد بتجاربهم ، ويبنى
عليها . وهذا الإحساس بالسعادة هو نقطة
انطلاق الأمة إلى أن تجد نفسها ، وتفرض
سيادتها الفكرية والمادية على غيرها . وحق
لمولانا آزاد أن يزر هذه الزفرة ويقول بعد
ذلك ما قال .. ما أعظمه وما أطيبه ، وأطيب

إن الشريعة الإسلامية كانت موفقة غاية التوفيق فى تنظيم المعاملات على نحو واحد ،
دون تفرقة بين معاملات مدنية وتجارية . وهذا ما لم يلحقه بعد تشريعنا المذنب .

المركزية أمين محمد بدر

طبيعة الشعر العربي

للدكتور عبد الله الطيّب

— ٤ —

حالة الجذب :

لعل ما سبق يوضح مراد العرب من نسبة الشعر إلى قرناء من الجن يلقونه إلى الشعراء ، ذلك بأنهم رأوا ما يقتاب الشعراء من انفعال ثم ما يصيرون إليه بعد هذا الانفعال من جسارة على الاعتراف والصراح فلا يقدر عليها غيرهم ولا يرومها ولا يتقبل منه ذلك إن فعل ، فلم يجدوا وجهاً من وجوه الرأي يفسرون به هذه الظاهرة للبخالفة لما عليه مألوف الطبيعة غير أن ينسبوا إلى الجن . وأريد أن أذكرك هنا بخير الفرزدق إذ تحداه غلام من الأنصار بقصيدة حسان ابن ثابت الميمية . وسياق الخبر كما ذكره صاحب الأغاني يرويه بسنده إلى إبراهيم ابن محمد بن سعد بن وقاص أنه قال : قدم الفرزدق المدينة في إمارة أبان بن عثمان . فأتى الفرزدق وكثير عزة فبينما هما يقفان شدان الأشعار إذ طلعا عليهما غلام شحج رقيق الأدمة في ثوبين مصريين فقصد نحوفا فلم يسلم وقال أيكم الفرزدق ؟ فقلت مخافة أن يكون

من قریش : — أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ؟ فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا فقال له الفرزدق : من أنت لا أم لك . قال رجل من الأنصار ، ثم بنى النجار ، ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم ، بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب ، وتزعمه مضر .

وقد قال شاعرنا حسان بن ثابت شعراً . فأردت أن أعرضه عليك وأوجلك سنة فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب كما قيل ، وإلا فأنت منتحل كذاب ، ثم أنشده :

ألم تسأل الربع الجديد العسكلا

حتى بلغ إلى قوله : —

وأبقى لنا مر الحروب ورزاها

سيوفا وأدراعا وجمعا عرمرما

لنا حاضر فعم وباد كأنه

شماريخ رضوى عزة وتكرما

مقى ما تردنا من معد عصابة

وغسان نمنع حوضنا أن يهدما (١)

(١) في الأغاني ٨ / ١٨٩ نزلنا في ديوانه على

اختلاف طبعته نزلنا — بمصبة .

بمثل ، ولا سمعت بمثل شعره . فارقت وأتيت
منزلى فأقبلت أصعد وأصوب في كل فن من
الشعر ، فكأنى مفهم لم أقل شعراً قط .
حتى إذا نادى المنادى بالفجر رحلت ناقتي
وأخذت بزمامها حتى أتيت ريانا (١) وهو
جبل بالمدينة ثم ناديت بأعلى صوتي دأحاكم
أحاكم ، يعنى شيطانه فغاش صدرى كما يجيش
المرجل فعقلت ناقتي وتوسدت ذراعها فقلت
حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتاً
فبينما هو ينشد إذ طلع الأنصارى حتى إذا
انتهى إلينا سلم علينا إلخ الخبر (٢) .

وأذكر لك أيضاً خبراً شديداً بهذا عن
جرير - قال صاحب الأغاني (٣) : أخبرني
على بن سليمان قال : حدثنا أبو سعيد السكري
عن الرياشي عن الأصمعي قال وذكر المغيرة
ابن حبياء قال حدثني أبي عن أبيه قال كان
راعى الإبل يقضى للفرزدق على جرير ويفضله
وكان راعى الإبل قد ضخم أمره وكان من
شعراء الناس . فلما أكثر من ذلك خرج
جرير إلى رجال من قومه فقال هلا تعجبون
لهذا الرجل الذى يقضى للفرزدق على وهو

(١) هكذا وما أكثر ما يصرف غير المصروف
(٢) الأغاني ١٩ / ٣٨ - ٣٩ وفيه قاتل الله
الأنصار ما أفصح لهجتهم . . ولا يستقيم للمعنى بذلك
إنما الصواب للفرزدق .

(٣) يجوز أنه نعت مقطوع وإلا فالوجه صرفه .

بكل فن عارى الأشاجع لآحه
قراع السكاة يرشح المسك والدماء
ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق
فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنا
(١) نسود ذا المال القليل إذا بدت
مروءته فينا وإن كان معدوما
ولما لفقرى الضيف إن جاء طارقا
من الشعيم ما أمسى صحيحا مسلما
لنا الجففات الغر يلعن بالضحي
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فأنشد القصيدة وهى نيف وثلاثون بيتاً ،
وقال له قد أجلتك فى جوابها حولاً فانهصرف
الفرزدق مغضباً يصحب رداه . وما يدرى
أنه طرفة حتى خرج من المسجد . فأقبل على
كثير فقال لى قاتل الله الأنصارى ما أفصح
لهجته وأوضح حجته وأجود شعره ، فلم
نزل فى حديث الأنصارى والفرزدق بقية
يومنا . حتى إذا كان من الغد خرجت من
منزلى إلى المسجد الذى كُنت فيه بالأمس ،
فأتى كثير فجلس معى ولما انتذاكر الفرزدق
ونقول لمت شعري ما صنع إذ طلع علينا
فى حلة أفواف قد أرخى غدירתه حتى جلس
فى مجلسه بالأمس ثم قال ما فعل الأنصارى .
فقلنا منه وشتمناه فقال : قاتله الله ، ما منيت

(١) فى الأغاني ١٩ / ٢٨ يسود ذا المال .

فأخذت قلنسوتي فمسحتها ثم أهدتها على رأسي
ثم قلت : —

أجندل ما تقول بنو نمير
إذا ما ... في ... أهلك غاباً^(١)

فسمعت الراعي قال لابنه : — أما والله لقد
طرحت قلنسوتي طرحة مشومة . قال
جرير : لا والله ما القلنسوة بأعْيظ أمره إلى
لو كان عاج على . فأنصرف جرير غضبان .
حتى إذا صلى العشاء بمنزله في عليقة له ، قال :
ارفعوا لي باطيه من نبيذ وأسرجوا لي .
فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ . فجعل
يهمهم . فسمعت صوته عجوز في الدار ،
فطلعت الدرجة ، حتى نظرت إليه فإذا هو
يحبو على الفراش حريان^(٢) لما هو فيه .
فانحدرت فقالت ضيفكم بمنون رأيت منه
كذا وكذا ، فقالوا لها : اذهبي لطيتك نحن
أعلم به وبما يمارس . فما زال كذلك حتى
كان السحر ، ثم إذا هو يكبر ، قد قالها
ثمانين بيتاً في بني نمير . فلما ختمها بقوله :

فغض الطرف لأنك من نمير
فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

كبر ثم قال : أخزيتي ووب الكعبة . ثم
أصبح حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا
في مجالسهم بالمريد وكان يعرف مجلسه ويجلس
الفردق دعا بدهن فادهن إلى آخر الخبر .

(١) في مكان النقط كلمتان جاءتا بالأصل يمكن

للأديب إدراكهما .

(٢) يجوز أنه نمت مقطوع ، وإلا فالوجه صرفه

يهجو قومه وأنا أمدحهم . قال جرير فضربت
رأسي فيه . ثم خرج جرير ذات يوم يمشي
ولم يركب دابته وقال والله ما يسرنى أن أعلم
أحدًا . وكان لراعي الإبل والفردق
وجلساتهم حلقه بأعلى المريد بالبصرة يجلسون
فيها . فخرجت أتعرض له لالقاء من حيل
حيث كنت أراه يمر إذا انصرف من مجلسه .
وما يسرنى أن يعلم أحد ، حتى إذا هو قد مر
على بغلة وابنه جندل يسير وراءه على مهر
له أحوى محذوف الذنب وإنسان يمشي معه
يسأله عن بعض السبب . فلما استقبلته قلت
مرحباً بك يا أبا جندل . وضربت بشألي
على معرفة بغلته . ثم قلت يا أبا جندل : —
إن قولك يستمع ، وإنك تفضل الفردق
على تفضيلاً قبيحاً ، وأنا أمدح قومك وهو
يهجوهم ، وهو ابن عمي ويكفنيك من ذلك
إذا ذكرنا أن نقول كلاهما شاعر كريم
ولا تحتمل مني ولا منه لائمة . قال فيينا أنا
وهو كذلك واقف وما رد على بذلك
شيئاً حتى لحق ابنه جندل ، فرفع كرمانية
معه فضرب بها عجز بغلته ، ثم قال ، لا أراك
واقفاً على كلب من بني كليب كأنك تخشى
منه شراً أو ترجو منه خيراً . وضرب البغلة
ضربة فرحتني رحمة وقعت منها قلنسوتي

فوالله لو يخرج على الراعي لقلت سفيه غوى
يعني جندل ابنه ولكنه والله ما عاج على

ولا يخالفني أدنى شك في أن أبا العلاء المعري قد كان يدير شعره في نفسه مرات قبل أن يمليه . وقد كانت خلوات ذلك الرجل الغد أكثر من لقائه الناس ، كما أنه قد كان بينهم بمنزلة الملك إذا أراد أن ينصرف الناس عنه انصرفوا .

وإنما السر في طلب الخلوة هو الحرص على طرح الشواغل والانصراف الكامل إلى النفس واستخراج مخزونها المغيب الذي يرضن به صاحبه عن كل مشاهد .

وأكد أزعم أنه ليس من عمل للإلهام فيه نصيب ، إلا وصاحبه يؤثر العزلة التامة ومن أجل ذلك شغف الأنبياء بالخلوة قبيل دعواتهم . وللسالكين المؤرخ الانجليزى توينبى فصل جيد في كتابه «دراسة في التاريخ» أفرده لأهمية العزلة بالفصيلة للإنتاج جميعه . هذا والشاعر العربى ، لشدة ما يلم به من حالة الجذب ، من أشد الخلق حاجة إلى العزلة وحاجته إليها أشد من حاجة النائر وما بمجره ، ولا شك أن النائر ومن بمجره قد يسكنهم أن يتيسر لهم جو الروية ولو في غير عزلة تامة . والذي يروى عن أحمد شوقي من أنه كان ينظم في كل مكان بما يقوى عندنا أنه كان يندفع إلى الصناعة كثيراً ، على قوة ملكته

والخبر الأول فيه مصداق بعض ما ذكرناه لك آنفاً من أن الشاعر قد يعتمد إلى القول فتضييق نفسه ويضطرب فكره ويضجر وتأخذه السامة ثم يصير إلى ضرب الجنون العصبى ثم يفتح عليه آخر الأمر . واستعجاب الفرزدق بشيطانه نص في هذا الباب . ثم ما قد ذكرناه بآدى بدء من أنه رام فنون الشعر فأعيت عليه . ولعله إنما حاول ألوانا من الأوزان ، حتى فتح عليه آخر الأمر بالطويل وبالفاء المرفوعة المطلقة . والخبر الثانى فيه مصداق أيضاً لبعض ما ذكرناه آنفاً . وذلك أن الشاعر فتح عليه منذ البدء بمفتاح تعبيره وهو الوافر والباء المفتوحة المطلقة في قوله :

أجنبدل ما تقول بنى نيمر
إذا ما ... فى ... أبيتك غابا
ثم كاترى عاد إلى منزله ، وجعل يهيمهم ويؤزمهم واعتبرته حالة الجذب وضائق نفسه حتى تعرى من ثيابه ثم اتلأب به منهاج القول . واتفق الشعاران فى كلتا الحالين فى طلب الخلوة . والحق أن حال الجذب نفسها تضطر الشاعر إلى الخلوة والتأبد المطلق . ومن هنا زعم الناس له مصاحبة الرقى . وليس السر فى طلب الخلوة هو طلب التروى وحده فمن الناس من يروض نفسه على التروى بحضور غيره . من ذلك ما يفعله كثير من المؤلفين .

يعتزل كما يشاء ، ويهيئ له في عزلته ما عسى أن يرغب إليه من حاجة الطعام والشراب . وقصة جرير التي مرت آنفاً نصر في هذا الذي نراه ، إذا قد أمر بفيئذ يعد له ، وسراج يوقد ثم اعتزل وتعمى وجعل يهمهم كمن أصابه مس من الجن حتى فزعت العجوز من أمره . ولا ينبغي بعد أن يصرفنا ذلك هذه الحقيقة عن أن نعترف لابن قتيبة بما وفق إليه من دقة الحدس ونفاذ البصيرة . وأنى لأعجب من بعض نقاد العصر إذ يتهمون ذلك العالم النافذ القدير بالسطحية وما إليها . ولعمري لو فطنوا إلى أن الرجل كان رأس مدرسة وكان يقرن بالجاحظ في أهل عصره ، لترشوا شيئاً قبل أن يذهبوا إلى الخط من قدره . وأرى حقاً على أن أذكر في هذا الموضوع أن مقدمته للشعر والشعراء من أجود ما كتب في النقد في العربية ، وما قفئنا - تلامذة الأدب - عالة على كثير من فصولها المفعمة وهذا أوان العود إلى ما كنا فيه .

الخاتمة

بقيت من هذا البحث فصول قد تخرج بنا إلى الإطالة في مقام هذه الكلمة ، وقد تناولنا فيها منزلة الشاعر ثم ختمناها بما نرى من مذهب الوحدة بين الوزن والقافية والروح والأغراض في القصيدة ونأمل أن نوافق بها في غير هذا المقام .

المركنور عبد الله الطيب

وإجاداته التي لا تنكر وأحسب أيضاً أن كثيراً مما نظمها صاحب الزوميات ليوفي به شروط ما التزم به أو يتم به بعض الأبواب ، لم يحل إلى نفسه كثيراً ، كسائر ما في الظائيات والشينيات وهلم جرا .

ويعجبني قول ابن قتيبة في الشعر والشعراء . والشعر أوقات يسرع فيها أتيه ، ويسمح فيها أتيه . منها أول الليل قبل تغشى الكرى . ومنها صدر النهار قبل الغداء . ومنها يوم شرب الدواء . ومنها الخلوة في الحبس والمسير ^(١) والذي يعجبني من قول ابن قتيبة هذا ، أنه بفكره الناقد الثاقب قد تذبذبه إلى أن قرض الشعر لا يتأتى إلا مع العزلة ، ولما كان هو في ذات نفسه ليس بشاعر ، فإنه افترض أن الشاعر إنما تتأتى له العزلة في الأوقات التي تتأتى فيها أسائر الناس من أهل زمانه ، كأول الليل ، وصدر النهار إلى آخر ما قاله

هذا وقد خفي عن ابن قتيبة أن الشاعر لا ينتظر أن تتأتى له ظروف العزلة التي تتأتى لغيره من سائر الناس ، ولكنه يصنع العزلة لنفسه صنفاً عندما يحس بدافع الشعر . وذلك بأن ينفر من الناس كما ينفر الوحش أو يختفي كما يختفي ذو الجريرة . ولقد يكره حينئذ مقدم الزور الكريم وإيناس الصاحب الجسيم . والشاعر في هذه الحال أحوج ما يكون لمن يعطف على حاله ، ويعينه بالتخلية على أن

(١) الشعر والشعراء طبعة ليدن ص ١٩ .

عظمة نبي الاسد _____ لام

الأستاذ عبد المنعم خفاجي

١ - وصف الله عز وجل في كتابه الحكيم
 نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بعظمة الخلق ،
 فقال تعالى : (وإنك لعل خلق عظيم) ، فهل
 يصح لنا أن نصف الرسول الأكرم بالعظمة؟
 العظمة بمناها المتبادر الذي هو التميز والرفعة
 وعلو المنزلة ، أو بمعناها المقصود ، الذي هو
 ذبوع الشهرة ، وخلود الذكر ، وهو لازم
 للمعنى الأول ومقصود منه . . لا بمعنى الكبرياء
 والصلف فإنه ليس بمرادى ولا لأحد في مثل
 هذا المقام .

هل يجوز ذلك ، كما أجاز بعض المعاصرين وصفه بالعنصرية ؟ في اعتقادي - وإن كان وصفه صلى الله عليه وسلم بالنبوة هو الأتم والأكل والالقي ، لأنه وصف يبين حقيقة شخصيته صلى الله عليه وسلم ومنزله عند الله - أن ذلك جائز ، وأنه ليس انتقاصاً لمساكنته ودرجته عند الله عز وجل وليس محاولة لإدراج هذا العلم الأرفع في عداد الناس ولا لنعته بغيرتهم ووصفه بأوصافهم .. فهو المفرد في تاريخ العرب ، والفد في حياة الإنسانية ، والصورة الكاملة التي لم تتجل واضحة في أحد سواء .. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما بقيت الأرض والسماء .

٢- وما هي موازين عظمة نبي الإسلام
 إذن ؟ إن للعظمة قيا يحكم بها على ضوئها ،
 وأساساً تنبئ عليها ؛ وقد يختلف الناس في
 هذه القيم وفي تلك الأسس ؛ ولا كمنا سوف
 تحاول هنا أن نلم بجميع موازين العظمة
 والشخصية ، لنزن على ضوئها مدى عظمة
 نبي الإسلام ونقدرها قدرها الصحيح الذي
 يجتمع عليه كل الآراء .

ومن البدهى أن الإنسانية كلها ، مفكرها وروادها وقادتها وساداتها والحاكمين منها والمحكومين على حد سواء قد اصطلحت في جميع العصور والأجيال على أن نبي الإسلام صلوات الله عليه كان هظبا حقا في كل شيء . وفي كل جانب من جوانب حياته ، وأنتى حين أكتب في ذلك لا آتى بجديد ، ولا أقرر حقيقة كانت غائبة عن أذهان الناس . .

ومع ذلك فإنني أقول : إن العظمة تقاس بقيمة واحدة من القيم ، أو بمجموعة منها . وسوف أدرس تلك القيم واحدة واحدة ، وأبين كيف أنها كلها مفردة توجب وصف محمد صلى الله عليه وسلم بالعظمة ، بل بأنه أعظم الناس كافة ، وأعظم العظماء منهم خاصة . . . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

٣ - وأول هذه القيم التي نحكم على ضوئها بعظمة نبي الإسلام .

القيمة الزاكية :

فالإنسان قد يوصف بالعظمة لأنه رجل ناجح في الحياة وصل في خضمها إلى كل ما يريد لنفسه من نجاح ، نجاح في الجاه أو المال أو الشخصية أو العمل . وعلى ضوء هذه القيمة نستطيع أن نقول إنه صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس نجاحاً في الحياة : يقيم فقير لاحول له ولا طول قد أصبح في عمره القصير صاحب دعوة ورسالة ، ورائد أمة ، بل رائد الإنسانية ، وصار باني دولة فنية كان بيدها زمام الأمور في العالم أجمع الاطوالا ، كما صار باني حضارة وفكر ، لم يستطع أحد غيره أن يبنيهما على مر العصور ثم صار موضع الأمل والرجاء في مجتمعه وموضع الذكر والخلود في التاريخ ودوى اسمه في الشرق والغرب ، بل كان اسمه حين يذكر تفزع منه الملوك والباطرة والقيصرة . . . ليس ذلك كله نجاحاً ، بل أعظم من النجاح ، وأكبر من هذا الوصف المحدود . . . وإذا فحمد عظيم لأنه كان لإنساناً ناجحاً في كل أطوار حياته ، لم يتخل عنه النجاح لحظة واحدة ، حتى في قترات يؤسه وفقره وبتمه .

أكان ذلك حظاً وجداً ، أم كان عن كفاح وجلاد في الحياة ؟ هذا شيء آخر ، لا أحب أن أتحدث فيه الآن .

وثاني هذه القيم والموازين : هي القيمة المثالية ، فالإنسان لا يعد ناجحاً في الحياة بمجرد أنه نجح في تحقيق أمنياته في حياته ، ونال منها كل ما يريد ، ولكن بعد نجاحاً لأنه يمثل قيمة مثالية ، قيمة تنطق عن مثاليات الحياة ومبادئها وسلوكها وأخلاقها . قيمة مستمدة من مبدئه الذي سار عليه طيلة حياته فلم ينحرف عنه ، ومن خلقه الذي انطوت عليه نفسه وشخصيته ، فهو ناجح لأنه سار على ضوئه فلم يتزعزع إيمانه به ولا وقوفه عنده في نفسه . ويحمد صلوات الله عليه من ذلك الجانب عظيم ، وأعظم من كل عظيم ، فقد مثل في نفسه وسلوكه وعمله وخلقته كل مثاليات الحياة العظيمة الرفيعة ، من وفاء وصدق وأداء الواجب وللحق ، ومن رحمة وإنسانية وشفقة وبر وتواضع . وما أصدق ما وصفته خديجة زوجة الطاهرة البرة الأمانة بقولها : « والله إن يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

وكم من أناس أصبحنا اليوم نعدم ناجحين في الحياة بمجرد أنهم جمعوا بعض المال والثراء ، أو وصلوا إلى بعض المناصب وبعض الجاه ، وإن كانوا في صعودهم إلى ما صعدوا إليه يمثلون الانتهازية حيناً أو الفساد الانحلال حيناً آخر ، أو الجشع

المقاييس لوزن عظمة نبي الإسلام عليه السلام ، فكيف به وقد كان خاتم الرسل والأنبياء ، وكانت رسالته خاتمة الرسالات وكان هو إمام الأنبياء والمرسلين ، والذين اجتمعوا على التبشير به والدعوة إلى بعض أصول دعوته ؟ وفي الحديث الشريف مامعناه : أعطيت خمسا لم يعطهن نبي من قبلي : جعلت لي الأرض مسجدا وترابها طهورا ، ونصرت بالرعب ، وأعطيت الشفاعة ، وختمت بي الرسالات .

ورسالته صلى الله عليه وسلم باقية إلى قيام الساعة صالحة لكل زمان ومكان .

إن هذه القيمة الروحية هي أسمى القيم ، وأرفع الموازين ، وأكمل الأسس لوزن عظمة نبي الإسلام ؛ ويمكن أن نقول عنه إنه نبي ورسول فحسب ، فكيف بك إذا أضفت إلى ذلك أن شريعته خاتمة الشرائع ، وأنها باقية ما بقيت الحياة ، وأنه نزل عليه الذكر الحكيم كتاباً من الله هادياً ومغيراً وداعياً إلى الله وإلى كل قيم الحياة ومثالياتها ومبادئها الشريفة؟

ورابع هذه القيم : هي القيمة الاجتماعية ؛ إذ تأخذ من منزلة الرجل في مجتمعه ، والتفاف الناس حوله ، وثنائهم عليه ، وحبهم له ، دليلاً على عظمتهم .

وقد كانت منزلة محمد صلى الله عليه وسلم

وحب الثعب والغش وأكل أموال الناس بالباطل حينئذ ثالثاً . . . ولو كانت هناك قيم مرغية لطردتهم هي من مساحة النجاس طرداً ، وأبعدتهم عن ميدان ادعاء العظمة لإبعاداً شديداً .

إن نجاح محمد صلوات الله عليه لم يكن مبنيًا على شيء من ذلك كله ، فهو لم يكن أنانياً ولا ائتمارياً ولا منافقاً ، ولم يكن موارباً ولا مراثياً ولا غادعاً ، ولم يكن سلبياً في حياته ولا ممن يحرصون على الوقوف في الموضع الوسط لإرضاء لكل الأطراف . . بل قد نزهه الله عز وجل عن كل ذلك واصطفاه على العالمين . كان نجاحه صلى الله عليه وسلم في حياته مقروناً بالزمامة البشلى والمبادئ ولاشرف قواعد السلوك الإنسانى الرفيع .

وثالث هذه القيم : هي القيمة الروحية وهي قيمة لها خطرهما . فالصالح الدينى عظيم لانه يمثل قيمة روحية خاصة ، والنبي عظيم ، والرسول عظيم ، لأنهما يمثلان قمة القيم الروحية .

ولقد نزلت آخر الرسالات على محمد ابن عبد الله ، وشرفه الله بها ، فأدى الرسالة وبلغ الأمانة ، ودعا الإنسانية كلها إلى الإيمان بدعوته ، فأمن بها الكثير من الأمم والشعوب والجماعات والأفراد . . ومن هنا كان نزول الرسالة عليه صلى الله عليه وسلم ، أعلى

واحدة ، ووحيد بينهم في الشرائع والقوانين والالتزامات والأهداف ، فهو رائد لقومية المسلمين .. وهو بذلك أكبر من عظيم وأكثر من رائد وداعية ، صلى الله عليه وسلم .

وسادس هذه القيم : هي القيمة الفكرية التي تبنى عظمة الرجل على فكره وآرائه ومبادئه التي يمثلها ويدعو إليها .. وتفكير الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم وإن كان مستمداً من رسالة السماء فهو يمثل في شق وجوهه الحرية والثوري والمساواة ، ويمثل الحق والعدل والإخاء ، ومحارب الظلم والفساد والانحلال ، وينبئ على الدعوة إلى حمل المسؤولية ونشر العلم والعمران والحضارة في الأرض ، ويقوم على عمدة راسخة من الوازع الديني في النفس ومن الضمير الحر الدقيق الإحساس بكل شيء ومن تمثل الجزاء الإلهي والخوف من العقاب الأخروي ، وهو فكر حرر الحياة من نظام الرق والإقطاع والوحشية والجاهلية الأولى ، ونقلها إلى عهد جديدة من المعرفة والحضارة والأخوة في الله وفي الدين وفي المسؤولية .

وسابع هذه القيم : هي القيمة الإنسانية ، التي تأخذ من حياة الرجل - لا في مجتمعه وبين قومه لحسب - بل في صميم الإنسانية كلها ، ميزانا لوزن عظمة الإنسان ..

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم الأب الروحي للإنسانية كلها ، اتسع تفكيره لكل

في المجتمع المكي وفي المجتمع المدني وفي المجتمع العربي والإسلامي ، بل الإنساني ، منزلة رفيعة لم يدركها أحد ، ولم ينلها إنسان من قبل ولا من بعد .. وكان سعى الرسول لحير المجتمع سعياً رائعاً عظيماً يتحدث به كتب السيرة النبوية الشريفة .. كان يعطف على المرأة والحامد والعامل والفقير والمريض ، كان يقيم المجتمع على دعائم متينة من الحب والإخاء والمساواة والتكافل الاجتماعي والرحمة والبر . حرر الأرقاء ، أعلى منزلة المستضعفين ، لم يجعل للحاكم فضلاً على المحكوم ولا للقيى فضلاً على الضعيف .. إلى غير ذلك من المبادئ التي لا يتسع الوقت لتفصيل الكلام فيها .

وعامس هذه القيم : هي القيمة القومية التي تأخذ من زعامة الرجل في قومه ودعوته لم إلى قومية واحدة وإلى وحدة تجمع جميع أجناسهم وأصولهم وشعوبهم دليلاً على عظمتهم .. وبهذا المقياس تستطيع أن تقول إن نبي الإسلام كان عظيماً حقاً فقد جمع العرب على كلمة واحدة ، ووحيد بينهم وألف بين قلوبهم ، وأعلى قوميتهم ورفعها مكاناً عالياً ، وساوى بينها وبين القوميات الأخرى في الحقوق والالتزامات ، فلم يكن داعية عنصرية ، ولا ممن يفضلون جنساً على جنس ، ولا لوناً على لون ، ثم جمع المسلمين جميعاً في قومية إسلامية

عظمة الإنسان ومدى قوة شخصيته في الحياة ، وبأى ميزان وزن محمد نبي العرب ورسول الإسلام ، نخرج بنتيجة واحدة هي عظمة هذا النبي الرسول ، عظمة خارقة للعادة خارجة هلى المألوف ، عظمة لم يدركها أحد من رواد العالم ، ومفكرى الإنسانية ورسلا البررة الأوفياء .

الهم إلا ميزانا واحدا ، هو ميزان الشرك والضلال والإلحاد والمادية الكافرة بكل دين وبكل رسول وبكل كتاب ، فإنه لا شأن لنا مع الذين يحاولون رد الإنسانية إلى حياة الغاب ونظام الجاهلية الأولى ، عن لا يعرفون بحقيقة ، ولا يؤمنون بأية قيم روحية أو غير روحية .

إن محمد بن عبد الله الرسول العربى ، خاتم الرسل ، وآخر النبيين ، قد كان فى كل أطوار حياته ، وفى جميع شئامه وأخلاقه وصفاته ، عظيما ، انتقل إلى الرفيق الأعلى بعد أن ترك دولة قتيبة ، ألقى القدر فى يديها زمام العالم لعدة أجيال ، وأقامها حارسة الحضارة والحرية ، واعتز بها التاريخ ومزرا لكرامة الإنسان وإردته ومثلاليات الحياة الكريمة وروحيتها الصافية الصادقة .

فأعظمه نبيا ، وما أرفعه رسولا من عند الله ، مبشرا بالحق ، وداعيا إلى الله وإلى صراط مستقيم .

محمد عبد المنعم فغابى

الأمم والشعوب والعناصر والأجناس والألوان ، دعا إلى وحدة العالم تحت شعار شريعة مطهرة منزلة من السماء ، أقام حدودا للعدالة دخل فيها كل صاحب رأى وصاحب دين وكل ذى عنصر أو جنس لا يمت إلى العرب ولا إلى العروبة بسبب .

كان قلبه الكبير يحزن للإنسانية وهي تهوى فى هوة سحيقة من الشرك والوثنية . فيدعوها إلى توحيد الله وعبادته وطاعته وحده ، وكان قلبه يخفق كلما رأى دليلا من دلائل الخير فى الناس والإنسانية .

إن نبي الإسلام بحق يعد الزعيم الأكبر والإمام الأعظم للبشرية كافة . دينه لكل الناس . الكتاب المنزل عليه موجه إليهم جميعا . وما أكثر ما صدرت آياته وسوره بـ « يا أيها الناس ، فقتريعات الإسلام ونظمه وقوانينه تستهدف الخير للناس كافة ، وتعمل على إقامة مجتمع إنسانى حر كريم تشمله الرفاهية والسعادة والتعاون بين الناس جميعا وتظله الحرية والمساواة والإخاء بظلمها الوارف الأمين .

٤ — هذه هي موازين العظمة ، فانظر بالله كيف تنطبق كلها على هذا الرسول العربى الأمين على هذا المبعوث من الله رحمة للعالمين ، على من نزل عليه القرآن هدى ورشدا ونورا لكل الناس أجمعين .

وقد تكون هناك موازين أخرى لوزن

دين الخلود

للأستاذ محمد أمين هلال

أن الإسلام لم ينه من عزيمته أو يفل من سطوته طغيان يتعصب ، أو عدو يترقب ، بل ساح حملته في آفاق الأرض يعرضون على الناس آياته ، ويتحدون المعاندين بأدابه وعظاته ، وتفرض ذرو الأبواب في ملاح هذا الدين ومحسوا عناصره ، فلبا وعت قلوبهم ما سمعت ، وبرئت عقولهم مما ورثت ، جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا .

ولم يكن من العجب أن نرى كثيراً من فلاسفة أوروبا المتعصبين يعترف هذا الدين المحمدي بأن فيه صلاح الدين والدنيا فيقول الفيلسوف الانجليزي «كارلايل» في كتابه الأبطال وديانة الأبطال (أى دليل تريد على صحة من يدعى لك أنه بناء ، أقوى من أن يبنى لك بيتاً كبيراً يسع الملايين من المتانة بحيث يبقى مئات السنين ، كذلك أى دليل تبغى على صدق محمد فيما يدعيه من النبوة أكبر من أن يأتي للناس بدين يهديهم به ويدفعهم في طريق الحياة الفاضلة وأن يبقوا محافظين عليه ومتحمسين له أكثر من اثنتي عشر قرناً . ألا فليعلم الناس أن مثل الباطل كمثل ورق البنك الزائف : يمر من يد ويدين ثم يضبط

يقوم الإسلام على أساس من العقل والمنطق والتفكير السليم ، وكما يدهو دستورهِ الأعظم في كثير من آياته وبيناته إلى التفكير في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء . يدهو كذلك إلى تحكيم الكتاب في أهواء النفوس ليكشف عنها وفي مزالق الآراء ليهدي إلى صوابها وفي نواجم الفتن ليحط غمها وفي معترك الشهوات ليكسر شرها ، وفي مفارق سبل الجاه ليدل إلى أقومها ، وفي أسواق المصالح والمفاسد ليميز بين الحلال والحرام ، وفي مجامع العقائد ليميز حقاها من باطلها ، وفي شعب الأحكام ليقطع فيها بفصل الخطاب .

وهذا من أسرار هذا الدين الذي أرسى الله قواعده يوم أرسى الجبال ، وأمسكه يوم أمسك السموات والأرض أن تزولا .

وكان من مدلول الإسلام ومفهوم الجهاد الترجمة عن شيء واحد هو الإخلاص للدعوة والبذل في سبيلها وعدم التلبك في إشغال نورها ، والاندفاع قدما في إتمام ظهورها . والمتتبع لتاريخ هذه الدعوة منذ أوحى الله لنبيه « وأنذر عشيرتك الأقربين » ، واصلح بما تؤمر ، إلى اليوم . يرى

ويعرف أنه زائف فلا يرفع به أحد رأساً . ولكن الإسلام هدى العقول كل هذه الأجيال وأهله أشد اعتداداً وتمسكاً به من أى أمة بدينها في الأرض) . . هذا إلى شهادات « دودبانوس ، الوزير الغربى (إن الإسلام مكمل للإنسانية لا غموض فيه وأنه يقرر الوحدةانية فسلم من التناقض والمعارضة العقلية .) وجوستاف لوبون (من أن التعاليم الأخلاقية التي جاء بها القرآن هي صفة الآداب العالية والمبادئ الخلقية السكرية) .

وبرناردشو (بأنه دين ذو حيوية مدهشة وأنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع أن يكون جذاباً لكل جيل من الناس ، ولقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لدى أوروبا غداً . وقد بدأ يكون مقبولا لديهم اليوم ، وإني أعتقد أنه لو تولى رجل مثل محمد حكم العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة الذي هو في أشد الحاجة إليهما) .

ولسنا بحاجة بمقد إلى الاسترسال في نقل شهادات المنصفين من الغربيين وهي عدد كثير فاضت بها المجلات والصحف وإنما نقلنا هذه اللبحات ليطمئن بعض المتشائمين بأن ديناً وعد الله بأن يتم نوره على العالم كله ولو كره المشركون هو وعد حق ولن يخلف الله وعده ولكن كثيراً

من الناس عن آياته لغافلون . وكان من آيات هذا الوعد الحق أن مرت هذه الحقب الطويلة تحمل في طياتها هذه السكوارث والزوابع يزجها غل دفين وتوحش مريع ، ورجفت ببلاد المسلمين الراجفة تقبعها الرادفة من عنف هذه الويلات وزلزلت الأرض زلزالها . ثم ركبت العاصفة واستقرت الأرض وتبين أن الرذاذ لا يقوض شاخ البناء وأن سحب الباطل تبددت تحت حرارة الشمس التي جعلها الله هداية للعالمين .

١ - قرأت في عددى شعبان ورمضان الماضيين كبتين لأخوين قاضين عما يوقعه المستعمرون الفرنسيون بالمسلمين في جمهورية « تشاد » الإفريقية . وعن هذه الحرية التي ينفذ من بعض نوافذها المكسكون للنيل من الإسلام وتعاليمه ، فأحببت أن أستعرض بعض لمحات غامضات في تاريخ الإسلام حيال خصومه ، أولئك الذين نكسوا على أعقابهم وقطع دابرهم وكانوا مثلاً وسلفاً للآخرين .

٢ - في القرن الثالث الهجرى في أواخر دولة الخليفة العباسي « المعتمد على الله » ظهر رجل بسواد الكوفة يبطن الكفر ويتظاهر بالإسلام واستهوى بعض العوام بما كان يظهره من النفاق والصلاح وانتشر مذهبه وهاث في الأرض فساداً وبلغ من جرأة أنصاره أن استغلوا ضعف خليفة بغداد

شوكة هذه الدعوة واستماعت بالانفاق والغدر فكان ابن عطاش هذا يرسل أصحابه لقطع الطريق وأخذ الأموال وقتلوا من قدروا على قتله فقتلوا خلقا كثيرا لا يحصى لكن إحصاؤهم ، وهم مع دعواهم الإسلام ، يدينون لإمام لهم يقبلون قوله إذ أباح لهم ما حظره الشرع أو حظر عليهم ما أباح الشرع ، ويبطلون ظواهر القرآن ويؤولون كلماته تأويلا أدخل في باب السخرية وحمل الشيطان ، فصرفوا الالفاظ عن ظواهرها إلى معان أخر غير مفهومة إلا لهم بادعائهم ، حتى إنهم تركوا أحكام الإسلام من صلاة وصوم وزكاة وحج زاعمين أن لها معاني غير ما عمل به رسول الله وجمع عليه المسلمون ، وهذا توصلوا إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها عن معانيها وتزييلها على معان أخر على رأيهم الفاسد : فطغيان فرعون : لإشارة إلى القلب وإنه هو الطاغى على كل إنسان . واخلع نعليك : أى نفسك ، وألق عصاك . كل ما تعتمد به ما سوى الله فينبغى أن يكفيه ، وبيا فاركونى برداً وسلاما على إبراهيم : المراد تخليصه من يد الظالم من غير أن يكون هناك نار ولا حطب ، وربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، لأنه الحب والعشق : وهكذا حتى أرسل الله عليهم السلاطون محمد السلجوقي وأمراده فأذهب ربحهم واستأصل عقيدتهم .

ووافوا باب الكوفة منصرف الناس من صلاة العيد فأوقعوا بالمصلين ، وأغاروا على قوافل الحجاج الآتية من مكة إلى خراسان والعراق فلم يتركوا من هؤلاء الحجاج من يخبر بخبر وأخذوا من الأموال شيئا عظيما وفي سنة ٢١١ سار أبو طاهر القرمطي إلى جهة البصرة فدخلها وقتل حراس حاميتها ووضع السيف في أهلها وتوجه إلى طريق الحجاج ليلقاهم عند رجوعهم إلى مكة فأوقع بقافلة تقدمت معظم الحجاج ، ثم أوقع بباقي الحجاج وترك من سلم من الموت في الصحراء فمات أكثرهم جوعا وعطشا من حر الشمس . وفي سنة ٣١٧ فعل أبو طاهر هذا ما هو أشنع وأدمى . ذلك أنه صار بجيشه إلى مكة فواقها يوم التروية فلم يرح حرمة البيت الحرام بل نهب هو وأصحابه أموال الحجاج وقتلهم في المسجد الحرام وفي الكعبة وقلعوا الحجر الأسود ونقلوه إلى هجر نخرج إليه أمير مكة في جماعة من الأشراف فقتلهم أجمعين وقلعوا باب البيت وطرحوا القتلى في بئر زمزم ودفنوا الباقين في المسجد الحرام حيث دفنوا بغير غسل ولا كفن ولا ضل على أحد منهم وأخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه ونهب دور أهل مكة .

٣ - في القرن الخامس الهجرى اتسعت الدهوة الباطنية الإلحادية وكان من دعائها أحمد ابن عبد الملك بن عطاش بن الصباح وقويته

٦ - وجاء العصر الحديث والعزم القديم
 كامن بين الجوانح المطوية على البغضاء
 والتعصب ، وكانت ظروف الهجوم موافقة
 لضرب الإسلام في صميمه وتمزيق أمته
 الكبرى شعوبا وقبائل ثم توزيعها أسلaba
 فائرة مفكوكة ، وحلوا على دولة الخلافة
 يومئذ وسموها الرجل المريض ، فقطعوا
 أوصالها وشجعوا رعاياها المسيحيين بالثورة
 عليها وانتزعت فرنسا مثلاً الجزائر وتونس
 وإيطاليا : ليليا وأغرقت دول البلقان
 بمهاجمتها ، ولما خشي د بوانسكاريه ، رئيس
 جمهورية فرنسا أن تغلب الدولة على هذه
 الدويلات صرح بأن أوروبا لا تسمح بأى
 تغيير فى حدود البلقان ، وحين رأى أن ريح
 النصر اتجه إلى هذه الدويلات أعلن أنه
 لا يجوز أن يحرم المنتصر من ثمار انتصاره
 وبهذا انفصلت ست ولايات من جسم الدولة
 وجاءت الحرب العظمى ودخل د النبي ، بيت
 المقدس مدعياً بأنه بهذا انتهت الحروب الصليبية .

٧ - تلك أحداث وأحوال أشرنا إلى
 بعضها مسرعين إذا حلت بأية أمة لقصص
 عليها ، غير أن الإسلام بحيويته وكونه من
 صنع الله الذى أتقن كل شئ ، لم تزده هذه
 النوائب إلا وضاءة ونورا وكان فى هذه
 الدياجير كالشمس ينبج عن إشرافها القم .
 فكيف يقاس عمل فرنسا فى د تشاد ، من
 اضطهاد اللغة العربية وإغلاق الصحف

٤ - فى القرن الخامس الهجرى شنت
 دول أوروبا حروبا صليبية على المسلمين
 اشترك فيها كبار ملوك أوروبا واقتحموا بيت
 المقدس وكتب قائدهم إلى د البابا ، مهتأ
 مفتخراً بأن خيل المسيحيين كانت تخوض
 خوضاً فى دماء المسلمين ، وظلت هذه الحروب
 نحو قرنين بين أخذ ورد ، حتى بعث الله
 صلاح الدين والخطارفة من المسلمين فطهروا
 البلاد من أرجاس المعتدين وأعادوها إلى
 حظيرة العروبة والإسلام .

٥ - وفى القرن السابع الهجرى خرج
 التتار من أطراف الصين بجيوش لا يعلم
 عددها وقصدوا بلاد تركستان وسمرقند
 وبخارى وخراسان والعراق وسواها فقتلوا
 العلماء والصلحاء والخواص والعوام والنساء
 والأطفال وشقوا بطون الخوامل وأحرقوا
 المساجد والمصاحف وفعلوا أشياء لم يسمع
 بمثلا ، قال هنا ابن الأثير فى كتابه الكامل
 (نال الله لا أشك أن من يجيء بعدنا إذا بعد
 العهد ينسك هذه الحوادث ويستبعدنا ،
 والحق بيده ، فمن استبعد ذلك فليظن أننا
 سطرنا بحق ، وكل من جمع التاريخ فى زماننا
 هذا وكل من فيه يعلم هذه الحوادث ، استوى
 فى معرفتها العالم والجاهل لشهرتها ، يسر الله
 للمسلمين والإسلام من يحوطهم فلقد دفعوا
 من العدو إلى أمر عظيم) . ثم ما لبث هؤلاء
 المخربون أن تبلبل أمرهم وذهب ويحهم .

لا فغالى حين تؤكد أن الإسلام يحمل في مطوياته عناصر الخلود والسمود ، وعال أن يتحمل من هذه العناصر ما دام في الأرض من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ، ومادامت له دهوة شاملة إيجابية إلى العمل المثمر النافع في المحيط الإنساني أجمع ، فليجد جد هؤلاء الأغرار الحاقدين فهم حيال هذا الدين :

كناطح صخرة يوماً ليوهنا

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

إن آية هذا أن كل مسلم في بلاد العروبة والهندوباكستان وأندونيسيا واليابان وفارس وتركيا وجزر الفلبين وأوروبا وإفريقيا وأنحاء آسيا ، كل مسلم في هذه الامبراطورية الشاسعة المتعددة اللغات والألوان والأهداف والاجناس ، يعتقد في قرارة نفسه أن له وطنين وطناً إقليماً يذود عنه الأعداء ويقتديه بكل مرتخص وغال ، ووطناً إسلامياً هو جزء من الدولة الإسلامية الكبرى ، يهوى إليه فؤاده ويعتبر من فيه إخوة متحابين متعاونين كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى . . وشاهدنا ثورة الجزائر في الطرف الأقصى من إفريقيا كانت تهتز لها مشاعر المسلمين في أقاصي المعمورة وتهب لنصرتها الملايين من المؤمنين وكانت اشتراكية عبر عنها أمير البيان « الزيات » بأنها تؤلف القلوب بألفة الروح وتجمع الشعوب بمجعة الحب وتفرض على

وتمطيل المساجد والعمل على أن يتحمل المسلم من دينه ومساعدة التبشير الكاثوليكي ، بما كان يعملته الغرب لإبان الحروب الصليبية وبما عملته حملة لويس التاسع في دمياط وشمال الدلتا وجنوب الشام .

ولا حاجة بنا إلى القول بأن فرنسا هذه وقد فصلت الدين عن الدولة وأغلقت بعض الكنائس في بلادها وطاردت رجال دينها إبان ثورتها وبعد ثورتها ، فرنسا هذه كانت — نكاية بالمسلمين — تظهر اهتماماً كبيراً بالمسيحيين في الشرق لأنها كانت تطمح في امتلاك بعض الدول العربية ولا سيما سورية ولبنان ، وكانت تعمل جاهدة لتمهيد السبيل إلى ذلك بشق الوسائل ، وكانت أهم تلك الوسائل الاستعانة بالإرساليات الدينية والمؤسسات العلمية لبث الدعوة لها بين أهل البلاد ، وبذلك بذلت جهوداً كبيرة بتكثير عدد المؤسسات والإرساليات وكانت تهتم بالكاثوليك لأنها كانت تعلق أكبر آمالها على مساعدة هؤلاء لتحقيق مطامعها . أم كيف يقاس عمل هؤلاء الأغرار المتطوحين في إنكار بعض الحدود الشرعية والعدول عن ظواهر الآيات القرآنية والتدثر زوراً بلبوس « الحرية » بعمل بعض أساتذتهم في الجامعة وغير الجامعة وآراء الملاحدة الأقدمين من قرامطة وباطنية وبهائية ومن إلهم من قطع الله دابرهم وأبطل ما كانوا يصنعون .

باسم الحرية - أن يلهم بنظمها الدستورية أو يتبجح بالطعن في مقوماتها الحيوية .

لأن الإسلام لا يهاب أى هجوم عليه فقد ابتلى في تاريخه الطويل بمثل ما أشرنا إليه في هذا المقال ، ثم تكسدت المهاجمون على حدوده وارتدوا بين ملب لدعوته ، أو مهادن لسلطوته ولم ينسلك عن حمل أهباء الحياة الحرة الكريمة ولم ينكص عن الإقدام في ساحة الجهاد والتضحية أو يخشى عواقب المخاطرة بعد رأى شديد وتأن ليس ببعيد ، وقد رأينا في ثورة الجزائر الإسلامية ، جثو فرنسا على ركبتيها والتسليم بمطالبها ، والفدائية النادرة حيال جيش ضخم منظم مسلح بأحدث أسلحة حلف الأطلنطي مملوء الحقيبة بالدولارات .

والتضحية بمليون من الشهداء ، استعذبوا الكفاح والبذل واثقين بأن فناء في الحق هو عين البقاء . وبعد : فعلينا ونحن نجتاز مرحلة لا تقل شأنًا عن المراحل السالفة ، أن نضع أمام أعيننا عناصر ديننا من الوحدة والتعاون والعلم والمال والقوة ، وننظر إلى الإسلام عقيدة ودعوة وسلطة وحكما ، وأمة تنطوى على مصالح أفراد وجماعات ، جعلها الله خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

محمد أمين هزل

الأستاذ السابق للبلاغة والتفسير بالأهر

الواجد معونة الفاقد وتوجب على الجميع نصرة الواحد ، وتجعل من المسلمين جميعا جسدا واحدا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى كما قال الرسول الأعظم . وكلم مر بالعالم من أمم جر الزمان عليها ثوب نسيان ، حيث وهنت قواها وسقط مستواها وتبعثرت في ربوع الأرض فلم يبق لها في خريطة العالم إلا أطلال دارسة كربع مية في الشعر القديم . موحشا طلل يلوح كأنه خلل . فأين هم السوريان والآشوريون والفنيقيون والحيثيون وسواهم . ومن أمم انقطع بهم الزمن وأدبرت عنهم الحياة وشغلوا الدنيا كثيرا واشتغل بهم الناس قليلا . ثم كانوا رواية لم تتم فصولا ، وكان أهم فصولها ما حرمهم الأقدار من الأخذ بأسباب الحياة الحقة من علم وعمل ، ومواجهة الدنيا بالأعمال قبل الآمال ، وأخذ العدة للتعاب على العقبات وأخذ الدليل لعدم الحيرة في المتاهات .

إننا رغم وثوقنا بموعد الله في حفظ هذا الدين ، ولأننا لحافظون ، لا نترك ذوى المآرب والغايات يعبثون بمقدساته أو يسخرون من تقاليد وعاداته ، وهذه الحرية التي ظلموها وأطلقوها على الفوضى والعبث والتضليل ، لها قيود وحدود ، فلا تضيق إلى درجة السكبت والإرهاق ولا تنسج إلى درجة الفوضى والتدمير وهي لا تعنى حماية الخطأ وإعطائه حق الحياة . وأعظم الشعوب في الديمقراطية لا تجيز لعابث -

الربيع بين أدبي الشرق والغرب

للدكتور جمال الدين الرمادى

أقبل الربيع طلق الوجهه صبوح الحيا
عاطر الأنفاس ، مسكى العبير - وللربيع
عند الشعراء والأدباء وأهل الفكر والفن
منزلة رفيعة - ومقام عظيم ، إذ أنه يوحى لهم
ببدائع التعبير والتصوير ، ومنذ أن خلق الله
تعالى الكون ، والإنسان يلتذ من الجمال
ويطرب من الحسن ، ويبت ذلك في نفسه
سروراً وانسراحاً ، يحاول أن يعبر عنه
بالكلام والحديث ، أو بالقلم والقرطاس .
والطبيعة في الربيع تبلغ أوجها وتدرك
ذروتها من الفتنة ، ولذلك وجدنا الربيع
على رأس الفصول المهمة لذوى الأحاسيس
المرهفة والوجدانات الفياضة ومن يتصفح
الآداب العالمية على اختلاف أنواعها ،
وتعدد مصادرها يجد الأدب الرومانى
أو الأدب اليونانى أو الأدب العربى لا يختلف
في جوهره عن الأدب الانجليزى أو الفرنسى
أو الألمانى حيال الربيع ، اللهم إلا بمقدار
أحاسيس الكتاب والشعراء ، وأساليب
طرقهم لفنون الكلام وضروب البيان .
فالآدب اليونانى القديم حافل بذكر الربيع
ومراتى الجمال ، والمروج الخضراء . وقد

أضنى الشعراء الإغريق على الطبيعة أدب
(الميثولوجيا) فأنطقوا الطبيعة ، وجعلوا
لها عالماً يفيض بالحياة ، ويمتلئ بالحركة .
ولا يخلو شعر الملاحم في الأدب الإغريق
الذى انتشر في اليونان منذ القرن الحادى عشر
قبل الميلاد إلى القرن الثامن قبل الميلاد
من ذكر الربيع في قالب أسطورى غلاب
حتى إذا ازدهر الشعر الغنائى في اليونان بعد
ذلك من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن
الخامس ازدهر معه شعر الطبيعة وشعر
الربيع .

وفي الوقت الذى سيطر فيه الشعر التمثيلى
بعد هذا التاريخ لم يكن الشعراء ولا الأدباء
يغفلون الربيع ويدعون الناس إلى المراح
والانسراح ، ويطلبون الانطلاق بين الحقل
الناضرة والزهور المفتحة .

واشتهر الشاعر (تيوقريطس) بنظم طائفة
كبيرة من شعره في الريف حتى اعتبر مؤسس
الأدب الريفى في الأدب القديم - ثم جاء الشاعر
الرومانى (فرجيل) فاقنى أثر تيوقريطس
في أسلوبه الشعرى وألف (أناشيد الرعاة)
التي تغنى فيها بالطبيعة وترنم فيها بالجمال .

تفتحت غلاته هند الشعراء الرومانتيكيين
مثل كولريدج وجون كيتس ، ويرون ،
وشللى ، فجون كيقس يجول بين المراعى
الحضراء ثم يجد فتاة حسناء باهرة الحسن ،
قاهرة الفتنة فيأنس إليها ويتعلق بها ويحبها
حبا عفيفاً عفيفاً لا رجس فيه ولا فجور ،
ويذهب إلى زهرة الياسمين الأبيض الناصع
ليمنظم لها عقداً جميلاً يزين به نحرها البلورى
كفلق الصباح ، ويسجل هذه المغامرة في
قطعة رائعة أطلق عليها « السيدة جميلة
الفؤاد » .

ويرون يهيم بين الغابات يتغنى بآيات
الجمال ، وشللى لا يفوته تسجيل حركة الضوء
أو هزج الطير أو عصف الريح في الربيع
ويرى أن الشعر شئ من الإلهام وهو
الذى يمنح الخلود للأشياء الجميلة وغير الجميلة
وهو ينبجس من أنفاس كما يفيض الشعاع من
الشمس أو العبير من الزهر ، وهو وليد
الفطرة ، والطبيعة ، ويخلق وجوداً داخل
وجودنا .

وفي قصائد شللى « إلى السحاب ، و « إلى
العندليب ، و « جوليان ومادللو ، وغيرها
نحس بالطبيعة وقد رفعت عنها الإزار ،
ونوى الربيع يسعى إليها فيوشيا بآيات
الجمال .

ويعتبر الشاعر « تفسون ، من أروع

واسترعى جمال الطبيعة الفيلسوف أفلاطون
فاهتقد أن الإنسان عندما يحب الزهرة في
الربيع أو الورد الجميل فهو إنما يحب في
حقيقة الأمر فكرة الجمال التى تترامى في
زهرة الربيع أو الورد الجميل لا الزهرة
بعينها ولا الورد الجميل بذاته . وهذا رأى
هو قوام الحب الأفلاطونى .

وكان « أوفيد ، شاعر الحب والجمال عند
الرومان . وزخر شعره بأنفاس الربيع
وطاقت الزهر ، وأريج العطر - وتعتبر
قصيدته « فن الحب ، من أجمل القصائد التى
صور فيها هذه العاطفة النبيلة ، وتعرض فيها
إلى اشتعالها بين الجوانح فى إبان الربيع .
وفي قصيدته « تمحولات ، كان الزمان عنده
كله ربيعاً رضى النفس ، عقب الخطى وكانت
السمات تهب فتزدهر الأزهار من غير بذور -
وتنتج من كل زوج بهيم من غير محراث ،
ويتألق القمح الغزير على أعواده من غير أن
يشق الأرض محراث .

وقد اهتم الشعراء بالربيع اهتماماً كبيراً
على اختلاف العصور الأدبية ومن أروع
ما كتب فى هذا الباب « أدب الرعاة ، الذى
يبلغ ذروته فى الربيع كقصيدة بن جنسون
Ben Jonson الراى الحزين ورواية
(الراعية الوفية) للشاعر جون فلنشر .

غير أن الربيع فى الأدب الانجليزى

ونثر النثرين ، واقسم وصف الربيع عند الرومانقيكيين في أغلب الأحوال بالأحلام والرؤى والخيالات والأوهام .

ومن أبدع الشعراء في هذا الميدان الشاعر الفسريد دى موسيه ، والفونس ، لا مارتين وفيكتور هوجو ، وكان رائد هؤلاء جميعاً جان جاك روسو عاشق الطبيعة الأول الذى يقول عن نفسه : إنه كان يقضى أوقاته في السهر على غير هدى بين المروج والغابات والجبال . أما الربيع في أدبنا العربى فلا يقل أثره عن الآداب الأوروبية ، ويعتبر الشاعر البحرى من أمتع الشعراء العرب في وصف الربيع ، وكان يصفى على أوصافه حلاوة الجرس وعذوبة الإيقاع ومن أروع قصائده تلك التى يقول فيها :

أتاك الربيع الطلق يخال ضاحكاً
من الحسن حتى كاد أن يتكلم

وقد نبه النيروز في غسق الدجى
أوائل وردكن بالأمس فوما

يفتقها برد الندى فكأنه
يبث حديثاً كان قبل مكتماً

فن شجر رد الربيع لباسه
عليه كما نشرت وشيا منمما

أحل فأبدى للعيون بشاشة
وكان قذى للعين إذ كان محرمما

ورق نسيم الريح حتى حسبته
يجسء بأنفاس الاحبة نهما

الشعراء الانجليز الذين تغنوا بالربيع في شعرهم إذ يعتبر أحد زعماء الفن الهيريكى في الشعر .

وقد حبت صورته الجميلة وذكرياته العذبة بين أحضان انجلترا الشعراء الانجليز في بلادهم ، ولا سيما ريف د لتكشير ، الذى قضى فيه الشاعر تنسون أيام صباه وصدر شبابه بين أشجار ومروج مبللة بالندى الناعم كالنوم على حد تعبيره في إحدى قصائده .

ولم يبرع قصاص انجليزى في وصف الريف ومجالى الربيع ، كما برع القصاص الكبير د توماس هاردى ، الذى ألف (تحت الشجرة الخضراء) ، (وعمدة كاستربودج) (والعودة إلى البلد) وما إليها . ففي قصصه نرى أثر الربيع على شخصياته ونلس مشاعرهم تتغير وتبدل كما تتغير الطبيعة وتبدل ، وتأخذ زينتها وتزين في الربيع .

وقد كان للدرسة الرومانسية في الشعر في أوروبا أثر واضح في الكتاب والشعراء الرومانسيين ، الذين هاموا في مجالى الطبيعة وجعلوها روحاً تنطق وتتكلم فضلاً عن أنها توحى وتلهم ، وكانت الصيحة الأولى التى نادى بها زعماء المذهب الرومانسى في أوروبا د هودوا إلى الطبيعة .

فلما بلغ المذهب ذروته في أوائل القرن التاسع عشر نادى زعماءه بقولهم : د اتحدوا مع الطبيعة ، وظهر أثر ذلك في شعر الشعراء

وتناول حافظ إبراهيم الربيع في شعره غير أنه كان كعادته يحافظ على جودة السبك ومثانة الرصف ، وحسن الصياغة - ومن أطرف قصائده ما نظمته في الجزيرة الراقدة بين أحضان النيل .

وتأثر الشعراء إبراهيم ناجي ، وعلى محمود طه ، ومحمود حسن إسماعيل ، والعوضي الوكيل وغيرهم بالنزعة الرومانسية في الآداب الأوربية .

أما في النثر فقد حفلت كتب العرب بوصف الربيع ومن أطرف ما جاء في وصفه « وأما الربيع فهو زوّل الشمس أول برج الحمل ، فعند ذلك استوى الليل والنهار في الأقاليم - واعتدل الزمان - وطاب الهواء - وهب الفسيم إلخ... »

وفي العصر الحديث برع المرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي والمرحوم مصطفى صادق الرافعي في وصف الربيع وحفلت النظرات والعبيرات للمنفلوطي ووحى القلم للرافعي بأروع المقالات الأدبية عن الربيع وأوصافه ومعاله .

أما الأديب الكبير أحمد حسن الزيات فإننا نشتم في كتاباته في وحى الرسالة تفحات شذية مسكية العبر عن الربيع ونحس بحفقات صادقة من هذا الفصل الجميل ؟

جمال الربيع الرمادي

أما الشاعر أبو تمام فقد كانت له فلسفة خاصة في فنه وهي الإتيان بالأوصاف الغريبة التي لم تجر على ألسنة غيره من الشعراء ، وجاءت إليه هذه الفلسفة من قراءاته المتصلة وثقافته المتعددة - وحرصه على التزود من الثقافات الأجنبية في العصر العباسي .

وكان المتنبّي من أقدر الشعراء العرب على وصف الطبيعة ومجالي الربيع وقصيدته في « شعب بوان » من أوضح الأمثلة على ذلك . غير أن وصف الربيع في الأندلس اقسام بساط أخرى وهي المعاني الطريفة الظريفة ، فأوراق الشجر عذارى ، والنضارة ضحك ، واهتزاز الغصون في يد الريح غزل ونسيب ، وممس وتشبيب ، والنهر أشهى ورودا من لمى الحسناء ، ويتعطف مثل السوار في اليد ، وذهب الأصيل يجرى على لجين الماء وما إلى ذلك من المعاني .

واشتهر من شعراء الأندلس ابن خفاجة وابن هاني وابن زيدون وغيرهم في هذا المضمار .

أما في العصر الحديث فقد برع شوقي براءة فائقة في استقبال الربيع ، وفي شوقياته درر غالية عن الربيع - وكان يأتي بالأوصاف البليغة والصور الطريفة ، بيد أنه لم يكن يغرب كشعراء الأندلس في أوصافه ، ويستمدّها مما وقعت عليه عيناه ، أو ارتسم في ذهنه من محفوظة أو مقرونة .

سر هذا الوجود غائب عن كل موجود للأستاذ عباس طه

إن رقيق الوجدان كلما لمس شيئاً أو نظر إلى شيء أحس بوجود الله عز وجل ، وكان شيئاً يضرب على أوتار قلبه الحساسة فتشاهد روحه من وراء ستر ذلك المنظور أو الملبوس فاعله الذي أثر فيه ، ومبدعه الذي تجلى بين خوفه ؛ لأن الروح الإنسانية لا تعقل أثراً بلا مؤثر ، ولا نظاماً بلا منظم ، ولا حكمة بلا حكيم ، ولا سرا بلا علم ، بل وجود الله عز وجل عند الإنسان الذي لم تفسد إنسانيته من أول ما غرس فيه ، فهو أوضح بدهياته وأول أولياته ، متى أحس بروحه أحس به لأنه لا يعقل وجوده بنفسه ، فهو مقترن بوجوده ، والإحساس به ملازم للإحساس بنفسه ، ولا يمكن أن ينطفى ذلك منه وإن كان يغفل عنه : « وائن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ، دأ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ، » ، « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب . »

إحساس بين أحماق القلوب وطوايا النفوس أقرب إلها من الإحساس بأجسامها لأنها

أجنبية عنها يجوز ألا تحس بوجودها كما لا يحس الأجني بالأجنبي ، وأما وجودها فلا يمكن أن تغفل عنه ، ومع وجودها وجوده ، وفي أحماقها مفيض وجوده ، وفي أحداقها النظر إليه ، ومركز في طبيعتها التحويل عليه حتى من الكافرين « وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً . » « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه . »

وسر ذلك أن طفتها معجونة بمعرفته والملمعاً إليه ، والإحساس به مفاض عليها من نوره بحيث يجعلها تذهل من نفسها ولا تذهل عنه ، لحياتها في الحقيقة بأنسه ، وفرحها ليس إلا بنور قدسه ، فلا يمكن أن يفارقها إحساسه ، أو يزاولها إنسانه ، ولكن الناس نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، فبقهره وعظمة قدرته أذهلهم عنه وأبعدهم منه ، فسبحان من يحول بين الموء وقلبه ، ويضع الحجاب بينه وبين ربه ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد .

غاية الأمر أن الأرواح البشرية والخيالات الجسائية التي لا تعرف غير المحسوسات ،

الإشراقات . وأما أنت أيتها العوالم السفلية فليس مقرك إلا عالم الحديد ، وليس لك من هذا المقام إلا صفة العجز والتقليد ، فقلدى الروح فيما توحيه إليك وتلقيه عليك ، فهى التى تعرف وتعترف ، وتسجد وتقرب ، فليعرف كل عالم من عوالمك قدوه ، ولا يتجاوز طوره ، فإن طلبت أن تعرف هوالمك السفلية فقد طلبت أن تحدده ، والمحدد لا يكون إلها للأشياء ، بل يكون له مالها وعليه ما عليها ، وماهى إلا نزعة عباد الأصنام وأسراء الأوهام .

ولعمري لو رجعت إلى نفسك ولم تتقيد بمألوفات حسك ، لو جدتها أول البدهيات ، وأوضح الواضحات ، لا تحصى بوجودك إلا أحسست بوجوده ، غير أنك لا تعرف الحديد ولا تقع عليه بالتسكيف ، والإله يجب أن يكون كذلك ، وإلا لم يكن إلها كما قلنا ، بل أقرب لك الأمر بأن روحك وهى التى أمدتك بكل شئ . وأفاضت عليك كل شئ . ولست شيئاً إلا بها وما أنت إلا هى ، ومع ذلك لا تعرفها ولا تحيط بها بأزيد لطافتها ، وخروجها عن عالم التقييد والتسكيف : د ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً . فما بالك تطمع في إدراك اللطيف القدوس الذى فوق كل شئ وما يماثله شئ .

ولا تتصور غير المكيفات ، ولا تعقل غير المحدودات ، ولا تفهم غير المتشكلات المحصورات ، أرادت أن تعرفه على نحو ما عرفت به مألوفاتها ، وهى لا تعرف إلا ما كان محدداً مقيداً ، وهو يعلو عن الحديد والتقييد ، فأرادت أن تحصره وهو لا ينحصر ، وأن تسكفيه وهو لا يتسكيف ، وأن تنيده وهو لا يتقيد ، وأن تنهيه وهو لا يتناهى ، فنفر منها وبعد عنها ، فلم تقع عليه ، ولم تصل إليه ، ونادى منادى العزة : إنك أيتها العوالم السفلية قاصرة عن درك علاه ، أو بلوغ سنائه ، أو معرفة مداه ، فليس فيك صلاحية لذلك ، ولا خلقت قابلة لما هنالك ، فلك حد مرسوم ، ومقام معلوم ، فكما العين لا تدرك الهواء ، وهى واقفة مع رقتها على ما حد لها من درجتها كذلك الخيال لا يرتفع عن درجة المحسوسات ولا يعلو إلى أفق الروحانيات ومحال عليه أن يعرف رب الأرض والسموات ، الذى جل عن الكيفيات ، وعلا عن القياس ، وتنزه عن إدراك الحواس .

ولكن فيك أيها الإنسان عالماً يعرف التنزيه ، ولا يقف عند التشبيه ، فيمكنه أن يستلمع شعاع تلك الأنوار ، ويرى عظمة سرادقات الملك القهار ، ويلبح بوارق تلك الحضرات ، ويكتحل بمجال تلك

وجدت كل شيء بعد ذلك أكتف من ذلك الوجدان ، ولا معنى لأن تطلب شيئاً يجده في نفسك وتحسه في أعماق قلبك .

ولا بأس أن نورد هنا بدهيات محسوسة وتجارب ملموسة ذلك أن الحيوان إذا ضربه ضارب ، التفت لينظر الضارب ، لأنه لا يجوز أن يوجد ضرب بلا ضارب . فمن أنكر وجود الله وهو يشاهد آثار صنمته ومظاهر قدرته وبدائع حكمته فلا يستحق أن يسلك في عداد الآدميين ، بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ، « ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » ، « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها » .

اللهم يا من ليس في السماء من قطرات ، ولا في الأرض من حبات ، ولا في هبوب الرياح من ولجات ، ولا في قلوب الخلق من خطرات ، ولا في أعضائهم من حركات ، ولا في أعينهم من لحظات ، إلا وهي لك شاهدات ، وعليك دالات ، وبربوبيتك معترفات وفي قدرتك متحيرات . فأسألك يا الله بالقدرة التي تحير بها الأرض والسعوات ، أن تملأ قلوبنا يقيناً ، وأن ترزقنا حبك وحب من أحبك ، وحب ما يقربنا إلى حبك ، وألا تسكننا إلى أنفسنا طرفة عين بمنك وكرمك ؟

هاسي ط

جل أن تشبه الملائكة أو تماثله الروح « سبح قدوس رب الملائكة والروح » بل أنزل بك إلى ما هو أقرب من هذا ، فإنه لا يمكنك أن تعرف عالم الجن ؛ لأنك لا تستطيع أن تعرفه ، بل لديك من الماديات التي بين يديك وتحت أمرك وتعرفك ما لم تصل إليه ولم تعرف كنهه ، مثل السكران والمغتاطيس ، بل لم يعرفوا حتى الآن ما هي المادة وما حقيقتها ، إلى آخر ما قرره العلماء من مواقف العقول التي خروا لها ساجدين ، وظلوا أمامها مبهورين مع أنها من العالم الكشيف لا من العالم اللطيف ، ومن الماديات لا من الروحانيات فما أجدرني أن أفند قول الغزالي :

قل لمن يفهم عني ما أقول

قصر القول فذا شرح يطول

ثم سر غامض من دونه

قصرت والله أعماق الفحول

هذا وما تدركه القلوب وتشاهده البصائر أكبر من كل ما يقال ، ومن ذاق نور الوجود الحق بوجدانه وأدرك الأمر من أصله فهو غنى عن البيان ، ومن وصل إلى حد العيان فلا حاجة به إلى البرهان . وعلى كل حال فنطاق التعبير قصير مهما بالغ صاحبه ، فارجع إلى نفسك تجد الأمر أوضح من الشمس وأبين من الحس ، وإذا عرفت الأمر من نفسك

مَائِقَاتُ الْعَرَبِ الْإِسْلَامِيَّةِ

العالم العربي اليوم

للمؤلف الأستاذ عباس محمود العقاد

The Arab World To-day

إن الإسلام تقبل كثيرًا من شعائر اليهودية والمسيحية ولكنه نقلها إلى العالم العربي ثم استبدل أو اصر العقيسة بأواصر النسب والعصية التي كانت تجمع قبائل العرب كما كانت تفرق بينها .

«العالم العربي اليوم» اسم كتاب بالانجليزية ألفه الأستاذ مورو بيرجر Morroe Berger أستاذ علم الاجتماع بجامعة برنستون والمؤلف على برنامج دراسات الشرق الأوسط في تلك الجامعة .

والمؤلف يصف الديانة الإسلامية بأنها ديانة «مستقيمة بسيطة» أو بعبارة أخرى مباشرة في اتجاهها غير معقدة ، وأنها لاستقامتها وبساطتها لا تزال إلى الآن سهلة الاتجاه إلى «الجاهليين» في القارة الإفريقية ، ولكنه يعود فيقول : إن تقدمها بين هؤلاء الجاهليين ، لا يرجع إلى مجهود مقصود من جانب الإسلام باعتباره قوة عالمية مركزة ، كما يرجع إلى القدوة المباشرة التي تأتي من اتصال المسلمين بغير المسلمين في أوجاء القارة الإفريقية .

ويقع كتابه هذا في قرابة خمسمائة صفحة حافلة بالمعلومات الواقعية عن العالم العربي ، مستمدة من مراجع الإحصاء والملاحظة ، معروضة على أسلوب النظر العلمي في جملتها ، ولكنها تنظر من وجهة نظر غربية كلما رجع الأمر إلى اختلاف التقدير .

والكتاب مفتتح بفصول متعددة عن القومية العربية في الزمن القديم ، والقومية العربية في الزمن الحديث ، وعن العلاقة بين هذه القومية وبين الإسلام بعد بعثة محمد عليه السلام ، وموجز ما يقال فيها :

لأنه يتغلب عليها ثم يخضعها لسيطرتها على غير إرادة منها .

أما اللادينية ، بعد جلاء الحكام الأجانب عن البلاد فصدرها من الداخل لا من الخارج كما كان منذ أوائل القرن الثاني عشر إلى أوائل القرن العشرين ، وليس لها من يقاومها غير المحافظين الذين يكرهون الجديد أو المحافظين الذين يقربون بين القديم والجديد ، ويسمى هؤلاء بالمستحدثين أو المودرنيسنت ، Modernist .

ومن أهم فصول الكتاب فصل عقده المؤلف للبحث عن الإسلام في ناحية التشريع هل هو عقيدة دينية دنيوية أو هو كغيره من الديانات التي تنفصل فيها عقائد الإيمان عن شؤون الحياة ومزاوالات المعيشة ولا سيما شؤون الحكم والسياسة ؟ .

وربما ورد السؤال على صورة أخرى فيقال : هل أحكام التشريع في القرآن مسألة نظام وإدارة حكومية ؟ أو هي مسألة أخلاق وسلوك ديني يستحق به المسلم حسن الجزاء في الآخرة ؟ .

قال المؤلف في الصفحة الحادية والأربعين : إن الصلة المتكينة بين الإسلام والمجتمع العربي نشأت كما رأينا منذ قام محمد - صلوات الله عليه - بمخلاق دولة تنظم العقائد الدينية

والموضوع المهم في الكتاب كله هو موضوع الدين الإسلامي والحركات التي يسميها الغربيون بالعلانية أو الدنيوية Secular وتسمى أحياناً باللا دينية ، عند المقابلة بين سلطة الكهنوت ورجال اللاهوت وسلطة الدولة والحكومة .

ويقرر المؤلف أن الإسلام لم يواجه الحرفات ، اللادينية ، للمرة الأولى .

فقبل احتكاك المسلمين بالعالم الغربي في القرن العشرين كانت لهم صلات كثيرة بالأمم التي خالفتهم في العقيدة وفي آداب الحضارة ، وآخر هذه الصلات من وجهة المبادئ الاجتماعية الفكرية ودساتير السياسة والحكم صلة الإعجاب بالثورة الفرنسية وما نجم عنها بين المسلمين من التفبه لحقوق الفرد وحقوق حرية التفكير ودعوات التجديد والتخلص من القديم .

إلا أن الجديد في الحركة اللادينية الأخيرة أنها داخلية ، في العالم العربي الإسلامي وليست بالحارجية الطارئة عليه من غير قومه وبلاده .

فقد كان المسلم يواجه ثقافة اليونان وثقافة الدول الأوروبية وثقافة الثورة الفرنسية وهو يستعد لها بالمقاومة على ستة أدم مع الطارىء الغريب ، أو الطارىء الذي يستدعى المقاومة

فهل يعتبر هذا المسلم أن دينه تكفل للسليين بنظام المعيشة والحياة العملية ، كما تكفل لهم بشئون الإيمان والعبادة ؟ أو يتبع في نظام المعيشة قانونا موضوعا لا يرتبط بنصوص الكتاب ؟ .

إن المؤلف يقسم المستحدثين أو «المودرنيست» أمام هذه القضية إلى طائفتين طائفة سابقة من أبناء الجيل الماضي ، وطائفة لاحقة من أبناء هذا الجيل .

والفرق بينهما أن أبناء الجيل الماضي الذين درسوا علوم الحضارة الغربية قد درسوها في ديارها وعاشوا بين أهلها وكانوا قلة ضئيلة بالقياس إلى من نشأ بعدهم من المتعلمين المصريين ، فعادوا إلى بلادهم غرباء عنها وكادت الصلة بينهم وبين الجبهة الكبرى من مواطنهم أن تنقطع كل الانقطاع .

والطائفة التالية من تلاميذ الحضارة الغربية قد عرفوها وهم في أوطانهم لم يفارقوها وقد عرفوها في دور التعليم كما عرفوها في بيئات المعيشة الحضرية على الأكثر ؛ لأن هذه البيئات قد تغيرت من الزمن وتشابهت مظاهرها في مدائن الشرق ومدائن الغرب على نحو يقارب التشابه بين مظاهر الحضارة في أمم الغرب نفسه ، حسب اختلاف مواقعها وتقاليدها .

والمعاملات التي عليها العرب ، وقد شمل الإسلام على الدوام كل جوانب الحياة الاجتماعية باعتباره قسطاس أخلاق وآداب ولكنه لم ينجح قط في تقرير شريعة متناسقة من العلاقات بين الناس في مجتمعات المسلمين المختلفة وقد نبه يوسف شاخ وهو الباحث الحجة في هذا المطلب - إلى رأى يقول فيه أن النبي لم يحاول تبديل العرف القانوني عند العرب ، بل أراد أن يعلم الناس كيف يعملون في الحياة الدنيا لكي يظفروا بربحان الكفة في حساب الآخرة .

قال مؤلف الكتاب ما خواه : إن الإسلام لا يكون على هذا الاعتبار دينيا دنيويا ، أو شريعة اعتقاد وشريعة معيشة «علانية» في وقت واحد ؛ لأن المعاملات كما يوجبها على المسلم هي فرائض أخلاق وعبادة لا يلزم من اتباعها أن تكون دستورا للإدارة « العملية » في نظم الحكومات .

ولكن الكثيرين من الغربيين يحسبون أنه قانون عملي ؛ لأنه يوصى بما يوصى به من الأحكام والآداب التي تتناولها القوانين .

والمشكلة « العلانية » في العصر الحاضر كما يراها المؤلف هي محاولة المسلم المستقير أن يدرك الحقيقة ويحسن تطبيقها عملا في هذا الموضوع .

لا تستطيع أن تجد بين العرب طوائف ذات صبغة ديمقراطية حقة - ليبرالية - تسندها وتؤيدها ، وكذلك يرى الباحثون في الإسلام من الغربيين أنه لا أمل للإسلام المتجدد على الرغم من اعترافهم باعتقادهم في الإسلام قوة الخلق والحياة .

ويتحفظ المؤلف في إبداء رأيه بين هذه الآراء ، ولكنه لا يهجم برفض ذلك الرأي الذي يرويه عن سمائم الباحثين في الإسلام من الغربيين ، ولا يخالعه يستطيع أن يخلص من عادة الوزن بالميزانين في القضية الواحدة كلها تعلقت بالشرق والغرب في شئون العقائد ومذاهب الاجتماع .

فهمؤلاء الباحثون الغربيون بقدرهم أن استغراب ، المسلم أو أخذه بنظام من نظم الحضارة الغربية لا يتأتى على غير وجه واحد : وهو الإعراض عن دينه أو الانقلاب عليه .

فأما استغراب المسيحية فغير مستحيل مع بقاء الغربيين على ديانتهم وهي شريعة كالإسلام في مصدرها ، وكأنما وجدت هذه الديانة « الشرقية » غربية منذ اللحظة الأولى ولم « تستغرب » مرات في كل عهد من عهود التاريخ ، وأول هذه المرات لم يجاوز القرن الأول لليلاد عند انتقالها من

وقد ضعفت دواعي المقاومة للحضارة الغربية بين أبناء هذا الجيل لهذا السبب الواضح والسبب الآخر يرجع إلى تقدم المسلمين في سبيل الاستقلال عن سلطان الحكم الأجنبي ، فإن مقاومة الحضارة الأوروبية كانت فيما مضى وجهاً من وجوه التمرد على أبناء تلك الحضارة القابضين على أزمة الحكم والإدارة ... فلما زال هذا السلطان ، أو خفت وطأته ، زال معه سبب كبير من أسباب العداء للتجديد المعصرى والاستحداث في فهم الدين .

ويختتم المؤلف صفحات الكتاب بأسطر قليلة يقول فيها أن مستقبل العرب سيكون من صنع أيديهم بعد اليوم ، وسيتولونه ويتولون أمور دينهم وديانهم كما يفهمونها وسيكون للجمهرة الكبرى شأن لا يتجاهله المصلحون بين ظهرانيهم ، لأن هذه الجمهرة قد أصبح لها خطرهما المحسوس ، وإن نكن في بعض البلدان قد أصبحت مهمة في تقرير سياستها قبل أن تتدرب على ولاية الأمر بأيديها .

قال المؤلف قبل أن يستطرد إلى الفصل الأخير عن التجديد أو الاستحداث وعلاقته بالجمهير :

« إن الحكومات الغربية في الشرق الأدنى

يستقيمون على جادة البحث النزيه وإن
أخطئوا الغرض والتقدير .

ولكن الأمر الذى يستحيل عندهم هو
بقاء المسلم وحده على التدين مع أخذه
بأسباب الحضارة ، ولهذا نقول عنهم إنهم
يزنون بميزانين ولا يساوون بين الحسنيين
في القضية الواحدة .

إنهم لا يقولون : إن الالتئام إلى الدين على سنة
التدين في جميع العصور مستحيل على أمم
الحضارة العصرية .

كلا ! إنهم لا يقولون ذلك فلماذا يقولون
إن حضارة المسلم وتدينه هما المستحيل بين
أمم العالم وحضاراته ؟ .

يقولون ذلك لأنهم يذكرون غيرهم ولا
يذكرون أنفسهم حين يتحدثون عن
المشرق والمغرب ، وأول ما ينسونه
أن الديانة المسيحية التى بقيت في الغرب
هى ديانة شرقية المنبت ، شرقية الأصول
والجذور ، شرقية الروح والفطرة
ولكنها استغربت مع الزمن مرة بعد مرة
ووجدوها غريبة قبل أن يظهروا هم إلى عالم
الوجود غريبين .

هباسي محمود العقاد

فلسطين إلى آسيا الصغرى ثم بلاد اليونان ،
وآخرها فروع المذاهب الإنجيلية ،
في العالم الجديد ، وهى فى أصلها استغراب ،
في بلاد أروبة الوسطى واستغراب فى أمم
الشمال وأمم السكسون .

والمسلم فى حساب هؤلاء الباحثين الغربيين
يبدو ولم كأنه شخص واحد ولد فى عهد البعثة
المحمدية ، وهو بعينه يولد ويعاد ميلاده من
جيل إلى جيل ، ومن أمة إلى أمة ... كذلك
« اليهودى » ، التائه الذى تزعم الأساطير أنه
عاش منذ أيام السيد المسيح ويعيش إلى يوم
هودته فى آخر الزمان !

فهذا المسلم فى عهد البعثة المحمدية هو المسلم
الذى يتكرر ميلاده على عهد التابعين ثم على
عهد الأمويين ، ثم على عهد الأندلسيين ،
ثم على عهد الحضارة الأوربية فى القرن
العشرين ! فإما أن يحمل معه زمانه قبل
أربعة عشر قرناً أو ينتقل إلى زمان آخر ،
فلا يبقى على عقيدة الإسلام .

ولو نظر هؤلاء الباحثون هذه النظرة
بعينها إلى علاقة الحضارة بديانات الأمم على
اختلافها لاستقاموا على جادة البحث وإن
أخطئوا التقدير ... نعم إنهم يستقيمون على جادة
البحث لو قالوا مثلاً : إنهما طريقان لا تلتقيان
فى كل عقيدة وكل أمة : طريق الحضارة والعلم
وطريق التدين والإيمان .

الكتاب

نقد وتعريف : لمؤلف محمد عبد الله السمان

١ - الدراسات النفسية عند المسلمين

للأستاذ عبد الكريم العثاني

نشرت مكتبة وهبة بعابدين هذه الدراسة التي نال بها المؤلف الماجستير في الفلسفة بتقدير ممتاز ، وقدم لطبعتها الأولى الدكتور أحمد فؤاد الأهواني أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة بمقدمة عنوانها : « علم النفس الإسلامي » ، وناقش اعتراضاً قد يثيره هذا العنوان ، حيث لا وطن للعلم ، وليس من شأنه خضوعه للدين ، فلا ينبغي أن يقال : علم نفس إسلامي أو نصراني ، أو علم نفس يوناني أو هندي أو أمريكي ، وإلا لم يكن علم النفس علماً. ويرد الدكتور الأهواني هذا الاعتراض ، ويرى أنه ما دمنا قد أفسحنا المجال لدراسة الظواهر الدينية نفسانياً ، فلا غرابة أن نقول بوجود علم نفس إسلامي ، كما نقول بوجود علم نفس بوذي أو نصراني لاختلاف خصائص كل دين من هذه الأديان .

المؤلف الأستاذ العثاني - وهو أديب

سوري متمكن - يمهّد للبحث بتمهيد مسهب في حوالى أربعين صفحة ، فيعرض فيه موضوع علم النفس ومكانه بين العلوم الأخرى ، وطريقة دراسة النفس عند الغزالي ، ثم مصادر علم النفس : المصدر العام كالقرآن والحديث ، والمصدر النصراني ، والمصدر الصوفي ، والمصدر الكلاسي والفلسفي ، ثم المصدر الخاص ويتمثل في تجارب الإمام الغزالي .

ويقتل المؤلف إلى موضوع البحث فيجعله قسمين كبيرين : حقيقة النفس من البدء إلى النهاية ، جاء سبعة فصول ، هي تعريف النفس في القرآن والحديث والفلسفة ، وجود النفس ووحدها وأصلها ؛ قديمة أم حادثة ، طبيعتها ، علاقتها بالجسد ، ثم وضعها بين البقاء والفناء . والقسم الآخر تناول أحوال النفس بين السالك والماعطف والدين ، وجاء أربعة فصول : الحياة الزوجية بين الدوافع والعادات والإرادة ، الحياة الوجدانية انفعالات وعواطف ، الإدراك الحسي والعقلي ، ثم صلة النفس بالدين والأخلاق .

٣ - تاريخ المغرب الكبير

للأستاذ محمد علي دبور

هذا هو الجزء الثاني من تاريخ المغرب الكبير نشرته دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) المؤلف أخ جزائري وكتابه أول كتاب جزائري يطبع بعد استقلال الجزائر ، وارتفاع علم الإسلام والعروبة فوق أرضها ، قدم له بمقدمة مسببة رجافاً أولها أن يرى إخوانه في الشرق العربي بحيا الجزائر العربية ، وتاريخ المغرب صافياً تقياً من دعايا السياسة القديمة ، ومن أكاذيب المستعمرين الذين لم يألوا جهداً في استغلال تلك الدعاية التي بثها الملوك المستبدون قديماً ضد المغرب ليشوهوا صفحته ، وينفروا الناس عنه ، لكي لا يسلكوا طريق المغرب الذي ثار على الملوك المستبدين ، فأنشأ الدولة الإسلامية الصادلة التي سارت فيه سيرة الخلفاء الراشدين .

في هذا الجزء من تاريخ المغرب الكبير الذي يقع في زهاء أربعمائة وخمسين صفحة ، تناول المؤلف تاريخ الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأموية ، مبتدئاً بغزوة عمرو ابن العاص لبرقة وطرابلس واستخلاصهما من الروم عام ٢٢ هـ ، وتلا هذه الغزوة ، غزوات عبيد الله بن سعد بن أبي سرح عام ٢٧ هـ ، ومعاوية بن حديج السكوتى

وبعد - فهذه الدراسة التي استحققت تقدير ممتاز من جامعة القاهرة على جانب من الأهمية ولولم تتضمن إلا تحقيق أسبوعية فلاسفة المسلمين منذ قرون طويلة بدراسة النفس وفي مقدمتهم الإمام الغزالي - لكانت جدرة بكل تقدير ، وهذه الدراسة - كما يقول الدكتور الأهواني - صورت لنا لأول مرة الغزالي عالماً نفسانياً وضع أسس علم نفس إسلامي بمعنى الكلمة ، إذ له فيه كتب مستقلة برأسها ، مثل معارج القدس ، وله مباحث في شتى كتبه وبخاصة ، إحياء علوم الدين . ولما أن نشير بعد ذلك إلى ملاحظات عابرة لا تقلل من أهمية الدراسة ، فالمؤلف يعتبر دراسته هذه محاولة أولية للعبور بين الماضي والحاضر لتحديد الصلة بين ثقافتنا التاريخية في موضوع النفس ، وبين الدراسة الحديثة والحق أن إبراز هذه المحاولة لم يكن صورة متكاملة في ظل موضوعات الدراسة ، مع أن هذا هو الهدف الأساسي .

كما أن الدراسة امتازت بطابع العرض المزدحم بالنقل ، الخالي من جو المناقشة التي كان يجب أن تكون طابعها .. أما رأى الأستاذ المؤلف فلم يكن له وجود ملبوس في هذه الدراسة الممتعة الشيقة ، فقد حرص على التزام شبه الحياد ولم يقدر له أن يتفاعل مع الآراء إلا نادراً ..

٣ - مهمه معاني القرآن

الأستاذ عبد الرحيم فودة

هذا الكتاب الجديد نشرته الدار القومية، وهو دراسة طيبة تقع في حوالى مائة وثلاثين صفحة، تضم مجموعة من البحوث القرآنية كان المؤلف قد نشرها منذ أعوام على صفحات جريدة الشعب، وقد استعرض فضيلته في تلك الفترة سورة الفاتحة وتسعاً وثلاثين آية من سورة البقرة على الترتيب.

المؤلف كان موفقاً في عرضه لسورة الفاتحة، فهو يناول الألفاظ فيناقشها لغوياً، ويحلل مدلولها تحليلاً دقيقاً حتى يجسم منها معاني كبيرة، وهذا اتجاه طيب، ولكنه في آيات البقرة عنى بأغنى قبل اللفظ في مدلوله اللغوي مع المحافظة أيضاً على تجسيم المعاني لتتكون شبه قضايا أخلاقية وإنسانية معاً، محاولاً ربطها أحياناً بالحياة وأحداثها الماضية والحاضرة. والواقع أن الآيات التي عرضها الأستاذ فودة من سورة البقرة لم تتضمن قضايا خلافية فقهاً أو تشريعاً أو لغة، حتى يمكننا مناقشة رأيه فيها؛ لأنها معاني عامة، تلقى أضواء على مقومات الإسلام وأهدافه، إلا أن في أول سورة البقرة لفظة دالم، قد اختلف المفسرون في تفسيرها وتفسير أوائل السور اختلافاً متشعباً، واقتصر بعضهم على أنها لما استأثر بها علم الله وحده

عام ٤٥ هـ، وعقبة بن نافع عام ٥٥٠ هـ، وتلا هذا ولاية أبي المهاجر دينار على إفريقيا وقتوحه للمغرب عام ٥٥٥ هـ بعد تخلصه من عقبة بن نافع وإرساله إلى الخليفة معاوية ابن أبي سفيان مخفوراً، حيث عاد مرة أخرى ليقوم بغزوته الثانية لشمال إفريقيا عام ٦٢ هـ لينال الشهادة عام ٦٣ هـ ويدفن في أرض الجزائر المسلبة.

ويواصل المؤلف استعراض تاريخ الإسلام في المغرب، والمعارك الطاحنة التي دارت بين جيوش المسلمين وجيوش الروم، وبين هصابات المرتدين من أمثال البربر، وقد سجل جند المسلمين البواسل أروع أدوار البطولة المستمدة من عقيدتهم الراسخة وإيمانهم العميق، وينهى هذا الجزء من كتابه بنهاية الدولة الأموية في المغرب عام ١٣٢ هـ.

الحق أن المؤلف الأستاذ محمد علي دبور لم يكن تاريخه لهذا الجزء من العالم الإسلامي مجرد سرد للأحداث، وإنما كان فوق هذا تحليلاً دقيقاً شيقاً لها، وذا عناية كبرى بتحليل شخصيات القادة والباطال، تحليلاً نفسياً وأخلاقياً ومادياً وأدبياً، وهو في تحليله يكشف عن مكان البطولة، وغنى القيم والمثل. وأهم من ذلك تعقبه لدساتن مؤرخي المغرب من الذين لم يتجردوا من العقلية الاستعمارية في تفكيرهم، وإن تجردوا من كل ما يمت إلى النزاهة والعدالة والإمانة العلمية.

والإنسان العقائدى فى رأى المؤلف :
 ابن لآدم ، إلا أنه ابن بار ، اعتقد بفكرة
 مجردة سامية ، وتفهم هذه العقيدة وتوحد
 معها ، بل ألزم نفسه باتباعها وضبط سلوكه
 بها ، واتخذها محكا لأفكاره وميزانا لأفعاله
 فلا يخرج منها إلا ليعود إليها ، وهو إنسان
 مبدع ، وكل إنسان مبدع بناء ، إنسان عقائدى
 ويرى المؤلف عند الحديث عن الإنسان
 الحضارى ، أن أية حضارة قيامها موقوف
 على وجود الإنسان ، ولا مفر للإنسان
 عند ذلك من الاعتقاد بعقيدة دينية والسبيل
 الوحيد لتحويل الأفكار إلى حقائق علمية
 واقعية ... هو التربية ، فعلى دهاثم من منهج
 قويم الهدف محدد ، يستطيع المربي أن يرسى
 قواعد الحضارة وال عمران الإنسانيين وعند
 الحديث عن الإنسان النموذج قدم المؤلف
 إنسانين نموذجين يقفان على طرفي تقيض :
 الأول إنسان مؤمن هو القمقاع بن عمرو ،
 وهو نموذج لمن تجسست فيهم العقيدة ،
 واتسمت جميع أفعالهم بالإيمان ، والآخر
 إنسان كافر هو أبو جهل ، وهو نموذج لمن
 يظهرون فى مرحلة الإرهاص ويسبقون
 مرحلة التسكين ولكنهم يندثرون فى مرحلة
 البناء الكامل والازدهار .
 المؤلف جال بنا جولة نفسية متمعة فأخرج
 دراسة مركزة على جانب من الأهمية .

محمد عبد الله السمانه

متجاهلا هذا البعض أن الله أنزل قرآنا عربيا
 مفهوما لاتعقيد فيه ، وأنه - سبحانه - لم يشأ
 أن يجعل من ألفاظه طلاسم تحار العقول فيها .
 لقد أعجبنى رأى المؤلف فى أوائل السور
 حيث عرضه عرضاً مركزاً مقنعاً ، فهو يقول :
 ومن أقرب ما قيل فى هذا السبيل : إن
 هذه الحروف البسيطة التى تعرفونها يتألف
 منها ذلك الكتاب الذى لا يدانيه كتاب . .
 ماء . ملح . حديد . جبر . إلخ ، جسم الإنسان
 يتكون من هذه العناصر ، وهى كثيرة ميسرة
 ومع هذا لا يستطيع أحد أن يصنع منها
 جساماً ينبض بالحرارة ويتحرك بالإرادة
 ويسود بالعقل ... هذا الكتاب المعجز
 حامله لا يعرف الكتابة ، ولا يعرف هذه
 الحروف التى يتألف منها الكتاب ولا يستطيع
 هو أو غيره أن يؤلف كتاباً مثله ، ، هذا
 رأى ليس مبتكرا ، ولكن المؤلف قربه
 إلى الأذهان فأضفى عليه مسحة من الجمال .

* * *

٤ - ابن زهراء العقائدى :

للأستاذ حمدى حنبل

هذا كتاب نشرته سلسلة الثقافة الإسلامية
 فى عددها الأخير للأديب الأردنى ، تدور
 أبحاثه حول محور واحد الإنسان ، ، وقد
 سلط المؤلف على الإنسان الأضواء بكشاف
 واحد هو الإسلام .

انبثاء وآراء

تعليق على مقال «السلام بزنجبار»

السيد الأستاذ رئيس التحرير

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فنشكركم شكرًا جزيلًا على ما تقومون به من نشر التعاليم الدينية في مجلتكم الغراء المنتشرة في أنحاء العالم . وإن منفعتها عظيمة يجب الشكر عليها ، ولكم الأجر .

وحيث إن واجب المسلمين أن يزود بعضهم بعضاً بأخبار وأحوال إخوانهم ، كذلك يجب في الوقت نفسه أن يكون التزويد حقاً وأن تكون الأخبار المنشورة موثوقاً بها ، حق يكون المسلمون دائماً على حقيقة واقعة وأخبار صحيحة لا شبهة فيها ولا تحريف ، لذا رأينا من واجبننا أن نصصح بعض ما جاء في كلمة السيد الأستاذ عطيه صقر : حول « الإسلام بزنجبار » ، دون قصد النقد أو سوء الظن فإن نشر الحقائق من واجب المسلمين عامة التعاون عليه . فرجو من حضراتكم التسكرم بنشر هذه الكلمة في مجلة الأزهري .

رئيس جمعية نشر الثقافة الإسلامية بزنجبار

السلام بزنجبار :

١ - ذكر الكاتب أن كثيراً من المساجد أغلقت بزنجبار ، وأن الأمر الدافع لذلك هو تفرق العرب واختلافهم . أما أن بعض المساجد تكاد تكون مهجورة فصحيح . غير أن السبب هو انتقال كثير من جيرانها المسلمين إلى حارات أخرى مما أدى إلى خلو تلك المساجد من المصلين تقريباً . أما العرب فليس بينهم خلاف بوجه عام بل إن مصلحي زنجبار على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم وألوانهم متفقون متآلفون متعاونون . وهذه ليست موجودة في كثير من بلاد المسلمين فالحمد لله وحده .

٢ - جريدة « الفلق » لا يشرف عليها الحزب الوطني كما أشار الكاتب ، وإنما أنشأها ويقوم بأمرها الجمعية العربية الزنجبارية .

٣ - أشار الكاتب عفاً الله — إلى ما يلقى في المساجد من الدروس الدينية في رمضان ، ثم أردف قائلاً : (أن الذين يقومون بها دجالون مستجدون .) فالخاتمة التي نكشفها لحضرات القراء والتي قد خفيت عن حضرة الكاتب نفسه هي : أن أولئك

الزنجباريين أكثر من الواقع الحقيقي ؟ إن فضل انتشار الإسلام في شرق إفريقيا لمن ؟ وأن علماء زنجبار وشرق إفريقيا من أين ؟ إن مقام به علماء زنجبار أمر يستوجب الشكر - والكمال لله وحده . فإنهم علاوة على نشرهم تعاليم الدين الإسلامي في تلك الأصقاع أقاموا لرد سبوم المبشرين والملحدين ودحض حججهم الواهية وحالوا دون تأثير التبشير المسيحي في نفوس إسلامية وغير إسلامية ، والله الحمد . ولولاهم لوجد التبشير بجالا واسما لنشر مبادئه .

٤ - ذكر الكاتب أن الطلبة الأباضيين في المعهد الإسلامي نصف عدد طلبة المعهد وأنه لا يوجد من يحسن دراسة الفقه لهم . كل ذلك مخالف للواقع . فمددكم أقل من النصف بكثير ، كما أن لديهم مدرسا كفؤا لفقه الأباضي .

٥ - ذكر صاحب المقال : أن في بقعة من جنوب الجزيرة يحتفل أهلها بعيد النيروز وأن معظم السكان هناك من الشيعة . أما القيام بالاحتفال فصحيح . وأما أن معظم السكان هناك من الشيعة فغير صحيح على الإطلاق . ذلك أنه لا يوجد في زنجبار من الشيعة إلا فرقة من الهنود والإسماعيلية والإمامية الإثنا عشرية . ومن هؤلاء لا يوجد في تلك القرية أحد ، بل إنهم يسكنون في مدينة

العلماء الذين يقومون بالتدريس في المساجد في رمضان وغيره من الشهور وفي بيوتهم ، إنما يعملون ذلك لوجه الله تعالى - لا يريدون من أحد جزاء ولا شكورا . بل إن أغلبهم يساعدون الطلبة المحتاجين أو الغرباء . إن أولئك العلماء هم الذين لهم الفضل والتسبط الأكبر في انتشار علوم الدين والعربية بزنجبار ، بل وفي شرق إفريقيا كله . وبسببهم بقى في هذه الأصقاع عدد كبير من المتعلمين يعملون معلومات لا يستهان بها في الدين والعربية . وهم الذين كانوا درعا عظيما يصدر تيار التحلل وضعف الجانب الديني وجانب اللغة العربية في هذه البلاد . والمدارس الرسمية في هذه الأثناء بوجه خاص ما أبت للعربية ولالدين شيئا في برامجها . فكان ما يقوم به أولئك العلماء الأبرار زاداً تشربت به قلوب العدد الكبير من سكان البلاد من صفات الفضيلة والمحافظة على التراث الإسلامي .

إن القائمين اليوم بنشر العلم في المساجد وغيرها علماء مختارون ومقدرون عند جميع أهل البلاد . وهم طلبة رجال من مشاهير العلماء ، الذين لهم تأليف إسلامية قيمة تركوا آثارهم مودعة عند طلبتهم الذين يدرسون اليوم ، والذين أشار إليهم الكاتب ووصفهم بتلك الصفات السخيفة . فأى شيء أكبر شهادة تقدمه لدى الكاتب والقراء على منزلة علمائنا

وتضحياته وخدماته الكبرى لدينه وأبناء دينه ، فقد عمل رحمه الله مدرسا بمدراس ومعاهد بتريم ، حضرموت ، ثم ارتحل إلى المهجر «أندونيسيا» فتولى التدريس والنظارة بالمدرسة الخيرية «بسورا بايا» ثم تولى النظارة بمدرسة الرابطة العلوية بصولو وأنشأ فيها قسما داخليا ثم دعى للتدريس بمدرسة «الترقي» في مالانغ والنظارة لها . ثم أنشأ معهد «دار الحديث الفقهية» وتولى النظارة والتدريس فيه ، ثم تولى تدريس التفسير بكلية التربية والتعليم الإسلامية في مالانغ . وقد تخرج عليه كثير . وأسهموا في الكفاح الوطني بنصيب كبير ، وكثير منهم تقلدوا وظائف مهمة في الدولة .

وكان رحمه الله حركة دائمة ونشاطا متصلا في خدمة الدين ونشر الثقافة الإسلامية . رحمه الله وأجزل ثوابه . ونفع بعلمه .

برنامج تنظيم مجمع البحوث الإسلامية :

أعد الدكتور محمود حب الله أمين عام مجمع البحوث الإسلامية برنامجا يشمل تنظيم المجمع وهيئاته ، ولجانه واختيار أعضائه من جميع أنحاء العالم الإسلامي وستعرض هذه التنظيمات على الدكتور محمد الهبي وزير الأوقاف وشئون الأزهر لبحثها تمهيدا لإصدار القرارات المنفذة لها .

ونجبار خاصة : على : أنه قد أخذنا العجب أن يأخذ حضرة الكاتب اهتماما بمثل هذه العادات المحلية وينشرها لقراء مجلة الأزهر ، في حين أنها عادة قديمة لسكان ذلك القسم من الجزيرة لا بأس بها من الناحية الدينية أو الخنقية . كما أن هناك في مصر وغيرها من البلاد عادات خاصة بالأهالي منذ القدم لم يستطع المتعمدون القضاء عليها بسهولة ، ومنها ما تكون منافية لأوامر الدين الإسلامي الخفيف . فإذنا نقول ؟

٦ - فلفت نظر حضرة الكاتب أن أول كنيسة بنيت بنجبار إنما هي بواسطة الإنجليز لا بواسطة البرتغال الذين غادروا بنجبار قبل هذه قرون .

تأبين عالم أندونيسي كبير :

خسرت أندونيسيا والعالم الإسلامي بوفاة السيد عبد الله بن أحمد بلفقيه العلوي مفتي لجنة الإفتاء الشرعي ومدير معهد دار الحديث الفقهية لأهل السنة والجماعة - عالما كبيرا ومجاهدا عظيما وإماما من أئمة الإصلاح والدعوة إلى الله ، وقد أقيمت لتأبينه حفلة كبرى بمناسبة مرور مائة يوم على انتقاله إلى جوار ربه تحدث فيها القائد الحربي العام لجاوى الشرقية بأندونيسيا ، والرئيس العام لمديرية مالانغ ، والوالي على مدينة مالانغ ، وكثير من العلماء والاساتذة . فأشادوا بمجاهده

المجمع هيئة علمية :

وقال الوزير : إن وضع عالم الدين في الإسلام هو أنه باحث يجتهد في طلب الحقيقة وليس معصوما ولا ملزما ويستطيع كل مسلم أن يناقش الرأي ويطلب أدلته وجمع البحوث الإسلامية هيئة عليا أكاديمية للتعاون على البحث وتبادل الرأي ، وما يستقر عليه المجمع من قرارات ستكون معروضة للبحث والناقشة أمام كافة علماء المسلمين إذ أن الشيء الوحيد الذي له حجته الفقهية الملزمة هو ما ينتهي إليه إجماع كافة علماء المسلمين في شتى أنحاء العالم ، لو تصورنا إمكان انعقاد هذا الإجماع .

تنظيم شامل :

وقال الدكتور البهي : إن بجمع البحوث امتداد لجامعة عامة سابقة هي جماعة كبار العلماء وقد جاء تنظيم المجمع أشمل من حيث التكوين فيتألف من أعضاء من الجمهورية العربية ومن خارجها كما أنه أوجد نظام الأعضاء المراسلين والفخرين ومن حيث النشاط : فيبحث جوانب الدراسات الإسلامية المختلفة بما فيها الدراسات القانونية والتاريخية والفلسفية والاجتماعية والاقتصادية وليس مقصوراً على الدراسات التقليدية المتعارف عليها في القرآن والسنة والفقه .

وقال الدكتور محمد البهي وزير شؤون الأزهر : إن الأزهر يرجع في كل مشكلة إلى الأصول الإسلامية ممثلاً في الكتاب والسنة ، لا يضيق بحل المشكلات وإنما جاء التضييق والوجود من الآراء المتأخرة . وسيكون لمجمع البحوث الإسلامية دوره الخطير في هذا الشأن ، وسيضم علماء الإسلام من أنحاء العالم الإسلامي لبحث مشكلات المسلمين المعاصرة وتقديم الحلول لها ، بجانب الدراسات والبحوث الفقهية والتاريخية والاقتصادية وغيرها من الدراسات التي تتناول معالم الإسلام وواقع المجتمع الإسلامي وتبرز توجيه الإسلام في العدالة الاجتماعية والإنسانية .

وتحدث الدكتور محمد البهي عن تكوين المجمع ومهمته قال :

إن المجمع يضم أعضاء من الجمهورية العربية المتحدة وأعضاء من خارجها كما يضم أعضاء مراسلين وفخرين وينظم القانون اجتماعات هيئاته وهي المجلس وهو الهيئة التنفيذية التي تباشر نشاط المجمع وأؤتمر وهو بمثابة جمعية عمومية ، إلى جانب شعب البحث المختلفة بتوجيه وإشراف أعضاء المجمع وتعتبر الإدارة العامة للثقافة والبحوث الإسلامية بالأزهر بمثابة جهاز فني تنفيذي للمجمع .

فتاوى مختارة...!

باب مقدم :
ابراهيم محمد الأصيل

عادات المآتم :

السؤال :

طلب أخ مسلم إلى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت أن يبين حكم الشريعة فيما اعتاده الناس في المآتم وعين على وجه الخصوص :

أولاً : حكم قراءة الصلوات ودلائل الحبيرات بالأصوات المرتفعة أمام الجنائز .
وثانياً : حكم ذبح حيوانات عند خروج الجنة من المنزل ، أو عند وصولها إلى القبر هل مشهد من المشيعين .

وثالثاً : حكم إقامة المآتم ليلة فأكثر على الوجه المعروف الآن في القرى والمدن .

ورابعا : حكم الاجتماع لإعادة التعزية فيما يعرف باسم الخئيس الصغير ، والخئيس الكبير وباسم الأربعين والمواسم ، وباسم الذكرى السنوية من كل عام .

وخامساً : حكم إعلان الحزن بلبس الملابس السوداء وحمل شارات الحزن وما يقبع ذلك من تحريم أهل الميت وأقاربه على أنفسهم بعض الأطعمة .

الجواب :

اعتاد الناس أموراً كثيرة في المآتم وغير المآتم ، ولم يعتمدوا في أكثرها إلا على مجرد الاستحسان الشخصي أو الطائفي وأخذت تنتقل من جيل إلى جيل حتى حمت وصارت تقاليد ، يأخذها حاضر الناس عن ماضيهم ، غير ناظرين فيها إلى أكثر من أنها سنة الآباء والأجداد ، ولم يحذروا من ينكر المنكر منها عليهم ؟ ولعلها وجدت من يبيحها ، أو يستحسنها ويقويها !! فعلها واعتادها غير المتفقهين ، وسائرهم فيها المتفقهون ، واحتملوا إثمها وإثم من ابتكرها وفعلها إلى يوم الدين !! .

استقرت هذه العادات في المجتمعات الإسلامية بلونها الديني حتى ظن غير المسلمين أنها من شئون الإسلام ، والإسلام منها برى .

وبذلك ألصق بالدين ما ليس منه ، واستطاع الزائرون الأجانب أن يتخذوا الهارسو ماشية ، صوروا بها الإسلام في بلادهم على غير حقيقته تشويهاً للجمع الإسلامي ومسحاً للإسلام . ومن هنا عظمت الجريمة وتضاعفت المسؤولية . ولكن على من تقع ؟ ومن عليها بحاسب ؟

أعتقد أن الذين تقع عليهم المسؤولية ، ومحاسبون عليها ، يعلون في قرارة أنفسهم أنهم هم المسئولون ، المحاسبون .

الصمت عند الجنائز :

١ - وتحصيلا لهذه الحكمة السامية طلب الشارع الصمت من المشيعين حتى تخلص العظة إلى النفس ، ويقوى التذكر في القلب ، وفي ذلك ما ورد عن الرسول ، أن الله يحب الصمت عند ثلاث :

جاء الإسلام وللناس عادات ، بعضها حسن طيب مفيد ، فأقرها وقواها .
وبعضها سيئ خبيث ضار ، فأنكرها وحاربها وألغاه .

عند تلاوة القرآن ، وعند الزحف ، وعند الجنائز . ومن هنا علم حكم العادة الأولى ، وحرّم رفع الصوت في تشييع الجنائز ، ولو بالذكر وقراءة القرآن ، وطلب الاستغفار للبيت ١١ وقد روى أن أحد المشيعين لجنائز على عهد رسول الله رفع صوته بالاستغفار للبيت ، فقال له الأصحاب بمسمع من النبي صلى الله عليه وسلم :

وكان هذا هو شأن الإسلام في كل ما جد في ظله من عادات : الحسن ، يقره ويسميه سنة حسنة ، والسيئ يدفعه ويسميه سنة سيئة .
وكان شأن القائمين على أحكام الإسلام وبيانها ، أن يسيروا مع العادات ، حسنها وسيئها ، على هذا المبدأ العام الذي قرره الإسلام في التقرير والإنكار ولكن ... !

المعظم الشرعي :

ولا يغفر الله لك ، وإذا كان رفع الصوت بطلب الاستغفار ، وهو دعاء من الحاضرين للبيت ، بهذه المثابة من الإنكار ، واستحقاق صاحبه المقت والتشنيع والدعاء عليه بالحرمان من مغفرة الله ، فما بالنا برفع الأصوات بغيره ، كالصياح والنياحة والندب وعزف الموسيقى ذات النغبات المحزنة ١٢ .

ولمعرفة حكم الشرع في عادات المتأتم ، وهو موضوع فتوانا ، ينبغي أن يعرف المسلمون ، أن الحكمة في تشييع الجنائز الذي طلبه الشرع وحث عليه ، هي الاتعاط بالموت ، واستحضار جلاله ، الأخذ بالنفوس القاضى على غطرستها ، المذكر بيوم الحساب والجزاء . يوم تجسد كل نفس ما حملت من خير محضراً ، وما حملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً .

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتباع الجنائز التي معها دابة ، والراثة هي المصوتة ، أى ذات الصوت ، فتشمل بعمومها

وقد جاء في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم

إقامة المآتم :

٣ - أما إقامة المآتم ليلة فأكثر على الوجه المعروف من نصب السراقات ، والإنفاق عليها بما يظهر بهجتها ، فهي قطعاً لإسراف محرم بنص القرآن ، وتشدد حرمتها إذا كان وارث الميت قاصراً ، يحمل كل هذه النفقات أو كان أهل الميت في حاجة إليها ، أو كانوا لا يحصلون عليها إلا من طريق الربا المحرم ، ولم تكن التعزية عند مسلمي المصور الأولى إلا عند التشييع ، أو عند المقابلة الأولى لمن لم يحضر التشييع .

الخميس والاربعين :

٤ - ومن هنا ، لم يكن معروفاً في الإسلام ما يعرف اليوم من خميس صغير أو كبير ، فضلاً عن الأربعين والواسم والأعياد ، التي يحدد فيها الناس اليوم الأحران ويصعدون بها المآتم ويشغلون بها الناس عن أعمالهم النافعة في الحياة

لعمري لا امرأة على زوجها :

٥ - ومن عادات المآتم ، إظهار الحزن بالامتناع عن صنع بعض أنواع الأطعمة أو تناولها وبالملايس السوداء ولو برباط العنق الأسود ، وأن يستمر ذلك مدة قد تبلغ سنة كاملة ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن استدامة الحزن وإظهاره فوق ثلاثة أيام إلا لامرأة مات عنها زوجها ، لجعل لحزنها مدة هنتها ، أربعة أشهر وعشرة أيام .

النائمة والموسيقى والغاري والذاكر فكل ذلك أمام الجنائز حرام ومنهى عنه .

وليس من شك في أن هذه المظاهر - فضلاً عن أنها تحول دون التذكر والاتعاظ بشير الأحران وتضاهف الأسى ، وتخلع القلوب ، وتأخذ بها عن جميل الصبر وفضيلة الرضا بقضاء الله .

وقد سمع عمر بن الخطاب مرة ندباً ونياحة ، فدخل مكان الصوت ، وأخذ الحاضرين بذرته حتى بلغ النائمة فضر بها حتى سقط خمارها ، وقال لمن معه : « اضرب ، فإنها نائمة ولا حرمة لها ، إنها لا تبكي لشجوك ، إنها تريق دموعها على أخذ دراهمكم ، وإنها تؤذى موتاكم في قبورهم ، وأحياءكم في دورهم ، إنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه ، » .

ولا أدري ماذا كان يفعل عمر لو رأى ما نرى وسمع ما نسمع : في الشوارع ، والمقابر ، والنوادي ، ماشيات ، حافيات ، راكبات ، قد صبغن وجوههن وملابهن ، وغيرن خلق الله ؟ .

الخرج عادة جاهلية :

٦ - أما الذبح عند خروج الجثة ، أو عند وصولها إلى القبر ، فهو عادة جاهلية وقد نهى النبي عنها بقوله : لا عقر في الإسلام . وهو بعد ذلك لون من ألوان المباهاة والفخر ، وللصدقة مجالها في المكان والزمان والأشخاص

بَيْنَ الصَّحْفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق : د. سنان عبد الرحيم فودة

الجهنم والجنة بالله لا بجمعهما :

المؤمن من يوقن أن الآجال بيد الله يصرفها كيف يشاء فلا يفيدته التباطؤ عن أداء الفروض زيادة في الأجل . ولا ينقصه الإقدام دقيقة منه .

المؤمن من لا ينتظر بنفسه إلا إحدى الحسنين . إما أن يعيش سيداً عزيزاً . وإما أن يموت مقرباً سعيداً وتصدق روحه إلى أهل عليين . ويلحق بالمكرمين والملائكة المقربين .

من يقوم أنه يجمع بين الجنة وبين الإيمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقد غش نفسه . وغرر بعقله . ولعب به هوسه ، وهو ليس من الإيمان .

لهذا تؤمل من ورثة الأنبياء أن يصدّوها بالحق . ويذكروا بآيات الله . وما أودع الله فيها من الأمر بالإقدام لإعلاء كلمته . والنهي عن التباطؤ والتقاعص في أداء ما أوجب الله من ذلك .

وفي الظن أن العلماء لو قاموا بهذه الفريضة (الأمر بذاك المعروف . والنهي عن هذا المنكر) زمناً قليلاً . وورعظوا الكافة بتبيين معاني القرآن الشريف . وإحيائها في أنفس المؤمنين . لرأينا لذلك أثراً في هذه الأمة يبقى ذكره أبداً الدهر وشهدنا لها يوماً تسترجع فيه مجدها في هذه الدنيا . وهو مجد الله الأكبر ، فاثقون بما ورثوا عن أسلافهم . وبما تمكن في أفئدتهم من آثار العقائد لا يحتاجون إلا لقليل من التنبيه . ويسير من التذكير . وينهضون نهضة الأسود فيستردوا مفقوداً ، ويحفظوا موجوداً ، وينالوا عند الله مقاماً محموداً .

الإمام محمد عبده

من مجلة العروة الوثقى

* * *

المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . وفي كل خير . احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان

الموضوع من الأستاذ أحمد المصري السكرتير العام لنقابة البحارة بالإسكندرية يلخص فيه ذكرياته عن أوائل تاريخ هذه الكلمة باللغة العربية فيقول : إن أول من كتب عن الاشتراكية في العربية هما السيد جمال الدين الأفغاني والأمير شكيب أرسلان ، وأنهما نشرأ أبحاثاً عن الاشتراكية في الإسلام ليعارضا بها الاشتراكية الغربية .

المقادير

من جريدة الأخبار

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يستغن عنه ويذمم

زهير بن أبي سلمى

إن الأشعريين إذا أرموا (اقترحوا) في الغزو ، وفنى زاهم أو قل طعام عيالهم بالمدينة . جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد . ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم .

حديث شريف

من كتاب رياض الصالحين

الأصل في الأشياء الأربعة

كان أول مبدأ قرره الإسلام : أن الأصل فيما خلق الله من أشياء ومنافع ، هو الحل والأباحة ولا حرام إلا ما ورد نص صحيح

كذا وكذا . ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل . فإن لو تفتح عمل الشيطان .
« حديث شريف »

تاريخ كلمة « اشتراكية »

... وقد كانت المناسبة ... أن أحد كبار الأدباء الأتراك كان يغشى مجلس جمال الدين « الأفغاني » ، وأن جمال الدين كان يحترمه لذكائه وحسن أدبه ، وكان الرجل أشد حرصاً على الاقتباس من آراء السيد والتلذذ عليه . وقد سأله يوماً عن حكم الدين الإسلامي في المذهب الاشتراكي . فأسهب السيد في بيان هذا الحكم وأنكر آراء القائلين بمخالفته لأصول الإسلام مؤكداً سبق الإسلام إليه بالأدلة المفصلة من الكتاب والسنة ووقائع التاريخ ، ثم ختم كلامه بعد الإفاضة فيه من زيادات الرواية قائلاً : إن اشتراكية الإسلام هي عين الحق . وإن الحق أحق أن يتبع .

ويؤخذ من مقدمة الحاضرات « خاطرات المنحزومي باشا » أنه رواها عن السيد جمال الدين أثناء مقامه بالآستانة في الفترة بين سنة ١٨٩٢ وسنة ١٨٩٧ وقد كانت كلمة اشتراكية معروفة - إذن - قبل بداية القرن العشرين بوضع سنوات .

وقد تلقيت رسالة أخرى في هذا

فهو باقى على أصل الإباحة ، وفى دائرة العفو الإلهى .

وفى هذا ورد الحديث : ما أحل الله فى كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام . وما سكت عنه فهو عفو . فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن ليفسئ شيئاً ، وتلا : وما كان ربك نسياً ، (٤) . وعن سليمان الفارسى (٥) سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السمن والجبن والفراء فقال : (الحلال ما أحل الله فى كتابه ، والحرام ما حرم الله فى كتابه ، وما سكت عنه فهو مما عفا لكم) (٦) فلم يشأ عليه السلام أن يجيب السائلين عن هذه الجزئيات ، بل أحاطهم على قاعدة يرجعون إليها فى معرفة الحلال والحرام ، ويكفى أن يعرفوا ما حرم الله فيكون كل ما عداه حلالاً طيباً . وقال صلى الله عليه وسلم (إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبجشوا عنها) (٧) الأستاذ يوسف القرضاوى من كتاب الحلال والحرام

صريح من الشارع بتحريمه ؛ فإذا لم يكن النص صحيحاً - كبعض الأحاديث الضعيفة - أو لم يكن صريحاً فى الدلالة على الحرمة ،بقى الأمر على أصل الإباحة وقد استدل علماء الإسلام على أن الأصل فى الأشياء والمنافع الإباحة ، بآيات القرآن الواضحة من مثل قوله تعالى : (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً) (١) ، و(يسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه) ، (٢) ، ألم تر أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأصبح عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، (٣) وما كان الله سبحانه ليخلق هذه الأشياء ويسخرها للإنسان ويمن عليه بها ، ثم يحرمه منها بتحريمها عليه . وكيف وقد خلقها له ، وسخرها له وأنعم بها عليه ؟

ولأنما حرم جزئيات منها لسبب وحكمة سندكرها بعد .

ومن هنا ضاقت دائرة المحرمات فى شريعة الإسلام ضيقاً شديداً ، واتسعت دائرة الحلال اتساعاً بالغاً . ذلك أن النصوص الصحيحة الصريحة التى جاءت بالتحريم قليلة جداً ، وما لم يحى نص بإباحته أو حرمة ،

(٤) سورة مريم : ٦٤

(٥) رواه الحاكم وصححه وأخرجه البزار

(٦) رواه الترمذى وأبو ماجه

(٧) الأستاذ يوسف القرضاوى من كتاب

الحلال والحرام دواء الدارقطنى وحسنه

(١) سورة البقرة : ٢٩

(٢) سورة الجاثية : ١٣

(٣) سورة لقمان : ٢٠

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
لكنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

تصديده عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر بحري

الجزء الثالث — السنة الخامسة والثلاثون — جمادى الأولى سنة ١٣٨٣ هـ — أكتوبر ١٩٦٣ م

١٤
٢٢٢٢٦
دور

السلامة العامة

الوحدة الإنسانية مزية الدعوة المحمدية

بقلم : أحمد حسن الزيات

أدرك الزنوج السود والهنود الحمر أخيراً أنهم لا يزالون في الدركة السفلى من سلم المجتمع المسيحي الأمريكي بعد أن شاركوا القوم في لغتهم ودينهم وثقافتهم وحضارتهم ، وأعلموا إلى إعلانهم حقوق الإنسان في (هيئة الأمم المتحدة) في ديسمبر من عام ١٩٤٩ ، وظن أبناء الأب حام أنهم أصبحوا في ظلال الإغاثة والحربة والمساواة لإخوة لأبناء العم سام ، يتمتعون معهم بكرامة الآدمية ونعمة الديمقراطية ونعيم الحضارة ... أدركوا بعد أولئك كله أنهم ما زالوا يعاملون في وطنهم ومن مواطنهم معاملة المنبوذين الانجاس ، لا يساكنونهم في عمارة ، ولا يزايلونهم في مدرسة ، ولا يجالسونهم في ملبس ، ولا يؤاكلونهم في مطعم ، ولا يعاملونهم إلا معاملة الحيوان المسخر والريق المستغل . فثار في نفوسهم ما هدا على طول الزمان وإلحاح الحصان من حمية الإنسان الحر ، فضجوا واحتجوا وأعلنوا آلامهم بالمظاهرات الهائلة والمسيرات الصامتة ، صي

تصادم القوى وتعارض الأهواء ، فلا جرم أن يكون شرعه دستوراً كاملاً تصلح عليه شؤون الفرد وأحوال الجماعة من كل جنس وفي كل عصر وعلى كل أرض .

ولقد كانت لإدمايتي النظر والفكر في مصادر الإسلام الصافية مصداقاً لهذه الفكرة ؟ فإن غير الله لا يملك أن يضع في الإسلام هذه الأسس والقواعد التي تضمن نظام العالم وسلامه مهما تختلف الأجيال ويتناول الأمد . وهل كان لولا وحى الله في مقدور رجل أمى نشأ في قرية جاهلة من قرى الحجاز الجديب أن يعلن في أوائل القرن السابع حقوق الإنسان وحرية وهي التي أعلن بعضها في فرنسا سنة ١٧٨٩ ثم أعلن بعضها في أمريكا سنة ١٩٤٩ ولم يكن هذا الإعلان ولا ذاك إلا قورة تفاهت ثم قوت .

لم يكن الشرع الإلهي إلا لإشراقا انبثق من السماء في غار حراء فكشف للرسول الكريم عن أطوار النفس البشرية في طوايا الغيب ، فدعا دعوته الخالدة إلى تكريم الإنسان وتنظيم العمران وتعميم الخير وتحقيق السعادة من طريق التوحيد والمواخاة والمساواة والحرية والسلام ؛ فالتوحيد سبيل القوة ، والمواخاة سبيل التعاون ، والمساواة سبيل العدل ، والحرية سبيل الكرامة ، والسلام سبيل الرخاء . وتلك هي الغايات

أن تبلغ أمانتهم مسامع (البيت الأبيض) فيمحي ، وقلوب (الشعب الأبيض) فيحس . ومن وراء ذلك الوعي وهذا الإحساس يتمنى الملونون أن يدخلهم المستكبرون في مفهوم الإنسان الذي أهلنوا له الحقوق ،

ومحو ما بينهم وبينه من الفروق ! دعاني ذلك إلى التفكير في أمر التفرقة العنصرية في أمريكا وإفريقيا وفي سر التفرقة الدينية في فيتنام الجنوبية ، فأيقنت مرة أخرى أن العصبية الحقاء هي علة العلل في التفريق بين الأسر والقبائل والأوطان والألوان والعقائد ، فإن المتعصب المفرد أو الجمع متى راتته القدرة وأمكنه السلطان لا يستطيع أن يبري قيادته ولا سياسته من هواء ، فيزن بميزانين : هنا الخفة وهناك الثقل ، ويسكيل بمكيالين : هنا الاستيفاء وهناك التطفيف ، ويحكم بقانونين : هنا الرحمة وهناك القسوة ، وبهذه التفرقة التعسفية بين الإنسان والإنسان في الحقوق والواجبات تضطرب الأمور وتفسد النفوس ويشقى العالم ! .

المسلمون وحدهم هم الذين سلبو من داء التفرقة العنصرية والوقية والعقيدة ؛ لأن شرعهم هو شرع الله ، وما كان لبشر سليم الفطرة ليرتاب في أن الذي برأ الخلق على اختلاف في القدرة والحيلة ، وأنشأ الفرائز على اتفاق في الطمع والغيلة ، هو أعلم بما سينشأ في كونه من

والأخرى كان سبيلها الرهبانية والنسك .
ولكن الإسلام جعل الدين للدنيا كالروح
للجسد . فلا تعمل إلا بوجيه ، ولا تسير
إلا على هديه . ثم آخى بين المؤمنين ليجتمعوا
على صدق المردة ، ويتعاونوا على لأواء
العيش ، فلا يبغى قوى ولا يبتخل غنى ولا يظلم
متسلط .

بدأ ذلك بالتأليف بين الأوس والخزرج
والمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين ،
ثم توثقت عرى الإخاء بين المجاهدين في سبيل الله
حتى صار المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد
بعضه بعضاً .

كذلك في سبيل الوحدة الإنسانية والأخوة
الإسلامية فرض الإسلام الزكاة وشرع
الحج وأمر بالإحسان والبر ، ثم سوى بين
الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم في
الحقوق والواجبات بمحو العصبية الوطنية
وقتل الفكرة الجنسية ، وجعل التقديم
والتكريم للتعوى فقال الرسول الكريم
في خطبة الوداع : « إن ربكم واحد ، وإن
أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ،
إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، لا فضل لعربي
على عجمي إلا بالتقوى » .

وفي هذه الأصول الإسلامية كما ترى
أفضل ما في الديمقراطية ، وأعدل ما في
(البقية على الصفحة التالية)

التي ترجو الإنسانية بلوغها من طريق العلم
والمدينة فلا تنكشف أمانها بعد طول
السرى وفرط الغيوب إلا من سحاب خلب
وسراب خادع .

هذه المبادئ المثالية التي تضمنتها دعوة
الإسلام معلومة من القرآن بالنصوص الصريحة
فلا موضع فيها لتأويل أو تحميل أو تكلف .
فالتوحيد كما قلت في موضع آخر ركن
من أركان الدين وعنوان من عناوينه .
وهو من الكلم الجوامع التي وعت جوهر
الإصلاح وسر النجاح لكل مجتمع وأمة ؛
وهو توحيد الله ، وتوحيد العقيدة ، وتوحيد
القبلة ، وتوحيد اللغة ، وتوحيد الغاية ،
وتوحيد الحكم ، وتوحيد التشريع ، وتوحيد
الدين والدنيا . وشواهد التوحيد في أشد
معانيه مذكورة في كتاب الله لا يختلف
في مدلولها أحد .

إن وحدة الإنسانية هي مزية الدعوة
المحمدية على كل دعوة .. في سبيلها صدق
الإسلام بكل دين أنزل ، وبكل رسول أرسل .
ودعا الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا إلى خطة
واحدة وكلمة سواء . ثم وصل الدين بالدنيا
وكانت اليهودية والنصرانية تفصل بينهما ؛
فالأولى كان هما الصنف والاجترار ،

الرحمة المهّداة

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر

منذ أربعة عشر قرناً ، هند ما أراد الله
لبني الإنسان الهداية والرحمة ،
خرج إلى هذا الوجود محمد بن عبد الله
صلوات الله عليه وسلامه يتيها من الأب الذي
مات قبل أن يولد ، فقيراً تتجافى عنه المراضع
الباحثات عن الثراء بين ولدان مكة ، فانشق
بمولده إمران كسرى إيذاناً بميلاد دولة الحق
وخمدت في نفس الوقت نيران فارس إيذاناً
بأمة التوحيد .
لا إله إلا الله وحده .

اليوم ، كلّم لآدم ، وآدم من تراب ،
لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى
وطاعة الله .
وما أجدر المسلمين أن يتعرفوا عظمة نبيهم
محمد التي تجلّت آثارها في أطوار حياته كلها ،
فلم تكن عظمته من جنس العظمت البشريّة
المألوفة ، فهي ليست من عظمة الملوك
الجبارين ، الذين يستعذبون أنين الإنسانية
واستعباد الخلق وليست من عظمة القواد
الطاغين الذين يقسون في الأرض ، وليست
من عظمة الأغنياء الموسرين الذين يستكبرون
في الأرض بغير الحق ، إنها عظمة رحمة

الناس كلهم عباد وإخوة ، سواسية
كأسنان المشط ، لاسادة ولا عبادة بعد

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

الاشتراكية ، وأجل ما في المدنية ، فهي حرية
أن تصلح ما فسد من أمور الناس ،
وتقيم ما اعوج من نظام الدنيا ، ولقد كانت
كذلك يوم كانت لحماها دولة ، ولداها صوت ،
ولمعتقد بها يقين . فلما دالت الدولة ، وخشع
الصوت ، وأراب اليقين ، تمزق المسلمون
قطعاً في فدادن الأرض ، لا مرعى يجرى ،
ولا راع يذود ، ولا حظيرة تؤوى .
ثم كانوا يتخلفهم عن ركب الحضارة حجة
على الإسلام في رأى السفهاء من مرضى
الهمى أو الجبل فصرخوا عن دعائه ، وصرخوا
عن ضيائه !
فليت شعري متى يتاح لدعوة محمد أن
تتجدد ، ولأمة محمد أن تتوحد ، فتجتمع بين
القوتين قوة الروح بالدين وقوة المادة بالدنيا !
أحمد حسن الزيات

وسنته والتعلى بأخلاقه ، وإقامة شرعه ودينه ، آمنوا بهذا وعلوا أن الإيمان الحق يثمر المحبة الصادقة ، وللهجة الصادقة حقوق وعليها تبعات ، فمن حقوقها المتابعة لل محبوب ، والرضا بما يرضيه ، والغضب لما يفضبه ، ومن تبعاتها تحمل المشاق والتضحية بأمر شيء في سبيل الوصول إلى رضاه : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ، » (١) ، « قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقربتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فاقربوا حتى يأتي الله بأمره ، » (٢) .

هكذا كان شأن المؤمنين الأولين يوم كان الإيمان قوياً في النفوس ، تشتعل جذوته فتلتب الجوارح ، وتبذل الأنفس ، وهكذا كانت الذكرى ماثلة في كل شيء : في أقوالهم إذا نطقوا ، في حركاتهم إذا تحركوا ، في سكنوتهم إذا سكنوا ، في جميع شئونهم الفردية والاجتماعية ، السرية والعلنية ، الدنيوية والاخرية أساسها هذا النور المبين الذي جاء به محمد عن ربه ، فكان دستور الحياة ، وينبوع العزة والقوة والسعادة : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين

وعطف ، عظمة هداية وإرشاد ، عظمة تثقيف وتهذيب ، عظمة إصلاح وتعمير ، عظمة سلم وأمان ، عظمة تتمثل في تلك التعاليم التي وحدت بين قلوب متنافرة ، وربطت بين قبائل مبعثرة ، كونت منها أمة مهيبة الجانب ، عزيزة المنال ، ذات شخصية ثابتة استطاعت أن تسوس شعوب الأرض على دعائم قوية من العلم والمعرفة ، والحكمة والعدل ، والتضحية والإخلاص .

وهكذا تلعب هذه الذكرى المحببة في كل موطن من مواطن الإسلام ، عقيدة وعبادة وقدوة وإهداء ، وتفتر همنما ملايين الألسنة والشفاه في مشارق الأرض ومغاربها كلما أذن مؤذن ، أو أجاب مجيب ، أو صلى مصل ، أو آمن مؤمن ، أو تلا قارئ ، أو حدث محدث .

كان إيمان الأولين بهذه الذكرى ، وبصاحب هذه الذكرى عليه السلام إيماناً حملياً ، بالأفعال قبل الأقوال ، بالقلوب والأرواح قبل الصور والأشباح ، بالدماء والأموال ، بالأولاد ، بالاهل والعشيرة ، بالمتاع والنعم ، بكل لون من ألوان التضحية والإيثار والجهاد : آمنوا بنبيهم . وذكرى نبيهم لا عن طريق الخطب تلقى في شمائله ، ولا عن طريق الحفلات تطلق فيها الأنوار الصناعية وإنما آمنوا عن طريق اتباعه وإحياء

(١) - سورة آل عمران آية ٣١ .

(٢) - سورة التوبة آية ٢٤ .

دينهم ومنبت عظمهم ومجدد أساسه الإيمان والعمل : « والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (١) .

ألا ما أشد حاجة العالم اليوم إلى تلك التعاليم السمحة ، كي يجد فيها حلول مشاكله التي طال عليها الأمد ، وكى يعرف طريقه الواضح إلى سعادة الروح والجسد ، وكى تنعم شعوبه المتأخرة بالأمن والطمانينة إلى الأبد ...

ما أشد حاجة الإنسانية إلى مبادئ الإسلام وهدى في التشريع والحكم ، في الحرب وفي السلم ، في الأسرة وفي المجتمع ، في السياسة وفي الأخلاق ، في الدين وفي الدنيا . وما أشد حاجة المسلمين إلى الاقتداء بنبيهم

في هذه الفترة العصيبة من تاريخهم ... لتستثم الصفوف المتقاطعة ، ولتتقارب النفوس المتباعدة ، ولتصفوا القلوب على الإخاء والإيثار والمحبة .

وسلام على العالم من نبي السلام يوم مولده العاطر .

وسلام على المسلمين الذين يحتفلون بذكرى نبي الهدى والرحمة ، والبشائر .

محمود سلوت

الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ، (١) .

هكذا كان شأنهم ، كانف جميع أبائهم وجميع أوقاتهم وجميع أعمالهم ذكريات متجردة متابعة لهذا الرسول الكريم ، وكانت حالتهم مثالا صادقا ، ومראה صافية ترى منها سيرته صلى الله عليه وسلم وشريعته وأخلاقه ، فلم تكن بهم حاجة إلى مذكر ، وهم في الذكرى دائما ساجدون ، وبمورها يهتدون

ظل المسلمون كذلك حتى ضعفوا واستكانوا ، فانطفأ هذا النور من قلوبهم وأقفر بصائرهم من أسرارهم ، ولم يبق لهم منه إلا صور مرسومة بحروف في الصحف أو الكتب يرجعون إليها كلما عاودتهم الذكرى ، أو أهل عليهم شهر ربيع .

اكتفوا بذكر محمد صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع من كل عام ، كما اكتفى غيرهم ، وأنه كان على خلق عظيم ، وأن شريعته صالحة لكل زمان ومكان ، وتركوا الاقتداء والتأسي ، وانحازوا إلى شرائع وتقاليد وأخلاق لا يعرفها محمد ، وما أنزل الله بها من سلطان ، فانخفضت رءوسهم ، والتوت أعناقهم ، وضعف سلطانهم ، وتفرق شملهم ، وتناثرت عزتهم ، شغلوا بالقول ونسوا أن

فلسفتي في الحياة والمبادئ التي أهديت إليها للأستاذ عباس محمود العقاد

إذا تكلم الناس عن فلسفتهم في الحياة ، فكلمة الفلسفة هنا - بحمد الله - لا تخيف ! لأن فلسفة كل إنسان هي في الواقع تجربة كل إنسان في حياته اليومية ، وليست تجاربنا - ولا محصول هذه التجارب في مبادئنا - بالشئ الذي يصعب علينا فهمه ، أو يصعب علينا التفاهم عليه .

وعما ييسر علينا فهم هذه الفلسفة ، أن تكون - كما علمت بالتجربة الطويلة - ميراثا

يولد مع الإنسان ويتربى معه في صباه . فقد علمتني تجارب الحياة من مبادئها أن الإنسان يظل طول حياته يبني على الأساس الذي ولد معه ، ونما بنموه في صباه الباكر ... وكل ما زاد بعد ذلك فهو بناء فوق الأساس الأول ، يعلو أو يقنوع في تقسيماته ومنافعه ، ولكنه لا يخرج بمجدرانه عن نطاق ذلك الأساس .

فالمبادئ التي نسميها فلسفة الحياة هي كما علمت من تجاربي الطويلة أساس وبناء :

أساس لا اختيار للبر فيه إلا القليل ،

وبناء له فيه اختياره على أوسع حدوده وله بذلك الاختيار أن يجعل أدوار البناء وحجراته ومنافعه أجمل وأصلح مما يمليه عليه وضع الأساس الذي لا حيلة له فيه ... وكثيراً ما يتفق أن يكون المنزل بأساسه المحدود المعيب أرفع وأنفع من منزل آخر أوسع منه أساساً وأجمل منه موقعاً ، ولكن البناء المختار هو الذي يثبت في النهاية الفضل بين المنزلين .

وأحسب أن مبادئ في الحياة هي المبادئ الدينية على أساسها الأصيل : مبادئ رزقتها من أبوين متدينين لا تفوتهما فريضة في موعدها : الأب والام في ذلك سواء ، كلاهما يؤدي صلاة الصبح عند سماع الأذان من المسجد القريب منا ، تكاد مثذنته أن ترتفع على جدران منزلنا ، ثم يؤديان كل صلاة في موعدها ، ومنها صلاة الظهر التي كان أبي يؤديها في مكتبه وإن ملأته الأوراق المستعجلة ، وكانت والدتي تؤديها عند سماع آذانها ، وإن نفضت يديها من شواغل البيت وهي لا تهمل واحدة منها .

قدرتنا كلها لكل عمل في حينه ، ولا فرق بين العمل الكبير والعمل الصغير مادامنا قادرين على هذا وذاك ، وما دمنا نعطي هذا وذاك كل ما هو أهله من العناية والوقت وهدوء التفكير .

إذا قلت إن مبادئ في أساسها دينية فهذا المثل يفسر ما أعنيه : لأنه يدل على أن الأساس الديني قد يبنى عليه مثل هذا البناء من تنظيم الوقت وتقسيم العمل والإعراض عما هذا ذلك من الحواشي والفضول .

وتلازمي النظرة الدينية إلى الأشياء من حيث أريد ، أو لا أريد .

وأعني بالنظرة الدينية تلك النظرة التي لا تقنع بالجانب المادي أو الجانب الديني ، في أية تجربة من تجارب الحياة ... فلا تخلو منها نظرتي إلى السكون في عصر العلم ، ولا نظرتي إلى الدراسات الأدبية ، ولا نظرتي إلى قيم الأخلاق أو إلى المعاملات بين الناس ... وقد يخفى أثر هذه النظرة أو يظهر لأول وهلة ولكنه كائن مستقر في طبيعته الخفية وإن تعددت تفسيراته وترجماته على اللسان .

قيل إن عصرنا هذا هو عصر المادة كما سماه بعضهم منذ أواسط القرن التاسع عشر ، ولكنني أنظر إليه فأرى أن التسمية الآن

أحسب أنني استفدت من هذه الخصلة عادة أنسب إليها كل عمل ناجح قدرت عليه منذ صبايا الأول ، وأعني بها عادة الانتظام في المواعيد ، لأن انتظام مواعيد الصلاة في منزلنا كان يتبعه انتظام المواعيد في كل شيء : في تناول وجبات الطعام ، وفي الذهاب إلى المدرسة أو الديوان ، وفي أوقات النوم واليقظة ، وفي أوقات الذهاب إلى السوق ، وفي أوقات المذاكرة أو اللعب أو مقابلة الناس .

ومن تنظيم المواعيد تعلمت تقسيم الأعمال على حسب أوقاتها ، فلا سبيل إلى تأجيل عمل منها بعد ذلك لعارض من العوارض المتجددة على غير انتظار ... ومن هنا اعتذاري - حتما - عن كل دعوة تمارض تلك الأوقات المقدورة على حسب الأعمال .

وعلى تقسيم الأعمال والأوقات فائدة لا نظير لها في مواجهة المتاعب والمشكلات .

فنحن لا نتعب من عشرة أعمال كبار نؤديها في أوقاتها كما نتعب من عملين صغيرين نرتبك بينهما : أيها نبدأ به وأيها نؤجله ، وأيها نستعد له ، وأيها لا يحتاج إلى استعداد .

إن الربكة ، بين الأعمال هي أكبر المعطلات وأخطرها ، وتقسيم الأعمال على حسب أوقاتها يريحنا من الربكة ويفرغ

ويقال عن هذا العصر أيضا إنه عصر الفضاء ، وهو كذلك عصر الفضاء .

ولكن العصور جميعا - فيما أعلم - لم تعرفنا بقيمة الأرض بين الأفلاك السماوية كما عرفنا عصر الفضاء بقيمة الأرض السابرة ، لأنها قيمة تنفرد بها بين الشمس والكواكب والسيارات . فإن لم تكن منفردة بها فهى - على التحقيق - أعجوبة نادرة لم تصل أرصاد الفلك إلى مثيل لها فى آفاق السموات ، ومن هذه الأرصاد ما يرى بالبصر إلى ألوف الألوف من السنين الضوئية .

فليس من حوادث الفلك المتكررة كل سنة ، أو كل ألف سنة أو كل مليون سنة - أن تتجمع منظومة شمسية بسياراتها كما تجتمع منظومتنا الشمسية ... وليس من حوادث الفلك المتكررة أن تكون بينها سيارة تتوسط فى وقت واحد ، فى درجة الحرارة ، وفى مقدار الحجم ، وفى قوة الجاذبية ، وفى تداول النهار والليل والنور والظلام وفى تقسيم العناصر ولا سيما العناصر الصالحة للحياة .

وليس من الحوادث المتكررة أن تجتمع هذه المصادفات كلها فى التوسط والتقابل ، لتكون هى الأوفق لظهور الحياة على ظهرها

لا تصيب ، وأنها لا تقرر لنا الواقع إن كانت قد أصابت أو قررت الواقع قبل ستين سنة ... لأن الذين قالوا عن أنفسهم إنهم ماديون إنما قالوا ذلك لأنهم كانوا يحسبون أنهم حصروا وجود المادة بدق الأيدى وطرق الأرجل ، أو بلبحة العين وسماع الأذن ، وأنهم حصروا الوجود الصحيح بذلك ، وكل ما عداه فهو شىء غير موجود لأنه غير منظور وغير مسموع وغير مدقوق بالأيدى أو مطروق بالأقدام ...

فاليوم يثبت لنا العلم أن إدراك حقيقة المادة كإدراك حقيقة الروح ، وأن الذين ظنوا أنهم يحققون لأنهم ماديون ، لا يعرفون من المادة فى النهاية إلا أنها معادلات رياضية وذبذبات فى الأثير ، ثم لا يعلمون هن الأثير أكثر مما يعلمون عن عالم الروح :

كل عنصر من عناصر المادة فهو يتألف من النواة والكهرب ، وكل نواة تنقسم فإذا هى شعاع ... وما الشعاع ؟ هزات فى الأثير ... وما الأثير ؟ قل عليه عند ربى كما تقول عن عالم الروح فليس للماديين أن يتطاولوا بالعلم هنا على الروحانيين أو العقليين ، أو ماشاءوا من المفكرين والمؤمنين غير الماديين .

التواضع أمام الحقائق الكونية ، وأمام حقائق الحياة ... فإن سر المادة قد أصبح اليوم أحوج إلى الإيمان من سر الروح ، وإن عصر الفضاء هو الذى يقول عن الحياة إنها ظاهرة خاصة بين ظواهر الكون ، وإنها بعد تفسير المادة فى حاجة إلى تفسير كثير ؛ لأن المادة موجودة فى كل مكان ، ولكن الحياة توجد هنا وهناك على آفاق بعد آفاق ، ولعلها لا توجد هناك فى مكانها المجهول إلا على الظن والتقدير .

* * *

ولسلك منا - نحن بنى الإنسان - فلسفاتنا الكثيرة أو مبادئنا الكثيرة ، إلى جانب هذه الفلسفة الكبرى التى تحيط بها مسألة المسائل عندنا : وهى مسألة الحياة كلها ، أو مسألة الوجود بما تنسج له أماننا من ظواهره وخفائمه .

لسلك منا فلسفاته أو مبادئه ، فيما يعنيه من شئون النفس ، أو شئون المعيشة ، أو شئون الناس

وتلك هى مبادئ فكرية ، أو عملية تهدينا إليها التجارب المتتابعة ، ثم يأتى دورها فتهدينا هى إلى تصحيح تجاربنا ، وإلى اختصار محاولتنا المشتتة فى محاولة

ومن المحقق أن الكشف الحديث لم تكشف لنا عن كائنات عقلاء يسكنون السيارات العليا ويحاولون أن يعرفونا كما نحاول نحن أن نعرفهم ، فلماذا لم يحاولوا كما نحاول ؟ ولماذا لم يسبقونا أو يشتركوا معنا فى بحثنا عنهم وبحثهم عنا ؟ ...

كل تفسير لهذا السر ينتهى بالعلم إلى السر الذى عرفناه بالإيمان : إن هذه الكرة الأرضية فى مكان خاص من الكون الواسع ، ولا يغير هذه الحقيقة كشف من كشف الفلك يدلنا بعد حين على سكان عقلاء على مسافة كذا من الملايين من السنين الضوئية . فإن سر الحياة - بعد ذلك - لا يزال سرا نادرا ، يحتاج إلى اختصاص عجيب بين أرجاء السموات الواسعة ولا تقوى على إظهاره كل مادة تتفاعل ولا كل حركة تحملها الذرات والكهارب والنويات بين ملايين الأجرام السماوية ، فى ملايين السنوات الضوئية أو غير الضوئية .

وهذه فلسفة يقول الماديون - إذا شاءوا - إنها لم تخل من أثر التفكير الدينى القديم ... ونحن نسبهم ، أو قد سبقناهم إلى الكشف عن أساسها الدينى القديم ، ولما كننا فى هذا العصر نتعلم من التفكير المادى أيضا - إذا صح علم الماديين - دروسا جملة فى

إنه إذا كان إنسانا صادقا فى كل هذا ،
أو فى بعض هذا ، فحسبنا منه تعبيره
كما يعبر الإنسان ... فإن يكن قد
ألقى لإنسانيته فليذهب بعيداً عنا نحن
بنى الإنسان ، فلا شأن لنا ببلده ولسانه ،
ولا بغناه وفقره ، ولا بطعام معدته أو كساء
جلده ، حيث يتساوى طعام الإنسان
والحيوان ، ويتلاقى نسيج الآدى وجلد
النمر وصوف الخروف .

أما مبادئ الأخلاق فليست أعرف لها
قاعدة تقام عليها خيراً من القاعدة التى تقام
عليها جميع مطالبنا وحاجتنا .

نحن نطلب الثمرة الجيدة ولا نقتظر من أحد
أن يكافئنا على اختيارنا ، بل نحن نبذل فيها
أضعاف ما نبذله فى الثمر الردى . وكذلك
نصنع حين نختار الملبس والسكن والدواء .
لا ننتظر أن نأخذ جزاء على اختيار الحسن
منها ، بل نحن نعطى المزيد من الجزاء حيث
وجدناها .

وكذلك الخلق الجميل ، هو أخرى أن
نحمل كلفته ونبذل فى صيله ، من أن نعمله
ونترقب المكافأة عليه ... أو كما قال حكيمنا
العظيم أبو العلاء :

فلتفعل النفس الجميل لأنه

خير وأجل ، لا لأجل ثوابه

واحدة : هى أهدى منها وأقرب إلى القصد
وتوفير الأوقات والجهود .

وهذه المبادئ على كثرتها ، يمكن بالتجربة
أيضا أن نجعلها - فيما يعيننا نحن المشتغلين
بالآدب والفن - فى أصول ثلاثة من المبادئ
الشاملة : مبدأ الآدب والفن ، ومبدأ
الأخلاق ، ومبدأ المعاملة ، وكلها من المبادئ
التي يصح أن تكون عقيدة إيمانية لارتباطها
بالوجدان والشعور كما يصح أن تكون
قصية فكرية لارتباطها بالأسباب ومسوغات
العقل والنظر .

مبدأ المبادئ - فيما اهتمتدب لىلها من
تجارب الآداب والفنون ، أن الفن كله تعبير
جميل عن الشعور الإنسانى الصادق : الفن هو
الإنسان معبرا عنه ، والتعبير هو قدرة
إنسانية جميلة ، أجملها هو الذى يستطيعه
أصدق المعبرين :

وليسكن الإنسان ما شاء فالتعبير الصادق
هنا هو الفن الذى يحيا ، ويستحق أن يخلد
خلود الإنسان .

ليسكن ابن هذا البلد وذاك ، وليسكن
ابن هذه الطبقة أو تلك ، وليسكن فنى
أو شيخا وفقيرا أو غنيا ، ومتحدثا عن
الطعام والكساء ، أو متحدثا عن الفضاء
والهواء ، أو عن زهرة على الأرض أو نجم
فى السماء .

وبخاصة حين تعود بنا هذه الشئون إلى فاتحة الحديث عن العبادة والنظام .

أرى بما راقبته من أمر نفسى أننى لا أغير عادة من العادات إلا ما عرفت سببا لتغييره أو لمست وجه الحكمة فى هذا التغيير ، فلم أغير شيئا قط لأنه زى تغير ، ولم أتحل زيا قط لأنه زى شاع . ومن هنا أننى لم أغير مسكنى المأجور أكثر من خمس وثلاثين سنة وأننى ألبس اللفاح - أو الكوفية - اليوم كما لبست فى إبان صباى ، لأنها من مطالب الوقاية الصحية وليست من عادات الأزياء .

وأرى كذلك بما راقبته من أمر نفسى أن الصيام فريضة لولم تأمر بها الأديان لدبرها الناس بحكم الخبرة فى المعيشة . وقد رأينا الجنس اللطيف يصوم عن الطعام المشتهى والشراب الهنىء نشدانا للجمال ، ورأينا أبطال الرياضة البدنية يصومون مثل صيامهم نشدانا للقوة والرشاقة . وأرائى - ولست على مذهبهم ولا مذهبى - أصوم يوما كل أسبوع عما عدا السوائل ؛ لأنه أصح وأقوم للبدن والمزاج .

ونعود كما بدأنا فقول : إنها عادات ومبادئ إلا أنها - مهما يكن فيها من نصيب التفكير لا تخلو من نظام العبادة وصبغة الإيمان ؟

عباس محمود العقاد

أما معاملة الناس فالخير كل الخير أو الراحة كل الراحة ، أن نحسبهم بصفاتهم وطباعهم لا بأسمائهم وأشخاصهم : فإننا إذا ابتلينا منهم بصفات الطمع والخذاع والحسد والجهل والسكسل وما إليها إلى غير نهاية - لم نفاجأ منهم بحديد ولم نشعر بصدمة المفاجأة بعد تجاربنا الأولى معهم : إذا ابتلينا منهم بألف طامع كل حين قلنا لأنفسنا : وما ذاك ؟ وأى غرابة فى طمع هذا الطامع اليوم ؟ أليس الطمع أمراً معهوداً من بنى آدم وحواء ؟ أليس طامعنا هذا كأولئك الطامعين ، أو كهؤلاء الطامعين ...

ذلك أصوب وأدنى إلى الراحة من أن نحاسب الناس فلانا بعد فلان ، وزيدا بعد زيد ، وبكرا بعد بكر ، وخالدا بعد خالد ... فإن الطمع من كل منهم - إذن - ليبتلينا بمفاجأة جديدة وصدمة جديدة فى كل حادثة جديدة ، ولانهاية للتجارب المتكررة على هذا المفعول .

وأحسبني لا أبرئ الزمة إذا زحمت أننى حدثكم عن فلسفتى فى النظر إلى السكون والحياة ، وإلى الآداب والفنون ، وإلى الأخلاق والمعاملات ، ولم أحدثكم عن شئون كل يوم من عادات المعيشة فى المقام والطعام ،

شخصية الرسول الأعظم

للاستاذ محمد محمد المدني

وإذن فالكمال إنما هو امتزاج هذين الخلقين واجتماعهما حتى يتم أحدهما الآخر .
ويمده ويمينه ويعد له ، ولذلك يقول الشاعر :
ولا خير في حلم إذا لم يكن له

بوادر تحمى صفوه أن يكدرها
ويقول الفرزدق في وصف الإمام
زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما :
يغضى حياء ويغضى من مهابة

فلا يسكلم إلا حين ينقسم
وما يقال عن الحلم والمهابة ، يقال مثله عن
الصفات الأخرى ، كالصبر الذي يصبح بلاءة
إذا لم يقترن بالمرونة وسعة الحيلة ومحاولة
التخلص من آثار الكوارث ، وكالشجاعة التي
تصبح ثثرة وهذرا إذا لم يصاحبها الرزانة
وعمق الفهم ومعرفة المواطن التي يحسن فيها
القول ، والمواطن التي يجمل فيها الصمت ،
وهكذا ...

ولذلك يقولون : إنه ما من فضيلة إلا وهي
وسط بين ذيلتين ، فالصبر هو قوة الاحتمال
والانزان أمام النوازل ، وهو متوسط بين
البلادة التي هي موت الإحساس ، والجزع
الذي هو إسراف في التأثر والانفعال ، وقل
مثل ذلك في الغيرة ، فهي وسط بين عدم

إن كل خلق من الأخلاق له تعديل ،
به يكون توازنه ، ويتم كماله ، ويكون له
في صاحبه وفي الناس أثره الطيب ، وإذا
أردنا أن نمثل لذلك فيما يعرف الناس من
أخلاق الرجال ؛ فإننا نمثل له برجل يوصف
بالحلم وليس له بجانب هذه الصفة من قوة
الشخصية ما يجعل له هيبة تصون حياهه ،
وتكون بمثابة السياج الذي يحميه من جهل
الجاهلين ، وجراءة المتجرئين .

فالحلم خلق جميل ، لو أنه تمثل بشراً لكان
إنساناً مبقساً ، هادئ الملامح ، ذا حياء
واحترام ، يغض من بصره ، ويخفض من
صوته ، ويسوده النضاح ، وتسيطر عليه
الرحمة .

ولكن هذا الخلق الجميل بحاجة إلى خلق
آخر يكون بجانبه ، هو الهيبة التي لو مثلت
لصورت الوقار والجلال ، وملاحم الحزم
والعزم ، فإذا انقرض أحد هذين الخلقين
في شخص لم يكن هناك تعادل وتوازن : فإما
أن يكون الشخص حلياً فقط ، فلا يخشى جانبه
بل يقتحم ويجتأ عليه ، وإما أن يكون رهيباً
فيه تمت ويمتدب ويتحاشى ، وينفر منه الناس
وينفضون من حوله .

صفة الرحمة والرافة فيه ، مع صفة الهيبة وقوة الشخصية .

(١) فقد وصفه الله تعالى بالرحمة والرافة في كتابه الكريم حيث يقول : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم » . وقوله تعالى « من أنفسكم » تعبير عن معنى التجانس المفضى إلى الألفة والمحبة والارتياح ، وفيه إشارة إلى أن يكون القائد من جنس الأمة ، وليس غريباً عنهم ولا مستعمرأ لهم من غير جنسهم ، وقوله « عزيز عليه ما عنتم » لإشادة بخلق الحاكم الذي يقلقه ويزعجه ويؤلم نفسه ما عسى أن يشق على شعبه ، ويوقع رعيته في الغضب ، فيحترز عن كل ما يؤدي إلى ذلك .

وقوله « حريص عليكم » لإشادة بما يكون عليه الحاكم الأمين من حرص على منفعة شعبه ، وتحقيق لكل ما يؤدي إلى رغبته وهنائه .

وينبى أن ندرك من هذا كله قوة هذا الوصف الذي وصف الله به رسوله ، حيث نراه جل جلاله يخلق عليه صفتين من صفاته ، هما صفة الرحمة والرافة اللذان يعتبران من أهم صفات الجلال القدسي ، ومن أبرز الاسماء الحسنى فيقول : « بالمؤمنين رؤوف رحيم » . كما ينبى أن نقف عند آية أخرى مثل هذه الوقفة ، لندرك ما فيها من تصوير رائع

الاكتراث الذي يمكن أن نسميه باللامبالاة ، - أى يكون المرء لا يبالي بشيء ، ولا يكثر بما يحدث أمامه ولو أصاب كرامته أو كرامة من له حرمة عنده - وبين الشطط في الاندفاع الذي يجعل الإنسان أحياناً يقتل لمجرد أن المقتول لزه أو غمزه ببعض القول لفرح كبريائه . . . إلى غير ذلك مما نسميه بالتوسط ، ويدل عليه القرآن الكريم في مثل قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط » . « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » . « والذين إذا أصابهم البنى هم ينتصرون » . « وجاء صيئة حيثه مثلها » .

أى يأخذون بحقهم في الانتصار من البنى ولكنهم لا يتجاوزون الحق ، بل يكتفون بمثل ما حدث لهم .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى في ناحية التعادل والتوازن بين ما حباه الله به من الصفات ، و « الله أعلم حيث يجعل رسالته » وهو الذى يقول مخاطباً إياه : « وإنك لعلى خلق عظيم » وينبى على وجه التحقيق بأنه جعل منه أسوة وقدوة حسنة للمؤمنين إذ يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » . ومن مظاهر هذا التعادل الخلق اجتماع

أن يكون « غليظ القلب » ، وغلظة القلب : كفاية عن عدم رفته ورحمته ، وقد جاء هذا النقي للخصلتين بأسلوب « لو » ، المفيدة للامتناع ونفهم من ربط الانقضاء من حوله ، بالفظاظة وغلظة القلب ، أن رحمته بهم كانت سيدا في عقد أوامر الألفسة والمحبة بينهم وبينه ، فكمأنه قال : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، فألفوك واجتمعوا على محبتك ، ولو كنت فظا غليظ القلب لسكرهوك وانفضوا من حولك » .

ثم نجد الآية ترسم له صلى الله عليه وسلم منهج الحكم السليم ، الذي يكون نتيجة وثمرة لحلق الحاكم المستقيم ، ذي اللين والرحمة والتؤدة عن الفظاظة والغلظة ، فيقول : « فاعف عنهم » أى تجاوز عما عسى أن يفرط منهم ، واستغفر لهم ، أى لا تكتف بعفوك أنت ، ولكن اطلب من الله أن يعفو عنهم ويغفر لهم ، « وشاورهم في الأمر » ، ليعلموا أن روحك إنما هي روح الباحث عن المصلحة المستنيرة في سبيل الوصول إليها بأراء أصحابه .

وكذلك يقال في غير هذين الموضعين من مواضع الإرشاد الإلهي ، للرسول الأمي ، في مثل « فاصفح الصفح الجميل » ، « واخفص جناحك للؤمنين » ، « واصر وما صبرك إلا بالله » ، ولا تحزن عليهم ، ولاتك في ضيق بما يمكرون ، إلى غير ذلك من الآيات المنبئة

للسلوة صلى الله عليه وسلم ، حيث يقول الله جل جلاله : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر . فقد وصفه الله تعالى بأنه يلين لهم ، وأن هذا اللين صادر عن قسط عظيم منحه الله إياه من رحمته جل جلاله وذلك قوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم » .

ثم عاد فأكد هذا المعنى الذي جاء به على سبيل الإثبات والإيجاب بمعنى يساويه ويكمله جاء به على سبيل النقي والسلب ، وهو قوله : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، فنفي أنه فظ - والفظ : السكرية الذي لا تستريح إليه النفوس وهو في الأصل « ماء السكرش » ، وكان العرب الراحلون ، ربما اضطروا في الصحراء إلى نحر الجبل ، ليأخذوا الماء من كرشه فيشربوه حين يبلغ بهم العطش مبلغه ، ولا يجدون ماء سواه ، فذلك الماء المأخوذ من كرش البعير ، تسميه العرب « بالماء الفظ » ، لأنه مكروه شربه ، لا يتناول إلا في أشد ضرورة وبذلك شبهوا به الرجل الذي لا يستساغ بين الناس إلا هلى نحر من السكرامية والاضطرار .

وكأننى الله تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم أن يكون « فظا » ، نفي عنه أيضا

فيخفف خشية أن يشق على أمه ، وكان ربما قدم الإناء للهرة كي تشرب ثا يرفعه حتى تروى وأخبار رحمته ورافته صلى الله عليه وسلم حتى بالحيوان الأعجم كثيرة مشهورة .

٢ — وقد كان عليه الصلاة والسلام مع هذه الرحمة ، وهذه الشفقة مهييا قوى الشخصية ، وفي حديث أوصافه صلى الله عليه وسلم د من رآه بديهته هابه ، ومن خالطه فترة أحبه ،

ومن الوقائع المروية في السكتب الصحيحة الدالة على قوة شخصيته ، وشدة مهابته ، ما رواه ابن عباس قال :

« إن الملائكة من قریش اجتمعوا في الحجر ، فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثلاثة الأخرى ونائلة وأساف - وهى أسماء أصنامهم : ابن رأينا محمداً ، لقد قنا لإليه - أى لقومنا وإليه - قيام رجل واحد ، فلم تفارقه حتى نقتله ، فأقبلت ابنته فاطمة رضى الله عنها تبكى ، حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : هؤلاء الملائكة من قریش قد تعاقدوا عليك ، لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك ، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك ! فقال : يا بنية أرى وضوءاً ، - أى احضرى لى ماء أتوضأ به - فتوضأ ، ثم دخل عليهم المسجد ، فلما رأوه قالوا : ها هو ذا ، وخفضوا أبصارهم ، وسقطت أذانهم في صدورهم ، وعفروا

عما اختاره الله تعالى لنبيه من صفات الجمال التي تعتمد على الرحمة والرفقة واللين .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مطبقاً لهذه الأوصاف تطبيقاً عملياً ، على وجه يملأ القلوب روعة وإجلالا لخلق الله العظيم : فمن شفقتة صلى الله عليه وسلم : تألف العرب ورؤساء القبائل بالعطايا ، حتى كان سبب إسلامهم وفلاحهم ، قال صفوان بن أمية : « والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لا يفض الخلق إلى فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلى ، وأعطى أعرابيا عطاء ثم قال له : أحسنت إليك ؟ قال الأعرابي : لا ، ولا أجملت ! ، فغضب المسلمون ، وقاموا إليه ، فأشار إليهم أن كفوا ، فزاده شيئاً ، ثم قال له : أحسنت إليك ؟ قال : نعم ، جزاك الله من أهل وعشيرة خير ، فأمره أن يخبرهم بذلك فأخبرهم ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم : « مثلى ومثل هذا ، مثل رجل له ناقة شردت عليه ، فأنبعها الناس ، فلم يزدوها إلا نفوراً ، فناداهم صاحبها : خلوا بيني وبين ناقتي فإنى أرفق بها منكم وأعلم ، فتوجه لها بين يديها ، فأخذ لها من قام الأرض فردها حتى جارت واستأخت وشدها عليها رحلها واستوى عليها ولمنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه داخل النار .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل في الصلاة يريد إطالتها فيسمع بكاء الصبي ،

توصية بإيذائه - قبل ذلك ، ليرفقه أى يمدحه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف أبا القاسم ! انصرف راشداً ، فوالله ما كنت جهولاً !! فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهكذا يتناذرون دمه غائباً ، حتى إذا طلع عليهم عقدتهم هيبته ، وأدهشهم عظمتهم .

وقد روي أن رجلاً من قبيلة تسمى « إراش » قدم مكة بإبل له ، فابتاعها منه أبو جهل ثم مظهه بشمها ، فلم يوفقه به ، فأقبل الرجل حتى وقف على ناد من قريش - ورسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية المسجد جالس - فقال الرجل : يا معشر قريش ، من منكم يعيننى على أخذ حتى من أبى الحكم بن هشام ؟ فإنى رجل غريب ابن سبيل وقد غلبنى على حتى ! فقال له أهل ذلك المجلس أترى ذلك الرجل الجالس ؟ يشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يهزءون به لما يعلون بينه وبين أبى جهل من العداوة - ثم قالوا اذهب إليه فإنه يأخذك بحقك من غريمك ، فأقبل الرجل حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو لا يعرفه - فقال : يا عبد الله ، إن أبا الحكم ابن هشام قد غلبنى على حتى لى قبله . وأنا رجل غريب ابن سبيل ، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذنى حتى منه فأشاروا لى

أى دهشوا فى مجالسهم ، فلم يرفعوا إليه بصراً ، ولم يقم إليه رجل ! فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قام على رؤوسهم ، فأخذ قبضة من التراب ، فقال : « شأنت الوجوه ! » ثم حصبهم بها - أى قذفهم - . وشبهه بهذا ما روى عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال :

« حضرتهم يوماً - يريد قريشاً - وقد اجتمع أشرفهم فى الحجر - أى حجرة إسماعيل عند البيت الحرام - فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثلاً ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط : سفه أعلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ! فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض ما يقول - أى قالوا له مثلاً : أنت الذى تصب آلهتنا ، أو هذا الذى يصيب ديننا ، أو نحو ذلك - وكرروا ذلك ثلاث مرات ، فكان يعرض عنهم ، ثم قال لهم فى المرة الثالثة : « تسمعون يا معشر قريش ! أما الذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح ! » فأخذت القوم كلته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة - أى

فلثت رعباً ، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه
لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا أنيابها
لفحل قط !! والله لو أبيت لأكلني ! .
وهكذا ارتاع عدواؤه ، من هيبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى صور له الروح ما رأى !
ولقد جاء إليه صلى الله عليه وسلم رجل ،
فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة ،
فقال له : هون عليك فإنني لست بملك
ولا جبار ! إنما أنا ابن امرأة من قريش
كانت تأكل القديد بمكة .

ولما رآته دقيلة بنت نخزعة ، في المسجد
ارتعدت من شدة الفرق وهابته هيبة شديدة .
وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن
العاص قال : صحبت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما ملأت عيني منه قط ، حياء منه
وتعظيماً له ، ولو قيل لي : صفه ، لما قدرت !
فهذا صاحب من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ولولا أنه كان يؤنسهم ويبسطهم
ويتألفهم ويتواضع لهم ؛ لما استطاع أحد
منهم أن يبتدئه بالقول ، لما رزقه الله تعالى
من المهابة والجلال .

هذه هي شخصية رسول الإسلام ، صلوات
الله وسلامه عليه : لين في غير ضعف ، وشدة
في غير عنف ، ومهابة يزينها التواضع ،
وجلال يملأ صدور الرجال .

محمد محمد المهدي

إليك نخذلي حتى منه يرحمك الله ! فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : انطلق
إليه ، وقام معه ، فلما رآه أهل المجلس قام
معه تعجبوا ، وقالوا للرجل منهم : اتبعه فانظر
ماذا يصنع ، وخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى جاء بيت أبي جهل ، فضرب
عليه بابه فقال أبو جهل : من ؟ قال : محمد ،
فاخرج إلى ، فخرج إليه خائفا يرتعد وما في
وجهه روح باقية ، قد امتقع لونه ، أي تغير .
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعط
هذا الرجل حقه ! فقال : نعم ، لا تبرح حتى
أعطيه الذي له ! فدخل ثم خرج بحقه فدفعه
إليه ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وقال للرجل : دالحق بشأناك ،
فأقبل حتى وقف على ذلك المجلس . فقال :
جزاه الله خيراً ، فقد - والله - أخذني حتى !
وجاء الرجل الذي بعثوه معه فقالوا له :
ويحك ماذا رأيت ؟ قال : عجباً من العجب !
والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه ، فخرج
إليه وما معه روحه ، فقال له : أعط هذا
حقه ، فقال : نعم لا تبرح حتى أخرج إليه
حقه ، فدخل ثم خرج إليه بحقه فأعطاه
إياه ، ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا
له : ويلك ! مالك ! والله ما رأينا مثل
ما صنعت قط ! قال أبو جهل : ويحك ، والله
ما هو إلا أن ضرب على بابي وسمعت صوته

نفحات القرآن

العتاب في رفق تكميم وإعزاز

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا ، وتعلم الكاذبين ، . »

وفي الاعتذار إليه بالمعاذير المختلفة ليعفهم من الخروج إلى الغزو في تبوك .

لم يكن النبي - صلوات الله عليه وسلامه - قد عرف شأن هؤلاء ، ولا نزل عليه وحى في شأنهم ، فغلبت عليه سماعته ، وأداه اجتهاده إلى قبول المعاذير منهم ، وأذن لهم في التخلف ، دون تريث .. وإزاء ذلك نزلت آية العفو المذكورة في مطلع المقال ، تبين له ما كان ينبغي عمله .

ومع أن القرآن يحدثنا عن النفاق في مقامات عدة ، ففي هذا المقام بخصوصه يذكر ثلاثين آية متوالية - من آية ٤٢ - ٧١ من سورة براءة - مما يدلنا على أنه مقام ذو شأن في مجاله .

وحسبك : أن الله يعتب على رسوله ، وأنه يبدأ بالعفو ذلك العتاب الهام .

كانت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم - إلى غزوة تبوك - دعوة إلى التغيير العام - كما سبق حديثنا عن جانب من هذا - في شأن أبي بكر - رضي الله عنه - في المقال السابق .

ومعروف أن في المدينة منافقين ، يستترون بالإسلام ، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم . فكيف يتلقى هؤلاء دعوة الجهاد في قبول وطاعة ؟؟ ذلك بعيد .

فلا بد لهم من حيلة ينفذون بها من هذا المأزق !! وما أكثر الحيل : يصنعونها المنافق ، مهما تكن مكذوبة .

وإذا كانوا يطلون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رفيع الخلق ، برى من سوء الظن بالناس ، وأنه لا ينزل في تفكيره إلى مستوى الأدنياء كما هو الشأن المفروض في عظماء النفوس .. وبخاصة الأنبياء : فالمنافقون يستغلون هذه السجايا في بخادعة الرسول ،

العام ، كما قرر هذا أئمة العلم المختصين ،
ويؤيدون قولهم بحديث الرسول صلى الله عليه
وسلم : « إن روح القدس نفث في روعي ،
يعني قلبي ، أو وعي ، أن نفسا مفنوسة ،
لن تموت إلا إذا استوفت أجلها » .

والقرآن يقول : « وما كان لبشر أن
يكلمه الله إلا وحيًا . الآية » ، والوحي هنا
هو خصوص الإلهام بالمعنى الذى ذكرناه ،
ولا يكون اجتهاده هنا عملاً شخصياً محضاً . .
وحينما يستشير أصحابه فى أمر ، ثم يجتهد
فى اختيار رأى ، أو كان يجتهد من نفسه ثم
يخطئ فى اختياره لغير الأصلح كان ينزل
عليه الوحي ، ولا يتركه على الخطأ ، حتى
لا يستمر على العمل به بعد ، وقد حدث هذا
فى مناسبات ، منها أخذه للفدية من أسرى
بدر ، بعد أن استشار وأخذ برأى بعض
أصحابه . . وكان الأولى ألا يأخذ الفساد
فى أول حروبه ، كما أشار به بعض آخر
كعمر رضى الله عنه ، وطابه القرآن على
ذلك . . ومنها إذنه للنافقين بالتخلف ،
وهو ما نحن فيه الآن .

ولا مساس به فى هذا العتاب ؛ لأنه استشار
فى الأولى ، واجتهد فى الثانية ، وكلا الأمرين
مسموح به ، ولم يكن هنا إلهام من جبريل ،
فصل الخطأ فى الاجتهاد الشخصى المحض ،
ثم جاءه الوحي فصصح خطأه للمستقبل .

وقد بدر إلى بعض الأذهان أن النبى أتى
ذنباً اقتضى العفو عنه ، إذ العفو - فى ظنهم -
لا يكون إلا عن أمر مخرج .

والفهم المستقيم يأبى ذلك الاتجاه .
فلندخل فى الحديث من سبيل غير هذه
السبيل المنحرفة عن الصواب .

إذ نحن فى مقام المناجاة بين الله - سبحانه -
وبين أفضل خلقه عنده ، والنبى معصوم
قطعاً من الذنب ، ولا هوادة منه فى عمل
يؤخذ عليه كذاتهم يجره عنده . . وإنما
هو - دائماً - فى معرض التوجيه من الله إلى
كل صكرمة ، وفى سياق تربيته على أكرم
الخلق ، وأقوم التعاليم السماوية . . وكان
فى تبليغه الرسالة الدينية رهيناً بالوحي ،
ومنزها عن تهمة الكذب ، أو الخطأ :
« إن أتبع إلا ما يوحى إلى » .

ومع ارتباطه بالوحي كان مأموراً
بالاستشارة فيما لم يكن ديناً محضاً ، وكان
مأذوناً له أن يجتهد فيما يعرض له من شأن لم
يسمعه الوحي فيه .

فإذا اجتهد كان يصيب فى اجتهاده أحياناً ،
ويخطئ حيناً ، فإذا أصاب كانت إصابته
مقرونة بإلهام من جبريل ، ينث فى روجه ،
فيكون هذا إلهاماً مسبباً واجتهاده ، فيقره
الوحي على ذلك لأنه فى حقيقته نوع من الوحي

ويفكشف أمرهم ، فلا يفرحون بخداهم
لرسل الله صلى الله عليه وسلم .

وترك الأولى بالنسبة للأنبياء يقتضى
عفوهم ، لأن المفروض أنهم فوق مستوى
الناس وإن كانوا من الناس ... وهذا
ما يسميه العلماء - حسنات الأبرار سيئات
المقربين ، وفي هذا القبول ما ورد
في قول الله سبحانه للنبي - صلى الله عليه
وسلم - « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ،
وما تأخر » .

فليس للنبي ذنب متقدم ، ولا متأخر ،
ولكنه كجنته ، أحياناً يترك الأولى ، وهذا
هو ما سمي ذنباً ، وتجاوز الله عنه فيما سبق ،
وفيما لحق .

ثم انظر إلى دواعي العفو هنا خاصة :
بأن المنافقين خادعو الرسول ، وشتوا
بخداه ، وتناجوا فيما بينهم بهذا ، فاقضى
الأمر أن يرد الله عليهم شتاتهم ، وأن يعلن
تكريمه لرسوله ، وإعزازه لمقامه ، وأن
يفاتحه العتاب على تركه الأولى بأرفق أسلوب
وخير تلميح وطمأنينة يروجوها العبد من ربه
ولا يدرك هذا إلا الأنبياء .. بل ولعل محمداً
بالذات هو الذى ظفر بهذا التكريم فى مثل
هذا الموقف .

وبذلك يعلم المنافقون أن خديعتهم للنبي
لم تكن عن هوان لشأنه عند ربه ولم تكن

وحسكة الله فى ذلك أن يترك له مجال
الاجتهاد مفتوحاً فى أمور تقبل الاجتهاد ،
أو المشورة قبل الاجتهاد .

ثم يبين الله له الحقائق بعد ، لتكون دليلاً
على رعاية الله له فى التوجيه ، وفى الاتجاه ،
وعلى تعويده ، وتعويد أصحابه الاحتياط ،
والترثى فى الأخذ بالرأى ، تجنباً للخطأ فى
أمرهم .. هلى أن العتاب هنا مبدوء بالعفو
والعفو لا يختص بالذنب كما فهم أناس .

بل يكون أحياناً من قبيل الدعاء بالخير ،
كما يقال فى خطاب الناس : أصلح الله الأمير ،
لماذا رأيت كذا ؟ أو لم تفعل كذا ؟

وأحياناً يكون مجرد التلميح والإشارة
بالرفق والمحبة كما يقال : لست غاضباً منك
يا فلان ولكن لماذا فعلت كذا ،
ولم تفعل كذا ؟ فليس فى هذه الحالات
تلييح بذنب ، ولا بفساد شأن ، وإنما
هو دعاء وترفق .

والعتب على الرسول هنا : لأنه ترك عملاً
فيه مصلحة ، وكان الأولى خلافه ، أو بعبارة
أوضح : فعل أمراً غير مصلحى فى ظاهره
وهو لإذنه للمنافقين ، وترك أمراً مصلحياً
هو التريث فى الإذن ، وبخاصة فى وقت يدعو
فيه إلى التغيير العام ، فكان الأجدر أن يتمهل
حتى يتبين شأن المعتذرين على حقيقته ،

لكاذبون . د يحلفون لكم لترضوا عنهم ،
فإن رضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن
القوم الفاسقين .

وقد بين الله لرسوله وللمؤمنين أن تخلف
المنافقين كان خيرا للمؤمنين في واقع الأمر
وهذا ما يعلمه الله ، ولم يكن يعلمه النبي حين
قبل اعتذارهم دون تريث . حتى يتضح النفاق
في أشنع ألوانه لو لم يأذن ، د ولو أرادوا
الخروج لأعدوا له عدة . ولكن كره الله
انبعاثهم فثبطهم وقيل أقموا مع القاعدين .
لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا -
الآيات

وهذه جولة قصيرة في الحديث عن المنافقين
ونفاقهم وحديث الأفاعى طويل المدى . .
والقرآن لا يقصد من تحقيره للنفاق وأهله
خصوص قوم ذهب أياهم .

ولنما يريد توجيهنا إلى حطة النفاق ،
وسقوط أهله عن المستوى الإنساني ،
حق في أخط أوضاعه ، فإنهم لا يكرمون
أنفسهم عن الخدعة ، والروغ عن الجدة ،
ولا يربأون بها عن الإسفاف في الجبن ،
والتلون بالمودة إلى هؤلاء أو هؤلاء .

ولئن كان سياق القرآن في المنافقين في الدين
الذين يضمرون الكفر ويظهرون الإسلام

لتسكنهم من التلاعب معه ، أو لتغاضى الله
عن رعايته - كلا ...

بل كانت وسيلة إلى أغراض تهذيبية
أسلفناها ، ووسيلة إلى كبتهم ، وإحباط
مكرهم ، واقتضاح مخازيهم وتسجيلها عليهم ،
وكانوا يطمعون أن تغفل سرا مستورا عليهم
فعاملمهم الله بنقيض غرضهم .

وبما أصابهم في ووطنتهم هذه : أن المسلمين
لم يحاربوا ، إذ لم يمددوا لروم جيشاً زاحفاً
ولا غير زاحف ، ووجدوها أخباراً غير
صادقة د وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان
بلاء مشكورا .

وبما زاد المنافقين حنقا : أن الآيات في
شأنهم نزلت على الرسول قبل عودته إلى
المدينة من تبوك فعاد إليهم وفضيحتهم
ذاتة بين جيش المسلمين .

وقد حارلوا أن يعيدوا الخدعة ثانياً
بتجديد الاعتذارات ، وتعزيرها بالإيمان
الحائثة ، والتقرب من المسلمين في ثوب البراءة

وكان الله تعالى قد أخبر عنهم بقوله :
د يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم ، قل :
لا تعتذروا لنؤمن لكم ، قد نبأنا الله من
أخباركم . د وسيحلفون بالله لو استطعنا
لخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم بالنفاق ،
والخداع والحنث في الإيمان - والله يعلم إنهم

يدعوها إلى الوحدة ، وتقتدى برسول أمين ،
وبسلف ، صدقوا ما عاهدوا الله عليه ،
في وحدتهم ، وفي بناء دولتهم ، وتركيز
سلطانهم وسيادتهم .

وأمر المسلمين اليوم على بركان يتقد أوارده ،
ويتطايّر شرره ، ويكاد الانقسام في بعض
شعوبهم يأتي على الأخضر واليابس فيهم ،
وقد جرت سنة الله في خلقه أن هذه بوادر
لا تبشر بخير ، ولا يعقبها إلا دمار ، وهذا
واقع تكرر في أمم سابقة وتحدث به التاريخ
وآمن به من لم يؤمنوا بالقرآن .

ولم يحدثنا التاريخ في لحظة من لحظاته أن
الانقسام والتنازع كان وسيلة إلى قليل
من خير ، أو كان على قليل من صواب .
فإذا قدر الله لشعوب ندعوها إلى الوحدة
فتمرع إلى الانقسام ، وتصرف في الكيد ،
وتناوى دعة الإصلاح ، وتعادى من يهيب
بهم إلى اللقاء ، والتلقى على مبادئ الإسلام ،
والاستقلال بعلم واحد .

لو كنا في عهد نزول القرآن لما سمي هؤلاء
مسلمين ، واتحدت عنهم بمثلها أو أشد
بما تحدث عن المنافقين ، فقد كان المنافقون
يمكرون في شيء من الجبن والرياء وهؤلاء
ينخدعون ، ويمكرون ، ويفسدون في غير
حياء ، فأين إسلامهم ؟ اللهم اهدنا واهد

عبدك اللطيف المبكي

فإن النفاق في الأخلاق ، وتبعب المنافع ،
والتقرب إلى ذوى الجاه على حساب الغير ،
أو على حساب الوطن ، أو على حساب
الدين ، وما إلى ذلك كله مما يشذ عن المبادئ
الكريمة : كل هذا نمط من الكفر ،
وإن لم يسكن في العقيدة ، فإن الدين
الحق عقيدة ، وعمل وأخلاق ، والأخلاق
ركن قويم .

ومن تهاون في جانب من هذه كان في دعواه
الإيمان ممن يقولون بأفواههم ما ليس
في قلوبهم .

وانظر تجد ثناء الله على رسوله كثيراً ،
وتجد أبرز الثناء كان « وإنك لعل خلق عظيم ،
والقرآن يحثنا بهذه التوجيهات إلى البعد
عن مظاهر النفاق ، وإلى مقاومته في المنافقين ،
حتى ينكشوا ، وتظهر منهم البيئة بالقدر
المستطاع .

ونحن في أشد الحاجة إلى الاعتبار بتوجيه
القرآن ، فإن النفاق باسط جناحيه في كثير
من البيئات ، وتعودنا الشجاعة الأدبية ،
والغيرة على الخلق في مقاومة المنافقين لتهدأ
خواطرنا من المضايقات ، وتسلم حياتنا
من التصدع .

وقد بلونا من النفاق أولاً ، وأخيراً
ما مزق وحدة الإسلام ، وبدد الجاهة التي
تدين بالتوحيد ، وتستظل بكتاب كريم

المسئولية الجماعية بين الشريعة الإسلامية والشرائع السابقة للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

على عودته ، ومقر به ما انكشف من جسمه .
فلما أفاق نوح وبلغه ما كان من موقف أولاده
حياله ، لعن كنعان بن حام ، ودعا عليه
وعلى نسله أن يكونوا عبيداً لعبيد أولاد
سام ويافت . فاستجاب الله دعاءه وكتب
عليهم الرق أبداً للآبدين . (١)

وغنى عن البيان أن هذه القصة من وضع
اليهود ، ولكنها مع ذلك قد أصبحت
من الأسس التي تقوم عليها ديانتهم وتقوم
عليها علاقاتهم بشعب كنعان وتبرر ما كانوا
يسيرون عليه بالفعل حيال هذا الشعب .
فقد كانوا يرون أن السكنعانيين جميعاً قد حقت
عليهم اللعنة وكتب عليهم من الأزل
أن يكونوا عبيداً لبني إسرائيل بسبب جريمة
حام المزعومة ودعاء نوح عليه . والقصة
في جملتها تحريف آثم مقصود للقصة الحقيقية
التي ذكرها القرآن عن نوح وابنه إذ يقول :
« ونادى نوح ابنه وكان في معزل : يا بني
اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين . قال :
سأوى إلى جبل يعصمني من الماء ؛ قال :

(١) فقرات ٢٠ - ٢٩ من الإصحاح التاسع
من سفر التكوين .

تحقق المسؤولية الجماعية كلها اتجهت
المسئولية إلى هيئة ما ، كأسرة أو عشيرة
أو أمة أو جمعية ، لعمل اقترفه أحد أفرادها
أو بعضهم .

وقد أقر هذا النوع من المسؤولية كثير من
الديانات والقوانين الوضعية السابقة للإسلام .
ومن الديانات التي أقرت هذا النوع
من المسؤولية الديانتان اليهودية والنصرانية .

فأسفار اليهود المقدسة تقره في مواضع
كثيرة . فن ذلك مثلاً ما تذكره بصدد شعب
كنعان وأنه قد حل به غضب الإله وحققت
عليه لعنته ، وضرب على أفراد الرق إلى الأبد
لجريمة ارتكباها أبوه حام . وأصل ذلك ما ورد
في سفر التكوين (وهو من أسفار توراتهم
المزهوة) من أن نوحاً قد شرب مرة نبيذ
العنب الذي غرس كرمه بيده بعد الطوفان ،
بدون أن يعلم خاصته المسكرة ، ففقد وعيه ،
وانكشفت سواته ، فرآه ابنه حام وهو
على هذه الصورة ، فسخر منه ، وحمل الخبر
إلى أخويه سام ويافت . ولكن هذين كانا
أكثر أديباً منه ، فحمل كل منهما رداء وسار
به القمقم نحو أبيه حتى لا يقع نظره

المسئولية الجماعية في جريمتين : إحداهما الخيانة الوطنية ؛ والاخرى انتهاك حرمة الاشياء المقدسة Sacrilège تقتضى في هذين الجرمين بالإعدام على المجرم نفسه وعلى جميع أفراد عصبته وهم أقرباؤه من ناحية الذكور ، لا فرق في ذلك بين صغارهم وكبارهم ، ولا بين ذكورهم وإناثهم ، ولا بين عقلائهم وجانينهم ، ولا بين أصحابهم ومرضاهم . بل لقد كانت العقوبة تشمل كذلك الأموات منهم ، فكانت تنبش قبورهم ويقذف برفاتهم في خارج الحدود ، وهى عقوبة تشبه عقوبة الذئب من البلاد التى توقع على الأحياء . وكانت العقوبة تمتد فوق هذا وذاك إلى جميع ما تملكه الأسرة من حيوان وأموال ومنازل ومتاع ، فتباد هذه الممتلكات أو تحرق أو تدمر أو تصادر .

وللمسئولية الجماعية آثار كثيرة كذلك في شرائع قدماء الرومان ، سواء في ذلك شرائعهم السابقة لعصورهم المسيحية وشرائعهم المقررة في هذه العصور . أما شرائعهم الأولى فلم تقرر المسئولية الجماعية إلا في مظهر واحد من مظاهرها ، وهو المظهر الذى يودى إلى عقوبة مالية خسب . فكانت تهكم في بعض الجرائم بمصادرة الأملاك . وغنى عن البيان أن هذه العقوبة ينال أثرها ورثة المجرم بل جميع أفراد أسرته ؛ وبخاصة لأن

لا حاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ؛ وحال بينهما المروج فكان من المفرقين . (١) والديانة المسيحية تقوم أهم عقائدها على مسئولية جمعية واسعة النطاق . فهى تقرر - على حد ما تذكره أسفارهم التى يقدسونها ويسمونها الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد - أن أفراد النوع الإنسانى قد انتقلت إليهم جميعاً خطيئة أبهم آدم إذا أكل من الشجرة ، وظلوا محتملين مسئوليتها حتى فداءهم المسيح بدمه المزهى من صلبه ، فغفرها الله لهم .

وغنى عن البيان أن هذا التأويل من محتقاتهم ، وأنه لا يتفق فى شئ مع العدل الإلهى الذى يتعمل فى قوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، ولا يتفق مع ما يحدثنا به القرآن عن استغفار آدم من خطيئته وغفران الله له ، وعن نجاة المسيح بما دبر له من صلب : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » . ولكن هذا التأويل قد أصبح مع هذا كله من الأسس التى تقوم عليها الديانة المسيحية الحاضرة .

ومن القوانين الوضعية التى أقرت هذا النوع من المسئولية قوانين اليونان والرومان . فالقوانين اليونانية القديمة تقرر

(١) الآية ٤٢ ، ٤٣ من سيرة هود .

المنبوذين في فقر مدقع وبؤس مقيم ، وعيش هذا شأنه أخف منه الحسام : فني الخلاص منه بالموت إنقاذ ورحمة ، وفي الإبقاء عليهم لإبقاء على الشقاء والعذاب ، ، ويقصد هذا القانون بالميراث ما عسى أن يرث هؤلاء من غير أبيهم ؛ لأن جميع ما يملكه أبوهم كان يحكم بمصادرته في هذه الجريمة .

* * *

وقد قضت الشريعة الإسلامية على المسؤولية الجماعية في مظاهرها التي تنال الأنفس والحريات ، فقررت ألا يؤخذ فرد بجرم غيره ، وأن النفس بالنفس ، فلا يقع القصاص في القتل العمد إلا على من اقترفه بالفعل ، غلضت بذلك الشعب العربي من نظام فاسد كان يتهدده بالفناء . فقد كانت مسؤولية القتل في الجاهلية تقع على قبيلة القتال في مجموعها ، وتثير بينها وبين القبيلة الموتورة حرباً شعواء لا يخدم سعيها إلا بعد أن تأتى على مئات وآلاف من الأنفس ، و أيام العرب ، في الجاهلية تقدم لنا عدة أمثلة من هذا القبيل .

ولكن الشريعة الإسلامية قد أبقت مع ذلك على المسؤولية الجماعية في بعض مظاهرها المالية ؛ تحقيقاً لمبدأ التضامن والتكافل الاجتماعيين ومبدأ تعاون الأقرباء وأهل البلد بعضهم مع بعض ، وهي المبادئ التي تحرص الشريعة الإسلامية على تحقيقها في كل

الملكيات في ذلك العهد كانت ملكيات جمعية لا فردية ؛ فكان المالك الحقيقي هو الأسرة نفسها باعتبارها هيئة أى شخصاً معنوياً . فصادرة الأملاك كانت إذن ضرباً من العقوبة الجمعية تؤخذ به الأسرة في مجموعها لجريرة ارتكبا أحد أفرادها أو بعضهم . وأما الشرائع التي كان يسير عليها الرومان في عصورهم المسيحية فقد أقرت المسؤولية الجمعية في جميع مظاهرها : في مظاهرها التي تنال الأنفس والحريات ؛ وفي مظاهرها التي تنال الأموال ، وإليك مثالا : القانون الذي أصدره سنة ٣٩٧ بعد الميلاد القيصر أركاديوس Arcadius (امبراطور الدولة الرومانية الشرقية من سنة ٣٩٥ إلى سنة ٤٠٨ بعد الميلاد) بصدد جريمة الخيانة الوطنية ، واحتفظ به جوستينيان في قوانينه (امبراطور الدولة الرومانية الشرقية من سنة ٥٢٧ إلى سنة ٥٦٥ بعد الميلاد) . فقد قرر هذا القانون ، أن العمد المطلق تقضى بأن يصيب أبناء المقترف لجريمة الخيانة الوطنية العقاب نفسه الذي يصيب أباهم ؛ ولكن الامبراطور ، لما له من سلطة مطلقة يرى الإبقاء على حياتهم ، على أن يحرموا من الميراث والتملك ، ويحال بينهم وبين مواطن الشرف ، ولا يسمح لهم بالاشتراك في العلقوس الدينية ، وهكذا يعيشون عيشة

عليه السلام : اجمع منهم خمسين فيحلفون بالله ما قتلوه ولا علوا له قاتلا . فقال يا رسول الله أليس لي من أخى إلا هذا ؟ فقال بل لك مائة من الإبل (وهى دية النفس فى الإسلام) . وروى أن عمر رضى الله عنه حكم فى قتل بين قريتين ، فطرحه على أقربهما وألزم أهلها القسامة والدية . وكذلك روى عن علي رضى الله عنه ؛ ولم ينقل الإنكار عليهما من أحد من الصحابة ، فأصبح هذا الحكم مجمعا عليهما . ومن ذلك أيضا ما ذهب إليه طائفة من فقهاء المسلمين على رأسها العلامة ابن حزم من مسئولية البلد الذى يموت أحد أفراده جوعا ، إذ ترى وجوب الدية على جميع أهل البلد فيؤدونها متضامنين كأنهم شركاء فى موته ، ومن ذلك أيضا ما ذهب إليه طائفة من فقهاء المسلمين فى حالة ما إذا مات شخص فى الزحام ، نتيجة لضغط الجماهير عليه ، إذ ترى وجوب ديته على جميع من حضر (١) .

المركب على عبد الوارء والى

(١) انظر صحيح البخارى فى باب إذا مات أحد فى الزحام ، وانظر ما ذكره السندى فى تعليقه على الحديث الوارد فى هذا الباب وهو الخاص بموت البناات أبى حذيفة فى الزحام يوم غزوة أحد - ويرى الشافعى وجوب ديته على من يدعى عليه ولى الدم ويحلف أنه هو الذى تسبب فى موته .

موطن يتاح تحقيقها فيه . فن ذلك أنها قررت أن معظم الجرائم التى تجب فيها الدية (وهى ما يغرم فى بعض أنواع القتل غير العمد) وبعض الجرائم التى يجب فيها الأرش (وهو ما يغرم أحيانا فى إصابة بعض أعضاء الجسم) لا يحمّل غرمها المجرم وحده ، بل تحمّله عاقلة ، فى مجموعها ، وعاقلة الفرد عصبته المؤلفة من أقربائه من ناحية الأب ، وإطلاق اسم العاقلة ، نفسه على العصبه جاء من النظام الذى نحن بصده ، وذلك أن أهل الجاني كانوا يقدمون لأهل المجنى عليه الدية ، وكانت الدية تقدر بعدد من الإبل يذهب بها أهل الجاني و يعقلونها ، أمام دور العشيرة المواترة ، فسموا العاقلة ، من أجل ذلك ، ومن ذلك أيضا أن الشريعة الإسلامية تقرر الدية على جميع أهل البلد إذا وجد بجواره قتيل لم يعلم قاتله ، وذلك بعد استيفاء الإجراءات التى يسميها فقهاء المسلمين « القسامة » ، وهى أن يستحلف ولى الدم خمسين رجلا يتخيرهم من أهل البلدة ، فيحلفون أنهم ما قتلوه ولا علوا له قاتلا ، فينثذ يسقط القصاص ولكن تجب الدية على أهل البلدة جميعا ، والأصل فى ذلك ما روى عن زياد بن مريم أنه قال : جاء رجل إلى النبی عليه السلام فقال يا رسول الله : إني وجدت أخى قتيلا فى بنى فلان . فقال

الوجهة الثقافية في تونس

للأستاذ محمد البشير النيفر

أ- باب :

الرجال لأن الحملات التأديبية كانت قاسية تأتي على الأمة التونسية بدون استثناء . وكل ذهب فيها من لا يحصى .

وتناولت تلك الحملة الجارفة في سبيلها العارم التراث الفكري في مصادره في المكتبات هلاوة على الرجال ، فأتى التحريق والتزويق على كمية ذات بال ، ولا مبالغة إذا قلنا : إنها أتت على الأكثرية الساحقة من المكتبة التونسية وما استمدت من المكتبة الأندلسية .

الحاجة إلى التافيق :

بإزاء هذا الفقر المدقع احتاجت تونس إلى تجديد في ثقافتها المتعارفة في تلك العصور فبعد استقاداتها من رصيدها العلمي استمدت من المغرب الأقصى بواسطة أفراد قاموا مقام البعثات العلمية في التلقيح والمساهمة في التجديد .

واستمدت كذلك من مصر بواسطة همة رجال بعثتهم الغيرة وحركهم حب الزيادة من المعارف أن يقصدوا مصر ليضيفوا إلى الثقافة الإسلامية والعربية قوة وحيوية تسكبسان من التلقي في القاهرة ، وكان لهم أثر محسوس

اجتاحت البلاد التونسية كارثة ذات تأثير كبير على الناحية العلمية الإسلامية بالأخص وإن كانت في تأثيرها السيئ لا تقتصر على تلك الناحية غير أن هذه ظهر التأثير فيها بالخصوص لما كانت عليه تونس في عصورها السابقة من ازدهار وما ظهر فيها من نبغاء في العلوم الإسلامية ، وفي طليعة ذلك علم الفقه الإسلامي المالكي النابت من هذه الديار ، والذي تكونت له فيها أشهر مدرسة عرفت بالمدرسة القيروانية ، والكارثة المؤثرة هي الحملة الأسبانية المصبوغة بصبغة مقاومة الإسلام ، إذ خرجت عقب معركة خاضتها الأمة الأسبانية في قرون ، والإحن تملأ صدور رجائها المليئة بالحملة ضد الإسلام . فتأثيرها على الناحية الإسلامية كان له أبلغ تأثير في تونس .

وتخلصت تونس من براثن تلك الحملة الناشئة فيها بواسطة الزحف التركي على حلق الوادي سنة ٩٨١ ، وعلى حصن الباسطون في تونس في السنة نفسها ، وهي هزيمة من

في الثقافة التونسية حيث أصبحت المدرسة المصرية يكتبها وأسايلها التدريسية تسود التعليم .

المدرسة المصرية :

اختفت طريقة المدونة بهذيب البراذعي بعد أن كانت السائدة كما اختفت طريقة شروح جامع الأمهات التونسية .

وكان المتن الحليلي قد سبق شروحه ، فاعتنى به أهل المغرب وشرحوه ، وكان أولا يساير ما تقدمه من طرق ثم طغى تدريسه فأصبح المادة الوحيدة لكل فقيه ، والقانون المتبع في القضاء ، ثم التحقت به شروحه المصرية وبالأخص شرح الزرقاني .

وكذلك في الكتب الابتدائية انصرفت العناية إلى الشروح المصرية على الرسالة وبالأخص شروح أبي الحسن الشاذلي ، وتقوئل عن الشروح الأخرى وهي شرح القلشاني والتونسي ، وابن ناجي القيرواني ، زروق الفاسي وفي العربية كانت كتب الشيخ خالد الأزهرى لها الامتياز والتقدم على غيرها من الكتب المتداولة فشرح الأجرومية وشرح الأزهرية وكتابه التصريح كانت من أهم مصادر التدريس فمكف عليها الطلبة ، وبالأخص شرحه على الأجرومية ، حتى إن السنة الأولى في التعليم الزيتوني كانوا يسمونها بسنة سيدي خالد .

وتأتى كتب ابن هشام محملة مكانها في الثقافة

العربية التونسية ، فكانت كتب ابن هشام تدرس في التعليم التونسي الماضي ، وتساير المتعلم في التعليم من الابتدائي إلى العالي وفي مقدمة ذلك المغني فشروحه للدمايني ، والشعبي وتعليق الأمير .

وهكذا في الكثير من المواد حق علم العقائد الذي بقيت فيه المدرسة السنوسية التلمسانية محافظة على وجودها في تونس متدرجة بالصغرى ، والوسطى ، والكبرى ، ولكن كانت الجوهرية اللغانية تدرس بجانب تلك الكتب كذلك ، وينضم إلى ذلك الحواشي التي كتبها الأزهريون على الكتب السنوسية . واللافت للنظر أن المدرسة القيروانية الفقهية رغم تعميمها العمر الطويل ، وانتشار كتبها ، وامتداد تأثيرها توارت أمام المدرسة المصرية ، فأصبح المختصر الحليلي بما تفرغ عنه من شروح ، ومختصرات ومبسوج على طريقته يحتل حلقات الدروس ويطبق الطلبة إلى حفظه ، وتكرس الجهود الوافرة لفك مغلقه ، وتفهم عباراته .

وانتشار هذه المدرسة كانت له أسباب متعددة على أزمئة مختلفة ، ثم أن هذه الأسباب في ذاتها تتنوع ، فمنها ما يرجع إلى كثرة التأليف المصرية ، وتوفر وجودها ، وحسن حفظها ، وكل ذلك يجعل الاعتماد عليها اعتمادا على كتب صحيحة .

ففي تونس كان الشيخ محمد الحجيج (١١٠٨) وهو أحد أعلامها تلقى بعض معارفه بالقاهرة فأخذ من الحرشي وغيره، وتصدر للتدريس بتونس فاستفاد من دروسه الكثير، وكان يعتز بإجازة الحرشي له، فحينما يختم المختصر الخليلي يقرؤها على تلاميذه .

وكذلك محمد زيتونة (١١٣٨) الذي أقاد واستفاد في رحلته المصرية ، وهو من مشاهير التونسيين بدروسهم الحافلة وله حاشية على بعض تفسير أبي السعود تبلغ مجلدات .

وفي مسامرات الظريف ، فقرأ بمصر على الشيخ محمد الزرقاني والشيخ محمد الغراوي والشيخ إبراهيم الفيومي والشيخ منصور المنوفي ، ورجع إلى الحاضرة بعد أن حصل العلوم وببذرة إجازات من كافة مشايخه ، .

ومن المستفيدين من الرحلة إلى القاهرة محمد بن علي الغرياني (١١٩٥) الذي لاقى في رحلته الشيخ مرتضى صاحب القاموس واستجازه لأولاده .

وفي جربة الشيخ إبراهيم الجنى (١١٣٤) وهناك أسس مدرسة درس فيها طيلة عمره الطويل حيث بلغ خمسا وتسعين سنة وصرف جهوده ومواهبه لتعليم تلك الجهة المتعطشة للثقافة الدينية واهتم غاية الاهتمام بالمختصر الخليلي وترك مدرسته بعد وفاته لذويه

وهناك سبب آخر هو التلقي في الأزهر ، والمؤلفات المدروسة فيه كادت تكون منحصرة في علمائه ، وهم شيوخ لأولئك الوافدين على الأزهر ، وبالطبع أن يألفوها ويحنوا إلى تدريسها ، فأصبحت من جبراء ذلك مادة التدريس .

ونريد أن نظهر من السبب الأخير حلقة منه في ثبت البديري (١١٤٠) الذي أجزى به على الأوصى الصفاقسي التونسي ، فهو وما أضيف إليها من إجازات وثيقة تاريخية حرة بأن تبرز، إذ نجد فيها صورة الارتباط الثقافي بين مصر وتونس وكيف أن التونسيين جددوا ثقافتهم في تلك الرحلات ولقحوا معارفهم التونسية بالمعارف المصرية في وجهتهم نحو القاهرة .

وهي تصور حلقة متأخرة من حلقات متعددة سبق إليها رجال كثير توزعوا على المدن التونسية ، وأسسوا فيها مؤسسات أشعت منها العلوم الإسلامية والعربية فأدت تلك المؤسسات واجبا التثقيف حسب مقتضيات ذلك العصر ومتطلباته .

الإشعاع :

انتشر الإشعاع الثقافي المصري في جهات من أمهات المدن التونسية بواسطة رحالين من أهل تلك الجهات .

الدُّوسى وإجازته :

ومن بين أولئك الآمين للقاهرة حيث الوجهة الثقافية الشيخ على الأوسى (١٢٠٤) وهو المجاز بتلك الإجازات التي تصور حلقة من حلقات الوجهة الثقافية نحو القاهرة المعزية .

وقد تلقى الأوسى أولاً تعليمه بصفاقس ثم ارتحل منها إلى القيروان ، ومنها إلى تونس وثانياً بالقاهرة التي أطل إقامته بها ، حتى بلغت خمس سنين

وفي القاهرة أخذ علم القراءات على الشيخ أحمد الرشيدى وأجازه سنة (١١٦٧) وذكر في إجازته أنه حضر عنده من الجزرية لابن الجزرى وشرحها شيخ الإسلام زكريا مرتين ، ومن الشاطبية حمزة وهشام على الحمز وشرحه البرادى ، ورسالة الرشيدى فى ذلك ، وضبط الحراز والتنبيه عليه ، ورسالة البقرى فى أصول القراءات ، كل ذلك بضبط وإتقان ، وأجازه محمد بن سالم الحفناوى فى السنة نفسها بثبت البديرى ، وأثبت إجازته على الثبث المذكور بخطه — وهى المنشورة صورتها ، وأضاف إلى إمضائه بعد ، وبما جاء فيها فقد لازمنى الشيخ على بن على الصفاقسى فيما يسره الله من العلوم ثم طلب منى الإجازة كما هو سنن السلف فأجزته بجميع ما تضمنه هذا الثبث ، وأجازه

واستمرت على ذلك المنوال مدة مديدة ، وتخرج منها العدد الكثير ، وتوزع المتخرجون من مصر فى الجهات الساحلية فأبو العباس المكنى (١١٢٢) حل بالمسكنين وأسس بها مدرسة ومن بعده على بن خليفة (١١٧٢) فى مساكين ، ومحمد بن الحسن الهدية (١١٩٥) فى سوسة ، وألف الأخير حواشى على الكتب المدرسية واشتهرت حاشيته على الخطاب على الورقات ، وطبعت مرات متعددة ، وأحمد الرينى السوسى ،

وكانت صفاقس صاحبة الحظ الأوفر من الوافدين من مصر فقد خرج من رجالها عدد كثير منهم إبراهيم بن أحمد الجبل (١١٠٧) والشيخ على النورى (١١١٨) وله شهرة صحت وطبقت النواحي وأحيا العلوم القرآنية ، وأسس بصفاقس زاوية للتدريس وانتشرت كتبه القرآنية وصار الاعتماد على كتابه ، غيث النقع فى القراءات السبع وله فهرست حافلة ذكر فيها شيوخه وعبد العزيز القرافى (١١٣١) وله مؤلفات أشهرها اختصار السيرة الحلبية . وأبو الحسن على اللوى وتلميذه محمود مقديس (١٢٢٤) وهو صاحب الحاشية الكبرى على أبى السعود وتحفظ بنسخة تامة منها خزانة المحروم محمد الصادق النيفر ولعلها الوحيدة ونزهة الأنظار فى عجائب التواريخ وهى مطبوعة وغير ذلك .

وكان يعنى بدروسه ، ولا يقرأ إلا بعد توفر المواد المتعلقة بالكتاب المدروس .

وقد وصف هذه العناية صاحب نزهة الانظار أنى الأوى بعلوم حجة فبشها ونفع الله به خلقا كثيرا وكان نصوحا لا يقرر إلا بتحقيق ولا يقرر مختصر خليل إلا بمادة واسعة كالشرح الكبير والصغير للشيخ الحرشى ، والشيخ الأجهورى ، والشيخ العمروسى والشيخ التتائى ، وغير ذلك من الشروح ، ومحدود ابن عرفة ، وشرحها للشيخ الرصاع وهكذا فى جميع العلوم لا يقرئها إلا بإحضار ما يمكن إحضاره من المواد .

وكان أنى من مصر بخزانة كتب واسعة استعان بها على بث العلوم وتحقيقها وأخذ عنه خلائق .

صورت لنا نزهة الانظار ما كان عليه الواحلون لمصر من بذل مجهود واسع لإفاضة الحيوية والتحقيق على ما هو موجود فى تونس من معارف ذات قيمة فى تلك الآونة فكانوا بعثات فردية لامتزاج الثقافة ولتسكيل ما يرون فيه نقصا .

وكانت إفاذتهم واسعة النطاق بسبب أنهم لم يتجمعوا فى العاصمة التونسية ، بل انتشروا فى المراكز الحساسة ولم يكتف البعض منهم بالمساجد ، بل أسس مدارس خاصة حيث يبدو التعطش للمعرفة .

بإجازة تجد صورتها هنا الشيخ سالم النفرأوى قائلا فاختبرناه فوجدناه على غاية فاستخرنا الله وأجزناه إجازة مطلقه .

وأجازته محمد البليدى بمقائيد السنوسى وعلى بن أحمد الصميدى فى الحديث والفقه ، وحسن المدابغى بتاريخ سنة (١١٦٧) بماسمعه عليه من صحيح البخارى ، وأحمد الدمنهورى بما قرأه عليه من كتب متعددة فى فنون متنوعة منها ما هو من تأليفه كشرح السمرقندى فى الاستعارات وشرح السلم ، وتاريخ الإجازة المتقدم فى الإجازات قبلها ، وحسن بن محمود المحلى الشافعى فى العام نفسه وسليمان العزى الشهير بالزيات .

أقام الأوى بالقاهرة دارسا ، وأخذاً من الشيوخ الذين كان لهم التقدم فى فنون عدة كالقرارات والتفسير وما يتبعه ، وعلوم الشريعة : أصولها وفروعها ، وعلوم العربية بأنواعها ، والعلوم الأخرى منطقا وحسابا وهندسة ومساحة وكانت دراسته للعلوم الأخيرة على الشيخ أحمد الدمنهورى الذى قرأ عليه المنطق ، والأزياج وعلم الحكمة وعلم الحساب وتبوع الشيوخ النابهن ولزامهم ، وحين أراد الرحلة أجازوه إجازات خاصة فى ذلك المجموع الخاص وقدم صفافس بمعارفه التى تلقاها فى مصر وهى علوم متنوعة وانصرف للتدريس معرضا عن الوظيفة القضائية

وبذلك أثمرت معارف هؤلاء الراحلين التي نقلوها من مصر ثمارا يانعا، وتخرج على أيديهم البناة العديدون للنهضة العلمية بعد ذلك الفراغ الذي أحدثته النكبة، فبتضافر جهود الرصيد من الرجال المثبتين في تونس بعد تلك النكبة أو الآخذين عنهم مع المولين وجهتهم شطر مصر، وكذلك مع القادمين من المغرب الأقصى ازدهرت المعارف الإسلامية والعربية وعادت إلها نضارتها، وعوضت تونس ما فقدته وأمكن لجامعتها الإسلامية أن تتابع خطاها، واستطاعت تلك الجامعة أن تكون شجيا في خلق الاستعمار الفرنسي حين أراد الاستحواذ على العقيلة التونسية، وحين وفر الأسباب للقضاء على العربية.

المصراع :

بما أظهره هذا المجموع في خطوط العلماء للشيخ على الأوى وشهادتهم له بأن له اليد الطولى في الذي زواله من فنون ثقافها على أشياخه بالقاهرة لعرف الجسر العابرة عليه الثقافة من بلد إلى آخر: وكيف كان يحاز النقلة حتى يتمكنوا من أداء الرسالة وكان الحجاز بهذا المجموع من خير الناقلين للثقافة إلى بلادهم إذا عرض الإعراض السكلى عن كل ما يحول بينه وبين نشر معارفه مضيئا لإلها تلك الخزانة الواسعة لترغيب طلبته في العلم وإفساح المجال لهم، وكان في طليعة طلبته محمود مقديش مؤرخ صفاقس وعالمها.

وهذا التمازج المسكون في هذه الحقبة: وقبلها منذ قرون، منذ أخذ سحنون عن ابن القاسم لا تزيده الأيام إلا جعدة بعد أن تحطمت الحواجز الاستعمارية، وأصبح العالم العربي طليقا وهو يبنى مستقبله الجديد على إسلامية وعروبة.

محمد البشير النيفر

الكتاب المسمى :

تدخل أوجه الارتباط الثقافي في جهات متعددة غير الرحلة، وتتجلى في مادة الكتب التي منها في تونس مكاتب زاخرة، وليس الأمر مقصورا على الكتاب المطبوع بل يشمل المخطوطات التي يزين الكثير منها المكاتب التونسية.

وكان عبورها بواسطة المتفرجين مثل الأوى المتحدث عنه فقد نقل معه خزانة زاخرة وكذلك كان المارون للحج لا يغفلون عن اقتناء النفائس من الكتاب المسمى.

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

٤ — التكافل الاجتماعي

رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه شيئاً ضريراً يسأل على باب ، فلما علم أنه يهودى قال له : ما ألك إلى ما أرى . . ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن ، فأخذ — رضى الله عنه — بيده ، وذهب به إلى منزله فأعطاه ما يكفيه ساعتها ، وأرسل إلى خازن بيت المال يقول له : انظر هذا وضرباه « نظراؤه ، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الحرم ، إنما الصدقات للفقراء والمساكين ، والفقراء هم المساكين ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب ، ووضع هذه الجزية وعن ضربائه .

بهذه القصة يفسر التكافل الاجتماعى الذى عرفه الغرب لأول مرة فى القرن السابع عشر ومعناه أن تتكفل الدولة أو المجتمع برعاية الفقراء وإعانة المرضى والشيوخ والعجزة ومن إلهم ، كالعمال الذين يصابون أثناء العمل ومعناه كذلك أن دائرته لا تسكاد تتعدى مطالب العيش لمن لا يحمسون فى أنفسهم القدرة على تحقيق المطالب الغذائية والكسائية

والسكنية ، ولا شك أن الفارق بعيد والبون واسع بين حمل عمر رضى الله عنه فى القرن السابع الميلادى وبين حمل الغربيين فى القرن السابع عشر ، ولكنه يفسر معنى التكافل بالقدر الذى يعطينا صورة لحقيقته عند غير المسلمين ، أما عندنا — نحن المسلمين — فلا نكاد نجد ديناً أو تشريعاً يتحقق فى ظله التكافل الاجتماعى بالصورة الكبيرة الواسعة الجامعة ، التى نجدها فى الإسلام ، وإذا كان تفصيل ذلك لا يستوفيه كتاب ولا يستقصيه استيعاب فحسبنا الإشارة إلى ملاح الصورة التى نطالعها فى قول النبى صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسر والنجى » . أو الصورة التى نراها فى قوله عليه السلام : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » . فهاتان صورتان تكشفان عن مدى ما يصل إليه التضامن والتعاون بين الأفراد فى المجتمع الإسلامى ؛ لأن الأولى تمثل المؤمنين على اختلافهم

إخوة، وقوله جل شأنه : « إن هذه أمتكم أمة واحدة » .

أما السورة الثانية فتتمثل المؤمنين في تضامهم وتمازجهم بالبنیان القوى يستمد قوته من تماسك بعضه ببعض، وشده بعضه أزر بعض، وكذلك المؤمنون كما يفهم من قول الله فيهم : « أشداء على الكفار رحماء بينهم، « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، « يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص، « أما مظاهر التكافل الاجتماعي في الإسلام - فهي على كثرتها - يمكن أن نورد إلى الأصول الآتية :-

١ - الشعور الصادق بالأخوة الشاملة . كما يفهم من قول الله : « إنما المؤمنون إخوة » . وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب كل امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه) .

٢ - التعاون على البر والتقوى كما يقول الله : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، ولا شك أن معنى البر سعة المعروف والخير ، ومعنى التقوى يسع كل ما بقى من الشر ، فالتعاون على جلب المصالح ودرء المفاسد ، واجب بأمر الله به ، وتمليه المصلحة العامة ، وتدعو إليه حاجة الأمة ، وقد أنكر الله على قوم

بالجسد . يتكون من أجهزة مختلفة وأعضاء لا يكمل ولا يجمل إلا بها مؤتلفة ، فكل عضو فيه يمثل جانباً من صورته لا تتم بدونه ويؤدي وظيفته فيه لا يؤديها غيره ، ومن ثم كان ضرورياً وطبيعياً أن تسود جميع أعضائه وأجزائه مشاعر جامعة وأن تتعاون هذه الأعضاء والأجهزة والأجزاء على ما يحقق له الخير والحياة الغالبة ، فإذا اعتل عضو منه . وأحس ألم العلة سرى الإحساس بالداء إلى جميع الأعضاء فاشتركت في الشعور بالقلق والأرق ، وتجاوبت جميعها بشكوى العضو المخرج أو المصاب ، وكذلك

المجتمع يتكون من الأفراد والأسر والهيئات ، ولكل جزء فيه وظيفة يؤديها ، وحرقة مهمة تسد حاجة الأمة ، ولهذا يجب أن يسوده التضامن والتعاون وأن تؤلف المرحمة بين مختلف أعضائه وأجزائه ، وأن يكون الشعور بالإخاء رابطته الجامعة حتى ينعم بالرخاء والحياة الطيبة ، لا يكدر صفوها حقد حاقد ولا يعكر جوها حسد حاسد ، ولا يشعر فيه ضعيف بالذلة أمام قوى ، ولا ينحرف فيه قوى بالظلم على ضعيف ، وإنما يحس الجميع أنهم إخوة تجمعهم راية واحدة ، أو أسرة تسمى أمة واحدة ، وذلك بعض ما يفهم من قوله تعالى : « إنما المؤمنون

في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتهما ،
والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ،
فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . .
ومن ذلك نرى أن كل فرد في الأمة مسئول
عما يعهد إليه القيام به ، يستوى في ذلك الحاكم
والخادم والكبير والصغير ، والجميع ممثلاً
في الدولة أو الحكومة مطالب بأن يأخذ على
يد كل من يتهاون في أداء الواجب أو يعبث
بحقوق غيره ، مهما تكن مكانته أو منزلته
بين قومه ، وإلا تعرض لهلاك أو بلاء عام
كما يفهم من قوله عليه السلام : (إنما أهلك
الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم
الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف
أقاموا عليه الحد وإيم الله لو أن فاطمة بنت
محمد سرقت لقطعت يدها) .

٤ - أداء الزكاة ، فقد فرضها الله على كل
مسلم متى كمل عنده النصاب المقدر المقرر ،
وجعلها حقاً معلوماً للفقراء والمساكين
والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب
والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل ، ولم
يدع إسعاف الفقراء ومن إليهم من هؤلاء
هنا برحمة الأغنياء ، وإنما جعل لهم الزكاة
حقاً معلوماً في أموالهم . يؤخذ من السكراء
والبخلاء على السواء . لأمنة ممنونة وجباء ،
ومن ثم قاتل أبو بكر - رضي الله عنه -
مانعياً . وقال فيها قوله المشهورة : (والله

أنهم لم يقاتلوا) في سبيل الله والمستضعفين
من الرجال والنساء والولدان ، ولم يهزم نداء
الضعفاء ، الذين كانوا يشكون الظلم ويقولون :
« ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها »
وفرض الجهاد على جميع المسلمين إذا احتل
العدو أرضهم ، أو عدا على بعضها في هذه
الحال يتعين على كل مسلم ومسلمة أن يمتنعوا
لقتاله حتى يدفعوه بعيداً عن بلادهم ويمنعوا
أنفسهم وإخوانهم أن يخضعوا لنفوذ ،
أو يقيموا تحت سلطانه ؛ لأن هذا لا يتفق
مع مبدأ الولاية الذي يشير إليه قوله تعالى :
« إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » .
والتعاون لدفع الظلم بكل صوره وألوانه
واجب يشترك فيه الجميع لأن العقاب المترتب
عليه يقع على الجميع كما يفهم من قوله تعالى :
« واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة » . وقول النبي صلى الله عليه وسلم :
(إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على
يده أو شك أن يعمهم الله تعالى بعقاب) .

٣ - والإحساس بالمسئولية ، قدر
مشترك بين جميع أفراد المجتمع ومظهر واضح
من مظاهر التكافل الاجتماعي ، كما يفهم من
قول النبي صلى الله عليه وسلم : (كلكم راع
وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع
ومستول عن رعيته . والرجل في أهله راع
ومستول عن رعيته ، والمرأة راعية

إذا أصبح واحد منهم جائعا لا يجد منهم ما يسد جوعه

وقد أشاد النبي صلى الله عليه وسلم بالاشعريين لأنهم كانوا كما قال: (إن الأشعريين إذا أرموا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد . ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية ، فهم مني وأنا منهم) . ولا شك أن هذه صورة لا تفضلها أو تعدلها صورة أخرى فيما عرف الناس من ألوان التكافل الاجتماعي إذا استثنينا ما كان من الأنصار مع المهاجرين في المدينة .

فقد كانوا كما يقول الله فيهم : « يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

هذه هي أهم الأصول التي يقوم عليها التكافل الاجتماعي ، بمعناه الواسع الكبير الذي عرف في الإسلام . . وسنرى فيما سيأتي من فصول كيف صنع الإسلام بتشريعه وتربيته أعظم أمة عرفها التاريخ . وأمثلة مجتمع شهده الوجود ؟

عبد الرحيم فودة

لأقائل من فرق بين الصلاة والزكاة . فإن الزكاة حق المال . والله لو منعوني عناقاً لقائلهم علياً) ولا شك أن الزكاة إذا جبيت وصرفت في الوجوه التي بينتها الآية السكريمة حققت معنى التكافل الاجتماعي ولبت حاجة الفقراء والمساكين . فإذا لم تكف كان حقا على الأغنياء أن يمدوهم بما يكفيهم في المأكل والملبس والسكن ، ولو أدى بهم ذلك إلى عيش الكفاف ، فإن لم يفعلوا كان على الإمام أو ولي الأمر أن يقهرهم ويجبرهم — ولو بالحرب — على بذل ما فضل عن حاجتهم من أموالهم ، وقد كان هذا هو اتجاه عمر رضي الله عنه حين قال : (لو استقبلت من الأمر ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء) بل إن هذا الاتجاه هو الذي يوحى به توجيه رسول الله . إذ قال : (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له . ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) ويفهم من قوله عليه الصلاة والسلام : (أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى) إن المجتمع مسئول عن كل فرد فيه . وإن الإثم يقع على جميع أفراد

مجالس الوعظ في الإسلام رحالة يتحدث عن واعظ كبير للأستاذ محمد رجب البيومي

مكانة مرموقة في عصره واجتمع حوله من الأشياع والمريدين ما لم يجتمع لآبائه الأساتذة في عصرنا الحديث ، وقد كثرت الأخبار في ذلك كثرة تدعو إلى التصديق وتقطع الطريق على كل مشكك بلباس مظان الريبة فيما يقرأ من الأنباء ! وحسبنا أن نقرأ مؤلفات الرجل أو ما بقى لدينا منها لنذكر مبلغ علمه وتنوع معارفه وكثرة أفاقه ، وإن واعظاً يترك المجلدات الحافلة في الفقه والتفسير والتاريخ والحديث والأدب واللغة لجدير أن تلتف حوله الأشياع ! هذه المؤلفات الباقية بين أيدينا إلى اليوم هي الوثيقة الصادقة التي تحدد مكانة الرجل في عصره ، وتشير إلى أسباب زعامته الروحية ، وسيطرته الدينية على الجماهير ! على أن أهم ما جعل هذا الواعظ الجهير يتبوأ مكان الصدارة بين العلماء ، وموضع الخطوة لدى الرؤساء ، وزمام القادة من الجمهور ليس ما شغف به من دراسة علوم الشريعة واللسان على كثرة ما أبدع في تناولها وتصنيفها بل خبرته الفائقة بأحوال عصره ، وثقافته مجتمعه ، فقد رزق عقلاً نهما يتوق إلى شتى المعارف الإنسانية وبستوعب

لا أدري لماذا لا يكتب تاريخ الوعظ الديني في الإسلام كتابة منصفة واعية تسجل اتجاهاته وتبصع أدواره على نحو ما يكتب عن تاريخ التشريع أو التفسير أو الحديث ، مع وفرة المراجع في المكتبة الإسلامية عن الوعاظ والمرشدين ؛ إذ أن أكثر هؤلاء كانوا فقهاء أو محدثين أو مفسرين وكتب الطبقات تفيض في أخبارهم على مد العصور بما يهيء لمؤرخ الوعظ في الإسلام مادة جذابة مشوقة ! وأقول جذابة مشوقة لأن الكثير من هؤلاء الرجال مواقف سياسية باهرة تتصل كثيراً برجال الحكم وتنبئ عن غيرة المخلصين من العلماء حين يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر ، فيصادمون الطغيان المعتز بجبروته وعساكره وخيوله ! وهم بذلك يفتحون لمؤرخهم الدروب مدداً لا ينقضي من الحديث ! هذا غير ما يضطر إلى الإفاضة فيه من توضيح طرائق الوعظ ومناهجه وما يحتاج إليه من تبحر في الشريعة وبراعة في المنطق وقدرة على استشفاف النفوس ودراسة ما يشتجر من التيارات ! وستحدث اليوم عن واعظ جدير شغل

يسأل عنه ، فتذيع مؤلفاته بين الخاصة والعامة ، وكان أشد الناس عداً للتصوف فهو ينكر ما يزعمونه من الحواري وبلزهم بالوقوف عند حدود الشرع ، ثم يخوض حرباً طاحنة مع الجامدين من الفقهاء والمقلدين من المتعجبين ، وينقد التراث الفلسفي والمنطقي ، ويناقش الآراء الكلامية في ذات الله وصفاته ، ويرد على ما يقال من التجسيم والتشبيه كل ذلك يترك حوله غباراً ثائراً من معارضيه ، ولكنه مع ذلك يجذب إليه من الأنصار أناساً يتفانون في تقديره ، ويتدافعون على مجالس وعظه حتى كأن يقدر مجلسه الحاشد في بعض الأحيان بمائة ألف ، وحتى قال عن نفسه :

ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف ، وأسلم على يدي أكثر من مائتي نفس ، وكم سالت عين متجبر بوعظي لم تسكن لتسيل .

ولعل ما حبه للنفوس فوق علمه وأدبه لطافة مظهره ، فقد كان نظيفاً متطيباً يلبس الجيد الرائق من اللباس ، ويظهر نعمة الله عليه ، فيما يتخذ من المأكل والمشرب والمساكن والمركب ، وكان لطيف الصوت ، حلو الشئائل وخيم النخمة ، ينتقل بسامعه من الجد إلى الفكاهة كثير الاستشهاد بالنوادر والآيات معظماً للحديث المحدثي ، وقد ذكر ابن خلكان

في شوق ما يقال عن الفلسفة والمنطق ، هذا إلى نفس مرحلة طيبة تروى طرائف الأدب وتقتبص نوادر الشعراء والأدباء ، وإن عجباً أن يكتب هذا الرجل مؤلفات ضخمة عن العشاق والظراف والمتاجنين وأخبار النساء والمغفلين والمجانين والحق والأذكياء والحداثق ، هذا غير مؤلفاته الموسوعية في التشريع والتفسير والحديث وعلوم القرآن والوعظ ، وقد أفادته دراساته الأدبية سلاسة رقيقة في أسلوبه كانت ذات تأثير خلاب في وعظه ، وإذ كنا نعلم أن أبا الفرج الجوزي (وهو من يتحدث عنه) قد نشأ في القرن السادس ، وهو عصر المحسنات البديعية ، والصناعات اللفظية ثم نجد يختار في وعظه وتأليفه معاً - الأسلوب السلس الشائق غير ملتفت إلى هذا العبث الصناعي المسيطر على الأقلام ، فإننا نعتبره صاحب مذهب فني يربأ بأفكاره أن تقيد بالسلاسل الزائفة ، ولولا بصيرته الأدبية الشفافة ما أتيسر له هذا التفوق الكبير !

ولم يسل أبو الفرج الجوزي من مناوأة معاصريه ! فهو إمام داعية ذو رأى مسموع وتأثير نفاذ ، وكان من الطبيعي أن يسأل عما يضطرب في عصره من أحداث وعما يهوج به الفكر الإسلامي آنذاك من تيارات فيجيب لإجابة المتمكن الضليع ، ثم يؤلف فيما

مجلسه في دار الخلافة لا يختلف عن مجلس وعظه في مكان آخر إلا ما يروى من أن والدته الخليفة وابنها كانا يستمعان الوعظ من وراء ستار، ومهما يكن من شيء فقد فطن ابن الجوزي بالتجربة المبررة إلى أثر اتصال رجل الدين بالحاكم المستبد فقال عن نفسه :

كنت في بداية الصبوة قد ألهمت طريق الزهاد بإدامة الصوم والصلاة وحببت إلى الخلوة فكنت أجد قلباً طيباً، وكانت عين بصيرتي قوية حادة فاتممت الأمر بي إلى أن صار بعض ولاية الأمور يستحسن كلامي فأمالني إليه فقال الطبع ففقدت الحلاوة ، ثم استمالني آخر فكنت أتقى مخالطته ومطاعمه لخوف الشبهات ، وكانت حالتي قريبة ، ثم جاء التأويل فانبسطت فيما يباح فأنعم ما كنت أجد من استنارة وسكينة ، وصارت المخالطة توجب ظلمة في القلب إلى أن عدم النور كله ، فاجتذبتني لطف مولاي بي إلى الخلوة هي كراهة مني ، ورد قلبي على بعد نفور عني ، وأراني عيب ما كنت أوثره فأفقت من مرض غفلي (١) ، وقد حرصت على أن أنقل عبارته لأنها ذات دلالة خاصة فيما يتصل بقلب الواعظ وخلوص

هذه أنه كان يحتفظ ببراية أقلامه التي يسطر بها حديث رسول الله وأوصى أن يسخن بها ماء غسله بعد موته ففعل بها ما أراد وتهاقت الناس على بقيتها فكففت أناسا كثيرين ! وإذا كان التقرب من الرؤساء - ملقاً ورياءً - ديدن بعض الذين يبتغون عرضاً من الحياة الدنيا ، فإنه مما يشين العالم بوجه خاص والواعظ بوجه أخص ، وقد أدرك ذلك ابن الجوزي فاجتهد أن يكون بمنأى عن مودات ذوى الأمر والنهى ، فلم يعرف له اتصال ببعض الخلفاء والوزراء مع أنه كان يقيم ببغداد عاصمة الخلافة الإسلامية ، ومناط التطلع والاستهواء لدى الوصوليين ممن لا يدخرون وسعاً في الزلنى والشفاعة حتى يحوزوا رضا الحاكمين ثم يعودوا بالبدر والهبات إن قصرت أطعمهم على المادة وبالمناصب والألقاب إن تجاوزت المال إلى الجاه والاستعلاء ! وما يروى من أن ابن الجوزي كان يعقد بعض مجاس الوعظ في ساحة قصر الخليفة فليس بسبب مما نحن فيه من ذم التقرب المفروض والوصولية المنقذة لأن الإمام الداعية لم يستجب لرغبة الخليفة المستنصر في ذلك إلا بعد أن اشترط على القصر أن يسمح لجميع العامة بالدخول حتى يكون الرئيس والمردوس بموضع واحد من سماع الوعظ ومذاكرة العلوم ! وفعلوا كان

(١) ص ١٠ مقدمة كتاب ذم الهوى للحلله الأستاذ مصطفى عبد الواحد .

طوبته فليس المرجو منه أن يعظ بالقرآن والحديث ولكن القدوة الصالحة هي مناط التأثير والانبجذاب ، ولا قيمة للعلم دون امتثال .

أما مجلس وعظه على هيئته الطبيعية دون تزيد أو تخييل فقد حفظ لنا التاريخ صورة حية منه رسمها الرحالة الاندلسي ابن جبير في رحلته الشهيرة ، فجاءت صورة باهرة مثيرة قل أن تتاح لأحد من عرفناهم أو قرأنا عنهم من كبار المرشدين ، وابن جبير كما نعرفه في رحلته لم يكن يخالف الواقع إلى المبالغة ، وهو في حقيقته فقيه محدث متدين يحرص على تسجيل أخبار الصالحين والهداة ومجاهدى الحروب الصليبية من الأبطال وفيض في الحديث عن المزارات والمناسك ومواسم العبادة من صوم وحج وزكاة ، ولو جردت رحلته مما يتعلق بمسائل الدين ومناسكه والحديث عن رجاله وعلمائه ما وجد شيء ذو بال ، بل إن رحلته من الاندلس إلى المشرق في لبائها الصريح كانت رحلة دينية تهدف إلى التوبة والتطهير وغفران الذنوب بزيارة بيت الله في مكة وروضة الرسول في المدينة ، فقد قيل إن سبب الرحلة الأولى هو د أن أبا سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة استدعاه ليكتب له كتاباً وهو على شرايه ، فديده إليه بكأس فأظهر الانقباض وقال يا سيدي ما شربتها قط ، فقال واقه

لتشربن منها سبعة ، فلما رأى العزيمة شرب سبع أكؤس فلأله السيد الكأس من دنائير سبع مرات وصب ذلك في حجره ، فحمله إلى منزله ، وأخبر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ثم رغب للسيد وأعلمه أنه حلف بأيمان لا خروج له عنها أن يحج في تلك السنة فأسعفه وباع ملسكاه تزود به وأفق تلك الدنانير في سبيل البر .

أخذ ابن جبير يحجب الآفاق حتى قدم بغداد ، ولا ندري لماذا لم تقع منه هذه المدينة الزاهرة موقع الارتياح ، فقد ذهب أكثر رسمها ولم يبق إلا شهير اسمها فلا حسن فيها يستوقف البصر وأهلها يتصنعون بالتواضع رياء ، يزدرون الغرباء ، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء ، والغريب فيهم معدوم الإرفاق متضاعف الإنفاق ، فسوء معاشره أبنائها يغلب على طبعهوائها ودمائها أستغفر الله إلا لقاءهم المحدثين ووعاظهم المذكرين .

وكانى بابن جبهير وقد استثنى الفقهاء والمحدثين إجلالا لابن الجوزى فقد تحدث عنه بما شاء الله أن يتحدث عن عالم ورح مهيب مفضل ! وقد وصف مجلس وعظه وصفاً غريباً تقف منه على ما كان يتبع في عصره لدى الوعظ من تقليد ! إذ أن المجلس الديني كان يبدأ عادة بتلاوة آيات من الذكر الحكيم يقرأها في المجلس الواحد أكثر

وكانى بابن جبهير وقد استثنى الفقهاء والمحدثين إجلالا لابن الجوزى فقد تحدث عنه بما شاء الله أن يتحدث عن عالم ورح مهيب مفضل ! وقد وصف مجلس وعظه وصفاً غريباً تقف منه على ما كان يتبع في عصره لدى الوعظ من تقليد ! إذ أن المجلس الديني كان يبدأ عادة بتلاوة آيات من الذكر الحكيم يقرأها في المجلس الواحد أكثر

ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت مجلس الشيخ
الفقيه الإمام الأوحـد جمال الدين أبي الفضائل
ابن على الجوزى بإزاء داره على الشط بالجانب
الشرقى ، وفى آخره على اتصال من قصور
الخليفة وبمقربة من باب البصلية آخر أبواب
الجانب الشرقى ، وهو يجلس به كل يوم سبت
فشاهدنا مجلس رجل ليس من محرو
ولا زيد ، وفى جوف الفرا كل الصيد ،
ومن أبهر آياته وأكبر معجزاته أنه يصعد
المذبح ويبتدئ القراء بالقرآن وعددهم
نيف على العشرين قارئاً فينتزع الإثنين منهم
أو الثلاثة آية من القراءة يتلونـها على نسق
بتطريب وتشويق ، فإذا فرغوا تلت طائفة
أخرى على عددهم آية ثانية ، ولا يزالون
يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن
يتسكـموا قراءة ، وقد أتوا بآيات متشابهات
لا يكاد المتقـد الخاطر يحصيها عدداً أو يسميها
نسقاً فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام الغريب
الشأن فى إيراد خطبته عجلاً مبتدراً ، وأفرغ
فى أصـداف الأسـماع من ألفاظه درراً ،
وانتظم أوائل الآيات المقروءات فى أثناء
خطبته فقرأ ، وأتى بها على نسق القراءة لها ،
لا مقدماً ولا مؤخراً ، ثم أكمل الخطبة على
قافية آخر آية منها ، فلو أن أبدع من فى مجلسه
تكلف تسميته ما قرأ القراء آية آية على
الترتيب لعجز عن ذلك ، فكيف بمن ينتظمها

من عشرين قارئاً ، كل قارئ آيتان آيتان !
وجميع الآيات فى غرض واحد حتى إذا انتهى
القراء وقف الواعظ فألقى خطبة فيأصـة
تدور حول الآيات المتلوـة ، فيأتى بها جميعها
مفسرة موضحة ومؤيدة بما يدور فى فلكها
من الحديث وقصص الهداة وعبر التاريخ ،
على أن يلتزم فى خطبته الحرف الأخير من
آخر آية كريمة قراها المرتلون فيكون
مقطع الجملة وقافية العبارة دون تكلف أو
افتعال ، فإذا فرغ من تفسيره تنقى الرقاع
المختلفة تحمل أسئلة الجمهور فيجيب عنها
واحداً واحداً ، لافرق بين سؤال فى موضوع
الخطبة أو سؤال خارج عنه حول أى مشكلة
تدور فى الأذهان ؛ وكنت أظن أن نظام
الأسئلة عقب المحاضرات أمر مستحدث نعرفه
الآن فقط ولكن حديث ابن جبير عن ابن
الجوزى والقزوينى وغيرهما من المحاضرين
يدل على أن الأمر فى ذلك يرجع إلى مدى
بعيد ، وقد حضر الرحالة الطلعة ثلاث مشاهد
من مجالس الوعظ لابن الجوزى ، فوصفها
وصفاً متقارباً بحيث يعنى وصف المجلس الواحد
عن أخيه لافرق بينهما إلا فى موضوع الوعظ
وخواه ، أما طريقة القراء ونظام التلاوة وتهية
المجالس فكل ذلك يسير على وضع رتيب
وسنن قل هنا وصفاً بديعاً لبعض مجالس ابن
الجوزى ومستلزمات وعظه كما رسمها الرحالة
الكبير - قال :

المتلوة ! فهو يقول : فلو أن أبداع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك ، فكيف بمن يفتظمها مرتجلا ويورد الخطبة الغراء بها عجلا ، وربما تزول دهشة الرحالة حين يعلم أن هؤلاء القراء كما أفهم - يعرفون ما سيقرءون من ابن الجوزي قبل أن يلتئم الجمع ، فالرجل لا محالة يجمع مادة الدرس من كتاب الله في موضوع واحد تفرق آياته في السور المختلفة ثم يخبر بها القراء ليقوموا بتلاوتها وللأصوات الحسنة تأثيرها النفاذ فهي تمهد السبيل لتلقى الوعظ ومتابعة التفسير ، فإذا نهض الإمام ابن الجوزي ليفسر النص بعد أن استمتع الحاضرون بتلاوته صادف موضع الرغبة والإقبال ! وهذا مما يزيد توفيقه ونفاذه ولن يقول قائل إن إعداد الآيات مما ينقص قدرته على الارتجال ، فهو آية اعتداده بنفسه ، ودليل تمكنه من الربط البديهي والتعليم الحاضر والامتنان السريع وحق لمثله أن يقول فيه ابن جبير : فلولم نركب ثبج البحر ونعتسف مغازات القفر إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الراجعة مع أنه رأى في رحلته الدنيا وشاهد مئات الرجال .

محمد رجب البيومي

المدرس الأول بدار المعلميات بالفيوم

مرتجلا ويورد الخطبة الغراء بها عجلا ، أفسح هذا أم أفتم لا تبصرون ، ، وإن هذا هو الفضل المبين ، .

حدث ولا حرج عن البحر ، وهيات ، ليس الخبر عنه كالخبر ، ثم إنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر طارت لها القلوب اشتياقا وذابت بها الأنفس احتراقا إلى أن علا الضجيج وتردد بشهقاته النفثيج ، وأعلن الثائبيون بالصياح وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح ، كل يلقي بناصيته بيده فيجزها ويمسح على رأسه داعيا له ، ومنهم من يغشى عليه فيرفع في الأذرع إليه ، فشاهدنا هولا يملأ النفوس إنابة وندامة ، ويذكرها هول يوم القيامة ، فلولم نركب ثبج البحر ونعتسف مغازات القفر إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الراجعة والوجهة المفلحة الناجحة والحمد لله على أن من بقاء من تشهد الجمادات بفضله ، ويضيق الوجود عن مثله ، وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل وتطير إليه الرقاع فيجارب أسرع من طرفة عين وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتاج تلك المسائل ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا إله سواه ،

وظاهر من كلام ابن جبير أنه دهش لا تفارق الخطبة النوعية مع الآيات القرآنية

المعلم الثاني وشعره

للأستاذ سعيد زايد

بذكرهم التاريخ . ولعل فيما امتاز به الفارابي من الشجاعة والصبر على احتمال متاعب الدرس ومشاق الأسفار وشظف العيش ما يشعر بأنه سليل أبطال .

ويذكر ابن النديم في «الفهرست» أن المعلم الثاني ولد في بلدة قارياب ، من أرض خراسان ولم يعمل أساذ يدعى الفارابي لا الفاريابي . والقول الذي يكاد يجمع عليه كل من كتب عن الفارابي أنه من بلدة قاراب ، وهي كما يقول ياقوت في معجم البلدان : «ولاية وراء نهر سيحون في تخوم بلاد الترك ، وهي أبعد من الشاش قريبة من بلاساغون ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم ، إلا أن بها منعة وبأسا ، وهي ناحية سبخة لها غياض ، ولهم مزارع في غرب الوادي تأخذ من نهر الشاش » .

لم يترجم المعلم الثاني لنفسه ، كما صنع غيره من مفكري الإسلام ، وكذا لم يفعل ذلك أحد من تلاميذه . وهذا كان من أكبر الأسباب التي دعت إلى عدم معرفة تاريخ

أجمع المؤرخون ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء» ، وابن خلكان في «وفيات الأعيان» ، وابن النديم في «الفهرست» ، وصاعد في «طبقات الأمم» ، على أن اسم المعلم الثاني هو محمد ، ولكنهم اختلفوا في نسبه واسم أبيه ، فقال الأول إنه أبو نصر محمد بن محمد ابن أوزلغ بن طرخان ، وقال الثاني إنه أبو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ ، وقال الثالث إنه أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، وقال الرابع إنه أبو نصر محمد بن محمد ابن نصر . وقد اتفق أغلب من ترجموا للمعلم الثاني على أنه تركي الأصل ، وخالفهم في ذلك ابن أبي أصيبعة الذي ذكر أن والده كان قائد جيش وهو فارسي المنقصب . ويعلق الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق على ذلك في كتابه «فيلسوف العرب والمعلم الثاني» ، على ذلك بقوله : «ولا سبيل إلى تحقيق نسبه من هذه الناحية لتقارب البلدين واشتراك الأعلام فيهما . وإذا صح أن أباه كان قائد جيش فهو لم يكن من كبار القواد الذين يشيد

ويتضح ذلك من تحليله لكلمة السفسطة في كتابه إحصاء العلوم . وإلى جانب الدراسات اللغوية الدينية نال المعلم الثاني قسطاً من الدراسات العقلية المحيطة به من رياضة وفلسفة ؛ ولقد ذكر ابن أبي أصيبعة أنه عني بدراسة الطب عناية خاصة ، ولكن الدكتور إبراهيم مدكور - في بحثه المذكور - لا يقر هذا القول .

ولقد كانت رحلات الفارابي بحثاً عن الدراسات العقلية ، فبعد رحيله من بلده إلى بغداد درس المنطق فيها على إمام المنطقة أبي بشر مكي بن يونس ؛ ولم يكتب بهذا ، بل درسه أيضاً - كما يذكر صاعد في طبقات الأمم - على يوحنا بن حيلان المتوفى في مدينة السلام في أيام المقتدر ، وكان ذلك بعد رحيله من بغداد إلى حران ؛ وترجع تسميته بالمعلم الثاني لما انتهى إليه من منزلة ممتازة . وقد تتلمذ عليه يحيى بن عدى المنطقي المشهور .

قلنا إن الفارابي لم تعرف رحلاته إلا ما وقع منها بعد سن الخمسين ، أي ما وقع منها في مرحلة النضج الكامل والتأثير قيمين يتصل به . فهو بعد أن رحل من بلده إلى بغداد ثم إلى حران - كما قلنا - رجع مرة ثانية ، كما يذكر ابن خلكان ، إلى بغداد ، فقرأ فيها علوم الفلسفة ، ووجد فيها كتب

مولده . ولكن هذا التاريخ يمكن استنتاجه من ذكر ابن خلكان في « وفيات الأعيان » لتاريخ وفاته والعمر الذي بلغه ، فقد ذكر أنه توفي سنة ٢٣٩ هـ عن ثمانين عاماً ، وبذا يمكننا أن نستنتج تاريخ مولده بأنه كان حوالي سنة ٢٥٩ هـ .

وعند ترجمة المعلم الثاني لنفسه أثرت في معرفتنا لرحلاته وأسفاره ، فقد كان من هواة الأسفار والتنقل ، ولكن المؤرخين لم يذكروا من هذه الرحلات إلا ما وقع منها بعد بلوغه الخمسين من عمره ، ولم يتبعوا منها إلا ما كان بعد رحيله من بلده إلى بغداد ، أما الأسفار والرحلات التي تمت في طفولته وشبابه فسا دالت في طي الجھول ، وقد يكشف عنها بحث على .

وعلى غرار أهل عصره نشأ المعلم الثاني على ثقافة لغوية دينية ، فقد أقبل على العلوم الإسلامية من فقه وحديث وتفسير ، وتعلم اللغة العربية والتركية والفارسية . وقد ذكر ابن خلكان رواية عجيبة هي أنه كان يلم بسبعين لساناً ، ولكن هذا الخبر يدخل في باب الأساطير ، فإنه يبعد عن الظن أنه عرف لغة أخرى غير تلك اللغات التي ذكرناها . ويقول الدكتور إبراهيم مدكور في بحث له عن « الفارابي » إنه لم يكن يعرف اللغة اليونانية ،

مسقط رأسه إلى بغداد ومنها إلى حران ثم رجوعه إلى بغداد ، كما ذكرنا سابقاً .

وقد توفي المعلم الثاني سنة ٣٣٩ هـ ، وكرمه سيف الدولة بن حمدان بأن صلى على جثمانه مع بعض خواصه ، ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير ولقد كانت وفاة الفيلسوف وفاة طبيعية ، كما ذكر جل المؤرخين ، ولقد خالفهم البيهقي في كتابه « تاريخ الحكماء » ، فذكر أن بعض اللصوص قتلوه في أثناء رحلته من دمشق إلى عسقلان . ولكن أستاذنا المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق بنى هذه الرواية ويدحضها في كتابه « فيلسوف العرب والمعلم الثاني » ، فيقول : « لو صحت حكاية قتل الفارابي لأشار إلها من ترجموا له بمن كان زمنهم قريباً من زمنه كأبي الحسن علي المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، سنة ٩٥٧ م . على أننا لاحظنا في ترجمة البيهقي للفارابي خلطاً تاريخياً يزعم الثقة بها ، وهذه الرواية المنقولة عن قتل الفارابي تشبه أن تكون تحريفاً لما رواه المؤرخون عن مقتل أبي الطيب المتنبي الشاعر المشهور في عودته من بلاد فارس إلى الشام سنة ٣٥٤ هـ . »

ولقد روى ابن خلكان وابن أبي أصيبعة الأول في « وفيات الأعيان » ، والثاني في « عيون

المعلم الأول أرسطو فأقبل على دراستها في نهم ، مستخرجا معانيها ، ولقد عاود قراءتها عدة مرات ، فلقد وجد على كتاب النفس لأرسطو عبارة بخطه هي : « إني قرأت هذا الكتاب مائة مرة . » ويقال إنه ذكر أنه قرأ كتاب « السماع الطيبي » ، لأرسطو أيضاً أربعين مرة ، وما زال محتاجاً إلى معاودة قراءته .

ويذكر ابن خلكان أن المعلم الثاني ألف معظم كتبه في بغداد . وهذا خبر صادق فيما يبدو ، ذلك أنه قضى في بغداد ما يقرب من عشرين عاماً كلها في فترة نضوجه العلمي . وبعد أن قضى المعلم الثاني هذه الفترة في بغداد ، توجه إلى حلب ، وعاش في كنف سيف الدولة بن حمدان ، والتقى في بلاطه بعلما الإسلام من كل جنس وثقافة ، لغويين وأدباء وفلاسفة .

قضى الفارابي حياته كلها في شظف من العيش ، وكان يكسب قوته بعمل يديه ، فهو لم يكن بالرجل الذي تغريه مظاهر الدنيا والجاه ، حتى إنه كان يعمل ناطورا لبان الفقرة التي ذهب فيها إلى دمشق . شيء واحد كان بارزا في حياته هو انقطاعه للتعليم والتأليف وحبه للأسفار ؛ فقد سافرا غير مرة - في الفترة التي قضاها في حلب - إلى مصر وإلى دمشق ، هذا بالإضافة إلى انتقاله من

الأنباء في طبقات الأطباء ، أن هناك بعض
أشعار تنسب إلى المعلم الثاني ، هي :

أخى خل حين ذى باطل هذب بفيض منك رب الكل من
وكن للحقائق في حين كدر الطبيعة والعناصر عنصري
فما الدار دار مقام لنا وروى أيضا هذه الأبيات :

وما المرء في الأرض بالمعجز لما رأيت الزمان فكسا
ينافس هذا لهذا على وليس في الصحة انتفاع

أقل من السكلم الموجز كل رئيس به ملال
وهل نحن إلا خطوط وقع وكل رأس به صداع

على نقطة وقع مستوفز لزمت يتي وصنت عرضا
يحيط السموات أولى بنا به من العزة اقتناع

فإذا التنافس في مركز أشرب مما اقتنيت راحا
ولكن ابن خلكان نفسه يشك في نسبتها لها على راحي شعاع

إلى الفارابي ، ويقول في ذلك : لي من قواريرها ندامي
ومن قراقيرها سماع وأحتنى من حديث قوم

دورأيت هذه الأبيات في الخريدة منسوبة إلى الشيخ محمد بن عبد الملك الفارابي البغدادي
الدار . . قد أفقرت منهم البقاع

وذكر ابن أبي أصيبعة ، كذلك ، بعض
أبيات شعرية ، ضمن دعاء أورده على لسان

الفارابي ، هي : يا هله الأشياء جمعاً والذي
كانت به عن فيضه المتفجر

رب السموات الطباق ومركز وعليهما عولت أمرى
في وسطهن من الثرى والأبحر

(البقية على الصفحة التالية)

مَوْلَانَا أَزَادُ وَالْخِلَافَةُ

لِلأَسْتَاذِ عَبْدِ الْمُنْعَمِ النَّمْرِ

كان المسلمون بصفة عامة ينظرون إلى الخلافة كمرادٍ ديني له قداسته في قلوبهم وعاشوا على مر القرون منذ كانت الخلافة الراشدة حتى الخلافة العثمانية يعيشون في ظل خلافة أيا كانت هذه الخلافة... ويدينون لها بالولاء والطاعة. حتى كان الملوك الأقوياء في مصر أو غيرها يرون ألا بد من قيام نظام الخلافة بحانهم ليستمدوا منه قوة النفوذ على

الشعب المسلم... ويسعوا مع قوتهم ونفوذهم إلى أن يأخذوا موافقة الخليفة ضعيف السلطة على تصديقهم ملوكا لتكون لهم الصبغة الشرعية في حكم المسلمين بالرغم من أن هؤلاء الخلفاء أحيانا لم تكن لهم أية سلطة زمنية وكانوا يعيشون في حماية هؤلاء الملوك الأقوياء.. ولا شك أن سعى هؤلاء الملوك الأقوياء إلى استرضاء الخلفاء وإعلان حكمهم للشعب

(بقية المنشور على الصفحة التالية)

فزعاجة ملئت بمهر
وزعاجة ملئت بنجر
فبذى أدون حـكمي
وبذى أزيل هموم صدرى

هـذا هو ما وصل إلينا من شعر المعلم الثاني، وفي الحق: أن ما وصل إلينا من كتبه لا يذكر فيها شيء عن شعر له أو أنه قال الشعر أبدا، وكل الاعتماد في هذا الموضوع على كتب المؤرخين، ولذا فإنه لا يعطينا فكرة واضحة ولا يحسم الأمر بإعطاء برهان قاطع مما إذا كان هذا الشعر من فظمه حقا أم نسب له فقط، ذلك أن ابن خلكان نفسه بعد أن روى بعض الآيات شك في نسبتها

إليه ولقد شك أستاذنا المرحوم مصطفى عبد الرزاق - في كتابه المذكور في ذلك الأمر قائلا: ونحن نشك في صحة معظم هذا الشعر أن يكون للفارابي، لما في أسلوبه من تكلف ينبو عنه أسلوب فيلسوفنا وطبعه ولما في معانيه من تبرم بالحياة واستهتار بالشراب.

وقد يكون للفارابي شعر يتفق مع ما كان عليه من منزلة عليية وخلقية، وعددا عليه الزمان فيما عدا على بعض آثاره الفلسفية. ولكننا قبل الكشف عن هذه الآثار والشعر على نصوص صحيحة لا نستطيع أن نجزم بأنه كان شاهراً. ومن بدرى لعل البحث العلي يكشف عن هذا الموضوع في يوم من الأيام.

سعيد زهير

البلقان ، وفي حربها مع إيطاليا في طرابلس ،
وبيعثون إليها بالمساعدة تلو المساعدة ،
ثم رأيتهم يفزعون أشد الفزع عند دخول
انجلترا الحرب ضدها ويعلمون أنهم يقفون
في صفها ، ويظهرون العداء من أجلها
للدولة الحاكمة لهم وهي انجلترا ، بما اضطرها
إلى أن تصانهم ، وتلتصق لنفسها المعاذير
في دخولها الحرب ضد دولة الخلافة ، ثم تتعهد
لهم بالآتمتها بسوء إذا خرجت من الحرب
منهزمة .

وعندما انهمت وبدأت انجلترا تسكت
يعودها ناروا جميعا عليها وعمت الهند كلها
ثورة جارية سقط فيها مئات الضحايا ، وقامت
حركة الخلافة بتنظيم جهود المسلمين من أجل
المحافظة على دولة الخلافة حتى أعلن غاندى
باسم الهند دوس تضامنه مع المسلمين ضد
انجلترا من أجل نقضها لوعودها ...

وكان المسلمون في الهند - على ما أعتقد -
هم وحدهم - دون بقية مسلمي العالم - الذين
ناصروا الخلافة ودافعوا عنها وضخوا من
أجلها .. ولا يزال الكثير منهم يعتقدون
حتى الآن أن السبب في نكبة المسلمين
وتسكن الغرب من السيطرة عليهم واستعمارهم
ماديا وفكريا إنما هو تخليهم عن الخلافة
وتفريطهم في الدفاع عن دولتهم التي كانت
تجمعهم وتوحد شملهم ، إذ لو أن المسلمين

باسم الخليفة كان راجعا لما لهؤلاء الخلفاء
على ضعفهم من سلطة روحية على المسلمين .
وكانت السلطة الروحية لهؤلاء الخلفاء
تمتد إلى قلب كل مسلم في أية جهة كانت ..
ولهذا كان للخلافة العثمانية نفوذ روحى على
المسلمين سواء أكانوا يعيشون في دولة الخلافة
أم يعيشون في ظل دولة أخرى ...

ولعل أبرز مثل على هذا في عصرنا الحديث
ما رأيناه من تعلق المسلمين في الهند بالخليفة
العثمانى ودفاعهم عن هذه الخلافة بكل ما في
وسعهم ... ذلك لأنهم كانوا ينظرون إليها
على أنها مركز التجمع للمسلمين وأنها التي
يمكنها بهذا صد التيار الغربى الزاحف عليهم
وإنقاذ مجد الإسلام وتراثه من عبث الغرب
به . فوق أنهم كانوا يتطلعون إليها كحامية
لهم بعد أن فقدوا ملكهم على أرض الهند .
وكانوا في عاطفتهم نحوها وتعلقهم بها أشد
حماس من المسلمين العرب الذين كانت تحكيمهم ؛
ذلك لأن العرب قاسوا من حكم الأتراك
الظالم الجائر الفاسد المتعصب ما أضعف
عاطفتهم نحوها ، وجعلهم يسمعون أحيانا
للتخلص منها على عكس الهندو الذين لم يمسه
هذا الحكم التركى بظلم ، فبقيت عاطفتهم
نحوها سليمة فوق أنهم كانوا يعتبرون تألب
الغرب عليها حركة صليبية حديثة ولذا
رأيتهم يهبون لمساعدتها في حربها مع دول

والقادة الذين أبلوا بلاء حسنا في خدمة الخلافة العثمانية ومساندتها ودعوة المسلمين بقلبه ولسانه إلى شد أزرها والوقوف بجانبها وإعلان الثورة على الانجليز المستعمرين من أجلها بما حملهم على اضطهاده وإغلاق مجلاته ومصادرة مطابعه وسجنه عدة مرات ... كان مسلما حقيق الإيمان بدينه شديد الإحساس بالروابط الدينية التي تربطه بإخوانه المسلمين في كل مكان . كثير العناية والاهتمام بمشاكلهم منذ كان شابا .. حتى دفعه كل هذا إلى إصدار مجلاته . الهلال ثم البلاغ لتعبير عن رأيه وبلغ بواسطتها دهوته .

وكان لا يكتفى بمتابعة الحركات والأفكار الإسلامية حول الخلافة في بلاده فقط بل كان يتابعها كذلك في البلاد الإسلامية الأخرى ويكتب إلى القائمين بها مؤيداً أو ناقداً .

ولقد أتبع لي الاطلاع على بعض رسائله التي كان يبعث بها من الهند إلى السيد رشيد رضا^(١) في مصر حول هذا الموضوع فلبست فيها شدة اهتمامه بمسألة الخلافة وحده عليها . ولا أريد هنا أن ألخص هذه الرسائل بل أحب أن أقدم رسالتين منها . بنصهما كوثائق هامة تؤرخ لمولانا أزيد وترينا مدى اهتمامه وحساسيته بكل أمر يتصل بموضوع الخلافة

(١) هـر عليها فضيلة الأخ أحمد الفرعاني وهو يمد بجنأ من السيد رشيد رضا وقدمها لي مكتوراً .

نسوا أو تناسوا مؤقتاً ما كان لدولة الخلافة من مظالم ووقفوا بجانبها ضد الغرب لأمكن لهم الاحتفاظ بوحدهم الإسلامية الجامعة ولما استطاع المستعمر أن يثبت قدمه في بلادهم ولما أمكن لليهود انتزاع فلسطين من أهلها وطردهم منها وكان يمكن للمسلمين بعد ذلك أن يصفوا حسابهم مع دولة الخلافة ويأخذوا حقوقهم منها .

سمعت كثيراً من زعماء المسلمين في الهند يدلون بهذه الآراء ويبعدون شديد الأسف مع كثير من المرارة لما أصاب المسلمين بسبب تفككهم وتخليهم عن دولة الخلافة . .

حتى في آخر حديث لي مع المجاهد المسلم شيخ الإسلام في الهند مولانا حسين أحمد مدني قبيل وفاته سنة ١٩٥٧ م ذكر لي هذا الرأي وهو مؤمن به أشد الإيمان . . وقال لو أن مصر وغيرها من العرب ساندوا دولة الخلافة لما حل الاستعمار الغربي ببلادهم ولما عانوا منه ما يعانون الآن ...

ذلك إجمال لموقف المسلمين في الهند بصفة عامة من الخلافة العثمانية .

وإذا قلنا إن ذلك كان هو موقف المسلمين في الهند فلا شك أنه كان تفاعلاً مع آراء الزعماء والقادة المسلمين أو استجابة لتوجيهاتهم .

ولقد كان مولانا أزيد أحد هؤلاء الزعماء

اللامركزية الحديثة (يريد انفصال بعض البلاد العربية عن حكومة الخلافة) .
وما لبث هذا النبأ ألا أن ذاع في طول الهند وعرضه وطلق الناس يتكلمون في هذا الباب بين مصدق وآخر مكذب ، وثالث مرتاب . . أما أنا فمن الحيارى ، لا أدري ماذا أقول ؛ لأنني كلما أتذكر نبيكم علي محمد علي باشا أنه وإن نفع مصر من وجوه شتى إلا أنه فارق المركز (يريد الخلافة) وأضر بمصر والدولة العثمانية كليهما .

لا أرى لهذا النبأ نصيباً من الصحة ، لأن اللامركزية مما صنع محمد علي باشا وكلما أصرف النظر عن هذا النعي وأقرأ ما نشرته الجريدة لا أجد سبيلاً لإنكاره .

إنكم نصبتكم أنفسكم للإصلاح ، ومعلوم أن الإصلاح في أي شأن من شئون الأمة لا يربحى فوزه إلا بالنماذج ، وإن النماذج لا تجدى نفعاً ما لم تكن الأمة حسنة الظن بها ، وقد قال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى » ، ومن معاونة البر درء الريب عن البار فنسكتب إليكم الأسئلة الآتية راجين منكم جواباً شافياً لكي ننشرها في الهند ونبري ساحتكم :

الأسئلة

- ١ - هل حضرتم من أصحاب اللامركزية ؟
- ٢ - أليس معنى اللامركزية تمزيق أشلاء

فهو في خطابه الأول الآتي يعبر عن مدى انزعاجه لما ذكرته إحدى الصحف الهندية من رأى السيد رشيد رضا يتصل بدولة الخلافة ، وليس من الأمور الهينة المعتادة أن يسمع واحد في الهند رأياً آخر في مصر فينزعج له ويكلف نفسه الكتابة إليه ويطلب الجواب منه بما يهدى روعه ويزيل الغممة عنه إلا إذا كانت لديه حساسية وعناية خاصة بهذا الموضوع ويلاحظ أن مولانا آزاد كان في أوائل العقد الثالث من عمره حين كتب هذه الرسائل ، وكان يصدر في ذلك الوقت مجلته الهلال ولا شك أنهما تبادلوا رسائل كثيرة كما يفهم ذلك من أسلوب هاتين الرسالتين وهذه هي إحدى الرسالتين وهي صادرة من كلكتا بالهند في المحرم سنة ١٣٣١ هـ (ديسمبر سنة ١٩١٢ م) :-

الفاضل الجليل والشيخ النبيل :

سلام عليكم طيبم ودمتم فوق ما رمتم .
وبعد : فإنه غير عازب عنكم ما لحضرتكم من المسكنة في فزادى ، وما ذلك إلا لأنى أرى أنكم تمخدمون الإسلام والمسلمين خدمة لا تشوبها صوالح الشخصية والجفسية ولأجل ذلك كلما سمعت كلمة سوء فيكم أجدنى مدفوعاً إلى ردها في نحر قائمها ، ولقد كتبت بعض الجرائد الهندية بأن لكم بدأ في الحركة

الدهلوى المتوفى عام ١٧٦٢ م والذي اعتاد العلماء والتأهون في الهند أن ينسبوا أنفسهم إليه إيدانا بتأثرهم بأفكاره ، وسيرهم على منواله .

ولعلك لاحظت أنه عبر باللامركزية ، وأراد تقسيم بلاد الخلافة العثمانية إلى دويلات ولذلك نعى على دعاة اللامركزية دعوتهم وقال إنها تؤدي إلى تمزيق أشلاء الدولة العثمانية وتضعيف المجموع بتفتيت وتفريق أجزائه ، حتى يسهل على الأجانب بعد ذلك أن يبتلعوا البلاد ، ولا تبقى حيفئذ لدول الإسلام باقية . .

وهذا هو الذي أزعجه حين نشرت إحدى الصحف الهندية : أن السيد رشيد رضا يدعو إليه ، وأخذ يلقى إليه السؤال تلو السؤال ، وكأنه بهذا يقطع الطريق على السيد رشيد رضا ويحاجه لو صح أنه يدعو إلى اللامركزية . ويظهر أن هذا الخطاب بما جاء فيه من أمور تتعلق بالخلافة قد أثار السيد رشيد رضا ودفعه إلى أن يرد عليه في الحال حين وصوله كما وجدت ذلك مكتوباً عليه بالقلم الرصاص في أعلاه إذ كتب يقول : (أجبت عليه في الحال ١٩/١/١٣٣١ هـ) .

عبد المنعم النمر

الدولة العثمانية وتضعيف المجموع بتفريق أجزائه ؟ .

٣ - أليس هذا هو الذي نعتمده على محمد علي باشا ؟ .

٤ - أليس هـ - ذا يصدق الذين كانوا يرمونكم بفكرة تأسيس الخلافة العربية وإحداث الشقاق في العناصر العثمانية ؟ .

٥ - أليس من البديهي أن العناصر العثمانية إذا تشتت وتفرقت يبتلعها الأجانب وإذن لم تبق لدولة الإسلام باقية ؟ . والسلام

المخلص

أبو الكلام الدهلوى

ولعلك لاحظت أنه وقع في آخر رسالته باسم د أبو الكلام الدهلوى ، وقد جرت عادة أهل الهند على ألا تكون للأسرة اسم لقب عام يجمع أفرادها بل كل واحد في الأسرة ينسب نفسه إلى البلد الذي نشأ فيه أو إلى المدرسة التي تعلم فيها أو إلى أستاذه الذي تأثر به وأحبه ومولانا أزد نراه ينسب نفسه إلى دهلي مع أنه لم يولد فيها بل ولد في مكة ثم انتقل أبوه إلى كلكتا بعد عامين من ولادته وهناك تلقى علومه وخاض غمار الحياة ومنها أصدر مجلة الهلال . فمن أين إذن جاءت هذه النسبة ١ .

أعتقد أنه اختار أن ينسب نفسه لمدرسة المصلح الكبير إمام المجددين شاه ولي الله

من معاني القرآن

« إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ،
إن شئت لك هو الأبر ، قرآن كريم »

والقرآن العظيم ، فاشكر الله بالصلاة له ،
وأقم الصلاة بالانتصاب فيها والاتجاه بها نحو
بيته الحرام . وانحر الذبايح تقرباً إليه
وتعبيراً عن الشعور بواجب الشكر له جل
شأنه ، إن من كرهك وأبغضك . وانتقص
قدرك وزعم أنك مقطوع الذكر والاثـر .
لأنه لم يعيش لك مولود ذكر ، هو المقطوع
الذكر النفس الخـبر ، أما أنت فذكر خالد
سرفوح ، وخبرك باق متصل ، وأشياـعك
وأتباعك يترادون . ويدخلون أفواجا
في الدين الذي بعثك الله به : « ومثلهم
في الإنجيل كزراع أخرج شطأ فآزره
فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع
ليغيظ بهم الكفار » ، وقد كان هذا العطاء
الكثير تحقيقاً لوعده تعالى : « ولـسوف
يعطيك ربك فـرضي » وله - صلى الله عليه
وسلم - في الآخرة ما يفهم من قوله تعالى :
« وللآخرة خير لك من الأولى » .
صلى الله عليه . ونفعنا بالصلاة عليه .

عبد الرحيم فوده

الكوثر : معناه الخير العظيم ، والعدد
الكثير .

ونحـره نحراً : ذبحه ، ومعنى انحر كذلك
الانتصاب في الصلاة إذ يقال : نحر الرجل
في الصلاة انتصب ونهد صدره أو وضع يمينه
على شماله ، أو انتصب بنحـره إزاء القبلة كما
جاء في القاموس : والنحر أهـلى الصدر .

وشئنا شئنا وشئنا : أبغضه وتجنبه فهو
شأنى بمعنى مبغض .

الأبر من الناس من لا ولد له ، ومن
لا خير فيه . والحقير الذليل ، ومن الحيوان
المقطوع الذنب ، وكل معاني المشتقات من
« الأبر » تدل على معنى القطع .

المعنى

يؤكد الله لنبيه وخاتم أنبيائه ورسله أنه
أعطاه الخير الكثير ، ولذكر الحسن ،
ورفع قدره بما أعطاه إلى مستوى لا يرقى
إليه غيره ، فقال سبحانه : « إنا أعطيناك
الكثير كالنبوة والحكمة والفتح المبين .

بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية للأستاذ محمد محمد أبو شنبه

- ٧ -

ففي يوم فتح مكة نادى بهذا المبدأ على رؤوس
الآشهاد روى الترمذى في «سننه»، والبيهقى
في «شعب الإيمان»، وغيرهما عن ابن عمر
أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح
على راحلته يستلم الأركان بمحجنه فلما خرج
لم يجد مناخا فنزل على أيدي الرجال فخطبهم
فحمد الله وأثنى عليه وقال: «الحمد لله الذي
أذهب محبة^(١) الجاهلية، وتسكبرها، الناس
رجلان: برئى كريم على الله، وفاجر شقي
هين على الله، الناس كلهم بنو آدم، وآدم
من تراب قال الله تعالى: «يا أيها الناس
إنا خلقناكم من ذكر وأنثى...»، إلى قوله
«خير»، ثم قال: أقول قولي هذا، وأستغفر
الله لي ولكم، ونادى الرسول بهذا الأصل
الأصيل في الإسلام في أكبر موسم ومشهد
شهدته الجزيرة العربية في حياة الرسول وذلك
في حجة الوداع أخرج البيهقي وابن مردويه
عن جابر بن عبد الله قال: «خطبنا رسول

المساواة التامة في الشريعة الإسلامية:

إن التشريعات الإسلامية قائمة على المساواة
بين الناس جميعا، فلا قيود ولا استثناءات
وإنما هي مساواة مطلقة بين الأفراد،
ومساواة تامة بين الجماعات، ومساواة تامة
بين الأجناس والشعوب، ومساواة بين
الحكام والمحكومين، والرؤساء والمرءوسين
فلا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على
عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأحمر
على أصفر، ولا لسامي على آدي، ولا لآري
على سامي، وقد صدح القرآن الكريم بهذا
المبدأ السامي في قوله سبحانه: «يا أيها الناس
إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم
إن الله عليم خبير»^(١).

وقد أكد الرسول صلوات الله وسلامه
عليه هذا المبدأ وشرحه بقوله وفعله وصيرته
ولا سيما في المجالس العامة، والمحافل الحافلة،

(١) عبية بضم العين وكسرهما وكسر الباء
المشددة الكبير والفخر «قاموس».

(١) الحجرات ١٣.

وقد أشار إلى هذا القرآن الكريم في قوله سبحانه : « ان ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « التقوى ههنا ويشير إلى صدره » ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وهرضه وماله ، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ، ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم ، فالشريعة الإسلامية حينما أقامت التفاضل على التقوى فإنما أقامت على أساس معنى خلقى ، وعلى أساس النفع للفرد والجماعة ولم تقمه على أساس مادي أو جنسى أو لوني .

ومن محاسن الشريعة الإسلامية أنها لا تفرق بين رئيس الدولة - خليفة كان أو ملكاً أو رئيس جمهورية - والراعى فى الخضوع لأحكام الشريعة ، وسريانها عليهم ، وفى المسئولية عن جرائمهم ومن أجل ذلك كان رؤساء الدول فى الشريعة لا قداسة لهم تعصمهم من الخطأ ، ولا يمتازون عن غيرهم فى المسئولية ، وإذا ارتكب أحدهم جريمة عوقب عليها كما يعاقب أى فرد . والرسول صلى الله عليه وسلم وهو النبى ورئيس الدولة لم يدع لنفسه قداسة أو امتيازاً على الرعية فى عدم سرعان أحكام

الله صلى الله عليه وسلم فى وسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال : يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم يا رسول الله قال : فليبلغ الشاهد الغائب .

فالناس جميعاً فى الشريعة الإسلامية على اختلاف أجناسهم وشعوبهم ، وألوانهم وألسنتهم سواء : سواء فى الحقوق ، سواء فى الواجبات ، سواء فى المسئوليات .

وقد وضع الإسلام الأساس الفلسفى الدقيق المبسط الذى لا يستعصى على فهم أى إنسان لهذا المبدأ الكريم فما دام الناس جميعاً يرجعون إلى أب واحد ، وأم واحدة فعلام التمايز والتفاخر ، وعلام القشاحن والتناحر ؟

وإذا كان الإسلام أقام التفاضل بين الناس على أساس التقوى فما ذلك إلا لأن التقوى جماع الخير والفضائل الإنسانية ، وأساس الاستقامة الدينية والدنيوية والتقوى فى أساسها معنى نفسى يصدر عنه الخير للفرد والجماعة ، ويحول بين الإنسان وبين عمل الشر ، أو احتقار أحد ، أو انتقاصه حقه

له النبي : ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال :
يا رسول الله حضر ما ترى - يعنى موطن
الشهادة - فأردت أن يكون آخر العهد بك
أن يمس جلدى جلدا فدعا له النبي بخير^(١).

وذكر القاضي عياض في (الشفاء) أن يهوديا
جاء يتقاضاه ديناً له عليه لم يحل أجله ،
فأغلظ له في القول ، فهم به عمر بن الخطاب
واتهمه ، فمنعه الرسول وقال له : (أنا وهو
كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر ، تأمرنى
بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التقاضى ،
ثم قال : لقد بقى من أجله ثلاث وأمر عمر
أن يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً لأنه
روعه ، وقد أثرت هذه المعاملة السامية
في نفس اليهودى فأسلم راغباً مختاراً !!!

وجاءوا إليه برجل فوقف الرجل يرتعد
بين يديه ، فقال له : هون عليك فإنى لست
بملك وإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد
من قرئتس .

وفى أثناء مرض موته صلى الله عليه وسلم
خرج بين الفضل بن العباس وعلى حتى جلس
على المنبر ثم قال : (أيها الناس من كنت
جلدت له ظهرأ فهذا ظهري فليستقد منه ،
ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي

الشريعة عليه ، والإعفاء من المسئولية وكثيراً
ما كان يردد قوله تعالى : « إنما أنا بشر مثلكم
يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد » ، « سبحان
ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً » ، « إنما
أنا لكم نذير مبين » ، وفي الحديث الذى رواه
البخارى ومسلم أنه قال : « إنما أنا بشر ،
وإنكم تختصمون إلى ، ولعل بعضكم يكون
ألحن بحجته من الآخر فأقضى له بنحو ما أسمع
فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة
من النار ، وكان أول من يلتزم حدود الشريعة
وتكاليفها ، إذا كانت له بعض الخصوصيات
في بعض التشريعات فهى قليلة جداً وقد دعت
إليها الحكمة والمصلحة العامة لا الهوى
أو المصلحة الشخصية وقد أكد النبي صلى الله
عليه وسلم خضوعه للشريعة وأحكامها بسيرته
وعمله ، روى ابن إسحاق في كتاب « السيرة » ،
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل
الصفوف يوم بدر بقضيب فى يده فمر بسواد
ابن غزية الأنصارى وهو خارج من الصف
فطعنه بالقضيب وقال : « استقم يا سواد »
فقال سواد يا رسول الله : أوجعتنى ، وقد
بعثك الله بالحق والعدل فأقضى - يعنى مكفى
من الاقتصاص منك - فكشف رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن بطنه فقال : « استقد
يا سواد » ، فاعتقه سواد فقبل بطنه فقال

(١) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧١ .

صلى الله عليه وسلم : « أتشفع في أحد من حدود الله تعالى ؟ » ، ثم قام فاختم بـ « قال : إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . » ثم أمر بتلك المرأة فقطعت يدها .

وبهذا سوى النبي صلى الله عليه وسلم بين الشريف والوضيع ، والغنى والفقر ، وابنته وغيرها من نساء الأمة في تحمل المسؤولية ، وإقامة الحد عند وجود موجب ، والأمة إذا دخلها التمييز بين الناس في الأحكام فقد تسارع إليها الفناء والهلاك ، وكان إذا أمر بشيء بدأ بأهله وإذا نهى عن شيء بدأ بأهله حتى لا يكون في عمل أهله وسلوكهم ما يكون حجة لاحتجاج أو عذرا لمعتذر ، وفي حجة الوداع خطب خطبته المشهورة وكان مما قال فيها : « إن دماء الجاهلية موضوعة (١) » وإن أول دم أضع من دمانا ، دم ابن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب . من أبناء عمومتهم . كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل ، وربا الجاهلية موضوع - باطل - وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله .

فليستقد منه ، ومن أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ولا يخشى الشقاء من قبلى فإنها ليست من شأنى ، ألا وإن أحبكم إلى من أخذ منى حقا إن كان له ، أو حللى - أى تنازل له عنى - فليقيم ربي وأنا طيب النفس (٢) . وهكذا آذن الناس جميعا أن لا سلطان إلا سلطان الشريعة وأن العدل والحق فوق كل شيء وأن منزلته من ربه ، وفي قلوب أتباعه لا تحمل له أن ينال من أحد في نفسه أو عرضه أو ماله ، ولا تمنعه أن يقص الناس منه إذا وجد ما يدعو إلى القصاص ، وهذا غاية ما تأمله البشرية الفاضلة من الرؤساء والحكام والقادة .

وإذا كان الرسول المشرع قد قرر مبدأ المساواة في المسؤولية بينه وبين الرعية فقد قررها على ولده ، وأهله ، روى البخارى ومسلم في صحيحهما عن عائشة رضى الله عنها : أن قرىشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم فنكلمه أسامة فقال رسول الله

(١) التشريع الجنائى الإسلامى ج ١ ص ٣١٨

(٢) الحد بكسر الحاء المحبوب وهو ابن مولاة زيد .

(٣) باطلة والمراد لإبطاء عادة الأخذ بالثأر .

وسلم السفن وعلينا فعلينا، فاهلوا أيها الناس أن أكيس السكيس التقي، وأعجز العجز الفجور وإن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذله بحقه، وإن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق. أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإذا أحسنت فأعينوني وإن أنا زغت فقوموني أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وإيكم (١).

وهكذا نرى أنه يجعل على نفسه أنه عرضة للخطأ والصواب، والاستقامة وعدمها، وأنه كأحد الرعية في تحمل المسؤولية والإنجازة والاقتصاص منه إن جار. وكذلك أقاد للناس من أهله، وأقاد للرعية من الولاية ولم يفرط في ذلك قيد شعرة، ثم جاء الفاروق عير رضى الله تعالى عنه فطبق مبدأ المساواة على نفسه وولده وأهله وولايته بل بالغ في ذلك وشدد.

وقد طال الحديث فإلى المقال الآتى إن شاء الله.

د. محمد محمد أبو شهبة

وبهذه السياسة الرشيدة في المساواة بين الناس قاطبة في المعاملة قطع النبي صلى الله عليه وسلم قالة السوء وأخرس السنة المناقذين والمعرضين.

ومن هذه الوقائع وغيرها وضع المشرع صلوات الله وسلامه عليه أساس المساواة في المسؤولية وفي الجازاة بين الحكام والمحكومين والراعى والرعية وبين أبنائهم وأهليهم والناس عامة، وكان في هذا أسوة حسنة لمن جاء بعده من الخلفاء والأمراء والولاة.

وهذا هو ما كان فقد تولى الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم الصديق أبو بكر رضى الله تعالى عنه - فميج منهجه وسار على طريقته وطبق مبدأ المساواة على نفسه وجعل للرعية حق إقامة عوجه أو الاقتصاص منه إن جار وزاغ عن الصراط المستقيم.

وإليك ما قاله في أول خطبة خطبها بعد البيعة العامة وهى بمثابة الدستور الذى سيسير عليه في حكم الرعية، قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

دأما بعد، فإنى وليت أمركم ولست بخيركم ولكنه نزل القرآن وسن النبي صلى الله عليه

(١) أشهر مشاهير الإسلام ج ١ ص ١١٩.

الاحتفال بالمولد النبوي في مصر الإسلامية للأستاذ شفيق أحمد عبد القادر

ويذكر المقرئ أنه إذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الأول بدأت الاستعدادات بالاحتفال بالمولد النبوي . فيعمل في دار الفطرة مقادير كبيرة من السكر اليابس حلواء يابسة وتعباً في الصواني ثم تفرق على أرباب الرسوم وأرباب الرتب وغيرهم من الموظفين مثل قاضي القضاة وداعي الدعاة والقراء بالحضرة (الحاشية) والخطباء وأئمة الجوامع في القاهرة والمشاهد بالقرافة .

وفي الاحتفال بهذا العيد سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م عملت أربعون صنية من أصناف الحلوى دخل في صنعها السكر والحل واللوذ والدقيق . وصدر الأمر بأن يعمل خمسمائة رطل حلوى تفرق على الأئمة والقراء والفقراء .

وفي عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م وزع على المساكين بالجامعين الأزهر والجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص) والقرافة خمسة قناطر من الحلوى كما وزعت دار الفطرة على الأعيان والمستخدمين مقادير معلومة .

الخليفة الفاطمي يستقبل المهنئين بالمولد النبوي فإذا ما فرقت الحلوى السالف ذكرها

ولد الرسول صلى الله عليه وسلم في ١٢ ربيع الأول كما يجمع المؤرخون ولكن محمود باشا الفلكي بعد بحث وتحقيق رأى أن مولد الرسول يوافق يوم الاثنين ٩ ربيع الأول الموافق ١٢ أبريل سنة ٥٧١ م .

وقد اهتم حكام العالم الإسلامي منذ أقدم العصور بالاحتفال بمولده . ولا ريب أن ذلك الاحتفال هو احتفال في ذاته بمولد الرسالة المحمدية ومشرق الفجر الجديد الذي مالبث نوره أن عم العالم الإسلامي بأسره .

الاحتفال بالمولد النبوي في العصر الفاطمي

اهتم الفاطميون اهتماماً كبيراً بالمولد النبوي ولا عجب فإن الفاطميين يرون أنهم من نسل فاطمة الزهراء ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم فهم من أهل بيته وذوى قرباه . وبدخول الفاطميين مصر بدأ الاحتفال بالمولد النبوي يتخذ صبغة رسمية .

وكان احتفال الفاطميين يسير على النحو التالي :

ففي مستهل شهر ربيع الأول كان الخليفة الفاطمي يصدر أوامره بتوزيع الصدقات من مال الزكاة .

موقع منظره الخليفة :

ذكر لنا المقرئ في خطه موقع هذه المنظره التي كانت تعلو باب الذهب وهو أحد أبواب القصر الكبير الشرقى وحدد لنا موقعها بعد هدمها على يد الظاهر بيبرس الذي أنشأ مكان باب الذهب بحراب مدرسته الظاهرية . وعلى هذا فوق باب الذهب والمنظره التي تعلوه هو الآن عند مدخل شارع بيت القاضي من جهة الحاسين . وكان يقابل المكان الذي به المنظره القصر الغربى مثلاً في قاعة ست الملك التي عرفت فيما بعد بدار مؤنسة خاتون ثم بيارستان قلاوون وكان باب الذهب والمنظره التي تعلوه يواجه المكان الذي يشغله الآن مدخل بمحوعة قلاوون .

معودة المولد النبوى :

يرى الدكتور راشد البراوى أن هذه العادة التي استنها الخلفاء الفاطميون من صنع الحلوى في المواسم والأعياد الدينية سرت بين صفوف الشعب وكانت هذه التقاليد عاملاً قوياً في انتشار صناعة السكر وعمل الحلوى والقطاير والكعك حتى إنه كان للحلوى أسواق كبيرة بالقاهرة والفسطاط .

ويؤكد لنا المقرئ في هذه الحقيقة فيذكر أن سوق الحلوايين في عهده كان من أبهج

ويبدأ توزيعها من أول النهار إلى الظهر وصليت صلاة الظهر ركب المهنئون من القضاة وغيرهم من أرباب الدولة مخترقين شوارع بين القصرين إلى قصر الخلافة . وقد كنس الطريق ورشت بالماء وفرش ما تحت منظره (شرفة) الخليفة بالزمل الأصفر . وترجل الجميع عن دوابهم قبل الوصول إليها بخطوات . ويجتمعون تحت المنظره ليشرفوا برؤية الخليفة . وبعد ساعة زمنية تفتح إحدى الطاقات (النوافذ) ويطل منها الخليفة ولا يظهر منه إلا وجهه وما عليه من منديل . ثم يظهر أحد خواص الخليفة يخرج رأسه من طاقة (نافذة) أخرى ويده اليمنى في كفه ويشير بها قائلاً : « أمير المؤمنين يرد عليكم السلام » ثم يستفتح القراء بالقراءة فإذا انتهت تقدم خطيب جامع الحاكم فخطب خطبة لا تفرق عن الخطب المألوفة في بدايتها إلى أن يصل إلى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيذكر الحاضرين بأن هذا هو يوم مولده ويذكر لهم ما من الله على صالة الإسلام من رسالته ثم يختم خطبته بالدعاء للخليفة ويتلو خطيب الجامع الأزهر ثم خطيب الجامع الآخر . فإذا انتهت خطبة الخطباء أخرج الحاجب رأسه ويده في كفه من طاقته ورد على الجماعة السلام ثم تغلق الطاقتان (النافذتان) فينصرف الناس .

أما عن إلغاء الاحتفال بالمولد النبوي فأمر بهيد الاحتمال ، هذا بالإضافة إلى أن عهد صلاح الدين ومن جاء بعده كان عهد نضال وبجبال وحروب وكانت الدولة الأيوبية في مصر توجه كل طاقتها للخطر الصليبي الجاسم في سورية والذي أخذ يهدد مصر من حين لآخر بما جعل الأيوبيين ينصرفون مؤقتا عن الاحتفالات الدينية التي كانت تحوّلها مظاهر العناية والاهتمام في عهد الدولة الفاطمية

وليس أدل على أن الأيوبيين لم يفكروا في إلغاء المولد النبوي من احتفال الملك المعظم . ظفر الدين صاحب أربل بالمولد النبوي احتفالا رائعا . وكان يشمل برنامج الاحتفال عرض الجند وسماطا عاما وسماطا بمخافه أربل . هذا بجانب القباب الخشبية المنصوبة وبها تنشيد الأغاني وتلقى الأشعار وبجانب ألعاب الحواة والملاهي ... نجد وعظ الوعاظ وتلاوة القرآن . هذا بجانب عرض مشاهد طيف الخيال (خيال الظل) ولعل مشاهدته كانت تصور صورا إسلامية صادقة لميلاد النبي وجهاده أشبه ما تكون بالتمثيلات القصيرة .

الاحتفال بمولد النبي في عهد الدولة المملوكية :

وفي عهد المماليك كان الاحتفال بالمولد النبوي يقام في قلعة الجبل مركز الحكم

الأسواق بالقاهرة وكان يصنع في هذا السوق من السكر أمثال خمبول وسباع وقطاط وغيرها تسمى «العلايق» ترفع بخيوط على الحوانيت ، منها ما يزن عشرة أربال إلى ربع رطل ، تغتري للأطفال ، فلا يبقى جليل ولا حقير حتى يبتاع منها لأهله وأولاده ، وتمتلي أسواق مصر وأريافها من هذا الصنف .

وهكذا نستطيع أن نرد هذه العادة الشعبية وصناعتها إلى عهد الدولة الفاطمية وظلت صناعتها باقية لم تندثر حتى اليوم بمثلة في مولد النبي صلى الله عليه وسلم والمولد الأخرى في شتى أنحاء الجمهورية .

الاحتفال بمولد النبي في عهد الدولة الأيوبية

وسقطت الدولة الفاطمية وأسس صلاح الدين الدولة الأيوبية في سنة ٥٧٠ هـ بعد موت نور الدين محمود ١١٧٤ م ولم يذكر المؤرخون في مصر احتفال الأيوبيين بالمولد النبوي الشريف : ولعل مرد ذلك إلى أن الدولة الأيوبية رأت أن تمتد من مظاهر الاحتفالات الفاطمية ، تلك المظاهر التي قد تؤدي إلى إيقاظ الشعور الديني الذي طالما اعتمد عليه الفاطميون في نشر دعواهم في الخلافة وبخاصة أن بقايا الأسرة الفاطمية كانوا معتقدين بقلعة الجبل بعد أن نقلوا من القصور الفاطمية ،

الاحتفال بالمولد النبوي في العصر العثماني:

فقدت مصر استقلالها بهزيمة الغوري في موقعة مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م وما لبث السلطان سليم العثماني أن استولى على مصر التي أصبحت إمالة عثمانية .

ولم يحتفل السلطان سليم بالمولد أولاً بل كان همه متوجهاً إلى القضاء على مقاومة طومان باي ومن معه من المماليك ، وذكر ابن إياس مصير خيمة قايتباي فقال :

« وأشيع أن ابن عثمان (السلطان سليم) لما طلع إلى القلعة وعرضت عليه الحواصل التي بها رأى خيمة المولد فباعها للبغارية بأربعمائة دينار . »

ونحن نشك في صدق هذه الرواية . ونرى أنه من المحتمل أن السلطان سليم قد نقلها إلى استامبول فيما نقله من كنوز وأسلاف المماليك وغيرها من النفائس التي استولى عليها .

ولما استقرت الأحوال احتفل السلطان سليم بالمولد النبوي سنة ٩٢٣ هـ ولكن احتفاله كان دون العادة ولم يشعر به الناس . ورحل السلطان سليم إلى بلاده بعد أن تولى خاير بك الولاية (ولاية مصر) .

فاحتفل بالمولد سنة ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ هـ ولكنه كان احتفالا قاصرا : سباط ضئيل وخلع قليلة تمنح للقراء .

المملوكي فكان يجتمع القراء والمنشدون والمدعون فقام الولائم والسراقات وتضاء الأنوار وقد بلغ ما أنفقه الظاهر برفوق على الاحتفال بالمولد النبوي في سنة ٧٨٥ هـ ١٣٨٣ م عشرة آلاف مثقال من الذهب ما بين خلع ونفقات الطعام والشراب وأجور المغنين والمنشدين وغيرهم .

سراوق (خيمته) المولد النبوي :

وقد اهتم السلطان الأشرف قايتباي بالمولد النبوي فأهدى سراوقا كبيرا (خيمة) بلغت نفقات صنعها أكثر من ستة وثلاثين ألف دينار كان السراوق تقام في الحوش السلطاني بالقلعة .

وقد وصف لنا المؤرخ ابن إياس خيمة الأشرف قايتباي عند كلامه عن احتفال السلطان قنصوه الغوري بالمولد النبوي سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م . فقال (... وكانت هذه الخيمة كهيئة قاعة فيها لوارين (إيوانات) ثلاثة وفي وسطها قبة على أربعة أعمدة ... وهي من قماش ملون . وهذه الخيمة كان لا ينصبها إلا ثلثمائة رجل من النواتية (رجال الأسطول - البحارة) .

وقد وصف ابن إياس احتفال الغوري في سنة ٩٢٢ هـ وصفا مسهبا ختمه بقوله : « وكان مولداً مشهوداً أجهج مما تقدم من الموالد الماضية . »

الأزبكية مطاله الاحتفال بالمولد:

وما لبث مكان الاحتفال بالمولد أن تحول من الحوش السلطاني إلى ضفاف بركة الأزبكية حيث منزل الشيخ البكري شيخ مشايخ الصوفية . واتخذ الاحتفال بالمولد طابعاً شعبياً عاماً وكانت الوفود من الأهالي تتقاطر إلى مكانه من شتى جهات القطر فتقام الحفلات وتولم الولائم ويقامون لاجب خيال الظل والهلوانية . الخ بل وأحياناً كان يحضر الليلة الختامية للمولد الوالى العثمانى كما حدث سنة ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ م . وكذلك كان يحضر الاحتفال كبار البسكوات من الممالك كما حدث من حضور مراد بك .

الاحتفال بالمولد النبوى فى عهد الحملة الفرنسية:

استولى بونابرت على مصر فى صفر من سنة ١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م وبدأ يتعجب إلى الأهالى فأنشأ الديوان من أعيان المصريين ليشاركوه فى حكم البلاد . ولما قرب موهد الاحتفال بالمولد النبوى سأل نابليون عنه ولماذا لم يعملوه كهادتهم ؟ وقد اعتذر إليه الشيخ خليل البكرى بتعطيل الأعمال وتوقف الأحوال . فلم يقبل عذره ومنحه ١٠٠ ريال فرنسى معاونة وأمر بتعليق تماثيل ورجال وقناديل واجتمع الفرنسيون يوم المولد وقاموا باستعراض قواتهم .

وقد أرسل نابليون الطبلخاناه إلى بيت الشيخ البكرى واستمروا يضربونها بطول النهار والليل بالبركة (بركة الأزبكية) تحت داره ، وهكذا صدحت موسيقى الاحتلال الفرنسى فى المولد النبوى ، وفى الليل أطلقوا الصواريخ ، وقد تقلد الشيخ البكرى نقابة الأشراف وكان موضع احتفاء وتكريم نابليون .

ولما سافر نابليون من مصر وعهد بالقيادة العامة إلى الجنرال كليبر، وحل موعد الاحتفال يوم الثلاثاء ١١ من ربيع الأول سنة ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م عمل المولد بالأزبكية وقد حل كليبر ضيفاً على الشيخ خليل البكرى وتناول العشاء ومعه عدد من قواده وأطلقت المدافع والصواريخ ليلاً ونادوا فى ذلك اليوم بالزينة وفتح الأسواق والدكاكين ليلاً وإسراج القناديل .. الخ .

وفى سنة ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م وبعد مقتل سليمان الحلبي الذى ضرب كليبر ضربة قاضية فأرداه ، ولبدء مينو المفارقات للجلاء عن أرض مصر لم يعن أحد من الفرنسيين بحضور المولد النبوى فى هذه السنة .

وفى يوم الأربعاء ١٠ من ربيع الأول سنة ١٢١٦ هـ / ١٨٠١ م نودى بالاحتفال بالمولد النبوى وزينت القاهرة وبخاصة بعد دخول الوزير العثمانى يوسف باشا لإخراج

(بالعباسية) وكان هذا منذ عهد إسماعيل .
وما يزال المولد حتى الآن يقام بالعباسية
أو بمعنى آخر الأرض الفضاء المجاورة للعباسية .

الاحتفال بمولد النبي بعمر قيام

الجمهورية العربية المتحدة :

حررت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ مصر
من الأسرة الدخيلة أسرة محمد علي ومن
الاستعمار البريطاني وبدأت الحكومة المصرية
الصميعة تعمل من أجل الشعب في عهد
اشتراكي اتسم بالعمل الجدى ولهذا نجد
أن مولد النبي يحتفل به احتفالا رائعا
بما يناسب مقام الرسول الكريم وقد اهتمت
الحكومة اليوم بالموالد بصفة عامة ومولد
الرسول بصفة خاصة ، وأصبح المولد أشبه
شئ بسوق منظم تعرض فيه شتى السلع
وأقصى عنه الدجالون والمشعوذون وغيرهم
من كانوا وصمة عار في جبين مصر وسمعتها
في الخارج ، وحلت محلها ألعاب شعبية متطورة
منظمة كسرح العرائس .. الخ .

ولا عجب فإن وزارة الثقافة والإرشاد
القوى ترعى الفنون والآداب وتأخذ بيد
الفنانين حتى تحافظ على طابع الفنون
الشعبية الموروثة .

شفيق أحمد عبد القادر

الفرنسيين عصر ذلك اليوم واحتفل الناس
بالمولد في تسكية السكشن على غير العادة من
الاحتفال بجهة بركة الأزبكية .

كذلك احتفل الناس بالمولد في عدة جهات .

وفي ربيع الأول سنة ١٣١٧هـ - ١٨٠٢م
عادت المياه إلى مجاريها وعمل المولد بالأزبكية
كما كانت العادة المتبعة وبدأ الاحتفال من يوم
الخميس الموافق ٨ ربيع الأول إذ قام الناس
بالزينة منذ ذلك اليوم .

الاحتفال بمولد النبي في عهد محمد علي وأسرته

وصف كلوت الاحتفال بالمولد النبوى
كما وصفه الانجليزى لإدوارد ولیم لين
وصفاً مسهباً وقد تركز الوصف على ثلاثة
أشياء : -

١ - حلقات الذكر التى كان يقيمها
الدراويش .

٢ - الدوسة وهى أن يطأ حصان شيخ
مشايخ الطرق الصوفية ظهور الناس الذين
ينترشون الطريق أمام موكبه لتحل عليهم
البركة .

٣ - الحواة والمضغذين .

ولما هدم بيت السادة البكرية بالأزبكية
وبنوا دارهم بالخرنفش أضفى مقر حفلات
مولد المولد النبوى يدعى إليها الأعيان
وكان مكان الاحتفال العام بميدان الرصدخانه

بمناسبة الحملة الدولية ضد المجمع :

ترقية الانتاج للاستاذ فتحي عثمان

« والارض مددناها ، وألقينا فيها
رواسي ، وأنبتنا فيها من كل شئ موزون .
وجعلنا لكم فيها معاش ، ومن لستم له
برازقين . وإن من شئ إلا عندنا خزائنه ،
وما ننزله إلا بقدر معلوم . وأرسلنا الرياح
لواقح ، فأنزلنا من السماء ماء فأسقينا كوه ،
وما أقم له بخازنين . »

« الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك
فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ، واعلمكم
تشكرون . »

« وسخر لكم ما في السموات وما في
الارض جميعاً منه ، إن في ذلك لآيات لقوم
يتفكرون . »

« ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات
وما في الارض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة
وباطنة ... »

« فالإيمان لا يقعد بالمرء عن طلب الرزق ،
والتوكل على الله لا يعنى أن السماء تهبط ذهباً
أو فضة ، أو تسقط المن والسلوى . »

« إن الإيمان يزيد المؤمن بالله عملاً في كون
الله ... ابتغاء من فضل الله . »

« فطلب الرزق عبادة ، وهماراة الأرض عبادة . »

كرامة الإنسان هي عقيدة الإسلام
وعظمة السكون أيضاً من عقيدة الإسلام
والعمل ... العمل الدائب الجاهد ، في هذا
السكون العظيم الرائع ، هو عبادة الإسلام !!
إن الله قد كتب على نفسه أن يمد مخلوقاته
بأسباب الحياة المعقولة :

« وما من دابة في الارض إلا على الله
وزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها ، كل
في كتاب مبين . »

« وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها في أربعة
أيام ، سواء للسائلين . »

« إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين . »
« وقد أوفى الله بما في كتابه ، ومن أوفى
بعهده من الله ، ... »

ولكن كيف ؟

« إنه أودع موارد الرزق في السكون ،
وأسباب الكسب في الإنسان ... »

« أنه أعطى الإنسان طاقة تفجر ما فطر
في السكون من طاقات ... »

« ولقد مكناكم في الارض ، وجعلنا لكم
فيها معاش قليلاً ما تشكرون . »

المباح الذى لا مالك له ، ويندرج تحته إحياء الأرض الموات ، كما يندرج تحته حيازة كل مال لا مالك له شرعا وقت حيازته كحيوان الصيد والكلاب والأشجار فى الغابات وما تحتوى به البحار والأنهار والأراضي غير المملوكة من كل ذى قيمة وليس له مالك معين ، ولم تحزه يد إنسان من قبل .

فقد ورد فى حديث رسول الإسلام قوله : « من أحيأ أرضا ميتة فهي له » — رواه أحمد والبخارى .

ويشترط أبو حنيفة أن يكون الإحياء بإذن الدولة منعاً للفوضى والمنازعات ، ولا يشترط ذلك صاحباه أبو يوسف ومحمد . ورسول الإسلام لا يقر احتجاز الأرض بغير استثمار : « عادى الأرض لله والرسول ثم لكم ، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين » ، بل يدفع الإسلام عجلة الإنتاج بكل قوة إلى آخر لحظة من الزمان ...

فى حديث رسول الإسلام : « إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة ، فاستطاع ألا يقوم حتى يفرسها ، فليفرسها ... » فله بذلك أجر ... ، ١١

وهكذا يأمر الدين بفرس فسيلة النخل التى لا تثمر إلا بعد سنين ، ولو دوت نذر القيامة !!

والحق أن لرسول الإسلام حداً على

والقرآن يفتح عقول المؤمنين على الكون الكبير ، ليقرءوا كتابه ، ويتدبروا أسرارهم ، ويستلهموا حكمته فى الزراعة والرعى .

« وفى الأرض قطع متجاورات ، وحنات من أعناب وزرع ونخيل ، صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل » ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون .

« أمن خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء ، فأنبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ؟ أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قراراً ، وجعل خلالها أنهاراً ، وجعل لها رواسى ، وجعل بين البحرين حاجزاً ، أإله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون » .

« أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم ، أفلا يبصرون » .

« فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شققاً . فأنبثنا فيها حبا . وعنباً وقضباً . وزيتوناً ونخلاً ، وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعاً لكم ولأنعامكم » .

والإسلام حريص على زراعة اليابس واستصلاح التربة ، حتى إن شريعته جعلت من أسباب الملكية : وضع اليد على الشيء .

إن هذه الأهمال التي هي فرض على الكفاية متى لم يتم بها أحد صارت فرض عين على من يقدر على أدائها . فإذا كان الناس محتاجين إلى فلاحه قوم أو نساجتهم أو بنائهم صار هذا العمل واجبا يجبرهم ولى الأمر عليه إذا امتنعوا عنه بعوض المثل ،

وفتح أبواب العمل والإنتاج على مصاريحها هو سبيل الإفادة من نعم الله . من الطاقات الإنسانية والكونية ، وبهذا يتوق المجتمع تحذيرات ماكس ليرنر Max Leirner حيث يقول : إن توجيه الاهتمام إلى التسويق أكثر من الإنتاج ، والتضخيم الطائش لبناء العلاقات الاتيانية من خصائص المرحلة الأخيرة من الرأسمالية ، وقد ارتبطتا باتجاه نحو المضاربة ... ، ١١ هكذا يطلق الدين كل طاقات الإنسان إلى العمل والإنتاج ...

طاقة الإنسان البهرية :

فلا بد من أن تطلق هذه الطاقة وتستغل في بجالها النافع ورسول الإسلام يقول : ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وهو يوصى المؤمن بأن يستعين من العجز والكسل ، ومن كل معوقات العمل مادية ونفسية : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن

أمر الزرع ، حتى تعدت أحاديثه في هذا المجال ، فأفرد المحدثون أقساما خاصة لأحاديث الرسول في الزراعة والحرف ...

ونحن نجد منها على سبيل المثال : وما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة ... ،

على أن الرسول حريص أن يفهم المؤمنون أن الوحي لا شأن له بفنون الزراعة ، وأن النبوة لا تلقنهم ما هم أقدر على تحصيله ، ومن هنا قال رسول الإسلام في شأن إحدى العمليات الزراعية التي كانت تجري للنخيل : د أنتم أعلم بأمور دنياكم ، ١١

وعلى كل مؤمن أن يواجه الكون بكل طاقاته : بإيمانه وعقله وجهده ...

يقول ابن تيمية : د إن الناس لا بد لهم من طعام يأكلونه ، وثياب يلبسونها ، ومساكن يسكنونها ، فإذا لم يجلب لهم من الثياب ما يكفهم احتاجوا إلى من ينسج لهم الثياب ، ولا بد لهم من طعام إما مجلوب من غير بلدهم وإما من زرع بلدهم وهذا هو الغالب ، وكذلك لا بد لهم من مساكن يسكنونها فيحتاجون إلى البناء . فلهذا قال غير واحد من الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم كإبي حامد الغزالي وأبي الفرج بن الجوزي وغيرهما ، إن هذه الصناعات فرض على الكفاية ، فإنه لا تتم مصلحة الناس إلا بها .

« إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ، ويزيدهم من فضله ، إنه غفور شكور . »

وكلها طاقات يباركها الله بمانه :

الذي يجعل المؤمن أثبت قدماً . وأصلب عوداً وأطول نفساً في جهاده المقدس ... لا يلتصق بالأرض ولا يشمخ في السماء ، لا يطفئ فيه الفرح ولا تضعفه المصيبة ، إن أصابته السراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته الضراء صبر فكان خيراً له !!

والمدنى بفرض على الدولة أن

ترعى هذه الطاقات :

فيتعهد الإنسان بالتعليم والتدريب والتوجيه بما يرفع كفاياته الفنية والإنتاجية ، فطلب العلم في الإسلام فريضة ، وهو حق للفرد وواجب عليه ، والدولة تلزم تهيئة كل سبيل إليه ، ويلقى ابن حزم مسئولية التعليم الإلزامى على الدولة في نص صريح « وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك ، وأن يرتب أقواماً لتعليم الجهال . »

كما أن على الدولة أن تفتح مجالات العمل للقادرين عليه وتضمن لهم أجراً مجزياً يبنى بوحدات الطاقة المبذولة وتضمن ألا تتجاوز ساعات العمل حدود الطاقة الإنسانية ، ولقد جعل الرسول عن مخاصمهم يوم القيامة :

والبخل ، وأهوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال . »

طاقته الإنسانية العقلية :

قد قادها القرآن في سياحة هادية خلال ملك الله العريض منذ أول آياته نزولاً :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم . »

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ، وغرايب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ، »

ورأس المال النقدي الذى يجمع

تجميع الجهد الإنسانى البجول

لا يرضى الإسلام بحبسه عن التداول : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . » « إن الإسلام يبغض امتداد الثروات وتراكمها في الحزائن Wealth reflects ، وينشد إشعاع الثروات الغامرة على أوسع مدى إنه يعمل على مكافحة الكسب وتنشيط الإنفاق : « قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية . »

« رجل استأجر أجيراً فاستوفى منه فلم يعطه أجره ، ، .

والدولة ترعى المتعطل عن العمل حتى يجد السبيل إليه ، وترعى العاجز عن العمل لمرض أو عاهة أو شيخوخة ، وقد أبرز خالد بن الوليد هذا الأصل الجليل في عهده للأقطار المفتوحة ، وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله ، .

كذلك تسكفل الدولة بالخدمات الصحية الوقائية والعلاجية ، وهكذا تضمن سلامة الإنسان وكفاءة طاقاته إلى أقصى حد ممكن فقد كان رسوا، الإسلام يهيء للبرضى مكاناً فيه يتداون بالغذاء والعلاج حتى يتم برؤهم . كذلك ترعى الدولة الطاقة الإنتاجية ،

فتنظم استقلال موارد الثروة على أفضل وجه ممكن ولها أن تلجأ في ذلك إلى تأميم بعض وسائل الإنتاج ، وفي حديث رسول الإسلام « الناس شركاء في ثلاثة : الماء والسمك والنار ، .

وهكذا انتظم الدين الخطوط الرئيسية لتوجيه طاقات الإنسان والكون لغير الحياة . وعلى الإنسان أن ينتفع من نعم الله والمادية والروحية ، ويمسك كسب الرزق وتداوله وتوزيعه .

وإن عهد الله برزق عباده لا يتخلف حين يموت فرد أو يجتمع من الجوع وهناك فرد أو يجتمع آخر تتخمه البطنة ...

و الله في خلقه موارد الرزق وتسخير نعمه للناس ظاهرة وباطنة لا يحابي ولا يتحيز وإنما قدر الأرزاق والأقوات د سواء، للسائلين ، د كلا نعم هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً ، .

وشريعة الله قد وجهت إلى الإنتاج وعدلت في التوزيع ، كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، .

فإذا حدث قصور أو إخلال فلا ذنب للدين . في عقيدته ، أو أحكامه .

ولنما الناس أنفسهم يطلبون !!

ففى عثمان

الاستعباد والحرية

بين المدنية الحديثة وشرعية الإسلام

للأستاذ عبد الجليل شلبي

إلى المسلم الغيور السيد / سعيد فارس بجنوب إفريقيا .
أرجو أن تجد في هذا المقال الموجز بعض ما تجيب به الذين
يهاجونك في الإسلام ويزعمون أنه دين الرق بينما يمتدحون
أمريكا بأنها أنجبت إبراهيم لنكون محرر العبيد ... وسيصلك
من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بحث واف تمتع . كما سيعمل
على وصول هذه المجلة إليكم بانتظام . والله تعالى يمدكم بعونه ؟

لأنه ليس من المغالاة في شيء أن نذكر
أن البشرية في تاريخها الطويل وفي أطوار
حضارتها المختلفة لم تعرف كالدين الإسلامي
قانوناً قاوم الاسترقاق وعمل على توفير الحرية
لكل فرد من أفراد مجتمعه - كما أنها لا تعرف -
كالمجتمع الإسلامي - مجتمعاتاً حضارياً سادته
التسامح ومحبت بين أفرادها فوارق الجنس
واللون وتساوى الناس فيه أمام القانون
الرسمي والعرف العام - وعلى العكس من ذلك
لم يسلب الناس حرياتهم ويستبدل كرامتهم
- في عصور النور والعلم - كما فعل الأوروبيون
المسيحيون والأمريكان المستعمرون - ولم
تسد فوارق العنصر وتميز لون على لون
وجنس على آخر كما حدث وكما هو حادث

الآن في أمريكا التي تسمى إبراهيم لنكون
محرر العبيد .
لقد جاء الإسلام والاسترقاق شائع بين جميع
الشعوب المعاصرة له كما أنه كان نظاماً قديماً
درجت عليه الحضارات القديمة وانتقل
كما هو إلى العصر الوسيط - وأنت تجده
مألوفاً عند المصريين واليونان والرومان
والآشوريين والبابليين وعند غيرهم من ذوى
الحضارات الأخرى - حتى الديانات السابقة
على الإسلام نجدتها تقر الرق وتجعله أمراً
مشروعاً - فالديانة اليهودية - وقد زيفت
نصوص التوراة من عهد بعيد - جعلت الناس
طوائف وميزت بين أسودهم وأبيضهم -

فالفقير الذى يعجز عن كسب قوته يصير عبداً لمن يطعمه ويوجد له عملاً ، والمدين الذى يعجز عن سداد دينه يصبح عبداً لدائنه والسارق يصير عبداً لصاحب المال المسروق والهارب من السجن والمتخلف عن الجندية ومن يعاشر أمة غيره كل أولئك يفقدون حريتهم ويصبحون عبيداً بحكم القانون .

وكان للأرقاء نظامهم الخاص وحياتهم الخاصة - فضلاً عن تسخيرهم للخدمة وحرمانهم من طيب الطعام وما يلائم من اللباس ، فقد 'يجب' اللاتقون منهم لخدمة البيوت حتى يأمنهم السادة على نساءهم - وليس للرقيق حق التظلم والشكوى مهما ناله من مهانة وتعذيب .

جاء الإسلام والعالم كله يجرى على هذا النظام فلم يقف منه موقف الغافل ولم يكتم عن الناس مساويه - بل جعل مقاومة الاسترقاق مادة من منج كفاحه وباباً من أبواب فقه وفرعاً من فروع عبادته - أوصى للعبيد بما يعيد إليهم إنسانيتهم ويحفظ عليهم كرامتهم حتى ليخيل إليك أنهم لا يمحطون من الرق إلا اسمه فهم إخوان للسلبيين في المنزلة وشركاء في المال ، إخوانكم خولكم جعلهم الله لكم شركاء فبما تحت أيديكم فمن كان

ولم تكن المسيحية أحسن منها حالاً - فإنها - وهي رسالة الرحمة والمحبة - لم تشأ أن تفتح للمسترقين أى باب للحرية أو حتى توصى بهم ساداتهم المالكين ولكنها على العكس من ذلك أمرت العبيد أن يحسبوا حساب ساداتهم وأنهم يستحقون كل إكرام (١) .

ولكى نقدر موقف الإسلام من تحرير الرقيق يجب أن ننظر إلى أسباب الرق التى شاعت بين الناس إذ ذاك والمعاملة التى يعامل بها الأرقاء والقانون الذى تواضع الناس عليه إزاءهم لترى عمل الإسلام لتحرير الرقيق ومدى رفقته بهم .

يرجع أهم أسباب الرق إلى الحروب . فقد كان الأسرى يودعون على المحاربين ضمن الغنائم ولكن الحرب كانت تقوم لسبب وغير سبب وربما كانت الغنائم أهم أسبابها والإسان في هذه الحالة - ولا ريب - كحيوان الغابة يفتك القوى منه بالضعيف استجابة لنوازع الغريزة التى لم تنلها تربية ولا تهذيب - وكانت القوانين التى تسن لا ترمى إلى العدالة - وإنما تضع مبررات لما يفعله الأقوياء والموسرون بالفقراء والمستضعفين - لهذا أقرت أسباباً أخرى للرق لا تتفق ومبادئ الإنسانية فضلاً عن المدنية والحضارة -

(١) إنجيل بولس إصحاح ٦ .

والحضارات الأخرى يظل وقيفا إلى الأبد وأبناءؤه من بعده أرقاء كذلك . أما الإسلام فإنه يجعله نظاما موقوتا - فالأمة التي تلد من سيدها تصبح أم ولد لا يجوز بيعها والرقيق النشيط يمكن أن يكاتب سيده على قدر من المال يدفعه لسيده من كسبه ويصير بعده حرا وقد شجع الإسلام بهذا الأرقاء على استخلاص أنفسهم بل ودعا المسلمين إلى مساعدتهم في القرآن ، والذين يبتغون الكتاب بما ملكت أيما نكم فكتابوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ، فأين من هذا سلب حرية المدين واسترقاقه بسبب فقره ؟

وأما بالنسبة لأسباب الاسترقاق - وقد رأينا كيف كانت كثيرة ، فإن الإسلام لا يتقبل منها إلا سببا واحدا ، وهو سبب الحرب . يتقبله كضرورة حربية ولمدى معين ، والإسلام لا يخوض الحرب إلا لأسباب شريفة كالدفاع عن النفس والدفاع عن العقيدة ونشر الدين الإسلامي دين السلام والإخاء والمساواة . فهو لا يخوض الحرب طمعا في الغنيمة وشهوة في السيادة ، ولهذا كثيرا ما رحبت به البلاد المفتوحة ليخلصها من ظلم الحاكمين ، وليس من الحتم أن يكون كل أسير في الحروب الإسلامية رقيقا - فقد يفقده الأسير نفسه بمال أو عمل ، وقد

أخوه تحت يده فليطعمه بما يأكل وليلبسه بما يلبس ولا تكلفوهم فوق طاقتهم فإن كلفتموهم فأعينوهم ،^(١) وحتى الاسم الثاني والنداء الجارح لا يقبله الإسلام ، لا يقل أحدكم عبدي وأمتي فكلكم عبيد الله وكل نساءكم إماء الله ولكن ليقل فتاى وفتاى ،^(٢) ومن كلف عبده أو أرمقه بما لا يطيق اعتقه عليه الحاكم رغما وولاءه للمسلمين .

بجانب هذا يفتح الإسلام للحرية وإعناق الأرقاء أبوابا متعددة ، فتحرير الرقيق من القرب العظيمة التي يتقرب بها إلى الله ومن مكفرات الذنوب ، وهو مصرف من مصارف الزكاة فبدلا من دفع الزكاة لبيت المال يصق بها عبدا أو أمة . وحرية شخص مسلم تعادل أو تفضل في نظر الإسلام دخلا يزيد مالية الدولة ، وهو كفارة لعدد من الذنوب كفارة للظهار وكفارة لحنث اليمين وكفارة للإفطار في رمضان وكفارة للقتل الخطأ ، وهذه كلها أبواب للحرية من شأنها أن تقلل عدد الأرقاء وقد تأتي عليهم نهائيا ، وهي تبين - من غير شك - مدى تطلع الإسلام للحرية وكراميته للاسترقاق ولو وازنت بين نظام الرقيق في الإسلام ونظامه عند الآخرين لتبين لك فوج آخر من حرصه على الحرية . فالرقيق في الديانات

وبتوقف الفتوح الإسلامية توقف الرق
ثم انقرض أو كاد - انقرض الرق الذي يسميه
الإسلام رقا، ولكن بقيت القرصنة الأوروبية
التي تنهب الصليان من الشواطئ لبيعهم باسم
الارقاء ولو حكم الإسلام في هذا لقطع أعناق
القرصنة وحرر أرقاءهم - فهم قطاع طريق
ومنتهكو حرمان ، ولكن الإسلام لم يكن
له دخل في هذا والمسئول عنه هم الأوروبيون .

وفي عصر النهضة انقرض نظام الرق
ومضت عليه مئات الأوامر حتى كانت كل من
أمريكا اللاتينية الناشئة وأوروبا المسيحية
المتعدنة هي التي عملت على إحيائه من جديد
كان ذلك في فجر القرن السابع عشر وكان
الأوروبيون آخذين في استثمار أمريكا
الوسطى بعد أن أجلا عنها سكانها بالنار
والحديد - وواجهتهم مشكلة الأيدي العاملة
فالأوروبي المترف الغليل لا يناسبه العمل
في تلك الأراضي البكر تحت أشعة الشمس
اللافتة وبين الأحرار وداخل المناجم
واتجهت أفكارهم إلى إحياء تجارة الرقيق
ونظام العبودية . تولى كبر هذه الفكرة
ثري جشع يدهي دلازاس كازاس ، فسالبت
فكرته أن صادفت هوى من نفوس الآخرين
وسرطان ما كانت موضع التنفيذ . أبحرت
السفن المسلحة بالأسلحة الحديثة إلى إفريقيا

يظهر من حسن النية وسلامة العقيدة ما يجعله
أهلا للعفو عنه من غير شيء ، فإما منا بعد
وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، وقد
كرم النبي صلى الله عليه وسلم الأسرى بما لم
يكن يحلم به أحد - تزوج صفية بنت حسي
ابن أخطب من ألد أعدائه اليهود وجعلها
في بيته بمائلة لبنت أبي بكر وبنت عمرو
كما تزوج جويرية بنت الحرث وأبوها
أيضا من أعدائه الألداء ، وبزواجه صلى الله
عليه وسلم من جويرية هذه أعتق المسلمون
أسرى قومها - فانظر مدى رفق الإسلام
بأسراء وهفة المسلمين عن الغنائم لاجرم أنها
حرب للبدا والعقيدة لا للغنيمة وكثرة
الاسترقاق .

ولقد كثرت حروب المسلمين واتسعت
رقعة ملكهم وكثر الأرقاء تبعاً لذلك ولكنهم
كانوا دائماً إخواناً للمسلمين يقفون معهم في
حقوق الإنسانية على قدم المساواة ، وكان
الشخص منهم ينال منزلة في مجتمعه بقدر
ما توهله بميزاته العقلية ومواهبه الخاصة -
فقد يكون الواحد منهم قائداً أو وزيراً
لا يضره أنه لم يكن عربياً أو كان مسترقاً -
وقد تكون الأمة زوجاً لحاكم أو أمماً لخليفة
وهؤلاء بنو العباس امتد عهدهم إلى ما يزيد
على أربعة قرون وكان خلفاؤهم ما هذا الأمين
ابن الرشيد - أبناء إمام .

في أشق الأعمال في المناجم والمزارع والغابات ولم ينالوا على جهودهم أى حظ من الراحة والترفيه . بل على أعراقهم ودمائهم عاش الأوربي الأبيض منمعا سعيداً لا يشعر بشيء من قلق النفس أو وخز الضمير ، وقد صورت الكاتبة الأمريكية « هاريت بتشرستو » في كتابها المشهور ، « كوخ العم توم » ، لونا من حياة العبيد في أمريكا ووصفت ما ينالهم هناك من قسوة وتعذيب ولم يكن وصفها هذا من قبيل الخيال بل لعله بعض الواقع الملموس .

وقد نشرت قصتها كتاباً في سنة ١٨٥٠ م وكانت قبل ذلك تكتبها مقالات في بعض الصحف ، وكان إبراهيم لشكون مراعراً للسيدة هاريت ، ولم تكن هى ولا هو أول من رثى في أمريكا لحال العبيد وطالب لهم بالحرية ، بل سبقهم لهذه الدعوة أفراد من أمثال فرانكلين وأمرسون وغيرهما ، ولقد كانت الحالة التمهية التى يعانها هؤلاء المساكين الأبرياء خليقة أن تفجر الرحمة فى قلوب عدد أكثر لو أنها كانت فى مجتمع غير مجتمع الأمريكين .

هذا طرف من قصة الرق فى أمريكا وجانب من نظام الرق فى الإسلام ، فى أحد الجانبين رحمة حق على الأعداء ، وفى الآخر قسوة

السوداء قارة العبيد كما سموها . ولقد كان هذا إثمًا مزدوجاً . فإن الأوربيين أفنوا الجنود الحمر بطرق عنيفة قاسية لارحة فيها ولا إنسانية — حاربهم بالأسلحة الحديثة وقتلهم قتيلاً عنيفاً أشعلوا النار فى مساكنهم وأحياناً فى الغابة كلها فأفنوا ما فيها من نبات وإنسان وحيوان لا فرق بين إنسان وحشرة إلا أنهم كانوا يخافون السباع والوحوش ولكن لا يرحمون الإنسان . وفى إفريقيا فعلوا مثل هذا — كان الجيش المسلح يهبط على القبيلة العزلاء فيقتل من يقتل ويستاق من يصلح للخدمة ويترك للوت من لا يصلح — وربما أشعلوا النار أيضاً فى أسوار الهشيم التى تحيط بالقرية فإذا فر أهلها فزعين من النار تلقتهم الجنود المسلحة وحينئذ يساقون فى طابور طويل والسياط تنال من جلودهم حتى يصلوا إلى السفن المعدة لنقلهم وقامت أسواق ذات تجارة رائجة للعبيد فى أمريكا وأوروبا وفى عرض البحار وأغرى الربح من تجارة العبيد عدداً كبيراً من البرجوازيين فى أوروبا فأصبحوا من كبار الرأسماليين .

أما فى أمريكا فدخلوا ضمن الممتلكات فى المزارع وكانت المزرعة تقوم بمسا فيها من زروع وماشية وعبيد سخرهم الأمريكيون

المواطن الصالح ، وهم مواطنون صالحون لا يزالون يشعرون بالذلة والإهانة بين البيض وذنهم الوحيد أنهم ملونون .

فأين هذا من عمل الإسلام وأخلاق نبي الإسلام ، ولقد عير مسلم آخر فقال له يا ابن السوداء ففضب عليه النبي وقال إنك امرؤ فيك جاهلية ولم يسع هذا إلا أن يضع خده على الأرض ، ويطلب من ابن السوداء أن يقتصر منه ، ولقد مات عمر بن الخطاب وهو يقول : لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته أمر المسلمين ، ولو كان صهيب الرومي حيا لوليته أمر المسلمين ، فانظر إلى أي حد يرفع الإسلام الموالي ، وإلى أي حد تنال أمريكا من حرية الأحرار ؟ .

أرجو أن يكون في هذا بعض ما يقنع محدثك الكريم ، والله تعالى يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون ؟

عبد المجيد سليمي

عضو المكتب الفني لمجمع البحوث الإسلامية

وتعذيب للمسلمين الأبرياء ، هناك تحرير للمسترقين وهنا استعباد للأحرار ، ومع ذلك لا يستحي المتبجح الآثم أن يلصق عارده بالأبرياء الأطهار .

وإذا كان لنكونلن وأمثاله من تتمدح بهم أمريكا ، فينبغي أن تذكر أنهم يجلوها عارا لا يحمي وخزيا يندى له جبينها على مر السنين لأنهم شهداء منها عليها ، شهداء على ما جنت على الإنسانية وأجحفت بحق الآدميين ولقد استطاع الإسلام في مدى قصير أن يدخل في الأمة الإسلامية عددا ضخما من الموالي أحبوا الإسلام ودرسوا علومه وكان لهم أثر قيم في الفكر الإسلامي خاصة والفكر العلمي عامة ، وعرف هؤلاء الأجانب لنبي الإسلام حقه وقدروا سموه بالإنسانية ، وأثر سيرته وخلقه والقرآن الذي جاء به في تقدم البشرية وترقيتها ، أما أمريكا فقد عجزت حتى الآن عن فتح أبواب جامعاتها للسود والبيض على السواء ، بل عجزت عن المساواة بين البيض والسود في مرافق الحياة العامة ، فلا يزال السود محرومين من كل ما ينبغي أن يناله

رسالة الإسلام

في عالم اليوم

للمؤلف: الأستاذ محمد عبد المنعم خنجاوي

١ - الإسلام ديننا الخالد العظيم ،
ورسالة السماء إلى محمد بن عبد الله صلى الله عليه
وسلم والشريعة التي نزل بها كتاب كريم .
هو القرآن ، دستورها وناموسها الأكبر .
وهو الدين الذي نزل هدى ورحمة للعالمين
وأحدث تطبيقه لأول مرة في مكة ثم المدينة
ثم جزيرة العرب نفسها على يد الرسول الأظهر
ثورة لم تشهدها الإنسانية من قبل ولا من
بعد وإصلاحا لم يكن يحلم به بشر ولا زلنا
حتى اليوم لا نستطيع أن نفصل إلى مداه
الكبير ، ثم استمر في مده العظيم فطبقة
الخلفاء الراشدين في البلاد التي دخلت في ظلال
الإسلام ، وانضوى تحت لوائه الملايين
في الشمال والجنوب والشرق والغرب فرحين
مهللين مكبرين مستبشرين بعهد من الحرية
والإخاء والتعاون والمساواة والعدالة
والرفاهية لبني البشر جميعا وعاملين على تأثيل
حضارة ومدنية جديدة لم تشهدها البشرية
من قبل ، ... دين جاري التطور في كل زمان
ومكان وجابه العنصران واتصر عليه في كل

بيئة وعصر ... ولم تقف أمامه مشكلة من
المشكلات ولم يزعم منصف في أي جيل
أن منطق الإسلام لا يجاري العقل والحياة
ولم يستطع أصحاب الدعوات الجديدة أن
يزعموا أن دعواتهم على ما هيء لها أحيانا
من دعاية وقوة ومساندة النفوذ أو الجاه
أو المال قد نالت بعض ما ناله الإسلام في
سنوات معدودات من ثقة الجماهير وإيمانها به
وإقبالها على اعتناقه والدخول فيه دين
لا زالت أصوله ودعواته حلم البشرية بعد
ما وصلت إليه من تطور وتقدم وحضارة .
ولا زالت أصوله الفكرية والروحية تحمل
إلى العالم الأمن والسلام والرخاء . وهو بعد
جديد في كل وقت . عظيم في كل حين . جليل
في كل عين . رفيع في كل عقل .

دين وضع أصولا خالدة لإصلاح جميع
مجالات الحياة ونواحي النشاط الإنساني .
وسبق « الديكاريين » إلى تقديم الشك أمام
كل بحث وترك التقليد . وإلى الإيمان
بما يؤدي إليه الدليل . كما سبق « بيكون » ،

لجميع مشكلات المضطهدين والمستعمرين والذين وقف بهم التأخر عن متابعة سير الحياة ... نادى بالحرية لكل الناس ولكل الشعوب دعا إلى أن تتولى كل أمة أمور نفسها في ظلال مبادئه ودعوته وأصوله قارم كل من وقف في سبيل دعوته لأن من يفعل ذلك فهو يقف في وجه الحياة نفسها ليؤخر سير الزمن

حل جميع العصيات وأبطلها وكل المشكلات وأزالتها وجميع العقد النفسية والروحية عند جميع الناس ووضع مكانها حب الخير والتعاون والرحمة وحب الوثام والسلام والبر والشفقة .. وهذب العواطف والمشاعر الإنسانية وطهرها وسماها وجل الحياة أمام الناس وجعلها تعاوناً ومشاركة وتبادلاً للنافع والخير ومد في آفاق الأمل بما دعا إليه من الثقة برحمة الله ونضله وفرجه ، قابل الإسلام آلاف الدعوات والمبادئ والأفكار الجديدة ومع ذلك لم تستطع إحداها أن تجاريه في حيويته وبساطته ومثاليته وعظمة مبادئه وأصوله وواجه آلاف الطغاة ومع ذلك لم يستطع واحد منهم أن يقف سيره المخموم أو يعطل رسالته الخيرة أو ينتصر على مبادئ الإسلام الجليلة العظيمة .

وحلت شعوب الإسلام دائماً إلى العلم الم وإلى الحياة في كل العصور والأجيال وبفضل

إلى المذهب العلمي . وسبق فلاسفة الاجتماع إلى وضع أصوله . ولم يجعل المعرفة الإنسانية حداً من حيث وضع بعض المفكرين الغربيين حداً يمكن أن يصل إليه الإنسان من معارف . وأقام مبادئه على سمر الغاية الأدبية فحسب دون النظر إلى التعليقات الاقتصادية والمادية للأشياء ووجد بين الأجناس والعناصر والألوان ... ودعا إلى أخوة بشرية عامة لا تفاضل فيها لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح ... وجمع الكثير من الأمم والشعوب تحت ظلاله بما عجز عن تحقيقه كل القواد والدول . هذا مع العدالة في الحكم . ومع الإيمان بالحرية والشورى والإخاء والمساواة وتطبيقها ومع العمل على نشر الأمن والرفاهية والوثام والسلام بين بني البشر جميعاً .

٢ - لم يقف الإسلام وأصوله ومبادئه الكريمة حائراً أمام أية مشكلة من مشكلات الحياة في كل عصر وكل بيئة بل وجد الحلول العادلة لكل ما وجد وما يجد على سطح الأرض من جديد .

كانت رسالته دائماً التبشير بقيم إنسانية رفيعة ، لم يقل أبداً وفي أخرج الأزمان والمحن إن الغاية تبرر الوسيلة . لم يزعم الإسلام أنه وصى على البشر وصاية تحكم واستعلاء ، وأنه مستعمر في الأرض لمصلحة الفاتحين بل دعا دائماً إلى الإيمان بأصوله كحل أساسي

تؤمن بالله ورسالة محمد وبرسل الله جميعا
لا تفرق بين أحد منهم .. ومن حيث نظام
العبادة للفرد المسلم فهو يتأخر في الطهارة
والصلاة والزكاة والصوم والحج ..
إلى وجوب اعتناقه للفضائل الإنسانية
الأخرى من صدق ووفاء ورحمة وشفقة
وإيثار وبر وأمانة إلخ ...

ومن حيث مبادئ المجتمع الأساسية
في الإسلام فهي تقوم على :

- ١ - الشعور بالمسؤولية .
- ٢ - التعاون التام .
- ٣ - العدالة الكاملة والتزامها .
- ٤ - المساواة بين جميع أفراد المجتمع
في الحقوق والواجبات .
- ٥ - الحرية لكل الناس والطبقات .
- ٦ - نشر الرخاء بين جميع الناس .
- ٧ - توفير العمل وجعله حقا لكل أحد .
- ٨ - كفالة الدولة لجميع مرافق الحياة
وإيصالها لكل الناس بالجان مادام
ذلك ممكنا .

- ٩ - مساعدة الدولة لكل محتاج بقدر
ما يمد حاجته دون ما تأخير .
- ١٠ - السهر على خدمة المجتمع وخدمة
الأمن بكل وسيلة .
- ١١ - محاربة كل ألوان الفساد الاجتماعي
والرذائل الاجتماعية والخلقية

دينهم العظيم رسالة التقدم والحضارة ورسالة
الحرية والعدالة ورسالة المحبة والسلام والإخاء
والشورى والتعاون بين الناس جميعا .
ودخل الناس في دين الله أفواجا في كل
عصر وجيل وفي كل زمان ومكان .

قد تقول إن المسلمين في العصور الأخيرة
قد أخذ منهم الغرب زمام قيادة العالم وحاربهم
في دينهم وأموالهم وأعراضهم حربا شديدة
واعترتهم فترة من النوم والجهل ..
ولكن ذلك كله لم يكن السبب فيه دينهم بل
السبب انصرافهم عن تعاليمه ومجاراتهم للغرب
وحضارته في كل شيء وخصومه بعضهم لبعض .
ولأسباب أخرى لا نخفي على أحد اليوم
والشيء الوحيد الذي يمكن أن يعيد القوة
والسيادة إلى أم الإسلام هو عودتهم إلى دينهم
ورجعهم إلى حضارتهم وتاريخهم وتراثهم
وإقبالهم على تربية أبنائهم تربية إسلامية
صحيحة .

٣ - والآن ما هي رسالة الإسلام
في عالم اليوم ؟

تتلخص أصول الإسلام في العقيدة الإسلامية
وفي المبادئ الأساسية للمجتمع الإسلامي
وفي نظام العبادة للسلم وفي الأسس التي يبنى
عليها كيان الأمة الإسلامية .. وفي أفكار
الإسلام الأساسية في خدمة الحياة نفسها ..
أما من حيث العقيدة فهي عقيدة إنسانية

المستعبدة لأن ذلك من جوهر الإسلام وطبيعته.

٤ - العمل من أجل ثقافة جديدة مثالية.

٥ - نشر أعمال المفكرين المسلمين

ومبادئ الإسلام وبطولات أبطاله وقواده

ومواقف قادته بكل لغة لتكون تراثا للناس

يستمدون بها ويسترشدون بسموها .

٦ - الكشف عن أصول الحضارة

الإسلامية وأعمالها في خدمة العالم ونشر

ملخصات عنها بكل لغة .

٧ - إنشاء معاهد ثقافية وإسلامية في

جميع أنحاء العالم لنشر الثقافة العربية الإسلامية

٨ - كتابة التاريخ الإسلامى في موسوعة

عربية بأسلوب جديد يتفق مع تطور الحياة

والفكر العالمى المعاصر .

٩ - نشر مفاخر الإسلام في خدمة

الشعوب التى استظلت بظلاله وفي النهوض بها

وكل ما أسداه إليها الحكم الإسلامى من نهضة

وتقدم وحضارة ورقى .

١٠ - الدعوة إلى مبادئ الإسلام

الأساسية فى الحرية والشورى والمساواة

والتكافل الاجتماعى والإخاء والعدالة وغير

ذلك . هذا قل من كثر مما يجب عمله

ومما يستطيع الإسلام خدمة الحياة والحضارة

والمسلم فى مجاله وما ذلك على الله ولا على

الإسلام وشعبه بعزير .

محمد عبد المنعم غفامى

والقضاء عليها إلى غير ذلك من

مبادئ ليس هنا مكان شرحها .

ومن حيث الأسس التى يبنى عليها كيان

الأمة الإسلامية فتتلخص فى الشورى

- السلام بين طبقات الأمة - العدالة

الاجتماعية والتكافل الاجتماعى - القضاء على

الامتيازات الفردية والاجتماعية إلا ما يرجع

إلى العمل وخدمة الأمة - نشر التعليم

وجعله حقا لكل فرد إلى آخره .

أما أفكار الإسلام فى خدمة الحياة فهى

ترجع إلى مبادئه فى تحرير الأرقاء والمستعبدين

والمستضعفين وفى نشر السلام ، وفى تبادل

التجارة بين أمم الأرض ، وفى نشر الثقافة

والحضارة ومساعدة الأمم المتخلفة ، وفى

الانتصار لكل ضعيف ومظلوم ، وفى العمل

على تقدم الحياة وإثرائها بكل جديد نافع

ومبتكر صالح . الخ .

ورسالة الإسلام فى عالم اليوم تستمد من

جوهره وحقيقة مبادئه العامة وفى الإمكان

إجمالها فيما يأتى :

١ - نشر الروحية فى عالم اليوم الذى

تغلبت عليه المادية وحكمة فلسفاتها الجائرة .

٢ - الدعوة إلى الأخوة الإنسانية فى

عالم اليوم الملىء بالاحقاد وبالأسباب التى تهدد

السلام العالمى فى كل لحظة .

٣ - الدعوة إلى تحرير العناصر والشعوب

رأى في بعض القواعد النحوية :

١ - صيغ أخرى للمبالغة

للأستاذ أحمد مختار عمر

يتحدث النحويون عن صيغ المبالغة المشهورة فيحصرونها في خمس صيغ هي فعال وفعل وفعل وفعل وفعل . ومع ذلك نجدهم يختلفون في شأن هذه الصيغ ومدى صحة القياس عليها ؛ ففهم من ذهب إلى أن الصيغ فعال وفعل وفعل وفعل هي الكثيرة ، ومنهم من ذهب إلى أن صيغة فعال خاصة هي القياسية المطردة ، وذهب بعضهم إلى أن الصيغ الخمسة قياسية من الفعل المتعدي فقط ، وبعض آخر إلى أنها قياسية من المتعدي واللازم .

وقد اعتبر سيلويه هذه الصيغ الخمسة أصلا في المبالغة دون أن يقول بقياسيتها ، ثم عاد فاعتبر صيغة فعل قليلة وما عداها أصلا ، وخالف نفسه بعد ذلك فقال إن صيغة فعل أقل من فعل بكثير .

ومع هذا الخلاف الشديد اتفقوا على أن ما عدا هذه الصيغ الخمسة قليل في الاستعمال مقصور على السماع .

ولكننا نجد في كتب اللغة خلاف ذلك . ونرى في كلام اللغويين ما يفيد وجود صيغ

أخرى تستعمل بكثرة للدلالة على معنى المبالغة . وهذه الصيغ هي :

١ - فَعِيل ٢ - فَعْلَة ٣ - فَعْلَة ٤ - فَعْلَال

وبين هذه الصيغ صيغة فريدة تدل على المبالغة في المفعول (لا الفاعل كسائر الصيغ) وهي صيغة فَعْلَة التي لا يوجد في سائر الصيغ ما يحل محلها أو يغني عنها .

وقد لاحظ اللغويون - من قديم - ما في هذه الصيغ من مبالغة فذكروا ذلك صراحة أو ضمنا . ومنهم من أشار إلى كثرتها أو اطراد بعضها . كما أننا نجد منهم من يذكر أمثلة للصيغة لا يذكرها غيره .

وسقتناول الآن كل صيغة على حدة لنرى أقوال اللغويين فيها وأقدم ما استطعت أن أجمعه من أمثلة لكل منها :

١ - فَعِيل :

قال ابن قتيبة : د ما كان على فعل فهو مكسور الأول ... وهو لمن دام منه الفعل ، وبعد أن ذكر أمثلة لذلك تلاها بقوله : د ومثل ذلك كثير . ولا يقال لمن فعل الشيء .

الدوران على السنة العوام في مصر (ولكن بفتح أولها) للدلالة على معنى المبالغة، وطفهاها على ما عداها من الصنغ، فهم يقولون: أكيل، وحبيب، وجميع، ورسم، وعويم، وكسب، ولعيب... وغير ذلك.

ومن أجل هذا لا نستبعد أن تكون هذه الصيغة أقدم في الدلالة على معنى المبالغة من صيغة فَعَّال التي يعترف بها النحويون، وأنها تطورت في اللغة الفصحى إلى فَعَّيْل أو فَعَّال طبقا لقانون الانسجام الصوتي، وظلت محتفظة بفتح أولها في بعض اللهجات، ثم انحدرت إلينا مع بعض القبائل العربية التي نزحت إلى مصر.

ومن الغريب أن يبلغ عدد ما جمعت من أمثلة لهذه الصيغة خمسة وأربعين مثالا - ولا أزعم أنه كل ما جاء منها - ثم نجد ابن دريد ينص على أنها سماعية، ويحذر من القياس عليها. فهو يقول في جهرته بعد أن عد ما يقرب من ثلاثين مثالا: «أعلم أنه ليس لمولد أن يبني فعَّيلا: لا ما بنه العرب وتكلمت به. ولو أجز ذلك لقلب أكثر الكلام (١١) فلا تلفت إلى ما جاء على فعيل مما لم تسمعه إلا أن يحى به شعر فصيح.

مرة أو مرتين حتى يكثر منه أو يكون له عادة.

وكذلك نص ابن السكيت على أن صيغة فعيل تدل على المبالغة؛ فالسكر الكثير، السكر والفسيق الكثير الفسق. إلى آخر ما مثل به.

كما لاحظ الفارابي د أبو إبراهيم إسحق ابن إبراهيم المتوفى سنة ٣٥٠ هـ وصاحب ديوان الأدب، معنى المبالغة في هذه الصيغة فكان يقرنها بما يفيد المبالغة. ومن ذلك قوله: الشرب المولع بالشرب، الزميت أشد من الزميت، الخبز الدائم الشرب للخم، وجل شرير أى صاحب شر جدا...

أما الأمثلة التي أمكنني أن أجمعها من كتب اللغة لهذه الصيغة فهي:

شريب، خريت، زميت، سكيت، صميت، حميت، حديث، خبيت، عبيت، خريج، مريج، مسيح، عفيد، غريد، مريد، جبير، ختير، خمير، سكير، سمير، شخير، شرير، شمير، ظفير، غدير، فجير، فخير، فكير، قصيص، فطيس، عقيص، عريض، صريص، ثقيف، حريف، خريق، صديق، طليق، عشيق، فسيق، مسيك، ضليل، هزيل، ظليم، غليم.

ولهذه الصيغة أهمية خاصة، لأنها كثيرة

٢، ٣ — فَعَلَةٌ وَفَعْلَةٌ :

قال ابن قتيبة : د وكل حرف على فَعَلَةٍ وهو وصف فهو الفاعل نحو هذرة ونسكة وطلقة وسخرة إذا كان مهادراً ، نكاحاً ، مطلقاً ، ساخراً من الناس ، فإن سكنت العين من فعلة وهو وصف فهو للمفعول به . تقول رجل لعنة أى يلعنه الناس ، فإن كان هو يلعن الناس قلت لعنة . ورجل سببة أى يسبه الناس ، فإن كان هو يسب الناس قلت سببة . وكذلك هزأة وهزاة وسخرة وسخرة وضحكة وضحكة وخدعة وخدعة . وقال مرة أخرى : د وفَعْلَةٌ من صفات المفعول وفَعْلَةٌ من صفات الفاعل ، ثم ذكر أمثلة لذلك .

وقال ابن السكيت : د واعلم أنه ما جاء على فَعْلَةٍ بضم الفاء وفتح العين من النحوت فهو في تأويل فاعل ، وما جاء على فَعْلَةٍ ساكنة العين فهو في معنى مفعول به .

وعقد الثعالبي باباً بعنوان « فصل في الفرق بين ضدين بحرف أو حركة » قال فيه : د وذلك من سنن العرب . وما كان فرقه بحركة كما يقال : رجل لعنة إذا كان كثير اللعن ، ولعنة إذا كان يلعن . وكذلك ضحكة وضحكة .

بل نص ابن منظور على أن هذين البناءين يطردان في معنى المبالغة ، وقرر أكثر من مرة فقال :

١ — نسكة كثير النكاح ، وفَعْلَةٌ من أبنية المبالغة لمن يكثر منه الشيء .

٢ — رجل بُوكَة كثير البول ، يطرد على هذا باب .

٣ — اللعبة الأحمق الذى يسخر به ، ويطرد عليه باب .

٤ — صرعة كثير الصراع لأقرانه وصرعه يصرع كثيراً ، يطرد على هذين باب .

٥ — رجل لومة يلومه الناس ولومه يلوم الناس ... يطرد عليه باب .

٦ — اللعنة الكثير اللعن للناس ، واللعنة الذى لا يزال يلعن لشرارته ، والأول فاعل ، والثانى مفعول ... ويطرد عليهما باب .

أما الألفاظ التى أمكننى أن أجمعها لصيغة فَعْلَةٍ فهى :

نسكاة ، فجأة ، زكاة ، هزاة ، خضبة ، سببة ، شربة ، طلبية ، عيبة ، قوبة ، كذبة ، لعبة ، نجبة ، خرقة ، لجة ، ولجة ، نسكة ، حدة ، قعدة ، بذرة ، دغرة ، سخرة ، سهرة ، هقدة ، عقدة ، قدرة ، قشرة ، هذرة ، لمرة ، همزة ، جلسة ، كؤوسة ، رفضة ، قبضة ، لقطة ، خدعة ، خضعة ، صرعة ، ضجعة ، طلعة ، لسة ، بجة ، هجة ، هقة ، هامة ، ولعة ، نقة ، طرقة ، طلقة ، هرة ، ضحكة ، أمسكة ، كلة ، بولة ، حولة ، خذلة ، سولة ، هذلة ، غسلة ، وكلة ، برمة ، جشمة ، حطمة ، لومة ، نومة ، أمنة ، علنة ، لحنة ، لعنة .

السلي : إن هذا الشيء عجيب بالتشديد .
وقالوا : طويل وطويل وطويل .

أما الألفاظ التي أمكنني أن أجمعها لهذه
الصيغة فهي :

عجيب ، كبار ، ظراف ، جمال ، كرام ،
حسان ، طياب ، طوال ، ملاح ، جسام ،
صباح .

وأعتقد أننا بعد هذا ، يمكننا ونحن
مطمئنون أن نضيف هذه الصيغ الأربعة
إلى الصيغ الخمسة التي ذكرها النحويون ،
ونقلها من دائرة السماع إلى دائرة القياس .
وأقدم هذا الاقتراح إلى الجمع الغوي
ليصدر قراراً به .

أهم المراجع :

كتاب سيويه ، أدب الكاتب لابن قتيبة ،
إصلاح المنطق لابن السكيت ، الغريب المصنف
لابن عبيد ، الجهرة لابن دريد ، المنتخب
والمجرد لكرام ، ديوان الأدب للفارابي ،
لسان العرب ، أساس البلاغة ، المزهر
للسيوطي ، القول المجمل في الرد على المهمل
للسيوطي ، فقه اللغة للشعالبي ، البرهان للزركشي
المختص لابن سيده ، روح المعاني للأوسى .

٢ — اسم المصدر

قسم النحويون الأسماء التي تدل على الحدث
إلى قسمين : سموا أحدهما بالمصدر والآخر

وأما ما استطعت أن أجمعه لصيغة
مفعلة فهو :

نهب ، سبه ، هزأ ، لعنة ، سخر ، ضحكة ،
همزة ، لمزة ، خدعة ، ضورة ، لعبة ،
صرعة ، لومة ، لحنة ، حمدة .

٤ — مفعّال :

قال ابن قتيبة : د قال أبو عبيدة : فإذا
أرادوا المبالغة شددوا فقالوا : كرام وكبار
وظراف وعجيب ، فالكرام أشد كراماً
من الكُرام .

وقال ابن السكيت : د ورجل ... طويل
وطوال ، فإذا أفرط في الطول قيل :
طَوَّال ، . ونقل عن الكسائي قوله :
د سمعت كبير وكبار ، فإذا أفرط قالوا :
كُبَّار .

وقال كراع : د رجل طويل وطوال ،
فإذا أسرف في الطول قيل : طَوَّال .

ونص الزركشي على أن من صبيغ المبالغة
الواردة في القرآن الكريم صيغة مفعّال ،
ومثل لها بقوله تعالى : د ومكروا مكراً
كباراً . ثم نقل عن أبي العلاء المعري أنه
قال في كتابه اللامع العريزي : فمفعلة إذا أريد
به المبالغة نقل به إلى مفعّال ، وإذا أريد به
الزيادة شددوا فقالوا : مفعّال ، من ذلك
عجيب وعجّاب وعجّاب ، وقرأ أبو عبد الرحمن

ونحن إذا نظرنا في هذه الكلمات نجدها على أربعة أنواع :

١ - كلمات مأخوذة من الثلاثي المجرد وسمع فعل ثلاثي مجرد بمعناها ، ولكن هذه الكلمات ليست على الأوزان المطردة أو الكثيرة لهذا الفعل . ومن أمثلتها قولهم :

القيح الاسم من القباحة ، اللطف الاسم من اللطافة ، الرشق الاسم من رشق رشقا .

٢ - كلمات مأخوذة من الثلاثي المجرد جاءت بمعنى أفعال من مزيد الثلاثي دون أن يرد ثلاثي مجرد بمعناها . ومن أمثلتها قولهم :

الجدل الاسم من الجدال ، الغزل الاسم من المغازلة ، العجب الاسم من الإعجاب .

٣ - كلمات مأخوذة من مزيد الثلاثي جاءت بمعنى أفعال من مزيد الثلاثي كذلك ولكن من باب آخر كقولهم :

الضرام الاسم من الاضطرام ، الخيار الاسم من الاختيار .

٤ - كلمات مأخوذة من مزيد الثلاثي جاءت بمعنى أفعال من مجرد الثلاثي دون أن يرد لها فعل من بابها كقولهم :

المعضاض الاسم من العض ، الزفاف الاسم من زفت العروس .

وفي كل هذه الكلمات نلاحظ أن عدم ورود فعل لها من بابها كان هو السبب في اعتبارها من أسماء المصادر .

باسم المصدر . ولكنهم لم يقدموا لنا الضابط الذي نستطيع به أن نميز بين النوعين ، ولم يحصروا لنا الأوزان التي تخص اسم المصدر كما حصروا أوزان المصدر ، ولم يفرقوا بين النوعين تفريقا حاسما ، وهم قد ذكروا لنا أن من أوزان المصادر فعلان ، لما كان معناه الحركة والاضطراب والذهاب والمجيء . ومع ذلك اعتبروا اللهبان ، اسما للالتهاب ولم يعتبروه مصدرا ، وذكروا أن فعل قد سمع بقله مصدرا لفعل يفعل ، ومع ذلك اعتبروا العنجم ، اسما من عنجت البحر أعنجه ولم يعتبروه مصدرا ... وغير ذلك .

ولعدم وجود ضابط حاسم نجد من اللغويين من يعتبر الكلمة مصدرا على حين يعتبرها آخرون اسم مصدر ؛ فكلمة الشرب - بتثنية الشين - يعتبرها الجوهري مصدرا للفعل شرب ، ويصير أبو هبيدة الشرب - بالفتح - هو المصدر ، وما هداه اسم مصدر واللغويون يعتبرون العوج - بفتح العين والواو - مصدر قولك عوج الشيء والاسم العوج - بكسر العين - في حين أن ابن السكيت يقول : كل ما كان ينتصب كالحائط والهـود قيل فيه عوج - بفتح العين - وما كان في أرض أو دين يقال عوج - بكسر العين .

وهذا وغيره يجعلنا نعيد النظر في هذه الكلمات التي هدرها من أسماء المصادر ، وندرسها على أسس جديدة .

فلم نجد . حاول بعضهم أن يلتبس هذا الفرق ،
ولكنه ضل وتخط :

(أ) فذهب بعضهم إلى أن المصدر يدل
على الحدث واسم المصدر لا يدل على الحدث
ولأنما يدل على لفظ المصدر .

(ب) وذهب بعضهم إلى أن مدلوله الحدث
كالمصدر ولكن دلالة عليه بطريق النيابة
عن المصدر .

ولكن .. ما ثمرة ذلك ؟ وما أثره من جهة
المعنى أو الاستعمال ؟ لا شيء .

(ج) وذهب بعضهم إلى أن الفرق بينهما
أن المصدر يعمل . واسم المصدر لا يعمل
وهذا خلاف ما عليه جمهور النحاة من أن
كلاهما يعمل . وفي ألفية ابن مالك :
ولاسم مصدر عمل .

فإدام كل منهما يعمل ، وماداما يأتيان
بمعنى واحد ، وماداما يدلان على الحدث ،
فلماذا التفريق بينهما ؟

وقد أحسن ابن مالك صنعا في بعض
مؤلفاته حين اعترف بعدم وجود فارق بين
النوعين . وقد كان المنطق يقتضيه حينئذ أن
يمنع التعدد مادامت الحقيقة واحدة ، ولكنه
جرى في غبار النحاة وحذا حذوهم .

أحمد مختار عمر

وفي رأينا أن هذه الكلمات يجب اعتبارها
مصادر لأفعال من أبوابها وتكون هي دليلنا
على الفعل حين الاشتقاق فيما لم يسمع له فعل
ولذلك على النحر الآتي :

١ - في النوع الأول يعتبر اللفظ مصدرا
للفعل المسموع . ويكون من باب تعدد
المصادر للفعل الواحد ، وهذا كثير في كلامهم
وقد أثبت ابن القطاع للفعل « شئ »
أربعة عشر مصدرا ثم قال « وأما المصدران
والثلاثة والأربعة والخسة فتجى كثيرا » .

٢ - وفي النوع الثاني تعتبر هذه الكلمات
مصدر الفعل ثلاثي مجرد لم يسمع ، وتكون
هي الحجة لمن أراد أخذ سائر التصرفات منها .
وتطبيق هذا النوع يتضح في قول اللغويين :
« الشفقة الاسم من الإشفاق .. ولا يقال
شفقت » . فعلى اعتبارها مصدرا نقول شفقت
ولا حرج .

٣ - أما النوعان الثالث والرابع فنعتبر
كلماتهما مصادر لأفعال من أبوابها لم تسمع ،
وتكون حجة لمن أراد أخذ سائر التصرفات
منها .

وبذلك نخلص أنفسنا من هذا النوع من
الكلمات الذي أوقع النحاة في الحيرة
والخلاف ، وجعل اللغويين يختلفون في شأنه
اختلافا شديدا . بالإضافة إلى أننا حاولنا أن
نجد فرقا حقيقيا بين المصدر واسم المصدر

فلسطين في شعر شوقي

للأستاذ كامل السّوافيري

الابتدائية والثانوية على الرغم من مدير معارف
حكومة فلسطين الانجليزي ورقابته على منهج
اللغة العربية ، ومحاربه للنصوص الشعرية
والنثرية التي توقد جذوة الوطنية وتشعل الروح
القومية وكثيراً ما كانت هذه الحرب تفرض
استبعاد كل نص لا يرضى حكومة الانتداب
ولم تقف الحرب عند هذا الحد بل تجاوزته
إلى محاربة اللغة العربية كلغة قومية ومحاربة
أبنائها الأكفاء الذين تخصصوا في دراستها
على حين أنها جعلت اللغة الانجليزية ست حصص
في الأسبوع وخصصت لها زمناً يتساوى مع
زمن اللغة العربية ويزيد عنه أحياناً على الرغم
من تلك الصعاب اختار أساتذة اللغة العربية
في المدارس الأميرية في فلسطين قصائد من شعر
شوقي في الكتب المقررة على طلبة المرحلتين
الابتدائية والثانوية في النصوص والمطالعة
والأدب والبلاغة والمروض والنثراني ولكن
خطر هذه النماذج كان أكبر وأوفى في المدارس
الحرة التي لم تقيد بمنهج الحكومة .

ولم يقف أثر شوقي عند تقرير شعره
في المدارس والمعاهد بل تجاوزه إلى عكوف
العشرات على حفظ العديد من فرائد الشوقيات

١ — ما زلت أذكر وبردة الصبا تلفني ،
وحجرات الدراسة في مدرسة السوافير
الابتدائية تضميني كيف كنا نكلف ونحن
صغار بمحفظ أبيات للشاعر أحمد شوقي دون
أن نفهم معانيها ومن تلك الأبيات قوله :
وطني لو شغلت بالخلد عنه

نازعتني إليه في الخلد نفسي
شهد الله لم يغب عن جفوني

شخصه ساعة ولم يخل حسي
وتجاوزت مرحلة الطفولة وواصلت دراستي
الثانوية والعالية في رحاب الأزهر وقاعات
دار العلوم وازداد حبي لشوقي وتقديرى لشعره
وعشت معه في شوقياته الخالدة ومسرحياته
الرائعة فاستموانى قصيده وهزنى شعره وهو
يرسل الحانه إلى دنيا الإسلام والعروبة فيشبعني
ويعطرب ويروي الدهر قصائده وتردد الملايين
تغريده وإنشاده مأخوذة بروعة فنه .

٢ — وقد عرفت فلسطين العربية المجاهدة
لشوقي مكاتته فأحلتني في السويداء من قلوب
أبنائها ، وتخيرات له القصائد والمقطعات
واتخذت منها نصوصاً أدبية يكلف الطلبة
والطالبات بمحفظها ودراستها في المرحلتين

أبناء فلسطين وهم يحاربون الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية خلال ثلاثين سنة يبذلون المهبج ويرخصون الدماء دفاعاً عن الوطن وثمناً للحرية متمثلين قوله :

ومن يسقى ويشرب بالمنايا

إذا الأحرار لم يسقوا ويسقوا

وللاوطان في دم كل حر

يد سلفت ودين مستحق

والحرية الحرام باب

بكل يد مضرجة يدق

٤ — وكان بين شوقي وبين أديب العربية

إسماعيل النقاشيبي إزاء وثيق وصداقة قوية

وقد وعد شوقي صديقه إسماعيل بأن يزور

فلسطين ويقص علينا نبأ تلك الزيارة شاعر

فلسطين المرحوم إبراهيم طوقان فيقول :

قابلت أديب العربية إسماعيل النقاشيبي في

١٤ أغسطس سنة ١٩٢٨ وهو اليوم الذي

حدده أمير الشعراء أحمد شوقي ليزور فيه

فلسطين ، وينزل ضيفاً في « الحوزة » قصر

صديقه إسماعيل في بيت المقدس ، وقد قال لي

إسماعيل في هذا اليوم : بلبني شوقي والله ،

بلبني يا أخي إذ لم تتم الزيارة في الموعد المحدد

ولم يعلم إسماعيل مقرر شوقي يومئذ لأن الصحف

تناقلت أنباء متناقضة عن حله وترحاله فن

قائل إنه مازال في ربوع الشام ومصايف

لبنان ومن قائل : إنه عاد إلى مصر وأخيراً

ينشدون أبياتها ويرددون روائعها في ندوات الأدب وموائد الشعر ، وحلقات السمر التي كانت تنتظم كل مساء في بيت المقدس ونابلس وباقا وغزة وغيرها من المدن بين عشاق الأدب وهواة الفن .

٣ — وترى فلسطين أن شوقي لم يكن

شاعر القصر ولا شاعر مصر ولكنه شاعر

العرب صور آمالهم وآلامهم وغنى أفراسهم

وأشاد بالروابط الوثيقة التي تولف

بين قلوبهم .

كان شعرى الغناء في فرح الشرق

وكان البكاء في أحزانه

قد قضى الله أن يؤلفنا الجرح

وأن نلتقي على أشجانه

كلما أن بالعراق جريح

لمس الشرق جنبه في همانه

وكلمة الشرق قصد بها يومئذ الوطن العربي

لأن مفهوم العروبة لم يكن قد تبلور في الأذهان

تبلوره اليوم . ويؤيد ذلك أن كثيراً

من الشعراء الذين عاصروا شوقي والذين جاءوا

بعده استعملوا كلمة الشرق وأرادوا منها

العرب وحسبنا دليلاً على ذلك قول الشاعر

على الجارم :

صحا الشرق وانجاب الكرى عن هيوته

وليس لمن رام السكواكب مضجع

ولشعر شوقي أثر بالغ في إشعال حماسة

طلعت صحف مصر بنباً عودته إلى وطنه ،
وكان إسعاف قد طالب منى إعداد قصيدة
لإقامتها في الاحتفال العظيم الذي اعترم إقامته
لصديقه أمير الشعراء فنظمت القصيدة التالية
ونكتني بهذه الأبيات من قصيدة شاعر
فلسطين في شوقي المثبتة في ديوان إبراهيم طوقان
والدالة على مكانة شوقي في قلوب أبناء فلسطين

أهلاً رب المهرجان

أهلاً بنا بفة الزمان

ملك القلوب المستقل

بعرشها والصولجان

أهلاً بشوقي شاعر الفصحى

ومعجزة البيان

وفي هذه الأبيات يخلع الشاعر على شوقي
أجمل الصور فيجعل له رب المهرجان ونا بفة
الزمان وملك القلوب المستقل بعرشها وشاعر
الفصحى ومعجزة البيان ويمضي شاعر فلسطين
في إعجابه وحفاوته بشوقي فيصوره بأنه
فرقد الشعراء ، وأن علم الخلود يرفرف عالياً
وأن الروح الأمين ينفخ في قلبه ما يفيض على
لسانه ، ويمد روحه بالنفحات حين يطوف
بالجنان فتغدو أبكارها لدى الشاعر أبكار
المعاني .

يا فرقد الشعراء كم

من فرقد لعلك ران

هلاً الخلود منشران
على سريرك يخفقان
جبريل ينفخ في فؤادك
ما يفيض على اللسان
وأمد بالنفحات روحك
حين طوف بالجنان
فاذا بأبكار الجنان
لديك أبكار المعاني

وهذه الأبيات تعبر في صدق عن حب
شاعر فلسطين وإعجابه وتقديره لشوقي
وهو حب أهل فلسطين لأمير الشعراء وعاطفة
الشاعر الجياشة استدعت أجمل الصور وأرق
الالفاظ وأعذبها ، وزاد من تأثيرها وقوتها
الإيقاع الموسيقي الراقص واختيار أبياتها من
مجزوء السكامل هذا إلى جانب قصائد متعددة
لشعراء فلسطين عارضوا فيها بعض قصائد
أمير الشعراء ، ومزجوها بروح الفكاهة
والدعابة والمرح ، ولا نرى ما يدعو لإيرادها
هـ — وحين استعرضت الشوقيات لأجد
فيها قصيدة استلهمت فلسطين منذ ابتدأت
محتما في الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧ وهو
اليوم الذي صدر فيه وعد بلفور إلى العام
الذي كف فيه الشاعر عن تفريده وهو عام
١٩٣٢ غاب أمل وعرائن الآسى لاني وجدت
قصائد في دمشق ونكتتها وزحلة ولبنان

وفي آخر القصيدة يثنى الشاعر على فلسطين
وأهلها فيقول عنها :

بلد بنوه الأكرمون قصورهم
وقصورهم وقف على نزلاته
قد عشت تنصره وتمنح أهله

عونا فكيف تكون من غربائه
والثانية في رثاء الملك حسين في الصفحة
الستين بعد المائة من الجزء الثالث أيضا
ورد فيها ذكر فلسطين حين تحدث عن أبناء
الملك الراحل فقال :

أمن الناس في ذراهم وطابت
حرب الأرض تحتمم والاعاجم
وبنوا دولة وراء فلسطين
كباب الهدى فتاة العزائم
ومتحدثا عن القدس التي دفن فيها الفقيد
قائلا :

وادفنوه في القدس بين سليمان
وداود والملوك الأكابر
إنما القدس منزل الوحي مغنى
كل حبر من الأوائل عالم
كنفت بالغيوب فالأرض
أمرار مدى الدهر والسماء طلاس
وتحلت من البراق بطفراء
ومن حافر البراق بخاتم
وقد ألقى هذه القصيدة نيابة عن الشاعر
صديقه إسعاف النشاشيبي في حفل التأبين

والأندلس والبسفور وطوكيو وباريس
ولم أجد قصيدة عن فلسطين أو بيت المقدس
وكل ما وجدته أنى وجدت بيتاً في قصيدة
التي ألفاها في دار الأوبرا في حفلة افتتاح
مؤتمر تكريمه الذي انعقد فيها في صفحة
٢٤٠ من الجزء الثاني من الشوقيات ذكر
فيه فلسطين وهو :

يا عكاظا تألف الشرق فيه
من فلسطينه إلى بغداده
ووجدت أحياتا من قصيدتين أخريين
الأولى في رثاء محمد علي الزعيم الهندي في
الصفحة الثانية عشر من الجزء الثالث وفيها
يتحدث عن القدس التي دفن فيها الزعيم الهندي
المرثى وعن فلسطين :

ميت على أرض الهدى وسماؤه
الحق حائطه وأس بناءه
الفتح من أهلامه ، والطهر من
أوصافه والقدس من أسمائه
تحنو مناكبه على شعب الهدى
وتطل سدة على سينائه
منذا ينازعنا مقاليد بابه
وجلال سدة وطهر فثائه
ومحمد صلى على جنباؤه
واستقبل السمحات في أرجائه
يا قدس هي من رياضك ربوة
لنزبل تربك واحتفل بلفائه

الذى أقامه النادي الرياضى الإسلامى بيافا
للفقيد سنة ١٩٣١ قبل وفاة الشاعر
بعام واحد .

— ٦ —

ولما تحطمت قيامة الشاعر وكف عن
التغريد سنة ١٩٣٢ أظلت فلسطين سحابة
قائمة من الحزن ورائت عليها ظلال الآسى
وتجلى ذلك فى حفلات التآبين التى أقيمت
لشاعر بعد مرور أربعين يوما على وفاته
فى بيت المقدس ونابلس وحيفا وغيرها
من مدن فلسطين وتحدث فيها الخطباء
والشعراء وعن نكبة العرب لفقد شاعرهم
وخسارتهم بموته وخسارة اللغة العربية
بشاعرها نابغة الزمان ومعجزة البيان وحسبى
أن أسوق فقرات من السكلمة التى ألغاه
إسعاف الذئاشيخى فى تأبين الشاعر ...
ومنها يقول :

إنما الدنيا شجون تلتقى
وحزين يتأسى بحزين
ضحك الدنيا احتشاد البكا
وأغانها معدات الانين

أيتها النفس أجمل جزعا
ان الذى تحذرين قد وقعا

شاعر العرب قضى يا فتاة العرب فالبسى
ثوب الحداد وابرزى بين المملأ حاسرة
واندييه ، زحزحى هذا النقاب لئرى وجه
الحزين أهرضى عن خضر عودته فعيون
القوم غرقى فى الدموع .

شيمى دمعك هذا قائتا بنحيب ونشيج
وعويل وابذلى الدمع رخيصة إن من تبكين
غال . واحشدى كل بنات العرب للبكاء
واندييه فائحات سافرات وذرى القرب يديسا
يرتوى من عبرات ، اذكريه اندييه أبنيه
بحسرة خالدة .

هذا هو أثر شوقى البالغ فى فلسطين
وشعره فيها ولعلنا فى هذه السكلمة قد أقيمت
عليه أضواء ساطعة وجلونا للقراء . رحم الله
شوقى شاعر العرب وبلبل العروبة وشاعر
الإسلام وسلام عليه فى الحالين .

كامل السوافيرى

العقوبة في الإسلام :

حَدِّ السُّكْرِ

للأستاذ محمد فاوى عمر

في بحث للدكتور عبد الرازق السنهوري في فقه الدين الإسلامى مقارناً مع الفقه الغربى يقول : وهذه هى الشريعة الإسلامية لو وطئت أكنافها وعبدت سبلها لكان لنا فى هذا التراث الجليل ما ينفخ روح الاستقلال فى فقهنا وفى قضائنا وفى تشريعنا ، ثم لأشرفنا نطالع العالم بهذا النور الجديد فضى به جانباً من جوانب الثقافة العالية فى القانون .

ولا يعيننا أن يكون الفقه الإسلامى قريباً من الفقه الغربى . فإن هذا لا يكسب الفقه الإسلامى قوة بل لعله يبتعد به عن جانب الجدة والابتداع وهو جانب الفقه الإسلامى منه حظ عظيم .

وقد عرف علماء القانون الغربيون ذلك وأقروا بصلاحيه الفقه الإسلامى ليسكون أساساً للتشريع حيث نجد من قرارات مؤتمر القانون المقارن الذى عقد فى لاهاي فى أغسطس سنة ١٩٣٨ :

١ — اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع .

٢ — اعتبارها حية صالحة للتطور .

٣ — اعتبارها قائمة بذاتها غير مأخوذة من غيرها .

ويقول فى موضع آخر : لن نحاول أن نصطنع التقريب بين الفقه الإسلامى والفقه الغربى على أسس موهومة أو خاطئة فإن الفقه الإسلامى نظام قانونى عظيم له صنعة يستقل بها ويتميز عن سائر النظم القانونية فى صياغته . وتقضى الدقة والأمانة العلمية علينا أن نحفظ لهذا الفقه الجليل بمقوماته وطابعه ونحن فى هذا أشد حرصاً من بعض الفقهاء المحدثين فيما يؤنس فيهم من ميل إلى تقريب الفقه الإسلامى من الفقه الغربى .

ومن مصادر التشريع فى الفقه الإسلامى الكتاب والسنة والإجماع والقياس .

فقد قال الله تعالى في سورة النحل : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون » . فبدأ بالتفريق بين الرزق الحسن وغير الحسن .

ثم قال تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ... »

وقد بينت هذه الآية الكريمة مضار الخمر صراحة . ولم يأمر الله سبحانه وتعالى بتحريمها . وكان الناس يشربونها بعد نزول هذه الآية ويقولون : نشرها للنفعة لا للإثم .

وبعد ذلك نزل قوله تعالى في سورة النساء : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » .

وبهذا نهى سبحانه وتعالى عن شرب الخمر قبل الصلاة .

وقد روى عن الترمذى عن هلى بن أبى طالب قال : صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر ، فأخذت الخمر منا ، وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت : « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون » . قال : فأ نزل الله تعالى : « يا أيها

والعقوبة في الفقه الإسلامى موانع قبل الفعل ذواجر بعده . وهى جوايز أى أن تنفيذها على الجانى فى الدنيا يقيه عذاب الآخرة . ومن ثم فمن استطاع أن يهرب من العقاب الديوى فهو لا محالة ملاق جزاءه يوم القيامة .

وأخيراً فإن العقوبات الشرعية قد شرعت رحمة من الله تعالى بعباده فهى صادرة عن رحمة الخلق وإرادة الإحسان إليهم .

والإسلام لا ينكر على الفرد حرية وكرامته الشخصية بل يمنحه حرية التصرف فى شئونه وأمواله . بعد أن يؤدى الواجب عليه نحو خالفة ونحو نفسه ونحو غيره . فقد قال تعالى ، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، .

وقد وقف الدين الإسلامى موقفاً حازماً من شرب الخمر ولكنه تدرج فى التشريع لهذا الأمر . إذ كان العرب قبل الإسلام يكثرون من شربها ويتغنون بها فى أشعارهم ويتفننون فى صنعها . وكانت عادة متأصلة لديهم . فلم يكن من الميسور تحريمها عليهم دفعة واحدة . ولذلك سلك الإسلام مسلك التدرج فى التشريع حتى لا يشق على الناس الأمر ..

الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون .
أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب في الخمر بالجريد والنعال وجلد أبو بكر أربعين جلدة .

وروى البخاري عن السائب بن يزيد قال :
كنا نوق بالشارب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمرة أبي بكر وصدر من خلافة عمر ، فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا وأردقنا ، حتى كان آخر إمرة عمر فجلد أربعين حتى إذا عتوا أو فسقوا جلد ثمانين .

وعن أبي داود عن قبيص بن ذؤيب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
من شرب الخمر فاجلدوه ، فإن عاد فاجلدوه فإن عاد فاجلدوه ، فإن عاد فاقتلوه في الثالثة أو الرابعة - فأتى برجل قد شرب فجلده ، ثم أتى به فجلده ثم أتى به فجلده ، ورفع القتل وكانت - خصته .

وقال ابن عباس : شرب رجل فسكر فلقى يميل في الفج فانطلق به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما حاذى بدار العباس انفلت ، فدخل على العباس فالتزمه . فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم . فضحك وقال : أفعلمها ؟ ولم يأمر فيه بشيء .

وروى عن حمير بن سعيد النخعي قال :
سمعت علي بن أبي طالب يقول : ما كنت لأقيم على أحد حدا فيموت فأجد في نفسي منه شيئا إلا صاحب الخمر . فإنه لو مات

وبعد نزول هذه الآية الكريمة قال عمر ابن الخطاب اللهم أنزل علينا بيانا شافيا فنزلت آيات النهي المطلق عن شرب الخمر .
إذ قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون .

فقال عمر بعد ذلك انتهينا انتهينا . ثم طاف منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
ألا إن الخمر قد حرمت .

وباستعراض الآيات الكريمة يتضح أن شرب الخمر كان مباحا ، وأن السكر كان هو المحرم . ثم حرم الشرب نفسه بعد ذلك .

ولأنه وإن كان قد ثبت بصريح نص القرآن تحريم الخمر . فإنه لم يرد في ذلك النص عقوبة لمخالفته . فترك بذلك بابا واسعا للاجتهاد ، وإن كان في ذلك تخفيف على الناس .

وقد روى البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه :

للشارب بعد إقامة الحد عليه : ما اتقيت الله ؟
ما خشيت الله ؟ ما استحييت من رسول الله .

هذا والحد في الإسلام ينبغي ألا يقام في
المساجد ولا في أرض العدو . حدث
الأعمش عن علقمة قال : غزونا أرض
الروم ومعنا حذيفة وعلينا رجل من قريش
فشرب الخمر فأردنا أن نحدّه . فقال حذيفة :
تحدون أميركم وقد دنوتم من عدوكم
فيطمعون فيكم ؟

وكان عمر بن الخطاب يأمر أمراء الجيوش
والسرايا ألا يجلدوا حتى يطلعوا من الدرب
قافلين . وكره أن تحمل الحدود حمية
الشیطان على المحقوق بالكفار .

وفي تحديد معنى الخمر يقول عليه الصلاة
والسلام : كل شراب أسكر فهو حرام .
كما قال أيضا : كل مسكر خمر وكل خمر حرام .

وعن أبي موسى قال : بعثنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنا ومعاذا إلى اليمن .
فقلت : يا رسول الله اقتنا في سرايين كنا
نصنعهما باليمن . التبع وهو من العسل ينفذ
حتى يشتد والمذر وهو من الفدرة والشعير
حتى يشتد . قال : كل مسكر حرام ؟

نقيب : محمد قاروق عمر

وديته وذلك أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يسنه .

وفي موطأ مالك أن عمر بن الخطاب
استشار في الخمر يشربها الرجل . فقال له
علي بن أبي طالب : نرى أن نجلده ثمانين
جلدة : فإنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى .
وإذا هذى افتري .

من كل هذا يتضح أن عقوبة شرب الخمر
لم يرد بها نص في القرآن الكريم - ولم تكن
مقدورة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا الخلفاء من بعده بمقدار معين لا من
ناحية الحكم ولا من ناحية الكيف .

ومعنى هذا أن أى عقوبة يفرضها ولي
الأمر على شارب الخمر ويرى أنها بحسب
مقتضيات ظروف البيئة الاجتماعية فهي
عقوبة شرعية .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(حد يقام في الأرض خير لأهلها من مطر
أربعين ليلة) .

ولأنه وإن كان شارب الخمر يعاقب بإقامة الحد
عليه فإنه يجوز تعزيره بالتبكيك بعد إقامة
العقاب البدني عليه . فقد روى أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أمر بقبكيت شارب
الخمر بعد ضربه . ومن ذلك قول المسلمين

صحفون من الأزهر :

رفاعه الطهطاوى

للأستاذ محمد على غريب

والعجيب في الأمر أن أكثر الذين برعوا في الموسيقى وطاولت أجادهم فيها عنان السماء كانوا من الأزهرين ، ورغم هذا فإن الأزهرى القح كان يضم ثيابه إلى بدنه حتى لا تحتك بثياب أزهرى موسيقى !

وكان هذا شأن الأزهر مع الصحافة ، فقد نظر إليها نظارته إلى مهنة حقيرة مبتذلة ، وكان يحاربها إلى أقصى ما يستطيع من الجهد في سبيل أن يحفظ على الناس أخلاقهم الكريمة حتى لا تمزقهم هذه الوريقات المطبوعة بما يحويه من (غيبة) و (نيمة) ومن أكاذيب وأراجيف وترهات .

والمدهش في الأمر أن أكثر الذين غرسوا بذور هذه المهنة في مصر وفي كثير من البلاد الإسلامية هم من الأزهرين ، أولئك الذين كان يقال عنهم في الماضي (أزهرى فسد) .

وأول صحفي عربي في مصر بل وفي العالم العربي كله ، كان أزهرياً وهو المرحوم الشيخ إسماعيل بن سعد الشهير بالحشاش قال عنه : (الفيكونت فيليب دي ترازى) في كتابه

منذ أكثر من ألف عام ، حمل الأزهر الشريف وما يزال ، مشعل النور ، ليضيء به طرائق الحياة ، أمام أولئك الراغبين في المعرفة ، والطامحين إلى جودة الفهم وصحة الإدراك ، ومن الملايين الكثيرة التي توافدت عليه ، خرج أبناؤه وفي أيديهم مشاغل النور تضيء لهذه الدنيا معالم الحياة ، وتبصرهم بكل ما هم في حاجة إليه من وجوه الصواب والرشد والنضوج .

وخلال هذه القرون العشرة ، كان الأزهر الشريف يتجدد ويتطور ، ويتقبل في كثير من التسامح واليسر دراسة مختلف الفنون والمعارف ، وفي تاريخه المجيد الرائع ، ومضات لا يقوى الأزهرى العادى اليوم على أن يحدد فيها بعينه . فقد كان الأزهر يدرس (الموسيقى) وهي فن لم يرتق إلى درجة الوقار والاتزان ، وقد جاء وقت كافى للموسيقى فيه تحارب من الأزهر كما يحارب التحلل الأخلاقى .

فلما رتبوا ذلك الديوان ، كما ذكر كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر في المجلس : من أمر ونهى ، أو خطاب أو جواب ، أو خطأ أو صواب ، وقرروا له في كل شهر سبعة آلاف ونصف فضة .

فلم يزل متقيداً في تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جاك منو ، حتى ارتحلوا من الإقليم . ولقد جمع من سجلات الحوادث هذه كرايس ولا أدري ما فعل بها .

هذا هو إسماعيل الخشاب ، أول صحفي عربي على الإطلاق ، خرج من الأزهر إلى الصحافة ، وكانت صحيفته صغيرة لا يقرأها إلا القليلون .

ويجيء من بعده المغفور له الشيخ (رفاعه رافع الطهطاوى) وهو المقصود بحديثنا وصاحب أكبر فضل على النهضة العلمية والأدبية والاجتماعية في مصر ، ولقد ولد عام ١٨٠١ وتوفى عام ١٨٧٣ وكانت مسقط رأسه مدينة (طهطا) في الصعيد واقد نشأ في أسرة كانت من أهل اليسار ثم أخنى عليها الدهر فضى والده في طلب الرزق إلى مدينة (قنا) وبمدها إلى مدينة (فرشوط) .

وقد سافر إلى فرنسا ورأى حرية هناك جعلته يشعر بالطفيان الذى يعانى به أبناء وطنه مصر ورأى ما يمكن أن يقدمه الفكر

(تاريخ الصحافة العربية) عند حديثه عن البعثة العلمية التى رافقت حملة نابليون بونابرت إلى مصر أنها أحضرت معها مطبعة من باريس ثم يقول :

(وأول عمل باشرته هذه البعثة العلمية أنها نشرت ثلاث جرائد في المطبعة المذكورة إحداها (الحوادث اليومية) كان يحررها إسماعيل بن سعد الخشاب وهى جدة الصحف في لغة الناطقين بالعناد) .

ويقول عنه الجبرتي في كتابه التاريخي المعروف : (تولع السيد إسماعيل بحفظ القرآن ثم بطلب العلم ولازم حضور السيد على المقدسى وغيره من أفاضل الوقت وأنجب في الفقه الشافعى والمعقول وتثقيف اللسان والفروع الفقهية الواجبة والفرائض .

إلى أن يقول :

ولما رتب الفرنساوية ديوانا لقضايا المسلمين تعين المترجم في كتابة التاريخ لحوادث الديوان ، وما يقع فيه من ذلك اليوم . . لأن القوم كن لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم وأما كن أحكامهم ثم يجمعون المتفرق في ملخص ، يرفع في سجلهم ، بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها في جميع الجيش ... حتى لمن يكون منهم في غير مصر من قرى الأرياف ، فتجد أخبار الامس معلومة للجيل والحقير منهم .

وصنف ، وكانت غاية جهاده أن يرتقى بأهله إلى المسكان الذى رأى فيه فرنسا .

ولقد خلف رفاعة الطهطاوى وراءه ثروة أدبية ضخمة هى طراز لما يجب أن يقوم به الرائد العظيم نذكر منها : (خلاصة الإبريز) والديوان الغنيس) و (التعريبات الشافية لمريد الجغرافية) و (جغرافية ملطرون) و (قلائد المفاهيم فى غريب عوائد الأوائى والأواخر) و (المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين) و (التحفة المسكتية) و (مواقع الأفلاك فى أخبار تلياك) و (مباحج الألباب المصرية فى مباحج الألباب العصرية) و (مختصر معاهد التنصيص) و (المذاهب الأربعة) و (شرح لامية العرب) و (القانون المدنى الإفرنجى) و (توفيق الجليل وتوثيق بنى إسماعيل) و (هندسة ساسير) و (رسالة فى الطب) و (جمال الأجرومية) و (نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز) .

وهكذا عاش رفاعة الطهطاوى حياته كلها خادماً أميناً للدين والعلم وللعرفه بأذلا غاية جهده فى تحريك موجات الفكر فى بحرنا الآدى المتلاطم ، لنسمو ونرتفع إلى المكان اللائق بنا تحت الشمس .

محمد على غريب

الراجح من أساليب النشاط الإنسانى فى شتى مناحى الحياة ، وفى فرنسا رأى الصناعة الزاخرة بالخير والنفع على الفرنسين أجمعين فدعا إلى التصنيع فى بلاده .

ولقد دعا رفاعة الطهطاوى ، المصريين إلى الحفاظ على نعمة الحرية وإعلاء شأن الفكر وإنشاء المصانع لتنافس أمتهم أرقى شعوب العالم فى الحضارة والمدنية ، ولتعود إليهما سيرتها الأولى فى التقدم والازدهار .

وعاد رفاعة الطهطاوى إلى مصر وكله شغلة من الوطنية المتأججة ، فأشار على محمد على بأن يصدر صحيفة « الوقائع المصرية » ، وتولى الشيخ رفاعة رئاسة تحريرها وراح يكتب فيها المقالات التى تحت على استنهاض الهمم وبعث الشعور القومى وشحن العرائم فى سبيل خدمة الوطن .

وهى أقدم جريدة عربية على الإطلاق لاذ لم تسبقها جريدة عربية أنشأها عربى فى وطننا العربى الكبير .

وما صنعه رفاعة الطهطاوى لأمته يكثر إحصاؤه على المغرمين بالأرقام ، فقد ترجم عشرات الكتب من الفرنسية إلى العربية وأودع ثمراتها عقول أولئك المتعطشين إلى العلم والمعرفة ، وبارك الله فى جهوده فألف

المقومات الخلقية والأدبية ومدى تأثيرها في تقدير الإسلام للأستاذ عباس طه

خلق الله الكائنات الحيوانية وفطر كل جنس منها على ما به تصان حياته الشخصية والنوعية وما عليه تقوم سعادته النفسية والمادية ، فهو يجرى من محاولاته على ناموس لا يتعداه وعلى منهاج لا يستطيع منه حولا إلا الإنسان فإنه لقيام غمظه على التعقل والاستعداد والاتصال كما له بالكشف عن الأصلح والأقوم ، أطلقت له حرية النظر والاستدلال وحسن الاختيار .

وما فطره الله على هذه الجبة إلا لأنه أنشأ وجوده على سنة الارتقاء والتدرج إلى مدارج لا يصل إليها الخيال في كل ضرب من ضروب الكمالات الشكلية والمعنوية حتى إن أعق المتصورين خيالا قد عجزوا عن إدراك الحد الذي يقف عنده في ترقبه إلى درجة السكالات .

وكيف يصلون إلى معرفة هذا الحد وقد منح قوى عقلية وروحانية لا يمكن تقديرها بحال من الأحوال . فكلما وصل إلى غاية تراءت له غايات أبعد منها وتيقظت فيه عوامل جديدة للوصول إليها ما كان يتخيل

وجودها في نفسه حتى قيل إن كل ما يروى عن الحوارق التي تحدث على أيدي أفراد من الممتازين ستصبح أمورا عادية لأهل الأزمان المستقبلية فيقرأ بعضهم ما يحول في ضمائر بعض ويعرف أحدهم ما يفعله صاحبه وهو على بعد آلاف من الأميال وآلاف من السنين ويأمر القوى الطبيعية قطيعه صاغرة ، ويرى بقلبه ما وراء الحوائل الكثيفة ويكون وهو في هذا الحد قد بلغ من السمو الروحاني درجة لا يفترق عنها سكان الملاء الأعلى في شيء ونحن لا نتعرض لهذه التخيلات بتصديق ولا تكذيب ، ولسكننا نلقت القارئ إلى ما تشير إليه من توقع الدرجات العلى للإنسان بهد ما تبين للباحث من سمو القوى التي منحها وكان من أثرها في آحاد قصيرة الوصول من الناحية المادية إلى الدرجة التي وصل إليها الآن ومن الناحية الروحية إلى ما يروى عن الآحاد الذين ضلوا بتريسة أنفسهم على الأساليب الدينية الصحيحة .

هذا كله أثر الأخلاق والآداب التي يتبعها

هذا ما يفهمه العلم من كلبى أخلاق وآداب
أما ما يفهمه البعض منها وهو ما يقتصر على
المخالطة والمعاملة ، فهو ناحية صغيرة من
نواحيها ، وليست بذات أثر كبير في وجودها
وترقيها . فلو قامت أمة من أخلاقها وآدابها
على مثل ما عليه السكلة الأظهار ، ولم توسع
من دائرة هذه الأخلاق والآداب حتى تشمل
سيرتها مع الكون الذى تعيش فيه ،
والجماعات التى تنازعها العيش ، هان أمرها على
أصغراة تعنى بهذه الناحية الثانية من الأخلاق
وليست من الناحية الأولى على شىء .

فكم قبيل على مثل ما عليه الوحوش الضارية
من الحشونة والتجرد عن الأخلاق داهوا
قبيل آخر فى أسنى درجات الآداب فأذاقهم
صنوف الويل ، ومزقوم شرء - زق
وجعلهم أحاديث .

وكم أمة لا يراعى أفرادها الأصول الأدبية
المثلى ، ولكنهم على أصول قوية حبال
الوجود والامم ، قد وصلوا إلى قمة المدنية
المادية ، ومدوا سلطانهم على مساحات
واسعة من الأرض ، وبجوارهم أم لا م
لها إلا تدارس الآدب وتطبيقها وهى لا تغنى
هن أنفسها قليلا .

من هذا التناقض نشأت شبهات قوية على
الحكم الأدبية وعلى الأديان معاً ، ونجمت

الإنسان فى تدبير القوى المودعة فيه .
أقول فى تدبير القوى ، لأن الأخلاق
والآداب المجردة من هذا التدبير لا تثمر
شيئاً أكثر من حسن السمى ، ولطف
المعاشرة ، وهذا ليس بكثير الخطر فى حياة
الأمم ، ولا هو مما يغنى عنها شيئاً فى مواقفها
حيال الطبيعة وحيال الجماعات التى تنازعها
الوجود والغلب . فالإنسان كما يطلب منه
أن يكون على ضرب من الأخلاق لزام
معاشرية ومواطنية ، كذلك يطلب منه
أن يقوم على ضرب آخر منها أمام الجوائح
الطبيعية المساورة له ، وحذاء الجماعات التى
تزاخمه فى مضمار الحياة . وهو إن انقاد لمجرد
ميوله الفطرية فى هذه الأمور ، فلا يصل
إلى أكثر مما وصلت إليه الطوائف الساذجة
فى أول وجودها على الأرض ، من تأليه
القوى الطبيعية والاستخذاء لأفاهيلها .

هذا كل ما تعطيه الميول الفطرية غير
المقومة تقوياً عليها ، وقد استمر الإنسان
على هذا الحال قروناً لا تحصى حتى ولد العلم ،
فمىن موقف الإنسان من الطبيعة ومن
الجماعات الإنسانية ، كما عينه من المجتمع الذى
يعيش فيه ، وألزمه فى كل موقف من هذه
المواقف أخلاقاً وآداباً تناسب القوى العليا
المودعة صميم معناه الإنسانى .

فهو من ناحية أمثال هذه المذاهب الإباحية فقد تسلطت على مدينتي اليونان والرومان وغيرهم فأبادتها وجعلتها أفاقيص .

وإذا كان لا يمكن تقدم مادي بدون حافظ شهواني ، فكيف نشأت المدنية الإسلامية الباهرة في بيئة كلها أخلاق وآداب وسمو روحاني حتى صارت أساسا لل المدنية الاوربية الحاضرة ، وهذه المدنية الحاضرة هل يتوقع علباء الاجتماع تطرق الخراب إليها إلا من تفاهت شر الشهوات فيها ، كما صرح كبار قادتها في كتب عديدة .

فالإخلاص لأجل أن تكون كاملة ، وحاصلة على جميع مقوماتها الضرورية ، يجب أن تكون شاملة لكل ضروب المعاملات والإنسان لم يطلب منه أن يعامل معاشيه ومواطنيه خسب ، ولكن يطلب منه أن يعامل من يتهدى لمعاملته من الناس كافة بل ما يعرض له من الكائنات كافة ، فهو قبل أن يدعى لمعاملة مواطنيه دعى لمعاملة نفسه وجسمه ، وما يحيط به من الموجودات ، ولما تعلق حاجاته بمخالطة الأمم والنظر في الأجرام السماوية والعناصر الأرضية تبينت له الحاجة إلى نظام عام شامل من الأخلاق والآداب يستمدى به في كل الضروب من المعاملات التي تدعوه إليها حياته وارتقاؤه .

مذاهب سقيمة على معنى الحياة حق لقد ذهب المتطرفون منهم إلى أن التقيد بالأخلاق الفاضلة والآداب العالية يعمل من نهوض الأمم ويمرقل حركتها إلى الغايات القاصية من المدنية المادية ، فزعموا أن إطلاق العنان للشهوات يدفع بالنفوس لطلب المزيد من المتع الجسدية وهذا الإطلاق يحفز إلى التوسع في استغلال المادة وإلى التفكير في وجوه تسخير قوى الكون للإرادة البشرية . وهذا لا يسكون إلا بدراسة العلوم وتطبيقها على العمل ، والتتقيب عن المساتير وحل معمياتها . فجملة هذه الحركات النفسية والعلمية يدفع بالمدنية إلى الارتقاء والتحليق في أرفع آفاق الإبداع .

هذه شبهات يظنها هؤلاء الإباحيون حججاً لتبوير مذهبهم والحقيقة أن المدنية ليست مدينة لواحد من هؤلاء الشهوانيين بشيء ، وما دهم قواعدها وأقام صروحها من علم وعمل وفن ، غير أفراد من خيار هذا النوع كانوا على جانب كبير من الاستقامة والنزاهة واصلوا بحوثهم غير مدخرين مالا ولا صحة وكثير منهم ذهبوا ضحايا لإخلاصهم لتجارهم وأمثال هؤلاء يوجدون في كل مجتمع تتوافر لهم فيه شروط الحياة وحرية العمل ، وإذا كان ثمرات قرائحهم خطريهم ددها بالاجتياح

بعضاً ، وهي في ترابطها وتساندها يتألف منها سياج أدبي يسمح للأمة التي تأخذ به أن تدخل في جميع ضروب التطورات الاجتماعية والأدبية آمنة من الانحلال والتلاشي . وقد دل تاريخ المسلمين على صدق هذا النظر ، فإن المسلمين في جميع أدوار قوتهم لم يعترف ما اعترى الأمم من التراخي في كياناتهم وتراهم في أشد حالات ضعفهم يستعصون على جميع عوامل الانحلال وهذا الأمر قد أدهش علماء الاجتماع فلا مفاتيح المدنية ولا غلبة الاستعمار الأجنبي ولا انتشار الجهالة في بعض بيئاتهم بقادرة على أن تحل رابطتهم الاجتماعية أو تعدو على حالاتهم النفسية ، بل تجدد أضعف جماعة منهم عظيمة الثقة بالمستقبل قوية الإيمان بصلاحياتها لأن تسترد في يوم من الأيام مجدها الضائع على أكمل وجه .

فهذه القوى المعنوية الضخمة في أشد الحالات الموجبة لليأس هي أثر ذلك السياج الخلقى المتين الذى برهن في كل عهد من عهود الانقلاب التاريخية على أنه من قوة الاحتمال بحيث تصطدم به أقوى عوامل التحليل فترتد عنه خاسرة .

لا جرم أن الإسلام أقوى بناء اجتماعي عرفه البشر منذ خلق الله العالم إلى اليوم ؟

عباس طه

وقد كفل الإسلام إقامة صرح هذا النظام الخلقى العام على أقوى أساس من العلم والعمل حتى لا يتطرق الوهن إلى بنية جماعته من أية ناحية من النواحي وحتى يصلح شطره المادى لحماية شطره الروحانى ، فلا يكون عرضة في كل دور من أدوار الاجتماع لأفاعيل الانقلابات الفكرية والتطورات النفسية . فقرر للإنسان حيال كل ما يعرض له أخلاقاً وآداباً . فما جمعه منها مع نفسه أن لا يهينها ولا يعرضها للأمراض النفسانية وأن يعمل على السمو بها إلى أعلى درجات الطهر والنبل ، وبما سنه له منها مع عقله أن يغذيه بالمعارف الحقة وأن يوسع من دائرة تجاربه إلى أقصى حد يمكنه الوصول إليه ، وبما فرضه عليه منها مع جسده أن يكرمه بالنظافة وأن لا يرهقه في عمل سواء أكان دنيوياً أم دينياً ، وأن يلتصق به الصحة من كل مظانها وآفاقها وبما أوجبه عليه مع السكون أن يتدبر آياته ، ويكشف عن مسابره ، ومع بنى نوع ملته أن يعتبرهم إخواناً وأن ينصفهم من نفسه وأن يعمل لحيرم جهده ، ومع بنى نوعه أن يهينهم لئلا يهينهم ويبرم وأن يعدل فيهم حتى لم يستثن من كل ما هداه إليه من أخلاق وما يجب عليه نحو الحيوانات العجم والجمادات الصم .

فهذه المجموعة من الأخلاق يقوم بعضها

مَائِقَاتُ عَزَالِ سِلَاحِ

مراجعات إسلامية

للأستاذ عباس محمود العقاد

فلا تزال دراسة الإسلام غرضاً من أغراض الدول الكبرى التي تستطيع الإنفاق عليها كلها احتاجت إلى كلفة تقصر عنها مقدرة المؤلفين والناشرين طلاب المنفعة التجارية ، ولا يزال الموضوع من موضوعات الدولة في الغرب على مقدار اتصالها بالسياسة العالمية في البلاد الشرقية ، ولكنه قد يختلف بالأسلوب والمنهج مع اختلاف أطوار السياسة من جيل إلى جيل .

جاء في مقدمة الكتاب الأول من هذه السلسلة : « إن نذر الحرب التي كانت في سنة ١٩٣٩ وشيكة أن تجر إليها شعوباً آسيوية كثيرة قد نهت المسئولين في بريطانيا العظمى فجأة إلى قلة المتخصصين عندنا لدراسة اللغات الآسيوية وثقافتها ، ومن هنا كان تأليف لجنة «سكاربرو» التي كان لتقريرها أثر في توسيع نطاق الدراسات الشرقية والإفريقية بعد الحرب العالمية في بريطانيا العظمى ، وتبين من مجرى الحوادث في العقد الثالث بعد الحرب العالمية أن أفق الاطلاع الذي لا يزال في اتساع مع الزمن يكشف لنا عن ضرورة العلم بنهيب من المعرفة

هذه سلسلة من الكتب المستقلة تصدر باللغة الانجليزية من مطبعة جامعة « أدنبرة » في موضوعات متنوعة من مباحث التاريخ والشريعة ، تشمل فيما تشمله أجزاؤها التي ظهرت حتى الآن والتي ستظهر في المستقبل القريب أبواباً من الدراسة العلمية عن وجهات الإسلام في العصر الحاضر وعن الإسلام في البلاد الإفريقية وراء الصحراء الكبرى ، وعن الإسلام في الصين ، وعن صفحات التاريخ الإسلامي في دولة بنى عثمان ودولة المسلمين بالاندلس ، مع الإحاطة بأبواب البحث في المذاهب الفكرية التي ذهب إليها علماء الإسلام ودعاته ، بين المتصوفة والمتكلمين والمعتزلة والخوارج والظاهرية وغيرهم من أهل السنة والمعتزلة والمقشعة ، في العصور المتتابعة .

ولا تخفى عناية القائمين على تأليف هذه السلسلة بالتحقيق العلمي والدقة التاريخية ، ولكنها تدل من جديد على الصلة الوثيقة بين سياسة الدولة في الغرب وبين دراسات العلماء للباحث الإسلامية ، ولو كانت خلوا من مقاصد التبشير ومآرب الاستعمار الظاهرة ،

مدرس اللغة العربية بجامعة أدنبره ، وله مشاركات كثيرة في بحوث التاريخ الإسلامى والثقافة الإسلامية غير اللغة وآدابها .

ولا يغيب عن الناظر إلى بحوث الكتاب فرط العناية بتجميع الوقائع من مصادرها المتفعبة ، فقلما يفوت مؤلفه مصدر من المصادر الشرقية أو الغربية عن علاقة الفلسفة واللاهوت بمذاهب الفرق من قديمها في صدر الإسلام إلى حديثها في هذا القرن الرابع عشر للهجرة وقد عرض - بهذا الاطلاع الواسع - لمذاهب المتكلمين والفقهاء والصوفية والمعتزلة

والأشاعرة وغيرهم من المجتهدين والمقلدين جهد ما اتسعت له صفحاته المحدودة في كل جزء من أجزاء السلسلة ، وهى في هذا الجزء لا تزيد على مائتين ، واقترنت بتحقيقاته للمذاهب والفرق بتحقيقات مثلها لآراء المجتهدين والأئمة الفقهاء ، ولا سيما الأئمة الذين تبعتمهم فرق حديثة كان لها شأن في حكومات البلاد الإسلامية ، كابن تيمية وابن قيم الجوزية ، وبعض فقهاء الشيعة والظاهرية . وقد يدل على منهج الكتاب كله موضوع واحد من موضوعاته عن المعتزلة ، وهم أوفر الفرق الإسلامية حظا من دراسته واجتهاده .

فالاهتمام بالجانب السياسى ظاهر من سؤاله عن العلاقة السياسية بين آراء المعتزلة وقيام الدولة العباسية بعد الدولة الأموية : هل كان للسياسة شأن في تكوين آراء المعتزلة وتحديد

يزيد على تلك المعرفة السطحية بما وراء الثقافة الأوروبية ، وفي مقدمة ذلك ما حدث من ازدهار بلاد كثيرة نحو الاستقلال بالقارة الإفريقية . وبينها أمم إسلامية أو أمم يحكمها رؤساء مسلمون ، تدل مواقفها على ازدياد نصيب العالم الإسلامى من العلاقة بالسياسة الدولية . فاهتمام السياسيين بالدراسات الإسلامية باق على عهده منذ نشأت هذه الدراسات في القارة الأوروبية قبل بضعة قرون ولكنها تتغير بين جيل وجيل ويجوز لنا أن نعتبر هذا التغير نفسه علامة من علامات الزمن في تطور السياسة العالمية .

فالعناية بتعميق البحث العلمى تدل على انقضاء عهد الاستشراق لنشر دوايات التبشير أو الاستعمار بين شعوب البلاد المحكومة على العموم ، ثم تدل على حاجة الساسة المستعمرين إلى فهم الحقيقة عن المسايين ، لأنهم لا يسيطرون عليهم اليوم بسلطان القوة التى يتساوى فيها حسن الفهم وسوءه عند من يقبض على زمام القوة الحاكمة بيديه وإنما يحاولون النفاذ إليهم عن علم صحيح بما يشعرون به ويفكرون فيه ، ويضيقون أن يجهلوا الحقيقة على جليتها قبل أن يضيق المسلمون ، بما يمس تاريخهم الصحيح أو شعائرهم المتقدمة .

والكتاب الأول من هذه السلسلة مقصور على البحث العلمى في الفلسفة الإسلامية وما يسميه الأوروبيون بعلم اللاهوت عند المسلمين ومؤلفه هو الأستاذ « موتغومرى وات ،

الفلسفية بصورة من صور الشعائر الإسلامية،
ولكنه - على تقيض ذلك - يدفع بالعقل
حجة الفلسفة المنطقية ، وبأخذ السبل على
منافذ الطعن في قواعد الفكر الإسلامى بحجة
من حجج المنطق أو الفلسفة ، ولقد يكون
المعتزل فى تحريجه من التصرف فى عقيدته
على حسب تفكيره أشد محاظفة وأصعب
مراساً من السنن الذى لم يعتزل الجماعة ،
وربما كان خصوم الفلسفة الأجنبية من المعتزلة
أكثر عدداً وأمضى سلاحاً من خصوم هذه
الفلسفة بين المحافظين المتشددين .

وقد كان المعتزلة يحتسبون إلى العقل فى الرد
على خصومهم المقلدين كما يحتسبون إليه
فى الرد على أشياع الفلسفة الأجنبية، ولكنهم
كانوا دينيين فى تفكيرهم ولم يكونوا فلسفيين
متصرفين ، وأكثر ما يبدو ذلك على طبيعة
تفكيرهم حين يعرضون لمسألة الصفات
ودلائها على وحدة الذات ، فإنهم عالجوها
بالنظرة التقليدية إلى الألفاظ ومعانيها ولم
يعالجوها بتفكير الفيلسوف ولا بتصرف
الناظر فيما وراء الطبيعة .

ويشك المؤلف فى سبب إطلاق اسم
المعتزلة على هذه الطائفة من مفكرى الإسلام
فالمشهور أن الإمام حسن البصرى قال عن
واصل ابن عطاء : «لأنه اعتزلنا ، فلصقت كلمة
«الاعتزال» ، واصل من ذلك الحين ، ولكن
المؤلف يذكر قصة كهذه رويت عن قتاده

موقفهم بين الدولتين ؟ وما مبلغ هذا الشأن من
الأثر فى أحداث السياسة وفى تدوين التاريخ .
إن خلفاء العباسيين كانوا يختارون
لمناصب القضاء أناساً من علماء المعتزلة ، وكان
لبعض هؤلاء العلماء علاقة بأبى مسلم الخراسانى
قبل التفكيك به على أيدى بنى العباس .

ولكن هذه الخطوة على كثرة ظواهرها
لا تدل فى رأى المؤلف على اصطباغ مبادئ
المعتزلة بصبغة الدعاية العباسية ولا بصبغة
الدعاية للفرق المتشعبة ، وكل ما يثبت منها
أن الدولة الأموية قد جمعت على مقاومتها كل
داع إلى التجديد فى مسائل الدين والمذاهب
الفكرية ، وهذه الجامعة الواسعة هى التى
قربت فى دولة العباسيين بين دعاة التشيع
ودعاة الاعتزال ودعاة الاجتهاد فى الفقه
والشريعة ، ولو كان المجتهدون من أئمة السنة
الذين لم يتخذوا لهم منهجاً غير منهج الجماعة .
ويصحح المؤلف أخطاء الأوربيين الذين
سبق إلى أوامهم أن المعتزلة هم فلاسفة
الإسلام ، عند ما فصلت بهم جملة أخبارهم
فى مطلع القرن التاسع عشر .

ويأبى المؤلف أن يطلق على المعتزلة لقب
فلاسفة الإسلام على الخصوص بمعناه الذى
يقابل عند الأوربيين لقب «أحرار الفكر» ،
وهو قريب فى مفهومهم من لقب الزندقة .
فالمعتزل لا ينشر مذهبه ليصبغ الإسلام
بصبغة الفلسفة اليونانية أو ليسدارى ميوله

المسلم إلى عقله واجتهاده بعلمه ودراسته للخلاص من ربة التقليد .

وقد توسع مؤلف الكتاب في شرح تاريخ الخلاف على مسألة خلق القرآن ، وربط بينها وبين مسألة الصفات ومسألة الكلام القديم في نسبه إلى الله ، ولم يغفل قول القائلين : إن القرآن معرفة الله وإنه قديم أزلي أبدي لأن الله لم يكن ولا يكون وبغير معرفة ، ولم يغفل كذلك تفرقة القائلين بالخلق بين كلام الله في أزليته وكلام الإنسان فيما يلغظه بشفتيه أو يسمعه من المتحدث إليه ، ولم يتخذ له طرفاً من الطرفين يمنح إليه أو يميزه برجحان الحجة وصحة التفسير ، ولكنه لزم بين الطرفين خطة الأمانة في النقل ولم يزد عليها . فإن كان قد زاد من عنده شيئاً فهو سرعة الإصغاء إلى الأقاويل التي لا تستحق الرواية إلا لصرفها بما هي أهل له من الإهمال . ومن ذلك نقله ما كان يشاع عن تحدى ابن المقفع لبلاغة القرآن ، وافتراضه أن القائلين بخلق القرآن قد أرادوا بذلك أن يهونوا أمر الاستقلال بالتشريع عنه ، وأن يجعلوا له منزلة دون منزلة القداسة الأدبية التي تفرقه في القدم بالصفة الإلهية ، فما من مسلم قال بخلق القرآن وهو يدعو بذلك إلى الشك في كلام الله وأنه مستحق للطاعة كما يستحقها كل كلام يأتي من عند الله .

عباسي محمود العقاد

وعسرو بن عبید ، ولا يرى وجهاً لترجيح إحدى القصتين على الأخرى فربما أطلق وصف الاعتزال على العابد الذي يعتزل الصفوف أو على المحامد ، الذي يعتزل القتال ويفرد بين الصفيين ، وليس من اللازم أن يكون الاعتزال خروجاً على عقيدة الجماعة أو اعتزالاً لتقليد الدين .

ويقسم المؤلف جماعة المعتزلة إلى مدرستين كبيرتين تتفرع عليهما سائر المدارس الصغيرة في البلاد الإسلامية :

إحداهما مدرسة بغداد التي تدين بالإمامة لبشر بن المعتز ، وأشهر ما اشتهرت به في مسألة القدر والاختيار قولها : بتولد الأفعال للعبد المكلف ومنه على رأى المؤلف يقتبس الأشعريون قولهم بالكسب مع التقدير . والمدرسة الأخرى - مدرسة البصرة - يقودها أبو الهذيل ويبرز فيها اسم تلميذه النظام ، ويتوارد في أقوالها بعض مصطلحات الفلسفة اليونانية كالجوهر والعرض وعلاقة الجوهر الفرد بتركيب المادة

وكلتا المدرستين لم يكن لهما أثر فيما يسميه المؤلف باللاهوت الإسلامي ، ولم تبق منهما بقية في غير مجال الدراسة الأكاديمية ، وإنما ظهر من المنسوبين إليهم نخبة من كبار الفقهاء كالفقيه الجبار والزمخشري وهو خاتمة الفقهاء الكبار في تاريخ هذه المدرسة التي كان أثرها الأكبر مقصوراً على القدرة العلمية في احتكام

الكتيب

اختلاف الفقهاء وأسبابه

المؤلف: محمد فخر بن محمد

عرض وتلخيص : المؤلف: محمد بن محمد

تلك العناصر التي تحدث عنها ، الإعلان ،
ونعني به الدين ، فقد نص صراحة عليه
بوصفه أحد المقومات الأساسية للوحدة
العربية :

« إن الشعب العربي الذي يعيش في المنطقة
التي نزلت فيها رسالات السماء يؤمن برسالة
الدين ويتخذ من القوة الروحية التي تزوده
بها الأديان دافعاً للنضال الشعبي لتحقيق ذاته
وبلوغ أهدافه ، فيجب أن يثبت في تقديرنا أن
الدين مقوم أساسي من المقومات التي يبني
عليها المجتمع العربي حياته ومستقبله جنباً
إلى جنب مع كل المقومات المادية الأخرى
التي يحرص عليها الدين ولا يعارضها ، » .

والواقع أن هذه العبارة من إعلان الدولة
العربية المتحدة تعتبر خطاً فاصلاً بين تاريخين :
خطاً فاصلاً بين إخضاع الدين لحساب
المستغلين ، وبين اكتساب الجماهير للقوة

تمهيد :

إن الإعلان التاريخي لقيام الدولة العربية
المتحدة الذي صدر في السابع عشر من
شهر أبريل الماضي هو أول إعلان سياسي
يضع على الفلسفة والدين والعلم والأدب
والفن ، وهو بهذا النص قد وضع في أيدي
المثقفين والمتخصصين في هذه المجالات
مسئوليات جديدة لم يضعها في أيديهم أي
إعلان سياسي سابق .

ذلك أن جميع « البروتوكولات ، السياسية
المألوفة تنص عادة على الالتزامات السياسية
والعسكرية فقط ، لكن إعلان الدولة العربية
المتحدة قد أضاف إلى هذه العناصر كلها
عناصر روحية جديدة في تقييم السياسة
العربية الحديثة .

ويعني في هذا المقام أن نشير إلى أحد

منهم مضاعفة الجهود المبذولة في توعية الجماهير .

ولقد كانت التوعية عنصراً هاماً من عناصر التطبيق في « ميثاق العمل الوطنى » ، الذى أقره مؤتمر القوى الشعبية بالقاهرة في شهر مايو سنة ١٩٦٢ . وقد ظهرت آثاره واضحة في « ميثاق العمل القومى » ، الذى تضمنه إعلان الوحدة .

ومن هذه الجهود الطليعية التى يقوم بها المثقفون في الدراسات الدينية للتوعية بمحقات الشريعة الإسلامية في ضوء البحوث المقارنة ، تلك المؤلفات التى أصدرها الأستاذ أحمد فتحى بهنسى خلال السنوات القليلة الماضية عن الجريمة والعقوبة في الإسلام ، وكان آخرها كتاب « نظريات في الفقه الجنائى الإسلامى » ، الذى صدر في الشهر الماضى ، وهو دراسة فقهية مقارنة قصد بها المؤلف أن يجمع شتات نصوص في كتب الفقه متناثرة متباعدة ، ويصوغها على غرار النظريات التى عرفها رجال القانون والفقه ، حتى يتبين لهم أن بين طيات كتب الشريعة الإسلامية أصول هذه النظريات التى يظن البعض أنها من مستحدثات الفقه الغربى وهى في واقع الأمر أصيلة في كتب الفقه الإسلامى القديم والكنها خافية على الكثيرين .

وقد تناول المؤلف في كتابه نظريات

المعنوية ببعضها الدين في النفوس تجاه الحق الطليعى لهذه الجماهير في الحياة والحرية ، وخطاً فاصلاً بين بعض المفاهيم الاشتراكية التى ترى في الأديان مسكنات على احتمال الظلم ، وبين مفهومنا الاشتراكي الذى يرى في الدين مقدمة حتمية لكل عناصر القوة الدافعة للمعدل الاجتماعى .

وليس ثمة شك في أن هذه العناصر الروحية التى تدخل الآن في صميم بنائنا السياسى « وفى مقدمتها الدين » ، تحتاج إلى كثير من التوعية ، ولهذا ارتفع الإعلان الوحيدى بالتوعية إلى درجة القيادة حيث قال :

« إن العمل السياسى ليس فقط هو قيادة الجماهير ، بل هو أيضاً تثبيت دعائم مجتمعتنا على أساس من الديمقراطية والاشتراكية التى تنبعث من واقعنا وأصبحت تعبيراً عن مصتقبنا » .

وهذا العمل الطليعى الذى تقتضيه مرحلة « تثبيت دعائم المجتمع » وإرساء مقوماته الجوهرية ، إنما يقوم على كاهل المثقفين المؤمنين بالخلصين لمجتمعتهم والذين يشككون بعملهم هذا جيئاً للإعلام ، ومن ثم يبرز دورهم كركن من أركان الإعلام السياسى لقيام الدولة العربية المتحدة ، وهو دور يضع في أيديهم واجبات قيادية وسياسية تستأهل

من مرحلة الإيمان الكامن في النفس إلى مرحلة أكثر تقدماً تبث في هذا الإيمان روح الفعالية وتضفي عليه حرارة الدفع الثورى وقوة الإرادة والعمل في سبيل التقدم والثقة في شرف الوسيلة ونجاح الغاية .

على أن هذا الإيمان نفسه مشوب في بعض النفوس برواسب قديمة ناجمة عن الجهالة أو السطحية أو الانحراف ، مما يؤكد أهمية التوعية بحقيقة تراثنا الإسلامى دهما لمقومات مجتمعنا العربى الجديد .

ولقد نشأت تلك الرواسب في ظلام الاستعمار العثمانى والأوروبى الذى جثم على صدر الوطن العربى طوال خمسة قرون ، وكان نشر هذه الجهالات من الأساليب التى استخدمها المخطط الاستعمارى لإحكام قبضته على الأمة العربية . ولا شك فى أن أخطر هذه الجهالات هى تلك الفرية التى ألصقها الماضلون بالإسلام زوراً وبهتاناً حين استغلوا الخلافات الفرعية فى آراء الفقهاء لإيهام العامة أن الدين الإسلامى شيعى ومذاهب ، هادفين من ذلك إلى القضاء على وحدة الأمة العربية بتزييقها وتفتيتها من الداخل من طريق خلق الصراع المذهبى بين أبناء الشريعة الواحدة حتى يقوم بينهم من ألوان التناقض ما يذكى أوار الصراع ويشغلهم عن قضية الحرية والعدالة الاجتماعية والوحدة .

الشروع ، والاشتراك ، وتعدد الجرائم والعقوبات ، وتفريد العقاب ، والتقدم . واقتضته طبيعة البحث أن يعرض بالشرح والتحليل لأوجه الخلاف بين آراء الفقهاء فى مختلف المذاهب الإسلامية حول المسائل والفروع ، هادفاً من ذلك إلى التمهيد لوضع قانون جنائى إسلامى من واقع شريعتنا الغراء ، تستمد أحكامه من نصوص القرآن والأحاديث النبوية ومما أجمع عليه المسلمون فى كل زمان ومكان ، ومن آراء الفقهاء ، سواء أئمة المذاهب أو غيرهم بما يطابق مصالح الناس فى هذا العصر الذى نعيش فيه .

وفى سبيل التعريف بحقيقة هذا الخلاف فى رأى بين الفقهاء قدم المؤلف لكتابه يبحث قيم مستفيض عن هذا الخلاف وأسبابه . وفى اعتقادنا أن هذه المقدمة - بما تضمنته من بيان واف وتحليل علمى دقيق وما انتهت إليه من رأى راسخ يقوم على أسس من الفهم العميق لأحكام الفقه الجنائى وظروف نشأته وتطوره - تنهض بذاتها عملاً صالحاً جديراً بالتنويه والشرح على أوسع نطاق وبين مختلف المستويات تطبيقاً لما نص عليه الميثاق الوطنى والإعلان التاريخى للوحدة من تجنيد المثقفين للتوعية برسالة عقيدتنا الإسلامية وما قامت عليه من ركائز متينة ثابتة ، حتى إذا أثمرت حملات الإعلام والتوعية انتقلت الجماهير

الظروف التاريخية لهذا الخوف :

لما تفرق الصحابة في البلاد وصار كل واحد إمام ناحية من النواحي ، جدت وقائع ومسائل لم يعرف أنه ورد عنها أحكام شرعية من قبل فاستفتوا فيها ، فأجاب كل منهم حسب ما حفظه أو استنبطه ، وإن لم يجد في ذلك ما يصلح للجواب اجتهد برأيه ، وعرف العلة التي أدار رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم عليها فأفتى بحكمه حينما وجدها لا يالو جهدا في موافقة قصده عليه الصلاة والسلام . ومن هنا نشأ الخلاف بينهم .

فربما سمع صحابي حكما في قضية أو فتوى ولم يسمعه الآخر ، فاجتهد فيه برأيه وهذا على وجوه :

أن يقع اجتهاده موافقا للحديث فلا خلاف . أو يقع مخالفا ثم يعرف الحديث فيرجع عن رأيه ، أو يقع مخالفا للحديث ثم يعرفه ولكنه يطعن في صحته . أو يقع اجتهاده ولا يصل إليه الحديث عن المسألة أصلا فيصير على اجتهاده ، وهكذا تختلف الآراء . ثم جاء التابعون وكان صنيعهم أن يتمسك الواحد منهم بالسنة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يستدل بأقوال الصحابة . فإذا اختلفت الأحاديث في مسألة رجعوا إلى أقوال الصحابة ، فإن قالوا بنسخ بعضها أو صرفه عن ظاهره ، أو لم يصرحوا

ومن ثم تنبع أهمية بحث هذه الخلافات وبيان مضمونها السليم تصحيحا لما استقر في بعض الأذهان من خطأ ، وتوحيداً لأبناء الأمة العربية الإسلامية في فهم عقيدتهم السمحة وفقاً لمنابعها الحقة وأصولها غير المختلف عليها .

مفيدة الخوف بين الفقهاء

لا ينصرف لفظ الخلاف بين الفقهاء إلى الدلول المعاصرة لهذه الكلمة ، ذلك أن الفقهاء لم يكن قد جمعهم مجلس واحد ظهر فيه اختلافهم ، وإنما اختلفوا في فهمهم للنصوص واستنباط الأحكام منها متأثرين في ذلك بالعوامل المحيطة بهم .

وقد كان السلف يكرهون لفظ الاختلاف ويقولون إنما ذلك توسعة خوفا أن يفهم أحد من العامة من الاختلاف خلاف المراد وذلك لأن أصل الشريعة وما تقوم عليه ليس محل خلاف بين المسلمين جميعا على تصدد فرقم . فأصل الشريعة هو الكتاب والسنة بالاتفاق ، والخلاف بين الفقهاء إنما هو خلاف في أدلة الأحكام ، وهل هي دالة على حكم الله أو غير دالة عليه أو أنها مبينة لما أنزل الله أو ليست مبينة له .

وقد أثرت عن الإمام أبي حنيفة وسفيان الثوري وابن عبد البر والقرافي وغيرهم من الأعلام أقوال كثيرة في هذا المعنى .

واقضاءاتها ، وحملوا نظير المسألة عليها في الجواب إذا كانتا متقاربتين في المعنى .
كذلك كان أئمة المذاهب يقدمون العمل بالكتاب والسنة ثم يعمل الصحابة المتفق عليه .

أسباب الخوف :

أولا : اللغة :

فن المعروف أن اللغة العربية من اللغات الحية بعيدة المعاني والمرامى تشترك فيها الألفاظ والمباني ، وقد تكون هذه الألفاظ مجازية أو حقيقية ، فضلا عن غرابة بعضها مثل لفظ المازنية والمحاقلة والمناظرة وما إلى ذلك من الكلمات التي يختلف العلماء في تفسيرها وتفصيل ذلك :

١ - اشتراك الألفاظ :

قال تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا » إلى آخر الآية .

فذهب قوم إلى أن كلمة « أو » هنا للتخيير وذهب آخرون إلى أنها للتفصيل والتعيين ، ومن ثم اختلف الرأي حول العقوبة التي يوقعها الحاكم على قاطع السبيل .

كذلك اختلفوا في نفي قاطع الطريق ، باختلاف مدلول هذه الكلمة عندهم ، فالنفي في أحد الآراء هو الإبعاد من بلاد المسلمين إلى بلاد غيرهم ، وفي رأى آخر هو الإخراج

بذلك ولكن اتفقوا على تركه وعدم القول بموجبه ، فإنه كإيداء علة فيه أو الحكم بنسخه أو تأويله اتبعوهم في كل ذلك .

ولما جاء تابعو التابعين من طبقات المحدثين أخذوا يقرعون أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وآثار الصحابة والتابعين والمجتهدين على قواعد أحكموها في نفوسهم ، وكان عندهم أنه إذا وجد في المسألة قرآن ناطق فلا يجوز التحول عنه إلى غيره ، وإذا كان القرآن محتملا لوجوه فالسنة توضح المراد . فإذا لم يجدوا الحكم في كتاب الله ، أخذوا بسنة رسوله ، سواء كان الحديث مستفيضا ودائرا بين الفقهاء أو كان مختصا بأهل بلد أو بطريق خاصة ، وسواء عمل به الصحابة والفقهاء أو لم يعملوا به ، ومتى كان في المسألة حديث فلا يتبع في خلافه أثر من الآثار ولا اجتهد أحد من المجتهدين . فإذا أفرغوا جهدهم في تتبع الأحاديث ولم يجدوا في المسألة حديثا أخذوا بأقوال جماعة من الصحابة والتابعين ، ولا يتقيدون بقوم دون قوم ولا بلد دون بلد كما كان يفعل من قبلهم . فإن اتفق جمهور الخلفاء والفقهاء على شيء فهو المتبوع ، وإن اختلفوا أخذوا بحديث أعلمهم وأورعهم ، فإن وجدوا شيئا يستوى فيه قولان فهى مسألة ذات قولين . فإن عجزوا عن ذلك تأملوا في عمومات الكتاب والسنة وإيماءاتها

في أحاديثه المختلفة تفصيل هذا الحكم ،
كبيان المراد بقطع اليد ونصاب القطع
والإعفاء منه .

كذلك كان المعنى القوي للفظ الخمر شارحاً
لتفريق الفقهاء إلى مدرستين ، هما مدرسة
أهل الحجاز التي تسمى الأنبذة بأجمعها خمرأ ،
وتقول : إن الأنبذة المسكرة محرمة كثيرها
وقليلها ، وتذهب مدرسة أهل العراق إلى
أن المحرم من غير الخمر هو المسكر فقط ،
وذلك لأن المدرسة الأولى تقول إن الخمر
سميت كذلك لخامرتها العقل فوجب أن
ينصرف اسم الخمر إلى كل ما غامر العقل ،
أما أصحاب المدرسة الثانية فيقولون : إن الخمر
- لغة - اسم للنبي من ماء العنب المسكر
وتسمية غيرها خمرأ مجاز ، وإنما سميت خمرأ
لأنها خمرت العقل بل لتخمرها .

ثانياً : رواية الحديث :

إن الحديث المأثور عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه والتابعين
لم تعرض له علل مختلفة تضعفه وتجعله موضعاً
للخلاف بين الفقهاء ، ويوضح ذلك كله لم
علم مصطلح الحديث الذي يبحث عن تقسيم
الخبر إلى صحيح وحسن وضعيف وتقسيم
كل من هذه الثلاثة إلى أنواع ، وبيان
الشروط المطلوبة في الراوى والمروى
وما يدخل الأخبار من علل واضطراب
وشذوذ إلى غير ذلك .

من مدينة إلى أخرى ، وفي رأى ثالث أنه
الحبس ، وفي رأى رابع أنه طلب قاطع
الطريق لإقامة الحدود عليه ثم إبعاده .

٢ - الحقيقة والمجاز :

قد يكون اللفظ متردداً بين الحقيقة والمجاز
فيحمله الفقيه على الأقرب عنده وإن كان
المراد هو الآخر ، كما حمل جماعة من الصحابة
في أول الأمر الخيط الأبيض والخيط الأسود
على الحقيقة حتى أُرشدوا إلى
المعنى المراد .

٣ - الإفراد والتركيب أو الإجمال
والتفصيل :

قد يكون النص كافياً بمفرده على وجوب
الحكم ، وقد يرد غير مستوفٍ للغرض منه
ويرد تماماً في آية أخرى . كذلك قد ترد
الآية بمجمله ثم يفسرها الحديث .

ووجه الخلاف العارض من هذا النوع أنه
ربما أخذ بعض الفقهاء بمفرد الآية أو الحديث
واستخدام آخر طريق القياس بالجمع بين
الآيات المتفرقة وبين الأحاديث المتغايرة
وبناء بعضها على بعض ، الأمر الذي يقضى
إلى الاختلاف فيما يحتنبط من أحكام .
ومثال ذلك الاختلاف في سبب تحريم الخمر .
٤ - العام والخاص :

ورد حد السارق والسارقة بقطع اليد عاماً
في القرآن لم يقيد بقيد ، وقد تولى رسول الله

بمفرده من الصحابة أو الأئمة من بعدهم ،
فقد كان يحدث أو يقضى أو يفعل الشيء
فيسمعه أو يراه من يكون حاضراً ثم يبلغه
أولئك الحضور أو بعضهم إلى غيرهم .

٩ - ما يراه الجمهور من أن السنة متى
صحت كانت صالحة لأن تكون بيانا للكتاب
— سواء في ذلك المتواتر منها والمشهور
والصحيح ، في حين يرى آخرون أن
المشهور لا يعدو أن يكون خبر آحاد لا يفيد
إلا الظن ، فلا يصح أن يسكون حاكما على
ما يفيد القطع وهو الكتاب . ويظهر هذا
الاختلاف فيما ذهب إليه الفقهاء من آراء
متباينة في عقوبة جريمة الزنا للبحسن وغير
الحسن .

١٠ - اعتقاد الفقيه ضعف الحديث
باجتهاد قد خالفه فيه غيره مع قطع النظر
عن طريق آخر سواء كان الصواب معه
أو مع غيره أو معهما عند من يقول كل
مجتهد مصيب .

١١ - اشتراط الفقيه في خبر الواحد
العدل الحافظ شروطاً يخالفه فيها غيره ،
مثل اشتراط بعضهم عرض الحديث على
الكتاب والسنة ، واشتراط بعضهم أن
يكون المحدث فقيهاً إذا خالف قياس الأصول ،
واشتراط البعض الآخر انتشار الحديث
وظهوره إذا كان فيما تعم فيه البلوى .

وأهم تلك العلل عدم اعتقاد الفقيه أن
النبي صلى عليه وسلم قال الحديث ، أو عدم
اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول ،
أو اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ .

ومن هذه العلل تتفرع الأسباب الآتية :
١ - فساد الإسناد أى نسبة الحديث
إلى قائله :

٢ - نقل الحديث بمعناه دون لفظه .
٣ - الجهل بالإعراب ومباني كلام العرب
ومجازاتها مما يؤدي إلى الخلاف في المعنى .
٤ - التصحيف أى الخطأ والتحريف .
٥ - إسقاط شيء من الحديث لا يتم
المعنى إلا به .

٦ - نقل الحديث دون السبب الموجب
له فيعرض من ذلك إشكال في الحديث
أو معارضته لحديث آخر .
٧ - سماع المحدث بعض الحديث دون
بعض .

٨ - عدم بلوغ بعض الأحاديث إلى علماء
التابعين من وكل إليهم الفتوى ، فاجتهدوا
بآرائهم واتبعوا العمومات واقتدوا بمن قضى
من الصحابة ، فأفتوا حسب ذلك ، ثم ظهرت
الأحاديث بعد ذلك في الطبقة الثالثة فلم يعلموا
بها ظناً منهم أنها تخالف عمل أهل مدينتهم .
ذلك لأن الإحاطة الكاملة بجميع حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن لأحد

تغيير الأمكنة والأزمنة والأحوال
والنيات والعوائد :

« إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم
ومصالح العباد في المعاش وهي عدل كلها ،
ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها .
فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ،
وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى
المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست
من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل .
فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين
خلقه ، وظله في أرضه ، وحكمته الدالة عليه
وعلى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
أتم دلالة وأصدقا ، .

ومن أشهر المقولات في اختلاف آراء
الفقهاء باختلاف الزمن والبيئة رسالة الإمام
القيث بن سعد فقيه مصر وعالمها إلى الإمام
مالك إمام دار الهجرة حين كتب إليه بما
بلغه من فتواه من بعض المسائل بما يخالف
ما عليه العمل بالمدينة المنورة .

ومن ذلك أيضاً أن عمر بن عبد العزيز
كان يقضى وهو بالمدينة بشهادة الشاهد
الواحد ويمين صاحب الحق ، فلما صار إلى
الشام نراه يقول : إنما كنا نقضى بذلك
بالمدينة فوجدنا أهل الشام على غير ذلك ،
فلا نقضى إلا بشهادة رجلين عدلين أو رجل
وامرأتين .

١٢ — أن يكون الحديث قد بلغ الفقيه
وثبت عنده ولكنّه نسيه . ومثال هذا
الحديث المشهور عن عمر رضي الله عنه
أنه سئل عن الرجل يجنب في السفر فلا يجد
الماء فقال : « لا يصلي حتى يجد الماء . فقال
له عمار : يا أمير المؤمنين أما تذكر إذ كنت
أنا وأنت في الإبل فاجنبنا فأما أنا فتمرغت
كما تمرغ الدابة ، وأما أنت فلم تصل ،
فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال :
إنما يكفيك هكذا ، وضرب يديه الأرض
ف مسح بهما وجهه وكفيه . فقال له عمر :
اتق الله يا عمار ، فقال : إن شئت لم أحدث
به . فقال : بل قوليك من ذلك ما توليت . .
فهذه سنة شهد بها عمر ثم نسيها حتى أفتى
بخلافها ، وذكره عمار فلم يذكر وهو لم
يكذب عمار بل أباح له أن يحدث به .

١٣ — معارضة الحديث بما يدل على
ضعفه أو نسخه أو تأويله بما لا يعتقد
غيره أو جنسه معارضاً أو لا يكون
في الحقيقة معارضاً راجحاً كمعارضة كثير من
الكوفيين الحديث الصحيح بظاهر القرآن
واعتقادهم أن ظاهر القرآن من العموم ونحوه
مقدم على نص الحديث .

ثالثاً : تغيير الزمن واختلاف البيئة :
جاء في رسالة ابن القيم الجوزية بهسد
الكلام في تغيير الفتوى واختلافها بحسب

رحمة . . ويقول : وهذا من أفسد قول يكون ، لأنه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطا ، وهذا ما لا يقوله مسلم ، لأنه ليس إلا اتفاق أو اختلاف ، وليس إلا رحمة أو سخط .

كما قال ابن حزم : إن معنى الخطأ الوارد في حديث : « إذا اجتهد الحاكم وأخطأ فله أجر » ، وإن أصاب فله أجران . . أن المراد بالخطأ هنا هو خطأ المجتهد في عدم مصادفة الدليل في تلك المسألة لا الخطأ الذي يخرج به عن الشريعة فلا أجر له لقوله صلى الله عليه وسلم : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » .

وقد دخل هرون الرشيد على الإمام مالك رضي الله عنه فقال له : دعني أبا عبد الله أفرق هذه الكتب التي ألفتها وأنشرها في بلاد الإسلام وأحل عليها الأمة . فقال له : يا أمير المؤمنين إن اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الأمة ، فكل يتبع ما صح دليله عنده وكل على هدى ، وكل يريد الله .

وكان الإمام مالك يقول : كثيرا ما شاؤوني هرون الرشيد أن يعلق كتاب الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه . فقلت له : لا تفعل لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلاد وكل مصيب فقال : زادك الله توفيقا يا أبا عبد الله .

(البقية على صفحة ٣٨٤)

نحرم اتخاذ الخووف ذريعة لمومنيال

على الشرع :

يحرم أن يتخذ الخلاف بين الفقهاء أساسا لحيل يمتثال بها الإنسان على الشرع حتى ينجو من العقاب .

ومن هذه الحيل الباطلة التي فتحت الباب للسرقة واللصوص والتي لو صحت لم تقطع يد سارق أبدا : أن ينقب لص السطح ولا يدخل ثم يدخل شريكه فيخرج الثاني المتاع من السطح ، ومنها أن يدهي السارق أن المسروق ملكه ، أو يدعى أن رب الدار أدخله داره وفتح له الباب ، فيسقط عنه حد قطع اليد وإن كذبه ، إلى أمثال ذلك من الأقوال التي حقيقتها أنه لا يجب القطع على سارق البتة .

مما دعا ابن القيم إلى أن يقول :

« فكل هذه حيل باطلة لا تسقط القطع ، ولا تثير أدنى شبهة . ويحال أن تأتي شريعة بإسقاط عقوبة هذه الجريمة ، فإن الشرائع مبنية على مصالح العباد ، وفي هذه الحيل أعظم الفساد » .

ويرى مخالفو ابن القيم أن هذه الأمور قد توجد شبهة في الحد ، والقاعدة العامة أن الحدود تدرك بالشبهات .

وكان هذا داعيا لبعض ، ومنهم ابن حزم ، إلى أن يطنن في صحة حديث « اختلاف أمتي

أَنْبَاءُ وَآرَاءُ

اللجنة الربيعية السلفية :

بطرق علمية إلى مسحوق أو قوالب بمجدة .
وبعد أن استعرضت أقوال الأئمة والفقهاء
والمجتهدين التي تتصل بالرضاعة ولبنها
استخلصت منها أن المشرعين الإسلاميين
الأوائل قد أجمعوا على أن وصول اللبن
إلى محل التغذية ناشر للحرمة كالفسب . وقد
نقل هذا الإجماع الإمام « ابن حرقمة » .

وقد شذ عن هذا الإجماع الإمام
« ابن حزم » ، الذي جعل مص الثدي شرطاً
في الحرمة ولا معول على رأى ابن حزم
هذا في تشريع أو إقتناء بعد أن ثبت
مخالفته للإجماع . وعلى أى حال فإنه بما
لا شك فيه أن جمهرة العلماء : السابقين منهم
واللاحقين يخالفون ابن حزم في رأيه ومن
أجل ذلك كان مشروع لإنشاء البنك المذكور
لتغذية أطفال الأمهات العاجزات عن الرضاعة
الطبيعية أو الأطفال الذين حرّموا لبن
أمهاتهم بحكم ظروفهن الخاصة ناشراً للحرمة
وغير متفق مع الأوضاع الدينية إذ أن من
المؤكد أن فيه تشكيكاً لكل مؤمن من حيث
الزواج بل وصرفاً عنه إذا أراد أن يحتاط
لدينه وإسلامه .

بحمد الله وتوفيقه تم في الاجتماع العام
الذي عقد في كلية أصول الدين بتاريخ
١١ من ربيع الأول سنة ١٣٨٣ هـ الموافق
أول أغسطس سنة ١٩٦٣ م تأليف لجنة
تسمى اللجنة الدينية السلفية وهي على
استعداد لتقبل جميع المسائل المتعلقة
بالشؤون الإسلامية لبحتها والرد عليها
بما يتفق وأصول الدين الإسلامى الحنيف .
كما أنها على أتم استعداد لعقد صلات
الإخاء الإسلامى مع جميع الهيئات والأفراد
الذين يهمهم أمر الإسلام ونشر هديه
القيوم . أما شعار هذه الجمعية فهو قوله تعالى :
« إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت
وما توفيقى إلا بالله ... » .

كلية أصول الدين

بإدارة مولد إنشاء بنك لبن الأمهات :
اجتمعت اللجنة الدينية السلفية بكلية
أصول الدين لبحث حكم الشريعة الإسلامية
فيما أثير حول إنشاء بنك الأمهات بحيث
يجمع فيه لبن الأمهات بعد تجفيفه وتحويله

تعليقه عليه :

١ - النبي صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب وأميته هي أساس معجزته وعظمته .

جاء بمجريدة الأخبار مقال بتاريخ ٢٢ مايو سنة ١٩٦٣ للأستاذ العقاد تحت عنوان - دقيلة على تل ، ألقاها العالم الأثرى هنري فرعون اللبناني في الدوائر الإسلامية ببيروت عند ما أعلن أن لديه وثيقة مكتوبة بخط النبي عليه الصلاة والسلام وقد صرح الدكتور عبد الحفيظ القاضي من كبار رجال الدين الإسلامي بأن المسلمين يعرفون أن سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام كان أمياً وكان يستخدم خاتماً بدل التوقيع . فيشك في هذه الوثيقة . وإذا ثبت أنها صحيحة فسوف تكون بدون شك أكبر اكتشاف ديني أدبي في التاريخ . والأخبار تقول : إن الوثيقة تحمل دليل كذبها فالخطاب مرسل من النبي عليه الصلاة والسلام إلى الملك الفارسي قورش وهذا الملك كان قبل النبي عليه الصلاة والسلام بزمان طويل . وإذا كان الدكتور يشك فنحن نجزم بأن الخبر كاذب قطعاً إذ هو صادر أولاً من خبر آحادي . فالخبر إذا لا يحتاج إلى الاهتمام فأمية النبي عليه الصلاة والسلام أثبت من الجبال إذ هي على

هذا فضلاً عما فيه من امتحان لآدمية الأمومة وإنسانيتها إذ يجعلها تستغل كما تستغل الجيمة لإدراك اللبن .

ثم إن إنشاء هذا البنك بدعة لا ضرورة تستوجبها بعد أن أصبح للأطفال غنية في الألبان المجففة التي تحمل معظم خصائص لبن الأمهات .

فليس هناك إذن ضرورة حتمية تقتضي إنشاء هذا البنك ، وبذا أصبحت الدعوة إلى إقامة دعوة لا هدف لها إلا الإثارة والتشكيك .

واللجنة تهيب بالمواطنين ألا يتخذوا بفتاوى الذين يتبعون الأقوال المريضة أو الأحكام الشاذة حتى يكونوا على بينة من أحكام الدين الصحيحة

والذي حدا باللجنة إلى إصدار هذا البيان أن الشارع الحكيم أحاط العلاقة الزوجية بسياج من العناية والحفاظ عليها ، فالإقدام على انتهاكها والخروج بها عن وضعها بالتشكيك فيها إقدام على انتهاك حرمة الدين ، وتعد حدود الله ، تلك حدود الله فلا تعدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون .

وفق الله العاملين لما فيه صلاح الأمة الإسلامية والله المعين وهو الهادي إلى سواء السبيل .

عن اللجنة : الدكتور عبد الحليم محمود

« أنا أفصح من نطق بالضاد ، وهذه ليست بحديث وذكر حديثاً آخر في حق معاوية الحساب ، ففي أى مصدر رأى هذا الحديث وهو « اللهم فقهه وعلمه وهؤلاء الأعلام يقساهلون في الحديث ويدعونه وفي إمكانهم التصحيح ومراجعة المظان ولكنهم يتابعون غيرهم ممن ليس لهم دراية بهذا الفن ولا يعزب عنهم حديث « من روى عنى حديثاً يرى بأنه كذب فليتبوأ مقعده من النار ، فالأمر ليس بهين فتنبهوا »

سيد علي الطوبجي

اقترح حول كتابة المصنف :

السيد الأستاذ الفاضل رئيس تحرير مجلة الأزهر .

تحية طيبة مباركة - وبعد - فقد قرأت في مجلة العربي بالعدد ٥٦ الصادر في يوليو سنة ١٩٦٣ في باب (أنت تسأل ونحن نجيب) كلمة من السيد/ علي صالح إبراهيم - بالكويت تحت عنوان : أولادنا الحائرون بين قواعد الإملاء وشاشة التلفزيون .

جاء فيها : إن التلفزيون يستهل برأجه اليومية بتلاوة بعض آيات الذكر الحكيم . ولكن هذه الآيات تظهر على الشاشة أثناء تلاوتها مكتوبة على صورة غير مألوفة

أساس الخبر القطعي قال تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ، والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وفي مقدمتهم المفسرون والمؤرخون يعرفون أن النبي عليه الصلاة والسلام أى أنه لا يقرأ ولا يكتب ولفظة الأى نسبة إلى الأم لأنها كانت عند العرب لا تعرف القراءة ولا الكتابة فنسب إليها دون الرجل . وإما أن هذه اللفظة نسبة إلى الأم فابتكار يدل على سعة الإطلاع ويشكر عليه صاحبه ولا غرابة فهو نسيج وحده وهو يريد الدفاع .

٢ - كتب الأستاذ منصور رجب في مجلة منبر الإسلام مقالا في ترجمة صميم واعتبرها حديثاً واعتمد على المصدر الذي نقل منه وهي السباق أربعة وعده منهم صهيبي ، فنبه المناوى عليه بأنه حديث باطل فهل أستاذ الكلية يتفضل بتصحيحه على طريقة علماء الجرح والتعديل ، والأولى بأمثاله أن يكون محققاً في مجلة دينية تعتبر حجة لأن على رأسها وزيراً طالما وله ضلع في الفلسفة والاجتماع . وكتب أيضاً الأستاذ محمد حلام جملة من كلام المتصوفة وجعلها حديثاً وهي « من عرف نفسه عرف ربه ، ، والدكتور طبانة كتب في كتابه البيان جملة اعتبرها حديثاً وهي

عن قراءتها على وجهها الصحيح فيلحن فيها تارة ، ويتجاوزها إلى غيرها تارة أخرى وقد تملكته نفس الحيرة التي تملك الآلاف من طلبة المدارس أمام شاشة التليفزيون هذه الأيام . فكيف يستطيع من تلقى أبسط مبادئ الهجاء والإملاء أن يقرأ (الصرط) المستقيم أو (الضلل) المين أو (الشيطان) الرجيم ، أو (الصلوة) أو (الزكاة) (الربوا) (والظلمت) و (الصوعق) . وغيرهما من هذه الكلمات التي تعد في المصحف بالمئات .

ثم جاء في تعقيب (المجلة) أيضا : ولقد تلقينا من الأستاذ محمد أحمد السنباطي رئيس قسم خص المصاحف بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر تعقيبا على الموضوع ، وأرفق برسائله نص قرار لجنة الفتوى بالأزهر في هذا الشأن .

ولقد أورد في هذا التعقيب من الآراء السديدة المدعمة بالحجج ما أيد به الإبقاء على الكتابة بالرسم العثماني ولكن محررة بحرف العربي لم يلتفت للحجج المدعمة التي ساقها الأستاذ السنباطي كما أخبر سيادته المجلة بذلك ، تلك الحجج التي أيد بها قرار لجنة الفتوى بالأزهر وهي هيئة مسئولة وذات اختصاص بهذا ، وكتب محرر العربي يقول : - إننا مع احترامنا لرأي لجنة الفتوى بالأزهر - نعتقد في نزاهة

الشاهدين وبخاصة أولئك الصغار الذين يتلقون العلم في مراحل الأولى : ابتدائية أو متوسطة أو ثانوية ؛ لأنها فضلا عن رسمها بطريقة تخالف نطقها كما يسمعون في (المكرفون) تتناقض أيضا مع ما تلقوه في مدارسهم من قواعد الإملاء والإعراب . ويسأل لماذا لا تعمل لجنة التليفزيون على كتابة ما تذيع من آيات الله البينات ، بالصورة التي تتفق مع قواعد الإملاء الصحيحة حتى لا تتبلبل أذهان هذه الآلاف المؤلفة من الصغار ويقعوا في حيرة لا تقوى عقولهم الغضة على مقاومة ما تخلفه من الآثار .

ولقد جاء في تعقيب (مجلة العربي) على هذه الشكوى قولها : ليست هذه المشكلة بنت اليوم ولا هي بالشيء الجديد . وليس للتليفزيون يد فيها من قريب أو من بعيد .. فكل ما فعله التليفزيون هو أنه نقل على شاشته ما يتلى من آي القرآن برسمه المثبت في (المصحف الإمام) مصحف عثمان ، ففتح على هذه المشكلة القديمة عيوننا كانت عنها غافلة منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان فهي قبل أن تواجه طلبة المدارس في هذا العصر على شاشة التليفزيون قد واجهت كل من كان يرغب في تلاوة القرآن في المصاحف ، فإذا به يصطدم بمئات من الكلمات قد كتبت بصورة يعجز معها

إليها دون أى مساس بكتاب الله الكريم
ويقطع الطريق على ما يلوح في هذه المشكلة
من بلبلة للخواطر والأفكار .
والاقترح هو :

أن يصرح المسئولون بوضع علامة أو رقم
صغير فوق كل كلمة من الكلمات المغاير رسمها
المؤلف لقواعد الإملاء ثم يأتي في نهاية
الصفحة أو بالهامش بالرسم الإملائي الحالي لها
وأن يشار إلى ذلك في الصفحات الأولى من
التعريف بالعلامات .

وأعتقد أن في هذا تيسيراً للقراءة ونكون
بهذا قد حققنا الرغبةين وحللنا المشكلة ، والله
الموفق لما فيه الخير والرشاد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟
محمد صادق إبراهيم

رد على التعليق على مقال الإسلام

في زنجبار :

نشرت المجلة في عدد ربيع الأول من هذه
السنة ملاحظات للسيد رئيس جمعية نشر
الثقافة الإسلامية بزنجبار على المقال المذكور
لا يهمني منها ما يتصل بالوقائع والأخبار
المجردة ، فقد أخذتها عن مصادر هي كغيرها
يجوز عليها الخطأ الذي لا حرج في قبول
تصحيحه إذا تحقق .

وإخلاص وصدق إيمان أن كتابة القرآن
وفق قواعد الإملاء لا تمس قداسته وليس
فيها خروج على إجماع الأمة بل هي على
العكس - تيسر قراءته وتزيد المسلمين إقبالاً عليه
وتفهماً له ، ولذا نطالب محطات التليفزيون
بالإسراع في اتخاذ هذه الخطوة بكتابة ما يتلى
من كتاب الله على الشاشة وفق قواعد الإملاء
منعاً لبلبلة الأذهان دون مبرر مشروع .

السيد رئيس التحرير :

بعد قراءتي لما تقدم ونظراً لما لهذه
المشكلة من مساس بإجماع المسلمين وأبناء
المسلمين وما فيها من وضع حساس جداً
حول (كتاب الله الكريم) ونشر اختلاف
وجهات النظر حول هذا الموضوع في مجلة
كبيرة متداولة في بلدان عربية كثيرة
وما يجلب هذا من بلبلة للخواطر والأفكار .

لذا بادرت بكتابة هذا لسيادتكم متقدماً
باقترح مواطن مسلم دفعته الغيرة لدين الله
ورأى التقدم به ابتغاء مرضاة الله وصالح
المسلمين - وأعتقد أن الأخذ بهذا الاقتراح
بعد عرضه ودراسته من المختصين - يقر
رأى إدارة الفتوى الموقرة ، في هدم المساس
بأى تعديل في رسم حروف كتاب الله
الكريم ، والذي تؤيده من كل قلوبنا
ونشكرها عليه - وكذا يحقق الغاية التي
يرنو إليها أبناء المسلمين في الشكوى المشار

وإذا كنا هنا لا نألو جهداً في شن الحملات الواسعة للقضاء على العادات القديمة الباطلة ، والرواسب الأخلاقية والاجتماعية المتخلفة عن عهود الظلم والتخلف - إذا كان الأمر كذلك هنا ، فإذا يكون الأمر في بلاد أخرى ليس لها من الإمكانيات العلمية والفنية ما يؤهلها للاضطلاع بمهمة الإصلاح الديني والاجتماعي ، تلك المهمة التي تحتاج إلى ثقافة أصيلة ، وفهم واع ، وخبرة فنية واسعة ، وذلك لإظهار الإسلام بصورته المشرفة الوضاعة وإيمانيته البناءة ، لنقضى على مفكرات المستعمرين والمبشرين .

هذا - وأحب من السيد كاتب الملاحظات أن يعاونني على التعرف على أحوال البلاد الإسلامية ، فيوافيني ببيان واضح عن جمعية نشر الثقافة الإسلامية بـ زنجبار وصالاتها بجمعية الإسماعيليين في شرقي إفريقيا ، وعن نشاطها الديني والثقافي ، وأشهر أعضائها ومؤملاتهم العلمية ومراكزهم الاجتماعية ، وكذلك عن كل جمعية ومنظمة إسلامية تسهم في النشاط الديني والاجتماعي .

وفي انتظار رد سيادته أرجو لإخواننا في زنجبار ، والعالم الإسلامي حياة طيبة ومستقبلاً سعيداً ، بفضل جهود العلماء المبشرين والقادة المخلصين .

عاطية صقر

والذي يهمني هو كلام سيادته في تقويم الناحية العلمية والدينية والاجتماعية في بعض الصور التي وردت في المقال ، والتي لا ينبغي أن تنفصل عن الصور الأخرى التي سلم بها في هذه الناحية ، وهو رأى لسيادته دفعت إليه دوافع كريمة لا يلام عليها أى مواطن ولكن - مع تقديرنا لمثل هذه الآراء - لا يجوز أبداً أن نسقط من الحساب ما ورد في تقارير الخبراء الذين نثق في كفاياتهم ودقة تقديرهم ، وإن كنا نود أن يكون التقدم في الأيام القليلة الماضية كفيلاً بتغيير ملاح الصورة التي رسمتها هذه التقارير ، والتي لا ينبغي من وراءها إلا لفت النظر للتعاون على إصلاحها ، شأن كل نقص في أى بلد إسلامي يربطنا به رباط ووحى وثيق .

وإذا كنا هنا في مصر بلد الأزهر الذي يخرج كل عام مئات من العلماء الاجلاء ، والذي يهج إليه مئات وآلاف من طلاب الثقافة الإسلامية في العالم كله ، لا نعلمن في إسناد مهمة الدعوة إلا للنجبة المختارة من هؤلاء العلماء الذين أمضوا سنوات طويلة في البحث والدرس ، واجتازوا بعد ذلك امتحانات قاسية لتقدير الناحية العلمية والخلقية وذلك لسد الطريق على من يندسسون بين صفوف الدعاة من أنصاف المتعلمين المتبحرين باسم الدين .

فتاوى مختارة ..

بابٌ بفتح الباء:

ابراهيم محمد الأصيل

(الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر)

ولا ينقلها إلى بلد آخر إلا إذا كان في البلد الآخر قريب له محتاج يجوز دفع الزكاة إليه ، أو كان فقير البلد الآخر أحوج .

وكما يجوز المزكى أن يصرفها بنفسه يجوز أن يوكل عنه غيره في ذلك .

أما الحرير الصناعي فليس مما حرم لبسه على الرجال من الحرير ، فيجوز استعماله للبحرمة وغيره بأى وجه من وجوه الاستعمال فى اللباس والفرش وغيرهما .

تحرير عقود الرهن بفائدة

وإضافة مبلغ آخر على المبلغ الأصلى كأتعاب واققسام المبلغ الأصلى مع من حدد له

السؤال :

١ - أشتغل وكيل قضائيا ومن أحمالى

تحرير عقود رهن بفائدة ، فهل يحرم على تحرير مثل هذه العقود من الوجهة الدينية ؟ .

٢ - يكلفنى البعض بعمل ولا يدفع

مكهم إخراج الزكاة خارج البلد واستعمال الحرير الصناعى فى الإحرام وغيره

السؤال :

١ - عزمتم بمشيئة الله تعالى على أداء فريضة الحج هذا العام ، واليوم الذى سأقف فيه بعرفات يوافق اليوم الذى أخرج فيه زكاة مالى فهل يجوز فى هذه الحالة إخراج الزكاة بعرفة . أم أخرجها كالمستحب فى بلدتى ، بعد عودتى من الحج أو قبله بواسطة شخص أمين ، وهل هذا الشخص يكون مسئولا أمام الله ؟ .

٢ - هل يجوز الإحرام بملابس من حرير صناعى أو استعمالها فى الفرش والزينة ؟ .

الجواب :

يجوز صرف زكاة المال إلى فقراء المسلمين فى أية جهة كانوا ، والأفضل أن يصرفها المزكى إلى فقراء مكان المال الذى وجبت فيه الزكاة ،

كخلوة لقراءة القرآن - فهل يصح أن تصل في هذا المنزل صلاة الجمعة مع ملاحظة أن مذهبنا مالكي - هذا وأقرب مسجد لنا يبعد عنا نحو كيلو مترين؟

الجواب :

مذهب الإمام مالك أنه لا تصح صلاة الجمعة في هذا المكان الذي لم يكن مسجداً ، وعلى أهل هذه الجهة أن يذهبوا إلى المسجد الذي تقام فيه الجمعة مادام لا يبعد عنهم بأكثر من ثلاثة أميال وثلاث ميل ، أى ستة كيلو مترات تقريباً .

هذا وكثير من فقهاء المسلمين كالإمام أبى حنيفة والإمام الشافعى رحمهما الله تعالى لا يشترطون في صحة صلاة الجمعة أن تقام في مسجد .

وعلى هذا يجوز لأهل تلك الجهة أن يقلدوا أصحاب هذا المذهب فيصلوا في هذا المكان وصلاتهم صحيحة إذا استوفت باقي شرائط الصحة .

هكوة نحرهم الخنزير

السؤال :

نص القرآن الكريم على منع أكل الخنزير منعاً باتاً ... وفى أثناء دراستنا لعلم الحيوان علمت من أساتذتي أن نوعاً من الدود يسمى

لى الأجر المستحق كاملاً أو لا يدفعه أصلاً ارتكنا على الصداقة فأضطر إزاء هذا لإضافة مبلغ على الرسوم الحقيقية وأحتفظ بالفرق مقابل أتعافى فهل يحرم على هذا؟

٣ - يكافئ أحدهم بإمانة حمام عنه بمصرفي وتحت إشرافى وملاحظتى وأقوم من جانبى بجميع الأعمال الكتابية التى تتطلبها القضية وأقسم المبلغ الذى أخذه بينى وبين المحامى فاحكم هذا؟

ج . ا . باسكندرية

الجواب :

يحرم على الشخص أن يكتب عقداً فيه ربا ويدخل في ذلك عقود الرهن بفائدة ، فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لعن آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه .

وعن الثانى بأن أخذ المال على أنه من الرسم في حين أن الرسم أقل مما يؤخذ حرام لأنه من التدليس والغش .

وعن الثالث بأنه إذا كان يأخذ المال على أنه أجره للمحامى فقط في حين أن ما يدفعه أقل من ذلك فهو أيضاً من الغش المحرم ، بخلاف ذلك .

حكم صهوة الجمعة في غير مسجد

السؤال :

في بلدتنا منزل خصص كضيعة وأحيانا

نهي من النواهي الإيابة عن قبول هذا الأمر أو التسليم لهذا النهي فقد قال الله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » ، وقال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحسبوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفهم حرجا مما قضيت ويسلووا تسليما » ، فإذا كان الإنسان قد وصل بعقله وعلمه إلى معرفة ما في الخنزير من ضرر في تناوله ؛ لما فيه من « الدودة » ، فليس معنى هذا أن الله إنما حرم الخنزير لهذا الضرر بعينه ، بل يجوز أن يكون في هذا الحيوان من ضروب الضرر ما لم يصل إليه العلماء إلى الآن ، والآية الكريمة حرمت الخنزير مطلقا سواء زالت منه هذه الدودة أم لم تزل ؛ فعلى المؤمن الذي قام عنده البرهان على صدق الرسول وصحة رسالته أن يسلم ويقبل جميع ما جاء في كتاب الله أو على لسان رسوله ، سواء ظهرت له الحكمة أو لم تظهر .

كفارة الجهل :

السؤال :

أقسمت على كتاب الله الكريم بألا أفعل شيئا معينا يغضب الله ... أى قلت « أقسم بهذا المصحف الشريف بأننى لن أفعل كذا

« الدودة الوحيدة » تعيش في عضلات الخنزير وهى من الجراثيم الفتاكة التى إذا تسربت لجسم الإنسان فإنها تهلكه على مر الزمن . وبدا لى هذا التفسير مقنعا ولو أنه أتى بصورة عرضية من دراسة علم الحيوان . ومع ذلك فقد ترمى لى الآن أن هذه الدودة وأمثالها من الجراثيم فى جسم الخنزير أصبح من السهولة بمكان قتلها وإبادتها بوسائل العلم الحديث كالتبخير والغلي والتعقيم لى آخره . الأمر الذى دعانى لأن أستفسر منكم عن الحكمة الدينية وراء تحريم أكل لحم الخنزير فأرجو الإجابة على هذا لا تمسكن من إقناع فرد أو جماعة لا تدين بالإسلام .

ابراهيم أباطة

طالب بجامعة أيدز بانجلترا

الجواب

على المسلم الذى يؤمن بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتلقى أوامر الله ونواهيه فى كتابه أو على لسان رسوله بالتسليم والقبول وإن لم تظهر له حكمة هذه الأوامر وهذه النواهي ، معتقدا بأن الله حكيم لا يخلق شيئا ولا يشرع شيئا إلا لحكمة وإن لم نصل إليها ، وليس له إذا لم تظهر له الحكمة فى أمر من الأوامر أو فى

متابعة : ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم
واحفظوا أيمانكم .

حرمة زواج البنت بهروط ، أمرها امرأما :

السؤال :

أحد معارفى يريد أن يتزوج بفنأة سبق له
الزنا بأمرها ، وسألنى عن ذلك فأخبرته بأن
يبتعد عن هذا الزواج حتى أرجع للجنة
الفتوى بالأزهر فأرجو توضيح حكم الشرع
فى ذلك .

ح . ق - فلسطين

أبدا ، ولكننى للأسف الشديد نقضت هذا
القسم فى نزوة طارئة إذ ارتكبت هذا
الإثم الذى عاهدت الله عز وجل على عدم
ارتكابه أبدا وعدم العودة إليه .

وعلى أثر ذلك شعرت بضيق شديد ،
وتأنيب للضمير متواصل وأريد أن أكفر
عن هذا الذنب الجسيم - فما الواجب على
عمله حتى أكفر عن ذنبى وأنال رضا ربى ،
وأتوب إليه .

ف . ا . أحمد - موظف

الجواب :

الجواب :

مذهب الإمامين أبى حنيفة وأحمد رحمهما
الله تعالى أن هذه البنت لا تحل لهذا الرجل
لأن حرمة المصاهرة عندهما كما تثبت بالوطء
الحلال تثبت بالوطء الحرام .

أما على مذهب الإمام الشافعى والمعتمد
من مذهب الإمام مالك رحمهما الله تعالى
فتحل هذه البنت له إذا تمحض وطؤه لامها
للزنا بأن لم يكن بشبهة .

يرى علماء الحنابلة وكثير من علماء
الحنفية أن الحلف بالمصحف يمين يجب إذا
حنث فيه الحالف أن يكفر عنه كما يكفر عن
اليمين بالله ، والكفارة كما نص عليها القرآن
إطعام عشرة مساكين من أوسط طعام الأهل
يغديهم ويعشيهم غداء وعشاء مشبعين ،
ويكنى فى ذلك أن يعطى كل فقير قدحا
وثلث قدح من القمح أو قيمة ذلك ، أو كسوتهم
فإن لم يستطع ذلك فعليه أن يصوم ثلاثة أيام

بَيْنَ الصَّحِيفَةِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق : الأستاذ عبد الرحيم فودة

مقدمة المؤلف للكتاب :

وما ورد في السنة بالإضافة إلى ما ورد في الكتاب ثلاثة أنواع :

(أ) ما كان مطابقاً لما فيه . فيكون مؤكداً له ، ويكون الحكم مستمداً من مصدرين : القرآن مثبتاً له . والسنة مؤيدة ، ومن ذلك الأحاديث الدالة على وجوب الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والدالة على الشرك ، وشهادة الزور ، وقتل النفس المعصومة وحقوق الوالدين .

(ب) ما كان بياناً للكتاب عملاً بقوله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » .

والسنة خير مبين للكتاب فقد كان عمر رضي الله عنه يقول : سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن يفتنونهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أهدى بهم بكتاب الله عز وجل ، وقيل لمطرف بن عبد الله : لا تحدثون إلا بالقرآن فقال : والله ما نريد بالقرآن بدلاً . ولكن نريد من هو أهدى بالقرآن .

وقال علي رضي الله عنه لعبد الله بن عباس حينما بعثه إلى الخوارج : لا تخاصمهم بالقرآن فإنه حال ذو وجوه ، ولكن حاججهم بالسنة ، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً ، ولذلك لما استدلل الخوارج على كفر مرتكب الكبيرة بظواهر بعض النصوص كقوله تعالى بعد الأمر بالحج : « ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » لم يجد دليلاً ، أبلغ في الرد عليهم من السنة إذ قال : « وقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم الزاني المحسن ثم صلى عليه ثم ورثه أهله ، وقتل القاتل وورث ميراثه أهله ، وقطع يد السارق وجلد الزاني المحسن ثم قسم عليهما من الفداء ، ونكحنا المسلمات . فأخذهم رسول الله بذنوبهم ، وأقام حق الله فيهم ، ولم يمنهم منهم من الإسلام ، ولم يخرج أسماء من بين أهله » .

فلسنة أثر عظيم في إظهار المراد من الكتاب ، وفي إزالة ما قد يقع في فهمه من خلاف أو شبهة .

ويكون بيانها للكتاب على ثلاثة أنواع :
١ - تفصيل مجمله ومن ذلك أن الله تعالى أمر
بالصلاة في الكتاب من غير بيان لمواقيتها
وأركانها وعدد ركعاتها ، فبينت السنة العملية
ذلك ، وقال صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما
رأيتوني أصلي » ، وور في الكتاب وجوب
الحج من غير بيان لمناسكه فبينت السنة ذلك .
وقال صلى الله عليه وسلم : « خذوا مني
مناسككم » ، وورد فيه وجوب الزكاة من غير
بيان لما تجب فيه ولا المقدار الواجب ،
فبينت السنة كل ذلك .

٢ - تخصيص عامه ، ومن ذلك أن
الله تعالى أمر أن يرث الأبناء الآباء على
نحو ما بين في قوله تعالى : « يوصيكم الله
في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين .. الآية » ،
فكان هذا الحكم عاما في كل أب مورث .
وكل ولد وارث فخصت السنة المورث بغير
الأنبياء بقوله صلى الله عليه وسلم : « نحن
معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة »
وخصت الوراث بغير القاتل بقوله صلى الله
عليه وسلم : « لا يرث القاتل » ، وبين الله
من يحرم الزوج بمن في آيات المحرمات ،
ثم أباح الزوج بمن عداهن في قوله تعالى :
« وأحل لكم ما وراء ذلكم » فخصت السنة
هذا العموم بقوله صلى الله عليه وسلم : « يحرم
من الرضاع ما يحرم من النسب » ، وقوله

صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح المرأة
على عمتها . ولا على خالتها . ولا على ابنة
أخيها . ولا على ابنة أختها . فإنكم إن فعلتم
ذلك قطعتم أرحامكم .

٣ - تفصيل مطلقه . كما في قوله تعالى :
« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » ، فإن
قطع اليد لم يقيد في الآية بموضع خاص ،
ولكن السنة قيدته بأن يكون من الرسغ ،
وقوله تعالى : « وليطوفوا بالبيت العتيق » ،
فوجب الطواف مطلقا ، ولكن السنة الفعلية
قيدته بالطهارة ، وقوله تعالى : « من بعد
وصية يوصي بها أو دين » ، وردت الوصية
فيه مطلقه ، فقيدتها السنة بعدم الزيادة
على الثلث .

(ج) ما كان مشتملا على حكم جديد غير
مؤكد لما في القرآن . ولا مبين له . وقد اختلف
العلماء في هذا .

١ - فقال بعضهم : قد تأتي السنة بما ليس
في الكتاب ، ولذلك أمر الله بطاعة رسوله
مع الأمر بطاعته في كثير من الآيات ، وأقر
الرسول « معاذ » إلى الرجوع إلى السنة
إذا لم يجد في الكتاب ما يريد ، وذم من يترك
سنته ويتمسك بالكتاب وحده فيما روى
المقدم بن معد يكرب عنه صلى الله عليه وسلم :
« ألا وإنني أوتيت الكتاب ومثله معه .. إلخ » ،
وجاءت السنة بأحكام لم ترد في الكتاب

٢ - تخصيص عامه ، ومن ذلك أن
الله تعالى أمر أن يرث الأبناء الآباء على
نحو ما بين في قوله تعالى : « يوصيكم الله
في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين .. الآية » ،
فكان هذا الحكم عاما في كل أب مورث .
وكل ولد وارث فخصت السنة المورث بغير
الأنبياء بقوله صلى الله عليه وسلم : « نحن
معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة »
وخصت الوراث بغير القاتل بقوله صلى الله
عليه وسلم : « لا يرث القاتل » ، وبين الله
من يحرم الزوج بمن في آيات المحرمات ،
ثم أباح الزوج بمن عداهن في قوله تعالى :
« وأحل لكم ما وراء ذلكم » فخصت السنة
هذا العموم بقوله صلى الله عليه وسلم : « يحرم
من الرضاع ما يحرم من النسب » ، وقوله

الاستعمار تدفعه من نصر إلى نصر عقيدة صامدة لا ترضى لمعتنقيها أن يقيموا على ذل أو يصبروا على هوان ، حتى انبلج صبح الظفر من نهار مشرق وضاء تنهادى في سماء شمس الحرية . التي طال انتظارها بين الشوق والهفة إلى لقاءها المرتقب .

والتاريخ والواقع كلاهما يشهد ويحفظ أن أثر الإسلام في حرب التحرير الأندونيسية كامل عامـل النصر الأهم ، وكانت الحركة الاستقلالية قائمة على عواقب العلماء وأبناء الإسلام الذين سجلوا بدماهم الزكية في صحائف المجد آيات التضحية وصور الإخلاص لله والوطن إلى أن جاء نصر الله والفتح فزادهم ذلك تشبثا بالإسلام وحفاظا عليه ، ولمن ذلك في أكثر من مناسبة دلت على تعصب هذا الشعب العظيم للإسلام تعصبا عاقلا رجونا أن تكون كل الشعوب المسلمة على نحوه .

هذا هو الشعب الأندونيسي في علاقته بالاسلام المجيد . الأمر الذي جعلنا نقلب الكفين وقد قرأنا في الصفحة الأولى من أهرام ٩ / ٧ / ١٩٦٣ بعنوان سوكارنو يؤكد إيمانه بمبادئ ماركس .

دأكد أمس الرئيس الأندونيسي أحمد سوكارنو إيمانه بالمبادئ الماركسية كما تطبق على المجتمع الأندونيسي ، وقال سوكارنو

كتحريم الخمر الأهلية . وكل ذي ناب من السباع . وتحريم نكاح المرأة على عمها أو خالتها .

والرسول لا يأتي في هذا الباب بما يناقض القرآن ، لأنه أعرف الخلق بما يبلغ عن ربه ، وأخبرهم بمقاصد الشريعة بعناية الله تعالى به ، وعصمته من الزيغ ، وتوفيقه إلى الحق ، وتسديده إلى الصواب .

٣ - وقيل إن السنة لا تأتي إلا بما له أصل في الكتاب ، فإذا كانت مفصلة لمجمل ، أو مخصصة لعامة أو مقيدة لمطلعة فهي موضحة للبراد منه . وإذا جاءت بغير ذلك ، فالمقصود منها إما إلحاق فرع بأصله الذي خفي إلحاقه به ، وإما إلحاقه بأحد أصليين واضحين يتجاوزانه .

الأستاذ علي حسب الله
من كتاب أصول التشريع الإسلامي
سوكارنو والماركسية :

الاجتماع الأندونيسي أحد المجتمعات الإسلامية التي تبلغ نسبة المسلمين فيها خمسا وتسعين في المائة حسب إحصاء رسمي والجنس الباقية موزعة بين المسيحية وغيرها من النحل المختلفة .

ولقد كان لكشف المسلمين من أبناء هذا الشعب العزيز أثر مذكور ومشكور فعلى أكتافهم أقيمت تبعات التحرر من قيود

وهكذا في جلاء ووضوح يؤكد الرئيس
الاندونيسي المسلم إيمانه بالماركسية، وهكذا
يؤدي فريضة الشكر للإسلام والمسلمين
في أندونيسيا.

والمعروف بدهيا أن الماركسية كل لا يتجزأ
يقوم على قاعدة إنكار الدين، بل ومحاربه
باعتباره في نظر الماركسيين - أفيون الشعوب.

الدكتور يوسف يوسف

من مقال بمجلة الاحتصام

في رسالة مكتوبة وجهها إلى الحزب الأندونيسي
بمناسبة اجتماعه السنوي السادس والثلاثين
أنه بنى مفهومه للماركسية على أساس علمه
بظروف أندونيسيا التي تتفق والماركسية
ومضى يقول: إنه لمن المؤكد أن تأثرت
في هذا بالنظرية الماركسية، وفضلا من ذلك
أحب أن أقر نظرية كارل ماركس عن المادية
التاريخية، وقد وقعت بين هذه النظرية
وأحوال المجتمع الأندونيسي ووصلت إلى
مذهب الماركسية.

(بقية المنشور على صفحة ٣٧٠)

لا يتقيدون بمذهب، ولا يعرفون قواعده،
ولا نصوصه.

وما أحوشنا إلى اقتباس ذلك الرأي
في هذا الزمان.

والقصد من هذه الدعوة هو التيسير على
الناس بالأخذ بالقول الذي يناسب العصر
في المسائل والفروع من أي مذهب كان.
ويؤكد المؤلف في ختام بحثه:

أن الخلاف بين الأئمة والفقهاء في الرأي
وقالما تقدم من شواهد وأسانيد - أمر
تقتضيه طبيعة الأشياء، فهو ليس اختلافا في
الأصول، بل هو تفاوت في فهم نصوص الفروع.
فنحن اليوم إذا أخذنا ما يناسب العصر
الذي نعيش فيه من آراء هؤلاء الفقهاء كنا
في نطاق الشريعة السمحة.

فتح الباب

على مجوز الانتقال من مذهب إلى
مذهب آخر؟

يتبين من دراسة أحوال هذا الانتقال التي
فصلها الإمام جلال الدين السيوطي أن
المسألة تتعلق بالنية، فن حست فتنة كان
له أن ينتقل من مذهب إلى آخر.

ويخلص المؤلف من هذا البحث الضافي
إلى الدعوة إلى تقنين تشريع جنائي إسلامي
نأخذ فيه بالاصول العامة للشريعة وآراء
الفقهاء التي تناسب عصرنا من مختلف المذاهب
الإسلامية. وليست هذه الدعوة بدعة
في الرأي فقيما نقل الجلال السيوطي رحمه
الله عن جماعة كثيرة من العلماء أنهم كانوا
يفتون الناس بالمذاهب الأربعة لاسيما من

يَشْتَرِكُ فِي الصِّدْقِ
عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَعَقْبَانُ
بَدَلُ الْأَشْتَرِ
٤٠ فِي الْمَمُورِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ
٥٠ غَارِجُ الْمَرْبُورَةِ
وَلَمْ يَسْتَنْ وَالْمَلَأُ بِتَقْيُصْ طَلَسْ

مَجَلَّةُ الْأَنْزَهَرِ

مجلة شهرية جامعية

مُديرُ المَجَلَّةِ وَرئيسُ التحرير
أحمد حسن الزيات
لُكْتُبُوا
إدارةُ الجامع الأزهر
بِالْقَاهِرَةِ
ت : ٩٠٥٩١٤

بَصِيدُهُ عَنْ مَشِجْنَةِ الْأَنْزَهَرِ فِي ذِي كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِي

الجزء الرابع — السنة الخامسة والثلاثون — جمادى الآخرة سنة ١٣٨٣ هـ - نوفمبر ١٩٦٣ م

١٤
٢٤٤٤٦
دوريات

لِسَامِعِ الْمَالِ الْمَالِ

أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبُ ، بَيِّدَ أُنَى مِنْ قَرِيشٍ ...

بقلم : أحمد حسن الزيات

وهل يحمد في نفسه من أغوار البحر غير
الشعور بالجلالة والروعة ؟ .
إن البلاغة النبوية هي المثل الأعلى للبلاغة
العربية ، وإذا كان كلام الله هو (كتاب)
البيان المعجز ، فإن كلام الرسول هو (سنة)
هذا البيان ، وإذا كان البلاغ صفة كل
رسول ، فإن البلاغة صفة محمد وحده .
تجمعت فيه صلوات الله عليه خصائص
البلاغة بالفطرة ، وتمايزت له أسباب الفصاحة
بالضرورة ، فقد ولد في بني هاشم ، ونشأ
في قريش ، واسترضع في بني سعد ، وتزوج

كلمة قالها من لا ينطق عن الهوى ولا يقول
هل الله ولا على نفسه غير الحق . فماذا
يقول الكاتب الإنسان بعد هذا القول في
بلاغة هي من صنع الله ؟ وما كان من صنع
الله تضيق موازين الناس عن وزنه وتفصر
مقاييسهم عن قياسه . فنحن لا ندرك كنهه
ولنما ندرك أثره ، ونحن لا نعلم لإنشاءه
ولنما نعلم خبره . هل يدرك المرء من آثار
الشمس غير الضوء والحرارة ؟ وهل يعلم
من أسرار الروض غير العطر والنضارة ؟

كل أولئك قد مكن للرسول الكريم من ناحية البلاغة ، فأسلسلت له الألفاظ ، وأسمحت له المعاني ، فلم يند في لسانه لفظ ، ولم تضطرب في أسلوبه عبارة ، ولم يعزب عن علمه لغة ، ولم ينب عن خاطره فكرة ، حتى كان كلامه كما قال الجاحظ : « هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد ما فيه ، وجل عن الصنعة وتنزه عن التكلف ... استعمل المبسوط في موضع البسط والمقصود في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، وتنزه عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة ، وشد بالتأييد ويسر بالتوفيق ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ، ولا أصدق لفظا ، ولا أعدل معنى ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعا ، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين من خواه من كلامه صلى الله عليه وسلم . »

لذلك قال وقوله الحق : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر . » وقد قال له صاحبه أبو بكر ، لقد طفت في بلاد العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت

من بني أسد ، وهاجر إلى بني عمرو وهم الأوس والخزرج ، وهذه القبائل التي تقلب فيها الرسول هي بالإجماع أخلص القبائل لسانا وأفصحها بيانا وأعذبها لهجة ، والوسيلة الطبيعية لاكتساب اللغة والمنطق إنما هي الخاطلة والمحاكاة ، ثم تولى الله عز وجله تأديبه وتهذيبه فكماله برجاجة العقل وسجاجة الخلق وصفاء الحس وقوة الطبع وثقوب الذهن وتمكن اللسان ومحض الصليقة ليكون لسانا لكلمته ومظهرا لنوره ثم أخذ يتصرف في التجارة على عادة قومه ، فضرب في الآفاق وتنقل في الأسواق فرأى المناظر الجديدة ، وسمع المناطق المختلفة ، وحصل المعارف العامة ، والأسفار والأخطار والهجرة بعد توفيق الله تفتق الذهن وترفد العقل وتزيد المعرفة .

ثم كان يخلى ذرعه من صوارف الدنيا الاليالى الطوال فيعتكف في غار حراء فيتعب ويتأمل ويتجه بروحه الصافي اللطيف إلى الملأ الاعلى ، ثم كان من طبعه أن يديم التفكير ويعطيل الصمت ، فإذا تكلم اختصر من اللفظ واقتصر على الحاجة ، وألقى الكلام بينا فصلا يحفظه من جلس إليه ، ولو هذه العاد لأحصاه كما قالت السيدة عائشة .

العقل وقوة الروح وقوة الشعور وقوة الذهن وهذه القوى كلها اجتمعت على أكل ما تكون في الرسول ، ومن هنا شاعت جوامع السلم في خطبه وأحاديثه حتى عدت من خصائصه .

على أن الرسول عليه السلام كان يعطيل إذا اقتضت الحال ذلك ، فقد روى أبو سعيد الخدري أنه خطب بعد العصر فقال :

« ألا إن الدنيا خضرة حلوة ، ألا وإن الله استخلفكم فيها فنأظر كيف تعملون ، اتقوا الدنيا واتقوا الفساد ، ألا لا يمنعن رجلا مخافة الناس ألا يقول الحق إذا علمه . »

قال أبو سعيد : ولم يزل يخطب حتى لم يبق من الشمس إلا حرة على أطراف السعف ، فقال : « لأنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى »

والمأثور من كلام الرسول خطب وكتب وأحاديث ، وكلها تنقسم بالإلهام والإبداع والعبقرية ، وتمتاز بالجزالة والجلالة والسبك ، وهو في بعضها يستعمل الغريب ويلتزم السجع تبعا لما جرى على السنة الوافدين عليه من مختلف القبائل ، من ذلك حديثه مع طهفة بن أبي زهير النهدي ، ومع

أحسن منك ، فمن أدرك ؟ قال : أدبني ربي فأحسن تأديبي ، ومن أولى بذلك كله ممن يحاطبه الله تعالى بقوله : « وعليك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما . »

* * *

إن أخص ما يميز الأسلوب النبوي الأصالة والإيجاز .

فالأصالة ، وهي خصوصية اللفظ وطرافة العبارة تتجلى فيما كان يهجه الرسول من المذاهب البيانية ، ويرتجله من الأوضاع التركيبية ، ويضعه من الألفاظ الاصطلاحية كقوله عليه الصلاة والسلام : مات حتف أنفه . الآن حي الوطيس . هدنة على دخن وقوله لحادي النساء : وديك ، رفقا بالقوارير وقوله في يوم بدر : هذا يوم له ما بعده ، ولتمكن الأصالة في طبعه كان يقتضب ويتجاوز ويشق ويتندع ، فيصبح ما أمضاء من ذلك حسنة من حسنات البيان وسرا من أسرار اللسان يزيد في ميراث اللغة ويرفع من قدر الأدب .

والإيجاز ، وهو تأدية المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة ، غالب على أسلوب الرسول لأن الإيجاز قوة في التعبير ، وامتلاء في اللفظ وشدة في التماسك ، وهذه صفات تلازم قوة

بفأس ، فقالوا له : ما تصنع ؟ قال هو مكاني
أصنع فيه ما أشاء . فإن أخذوا على يده نجا
ونجوا . وإن تركوه هلك وهلكوا .

لقيط بن عامر بن المنتفق ، وذلك من حسن
أدبه وسمو بلاغته وقوة تأثيره .

* * *

والرسول صلوات الله عليه قدرة معجزة
على التشبيه والتشثيل وإرسال الحكمة وإجادة
الحوار وتلك ميزة الرسل من قبل ، لأن
المرسلين في مقام المعلمين ؟ وأنجح ما يكون
التعليم إذا كان على طريقة التشثيل والمحاورة ،
كقوله عليه السلام : « إن المنبت لا أرضا قطع
ولا ظهرا أبق » . « إن المؤمن هين لين ،
كاجل الأنف إن قيد انقاد ، وإن أنيخ على
صخرة استناخ » ، « أصحابي كالنجوم بأيهم
أقديتم اهتديتم ، لو توكلتم على الله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا » .
إنسكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم
بأخلاقكم » ، « إياكم وخضراء الدمن :
المرأة الحسناء في المنبت السوء » ، « المرأة
كالضلع إن رمت قوامها كسرتها » ، « الناس كلهم
سواسية كأسنان المشط » ، « جنة الرجل داره » .
ومن روائع تشبيهاته عليه السلام قوله :
« إن قوما ركبوا سفينة فاقسموا ، فصار لكل
رجل منهم موضع ، فشق رجل منهم موضعه

والسفينة التي ضربها الرسول مثلا هي اليوم
دنيا الإسلام والعروبة تقسمها الإخوة
والبنون في عهود الضعف والانحلال ، فصار
لكل منهم وطن ودولة . ولكن هذه
الأوطان المتعددة تجمعها دنيا واحدة ،
كما تجمع السفينة مواضع الركاب . فكل وطن
وإن استقل بنفسه مرتبط في قوام حياته
بغيره . فهو حرى ألا يوق بحريته الوطن
الجمع ، والوطن الجمع حرى ألا يفرق في عبايه
الوطن المفرد . وكان الرسول صلى الله عليه
وسلم بما آتاه الله من ألمعية الذهن وإشراق
الروح كان ينظر إلى الغيب من ستر رقيق ،
فضرب هذا المثل لزعماء الدول العربية لعلمهم
يتذكرون فيتدبروا . وهذه هي بلاغة
الإلهام والفيض تكشف الحجب بنور الله ،
وتخترق الغيوب بنفاذ البصيرة ، وترسل
الكلمة من فيض الخاطر ، وعفو البديهة ،
فتكون حكمة الحاضر ونبوة المستقبل .

أحمد مصطفى الزيات

تفسير الأستاذ الإمام

”الشيخ محمد عبد الله“

للأستاذ عباس محمود العقاد

الأولى من منبع الإسلام ، وأدار موضوعه على طريقة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في تفسير القرآن الكريم ، وهي فيما نرى أحدث أساليب التفسير وأسدها من الوجهتين الدينية والبلاغية ، وخلاصتها في كلمات معدودات ، أن الأستاذ الإمام كان أقدر المفسرين المحدثين على فهم كل مقام من مقامات الوحي الشريف ، وذلك مقصد بعيد الأمد فيما يرجع إلى فهم الوحي الإلهي على التخصيص ، وإنما يعينه عليه أنه يدرك وحدة الوحي في جملته ، كما يدرك مقاماته أو مناسباته فيها منه لموقعه من السامع وللحكمة المقصودة بتوجيه الخطاب إليه .

يقول الدكتور عثمان أمين هما توخاه الأستاذ الإمام من تفسير الكتاب : وإنما الفهم الذى يريده هو ما يكون عن ذوق سليم وما يتبعه من لطف الوجدان ودقة العمور اللذين هما مدار التعقل والتأثر والفهم والتدين ويقضى ذلك النفاذ إلى روح القرآن والوقوف على معانيه ... ومن أجل ذلك نراه ينصح بأن يؤخذ القرآن جملة

لكل مقام مقال :
هي حكمة بليغة على هداها عرف الأقدمون البلاغة ووضعوا لها تعريفها الصحيح : وهو مراعاة مقتضى الحال .

ومقتضى الحال هو مقتضى المقام .
وإن الذين يشغلون عقولهم بامتحان صحة البلاغة ، أو صحة فهم الكلام البليغ ، ليجشوا عن مسار أفضل من هذا المسار فيطول بهم البحث ولا ينتهون إلى خير من هذه الحقيقة :

وهي إننا نعرف أن القائل قد فهم معنى ما يدرسه أو يفسره إذا عرفنا أنه فهم مقام القول ، وفهم من ثم مراد القائل وأثر كلامه في السامع على حسب ذلك المقام .

فإذا كان قد فهم مقام القول حق فهمه فذلك هو الأساس الذى يقام عليه البناء ، أيا كان نصيب هذا البناء من المثانة والجمال ، ولا قيمة للبناء المتين الجميل إذا قام على أساس غير سليم .

تقدم هذه الكلمة تمهيدا للتعليق الذى دعانا إليه المقال المنفيس الذى كتبه العالم الفاضل الدكتور عثمان أمين في عدد شهر جمادى

ثم يقول بعد توضيح لهذه الفكرة إن المفسر المصرى ... يذهب إلى التصريح بأننا إذا كنا بحاجة إلى معرفة أسباب النزول فى آيات الأحكام ، فإن معرفة الوقائع والحوادث التى نزل فيها الحكم تعين على فهمه وإدراك حكمته وسره
ولغوى ذلك أن معرفة المقام أو المناسبة هى أساس الهداية إلى مقصد الخطاب وإلى أثر هذا الخطاب فى وجدان السامع ، على حسب المقام .
وإن أحق الناس أن يذهبوا فى تفسير الكتاب ههنا المنهج هم أولئك الذين يعملون فى التعليم وتقضى عليهم صناعتهم أن يذهبوا فيها على أحدث مناهجه فى افتتاح الدروس وتهبته أذهان الطلاب لانتظارها وملاحقة الأستاذ المعلم ههنا مناسباتها ...
وقد كان الكتاب الحكيم مثلاً فى منهج التعليم كيفما كان موضوع الخطاب وموضع المستمع إليه ، وعلى هذا المنهج يتعلم المفسر كيف يتعلم من القرآن الكريم وكيف يعلمه ويمضى على سننه فى توجيه خطابه إلى مستمعيه ، ولم يغفل أحد عن هذا السبغ عن حارلوا فهم الكتاب بعد عهد الأستاذ الإمام إلا كان تفسيره جهلاً بالمقال وجهلاً بالمقام فى آن .

ثم يقول بعد توضيح لهذه الفكرة إن المفسر المصرى ... يذهب إلى التصريح بأننا إذا كنا بحاجة إلى معرفة أسباب النزول فى آيات الأحكام ، فإن معرفة الوقائع والحوادث التى نزل فيها الحكم تعين على فهمه وإدراك حكمته وسره
ولغوى ذلك أن معرفة المقام أو المناسبة هى أساس الهداية إلى مقصد الخطاب وإلى أثر هذا الخطاب فى وجدان السامع ، على حسب المقام .
وإن أحق الناس أن يذهبوا فى تفسير الكتاب ههنا المنهج هم أولئك الذين يعملون فى التعليم وتقضى عليهم صناعتهم أن يذهبوا فيها على أحدث مناهجه فى افتتاح الدروس وتهبته أذهان الطلاب لانتظارها وملاحقة الأستاذ المعلم ههنا مناسباتها ...
وقد كان الكتاب الحكيم مثلاً فى منهج التعليم كيفما كان موضوع الخطاب وموضع المستمع إليه ، وعلى هذا المنهج يتعلم المفسر كيف يتعلم من القرآن الكريم وكيف يعلمه ويمضى على سننه فى توجيه خطابه إلى مستمعيه ، ولم يغفل أحد عن هذا السبغ عن حارلوا فهم الكتاب بعد عهد الأستاذ الإمام إلا كان تفسيره جهلاً بالمقال وجهلاً بالمقام فى آن .

وإن أحق الناس أن يذهبوا فى تفسير الكتاب ههنا المنهج هم أولئك الذين يعملون فى التعليم وتقضى عليهم صناعتهم أن يذهبوا فيها على أحدث مناهجه فى افتتاح الدروس وتهبته أذهان الطلاب لانتظارها وملاحقة الأستاذ المعلم ههنا مناسباتها ...
وقد كان الكتاب الحكيم مثلاً فى منهج التعليم كيفما كان موضوع الخطاب وموضع المستمع إليه ، وعلى هذا المنهج يتعلم المفسر كيف يتعلم من القرآن الكريم وكيف يعلمه ويمضى على سننه فى توجيه خطابه إلى مستمعيه ، ولم يغفل أحد عن هذا السبغ عن حارلوا فهم الكتاب بعد عهد الأستاذ الإمام إلا كان تفسيره جهلاً بالمقال وجهلاً بالمقام فى آن .

والمثل المحدود أجدى من الخوض فى شروح النظريات واختلاف الأقوال

لقد أكثر بعض المفسرين من التعقيب على جواب موسى عليه السلام على سؤال الإله إياه عما يمينه كما جاء فى سورة طه :
وما تلك بيمينك يا موسى . قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى

وعدار تلك التعقيبات جميعاً أن الجواب قد عرض لأشياء لم يتطلبها السؤال ، وهو

وهذا المنهج الإلهي في التعليم هو بعينه ذلك المنهج الذي عاد المعلمون - على أحدث مثال - فقرروه « للتطبيق » في صناعتهم العصرية ، وهم آخرون لا يمارسون هذه الصناعة أن يلتفتوا إليها .

والطريف أن تشترك في هذه المناجاة سيدة معلة فلا تعطى المقام حقه ولا تعلل الإطالة في جواب موسى بمقام التعليم الإلهي لثبته في موضعه ، وإنما يخطر لها ما يدل على انحصار النفس في النفس ولا سيما النفس الانثوية ، فتقول إنما أطلال موسى عليه السلام لأنه أراد أن يتذرع بالإطالة إلى طول الوقوف بين يدي الله !

وجائز أن يكون من أساليب المرأة الخفرة أن تتمحل الأسباب بجواب غير مطلوب للوقوف حيث تريد أن تطيل الوقوف ، ولكنه في « مقام » الاستعداد للعرض بأعباء النذر وأخطار الوعيد وما زق الصدام بين دعوة الحق ورهبة السلطان شيء لا يقع في الحسبان .

وغير هذا وأمثاله كان فهم الإمام الرازي لوجه السؤال ووجه الجواب حيث قال في تفسيره لهذه الآية :

« ها هنا سوالات : الأول قوله : وما تلك يمينك سؤال » .

« والسؤال إنما يكون لطلب العلم وهو على الله تعالى بحال ، فما الفائدة فيه ؟ » .

أمر إذا صدر من نبي جليل وجب أن يفسره المفسر بما يعنى هذه الغرابة ومخالفة المنتظر في جواب نبي مرسل لخالفه الذي أسلم إليه الرسالة .

والخطأ كله إنما هو خطأ الغافلين عن مقام السؤال ومقام الجواب ، أو عن مناسبة القول التي تفهم منها « ما يناسبه » وما يعتبر اختلافاً بين غرض السؤال وغرض الجواب . إن موسى عليه السلام قد فهم السؤال على الوجه الوحيد الذي يتقبل فهمه ولا يتقبل غيره .

إنه عليه السلام قد فهم قطعاً أن الله جل وعلا لم يسأله عما في يمينه ليعلم شيئاً مجهولاً ، حاش لله أن يقع ذلك منه أو أن يقع في خلد عبد من عباده - فضلاً عن نبي من أنبيائه - أنه بما يجوز في حق الإله .

فلو أن موسى عليه السلام قال في الجواب « إنها عصا » ، لكان هذا الجواب أبعد ما يكون عما ينبغي في هذا المقام .

ولكنه أجاب كما ينبغي أن يجيب من هو أهل لاستماع الرسالة الإلهية وإبلاغها إلى عباده وعلم علم اليقين أن السؤال مقصود لتعليمه هو شيئاً مجهولاً ويزيد على ما يعلمه من حقيقة عصاه ، فوجب أن يقول كل ما يعلم من تلك الحقيقة في انتظار المزيد عليها عما يعلمه الله ويريد أن يعلمه إياه .

والمفسر الذى يخطئ* هذا المقام يغفل عن القول وعن غرض القائل والمستمع وينحصر فى ذات نفسه ويقصر به الفهم والتخيل عما وراء شعوره ، أو يحسب السؤال والجواب بعدد الكلمات أيا كان المقام أو المناسبة .

وينقلب الفهم رأساً على عقب بين النظرتين فيصبح الجواب المستغرب هو الجواب الصحيح الذى لا غرابة فيه ويصبح الجواب المنتظر هو الجواب غير المنتظر فى مقامه وهو الجواب الذى يحتاج إلى التعليل والبحث عن باطنى غير الظاهر بين طوابعه . فلو أن موسى عليه السلام قال لما سأله ربه عما فى يمينه : هى عصا أو هى عصاى ، لكان هذا هو موضع العجب : كيف خفى على النبي المرسل أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما يمينه ولا يسأله عن شئ يحمله ويطلب المعرفة به من جوابه .

فإذا فهم كما ينبغي له أن يفهم أن المقام مقام تعليم ، لا استطلاع ، لم يكن له جواب غير جوابه الذى يتطلب المزيد من العلم بما عند الله مما يهديه إليه ، وكان الجواب على قدر السؤال كلمة كلمة وحرفاً حرفاً ولم يكن بالمفسر حاجة إلى أن يتصور أن فى الجواب إطالة غير مطلوبة ، وإنما هى تمحل لإطالة (البقية على الصفحة التالية)

د والجواب : فيه فوائد ، إحداها أن من أراد أن يظهر من الشئ الخبير شيئاً شريفاً فإنه يأخذه ويعرضه على الحاضرين ويقول لهم : هذا ما هو ؟ ... ثم إنه بعد إظهار صفة الفاتحة يقول لهم : خذوا منه كذا وكذا ... قاله تعالى لما أراد أن يظهر من العصا تلك الآية الشريفة ، كأنفلاها حية وكضربه البحر حتى انقلب ، وفى الحجر حتى انفجر منه الماء — عرضه أولاً على موسى ، فكأنه قال : يا موسى ! هل تعرف حقيقة هذا الذى بيدك ؟ وأنه خشية لانضر ولا تنفع ، ثم إنه قلبه ثعباناً عظيماً فيكون بهذا الطريق قد نبه العقول على كمال قدرته ونهاية عظيمته

والفارق بين هذه النظرة من أمثال الإمام الرازى وبين نظرات الناظرين من قبيل من ذكرناهم هو فى الواقع جملة الفوارق الكثيرة بين فهم البلاغة وفهم تراكيب الحروف والألفاظ ، ويجمعها هذا الفارق الجوهرى الواحد وهو د مقام القول ، .

فالمفسر الذى ينتبه إلى مقام القول يفقه مدلول السؤال كيفما كانت عبارته وتركيب ألفاظه وحروفه ويفقه الجواب الذى يناسبه ويوحىه إلى مستمع القول ، على حسب إدراكه لمقامه .

الإسلام محرر العبد

للأستاذ محمد محمد المدني

إن الحرية حق طبيعي لبني آدم الذين كرمهم الله تعالى ، وسوى بينهم ، فهو ربهم جميعاً ، وكلهم أمام ربوبيته سواء ، وهم جميعاً أولاد آدم وحواء ، فلا فرق بينهم في النشأة ، ولا امتياز لفرد منهم على فرد إلا بحسن سلوكهم في الحياة ، وبما يقدمونه من أعمال صالحة .

ولكن الإنسان من قديم الزمان استعبد أخاه الإنسان واتخذة رقيقاً يخدمه ويسخره ويملكه ويبيعه ويشتره ، وكان هذا الرق نظاماً مسلماً به في العالم ، بل كان بعض الفلاسفة يقرر أن الناس صنفان : صنف خلق ليكون سيدياً ، وصنف خلق ليكون عبداً ، وأنهم لم يخلقوا من طينة واحدة : فالسادة والأمراء

بقية المنشور على صفحة ٣٩٢

الحديث في غير غرض من أغراض الرسالة الإلهية . وذلك هو الذي عناء الدكتور عثمان أمين حيث يقول عن منهج الأستاذ الإمام في تفسيره :

ولا بد من هذه النظرة إلى مقام القول في تفسير كل بلاغة ، على حسب مقتضاها . ولكن للقرآن الكريم حكماً غير سائر الأحكام ، لأنه يتطلب من المفسر أن يعرف له مقاماً واحداً في جملة يخالف به كل مقام : وهو مقام الرسالة الإلهية التي يرتبط بعضها ببعض وتنتهي ظواهرها كلها إلى باطن واحد توافقه جميع الأجزاء من السور والآيات متفرقات ومتصلات .

ولا ينسى المفسر هذا المقام الجمل على اختلاف المناسبات واختلاف مقام القول في كل آية وفي كل حكم من أحكام يتواتر في تفصيل آياته . وهذا في لبابه هو منهج كل مفسر يستمع إليه في هذا المقام الجليل ، ولا يجوز لمن لا يستطيعه أن يتصدى لتفسير القول البليغ كيفاً كان ، وأجدر ألا يتصدى لتفسير أحسن القول وأحرأه بالتبصر والوصي والمعرفة بمقام كل مقال .

عباس محمود العقاد

ولا تفرقة ، ولذلك أعلن في صراحة ووضوح ، أنه لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالقوى أو بعمل صالح ، « إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا يقل أحدكم عبدي ولا أمي ولكن ليقل : فتأى وقتأى وغلامى . »

كما أعلن في صراحة ووضوح أنه يجب الحرية ويمجدها ويتشوف إلى تحقيقها ، وأنه يعتبر تحرير الرقاب من أعظم القربات التي يتقرب الناس بها إلى ربه ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم بعد أن بين نعمة الله على الإنسان في خلقه وتكوين أعضائه ، وتكريمه بالعقل ، وهدايته إلى التدين — وهما معرفة الخير والشر يقول القرآن الكريم بعد الامتنان على الإنسان بهذا كله : « فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة فك رقبة . أو إطعام في يوم ذى مسغبة . يقيماً ذا مقربة . أو مسكيناً ذا مقربة ، فهو يعد العقبة الكبرى التي يجب على الإنسان أن يعمل لاجتيازها ، هي احترام الإنسانية في جميع أفرادها ، بتحريرهم من العبودية بملك الرقبة ، ومن العبودية للفقراء المسكين أو اليتيم ، التي من شأنها أن تجعل الإنسان ذليلاً مستضعفاً قابلاً لما يفرضه عليه غيره . »

خلقوا من طينة قوامها نهر الذهب ، والعبيد والأجراء خلقوا من طينة أخرى لا قيمة لها . وكانت المجتمعات الإنسانية قبل الإسلام تفرق في الحقوق بين السادة والعبيد ، فلم يكن من حق الأرقاء أن يتولوا الوظائف العامة ، وإذا اعتدى سيد على عبد لم يعاقب على اعتدائه ، وإذا اعتدى عبد على سيد حقت عليه العقوبة أضعافاً مضاعفة ، وربما وصلت إلى القتل ، وقد نص في أحد قوانين القرون الوسطى بشأن الأرقاء على أنه إذا اعتدى أحد الزوج بأقل إكراه على سيده أو أحد الأحرار أو ارتكب أخف السرقات ، فإن جزاءه القتل .

« وأول قانون صدر لتخفيف ويلات الاسترقاق كان قانون الإمبراطور بترونيان الروماني ، وهو يحرم على السادة إلزام أرقائهم بمقاتلة الوحوش إلا بإذن من القاضي ، وفي عهد الإمبراطور أنتونيان الروماني صدر أمر يقضى بأن من يقتل عبده يعاقب بغرامة ^(١) .

فلما جاء الإسلام لم يرض عن هذا الوضع المهيئ لكرامة بنى آدم ، وكان منطقياً مع مبادئه السامية في تحقيق المساواة والحرية والعدالة الاجتماعية للناس جميعاً دون تمييز

(١) اقرأ كتاب (الإسلام دين عام خالد) للمرحوم العلامة الأستاذ محمد فريد وجدي .

يراجعون أنفسهم في شأنه ويريدون إصلاح خطئهم فيه - « فتحرير رقبة من قبل أن يتأسا ، أى من قبل أن يمس الرجل المظاهر زوجته أو تمسه هذه الزوجة ، وتلك رغبة بادية من المشرع في العتق والتحرير ، ووضع للزوجين في موضع يحملهما على ذلك حملا ، تلبية لرغبتهما الطبيعية في المراجعة وإعادة الحياة الزوجية .

ومن مثل بعبد أو ضربه فكفارته أن يعتقه ، وقد روى في ذلك عن ابن عمر أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من لطم بملوكة أو ضربه فكفارته عتقه » . كما روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له ، فجعل العبد يقول : أسألك بالله ، أسألك بوجه الله - يستعطفه ويناشده بوجه الله أن يتركه ويعفيه من الضرب - ولكن الرجل لم يعفه ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فأنطلق إليه ، فلما رأى الرسول كف عنه وأمسك عن ضربه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم منكرا عليه قسوته : سألك بوجه الله فلم تعفه ، فلما رأيتني أمسكت يدك عنه ؟ يخاف الرجل خوفا شديدا وقال : فإنه حر لوجه الله يا رسول الله ! ففرح الرسول بعد أن كان قد غضب وقال له : أما إنك لو لم تعتقه كفارة لضربه لسفعت وجهك النار !

وبهذا أعلن كرامة الإنسان وحقه في الحرية ، ثم وضع الحطة المحكمة لتصفية الرق على سبيل التدرج تصفية نهائية ولم ير أن يفاجئ المجتمعات بإلغائه دفعة واحدة حتى لا تهتز بذلك اهتزازاً عنيفاً يصيب المتحررين كما يصيب غيرهم .

وكانت سياسته في ذلك : أن يضيق المسالك التي تؤدي إلى الرق . ويوسع المنافذ التي تؤدي إلى الحرية (١) .

فكان من المنافذ الكثيرة أنه جعل العتق كفارة لبعض ما يرتكب من الأخطاء والتقصير ...

« ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة » .
« ومن فطر عامداً في رمضان فعليه أن يكفر »
عن ذلك بمقت رغبة أو صوم ستين يوما متتابعة .

ومن حنت في يمينه فما يكفر به عن حنته هتق رقبة .

وإذا ظاهر الزوج من زوجته ، أى قال لها كما كان يقول العرب قديما : أنت على كظهر أمي ، أى لا تحلين لي ، ثم أراد أن يعود إليها ، فعليه أن يحرر رقبة من العبودية تحقيقاً لقوله تعالى : « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ، أى

(١) اقرأ في ذلك ما كتبه العلامة الدكتور على عبد الواحد وان بكتابه : (حقوق الإنسان في الإسلام) .

فأما مقتضيات هذا الوضع الجديد، فمنها أنها تصبح بمجرد مجيئها بالولد من السيد مستحقة للحرية بعد موته، فإذا مات السيد خرجت من تركته بالغة قيمتها ما بلغت، وتقدم حريتها على كل الحقوق المترتبة على التركة من ديون أو وصايا أو أنصبة للوارثين. واحتفاظا لها بهذا الحق في التحرر بعد موت السيد حكم الإسلام بأنه لا يجوز للسيد في حال حياته أن يبيعها أو يهبها أو يتصرف فيها أى تصرف يعوق تحررها.

وإذن فعلاقتها به أشبه بعلاقة الزوجة بزوجها، لا بعلاقة الأمة بمالكها.

ومن مقتضيات هذا الوضع أيضا أن الولد الذى جاء ثمرة لهذا الاتصال من السيد بها يولد حراً، فلا يتبع أمه كما هى قاهدة الرقيق، ويكون له من الحقوق على أبيه في حياته، وبعد مماته، مثل ما لساثر الأولاد الذين كانوا ثمرة زواج من نساء حرائر. وقد تحرر بسبب هذا النظام كثير من الإمام، وكان لمن أولاد يتمتعون بالنسبة إلى آبائهم الأحرار، ويعيشون مثلهم أحرارا، وقد عرف التاريخ منهم من وصل إلى مرتبة الخلافة - كالمأمون العباسى بن هرون الرشيد، الذى طبق ذكره آفاق الدنيا - وآفاق التاريخ في الحياة وبعد الممات !

محمد محمد المرنى

ومن منافذ التحرير أيضا ما قرره الإسلام من تخصيص جزء من مال الزكاة لعرق العبيد والإماء، وذلك قوله تعالى «للمساكين والفقراء وللغلام والفتاة القلوب»، وفى الرقاب، والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم، فقوله تعالى «وفى الرقاب، معناه: وفى إطلاق الرقاب من قيود الرق، وفى هذا التعبير تصوير للرق بأنه بمثابة الأغلال التى توضع فى الرقاب، وتصوير لمن صار حرا بأنه استرد رقبته، أى استعاد شخصيته وإنسانيته، لأن الغل لا يوضع إلا فى عنق البهيمة، ولا شك أن لذلك إيماء عظيما بكرامية المشرع الرق، وحبه للحرية.

ومن المنافذ التى هيأها الإسلام لتصفية الرق وتحرير العبيد والإماء ما يقرره من أن السيد إذا أتى من أمته المملوكة له، بولد - ذكر أو أنثى - فإن وصفها يتغير ووضعها الاجتماعى ينتقل إلى منزلة غير منزلة العبودية الصرف، فتصبح «أم ولد»، وهذا هو الوصف الشرعى لها بعد ولادتها من السيد وهو وصف فيه تكريم، وله مقتضيات: أما كونه تكريما لها؛ فلأنها أصبحت تشارك مع سيدها فى ولد ينادىها بوصف «الأمومة»، ويناديه بوصف «الأبوة»، ويضفى عليه كل منهما قدرا مشتركا من الحنان والمحبة.

فَتْحَاتُ الْقُرْآنِ

مِنْ مَسَامِحِ الْإِيمَانِ

لِلأَسْتَاذِ عَبْدِ اللطيفِ السَّبْكِ

١ - من منهج القرآن أن يبرز كثيراً
على ذكر المؤمنين ، وعلى ذكر غيرهم من
مناققين وكافرين .

ومن خصائص القرآن في كثير من شئونه
أن يكرر ما ذكره في مقامات عدة ، وذلك

التكرار نمط مقصود في ذاته ، لما يتعلق به
من أغراض أصيلة في التشريع ، وفي التربية
وفي المعرفة بوجه عام .

٢ - وأنت ترى نموذجاً من هذا فيما
معنا من حديث القرآن عن المؤمنين ، وفيما
سنذكره - بعد - من حديثه عن المنافقين .

وكم تحدثت آيات الله في رحاب القرآن عن
ملاح الإيمان التي يشيد الله بها ، ويجهتد بها
إليها ، ويشقنا فيها ، فيذكر لنا أن المؤمنين
في مطلع فجر الإسلام كانوا دائماً عند دهوة

الدين ، وهي أهبة الجهاد لعدوهم الذي يقاوم
دعوة الله .
وما كان الواحد منهم ييخل بنفسه ،
ولا يكتنه كتاب سماوى .. يحث من النفوس
بذور الخبث ، ويركز مبادئ الحق ، ويقوم
معالم الهداية والتربية على أركان قويمه .

فكان من محاسنه ومن دعمه لوسائل
الإصلاح ملازمته للوعى الإنسانى بالتذكير
دائماً ، فهو يعاود الحديث عن الأمر الواحد

من وسائل الجهاد صدقوا في عزيمتهم ، ثم قعدت بهم الحاجة ، فكانوا عند ربهم في مقام الرضا والقبول ، والله - سبحانه - يعدم بالمشوبة ويشهد لهم بالتقوى في قوله تعالى : « والله عليم بالمتقين ، وعلم الله بتقواهم كفيلاً بحسن جزائهم ، فإن نية المرء على عمل الخير جانب من البر ، وهي أنفع له من عمل يقوم به دون اعتزام عليه ، ولا إخلاص فيه .

فما بالك بمن يعزم ، وينفذ ، ابتغاء رضوان الله ... وخاصة في مقام الجهاد والرغبة في التضحية وقد اتسع فضل الله في تشجيعنا على اختيار العمل الطيب ، والقيام بتنفيذه خيفة أن يكون الثواب مكفولاً بأضعافه من عشر أمثال ، إلى سبعائة ، وانظر قول الله في ذلك : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، وقوله تعالى : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبئت سبع سنابل ، في كل سنبل مائة حبة » ، فهذه سبعائة حبة من حبة واحدة ، أو هذه سبعائة حسنة نجمت من حسنة واحدة .

وقد يزيد الله في الجزاء عن ذلك الفضل إلى غير حصر : « والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » .

فهذا البيان - على إيجازه - يبدي لنا شيئاً من ملاح الإيمان ، وما يحرزه المؤمنون .

أو ولده ، أو ماله في سبيل الله ، بل كانوا يتشوفون إلى التضحية بما هو أعز من هذا كله لو أتيح لهم الأعز .

لعلهم أن دنياهم موقوتة ، وأن المقام فيها والتمتع بها لا يساوى شيئاً مما هو مدخر في نعيم الآخرة إن تهيأ له .

فما كان واحد منهم يتوارى عن مؤازرة النبي صلى الله عليه وسلم ولا يستسيغ أن يحثال في التخلف ، أو يتصنع المعذرة يوماً ما للعود مع المتخلفين ، بل على العكس : كان القادر بنفسه وماله كأنه قائم على قدميه ، وأخذ بعنان فرسه : وكلما سمع هيعة - صيحة للجهاد - طار إليها .

وكانت تعرض لبعضهم المعذرة الصادقة بعجزه عن الدابة التي تحمله ، أو عن المال الذي ينفقه ، أو لحاجة أهله إلى سعيه عليهم في المعاش فلا يركن إلى الاعتذار بما هو حق ، بل يحاول أن يسبق مع السابقين ... وكثيراً ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يصرف بعضهم عن الخروج معه ، ويعتذر إليهم بأنه لا يجد من الدواب ما يحملهم عليه في سفره إلى الجهاد ، فينصرف هؤلاء الراغبون ، وأعينهم تفيض من الدمع حزناً لأنهم لا يجدون ما ينفقونه في شراء الدواب أو في نفقة السبيل .

٣ - هؤلاء الراغبون الذين لم يتمكنوا

(ب) من ملاح التناق

« إنما يستأذلك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، وأرتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون » .

- ١ - لم يمكن الدخول في الإسلام أكثر من نطق صادق بالشهادتين ، ثم التزام لما شرع الله . ولكن نفرأ من الناس لم تشرق هداية الله في قلوبهم ، ولم تثبت نفوسهم على عقيدة واحدة ، فكان من هوانهم على أنفسهم أن يتذبذبوا بين كفر جائم في صدورهم وبين إسلام مصطنع تتحرك به ألسنتهم ، ولا تحس به قلوبهم .
- وكانوا لتظاهروهم بالإسلام يدعون إلى الجهاد مع المسلمين ، ولكن تغفل الكفر في جوانحهم يصدهم عن الإجابة ، ويجب لإلهم القعود .
- فكانوا يمتالون في قلبية ما في نفوسهم ويتصنعون المعاذير في التخلف عن الخروج إلى الجهاد .
- والمناقضون - دائماً - أرباب حيل مأكرة ، يستترون بها ، حتى لا يعرف شأنهم الفاضح ، وهم دائماً يخادعون ، ويحسبون أن باطلهم غير مكشوف .
- ولكن الله - سبحانه - بآبى أن يدع الباطل مستساعاً ، وأن يدع الحق مغموراً .
- لذلك - كان يتعهد رسوله والمؤمنين ببيان شأن المنافقين في كل محاولة . ويسجل عليهم الحزى عند كل مناسبة ، ويرمهم بالخداع الماكر ، ويؤكد لهم أن المكر السيئ لا يبيح إلا بأهله .
- ويحذرنا كثيراً في كتابه الكريم أن تقع في حبالهم ، أو تقلد مكرهم .
- ٢ - ومن ملاح نفاقهم هذا ما حدث منهم في غزوة تبوك - في السنة التاسعة من الهجرة فهذه غزوة فتحت عليهم باباً واسعاً من الفضائح ، ردفتهم بإفناء الكثير من من نقصهم ، ومن هذا الكثير : أنهم كانوا يستأذنون النبي - صلى الله عليه وسلم - في التخلف عن الخروج معه في هذه الغزوة ، ويحاولون دائماً أن يعتذروا عن تخلفهم بأسباب مصنوعة ، مع أنهم أقدر من سوامهم على الجهاد لو أخلصوا .
- والله تعالى - بين لنا أن اعتذارهم لم يكن حقاً في شيء منه .
- بل كل لأسباب بمقوتة - هي أنهم لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر : وأنهم يعيشون

المنافقين ، وبين أن من ملاح نفاقهم في غير الحرب أنهم لا يقومون إلى الصلاة إلا وهم في كسل ، وثاقل ، وإذا أنفقوا درهما في عمل طيب فهم كارهون لذلك ، فإن همهم كله ينصرف إلى التظاهر : لا إلى مقصد كريم وهذا ونحوه بما ذكره القرآن يعتبر توجيها لنا إلى تحاشي أعمالهم وأخلاقهم وليس شيء من هذا بما يرغب فيه لإنسان كريم على نفسه فإنها خصال وضيعة وخسائس منكرة .

وقد عني القرآن بالإقاضة فيها والتشجيع عليها أو التحذير منها .

٤ — ومع ذلك لا يزال منها ، بيننا تراث جاهل ، فبيننا تقاعد عن المكارم . . وبيننا كذب في الإيمان . وبيننا تخلف عن الصلوات وعن كثير من تكاليف الإسلام وبيننا إصرار على النقائص ، وهذه ونحوها شوائب مردولة أو تقاليد بغيضة ونحن نعلبها ، ولا يحجبها الكثير من الناس

ولكننا لا نخرج عليها بإصلاح ، ولا نسكفها بتوبة ولا استغفار ، فاللهم اكشف عنا بلاءك ، واهدنا بهديك ، وطهرنا من لوثة النفاق جميعا .

عبد المولى السبكى

في شك يساورهم يزج خواطرم فليسوا ثابتين على إيمان يلمن قلوبهم ، ولا هم على كفر صريح يغلطون في ضلاله وفي غمرته كبقية الكافرين .

ومن تلك الأسباب - أنهم كانوا يحلفون كذبا للرسول قبل خروجه ليصرفهم عن الخروج راضيا أو يحلفون له بعد هودته ليظل يخدوعا فيهم .

فمرة يقولون : والله لو استطعنا لخرجنكم عنكم ، ومرة يحلفون لهم ليرضوهم ، ويعصموا أنفسهم من سوء الظن بهم عند المسلمين .

٣ — وكل ذلك يكشفه الله لهم - وله والمؤمنين ، وبين لهم أن الله سلب المنافقين على أنفسهم ، فهم يعتدرون أو يحلفون وهم كاذبون في كل ما فعلوا أو قالوا ، وأن الله يبطئهم عن الخروج ليكون هذا اقتضاها لأمرهم كله ، وأنهم لو خرجوا مع المؤمنين لأفسدوا شأنهم وفرقوا جمعهم ، وفنقوا من دينهم ، وأنهم يشمتون بالمسلمين إذا حزن بهم أمر كره وأنهم يتألمون في أنفسهم إذا أصاب المسلمين خير في جهادهم لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ، وأن شأنهم على هذا المنوال منذ جاءهم الإسلام ، وهم حاقنون عليه . وهكذا يستطرد القرآن في قصصه عن

الإسلام وثقافة المرأة

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

تثقيفها ، وأن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة . فلم يقنع الرسول عليه السلام لحفصة بالضرورة من شئون المعرفة ، بل طلب لها كذلك الكمال من هذه الشئون ، متمثلاً في فن من الفنون الجميلة وهو تحسين الخط وزخرفته . وروى الواقدي أن عائشة وأم سلمة زوجتي الرسول عليه السلام تعلمتا القراءة والكتابة ، وأنهما كانتا تقرأن ، واكتنهما لم يجيدا الكتابة . وتدل شواهد تاريخية كثيرة على أن أبواب التربية والتعلم بمختلف صفوفهما كانت مفتحة على مصاريعها للبنات في مختلف عصور الإسلام وأنه قد نبغ بفضل ذلك عدد كبير من النساء ، وبرزن في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب وشق أنواع العلوم والآداب والفنون بل لقد كان منهن معلمات فضليات تخرج عليهن كثير من أعلام الإسلام . فقد روى ابن خلكان أن السيدة نفيسة بنت الحسين بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنها وعنه كان لها بمصر مجلس علم حضره الإمام الشافعي نفسه وسمع عليها فيه حديث رسول الله عليه السلام . وعد أبو حيان

لا يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة في حق التربية والتعلم والثقافة ، بل يعطى المرأة الحق نفسه الذي يعطيه الرجل في هذه الشئون . فيبيح لها أن تحصل على ما تشاء الحصول عليه من علم وأدب وثقافة وتهذيب ، بل إنه ليوجب عليها ذلك في الحدود اللازمة لوقوفها على أمور دينها وحسن قيامها بوظائفها في الحياة . وقد حث الرسول عليه الصلاة والسلام النساء على طلب العلم ، وجعله فريضة عليهن في هذه الحدود ؛ فقال عليه الصلاة والسلام في بعض روايات هذا الحديث : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . وضرب عليه السلام أروع مثل في الحرص على تعليم المرأة وتثقيفها بما فعله مع زوجته حفصة أم المؤمنين . فقد روى البلاذري في كتابه فتوح البلدان ، أن الشفاء العدوية ، وهي سيدة من بنى هدي ، رهن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كانت كاتبة في الجاهلية ، وكانت تعلم الفتيات ، وأن حفصة بنت عمر أخذت عنها القراءة والكتابة قبل زواجها بالرسول عليه الصلاة والسلام . ولما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم طلب إلى الشفاء أن تتابع

في علوم القرآن والحديث والفقه والكلام واللغة وشق أنواع العلوم والفنون والآداب. وكتب التاريخ والأدب العربي، وخاصة كتاب الأغاني، مملوءة بأخبار هؤلاء الجوارى وما بلغنه من شأور بعيد في هذه الميادين، وما كان لمن من فضل في النهوض بالثقافة الإسلامية والعربية. بل إن هذه الآثار لتدل على أنه قد تبخ من الجوارى معلمات فضليات تخرج عليهن كثير من أعلام الإسلام فمن ذلك ما رواه المقرئ في كتابه «نفع الطيب»، أنه كان لابن المطرف اللغوي جارية أخذت عن مولاه النحر واللغة ولكنها فاقته في ذلك، وبرعت في العروض على الأخص، ومن ثم سميت بالعروضية، وأنها كانت تحفظ عن ظهر قلب كتابي «الكامل»، للبردو «الأمالي»، لابن علي الغالي، وتشرحهما، وأنه قد درس عليهما كثير من العلماء هذين الكتابين، وعنها أخذوا العروض، وروى ابن خلكان أن شهدة المكاتب، وكانت جارية في الأصل، كان لا يشق لها غبار في العلم والأدب والخط الجيد الجميل، وأنه قد سمع عليها وأخذ عنها خلق كثير.

ومن طريف ما يروى في هذا الصدد وما يدل على مبلغ ما وصلت إليه الجوارى في ميادين العلوم والفنون والآداب في ظل

من بين أسانذته ثلاثا من الفناء، هن : مؤنسة الأيوبية بنت الملك العادل أخى صلاح الدين الأيوبي ؛ وشامية التيمية ؛ وزينب بنت المؤرخ الرحالة الشهير عبد اللطيف البغدادي صاحب كتاب : «الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعماينة بأرض مصر» .

ولا يفرق الإسلام كذلك بين الحرية والأمة في حق التربية والتعلم ، بل إن الرسول عليه السلام لم يحث على تعليم الحرية ولم يرغب في تثقيفها بمقدار ما حث على تعليم الأمة ورغب في تثقيفها وتأديبها ، ليمتدح لها بذلك فرصاً للحرية والمجد ، ويحقق هدفاً من أهم أهداف الإسلام في شئون الاجتماع ، وهو إشاعة الحرية بين الناس وتصفية الرق في أقصر وقت مستطاع . فقد روى البخارى في صحيحه عن أبي بردة عن أبيه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها وتزوجها ، فله أجران» .

وينبئنا التاريخ الإسلامى أن فرص الثقافة والتعلم كانت متاحة للجوارى على الأخص في أوسع نطاق في مختلف العصور الإسلامية ، وأن هذه الفرص قد آتت ثمراتها الطيبة ، فأنشأت من الجوارى آلافاً من المبرزات

هذا الصدد أنه كان بين خالد بن عبد الله القسري والكميت بن زيد خصومة ومنافرة فأراد خالد أن يكيد إلى خصمه ويوغر ضده صدر هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي في ذلك العصر ، فاشترى ثلاثين جارية من كبريات العائلات الأدبيات ودسهن مع نخاس إلى هشام ابن عبد الملك . فاستراهن جميعا . فلما أنس بهن استنطقهن فرأى فيهن نهاية الأدب والفصاحة . ثم استقرأهن القرآن فقرأنه على أحسن ما يكون . ثم استقشدن الشعر فأنشدنه قصائد الكميت بن زيد (وهو شاعر من شعراء الشيعة ، ومن أنصار زيد بن علي زين العابدين بن الحسين ، الذي خرج على الأمويين ودعا لنفسه وقتل ، وبقيع مذهبه فرقة الشيعة الزيدية التي يتألف منها الآن نحو ثلث سكان اليمن) في مدح بني هاشم ، وهي القصائد المعروفة بالهاشميات ، مجموعة قصائد في مدح بني هاشم وذم بني أمية والاستدلال على أحقية بني هاشم بالخلافة ، وقد جمعها الكميت في ديوان اشتهرت قصائده باسم الهاشميات ، ومن أشهرها قصيدته البائية التي يقول فيها في مدح بني هاشم ومبلغ تشييعه لهم :

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب
ولالعباً منى ، أذر الشيب يلعب ؟
ولكن إلى أهل الفضائل والنهي
وخير بني حواء ، والخير يطلب

الإسلام أن هارون الرشيد قد عرض على جارية قيل في وصفها إنها نابغة في مختلف ألوان الثقافة ليشترها بألف دينار (وكان ذلك ثمنا باهظا حينئذ) . فرضى أن يدفع فيها هذا الثمن إذا تبين أنها كما وصفت لا يثق لها غبار في ميادين العلوم والفنون والآداب . ثم جمع الأعلام من علماء الشريعة واللغة والطب والفلك والفلسفة والرياضة ومهرة اللاعبين بالشطرنج ، وقدم تلك الجارية إليهم ليختبروها ويعرفوا ما لديها . فكانت تجيب كل عالم عما يسألها عنه ، لإجابة سديدة ، ثم تقول له :

إن على سائلنا أن نسأله

والعبء لا تعرفه أو تحمله

أى إنك لا تعرف ثقل العبء حتى تحمله أنت نفسك ؛ ثم تسأله سؤالا يعييه ولا يستطيع له جوابا .

ولقد أصبح للجواري ، بفضل ما بلغنه من شأو في هذه الميادين في ظل الإسلام وتعاليمه مكانة كبيرة في العالم الإسلامي ، حتى لقد كان لمن أثر ذو بال في سياسة الدولة نفسها . فكان معظم خلفاء بني العباس من أبناء الجواري ، وكثيرا ما كانت الجواري يتدخلن وكثيرا ما كن يستخدمن في شئون سياسية خطيرة ، ومن طريف ما رواه أبو الفرج الأصفهاني في كتابه « الأغاني » في

واستقبلت مرة واحدة
لأنما العاجز من لا يستقبل
ففتها له ، حتى إذا وصلت إلى هذين
البيتين غنمما بلحن مؤثر قوى ، وأطادت
غناءهما عدة مرات ، فمرت الرشيد هزة
خفيفة ، وانتفض من مكانه وقال : إى واقه
لانى لعاجز ، وكان ما كان من جراء ذلك من
نكسته للبرامكة وقضائه على ما كان لهم من
سلطان في دولته .

ومن هذا يظهر أن الإسلام قد هيا للنساء
على العموم فرصا للتربية الراقية ، من انتهزها
منهن بلغن أعلى المراتب التي قدس للرجال
بلوغها . فلم يكن السبب في الجهل الذي كان
فاشيا بين النساء المسلمات في الجيل الماضي
واجعا إلى النظم التربوية في الإسلام ، وإنما
كان السبب في ذلك انحراف المسلمين عما سانه
الإسلام من نظم في شئون التربية والتعليم ،
وإذا كانت الأمم الإسلامية قد اتجهت في
العصر الحاضر إلى تربية البنات وتثقيفها فإنها
في ذلك لم تأت بدعا من العمل في تاريخها ،
ولأنما أحييت سنة صالحة منها النبي صلى الله
عليه وسلم ، وأخذ بها الخلفاء والأمراء
من بعده .

وبحسبنا لبيان ما وصلت إليه النظم التربوية

إلى النفر البيض الذين مجبهم
إلى الله فيما نابى أتقرب
بنى هاشم رهط النبي فإنى
بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب
ويقول فيها عن أحقية بنى هاشم بالخلافة
وسفه بنى أمية إذ يدعون حقهم فيها بالوراثة :
وقالوا وورثناها أبانا وأمنا
وما ورثتهم ذاك أم ولا أب
يرون لهم فضلا على الناس واجبا
سفاها وحق الهاشمين أرجب
ولكن مواريث ابن أمية الذي
به دان شرقي لكم ومغرب
فإن هي لم تصلح لحي سواهم
فإن ذوى القربى أحق وأقرب)
وكان خالد قد أوعز إليهم بذلك ليوغر
صدر هشام ضد الكمية . فنجح فيما قصد
إليه .

وروى ابن عبدربه في كتابه العقد الفريد
أن أعداء البرامكة من بطانة الرشيد أرادوا
أن يحركوا حفيظته ضدهم ، ويسلطوا عليهم
بأس انتقامه ، فأوعزوا إلى جارية من
جواريه الأدبيات أن تغنيه قصيدة عمر
ابن أبي ربيعة التي منها هذان البيتان :

ليت هندنا أنجزتنا ما تعد
وشفت أنفسنا مما تجد

على إعدادهم للأعمال الجسمية التي خلقوا من أجلها ، وهى أعمال الزراعة والصناعة وما إلى ذلك ، وكذلك شأن النساء على العموم في نظره ، فإن الطبيعة لم تزودهن بأى استعداد عقلى يمتد به ، ولذلك يجب أن تقتصر تربيتهم على مشئون تدبير المنزل والحضانة والأموعة .

ولم يكن أرسطو في ذلك معبرا عن رأيه الشخصى ، وإنما كان مسجلا لما كان يجرى عليه العمل في دولة أثينا التي يعدون نظامها أرقى نظام ديمقراطى في الأمم السابقة للإسلام ولذلك حينما قرر أفلاطون في مدينته الخيالية « الجمهورية » مبدأ مساواة المرأة بالرجل في حق التعلم والثقافة والاضطلاع بمختلف الوظائف كانت آراؤه موضع تهكم وسخرية من مفكرى أثينا وفلاسفتها وشعرائها . حتى إن أريستوفان حميد شعراء الكوميديا في ذلك العصر وقف تمثيليتين اثنتين من تمثيلياته على السخرية بهذه الآراء ، وهما : « برلمان النساء » و « بلوتوس » .

دكتور على عبد الواهد وفى

الإسلامية من سمو بالقياس إلى الشرائع الأخرى أن نوازن بينها وبين ما يمدونه أرقى نظام ديمقراطى قبل الإسلام ، وهو نظام حكومة أثينا في العصور السابقة للبعث الإسلامى . فقد كانت قوانين أثينا لا تمنح فرصة الثقافة والتعلم إلا للأحرار من ذكور اليونان . بينما توصدها لإحصادا تاما أمام النساء والعبيد والموالى والأجانب ، وقد عبر عن وجهة نظرم هذه أصدق تعبير ، وصاغها في صورة نظرية علمية ، كبير فلاسفتهم أرسطو ، إذ يقرر في كتابه « السياسة » أن الآدميين ينقسمون فصيلتين : فصيلة مزودة بالعقل والإرادة وهى فصيلة اليونان ، وفصيلة غير مزودة إلا بقوى الجسم وما يتصل اتصالا مباشرا بالجسم كالغريزة والعادة ، وهى فصيلة العبيد والموالى والأجانب ، ومن أجل ذلك يرى أنه من الواجب أن يقصر نطاق التعلم والثقافة العقلية على اليونانيين . أما من هدام من العبيد والموالى والأجانب فليس في طبيعتهم أى استعداد لتلقى العلوم والمعارف ولذلك يجب أن يقتصر في تربيتهم

قال السكيت :

لطول ولا الأحداث تفنى خطوبها
بعض من الأقوام إلا لبيها
له وبه محروما ومصيها

ألا لا أرى الأيام يقضى عجيبها
ولا عبر الأيام يعرف بعضها
ولم أر قول المرء إلا كنبه

من صفحات الأندلس

ملك يكفر عن خطيئته

للأستاذ محمد رجب البيومي

الأمانى حيث يجب أن يفيق من أوهامه ويرجع إلى حقيقة وضعه من العذر المترص به وبزملائه جميعا في الأندلس ١١ على أنه لم يتسكّر هذه الأمنيات ابتكارا وإنما ورثها من أبيه المعتضد ، فقد خطا الخطوات الأولى في سبيل تحقيقها ، وحين صدمه الواقع في آماله لم ينكسر على عقبيه ليتبين الممواة التي توشك أن تنفجر تحت قدميه ولكنّه أخذ يحيك الأمانى من جديد ١ وانطلق يتحدث عنها بمسامح أولاده الأمراء ، حتى امتلأ المعتضد بما سمع وورق في ذهنه أن توحيد المدين الإسلامية سيتم على يديه ، بل إنه شاهد أباه ينهض بسيفه فيحز رقبة شيخ ناصح تقدم إليه في مجلسه راجيا أن يترك التحرش ببلاد الإسلام على حين وصول ملك قشتالة الإفرنجى بجبروته وطغيانه مهددا ملوك الطوائف دون استثناء ، وقد بلغ من سيطرته المتمكنة أن فرض الجزية على هؤلاء جميعا فأصبحت أموال المسلمين تنهب إليه عن يد وهم صاغرون ١ وقد خشي المعتضد على آماله من جرأة هذا القاضي فأورده الخنف شهيد الرأى والنصيحة كيلا يشجع

حين أصدر الأستاذ على أدم كتابه من المعتضد بن عباد في سلسلة أعلام العرب كان اعتراض بعض الناقدين عليه أن هذا الملك البائس لا يسمو بأعماله إلى مستوى الأعلام ١ وقد يكون في تاريخ المعتضد بعض الأخطاء الكبيرة التي تقعد به عن مستوى البطولة الباهرة ، ولكن الإنصاف يدفعنا أن نذكر حسناته مع سيئاته ، وإذا كانت الحسنة خاتمة هذه الأعمال المتناقضة فإنها جديرة أن تكون بمثابة الاستغفار من ذنب عظيم ١١

لقد عهد ملوك الطوائف بالأندلس عهدا بائسا قلما ، تزلزله المطامع والأهواء ، ويهدده الاضطراب الداخلى والتحرش الخارجى ، وقد قدر للمعتضد أن يكون أقوى ملوك الطوائف نفوذا وأبدهم تأثيرا ... وكانت قوته النسبية تدعوه إلى التحرش وتطامع به إلى الوثوب على إخوانه لتتد رقعة ملكه حتى خيل إليه وهو شاعر ذو خيال بعيد أنه يستطيع أن يجمع المدين الإسلامية تحت لوائه ومن سوء حظه أنه وجد من رجال حاشيته من يزين له هذا المظلم ، ويعمد له أسباب

كانت ثقة المعتمد بوزيره أبي بكر بن حمار وبالا عليه ، فقد كان هذا الرجل انتهازياً لا يفكر في غير نفسه ، وقد أظهر من الولاء للمعتمد والتفاني في استرضائه ما يمكن له من نفسه ، حتى صار نديم بساطه وصاحب سره وكان في اتفاق ميولها نحو الأدب والشعر والغناء ما أكد هذه العلاقة ورفع صرحها على أساس من الثقة والإخلاص في رأى الملك المخدع ، وكان ابن حمار سوقه غاملاً يمدح الرعاع ، ولكنه حين اتصل بالمعتمد اتخذ الأدب مطية للرياسة والجاه ، ورأى من تشجيع صاحبه ما بسط له حبل الأمل ، فأخذ يرقى ذروات المجد على يده حتى أصبح وزيره المختار ، ولم تكن مبادئه لتحول دون التدهور إلى مسالك شائنة من الضرر والعقوق يضرهما في نفسه متى أتيح له أن يمجّد ممتقناً شاسعاً لآماله ، إذ أنه لم يقنع بالوزارة ، وطمح إلى الملك فاستقل بإحدى ولايات سيده وجابهه بالعصيان دون حياء ثم أتت الريح بما لا يريد ، فوقع في قبضة المعتمد وأورده الخوف جزاء لما اقترفت يده ، ولم يجده شيئاً ما كبر من اعتذاريات القصائد وتوسلات الأدب ، بعد أن كشفت الحوادث عن معدنه الخسيس ، هذا الرجل الوصولي المتهتم أخذ يغري المعتمد أثناء حظوته لديه ، بتحقيق آماله في السيطرة

غيره من القضاة على النقد والاعتراض ! فالمسألة في رأيه لا تقبل النصيحة والروية ولا عليه أن يسفك دماء الأبرياء ليؤكد في الأذهان رغبته الملحة في السيطرة على بلاد الإسلام في الأندلس فإذا همس بعض خاصته بتحرش الفونسو وتربصه قال في دهاء ، سنفرغ إليه بعد حين ! أجل ، ورث المعتمد ملك أبيه وأوهامه معاً ، فأكاد ينتقل إليه السلطان حتى أخذ يثير أسباب العداء بينه وبين زملائه المسلمين ، وقد سعى بحموشه ليحطم الأقربين من جيرانه بما اضطرهم أولاً إلى مخالفة العدو والتنازل له عن كثير من الحصون ، واضطره ثمانية إلى أن يسلك مسلكتهم في التزلف إلى الفونسو ملك قشتالة ! وذلك ما كان يتوقعه الداهية المتربص إذ كان يقدر قيمة هذا التنازع المستمر بين المسلمين ، ويعمل على إذكائه وإيقاده غير عابئ بما عقد من الموائيق ! ! فحين سمعت رسل المعتمد إليه أدار الرأى في دهاء ثم وقع معه معاهدة آثمة كانت أفدح خطأ وقع فيه المعتمد ، وقد ترتب عليها من النتائج الخطيرة ما دفع المتعاهدان بعد حين إلى الجهر بالخصومة والتهديد بالحرب ثم اشتعالها على نحو مريع ، وسنجد الآن أهداف هذه المعاهدة لتدرك من يقين ما تمخضت عنه من أحداث :

لقمة سائغة في فم الفونسو وكانت أول معقل
يهوى في الأندلس من حصون الإسلام ! !
عظمت النسكة الفادحة بسقوط طليطلة ،
وأحس ملوك الطوائف جميعاً أن الخطر قاب
قوسين منهم وأفاق المعتمد من سكرته ليلبس
تجبر الفونسو واستعلاءه ، إذ أرسل إليه
رسله يطلب بعض الحصون . ويسأل مضاعفة
الجزية ، ويلوح بالقتال ، ثم بالغ في وقاحته
فأرسل يطلب أن تأتي زوجته إلى جامع
قرطبة لتلد فيه من حمل كان بها استجابة لرأى
القديس والأساقفة ، إذ أن الجامع قد أقيم
على أنقاض كنيسة مقدسة تلتصق لديها البركات
على أن تترك الزوجة قبل أيام الميلاد بمدينة
الزهراء غرب قرطبة ، لتختلف منها إلى الجامع
المذكور ، بين طيب التفسير ورقة الماء ، ثم
أودف ذلك المطلب العجيب بإيفاد رسوله
اليهودي ابن شاليب على رأس جماعة من
وجوه القشتاليين ، فضربوا خيامهم بظاهر
أشبيلية وأحدثوا من الضوضاء والجلبة
ما أعلن استنثارهم المتكبر وتغطرسهم السفية
فأسرع المعتمد بإرسال الجزية إليهم كي
ينصرفوا مسرعين ، ولكن ابن شاليب يرى
بها في غطرسة ويصيح : والله لا أخذت هذا
العيار ولن آخذ منه إلا مشجراً وبعد هذا
العام سأخذ منه أجفان البلاد ردوه إليه ! ،
ووصل القول إلى المعتمد فثارت نخوته وأمر

على جيرانه معتمداً على تأييد عدوه الآل
الفونسو السادس ملك قشتالة وكان المعتمد
على استعداد للثروة الناقصة على بني ذى النون
أصحاب طليطلة ، إلا أنه يخشى سطوة الفونسو
فهو حليفهم البارز ، وربما انتهر الفرصة
ففاجأ المعتمد بجيوشه ، وأوقع به من الهزيمة
ما لا يرضاه .

ولكن أبا بكر بن همدان أغراه بعقد معاهدة
مع هذا العدو المتربص ، لا على أن يترك
طليطلة للمعتمد فيقتضي من مفاوضاته ، بل على
أن يقوم الفونسو السادس بغزو طليطلة
وضمها إلى أملاكه بعد أن يترك المعتمد حراً
في غزو ما سوى طليطلة من البلدان ، ولم يعبأ
الفونسو بمعاهدته مع بني ذى النون ، وأنى ؟
وهو الذى غدر بإخوته من أبيه وقتلهم
واحداً واحداً دون إشفاق ، فاحتبل الفرصة
ووقع على يد أبي بكر معاهدة تتيح له أن
يغزو طليطلة دون اعتراض المعتمد ، ثم وجه
جيشه الحاشدة إلى الفريسة الصغيرة
المتضعضعة والتفت صاحبها يحيى بن ذى النون
ليجد السيل يحرقه من كل مكان ، فاستغاث
بجيرانه المسلمين فلم يسعفه غير الملك الباسل
الابن عمر بن الأفطس صاحب بطليوس !
إذ قام بواجبه بأزلاً أقصى ما يبذل من الجيش
والحيلة والسلاح ، ولكن قوته لم تسعف
بما يدفع طغيان الإفرنج ، فسقطت طليطلة

مسلم ينقذ البلاد سواء أضافها إلى حوزته أم تركها عن طواعية واختيار !!

وقد وجد ابن عباد معارضة شديدة من بعض ملوك الطوائف ومن أهل بيته فأولئك يقولون « إن الملك عقيم والسيوف لا يجتمعان في غمد ، وهؤلاء يقولون بلسان ابنه الرشيد « يا أبت أئذ دخل علينا في أندلسنا من يسلبنا ملكنا ويبدد شملنا ، والمعتمد يقول لأولئك وهؤلاء « إن رعى الجبال عند ابن تاشفين خير من رعى الخنازير عند الأذفونش ، والله لا يسمع عني أبداً أني أهدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى فتقوم على اللعنة في منابر الإسلام كما قامت على غيري . » ثم يقول « إني من أمرى هلى حالين حال شك وحال يقين ، ولا بد لي من إحداهما ، لأنني إذا استندت إلى ابن تاشفين أو إلى الأذفونش فن الجائز أن يني لي كل منهما بعهد ومن الجائز ألا يني فهذه حالة شك ، ولكنني إن استندت إلى ابن تاشفين أرضيت الله وإذا استندت إلى الأذفونش أسخطت الله ، فهذه حالة يقين . »

هذا التفكير المؤرق الساهد ، يكشف عن ندم المعتمد ، ويصور هول المأساة في ضميره وحديثه عن رعى الجبال والخنازير يدل دلالة تامة على تفكيره في الإسلام لا في نفسه وقد تعاضمه أن تردد منابر

بسجن القشتاليين جميعاً ، ثم جرد اليهودي وصلبه قتيلاً ، وبذلك وقف وجهها لوجه أمم الفونسو ، ولاحت المنذر مهددة بشر مستطير .

أدرك المعتمد فداحة خطئه حين ترك طليطة لعدوه الألد ، واستشعر نداماً يؤرقه ويضنيه ثم جاءته الأنباء أن ملك قشتاله أخذ يحرق القرى الإسلامية ، ويقتل من تصل إليهم يده من الناس ، وقد خرب إقليم شذونة وشن الغارات على مرسية وتقدم إلى غرناطة ثم حاصر سرقسطة !! فلا بد من قوة توقف تياره المبيد ! ثم اتجه به ذهنه إلى الاستعانة بأمير المسلمين بالمغرب يوسف بن تاشفين !! فهو في سطوته وشدة من يستطيع أن يؤدب هذا الطاغية المريد !! ولم تكن الاستعانة بهذا الأمير القوي بما يسهل استساغته لدى ملك حريص كالعتمد ، فيوسف بن تاشفين صاحب مطامع وأهواء وسيجد بالأندلس متنفساً جديداً لمطامعه بعد أن قضى على أمراء المغرب وجمع البلاد في حوزته !! وكان والده المعتضد يخشى بأسه ويوصى بالحذر من سطوته ! ولكن فظاعة الفونسو من ناحية ، وخطيئة المعتمد في مأساة طليطة من ناحية ثانية قد هونتاه عليه كل عاقبة ، وكأنه أراد أن يكفر عن سيئته البلاء باستدعاء أمير

المستبشر، وقد ثارت حاشية المعتمد على هذا المطلب الغريب، ولكنه كان مدفوعاً إلى استقباله بشعور قوى غالب جعله يقبل كل ما يريد.

وقد انطلق يوسف بسبعة آلاف من جنوده فقط إلى الأندلس وفي ذلك من الحيلة - كما أرى - ما يكشف عن حقيقة مأرب ابن تاشفين، إذ لو كان كما تصوره بعض الروايات الساذجة مدفوعاً إلى الجهاد حسبة لوجه الله وحده لأمر بطوفان لجب من جيشه الجرار ليعبر به دون اشتراط، فيكون اللقاء بين المسيحية والإسلام حاسماً في أول معركة تشتعل!! وقد جرى السكاتبون على إسناد الانتصار إليه وحده في معركة الزلاقة التي تم فيها اندحار ملوك النصرانية، أجمعين!! ولو تأملنا الحوادث في تعاقبها المتدافع فإننا نجد للمعتمد فضلاً لا يقل عن فضله في هذا الانتصار حين هم الفريقان بالصيال بعد أن جمع الفونسورايات النصرانية تحت قيادته وجاءته الأمداد المسعفة من فرنسا وأوروبا، دارت الرسائل بين الفريقين، فلجأ الفونسو إلى الحديفة وكتب إلى المعتمد يقول: «غدا الجمعة وهو عيدكم وبعده الأحد وهو عيدنا فليكن لقاؤنا الاثنين، فعرف المعتمد بذلك يوسف، فقال: نعم نوافقه على بدء القتال يوم الاثنين (وفي بعض الروايات يوم السبت)

الإسلام لعناته، فأقدم على الاستعانة بابن تاشفين تكفيراً عن ذنب فادح اجترمه، ولتأت الأيام بعد ذلك بما تريد!

كان يوسف بن تاشفين في ذروة مجده، وقد أخضع المغرب لسلطانه، وتطلع إلى ميدان آخر يرى فيه بقوته وصلاحه! وقد دلت أعماله فيما بعد على ما كان يأمله من امتلاك الأندلس وضخها إلى رفعة الفسيحة، ولم يكن يثنيه عن النهوض إلى ذلك قبل استدعاء المعتمد وزملائه غير جهله بمسالك الأندلس ودروبها، إذ أن قواده لم يألفوا غير حرب الصحراء، وليس فيهم من شاهد أسبانيا ودرس حصونها ومواقعها، فالتجاذفة بالعبور إليها أمر غير مأمون العاقبة، وربما اتحد ملوك الطوائف وملوك النصرانية على حربه، فيحوب بصفقة المغبون، فلما جاءت الدعوة من ملوك الإسلام إلى إنقاذ البلاد من مخالب النصرانية المتوثبة صادفت رغبة أكيدة في نفسه، ولكنه لجأ إلى الاختبار الفاحص حين طلب من المعتمد أن يتنازل عن الجزيرة الخضراء لتغذو معقل حاميته، ومربط ذخيرته وأجناده، ولم يكن بحاجة إلى هذا المطلب، فلوك الطوائف يستصرخون به عائدين، ويستقبلونه مرحبين، وفي كل مكان سيجد بينهم المثنوى العزيز، والترحيب

أبو هاشم هشمتي الشفار
فله صبرى لذاك الأوار
ذكرت شخيصك تحت العجاج
فلم يثنى ذكره للفرار ..
ثم أقبلت جيوش المرابطين وتم النصر ...
لا نريد أن يفهم القارى أننا نقتل من دور
ابن تاشفين في معركة الزلاقة ، واسكننا نريد
أن نذكر أن ثبات المعتمد ورأيه قد أسهما
في النصر إلى حد كبير ، بل نزيد على ذلك
فنذكر أن يوسف لو قبل رأى المعتمد بعد
انتهاء المعركة لتغير وجه التاريخ ، فقد انكسر
الفونسو متقهقراً ببقايا قلوب المنهزمة ورأى
المعتمد أن تدبهم الجيوش الإسلامية لتقضى
عليهم القضاء الأخير ، ولكن يوسف خالف
ذلك وتعلل بقوله : دلو اتبعضام اليوم
لنى فى طريقه أصحابنا المنهزمين راجعين إلينا
منصرفين فيهلكهم ، بل نصبر بقية يومنا
حتى يرجع إلينا أصحابنا ويجمعوا بنا ثم نرجع
إليه فنحسم داءه ، فأجابه المعتمد إنه إن فر
من أمامه لقيه أصحابنا المنهزمون فلا يعجزون
هنا . ولكن يوسف أصر على رأيه .

ونحن نعلم أن ابن تاشفين وجل مجرب
مارس الحرب أهوا ما طوالا ، وقد كان في نحو
الثمانين من همزه حين دارت معركة الزلاقة ،
ونكوصه عن متابعة المنهزمين لم يكن مما
يشير به عقل فطن أريب ، إلا أن يكون

لأن الملوك لا يقدرون ، وليس من المنتظر
أن يلوم فيفاجئنا بالقتال يوم الجمعة ، ولكن
المعتمد واجه يوسف بما يعرفه من لؤم
الفونسو وخديعته فلم يستمع إليه ! فأثر
بعد ذلك أن يحتاط بنفسه للأمر ، وأمر
جميع جيوش الأندلس الإسلامية أن تتأهب
يوم الجمعة ، وقد صح ما توقعه هذا الرجل
البصير ، فقد هجم الفونسو بقوته المحشدة
حين نادى منادى الجمعة للصلاة ، فلاقته
جيوش المعتمد وثبت عند الصدمة الأولى
ثبات الأبطال ، يقول الأستاذ هلى آدم :

ومال الفونسو على المعتمد بمجموعه ،
وأحاطوا به من كل جهة فاستمر القتال فيهم
وصبر ابن عباد صبرا لم يعهد مثله لأحد ،
واسقطاً يوسف ، وهو يلاحظ طريقه ،
وعظمت الحرب واشتد الإلء وأبطأ عليه
الصحراويون وساء ظنون أصحابه وانكشف
بعضهم وفهم ابنه عبد الله ، وأنحن المعتمد
جراحات ، وضرب على رأسه ضربة فلقت
هامة حتى وصلت إلى صدغيه ، وجرحته في
يديه ، وطعن في أحد جانبيه وعقرت تحته
ثلاثة أفراس كلها هلك واحد قدم له آخر ،
وهو في ذلك يضرب شمالاً ويمينا ، وتذكر
في هذه الحالة ابناً صغيراً كان مغرماً به تركه
بأشيلية هلياً كنيته أبو هاشم فقال :

الطوائف خطراً عاصفاً يهب عليهم من رياح يوسف . ثم رأوا غدره السافر حين وفد بجيوشه الجرارة ليستأصل شأفتهم جميعاً ، وكانت قسوته الطاغية مضرب المثل ، فقد هدم المنازل والحصون ثم قتل الأمراء والملوك ، ومن أواد استدلاله أبقاه كالمعتد - أسيراً في أهله يتجرع كئوس المذلة والندم ، ويعانى مرارة الفاقة والبؤس حين يجد زوجته وبناته يضطرون إلى غزل الصوف ويبيعن ليجدن ما يأكلن ، وتلك قسوة مفرطة نتمس لها وسائل التبرير فلا نجد ، وقد كان في مقدوره وقد انتزع هؤلاء من سلطانهم العزيز ألا يفتك بمن قتل وألا يذل من استبغى وحسبه أن يقيموا بإفريقية بعبيدين عن أوطانهم في وغد من العيش ووفر من المال وكفاهم ما تعاني أرواحهم من ذلة الأسر ومرارة الاغتراب وحسرة التشريد بعد الابهة والسلطان .

لقد كان المعتد - فيما أرى - يتوقع هذا المصير ويخشاه ، ولكنه اندفع إليه ليكفر عن سيئته المنكرة ، حين عاهد القونسو على الغدر بملوك المسلمين ! ولعله كان في أمره يستروح بعض العزاء إذواجه أهون الشرين ، حين رعى الجبال في الصحراء لدى يوسف ، وعصمه الله من مرعى الخنزازير لدى الإذفونش .

محمد رجب البيومي

المدرس الأول بدار المعلمين بالقيوم

قد رأى بينه وبين نفسه أن القضاء النهائي على جيش النصرانية لا يمكن له من البقاء كما يأمل في الأندلس ، فلا بد من انتظار موقعة ثانية بعد أن تتأصل أركانه في البلاد ! وفي قوله للبعتمد عند بداية الحرب : إن الملوك لا يغدرون ما يكشف عن نيته في امتلاك البلاد ، إذ كان يود أن ينزح المعتد وملوك الطوائف حين يفاجئون بالجيوش وحدهم ! ثم يأتي جيشه المرابط حين يتطلبه الموقف فيغوز بشرف النصر بعد أن تنضع مضجع قوى النصرانية ، وإلا فهل يعتد يوسف بينه وبين نفسه أن الملوك لا يغدرون ، وهو ملك عاهد ثم غدر ، فنكل بملوك الطوائف حين استسلموا له وتركهم بين قتيل وأسير ، مهما يكن من شيء فقد انتهت معركة الزلاقة بهزيمة النصرانية وانسحابها إلى معاقلها ، لتستأنف الصيال من جديد !

ونت أهازيح النصر في بلاد الإسلام واستقهر الأندلسيون حياً غامراً للبطل المنقذ يوسف بن تاشفين ، وكأني به وقد أخذ يتنزه في رياض الأندلس فشاهد من جمال حدائقها وكثرة أنهارها وبهجة قصورها ، ودلائل عزها وحضارتها ما أكد لديه ضرورة اقتزاعها من ولاتها المتناحرين ، فأخذ يوقع الضغينة بينهم ، ويشجع الفقهاء على شكائهم ثم يواجه الشاكي بالشاكي ليفسح أسباب الجفوة والنفور ، وهكذا أحس ملوك

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

٥ - المزايا التطبيقية

لا يوجد في العرف الإسلامي ما عرف ويعرف في غيره بالنظام الطبقي ، ذلك لأن هذا النظام يقوم على أساس ظلم آثم ، إذ هو اتفاق عدد من الأفراد أو الهيئات عن يعيشون في مستوى اقتصادي واحد أو متقارب على استغلال غيرهم . والاستثمار بأكبر قدر ممكن من الخيرات والخدمات التي تحقق لهم امتيازات خاصة بهم ، والمسلمون كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « تكافأ دماؤهم ويسمى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم ، وأقربهم إلى الله كما يقول جل شأنه : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

فاتفق بعضهم على استغلال بعض من التعاون على الإثم والعدوان الذي نهى الله عنه ، وتواطؤ الأقوياء أو الأغنياء على ظلم الضعفاء أو الفقراء منكر لا وجود له في نظام يقوم على العدل والإحسان ، صحيح أنهم - وأن الناس في كل مكان - يتفاوتون في الدرجات على حسب اختلافهم في المواهب والقوى والمدارك والأخلاق والنفى والفقير ،

ولكن ذلك ليس معناه - كما قلت في بعض ما كتبت - تبرير التخرب والتعصب ، واستعلاء فريق على فريق . واستغلال فريق لفريق ، وتربص فريق بفريق ، وآية ذلك ما نجد في القرآن من النهي على الكافرين بذلك حيث يقول الله : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أم هم يقولون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » .

فقد أنكر الله عليهم إنكارهم رسالة محمد بحجة أنه ليس من عطاء مكة والطائف ، وذكر أنهم ليس لهم أن يتطاولوا إلى تقسيم رحمة الله ، لأنه جل شأنه يختص بها من يشاء وقد قسم بينهم معيشتهم في هذه الحياة ، لا ينبغي بعضهم على بعض ، ولكن ليذكروا نعمته عليهم ، ويشكروا إحسانه إليهم . فكان عاقبة ذلك أن اتخذ بعضهم بعضا سخريا وبغى بعضهم على بعض . وجمعوا من طريق

هذا التفات لا يغويهم ولا يفرهم ،
ولا يقتضى بهم إلى التميز والتحيز . والتحيز
والتعصب وما إلى ذلك مما قام ويقوم عليه
نظام الطبقات .

وليس معنى هذا إنكار وجود الطوائف
وإهدار وجود الجماعات . أو النقابات
المهنية فقد يكون ذلك استجابة لحاجة
طبيعية ، وتلبية لظروف اجتماعية ، وخدمة
لمصلحة عامة ، ومن ثم كان على المجتمع
مثلا في الدولة أو الحكومة أن يقف من
الطوائف المختلفة موقف المصلح النزيه والحكم
العدل كما يفهم من قوله تعالى « وإن طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت
إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى
تفنى إلى أمر الله فإن قامت فأصلحوا بينهما
بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين .
إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم
واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

وعلى كل طائفة أن ترمى حق غيرها ،
فلا تتطاول عليها بسخرية أو جور كما يفهم
من قوله تعالى بعد ذلك : « يا أيها الذين آمنوا
لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم
ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن
ولا تلبسوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس
الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يقب فأولئك
هم الظالمون ، فليس لقوم أو جماعة أو طائفة

البنى والتسخير ما جمعوا من مال
كثير ، ولكن رحمة الله خير مما جمعوا
ويجمعون .

ومن ثم يظهر لنا ولكل متأمل أن اللام
في قوله تعالى « ليتخذ بعضهم بعضا سخريا »
للعاقبة لا للتعليل وأنها كاللام في قوله تعالى :
« فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا
وحزنا » وفي قول من يقول « أحسنت إلى
فلان ليسى الظن بالإحسان » أما تفسيرها
هل معنى التعليل فلا يستقيم مع مقصد
الإسلام الجليل ولا مع قول الله سبحانه :
« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين »
وقد يستقيم التعليل بضرب من التأويل
إذا جرى على هذا المعنى نفسه ، وهو أن
الله قسم بينهم معيشتهم في الحياة ففهموا
- مخطئين في الفهم - أن ذلك ليتخذ بعضهم
بعضا سخريا ، وأيا ما كان الأمر في فهم هذه
الآية الكريمة فالوصف مختص بالكافرين
وبالمجتمع الذي كان يتكون منهم ، أما المجتمع
الإسلامي فهو على اختلاف أفراد في الغنى
والفقر ، والقوة والضعف . يجتمع متكافل
يشد بعضه بعضا ، ولا يكمل إيمان الإنسان
فيه إلا إذا أحب لأخيه ما يحب لنفسه .
كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعنى هذا
أن أبناءه قد يتفاوتون في الدرجات ، ولكن

ويحقق بينهم التضامن على حماية الأنفس وصيانة الأرواح . وإشاعة الأمن والسلام ولكن اليهود - وقد كانوا قبل الإسلام يمثلون الطبقة المستغلة هالهم أن يحرم الإسلام الربا ويقطع عليهم طريق الكسب الحرام ، ويطغى نار الفتنة التي كانوا يثيرونها بين الأوس والخزرج ، ويجدون فيها الهدف والأمن والمتاع . فنفذوا العهد . وتحلوا من هذه المخالفة أو الوثيقة الدستورية ، وعادوا إلى طبيعتهم التي عرفوا بها في كل أطوار حياتهم . ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض ، وكان مصيرهم تطهير المجتمع منهم ، ليصير أمره د كزرع أخرج شطأه فأزده فاستعظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وليصير أمر المسلمين فيه كما يقول الله فيهم د كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .

ونخلص من هذه المقدمات بهذه المبادئ والتتائج :

١ - أن الإسلام - وهو دين التوحيد يقوى الوحدة الإنسانية بتقرير مبدأ المساواة بين أجناس البشر وشعوبهم كما يفهم من قوله الله تعالى : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل

أن تنحرف إلى الكبر والجور على غيرها . فإن مجرد السخرية منها والظلم فيها خروج عن طاعة الله وسروق من الدين الذي ارتضاه وفسوق بعد الإيمان . وظلم يستوجب التوبة والشعور بالآلم والندم ، أما الظلم الناشئ عن التواطؤ . وحس الاستعلاء خال يستوجب القتال كما يفهم من قوله د فقاتلوا التي تبغى حتى تقى إلى أمر الله .

وقد كان مجتمع المدينة في أول عهد الإسلام بالمدينة يتكون من عدة طوائف عرف بعضها باسم الأنصار وبعضها باسم المهاجرين ، وكان من هذه الطوائف اليهود من بنى قريظة والنضير فأخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المسلمين من الأنصار والمهاجرين وعقد محالفة تجمع بين جميع السكان نص فيها على أن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم . وأن جميع سكان المدينة متضامنون في حماية الناس وصيانة أرواحهم وأموالهم ، وأنهم جميعا جهة واحدة ضد من يعتدى عليهم وأنهم لا يصح لأحدهم أن يظلم الآخر بمقد صلح منفرد دون رغبته وعلمه . وأن المدينة دار أمان للجميع إلا من ظلم وأثم .

ويظهر من هذه الوثيقة التاريخية أنها أول نظام دستوري يكفل لجميع المواطنين حق المساواة ، ويطغى بينهم الفوارق الطبقية . ويجمعهم في جهة واحدة قوية ،

لأحكامه في الحقوق المدنية والتأديبية بالعدل المطلق بين المؤمن والكافر ، والبر والفاجر والحاكم والمحكوم والخدام والمخدوم . والغنى والفقير والقوى والضعيف ومن ثم ، كان من أول ما قاله أبو بكر رضى الله عنه بعد أن صار إليه أمر المسلمين : « إن أقوام عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، وإن أضعفكم عندي القوى حتى آخذ الحق منه » .

ومعنى هذا - وكثير غير هذا - أن النظام الطبقي الذى عرف في الجاهلية ، وفي كثير من الشعوب الأوربية ، فقسم المجتمع إلى سادة وعبيد ، وملوك وسوقة ونبلاء ورعاع ، وعمال وأصحاب أعمال ، وطبقات أرستقراطية وبرجوازية وكهنوتية لا يلتقي في كثير أو قليل مع مبادئ الإسلام ، ولا يتفق مع روح الأخوة الإسلامية العامة التى تجمع بين المحكوم والحاكم ، والمخدوم والخدام ، والغنى والفقير والكبير والصغير ، وتعاملهم كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، ؟

عبد الرحيم فودة

لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وكما يفهم من قول رسوله صلى الله عليه وسلم : ليس لعربي فضل على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى .

٢ - أن الإسلام يؤكد وحدة الأمة التى تدعى به كما يفهم من قوله تعالى : « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

٣ - أن الإسلام يؤاخي بين جميع المؤمنين به كما يفهم من قوله تعالى : « إنما المؤمنون أخوة » ، وقوله سبحانه : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين » .

٤ - أن التفاوت في الرزق والدرجات بين الناس أمر فطرى يعترف به الإسلام . كما يفهم من قوله تعالى : « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق » ، وقوله سبحانه : « الله يبسط الرزق لمن يشاء ويمتدر » ، ولكنه لا يعترف بوجود الطبقات التى تتواطأ على استغلال غيرها ، والاستئثار بمميزات خاصة لا يتمتع بها سواها .

٥ - أن الإسلام يسوى بين الخاضعين

الخطيب البغدادي : مؤرخ بغداد وعالمها

للأستاذ محمود الشرواني

« كان قد انتهى إليه علم الحديث وحفظه في وقته ،

« ابن النجار ،

العربية القديمة تسميها كُفْدَان - كلمة فارسية (١) الأصل معناها : « عطية الله » وكانت هناك قرية بابلية قديمة تعرف بهذا الاسم عندما بنى المنصور العباسي ببغداد الجديدة التي سماها : « دار السلام » ، والتي أصبحت بعد قليل عاصمة الخلافة وحاضرة العالم الإسلامي كله .

وقد بنيت بحيث يخترقها نهر « دجلة » على خط العرض : ٣٩١٩° شمالاً وخط الطول ٤٤٤٤° شرقى جربختش . وبعد إنشاء بغداد الجديدة أو « دار السلام » ، اندمجت فيها القرى القديمة المجاورة ، وأهمها « الكرخ » ، التي لا تزال بهذا الاسم حياً من أحياء بغداد على الضفة الغربية لدجلة .

وضع المنصور ثاني خلفاء العباسيين ، الحجر الأول لبناء بغداد سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) ثم بدأ العمل فيها بعدد من العمال يقال إنه بلغ مائة ألف ، وظل العمل فيها قائماً

قبل شهور احتفلت ببغداد بذكرى مرور ألف ومائتي سنة على تأسيسها وشاركها في هذه الذكرى عدد غير قليل من البلاد العربية ، وهذا لا بد من وقفة قصيرة ، فاحتفال بلد عربي مثل بغداد عاصمة الخلافة العباسية بذكرى بنائه على التاريخ الميلادي ، أعتقد أنه لا بد أن يشير في نفس كل عربي شديداً من التأمل ، فهو مظهر من مظاهر الغزو الأوروبي لنا نحن العرب في جميع الميادين ، حتى فيما هو من صميم ثقافتنا العربية الأصيلة التي يجب أن نحرص عليها . ولئن رضينا بأن يكون اعتماد بلادنا العربية على التقويم الغربي فيما يتصل بمراتب الموظفين مثلاً ونحو ذلك من الشؤون الاقتصادية لضرورة ذلك أو سهولته ، فإن هذه الذكريات العربية المرتبطة بتاريخنا وأجدادنا يجب أن نحرص على توقيتها بالسنتين العربية .

كلمة عن بغداد :

بغداد أو بُغداد - وبعض المؤلفات

(١) انظر أصل التسمية وتعريفها في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، الجزء ١ - ص : ٥٨ - ٥٩ .

البصرة كانت يجلسه إذا أحب النظر إلى الكرخ ومن أقبل من الناحية ، وقبة د على باب الكوفة كانت يجلسه إذا أحب النظر إلى البساتين والضياع ، . واتسع عمران بغداد حتى قال الخطيب البغدادي إنه كان فيها ستة آلاف درب وسكة بالجانب الغربي ، وأربعة آلاف درب وسكة بالجانب الشرقي ، (١) .

على التاريخ الطويل :

هذه نشأة د بغداد ، وتلك بدايتها ، فإذا مددنا النظر على مدى تاريخها الطويل ، من يوم ذاك إلى عصرنا الحاضر ، مرت بنا صور متباينة مختلفة عما مر بها : عز البرامكة ومجدهم وكرمهم وسلطانهم العريض ، ثم نهايتهم المؤسفة القاسية ، خيال الحياة الباذخة التي كان يحياها هارون الرشيد والمجد الشاخ الذي كانت تعيشه بغداد دولة الخلافة والإسلام ، هذا الخيال ، الذي انتزع من الحقيقة فأصبح حلما في العالم كله ومثلا ، على مدى الدهر ، للعزة والثروة والنعيم ، والسلطان .

ثم تجيء على بغداد حرب الاخوين : الأمين والمأمون فتحرق - وخاصة قصر الأمين فيها - الذي هدم بالجمانيق وأحرق كله - وتنقل ، بعد هذه الأهوال ، عاصمة الخلافة من بغداد إلى : د سامراء ، في عهد

متصلا بأربع سنوات ، وأقيم في وسطها المسجد الجامع وقصر الخليفة الذي سمي د بياب الذهب ، أو د القبة الخضراء ، ثم أنشأ المنصور بعد ذلك لنفسه د قصر الخلد ، خارج أسوار بغداد وإلى الشرق منها ، على نهر دجلة أيضا ، كما أنشأ أيضا لولي عهده د المهدي ، قصورا أخرى أكبرها وأعظمها قصر د الرصافة ، وأخذ المنصور بعد ذلك في تقسيم الأراضي التي تحيط ببغداد والرصافة وتوزيعها على قواد جيشه وأقاربه ومواليه ، وفي د تاريخ بغداد ، بيان هذه الإقطاعات (١) .

مجلس المنصور وقبائه :

ومع أن المنصور كان يعرف د بالدوانيقي ، - لبخله وحرصه على الدائق - فقد أنفق في بناء بغداد وقصورها وقصور د الرصافة ، مالا كثيرا . وبني لنفسه في د القبة الخضراء ، أربعة مجالس في كل مجلس منها د قبة عظيمة ذاهبة في السماء ، سمكها خمسون ذراعا من خرفة ، وعلى رأس كل قبة منها تمثال تديره الريح لا يشبه نظائره - وكانت هذه القبة مجلس المنصور وإذا أحب النظر إلى الماء وإلى من يقبل من ناحية خراسان . وقبة د على باب الشام كانت مجلس المنصور إذا أحب النظر إلى الأرباض وما والاها ، وقبة د على باب

(١) ص : ٩٨ من الجزء الأول من تاريخ بغداد ،

(١) ص : ٨٤ - ٨٥ من الجزء الأول .

كانت ولادته في سنة ٣٩٢ (١٠٠٢ م) في شهر جمادى الآخرة ٢٤ منه، ولقد بدأ يتعلم الحديث الشريف ورحل في سبيل ذلك إلى مكة فسمع من ثقات المحدثين فيها، ثم رحل إلى الكوفة والبصرة والدينور وغيرها. يسمع ويحفظ حتى صار من أكبر رجال الحديث، ثم اتجه إلى الفقه فدرس - أول ما درس - مذهب الإمام ابن حنبل.

يقول ابن خلكان عنه: «لأنه كان فقيها فغلب عليه «الفقه والتاريخ»، وقال الخطيب البغدادي بعد ذلك ثقة الخليفة المستنصر العباسي، ورعاية وزيره ابن مسلة، وكانت له عند هذا الوزير منزلة وكرامة جعلته يختاره لتدريس الحديث بمسجد المنصور في بغداد.

وبقي الخطيب، مؤرخ بغداد ومحدثها وفقهها، ينعم بهذه الرعاية من المستنصر ووزيره حتى وقعت فتنة البساسيري^(١) التي قضى فيها على ابن المسلة، ولقي الخطيب بعد ذلك محنة قاسية حتى أوشك أن يقتل، لولا أنه فر إلى دمشق، وكاد أن يقتل فيها أيضاً

المستنصر فتردد بغداد بذلك إلى المرتبة الثانية لحسين سنة. ثم يهدم منها الجانب الشرقي في حرب المعز والمستعين، بعد تخريب الجانب الغربي في حرب الأمين والمأمون. وتخرب المدينة كلها، أو ما بقي منها بعد ذلك، مرة ومرة في الحصومات والمنازعات التي كانت تقوم بين جند الأتراك وخلافات دولة: «بني بويه»

ثم تجيء الطامة الكبرى بقدم التتار وتخريبهم بغداد: بنيانها وحضارتها ومجدها وثقافتها، حتى نجد «الفرات» يفيض، بل يطمس، بما ألقي فيه من الناس ومن التحف ونفيس المؤلفات. ثم تنتهي «بغداد» إلى حيث تكون أشبه بقرية صغيرة تحمكها وتحكم «ولايتها»، الدولة العثمانية إلى سنوات من القرن العشرين.

مؤرخ بغداد: ٣٩٢ - ٤٦٣
١٠٠٢ - ١٠٧٢

أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، كنيته: أبو بكر، وشهرته: الخطيب البغدادي، ولد في «درزيجان»^(١) - قرية من قرى العراق - ثم انتقل إلى بغداد فنشأ وعاش فيها، عدا فترة من حياته خرج منها إلى الشام، ثم عاد إلى بغداد فمات فيها.

(١) هذه، فيما نعتقد، أوثق الرويات، وابن خلكان يقول إنه ولد «بغداد» وهناك من يقول إنه ولد في «غزيرة» بين مكة والكوفة.

(١) أبو الحارث أرسلان المعروف بالبساسيري، وخروجه على للمستنصر وقتله وقتل وزيره ابن للمسلة من الوقائع المشهورة في التاريخ انظر، مثلاً، النجوم الزاهرة الجزء - ٥ -

وكان العالم الحجة أبو إسحق الشيرازي يتنفع بعلمه كثيراً ويحمل قدره حتى حرص على أن يسير في جنازته وأن يحمل نعشه على كتفه، ويقول بعض مؤرخيه إن العلامة الشيرازي كان يمرض عليه كتبه أيراجعها، ويصفه ابن خلسكان بأنه «كان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين».

وكان مع علمه الواسع بالحديث، فصيح اللهجة عارفاً بالأدب كثير القراءة والتأليف، يجمع بين الحديث والفقه والتاريخ ويقول الشعر.

ذكر له ياقوت (١) ستة وخمسين مؤلفاً، بعضها في مصطلح الحديث مثل: «الكفاية في علم الرواية»، و«الفوائد المنتخبة»، في الحديث، و«شرف أصحاب الحديث»، في الرجال، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، في عشرة مجلدات - وغيرها.

كما أورد له كتباً في الأدب مثل «البحلاء»، و«الأمالي»، و«تلخيص المتشابه في الرسم»، وأخرى في الفقه مثل: «الفقيه والمتفقه».

(١) أورد الأستاذ يوسف العش - دمشق - في كتابه: «الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها» أسماء ٧٩ مؤلفاً للبغدادي. وابن خلسكان - في وفيات الأعيان - يقول إنه: «صنف قريباً من مائة مصنف».

ولكنه استعجار بابن أبي الجن (١) الشريف فأجاره، ورحل إلى حلب وصور وطرابلس حيث أقام في هذه البلاد زمناً، ثم عاد إلى بغداد في آخر عمره فمات بعد رجوعه بعام واحد، في اليوم السابع من ذي الحجة سنة ٤٦٣ (١٠٧١ م) ودفن إلى جوار المتصوف الزاهد بشر الحافي، بعد جنازة حافلة.

وكانت وفاته مع ابن عبد البر (٢) في سنة واحدة، وكان البغدادي يسمى حافظ المشرق وابن عبد البر حافظ المغرب.

مكانته وأخلاقه ومؤلفاته:

تلقى الخطيب البغدادي العلم على كبار الشيوخ في عصره، منهم أبو القاسم السلمي الدمشقي المعروف بالسنبساطي، وأبو الحسن المحاملي، والقاضي أبو الخطيب الطبري، وكان أبوه خطيباً فأخذ في تعليمه في سن مبكرة حتى بلغ في الحديث منزلة جعلت محدثي بغداد وخطبائها يمرضون عليه ما يجمعون من الحديث الشريف ليظهر لهم صحيحها من غيره قبل أن يتحدثوا بها إلى الناس في خطبهم، وتولى الخطابة مثل أبيه فعرف «بالخطيب».

(١) أحمد بن علي بن محمد القاضي أبو الحسين. كان يلقب قضاء دمشق للمستنصر.

(٢) أبو عمر يوسف بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب.

« في اثني عشر جزءاً - وغيرها ، وبعض هذه الكتب لا يزال مخطوطاً .

وكان ، إلى علمه وتمكنه ، يحرص على الدقة والتثبت . يقول في ذلك أبو عبيد الله الحميدي ^(١) : « ما راجعت الخطيب في شيء إلا وأحالي على كتاب وقال : حتى أبصره ، فهو لا يريد أن يعتمد على حفظه وحده ، بل لابد أن يراجع ما يحفظ ويضمن إليه ويتثبت منه .

أما مكافته في عصره فقد عرفنا طرفاً منها فيما سبق من الحديث عن صلته بالمستنصر وابن المسلة وعن شيوخه وتلاميذه ومن حل نعشه ، وسار في جنازته . وقد روى مؤرخوه قصة تدل على علو منزلته أيضاً بين معاصريه من كبار الشيوخ : قالوا إن الشيخ الزاهد أبا بكر بن زهراء كان قد أعد لنفسه قبراً إلى جانب قبر بشر الحافي ، وكان يذهب إليه فيبيت فيه ليلة كل أسبوع ويقرأ القرآن فلما أدرك الخطيب قرب أجله أوصى بأن يدفن إلى جوار بشر .

فلما مات ذهب كبار الشيوخ إلى ابن زهراء وجوهه في أن يترك للخطيب القبر الذي هيأه

(١) أندلسي من جزيرة ميورقة ولد في أواخر القرن الرابع ورحل إلى كثير من البلاد اطلب الحديث ثم استوطن بغداد . وكان من الملتصقين بابن حزم الظاهري وله كتاب في تاريخ الأندلس .

لنفسه إلى جوار بشر ، فأبى إباء شديداً ، فذهب الشيوخ إلى الشيخ الكبير أبي البركات إسماعيل بن أبي سعد يوسطونه في ذلك ، فأحضر الشيخ ابن زهراء وقال له : « أنا لا أقول لك : أعطهم القبر ، ولكن أقول لك لو أن بشراً الحافي في الأحياء وأنت إلى جانبه فجاء أبو بكر الخطيب بقعد دونك ، أكان يحسن بك أن تقعد أعلى منه ... ؟ قال : لا ، بل كنت أقوم وأجلسه مكاني ، قال فهكذا ينبغي أن يكون ، فطاب قلب الشيخ أبي بكر ابن زهراء وترك قبره ليدفن فيه الخطيب . وكان الخطيب البغدادي متصوفاً زاهداً ، لم يترك عقبا ، لما قرب أجله كان عنده مائتا دينار فرقها كلها على الفقراء والفقهاء وأهل الحديث ، وأمر بأن يتصدق عنه ، بعد موته بجميع ما عليه من الثياب . أما كتبه فقد وقفها على المسلمين .

تاريخ بغداد :

أما أعظم كتبه على الإطلاق وأبقاها على الزمن فهو « تاريخ بغداد » الذي يقول في مقدمته : (هذا كتاب : تاريخ مدينة السلام وخبر بغائها ، وذكر كبار نزلها ، وذكر واديها وتسمية علمائها ... الخ) .

و « تاريخ بغداد » سجل حافل تضمن وصف المدينة وتخطيطها ، وما كانت عليه من

بجملة كبيرة من المعارف الجغرافية والتاريخية التي كانت متداولة في عصره .

وقد أثار الخطيب موجة من الغضب بسبب ما كتبه عن أبي حنيفة - الجزء ١٣ - وسجل ابن تغرى بردى (١) مظاهر هذا الغضب وبالنسبة فيها كثيراً . وألف غير واحد من العلماء كتباً في تبرئة أبي حنيفة مما كتبه الخطيب منهم الحافظ ابن الجوزى (٢) ، وعالم الملوك ، الملك المعظم ، توران شاه ، الفنى ألف في ذلك كتابه ، السهم المصيب في الرد على ابن الخطيب ، .

هذه تحية متواضعة لعالم من أكبر علماء العرب الأعلام : الخطيب البغدادي لمناسبة ذكرى مرور اثني عشر قرناً على إنشاء بغداد ، المدينة التي نشأ فيها ومات ، والتي خلّد ذكرها وذكر رجالها في تاريخه العظيم الحافل .

محمود الشرفاوى

(١) الجزء - ٥ - من كتابه « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » طبع دار الكتب المصرية ١٩٣٥ .

(٢) أبو الفرج عبد الرحمن « أبو الفضائل » كان عالماً في جميع علوم عصره ، حتى الطب ، وله في بغداد سنة ٥١٠ (١١١٦) م ومات سنة ٥٩٧ (١٢٠٠) م .

الحضارة والمدنية . يترجم فيه للخلفاء والملوك والأمراء والوزراء ، والأشراف من عليّة الناس ، وسائر طبقات حملة القلم : الفعّاة ، والصرفيين والبيانين واللغويين ، والقراء والمفسرين والمحدثين ، والفقهاء والقضاة ، والزهاد والمتصوفة والوعاظ ، .

ويسجل تاريخ بغداد أيضاً تاريخ رجالها من الفلاسكيين وأهل الحساب والهندسة والتنجيم والطب والشعر والتاريخ والجراحة والرماية والفروسية وحذاق الصناعات ، يترجم لهؤلاء جميعاً ولغيرهم من أهل بغداد والوافدين عليها .

وقد ختم كتابه بذكر الشهيرات من نساءها وإماماتها ولطائف ملحقين .

ويتضمن تاريخ بغداد تراجم وسير : ٧٨٠٠ من الرجال ، تتبعها تراجم اثنتين وثلاثين من نساء بغداد : د المفكورات بالفضل ورواية العلم ، كما قال عند التأريخ لمن . وأسلوب الكتاب سهل واضح سليم من أحسن أساليب عصره .

وقد عني المستشرقون بالخطيب وكتابته هذا ، فسجل فضله « بروكلمان » و« جولدزيهر » ونشر سلبون : (Salmon) مقدمة تاريخ بغداد في ٣٠٠ صفحة باللغة الفرنسية وهذه المقدمة تدل على إحاطة الخطيب البغدادي

مع البلاغيين :

اللفظ والمعنى

للأستاذ علي العمّار

- ٤ -

لم يقل أحد في الهيئة أحسن منه ، وكقول
أوس بن حجر :

أيها النفس أجمل جزعا

ان الذي تهذرين قد وقعا

لم يبتدىء أحد مرثية بأحسن منه ،
وكقول أبي ذؤيب :

والنفس راغبة إذا رغبتها

وإذا ترد إلى قليل تنقع

حدثني الرياشي عن الأصمعي أنه قال :
هذا أبرح بيت قالته العرب ، وكقول حميد
ابن ثور :

أرى بصرى قد رايتني بعد صمة

وحسبك داء أن تصح وتسلما

لم يقل أحد في الكبر أحسن منه وكقول
الناطقة :

كليني لهم يا أميمة فاصب

وليل أفاويه بطيء الكواكب

لم يبتدىء أحد من المتقدمين بأحسن منه
ولا أعرب ، ومثل هذا في الشعر كثير ،
ليس للإطالة في هذا المعنى وجه ، وستراه

أبو محمد هبداقه بن مسلم بن قتيبة
الدينوري صاحب كتاب (الشعر والشعراء)
وإن كان له فضل لا ينكر على النقد والبلاغة
والآداب لكنه كان يصدر في منحه من
عقلية منطقية ، فقد رأى السابقين عليه
يدورون في تقدم حول اللفظ والمعنى ،
وأحيانا يفضل أحدهم اللفظ على المعنى كما
فعل أستاذه الجاحظ فاستعان بتفكيره
المنطقي ، وأخذ يقلب المسألة على وجوها ،
فرأى أنها تنحصر في أقسام أربعة ، فإما
لفظ مع معنى ، وإما لا لفظ ولا معنى ،
وإما لفظ دون معنى ، وإما معنى دون لفظ
وهذا هو مقتضى القسمة العقلية ، وهكذا
ورد قوله في أول مقدمة الشعر والشعراء :

تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب :
ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول
القائل :

في كفه خيزران ريحه هبت

من كف أروع في عرينه شم

يفضي حياء ويفضي من مهابته

فلا يكلم إلا حين يتسم

عند ذكرنا أخبار الشجر ، وضرب منه
حسن لفظه وحلا فاذا أنت نقشته لم تجسد
هناك طائلا كقول القائل :

ولما قضينا من منى كل حاجة

ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على حذب المهارى رحالنا
ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

وسالت بأعناق المطى الأباطح
وهذه الألفاظ أحسن شيء مطالع ومخارج
ومقاطع ، فاذا نظرت إلى ما تحتها وجدته ،
ولما قضينا أيام منى ، واستلنا الأركان ،
وعالينا إبلنا الانضاء ومضى الناس لا ينظر
من غدا الرائح ابتدأنا فى الحديث ، وسارت
المطى فى الأبطح ، وهذا الصنف فى الشعر
كثير ، ونحو منه قول جرير :

إن الذين غدوا بلبك غادروا

وشلا بعينك لا يزال معيننا

غيضن من عبراتهن وقلن لى

ماذا لقيت من الهوى ولقينا

وكقوله :

إن العيون التى فى طرفها حور

قتلنا ثم لم يحيين قتلنا

يصرهن ذا اللب حتى لا حراك به

وهن أضعف خلق الله أركاننا

وضرب منه جاد معناه ، وقصرت الألفاظ

عنه ، كقول أبيد :

ما عاتب المرء الكريم كمن نفسه

والمرء يصلحه المجلس الصالح

هذا وإن كان جيد المعنى والسبك فإنه

قليل الماء والرواق ، وكقول النابغة للنعمان

خطاطيف حجن فى حبال متينة

تمد بها أيد إليك نوازح

رأيت علماءنا يستجيدون معناه ، ولا

أرى ألفاظه مهيئة لمعناه ، لأنه أراد أنت

فى قدرتك على الخطاطيف عقف وأنا كدلو تمد

بتلك الخطاطيف ، وهى أنى لست أرى المعنى

حسنا ، وكقول الفرزدق :

والشيب ينهض فى الشباب كأنه

ليس يصيح بجانيه نهار

وضرب منه تأخر لفظه ، وتأخر معناه ،

كقول الأعشى :

وفوه كأقاحى غذاه واثم الهطل

كأشيب برائح بارد من غسل النحل

وكقوله :

إن محسلا وإن مرتحلا

وإن فى السفر إذ مضوا مهلا

استأثر الله بالوفاء وبالحمـ

د وولى الملامة الرجالـ

والأرض حمالة لما حمل اللهـ

هـ وما أن ترد ما فعلا

يوما تراه كشهبة أردية اللهـ

نصب ويوما أديهما نقلا

القارىء من متابعة الحديث عن اتجاه ابن قتيبة في موضوع اللفظ والمعنى ، وليسكون حكما عندما نعرض للذين اعتمدوا على هذه الفقرات ، ورموا ابن قتيبة بفساد الرأى في العلاقة بين اللفظ والمعنى ، وبضيق النظر . وضاعف الذوق ، وسذاجة النقد ، وبأه رجل تفكيره خير من ذوقه ، ونزعتهم خير من عمله وأنه حاول أن يورد من غيره بعض المقاييس فلم يتبصر ولم يعمل حسه ولا عقله ليصفها وصفها الحقيقي .

وقد يكون بعض ما قيل صحيحا لو أن مقدمة الشعر والشعراء هي مجهود ابن قتيبة في النقد ، ولكن الاقتصار عليها ظلم للرجل ، وكان ينبغى حين يعتمد كاتب أو ناقد إلى الحديث عن مثل هذا العالم أن ينظر نظرة شاملة في كتابه لتكون أحكامه صحيحة أو قريبة من الصحة .

وقد بدأت هذا الحديث أن ابن قتيبة كان يصدر في منهجه عن عقلية منطقية ، وإنما قصدت منهجه في تفصيل القواعد ، وإيراد الحجج ، ولم أعرض لذوقه ، وأرجأت الحديث عنه إلى هذا الموضع من البحث .

لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن هذا الرجل هو الثالث ، في العلماء ، الذين حاولوا أن يؤصلوا للنقد أصولا ، وأن يضموا له حدودا في كتاب يقرأ ويتدارس ، والإثنان الآخران

وهذا الشعر منحول لا أعرف فيه شيئا يستحسن إلا قوله :

يا خير من يركب المطى ولا

يشرب كأسا بكف من بخلا

فقال إن كل شارب يشرب بكفه وهذا ليس ببخيل فيشرب بكف من بخل ، وهو معنى لطيف ، وكقول الخليل ابن أحمد العروضي :

إن الخليط تصدح

فطر بدائك أوقع

لولا جوار حسان

حور المدامع أربع

أم البنين وأسماء

ثم الرباب وبوزع

لقلت للقلب ارحل

إذا بدا لك أودع

وهذا الشعر بين التكلف ، ودى الصنعة وكذلك أشعار العلماء ليس فيها شيء جاء من اسماح وسهولة كشعر الأصمعي وابن المقفع والخليل خلا خلف الأحمر ، فإنه كان أجودهم طبعا ، وأكثرهم شعرا ، ولو لم يكن في هذا الشعر إلا أم البنين وبوزع لكفاه ... وقد يقدح في الحسن قبح اسمه ، ويزيد في مهانة الرجل فظاظة اسمه ، وترد هدالة الرجل بشاعة كنيته .

وإنما نقلت هذه الفقرات بتمامها ليتمكن

فلا يتجه حينئذ ما يقوله أحد النقاد :
والتحدث هندتد عن العلاقة بين اللفظ والمعنى
كالتحدث عن شفرتي مقص ، والتساؤل عن
جودة أحدهما كالتساؤل عن أى الشفرتين
أقطع (١) .

وهذه كلمة نقلت حرفيا من النقد الغربى ،
وليس كل ما جاء عن الغرب واجب القبول ،
لأن هذا أمر مرجعه إلى الإحساس والغنى
ولا شك أننا - مثلا - نجزم بأن معنى
ابن الرومى أجود من ألفاظه ، وأن ألفاظ
البحترى أسمح من معانيه ... وهكذا كما نحكم
- مثلا - بأن شوقيا يؤثر الألفاظ الرقيقة
في كل شعره . وأن المتنبي يؤثر الألفاظ
الجزلة في كل شعره أيضا ، وأن غيرهما من
الشعراء يدور شعره من حيث اللفظ بين
الركة والجزالة .

ثم ما حدود اللفظ الجيد ؟ وما المراد
بالمعنى ؟ وما سر جودته عند ابن قتيبة ؟ كثير
من كتبوا في النقد بعد ابن قتيبة ، وخاصة
المحدثين من نقادنا حاولوا الإجابة عن هذه
الأسئلة ، ولكننا - مع الأسف - كانت
إجابات ناقصة لأنها لم تعد النظر في مقدمة
الشعر والشعراء .

هما محمد بن سلام الجهمجى ، ومحمد بن بحر
الجاحظ ، ولا نعدو الحقيقة كذلك إذا قلنا
إن ابن قتيبة يعد بين علماء الفقه الإسلامى
بل العلوم الدينية بعامة ، وقد كان خطيب أهل
السفة في حين كان الجاحظ خطيب المهتلة ،
وله مؤلفات كثيرة تشهد برسوخ قدمه في
علوم القرآن والحديث ، ولكنه مع ذلك
كان مشاركا في الأدب ، وكان تلميذا للجاحظ ،
وصديقا وزميلا لأبى العباس محمد بن يزيد
المشهور بالبرد ، فهو ليس غريبا عن
هذا الميدان .

فصل ابن قتيبة بين اللفظ والمعنى ، وهو
في ذلك تابع لأستاذه الجاحظ ، وسلف لعلماء
كثيرين جاوا بعده نظروا هذه النظرة ،
ولآداب فضلاء صدرروا في أحكامهم عنها ،
(جاء في ترجمة القاضي الأرجاني في كتاب)
معاهد التنصيص في شواهد التلخيص (١)
ما يأتى : قال أبو القاسم هبة الله بن الفضل
الشاعر : كان الغزى صاحب معنى لا لفظ ،
وكان الأيبوردى صاحب لفظ لا معنى ، وكان
القاضى أبو بكر صاحب لفظ ومعنى ، قال
ابن الحشاش : والامر كما قال ، وأشعارهم
تصدق هذا الحكم إذا تؤملت .

(١) الدكتور محمد مندور في كتابه (النقد المنهجى
عند العرب) ص ٣٠ ط نهضة مصر .

والإبانة ، فإنه يبدو من حديثه أن الإبانة شرط أساسي في جودة الشعر ، وأنها دليل الطبع ولذلك لما عاب بيت النابغة (خطاطيف حجن ...) عابه بأن ألفاظه غير مبينة عن معناه ، وحين تحدث عن أشعار العلماء عابها بأنها لا تجيء عن اسماح وسهولة . وأضاف إلى ذلك سوء اختيار الألفاظ ، فقال عن أبيات الخليل : ولو لم يكن في هذا الشعر إلا أم البنين وبوزع لكفاه .. أى لكفاه عيبا ، بدليل قوله : وقد يقدح في الحسن قبح اسمه ، ويزيد في مهانة الرجل فظاظة اسمه . أما المعنى فيبدو من الشواهد التي اختارها في تقسيم الشعر أنه يريد به الفكرة أو الحكمة أو ما دل على خلق جميل ، وقد يريد به التصوير الرائع ، فاستجادته لمعنى (يفضى حياء ...) إنما هو استجادة لفكرة بارعة واستجادته لبيت أبي ذؤيب : « وانفس راغبة ... » حتى قال فيه نقلا عن الأصمعي أنه أبرع بيت قالت العرب استجادة لمعنى خلقي ، أما المعنى الذي في بيت حميد بن ثور : « أرى بصرى ... » فهو حكمة رائعة ، وإعجابه بالتصوير جاء في استشهاده ببيت النابغة حيث عبر عن طول الليل بأنه بطيء السكواكب .

ويبدو أنه يفرد القشبي في جعله أمرا مستقلا بوجوده الشعر ، يدل على ذلك قوله في المقدمة

وابن قتيبة لم يقل لنا ما هو اللفظ الجيد ولا ما هو المعنى الذي يريد ، وما سر وجوده وإنما تؤخذ الأجوبة على كل ذلك من حديثه العابر عن أقسام الشعر ، ومن شواهد التي ساقها ، وينبغي أن نضم إليها ما تناثر في كتابه من نقد للشعر وأحكام على بعضه مرة بالجودة وأخرى بالاستقبح .

جاءت أول إشارة إلى اللفظ في حديث ابن قتيبة عند ما علق على بيت النابغة فقال : لم يبتدئ أحد من المتقدمين بأحسن منه ولا أعرب ، ومعنى هذه الكلمة الأخيرة شدة الوضوح ، ولو سرنا مع هذا الناقد لوجدناه يؤثر الوضوح بالعبارة أو الإشارة وحديثه عن المطبوع والمتكلف يشير إلى ذلك ، ومعروف أن المطبوع سهل عذب وأن المتكلف متعقد كز ، وأن الأول ماء ورقة وحلاوة ، وفي الثاني غلظا وجساوة . وقد ورد الماء والرواق في حديث ابن قتيبة عن بيت لبيد ، وهما أمران يدرهما الذوق ثم وصف اللفظ بصفات عامة يحتاج مدلولها إلى بيان كقوله في أبيات كثير (ولما قضينا الأبيات) إنها أحسن شيء مطالع ونخارج ومقاطع وكوصفه الألفاظ بالحسن والحلاوة ومن جمال الألفاظ عنده جودة السبك ، وتلازم النسيج .

ولعل أولى الأوصاف بالاعتبار : الوضوح

ليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى ، ولكفه قد يختار على جهات وأسباب ، منها الإصابة في التشبيه . فالظاهر من هذا الصنيع أنه يجعل التشبيه خارجا عن اللفظ وعن المعنى ، ويردد ذلك في أثناء الكتاب ، ومن ذلك ما جاء في ترجمته للعباس ابن الأحنف حيث يقول : ومن بديع تشبيهه قوله في المرأة إذا مشت :

كأنها حـ - ين تمثي في وصافها

تخطو على البيض أو خضر القوارير

وقوله :

قلبي إلى ما حزني داعي

يكثر أسقامي وأوجاعي

كيف احتراسي من عدوى إذا

كان عدوى بين أضلاحي

يعنى قلبه . ومن هنا يظهر أنه يقصد

بالتشبيه الصريح ، وما سماه الذين جاءوا بعده

من علماء البلاغة والاستعارة ، وهو يجعل

التشبيه في بيت بشار المشهور :

كان مشار النقع منا ومنهم

وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

من جيد التشبيه ، وقد أطال المتأخرون

من علماء البلاغة في امتداح هذا التشبيه مع

أن المشبه به غير واقع على ما صور بشار .

ويكاد يجمع الكاتبون من المعاصرين على أن ابن قتيبة لا يعجبه من المعاني إلا أحد أمرين الفسكرة أو المعنى الأخلاقي ، والحق أن ذلك كما قلت - قصور سببه الاقتصار على النظر في المقدسة ، وإلا فإننا بسياحتنا في كتاب الشعر والشعراء ، نرى أن ابن قتيبة استحسن كل المعاني التي يستحسنها أهل الذوق من الأدباء ، فهو يستحسن معاني في الغزل ، وفي الهجاء وفي المدح ، بل ويستحسن بحـ - رد التصوير البارع ، دون أن يتضمن أى معنى محجب ، بحانب ما يستحسن من شعر الفكرة والشعر الأخلاقي ، فقد جاء في ترجمته لابن الشيعس : ومن جيد شعره :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي

متأخر عنه ولا متقدم

وأهنتني فأهنت نفسي جامدا

ما من هون عليك من أكرم

أشبهت أعدائي فهزت أحبهم

إذا كان حظي منك حظي منهم

أجد الملامة في هواك لذينة

حبا لذكرك فليلى الصوم

(للحديث بقية)

على العمري

بين العالم الإسلامي وأوروبا

حريّة العقيدة في الإسلام

للاستاذ حسن فتح الباب

« فيما رحمة من الله أنت لهم ، ولو كنت
فضا غليظ القلب لا نفقوا من حولك » .
ذلك أن الدين لله ، ونحن الفقراء إليه وهو
الغني الحميد . وإنما شرع سبحانه ، الإيمان
لهداية الناس إلى ما فيه نفعهم وصلاحهم .
ولقد بين لهم طريق الخير وطريق الشر :
« فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .
« ولتجزى كل نفس بما كسبت » .
« كل امرئ بما كسب رهين » .
وفي هذا المعنى جاءت الآيات البينات :
« لا إكراه في الدين قد تبين الرشد
من الغي » .

« فأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .
« قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة
من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم
أن نزلكموها وأنتم لها كارهون » .
« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما
لهم إله واحد » .
« فإن أعرضوا فأرسلناك عليهم حفيظا
إن عليك إلا البلاغ » .

ليس أدل على شمول مدلول الحرية الإسلامية
من مبدأ حرية العقيدة الذي جاء به الإسلام
في القرن السابع للميلاد ، واستقر في تاريخه
السياسي عبر العصور
فقد بحث الرسول الكريم ليطلق الفرد من
إسار الشرك بالله وليبدل ظلمات الناس
وجها لاتهم أمنا ونورا . واقتضته طبيعة
الرسالة أن يسلك سبيل الدبلوماسية الحميدة
لنشر دعوته في الجزيرة العربية ومنها إلى أرجاء
العالم أجمع . فكان يبشر بعقيدته بالطرق الودية
السليمة ويبعث في النفوس بالحسنى والإقناع .
فلم يأخذ بأسلوب العدوان للقضاء على القيم
الباطلة والذين يتمسكون بها ، ولكنه استخدم
الحكمة في هداية الذين يضلون عن سبيل الله
وينشرون الباطل . كما قال الله تعالى :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » .
« ولا تعادوا أهل الكتاب إلا بالتي هي
أحسن إلا الذين ظلموا منهم » . « ولا تستوي
الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فإذا
الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

وقد نعى على المشركين احتجاجهم بأنهم يسايرون آباءهم في معتقداتهم ووصفهم بالجهالة والعبودية .

« وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » .
أو يتبعون كهانهم :

« قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » .

ودعا إلى استغلال الفكر وإطلاقه من أسر التقليد بغير تدبر ، وحث الإنسان على التماس الحقيقة ، معتمداً على قدرته العقلية ، وما أودعه الله فيه من فطرة سليمة . فجعل أساس الإيمان النظر في خلق السموات والأرض ، والتأمل في حقائق الوجود . ولم يكتف بالدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله من طريق تحريك الضمير والوجدان ، بل طلب كذلك الاستدلال على وجود الله ووحدانيته بالتفكير السليم .

« إن في السموات والأرض آياتاً للذميين » . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون » .

« قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين » .

« فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » .

« وما أنت عليهم بجبار » .
ومدلول هذه الآيات أن الإسلام يستفكر الإكراه ويحرره ولو كان سيلاً إلى اعتناق دينه ، فالإيمان تحرر من الخوف ، ولا يستقيم أن يكون القهر والترهيب طريقاً إلى الأمن والطمانينة :

« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

« الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

والدين الحق أعز عند الله من أن يدخل فيه الناس جباً وإذعانا ، فهو عقيدة تستقر في القلب ، وينبئ أن يطمئن إليها العقل الذي ميز به الله الإنسان دون سائر مخلوقاته .

« قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم » .

دعوة الإسلام إلى استقوال الفكر ومثلها ينهى الإسلام عن القهر والعسف أسلوباً لنشر مبادئه كذلك لا يرتضى اعتناقها عن تقليد ، فهو دين العقل وعقيدة الحرية ،

والإسلام ينفرد بين الديانات السماوية بأنه استن منهج تحرير الفكر بالنظر إلى الدين من خلال الإنسان ، فإن من عرف نفسه عرف ربه ، وكان للقدماء يبدون بتقرير وجود الله ووحدايته بأدلة منطقية فلسفية تخلو من الحياة ولا تستجيب لها النفس ، ولا يسلم بها العقل ، فجاء القرآن مقرأ :

« وفي الأرض آيات للوقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون . »

« فلينظر الإنسان مم خلق . »

ونظرة الإسلام إلى قضية الدين ، أن الإيمان حق ، والحق رأس القيم الإنسانية ، وإنما ترسخ القيم في النفس بالتدبر والتأمل ، ومن ثم ينبغى أن تكفل لها الحرية في الوصول إلى العقيدة بوحى من وهما - وإرادتها الخاصة ، فالحرية الصحيحة في الإسلام لا تفهم إلا على أساس من العقل الذى أعلى الله من شأنه وجعل له القيمة الكبرى ، ونص القرآن صريح فى الأمر بالتفكير وإعمال العقل فى فهم آيات الله فى كتابه وفى كونه :

« هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون . »

ذلك أنه متى كانت الحرية هى عماد الإيمان ، تحولت العقيدة إلى عمل وأصبحت سيرة وسلوكا

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ، إن الله على كل شئ قدير . »

« ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم . »

« ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ، ولو شاء لجعله ساكنا ، ثم جعلنا الشمس عليه دليلا . »

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تنفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون . »
وكما يدعو الإسلام الناس إلى التحرر من الأوهام والضلالات من طريق التأمل والتفكير فيما يحيط بالإنسان من مظاهر الكون ، يدعوهم كذلك إلى الاحتكام إلى العقل فى إدراك نبوة الرسول ومعجزة القرآن الناطقة بصدقه :

« وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين . أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ، »

« كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون . »

« كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . »
« إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون . »

« وقاتلوم حق لا تكون فتنة ويكون الدين لله . »

« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله . »

« وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة . »

« وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم . »

« فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألفوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا . »

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم وتسلموا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . »

« ولا يجرمكم شئآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان . »

« وإن أحد من المشركين استجاركم فأجره حق يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه . »

فشرية الإسلام لا تبيح السيف إلا دفعاً لعدوان أو انتقاء له ، فلا سبيل للمسلمين على غيرهم إذا قاءوا إلى السلام وقبلوا عقد عهد به ولم ينقضوه ، بل إنه يكفل لهم حق اللجوء إلى أهله والاحتياط بهم ، ثم حرية المغادرة إذا شاءوا وإن كانوا يضمرون معاودة القتال ، ذلك أن الخير الذي يصيهم إذا اختاروا الدين الحق إنما يعود عليهم ، ولا يعز الإسلام بقوم يدخلونه كرها ، وإنما

للفرد ، فاستقام ببناء الحرية ونشأت أمة من الأحرار ، وهذا أحد الأهداف العليا للدعوة الإسلامية .

المجاهد ناصح الحرية العقيمة :

وقد كان تاريخ الإسلام السياسي تطبيقاً لمبدأ الحرية الدينية في جميع صوره بلا استثناء فشرعت الغزوات لدفع الفتنة والذود عن العقيدة لا الإكراه على اعتناقها ، فالإسلام دين ، ولكنه لا يحارب مخالفيه لمجرد صدودهم عن الدخول فيه ، إنما يحارب العدوان لا اختلاف الأديان ، فحروبه حروب دفاعية سواء كان المسلمون في موقف المهاجمين أم كانوا هم المهاجمين ، إذ كان يفرض عليهم الهجوم أحياناً بوصفه خطة حربية لا مفر من انتاجها لإحباط نية العدوان التي يبيتها الخصوم ودل عليها انتهاكهم للوائيق والإسلام يدعو إلى مقارعة الفسكرة بالفسكرة فإذا همد باغ إلى السيف ، فقد فرضت الحرب على المسلمين ، وهم في حل من صراع عدوم بمثل ما اعتدى عليهم ، حتى لا يحول بينهم وبين بث رسائلهم بالحسنى وتأمينهم في وطنهم وحريةهم وعقيدتهم . فخرهم حرب عادلة ، وهي جهاد مشروع في سبيل الله ، فلا جور فيها ولا عدوان على حرية أو عقيدة .

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . »

شعائر الولاء التي تستوجبها كل الانظمة احتراماً لسيادة الدولة ، فهو غنم أكثر منه غرماً إذا قيس بضريبة الدم التي يدفعها المسلمون لحماية أنفسهم وحماية الذميين على السواء ، أما إذا شاء هؤلاء أن يشاركوا المسلمين في القتال فلا حرج عليهم وهم حيفند معفون من الجزية ، وليس ثمة مساواة بين المسلمين وغير المسلمين أكمل ولا أوفى من هذه المساواة ، فهم لا يلزمون بغير الجزية في أوقات الحروب ، ولا يكلفون بالزكاة في أوقات السلم مثلاً يكلف بها المسلمون ، بل إن شروط الإعفاء من الجزية أهون منها في الزكاة .

وفي سبيل تأكيد هذه الضمانات التي سنّها الإسلام لحرية العقيدة وامتدادها حتى شملت المساواة بين المسلمين والذميين في الحقوق الاجتماعية على اختلاف أنواعها ، جاءت الشريعة الإسلامية بمبدأ صريح في هذا الشأن ينص على أنه : «لهم مالنا وعليهم ما علينا» . وجاءت في الكتاب العزيز آيات في ذكر عيسى ومريم وإكرامهما حقاً للمسلمين على تبجيلهما :

« قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً . وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً » .

(للبحث بقية)

رأى : حسن فتح الباب

يعز بالاحرار الذين يتصونه عن وهي وإرادة وإيمان ، لأن الحرية هي القوة وهي المنعة التي تنصر الحق وتشر لواؤه في العالمين ، لا تبالي في ذلك بالنفس والنفيس ، والعبرة في الإسلام بقوة النفوس في إخلاصها للعقيدة :

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » .

كفالة حرية العقيدة للمؤمنين :

والإسلام يحل بين المرء وربّه ويحمّله تبعه العقيدة التي يختارها ، وليس في شريعته إكراه على اعتناق العقائد والديانات الأخرى ، وهو لا يطلب من أصحاب هذه الديانات المقيمين في داره إلا التزام آداب المجتمع الإسلامي واحترام أظفمه وقوانينه العامة ، بل لأنه يقر لهم بأحكام شريعتهم في الأحوال الشخصية ، أما الجزية التي يكلف بأدائها أولئك المواطنون فهي ضريبة ومزية لا تؤخذ إلا من يد أي عن مقدرة ، ومن ثم ترفع عن الأطفال والشيوخ والنساء ، فهي أشبه « ببدل نقدي » للتجنيد لا يكلف به إلا القادرون على القتال والكسب معاً ، ولا أدل على تسامح الإسلام واتساع مدلول حرية العقيدة فيه من إعفائه هؤلاء الذميين الذين يشكلون جزءاً من مجتمعه - من الحروب والاستشهاد في سبيل قضية لا يؤمنون بها فظير قدر زهيد من المال بحسب في عداد

من معاني القرآن

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ، قرآن كريم

الحساب والجزاء ، فإن ذلك هو مقتضى الإيمان وهو مع ذلك أحسن مآلاً وأسلم عاقبة . ومن هذه الآية يفهم :

١ - أن أولى الأمر الذين يجب طاعتهم يجب أن يكونوا من المؤمنين بدليل قوله : « منكم » .

٢ - أن التنازع بين أولى الأمر والمؤمنين يجب أن يكون الفصل فيه لحكم الله ورسوله بالرجوع إلى الكتاب والسنة .

٣ - أن طاعة الرسول يجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب ، كما ذكر ابن القيم ، بدليل تكرير الفعل « أطيعوا » مع الرسول ، دون أولى الأمر ، فقد حذف الفعل معهم لإيذاناً بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول ، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته ومن أمر بخلاف ما جاء به فلا سمع له ولا طاعة .

٤ - أن طاعة الرسول - بوصفه رسولاً - طاعة لله ، بدليل قوله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » ، والنتيجة اللازمة لذلك كله أن الحسم كله لله ، وذلك ما يفهم من قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذروا أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك » ، هبه الرحمن فودعه

الطاعة : الانقياد مع الرضا والتسليم .
أولو الأمر : أصحاب الأمر من الأمراء بحق ، والولاة العدول ، أو العلماء المجتهدون الذين يعلمون الناس ويأمرونهم بما يقضى به دينهم .

التنازع والمنازعة ، المجاذبة والمخاصمة والمجادلة ، وأصله من نزح الشيء إذا جذبته من مقره أو اقتلعه من مكانه .

تأويلاً : مآلاً وعاقبة ، من آل الأمر إلى كذا بمعنى رجع إليه .

المعنى

يخاطب الله المسلمين بالوصف الذي يترتب عليه إسلامهم له ، وانقيادهم لأمره ، وهو الإيمان به وبكتبه وبرسله ، ويأمرهم بما يقضى به هذا الإيمان ، وهو الطاعة والإذعان لله والرسول ، ولأصحاب الأمر فيهم من يحكمون بما أمر به الله والرسول وتكون طاعتهم طاعة لله والرسول ، فإن الولاية والطاعة لا تكون إلا لهؤلاء كما يفهم من هذه الآية ، ومن قوله تعالى في آية أخرى : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » ، ويأمرهم - جل شأنه - إذا اختلفوا في شئ وتنازحوا فيه وتخاصموا عليه بعضهم مع بعض أو مع ولائهم وأمرائهم أن يرجعوه إلى حكم كتاب الله وسنة رسوله إن كانوا يؤمنون بالله ويومنون

بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية للأستاذ محمد أبو شهبه

- ٨ -

الخلفاء والولاة خطب يوما فقال : يا أيها الناس : من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه ، فقام رجل فقال : والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا ، فقال : الحمد لله الذي أوجد في المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بسيفه !!!

وقد أعطى الفاروق القود - الاختصاص - من نفسه وأهله ، وأقاد للرعية من الولاة بل تشدد في هذا وبالح ، ولما قيل له في هذا قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي القود من نفسه ، وأبا بكر يعطي القود من نفسه ، وأنا أعطى القود من نفسي ، ومن تشددات عمر رضي الله تعالى عنه في تطبيق هذا المبدأ الإسلامي ما صنعه مع جبلة بن الأيهم ملك غسان ذلك أنه لما أسلم و وفد على عمر بن الخطاب بأبهة الملك وحشمه تلقاه عمر بالترحيب ويئنا هو يطوف حول الكعبة يوما وطىء لإزاره أعرابي من بني فزارة ، فضربه على وجهه فشكاه الأعرابي إلى أمير المؤمنين عمر فاستدعى جبلة وقال له : إما أن ترضيه وإما أن يقتص منك ، فكبر

في المقال السابق تحدثت عن مبدأ المساواة في الإسلام وأن النبي صلى الله عليه وسلم طبق هذا المبدأ السامي على نفسه وعلى أهله ، وعلى الناس جميعاً ، وأن الصديق سار على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفرط في هذا المبدأ قيد شعرة ، واليوم أتحدث عنها في عهد الفاروق عمر رضي الله تعالى عنه ثاني الخلفاء الراشدين فأقول وبالله التوفيق :

لقد جاء الفاروق رضي الله تعالى عنه فطبق مبدأ المساواة في الأحكام الشرعية بين الناس جميعاً لا فرق بين ملك وسوقة ، ولا بين شريف ووضيع ، ولا بين غني وفقير ، وبالنسبة في التطبيق حتى اعتبره البعض مغالياً في هذا ، وكان يرى قتل الخليفة الظالم ، خطب يوما فقال : لوددت أني وإياكم في سفينة في لجة البحر تذهب بنا شرقا وغربا ، فلن يعجز الناس أن يولوا رجلا منهم ، فإن استقام اتبعوه ، وإن خنف قتلوه فقال طلحة : وما عليك لو قلت : وإن تعوج هزلوه ، قال : لا ، القتل أنسكى لمن بعده . وكان يسر حينما يجد من الرعية رقابة على

الأولى . وخطب يوما فقال : يا أيها الناس
إني ما أرسل عمالا إليكم ليضربوا أبشاركم
ولا ليأخذوا أموالكم ولكني أرسلهم
إليكم ليعلموكم دينكم وسفركم ، ويقضوا
بينكم بالحق ، ويحكموا بينكم بالعدل ، فن
فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلى فوالذي
نفس عمر بيده لأقصنه منه . فقال عمرو
ابن العاص : أرأيت إن كان رجل من المسلمين
على رعيته فأدب بعض رعيته إنك لتقصنه
منه قال : إني والذي نفس عمر بيده إذا
لأقصنه منه وكيف لا أقص منه وقد رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من
نفسه .

وقد آذن الفاروق الناس جميعا أن لا كبير
فوق الحق ، ولا سلطان إلا سلطان الشريعة
وما كان يعتبر نفسه أمام القضاء إلا كواحد
من الناس جاء في دكر العمال ، عن الشعبي
قال : كان بين عمر وبين أبي بن كعب خصومة
فقال عمر : اجعل بيني وبينك رجلا فجعل
بينهما زيد بن ثابت فأتياه ، فقال عمر : أتيئك
لتحكم بيننا وفي بيته يؤتى الحكم ، فلما دخلا
عليه وسع له زيد عن صدر فراشه فقال :
ههنا يا أمير المؤمنين فقال له عمر : هذا أول
جور جرت في حكمك ولكني أجالس مع
خصمي ، فجلس بين يديه فادعى أبي وأنكر
عمر فقال زيد لأبي : أعف أمير المؤمنين

ذلك على جبهة وقال : ألا تفرقون بين الملك
والسوقة ؟ قال : لا . قد جمع بينكما الإسلام
فاستمهله إلى الغد ، ثم أخذ قومه وفر بهم
ليلا ولحق بهرقل بالقسطنطينية فأرسل عمر
من يسترضيه فأبى الرجوع .

وقد أخذ أمير المؤمنين عمر الولاية بما
أخذ به نفسه فإظلم أحد من الولاية أحدا
من الرعية إلا اقتص له منه ، ومن أخباره
في هذا ما روى أنه جاءه رجل من أهل
مصر فقال : يا أمير المؤمنين عائد بك من الظلم
قال : عدت معاذ ، قال : سأقت ابن عمرو
ابن العاص فسبقتة فجعل يضربني بالسوط
ويقول : أنا ابن الأكرمين ، فكاتب عمر
إلى عمرو بن العاص يأمره بالقدوم عليه ،
ويحضر معه ابنه . فقال عمر : أين المصري ؟
خذ السوط فاضرب ، فجعل الرجل يضرب
بالسوط ويقول عمر : اضرب ابن الأكرمين !
ثم قال للمصري ضعه على صلعة عمرو يعني
ابن العاص ، فقال المصري : يا أمير المؤمنين
إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه فقال
عمر لعمرو بن العاص قولته المشهورة :
« مذكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم
أحرارا ، قال : يا أمير المؤمنين لم أعلم
ولم يأتني الرجل المصري .

ولأنه لمثل في المساواة فريد لا تكاد نعث
عليه في غير تاريخ الإسلام ولا سيما عصوره

ابن أبي طالب في خلافته يفقد درعاه
ويجدها مع يهودى يدعى ملكيتها ، فيرفع
على أمره إلى القاضى فيحكم لصالح اليهودى
ضد على ، وهذا هو المغيرة بن شعبة وإلى
الكوفة يتهم بالزنا فيحاكم على الجريمة
المنسوبة إليه بالطريق العادى وقد استمر
العمل بهذه المساواة بعد عصر الخلفاء
الراشدين فقد قصر علينا التاريخ الصحيح
أن المأمون وهو خليفة المسلمين اختتم
مع رجل بين يدى يحيى بن أكثم قاضى
بغداد ، فدخل المأمون إلى مجلس يحيى
وخلفه خادم يحمل طنفسة لجلوس الخليفة
فرفض يحيى أن يميز الخليفة على أحد من
أفراد رعيته وقال : يا أمير المؤمنين لا تأخذ
على صاحبك شرف المجلس دونه فاستحيا
المأمون ، ودعا للرجل بطنفسة أخرى
وهكذا سار العمل في الدولة الإسلامية
في العصور التى كانت السيادة فيها للشريعة
الإسلامية ، وأحكامها ، وقواعدها .
وقد اتفق الفقهاء على المساواة في المسؤولية
والعقوبة بين جمهور الناس وبين الولاة
والحكام والسلاطين والملوك الذين يخضعون
للخليفة الذى عقدت له البيعة أو يستمدون
سلطتهم منه ، وأن الجميع أمام سلطان
الشريعة سواء .
ولكنهم اختلفوا في الإمام الذى ليس

من المؤمنين وما كنت لأسألهما لأحد غيره ،
خلف عمر لا يدرك زيد القضاء حتى يكون
عمر ورجل من عرض الناس عنده سواء .
وليس هذا بعجيب من عمر الذى وضع
هذا الأساس العادل في كتابه إلى أبي موسى
الأشعري أحد ولاته وقضاته الذى قال فيه :
آس - ساو - بين الناس في مجلسك ووجهك
حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا يياس
ضعيف من عدلك ...
وكان رضى الله عنه - يكرم القضاة الذين
لا يجاملون ، ولا يفرقون بين الخصوم
في المعاملة ، ويرى أنهم الحقيقون بولاية
القضاء ، ذلك أنه أخذ فرسا من رجل على سوم
فحمل عليه فعطب فخاصم الرجل عمر فقال
عمر : اجعل بيني وبينك رجلا فقال الرجل :
إنى أرى بشرى العراقى فقال شريح لعمر :
أخذته صحيحا سليما فأنت له ضامن حتى ترده
صحيحا سليما وكان هذا الحكم الذى أصدره
شريح ضد عمر من الأسباب التى حفزت عمر
على تعيينه قاضيا وهكذا نجد أن لا فرق
في الإسلام في القضاء بين خليفة ووال
وواحد من عرض الناس وقد جرى العمل
في الإسلام على حاكمة الخلفاء والولاة أمام
القضاء العادى ، وبالطريق العادى الذى
يحاكم به بقية أفراد الشعب ، وقد سمعت
آثقا ما كان من الفاروق عمر وهذا على

أما الجرائم التي تمس حقوق الأفراد كالقتل والجراح والأموال فيرى أبو حنيفة أن الإمام الأعظم يؤاخذ بها ويعاقب عليها ؛ لأن حق استيفائها ليس له أصلاً وإنما هو للجنى عليهم وأوليائهم ، وإذا قام الإمام باستيفاء العقوبة في هذه الجرائم فإنما يقوم به نيابة عن الأفراد فإذا ارتكب الإمام جريمة من هذا النوع كان للأفراد أصحاب الحق الأصلي استيفاء العقوبة من الإمام مستعينين في ذلك بالقضاء وبالجماعة الإسلامية .

وإذا كانت الشريعة الإسلامية لا تميز رئيس الدولة الإسلامية الأعلى بالحقوق فهي من باب أولى لا تميز رؤساء الدول الأجنبية فإذا ارتكبوا أية جريمة حال وجودهم في دار الإسلام عوقبوا عليها ، وكذلك لا تعفى الشريعة رجال السلك السياسي إذا ما أتوا بجريمة في دار الإسلام ولا أعضاء الهيئة التشريعية على الجرائم القولية التي يرتكبونها في دار الشورى - البرلمان - لأن الشريعة الإسلامية تأبى أن تميز فرداً عن فرد أو جماعة عن جماعة ، ولأنها تأبى أن تسمح لفرد أو هيئة بارتكاب الجرائم مهما كانت وظيفة الفرد أو الجماعة ؟

محمد محمد أبو سريته

فوقه إمام وهو ما يعرف في الإسلام بالإمام الأعظم أو الخليفة على رأيين :

الأول : رأى الجمهور من الفقهاء وهم : مالك ، والشافعي ، وأحمد ، وهؤلاء لا يفرقون بين جريمة وجريمة ، ويرون أن الإمام مسئول عن كل جريمة ارتكبها سواء منها ما يتعلق بحق الله أو يتعلق بحق العباد ، وإن فيما سقناه من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته الناس إلى الاقتصاد منه ، ومن سير الخلفاء من بعده ما يؤيد هذا الرأي ويقويه .

الرأى الثاني : رأى الإمام أبي حنيفة ، وخلاصته أن الإمام الأعظم لا يؤاخذ بشيء مما يجب به الحد كالزنا والشرب والقذف إلا القصاص والأموال ، فإذا قتل إنساناً أو أتلف ماله يؤاخذ به ، وحجتهم أن الحد حق الله تعالى ، وهو المكلف بإقامته ، ومن المتعذر أن يقيم الخليفة الحد على نفسه بخلاف حقوق العباد : كالتقصاص وضمان المتلفات ؛ لأن حق استيفائها لمن لهم الحق ، فيكون الإمام فيه كغيره .

وليس معنى هذا عند الإمام أبي حنيفة أن عدم إمكان عقوبة الإمام الأعظم على جريمة من الجرائم أنها تحمل له ، لا بل هي حرام عليه ويترتب على هذا أن الإمام لو زنا وهو محصن فقتله أى فرد من الأفراد فإن القاتل لا يعاقب لأنه قتل شخصاً مباح الدم إذ الزنا من محصن عقوبته الموت بالرجم .

الخدمات الاجتماعية عن طريق الدين

للأستاذ أحمد الشرباصي

الدين يؤدي إلى التدين ، والتدين يقين واعتقاد ، والاعتقاد يقوم على إيمان وطيد وتصديق جازم ، ولذلك تعتبر العقيدة الدينية ذات سلطة مكيمة مهيمنة على صاحبها ، ومن هنا يظهر أثر الدين البليغ في توجيه الإنسان ودفعه إلى أداء واجبه العبادي والاجتماعي ، فإذا ضم الدين في مبادئه وتعاليمه مجموعة من القيم الاجتماعية والمبادئ الحيوية - كالتي تتمثل في دعوة الإسلام الكبرى - أدى ذلك إلى حرص المؤمن على هذه القيم ، وبذله غاية جهده - ما دام إيمانه مستقيماً - في تنفيذ هذه التعاليم ، والتقيد بتلك المبادئ والمثل .

والتدين في حد ذاته يؤدي إلى خدمات اجتماعية جليلة ، لأن إيمان الإنسان بقوة خالقة مبدعة مراقبة ، محيطية بكل شيء ، قادرة على كل أمر ، ويبيدها مقاليد السموات والأرض ، وليس مثلها شيء ، وهي مطلعة على السر والعجوى ، وعلى ما ظهر وما بطن ... هذا الإيمان يوجد في نفس الإنسان صفة «المراقبة» ، أو الضمير اليقظ الحى ببلغة العصر ، وهذه المراقبة تجعل صاحبها يقيم من نفسه على نفسه حارساً وديباجاً يغاديه ويرأوه ، وهي التي تعصم الإنسان من الخطأ ،

سواء أكان منفرداً بنفسه ، أو مجتمعاً مع غيره ، لأن عين الله تراه دائماً ، ولا تغفل عنه ولا عن غيره لحظة .

ومنى سيطرت هذه المراقبة على الإنسان جعلته صالحاً طاهراً في كل حال ، وهذا يؤدي إلى تحقيق الفرد الكامل الذي يتعدد فيكون منه المجتمع الفاضل ، وفي الجزء الأول من كتاب «خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز» ذكرت شاهداً على الفائدة الاجتماعية الكبرى التي نخرجها من وراء هذه «المراقبة» ، فقد روى أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه كان من عادته أن يطوف بالليل يتفقد شئون رعيته ، وذات ليلة كان يسير على عادته في طرقات المدينة ومعه تابعه «أسلم» .

فلما طال المطاف بعمر استقند إلى جدار بيت في جوف الليل ، وإذا هو يسمع امرأة داخل البيت تقول لا بئتنا : قومي يا ابنتي إلى اللبن فاخليه بالماء .

فقال لها الفتاة : أو ما علمت ما كان من أمر أمير المؤمنين يا أماء ؟ .

قالت الأم : وماذا كان من أمره يا بنيتي ؟ .

فقال الفتاة : لقد أمر مناديه فتادى

أيديهم وما خلفهم ، وهو القائل عن ذاته :
 « إن الله كان عليكم رقيبا ، والقائل :
 « وأسروا قولكم أو اجهروا به ، إنه عليم
 بذات الصدور ، ألا يعلم من خلق وهو
 اللطيف الخبير ، ؟ . والقانون يعاقب بعقوبة
 مادية ودينية ، والدين يعاقب على الجريمة
 بعقوبة مادية ومعنوية ، وبعقوبة دينية
 وأخرية . والقانون لا يعطى لمن أحسن
 التصرف مكافأة ، ولا يثيب من هم بجريمة
 ثم تركها ، ولكن الدين لا يقتصر على عقوبة
 العاصي ، بل يثيب المستقيم المحسن :
 « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
 تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا
 وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ،
 نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ،
 ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها
 ما تدعون ، نزلا من غفور رحيم . »

والدين يثيب على الحسنة بعشر أمثالها ،
 إلى سبعمائة ضعف ، والله يضاعف بعد ذلك
 لمن يشاء ، والله واسع عليم ، ومن هم بمعصية
 ثم انتهى عنها فلم يفعلها يثيبه الدين على
 ذلك ، ويعتبر رجوعه عنها مجاهدة تستحق
 حسن الجزاء .

ومن هنا يتضح لنا أن وازع الدين
 أقوى من وازع القانون ولسنا بهذا نلغى
 قيمة القانون أو نحقر من شأنه ، فللقوانين

في الناس ألا يخلط الدين بالماء . لأن هذا
 غش وحرام ؟ .

قالت الأم وقد نام ضميرها : إنك في موضع
 لا يراك فيه عمر ، ولا منادى عمر .

فاستنكرت الفتاة ذلك وقالت : يا أماء ،
 والله ما كنت لأطيعه في الملا (أمام الناس)
 وأعصيه في الحلا (أثناء الانفراد) ، إن كان
 عمر لا يرى قرب عمر يرى .. !!

فنحن نرى أن نزعة التدين أو صدق
 المراقبة عند الفتاة منعها وصدما عن ارتكاب
 جريمة الغش ، دون أن تحتاج إلى شرطى
 محرس ، أو معاقب يردع ، لأن « الوازع الدينى »
 قد قام بخير من ذلك وأنفع ، فقد حفظ
 صاحبه من ارتكاب الأذى في سائر الأحوال .

والوازع هو القوة الرادعة المانعة
 من ارتكاب المنهى عنه ، وللدين وازع ،
 كما أن للقانون وازعا ، وشتان بين وازع
 هذا ووازع ذلك ، فإن القانون من وضع
 البشر ، وطاقة البشر محدودة مهما كانوا
 أقوياء ، ولكن الدين من وضع الله الذى
 يعلم السر وأخفى ، والذى أحاطت قدرته
 بكل شيء ، والقانون يحاسب على ما ظهر
 وثبت وقامت عليه شهادة الناس وقرائن
 المسادة ، بينما الدين يحاسب على ما بدا
 وما خفى ، وما استعلن وما استتر ، ولا يحتاج
 صاحبه إلى شهادة ، لأن الله تعالى « يعلم ما بين

وكل منهم قد ذبح طائرته ، إلا ذلك الشاب الممتاز فإنه عاد بالطائر حيا ، فقال له الإمام : لماذا لم تذبح الطائر كما أمرتك ؟ . فقال له : ياسيدي لم أجد موضعا خاليا لا يراني فيه أحد ، لأن الله مطلع على موجود معي في كل مكان .

فاستحسن القوم منه هذه المراقبة وقالوا لشيخهم ، يحق لك أن تكرمه وتقدمه ! .

وئمة موقف آخر تتجلى فيه روعة الوازع الديني ، فقد دفع الطيش بشاب إلى مراودة فتاة ، فصدته عما يريد من الإثم ، وقالت له : ألا تستحي ؟ . فأجابها : ومن أستحي ونحن منفردان ولا يرانا سوى الكواكب ؟ . فقالت له : فأين مكوكبها ؟ . يعني فأين صانعها ومبدها وواضعها ورافعها والقائم على أمرها في كل وقت وحين : . الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم . فاعتظ الشاب وارتدع .

ولقد ترجم الشاعر المؤمن عن مقتضى الوازع الديني في نفس الإنسان بقوله :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ، ولكن قل : على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب
وأن غدا للناظرين قريب ؟

العادلة المستقيمة أثرها وثمرها ولكننا ، نقول إن هذه القوانين تفقد أكبر أثر لها إذا لم يكن عند المتعاملين بها وازع ديني يذكرهم بمراقبة من خلقهم وأبداهم ، ومنه مبدؤهم وإليه معادهم : « وأن إلى ربك المنتهى » .

إن هذا الوازع الديني إذا عمر صدر صاحبه هو الذي يجعل المرء يحفظ حق ربه وحقوق الناس في السر والعلن ، وفي الاجتماع والانفراد ، لأن كمال هذا الوازع يبلغ بالإنسان مرتبة الإحسان الذي يعرفه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

وهذا الوازع هو الذي يجعل المؤمن متذكرا ومتدبرا لقول القرآن الكريم عن الله عز وجل : « ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما هموا يوم القيامة ، إن الله بكل شيء عليم » .

ويتجلى لنا سلطان الوازع الديني من الحادثة التالية ، فقد روى عن الأسلاف أنه كان لبعض الأئمة تلميذ غلص ، فكان يكرمه ويقدمه على زملائه ، فتألم من ذلك أقرانه ، فأراد الإمام أن يظهر لهم فضله ، فأعطى لكل منهم طائرا ، وأمره بأن يذبحه في مكان خال لا يكون فيه أحد ، وتفرق الزملاء وعادوا بعد حين

والإسلام دعائم مجتمعه على « الأسرة » باعتبارها اللبنة المتينة الحصينة التي تجعل روابط هذا المجتمع عميقة وثيقة ، لأن الأسرة تتكون من شريكين يرتبطان بعقد تلاحظه عناية الله ، وتوفقه كلفة الله ، ثم تكون للشريكين حياة مشتركة ، وبيت مشترك ، وآمال مشتركة ، وتبعات مشتركة ، ثم تكون لها ذرية تزيد الروابط الأسرية وثاقا وعمقا فكانت أول خدمة اجتماعية فكسبها عن طريق الدين أنه بنى لنا المجتمع هذا البناء القوي المحكم الذي يشد الأواصر ويقوى الروابط. ولم يجعل الإسلام معنى « الأسرة » مقصورا على حياة هذين الشريكين وبيتهما ، بل هلم الإسلام أبناءه أن ينظروا إلى الحلى أو القرية أو المدينة على أنها « أسرة » أكبر نوحا ما وأوسع من أسرة البيت ، وأن ينظروا إلى أمهم أو دولتهم أو مجتمعاتهم على أنه « الأسرة الكبيرة » الواسعة النطاق ، وأن الإنسانية أو البشرية هي « الأسرة الكبرى » التي تنتهى إليها غاية همته وعزيمته ، بعد أن يكون قد بدأ بأداء ما عليه من واجبات ، وتبعات إلى ما يسبق هذه « الأسرة الكبرى » من أسر أضيق منها نطاقا ، وهي بحكم ضيق نطاقها وبحكم قربها من صاحبها أولى بالتقديم في العناية والرعاية ، وإن كان من الميسور في كثير من الأحيان أن يواهم الفرد بين نهوضه بتبعات أسرته القريبة ونهوضه

والوازع الديني المغروس في صدر المؤمن الصحيح الإيمان هو الذى يجعل صاحبه يتذكر على الدوام أن كل ما يفعله محصى عليه ومحاسب به ، وأن كل كلفة تخرج من فمه ، ستكون له أو عليه : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » ، وأن هذا الحساب يشمل الصغيرة والكبيرة ، والقليلة والكثيرة . ولذلك يقول القرآن الكريم : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ، ويقول أيضا : « ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يفاد صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا » .

* * *

وإذا تذكرنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « الدين المعاملة » ويقول : « أحب للناس ما تحب لنفسك » ، فهمنا أن سلطة « الوازع الديني » التي يربطها الدين في النفوس ستلازم صاحبها في جميع تصرفاته ومعاملاته واتصالاته بالناس من حوله ، فيكون به - ذا مثلا من أمثلة الاستقامة والمسالمة وحسن التصرف مع الناس .

ولقد جاء الإسلام الحنيف لتنظيم شئون الفرد والجماعة ، وليسكون رائد المؤمن في أمور العبادة وأمور الحياة ، وأقام

والحديث النبوي الشريف يقول : (الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) .
وينبغي ألا يقتصر نظرنا إلى « الزكاة »
مثلا على أنها نفود أو أشياء تؤخذ من هذا
لتعطي لذلك ، بل ينبغي أن ينفسح نظرنا
ليستوعب الخدمات الاجتماعية غير المباشرة
التي تؤدي إليها الزكاة ، فالزكاة في الواقع
تستتبع العمل والإنتاج والكسب ، إذ لكي
يؤدي الإنسان زكاة ، لا بد له أن يملك
نصيبا ، أى قدراً معلوماً من المال لا بأس به
يستحق أن يدفع منه صاحبه نسبة مئوية
معقولة هي الزكاة .

وبدون هذا المقدار لا يدفع الإنسان
الزكاة ، وهي إحدى قواعد الإسلام ، فحينما
يحرص الإنسان على تحليه بأداء قواعد دينه
سيرى نفسه مندفعاً إلى الكسب والإنتاج
لكي يملك ما يستحق الزكاة فيزكى منه فيكون
قد نفذ بالفعل قاعدة من قواعد الإسلام ،
وبخاصة أن رسول الإسلام محمد عليه الصلاة
والسلام يقول : « اليد العليا خير من اليد
السفلى » ، « اليد العليا يراد بها اليد المعطية
المنفقة ، واليد السفلى هي اليد التي تمتد لتأخذ
معمونة الغير ، وقد كان يمكنها أن تعمل
قتملك ففستغنى .

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول : « لأن
يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له
من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه » .

أصحح الترمذي

بتبعات ما وراها من أسر في حدود الطاقة
والإمكان بطبيعة الحال .

وهكذا نرى الإسلام يرقى بروح الفرد
الاجتماعية طبقة فوق طبقة ، ودرجة من
وراء درجة ، حتى يبلغ بها المستوى
الاجتماعى المثالى العالمى ، وهو النظر إلى
الجموعة البشرية نظرة الأخوة الإنسانية
والزمانة العالمية .

* * *

والخدمات الاجتماعية المتعددة تحتاج أولاً
وقبل كل شيء إلى إمكانيات وطاقات وفهقات
مادية ، والدين يهيئ لنا هذه الطاقات عن
طريق ما شرعه من حقوق في المال تؤدي
إلى المجتمع ، كالزكاة التي هي فرض محتوم
وحق معلوم ، يؤخذ من أموال القادرين
والأغنياء ، ليرد على المحتاجين والضعفاء
في صورة معونات وخدمات .

وهناك ما شرعه الدين بعد الزكاة من
حقوق أخرى مبسطة في مواطنها ، وماحث
عليه من البر والإحسان والمعمونة والإسهام
في وجوه الخير المختلفة ، ومادعا إليه من
وجوه التعاون المادية على جهات الإصلاح
والتعمير والقوة ، وعلى مقاومة وجوه الفساد
والشر والضعف ، وذلك حيث يقول القرآن
الكریم : « وتعاونوا على البر والتقوى ،
ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله
إن الله شديد العقاب » .

الملاحم والمطولات الإسلامية في الشعر العربي للدكتور سعد الدين المجيزاوي

- ١ -

تعريف لفظ «ملحمة» : أنه يدل على ذكر

حدثان الدول ، (١) .

هذا هو أهم جانب في المدلول «الغوى» ،
لفظ «ملحمة» .

ولكن الدراسات الأدبية الحديثة قد
خصصت مدلول هذا اللفظ ، وجملة يطلق
في محيط تلك الدراسات - على لون من
القصائد تتميز بخصائص معينة : كالطول ،
والموضوعية ، والحديث عن الحروب ،
واطلاق العنان للخيال في تصور مشاركة
الآلهة - كما كان يزعم الأقدمون - للبشر في
المعارك .

والمنسج الأول الذي استقى منه النقد تلك
الخصائص ، هو إلياذة هوميروس .

عرف جورجى زيدان الملحمة بأنها :
« عبارة عن قصائد طويلة تسرد الوقائع
والحوادث على سبيل القصة ، وأكثرها دينية ،
وأبطالها الآلهة ، ومعظم حوادثها عنهم وبهم ،
كما في إلياذة هوميروس عند اليونان ،
و « مهابارता » عند الهنود (٢) .

(١) للقدمة ص ٣٣٤ طبعة التجارية .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٦١ .

تعريف :

في لسان العرب : (١) « والملاحمة : الواقعة
العظيمة القتل ، وقيل : موضع القتال ،
وألحمت القوم : إذا قتلهم حتى صاروا لحما .
وفي الحديث : « اليوم يوم الملحمة » (٢) ،
وفي حديث آخر : « ويجمعون للملحمة » :
مى الحرب ، وموضع القتال ، والجمع :
الملاحم . مأخوذ من اشتباك الناس
واختلاطهم فيها ، كاشتباك لحمه الثوب بالسدى
وقيل هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها ،
وألحمت الحرب فالتحمت ، والملاحمة : القتال
في الفتنة حيث يقطعون لحومهم بالسيوف .
قال ابن برى : شاهد الملحمة قول الشاعر :
بملحمة لا يستقل غرابها

دقيقا ويمشى الذئب فيها مع النسر (٣)

وقد ذكر ابن خلدون فيما ذكر عن

(١) ج ١٦ المطبعة الأميرية ١٣٠٢ م ١٠

مادة « لحم » . (٢) يوم ففتح مكة .

(٣) لا يستقل غرابها ديقا : يحرك جناحيه
مطمئنا ولا يسرع الى الطيران لكثرة ما يجد من
الغمام ، ويمشى الذئب فيها مع النسر : كناية عن
كثرة القتلى ، إذ يجد كل مفترس ما يشغله عن
النظر الى ما عند غيره .

يقصد أنه لا يوجد في الشعر العربي ما تنطبق عليه كافة هذه الصفات .

وفي مقدمة الإلياذة أن (١) : إلياذة هوميروس ملحمة من الشعر القصصى بالنظر إلى ما تضمنه من سرد الوقائع والأخبار وما تجاوزت به إلى ما وراء الطبيعة من شئون الآلهة وملابسهم للبشر في أعمالهم ، وإيضاح حقائق الفضائل والذائل بطريق الأخبار .

ولقد تحدث البستاني في مقدمته عن سبب خلود الإلياذة - ومعه الأوديسا - وأرجع ذلك إلى الأسلوب الذى سلكه هوميروس في عرض أفكاره ونسج عباراته :

« فإن هوميروس إنما نقر على أوتار الأفسدة فأثارها ونفخ في بوق الأرواح فأطارها ومنج الحقيقة بالخيال مزجاً يخيّل لك أنهما تآلفاً فتخالفاً ، وسير أعماق النفس في سداجتها وتحرى الفطرة في بساطتها ، وهاج العواطف والشعائر وتسكّم بمجلاء لا تشوبه مسحة التكلف فأسهب موضع الإسهاب وأوجز موضع الإيجاز ومثل تمثيلاً صادقاً عن عقيدة وإخلاص الخ ... (١) »

الملحمة في الشعر العربي :

ويعيننا في بحثنا هذا أن نشير إلى علاقة الملحمة بالشعر العربي .

وللأستاذ أحمد حسن الزيات بحث قيم (١) قسم فيه الملحمة إلى طبيعية وصناعية واعتبر أن خصائص الملحمة كما وجدت عند هوميروس من حيث الخيال والخرافة والطول لا توجد لها نظائر في الشعر العربي اللهم إلا فيما وجد من الشعر العامى مثل قصص بنى هلال فإنه يشبه إلى حد كبير خصائص الملحمة .

وقد تحدثت مع سيادته في هذا الشأن فقال : - إنه من الممكن اعتبار المطولات التى تشتمل على معارك وأحداث جسام - ملاحم على سبيل التعرّض . فخدمت له ذلك .

ويرى الدكتور طه حسين أن شعر الملاحم لا يعتمد على ذكر الأبطال والحروب ليس خير ، وإنما هو يعتمد على ذلك ، وعلى أشياء أخرى ، منها اللفظي ومنها المعنوى فهو في لفظه طويل مسرف في الطول تبلغ القصيدة من قصائده آلافاً من الأبيات وهو في لفظه مقيد بألوان من اللفظ ، والموسيقى وهو في معناه يذكر الحروب والمحن وبلاء الأبطال فيها ولكنه يذكر الآلهة ويستوحىهم ما يريد أن يقول ثم هو في معناه اجتماعى يفنى شخصية الشاعر فناء تاماً أو كاللّام في الجماعة التى يصفها من جهة والجماعة التى يفشدها من جهة أخرى وليس في الشعر العربى شيء من هذا (٢)

(١) لبطرس البستاني طبعة ١٩٠٤ م ١٦٤ -

(١) مقدمة الإلياذة ص ٦١ .

(١) « في أصول الأدب » ٢٧٦ - ٢٤٢ .

(٢) الأدب الجاهلى ص ٣٠٦ .

ومن هنا ذهب بعض النقاد من أمثال د. أرنست ربنان، إلى أن الشعر العربي الذي تمثلته القصيدة إنما يعبر عن إحساس شخص، وحالة نفسية خاصة، والابطال في هذا الشعر هم نفس منشئيه، وهذه الصفة الشخصية التي في الشعر العربي والشعر الإسرائيلي ترجع إلى خاصية أخرى من خصائص النفس السامية، وهي انعدام العقلية الخالقة، ومن هنا لا تجد عندهم أثراً للشعر القصصى والتشبيلى (١).

ولم يكن هناك من باعث على هذا الحكم إلا خلل الشعر العربي من الحديث عن الآلهة واشتراكها في الوقائع كما في إلياذة هوميروس. في حين يرى فريق آخر (٢) أن شعر العرب في الحديث عن الحروب وقصصها وأبطالها كقصائد عنتره، ودريد بن الصمة ومهلهل بن ربيعة والحارث بن عباد... وغيرهم كل ذلك وشباهه ينبغى أن يعد من الملاحم، ويرى هذا الفريق أن تطبيق تلك الصفات الخاصة لا يكاد ينطبق إلا على إلياذة هوميروس، وإلياذة فرجيل لتأثره بها، وإلا خرج من باب الملاحم

إن هوميروس قد صور في ملحمة «إلياذة» أحداث العام الأخير من الصراع الذي كان بين اليونان وطروادة واستمر عشر سنوات كانت الحرب فيها مجالا بين الفريقين. وتزعم الأسطورة اليونانية أن السبب في هذه الحرب أن ملك طروادة التي كانت تقع في آسيا الصغرى بمحذاء الدردنيل، اختطف هيلانة زوجة مينلاوس ملك اسبرطة فاستصرخ أمراء اليونان واستنجد بهم، وتألف منهم حلف قوى يرأسه أغاممنون الملك الجبار، واستنجدت طروادة بأمراء آسيا الصغرى، فأنجدوها، وفي نهاية الأمر تغلب اليونان وسقطت اسبرطة في أيديهم كما استطاع مينلاوس أن يسترد زوجته من خاطفها.

وقد جعلت إلياذة بعض أبطال هذه الحرب من البشر، وبعضهم من الآلهة وأنصاف الآلهة، وجعلت لهؤلاء الآلهة أدواراً خطيرة في سير دفة الحرب إذ كان بعضهم يقف إلى جانب اسبرطة مثل بختون وأثينا وبعضهم كان يقف إلى جانب أهل طروادة مثل المريخ وأفروديت.

ومثل هذا التصوير لا نجد له أثراً فينا وصل إلينا من الشعر العربي الجاهلي. وكل ما وصلنا من هذا الشعر إنما يعبر عن أحوال المجتمع والمعارك والحالات النفسية للأشخاص دون أن يكون هناك تدخل من آلهة أو أنصاف آلهة...

(١) راجع «النافذة الديباني» للأستاذ عمر الدسوقي الطبعة الثانية ص ٦٥.

(٢) من هؤلاء المستشرق (أربرى) هامش ١٦٧ من كتاب (شوقي - شعره الإسلامى) للدكتور ماهر حسن والدكتور طه حسين لا ينق وجود شعر قصصى يشبه الملاحم في أكثر أهدافها كما سنرى...

هذه الهجرة ، ولكنه أثبت ل هؤلاء المهاجرين حضارة زاهرة في ذلك القطر في القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد .

وذهب العلامة (سايس) الانجليزى إلى د أن قبيلة من الساميين يقال لها كلدة - (وكلدة مؤسس دولة السككدان وهو شيخ عربى - بحسب لغة العرب للأب أنستاس الكرملى ج ٢ ص ٥٧٨) - كانت نازلة عند مصب النهرين ، وأنها طليعة قبائل النبط والآراميين الذين نزحوا من شمال بلاد العرب ونزلوا القطر البابل نعيمين على ضفاف الفرات ، وأنهم كانوا يتكلمون اللغة السككدية .

لذا كانت الهجرة العربية إلى مناطق العراق وبابل قديمة العهد جداً ويرى المؤرخ د باتون ، أنها ترجع إلى أكثر من ستة وثلاثين قرناً قبل الميلاد (١) .

لذا عرفنا هذا أمكن اعتبار الآثار الأدبية التي نشأت بعد ذلك في بابل ذات صلة وثيقة بالعقلية العربية ، وأن هذه العقلية لا بد أن تأخذ اتجاهها يتناسب والبيئة المستقرة بين النهرين ويختلف عن نظائره في قلب الصحراء ، حيث لا استقرار ...

(١) اتجاه الموجات البصرية في جزيرة العرب للسيد محب الدين الخطيب - للطبعة السلفية سنة ١٣٤٤ ص ٧ وراجع : تاريخ الآداب العربية لجورجى زيدان ج ١ ص ٢٢ والعرب قبل الإسلام ج ١ ص ٤٩ .

الفردوس المفقود لملتن ، والسكوميديا المقدسة لدانتى وملحمة أورلاندو التى تصف المعارك بين المسيحية والوثنية في عهد انتشار المسيحية بأوروبا وشاهنامة الفردوس الفارسى . . وغيرها . .

أقدمية الملحمة العربية :

وهناك أسئلة تتردد نحاول الإجابة عليها : هل حقيقة أن العرب لم يعرفوا شيئاً عن الملاحم إطلاقاً ؟ وإذا عرفوا شيئاً من ذلك ، فمتى كان هذا ؟ ولماذا لم يستمر عندهم ؟ ؟ إن الأدلة التاريخية تدل على أن العرب في أوليتهم قد عرفوا الملحمة قبل هو ميروس بأجيال ولكن في بيئة غير شبه الجزيرة وأن هو ميروس كان متأثراً بما نقل إلى اليونان من آثار بابل الأدبية التى ترجع في أصلها إلى عقلية عربية .

دالمعروف الآن بين العلماء الباحثين في أحوال الجغرافية البشرية أن أصل سكان العراق وبابل وآشور وفينيقية كانوا قد نزحوا في الأصل من شبه جزيرة العرب في موجات متدرجة ، واستوطنوا تلك الأقاليم . جاء في مجلة العلم الحديث (ج ٢ ص ٧٢٨) عن المؤرخ د باتون ، الأمريكى د أن أول مهاجرة سامية ذكرت في التاريخ هى مجىء - جماعة من الساميين إلى البقعة بين مصبى - دجلة والفرات ، . ولم يذكر د باتون ، زمن

ملحمة جلجميش :

وقد جاء في قصة الحضارة :

« ومن أروع الآثار الأدبية التي خلقتها أرض الجزيرة اثنا عشر لوحاً محطماً ، وجدت في مكتبة آشور بانيبال ، وهي الآن في المتحف البريطاني ، وقد كتبت على هذه الألواح : « جلجميش ، الذائمة الصيد ، وتتألف من طائفة من القصص غير الوثيقة الاتصال ، ضمت بعضها إلى بعض في عهود مختلفة ، يرجع بعضها إلى أيام السومريين ، أى إلى ما قبل المسيح بثلاثة آلاف عام ... » (١) .

وبالرجوع إلى نص هذه الملحمة نجد أن البطل جلجميش ثلثاء من عالم الآلهة وثلثه من عالم البشر ، وقد وقعت في حبه الآلهة « أشتار » ولكنه لا يبادلها الحب فتعسكه إلى « أنو » الإله الأعم ، وتدور خلال ذلك معارك ووقائع ، ونرى خرافات وأساطير ، والخيال الواسع ، والحوادث الخارقة للطبيعة ، وإشراك الآلهة مع الإنسان في التكوين وفي الصراع ...

كان جلجميش بطل القصة حاكماً أسطورياً لأروك أو أراك وهو من نسل شمس - نيشتين الذى نجا من الطوفان ولم يميت قط ، ويدخل جلجميش القصة في صورة مركبة من

(١) قصة الحضارة تأليف « ديورانت » وترجمة محمد بدران الجزء الثانى من المجلد الأول ص ١٣٩ .

صورتى أوفيس وشمشون ، فهو طويل القامة ضخم الجسم ، مفتول العضلات جوىء مقدم ، يفنئ الناس بجماهله :

ثلثاء إله .

وثلاثاء آدمى

لا يماثله أحد في صورته .

يرى جميع الأشياء ولو كانت في أطراف العالم .

كابد كل شيء ، وعرف كل شيء .

واخترق شعار الحكمة الذى يجب كل شيء ورأى ما كان خافياً .

وكشف الغطاء عما كان مغطى .

وجاء بأخبار الأيام التى كانت قبل الطوفان (١) .

ومن هنا تتركز عناصر الملحمة التى أصبحت فيما بعد أساساً لخصائص الملحمة كما صورتها ملحمتا هوميروس .

فاذا عرفنا أن حضارة بابل القديمة قد انتقلت إلى آسيا الصغرى والجزر القريبة منها ، وأن هذه المنطقة كانت حلقة اتصال بين بابل واليونان وأن العقلية اليونانية قد احتكت بالعقلية البابلية وتأثرت بها ، وأخذت عنها ألواناً من الثقافات التى عرفتها بابل فى تلك الأزمان السحيقة ، فلا نستبعد أن تكون ملحمة جلجميش قد انتقلت فيما

(١) من النص البابلى لقصة الطوفان من الملحمة ص ٢٣٩ قصة الحضارة .

قبل الميلاد ، وأنه ترجم إلى العبرية فصار سفرأ مقدسا وضاع أصله العربى .
وإذاً تتضح لنا قيمة عروبة ملحمة جلجميش وسفرأيوب فى أن هذا اللون من الإنشاد الأولى كان أسبق من عصره وميروس فى بيئة سامية عربية الأصل ، وزمن سحيق . واستناداً إلى الرأى التارىخى الذى يوجد صلة بين العرب فى شبه جزيرتهم وبين البابليين باعتبار أن أهل بابل كانوا قد نزحوا من الجنوب . . ثم الصلة بين بابل واليونان عن طريق آسيا الصغرى . . نستطيع أن نقول : إن فكرة الملحمة - كما عرفت عند هوميروس - قد نشأت من عقلية سامية بدائية عربية الأصل ، فى بيئة مناسبة منذ زمن سحيق .

أثر البيئة فى العقيدة والخيال :

أما لماذا لم تظهر مثل هذه الملاحم فى بيئة العرب الجاهلية على الرغم مما كان بينهم من معارك فنقول :
إن تعدد الآلهة عند الإغريق القدامى يختلف عما كان عليه تعدد العرب ، فالإغريق كان يعبد آلهة كثيرة تمثل مظاهر الكون المختلفة ... فالتعدد كان بالنسبة للفرد ، أما العربى فقد كان التعدد عنده بالنسبة للقبيلة ، أما الفرد فكان يدين - غالباً - لإله واحد^(١) .
وتعدد اليونان يوجد بلا شك فى الحياة

انتقل وأنها كانت مصدر إلهام لهوميروس فى ملحمتيه فيما بعد ، ولا سيما وأن القشابه بين ملحمة جلجميش وملحمى هوميروس واضح . والمعروف أن هوميروس قد نظم ملحمتيه فى أزميرا وفى منطقة قريبة منها هى جزيرة « خيوس » أى منطقة « آسيا الصغرى التى كانت تعتبر موطناً ثانياً للحضارة البابلية^(٢) .
على أن بابل هى التى أنشأت ذلك القصص الساحر الجميل الذى أصبح بفضل براعة اليهود الأدبية الفنية جزءاً لا يتجزأ عن قصص أوروبا الدينى ومن بابل لا من مصر جاء الجوالون اليونان إلى دويلات مدتهم بالقواعد الأساسية لعلوم النحو وفقه اللغة وعلم الآثار والتاريخ والفلسفة^(٣) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن سفرأيوب قد اعتبره بعض المؤرخين سفرأ عربى الأصل « لأن وقائعها تمثل الحياة البسيطة على حقيقتها وتوضح بالرسم الصادق معيشة الشيخ العربى فى القبيلة البدوية^(٤) . وقد أشار « رينان » إلى أن هذا السفر أقرب إلى العربية من سائر أسفار التوراة العربية^(٥) ومن ثم فقد ذهب كثير من الباحثين إلى أن أصل هذا السفر عربى ، قد نظم فى حوالى القرن العشرين

(١) بيئة العراق ص ٨ ؛ للدكتور حسن هون .

(٢) قصة الحضارة ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٣) هامش الإلباذة للبستاني ص ١٦٨ .

(٤) المرجع السابق

(١) تاريخ القصة والفنذ الأسناد السباعى بيومى ص ١٨ .

الذي يراه ، ويحس الأعرابي أنه قد جن .
(أى استتر في الطبيعة بعسد ظهورها
ووضوحها أمام عينيهِ) ثم صار يتصور أن
هذا الرئي يراه ويسمع له ويسمعه أحياناً
فأطلق عليه اسم « الجن » ... (١) .

ومعلوم أن العرب كانوا يعيشون في هذه
الصحراء المترامية الأطراف عيشة تعتمد على
الرحيل والانتقال سعيّاً وراء الكلاء والماء ،
وكثيراً ما أدت طبيعة حياتهم هذه إلى إثارة
الحروب بينهم ، ولقد سجل الشعر الجاهلي
كثيراً من أخبار هذه الحروب سواء في شعر
الفخر والحماة ، أو شعر الهجاء والرثاء .

وعلى الرغم من كثرة ما قاله العرب
في الحروب وأوصاف المعارك وأدوات
القتال ، فقد أخذت عليهم خلو شعرهم من
« الملاحم » ، أو الشعر القصصى الذى يرويهِ
الشاعر ويتحدث فيه عن المعارك التى شبت
بين عدد من الفرسان ، ويصف أحوال
المجتمع ويتعرض للديانات والآلهة - كما فعل
هومروس فى الإلياذة ... (٢) .

ولودققنا النظر نجد أن ما يفكره الأوروبيون
- ومن لف لفهم - من « خلو الشعر العربى من
الملاحم » ، إنما هو خلو الشعر من الحديث عن
الآلهة واشتراكها فى الحروب ... ثم الطول
الذى وجد فى الإلياذة وليس له نظير فى الشعر
العربى . وكثير من العربيين الجيزاوى

الفكرية العامة اهتماماً بهؤلاء الآلهة ، وطبيعى
أن يظهر ذلك فى إنتاجهم الأدبى .

وكيفما كان الأمر فى وثنية العرب فإنهم
« لم تكن لهم ديانة ذات أصول وقواعد
ومراسيم معينة » ، ولقد وصلوا فى قرارة
أنفسهم إلى معرفة خالق الوجود ووجدانيته
فآمنوا به ، وإن حاولوا أن يصلوا إليه أحياناً
عن طريق الأوثان ، فذلك لأنهم لم يكونوا
قد وصلوا إلى ذلك النضج العقلى التام ، (٣) .

وإن اتجه الخيال اليونانى فى تصور اشتراك
الآلهة فى الحروب نتيجة لعقيدة التعدد والليونة
التي عاش فيها وما اشتملت عليه من جبال
وخلجان . فقد اتجه الخيال العربى الجاهلى
إلى ما أوحى به بيئته المترامية الأطراف ،
فبدلاً من أن يتصور المعارك بين الآلهة بعضهم
وبعض أو بين الآلهة والبشر كما فعل الفسك
اليونانى فإنه تصور الغول والجن والرئي ،
و« الهامة » ، وشياطين الشعر والسكينة ...

« فلا يستغرب من ذلك البدوى الضارب
فى الصحراء إذا ضل طريقه ونفذ زاده ،
ولفحته الشمس بوجهها المحرق ، أن يتصور
أنه فى طريق الهلاك وأن يستوحش حياته ،
وهو فى شعوره بالهلاك يتصور أنه سيفتال
(ومن هنا نشأت كلمة غول) بمعنى الهلاك ،
أما الوحشة فهى تحتاج إلى أنيس وعندما
يرى السراب ويسمى إليه يخيل إليه أنه
يخاطب رجلاً مثله ، ثم لا يلبث أن يختفى ذلك

(١) ملخص من الفتوة عند العرب ص ١١٢ .

(٢) النابغة الذبياني ص ٦٣ .

(٣) الفتوة عند العرب ص ١٠٨ .

نظرات في التصوف والأدب :

الصُّوفِيَّةُ وَعَلَاقَتُهَا بِالزَّهْدِ

للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

بالمهاجرين والأنصار ، وفارقوا العروش
والعقار ، وآثروا البذل والإيثار ، وهرجوا
بدينهم إلى الجبال والقفار ، احترازاً من موامقة
الآبصار ، أن يوى إليها بالأصابع ويشار
لها أنسوا به من التحف والأنوار ، فهم
الأتقياء الأخفياء ، والقرباء النجباء ، صحت
عقيدتهم ، فسلبت سريرتهم ، (١) .

رفضوا الدنيا وركلوا ، وأشاحوا
عن نعيمها وحقوقه ، وضاقوا بقيودها
ورسمها ، فسعوا إلى الانطلاق والانعتاق ،
وقطعوا العمر في الرياضات والمجاهدات ،
حتى صاروا ذوي مواجيد وأذواق ، فكل
حدث بما وجد وعبر عما ذاق .

لهذا حينما نتحدث عن الصوفية يعييك
القول الجامع ، ويمجرك الحد المحيط ،
حقى قال القشيري في ذلك ... وتكلم الناس
في التصوف ما معناه ؟ والصوفي من هو ؟
فكل عبر بما وقع له (٢) .

والصوفية قوم يهضون الحدود ويكرهون
الرسم ، ويمافون القيود ، ويأبونها

لحن من ألحان الإيمان ينساب في تضاعيف
الحياة ، فيجيل قسوتها حناناً ، وأزاهير
فواحة بالحب والشوق في دنيا الناس المليئة
بالشوك والعوسج ، ونسيت من روح الله
تهب ، فتتعلق بها القلوب ، وتدهش لعظمتها
النفوس ، وتتطامن لها قوى الأرض جميعاً
إجلالاً وإعظاماً ، ونفحات من الجنة عطر
الله بها الأرض على مرَّ العصور والأزمان .
وأولئك هم الصوفية الذين سعوا إلى الله
فلم يعشوا بما سواه ، وتطلعوا إلى جماله
الباهر فلم يرق في هيونهم ما عده ، ورأوا
بأواهم الصافية أن ما عند الله خير وأبقى ،
فسلكوا طريقه .

والزموا أنفسهم دوام المجاهدة ، وشدة
المكابدة ، وحفظ الأوقات ، واعتنام
الطاعات . ومفارقة الراحات ، والتلذذ بما
أبدوا به من المطامع ، وصيانة ما خصوا به
من الكرامات ، لا عن المعاملات انقطعوا ،
ولا إلى التأويلات ركنوا ، رغبوا عن العلائق ،
ورفضوا العوائق ، وجعلوا المأموم هماً واحداً ،
ومزايلة الأعراض طارفاً وتالداً ، اقتدوا

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ٢٤ .

(٢) رسالة القشيري ص ١٣٧ .

وعند معروف الكرخي والتصوف الأخذ بالحقائق، واليأس بما في أيدي الخلائق، (١). وعند الجنيد «أن يمتك الحق عنك ويحييك به، أو «أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة» (٢).

فأنت ترى من هذه الأقوال المتعددة صحة ما ذهبنا إليه من عدم وجود تعريف ثابت، وقد مرت بك أن بعضهم عرفه أكثر من تعريف، كما رأيت عند الجنيد. وكما تعددت أقوالهم عن التصوف، تعددت أيضا عن الصوفي.

تعريفات الصوفية للصوفي :

فالصوفي عند ذي النون : من إذا نطق أمان عن الحقائق، وإن سكنت نطق عنه الجوارح بقطع العلائق (٣).

وهو عند الخلاج «وحداني الذات لا يقبله أحد ولا يقبل أحد» وعند الجنيد «الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبس، ولا يخرج منها إلا كل ملبس، وعنده أيضا «أنه كالأرض يطوها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء، وكالقطر يسقط على كل شيء» (٤).

كل الإباء، ولذلك قال بعض المستشرقين : «إن التصوف لا يمكن أن يعد مذهباً وضع على أصول يفتة في الجماعة الإسلامية، ولا يمكن جمع مسأله على أمور مطردة (١).

فلا تستطيع أن تضع له تعريفا جامعاً مانعاً، باعتباره مذهباً، أو علماً، أو فكرة، وهو على تشاكل مقاصده، وتقارب سبله يختلف باختلاف المتصوفين أنفسهم، ويتلون تبعاً لزعاتهم، ذلك لأن للشاعر النفسية، والأحاسيس الوجدانية في توجيهه وتكييفه أثراً كبيراً، وقد أدرك الصوفية أنفسهم هذا، فقد روى عنهم أن الطريق إلى الله كعدد أنفاس بني آدم.

تعريفات الصوفية للتصوف :

ولمشايخ الصوفية في التصوف والصوفي كلام كثير مشهور طائفة منه فهو عند الجريري «الدخول في كل خلق رضى والخروج من كل خلق دقي» (٢).

وعند القصاب «أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم مع قوم كرام» (٣). وعند سمنون «أن تملك شيئاً ولا يملكك شيء» (٤).

وعند رويم «استرسال النفس مع الله تعالى

على ما يريد» (٥).

(٢٤١) رسالة القشيري ص ١٢٦.

(٣) طبقات الصوفية للسلمي تحقيق نور الدين

شريعة ص ١٩.

(٤) رسالة القشيري ص ١٢٢.

(١) التصوف وفريد الدين العطار ص ٧.

(٢٤٢، ٣٤٤) رسالة القشيري ص ١٢٦.

وهذا الرأي، وإن كان لا يعارض قواعد اللغة، إلا أن معرفتنا أن المسلمين كانوا ينفرون من كل ما هو جاهلي يبعد هذه النسبة والذي ارتضاه المتأخرون والباحثون المعاصرون أنه نسبة إلى الصوف، لأنه كان مظهرا من مظاهرهم في لباسهم.

وهذا الرأي على هذا يتمشى من ناحية المعنى والقياس، فصوفي نسبة إلى الصوف، والتصوف مصدر الفعل الخامس تصوف، إذا لبس الصوف، مثل قميص إذا لبس القميص، والنفس إلى هذا الرأي أميل وإن كان أبو القاسم القشيري - وهو من هوفي أخبار القوم - يرفض ذلك، وهذا نصه: «هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة، فيقال رجل صوفي، وللجماعة صوفية، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له: متصوف وللجماعة المتصوفة، وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس، ولا اشتقاق، وإلا ظهر فيه أنه كاللقب، فأما قول من قال: إنه من الصوف وتصوف إذا لبس الصوف كما يقال قميص إذا لبس القميص فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف (١). تاريخ ورود لفظ «صوفي ومتصوف»، كان المسلمون في صدر الإسلام مقبلين

وأجمع ما يقال عن الصوفية أنها ليست مذهباً من المذاهب الإسلامية وإنما هي نزعة فلسفية اعتقد أصحابها أن في مقدورهم تفسير القرآن الكريم تفسيراً يفاير معتقدات غيرهم، ولكنه يفسر مقاصدهم الخاصة (١) اشتقاق لفظ تصوف.

وكما تعددت الأقوال في التصوف والصوفي من ناحية تحديد المعنى لكل منهما، لم تتفق كلمة الباحثين على الأصل الذي أخذ منه لفظ «صوفي» من ناحية الاشتقاق.

فذهب قوم إلى أنها مأخوذة من الصفاء لأنهم قوم صفت نفوسهم من كدورات الدنيا وعلاقاتها، ولهذا يشير الشاعر:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا فيه وظنوه مشتقا من الصوف ولست أنحل هذا الاسم غير قبي

صافي فصوفي حتى لقب الصوفي وهذا الرأي، وإن كان لا غبار عليه من ناحية المعنى إلا أنه لا يتفق مع قواعد اللغة التي تقول إن النسب إلى الصفاء صفائي.

وقال فريق آخر: أنها مأخوذة من الصف الأول لما لهم من سابقة وتقدم في العبادة، وهذا الرأي أيضا مردود بالخطأ اللغوي. ومن قائل: إنها نسبة إلى بني صوفه قبيلة كانت حول البيت في الجاهلية.

(١) رسالة القشيري ص ١٤٧.

(١) التصوف الإسلامي العربي ص ٦٣.

في العيش ورغبة عن الدنيا ، وزهد
في زخرفها وزينتها (١) .

هذا وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن لفظ
صوفي قديم ، وسابق حتى على الإسلام ،
وبعضهم يذهب إلى أنه إسلامي ، لكن ظهر
قبل هذا التاريخ الذي ذكرناه .

إلا أن المصادر الموثوق بها تعين التاريخ
الذي ارتضيناه أولاً ، وهو منتصف القرن
الثاني الهجري ، ويؤكد ما ذهبنا إليه ،
أننا حين نستعرض أمهات الكتب
التي أرخت للتصوف وكتبت عن رجاله
وأفاضت في أحوالهم ، وطرقهم ، نجدها
حينما تتكلم عن شيوخ الصوفية لا تذكر
من تقدم على هذا التاريخ ، كما نرى في رسالة
القشيري بل إن عبد الرحمن السلمي أستاذ
القشيري في كتابه طبقات الصوفية تراه
قسمهم أربع طبقات ، وجعل رأس الطبقة
الأولى الفضيل بن عياض ، والفضيل توفي
سنة سبع وثمانين ومائة ، فمن هذا يتبين لنا أن
الصوفية أنفسهم لم يتعدوا به ذلك التاريخ .

العلاقة بين الزهد والتصوف :

عرفنا فيما سبق أن الزهد كان نزعة غالبة
على المسلمين في الصدر الأول من الإسلام ،

على الذين بشغف ورغبة ، فكان لا يشغلهم
شاغل عنه مهما قوى وجل ، وظل الأمر
كذلك في عهد الصحابة والتابعين ، فكان
الزهد والتقى والصلاح ، كانت هذه الصفات
هي الطابع الغالب على المسلمين آنذاك ،
لأنصرفهم عن الدنيا ، وإقبالهم على ما يقرّبهم
من ربهم ، فلم يكونوا بحاجة إلى وصف
يصمون به أنفسهم ، وكان المسلمون في عهد
الرسول صلوات الله عليه لا يمجّدون شرفاً
أهل ، ولا لقباً أسمى من الصحبة ، فسموا
أنفسهم الصحابة ، ثم سمي من أخذ عنهم
بالتابعين ، فلما ظهرت الفرق ، وادهى كل
منها أن فيهم زهاداً وعباداً ، اتسم أهل السنة
المقبلون على العبادة والنسك باسم الصوفية
والتصوفة ، وصار ذلك سمة وهلامة لكل
من يحميون حياة خاصة فيها زهد الزهاد ،
وعبادة العباد ، وفقراء الفقراء ، حتى صار
علماً يتميزون به عن سواهم من المتدينين .

أول من أطلق عليه لقب صوفي :

ويذهب الباحثون إلى أن أول من أطلق
عليه هذا اللقب هو أبو هاشم الكوفي الصوفي
المتوفى سنة خمسين ومائة لتأثره في حياته بما
كان يختاره النبي صلوات الله وسلامه عليه
ويختاره صحابته رضوان الله عليهم من بساطة

(١) كشف الظنون ج ١ ص ٢٧٧ ، دائرة
المعارف ج ٥ ص ٢٧٦ الحياة الروحية في الإسلام
ص ٨٤ .

ولسنا في حاجة إلى القول بأنهم تأثروا بحياة الزهاد السابقين إلا أنهم لم يقفوا عند ذلك ؛ بل تقدموا خطوة أخرى .

فإن كان الزهاد قد طرخوا الدنيا خوف الحرمان من الآخرة ، فإن الصوفية لم يكتفوا بذلك ؛ بل جاهدوا وعملوا ؛ لأن الله سبحانه حقيق بأن يعبد ، فلم يعبدوه طمعاً في الجنة ، ولا خوفاً من النار ؛ بل رجوا بذلك استشفاف وجهه الكريم والتمتع بجماله الأزلي كما قالت رابعة العدوية : « إلهي إذا كنت أعبدك رهبة من نارك فأحرقني بنار جهنم ، وإذا كنت أعبدك رغبة في جنتك فأحرمها ، وأما إذا كنت أعبدك من أجل محبتك فلا تحرمني يا إلهي من جمالك الأزلي » (١) .

فالزاهد لا يكون صوفياً ؛ لكن الصوفي لا بد أن يكون زاهداً ؛ لأن الزهد والفقر هما الخطوة التي يجتازها الصوفي حتى يبلغ باب الصوفية ، وبغير ذلك لا يستطيع أن يمشی في ركابهم ، من هذا نستطيع أن نقول : إن هناك صلة بين الزهد والتصوف تشبه الصلة الأبوة بالبنوة ، أو المقدمة بالنتيجة ؛ فإذا أخذنا بهذه الفكرة القائلة بانبثاق التصوف عن الزهد يبدو لنا في أول الأمر أن الفرق بينهما لا يكاد يوجد ، إلا أننا حين نسير مع

وأن الناس إلا القليل منهم لم تكن تشغلهم الدنيا وما فيها عن الاتجاه إلى الله ، والإقبال على طاعته .

فلما اتسعت رقعة الفتح الإسلامي ، ودرت أخلاف الرزق على المسلمين ، وكثرت في أيديهم الأموال ، ورأوا ما في الأمم الأخرى من ترف ونعيم ، شاركوا بدورهم في هذا ، وأقبلوا على الدنيا يعبون من خيراتها ، وينهلون من طيباتها ، حتى غرقوا في نعيمها ، ويقول ابن خلدون في ذلك : « الصوفية من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، وأصلها العكوف على العبادة ، والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخارف الدنيا ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة وجاه ومال ، والافتراء من الخلق في الخلوة للعبادة ، وقد كان ذلك فاشياً في الصحابة والسلف ، ولما هم الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، ورضخ الناس إلى مخاطلة الدنيا اختص المتقبلون على العبادة باسم الصوفية أو المتصوفة » (١) .

من هذا النص يتبين لنا أن الصوفية كانت رد فعل لموجة الترف التي اجتاحت العالم الإسلامي آنذاك ، وكانت صرخة ووحية خالصة في وجه المادية الجارفة التي أوشكت أن تفنن الناس مما في دينهم من سمو وروحانية .

(١) الصوف الإلهامي العربي ص ١٤٧ .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٧ .

الصوفية حتى تتطور وترتكز بكفاءة لها مبادئ خاصة نستطيع أن نلح فروقا واضحة نجملها فيما يأتي :

الفروق بين الزهد والتصوف :

أولا : فرق في الغاية ، فالزاهد يرغب عن الملذات ، ويتحمل شظف العيش وشقاءه ويعاني مرارة الحرمان ، ويقاسي آلامه مقبلا على ذلك حريصا عليه ، آملا في ثواب الله ، وطامعا في جنته ، أما الصوفي فيقبل على هذا الضرب غير ناظر إلى ثواب آجل ، إنما همه الوصول إلى الله ومعرفة ذاته .

ثانيا : فرق في الفسكرة فالزاهد متمثل لجبروت الله وبطشه وقهره وعقابه ، والصوفي ناعم في كرمه ولطفه وبعدد ذلك محبته .

من هذا الذي يبناه يتجلى أن التصوف أرقى من الزهد ، وأن الزهد ما هو إلا تمهيد لظهور التصوف ، يمهّد النفوس إلى الأحوال الروحية المشرقة ، والنفحات القلبية الصادقة التي هي روح التصوف وقوامه ، وسبيل الصوفي إلى كشف الحقيقة ، وأن الزهاد كانوا النواة لمن أتى بعدهم من طبقات الصوفية .

محمد إبراهيم الجبوري

(١) نفس المصدر ص ٢٦ ، ٢٧ .

أدب الحديث والاستماع

قالوا : من حسن الأدب ألا تغالب أحدا على كلامه ، وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه ، وإذا حدث بحديث فلا تنازعه إياه ، ولا تقتحم عليه فيه ، ولا ترمه أنك تعلمه ، وإذا كنت صاحبك فأخذه حجبتك فحسن مخرج ذلك عليه ، ولا تظهر الظفر به ، وتعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام .

شخصية المسلم

للأستاذ الحسيني أبو فرجة

كذلك أيضا . وقد قال تعالى : « وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون » (١) . فما هي شخصية المسلم إذن ؟

لقد رسم الإسلام صورة كريمة وضاعة المعالم لشخصية المسلم في الوحي بقسميه القرآن والنبوى . فلا نحتاج معهما إلى ما نكمل به تلك الصورة ، أو نوضح به خطوطها وملاحمها من غير هديهما .

ولقد نجح الإسلام في صقل النفس البشرية أكل نجاح وأتمه ، وأبرز تلك الصورة الكريمة الوضاعة في واقع الحياة فلم تبق مثالا أفلاطونيا لا حقيقة له في عالم الحس .

وعندنا نماذج إنسانية لا يحصيها عد نرى فيها بوضوح ملاح الشخصية المسلمة برزت واقعا حيا ، يمشى على قدمين في أكل وأتم ما رسمه الوحي بقسميه . في شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم أولا . وقفي على أثره في كل زمان ومكان جهم غفير . اشتهر منهم من اشتهر ، واستقر منهم من استقر رغبة في ازدياد الفضل ، وبعداً عن شهوة النفس .

في هذه الأيام التي تتنازع الناس فيها تيارات فكرية مختلفة ومناهج للحياة متباينة . يتلفت المسلم حوله فيرى في واقع الحياة ألواناً مختلفة ونماذج متباينة الشخصيات . تتحارب وتتصارع وتتنازع . فهناك الشخصية النفعية وهناك الشخصية الأريحية ، وهناك غير ذلك كثير بين هذه وتلك .

فأين موقع الشخصية الإسلامية بين تلك الشخصيات .

هل هي تلك الشخصية العزوفة عن الدنيا المتسكرة لها المعرضة عنها تحيا عالة على غيرها ؟ لا يمكن أن تكون كذلك وقد قال تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : (لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) (٣) .

أم هي الشخصية المتكاملة على حطام الدنيا وعرضها الحائل ؟ لا يمكن أن تكون

(١) القصص - الآية ٧٧ .

(٢) رواء البخارى .

(٣) القصص - الآية ٦٠ .

وكذلك يحرم كل ما يضر بالبدن من حشيش وأفيون وغير ذلك ، ويوصى بالاعتدال في الطعام والشراب ، فيقول تعالى : « وكلا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » (١) .

ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطن ،

بحسب ابن آدم أكيلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلك لطعامه ، وثلك لشرابه ، وثلك لنفسه » (٢) ، وبأمر الإسلام بالصوم ومنافعه للجسد كثيرة ، في حين ينهى الإسلام عن الإفراط في العبادة لإفراطاً يضر بالبدن ، هذا عبسده الله بن عمرو وقد أفرط في العبادة ينصحه الرسول صلى الله عليه وسلم بالاعتدال ، عن عبسده الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار ؟ قلت : بلى . قال : فلا تفعل قم ونم وصم وأفطر ، فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لهيكتك عليك حقاً ، وإن لزورك عليك حقاً ، وإن لزوجهك عليك حقاً » (٣) .

فالإسلام يأمر بالصوم حين لا يضر بالبدن ، وينهى عنه حين يضره ويوصى

وبحسبنا اليوم أن نرسم الخطوط العريضة التي توضح ملاح الشخصية المسلمة تاركين لكل الصورة ، لأن ذلك يتطلب وقتاً أوسع . وسنستكمل عن المسلم من هذه النواحي التالية :

- (١) جسمه . (٢) علمه . (٣) خلقه . (٤) إيمانه وغايته .

« جسمه »

المسلم حريص على عنايته بجسمه بحسب عناية كاملة . قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ، ورشح الله شخصاً للهلك وزكاه لأنه أوتي بسطة في العلم والجسم قال تعالى : « قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم » (١) .

ويقدر الإسلام مقالة ابنة شبيب عليه السلام في تزكيتها لموسى ، فيرويها لنارب العزة : « يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين » (٢) .

ويضع الإسلام لهذه الغاية « قوة الجسم » منهجاً مفصلاً .

فينهى نهياً مؤكداً عن كل ما يعترض هذه الغاية ، فيحرم الخمر والزنا وضررها معلوم ،

(١) سورة الأعراف الآية ٣١ .

(٢) رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه

وابن حبان في صحيحه

(٣) رواه البخارى والفظه . ومسلم .

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٧ .

(٢) سورة القصص الآية ٢٦ .

والاستنشاق وغسل الوجه واليدين ومسح الرأس وغسل القدمين .

قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ » (١) .

فهل هناك عناية بالجسم أشد من أن تجعل الإرشادات الصحية والعاب الوقائي قرآناً يتلى في المحارب ، وعبادة يتقرب بها إلى الله . ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو المثل الأعلى لشخصية المسلم ، أنظف الناس ثوباً وأطيبهم ريحاً ، وكان يعنى بشعره عناية فائقة فيرجله ويدهنه حتى كان يرى وميض المسك في مفارقه ، ويوصى بنظافة الثوب والبدن ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً ؟ فقال : إن الله تعالى جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس » (٢)

« علمه »

وأما العلم فأول واجبات الشخصية المسلمة بعد حاجات الجسد ، لأن كل فضل يتفرع عنه

(١) سورة المائدة الآية ٦ .

(٢) رواه مسلم وأبو ترمذى . وبطريق الحق : دفعه ورد . وغمط الناس هو احتقارهم . . .

الإسلام بالرياضة البدنية ، فزى نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه . يصارع ركائه ، ويسابق عائشة ، وفي الفقه الإسلامى باب كبير للسبق والرمى ، ويعنى الإسلام بنظافة الجسم وتجميله .

فالاستنجاء بعد قضاء الحاجة ، والاعتسال في مناسبات عديدة ، من الجنابة وغيرها ، وفي فقه الشافعية : « الاعتسالات المسنونة سبعة عشر غسلاً » ، من أهمها غسل الجمعة الذى يتكرو كل سبعة أيام ، وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم ، وسواك ويمس من الطيب ما قدر عليه » (١) . وبأمر الإسلام بقص الظفر وحلق الإبط والعانة ، ويؤكد الطب أن ترك هذه الأشياء يجمعها يؤرأ خبيثة للكثير من الأمراض ، ويعنى بالأسنان عناية خاصة قبل أن تقب له لذلك الهدنيات الحديثة ، فيوصى بالسواك ، ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » (٢) .

وهناك الكثير من الأمراض تجمد في الأنف مرتعاً خصباً وبين أصابع اليدين والقدمين ، والوضوء خير وقاية من هذه الأمراض ، حيث فكرار المضمضة

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه مسلم والفسائى وابن ماجه .

جميعا إلى نحو الأمية الفكرية فضلا عن الأمية الخطية التي تتفاخر الأمم بمحوها .

يا قوم : رسول كريم لم يترك له الأعداء فرصة للراحة والاستقرار يهدد بإعلان الحرب على المتقاعدين عن العلم والتعليم كما سمعنا . ويجعل العلم طريقا للجنة صنو الصلاة والزكاة ، ومجالس العلم محلا لتنزل البركة والرحمة . فيقول صلى الله عليه وسلم : « ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده » (١) .

ويعتبر من التنازع الإنسانية الكريمة التي تتعلق بها النفوس العالية رجلا آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها . فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم .

« لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها » (٢) .
ويجعل نشر العلم معينا للخير لا ينضب ،

ومن هنا افتتح كتابنا الكريم بالدعوة إليه فقال تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق » (٣) .

كما أقسم بأداة العلم تنديما على شرف العلم فقال : « دن والقلم وما يسطرون » (٤) ويهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بنشر العلم ، فيجعل فداء الأسرى المتعلمين يوم بدر أن يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة ، ويهدد الرسول الكريم صلوات الله عليه قوما قالوا من العلم حظا ، ولهم جيران جفاة من أهل البادية لا حظ لهم من التعليم يهددهم إن لم يعلموه ، ويهدد الجاهلين إن لم يطلبوا العلم .

فيخطب يوما مشنبا على طوائف من المسلمين خيرا ثم يقول :

« ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرؤنهم ولا ينهونهم ، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرؤنهم وينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون ، أولا حاجتهم العقوبة » (٥) وهكذا يسبق الإسلام أمم العالم

(١) المعلق الآية ٢٤١ . (٢) القلم الآية .

(٣) رواء الطبراني في الكبير - عن بكير ابن معروف عن عائمة بن سعيد بن عبد الرحمن ابن أبي عن أبيه عن جده .

(١) رواء مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه .

(٢) رواء البخارى ومسلم . والمراد بالحسد هنا النبطة . وهي تمنى مثل ما لغيره .

طبيبا ومهندسا عندما يلقى ربه ويخلف دنياه ومهنته ، وما عليك أخى المسلم وقد تخصصت فى فن من الفنون وعلم من العلوم أن تخصص من يومك ساعة تتعرف فيها لدينك ، وتكمل بها شخصيتك المسلمة فتسعد مرتبة مرة فى الدنيا ومرة فى الآخرة .

وقديما كان الأزهر جامعة الإسلام الأولى يتسع صدره لجميع العلوم والفنون ، وكان أساطين العلوم المختلفة من طب ورياضة وجبر وغير ذلك .

كانوا قبل ذلك ومعه فقهاء ومحدثين ، فالشيخ ابن سينا أئمة علماء عصره فى الطب هو الشيخ ابن سينا ، صاحب الإشارات والتنبيهات . والغزالي الفيلسوف هو الغزالي الفقيه الصوفي . ونأمل فى يومنا هذا وقد عادت إلى رحاب الأزهر ألوان المعارف المختلفة من طب ومهندسة وغير ذلك . لتدرس بجانب التفسير والحديث والفقه والتوحيد . وبذلك يكمل الأزهر كجامعة ، أقول نأمل أن نجد فى القريب إن شاء الله بجميع دور العلم فى العالم الإسلامى علوم الدين تدرس بجانب علوم الدنيا لتثقف العقل ونهذب الروح معا ، ولنحصل على الشخصية المسلمة الماثقة المتدينة ، وليكثر فينا أمثال ابن سينا والغزالي ، والفخر الرازي .

ولا يزال يمد صاحبه بسيل من الحسنات فى حياته وبعد مماته فيقول : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له (١) .

ويقول : من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، (٢) .

من كل ما تقدم نرى عناية الإسلام بالعلم والتعليم واضحة جليلة نرى غضب الرسول على الجاهلين المنصرفين عن العلم مقتربا بغضبه على العالمين المنصرفين عن التعليم ، فلا يحق لمسلم بعد هذا أن يقعد عن العلم والتعليم . ذلك أن العلم إن طلبه غير المسلمين لدنياهم فقط فنحن نطلبه لديننا ودنيانا ، نطلبه لنذلل به هذه الحياة ، ولنُدخر ثوابه للآيات أيا كان هذا العلم من تفسير وحديث وفقه وتوحيد ومهندسة وصيدلة وطب ، فالإسلام يحث على طلب العلم النافع بجميع صنوفه وأشكاله فقط يجعل العلوم الدينية أفضل من غيرها ، ومقدمة عليها وفرضا على كل مسلم ومسلمة بجانب ما يعلم من علوم الدنيا .

فلا يقبل من مسلم متخصص فى الطب مثلا أن يحمل دينه محتجا بأنه متخصص فى فنه . فالمسلم محمل قبل أن يكون طبيبا ، ومسلم قبل أن يكون مهندسا ، ومسلم بعد أن يكون

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

رأى جديد في أشعار المديح

للأستاذ محمد صلاح الدين فضل

- ١ — في هذه الآونة من تاريخنا الحديث نشوف إلى ارتياد آفاق عذراء في مجال الأدب العربي نحقق فيها رسالة أمثا ... وثبت وجود جيلنا ... ونخطط ملامح غدنا وهذه غايات نبيلة حقيقة بالعمل الخالص والجهد الدائب ... ولكن بعض الغيوم التي ينشرها المشككون وغلالات الضباب التي يثيرها المفتونون تحجب هنا نوراً لا نستطيع المعنى دون الاستضاءة به ... وتهز قبالاً يمكننا البناء دون أن نتركز عليها والقضية التي سأحاول حلها بسرعة في هذا المقال تتصل بتهمة أوشكت أن تلصق في الأذهان بوصمها الأدب العربي القديم في جملته ... وخصوصاً التراث الشعري منه والرد على هذه التهمة ليست محالة للاعتذار عن تاريخنا الأدبي — ولا تبريراً مفتحلاً لما حدث ... وإنما هو تحليل سريع للعوامل التي كان لها فاعليتها وأثرها فيما ورثناه ... ولما زالت هذه العوامل في عصرنا الحديث أخذنا ننظر إلى نتائجها في الأدب دون تقدير لخطورتها ورعى باطنى كامل بأهميتها ...
- ٢ — هذه التهمة تملخص في سؤال يقوم في ذهن الدارس للشعر العربي القديم يتناول ديواناً منه فلا يكاد يمضي فيه حتى يجد أن أغلب الموضوعات التي يدور حولها لا تكاد ترتبط بوجودان الشاعر كفرد . ولا بعواطفه كإنسان . ولكنها مشا كل الجماعة وأصداء البيئة ووحى المجتمع . ثم تركز هذه الأشياء كلها في موضوع واحد استنفذ جهد الشعراء القدامى أو كاد ... ألا وهو شعر المديح ... والسؤال الذي ينشأ أظفاره في ذهن الدارس هو : هل كان مدار الشعر العربي القديم هو الاستجداء ؟ ... هكذا ينشأ السؤال . وتلقى التهمة . فتثير في النفس ظلالاً من الريب . وقدراً من الفتور في الخاس للأدب القديم . بل تثير بعض الاشتزاز في قلوب من يزعمون لأنفسهم رقة الحس ... ورهافة المشاعر ... وتعفف الضمير . ثم لا يلبث المعوقون أن يتكشوا على هذه التهمة المنكراه ليشوهوا وجه الشعر العربي . حيناً يتهمونه بالذلة والاستخذاء والنفعية .
- ٣ — ولكي تقسم نظرتنا للأصوار بقدر ولو يسير من الجدية والموضوعية ينبغي أن نتزّه عن هذه الرقة المزعومة ونعيد النظر في تقديرنا للأمور على ضوء الفهم الواعي العميق لبنية المجتمع القديم والنظم الاقتصادية والسياسية التي كانت سائدة

نجده فوق ذلك قائما على تسلط هذا الزعيم على التوزيع الاقتصادي بما يبيحه لأفراد القبيلة من مرعى ، وما يمنحهم من نصيب في غنائم الغزوات وثروات الحروب التي كانت تمثل ما يقابل الآن الدخل القومى للدولة الحديثة .

هذان الجانبان في شخصية الزعيم ، تجسيمة للثقل العليا القبلية ، وتركيز السلطات المهيمنة على الأرزاق في يديه يجعل الحديث عنه ليس حديثاً عن شخص ... وإنما هو أشبه ما يكون بحديث الشعراء المعاصرين عن المعاني التجريدية من وطنية وإنسانية .

وينبغى أن نتصور أنفسنا في موقف الشاعر القديم عند ما ينظر حوله فيجد نفسه قد وهب وفرة في الإحساس وقدرة على التعبير وعمقا في النفاذ إلى أغوار القلب البشري ، ولكنه كى يحيا في هذا المجتمع القبلى ويحصل على حقوقه كإنسان يريد أن يحس بكرامته وقدره لا بد له من أن يلجأ إلى إحدى وسيلتين : إما أن يباشر أعمال السطو والإغارة واحتراف الحرب وإما أن يشارك سلبيا هؤلاء الذين تجمععت في أيديهم ثروات قومه .

وأحلى هاتين الوسيلتين مر... ولكن لا بد مما ليس منه مفر !!

هنا يحدث الصراع في نفس الفنان الذى تتجاوزه الكبرياء والحاجة ... ثم يكون الحل

فيه . ثم موقف الشاعر في هذا المجتمع حتى نرى بعد ذلك ... ما إذا كان شعر المديح عارا نخزى من الحديث عنه . أم هو نتيجة ضرورية لم يكن هناك محيد عنها في تلك العصور . ونرى بعد ذلك مدى ما بذله همالة الشعب العربى من جهد فى مخلص في تنقية هذا التيار الذى حكمت عليهم الأقدار بخوضه . . والارتفاع به إلى آفاق إنسانية رحبية ، جاهدوا فيها أنفسهم وعانوا المشقات الجسام في سبيل الاحتفاظ لأنفسهم بكرامتها ولقنهم بقدره رغم ما يضطرون إليه المجتمع من ذيف وتعميم .

ونبادر إلى تأكيد حقيقة بديهية هى أنه ليس معنى أن يكون لشعر المديح في العصور السالفة ما يبرره ، بل وما يجعله قدراً لا مفر منه أن يكون له الآن أى حق في الوجود ، إذ أن هذه المبررات لم يعد لها ظل في المجتمع الحديث ؛ — وعند ما نحاول تصور الخيوط

التي كان يتكون منها نسج البنية الاجتماعية في العصر الجاهلى نجد أن النظام القبلى كان يتحكم في كل مظاهر الحياة ، ومن أول مقتضيات هذا النظام أنه يقوم على التدرج الهرمى في تركيبه الإنسانى بحيث يتربع على قمة هذا الهرم رئيس القبيلة أو سيد العشيرة ، وتمثل فيه روح القبيلة وتتلخص فيه شخصيتها بحيث يصير رمزاً حيالها ، وجماعاً لكل ما تعز به في النواحي الأدبية . وهذا النظام

ولدينا نموذج واضح الدلالة على هذه النزعة المثالية التجريدية فيما أثر من شعر المديح الجاهلي .. هو شعر زهير بن أبي سلمى في مدح هرم بن سنان .. والقضية التي تبناها هرم بن سنان واستحق عليها تخليد الشاعر العظيم له قضية لا زالت تشغل أعظم المفكرين في العصر الحديث .. ألا وهي قضية السلام التي يقود الفيلسوف المعاصر برتراند رسل المظاهرات من أجلها ..

هنا يبرز ما نقوله من أن المدح ليس إلا تكريماً لرمز .. تمجيذاً لفكرة لإحياء لمثل .. ولنستمع إليه يقول .

سمى ساعياً غيظ بن مرة بعدما
تبزل ما بين العشيرة بالدم
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله
رجال بنوه من قریش وجرم
يمينا لنعم السيدان وجدتما
على كل حال من سخيلى ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما
تفانوا ودقوا يديهم عطر منشم
فأصبحتما منها على خير موطن
بعيدین فيها من عقوق وماتم

أى بر بالقيم العليا أعظم من هذا البر ...
وأى تمجيد لفضيلة من أعز الفضائل وبطولة
من أرق البطولات وأكثرها عودا بالخير
على الإنسانية من هذا التمجيد !!؟

مزدوجان جانبين ... يحاول الشاعر أن يحمس في حديثه عن الفرد أشواق الجماعة في الزعيم المثالي وفي تأكيد القيم التي يعتز بها المجتمع . ولولا خلال سنها الشعر ما درى

بناء العلا من أين توثى المسكارم
ومن جانب آخر نرى المجتمع يعترف لهذا الشاعر بمحقه في الحصول على عطايا الممدوحين دون تخرج أو لوم ... ونرى الرواة يعترفون بالقصائد التي تدور حول المدح اعتزازهم بغيرها ... ونرى النقاد في العصور المتقدمة والمتأخرة يخططون طرائق هذا الفن دون أى شعور بالفضاضة أو الإثم .

هذا الاعتراف بمشروعية فن المدح يحمل في طياته ما نريد الكشف عنه من أن نظرة الناس إليه في تلك الأيام تشبه نظرتنا اليوم إلى الشعر السياسى الوطنى وأن ما كان يقال بين يدى الزعماء والقادة والحكام من مدح لهم حين تتوافر فيه عناصر الإجابة والإيقان يشبه ما يقدم الآن إلى المسابقات الأدبية من أشعار تدور حول الموضوعات التجريدية .

هـ - ثم يختلف نصيب الشعراء من الاحتفاظ لأنفسهم بإبائهم وعزتها عند ممارسة هذه الضرورة باختلاف ما وهبوه من قوة الروح ... وصلابة الذات وبقظة الوجدان ... فتجد عاطفة الإعجاب وتقديس المثل العليا هي الغالبة على الفحول الذين يبرزوا في شعر المديح .

كانت مجالس الخلفاء وحلقات الشعر بين أيديهم أشبه ما تكون (باستديوهات) الإذاعة وتمررات الصحافة في عصرنا الحديث.. الراوى يأخذ مكانة الناشر.. وهلى من يريد لشعره الذبوع أن يرحل به إلى مركز الأضواء ومقر القيسادة .. إلى مجالس الخلفاء .. وهو لا يستطيع أن يلج هذه المجالس إلا إذا حرق بعض البخور في تمجيد الخليفة وتقديس الفرد .. فى شعر المديح .

أترى أى عبء كان هلى الشاعر القديم أن يتحملة حتى يسمع الناس شعره ؟ وأى مشقة كان يجدها هذا الشاعر فى تناول موضوع متاعف هو موضوع المديح .. ؟ لقد كان هذا ما بعده عذاب .. لكنمه قدر .. وأمر محثوم .. منطق المجتمع .. وضرورة الحياة ..

٧ — لم يكده ينجو من هذه اللعنة إلا طائفة من الشعراء الذين وهبوا حياتهم وفهم لمرائس أو شياطين الغزل .. واتخذوا من هواطفهم ولواعجهم مادة لشعر حتى متجدد نابيع من صميم وجداناتهم ومعبر عن تجارب حقيقة ذاهت وشاعت وعرفوا بها فى الأوساط الأدبية فضمنت لهم خلود الاسم .. ودوران الشعر على الألسن فلم تكن بهم حاجة إلى المديح من أمثال جميل بن معمر وقيس بن الملوخ ومن كان على شاكلتهم ..

ولسنا بصدد تقصى جوانب البحث فى هذه

٦ — ثم يحدث هذا الانقلاب الهائل فى المجتمع العربى بمجيء الإسلام .. وتتعدد الخيوط التى يتكون منها نسيمه .. وتعدد الأصباغ التى يتلون بها رداؤه .. ويتقلب الشاهر العربى فى مختلف مصوره على الجمر حين يتبين أن الفرد الحاكم ما زال يمثل السلطة الروحية .. والنموزج البطولى .. والهيشة التنفيذية للدولة المسلمة .. وأنه إذا كان بوسعه أن يحصل على رزقه دون أن يلجأ إلى أبهاء الخلفاء وقصورهم فإنه سيظل بمنأى عن أضواء التاريخ التى كانت تسلط كلها على أصحاب الحكم وأقطاب السياسة .. سيجرم نفسه من الجحد .. وشعره من الخلود إن ترفع على مجالس الخلفاء والحكام .. ثم إن نزوله إلى هذا الممترك يتيسر له فرصة التوجيه غير المباشر والقيادة الفكرية الحكيمة لحياتهم السياسية والخلقية.

بقى المديح ضرورة الشاعر الذى يريد أن يطفو فوق سطح الحياة ولا يظل مغموراً يعالج أحزانه وأشجانه دون أن يجد راوياً يعنى بنقل شعره أو متغنياً يتلذذ بسماعه .. وعملية التذوق بالنسبة للفنان تكملة طبيعية للإنتاج فكل شاعر يهمه أن تسير بشعره الركبان .. وهى لا تسير فى أغلب الأحيان إلا إذا أمارت اهتمام الناس والعلماء .. ولم يكن يشيرهم فى ذلك الوقت إلا ما يتعلق بهؤلاء الذين تربعوا على قمة المجتمع واستقطبوا حولهم مشاكلة .

فنجده يضرب هلى وتر حساس .. ويلبس
زاوية تثير الشجن عندما يستعيد صاحبه
أن ينقلب عليه بلا مبرر ولا مسوغ ..
ويروح يناشده الوفاء بحق تلك القصائد
الزهراء المنورة التى توجه بها .. ولكنه يبلغ
القمة فى التعبير عن أزمة الفنان الذى اتخذ
من لإنسان مادة أشعاره ثم وجد هذا الإنسان ..
هذا الرمز .. يتحول إلى فراغ .. إلى باطل ..
إلى زيف .. لأنه لا يبكى شخصيات فى هذه
الحال .. ولكنه يبكى شعره .. يبكى
نفسه .. فى كبرياء عنيد واعتزاز أصيل ..
وفورة عارمة من فورات الاعتزاز .. فيقول:

ولو أننى وقرت شعرى وقاره
وأجللت مدحى فيك أن يتهضبا
لأكبرت أن أوى إليك يا صبح
تضرع أو أدنى لمعدرة فما
وكان الذى يؤتى به الدهر هينا

على ولو كان الحمام المقدما
هذه الأبيات الثلاثة فيما أرى كفيّة بأن
تود لشاعر المدح العربى اعتباره فى نظر النقد
الحديث .. ووقفنا على حقيقة إحساس هؤلاء
الفنانين المعذبين عندما يصوغون من ذوب
مشاعرهم تماثيل يجسمون فيها مثلا عليا
يرودون لها السيادة ثم .. تنهار هذه التماثيل
عندما تهب عليها عاصفة بشرية حمقاء .. ويتبين
أولئك الفنانون لغيرتهم فى آلامهم .. فلا تكون

التفصيلات لأننا نريد أن نقف وقفة متأملّة
فى قلب المشكلة لدى الشعراء الذين عانوا أزمة
الإبداع تحت وطأة الانسياق لهذه الضروورات
التي ألحنا إليها .

وسنختار منهم نموذجا يكاد يكون فذا
فى بابه .. هو أبو عبادة البحترى .. وسنختار
له بضعة أبيات من قصيدة عاتبة وجهها
إلى الفتح بن عاقان نشم فيها رائحة الصراع
الذى كان يحتدم فى نفس الفنان الأصيل
بين اعتزازه بشخصه وشعره وخضوعه
لمقتضيات العصر من تورط فى أشعار المديح ..
وتمجيد للمدوحين يقول البحترى :

عذيرى من الأيام رنقن مشربى
ولقيتني نحسا من الطير أشاما
وأكسبني سخط امرئيت موهنا

أرى سخطه ليلا مع الليل مظلما
إلى هنا وهو معتذر عادى لا يزيد عن غيره
من الشعراء الذين أذابوا بدموعهم قلوب
مدوحهم أو قسوة هذه القلوب حتى راحوا
يسكبون فيها الحنان العذب الجميل .. ولكنه
يقول بعد ذلك .

أعيزك أن أخشاك من غير حادث
تبين أو جرم إليك تقدما
ألست الموالى فيك غرقصائد
هى الأنجم اقتادت مع الليل أنجما
ثناء كأن الروض منه منورا
ضحى وكان الوشى فيه مسما

الأدب فى ظل الحياة التى عبر عنها ..
وخضع لمقتضياتها ..

وقد اتضح مما سبق أن شعر المديح كان
متخففاً طبيعياً .. وطريقاً مشروعاً فى المجتمع
العربى القديم .. بحكم بناءه السياسى والاقتصادى
والحضارى بصفة عامة وأنه قام بدور خطير
فى إحياء المثل العليا من جانب وضمان حياة
إنسانية رغيدة للشعراء من جانب آخر .

وبقى جانب آخر وضىء فى شعر المديح
أشرنا أن نختم به هذه الكلمات وهو ذلك المديح
العاطر الذى توجه به عباقرة الشعراء
إلى صاحب أسى الرسالات الإنسانية ومعلم
البشرية - محمد صلى الله عليه وسلم - ولا شك
أن القيم الروحية الجميلة التى أكدها هؤلاء
الشعراء .. والغاية النبيلة التى قصدوا إليها
من مدح الرسول لما يرتقى بهذه الأشعار
- إذا جاد أدائها - إلى سماء الشعر الصافى
الخالد .. ولعل شوقى الآن قد تقاضى مهر
عرائسه عندما قال :

لى فى مديحك يا رسول عرائس

تيمن فىك وشاقهن جلاء
هن الحسان فإن أردت تكريما
فهو هن شفاعه حسناء

محمد صبح الدين فضل

معيد بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

الكارثة فى غرض مدح .. أو نفع ذهب
ولكنها فى نموذج تحطم .. فى عمل .. فى
فقد معناه .. تجوف .. ومن هنا يأخذ شعر
المديح مغزى آخر .. وقيمة جديدة يساعدنا
فى الكشف عنها شعر العتاب ..

ولا نريد أن نعرض هنا لشاعر آخر بلغ
الذروة فى اعتداده بنفسه أمام مدوحيه
ووقوفه منهم موقف الند للند .. وغطايتهم
كأنهم أحباب أو عشاق له ولفنه .. ثم الإدلال
البالغ عليهم والاعتزاز الشديد فى مواجعتهم
والعنف اللاذع فى تأنيبهم لدى الاعتذار ..
وتقربهم عند الفرقة .. ألا وهو المثنى ..
لا نريد أن نعرض لذلك لأنه يطول ..
ولكننا نلج إليه لنبدل هؤلاء الذين يابون
إلا أن يتهموا الشعراء العرب بضعف الشخصية
وخفوت الأنغام الذاتية .. وهوان النفس
فى معرض المديح .. على أن الأرواح القوية
لا تعرف الخنوع .. وهى وإن اضطرت
إلى مشايعة العرف ومسيرة الضرورة
لا يفوتها أن تنتقم لكبريائها إذا جرحت ..
ولفنها إذا امتن .. ولكرامتها إذا ديس .

٨ - وبعد .. فلعل فى الكلمات القصيرة
السابقة ما يشير إلى ضرورة إعادة النظر
فى الأحكام السريعة التى نتبرح بها معرضين
ترائنا للإهمال .. وذخيرتنا للسخرية ..
وأعلام أدبنا للجهود .. وضرورة فهم

بمناسبة الحملة الدولية ضد الجوع

عدالة التوزيع

للأستاذ فتح عثمان

النظر في مصالح العباد ، لا إنه كما مر من (الغلات) وانقضى من السنوات المهلكات . فعزمت على ذكر الأسباب التي نشأ منها هذا الأمر الفظيع ، وكيف تمادى بالبلاد والعباد هذا المصائب الشديعة ، وأختم القول بذكر ما يزيل هذا الداء ويرفع البلاء ، مع الإلمام بطرف من أسعار هذا الزمن وإيراد نبذة عما غبر من الغلاء والمحن ... إذ الأمور كلها : قلها وجلها ، إذا عرفت أسبابها ، سهل على الخير صلاحها ، ...

وكان للقريري إشارة بارعة في ارتباط مستوى الإنتاج بظروف التوزيع إذ يقول : « فلما وهى أهل الريف بكثرة المغارم وتنوع المظالم اختلت أحوالهم ، وتمزقوا كل ممزق ، وجلوا عن أوطانهم ، فقلت بجاني البلاد ومتحصلا ، لغلة ما يزرع بها ، ولخلو أهلها ورحيلهم عنها لشدة الوطأة من الولاة عليهم ، وعلى من بق منهم ، ... لا جرم أنه لما تضاعفت أجرة الفدان من الطين إلى ما ذكرنا ، وبلغت قيمة

كتب القريري في القرن التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي ، كتاباً عن الجماعات في مصر أسماء (إغاثة الأمة بكشف الغمة) له منزلته الفريدة في الفكر العربي والإسلامي ، بعد تلك الفصول التي ضمنها أستاذه ابن خلدون في مقدمته دراسات اقتصادية اجتماعية طيبة ...

وقد كشف الكاتب في مقدمة كتابه عن ظروف مصر السيئة وأزماتها الخائفة التي كانت تجتازها في ذلك الوقت :

« ... لما طال أمد هذا البلاء المبهين ، وحل فيه بالخلق أنواع العذاب المبين ظن كثير أن هذه المحن لم يكن قيامها مثلها ولا مر في زمن شبهها ، وتجاوزوا الحد فقالوا لا يمكن زوالها ، ولا يكون أبداً عن الخلق انفصالها ! لأنهم قوم لا يفقهون ، وبأسباب الحوادث جاهلون .. ومن تأمل هذا الحادث من بدايته إلى نهايته ، وعرفه من أوله إلى غايته ، علم أن ما بالناس سوى سوء تدبير الزعماء والحكام ، وغفلتهم عن

هصر الرجل الاجتماعي . والواقع أن أوضح مظهر للتباين الصارخ بين هذين العالمين - وقد اشتملتهما كليهما حياة جيل واحد - هو انتقال مركز الاهتمام . ففيما قبل الحرب العالمية الأولى كانت المدينة الغربية بما فيها من تقدم اقتصادي عظيم لا هم لها إلا التحكم بطرائقها الفنية في قوى الطبيعة ، وبينما كانت منهمكة ذلك الانهماك في مشكلات الاستغلال الاقتصادي وحيازة الثروة ، كان الإنسان بمشاكله مهملاً إهمالاً يكاد يكون تاماً .

على أن ما رأيناه في عالم ما بعد الحرب في كل مكان سواء في الغرب الرأسمالي أو الشرق الاشتراكي هو تركيز الاهتمام في الإنسان بصفته البيولوجية والبشرية كوحدة متكاملة ، وأصبحت لمشاكل الإنسان الأولوية على المشاكل الاقتصادية . ولا يعني ذلك أن المسائل الاقتصادية ستقل أهميتها في العصر الاجتماعي إلى درجة ثانوية ، بل يعني أنها ستوجه لصالح البشرية ...

وكان من مظاهر هذه الروح الجديدة مؤتمر التغذية التي دعت إليه الأمم المتحدة في هوت سبرينجز Hot Springs حيث قام خبراء ٤٤ دولة فاعترفوا في صراحة بأحوال التغذية في بلادهم ، ورسموا الخطوات الضرورية لسد حاجتها ، وافترحوها بأن يقوموا بإزالة أو - على الأقل - تخفيف البقع السوداء التي تمثل

الإردب من القمح المحتاج إلى بذره ما تقدم ذكره ، وتزايدت كلفة الحرث والبذر والمصاد وغيره ، وعظمت فكاية الولاة والعمال ، واشتدت وطأتهم على أهل الفلاح ، وكثرت المغارم في عمل الجسور وغيرها . منعت الأرض زكاتها ولم تؤت ما عهد من أكلها ... استمر السعر مرتفعاً لا يكاد يرجى انحطاطه ، نخرت بما ذكرنا معظم القرى ، وتعطلت أكثر الأراضي من الزراعة ، فقلت الغلال وغيرها مما تخرجه الأرض ، لموت أكثر الفلاحين وتشردهم في البلاد من شدة السنين وهلاك الدواب ، وانعجز الكثير من أرباب الأراضي عن زراعتها لغسلو البذر وقلة المزارعين ، وقد أشرف الإقليم لأجل هذا الذي قلنا على البوار والدمار سنة الله في الذين خلوا من قبل وإن تجد لسنة الله تبديلاً .

إن عدالة التوزيع تؤثر على الكفاءة الإنتاجية أكبر تأثير ...

نحن نشهد في زماننا تغييراً كاملاً في النظم الاجتماعية وطرق المعيشة التي كانت سائدة في أول هذا القرن ، فنحن نخرج من عصر اجتماعي إلى آخر . وقد حاول جوليان هكسلي أن يحدد خصائص هاتين الفترتين من عصرنا فسمى العصر المنهزم : بعصر الرجل الاقتصادي ، وأطلق على العصر الجديد :

مراكز الجوع وسوء التغذية على الخريطة الديموجرافية ... والواقع أن المشكلة ليست مسألة إنتاج اطلاقاً ، بل بالحرى . مسألة توزيع وقد ذكر فرانكك بودرو أننا كنا أكثر توفيقاً في إنتاج الطعام مما كنا في توزيعه ... ،

ولقد كان الدين حريصاً على عدالة التوزيع حرصه على ترقية الإنتاج .

في حديث رسول الإسلام « من ولى لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً ، أو ليس له زوجة فليتزوج ، أو ليس له خادم فليتخذ خادماً ، أو ليس له دابة فليتخذ دابة ... » .

وتوفير هذه الاحتياجات للإنسان أساس لتحقيق الكرامة الإنسانية

وهي التي تقرها وتقدها نصوص القرآن « ولقد كرّمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً » .

كتب الإمام ابن حزم في القرن الخامس الهجري .

« وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقراءهم ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم ، فيقام لهم بما يأكلون : من القوت الذي لا بد منه . ومن اللباس : للشتاء والصيف بمثل ذلك . وبمسكن : يكفهم من المطر والصيف

والشمس وبعيون المارة » .

ولقد سبق أن عاقت على هذا النص في كتابي (آراء تقدمية من تراث الفكر الإسلامى) :

« لقد ألزم ابن حزم الدولة أن ترعى الحقوق الاجتماعية للأفراد ... وابن حزم يحدد الحد الأدنى للمستوى الاجتماعي ، فليس قيام الأغنياء بالفقرى أن يدفعوا في أفواههم لقمة عفنة معفرة بالتراب ، لا : إنه الغذاء والكساء والسكن . والغذاء : هو القوت الذي لا بد منه ، ولعلباء التغذية وحدهم أن يفسروا هذا النص على أساس ما يوجبه العلم للبرء من سعر حرارى وقيمة غذائية وتوفر للبروتين والدهون والسكر وبايدرات والمعادن والفيتامينات .

واللباس : كلمة شاملة تشمل الملابس الداخلية والخارجية ، وملابس البيت ، والشارع . والمسكن : يجب أن يكون متيناً قوياً ، لا تعبت به الرياح ولا تنفذ خلال ثغراته ذرات الرمال والحصى ولا تقمحه العيون ، !!

وتحقيق هذا المستوى لسكل فرد يتطلب ترقية الإنتاج ، كما أن ترقية الإنتاج تستلزم كفاء الأداة البشرية بتوفير احتياجاتها . وقد يكون تنظيم النسل من الضوابط الضرورية لعدالة التوزيع ...

والرغبة في الطعام ، فإذا ضعفت إحداها قويت الأخرى . فإذا نشأ عن الجوع - ولا سيما الجوع الناجم عن نقص البروتينات وبعض الفيتامينات انعدام الشهية انعداماً مزمناً وانعدم الاهتمام بالطعام ، سيطرت على المرء الرغبة الجنسية . والشخص الذى يتضور تضوراً مزمناً والذى ضعفت شهيته للطعام وأصبح يكفيمها أقل قدر منه ، يتوقف عن التفكير فى غرائزه الغذائية التى أصابها الوهن . وكل ما يبدو عليه من النشاط الذى يهيمه بيولوجيا ويرضيه نفسياً يتجه إلى الغريزة الجنسية . وهى هذا فإن حاجة أولية تقوى حتى تعوض عن سيطرة الأخرى ، وما تبديه بعض المجتمعات أو الطبقات الاجتماعية التى تعيش فى حالة من نقص التغذية المزمن من انغماس فى الشهوات يمكن تفسيره على ضوء عملية التعويض المذكورة . على أن كثرة النقل بينهم ترجع كذلك إلى مظهر فسيولوجى هام من مظاهر الجوع ، وقد لاحظ رعاة الماشية منذ أمد بعيد أن الحيوانات التى تسمن أكثر مما يجب قد تصاب بالعقم ، وأن الإقلال من وجبات طعامها قد يعيد إليها خصوبتها . وتوجد اليوم إحصاءات عن تجارب أجريت ومشاهدات توضح العلاقة بين الطعام والخصوبة ، وهى تبين الطريقة التى يعمل بها النقص الغذائى الجزئى

وقديماً أنذر الاقتصادى الانجليزى توماس روبرت مالتس فى أواخر القرن الثامن عشر بخطور زيادة السكان على الحد الأقصى لإمكانات العالم فى التوسع الزراعى والغذائى . هلى أن زيادة السكان ليست عاملاً مستقلاً منفصلاً عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية ، وفى السنوات القلائل التى أعقبت نشر آراء مالتس كان الظاهر أن زيادة السكان فى العالم تؤيد تنبؤاته ، ولكن قبل نهاية القرن الماضى قلت سرعة تلك الزيادة . ويذكر خبير التغذية جوزويه دى كاسترو فى كتابه (جغرافية الجوع) :

ويختلف أثر الجوع المزمن فى الحاسة الجنسية اختلافاً بيناً على أثر التضور الحاد . فمن المعروف أن التضور يقلل الرغبة الجنسية بيناً يبدو أن الجماعات التى تقاسى النقص المزمن فى التغذية من جهة أخرى تزداد عندهم الرغبة الجنسية ، فمن الواضح أنهم أكثر إنساناً من أحسن حالا . وهذه الزيادة فى القدرة على الإنسال بين الجماعات التى تتعرض للتضور المزمن تحدث عن طريق عملية معقدة تنطوى على عوامل فسيولوجية ونفسية معا . والأثر النفسى للجوع المزمن هو أن يكسب غريزة الجنس من الأهمية ما تعوض به عاطفياً فقدان شهية الطعام ، ومن المسلم به اجتماعاً أن الرغبة الجنسية فى الظروف العادية تنافس

وفي صحيح مسلم : كذا (نزل) على عهد رسول الله قبله ذلك فلم ينهنا . وهناك روايات في الصحيحين والسنن سمع فيها الرسول بأذنه عن (العزل) فلم ينكر ، وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجه وداود : نهى رسول الله أن يعزل عن الحرية إلا بإذنها وهكذا انتقلت السنة النبوية من إقرار المبدأ إلى تنظيمه ! قال ابن القيم : « فهذه الأحاديث صريحة في جواز العزل ، وقدرت الرخصة فيه عن عشرة من الصحابة ، وهو مذهب مالك والشافعي وأهل الكوفة وجمهور أهل العلم ، !! وهكذا نجد اتجاه الدين دائماً إلى رعاية الإنسان .

« وما جعل عليكم في الدين من حرج » .
وعدالة التوزيع في المطالب الاستهلاكية تستدعي عدالة التوزيع في وسائل الإنتاج .
ولقد ورد حديث لرسول الإسلام آثار جدلاً فقهاً كبيراً : « من كانت له أرض فليرعها أو ليعملها أخاه ، فإن أبي فليمسك أرضه ، ووردت روايات بالنهاى عن كرام الأرض .

وعلى ذلك لم يحز الإمام ابن حزم لإجادة الأرض « ولا تجوز لإجادة الأراضي أصلاً ، لا للحرث فيها ولا للغرس فيها ولا للبناء فيها ولا شيء من الأشياء أصلاً ، لا لمدة مائة

على زيادة النسل . والافتقار إلى البروتين وما ينطوى عليه من نقص في بعض الأحماض الأمينية الهامة يزيد الخصوبة في الحيوانات زيادة ملحوظة ، كما أثبتته تجارب الدكتور سالونيكير على مجموعات من الفئران أحدها لأنواع من الغذاء متفاوت فيها مقادير البروتين ثم درس أرقام أنسالها في مدى ستة أجيال ، وقد لاحظ مثلاً أن ذكور الفئران عندما تناولت طعاماً لا يحوى من البروتين سوى ١٠٪ من سعراته الكلية أصيب ٥ ٪ منها بالعمى ، وعندما زيدت نسبة البروتين إلى ٢٢ ، ١٨ ٪ ازدادت نسبة العمى إلى ٢٢ ، ٤٠ ٪ على التوالي ... !! ،

وعلى ذلك يخرج دى كاسترو بأن « ازدحام السكان في جهات العالم المختلفة ليس هو سبب الجوع ، بل إن الجوع هو سبب ازدحام السكان ! وإذا استحال القضاء على الجوع عن طريق تحديد النسل ، فمن السهل أن نعكس الوضع ونقرر أن التحكم في نمو السكان يمكن بالقضاء على الجوع ! ... إن زيادة إمكانيات العالم الديموجرافية وتحسينها ورفع المستوى الصحى للإنسان خليق بأن يؤدي إلى زيادة إنتاج الطعام ، !!

على أن نصوص الدين نفسها لا ترفض فكرة تنظيم النسل ... في الصحيحين : كذا (نزل) على عهد رسول الله والقرآن ينزل ،

بغير انقطاع ، وتستمر حركة تداول الثروة ، كما يسير التيار الكهربائي بين الموجب والسالب .

« كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .
والذين يقيم التعاون الدولي على أساس من التكافؤ والنفع المتبادل .

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للبتقين » .

وهكذا يضع الدين وقاية من الإقطاع ، ومن الاستثمار .

وهنا تحقق كفاءة الإنتاج وكرامة الإنسان .
وهنا يكون الدين هدى ورحمة للفرد بكل طاقاته ، وللمجموع البشري بكل أفراده ، حتى لا يستنزف الصراع المتخبط دون طائل :
قطرة من دم ، أو نفساً من حياة ، أو ذرة من مادة ... وحتى لا تنبذ الطاقات في اصطناع الأسوار والمتاريس لحماية البنى وفي ذلك الأسوار والمتاريس لاسترداد الحق !!

وبعد :

فقد أوفى الله عهده للإنسان ... بالاجموع ، وألا يضيع .

لقد أودع في السكون طاقات هائلة ، ثم أودع في الإنسان طاقة عملاقة تعالج كل ما في السكون من طاقات العمل ، وبقي على الإنسان أن ينطلق ...

قصيرة ولا طويلة ولا بغير مدة صيانة ، لا بدناير ودرام ولا بشئ . أصلاً ، فتى وقع فسخ أبداً .

وهذا تميز لاتجاه القائل بأن تكون الأرض لمن يزرعها ، وأن من لا يزرع يجب ألا يملك أرضاً زراعية .

وخير ما يبرز سلامة هذا الاتجاه كلمات الاقتصادى الانجليزى مل Mill الذى كتب سنة ١٨٤٨م « إن الأسباب التى تبرر ملكية الأرض تكون صحيحة طالما كان مالك الأرض هو مستصلحها ... وليس هناك من نظرية سليمة للملكية الخاصة جرى التفكير فيها يوماً وتضمنت القول بأن مالك الأرض ينبغي أن يكون مجرد موظف من النوع الذى يتقاضى مرتباً بلا عمل ، أو ضيف ثقيل على حساب العاملين فيها » !!

ومن هنا لا تكون ترقية الإنتاج على حساب الكرامة الإنسانية . إن هذا غدر بالهدف النبيل الذى من أجله يكون الإنتاج ، وعاقبة هذا الغدر وخيمة على الإنتاج نفسه فى النهاية !!

والدين لا يرضى بأن يكون الحظ الأوفر من طيبات الأرض أو خيرات الإنتاج وقفاً على طبقة أو دولة ، بينما يشقى سواد المجتمع أو العالم ...

لأنه يتطلب أن يسرى تيار الحياة الاجتماعية

ينطلق بكل طاقاته في التعامل مع الكون
بكل طاقاته !
وحسب الدين أن يبصر الإنسان بمعالم
الطريق ، وأن يوسم له خطوطاً رئيسية ،
وأن يقدم له من هداية الضمير ووقايته
ما يؤمن الطاقة من أن تستهلكها الأهواء
في السرايب والمنحنيات والمزائق !!
وعلى الإنسان وحده بعد ذلك يقع عبء
العلم والعمل ، عبء التفصيل والتنفيذ .
وليبارك الله كل جهد مبذول من أجل
الوصول بالطعام إلى الوفرة ومن أجل التحرر
من الجوع .

ومن كان في يده بذرة أو غصن أو جذر
أو فسيلة فليغرسها ... فإن له بذلك أجرا .
ومن كان في يده شئمة فليضئها على الطريق ...
فإن له بذلك أجرا .
مهما ضجت النذر بأن النهاية والقيامة
على الأبواب .
دالم تركيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة
كشجرة طيبة
أصلها ثابت وفرعها في السماء
تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها
ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم
يتذكرون .

فقه عمارة

الأزهر والعالم

من علم الأزهر شع نور الإسلام في بلاد كثيرة ، من إفريقيا ومن آسيا ، وزاد عدد
المسلمين عشرات الملايين . وكانت بموت الأمم المختلفة إلى الأزهر سبباً لتوثيق علاقة مصر
ببلاد كثيرة ، وشعوب كثيرة ، منذ أقدم العصور إلى اليوم . وقد اكتسب المنتسبون
إليه احتراماً ، وصار رأيه هو الرأي في كل ما يتعلق بالعقيدة والشريعة ، وصار هو الجامعة
الإسلامية في الشرق والغرب .

التكليف والثواب والعقاب

للاستاذ محمد يوسف الشيخ

كلف الله تعالى عباده وابتلاهم بأمره ونهيه فطلب إليهم من الأعمال ما هو واجب ومستحب ، ونهاهم من الأفعال عما هو إثم ومكروه . وكان في امتثالهم ما شاء الله سبحانه من ثواب ورحمة ، وفي مخالفتهم ما شاء الله سبحانه من عقاب ونقمة . فهل للمكلف سلطان على ما كلف به وما به يسعد أو يشقى ؟ سؤال استبد بالمفكرين في شتى العصور ، يحاولون الإجابة عليه بجواب حاسم .

اختلف الباحثون في هذا شيئا وطوائف : الجبرية ، أهل الاعتزال ، أهل السنة . ذهب الجبرية أصحاب جهم بن صفوان إلى أن الإنسان لا صلة له بعقله سوى كونه محلا له فهو بالجناد أشبه ، ولنا في حاجة إلى مناقشة هذا المذهب فإنه يصطدم مع ما نحس به من الاختيار فيما نحن مختارون فيه ، ويتنافى مع التفرقة البديهية بين ما نضطر إليه من الأفعال وما نأثيه طواعية واختيارا .

فليس في ميزان البحث والجسدل سوى مذهبي أهل السنة والاعتزال ، فما هو الحق منهما ؟ أقول لا نزاع بين هؤلاء وهؤلاء

في وقوع التكليف ببعض أفعال العباد كما اتفقوا على أن التكليف إنما يكون بما للمكلف عليه سلطان وله فيه اختيار . نعم جوز فئة التكليف بما ليس في وسع المكلف ولا يقع تحت سلطانه ، لكنهم ينفون وقوع ذلك ، وهذا ما يشهد به الكتاب المبين « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » ، « وما جعل عليكم في الدين من حرج » ، « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

هذان مبدآن لا يختلف فيهما سني ولا معتزلي : وقوع التكليف ببعض الأفعال . سلطة المكلف على ما كلف به . . إلا أنهم اختلفوا فيما تتحقق به سلطة المكلف على ما كلف به ، فذهب الاعتزال إلى أن مظهر ذلك السلطان إنما هو في خلق العبد ما كلف به أو الكف عن خلقه . وفي القرآن المبين شواهد تنادي بظاهرها على ذلك : « اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » ، « من يعمل مثقال ذرة خيرا له ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ، إلى غير ذلك من هشرات الآيات . وذهب أهل السنة إلى أن مظهر سلطة العبد على ما كلف به إنما هو كسبه لذلك

إليه سبيلاً ، ، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ، ، اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ، ، ولا تقربوا الزنا ، ، ولا تأكلوا الربا ، ، ولا يغترب بعضكم بعضاً ... خطاب من الله تعالى يطلب فيه إلينا أن نصل ، ونزكي ، ونصوم ، ونعبد الله تعالى وأن نكف عن الزنا والربا ، والغيبة ، فإذا نفهم من تلك الأوامر والنواهي الصادرة منه إلينا ، يفهم كل الناس بدهاء وبدون تردد أن الله تعالى يطلب إلينا أن توجد الصلاة والزكاة والحج وألا نزني وألا نأكل الربا ، وألا نفتاب ، والفعل في خطاب التكليف أمراً ونهيّاً مضاف إلينا قطعاً . ومن يفعل ذلك يلقى أثاماً ، ، وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين ، ...

لو افترضنا أن ليس هناك سني ولا معتزلي . ولم يقرأ الناس خيلاً في أفعال العباد ، وقرأوا هذه الآيات البينات فهل يرتاب أحد في أن الله تعالى يطلب منا أن يكون هنا هذا الفعل وألا يكون منا ذاك الفعل .

لقد كان مذهب الاعتزال أقرب إلى الفطرة وما يشعر به الإنسان من نفسه وما ينطق به كثير من الآيات ، لولا ما غالوا فيه من تقرير سلطة للعبد مطلقة ، وأن الله تعالى لا إرادة له فيما نهى ، بل ليس وراء الفعل إلا قدرة العبد وإرادته ، أما قدرته تعالى وأما إرادته جل شأنه فمزولة عن ذلك الفعل . نعم أراد الله

العقل المسكف به : ما ذلك الكسب ؟ قال السيد الشريف في مواقف العبد :

الكسب تعلق قدرة العبد وإرادته بفعله الاختياري من غير أن يكون منه تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له . ولهم في الكتاب المبين شواهد تدل على ذلك كقوله تعالى : « وخلق كل شيء فقدره تقديراً » . « واه خلقكم وما تعملون » .

فإذا كان كل شيء مخلوقاً له تعالى فليس لقدرة العبد وقد تعلقت بفعله الاختياري ، خلق وتأثير في ذلك الفعل بل كل ما هنالك أنه محل لذلك الفعل .

إذن انحصر النزاع بين الفريقين في أين تكون سلطة المسكف فيما كلف به ، أم في خلقه ما كلف به أم كسبه لذلك ؟ وكأني بالمعتزلة قد استمدوا رأيهم من الواقع المحسوس الذي تظاهرة كثير من الشواهد القرآنية ، كما أسلفنا بينما لا سند لأهل السنة ، فيما تشبثوا به إلا مثل قوله تعالى : « وخلق كل شيء » . ولولا ما ورد من أمثال ذلك وحرصهم على المحافظة على ظاهره من العموم الشامل لما خالجهم شك في خالق العبد لأفعاله الاختيارية ، كما يشهد به الواقع المحسوس فلقد كلفنا الله تعالى أمراً ناهياً ، أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ، والله على الناس حج البيت من استطاع

التعلق، أما إيجاد الفعل والكف عنه فن أثر القدرة القديمة لا يتعلق به التكليف . وكذلك نفهم قوله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم أجران » . إن الذين تعلقوا قدرتهم بالإيمان والعمل الصالح مجرد تعلق كانت لهم أجران وكذلك « من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها » ، وهكذا وهكذا ... ألا ترى أن هذه تعسفات تذكرها أساليب اللغة التي حملت إلينا التكليف وخاطبتنا بها الله تعالى في أمره ونهيهِ ، إنما ينطق الأمر والنهي فيما أوردنا من الأمثلة بأن المكلف به فعل الصلاة والزكاة والحج ، والكف عن فعل الزنا والربا والغيبة هذه أفعال مسندة إلى العبد وقدرته وقد نسبها الكتاب المبين إليه « من عمل صالحا فلنفسه » ، « عملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » ، فهي للعبد وقدرته خلقا وإيجادا بعد مشيئته تخصيصا واختيارا . فعم قد كبا الاعتزال كبرة شنيعة في عزل المشيئة القديمة عن بعض هذه الأفعال وهو مصادم لقوله تعالى : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » . ولعلمهم اضطروا إلى هذا خوفا من اضطراب العبد عند مشيئته تعالى لفعله ، فنفوا تلك المشيئة فرارا من هذا الاضطراب حتى يستقيم التكليف والثواب والعقاب .. كأنى بهم وقد فروا بهذا نسوا عليه تعالى ذلك العلم الفعلي الذي تبرز الأشياء

سبحانه أن يكون وضع الإنسان هكذا ، خلقه وخلق فيه القدرة والإرادة ، يخلق فعله حسبما أراد ، فليس لله تعالى في فعل العبد سوى خلقه في العبد القدرة عليه يستقل بإيجاده كما أراد ، وقد أمره ببعض تلك الأفعال ونهاه عن بعضها . أما أهل السنة فجعلوا وراء فعل العبد قدرتين وإرادتين : قدرة الله تعالى وعبد ، وإرادة العبد وربه ، ولم يسندوا الفعل إلى القدرتين لا استقلالاً ولا شركة وتعاوناً بل أسندوه إلى قدرته تعالى استقلالاً حسبما أراد ، أما قدرة العبد وإرادته فما شأنهما حينئذ؟ زعموا أن لها مجرد التعلق بالفعل دون إيجادها وهذا ما يسمونه بالكسب كما سلف ... وأقول لا نفهم من تعلق القدرة بالفعل سوى إيجادها بحيث إذا ارتفع الإيجاد ارتفع التعلق ، بل وقولك هذه القدرة لم توجد ذلك الفعل ، مساو لقولك هذه القدرة لم تتعلق بذلك الفعل ، ينهد لهذا قولهم أن تعلق العلم انكشاف ، وتعلق القدرة إيجاد ، وتعلق الإرادة ترجيع وتخصيص ، فنفي الإيجاد مع إثبات التعلق تناقض ، وإثبات الشيء ونفيه معا ، ثم على ما ذهب إليه أهل السنة كيف نفهم النصوص أنفهم : « أقيموا الصلاة » ، فلتتعلق قدرتك بالصلاة مجرد تعلق ، وكذلك « آتوا الزكاة » وكذلك « فليصمه » ، وهكذا سائر الأوامر . فالمكلف به مجرد التعلق ومجرد الكف عن

القديمة في أفعاله التكليفية ، لكن فانهم أن علمه تعالى ذلك العلم الذى سبق جميع الكائنات ، وقد تناول قطعاً وإجماعاً تلك الأفعال التكليفية وما علمه الله تعالى لا محالة كائن فما زال المكلف من هذه الناحية مضطراً فإذا فر الاعتزال من الاضطراب الإرادى فما زال الاضطراب العلى جاثماً لا مفر منه ، وأقول كما سبق :

الحق أنه تعالى مرید لما كان وما يكون كما أنه عالم بكل مفهوم ، لكن ليس في علمه وإرادته لفعل العبد منافاة للتكليف والثواب والعقاب ، وليس فيها معذرة للعبد في إثمه ومعصيته . فإذا أمر الله تعالى عبده بالصلاة مثلاً فإذا لم يمتثل وترك الصلاة فقد بان أن الله تعالى علم وأراد تركه الصلاة وهم امتثاله فهل يصلح هذا العلم وتلك الإرادة معذرة للعبد؟ فيقول: تركت الصلاة لعلمه تعالى وإرادته سبحانه متى تركها . إن مذهب الاعتزال في أفعال العباد أقرب إلى الغفارة وما يشعر به الإنسان من نفسه ، بل وربما كان أكبر استجابة لمطلق الكتاب المبين في كثير من آياته : « عملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » لكنهم كبوا كبرة شفيعة في عزل المشيئة القديمة عن بعض أفعال العباد العباد وهم ومصادم لمثل قوله تعالى : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » ، ولعلمهم انحرافوا هذا الانحراف الإثم فراراً من اضطراب العبد إذا ما تدخلت تلك المشيئة

طوبته كالمهندس يترسم في ذهنه صورة البيت في شكل ووضع معين ، ثم يبنى طبق ما رسم وحسب علمه ، فما علمه الله تعالى لا بد كائن حسب علمه . فما زال العبد مضطراً فإذا فر الاعتزال من اضطراب العبد بنى إرادته تعالى من فعله فما زال العبد مضطراً لشمول علمه تعالى فإن ما علمه كائن لا محالة .. وأقول الحق إنه تعالى مرید لما كان وما يكون كما أنه تعالى عالم بكل مفهوم واجبا وممكننا ومحالا ، لكن ليس في علمه وإرادته لفعل العبد منافاة للتكليف والثواب والعقاب ، وليس فيها معذرة للعبد في إثمه ومعصيته . فإذا أمر الله تعالى عبده بالصلاة مثلاً فإذا لم يمتثل وترك الصلاة فقد بان أن الله تعالى علم وأراد تركه الصلاة وهم امتثاله فهل يصلح هذا العلم وتلك الإرادة معذرة للعبد؟ فيقول: تركت الصلاة لعلمه تعالى وإرادته سبحانه متى تركها .

إن مذهب الاعتزال في أفعال العباد أقرب إلى الغفارة وما يشعر به الإنسان من نفسه ، بل وربما كان أكبر استجابة لمطلق الكتاب المبين في كثير من آياته : « عملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » لكنهم كبوا كبرة شفيعة في عزل المشيئة القديمة عن بعض أفعال العباد العباد وهم ومصادم لمثل قوله تعالى : « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » ، ولعلمهم انحرافوا هذا الانحراف الإثم فراراً من اضطراب العبد إذا ما تدخلت تلك المشيئة

ومعصية كما زعم أهل السنة . قلنا كما سبق أن التكليف يستقيم حيث يكون للسكف سلطانه على ما كلف به . وإن المسكف به عند أهل السنة إنما هو القصد إلى الفعل وصرف القدرة اليه دون إيجاده بل ذلك له تعالى . ولعل في فروع الشريعة ما يشهد بتحديد المسكف بهذا التحديد وذلك التصوير . فخصان قتل أحدهما عامدا وقتل الآخر غير عامد فالأول عليه القصاص بالقتل والثاني لا قصاص عليه مع حصول القتل من الأول والثاني فهذه ذلك على أن مناط العقوبة إنما هو العمد والإرادة ، ويؤيده الحديث المشهور له (إذا أشتَر المسلمان بسيفهما فاقْتال والمقتول في الغار فقتل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال كان حريصا على قتل صاحبه) .

نعم يمكن أن يناقش ذلك بأنه يحتمل أن يكون مناط القصاص الأمرين العمد والفعل ، فإذا انتفى أحدهما سقط القصاص فإنه إذا انتفت العلة أو جزؤها انتفى المعلول جزما . وأما الحديث فليس فيه مجرد القصد والحرص على القتل ، بل كان مع ذلك محاولة القتل من المقتول ألا ترى إلى صدر الحديث (إذا أشتَر المسلمان بسيفهما الخ) وإنما لم يتحقق القتل من المقتول بسبب خارج عن إرادته كضعفه أمام خصمه .

لإقدامك على الفعل أو الإحجام عنه لا يمكن أن يكون معذرة ومسوغا لإقدامك أو إحجامك . وعلمه تعالى وإرادته منك ترك الصلاة لم يكن معلوما لك قبل الترك حتى فات الوقت ، بل علمت ذلك بعد تحقق الترك وفوات الأداء ؛ فلا يسوغ أن تقول إذن تركت الصلاة لعلمه وإرادته ذلك الترك مني ، فإنه قبل الترك وفوات الأداء يحتمل أن يعلم الله تعالى ويريد منك الفعل كما يحتمل أن يعلم ويريد الترك فلا شيء من علمه تعالى وإرادته معلوما للسكف قبل الإقدام أو الإحجام ، فلا يصلح شيء منهما باعثا على الإقدام أو الإحجام بل الباهت عليهما أمور أخرى تقع في دائرة علم المسكف وإرادته من كسل ونحوه ، ومن ثم إذا انكشف لأحد علمه تعالى وإرادته لفعل قبل الإقدام عليه فلا تبعة على ذلك الفعل كما ترى في سفينة الخضر وغلामه ، فقد كشف الله تعالى للخضر أن ذلك الغلام الذي قتله لو بقي حيا لأرهق أبويه طغيانا وكفرا ، فأراد ربك أن يبدلها خيرا منه زكاة وأقرب رحما عندك ذلك أقدم على قتل ذلك الغلام فكان ذلك طاعة ومشوبة .

إلى هنا وضح استقامة التكليف والثواب والعقاب مع علمه تعالى وإرادته لما كان من طاعة ومعصية فهل يستقيم التكليف والثواب والعقاب مع خلقه تعالى لفعل المسكف طاعة

بمجرد القصد وصرف القدرة إلى قصد دون إيجاده يشهد ببطانها نفس هذه الشبهة السيئة ؛ لأن ذلك القاصد يحمل تفاصيل ما قصد كما جزم بذلك أهل السنة في شبهتهم . إذن فهذه الشبهة سلاح ذو حدين كما تهدم دعوى الخلق والإيجاد من العبد ، تهدم دعوى مجرد القصد وصرف القدرة دون إيجاده . ومثل تلك الشبهة تستبعد من المعركة ولا يجوز التمسك بها .

وأيما كان نتيجة الجدل مع أهل السنة فازوا بمطلبهم أم لم يفوزوا فلبندهم هنا مصير محتوم وهو أن المكلف به هتدم بمجرد قصد الفعل واختياره وصرف القدرة إليه دون إيجاده ، وهنا نقسام هل ذلك في سلطان العبد ومكنته ؟ أذلك من خلق العبد أم الرب ؟ أما الثاني فلا سبيل إليه وإلا فلا معنى للتكليف والثواب والعقاب . لهذا جزم كثير من المحققين من أهل السنة أن الخالق لذلك إنما هو العبد نفسه حتى يستقيم الثواب والعقاب .

لعلك تلس آخر المطاف اضطراب أهل السنة إلى إسناد شيء مالم إلى العبد خلقا وإيجادا وأنه لا مفر لهم من التخصيص في مثل قوله تعالى : « افعل خالق كل شيء » ، حتى يستقيم التكليف والثواب والعقاب ، وقد كانوا حريصين الحرص كله على عمومته وشموله حتى ارتكبوا

فازال مذهب أهل السنة في حاجة إلى ما يؤيده ، نعم لم من الشبه ما يشبه أن يكون حجة .

قالوا إذا كان العبد خالقا لفعله قصدا واختيارا فالبس يكون عالما بما يفعل ، فالبدية تشهد بأنه لا يمكن لفاعل ما أن يختار اقاصدا ما ليس له به علم ، ولا شك أن الإنسان يباشر أفعالا فيها من التفاصيل الدقيقة ما يتعذر الإحاطة به إذن ليس للمكلف إلا مجرد القصد إلى الفعل وصرف القدرة إليه دون إيجاده .

أقول ولعله من اليسير الهين دحض هذه الشبهة ؛ فإن ما يوجب علم الفاعل بتفاصيل ما فعل ليس بمجرد كونه فاعلا وإلا وجب ذلك في الفاعل إيجابا دون قصد واختيار . وليس الأمر كذلك فإن العامل الموجبة قد تكون جمادا لا يتأني منها العلم كالنار والإحراق ، بل الذي يوجب علم الفاعل بتفاصيل ما فعل إنما هو بمجرد قصده واختياره . وهذا صريح كلامهم انظر إلى مقالاتهم السابقة (فالبدية تشهد بأنه لا يمكن لفاعل ما أن يختار اقاصدا ما ليس له به علم الخ) . إذن فجرد القصد إلى فعل واختياره يستوجب علم القاصد بما قصد ، أما إنه فاعل أم لا . فلا دخل له في ذلك . فدعوى أهل السنة أن للمكلف

في سبيل ذلك من التعسفات ما تأباه ظواهر
الأوامر والنواهي وما يأباه كثير من الآي
التي تسند الفعل إلى العبد نفسه ، أحملوا
فسيرى الله حملكم ورسوله ، من عمل صالحا
فلننفسه ، إلى غير ذلك من الآي وما يأباه
شعور الإنسان من نفسه فالإحساس شاهد
صدق على أن الإنسان مصدر أفعاله
الاختيارية . وظواهر كثير من الآي ينادى
بذلك بل ذلك الكثير آية على التخصيص
حتما في مثل قوله تعالى « الله خالق كل شيء » ،
فالتخصيص ضربة لازب كما سبق واضطر أهل
السنة أخيرا إليه ، وإذن فالأجدر بأهل السنة
إسناد الأفعال الاختيارية إلى العبد وقدرته
وإرادته اختيارا وإيجادا حتى يسايروا بذلك
منطق الأوامر والنواهي في خطاب التكليف
وما ينادى به كثير من الآي التي تسند الفعل
إلى العبد نفسه مع تلبية شعور الإنسان من
نفسه وإحساسه الصادق بأنه مصدر أفعاله
الاختيارية (وهذا ما اقتنع به إمام الحرمين
من أهل السنة) فقد علمت أنه لا بد من
التخصيص في مثل الآية السابقة قطعا حتى
يتحقق سلطان المكلف على ما كلف به وعندئذ
يستقيم التكليف والثواب والعقاب .

فالتخصيص ضربة لازب كما سبق واضطر أهل السنة أخيراً إليه ، وإذن فالأجدر بأهل السنة إسناد الأفعال الاختيارية إلى العبد وقدرته وإرادته اختياراً وإيجاداً حتى يسايروا بذلك منطلق الأوامر والنواهي في خطاب التكليف وما ينادى به كثير من الآي التي تسند الفعل إلى العبد نفسه مع تلبية شعور الإنسان من نفسه وإحساسه الصادق بأنه مصدر أفعاله الاختيارية (وهذا ما اقتنع به إمام الحرمين من أهل السنة) فقد علمت أنه لا بد من التخصيص في مثل الآية السابقة قطعاً حتى يتحقق سلطان المكلف على ما كلف به وعندئذ يستقيم التكليف والثواب والعقاب .

قال الحق الذي لا يحصى عنه :

رابعاً : أن ذلك أثر لقدرة العبد وإرادته
حق يتحقق سلطانه على ما كلف به ، بل هذا
ما يحس به الإنسان من نفسه ، ويشهد به
كثير من الآيات . وحينئذ يستقيم التكليف
والثواب والعقاب في مثل قوله تعالى :
« والله خالق كل شيء » ، فقد علمت أن ذلك
ضربة لازب حتى يتحقق سلطان المكلف على
ما كلف به ، ويشهد بذلك التخصيص الآيات
تسند الفعل إلى العبد نفسه .

خامساً : أنه تعالى عالم مرید بما يقع من
المكلف طاعة ومحبة ، ولا مقدرة للعبد
في عليه وإرادته كما سلف .

محمد يوسف الشيم

نحو أدب إسلامي

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

خاصة ، إنما تعددت مناحيه الفكرية تعددا جعله لا يمثل شيئا منها .

وتخلص من ذلك كله إلى اضطراب الأدب العربي في مفاهيمه ونوازه ومناحيه اضطرابا شديداً ، وإلى أنه لا يمثل لونا خاصا ولا طابعا معيناً ، وبخاصة في هصرنا الراهن الذي نجد فيه في الأدب تيارات كثيرة متضاربة بعضها قديم وبعضها حديث ، وبعضها شرقي وبعضها غربي ، وبعضها واقعي وبعضها رومانسي الخ فإذا ما أردنا أن نقشء أدبا إسلامياً جديداً فإنه يتعين علينا أن نبدأ من جديد ، وأن نطرح كل القيم والمناهج القديمة ؛ وأن نعود إلى القرآن الكريم ، لفهم أصول دعوته ، ولتمثل نفوسنا بجميل روحانيته ، ولنتعمق في فهمه ودراسته ، ولنستلهم عبره وعظاته القدرة على مجابهة الحياة ومعاناة مشكلاتها ؛ وعندئذ نستطيع أن نقول إننا نفخر بأننا سنعمل من جديد لتحقيق طابع إسلامي في أدبنا المعاصر .

وهذا الطابع يتمثل التراث الإسلامي كله ويصور وجودنا الإسلامي المعاصر تصويرا كاملا ويعبر عن الأهداف والنزعات الإنسانية التي هي مفهوم ديننا وكتابنا الحكيم

تتعدد مذاهب الأدب وتياراته المعاصرة ، وتقابن دوافعه واتجاهاته تباينا كبيرا ، ومن الواضح في آدابنا العربية اليوم أنها لا تمثل مذهبا فكريا معيناً ، كما أنها لا تمثل مذهبا فنياً معيناً ؛ ولقد ساد الأدب العربي في العصر الجاهلي الطابع الفردي والقبلي ، من حيث اصطبح في عصر صدر الإسلام وما يليه بصيغة إسلامية لم تكن تمثل مذهبا مستقلا ، فإذا كانت الأفكار والروح الإسلامية قد بدأت تفرض وجودها على الأدب والأدباء ، فإن ذلك لم يكن ليدل على ظهور سيادة مذهب إسلامي في الأدب ، فقد بقيت التأثيرات والنزعات الجاهلية واضحة الآثار في آداب الإسلاميين ، وبقيت الصور الجاهلية مستعملة عند أغلب الأدباء ، ولم تلبث النزعات القبلية أن فرضت نفسها من جديد على الأدب نفسه ، واختفى الطابع الإسلامي الذي كنا نجده في أمثال شعر حسان ، وفي نثر صدر الإسلام ، وحل محله طابع عقلي واجتماعي في أدب العباسيين .

وفي العصر الحديث لم يستطع الأدب أن يمثل تيارا معيناً ، ولم ينطق عن فكرة

وكما كان هرون الرشيد يقول للسحابة القادمة في الأفق محملة بالرى والماء :
 « مطرى حيث شئت فسيأتيني خراجك ،
 سوف يعود المجد الإسلامى العربى مرة أخرى
 لىسطيع القائد الموجه لدول الإسلام أن
 يقول ذلك من جديد ، لدول تضمها وحدة
 الصف ، وتجمع بيننا وحدة الهدف .

ولذا كانت الحضارة الإسلامية القديمة
 قد عبرت عن مبادئ جديدة ، وصورت
 كفاح الأجيال العربية المسالمة من أجل
 حاضرهما ومستقبلها ، وترنمت بالحرية
 والبطولة وإرادة الإنسان وانتصاره ،
 وبالعزة والمجد لكل الأفراد والجماعات
 والأمم .. فإن حضارتنا نحن وتاريخنا نحن
 جديران منا بكل التفات واهتمام ، فيسجلهما
 أدبنا ، ويصورهما بواقعهما الراهن وبطموحهما
 الشاىخ إلى حيث الكبرياء الوطنى والقوى .
 وخاتمة ذلك كله أن أدبنا لا بد أن يعبر
 عن نزعاتنا الإسلامية الرفيعة ، ولا بد أن
 يكتسب بطابع إسلامى مميز .

ففى ذلك كله صورة الماضى والحاضر
 والمستقبل ، وفيه الأمل المنشود للمهم للغد
 المشرق ، وفيه ربط لاتجاهاتنا الحضرة
 بالإسلام الذى يعد أول ثورة تحررية كبرى
 دعت إلى العدالة والتكافل والإخاء والمساواة
 والحرية بين الناس كافة .

محمد عبد المنعم خفاجى

ويترجم عن أحلامنا وآمالنا وأهدافنا فى
 مستقبل أفضل ويستلهم البطولات الإسلامية
 القديمة والحاضرة ، ويستوحى حضارة شعوب
 الإسلام ويستهديها إلى غير ذلك من مقومات
 الطابع الإسلامى فى الأدب .

ولسوف يكون لمثل هذا الطابع صدى
 عميق فى حياتنا الراهنة ، وفى حياة شعوب
 الإسلام كافة .. ثم لا ننسى ما لمثل هذا الطابع
 من قيمة فكرية وتوجيهية عالية ، وماله من
 غايات إنسانية رفيعة .

وعلى الإجمال فإن النزعة الإسلامية
 فى الأدب لا بد أن توجد من جديد ، لتتخطى
 بما يجيش فى نفوسنا من آمال وآلام ،
 ولتصور الواقع العربى الإسلامى تصويراً
 حقيقياً ، فترسم لنا صورة كبيرة للوطن
 الإسلامى المنهوب « فلسطين ، وكفاح الجيل
 العربى المعاصر من أجل استرداده ، وترسم
 كذلك صوراً أخرى لحركات التحرر ،
 ولحيانات الحائنين ، ولاسترداد الإنسان
 العربى لحيته وكرامته وإرادته ، وللعمل
 الوطنى الشريف فى سبل عزة وسيادة الشعوب
 العربية الإسلامية ، ولآمال هذا الجيل فى
 تحقيق وحدة كاملة شاملة تربط الإنسان
 العربى بأخيه الإنسان فى نطاق من التعاون
 وتبادل الخبرات والثقافات ، ومن الوحدة
 الاقتصادية والثقافية والعسكرية .

الأدبُ العربيّ واتجاهات القومية العربيّة

للدكتور جمال الدين الرمّادي

أحاسيسهم ووجدانهم أن يعبر عن خواجل نفوسهم ، ومكنونات صدورهم .

لقد وقف العرب منذ القرن الماضي وقفة عجيبة لا يستطيعون أن يتحولوا عنها ، وكانوا بين تيارين مختلفين كل الاختلاف متباينين كل التباين . أحدهما تيار المدنية الغربية والآخر تيار المدنية الشرقية . فأنت إذا قرأت لنفر من الكتاب وجدتهم يلجئون إلى الأساليب العتيقة الدارسة ، والعبارات المجموجة البائدة التي امتلأت بها بعض الكتب القديمة ويزعمون أنهم حفاظ على التراث العربي أمعاء على الثقافة العربية وهم لا يستطيعون فهم الثقافة العربية الفهم الصحيح ولا يدركون أغوارها الإدراك السليم .

ولذا قرأت لنفر آخر من الكتاب وجدتهم يسرفون في اعتناقهم البدنية الغربية ويؤمنون بالثقافة الغربية أكثر مما يؤمن بها الغربيون أنفسهم ، بل لأنهم قد يسيئون فهمها كل الإساءة ، ويتصورون الباطل حقا والحق باطلا ، وتخدعهم هذه العبارات الطنانة الرنانة التي ازدحم بها الأدب الغربي ، فإذا هم يتحدثون عن السجوازم أو الرمزية

إذا كان لنا أن نبين اتجاه الأدب العربي في هذه الفترة الماجدة من تاريخنا بعد أن زال هؤلاء الرجعيون الذين كانوا يفرقون كلمتها ويعوقون نهضتها ، ويبددون ثروتها فإن هذا الاتجاه واضح جلي لا يختلف فيه اثنان . وهو الانطلاق نحو الروح العربية الخالصة من تاريخنا أن ننطق بلسان غيرنا ، ونحس بإحساس غيرنا ، وتكون بلادنا مسرحا للأفكار السقيمة التي اصطنعت اصطناعا ، واختلقت اختلاقا .

ولكنها هي الجمهورية العربية المتحدة قد نفقت عنها اليوم أغلال الماضي ، ووجدت ضالتها المنشودة وأملها المرتقب الذي يعيد الروح إلى الجسد الميت ، ويرد النظام إلى الوضع الفاسد ووجدت بطلها المظفر الذي طالما حلت به كثير آ في ليالها الطويل ، وقائدها المغوار الذي طالما انتظرت في سجنها المظلم ، فإذا بهذا البطل ينشر دعوة القومية العربية ، وإذا بقميصها الجارف لا يبق ولا يذر ، فيتردد صوتها الجمهوري من المحيط الاطلسي إلى الخليج الفارسي . . . 11

ولذلك كان لزاما على الأدب الذي يسيطر على النفوس جميعا ويخاطب

ويجوس بين جوارب الداووين ويعالج
شئون الروتين في شتى الوزارات وينتقد
التقاليد الجافية المردولة في المواسم والأعياد
وبين الأضرحة والمقابر ، ويخرج من ذلك
كله بدلالات نفسية كثيرة يشترشد بها الشعب
إلى الصواب .

نحن في حاجة إلى الأديب الذى يصور
كفاح العربى الذى استيقظ من سبات عميق
ليسير في طريق مشرق مزهر بعد ما أدى
الشوك قدميه فتفصدت منها الدماء القانية .

نحن في حاجة إلى الأديب الذى يصور
آمال هذا العربى بعد ما أذله الاستعمار ،
واستعبده الطغيان ... ثم صحان نومته ليعيش
حرّاً عزيزاً في أرض العزة والأحرار ...

وليس من شك في أن الصحافة يقع على
عاتقها عبء كبير من هذه المسئوليات الخطيرة ،
فكلما كانت صورة صادقة للشعب ومرآة
صافية لحياته كانت أكثر توفيقاً ونجاحاً .

وها هي ذى اليوم تسير على هذا الهدى
وتحذو هذا الحذو ، بعد أن أرسل السيد
الرئيس توجيهاته النيرة للصحافة منذ أكثر من
عام ... ثم أشرف عليها الاتحاد الاشتراكي .
نحن في حاجة إلى مثل هذا الأديب ... وليس
هذا بأمل مستبعد أو حلم .. غريب .. !

دكتور محمد الربيع الرمادى

وم لا يفهمون من معناها غير أن يتشدقوا
بألفاظها تشدقاً ومثل هذا من المذاهب
الأخرى مثل البرناسية والرماتيكية
وما إليها .

وإذا بحثنا عن الروح العربية الصميمة
الروح العربية المناسبة . الروح العربية التى
تصور حياة الشعب وآماله وآلامه ، فإننا
قلبا نجدها . وإذا وجدناها رأيناها خافتة
باهتة بين السطور تكاد يطغى عليها الدهر
ويحجبها الظلام .

ولما كنا نعيش اليوم في عهد جديد يقوم
على المساواة والاعتزاز بالقومية العربية
والارتفاع بالقيم الوطنية فإننا في حاجة إلى
أدباء يقدرّون الأدب العربى كل التقدير ،
وفي حاجة إلى أدباء يصورون الريف العربى
والأحياء الوطنية ، ويجوسون بين الأزقة
والمنهطفات ويسهرون تحت أضواء الشموع
والقناديل ، ويصورون نفسيات أهل هذه
الأحياء تصويراً صادقاً لا يزيغ فيه ، ولا
تنميق به ، ولا تزيد عليه .

نحن في حاجة إلى الأديب العربى الذى
يصور أفراح الأمة العربية وأتراحها ،
وتقاليدها العريقة المتفشية في الدور
والقصور ، في نظام الحطبة والزواج ،
والانفصال والطلاق ، وتعدد الزوجات

مَنْ أَخْلَقَ الشَّرِيعَةَ وَأَدَابَهَا لِلْأَسْتَاذِ عَبَّاسٍ ط

لا مرية في أن الجدل مفهوم كلّي تدرج تحته أنواع شتى ، فالجدل في قضايا الاجتماع والجدل في قضايا الأخلاق ، والجدل في قضايا الفسوع الفقهية ، والجدل في مدلولات العلوم العقلية والشرعية ، والجدل في الدين ، كل أولئك بعض ما صدقات الجدل وهو مشتق من فطرة الإنسان التي فطر الله عليها الخلق ، وجزء من خلائقه وسجاياه ، لكن الجدل في إسبيل الوصول للحق هو الهدف الأول للمصلحين في كل عصر وجيل ، فالجدل السياسي مثلاً مرتبط بقضايا الإصلاح الفكري والإصلاح الاجتماعي والخلق ، نشب بين المتصدين للإصلاح في مختلف آفائه وبين أممهم وكان هذا الجدل مبعث آمال مرة ومصدر آلام مرة أخرى بالقياس إلى ما ينتجه المراء من لوثات أخلاقية واجتماعية تكون من الشعب أو الجباعة أو الطائفة أدوات لإفساد وهدم وتضييع في مقامه ، وتلك الظاهرة ماثلة في شق الشعوب والأمم لها ويلاتها في كل قرن ومآثمها في كل جيل وعصر .

هناك جدل ديني أساسه الدعوة إلى الله وتوحيده وتمجيده وما يتصل بذلك من القضايا الأخلاقية المشالية ، هذا النوع من الجدل صاحب العصور كلها وبرز في ميدان كل أمة وظهر على كل لسان في مختلف العصور والدهور ، والمراء في الجدل الذي وقع من قوم نوح وإبراهيم وموسى ماثل في أذهان المتعصبين لذلك النوع من تلكم الدراسات . فالجدل الديني مقترناً بالممارسة فيه كان ولا يزال أخطر ما عرف التاريخ البشري من أطوار هذا الوجود وشقّ مراحلها وقد أكثر علماء الأخلاق والمشتغلون بالدعوة الدينية من خطر الممارسة في الجدل على الدعاة الدينيين والإساءة الأخلاقية ، وكان ذلك بلسان الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم وفي الطليعة منهم رسولنا الأعظم ونبينا الأكرم أخرج أبو دأود والنسائي في صحيحهما أن ابن أبي السائب غشي مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان شريكاً له فجعل الحاضرون يثغون عليه ويذكرونه فقال رسول الله : أنا أعلمكم به ، قال : صدقت بأبي أنت وأمي كنت شريكاً فنعم الشريك كنت لا تدارى ولا تمارى .

لا مرية في أن الجدل مفهوم كلّي تدرج تحته أنواع شتى ، فالجدل في قضايا الاجتماع والجدل في قضايا الأخلاق ، والجدل في قضايا الفسوع الفقهية ، والجدل في مدلولات العلوم العقلية والشرعية ، والجدل في الدين ، كل أولئك بعض ما صدقات الجدل وهو مشتق من فطرة الإنسان التي فطر الله عليها الخلق ، وجزء من خلائقه وسجاياه ، لكن الجدل في إسبيل الوصول للحق هو الهدف الأول للمصلحين في كل عصر وجيل ، فالجدل السياسي مثلاً مرتبط بقضايا الإصلاح الفكري والإصلاح الاجتماعي والخلق ، نشب بين المتصدين للإصلاح في مختلف آفائه وبين أممهم وكان هذا الجدل مبعث آمال مرة ومصدر آلام مرة أخرى بالقياس إلى ما ينتجه المراء من لوثات أخلاقية واجتماعية تكون من الشعب أو الجباعة أو الطائفة أدوات لإفساد وهدم وتضييع في مقامه ، وتلك الظاهرة ماثلة في شق الشعوب والأمم لها ويلاتها في كل قرن ومآثمها في كل جيل وعصر .

هناك جدل ديني أساسه الدعوة إلى الله

وقادتهم وأهل الرأي فيهم توعدهم الله بالعذاب المقيم لأنهم لم يقصدوا إلى إصلاح في دعوة دينية أو توجيه إلى صحيح من النظريات الاجتماعية ، وإنما كانوا للحق أهداء وللفضائل السامية التي ظهرت على السفة أولئك المصلحين خصماء ؛ منهم كذبة حين يجادلون لأنهم يمارون في جدلهم والأدل على ذلك حين كذب قوم نوح عليه قاتهموه بما هو منه برى . : د قالوا يا نوح قد جادلنا فأكثر جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ، : أليس هذا الخطاب في أسلوبه أقذع نوع من أنواع المراء في الجدل نبت في رموس المعاندين فلما قامت عليهم الحجة اتهموا نوحاً بما هو فيهم بل بما هو جزء منهم ، ألساء ما يصنعون .

روى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله قال : (كفى بك لئماً ألا تزال مختصماً) ، ومعناه في جلاء أن المراء في الجدل هو شر أنواع اللدد في الخصومة لأن المراء يحيل ذلك النوع من الجدل خصومة شخصية من أسوأ مظاهرها أن تعقد بالمصاحين عن عن متابعة السير في شعب لإصلاحهم وتغل يد المرشدين والقادة في القضايا الدينية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية عن إزالة العقبات السكاداء التي تعترض سبيلهم إلى أهدافهم : قال الإمام الغزالي في أخلاقياته من

فالحديث في صريح لقطه يندد بالمدارة والمارة عن الرسول بشهادة ابن أبي السائب وقد كان شريكاً له بعد شهادة رب السماء بعظيم خلقه وكيف تكون المارة في القول خليفة من خلافتي الرسول الأعظم وقد بعث ليتم مكارم الأخلاق ، أليست شهادة ابن أبي السائب في حقيقتها تسجيلاً لأن المارة في القول لوثة أخلاقية يتأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجانبه عنها وأن لنا به أسوة حسنة فترسم مواقع أقدامه والقول الطيب من حسم كلامه والمارة في الجدل معول من معاول هدم المجتمع تفسد ما توثق بين الأفراد والجماعات من رباط وتقطع ما بين ذوى القربى من نياط وهي فيما وراء ذلك تستأزم العقاب في الآخرة كما تكفل الثواب لمن ند عنها وصدف .

أخرج الترمذى وأبو داود أن أنسارضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : د أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مخماً وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وببيت في أعلا الجنة لمن حسن خلقه ، ويبين من هذا الحديث أن المشرع الأعظم يعد بربض الجنة من ترك المراء لأن المراء في الجدل كذب مصطنع صاغه الممارى في لحن حجته ودوران طريقته في الإقناع ابتغاء أن يغشى بزرجه على مجادله ومن هذا النوع مراء الذين جادلوا أنبياءهم ورسلهم وزعماءهم

النظر، وتلك غيرة رسخت في النفوس الخبيثة لا يقتلها منها وعظ ولا إرشاد، ولا يبلغ إليها هدى ولا سداد، كذبوا رسلمهم وقعدوا لهم كل مرصد. ثم حاول هؤلاء الرسل أن يأخذوهم بالحجة، فما استجاب المعاندون لدعوة، ولا أصاغوا إلى نداء، ولم قلوب لا يفقهون بها، ولم أعين لا يبصرون بها، ولم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون، ومن يضل الله فماله من ولي، ذلك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين. وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم. قال العلامة ابن حزم في الملل والنحل والآهواء - إن الجدل في الإنسان قديم الوجود لأن له سلطانا من العقل وداعية من النفس، وبذلك التفاعل مشى إليه سلطان الغرور والطغيان، فادعى الألوهية أحيانا، وحاول أن يفتن كثيرا من خلق الله بهذه الدعوة وقال أنا ربكم الأعلى، فأصاخ له فريق نهج نهجه، وأقام على سفته حتى ألهم أديم ظهورهم جميعا سيات الحق فغلبوا هناك وانقلبوا صاغرين: دخل خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين، وكان الإنسان أكثر شيء جدلا. .

أما الجدل السكريم فن الأدب الرفيع كأدب الخطاب وأدب المناظرة الذي أدب الله (البقية على صفحة ٤٩٣)

إحياء العلوم: (إن الدعاة والمرشدين في كل زمن تنبت لهم خصوم ملئت صدورهم بالإحن والسخائم إما لأنهم جعلوا حقائق نفوسهم فانطلقوا يضعون العقبات في طريق أولئك الدعاة لإشفاقا منهم على المجتمع أن يصاب بضرائهم وآثار دهورهم، وإما لأنهم خافوا أن تعملوا شخصيات أولئك القادة والمصلحين فتهتف بهم الألسنة في الحلوات وتنقد عليهم الخناصر في الجلوات وبين هذا وذاك يصبح أولئك الحسدة قوماً مغمورين منسيين لا يتحرك بهم لسان ولا يجري بهم قلم) من إحياء العلوم مع تصرف في المعنى واحتفاظ في المعنى.

ولاشك أن اطراح المرء في الجدل الذي هو الكذب المصطنع والكذب الملقق والدعاء البغيض فضيلة سامية يسمو بها صاحبها إلى الخلق المثالي؛ لأنه نوع من التأدب بآداب الله بل نوع من أدب الخطاب. فالمرءوس مع رئيسه والعشيرة مع زعمائها بدون المجادلة والمرء يسود ميزان الله في الأرض، وهو العدل والقسطاس ويظل قائما في هذا المجتمع يؤدي لكل نصيبه الذي هو به جدير.

ويلتحق بالممارسة في الجدل، الجدل العقيم كجدالة المعاندين من طوائف السفسطانيين الذين لا يلوون على رأى ولا يعتنقون عقيدة فالجدل مع هؤلاء عقيم الأثر، ضيق آفاق

مَاقِيَالُ الْعَزَلِ سِلَامِ

فَهْمُ الْإِسْلَامِ

لِلأَسْتَاذِ عَبَّاسِ مُحَمَّدٍ الْعَقَّادِ

ويقول الشاعر الانجليزى المعاصر (أليوت) بعد اطلاعة على كتابه الأول إنه لم يصادف قبله كتابا مثله فى علم المقارنة بين الديانات الشرقية والغربية .

ونرى من مطالعة هذا الكتاب أن الحكيم الهندى والشاعر الانجليزى على صواب فيما وصفاه المؤلف من القدرة على شرح العقائد الشرقية بغير انحراف مقصود ، ولكننا لا نخاله يشرحها لعامة القراء ولا لطلاب المعلومات المادة المدرسية ، من تلك الشروح ، فإنه يكتب بأسلوب الفيلسوف المتصوف حين يكتب للفلاسفة المتصوفين ولا يهتم لإحصاء الآراء والأقوال والوقائع كما يهتم النفاذ منها إلى «روح العقيدة» كما يبحث عنها طلاب الدراسات فيما وراء الطبيعة ، أو طلاب التأمل فى المعلوم للترقى منه إلى «المجهول» الذى يستعان عليه بالنظر المجرد كما يستعان عليه بالمنطق والمعرفة العلمية.

اسم هذا الكتاب يدل على المقصود منه وهو فهم الإسلام وإفهامه للغربيين ، وإنهم كما يرى المؤلف لأحوج إلى فهم هذا الدين منهم إلى فهم الأديان الأخرى ؛ لأن الأسباب التاريخية والسياسية معقدة تضاعفت على تحريفه وتشويه صورته فيما نقل إليهم عنه قديما وحديثاً ، ولأنه على خلاف غيره من الديانات الشرقية يشتمل على مزيج من العقائد الساموية والدينيوية لا يمتزج هذا الامتزاج فى تلك الديانات .

والكتاب الذى بين أيدينا منقول إلى الانجليزية من اللغة الفرنسية لمؤلفه فريثجوف شيمون Frithjof Schuon الذى تخصص لشرح العقائد الشرقية فى غير هذا الكتاب ويقول الحكيم الهندى (أناندا كومرسواى) إنه واحد من فئة قليلة بين الأوروبيين قادر على نقل العقائد الشرقية إلى الغربيين نقلاً صحيحاً غير مشوب بالغرض وسوء الفهم

أما الرأي الأمثل في «القدرة الإسلامية»، فهو أن هذه القدرة هي النتيجة «المعقولة»، لإدراك المسلم أنه «غير الإله»، ونفوره من فكرة الحلول أو المزج بين الوجود الإنساني والوجود الإلهي، ومن لم يكن إلهاً فليس هو المقدر لمقاديره، ولا افتراق عنده بين الإيمان بالقدر والإيمان بالقدرة الإلهية ولما أدى لوازمها القدرة على العلم بما يكون والقدرة على العلم بما سيعمله الإنسان قبل أن يعمل، وقبل أن يعمل.

ومن لوازم تقديم العقل على الإرادة أن تكون معجزة الإسلام هي المعجزة التي تناسب المخلوق الذي يوصف بالحير، أن الناطق وهي معجزة الخطاب بالكلم الإلهي البليغ، وهو القرآن.

ولا بد للقارىء إذا أراد أن يفهم رسالة القرآن أن يذكر أنه كتاب فرائض وكتاب إقناع وكتاب هداية، وأن الإعجاز فيه لا يرجع إلى فصاحة اللفظ وحدها ولا إلى نسق البيان وحده، ولكن به يرجع إلى إيحاء اللفظ وإيحاء البيان بما يعجز كل كلام «غير إلهي»، عن الإيحاء بمثله.

ثم يلخص المؤلف رسالة القرآن من الوجهة الفلسفية بأنها رسالة الإيمان والإسلام والإحسان، وفيها - مع خطاب العقل بالمعاني الفكرية - مضامين تنطوي في تلك المعاني

وتظهر طريقته في الشرح من تفرقه الجملة بين نظرة المسيحية ونظرة الإسلام إلى الإنسان.

فالمسيحية عنده تقدم الإرادة على العقل، والإسلام عنده يقدم العقل على الإرادة.

ويأتى كل فارق جوهري بعد ذلك من هذا الفارق «الأساسي»، بين العقيدتين.

فإرادة الإنسان تسقطه وتوجهه إلى غفران الخطيئة بالفداء.

وعقل الإنسان يوجب عليه أن يدرك عمله ويدرك التبعية التي تلزمه بين يدي ربه، ثم يلهمه كيف يلتصق الهداية بالنظر فيما حوله وكيف يلتصقها بمعونة الله.

وعقيدة المسلم والمسيحي في المعجزات تابعة لهذا الاختلاف بين تقديم الإرادة على العقل وتقديم العقل على الإرادة.

فالمعجزة هي الوسيلة الكبرى لتقرير إرادة الله أمام إرادة الإنسان.

ولكن الاعتماد على العقل كان للعلم بإرادة الله من طريق غير طريق المعجزات، وإن كان لا يغلق الباب على هذه الطريق.

والمشهور عن المسلم أنه «قدرى»، وإن بالغ أبناء الغرب في الخلط بين إيمان المسلم بالقدر وبين سلب الإرادة وتجريد الإنسان من صفة الحرية.

فإذا كان كمال الإنسان جامعاً له بين الفضائل السماوية والفضائل الأرضية فالقدم أو الخلود مناط الفضائل منذ الأزل قبل أن تنفصل السماء والأرض وقبل أن تعرف للكائنات فكرة سماوية مقابلة للفكرة الأرضية ، أو فكرة أرضية مقابلة للفكرة السماوية . وبين هاتين الصورتين : صورة الإنسان الكامل وصورة الإنسان القديم ، يقيم المسلم عظمة قلبه صلوات الله عليه ، ويتخذة مثالا للإنسانية في صميمها هي صورة غير الصورة التي يتمثلها الغربيون لبوذا أو للسيد المسيح . يقول المؤلف بعد سطور في مقتتح كلامه عن النبي : « إن الذي يطلع اطلاعا وافيا على سيرة محمد من مصادرها الماثورة ترتفع أمامه ثلاثة عناصر قد تتلخص في هذه الصفات الثلاث : التقوى والجهاد والمروءة ، ومفهوم تقواه أنها حب الله بكل قلبه شعورا منه بما يعلو على الوجود وبالصدق المحض والإخلاص السليم ، وهي صفة عامة مفروضة في جميع الرسل الإلهيين ، تذكر بصفة خاصة لأنها في الإسلام عنوان مقدم على الجوهراني فيه .

وهناك غزوات جهاده ، وهي إذا حزنناها عن صورة العنف في الحروب تدل على عظمة روحانية فوق ذرع الإنسانية ، ثم العلاقات الزوجية وهي منفذ مقرر إلى الحياة

ولكن المخاطب بها يفهمها كما ينبغي أن يفهم اللوحات والرموز الخفية ، وهو باب مفتوح للاجتهاد في فهم الحقائق الغيبية على نهج المتصوفة وأصحاب الإشارات والتقاليد .

ومن تصحيحات المؤلف لما يفهمه الغربيون من المناقب الشخصية ، التي اتصف بها النبي عليه السلام أن مصدر الخطأ في هذا الفهم تصورهم للرسول الديني على صورة واحدة هي صورة بوذا والسيد المسيح ، وهي صورة تحيط بها هالة من غير هذا العالم الإنساني لها فيها من محو الذات ومحو العلاقات الدنيوية .

لكن « محمد » عليه السلام لم تكن تكتف به هذه الهالة من غير العالم الإنساني ، لأنه رسول شريعة وصاحب جهاد في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى ، ومثاله من صورة الرسالة الدينية ، إنها هي صورة إبراهيم وموسى عليهم السلام ، مع تفاوت الأفق والجمال .

وللؤلف تفسير فلسفي ، لعظمة النبي عليه السلام كما توحى بها العقيدة الإسلامية . فهو صلوات الله عليه مثال الإنسان الكامل ، الذي لا مرتبة بعده لدرجات الكمال في بني الإنسان ، إلا أنه ليس بمثال الإنسان الكامل وحسب على هذا الاعتبار ، بل هو كذلك مثال الإنسان القديم أو الإنسان الخالد على صورة الله .

له جانحاً إليه - فليس له تأييد غيره من المذاهب أكبر من هذا التأييد .

فالتصوف الذى يشرحه المؤلف فى فصله الأخير هو التصوف الذى يتميز بالنظر إلى الحياة الإنسانية نظرة « الإيجاب » ، والشبوت ولا يطمح بالعباد المتصوف إلى غاية نهايتها الفناء وفقدان وصى الوجود .

والله - جل وعلا - هو فى هذا التصوف حقيقة الحقائق التى يبطل ما عداها ، بطلان الوهم الزائل ، وأكن البطلان هنا غير الباطل الزائف الذى ينتهى إلى تقيض الملوكوت الإلهى فى مملكة الشيطان .

فالكائنات الموجودة فى عالم المادة تزول وتتولد من معدن الزوال ، ولكنها ليست بدينس ولا زيف ولا هى بالبطلان المسوخ فى أصل التكوين ؛ لأن العابد المتصوف ينبغى أن يرى فيها معرضاً لجمال الله ولقدرة الله ولمشيئة الله ، وينبغى أن تكون هذه صورة لتجلى الخالق حيث لا مطمع للمخلوق إلى ما فوقها من آيات الجلال والجمال ، فإنما يطمح وراء هذا المطمح من عرف فى كل شىء آية تدل على الواحد الأحد الذى لا تدركه الأبصار .

* * *

ولا ينسى الكاتب تفرقة بين الإرادة والعقل حين يعرض للفوارق بين تصوف

الأرضية الاجتماعية ولا نريد أن نقول الدنيوية العالمية . . . ولم تخل هذه العلاقات فى ناحيتها السياسية التى نريد بها معناها المقدس عند النظر إلى إقامة مدينة الله على الأرض وقد برزت فى حياة محمد دلالات كافية على العفة والزهادة بخاصة فى أيام الشباب ، حين يشتد جراح الشهوات . .

ثم يقول : « ويصح أن يقال إن روح النبي قد جبلت من النبل والصفاء ، وأولها يجمع القوة والسكرم ، وثانيها يجمع القناعة والاستقامة ، وقد كان مسلك النبي فى طعامه ومنامه مسلك القانع القويم ، ومسلكه مع النساء مسلك السكرم والمروءة . »

والكتاب يدور على فصول أربعة بعد المقدمة ، أولها عن الإسلام ، وثانيها عن القرآن ، وثالثها عن النبي ، ورابعها عن الطريق ، وهو عنوان شامل لسكلامه عن التصوف الإسلامى مع المقارنة بينه وبين تصوف الهندود وتصوف المسيحيين

ونحسب أن القارئ قد ألمح معنا أن مؤلف الكتاب ينتهى بالفصل الأخير من التصوف إلى مجاله الواسع الذى ينطلق فيه قلبه على مدى عنانه ولا تبتعد كثيراً عن فهمه على طريقته فى فهم الإسلام إذا قلنا إنه يتكلم فى التصوف الإسلامى كما يتكلم فى مذهب يؤيده ويمنح إليه ، ولأنه إن لم يكن مؤيداً

لأنه من شأن المعرفة أن تنهض بالعقل إلى ذروة الحق الذى يفيض عليها الصفاء والحرية .

« إن الحب الإلهى يحقق إنقاذه بأن يتنزل إلينا ليرفعنا .

أما الحق الإلهى فإنما يحقق إنقاذه بأن يعيد عقلنا الطبيعى إلى مصدره فوق الطبيعة ، وهو عائد من ثم إلى صفاته الأول ، وإلى الأفق الذى يدرك فيه أن الحقيقة المطلقة هى كل شئ . وأن العوارض دونها ليست بشئ » .

عباس محمود العقاد

المسيحية وتصور الإسلام ، فإن كلماته فى هذا الباب هى أجمع ما عرض له فى كتابه من وجوه المقارنة بين الديانتين ، مع احترامه لكل منهما احترام السباحة والإنصاف .

وهذه هى عبارته التى تختتم بها هذه الخلاصة لبحثه الشائق :

« إذا كان الإنسان إرادة فاقه حجة .
« وإذا كان الإنسان عقلا فاقه حق .
« وحين يكون الإنسان إرادة تسقط بلا قوة ، ولا ناصر تكون حجة الله هى الخلاص .

« وحين يكون الإنسان عقلا يضل ويتخبط فى الظلمات فاقه هو نور الحق الذى يهديه ،

(بقية المنشور على صفحة ٤٨٨)

قال له : كم كنت أود لو أن لى بكل خمسة منكم رجلا واحدا من أهل الشام ، وكان فى الوفد رجل سليط اللسان مبسوط البيان فقال : على رسلك أيها الأمير هلقتنا بك وهدمت بأهل الشام وعلقت أهل الشام بأل مروان فنحن معك على حد قول الأعشى :

علقتنا عرضا وعلقت رجلا

غيرى وعلقت أخرى غيرها الرجل
وهذا من أدب الخطاب الرنيع الذى يلتحق بالجدل الكريم .

عباس ط

به رسله وأنبياءه وخلفاءه فقال الرسول الأعظم : « وجادلهم بالنبي هو أحسن إن ربك هو أعظم — لم يمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ، .

فأدب الخطاب فى المجادلة هو الهدف الأسمى فى الإقناع بالحجة حتى ينتمى الخصم إلى ما يراد منه فى سلامة صدر وبعد عن سخائم القلوب وأحقاد النفوس . لما استوثق الأمر فى العراق لعبد الله بن الزبير أرسل إليه أخوه مصعب وفدا يهتبه ويبايعه على الإمارة فلما مثل الوفد بين يدى الأمير

الكتاب

عرض وتلخيص : مؤلفه محمد عبد الله السمان

١ - الإسلام والمذاهب الأدبية :

للككتور نجيب السكيلافي

قامت بنشر هذا الكتاب مكتبة النور بطرابلس - ليبيا ، والمؤلف الأديب الطيب الدكتور نجيب السكيلافي ، المؤلف القصصى الذى استمد معظم قصصه واستوحى أفكارها من بطون التاريخ الإسلامى .

وهذه الدراسة التى تقع فى حوالى ١٩٠ صفحة ، يمكن أن تكون إجابة عما إذا كان هناك أدب إسلامى حقيقى متكامل ، نستطيع أن نستخلص منه القواعد الأساسية لما نسميه بالإسلامية .

إن المؤلف يذكر فى مقدمته : أنه إذا لم يكن هناك هذا الأدب بصورته السكاملة ، فهناك الدين الإسلامى الذى نستلهم منه هذه القواعد والأصول .

وإذا كان الواضح أن بعض المذاهب الأدبية لم تتحدد مفاهيمها إلا فى ضوء دراسة نماذج سابقة لها - كالكلاسيكية ،

والرومانسية مثلا ، إلا أن بعض المذاهب الأدبية الأخرى لم تسبقها نماذج ، وإنما سبقها تحديد فلسفى وفكرى ، ثم تلتها النماذج الأدبية ، كما حدث فى الوجودية التى ابتدأت كفلسفة واستمرت كأدب ، وكذلك الواقعية الاشتراكية التى ارتبطت بالفلسفة الاشتراكية ، أو الماركسية التى سبقتها .

وعلى هذا الأساس يرى المؤلف أنه ليس ثمة خطأ فى محاولة التخطيط للإسلامية فى الأدب ، وإن لم يكن لدينا النماذج السكاملة المحددة كل التحديد .

أما لا أظن أن المؤلف قد استطاع أن يقدم دراسة تطبيقية متكاملة على منهجه فى مقدمته ، وهو يعرض ويناقش علاقة الدين بالفن ، والخصام بينهما ، وما بين الحرية والالتزام فى الأدب ، وأدب الاستمناح ، والالتزام فى الأدب العالمى ، وصلة الإسلامية بالأدب ، ومشكلة اللغة ، والأدب الإسلامى القديم والحديث ، وأهم المذاهب الأدبية

دون ما حاجة إلى هذا الإسراف في الحشو .
إن محاولة الأديب المؤلف لإبراز قيمة
أدبية للإسلام تعتبر المحاولة الأولى من
نوعها ، وهذا ما يجعلها جديرة بالتقدير .

٢ — كما نحمدت الرسول :

للأستاذ خالد محمد خالد

نشرت هذا الكتاب الجديد للأستاذ خالد
دار الكتب الحديثة بعابدين ، ويقع في ١٨٠
صفحة ، تناول فيه مسقنأ إلى أحاديث
الرسول - صلوات الله عليه - النفس الباطنة ،
وهي - كما يرى - القدر الذي يحملنا في رحلة
التفوق والكمال إذا ألهمت تقواها ، وهي
أيضا القدر الذي يدرجنا في مهاري التعاة
والضلال إذا ألهمت هواها ، وتحويل النفس
الباطنة إلى النفس المظلمة ، المظنة بالخير ،
التواقة إلى الكمال ، هو غاية الدين ، وغاية
المرسلين في تلبية النوع الإنساني وبعث إرادة
الخير فيه ويرى الكاتب الأديب ، أن النفس
الباطنة قوتها وريها ، وأن خير ما تغتذى به
وترتوى هو الإخلاص ، لأن نوايانا تشكل
أعمالنا وتوجهها .

وتناول المؤلف ثانيا : الفطرة المؤمنة .
فالرسول عليه السلام يؤمن أن كل مولود يولد

في العالم الغربي ، ثم نماذج عديدة في القصة
والمرح والشعر .

كنت أرجو خلال هذه الدراسة أن
يكشف المؤلف الأديب ، عما إذا كان من
الممكن أن تنفرد الإسلامية بمذهب أدبي له
حدوده وقواعده ومظاهره وبميزاته كسائر
المذاهب الأدبية العالمية قديما وحديثا .

أعتقد أننا نستطيع أن نلتبس للعلم والفن
والأدب جوانب من واقع الفكر الإسلامي
الخصيب ، ولكن السؤال الذي يطرأ على
الأذهان : هل يمكن الوقوف على منهج
إسلامي خاص في هذه المجالات كما أمكن
للفكرين المسلمين الأوائل أن يقيموا منهجا
خاصا في الفلسفة الإسلامية مثلا ؟ .

ولنا وقفة أخرى مع الأديب المؤلف
في كتابه ، فهو في خمس وسبعين صفحة قدم
لنا نماذج كاملة في القصة والمسرحية والشعر
لأدباء معاصرين : كنجيب محفوظ في قصة
(نصف الدين) ، وتوفيق الحكيم في قصة
(أنا الموت) ، وباكثير ، وهارون هاشم
رشيد ، والكيلاني ، وأحمد محرم ، والوكيل
وإبراهيم نجما ، وقد كان من الممكن أن يكتبني
بالتقاط صور سريعة من هذه النماذج
الكثيرة التي لها ارتباط بدراسته لتوضيح
المفاهيم والمضامين الفكرية للأدب الإسلامي

أخذت فرصتها ساعدت البشر هل أن يكونوا صالحين ، خيرين ، سعداء وكل محاولة لتزييف هذه الفضائل ، جناية ترتكب لاضد جميل أو جميلين أو ثلاثة ، بل ضد الحياة في مداها البعيد .

أما فضائل الحياة التي عناها المؤلف ، فقد عرض منها أهمياتها ، الحب ، التفاؤل ، الرحمة ، الوفاء ، الأمانة .

الاستاذ خالد في كتابه هذا يسير على نفس منهجه في كتبه الاخيرة ، (بين يدي همر) (وجاء أبو بكر) (كما تحدث القرآن) فهو لا يقدم دراسة منهجية تقوم على الموضوع الواحد كقضية متشعبة الجوانب ، وإنما يقدم لقطات تكشف عن القيم العظيمة ، والمعاني الحمية الكبيرة ، ومثل هذا المنهج - وإن كان يكلف جهدا ذهنيا في تحليل المعاني إلا أنه لا يكلف جهدا في البحث عن الأفكار وتقييمها ، ولا جهدا في إيجاد حيثيات للقضايا التي تشكلها هذه الأفكار .

إن الاستاذ خالد الذي أثار مؤلفاته الأولى معارك فكرية ، قد استرخى أخيرا للهدوء الذهني ، ولست أدري : أهذا رد فعل كان يجب أن يكون ، ويجب أن يستسلم له أم إن هذا الهدوء بمثابة استراحة طويلة ، ربما يستعد لجولة أخرى ؟ .

على الفطرة ، وفي هذه الفطرة تكمن وتمثل البديهة التي تهدي صاحبها تلقائيا إلى الحق ، وتوجه أحاسيسه ورؤاه نحو مصدر هذا الوجود المعجز العظيم ، وهذه البديهة تولد معنا ، وتنمو معنا .. ولكنها كأي شيء فينا يحتاج نموها إلى رعاية وزاد ، والأنبياء والمرسلون يقدمون إلينا زادها ويحولونها إلى بصيرة مضاءة بنور ما فتح الله عليهم من آياته وعطاياه - أي يحولونها إلى فطرة عارفة مؤمنة .

وتناول المؤلف ثالثا : أزمة الإنسان ، فالوجود الإنساني أزمة ما في ذلك ريب ، نشأت هذه الأزمة معه ، وتطورت ، ولا تزال تصاحبه وتواكبه ، وهي تقناول الوجود الإنساني كله عند الفلسفة بينما تقناول بعضه عند الدين ؛ لأن الإيمان بالله ، الذي يشكل لدى الفلسفة جزءا هاما من أزمة الإنسان ، ليس عند الدين والمرسلين إلا مفتاحا للأزمة الإنسانية كلها وعلاجها شافيا منها .

وتحدث المؤلف أخيرا عن فضائل الحياة ، التي تحدث عنها رسول الله ﷺ حديث ، والحياة عنده - صلوات الله عليه - لا تنفصل عن الأحياء فهي منهم وإليهم .

إن لهذه الحياة قواعد وفنائها التي إذا

٣ - المرأة في الإسلام :

للأستاذ عبد الحميد إبراهيم محمد

نشرت هذا الكتاب للمؤلف ، الدار القومية للطباعة والنشر ، في حوالي ١٢٠ صفحة ، وقدم له الدكتور أحمد الحوفي الأستاذ بكلية دار العلوم الذي تخرج فيها المؤلف .

الموضوع الذي تناوله المؤلف ليس جديداً بالطبع ، وقد كثر الكلام فيه ، وتقدم إلى المكتبة العربية مئات المؤلفات فيه ، ومن يتصدى للكتابة فيه فمليه أن يأتي بجديد ، وإلا كان تكراراً لا حاجة بنا إليه ، فهل أتى المؤلف بجديد في كتابه هذا ؟

الكتاب قسماً : القسم الأول « معطيات الإسلام للمرأة » ، وقصوده الستة (المعاملة الإسلامية للمرأة ، بيت الطاعة ، تعدد الزوجات ، إرث المرأة وشهادتها ، الرجال قوامون على النساء ، الطلاق) .

والقسم الثاني : انطلاقة المرأة المسلمة في فصل واحد .

هذه الموضوعات المتصلة بالمرأة موضوعات سبق تمحيصها ، والجديد بالنسبة إليها في هذا الكتاب إغراق المؤلف في الاستشهاد بآراء غيره ممن سبقوه ، فنجدده في التهيد للبحث تحت عنوان : « مكانة المرأة في الحضارات

والديانات والمجتمعات السابقة على الإسلام ، لم يسجل إلا آراء الأستاذ العقاد من كتبه : « المرأة في القرآن » ، و « حقائق الإسلام » وأباطيل خصومه ، و « الصديقة بنت الصديق » وآراء الدكتور الرافي من كتابه « الإسلام انطلاق لا جمود » ، وآراء الدكتور محمد حسين هيكل من كتابه : « حياة محمد » ، وآراء الدكتور الحوفي من كتابه « الغزل في العصر الجاهلي » . فإذا علمنا أن هذا التهيد الذي تضمن آراء هؤلاء الكتاب لم يزد إلا قليلاً على ثلاث صفحات ، أدركنا إغراق المؤلف في الاستشهاد .

والاستشهاد ليس هيباً ، مادام للمستشهد من بينها رأى له كيانه في مناقشة الاستشهادات والتمقيب عليها ، وهذا ما لم يكن له وجود إلا في صفحات قليلة من الكتاب .

نحن لا نذكر أن المؤلف أضفى على هذه الموضوعات أسلوباً منطقياً وهو يدهش شبهات حامت حول إنصاف الإسلام للمرأة لاسيما في الفصل الخامس « الرجال قوامون على النساء » ، والقسم الثاني « انطلاقة المرأة المسلمة » .

كان جميلاً من المؤلف في خاتمة كتابه ، أن يطالب بأن نمتحن أسباب نشوز المرأة ، فإن كان سلوك زوجها مستقيماً غير حامل لها

الرسول - صلوات الله عليه - ثم كيف تطورت بتطور الدولة الإسلامية نفسها ، كما تحدث عن نظام الحسبة في مصر وتطوره التاريخي منذ الفتح الإسلامي حتى أوائل القرن التاسع عشر ، ثم ختم المؤلف حديثه بعرض سريع لمشاهير المحققين ، ومنهم المقريزي ، حيث تولى الحسبة في عهد البرقوق ملك مصر عام ٨٠١ هـ ، وصاحب همد القارى في شرح البخارى الذى تولى الحسبة بعد اهتزال المقريزي لها .

والمؤلف عنى بالدراسة عن الحسبة لأنها - كما ذكر - مبنية على التنصيح

والحق أن الدراسة طيبة ، في مسألة تناسها المسلمون ، ولم يكن لها مكان في الثقافة الإسلامية ، وهى الآن محتبسة في أسفار فقهاء المسلمين ، إلا أن المؤلف لم يعرض للحسبة اليوم ، وهل لها مكان في تشريعات بعض البلاد الإسلامية ؟ وإذا كان لها مكان في ظل القوانين الغربية التى تسربت إلى نظم بعض الدول الإسلامية وكنا نود أيضا أن يذكر المؤلف لنا طرفا عن مفهوم الحسبة في نظر القشريع الغربى ، وبذلك تكون الدراسة متكاملة ، وتعال المكانة اللائقة بها في المكتبة الإسلامية .

محمد عبد الله السمان

هل هذا النشوز حكنا بخطأ المرأة وأعدناها إلى بيت زوجها ، وإن كان حاملا لها بسلوكه على النشوز ، فعلى القانون - إذا أعياء إصلاح الزوجة - أن يحكم بالفراق .

ولكن الذى لا نقره ، مطالبة بجعل الطلاق بين يدي القاضى ، متجاهلا دقة القرآن في اشتراطه حكيم من أهله وأهلها للحفاظ على الأسرار الزوجية وقديستها ، (إن يريد إصلاحا يوفق الله بينهما) ، ومهما رأينا أن تكون جلسة القاضى سرية ، فلن نتمكن تماما من المحافظة على أسرار الزوجية ، كما لو اعتمدنا على حكيم من أهلها ، قد يسهان بسبب قرابتهما للزوجين في إمكان الصلح أو التفريق بالتى هى أحسن .

* * *

٥ - الحسبة في الإسلام

الأستاذ إبراهيم دسوقي الشهاوى

أصدرت دار العروبة بالقاهرة هذا الكتاب الجديد الأستاذ الشهاوى ، وهو دراسة عن الحسبة في فصول عشرة : تعريف الحسبة ، وحكمها ، ومراتبها ، وشروط المحقّب وآدابها ، والولايات في الإسلام ، ثم عرض المؤلف لنظام الحسبة في عهد

انبثاء وآراء

شاعر العروبة والإسلام :

الشاعر أحمد محرم

احتفلت محافظة البحيرة ، ومحافظة الجليل
محمد وجيه أباطة بذكرى الشاعر الكبير
الحالد أحمد محرم في دمنهور عاصمة البحيرة .
فأقامت لذلك مهرجانا كبيرا في سينما النصر
بدمنهور استمر من ٢٧ إلى ٢٩ جمادى الأولى
عام ١٣٨٣ هـ - ١٥ إلى ١٧ أكتوبر
عام ١٩٦٣ م .

ثلاثة أيام كاملة عاشتها دمنهور في أعياد
وطنية كبيرة ، وهي تحتفل بذكرى الشاعر
الكبير أحمد محرم شاعر الوطنية والثورة
عليه رحمة الله (١٨٧٧ - ١٩٤٥) .

وقد امتلأت دمنهور بوفود الأدباء من
جميع أنحاء الجمهورية العربية المتحدة الذين
قصدوا إليها بدعوة من المحافظ ، ونزلوا في
ضيافته ، وشاهدوا معالم العمران والثورة
في البحيرة وفي عاصمتها .

في اليوم الأول من المهرجان افتتحت
حفلة الذكرى بآيات من القرآن الكريم ،
ثم ألقى كلمة الافتتاح السيد المحافظ ، وأعلن
فيها تبرع المحافظة بجائزة سنوية للشعر مقدارها
مائة جنيه يمنحها المجلس الأعلى للأدب

والفنون نيابة عن المحافظة لأحد أبناء البحيرة
من الشعراء ، وتلاه السكرتير العام للجلس
الأعلى للفنون والآداب السيد الأستاذ
يوسف السباعي فنوه بالمهرجان والشاعر
وطالب بتكوين الهيئة المحلية للأدب والفنون
في المحافظة ، ثم ألقى قصائد من الشعراء :
على باكثير وفضيلة الشيخ إبراهيم بديوي
شيخ المعهد الديني بدمنهور ، والشاعر
محمود جبر والشاعر محمد القوفى ، وألقى
بحوث عن الوطنية في شعر محرم ، والخلق
الفني في شعره والمقومات الفنية في شعره
للدكتور أحمد الحوفي وعبد الحى دياب
والدكتور حامد حفى داود .

وفي اليوم الثانى للمهرجان ألقى قصائد
للشعراء : محمود محمد حسن ، عبد الغنى سلامة
محمد صابر عاشور ، عبد القادر العوا ، أحمد
على السمرة ، موسى شاكر الطنطاوى ،
محمد عثمان مصطفى ، وألقى بحوث عدة ،
منها بحث عن الثورة الاجتماعية في شعر محرم
للاستاذ محمد محمد الحوفى ، وبحث آخر عن
الالتزام في شعر محرم ، وقد ألقى الأستاذ
محمد إبراهيم الجيوشى ، وبحث ثالث عن
اللمحات الإنسانية في شعر محرم وقد ألقى
الأستاذ فوزى عبد القادر الميلادى .

وفي اليوم الثالث للمهرجان ألقى محمد عبد المنعم

من يظن أنه من أسلحة الدينونة الحديثة تلك هي الدعاية . وهي علم يقوم على التخطيط ، وفن يرتكز على الذوق ويعتمد على دراسة نفسيات الأفراد والجماعات . والقرآن الحبيب بالنفسيات الذي سهر الأغوار ووصل إلى الأعماق لم يكن بدعاً أن تكون الدعاية اتجاهها من اتجاهاته النفسية ، ووسيلة يصل بها إلى جذب الأفئدة للدين وإلى تمكين الإيمان في قلوب هشة الإيمان شحلة اليقين . ولا خير ولا ضرر ؛ فالوسيلة إن كانت شريفة لغاية نبيلة فأنعم بها من وسيلة .

وقد يحفل البعض عندما يعلم أن الإسلام سلك سبيل الدعاية لدعوته ، وقد يستنكر ذلك أو يستعده ؛ إذ أن كلمة دعاية اتخذت الآن مفهوماً شائعاً شأنها وشأبها وأحاطها من ترهات وأكاذيب وبخاسة بعد أن اتخذتها بعض الأمم سياسة تتوصل بها إلى شراء ذمم الأفراد ونفوس الجماعات وواد الحريات في الأمم والدويلات . وفرق بين هذه الدعاية بمفهومها الدولي الحديث الشائع وبين الدعاية الإسلامية التي هدفها جمع القلوب على الحق والحب والخير ونشر دعوة الوئام والسلام لتتقن الإنسانية إلى ظلال الوحدة والتدين الحق والقرآن حينما قال : إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم . . . وجعل المؤلفة قلوبهم مصرفاً من مصارف الزكاة كان يعلم أن نفوسهم كالأرض الموات يحميها

خارجي الاحتاذ بكلية الدراسات العربية بحثاً عن الثورة الوطنية والفنية في شعر محرم ، وألقى الأستاذ أحمد الشرباصي الأستاذ بالأزهر الشريف بحثاً عن شباب الإسلام في شعر أحمد محرم ، وألقى الدكتور سعد الدين الجيزاوي بحثاً عن القرآن الكريم في شعر محرم ، وألقى حسنين محمود حسنين بحثاً عن العامل والفلاح في شعر محرم . . . وألقى عدد من الشعراء قصائد بليغة ، وهم : هبد العليم الغباني ، السقا محمد الشناوي ، كمال نشأت ، إدورد حنا سعد ، يس الفيل . . . وألقى الأستاذ محمد هبد الحليم عبد الله كلمة في تحية ذكرى الشاعر واختتم المهرجان الأستاذ أحمد الجبالي السكرتير العام المساعد للمحافظة بكلمة قيمة ، حيا فيها ذكرى الشاعر كما حيا فيها وفود أدباء الجمهورية العربية المتحدة .

وأقيمت حفلة شاي كبيرة ، وزعت فيها المدالية التذكارية للمهرجان ، وقد نقش عليها المهرجان وأريخه

وانتهت بذلك أكبر حفلة ذكرى أقيمت للشاعر أحمد محرم حتى الآن ، جزاء الله عن العروبة والإسلام خير الجزاء .
محمد عبد المنعم خفاجي

البربر... ووسائل البربر...
ركزة ذلت أثر وخطر... ووسيلة إقناع
تؤثر في النفس وتأسر القلب ، وسلاح يخطف

عليهم « ابن الدغنة » ما حاكوه ؛ بإعلانه حمايته لأبي بكر .

وما زواج المسلم بالكتابية - في رأي البعض - إلا لون من ألوان الدعوة إلى الإسلام ؛ لأنه إذا ما عاشرت الكتابية زوجها المسلم ورأت تعاليم دينه الحقحة بجسمة فيه تنضح بها أعماله وينطق بها سلوكه ووجدت في المنزل شخصية إسلامية متكاملة : من رجولة حققة وحسن عشرة ومحافضة على مفاهيم العقيدة دعاها ذلك إلى المقارنة بين عقيدتها وعقيدة قرينها . وسرعان ما تكون على شاكاة زوجها عقيدة وسلوكا .

من أجل هذا أباح الدين الزواج بالكتابيات للمسلم وبخاصة إذا كان الزوج امرأة صادقة تنعكس عليها تعاليم دينه ... أما إذا كان الزوج إجمعة باهت الشخصية مهزوز الإيمان يلقى بمقاليده نفسه إلى زوجته الأجنبية ، فتصرف فيه بمقتضى معتقداتها وعاداتها كان ذلك عكسا للقضية وقلبا للحكمة التي من أجلها أحل الله الزواج بالكتابيات .

والإسلام دعوة عالمية ، ورسالة إنسانية يجب أن تعم المحيط الدولي وأن تصل إلى الناس كافة في مختلف البقاع والأصقاع ، وبخاصة في هاتيك الانحاء التي لا تعرف من الإسلام إلا الشهادتين ... ولا تعرف عن أصوله ورسوله إلا أثاره من علم أو بقية من اعتقاد قديم متوارث . ١١

العطاء وينعشها السخاء فكان علاجها في كثرة صطاتها « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

فلا عجب بعد نزول هذا التوجيه الإلهي أن أجزل الرسول عليه الصلاة والسلام المنح والأعطيات يستألف بها القلوب ويعالج بها النفسانيات ؛ فأعطى لكل من الأقرع بن حابس وصفوان بن أمية وهينة بن حصن مائة من الإبل يستميل بها قلوبهم للإسلام ؛ حتى قال صفوان : « لقد أعطاني محمد ما أعطاني وهو أبفض الناس إلى » . فما زال يعطيني حتى كان أحب الناس إلى » .

ثم في زمن أبي بكر جاء عيينة والأقرع يطلبان أرضا فكتب لهما عهداً بها ، فجاء عمر فزق الكتاب وقال : « إن الله أعز الإسلام وأغنى عنكم ؛ فإن تبتم عليه ... وإلا فبيننا وبينكم السيف » .

وكان أبو بكر رضى الله عنه حينما يقرأ القرآن في بيته بمكة كان يعتمد أن يجود قراءته ويتمهل في تلاوته حتى تصل إلى الآذان المهرقة التي كانت تحيط به وإلى قلوب بعض المشركين الذين كان يعلم أن قراءته تصل إلى مسامعهم ، وما كان يرجو من وراء ذلك إلا أن يسحروهم بروعة التنزيل وحلاوة الترتيل فيأتوا مسلمين مستسلمين ، وقد كان له ما أراد ، حتى ضجت قریش ، وضاق رؤساؤها بصنيعه ، فبيتوا أمرهم بليلى وتظاهروا على إخراجهم من مكة لولا أن قطع

والمعرفة، ولا على الجزر النائية المتفرقة، بل هو واجب في أشد البلاد محضراً ورقياً وثقافة وأصدق شاهد ما نراه من إسلام بعض الأوروبيين والأمريكيين الذين تسوقهم المصادقة إلى الاطلاع على مؤلف إسلامي، أو كتاب ديني مترجم بلغتهم فيدعونهم ويؤمنون ويولون وجوههم شطر القبلة الإسلامية.

محمود الشريف

رئيس قسم بوزارة التعليم العالي

كتاب: المصحف بألفبته الحديثة أيضاً :
قرأت ما أناره السيد عبدالعزيز البليدي في بريد القراء من مجلة « العربي » العدد ٥٤ الصادر في مايو ١٩٦٣ تحت عنوان المصحف العثماني وقواعد الإملاء ، كما قرأت التعليقات المختلفة على كلامه .

واسمحوا لي أن أضع النقط فوق الحروف وأن أعود بذهن القارى الكريم إلى بضع سنوات مضت ... ثارت فيها ثائرة الشعب الانجليزى ومثقفوه ورواد الادب والفلسفة في المجتمع حينما ظهرت دعوة تنادى بصدق وإخلاص - إلى إصلاح اللغة الإنجليزية وتشذيب كتاباتها من الحروف الميتة . وما أكثرها - واسقبال الحروف التي لا تتفق أصواتها مع أصوات النطق بالكلمة كما فعلت اللغة الأندونيسية ، واليوغوسلافية حتى يسهل على الأجانب تعلمها .

فهل شحذا سلاح الدعاية لدعوتنا العالمية العامة في هذه البقاع لنكشف لها عن مساتير الروعة الكامنة في شريعتنا ولنجلو لها أصول الدين ؟

إن الهيئات الدينية وأجهزة الوعظ عندنا ووزارة الأوقاف والأزهر كل أولئك مرجعون اليوم لأن يسهموا بإمكانياتهم وعلمائهم في نشر الدين والدعوة له في تلك الجهات النائية التي لها يبلغها صوت الإسلام ، ومطالبون بتجنيد دعاة يدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومرشدون يحملون إلى ديننا هؤلاء دين الله وكتابه ، ويقدمون لهم زاداً لهما يخرجهم من الظلمات إلى النور ويدخلهم في دين الله أفواجا .

وللشترقين المغرضين - وكثير ما هم - في هذه الأراضى البكر صولات وجولات ، ولدعاة الأديان الأخرى مغانم ومكاسب ، فتنى نوى طيف الداعية الإسلامى المستنير في هذه الأصقاع ؟

وهل أهلنا هؤلاء الدعاة وأعددهم الإعداد العلمى الدينى فزودناهم بمعرفة لهجات تلك الأصقاع حتى نمكنهم من الوقوف على ما في جعبة الآخرين من آراء وتيارات ومذاهب يريدون بها أن يطفئوا نور الله ! وليس نشر الدعوة الإسلامية والدعاية لها بمقصود على الأنحاء التي لم تنل حظها من العلم

ولم يجب عن قساؤنا : عما إذا كان الإملاء الحديث ستسهل على القارئ العادى أن يقرأ القرآن ، بعد ذلك أم لا ؟ ،

إن هذه وقفة تستحق من سيادته التأمل والتفكير ، وبخاصة وأن أهمية الموسيقى القرآنية عند كثير من المستشرقين والباحثين الأجانب لا تفوقها أهمية أخرى ، حيث يرجعون إليها ، السر في ميل العرب إلى الإسلام ، وانجذابهم إلى سرعة الدخول فيه كما يصرح بذلك الأستاذ د جب ، في كتابه « الاتجاهات الحديثة في الإسلام » .

وإذن فإن تكون النتيجة إلا أن كتابة المصحف على حسب قواعد الإملاء لا يهل المشكلة ، « ولا يسهل على القارئ العادى ، ولا الشخص المثقف ثقافة غير أزهريه أن يقرأ أو يتلو تلاوة صحيحة ، كما ذكر .

ولا يخفى على أى قارئ عادى أن المصاحف قد كتبت في عهد عثمان بن عفان ، على يد كتاب الوحي وأجمع الصحابة على ما كتب فيها ، ووزعت نسخ منها على الأمصار ، لتكون وحدها المرجع الوحيد الذى يندون حوله الجميع ، وأحرق ما عداها من المصاحف ولا ندرى كيف يمكن مخالفة الإجماع ؟ !

ولم تكتب المصاحف في عهد عثمان ، لتقرأ برواية واحدة ، وإنما كتبت لتقرأ بمختلف الروايات المشهورة ، والرسم الذى

وكانت حجة الذين غلبوا على أمرهم في هذه المعركة من المحافظين هي المحافظة على أرومة كلمات اللغة ، واستيفاء دلالتها على إصالتها في اللغة اللاتينية وغيرها من اللغات القديمة . وفي مجتمعنا العربى يظهر بين الحين والحين صرخات نشاز ، تشير الغبار في وجهه مقدساتنا وتعبث بها كالثور الهائج في متحف الحرف ، غير متعمقين ولا دارسين ، وليتهم فعلوا ، إذن لأراحوا واستراحوا .

ومشكلتنا اليوم هي كتابة المصحف بالإملاء الحديث ، ويتذرع السيد البليدى إلى ذلك بأن في المصحف كثيراً من الكلمات مكتوبة بصورة لا يمكن أن ينطقها القارئ معها نظفاً صحيحاً ويستمر في دعواه فيقول : « فضلاً عن أنه يسهل على القارئ العادى أن يقرأ الكتاب على حقيقته دون أن يخطئ في النطق ، أو يلحن في قراءته .

ومن هنا يبدو أن المشكلة في نظره يمكن حلها بأن ينطق القارئ العادى نظفاً صحيحاً إذا سرنا في كتابة المصحف على قواعد الإملاء الحديثة .

ولعل سيادته نبي أو تناسى أو لعل لم يرد بخاطره بعد ، أن يبين لنا كيف نحل المشكلة في عدم اللحن ، وفي صحة القراءة بالإملاء الحديث إذا أغفلنا الموسيقى القرآنية من غن وإدغام ، ومد بأطوال محددة في علوم القرآن

المصحف بالإملاء الحديث ، وإنما لابد هند الرغبة في حفظ القرآن أو تعليم قراءته . . من المعلم أو المدرسة ، فهو الذي يأخذ بيد تلاميذه ، ويوقنهم على حدود الموسيقى القرآنية ، في غنها وإدغاماتها ، وأطوال مدتها ذات الحركات المحددة ، ثم هو الذي يفطنه إلى ما هنالك في طيات الرسم العثماني من روايات أخرى صحيحة ، يؤخذ باستعمالها ، ويسير على تداولها ، فإن ذلك وحده هو علاج المشكلة ، ويوم أن يكون السيد . البليدي ، وأمثاله تلاميذ لهذا المعلم . . يومذاك لا تكون هناك مشكلة .

ولا أنسى أن أهنئ في أذن السيد البليدي بأن مصحفه لم يخل من الخطأ في الإملاء فكلمة ، رياء ، من قوله تعالى : « أئمانا ورياء » كتبها هكذا « رآيا » - على الألف - . كما أن رداء الخط الذي كتب به المصحف كان من بين الملاحظات التي دفعت للجنة إلى أن تعتبر أن نشره غير مشرف ، فضلاً عن التكاليف التي ستبذل في طبعه .

وقد عرض مصحف السيد البليدي على لجنتين كبيرتين تابعتين لمجمع البحوث الإسلامية : أحدهما « لجنة فحص المصاحف » التي طالبت بمصادرته ، والثانية : « لجنة الفتوى » التي أيدت وجهة نظري ، .

محمد أحمد السنباطي

يمكن أن يتحمل كل هذه الروايات إنما هو الرسم العثماني أما الكتابة على حسب القواعد الإملائية فلا تكفي في تحقيق الهدف الذي قصد إليه المسلمون في الصدر الأول .

وليس هذا تعصبا أو انحيازاً في الرأي إلى ناحية ، فإن عثمان بن عفان لم يشتر له قبل ذلك طريقة خاصة في الكتابة ، ولست أشك في أن الذي ابتكر طريقة الرسم العثماني ليس إلا الحاجة ثم اجتماع المسلمين وتشاورهم وطول تفكيرهم في ابتداء نوع من رسم الكتابة يؤدي أغراض المصحف ، ويمكن من قراءته على الروايات المشهورة .

وأظن أنه لا ينبغي أن يعتبر هذا نقصاً في المصحف يجب أن يكمل ، ولا مشكلة يحسن أن تحل ، فليس العيب في المصحف إذن ، ولا في رسمه العثماني ، وإنما العيب في طرق التربية المدرسية التي تأخذ بها بعض الحكومات الإسلامية تلك التي لا تريد بالتقليد أن يرتفع إلى مستوى التمكن من قراءة القرآن وفهمه ، وإنما خلقت للجماعات الإسلامية من ينادى بالعبث بدستورها ، والنزول به ليصل إلى مستوى غير المثقفين ثقافة صحيحة .

وقبل أن أترك القلم يحسن بي أن أشير إلى حل لهذا الموقف ككل ، وليس الحل كما يرى السيد البليدي « في إعادة كتابة

فتاوى مختارة ..

باب بفتح ميم :

ابراهيم محمد الأصيل

[الاجابة عن السؤال الأول لفضية الامام الأكبر الشيخ محمود شلنوت شيخ الأزهر وباقي الأسئلة لجنتها الفتوى بالأزهر]

التي رؤى عليها ، وأخرى تكون الصورة
المرئية رمزاً لما يقع ، وفي الحالتين تسمى
بالرؤيا الصادقة .

السؤال :

أما ما لا يتميز ولا يقع فإنه يعرف باسم
أضغاث الأحلام .

ما هي الرؤى والأحلام التي ترى في النوم
وهل هي صادقة أم كاذبة ، وهل هي من الله
أم من الشيطان ؟

الجواب :

والقسم الأول ، وهو الرؤيا الصادقة أكثر
ما يقع لأرباب النفوس الصافية كالأنبياء
والصالحين . ومنه رؤيا النبي صلى الله عليه
وسلم وهو في المدينة ، أنه هو وأصحابه
يدخلون المسجد الحرام ، وقد ذكرها القرآن
في سورة الفتح بقوله تعالى : « لقد صدق الله
رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام
إن شاء الله آمنين مخلفين ، وسكم ومقصرين
لا تخافون » .

ليس من شك في أن الإنسان قد يرى في
نومه أشياء : أقرأ لسمعها أو أحداثا وصورا
يراه ، وليس من شك في أن ما يراه من ذلك
قد يكون واضحاً متميزاً بعبء من بعض ،
وقد يكون غامضاً يختلط ببعضه ببعض ،
وتتغير صورته ولا يثبت على حال . وليس
من شك في أن بعض ما يرى من النوع
المتميز قد يقع في اليقظة ، تارة بنفس الصورة

ومن الصادق الرمزي ما وآه يوسف عليه
السلام رمزاً لإخوته وأبويه وهو ما حكاه

والرؤيا الصادقة من غير الأنبياء ثابتة ولا شك في حصولها وهي لا تختص بأهل الصلاح والتقوى ، وفي صدق رؤيا صاحب يوسف ما يرشد إلى أنها قد تقع لغير المؤمنين والصالحين ، وهذا بما يشهد به الواقع الذي نعلمه من رؤى بعض الناس حتى المبروفين بالفسق والفجور ، وهي في هذه الحالة تكون كما قال العلماء الشرعيون : إما بشرى بالهداية إلى الإيمان والتوبة ، أو إنذار من الاستمرار على الكفر أو الفسق أو استدراج .

والرؤيا من شئون الروح التي لا وثوق بشيء مما يقرره للبشر فيه ، ولا شك في أن منها ما يكون أثراً لاشتغال النفس بأشياء خاصة في اليقظة ومنها ما يكون أثراً لفساد المزجة واضطراب الأجهزة . أما الصادق منها عينا أو رمزاً فهي من فضل الله على الناس .

حكمهم نقل المسجود إلى مكان ينسج لعدم أكبر
السؤال :

بني جدي زاوية تقام فيها الجمعة وذلك منذ سبعين سنة ولقد ساءت جدا وأصبحت غير صالحة بل لا تليق لإقامة الشعائر الدينية ، ومساحتها لا تسمح بإعادة بنائها لصغرها ولوقوعها بين مساكن القرية .

القرآن بقوله : يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ، وجاء في آخر القصة حينما دخلوا عليه يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا .

ومن الرمز أيضا ما حكاه الله عن صاحب يوسف في السجن : قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا ، وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه . وقد عبرهما يوسف عليه السلام بقوله : أما أحدهما فيستقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ، ومنه ما حكاه الله في السورة : فما عن رؤيا الملك التي استدعى لتعبيرها وتفسيرها يوسف من السجن : إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخرى باسات ، وقد عبرها يوسف بسبع سنين مخضبة بعدها سبع سنين مجذبة : وقد جاء في الصادقة فيها يختص برسول الله صلى الله عليه وسلم قول عائشة : أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح ، وصح في الرؤيا عامة قوله صلى الله عليه وسلم والرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ، وفي بعض الروايات وصفها بالمبشرات .

الجواب :

إذا كان قد تم البيع منذ ست سنوات كما قال البائع فإنه لا يجوز له شرعا أن يأخذ من المشتري إيجار الفدان الذى لم يدفع ثمنه - لأن الفدادين الأربعة صارت ملكا للمشتري منذ تمام البيع فصارت منفعة الأرض جميعها له ، فلا حق للبائع فى أخذ شيء من المشتري فى مقابل المنفعة وليس له إلا باقى الثمن ، ولا يحل للمشتري أن يماطله فى ذلك ، ولا أن يدفع شيئا زائدا عن الثمن عوضا عن تأخير باقى الثمن .

تعليق هل فتوى محكمه تحريرهم لحم الخنزير :

نشر فى العدد الاخير من مجلة الأزهر (١) فى باب فتاوى مختارة سؤال طالب يدرس بانجلترا عن الحسكة فى تحريم لحم الخنزير على المسلم ، وقد علم من أساتذته أثناء دراسته لعلم الحيوان ، أن نوعا من الدود يسمى الدودة الوحيدة تعيش فى عضلات الخنزير ، وهى من الجراثيم الفتاكة التى تهلك الإنسان على مر الزمن ، وإذا كان الإنسان توصل إلى تطهير لحم الخنزير من هذه الدودة ، فلماذا يظل الدين يحرم أكله ؟

(١) مجلة الأزهر عدد جمادى الأولى ١٣٨٣
أكتوبر سنة ١٩٦٣ .

فهل يجوز شرعا نقلها من مكانها الحال إلى مكان آخر يمكن معه بناؤها على مساحة أوسع وليتيسر كذلك تزويدها بدورة مياه وبخاصة أن قربتنا تتمتع بالمياه الصالحة للشرب - هذا وفى نيتى أن أترك مكان الزاوية القديمة فضاء يتسع به طريق القرية ؟
عبد الله مفتاح

كاتب أول بالنيابة العامة

الجواب :

يجوز بناء المسجد الجديد بدلا من الزاوية التى أصبحت غير صالحة لإقامة الشعائر ، كما يجوز الانتفاع بمكان الزاوية الأولى بوجوه الانتفاع الجائزة شرعا .

هل تأخير الثمن فى البيع يحل

الزيادة عليه :

السؤال :

بعت لأحد الناس أربعة أفدنة منذ ست سنوات وسدد المشتري ثمن ثلاثة أفدنة فقط ولكنه تسلم الأفدنة الأربعة منذ وقت البيع . فهل لى الحق شرعا أن أطالبه بقيمة إيجار الفدان الذى لم يدفع ثمنه بعد ؟ فأضيف قيمة الإيجار هذه ست سنوات على الثمن الأصل للقدان ؟

ع . م - المنصورة

وبعضها تكون إصابته بالغة ، ومع ذلك فالدين الإسلامى لم يحرم أكل البقر ، بل حرم لحم الخنزير لهذا السبب ، ولأسباب أخرى ، منها :

١ - الخنزير فى الأصل من الحيوانات المفترسة ، ومن المعروف أن نابى الخنزير يقطعان وهو صغير ، وإلا كان خطراً على كل من يقترب منه بعد نموه واكتمال قوته ، كما أنه من الشائع جداً أن أثنى الخنزير كثيراً ما تصاب بمجنون النفاس بعد الولادة فتأكل كل مواليدها لأن لم يبعدوها عنها ، وكثيراً ما تنهاجم من يتعرض لها فى فترات النفاس بشراسة واستماتة ، وقد حرم الدين أكل لحم كل حيوان مفترس ، بل حرم تناول لحوم الحيوانات آكلة اللحوم عامة وإن لم تكن مفترسة ، كالثعلب والكلاب ، لأسباب صحية لا تخفى على أحد .

٢ - الخنزير بطبعه من الحيوانات الوالغة ، كالضباع ، فهو يلبغ فى الأرض وقد يأكل الميتة والقدارة ويستطعمها .

٣ - لحم الخنزير يعطى سعراً حرارياً مرتفعاً جداً ، فإذا أكله المسلم فى البلاد الحارة ، كان تناوله خطراً عليه ، ومن المعروف عندنا أن تناول الأطعمة التى تعطى

وقد جاء فى الرد على سؤال الطالب الشاب أن الحكمة فى التحريم امتثال أوامر الله ونواهيه وإن لم تظهر حكمة هذه الأوامر والنواهي فى بعض الحالات .

والحكمة فى تحريم أكل الخنزير على المسلم ليست بخافية ، وخاصة فى هذا الوقت الذى تقدمت فيه العلوم والبحوث المتعلقة بالأغذية العامة .

لقد حرم الدين الإسلامى لحم الخنزير لأسباب كثيرة ، وإن لم يذكرها الدين ولم يعرفها القدماء ، إلا أن العلم الحديث أثبت بعضها ، وأثبتت التجربة والمشاهدة بعضها الآخر ، وأهمها :

أولاً : الدودة الوحيدة أو حويصلات الديدان الشريطية . وقد ثبت علمياً أن هذه الحويصلات لا يمكن معرفتها فى الحيوان الحى ، فإذا أصابت أجسام الحيوان إصابة شاملة كان من العسير معالجتها وإبادة بطريقتة فعالة ، وإن قال الأمريكان أخيراً بغير ذلك : وحتى إذا أمكن إبادة هذه عوامل أخرى تثير الشك فى اللحوم المصابة أصلاً بهذه الديدان .

وهذه الديدان تصيب الأبقار فى بلاد كثيرة من بلاد الشرق ، كالبحيرة وكينيا وغيرهما .

شأنهم في ذلك شأن التدخين ، الذى يضر بصحة الإنسان ضرراً بالغاً ، وينقسم العلماء والأطباء في العلم حياله قسمين تبعاً لاهواء المصانع والشركات التى تتاجر فيها ، ولاستعباد الإنسان لعادة التدخين ، وإن أصابه بالضرر البالغ ، فالإنسان عبد العادة .

مبين الغنام

* * *

المجولة :

ما زال هناك بعد مأساة الأخ الأستاذ حسين الغنام من مضار لحم الخنزير الداعية لتحريمه - مجال لبحوث تنجدد بتجدد أدوات البحث وإمكاناته قد يصل بها العلم غداً لمضار أخرى مما يجعل ارتباط الحكمة بضرر معين أمراً تعوزه الدقة ، ولذا يتبين سداد المسلك الذى اتخذته لجنة الفتوى بالأزهر إزاء الإجابة على الحكمة في تحريم الخنزير بالتفصيل الذى نشرناه في العدد السابق ، وللأستاذ بعد هذا تقديرنا على ما بذله في بحثه من جهد .

مقدم الباب

سجراً حرارياً مرتفعاً ، والأطعمة الحريفة والملحة كالفسيح والسردين ، وهى لا تعطى نفس السم ، تضر كثيراً بمن يتناولها وبخاصة في الأجواء الحارة .

٤ - لاحظت كثيراً - في مصر والخارج - أن من يتناولون لحم الخنزير بكثرة يكون عندهم نوع من التبلد ، وينعدم لديهم قدر كبير من النخوة ولا أقول أكثر من ذلك ! ولأنى أعرف الكثيرين من إخواننا المسيحيين يرفضون لحم الخنزير .

وهناك أمراض كثيرة كشف عنها العلم الحديث تصيب الخنازير ، منها كوليرا الخنازير ، وحمرة الخنازير ، ومن أخطرها مرض السل الذى يصعب تشخيصه في الحيوان الحى كذلك :

من أجل هذا كله ، ومن أجل ما خفى علينا حتى الآن ، جاءت الحكمة في تحريم لحم الخنزير ، فهذه كلها تفسيرات بعضها أثبتته العلم الحديث وبعضها اجتهادى من ملاحظاتنا ومشاهداتنا ، ولعل عند علماء التغذية تفسيرات أخف من تلك التفسيرات ولكن العوامل الاقتصادية تحول بينهم وبين إزاحتها

بَيْنَ الصَّحْفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق مؤلفه عبد الرزاق فودة

فهم القرآن

الجمعية ، وينهم معنى البيان الذي عليه الله
للإنسان ، وتضييع الحكمة من قول الله :
وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
ليبين لهم ، ومعاذ الصحابة والتابعين أن
يكونوا سلكوا هذا المسلك ، أو لجوا هذا
المهلك ، الذي يبلبل الأفكار ، ويجعل
الناس في ليل من الشك مظلم ، ويترك لأعداء
الدين فرصة الصيد في الماء العكر على أن
هؤلاء الشاطحين - يعني بعض رجال
التصوف - تعدت الغازم إلى كتاب الله ،
ففسروا بعض آياته بما لا تطاوعه لغة ،
ولا يسعفه رأى صحيح ، هؤلاء والشاخرون ،
الذين انتحلوا وظيفة التزييف الروحية
والتقريب من الله أبعدوا الناس عن القرآن
العربي الواضح المبين . الذي أحكمت آياته ،
ثم فصلت من لدن حكيم خبير . أو هموم أنه عال
على الأفهام ، ومادروا أن لازم هذا كفر ،
وهو أنه إذا كان لا يفهم ، فإنزله
عبث ، وأنى يكون هذا ومنزله تعالت
أسماءه يصفه بأنه عربي مبين ، وأنه غير
ذى هوج . وأنه ميسر للذكر ، وينهته بأنه

أما علماء الشرع فية ولون : إن اللغة لا تحمل
غير مدلولاتها ، وإن الألفاظ وضعت لها
حدود وقيود ، وإن القرآن - هو دستور
المسلمين - قد وصفه الله بأنه نزل بلسان
عربي مبين ليبين للناس ما نزل إليهم لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وإننا
إذا تركنا لكل واحد أن يخلق من المعاني
ما يشاء ، ويتلاعب بالألفاظ حسب الأهواء
من غير أن نشده إلى ما تواضعت عليه اللغة
وجرى عليه الناس أجمعون لا تقلبت اللغة إلى
رطانات ، وتحولت معانيها إلى غموض
 وإشارات ، ووضع الألفاظ في غير
موضعها ، وقد يكون للجهل معنى العلم ،
واللذيلة معنى الفضيلة ، والضعف معنى القوة
وهكذا دواليك سم الأشياء بغير مسمياتها ،
وضع الألفاظ في قالب معمياتها ، والكذب
ما شئت فقد يؤول بالصدق ، وأصدق ما شئت
فقد يؤول بالكذب ، ولا يبعد أن يكون
الإسلام بمعنى المسيحية ، والمضارة بمعنى

نقل عن الإمام علي رضي الله عنه أنه قال :
جميع العلم في القرآن ولكن أفهام الناس
تتقاصر عنه ، وانظم هذا المعنى في قول
الشاعر :

جميع العلم في القرآن لكن

تقاصر عنه أفهام الرجال

وقد وصفه الله بقوله : ولو أنزلنا هذا
القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من
خشية الله ، وقوله : وكتاب أنزلناه إليك
لتخرج الناس من الظلمات إلى النور .

ح . ف .

يهدي التي هي أقوم ، وكيف يهدي إذا كان
لا يفهم .

هؤلاء يصعدون في شأن القرآن عن
هوى لا عن بصيرة ، يسدون على الناس
باب الاهتمام به في الأخلاق التي تركز النفس
والمقائد التي تقوى الإرادة ، والعبادات التي
تغذي الإيمان ، والأحكام التي تحفظ
الحقوق ، ثم يتعلقون بالجوانب الغيبية منه
وهي التي استأثر الله بعلمها . فيخوضون في
الروح والملائكة والجن وما بعد الموت .

الأستاذ محمد أمين هلال

من مجلة : الإسلام

التصوف

وقديما حار الناس في تعريف التصوف .
وتشعبوا فيه الى مائة رأى ، بل زادت
أقوالهم في ماهيته على ألف قول ، وفي ذلك
مخلص لمن يريد أن يقف به عند معنى خاص ،
كأن يقول : التصوف هو كل عاطفة صادقة .
متينة الأواصر . قوية الأصول ، لا يساورها
ضعف ، ولا يطمع فيها ارتياب .

وهذا التعريف قريب من قول أبي علي
الروزباري : « التصوف الإناخة على باب
الحبيب وإن طرد عنه ، وقول الجنيد - وقد
سئل عن التصوف : هو أن يميّتك الحق
حنك ويحييك به . »

التعليق :

هذا كله صدق وحق ، ولكن هذا
لا ينبغي أن القرآن كما قال علماء الشرع أنفسهم :
حلال ذو وجوه ، وأن ألفاظه تتعلق بمصان
جميلة كلها صحيح أو محتمل للصحة ، بل إن
اللفظ منه كما قال المرحوم فضيلة الدكتور
محمد عبد الله دراز : « كأنه نص من الماس
يريك كل ضلع منه شعاعا ، فإذا نظرت إلى
أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها فلا
تدرى ماذا تأخذ عينك وماذا تدع . »

نعم إنه قريب من الإفهام . ولكن
استيعاب معانيه فوق طاقة الأفهام ، وقد

خير الأمور الوسط :

سأل أعرابي ابن عباس فقال : إن العرب تقول : حب التناهي شطط ، خير الأمور الوسط ، هل هذا موجود في القرآن قال قال ابن عباس : نعم في أربعة مواضع : في قوله تعالى في وصف بقرة قوم موسى : وقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ، قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر حوان بين ذلك ، أى وسط بين الكبير والصغير ، وفي قوله تعالى : د ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ، أى فتوسط بين الأمرين ، وفي قوله تعالى : د ولا تجهز بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ، هذا السبيل هو الوسط ، وفي قوله تعالى في مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين : د والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، . أى وسطا .

عبد الرحمن الضبع

من كتابه الأنايش

وكيف يقصر التصوف على أصحاب الرسوم والأشكال . وهو من رسوم القلوب والأرواح ؟ إن التصوف خليق بأن يصحب كل نزعة شريفة من النزعات الوجدانية ، والأساس أن يكمل الصدق ، ويسود الإخلاص . بحيث لا تملك النفس أن تنصرف عما آمنت به واطمأنت إليه في عالم المعاني ، وكذلك يتعمل التصوف في صور كثيرة فيكون في الحب ، ويكون في الولاء ، ويكون في السياسة حين تقوم على مبادئ تنصل بالروح والوجدان .

ومن شراهد التصوف في الحب قول جميل :

وإني لأرضى من بثينة بالنبي

لو أبصره الواثي لقرت بلابله

بلا . وبأن لا أستطيع . وبالمنى

وبالآمل المرجو قد خاب آمله

وبالنظرة العجلى . وبالحول ينقضى

وأخيره لا نلتقي وأوائله

فهذا الزهد ، في الوصل تصوف ، وإن

لم يذكر اسم صاحبه بين أسماء الصوفية ، وإنما

كان الزهد تصوفا . لأنه من دلائل الصدق

وقوة العلاقة الروحية ؟

الدكتور زكي مبارك

من كتاب التصوف الإسلامى



يَشْتَرِكُ فِي الْعَمَلِ
عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَأَعْقَادُ
بَدَلُ الْأَشْتَرَاكِ
٤٠ فِي الْمَجْمُوعَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْمَشْرِقِيَّةِ
٥٠ غَامِغُ الْمَجْمُوعَةِ
وَالْمُدْرِسِينَ وَالطُّلَابَ بِتَقْيِضِ الْمَالِ

مَجَلَّةُ الْأَنْفُسِ

مجلة شهرية جامعية

مُدِيرُ الْمَجَلَّةِ وَرَئِيسُ التَّحْقِيقِ
أ. حَمْدُ حَسَنِ الزَّيَّاتِ
رُفْعَةُ نَوَّافٍ
إِدَارَةُ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ
بِالْقَاهِرَةِ
ت : ٩٠٥٩١٤

بَيِّنَةُ عَنْ مَشِجْنَةِ الْأَنْفُسِ فِي (أَنْ كُلَّ شَيْءٍ يَجْرِي)

الجزء الخامس — السنة الخامسة والثلاثون — رجب سنة ١٣٨٣ هـ — ديسمبر ١٩٦٣ م

١٤
٢٤٤٤٦
درري

لِسَمَاءِ الْمَرْيَمِ

الآدَبُ بَيْنَ الصَّعُودِ إِلَيْهِ وَالْهَبُوطِ بِهِ

بقلم : أحمد حسن الزيات

يتحدث بعض السادة الأدباء في العهد الاشتراكي عن مكان الأدب من الحياة ، أیظل فی المصعد الأعلى من السماء لیرتفع إلیه من یحبه ، أم ینزل إلی المهبط الأدنى من الأرض لیتناولہ کل من یریدہ ؟ ولا أدري علی وجه الیقین ماذا یریدون بصعود الأدب وهبوطه ، إن کان القائلون بالصعود یریدون أن یرتفع الأدب عن حياة العامة فلا یتخذ من حوادثها قصصه وموضوعاته ، ولا ینزع من مشاهد

صوره وتصوراته ، فقولهم باطل ، لأنهم یحصرون عبیه ونوره فی ناحية من نواحي الحياة لا هی أجل ولا هی أفضل . وإن کان القائلون بالهبوط یریدون به أن یجرد الأدب من قواعده وخصائصه وعقرباته لیفهمه الغبی والبلید والساذج فقولهم كذلك باطل ، لأنهم یخرجونه من طبيعته وحقيقته لیسكون عبثا من العبث لا یوحى ولا یتمتع ولا یرفع . إن الأدب فن ، والفن فی كل مكان هو الفن مادام یعبّر عن مشاعر النفس ومشاهد

وكان الخلاف بين الارستقراطيين
والديمقراطيين قائماً على الموضوع والطبقة
لا على الوضع والتطبيق . أما الفن في ذاته
فقد ظل في علوه وذنوه بارعا رائعا عند
هؤلاء وأولئك .

وكان ابن الرومي شاعراً شعيباً يخاطب
الدمماء والغوغاء ويلبس الصناعات
والباعة ، فيمبط بشعره إلى أن يقول في صانع
الرقاق :

ما أنس لا أنس خبازاً مررت به

يدحو الرقاقة مثل السح للبحر

ما بين رؤيتها في كفه كرة

وبين رؤيتها قوراء كالقمر

إلا بمقدار ما تتداح دائرة

في لجة الماء يلقي فيه بالحجر

وإلى أن يقول في صانع الزلاية :

ومستقر على كرسية تعب

روحى الفداء له من منصب نصب

وأين سحراً بقل زلاية

في رقة الفشر والتجريف كالفشب

كأنما زبته المقل حين بدا

كالكيمايا التي قالوا ولم تصب

يلقى العجين لجينا من أنامله

فيستحيل شبائيك من الذهب

ثم يصعد بشعره إلى أن يقول في وصف

الشمس قبيل الغروب ، وهو وصف لا تجد

الطبيعة ووسائل العيش تعبيرة الحى القوى
الصادق بالكلمة أو بالصورة أو بالنغمة
أو بالمثال ، ولا فرق في ذلك بين أن يكون
موضوعه حلبة الجواهر في قصر ملك
أو صينية البطاطس في دار سوقة ، المهم أن
يظهر في الصورة المختارة روح الفنان وشعور
الإنسان وجمال الحقيقة .

كان كتاب الإغريق ومن تبعهم من كتاب
الفرنج الاتباعيين يقصرون موضوع المأساة
وأبطالها على حياة السراة والملوك ، ويرون
أن جرائم هؤلاء ومصائبهم أفضل في النفس
وأشغل للقلب من جرائم السوقة ومصائب
العامية .

فلما ابتذلت أفنية الملوك وعلت كلمة
الشعوب وغلب نظام الديمقراطية ، أصغر
الناس الفجائع في القصور وأكبروها
في الأكواخ ، وجاء الأدباء الابتداعيون
فاستحدثوا الدراما ونزلوا بها إلى سواد
الغيب فصوروا حياته كما هي ، ومثلوا
أبطالهم له كما هم .

وغضب الاتباعيون لكرامة الأدب
ففتشت بين الفريقين حرب شعواء كانت
معركتها الفاصلة في مسرح (الكوميدي
فرانسي) ليلة ممثلة مسرحية (هرناني)
لفسكتور هوجو وهى دراما شعرية بطلها
قاطع طريق .

له فظيرا في الأدب العربي ولا فيما نعرف من
الأدب الأخرى :
وقد رفقت شمس الأصيل ونفضت
على الأفق الغربي ورسا مزعزعا
وودعت الدنيا لتقضى نحبها
وشبَّول باقي عمرها فتشمعما
ولاحظت الأنوار وهي مريضة
وقد وضعت خدأ إلى الأرض أضرها
كما لاحظت عواده عين مدنف
توجع من أوصابه ما توجعا
وظلت عيون النور تخضل بالندى
كما اغرورقت عين الشجي لتدما
يراعينها صورا إلها روانيا
ويلحظن الحاظا من الشجو خشعا
وبين إغضاء الفراق علمما
كأنهما خلا صفاء تودعا
وقد طربت في خضرة الروض صفرة
من الشمس فاخضرا خضرا رآ مشعما
وأزكى نسيم الروض ريمان ظله
وغنى مغنى الطير فيه وبجما
وغرد ربى الذباب خلاله
كما حثعت الفشوان صنجا مشرعا
فكانت أرائين الذباب هناكو
على شدوات الطير ضربا موقعا
فأنت ترى أن الشاعر قد ارتفع بشعوره
إلى أسنى مجال الطبيعة ، ثم انخفض به إلى أدنى

مشاغل الناس ، ولكنه بقي في الحالين فنا
صادق الحس بارع الوصف رائق الأسلوب .
وقل مثل ذلك في ابن المعتز الشاعر الخليفة
وابن الحجاج أو ابن العبر الشاعر الصعلوك .
فإن ابن المعتز كان يؤلف صوره من ترف
الملك ، وابن الحجاج أو ابن العبر كان يؤلف
صوره من مبادئ السوق ؛ ولكن الفن
كان عند الرجلين واحدا ، يختلف في الخامة
ولا يختلف في الصنعة ، ويتفاوت في الطبقة
ولا يتفاوت في القيمة . وهذا ما نفهم
من صعود الفن وهبوطه : تنزل به إلى الطبقة
العامة والحياة العامة فنجد له من الطفولة
المعذبة والشيوخوخة العاجزة والزمانة المهدمة ،
والسكرم في الأخلاق ، والشهامة في البؤس ،
والإيثار في الخصاصة ، مواقف قوية التأثير
شديدة الروعة . فإذا وصفناها أو حللناها
أحسها العاى أبلغ الإحساس ، وتأثر بها
أشد التأثر ، وشعر في الوقت نفسه بأن في هذا
الأدب الذى يصور نفسه ويصف دنياه قوة
خفية ترفعه إلى فوق وتدفعه إلى أمام .

أما أن نمسخ له صور الفن فنكتب له الأدب
بقلم (المرضا الجلى) ، ونعزف له الموسيقى بشبابية
الراعى ونرسم له الجبل والمحمل بفرشة النقاش
فذلك تقدم إلى الخلف وارتفاع إلى الأسفل .
إن رسالة الفنون الرفيعة أن تجعل الحياة
وتهذب الحضارة وتسويها للإنسان . وإذا كانت

له فظيرا في الأدب العربي ولا فيما نعرف من
الأدب الأخرى :
وقد رفقت شمس الأصيل ونفضت
على الأفق الغربي ورسا مزعزعا
وودعت الدنيا لتقضى نحبها
وشبَّول باقي عمرها فتشمعما
ولاحظت الأنوار وهي مريضة
وقد وضعت خدأ إلى الأرض أضرها
كما لاحظت عواده عين مدنف
توجع من أوصابه ما توجعا
وظلت عيون النور تخضل بالندى
كما اغرورقت عين الشجي لتدما
يراعينها صورا إلها روانيا
ويلحظن الحاظا من الشجو خشعا
وبين إغضاء الفراق علمما
كأنهما خلا صفاء تودعا
وقد طربت في خضرة الروض صفرة
من الشمس فاخضرا خضرا رآ مشعما
وأزكى نسيم الروض ريمان ظله
وغنى مغنى الطير فيه وبجما
وغرد ربى الذباب خلاله
كما حثعت الفشوان صنجا مشرعا
فكانت أرائين الذباب هناكو
على شدوات الطير ضربا موقعا
فأنت ترى أن الشاعر قد ارتفع بشعوره
إلى أسنى مجال الطبيعة ، ثم انخفض به إلى أدنى

براهين الإيمان

من طريق براهين الشكوك

للاستاذ عباس محمود العقاد

تردني على الدوام رسائل صريحة من بعض الفرائض والعبادات .
 الشباب المثقف الحائر في شئون العقيدة .
 وموضع الصراحة في هذه الرسائل أن على أمور كثيرة تدعو إلى التفاضل وحسن
 أصحابها يعبرون في غير موارد عن شكوكهم
 في مسائل الدين : من الإيمان بآله إلى صلاح
 الأمل في الضائر المتفتحة للعرفه وسلامة الإدراك .

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

الفنون الآلية قد اخترعت لتخدم الجسد ،
 فإن الفنون الأدبية قد اصطنعت لتخدم الروح ،
 فهي إذن ضرورية وحاجة لا كمال ومتعة .
 ولا يقضى لها أن تؤدي هذه الرسالة إلا إذ
 احتفظت بالجزء الإلهي الذي يقرب الأدب
 من الدين ويربط الأرض بالسماء ويدق
 الإنسان من الملك . وهذا الاتصال الروحي
 أو الإلهام الذهني أو الاستعداد الفني
 متى أوتيه إنسان سما بملكاته على الناس
 فلا يفكر تفكيرهم ولا يشعر شعورهم ولا يعبر
 تعبيرهم . ولو أكرهناه على أن يتدلى إليهم
 ويندج فيهم لغفر نقور الجنس الغريب وتميز
 تميز المكنن المستقل .
 ولا أدري كيف يستطيع الفنان أن يرفع

النفوس إلى مراقي الكمال إذا لم يرتفع هو
 عن حقارة الحياة الدنيا ، ويصور للناس
 المثل العليا من الجمال والفضيلة ، فيرتفع
 الشعب إلى سمائه ، بدل أن يسف هو إلى حضيضه
 ودعائه ؟
 فلنطمئن إذن على أن الدعوة إلى ابتذال
 الفن لن تجد لها سميعا ، وإذا وجدته فلن
 يكون إلا من الأدعياء الذين لا تساهم
 كفايتهم ولا ثقافتهم على السمو إلى الفن
 فيحاولون أن ينزلوه إليهم ، وهو إن نزل
 لا يكون فنا ، وإنما يكون زبدا لا يلبث
 أن يذهب ، وظاهرة لا تتمكث إلا ربنا
 تغيب !

أحمد محمد الزيات

في الكشف الطبي مع القلائل الذين ينجون منه في قومسيون القوات الجوية ، ثم وسبت أخيراً في كشف الهيئة التي لم يرصب فيها أحد إلا أنا ... أتدرى لماذا ؟ لأن قلبي على اليقين ...

ويختم صاحب الرسالة كلامه متسائلاً : ألسنت معي أن الله يتسبب في هذاب البشر ؟ ... أستحلفكم بالله أن تقنعوني بالآية التي تقول : دعني أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم .

أما صاحب الرسالة الثانية (م . ح) فسؤاله عن معرفة المؤمنين بالله لم لا يدركونها بظهور الله لهم علانية بدلاً من هذا التخبط من قديم الزمن في ظلمات الجهل ومنازعات الغضب والتعصب بين المفكرين والمؤمنين ، وبين المؤمنين أنفسهم من أنصار كل دين ، بل من أنصار الدين الواحد على اختلاف المذاهب والتفاسير ...

واقعد كنهفت لي تجاربي في دراسة الفسكوك الدينية عن طريق قريب إلى الإيمان لا يطول النظر فيه كما يطول النظر في البراهين الفلسفية التي يقوم عليها العلم بوجود الله :

كشفت لي هذه التجارب من يقين لا أرتاب فيه ؛ وهو اليقين بسهولة الخلاص من براهين الفسكوك الدينية أو براهين

تلك صراحة تدل على تعقل شبانتنا لعقائدهم الروحية ، وعلى استعدادهم للانتقال فيها من حالة التقليد إلى حالة التبصر والاجتهاد .

وتدل - مع هذا - على امتعاض نفوسهم من حالة الشك والحيرة ، بدلاً من التذرع بها إلى الهجوم على الإباحية الأخلاقية ، واستحلال ما لا يهل في الدين ولا في عرف التدين الذي تقوم عليه أسس الآداب الإنسانية .

وتدل ، بعد هذا وذاك ، على أدب في الطبع يعضه من داء الغرور ويلهمه أن يطلب المزيد من العلم حيثما تطلع إليه ، ويندر في المصابين بداء الغرور من يحسب أنه بحاجة إلى علم في مسائل الحياة الكبرى غير الذي يمسس بمخاطره ويقع منه موقع القبول ، بغير بحث ولا محاولة للزبد من الفهم والإيضاح .

وبين الرسائل التي وردتني أخيراً من هذا القبيل رسالتان أحدهما بتوقيع (م . أ . زيدان) والأخرى يرجو صاحبها أن أومن إليه بمرفي (س . ح) إذا استجبت لرجائه وكتبت في مجلة « الأزهر » عن موضوع سؤاله .

يقول صاحب الرسالة الأولى : « تقدمت للاتحاق بكلية الطيران لأحقق أمني في أن أكون أحد أفراد القوات المسلحة ونجحت

ولنعسف التصور - إن استعملنا - فنقدر أن المخلوقات يمكن أن توجد نافعة وأن تكون مع نقصها سميعة لا ترجو شيئاً ولا يفوتها رجاء ترجوه إذا جاز هذا في حق السكان السعيد الظافر بكل ما يريد .

فهل توجد هذه المخلوقات السعيدة دفعة واحدة بلا ولادة ولا نمو ولا وقوف بالثبوتهند حد محدود .

وإذا وجدت هذه المخلوقات السعيدة فهل تكون سعادتها من نوع واحد لا فرق فيه بين هذا المخلوق وذلك المخلوق ، كأنها نسخة مكررة في جميع الصفات والأحوال ؟ وهل تتم لها سعادتها بغير مجهود منها وغير سبب من بواعث نفوسها وبغير فرق بين من ولد بالأمس ومن يتبعه في الميلاد .

وهل يتبعه ذلك التابع في الميلاد صغيراً يشمر بالنقص أو لا يشمر به ولا يشمر بمعاداه .

أما إذا تفرقت هذه المخلوقات في أنواع السعادة فكيف تتفرق دون أن يكون هذا المخلوق مستمتعاً بمزية ليست للآخرين من المخلوقات .

وهل تكون المخلوقات جيلاً واحداً ، ثم يكون هذا الانفراد بالخلق إنصافاً للأجيال التي تظهر بعد العدم على سنة التتابع بين الوالدين والمولودين .

إن خطأ الشك الذي يقوم على افتراض

الإلحاد ؛ لأن ظهور البطلان في هذه البراهين أيسر من البحث في براهين الفلاسفة على تحقيق وجود الله : وهي براهين المنطق التي لا تصبر عليها جميع العقول .

فن اليسير أن نفهم - بعد قليل من البحث - أن إنكار وجود الخالق لشيوع النقص والعذاب في عالم المخلوقات هو إنكار ضئيف السند ، غير قابل للتصور الصحيح هند إمعان النظر فيه

وأيسر من ذلك إظهار البطلان في تحقيق معرفة الله بروية العيان ، أو ما هو من قبيل روية العيان .

فإذا كان وجود الخالق يستلزم خلو الخلق من النقص والعذاب فلنجهتد في تصور العالم على هذه الصورة فلا نلبث أن نفهم أنها هي المستحيل بعينه على كل فرض من المفروض : أولاً : كيف يمكن أن يكون المخلوق كاملاً كمال الخالق الذي لا يعوزه شيء من الأشياء .

ذلك هو المستحيل الذي لا تتعلق به إرادة الله ، ولا يجوز لنا أن نتطلبه من قدرة الله ؛ لأن قدرة الله التي لا نهاية لها هي التي توجب أن يكون المخلوق المحدود بزمانه ومكانه دون ذلك ، وتمنع أن يوجد في التصور إله كامل مخلوق إلى جانب الإله السكامل الخالق لجميع الأشياء .

في عيني يوم ذاك ونعيت على الدنيا كلها خيبة
الرجاء ، وظننت أنه هو الرجاء الأول والآخر
في الحياة ، ولكنني اليوم بحمد الله غير نادم
على ما فات وغير عاتب على المقادير . بل قد
هلت بعد قليل انني لم أعتب على سعد زغلول
ولم أحمله جريرة الخيبة فيما رجوت ؛ وكنت
في مقدمة المدافعين عن عمله بالجامعة المصرية
يوم أنكره عليه المنكرون غير منصفين
ولا متحرجين .

• • •

أما الشك في وجود الله لأنه لا يظهر لنا
عيانا فهو أضعف الشكوك التي تساور العقول
في أمر الأدبانية السماوية وفي أمر كل دين
يؤمن فيه المعتقد برب معبود .

هل نريدها معرفة إنسانية أو نريدها معرفة
من طبيعة غير طبيعة الإنسان فيما يعرفه
ويتعرف عليه من الأشياء .

إننا لا نعرف أو نضع شيء في عالم المحسوس
لأنه يرينا نفسه جلياً واضحاً للعيان .

وهذه الشمس لا ترى العين شيئاً أوضح
منها ولا يزال التعرف عليها حتى اليوم مبدئياً
من أوله كأننا نراها لأول مرة في عصر العلوم
والكشف .

وليس بالمعقول - إنسانياً - أن تكون
حقيقة الحقائق الكبرى أقل أسراراً أمام
العارفين والمتعرفين من أقرب المحسوسات

للعالم على صورة من هذه الصور هو أظهر
الخطأ بعد النظر اليسير .

فكالمخلوقات لا يدل على وجود الخالق
المنفرد بالسكالمطلق الذي لا يتكرر
ولا يقبل التكرار .

بل نقص المخلوقات هو الذي يدل على ذلك
السكالم على كل وجه قابل للتصور والتقدير .
وإذا تصورنا الخالق بهذه الصورة التي
لا صورة غيرها في الإمكان فن اليسير أن
نفهم كيف نرجو شيئاً لا يتحقق وكيف نجمل
ما نرجوه ولا ندرى بكل ما يضمه الغيب
لنا من عواقب هذا الرجاء .

ومستحلفي السيد (م . أ . زيدان) أن
أقنعهم بالآية التي تقول : « وعسى أن تكرهوا
شيئاً وهو خير لكم ... »

فلا أراني بحاجة إلى مثل بعيد عني ولا هن
الواقعة التي رواها صاحب الرسالة عن نفسه
وكانت سبباً لشكواه من المقادير .

لقد أردت في مطلع شباني كما أراد السيد
زيدان أن أنجح في امتحان كامتحان لإتمام
الدراسة بالديار الأوروبية ، وكانت الجامعة
المصرية في نشأتها الأولى هي التي نظمت ذلك
الامتحان على يدرئيسها سعد زغلول لتخريج
الأساتذة المرشحين للتدريس فيها بعد هودتهم
من الجامعات الفرنسية والانجليزية وقد فتنني
النجاح في الامتحان لسبب من الأسباب
الشكلية كما فات السيد زيدان ، فأظلمت الدنيا

الصماء في تعليق الصور وإدراك المعرفة واجتهاد الضمائر والعقول ؟ .

إن إيماننا كهذا لا تختلف خصائصه عن خصائص الأجسام المادية التي لا معنى فيها لعقيدة من العقائد ولا لاتفاق أو اختلاف على هذا الدين أو ذاك .

ونكتفي بما تقدم لتقرير الفكرة التي أردنا أن نقرر بها هذا المقال . وبجمل الرأي فيها أن الشك في براهين الإلحاد أيسر أمام العقل من براهين الشك في الإيمان .

فها تان حجتان من أشيع الحجج التي نسمعها من الملتشككين اعتراضاً على الدين : حجة الألم في الدنيا وحجة الاستدلال على وجود الله برؤية العيان نوازن بينهما وبين ما يقابلهما فلا نطلب من المعارضين أن يذهبوا بعيداً في التفكير إذا وقفوا عند القول بأن العالم كما يريده المعارضون أصعب تصوراً وأشد طلباً للخلوقات من العالم كما يتصوره المتدينون المؤمنون بوجود الله ، على غاية ما ينتهى إليه تصور العقل البشري من الحسكة والقدرة . ونحن أوثق ما نكون يقيناً بأن سائر البراهين التي تخطر للمعارضين تجري هذا الجري وتنتهي عند التماس إلى مثل هذا النهاية وكلها كافية للاقتناع بأن براهين الشك والإلحاد أظهر خطأ من براهين اليقين والإيمان .

عباس محمود العقاد

إلى الوضع بغير أسرار ولا بقية تبقى للتعرف عليها بعد نظر العيان .

ولسكتنا نعتسف التصور مرة أخرى ونحاول أن نتصور كيف تتأني المعرفة بأفقه هيئتنا لجميع المخلوقات في جميع الاوقات .

فهل يتجلى الله لعباده مرة في القدم ثم ينتقل هذا التجلي بالرواية والحكاية إلى الخلفاء والأعقاب ؟

وهل ينقله من رأى الله عياناً إلى خلفائهم وأعقابهم نقلاً يتسارى فيه الخبر ويتسارى فيه اليقين بالرواية على مثال لا يتطرق إليه الشك والخلاف ؟ وإذا حدث هذا فن أين لنا أن الخلفاء والأعقاب تقبل هذه المعرفة على صورتها المثل ولا تشك فيها كما يشك المشكرون للأنبياء والمرسلين ؟ .

فإن لم يستقم هذا التصور في العقول فهل يستقيم فيها أن يتجلى الله لكل جيل في زمان بعد زمان . وهل يغنى التجلي في الجيل بعد الجيل عن التجلي مرة بعد مرة ، بعد ألف مرة ، لكل مولود جديد في كل جيل جديد . وإذا تكرر هذا التجلي خاصاً بكل مولود ، فهل تتسارى المخلوقات في كنهه الإيمان وفي درجة الإيمان بل في كنهه العيان ودرجة العيان ؟ وإذا أمكن أن يتكرر العلم بحقيقة الحقائق على السواء وهل هذا المقال فإذا بقي للنفوس والضمائر من الفارق بينها وبين الآلات

التطهير في الإسلام

للأستاذ محمد محمد المدني

وتألفت روحه ، وزكاه عقله ، وعلى العكس من ذلك : إذا أحاط به الدنس أحاطت به آلام النفس ، وخضت فيه شعلة الذكاء ، وقد آمن الله تعالى على المؤمنين بما أبدى به يوم بدر من إمدادهم بألف من الملائكة مردفين ، بشرى لهم ، ولتطمئن به قلوبهم ، وآمن عليهم مع هذا بقوله : « إذ يغشاكم الناس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان . » وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام ، « فدلنا ذلك على أن إمداد الله عباده بالماء كان له أثر بعيد في تثبيتهم ، والربط على قلوبهم ، لا يقل عن أثر إمدادهم بالملائكة . » وأمر التوبة ، وإن كان يبدو أنه أمر روحى بين العبد وربّه ؛ لكنه ذو تأثير معنوى فى الأفراد يتأثر به المجتمع : فالفرد لا يخلو من أن يقع فى بعض الذنوب ومن أن يساوره اليأس حيناً من الغفران ، وليس هذا مما تستقر عليه النفوس ، وتهدأ به الحياة ، وإذا استولى القلق النفسى على الأفراد فى مجتمع ما ، فإن هذا المجتمع يصيبه

التطهير نوعان : تطهير حسى ، وتطهير نفسى .

وكل ما جاء فى القرآن الكريم من هذا اللفظ ومشتقاته ؛ فإنما يرجع إلى واحد من هذين المعنيين .

والإسلام دين تطهر وتنزه ، وهو فى كل ما شرعه ؛ إنما يريد تطهير الإنسان عن الدنس والعيب ، والسمو به مما لا يليق بإنسانيته فى مظهرها وبخبرها :

يقول الله تعالى : « إن الله يحب التوابين ، ويحب المتطهرين . »

وهذه الآية الكريمة تفرق بين تطهير النفس ، وتطهير الجسم :

فالتطهير الجسمى يكون بالنظافة والغتسال والتحرز من النجاسة والفاذورات التى من شأنها أن تلوث الأجسام وما يتصل بها من ملابس وأماكن ، فتؤذى الإنسان ، وتؤثر على حواسه ، وتسيء تبعاً لذلك إلى نفسه وروحه ، فإن الإنسان إذا كان نظيف البدن ، نظيف الثوب ، نظيف المكان ؛ أحس بالراحة والطمأنينة ، وأشرق نفسه .

معنى تردد ذكره في مواضع من القرآن الكريم : كقوله تعالى : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي ، أي فإنهم إذا استجابوا لي استجبت لهم ، وقوله تعالى : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ، لوجدوا الله تواباً رحيماً ، وقوله جل شأنه : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ، .

وروجه العظيمة في هذه العبارات القرآنية : أن وجود الله تعالى على هذه الصفات أزلي قديم ، وليس متوقفاً على رجوع العبد وتوبته ، ولكن التعبير بقوله « لوجدوا الله تواباً رحيماً ، أو « يجد الله غفوراً رحيماً ، فيه تصوير بارع لتجاوب الرحمة الإلهية وحضورها رهن مشيئة العبد التائب المستغفر فالله تعالى كأنه يقول لعباده : أنا موجود على صفاتي ، من الرحمة ، والتوبة . والغفران فلو جئتم إلي لوجدتموني وكأني أنظركم وأرقب هودتكم « وقه المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم .

وفي تصوير هذا المعنى أيضاً يقول الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه « من تقرب إلى الله شبراً ، تقرب الله إليه ذراعاً ، ومن تقرب إليه ذراعاً ، تقرب إليه باعاً ، ومن أقبل عليه بمشي ، أقبل عليه بهرول .

نوع من الشلل أو الحلل ، إذ يقول العاصي في نفسه : مادمت قد ارتكبت الموبقات ، وأحاطت بي الخطيئة من كل جانب ، وليس أمامي باب مفتوح أفر إليه بما قد أحاط بي ، فلا أفعل ما أشاء ، ولا نغمس في حمأة الرذيلة إلى الأعماق ، لذلك كان من رحمة الله تعالى أن شرع التوبة ، وجعل بابها مفتوحاً أمام العصاة والمذنبين إلى أن تشرق الشمس من مغربها ، أي إلى أن ينتهي نظام العالم الكوني في هذه الدنيا ، وبها يتطهر الإنسان من أدران الآثام والمعاصي ، ويعود إلى حظيرة الطاعة ، ويرجع إليه اعتباره الروحي الديني ، وفي ذلك يقول الله عز وجل ، مبشراً بواضع رحمته : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ، ، ويقول جل جلاله : « إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ، .

وتفيد الآية الأخيرة أنه كما يقال في حق العبد : تاب إلى ربه ، أي رجع عن ذنبه ؛ يقال في حق الله جل وعلا : تاب على عبده ، بمعنى قبل توبته ، وتوبته تعالى على عبده هي رجوعه عليه بالقبول والمغفرة والتعبير بذلك يفيد معنى سائياً هو تجاوب الله تعالى مع عبده حين يقصده ويرجع إليه ، وهو

والصلاة نفسها تطهير ، وقد شبهها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهر على باب المؤمن يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فلا يبقى من درنه شيء .

ولو أن المصلّي عرف حق الصلاة ورعى هذا الحق فأداها على وجهها ، لسكاد يسكون من الملائكة المقربين الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، فإن الله تعالى يقول : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ويقول : « إن الإنسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا . إلا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون » ويقول : « فويل للصلّين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراؤون . ويمنعون المهاجرين » .

فهذه آيات ثلاث لكل منها توجيه :

فالآية الأولى تفيد أن الصلاة من شأنها النهي عن مواقف الإثم الكبرى التي جبر عنها بالفحشاء والمنكر ، وذلك أن المؤمن إذا وقف خلصا خاشعا بين يدي ربه خمس مرات كل يوم ، غير ما عسى أن يؤديه من النوافل في نهاره وليله ، كان له من هذا الموقف الكريم داع ملج يدعو إلى الفضيلة ، وينهاه عن الرذيلة - وتقول . (داع ملج) لأن دعوته متكررة بتكرار صلواته ، والنفوس تنطبع عادة بما يلقى عليها مرة بعد مرة ،

وهذا يشبه أن التوبة من العبد إلى ربه ومن الرب على عبده ، إنما هي ارتباط متبادل على سنة الرحمة والحكمة من الله ، والفرج والاسترحام من العبد ، وأن أثرها في نفس العبد ، هي إمساك إيمانه أن يزول أو يتخلخل لو أنه علم أن الله لا يقبله ، فهي توطيد للثقة بالله في نفوس العباد ، وتطهير لقلوبهم من عوامل الزينج أو الخروج على الله . وما دامت هذه الرابطة بين العبد وربّه قائمة ، فإن الأفراد بخير وإلى خير ، والمجتمع بخير وإلى خير .

ومن رحمة الله تعالى بعباده أنه فتح لهم أبوابا كثيرة فيها تطهير حسي ، وتطهير نفسي ، فنجذبهم بذلك إليه ، وطهر قلوبهم من اليأس من روحه : « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

فالصلوات لا بد فيهن من وضوء ، والله تعالى يقول في شأنه بعد الآية التي قررت حكمه : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » ، ويقول جل جلاله في شأن الماء نفسه وماله من أثر في تطهير الجسم والنفس : « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام » .

أى يضنون بمحاجات الناس أن يمارنوم
عليها ، وينسكثون ، فلا يدورون لإحول
أنفسهم ، وفي فلك مصالحهم الخاصة .

هذا هو شأن الصلاة وما لها من تربية
وتهذيب ، وما فيها من تطهير للتؤمنين بها ،
الحاشمين فيها ، من أدران الفحشاء والمنكر
والهلع والجزع والمنع والرياء والآثرة .

وإذا كان للصلاة هذا الأثر البعيد ؛ فإن
للزكاة أيضا أثرا طيبا في إصلاح النفوس
وتطهيرها من عوامل الشح والآثرة ، ولذلك
يقول الله عز وجل : « خذ من أموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيتهم بها ، وصل عليهم إن صلاتك
سكن لهم » .

وليس المراد - فيما نرجح هنا أيضا -
أن الجزء المأخوذ على وجه الزكاة يطهر المال
فكأنه هو نُفْقَاتِهِ ورُذَالَهُ ؛ ولكن المراد
- والله أعلم - ما للزكاة من أثر في استلال
عوامل الشح والحرص من المعطى ، وفي
استلال عوامل الحقد والحسد من الفقير ،
وأن هذا وذاك من شأنها تزكية المجتمعات
وتطهيرها بما يفسد جوها ، ويشقى أهلها ،
وقوله تعالى : « وصل عليهم إن صلاتك
سكن لهم » ، يراد به - والله أعلم - الصلاة بالمعنى
الغنى ، وهى الدعاء بالرحمة والأمن وقرار
النفوس وقرة العيون ، وهذا الدعاء من
الإمام العادل - ولا سيما إذا كان رسول الله

وتألف ما لعلها كانت من قبل تأنقه ، وقد
قيل لبعض المتصوفة : إن فلانا يصلى ولكنه
يشرب الخمر ، فقال - ستهناه صلاته يوما ما ،
يريد أن يحافظته على صلاته ، ومثابرتة على
أدائها استظهر ثمرتها آجلا ، وإن لم تظهر عاجلا .
وفي الآية الثانية يقرر الله تعالى طبيعة
الإنسان التى خلق عليها من الهلع والجزع
والبخل والمنع ، ويستثنى من ذلك المصلين
المثابرين على صلاتهم ، حيث يقول :
« إلا المصلين ، الذين هم على صلاتهم دائمون » .
لأن المداومة والمثابرة من أقوى درجات
الإيماء والتوجيه .

أما الآية الثالثة ، فليست - فيما نرجح -
تتحدث عن نفوتهم الصلاة سهوا ، أو عن
يتشاغلون عنها ولا يهتمون بها حتى تصبح
في مرتبة الشئون المغلوبة التى تنسى ولا يلتفت
إليها ، ولكنها تتحدث عن الذين ينسون
مقتضيات صلاتهم وما يجب أن يكونوا عليه
من الإخلاص لله ، والرفق بالمجتمع ، فتقول :
الويل كل الويل لمن كان همهم من صلاتهم
أن يقوموا ويقعدوا ، ويدخلوا المسجد
ويخرجوا ، وهم مع ذلك ساهون عن مقتضى
توجههم إلى الله ، ووقوفهم بين يديه ،
يسمحون لأنفسهم أن يكونوا مرانين
متظاهرين ، مع أن الصلاة أبرز شعائر
التوحيد ... والإخلاص ، ويرضون
لأنفسهم أن يكونوا بخلاء بمنعون المأهون ،

صلى الله عليه وسلم - إنما ينبع من رضا نفسه بمجتمعه ، وتجساوبه معهم تجارب المتحابين ، فهو يعود عليهم بالطمأنينة والسكينة والأمن والرضا .
فهذا لون آخر من ألوان التطهير والتزكية .
وفي الحج تطهير كذلك ، فإن الحج المبرور يمحو الله به الخطايا ويعطى المؤمن من الذنوب كلها ، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق عاد من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .
وأحداث الدنيا تصيب المؤمن فيصبر ويكافح ولا ييأس ، فيجعل الله له بها كفارة

وأجرأ حسنا ، حتى الصوكة يشاكها ،
ولا سيما أهل الجهاد بأنفسهم أو أموالهم
أو آرائهم وأقلامهم في سبيل الله : ذلك
بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة
في سبيل الله ، ولا يطئون موطئا يغيظ
الكفار ، ولا ينالون من هديلا إلا كتب
لهم به عمل صالح ، إن الله لا يضيع أجر
المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة
ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ،
ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ،

محمد محمد الهدني

قال ذو الإصبع العدوانى في الاعتداد :

لى ابن هم على ما كان من خلق
أزوى بنا أنا شالت نعمتنا
إنك إلا تدع شتمى ومنقص
إنى لعمرى ما يبق بذى غلق
ولا لسانى على الأدنى بمنبسط
هى إليك فما أى براهية
لا يخرج الذم منى غير مأية

مخالف لى أقليمه وبغلينى
نخالى دونه ، لا بل خلته دونى
أضربك حيث تقول الهامة اسقونى
على الصديق ولا خيرى بمعنون
بالفاحشات ولا قسكى بمأمون
ترهى الخاض ولا رأى بمغبون
ولا ألين لمن لا يبتغى لىنى

نفحات القرآن

نِعْمَةُ الْمَالِ وَالْبَنِينَ شِقْوَةُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ لِلْأَسَازِجَةِ اللَّطِيفِ السَّيِّدِ

- (أ) ولا تعجبك أموالهم وأولادهم
(ب) إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا
(ج) وتزعم أنفسهم وهم كافرون .

١ - عرض القرآن لذكر المال والبنين في كثير من مقاماته والمفروض أن للمال والبنين في قوام الدنيا ، ومباهج الحياة شأنًا لا يعد له شأن . وإذا كان مطلوباً في غريزة الإنسان أن الحياة أعم شيء يتعلق به ، وأن روحه أثيرة عنده على كل ما في الوجود : فإن ما يلي ذلك في الأهمية عنده بحكم الغريزة هو ماله وولده بل قد تتغالى نزعة الإنسان في الحرص عليهما حتى يرضنهما على كل غاية تقصد منهما في جوانب الدنيا . بل حتى يصير المرء في اعتباره نفسه أرخص من ماله وولده ، فيفتديهما أحياناً بروحه التي هي أعم لديه مما في الوجود حسباً قرنا بحكم الغريزة . ومن إشادة القرآن كثيراً بالأموال والبنين

ندرك بجاته للغريزة في تقديرهما كنعمة كبرى ...
ونذكر أن امتنانه علينا أحياناً بهذه النعمة : توجيهه إلى صيانتها عن الإتلاف ، وسوء التصرف ، والخروج بها عن مسالك النعمة فيما يراد منها ، وفيما تحاط به من وسائل الرعاية لحق الله الذي تفضل بها على عباده .

٢ - وقديماً كان يدور بخواطر الناس ما يدور بخواطرنا اليوم نحو المكافرين ، والمنافقين ، ومن إليهم بالنسبة لتوافر النعم عليهم بالمال والبنين ، وسواهما ... فهم - لاشك - أهواء الله ، وجاحدون لرسالاته أو لبعضها .. وهم مع ذلك يرفلون في نعم سابقة .

لا يفتخرون إلى دين يخفف من حمتهم في
الحرص ، ولا يربط صدورهم بالصبر على
ما يصيبهم في شيء من هذا .
لأنهم لا يعولون على ثواب ، ولا يؤمنون
إيماناً حقيقياً وراء الدنيا من عواقب
الآخرة .

٤ - وبين الله كذلك أنه أنساهم حسن
التفكير فيما بأيديهم ، فهم يلمون به حتى تهزق
أنفسهم بالموت ، ويدركهم على كفرهم .
ومن هذا يبدو أن الانهماك المفرط هكس
عليهم مظاهر النعمة ، حتى جعل حاضرهما
ومآلها آلاماً وخسراناً .

أما من تربطت نفسه بنسبات الدين ،
ونظر إلى ما بعد الدنيا من عذاب أليم ،
أو نعيم مقيم ، فإنه لا يبيع نفسه لدنياء ،
ويقتصد في حرصه ، ويتقاع كثيراً بما هو
أبقى عند الله ، ويكون نشاطه في كسب
الدنيا ، والمتاع بالمال والولد بمزاجه بعمله
للآخرة .

وقد تكرر هذا السياق في آية أخرى
من سورة التوبة نفسها ليؤكد الله في أنفس
الناس هذا التذكير ، ويقاوم به ما يتغلب
على النفوس من التعلق بمتع الحياة أكثر
بما ينبغي .

كما ذكره الله في نهى صريح لرسوله بالذات ،
ولامته بالتبع ، فقال :

ثم هم يتجادون في غرورهم ، وتغريهم
أنفسهم بأن الله يكرمهم بالعطاء ؛ لأنهم
أحق به من سواهم ، ولو كان الله ساخطاً عليهم
لمنعهم هذا العطاء ، أو سلبه منهم حينما
- يكونون على غير الحق - منذ كانت في الدنيا
رسالات ، وبعد أن ختمت الرسالات بمحمد
ابن عبد الله !!

وإزاء هذه الخواطر كان من الإرشاد
التحفظي بالنسبة للنبي - صلى الله عليه وسلم -
وهو إرشاد تعليمي له ، ولأمته جميعاً - قول
الله تعالى : ولا تعجبك أموالهم وأولادهم .
فليس مظهر الأموال والأولاد مغنياً
عن أولئك المخالفين لله في دينه شيئاً من هذا به
ولا مطمئناً عليهم هنا أو هناك .

٣ - وبين الله فيما بقى من حديثه حكمه
في توفير الأموال والبزئين لهؤلاء المستهترين
بدهوة الله - فقال : إنما يريد الله أن يعذبهم بها
في الدنيا .

حيث يكون حرصهم على المال والولد
مشغلة لهم عن صفو المتاع بهما في وجوه
الخير الصحيح .

بل يكون الغضب ، والسكندح مكابدة شاقة
تلازمهم في الجمع ، وفي التنمية ، وفي الخوف
دائماً من النقص .

فتلك الهوم هي النتائج التي تحدث بهم
من جانب الأموال والأولاد .. حيث

النعم تسجيلا لجهودهم في الدنيا ، وبالا
في الآخرة . والبصراء من الناس لا يتخذون
أنفسهم بحفظ يعقبه بؤس ، ولا يلهمهم
ما تراء العين عما تفتن إليه البصيرة - خصوصاً
إذا كان تذكير القرآن متوالياً ، وفي أساليب
شقاقة ومتنوعة ، كلها يعرض لما يتأجلنا
من هواجس الفكر في حياة المترفين من
خصوم الدين الحق .

ومن هذه التوجيهات كذلك دلا يفرك
تقلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل ،
ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ، فأولئك
ينطلقون في دنياهم مرحين ، ويسبحون في
جوانب الحياة لا حين ثم مأواهم الذي ينتهون
إليه ، ويستقرون فيه هو جهنم على تعدد
طبقاتها ، وتتروح العذاب الشديد فيها ..

ولئن كانت للمؤمنين حظوظ في الدنيا
كذلك فالفرق أن الإيمان سياج من البطر ،
وأن المؤمنين برشد هم يميزون الحق من
الباطل ، ويعملون دنياهم وسيلة إلى آخرتهم
وبهذا الاتجاه يجمعون بين خيرى الدنيا
والآخرة ، والله تعالى يعطى الدنيا لمن يحب
ومن لا يحب ، ولكنه لا يعطى الآخرة إلا
لمن يحبه ، وهم المؤمنون .

وهم الذين قال فيهم : ومن أراد الآخرة ،
وسعى لها سعيها وهو مؤمن ، فإليك كان سعيهم
مشكوراً ،

ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا
منهم - كثيرين - زهرة الحياة الدنيا ،
لنفقتهم فيه .

ومعلوم أن النبي - صلى الله عليه وسلم -
لم يكن عائق الذهن بنعيم الكافرين والمنافقين ،
ولكن غيره من الناس كان ، وسيظل
يتطلع ، ويرغب ، وبطمع في مثل ما عند
أولئك .

نجاء النهى للنبي تحفظاً ، وتربية ، وجاء
لغيره فوق ذلك زجراً ، وتهديباً ، وتبرئة
من لؤثة الاطماع ، والتطلع وغبطة الكافرين
والمنافقين على ما هم فيه ظاهراً ...

حتى لا يتسرب إلى نفوس المؤمنين ،
أو لا يتغلغل عند بعضهم شغف بما ليس
في أيديهم من أعداء الله .

هـ - والله يبين لرسوله ، ولكل
مستجيب لدعوته أن هذا المتاع إنما هو
زهرة تلوح في الدنيا ، وهي عرض غير
مستقر ، فهو كما نشأ مسبقاً بعدم : صائراً
ولا محالة إلى فناء ... والظفر بهذا المتاع
ليس تكريماً للمنافقين والكافرين ...
وإنما هو اختبار ، وكشف يظهر الله به
ما يملأ عن نفسية هؤلاء من تمرد ، وجمود ،
ويستدرجهم به إلى التفكك ، وحسن
الاختيار ...

فإن لم يفعلوا خيراً لأنفسهم ، كان هذا

العمل إلى مكارم الخلق، وشرفات المجد، ومناقب الوطنية .

ولذلك نرى للصلحين جهاداً دائماً في إصلاح من حولهم ، ومن يتصل بهم ، وهذا هدف يقصده الدين من كل ذي عقيدة ، وشعور بواجبه الاجتماعي ، نحو أخيه المسلم ، بل نحو أخيه الإنسان أينما كان ؟؟ .

وسبيل ذلك أن يكون المسلم في غير معزل عن الدنيا كما يزعم المزهبون ، أو بعض المتصوفين .

وحيثما يتحدث القرآن عن المال والولد ، وينكر على أناس أن يستعبدوا المال والولد فإنما يريد ألا يستكين المرء إلى ملبساته الخاصة ، ويريد أن يكون للإنسان بروز في جوانب المجتمع ، ليستمر بقاء الناس في صلاح من الأمر ، ورفاهية في الحياة ، ويكونوا أوفياء بعهدهم الله في همة دنياهم ، كما استخلفهم فيها لذلك ...

وهل يقصد الدين في تشريع كل خير سعادة الناس ؟ دفا لهم لا يؤمنون ، . وإذا ذكروا لا يذكرون ، ؟

هبة اللطيف السبكي

فهذا وهداية لمن أراد الآخرة وسمى لها صعيها - - وليس حتماً في جانب الإيمان ، ولأن أراد الآخرة أن يكون المرء متقبلاً ، ومعتزلاً للدنيا ، راغباً فيها ، بل يكون قائماً في حياته على جادة معتدلة ، فيستوفي حظه من الدنيا في ضوء الدين وهديه ، حتى لا يتخبط في حياته خبط المشواء في ظلمات الطريق .

ويكون في تدينه ، وفي مسلكه الحيوى مصقولاً أليفاً ، غير متزمت ، ولا متشائم . وما دامت نفسه شابة على غرار الدين ، وناشئة في حوزته ، ففي وسعه غالباً أن يؤثر بروحه الطيبة فيمن حوله ، وفي مقدوره أن يتحاشى المساقط وراء الغواية ، المستهترين الغافلين .

٦ - بين الإنسان وغيره علاقات ، وفي جانب هذه العلاقات تبدو النزعات المستورة في طوايا النفوس ، ويكون التأثير على الغير منوطاً بقوة الروح واعتداد المرء بنفسه ومبادئه ، فمن طهرت نفسه حقاً ، وتسامت روحه عن الهبوط ، واتجه إلى المستوى الرفيع استطاع أن يكون متبوعاً لا تابعاً ، وأخذ بيد غيره عن طريق الإرشاد ، والقدرة به في مسلكه

بين الشرق والغرب نظرية الفروق الجنسية في ضوء الإسلام للأستاذ محمد رجب البيومي

يقول المستشرق الانجليزي الكبير
مستر جب في كتابه (حيثما يكون الإسلام):
«ولكن الإسلام ما زال في قدرته أن
يقدم للإنسانية خدمة سامية جليلة ، فليس
هناك أية هيئة سواء يمكن أن تنجح نجاحاً
باهراً في تأليف الأجناس المتنافرة في جهة
واحدة أساسها المساواة ، فالجامعة الإسلامية
العظمى في إفريقية والهند وأندونيسيا ، بل
تلك الجامعة الصغيرة في الصين ، وتلك
الجامعة الضئيلة في اليابان ، لتبين كلها أن
الإسلام ما زالت له القدرة التي تسيطر كلية
على أمثال هذه العناصر المختلفة الأجناس
والطبقات ، فإذا ما وضعت منازعات دول
الشرق والغرب للعظمى موضع الدرس ، فلا بد
من الالتجاء إلى الإسلام لحسم النزاع ، .
وكلام المستر جب واضح لا لبس فيه ،
فهو يعلن في صراحة أن مبدأ الإسلام
في المساواة هو الحل الأوحده الذي يقضى
على التناحر المتطاحن بين الأجناس
والشعوب ، وأنه وحده لا سواء الذي
يستطيع أن يقدم للإنسانية خدمة سامية
جليلة إذ ينظر إلى بني الإنسان نظرة واحدة

لا يختلف فيها بعيد عن قريب ، والمدعش
حقاً في منهج الإسلام أنه صاحب القانون
الأوحد الذي جاهر في أعظم أيام ازدهاره
بأن الناس سواسية كأسنان المشط ، وأنه
لا فضل لعربي على أعجمي إلا بقوى الله ،
وأن كل الناس لآدم وآدم من تراب ، مع
أن الذي يقتبس آراء الدول المتغلبة قبل
الإسلام وبعده في إبان رقيها الثقافي
أو السياسي يجد كل شعب يخلع على جنسه
من عوامل التفوق ، وطهارة السلالة ونماء
المعدن ما لا يمكن أن يخلص لسواه من
الأجناس ، حاشا الإسلام فقد جاء ليقدّم
بلايا وصهيباً وسلطان على صناديد العرب
من أمثال أبي سفيان ... لقد ازدهرت
الثقافة الإغريقية ازدهاراً صار حديث
الاجيال المتغنية بفلسفتهم وآدابهم حتى
عزى إليها فضل النهضة العلمية الأوروبية ،
ولكن أصحاب هذا الارتقاء الفكري وقد
نظروا إلى أنفسهم بقداسة وتماظم ، فأهلنوا
أن ما عداهم من الشعوب بربري متوحش
وجاء أفلاطون ليقسم الناس في جمهوريته إلى
طبقات من السادة والعبيد فيختص بالسيادة

فلما أشرق نور الإسلام كل من مبدؤه
الإنساني الأواحد هو المساواة وكان تطبيق
هـر لهذا المبدأ المثالي في عصر القوة الباهرة
عجبا من العجب فقد تداعت دولة الفرس تحت
معاول العرب وترنحت امبراطورية الروم
بقوة الإسلام ووقف أمير المؤمنين في أوج
عظمته وباهر قوته ليطبق المساواة مهتديا
بكتاب الله ومتبعاً نهج رسوله الكريم .

لقد جهر الرسول الأعظم بتقرير حق
المساواة في حجة الوداع حين قال في خطبته
الرائعة: «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم
واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم
عند الله أتقاكم ، وليس لعربي على عجمي
ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أبيض
ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى ،
ألا هل بلغت اللهم فاشهد» . ورأى عمر شيخنا
ضريراً يسأل على باب ، فسأل فلم أنه يهودي
فقال له : ما ألك إلى ما أرى ؟ قال : الجزية
والحاجة والسنة ، فأخذ عمر بيده وذهب به
إلى منزله فأعطاه ما يكفيه ساعتهما ، وأرسل
إلى خازن بيت المال «انظر هذا وضرباه
فواقه ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخزيه
عند الحرم» .

«وحضر بيابه جماعة من أشرف قريش
منهم سهيل بن عمرو بن هبند شمس خطيب
قريش وعيينة بن حصن رئيس فزارة

والحكم أناساً وبالخدمة والاستعباد آخرين ،
ثم تابعه أرسطو في كتاب السياسة فأعلن
في قسوة أن للإغريق على المتوحش حق
الإمرة ، وأن العبيد إذا هوملوا بالرفق
صاروا سلفة وقحاء ، وأن الآسيويين يطيقون
استبداد الحاكم وجبروته ، أما الإغريقون
فأحرار أباة وأن شعوب الأرض الباردة
أقل ذكاء وأكثر شجاعة من غيرهم ، وأن
اليونانيين أفضل الناس على الإطلاق ، وقد
اشتهر كتاب أرسطو في السياسة وتناقل
أكثر العلماء آراءه كحق صريح لا يقبل
التأويل .

ثم دار الزمان فتألفت السيطرة الرومانية
وخبا مشعل الإغريق إلى أمد ما ، فأخذ
الرومانيون يدعون أن كل من لا ينتمي إلى
الامبراطورية بربري متوحش وأنهم وحدهم
أصحاب السمو والارتقاء وأن جيرانهم
الأدنين من الجرمان والصقلب والسككت
أجناس منحطة متهمرة ! وقد نسى الإغريق
والرومان مما أن الحضارة الأولى في طريق
الإنسانية كانت شرقية لا غربية وأن مبادئ
الفلسفة نمت على ضفاف النيل ، وأن
الحروف الأبجدية لديهم مستوردة من لبنان
وسوريا أيام الفينيقيين ! ولكن الحق شيء
والفطرس الكاذبة شيء آخر عند أولئك
وهؤلاء .

الأوربيين دون الشرقيين ، فالحرية للغرب وحده ، أما دول الشرق فلها الاستعباد والذل والاحتلال ، وقد شاعت في أوروبا الحديثة نظرية الفروق الجنسية ، بل إن أمريكا نفسها تجعل الزوج في بلاد الجنوب موضع احتقار الجنس الأبيض ، ولا يزال الرئيس الأمريكي يفتاحاً كل يوم بمآسى التعصب الجنسي بما اشتهر أسره واحتاج إلى علاج سريع .

وسنلم الآن بملخصة موجزة لنظرية الفروق الجنسية ومدى تأثيرها السيئ في العالم الإنساني ولعل من بعض كوارثها الدامية أن أشعلت حربين عالميين تفقرت بهما الحضارة إلى الوراثة كثيرا ، ومحبتهما للعنات السوداء من أفواه الثواكل والآياح والأيام ، إذ حصدت ملايين الأرواح وتداخت آلاف المنازل والقصور .

لقد نادى السكونت دي غوينو الفرنسي في القرن التاسع عشر بنظرية الأجناس البشرية فجاءه بأن تطور تاريخ الشعوب هو تطور العرق ذاته وأن الأمم ذات البشرة البيضاء هي السبابة دائما في مضار الرقي ، وزاد فجعل الجنس الأبيض متفوقا ووفق نقاء الدم فنه الأمثل الأعلى ، ومنه ما دونه في السمو والارتقاء إلا أنه على تفارته فوق الأجناس جميعا ، وقد فلسف نظريته فلسفة منطقية ، ونستطيع أن نفهم خلاصتها بما نشره

وأبو سفيان بن حرب زعيم قريش قبل الفتح ومعهم نفر من العبيد والموالي ممن شهدوا بدرا ، فطلبوا الإذن ، فخرج الآذن يدعو بلالا فعمارا فصهبيا فسلمان وترك السادة فضضب أبو سفيان وقال لم أر ذلا كالذي يوم يؤذن للعبيد وترك ، ليخيل إلى أن حجارة الجلمتين لو استأذنت لتقدمت . فقال سهيل في أناة لم تتمع وجوهكم يا قوم ؟ دُعوا ودُعينا ، فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتهم على باب حمر لما أهد الله لهم في الجنة أكثر .

هذه مبادئ الإسلام ضال من تأثيرها النفاذ أن انحرف عنها خلفاء بني أمية حين تعصبوا للعرب ظالمين ، فسمحوا لغيرهم أن يناصبهم العداء ، ثم ظهرت الشعوبية البغيضة فثبأ صراع آثم بنأى عن الإسلام في لبايه ويرتد إلى دعوى الجاهلية في التفاخر بالأحساب والأنساب ، وكانت كارثة تحملها الإسلام مظلوما إذ حاد عن هديه تابعوه ، ثم حصص الحق بعد لآي ، فعرف المسلمون نهجهم القويم ، واعتنقوا المساواة العنيفة مبيدها ينبع من قرآنهم الكريم لا بضاعة مستوردة من الثورة الفرنسية كما يزعم بعض من يجهل تعاليم دينه مؤثرا أن يكون ذبلا لأعدائه لا رأسا في ذويه !

لقد نادى الثورة الفرنسية بمبادئ الحرية والمساواة والإخاء لتظل حجرا محجورا على

٣ - أن التاريخ يحدتنا عن الأبطال
وعدم فهم السادة المطاعون .

٤ - أن الواقع يصف لنا حاجة الأمم
الماسة إلى التوسع وبسط النفوذ نتيجة
لزيادة الإنتاج وكثافة النسل .

ثم تنتهي النظرية بالدعوة إلى إنشاء
امبراطورية واحدة تضم جميع هذه الشعوب
التي كتب لها ابيضاض الجلد وصفاء الدم
فهيمن على العالم وتسيره بإرادتها الجبارة .
ومن الواضح أننا لا ننكر تفوق
بعض الناس على بعض ، لأمور لا ترجع
للجنس والدم بل لازدياد الثقافة وارتقاء
البيئة ، وهذا ما عناه القرآن حين قال :
« ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » ،
والكونت دي غوبينو بمنأى عما نحن فيه
لأنه يرجع بالتفوق إلى الدم والعرق وقد
نسئ أن المدنيات الباهرة على شواطئ النيل
ودجلة والفرات وفي سوريا واليمن السعيد
قد ازدهرت حين كانت أوروبا ذات الدم
المزعوم متوحشة تتخبط في هصور الظلمات ،
بل إن بغداد العباسية والقاهرة الفاطمية
وقرطبة العربية كانت جميعها ترفع مشعل
الحضارة الإسلامية وبلاد التفوق الموهوم تضم
أناسا عراة يرتدون جلود الغناب ، ويعيشون
عيشة الهمجي المتوحش في أدغال الغابات
وظلمات الأحرش ، ومن المؤسف أن نظرية

الاستاذ ما جند بهجت عنها بمجلة الرسالة العدد
٦٦٩ ، ٢٩ أبريل سنة ١٩٤٦ حيث قال
في بسطها :

« إن المخلوقات من حيوان ونبات وجماد
تخضع لقانون طبيعي أزل يتميز بعضها
عن بعض فهناك فصيلة خير من فصيلة ، وعنصر
خير من عنصر ، وبطون خير من بطون ،
ففي الحيوان ترى الخيول العربية أفضل من
غيرها ، وفي النبات ترى الورد الجوري
له رائحة زكية هي أعقب وأشهى من غيرها ،
وفي الجماد تجده للفولاذ متانة تفعل الحديد ،
كذلك الإنسان - وهو من عنصر الحيوان
لبعضه تفوق على غيره ، وهذا الإنسان
المتفوق إنسان أعلى ، ويكثر عدد المتفوقين
في شعوب دون شعوب ، فبطبيعة هذه الحال
تكون هذه الشعوب التي كثر أفرادها
المتفوقون شعوبا عليا ومن حقها السيطرة
والنفوذ .

وتعتمد النظرية في إثبات دعواها على
عوامل منها :

١ - أن القدرة العلوية شامت أن تختار
عنصرأ متفوقا من بني الإنسان لتعهد إليه
بالإدارة والقيادة في العالم .

٢ - إن العلم في ذاته دافع إلى السيطرة
والثغلة فإنه يسلم صاحبه وسائل ارتقاءه
وسموه .

الكونت قد وجدت صداها الرنان في أوروبا بنوع عام ، وفي ألمانيا بنوع خاص إذ وفدت إليها بعد الوحدة الجرمانية وتطلع حاستها إلى مشاركة انجلترا وفرنسا وهولندا في مستعمراتها الشاسعة من طريق الغصب والاستغلال ، وقد تأثر بها فردريك نيتشه فأرحت إليه ببعض آرائه في السبرمان ، وأخذ الشباب الألماني بتأثير هذه الأكذوبة يغني نشيد ألمانيا فوق الجميع ، ثم اندفع متهوراً إلى تأجيج حربين كبيرتين عادتا على الإنسانية المعذبة بالهول والشقاء .

لقد كان من الغريب الشاذ أن تدعو نظرية الفروق الجنسية إلى الوحدة الجماعية في امبراطورية تضم الشعوب البيضاء وتبسط سيطرتها على الشعوب الملونة وإذ ذاك - في منطق الكونت وأشياعه - يستتب الأمن حيث يخضع الضعيف الأبله الجاهل للقوى العاقل العالم وتمضى القرون المتتابة على تأثيل هذه الامبراطورية وتثبت دعائمها في الوجود ، فيعم الاستقرار .

ولكن مرور نصف قرن فقط قد عصف بآمال عشاق هذه النظرية الخرقاء وجعل

أشياعها من متطرفي الألمان يتحسرون لحبيبتهم المريوة في حربين هائلتين وثبت للعالم الإنساني كافة أن أسطورة التفوق حلم مجنون عصف برأس استقراطي نشوان وجعل المنصفين من كتاب أوروبا ينظرون إلى أساس السعادة الإنسانية من جديد ، فيعرفون أنه في إنصاف الشعوب وتقرير حق المساواة كما شرعها الإسلام . ولذلك أصاب المستشرق الانجليزي الأستاذ جب مقطع الصواب حين قال : « إن الإسلام مازال في قدرته أن يقدم للإنسانية خدمة سامية جليلة فليس هناك أية هيئة سواء يمكن أن تنجح ، نجاحا باهرا في تأليف الاجناس البشرية المتغايرة في جهة واحدة أساسها المساواة ، .

وتلك كلمة حق تزدى بجميع ما صاح به أنصار التفرقة من لدن أفلاطون وسقراط إلى ما يردده الآن بعض أعضاء الكونجرس الأمريكي من لغو زائف فات أوانه وانقطع مداه .

محمد رجب اليومى

المدرس الأول بدار المعلمين بالفيوم

عبد القاهر الجرجاني وآراؤه

في الشعر والشعراء

د. سنان الدكنور - أحمد أحمد بدوي

١ - للشعر عند عبد القاهر مكانة رفيعة ، يرى فيه ، الحق والصدق ، والحكمة وفصل الخطاب ، ويحمده بجنى ثمر العقول والالباب ، ويجتمع فرق الآداب ، الذي قيد على الناس المعاني الشريفة ، وأفادهم الفوائد الجليلة ، وترسل بين الماضي والغابر ، ينقل مكارم الأخلاق إلى الولد عن والده ، ويؤدي ودائع الشرف عن الغائب إلى الشاهد ، حتى ترى به آثار الماضين ، مخلدة في الباقين ، وعقول الأولين مردودة في الآخرين ، وترى لكل من رام الأدب ، وابتغى الشرف ، وطلب محاسن القول والفعل منارا مرفوعا ، وعلميا منصوبا ، وهاديا مرشدا ، ومعلما مسددا ، وتجده فيه للنائي عن طلب المآثر ، والزاهد في اكتساب المحامد ، داعيا ومحرضا ، وباعثا ومحضضا ، ومذكرا وموعظا ، ومثقفا ، (١) .

الوقوف على الجهة التي كان منها هذا الإعجاز (١) .
وقد تصدى عبد القاهر للدفاع عن الشعر ، والرد على أولئك الذين زهدوا في روايته وحفظه ، وذموا الاشتغال بدراسته ، وأورد حججهم في ذلك ، ورد عليها واحدا واحدا (٢) .

وهرض لتتزيه الرسول الكريم عن قول الشعر ، ورأى سبيل ذلك سبيل الخط حين جعل عليه السلام لا يقرأ ولا يكتب ، في أن المنع لم يكن من أجل كراهة كانت في الخط ، بل لأن تكون الحجة أبهر وأقهر ، والدلالة أقوى وأظهر ، ولتكون أكرم (٣) للجاحد . وأقع للعائد ، وأرد لطالب الشبهة ، وأمنع في ارتفاع الريبة ، (٤) .
ومعنى ذلك أن الكتابة في حد ذاتها ليست عيبا ولا نقيصة ، ولكن أمية الرسول أقوى في الدلالة على رسالته ، مما لو كان قارئا كاتباً ؛ لأن المجال للشك في رسالته حينئذ

ويرى مظاهر البلاغة تبدو فيه جليلة قوية ، وهو من أجل ذلك يصلح أن يكون موضع موازنة بينه وبين القرآن ؛ ليتبين بهذه الموازنة موضع الإعجاز في القرآن ، ويمكن

(١) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق من ص ٩ إلى ص ٢٣ .

(٣) أكرم : من كرم البعير : شد فاه عند هياجه .

(٤) دلائل الإعجاز ص ٢٢ .

(١) دلائل الإعجاز ص ١٢

فاختاره من دواوينهم طائفة من أشعارهم وجدها جديره بالحفظ والتقدير وهؤلاء الشعراء الثلاثة هم : المتنبي ، والبحرئى ، وأبو تمام .

٢ — ويصدر عبد القاهر كتابه : المختار من دواوين المتنبي والبحرئى وأبو تمام ، ، مبينا اللون الذى اختاره من شعرهم ، وسر هذا الاختيار ، إذ يقول : « هذا اختيار من دواوين المتنبي والبحرئى وأبو تمام ، وهذا فيه لأشرف أجناس الشعر ، وأحقها أن يحفظ ويروى ، ويوكل به الهمم ، ويفرغ له البال وتصرف إليه العناية ، ويقدم فى الدراسة ، وتعمر به الصدور ، ويستودع فى القلوب ، ويعد للبذكرة ، ويحصل للحاضرة ؛ وذلك ما كان مثلاً سائراً ، ومعنى نادراً ، وحكمة وأدباً ، وقولاً فصلاً ، ومنطقاً جزلاً ، وقد أخرجنا من ذلك من هذه الدواوين خيار الخيار ، وما هو كوسائل العقود ، وأناسى العيون ^(١) . »

وبدأ عبد القاهر مختاراته بشعر المتنبي ؛ لأن أمثاله أسير ، ومعانيه فيها أغزر ، ومعارفه فى الحكم والآداب أكثر ^(٢) ، ثم تلى بالبحرئى ، وختم بأبو تمام ، لأنه كان على مذهب أستاذه : القاضى الجرجاني ، فى تقديم المتنبي على الطائيين ، ثم تقديم البحرئى على أبو تمام .

يفتد ويتسع ؛ فكذلك الشعر ، ليس فى حد ذاته صيباً ، ولكن نفيه عن الرسول يؤكد رسالته ، عندما نرى للقرآن هذا الأثر البالغ فى النفس ، وهذا السحر المستولى على القلب ، من غير أن يكون الرسول شاهراً ، ولا القرآن شعراً .

عبد القاهر إذ آمن بمجدون الشعر ، ويتلمسون ألوان البلاغة فيه ، ويقفون معجبين بما يملؤه من مظاهر الجمال يتذوقون هذه المظاهر ، ويحاولون أن يطلعوا الناس عليها ؛ ليستمتعوا بإدراك الحسن فى بلاغة الكلام . ويرى أن الموازنة بين الشعر والقرآن كفيّة ببيان تفوق التعبير القرآنى ، وإدراك إعجاز القرآن ، ولكن عبد القاهر لم يطبق هذه الفكرة فى كتابه : دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة ؛ بل كان يكتفى بالتمثيل لفنون البلاغة بالشعر والقرآن معاً ، من غير أن يوازن بينهما ، أو يبين تفوق القرآن ، ولو أنه جعل ذلك من أهدافه لكان قد حقق بالفعل أملاً كبيراً فى بيان إعجاز القرآن .

وكان عبد القاهر واسع الاطلاع على دواوين الشعراء ، يقف عندهما ؛ ليرى فى أبياتهما مظاهر البلاغة ، والخصائص الفنية لفصاحة القول ؛ واستشهد بكثير من أبيات الشعر على الخصائص البلاغية ، وأبدى رأيه فى كثير من الشعراء ، وخص ثلاثة منهم ،

(١) الطرائف الأدبية ص ٢٠١ .

(٢) الأدرج السابق نفسه .

وعبد القاهر يقف عند حدود الاختيار ،
لا يتجاوزه إلا في النادر الذي لا يكاد يذكر
عندما يعاق أو يشرح :

وما اختاره عبد القاهر يمتاز كله بالسلاسة
وجمال العبارة ، ولم يشذ عن ذلك إلا النادر ،
كقول أبي تمام :

فالمجد لا يرضى بأن ترضى بأن

يرضى المؤمل منك إلا بالرضا

وهو بيت يضرب به البلاغيون مثلاً لشدة
تماسك كلمات الفص تماسكاً يجلب له الثقل ،

فضلاً عما يأتي به تكرير الكلمة من الملل (١)

٣ - وتناثرت آراء عبد القاهر في هؤلاء

الشعراء الثلاثة وغيرهم في كتابيه : دلائل

الإعجاز ، وأسرار البلاغة كما تناثرت فيهما

آراؤه في غيرهم من الشعراء ، وفي الشعر الجيد

والردي .

* * *

فهو يستشهد على القواعد البلاغية بشعر

المتنبي ، كلما أمدده شعره بنموذج لتلك

القواعد ؛ فنراه في تعريف جزأى الجلمة ،

وما يستفاد من هذا التعريف يستشهد بقوله :

وتوهموا اللعب الوغى ، والطعن

في الهيجاء غير الطعن في الميدان

وعند تناسي التشبيه يورد قول المتنبي :

بدت قرأ ، ومالت خطوط بان

وفاحت عنبراً ، ورنفت غزالاً

ولا يقف عبد القاهر عند إيراد بيت الحكمة

بل يورد ما يكتنفها ، وإن لم يكن حكمة ،

وأحياناً يكون المختار كله حكماً ؛ بل قد يأتي

بشعر المدح . الذي يصور مثلاً علياً يحسن

أن يقتدى بها ، بل قد يختار رثاء يدل على

هذه المثل ، وربما اختار من شعر الهجاء ،

ما يمثل رذيلة يفبغى ألا تكون (١) .

وقد يختار من القصيدة بيتاً ، أو اثنين

أو ثلاثة ؛ وأقصى ما وصل إليه اختياره

من القصيدة ثمانية عشر بيتاً .

وقد تكون الأبيات التي يختارها غير متناسبة

بعضها مع بعض ؛ بل قد يكون البيت

في واد ، وتاليه في واد آخر ، كالبيتين

الذين اختارهما من قصيدة البحترى في رثاء

المتوكل ، وهما .

وهل أرتجى أن يطلب الدم وائر

يد الدهر ، والموتور بالدم وائر

مغلب آراء ، تخاف أناته

إذا الأخرق العجلان خيفت بواده

فالبيت الأول يذم المنتصر بن المتوكل ،

والبيت الثاني يتحدث عن المعتز بالله ، وقبله

في القصيدة بيت يمهله ، هو :

ولماني لأرجو أن ترد أموركم

إلى خلف من شخصه ، لا ينادره

(١) عبد القاهر الجرجاني للدكتور أحمد أحمد

بدوى ص ٢٦ .

تبني سنايبكها من فوق أروسهم
سقفًا كوكابه البيض المبائر

إذ مضى في الموازنة قائلاً : التفصيل
في الأبيات الثلاثة كأنه شيء واحد ؛ لأن كل
واحد منهم يشبه لمعان السيوف في الغبار
بالسكواكب في الليل ؛ إلا أنك تجد لبنت
بشار من الفضل ومن كرم الموقع ولطف
التأثير في النفس ما لا يقل مقداره ،
ولا يمكن إنكاره ؛ وذلك لأنه راعى ما لم
يراعه غيره ، وهو أن جعل السكواكب
تهاوى ؛ فآتم الشبه ، وعبر عن هيئة
السيوف ، وقد سلت من الأغمد ، وهي
تعلو وترسب ، وتجيء وتذهب ، ولم يقتصر
على أن يريك لمعانها في أثناء العجاجة ، كما
فعل الآخرون ، وكان لهذه الزيادة التي زادها
حظ من الدقة تجعلها في حكم تفصيل بعد تفصيل ،
وذلك أنا ، وإن قلنا : إن هذه الزيادة ،
وهي لفادة هيئة السيوف في حركاتها ، إنما
أنت في جملة لا تفصيل فيها ، فإن حقيقة تلك
الهيئة لا تقوم في النفس إلا بالنظر إلى أكثر
من جهة واحدة ؛ وذلك أن تعلم أن لها
في حال احتدام الحرب ، واختلاف الأيدي
بها في الضرب اضطراباً شديداً وحركات
بسرعة ؛ ثم إن لتلك الحركات جهات مختلفة ،
وأحوالاً تنقسم بين الأهواج والاستقامة ،
والارتفاع والانخفاض ، وأن السيوف
باختلاف هذه الأمور تتلاقى وتتداخل ،

إلى غير ذلك ، مما يطول به وجه
استقصائه .

وفي كثير من الأحيان لا يقف عند إيراد
البيت أو شرحه ، بل يثنى عليه ، ويحمله ،
ويبين سر جماله ، فراء مثلاً عند ما تحدث
عن الفصل بين الجبل قال : ومن الحسن البين
في ذلك قول المتنبي :

وما عفت الرياح له محلاً
عفا من حدا بهم ، وساقا

ثم شرح سر الفصل بين شطري البيت ،
فقال : لما نفي أن يكون الذي يرى به من
الدروس والعفا من الرياح ، وأن تكون
التي فعلت ذلك ، وكان في العادة إذا نفي الفعل
الموجود الحاصل من واحد ؛ فقل : لم
يفعله فلان - أن يقال : فن فعله ؟ قدر كأن
قائلاً قال : قد ذهبت أن الرياح لم تعف له
محلاً ، فما عفا إذا ؟ فقال بجيبا له :

د عفا من حدا بهم وساقا ، (١)
وحينا يرازن بينه وبين غيره من
الشعراء ، كما فعل عندما أورد قوله :

يزور الأعادي في سماء عجاجة
أسفته في جانبيها السكواكب
مع قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رموسنا
وأسيافنا أيل تهاوى كوكابه
وقول هرو بن كلثوم :

(١) دلائل الإعجاز ص ١٨٤ .

وإذا كان شعر المتنبي يحتاج فهمه في بعض الأحيان إلى روية ، فذلك محمود عند عبد القاهر ، متى كان المعنى الذي يصل إليه القارئ يساوي التعب في الحصول عليه ؛ لأنه من المركز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له ، أو الاشتياق إليه كان نيله أحلى ، على شريطة ألا يكون في الوصول إليه إرهاق يكبد النفس على غير طائل ، فعند ما تقف عند قول المتنبي :

فإن تفق الأنام وأنت منهم
فإن المسك بعد دم الغزال
وقوله :

وما التأنيت لاسم الشمس عيب
ولا للتذكير نخر الهلال
وقوله :

رأيتك في الذين أرى ملوكا
كأنك مستقيم في محال
تجد أنك محتاج إلى تريث وروية لإدراك المعنى الذي قصد إليه الشاعر ، ولعلك بعد أن تصل إلى المعنى لا تندم على الوقت الذي بذلته للحصول عليه ، فضلا عن أن التعب في الوصول إلى المعنى ليس ناشئا من تعقيد في اللفظ ، ولا يكلفك في الوصول إليه عنتا عنيفا ، ومشقة لا تحتمل (١) .

ويقع بعضها في بعض ، ويصدم بعضها بعضا ، ثم إن أشكال السيوف مستطيلة ؛ فقد نظم هذه الدقائق كلها في نفسه ، ثم أحضر كصورها بلفظة واحدة ، وقبه عليها بأحسن التنبيه وأكمله بكلمة ، وهي قوله (تهاوى) ، لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها ، وكان لها في تهاويتها تواقع وتداخل ، ثم إنها بالتهاوى تستطيل أشكالها ، فأما إذا لم تزل عن أماكنها فهي على صورة الاستدارة (١) .

وهكذا نرى عبد القاهر مع إعجابه بالمتنبي لم يمنعه ذلك من أن يفضل غيره عليه إذا كان الحق مع سواه .
وفعل ذلك مرة أخرى ، عند ما رأى أن الكلمة تحسن في موضع ، ولا تحسن في موضع آخر ، ومثل لذلك بكلمة (شوى) في قول أبي حية :

إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة
تفاضاه شيء لا يمل التفاضيا
قال عبد القاهر : فإنك تعرف حسنها ومكانها من القبول ، ثم انظر إليها في بيت المتنبي :
لو الفلك الدوار أبغضت سعيه
لعوقه شيء عن الدوران
فإنك تراها ثقل وتضؤل بحسب نيلها وحسنها فيما تقدم (١)

(١) أسرار البلاغة ص ١٥١ .

(١) دلائل الإعجاز ص ٣٩ .

(١) أسرار البلاغة ص ١١٦ .

حتى يدرك لو نأمن الخطأ خفيا في شعر المتنبي
لا يبدو لأول وهلة ، كما وقف عند قوله :

ولا تشك إلى خلق ، فلقمته

شكوى الجريح إلى الغربان والرخم

فقد رأى فيه عبد القاهر خطأ في غاية
الحفاء ، وذلك أنك إذا قلت : لا تضجر

ضجر زيد ، كنت قد جعلت زيدا يضجر

ضربا من الضجر ، مثل أن تجعله يفرط فيه

أو يسرع إليه ، هذا هو موجب العرف ،

وإذا كان كذلك اقتضى قوله : « شكوى

الجريح إلى الغربان والرخم » - أن يكون ههنا

جريح قد عرف من حاله أن يكون له شكوى

إلى الغربان والرخم ، وذلك محال ؛ وإنما

العبارة الصحيحة في هذا أن يقال : لا تشك

إلى خلق ، فانك إن فعلت كان مثل ذلك أن

تصور في وهمك أن بعيرا دبرا (١) كشف

عن جرحه ، ثم شكاه إلى الغربان والرخم (٢)

ونحن ، وإن كنا لا نوافق عبد القاهر على

هذا النقد ، بل نرى المعنى الذي قصد إليه

المتنبي واضحا لا خفاء فيه - نتبين أن حبه

للمتنبي لم يحل بينه وبين أن يدل على ما يراه

فيه من عيب ونقصان ؟

الدكتور أحمد محمد بدوي

فإذا كان الحفاء ناشئا من التعقيد لم يرض
عنه عبد القاهر وذمه ، وذلك لأن اللفظ لم
يرتب الترتيب الذي يمثله تحصل الدلالة على
الغرض ، فاحتاج السامع إلى أن يطلب المعنى
بالمحيلة ، ويسعى إليه من غير الطريق ،
كقول المتنبي :

ولذا اسم أغطية العيون جفونها

من أنها عمل السيوف عوامل

وعلق عبد القاهر على هذا البيت قائلا :

ولما ذم هذا الجنس لأنه أحوجك إلى فكر

زائد على المقدار الذي يجب مثله ، وكذلك

بسوء الدلالة ، وأودع المعنى لك في قالب غير

مستو ولا تماس ، بل خشن مضرر : حتى

إذا رمت إخراج عسر عليك ، وإذا خرج

خرج مشوه الصورة ناقص الحسن (١) .

ولا يقف نقده المتنبي عند حد التعقيد ، بل

إنه عند ما أورد قوله :

يترشفن من في رشفات

من فيه أحلى من التوحيد

لم يرقه معناه ، ورأى أن الشاعر أبعد

ما يكون من التوفيق ، إذ دهنه شهوة

الإغراب إلى أن يستدير من الهزل والعبث

من الجدد ، ويتنزل بهذا الجنس (٢) .

بل إن عبد القاهر قد يتعمق في المعنى ،

(١) المرجع السابق ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٣ .

(١) دير : به قرحة .

(٢) دلائل الإعجاز ص ٤٢٤ .

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

٦ - ملكية المال

المال - في نظر الإسلام - كل ما له قيمة شرعية ، أو بعبارة أخرى كل ما له منفعة مباحة تقوم بحسب الحاجة إليها ، أو بحسب ما لها من ندرة ، أو ما بذل فيها من عمل وخبرة ، فالخزير والخمر وما إليهما من المحرمات لا قيمة لها - في تقدير الإسلام - لأنها ليست من المباحات ، والعمل ليس وحده هو الأساس لتقدير قيمة الأشياء وإن كان أهم الأسس التي تقوم بها قيمتها ، فندرة الماس بالنسبة إلى غيره من الأحجار الكريمة وندرة الذهب بالنسبة إلى الفضة ، والفضة بالنسبة إلى غيرها من المعادن ، كالنحاس والحديد ، لها دخل كبير في تقدير القيمة وقياس المنفعة ، والحاجات تتفاوت بين الضروريات والكاليات ، ويختلف تأثيرها في القيمة على حسب ذلك التفاوت بين درجات الضروريات ودرجات الكاليات . كما يختلف باختلاف مستويات الدخول والقدرات الشرائية والظروف الاقتصادية والاجتماعية ومن رحمة الله بالإنسان أن سخر له كل ما حوله

ويسر له كل ما تقوم عليه حياته ، وأصبح عليه نعمة ظاهرة وباطنة . فالماء . والهواء . وأشعة الشمس . ونور القمر وكثير من النعم العامة التي تقوم عليها الحياة لا تسمى مالا ولا تقوم بمال ، مع أنها إذا قيست منفعتها بمنفعة أنفس ما نشتره ونقتنيه كان القياس عبثا أو لو لنا من الجنون والخلل ، وما يذكر في هذا السياق أن ابن السكك كان عند الرشيد ورآه يهيم بالشرب ، فقال له : هلي رسولك يا أمير المؤمنين : بقرايتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو منعت هذه الشربة بكم كنت تشربها . . ؟ فقال : بنصف ملكي . قال : اشرب هناك الله . فلما شربها قال : أسألك بقرايتك من رسول الله لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشربها . ؟ قال بجميع ملكي . قال ابن السكك : إن ملكا قيمته شربة ماء لجسدير بالأنافيس فيه ، ويروى أنه قال : إن ملكا يضيع بين بولة وشربة لجدير بأن يزهده فيه . . . ويلاحظ مع ذلك - أن من رحمة الله

الزيادة المطردة في عدد السكان كلام سداه
ولحمته الأوهام وتفكير يمليه الشعور بالعجز
والقصور، والمتأمل في قوله تعالى: «وكانين
من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم»،
وقوله سبحانه: «ولو أن أهل القرى آمنوا
واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والأرض»، يمد صدق ذلك في التجارب التي
رآها الناس وفي الواقع الذي يراه وهو الذي
يرىكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا
وما يذكركم إلا من ينيب، «هو الذي جعل
لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا
من رزقه وإليه النشور».

ولكن الشيطان كما يقول الله فيه: «الشيطان
يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة
منه وفضلا، فالنخل - وهو بعض ما يطلق
عليه اسم الفحشاء - والخوف من الفقر
- والناس من خوف الفقر في فقر - بما يزينه
الشيطان ويحسنه للإنسان - ثم الإسراف
في حب المال وما ينشأ عنه أو يتصل به من
الطمع والشر كما يفهم من قوله تعالى:
«وأن تكون القراث أكلأا»، وتحبون المال
حبا جما، كل ذلك وما إليه يسبب اختلال
التوازن في المجتمع، وسوء التوزيع في الثروة
وبنى الناس بعضهم على بعض، واستغلال
بعضهم على بعض، واستغلال بعضهم لبعض
وقد لفت القرآن نظر الناس إلى هذا

كذلك - كثرة السكينة في الأشياء التي تعد
ضرورية كالمح والنار والمواد الغذائية. وهذه
على شدة الحاجة إليها ميسرة للناس يحصلون
ها بها بضمن زهيد، ولولا ما ركز في طباع
بعضهم من الطمع والجشع والأثرة ما وجد
الفقراء ما يجدون من جهد وهناء في سبيل
الحصول على القوت، ولعل هذا بعض ما يفهم
من قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله فرض على
أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع
فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وهروا
إلا بما يصنع أغنيائهم، فإن ذلك يفهم منه
أن جهد الفقراء وجوههم سببه صنع الأغنياء
وإذا كان ذلك في المسلمين - وهم الذين فرض
الله لفقرائهم حقوقا في أموال أغنيائهم -
فهو في غيرهم أظهر وأكثر».

فالوفرة والكثرة في المواد الغذائية والموارد
الطبيعية موجودة في هذه الأرض التي خلقها الله
«وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها
وقدر فيها أقواتها»، وفي هذه السماء التي تمدنا
بالدفء والفضوء والماء المبارك كما يفهم من
قوله تعالى: «ونزلنا من السماء ماء مباركا
فأنبتنا به جنات وحب الحصيد. والنخل
بأشجار لها طلع نضيد. رزقا للعباد وأحيينا
به بلدة ميتا كذلك الخروج»، فما قيل
- ويقال - في الموارد الغذائية والموارد
الطبيعية من أن فيها ندرة نسبية، وأنها لا تلبى

الواقع الذي تنطق به الشواهد ، وتنتظر عليه الأدلة وهو أن المال بكل صوره وأنواعه لله وحده ، فهو قائق الحب والنوى وهو خالق الذهب والفضة ، وهو الذي ينزل الماء من السماء فتحيا به الأرض بعد موتها ، وهو المنعم بكل ما يتمتع به الناس من نعم ، فمن حقه عليهم أن يعبدوه ويحمدوه ، وأن يذكروا نعمه عليهم ويشكروا إحسانه إليهم ويشعروا بأنهم وما يعملون مدينون له بالحياة وبالقدرة على العمل ، في هذه الحياة ، وإذا كان المقام لا يتسع لعرض الآيات التي تلفت الأنظار إلى ذلك ، لحسبنا من ذلك أن نذكر قوله تعالى : « أولم يروا أنا خلقناهم مما حملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون » ، وقوله قبل ذلك : « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعصاب ونجربنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما حملته أيديهم أفلا يشكرون » ، وقوله سبحانه : « أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزاهرون . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلمت نفسك . إنا لمغرمون . بل نحن محرمون . أفرايتم الماء الذي تشربون . أفأنتم أنزلوه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء لجعلناه ن涸لا فتشكرون .

أفرايتم النار التي تورون . أفأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين . فسمبح باسم ربك العظيم . » ١ - ويفهم من هذه الآيات وغيرها أن عمل الإنسان - وإن يكن أمثلا سبيل إلى الملكية - لا يعطيه مطلق التصرف وتمام الملكية ، لأن المال في حقيقة أمره مال الله كما يقول سبحانه : « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » . والإنسان وما ملكت يده الله ، بل إنه وعمله كما يقول جل شأنه : « والله خلقكم وما تعملون » ، فالملكية التي تفهم من إضافة المال إليه ملكية نسبية ناقصة لملكية حقيقية تامة ، والرزق الذي يسعى إليه ويستولى عليه إنما هو فضل من الله جل شأنه ، وهو بالنسبة إليه مستخلف فيه كما يقول سبحانه : « وأنفسكم وما جعلكم مستخلفين فيه » . وكما يقول جل شأنه : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم » . فالملكية في الأرض وفي المال مجرد استخلاف لا يخرج به المستخلف عن طاعة المستخلف وهو الله الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير .

٢ - وعلى هذا الأساس يجب الحجز على السفهاء استجابة لأمر الله كما يفهم من قوله تعالى : « ولا توتروا السفهاء أموالكم التي

جعل الله لكم قياماً ، فإن المال عصب الحياة ، بل هو كما يفهم من الآية الكريمة الأمر الذي تقوم عليه حياة الناس وصلاح أمورهم وأحوالهم .

٣ - وعلى هذا الأساس - كذلك - يظهر الفرق بين وضع المال في المجتمع الإسلامي ووضعه في غيره من المجتمعات ، فهو كما قلت في بعض ما كتبت : ليس ملكاً للدولة حتى تجوز على الأفراد فتأكل جهودهم وتلغى وجودهم كما هو الشأن في الشيوعية ، وليس ملكاً للأفراد حتى يحق لهم اختزانه واحتجانه

أو الاستئثار بمنفعته ، واستغلاله في وجوه الكسب الحرام كما هو الشأن في الرأسمالية . وقد أئذ الله الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بعذاب أليم ، وصور هذا العذاب بقوله : يوم يحسب عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكزون ، أما وجوه الكسب التي أحلها الله ووجوه الإنفاق التي شرعها فنعرض لها في مقال آخر إن شاء الله .

عبد الرحمن فودة

وثيقة همام بن منبه

يحفظ لنا التاريخ وثيقة تاريخية علمية قيمة ، لها أملاء أبو هريرة على تلميذه همام بن منبه أحد أعلام التابعين الثقات ، من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جمعه همام في صحيفة أو صحف أطلق عليها اسم (الصحيفة الصحيحة) وسماها بالصحيحة على مثال (الصحيفة الصادقة) لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما - وحق لهما أن يسميها بالصحيحة ؛ لأنه كتبها عن صحابي خالط رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنين ، وروى عنه الكثير .

وقد حفظ التاريخ هذه الصحيفة كاملة ، كما رواها ودونها همام عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ فقد عثر على هذه الصحيفة الدكتور المحقق محمد حميد الله في مخطوطتين متاثلتين في دمشق وبرلين ، ووجدت لهذه الصحيفة نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية ، تحت رقم (١٩٨١ حديث) ويزيد الثقة بصحيفة همام ما ثبت من أن الإمام أحمد قد نقلها بتامها في مسنده ، كما نقل الإمام البخاري هداً كثيراً من أجادتها في صحيحه في أبواب شتى .

(عن كتاب أبو هريرة راوية الإسلام)

للاستاذ محمد عجّاج الخطيب

الاسلام وتحديد النسل

للاستاذ محمود الشرقاوى

الكبير ، الدوس هاكلى : إن التقدم التكنولوجى والعلمى ، لن يكفى لمواجهة مشكلة تزايد السكان إلا بكارثة (١) ، أو مجزعة ، وقدّر أن عدد سكان العالم سيرتفع إلى ستة مليارات نسمة فى نهاية هذا القرن ، وأكد ضرورة إقناع الرجال والنساء فى العالم كله بضرورة تحديد النسل .

وكلمات الخطر الدام ، ، ودم المجزعة ، ، ودم الكارثة ، فى الأسطور السابقة ليست من هندي . بل هى أوصاف جرت على لسان هؤلاء العلماء الكبار .

ومن دلائل الإدراك العام لهذه المشكلة العالمية أن الوكيل المساعد لشئون المنظمات الدولية بالولايات المتحدة تقدم بمشروع دولى لتحديد النسل . وفى هذا المشروع إحصاء يقول : إن سكان العالم تضاعفت نسبة زيادتهم السنوية مما كانت فى سنة ١٩٤٥ .

(١) يقصد بالكارثة حرباً ذرية تقتل مئات الملايين من البشر .

هل اسمها ، كما يفعل بعض المشفقين من الكلمات الحاسمة الواضحة ، مشكلة تنظيم النسل ؟ ... أم اسمها باسمها الحقيقي الحاسم : « تحديد النسل » ... ، إنى أوثر الحسم والصراحة ، ولو كانا بعيدين عن الإشفاق والديبلوماسية .

هى مشكلة ، ما فى ذلك شك ، مشكلة حادة تشمل العالم كله بوجه العموم . ووطننا : الجمهورية العربية المتحدة ، بوجه الخصوص . ولكى ندرك وجه الحدة فى هذه المشكلة ، من الوجهة العالمية ، نذكر أن حلقة دراسية أقيمت فى كاليفورنيا ، بالولايات المتحدة الأمريكية ، لدراسة زيادة النسل فى العالم ، فخذوا العلماء البريطانيين والأمريكيين المشتركين فيها من « الخطر الدام الذى يهدد البشرية نتيجة للزيادة المطردة الرهيبة فى عدد السكان » .

وقال العالم الفروى (هاريسون براون) : إن سكان الولايات المتحدة سينتفون إلى مليار نسمة فى منتصف القرن القادم ، وقال الفيلسوف

و ١٩٥٠ . وبناء على ذلك زاد عدد السكان زيادة فاحشة تصل إلى درجة الخطر على الجنس البشرى كله . وهذا الانخفاض المستمر في نسبة عدد الوفيات لم يعد قاصراً على الدول الصناعية المتقدمة : « قالدول الزراعية أيضا أصبحت تحصل على أحدث الأدوية والخبرات الفنية والعلمية ، مما أدى إلى خفض نسبة الوفيات بينما نسبة المواليد ما زالت على ما هي عليه ، ويسمى الأستاذ كارلو تشيبولا هذه الظاهرة المزدوجة « بالانفجار السكاني ، ويضرب لذلك الأمثال فيقول : «... في سيلان تم القضاء على بعوض الملاريا فيما بين سنتي ١٩٤٥ - ١٩٥٢ مما أدى إلى خفض نسبة الوفيات من ٢٢ إلى ١٢ في الألف ، بل إنه في عام واحد : ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ، انخفضت هذه النسبة من ٢٠ إلى ١٤ في كل ألف . وهنا تظهر أهمية تحديد النسل . ذلك لأنه من المستحيل رفع مستوى المعيشة لمثل هذا الشعب إذا استمرت زيادة السكان فيه بأسرع من تطور وسائل الإنتاج ، (١) » .

وفي وطننا العربي ، وبخاصة الجمهورية العربية المتحدة ، نجد هذه المشكلة قائمة حادة ، فقد أثبتت الإحصاءات أن عدد السكان فيها

وعند مناقشة هذا المشروع في هيئة الأمم المتحدة ظهر كثير من الحقائق المفزعة عن تزايد السكان ومستوى حياة الناس في كثير من بلاد العالم : من هذه الحقائق أن الدول « الغير النامية » تفوق فيها نسبة الزيادة عن مثلها في الدول المتقدمة بنحو ٧٠ في المائة . وهذه الدول الغير النامية لا تستطيع - بحكم أوضاعها وثروتها - إطاعة هذه الملايين الكثيرة من سكانها ومواليدها عيشة معقولة ، بل تكاد تعجز عن استبقاء الحياة لمولودها .

ومن هذه الحقائق ما أبدته كثير من الدول نحو المشكلة ، حيث ترى هذه الدول : (أن سرعة تزايد السكان قد ترتبت عليها مشاكل خطيرة بالنسبة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وأنه لا بد من اتخاذ إجراء عاجل لعلاج هذه المشكلة) .

ومن دلائل الإدراك لهذه المشكلة أيضا ذلك الكتاب الذي أصدره في السنة الماضية العالم الإيطالي : « كارلو تشيبولا » تحت اسم : « التاريخ الاقتصادي لسكان العالم » . ومن الحقائق المعروفة التي أفاد منها هذا الكتاب في إقرار وجهه نظره أن الثورة الصناعية أدت إلى الانخفاض المستمر في نسبة الوفيات بين الأطفال في الفترة ما بين سنتي ١٩٠٠

(١) الترجمة من كتاب الأستاذ « كارلو » للأستاذ رجائي نجيب .

التي يحياها . بل لو أنه نجد احتمالاً معقولا
لأسبقية حياته واستنفاذا من الموت المبكر
وسطوة المرض والحرمان من الغذاء الكافي
والرعاية الضرورية . بله فرص الصحة والقوة
والحياة المكتمة السعيدة الهائلة والعمر
الطويل والثقافة التي لا بد أن ينالها في حياتنا
المعاصرة كل إنسان : « فنسبة الوفيات في البلاد
الزراعية ما زالت أعلى مما هي عليه في البلاد
الصناعية حتى يومنا هذا . ففي الوقت الذي
نجد فيه أن نسبة الوفيات في البلاد الصناعية
أقل من ١٥ في الألف نجد أنها في
بلد زراعي كالهند مثلاً ١٢٧ في الألف ،
وذلك سنة ١٩٥٠ . » وقد أثير شيء
من هذه الأحاديث والأرقام في « مؤتمر
الميثاق الوطني ، الذي عقد بالقاهرة في ربيع
هذا العام .

العبارة ، إذن ، في سعادة الفرد واستقرار
الأسرة وسلامة الدولة وقوتها ورغائها
ليس بالحكم ، بل بالكيف : ففي إحصاء
أصدرته هيئة الأمم المتحدة من سنة ١٩٦٢
أن أعلى نسبة لولادة في العالم توجد
في « ساحل العاج » ، وأقل نسبة توجد
في السويد من شمال أوروبا ، ولا يمكن أن
يقال إن الفرد والأسرة والدولة في الأولى
أكثر سعادة واستقراراً وسلامة وقوة
ورغاء منها في الثانية .

زاد خلال السنوات العشر الأخيرة بمتوسط
نصف مائون فرد في كل سنة : كان سكان
الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٢
واحداً وعشرين مليوناً ونصف المليون ،
فأصبحوا في سنة ١٩٦١ قريباً من سبعة
وعشرين مليوناً !.

ويتنبأ الإحصائيون بأن الزيادة
في السنوات العشر القادمة ستكون بمتوسط
مليون نسمة في كل سنة . ١ وأن سكان
الجمهورية يصلون بعد سنتين إلى تسعة
وعشرين مليوناً وثلاث المليون ، وفي سنة
١٩٧٠ إلى تسعة وثلاثين مليوناً ونصف ١٠٠
وفي سنة ١٩٧٥ يصل تعدادهم إلى خمسة
وأربعين ونصف : ١٠٠ وفي سنة ١٩٨٥
يكون سكان جمهوريتنا اثنين وخمسين مليوناً
ونصف المليون .

الحكم والكيف :

وهذه الملايين الكثيرة التي يتوقع ،
أو يقرر الإحصائيون أن يصل إليها سكان
جمهوريتنا العربية في هذا الزمن القصير
- وهو قصير جداً بالنسبة لحياة الأمم -
هذه الملايين الكثيرة لم يكن يضربنا ، بل لعله
كان خيراً لنا ، أن تضمها جمهوريتنا لو أنها
تجمع إلى جانب هذا « الحكم » ، الكثير « كيفاً »
معقولا في صحته وثقافته ومستوى الحياة

في ذلك . ٢ . قالت : كلا ، بل نحن متفقان على ذلك ، ولكن : « العلماء قالوا حرام » . وهنا جوهر المسألة الذي نعالجه في هذا المقال ، والذي جعلنا نصف هذه المشكلة بأن أساسها الجهل ، فلو كانت هذه الزوجة وزوجها يعرفان حكم شريعة الإسلام الحق فيها لما ضاقت بهما الحياة كل هذا الضيق ، هذا الضيق الذي أوقمهما وأسرتهما فيه حكم الفقهاء لا حكم الله . أو حكم بعض الفقهاء الغير الفاهمين ، هذا البعض من الفقهاء الذين لا يفقهون أوضاع الحياة المعاصرة ومشاكلها ، ولا يفقهون سعة الشريعة ومرونتها ومطاوعتها .

ولو أن هؤلاء الفقهاء فقهوا شريعة الإسلام كما فقهها الشاطبي حين يقول : (إنا وجدنا الشارع قاصداً لصالح العباد ، والأحكام العادية تدور معه حيثما دار ، فرى الشيء الواحد يمنع في حال لا تكون فيه مصلحة ، فإذا كان فيه مصلحة جاز) (١) ولو أنهم تمثلوا قول النبي عليه السلام : (إن هذا الدين يسر لا عسر ، وما شاد هذا الدين أحد إلا غلبه) .

(١) الموافقات للشاطبي : ص ٢١٣ من الجزء ٢

وكانت في الهند ملايين تسد عين الشمس ، كما يقول المثل ، ومع ذلك رأيناها إلى عهد قريب قبل أن تحقق استقلالها ، يحكمها بضعة آلاف من دولة لا يقرب عدد سكانها من خمسين مليوناً .

هذا وجه المسألة ، أو المشكلة ، الواضح المثير الذي يدركه وينذر به العارفون . ولكن المسألة لها وجه آخر يمثل الناحية الدينية ، أو الفقهية ، التي تتمحور في مدارك الملايين من أبناء الوطن العربي حيال هذه المشكلة . والتي نجد مداركهم بسببها مدارك خاطئة . وقد رتهم حيال أوضاعهم الخاصة وأوضاع أسرهم قدرة عاجزة أو مشلولة .

وقد أحسست صرامة هذا الإدراك الخاطئ المعوق وقسوته من قضية أسرة ذهبت لمناقشتها في التلفزيون العربي : تتلخص القضية في مشكلة من هذا النوع تهدد سلامة الزوج والزوجة وستة من أولاد لا يستطيع أبوم أن يربح في كل شهر أكثر من اثني عشر جنيهاً ، وتجد الأسرة كلها من جهد الحياة وسطوة الحرمان والفاق ما جعل الرجل وزوجه يضيق صدرهما بمحياتهما بأولادهما ، فلما سألت الزوجة : لماذا لا تكنتهين بأولادكما الستة . ؟ . هل يمانع زوجك

وفى جواز هذا العزل وردت أحاديث صحيحة (*) ، من ذلك حديث رواه أبو سعيد الخدرى : أنه وجماعة من الصحابة سألوا النبي عليه السلام عن العزل فقال : (لا عليكم ألا تفعلوا ما كتب الله خلق نعمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون) (١) .

ومن ذلك حديث جابر رضى الله عنه : (كننا نزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقرآن ينزل) .

وقد روى ابن القيم أن رخصة منع الحمل قال بها عشرة من الصحابة ذكر أسمائهم : والإباحة مذهب الشافعى ومالك وأهل الكوفة والحنابلة ، هند ، خوف الضرر ، أو هند ، الحاجة ، كما يقول الحنابلة .

أما إباحة المنع هند خوف المرأة على جمالها ، كما أشرنا ، فقد ذكره الغزالي فى الإحياء ، ذكر أسبابا للمنع ، منها الحاجة ومشقة الحياة ، ثم قال : (من الأسباب الداعية للعزل : استبقاء المرأة وسمنها لدوام التمتع ، (٢) .

(*) راجع فصل « للمرأة والأسرة » من كتابنا « تقويم الفكر الدينى » .

(١) ص : ١٥٨ من صحيح مسلم ، الجزء ٤ « باب حكم للعزل » وفى هذا الباب أحاديث أخرى .
(٢) ص ٤٨ الجزء ٢ « دار الكتب العربية » .

لو أنهم فقهوا هذا وفقهوا أن الله قد : خلق السبب للإنسان وليس الإنسان السبب ، كما هى آية الإنجيل ، لسعد الآلاف والملايين من المسلمين بحياتهم وحياة أسرهم وأولادهم .

* * *

فما كحوا تناسلوا :

يستند دعاة : « هذا حرام ، من الفقهاء الغير الغافقين إلى حديث النبي عليه السلام : (تناكحوا تناسلوا فإنى مباه بكم الأم يوم القيامة) ، وزاد بعضهم : (حق بالقط) ، ومع أن هذا الحديث لا يحرم تنظيم ، أو تحديد ، النسل فإن إسناده ضعيف (١) .

وهذا الحديث الذى يردده القوم لم يمنع كباراً من العلماء أن يفتوا بجواز التوقف عن النسل فى حالات كثيرة ، منها عسر النفقة ومشقة الحياة والسعى على الرزق ، ومنها الخوف على صحة الزوجة ، بل منها خوف المرأة على جمالها . . . ولو كان الأبوان قادرين على نفقة أولاد آخرين .

كانت الوسيلة الوحيدة المعروفة لمنع الحمل فى عصر النبي عليه السلام هى « العزل » أى أن يعزل الرجل مائه عند المباشرة .

(١) انظر لإحياء علوم الدين الغزالي ، ص ٢٠ من الجزء ٢ « الحللى » .

العيال ، وقال في ذلك : (يا معشر الناس ، إياكم وخلالا أربعة فإنها تدهو إلى النصب بعد الراحة ، وإلى الضيق بعد السعة ، وإلى المذلة بعد العزة : إياكم) (وكثرة العيال) ، وإخفاض الحال ، وتضييع المال ، والقييل بعد القال ... إلخ)^(١) .

وقد قرأت وأنا أكتب الصفحة الأخيرة من هذا المقال أن وزير الصحة يعد مشروعا ضخما : « لتحديد الفسل على مستوى المجتمع كله في الجمهورية العربية المتحدة » ، إدراكا منه بمدى الخطورة التي تتعرض حياتنا ويتعرض لها مجتمعنا من الإباحة والإطلاق .

وقد قال الرئيس جمال عبد الناصر كلمة حق في « مؤتمر الميثاق الوطني » ، الذي نافش هذا الموضوع من قبل . هذه هي الكلمة : « إن تحديد النسل لا يمكن أن يفرض بقانون » .

وهنا يبدو واجبنا - نحن رجال الدين - واضحا ملحا . فإن مشكلتنا هذه ، كما قلنا ، أساسها الجهل ؟

محمود الصمراوى

(١) فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكيم ص ٢٣٩ طبع ليدن ١٩٢٠ ، والنجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة ص ٧٢ - ٧٤ الجزء ١ « دار الكتب المصرية » .

والغزالي حين يجعل من الأسباب التي تبسح تحديد النسل : « استبقاء سمعة المرأة » إنما يقصد ، بلا شك ، الإبقاء على جمالها ، لأن سمعة الجسم في ذلك الوقت كانت من مميزات الجلال ومقاييسه عند المرأة والرجل .

وإذا كان « العزل » هو الوسيلة الوحيدة التي كان يعرفها المسلمون على عهد النبي ولم يمنع ممارستها ، فإذا ظهرت في عصرنا أو في غيره وسائل أخرى يقرر الأطباء أنها لا تضر المرأة ولا الرجل وتحول دون البويضتين أو تفسد حل إحداها - مما يمنع تخلق الجنين وتكوينه - فلا شك في أن حكم العزل ينسحب على هذه الوسائل أيضا . بل إنها أحق منه بالإباحة لأن بعض الأزواج والزوجات يتضرر من العزل .

إياكم وكثرة العيال :

وآخر ما ذكره ونذكر به هؤلاء القوم أثر عن صحابي جليل القدر ، كان من كتاب الوحي للنبي عليه السلام ، « ينهى » عن كثرة الإنجاب إذا كانت المصلحة في ذلك : (... عن ذاخر المعافى أنه شهد صلاة الجمعة ... فأقام المؤذنون الصلاة ، فقام حمرو ابن العاص على المنبر فرأيت رجلا ربعة ... فحمد الله وأثنى عليه حمداً موزجاً . فسمعتة يحض على الزكاة وصلة الأرحام ويأمر بالاقتصاد و « ينهى » عن الفضول وكثرة

ذو النون المصريّ

بين التصوّف والأدب

للأستاذ عبد الجليل شلبي

يمسّد هذه الزهرة الدينية من قديم ؛ فصورها في أفاصيص جذابة فائقة ولون قصصه بألوان زاهية ونوع عناصر الحياة فيها لجعلها متباينة الصور والأحداث ، وفي الأساطير المصرية القديمة التي صورت حياة الآلهة في الدنيا وحساب الناس في الآخرة دليل واضح على قوة الدين والخيال جميعا عند المصريين .

وفي العصر الإسلامي كانت شخصية ذي النون محوراّ لهمايتين الصفتين - فهو رجل دين وتصوف أشبع رغبات المصريين وهاج خيالهم فنسجوا حوله أفاصيص كثيرة جعلت سيرته صورة من الأدب المصري أكثر مما صورت حياته الحقيقية .

ظهر ذو النون في القرن الثالث الهجري وتوفي سنة ٥٢٤ هـ - ويقول الكندي : إن المصريين مالوا إلى التصوف منذ نهاية القرن الثاني نذو النون إذن جاء في موعده إذ ظهر في الوقت الذي صبت فيه العقلية المصرية إلى مثله - وزاد من قدره أنه كان أستاذاً لكثير من كبار الصوفية الذين كانوا بدورهم أسانذة لصوفية آخرين ، ويقول القشيري إنه « أوحّد وقته علما وورعا وحالا وأدبا ،

شخصية ذي النون كما تبدو من سيرته والأفاصيص الكثيرة التي فسجت حوله تصور غاصية من أهم خصائص العقلية المصرية وخلفا من أثبت أخلاقهم وأعمقها كما تصور لونا من ألوان الخيال الشعبي المصري الفنان - ونحن إذ نقرأ سيرة ذي النون العابد المتصوف والآخذ بحظ من الفكر الفلسفي في عصره - نقرأ فيها أيضا صفات الأدب المصري والاتجاهات التي يميل إليها المصريون في قصصهم والشخصية المثالية التي يكبرونها ويمجدونها - فالعقلية الشعبية قد تصور الأشخاص الذين تكبرهم في صور خيالية شائقة - وليست في الواقع صورهم ولكنها الصور التي يحبها الناس ويتمنون وجودها .

وقد امتاز الشعب المصري منذ أقدم عصوره التاريخية إلى وقتنا الحاضر بعمق تدنيه وسعة خياله - فهو شديد الإيمان بالغيبات ويركن إلى المعجزات والحوارق ويميل إلى تصديقها - وهو يتقرب عناية السماء عند المشاكل التي تواجهه - وهذه صفة قد تكون عامة في الشرقيين - ولكنها في المصريين أثبت وأعمق - والخيال المصري

وتشرب من تلك فقلت حسبي ولزمت الباب إلى أن قبلني ربي ١١ ويدل هذا على أن القصة الأولى غير متفق عليها ولسكنها أدنى لقبول ومادتها عقلية ، أما هذه ففضلا عن سداجتها يبدو فيها العنصر المادى وخيالها ساذج . إذ القبرة حتى لو كانت غير عمياء لا تميز بين لثام الذهب والفخار ويستوى عندها حب السمسم والشمير وليس في ثمين الطعام وفاخر الإناء لها تكريم .

وقد كان ذو النون على أى حال ذا مكانة ملحوظة في عصره وله أثر عظيم في الفكر المصرى - فهو أول من تكلم في الأحوال والمقامات والحب الإلهى والكشف والعلم الباطن (١) ففتح بهذا بابا واسعا للتصوف من بعده ووضع مادة خصبة للفاطميين وأتباعهم - كما أنه أثار خصومات كثيرة حوله واتهم بالزندقة من فقهاء مصر - والفقهاء أعداء الصوفية في كل مكان - حاربه عبد الله بن الحكم شيوخ المالكية وابن أبى الليث شيخ الحنفية والقائل بخلق القرآن وميلت هذه مشكلة أخرى لذى النون إذ رفض الإقرار بهذا رأى وقد سبق إلى بغداد فسجن هناك مدة حتى أطلق المتوكل

(١) يقال إنه تنلذ على شجر العابد وقيل على فاطمة النيسابورية - ويقال - ولله أصح - إنه أخذ عن الرهبان شيئا من فلسفة العقودية والأفلاطونية الحديثة .

اسم ، ثوبان بن إبراهيم ويكنى أبا الفيض ، وقيل اسمه الفيض بن إبراهيم واشتهر باسم ذى النون ، كان أبوه نوبيا وكان حارسا لبعض المعابد المصرية فى إسخيم ، وله ثلاثة بنين آخرين ويقال إن ذا النون هذا كان يعرف اللغة المصرية القبطية لغة قدماء المصريين تعلمها من الكتابة التى على المعابد ومن بعض الرهبان الذين كانوا يعرفونها ، ويقال إنه رأى مكتوبا بأحد المعابد : يقدر المقدرين والأقدار تضحك ، فأعجبته هذه العبارة ، ثم كانت سبب تصوفه وزهده ، وليس من البعيد أن يعرف ذو النون اللغة القبطية ، وهو يعيش بين البرابى ويخالط الرهبان ، وليس من البعيد أن يكون على معبد مثل هذه العبارة ، ولسكننا فلاحظ أن القصة تحتمل تماما قصة سقراط إذ رأى مكتوبا على واجهة معبد دلفيا عبارة : اعرف نفسك ، فاتخذها أساس فلسفته ، ثم إن ضحك الأقدار وسخرتها من أطاع الناس ليست حكمة عميقة ولما يندر سماعه ، وقد سأل بعض الناس ذا النون وهو فى حلقة درسه عن سبب توبته فذكر أنه وهو فى بعض أسفاره رأى قبرة عمياء سقطت من وكرها على الأرض فانشقت الأرض وخرج منها سكرجشان إحداهما من ذهب والاخرى من فضة ، وفى إحداهما سمسم وفى الاخرى ماء فجعلت تأكل من هذه

ذو النون شيئاً وإنما انحنى على جانب السفينة فتوضاً من النهر وصلى ركعتين وأشار إلى البحر فإذا هو ممتلئ بمحبتان تنبجه كلها نحو السفينة فاغرة أفوامها حتى خاف الركاب على أنفسهم وتمنوا لو أنهم لم يقولوا له شيئاً - وكان كل حوت في فمه صرة فأخذ ذو النون واحدة منها أعطاها الغلام وقال خذ هذه بدلا من صرتك التي فقدت .

فالنصر المائى كما نرى له أثر ملحوظ في خيال القصة .

ومرة ثانية وذو النون بطريق الحج في أرض الحجاز انقطع عن الركب وضل الطريق ، فلما أجهده السير أوى إلى شجرة في سفع الجبل ليستريح في ظلها . وسحين غابت الشمس وأظله الليل رأى شاباً يخرج من كهف في الجبل فعمد إلى كونة رمل فركلها بقدمه فانبجست منها عين تبض بالماء فشرب منها وتوضاً ثم قام يصلى ، وقام ذو النون من خلفه وهو لا يشعر به فزال يتابع صلاته حتى انشق عود الفجر فنهد الشاب وقال : ذهب الليل بما فيه وأتى النهار بدراهمه خسر من أتعب جسمه في غير مرضاة ربه ولما أخبره ذو النون ببشئه قال ويحك وهل يقطع الله مدده عن عباده ؟ ثم قال اتبعنى فتبعه ذو النون فكانت الأرض تطوى طياً تحت أقدامهما حتى ترامت لهما القافلة ،

سراحه وأعادته إلى مصر مكرماً وقد أعجب المتوكل وعظه وبكى لسماحه .

أما أسفاره التي كانت مادة خصبة للأقاصيص التي نسجت حوله فهي أسفار واسعة حقاً فقد سافر إلى المغرب وبيت المقدس وأنطاكية واليمن ومكة والمدينة عدا تنقلاته الكثيرة في صحارى مصر وطور سيناء ، ويظهر أنه حج غير مرة وفي حجه قابل كثيراً من رجال التصوف فأخذوا عنه واستفادوا من علمه ويذكر القشيري عدداً كبيراً لهؤلاء الذين أخذوا عنه واستفادوا من علمه وتصوفه (١) .

وإذا نحن راجعنا القصص التي نسجت حول رحلاته نجد فيها عنصرين بارزين : هما عنصر الماء وعنصر النساء . وإن كان هناك أقاصيص تخلو منهما .

فيل إنه خرج للحج في سفينة وكان بها غلام معه بضعة في قفص ونام ذو النون في جانب من السفينة حتى أيقظه ركابها فأخبروه أن الغلام فقد صرة بها نقود له ويتهمة بسرقتها إذ أنهم فقتشوا ركاب السفينة جميعاً فلم يجدوها ولم يبق غيره - وسأل ذو النون الغلام أحق ما يقولون ؟ فأجاب نعم - فلم يقل

(١) كانت هذه الأسفار فراراً من مضايقة الفقهاء واضطهاد الحكام وامل هذا السبب شوق الناس في الاقطار الأخرى إلى لغائه .

شيء عن ذكر الله وقد تحدث إليها فكان
من كلامها .

ذكرنا وما كنا لننسى فتذكر

ولكن جمال الحق يبدو فيهم
ثم أخذت في الشهيق والزفير وذهلت عنه
وعن حديثه .

ورفضت إحداهن أن ترد عليه فلما ألح عليها
قالت وما للرجال أن يكلموا النساء لولا ضعف
هقلك لشدخت رأسك بشيء .

فالأفاصيص الكثيرة التي حفظتها لنا كتب
التصوف عن ذى النون تصور لنا لوئاما من
الأدب الصوفي الشعبي في مصر وتبرز بوجه
خاص ما يمتاز به المصريون من عمق التدين
وسعة الخيال .

لأن آخر من الأدب تظهره سيرة ذى النون
وهي الحكم والنصائح التي أثرت عنده ،
ولأن نجد ما يحملنا على الشك في شيء منها ،
وهي تصور أكثر من كل شيء تهوين الدنيا
وتدهو للعزوف عن متاعها شأن الفكر
الصوفي عند جميع المتصوفين . والحق أن أثر
ذى النون المباشر في الأدب بامتراك من نصائح
وحكم أقل من الأثر غير المباشر الذي تصوره
أفاصيصه المتنوعة ، وعلى أى حال فخصيصة
ذى النون مزيج من التصوف والأدب .

عبد الجليل سليمي

عضو المكتبة الفنية

لمجمع البحوث الإسلامية

ودنوا منها ، فقال له هؤلاء قومك فألحق بهم
ولم يره ذى النون بعد .

فقد حرصت هذه القصة على إبراز العنصر
المائى حتى في جوف الصحراء . ويبدو أنها
وضعت في وقت متأخر تقدمت فيه الصوفية
العملية وأخذ دعائها يستحثون الناس أن
يروضوا أنفسهم على مشقاتها - من الحلوة
والانقطاع للمعبادة وسهر الليل - ويقبض لهم
ما يترتب عليها من ظهور الخوارق وتذليل
الصعاب - فهي تشبه أن تكون طريقة
مدرسية وقد اختارت عبارات موحية - مثل
حديث الشباب عن الليل وما فيه من خير -
ومثل قوله خسر من أتعب جسمه في غير
مرضاة ربه - وهذا المنهج التعليمي يبدو
في كثير من قصص ذى النون .

أما العنصر النسائي فيبدو في قصص أخرى
ولكن يلاحظ أن معظم النساء اللاتي قابلن
ذى النون كن نوبيات أو جشيان أو ذوات
لون أسود بوجه عام ، ولعل ذلك بسبب التأثير
بشخصية النوبية رليان أن سكان الجبال
والصحارى أقرب إلى التدين من سكان المدن
وقد كانت رحلات ذى النون بين الجبال
والصحارى فكان من المناسب أن يقابل بها
هذا النوع من النساء كما أنه قابل هناك رجالا
أيضا من هذا النوع .

بل واحدة متولدة لآقاناود أن يشغلها

الملاحم والمطولات الإسلامية في الشعر العربي للدكتور سعد الدين الحيزاوي

- ٢ -

وكذلك ما روى عن رجل من بني ملكان أنه ذهب إلى صنم قبيلته سعد ، ليتبرك به غير أن إبله قد نفرت وتفرقت في كل وجه فاستنجد الرجل الصنم فلم ينجده ، فأخذ حجراً ورماه به وهو يقول : لا بورك فيك من صنم نفرت لإبلي ، فلما جمع إبله ورجل قال : أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشقنا سعد ، فلا نحن من سعد إلى غير ذلك .

أما اليونان فقد كانوا في جاهليتهم مخلصين في عباداتهم ومعتقداتهم ، ولهذا شرع هوميروس في استمداد المعونة من ربة الشعر بل جعلها هي المنشدة صاحبة الفضل وكأنه ينقل عنها ، ويميل على المال ما تلقته من فيض روحها ، إذ يقول في مطلع الإلياذة :

ربة الشعر عن أخيل من فيلا
أنشدنا ، وأروى احتداما وبيللا
ثم يقول في مطلع النشيد الثاني والعشرين :
دجا الليل ، والآراب والناس نوم
ولكن ذفسا ، نابذ سنة السكرى

وربما كان من الأسباب التي جعلت الشعر الجاهلي لا ينحو منحى الحديث عن الآلهة أن الجاهليين لم يكونوا متعصبين تعصباً أعمى لأوثانهم كما أنهم لم يخضعوا لنظام السكهنوت الذي ساد أوروبا في العصور الوسطى .

ومما يدل على أن الوثنية لم تكن متغلغلة في حنايا الجاهليين ولا سيما الشعراء منهم ، وأنها إنما كانت عاكاة أكثر منها عقيدة راسخة ، ولا سيما في أخريات العصر الجاهلي ، لا أدل على ذلك مما ورد في أشعار جاهلية كثيرة من نظرات السخرية والتحقير للأوثان .

ومن ذلك ما روى أن أمراً القيس قد حطم صنم قبيلته ذال الخالص ، عندما خسده في الاستقسام ، ونهاه عن الخروج للحرب حين قتل أبوه ، قال :

لو كنت ياذا الخلص الموتورا
مثلي ، وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زوراً (١)

(١) راجع : الفتوة عند العرب .

رأى أفلاطون في خرافات الملاحم :
أما عن الخرافات السائدة والأساطير
التي ملأت الإلياذة ، فليست مما يقدر
في الشعر العربي خصلوه من أمثالها لأنها
لا تمت إلى الواقع كما أنها لا تعطى القدوة
الحسنة مما حدا بأفلاطون التحذير من
إذاعتها ولا سيما بين الناشئين ، استمع إليه
في هذا التحذير :

إن أول ما يجب علينا هو السيطرة على
ملف في الخرافات واختيار أجملها ونبت ما سواه
ثم نوزع إلى الأمهات والمرضعات أن
يقصصن ما اخترناه من تلك الخرافات ، وأن
يكيفن بها عقول الأطفال أكثر مما يكيفن
أجسادهم ، إنني أعني ما رواه « هسيودس » ،
و « هوميروس » ، وغيرهما من الشعراء .

إن ما يجب أن يلام عليه هؤلاء الشعراء ،
هو خلق قصص قبيحة فيها أشنع الكذب ،
كما أخبر « هسيودس » ، بما صنع « أورائوس » ،
وإن « كرونس » ، انتقم منه .

وكذلك ما روى عن كرونس ، فلو صح
ذلك ، وكانت معاملة ابنه له حقائق بيّنة ،
فلا أرى من الحكمة أن تتلى على السذج
والأطفال دون أي تحذف ، بل على
العكس أرى أنه يجب حذفها بتمامها ، وإذا
مست الحاجة إلى تلاوتها فلتتل سرا ، وعلى
أقل عدد ممكن .

ولقد حدا « هوميروس » أكثر الشعراء
في جاهلية اليونان والرومان في مطالع
ملاحمهم وقد ظلت محاكاة هذه المطالع عند
بعض شعراء أوروبا بعد انتشار المسيحية
واختفاء عقيدة ربات الآغا في كافر « ملتن » ،
الشاعر الانجليزي في مطلع الفردوس المفقود
إذا قال : Sing Heavily Muse (١) .

على حين أنا لا نجد مثل ذلك في ذلك في
مطالع الشعر الجاهل أو الإسلامي لأن
الشعراء لم يحدوا ما يحاكونه غير الغزل
والتشبيب .

وكيفما كان الأمر فإن أحد من المؤرخين
لم يستطيع حتى يومنا هذا أن يجزم بأن
العرب في جاهليتهم لم ينشئوا شعراً دينياً
يتحدثون فيه عن الآلهة ومناصرتهم لإياهم ...
وقد ذكر ابن السكيت في كتابه « الأصنام » ،
ما استطاع أن يثر عليه من أشعار قليلة عن
أصنام الجاهلية . ثم أشار إلى تخرج الرواة
في العصر الإسلامي وإبادتهم لما ينافي
العقيدة الإسلامية وكذلك قال أبو عمرو
ابن العلاء (٢) ما انتهى إليكم مما قالت العرب
في جاهليتها إلا أقله ، ولو جاءكم وافر الجاءكم
علم وشعر كثير (٣) .

(١) مقدمة الإلياذة ص ٢٠٣ .

(٢) نوى سنة ٥٤٠ .

(٣) من يونس بن حبيب . كتاب نزهة الألباب
لأبي الأندلس .

والدكتور طه حسين لا يشكر وجود الشعر القصصى في الأدب العربى بل إنه يعجب من الذين ينكرونه ويفعلون عنه ، استمع إليه يقول : (١)

« خصوم القديم ، وأنصار الحديث ، يزعمون أن الأدب العربى كان حسنا فى عصره وأصبح الآن غير ملائم ، ذلك أن هناك فنونا من الآداب لم يصرها الأدب العربى . فالشعر العربى فقير بالنسبة للشعر الأجنبى فليس فيه شعر قصصى ولا تمثيلى كما كان عند اليونان ، وإذن فلا بد من العدول عن هذا الأدب القديم إلى الأدب الحديث .

وهذا غريب ، فلست واثقا كل الثقة من أن الأدب العربى يخلوا من القصص ، وأخشى أن يكون من يجحدون وجود الأدب القصصى عند العرب إنما يجحدونه لأنهم لم يحققوا بالضبط معنى الأدب القصصى ، فالذين يقرءون الشعر الجاهلى أو ما صح منه ، والذين يقرءون الشعر الأموى كـ شعر جرير والفرزدق والأخطل يلاحظون أن مزايا كثيرة من خصائص الشعر القصصى موجودة فى الشعر العربى : فأهم ما يمتاز به الشعر القصصى أن شخصية الشاعر تفتى ، وأن هذا الشعر يكون

إن أمثال هذه الحرافات لا يجوز أن تنلى فى حديثنا ولا نقول لسامعنا الفقى - إذا أبغضنا له سماعها - إنه لم يكن فكرا إذا ارتكب شر الموبقات أو إذا عاقب والده على جرائمه بأشيع صنوف الهوان ، لأنه لم يفعل - عندئذ إلا ما فعله كبار الآلهة قبله ، (٢)

فأى أسف نحس به لفقدان شعرنا العربى أمثال هذه الحرافات ، وهذا رأى أفلاطون فيها ؟

وأى نقص نشعر به إذا هلبنا أن شعراء أوروبا الذين حاولوا محاكاة الإلياذة من أمثال « ملتن » لم يتجهوا إلى مثل هذه الأساطير الخرافية ؟؟

الشعر القصصى عند العرب وخصائص الملاحمة : أن الشعر العربى مليء بأخبار البطولات ووصف الحياة البدوية ، ونكران الشاعر لذاتيته أثناء الإنشاء لأن من خصائص الشعر القصصى أن يتحدث الشاعر فيه عن غيره وإذا اضطر الشاعر للتعبير عن ذاته فيقدر . « وقد كان هوميروس خليقا بالإنشاء لأنه كان الوحيد من بين الشعراء الذى لا يحفل متى يتدخل بنفسه فى القصيدة ... » (٣)

(١) ملخص بنصرف من ترجمة جهم-ووية أفلاطون لحنا خباز ص ٥٨ / ٥٩ للطبعة الثالثة المطبعة المصرية .

(٢) فن الشعر لأرسطو ترجمة عبد الرحمن بدوى ص ٦٩ - مكتبة النهضة ١٩٥٣ .

(٣) من حديث الشعر والنثر - مطبعة المعارف سنة ١٩٣٦ .

القصاصد ، فليس في الشعر الجاهلي ولا ما جاء بعده ما تبلغ إحدى قصائده ما بلغته الإلياذة .
طول الملحمة وتعدد قصائدها :

ولكن هل من الضروري أن تكون
 الملحمة قصيدة واحدة ؟

قال الدكتور زكي المحاسني (١) بعد أن تحدث عن الملاحم في شعر الإنديسيين وخص منها بالبيان ملحمة ابن عبد ربه قال : « فراح ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد بين القرنين التاسع والعاشر للبلاد ينظم ملحمة على بحر الرجز ذي القوافي المنطوقة جاءت في خمسمائة وخمسين بيتاً قسمها على سنى الحكم والحوادث التي جرت للبلك الناصر في الأندلس حتى انتهى حكمه » .

وقد رجعت إلى هذه الملحمة في العقد الفريد (٢) ، ومطلعها :

سبحان من لم تحوه أقطار
 ولم تكن تدركه الأبصار
 أقول في أيام خير الناس
 ومن تحلى بالندى والباس

(١) من محاضرة في « أدب الملاحم والملحمة الدورية » مطبعة الأزهر سنة ١٩٦٠ .

(٢) ج ٤ - وابن عبد ربه توفي سنة ٣٢٧ - ص ٥٠٠ إلى ٥٢٧ - طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .

مرآة الحياة الجماعية . وأنا أستطيع أنؤكد أنا لا نعرف شعرا يصور حياة الأمة أصدق تصوير ويضطرنا أن نلصقها بأيدينا كالشعر العربي . . .

ولذا قرأتم قصيدة من شعر جدير أو الفرزدق أو الأخطل فأنتم ترون العرب في البادية وتسمعونهم يتحدثون ، وتحسون حياتهم كما تحسون أنفسكم ، ولا تسكادون تلمسون شخصية الشعراء في أشعارهم ، فإذا لم توجد عندنا « إلياذة ، أو دودسا ، فليس من شك أن ما أدته الإلياذة والأودسا قد أداه الشعر العربي القديم من تصوير الحياة الاجتماعية وحياة الأبطال .

ثم من الذي يستطيع أن ينكر أن في أدبنا العربي القصصى جمالا ليس أقل من جمال الإلياذة والأودسا ؟ وليس ذنب الأدب العربي ألا يقرأه الناس ولا يعرفونه .

فإذا ينكر إذن الدكتور طه حسين ؟؟
 أهو ينكر وجود آلهة في الشعر العربي ؟
 إن أحداً لم يقل بهذا ، وإن أحداً لم يعد هذا نقصاً في الشعر العربي اللهم إلا متعصب جاحد من أمثال « دنان » .

أيتحاشى الدكتور طه تسمية الشعر القصصى في الأدب العربي بالمحكمة ؟؟

لعل أبرز ما يحمله يتحاشى ذلك هو طول

أصحاب الشعر (القروبادورى) أناشيد الملاحم ، ... وبعد أن سرد عدداً من الشعراء الفرنسيين والأسبان الذين تأثروا بهذه الملحمة العربية قال :

« ولو امتد الزمن بالعرب فى الأندلس فلم يغب عنها حكمهم وملكتهم لأمدوا الأدب بالملحمة العربية الكبرى . ونحن رأينا أدبنا فى القديم لم يعرف الملحمة بمعناها فى أدب الغرب ، فقد ازدحم بشعر حربى وقصصى . لكنهم وزعوا المنابع والمصادر ونوعوا الأوزان والأشكال .

ومن هذا الشعر نستطيع أن نقيم أول ملحمة عربية ، وإن لم يكن واضعها واحداً . كما بنيت الإلياذة والأوديسة وهما ليستا لمؤلف واحد ، وإنما نظمهما الشعراء الهوميرون ثم توالى نسبتهما لهوميروس ، (١) .

وقال فى موضع ثان : « ولورجعنا إلى قصائد الشعراء الذين شهدوا المعارك أو وصفوها لرأينا فيها ما يشبه الملاحم عند الأمم العريقة فى هذا الفن ، (٢) .

وبعد أن ضرب أمثلة من الشعر العربى فى العصر العباسى هند أبى تمام وأبى فراس والمتنبي . . قال :

« نحن كانت تهاويل الأساطير فى الخيال ،

وخوارق الحدثن شروط فى الملاحم القديمة

(١) ص ٣/٢ . (٢) ص ٤

ومن أباد الكفر والنفاقا
وشرد الفتنة والنفاقا
وأكتفى بنموذج من قوله فى أول غزوة :
ثم انتحى جيان (١) فى غزاته

بعسكر يسر من حماه
فاستزل الوحش من الهضاب
كأنما حطت من السحاب
فأذهنت مراقبا سراها
وأقبلت حسونها تداعى
لها رماها بسيف العزم

مشحودة على دروع الحزم
وهكذا يسير فى سرد الغزوات كل عام
إلى عام ١٢٢٢ هـ .

ثم أشار الدكتور المحاسنى إلى ملحمة أبى طالب بن عبد الجبار الذى كان يسمى متنبى المغرب فى الأندلس والى عنى بنشرها ابن بسام صاحب الذخيرة (٣) . . قال :
« وقد وضع الشاعر الأندلسى هـ . هذه الملحمة الحقيقية لإبان حروب العرب الأندلسيين مع الأسبان وما كان يدور بينهم من المعارك . ومن هذه الملاحم الأولى الأندلسية اقتبس الشعراء الجوالون من الأسبان والفرنسيين فى القرون الوسطى ملاحمهم . ومنها تعلم

(١) إحدى مدن الأندلس

(٢) المجلد الثانى : القسم الأول طبع كلية الآداب

٤٠٥ / ٤٣١ وابن بسام تولى ٤٢ هـ

من الرجال والنساء والأطفال في كل أرض عربية جديدة بالتحليل في ملحمة منتظرة .
هذه الملحمة مستصورة أناشيدها وقصيدها الثورة العربية في مصر ، وفي سورية ، وسائر ديار العروبة ، والشكبة الكبرى التي وقعت في فلسطين المنصوبة ، وهذوان الغرب الأثيم هلي بور سعيد ، وكيف انهزم العدو فارتد مدحورا ، (١) .

ومن قبل وجدنا أبا يزيد القرشي (٢) يذكر سبعة من شعراء بني أمية ويسميه « شعراء الملاحم » ، ويختار من أشعارهم سبع قصائد كبرى تشترك في تصوير الحياة البدوية وما فيها من متع بريئة أيام الصبا ، ويتخللها ذكر وقائع الجاهلية وما كان بين القبائل المختلفة من صراع وإليك هؤلاء الشعراء ومطالع ملاحمهم : (٣)

(١) ١٠/٩ ص ١٠٠ ولقد حدثني الدكتور الحاسني في ذلك قال : إنني معترم عمل ملحمة تضم أشنات للتاريخ العربي وتسجل البطولات العربية الإسلامية وإنني قد بدأتها من معركة ذي قار ، ونظمت فعلا خمسمائة بيت . وأنا أرجو أن يكون الدكتور الحاسني مستمراً في تكملة هذا العمل الجيد .

(٢) في جبهة أشعار العرب - توفي سنة ١٢٧٠ هـ .
(٣) لفظه « ملحمة » في عهد ابن يزيد القرشي لم تكن تنصرف إلى معنى الملحمة كما عرفته أوروبا حديثاً لأن الإباذة هوميروس لم تكن معروفة للعرب ، واستعملت اللفظة حينذاك بمعناها اللغوي فلم يكن منتظراً أن نجد خصائص الملحمة الحديثة فيما ساقه القرشي من نماذج .

والملاحم الغربية فإنني لا أرى هذا جديراً بالملحمة العربية العتيقة ، فإن عصرنا الحاضر لم يعد أهلاً للأساطير ، وديننا الحنيف قضى عليها منذ أقدم العصور ، ونهضتنا العربية الراهنة ملأى بالحقائق التي لا مكان للخرافة فيها ، (١) .

فالدكتور زكي المحاسني يعتبر أن الملحمة العربية يمكن أن تؤلف من قصائد عديدة لشعراء عديدين ، وأن الشعر العربي في ماضيه وحاضره مليء بقصائد البطولات وأوصاف البيئة العربية ومجتمعها ... التي يمكن أن تكون منها ملاحم . وهو يرى أن مثل هذا العمل ليس باليسير الذي يستطيع أن يقوم به فرد ، لذلك قال :

« لأن هز على الفرد أن ينهض بصنع الملحمة العربية ، فما أشد الحاجة إلى هيئة أدبية حرة أو حكومية تؤلف شتات ملحمتنا ، فتجمع موضوع أناشيدها وحوادثها الخارقة من تاريخنا الحافل ، وشعرنا الخاسي والحربي الذي يضمه تراثنا الفكري على اختلاف العصور . أما الملحمة الحديثة التي تصور بطولة الحرب على تفاروت الأمصار والديار للتحلص من استعمار طويل ، فإن قصصها الدامية ، وروائع وثباتها مستوخذ من حياة المناضلين ، وفداء الشهداء ، واقتحام المعارك

- ١ - ألفرزدق: (١)
عزفت بأعشاش وما كدت تعرف
وأفكرت من حفراء ما كنت تعرف
- ٢ - جرير بن عطية الخطني: (٢)
حتى الغداة برامة الأطلالا
وسما تقادم عهدك فأحالا ..
- ٣ - الأخطل: (٣)
تغير الرسم من سلى بإقفار
وأفقرت من سليمى دمنة الدار
- ٤ - عبيد الراعى: (٤)
ما بال دلك بالفراش مذيلا
أقذى بعينك أم أردت رجيلا ؟
- ٥ - ذو الرمة: (٥)
ما بال عينك منها الماء ينسكب
كأنه من كلاء مفرية سرب
- ٦ - الكميث بن زيد الأسدي: (٦)
عربية إسلامية ...
- ٧ - الطرماح بن حكيم: (٧)
قل في شط نهران اغتاضى
ودعاني هوى الصيون المراض
- فإذا ما انتقلنا إلى ما بعد العصر الأموي
وجدنا قصائد مطولة من أشهرها : د ملحمة
ابن عبد ربّه الأندلسى وابن عبد الجبار
اللتين أشرنا إليهما ، ومقصورة ابن الحصن
ابن حازم القرطاجنى التى بلغت الألف بيت .
وعلى كل ضوء ما تقدم نستطيع أن نطلق
لفظ ملحمة على كل قصيدة كبرى أو مجموعة
من القصائد تكون موضوعية ذات طابع
واحد فى وصف الممارك والبطولات
وتصوير المجتمع ، ثم يكون وصفها بحسب
طبيعة موضوعها فتقول مثلا : ملحمة
عربية إسلامية ...

سعر المربع الجيزاوى

(للبحث بقية)

(١) ٥٢ بيتا .

(١) ١٠٩ من الأبيات .

(٢) ٤٩ بيتا .

(٣) ٥٢ بيتا .

(٤) ٩٥ بيتا .

(٥) ١١٤ بيتا .

(٦) ٥٥ بيتا .

من معاني القرآن

د سبحانه الذي أسرى بعبد له ليله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ،

محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد كان هذا الإسراء ليريه الله بعض آياته ودلائل رحمته به وتأيدته له إنه السميع لكل ما يقال ، البصير بكل ما يرى ويبصر ، ويفهم من هذه الآية ما يلي :
١ - أن اقتران القسيع بالإسراء يشعر بأن الإسراء كان بالجسد والروح كما هو ظاهر قوله : « بعبد » ، وأن قدرة الله فوق الشك والنهم . فهو منزّه عن أن يوصف بعجز أو نقص .

٢ - أن اقتران المسجد الأقصى بالمسجد الحرام في هذه الآية وفي تلك الآية يشعر بما ينبغى لهما في قلوب المسلمين . فكلاهما بآرك فيه كما يفهم من هذه الآية ومن قول الله في المسجد الحرام : « إن أول بيت وضع للناس الذي بيكة مبارك » .

٣ - إن حصول الإسراء في وقت كان قبل الهجرة وفي ظروف كان النبي والمسلمون يعانون فيها الضيق والألم والأذى من المشركين ... يدل على أنه كان بشري بأن سلطان الإسلام سيمتد ظله إلى المسجد الأقصى وما حوله من ربوع الشام .

٤ - وقد كان ذلك في عهد عمر رضي الله عنه وتحققت البشارة السارة ؟

عبد الرحيم فودة

سبحان اسم مصدر يقوم - كما يقوم المصدر - مقام الفعل ، ومعناه التنزيه والسمو بمقام الله عن أن يرقى إليه نقص أو عيب أو ما يشبه النقص أو العيب تقول سبحت الله تسبيحاً بمعنى نزّهته وأبعده عما لا يليق بكآل جلاله وجماله ، والإسراء هو السير ليلاً . تقول سرّيت وأسريت بمعنى سرت في الليل ، وإلها ذكر الليل بعد ذلك منكرآ للإشارة إلى أن الإسراء كان في بعض من الليل .

والمسجد الحرام : هو الكعبة وما يتصل بها ، والمسجد الأقصى هو بيت المقدس ووصف بأنه « الأقصى » ، لأنه لم يكن وراءه مسجد آخر : البركة : البناء وزيادة الخير

والمراد بعبد محمد صلى الله عليه وسلم بشهادة القرائن مثل قوله تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » .

المعنى : التنزيه التام المطلق لله الذي سار بعبد محمد - عليه السلام - في بعض أوقات ليلة من المسجد الحرام - وهو الكعبة وما يتصل بها في مكة - إلى المسجد الأقصى - وهو بيت المقدس - الذي بارك الله ما حوله من الأما كن فكثير فيها الخير . وكان متعبداً الأنبياء قبل

مولانا آزاد والخلافة

للأستاذ عبد المنعم النمر

- ٣ -

يدعوم لإهمال شئونهم ، واستعداداتهم الحربية ، للدفاع عن أوطانهم ، واقترح لذلك أن يهب العرب ، ويقوموا قومة رجل واحد لإحياء مجدهم ... كما اقترح من ناحية ثانية أن يجتمع المسلمون في مؤتمر عام ، يبحثون شئونهم ، وينظمون جهودهم للتفويض ببلادهم وقد جاء رد مولانا آزاد تعليقاً على هذه الاقتراحات .. كما ستري .. وهذا هو الرد :

كلكتا في ٢٨ مايو سنة ١٩١٣

حضرة المصلح الجليل - متع الله بطول بقائه -
تحية وسلاماً وبعد ، فقد شرفني كتابكم الكريم ولكن بالندامة فإنني لم أستطع رد الجواب ، ولم يكن هذا عن تكاسل وتوان بل عن انشغال البال لثراكم الإهمال وعروض الترحال ، في بعض حاجات إسلامية عامة ، فغفوا عن هذا التأجيل وصفحا .

طال الأمد ولم أرزق بعد ما أجلت الجواب لأجله ولا أدري إلى متى لا أرزق ؟ فأجمل لكم القول في بعض ما أورد عرضة عليكم ، وإذا تخففت عن وطأة الأعمال ، وحصلت الفرصة فسأتبع هذا الإجمال بالتفصيل إن شاء الله تعالى .

أما الرسالة الثانية من مولانا أبي الكلام السيد رشيد رضا والتي عثر عليها بين أوراقه فتاريخها ٢٨ مايو سنة ١٩١٠ وهي صادرة من كلكتا كذلك ومكتوبة على ورق كتب في أعلاه - الهلال - وهو اسم المجلة التي كان يصدرها . وكتب تحت هذا العنوان : مدير مسئول ورئيس تحرير . أبو الكلام ، وكانت هذه الرسالة رداً على رسالة من السيد رشيد رضا ، وقد اعتذر في أولها عن تأخره في الرد عليه ، بكثرة مشاغله وأسفاره لحاجات إسلامية ، وقال فيها : إنه مع ذلك سيوجز القول إلى أن يجد فراغاً من الوقت ويكتب له في تفصيل . وهذه الرسالة أيضاً ، تدور حول موضوع الخلافة ، ويظهر أن رسالة السيد رشيد إليه كانت في هذا الموضوع نفسه ، لما يظهر أيضاً أن السيد رشيد أثار في رسالته ، صاوي الخليفة والحكام الأتراك ، الذين كانوا يستبدون بالعرب ، ويضطهدونهم ويسمونهم الخسف والهوان حتى اضطروهم لكرهية الخلافة والافتضاء عنها ، وقيام الحركات التحررية للتخلص من حكمها . كما بين فيها أن اتكال المسلمين العرب على دولة الخلافة

في هذه الفكرة فتشرد النوم ولم أزل أفكر إلى أن يفتق الفجر ، فأرحب بهذا الاقتراح العظيم أبرزه الله في معارض الوجود .

لكن أين يحتفل (ينعقد) هذا المؤتمر ؟ هذه مسألة عويصة فالآن الأجدر به إما الهند أو مصر ، وكلاهما تحت سلطان الانكليز الذين هم أعدى أعداء الإسلام فإني على يقين بأنهم لا يدعوننا لنعمل في هذين القطرين هملاً نافعاً ، على كل حال الموقف حرج ، والوقت ضيق ، والعدو على الباب ، ثم إن الشئون والأحوال معروفة لدى كل منا ، والأفكار متحدة ، والطريق أمام أعيننا ، فيا حبذا لو تركنا الاقتصار على تداول الأفكار ونشر الاقتراحات والمشروعات ، ونأخذ في السير إلى المرام .

سأحوى إن قلت لكم : بأنكم لستم من المطلعين على أحوال الهند لبعثكم عنه ، وإن نواب وقار الملك ليس من رجال هذا الأمر نعم هنارجال آخرون خيراً كفاء لهذا الأمر فأية خدمة تريدون أن يقوم بها أهل الهند تفضلوا بتفصيلها .

٣ — قد عزمت على نشر جريدة عربية يكون اسمها «الاتحاد الإسلامي» وذلك لتوطيد دعائم الأخوة الملية مع العالم الإسلامي ، ولإسبا العرب الذين هم مهد الإسلام وإخبارهم عن أحوالنا وأفكارنا واستخبارنا عن أحوالهم

١ — إنكم ترون أن اغترار العالم الإسلامي بالدولة العثمانية والانتكال عليها من أهم العوامل التي أعمتهم عن شئونهم وأقعدت بهم عن سد ثغورها ، فإذا دهسته النكبة السياسية لم يكن له بها قبل ، وإن وقد العرب ودوسهم : باستعمال الولاة الطغاة الذين سفكوا الدماء وهدموا البناء ، وأهلكوا الضرع وأبادوا الزرع ، وبإغلاق أبواب التعليم في وجوههم حتى الحربية لا كبر جنافية سياسية جناها الأتراك على العالم الإسلامي بل على أنفسهم أيضاً من حيث لأنهم مسلمون . وإنه قد آن أن يقوم العرب قومة واحدة لإحياء تاريخهم المجيد واستعادة مجدهم التالد وهزم السالف .

إن هذا الرأي رزين وإني معكم في هذا القول ، لكن علينا بالتأني والتأمل ، فإن الطريق ذات غور ونجد وإنه يمر من مجاهل سياسية يحول فيها أغوال أوروبا ويفتكون بالأربب الحذر فكيف بالبسيط الغرير . . ولا سيما أن المسلمين قد بلغ منهم الغرة والبسطة والجهل والخيانة إلى أنهم كلما قاموا للإصلاح ازدادوا فساداً ، أو حاولوا لإغلاق باب للأجانب فتحوا آخر .

٢ — رأيت اقتراحكم الجليل من تأليف مؤتمر إسلامي عام فحسبت كأن هناك ترجمانا يترجم لأذني ما يشعر به قلبي ، وكيف فإنه كم من ليالي أنيت الفراش لأنام وأنا غارق

- برغم شباهه الشاثر الفائر - كان بعيد النظر
عميق التفكير وكأنه كان ينظر في كتاب
مفتوح أمامه فرأى أن العرب حين يحاولون
هذا ويعملون على استرجاع أمجادهم وبالتالي
على التخلص من الدولة العثمانية التي تحكمهم
وتظلمهم فإنهم سيقعون فريسة بين خالب أغوال
أوربا ، ويكون العرب حينئذ قد تخلصوا
من ظلم الدولة الإسلامية لم يلبسوا أنفسهم
إلى ظلم الأجانب عنهم واستبدادهم بهم .

وهذا هو الذي وقع بعد ذلك حين قام
العرب بشورتهم في الحجاز بقيادة الشريف
حسين وأمن للانجليز ووثق بهمودهم وسار
معهم ضد الأتراك حتى حقق لهم النصر ،
فنهكشوا بهمودهم واقترعوا مع فرنسا البلاد
الدرية التي كانت تحكمها دولة الخلافة ، وظلمت
هذه البلاد ترزح طويلا تحت نير الاستعمار
وتعانى من بلائه وشروعه ما تعاني حتى الآن .
حتى البلاد التي استقلت منها ، لا يزال الغرب
يتربص بها ويحاول أن يقضى على استقلالها
ويحطم نهضتها .

ولهذا نصح مولانا أبو الكلام بالتأني
والتأمل فيما دعا إليه السيد رشيد رضا لأن
الطريق وهرة شائكة والعرب حين يسيرون
إلى غايتهم فإنهم يمرون بأغوال أوربا الذين
يفتكون بالجماعات الحذرة المستعدة فكيف
بالمسلمين في بساطتهم وجهاهم بالأمور ،
وخيااتهم المصلحين فيهم : د إلى حد أنهم كما

وأفكارهم ، فهل نرجو من حضرتكم المساعدة
في هذه الخدمة الجليلة للعالم الإسلامي ؟ إن
الحركة العربية والمسألة المركزية أساء إليكم
(فيكم) ظن مسلمي الهند وهم يعدون هذه
الحركة دسيسة من دسائس الأجانب لير
عضو آخر من جسم الدولة الإسلامية لكني
أقول بكل غار إن رأي فيكم لم يتزح عن موقفه
السالف قيد شعرة ، ولا أزال أراكم مصلحا
خلاصا لوجه الله داعيا إلى القرآن الحكيم
وعجيا للسنن النبوية وقامع البدع والخرافات
وأدعواقه أن يكشف لي القناع عن حقيقة
مسائل سياسية أرى فيها غير ماترون ، وإن
شئتم نشر هذا الكتاب فلكم ذلك والسلام .
خلصكم الوفي

أبو المحارم الدهلوي

لعلك لمست في هذا الخطاب مدى حصافة
مولانا أبي الكلام وتفعله في تناول الأمور
وعدم تعصبه تعصبا أعمى لرأيه الذي يؤمن به
فإنه بالرغم من تعصبه للخلافة وهجومه على
كل من يدعو إلى تمزيق دولتها وتشقيت
وحدة المسلمين حولها ، لم ينكر على السيد
رشيد دعوته إلى أن يهب العرب من نومهم
ويقوموا قومة رجل واحد لاسترجاع
أمجادهم وإحياء تاريخهم ... ولم يبخس
العرب حقهم ولم ينكره عليهم ، وإنما قال
عن رأي السيد رشيد في هذه الناحية : إنه
رأى رزين وإني معكم في هذا ، ولكن

ينظر إلى العقبات التي تعترض طريق هذا المؤتمر ، ويرى أن انعقاده في مصر أو الهند وهما البلدان اللذان يمكن عقده فيهما بمجملته تحت سيطرة الانجليز وهم أعدى أعداء الإسلام ولا يدعون المسلمين يعملون عملاً نافعاً لهم . وليس معنى هذا عنده إهمال الفكرة وتركها بأساً من تيجتها ولكنه يعرض هذا ليكون في الحسبان عند بدء العمل ولهذا نجده يشير إلى أن الخطر على الباب وأن الواجب يقضي بترك الكلام ونشر المشروعات والبدء في عمل فوري جدي يفيد المسلمين .

ونراء أخيراً يخطط خطوة واسعة في سبيل تدهيم العلاقة بين مسلمي الهند وإخوانهم العرب الذين هم مهد الإسلام ؛ فيكتب للسيد رشيد رضا عن عزمه على إصدار مجلة باسم « الاتحاد الإسلامي ، لتوطيد الروابط بين المسلمين وإيقانهم على شئون إخوانهم في كل مكان ويرجو من السيد رشيد مساعدته على إخراج هذا المشروع الحيوي بمده بالأخبار والمقالات . .

ويظهر أن الظروف لم تساعد على تنفيذ هذا المشروع في ذلك الوقت وإن كان من المعروف عن تاريخ الصحافة العربية في الهند أن مولانا آزاد أخرج مجلة عربية باسم الجامعة سنة ١٩٢٣ وكانت تصدر من كلكتا واستمرت عدة سنين ولكن لها دور في الأوساط العلمية في الهند والبلاد العربية وقامت بدور

قاموا للإصلاح ازدادوا فساداً أو حاولوا إغلاق باب للأجانب فتحو أبواباً أخرى . . ويبدو أن مولانا أبا الكلام كان يعاني مرارة شديدة من حال المسلمين وتفككهم وضعفهم وانصرافهم عن المصلحين بل وخيانتهم لهم ، وهذه سال كثيراً ما تعترى الأمم حين تقوم من عقدها الطويلة تنلس طريق البعث والنهوض ويقودها المصلحون إلى هذا الطريق إذ تقوم في وجوههم خلفات من عصر النوم والضعف تتمثل في عقليات جامدة ونفوس حاقة وعملاء المتسلطين في استمرار الأمة في ضعفها ونومها ... والمصلحون الحقيقيون هم الذين يثبتون على الطريق ممكنين بشعلة الإصلاح غير عابئين بهذه الخلفات ولا يائسين مما يصيبهم من جمود وإعنات ... وهكذا كان مولانا آزاد ... لم ييأس ولم يلقئ الشعلة التي في يده ، ولكنه كان يتخذ من معرفته بالأوضاع العكسية التي تحيط به درعاً يثق به الفشل ويدفعه إلى السير في طريقه بتأن وحذر .

وبهذه الروح كان ينظر إلى اقتراح السيد رشيد رضا الخاص بمقعد مؤتمر إسلامي فبالرغم من أنه صرح بأن موضوع هذا المؤتمر كان موضع تفكيره المستمر من زمن طويل وكان شغله الشاغل الذي كثيراً ما طرد من جفنيه النوم حتى يفتق الفجر ، وهو يتقلب على فراشه غارقاً في التفكير فيه إلا أنه كان

على يوم ولا ليلة في خلال الستين الماضيتين
إلا وأعانت تلكم المظالم على ردوس الأشرار
وصرخت بأعلى صوتي قائلاً : « إن الدولة التي
تدوس الخلافة الإسلامية تحت أقدامها ولا
تندم على ما اقترفته في الهنود من الفظائع
والمنكرات لا تستحق أن يخلص لها أحد من
أبناء هذه البلاد ، لأنها بأعمالها قد أصبحت
عدواً للدين الإسلامي والمسلمين وسكان هذا القطر .
ولأنهم الحكومة أحداً غير نفسها على
سقوطها في هذا المأزق الذي يصعب عليها
الخروج منه لأنني قد نبهتها سنة ١٩١٨ من
معتقلي في كتاب مني إلى « اللورد جيمس فورده » ،
الوالى السابق ، فصلت لها فيه الأحكام
الإسلامية التي تتعلق بالخلافة وجزيرة العرب
وصارحتها بأن الدولة البريطانية إذ انقضت
عهداها واستولت على الخلافة والبلاد الإسلامية
فإنها توقع المسلمين في حالة حرجة جداً ولا
يبقى لهم إذ ذاك إلا أن يكونوا مع الإسلام أو
مع بريطانيا ، ومعلوم أنهم يؤثرون الإسلام
عليها ، وفي موضع آخر من مراجعته يندد في
شدة وصراحة بموقف الحكومة الانجليزية
ورئيس وزرائها من الدولة العثمانية وإخوانه
المسلمين فيها ويعدد المسارى ، التي من أجلها
قام هو وشعب الهند ضد انجلترا فيقول بعد
أن عدد مساوئها في الهند :

ثم لأنهم وجدوها لا ترتدع عن دوس
الخلافة الإسلامية ولا تسمع الصيحات
المتوالية التي تعلو من أفواه المسلمين وغيرهم

رائع في تاريخ الصحافة العربية والهندية
لا يشكر فضله .

ولشدة حساسية مولانا آزاد نحو الخلافة
والإبقاء عليها يعود في آخر الخطاب إلى
ما نشر عن السيد رشيد في الهند فيؤكد له أنه
وإن أساء فيه ظن مسلمي الهند إلا أنه لا
يزال هند رأيه فيه من تأييده لحركة الخلافة
ومن أنه لا يمكن أن يدعو لبر جزء آخر
من دولة الخلافة ويكون العوبة في يد الأجانب
الذين يريدون بها سوءا ... وهو في هذا يبدو
في غاية الباقه والكياسة مع السيد رشيد ...
الذي يرى فيه مصلحا مخلصا لوجه الله داهيا
إلى القرآن الحكيم وعجيبا للسنة النبوية .

أظن أن هاتين الرسالتين تعطيانا صورة
كافية عن مولانا آزاد واهتمامه بالخلافة
ومصيرها ولا شك أننا نفهم أن جهوده داخل
الهند من أجلها كانت أكثر وأعظم ، وهذا
هو الواقع ، فقد كانت الخلافة تشغل كل
تفكيره باعتبارها مسألة دينية من جهة ،
ولاتصالها بمصير المسلمين ومجدهم من ناحية
أخرى ، ولهذا رأينا أثناء مراجعته أمام المحكمة
التي كانت تحاكمه سنة ١٩٢٢ يشير موقف
الحكومة الانجليزية العداوى من الخلافة
واعتمادها على أراضها ونقضها لليهود فيقول :

« وإننى لا أذكر هنا مظالم الحكومة حيال
الخلافة الإسلامية لأنها أشهر من أن تذكر .
ولكن الذى أريد التصريح به هو أنه لم يمض

وفي نفس هذا المؤتمر أعلن أنه لا يحمل للمسلمين أن ينسلخوا في الخدمة العسكرية لهذه الحكومة لأنها تحارب الخلافة والدولة الإسلامية .

وهكذا تشغل مسألة الخلافة بالمولانا آزاد ووقته وجهده بجوار مسألة بلاده وتحريرها والعدو واحد وهو الانجليز ويبدو مولانا آزاد بهذا رجلا مسلما لم يتنكر أبدا لواجبات المسلم تجاه إخوانه ، بل يحس إحساسهم ويشعر شعورهم أينما كانوا . ويرى أن مساعدة الغرب والانجليز بنوع خاص اليونان ضد دولة الخلافة إنما هو اعتداء على المسلمين في كل مكان وأن من الواجب عليهم أن ينفروا جميعا ضد الانجليز ويحاربوهم ماداموا يحالفون المسيحيين اليونان على المسلمين ، ويبدو من هذا شبح حرب صليبية أخرى .

إن مولانا آزاد يبدو في هذا محملا بلغ القمة في إسلامه وفي شعوره الديني وفي إحساسه بواجبات المسلم وأتزماته نحو إخوانه حق كإنهم جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالخى والسهر .

ودولة الخلافة هي في رأيه قلب العالم الإسلامي وكل أذى يمس هذا القلب يهدد المسلمين جميعا بالخطر . . ولهذا كرس كل جهوده لحماية هذا القلب والدفاع عنه . .

(للحديث بقية)

عبد المصطفى النمر

وتسلم أزميز وتراقيا إلى اليونان ظلما وجورا وتسمح لهم بإراقة دماء المسلمين أنهارا في سهول الأناضول ، وقد رأوا جرأتها في سحق الحق غير قليلة وهمتها في لبس الصدق بالإفك غير قليلة ولسانها في تكذيب الحق غير عبي ولا متعلم ، فجع أنه يوجد في ولاية أزميز ٧٠٪ من المسلمين يعلن رئيس وزرائها بدون أدنى لكتنة أن الاكثرية للمسيحيين ، ولقد وضع اليونانيون السيف في رقاب المسلمين ؛ وذبحوهم ذبح الأنعام ، وهو يقرب الحقيقة فيتهم العثمانيين بالقتل وسفك الدماء ويشهر المظالم التركية المخترعة في العالم بلامبالاة ويخفي بكل وقاحة تقرير لجنة التفتيش الأمريكية التي نديتها بحكومته بنفسه ، ويؤلب على الأحرار العثمانيين الدول الغربية كلها ويدهوها إلى محاربتهم واستئصالهم .

ثم يقول أيضا في موضع آخر من مرافقته :-
ثم إنى منذ خرجت من الاعتقال الطويل ما برحت أنشر هذه المبادئ - مبادئ الثورة ضد الانجليز - بين الناس وأدعوهم إليها في مؤتمر الخلافة الذي انعقد في ٢٨ ، ٢٩ فبراير سنة ١٩٢١ بكلكتا نفسها والذي رأيت جلساته حملت المسلمين على أن يعلنوا القرار الآتي :
إن أصرت الحكومة الانجليزية على غوايتها ، ولم تصنع لمطالبنا في مسألة الخلافة ، يضطر المسلمون بحكم دينهم أن يقطعوا كل أواصر الولاء التي تربطهم بها .

نظرات في التصوف والأدب :

الصُّوفِيَّةُ وَعَلاَقَتُهَا بِالزَّهْدِ

للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

- ٢ -

للباحثين في نشأة التصوف آراء متعددة ، ولكل وجهة خاصة يستدل عليها ، ويؤكد صحتها .

فن قائل : إن التصوف إسلامي النشأة والمنبت ، وذهب كثيرون إلى أن التصوف وفد على البيئة الإسلامية من الاجناس الأخرى مع ما وفد من العادات والتقاليد بحكم المزج والاختلاط الذي أعقب الفتح الإسلامي ، ومن هؤلاء الباحثين جبهة المستشرقين ، فبعضهم يرى أنه فارسي ومنهم من يرى أنه هندي ، ومنهم من يرى أنه يوناني ، أو مسيحي أو مزيج من هذا كله ، وقد تضاربت الآراء كثيراً في الكشف عن أصل التصوف حتى قال : « ماسينيون ، معبراً عن مدى تضارب الآراء فيه : أما دراسة مصادر التصوف فإن الأمر بيننا وبين استكمالها ما يزال بعيداً ، وقد حار علماء الإسلاميات الأول في تعليل ذلك الخلاف الكبير في العقيدة بين مذهب الوحدة (وهو المذهب الرئيسي في التصوف الإسلامي في أرقى

أدواره ، وبين مذهب أهل السنة الصحيح ، فقد ذهبوا إلى أن التصوف مذهب دخيل في الإسلام مستمد إما من رهبانية الشام ، وهذا رأى (مركس Marx) ، وإما من إفلاطونية اليونان الجديدة ، وإما من زرادشتية الفرس ، وإما من فيدا الهنود ، وهذا رأى (جونز Jones) ، وقد بين نيكلوش : أن إطلاق الحكم بأن التصوف دخيل في الإسلام قول غير مقبول ^(١) .

على أن الصوفية أنفسهم يأبون كل الإباء أن ينسب مذهبهم إلى غير الإسلام ، ولما أخذ في إيراد هذه الآراء وجهة نظر القائلين بها . الأصل الفارسي : يذهب القائلون بأن التصوف فارسي الأصل إلى أنه انتقل إلى البيئة الإسلامية عن الفرس عن طريق الصلات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية القوية بين العرب والفرس ، ويرون أن بما يؤكد هذا أننا نجد أكثر شيوخ الصوفية فرساً إما بالنشأة والتربية ، وإما بالأصل والمولد

(١) دائرة المعارف الإسلامية مادة تصوف

وكجواب أبي يزيد البسطامي ، وقد سئل
بم نلت ما نلت : فقال : ولأنني انسلخت من نفسي
كما تنسلخ الحية من جلدها ، ثم نظرت إلى ذاتي
فإذا أنا هو ، (١) .

وأيد ذلك بعض المستشرقين بما رأوه من
انتقال بعض العادات والتقاليد عن الهند
كالمساج فإنها بوذية وحلقات الذكر .

الأصل النصراني :

ويذهب كثير من الباحثين إلى أن التصوف
الإسلامي وفد إلى البيئة الإسلامية عن
النصرانية ، ويؤيدون ما ذهبوا إليه بما كان
موجودا بين العرب في الجاهلية وبين النصرانية
وأن كثيرا من العرب كانوا نصارى ؟ بل إن
منهم من ترعب وتفسك كحظظة الطائي ،
فقد بنى له ديرا يتعبد فيه يسمى دير حظظة ،
وقد وجد غير ذلك من كان يأوي إلى القفار
ويأنس بالوحوش ، كما حدثوا عن قس .

وأن لبس الصوف كان لباس المسيح
هكذا إلى أوجه الشبه القوية بين حياة الزهاد
والعباد والصوفية من المسلمين وبين حياة
الرهبان والقسس والنصارى ، من ناحية
العبادة والطريقة والريضة ، أما ما يتعلق
بالصوفية من جهة كونها مذهبا إذ تعبر عن

الأصل الهندي : أما القائلون بأنه هندي
الأصل فيستدلون على ما ذهبوا إليه بما بين
الصوفية والمذاهب الهندية من تشابه قوى في
الآراء والأفكار والمعتقدات ، كالقول بالتناسخ

وهو عقيدة هندية قديمة ، والقول بوحدة
الوجود والحلول والاتحاد والاتجاه إلى مذهب
إليه الهنود من أن السعادة هي الذكر الدائم

فه ، والتأمل المتصل فيه ، لأنهما يوصلان من
يأخذ بهما ، ويروض نفسه عليهما إلى اتحاده
بأفقه وبالمكون فإنهما ليسا بالحقبة واحدة ،
ويعتد البيروني زعيم هذه الدعوى لماله من
اتصال بمذاهب الهند ودراسة لها بحسبكم
اختلاطه بهم ، وإقامته بينهم ، ويسمى مذهب
الهنود طريقة باتنجل فقال : د وإلى طريق
باتنجل ذهبت الصوفية في الاشتغال بالحق
فقالوا : مادمت تشير فلست بموحدة حق
يستولى الحق على إشارتك بإفنائها هناك ، فلا
يبقى مشير ولا إشارة ، ويوجد في كلامهم
ما يدل على القول بالاتحاد كجواب أحدهم
عن الحق : وكيف لا أنحقق من هو أنا بالآنية
إن عدت فبالعودة فرقت ، وإن أهملت
فبالإهمال خففت ، وبالاتحاد ألفت .

وكقول أبي بكر الشبلي : د اخلع الشكل
تصل إلينا بالسكية فتكون ولا نكون ،
إخبارك عفا وفعلك فعلنا .

(١) قوت القلوب ج ٣ ص ٨٠ .

الحب الإلهي التي استولت على نفوس المتصوفة ، وكانت محورا أساسيا لتعاليمهم ونظمهم ، فإن فريقا منهم نزع إلى الخوف من الله ، وقبيلًا تطلع إلى الشوق إلى جنته ، وطائفة لم ترض بذات الله بدلا .

الأصل اليوناني :

ويرى فريق من الباحثين أن الفلسفة اليونانية كانت أساسا قويا من أسس التصوف الإسلامي ، ويستدلون على هذا بشيوع الفلسفة اليونانية في العصر العباسي لدى العرب ، وأنهم حينما أخذوا في نقل التراث اليوناني إلى العربية لم يكن ذلك قاصرا على فلسفة أرسطو فقط ؟ بل نقلوا أيضا عن أفلاطون وأفلوطين ، وتعاليم هؤلاء جميعا كانت معروفة لدى المسلمين - فكما تأثر السكندري والفارابي وابن سينا وغيرهم من الفلاسفة بأرسطو وآرائه ، كذلك تأثر الصوفية بأفلوطين ومدرسته في الفلسفة الإشرافية التي تقوم على الذوق والوجد وتلجأ إلى كثير من الرياضات والمجاهدات كما هو الحال عند الصوفية ، بل إن كلمة « اعرف نفسك بنفسك » التي وجدت على بعض جدران المعابد اليونانية ، كانت ذات أثر فعال في تعاليم الصوفية ، فإنهم ضموها إلى الأثر الوارد عن النبي صلوات الله

منازع أصحابها ونظرتهم إلى الحياة ، وفلسفتهم فيها ، فإنها ترجع إلى ما روى من قصص عن المسيح عليه السلام يتمشى مع مذاهمهم . فقد روى أن المسيح مر بقوم من العباد ، وقد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية ، فقال : ما أنتم ؟ فقالوا : نحن عباد ، قال : لأي شيء تعبدتم ؟ قالوا : خوفاً من النار نخفنا منها .

فقال : حق على الله أن يؤمنكم ما خفتم . ثم جاوزهم ، ومر بآخرين أشد عبادة منهم . فقال : لأي شيء تعبدتم ؟

قالوا : شوقنا الله إلى الجنان ، وما أعد فيها لأوليائه ، فنحن نرجو ذلك .

فقال : حق على الله أن يعطيكم ما رجوتهم . ثم جاوزهم ومر بآخرين يتعبدون . فقال : ما أنتم ؟

فقالوا : نحن المحبون لله ، لم نعبد خوفاً من ناره ، ولا شوقاً إلى جنته ، ولكن حباً له ، وتمظيلاً لجلاله .

فقال : أنتم أولياء الله حقاً ، معكم أمرت أن أقم ، وأقام بين أظهرهم .^(١)

فهذه القصة يمكن أن تعتبر أساساً لنظرية

(١) الحياة الروحية في الإسلام ص ١٥ .

إلى حرام ، وإقامته فيه الليالي ذوات العدد ، وما اعتكفه إلا ضرب من الصوفية ، وما تعبد في حرام قبل أن تأتيه الرسالة إلا تمهيد وتصفية للنفس الكريمة ، حتى تستشف وحى الله .

والواقع أن حياة الرسول كانت نبعا غزيراً احتق منه الصوفية تعاليمهم ، وليس هذا خصب ، بل وجدوا في كثير من آيات القرآن الكريم ما يحتجون به لمذهبهم هذا في الحياة ، وكذلك الأحاديث سواء ما كان منها قدسيا وما كان نبوياً .

أما الآيات التي يستغدون عليها فتمثل :

- ١ - « واذكر اسم ربك وتقبل إليه تبتللاً . »
- ٢ - « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين . »
- ٣ - « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا . »
- ٤ - « يا أيها الناس إن وعد الله حق ، فلا تفرسكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور . »
- ٥ - « وتوكل على الحى الذى لا يموت . »
- ٦ - « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً . »
- ٧ - « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا . »

وسلامه عليه ، من عرف نفسه فقد عرف ربه ، وبنوا عليهما كثيراً من أسس أحوالهم ومواجيدهم .

ويبدو أثر الفلسفة الإشراقية واضحاً عند المتأخرين من الصوفية ، أمثال ابن عربى والسهروردى في كتابيه : هياكل النور ، وحكمة الإشراق التي يجعل فيهما من الله نوراً للأنوار فياضاً بالأنوار القاسرة ، وهى النفوس والعقول ، وبالجرارهر الفاسقة ، وهى الأجسام (١) .

الأصل الإسلامى :

هذه هى الآراء القائلة بأن التصوف غريب على البيئة الإسلامية ، وأنه شذوذاً إليها بحكم الاختلاط والامتزاج بين الأجناس والفلسفات والآراء .

ونحن نذهب مع القائلين بأن هذا تبجح على الحقيقة ، وظلم للواقع ، وإنكار للشاهد المحسوس .

ونرى أن التصوف نزعة إسلامية النشأة والمولد ، وجدت أصولها فى القرآن والسنة وحياة النبي صلوات الله وسلامه عليه ، ومسلك الصحابة رضوان الله عليهم ، فقد كان النبي صلوات الله عليه كثيراً ما يخلو إلى نفسه ، وينأى بها عن الناس ، فما ذهابه

ومن الأحاديث النبوية التي يستقندون إليها :
« أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك » ،
وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « وإن من هباد
الله أناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يضبطهم إلا أنبياء
والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله عز وجل » ،
قال رجل : فني هم يا رسول الله ؟ وما أعمالهم ؟
لعلنا نجهم ، قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : قوم يتحابون بروح الله عز وجل
من غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ،
والله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعل منابر
من نور لا يخافون إذا خاف الناس ،
ولا يحزنون إذا حزبت الفاس ، قالوا :
ثم قرأ : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون » .

ففي هذه النصوص وحياة الرسول عليه
السلام الأصول التي يقولون إنهم استمدوا
منها مذهبهم وساروا على نهجها في حياتهم ،
ووجد فيها الزهاد أصولا لزهدهم والصوفية
غذاء لأذواقهم ومواجيدهم .

والصوفية يردون كل قول غير هذا ،
ولا يسكادون يطيقون أن يسمعوا أنهم
اعتمدوا على مذهب أو رأى آخر في زهدهم
من أي لون كان

ولأمر ما تجد كبار المؤلفين في الصوفية
يبدأون أبوابهم بأحاديث نبوية في هذا الباب
كما فعل القشيري في رسالته حينما شرع يتكلم

ففي هذه الآيات أسس بنى عليها الصوفية
ما ذهبوا إليه من أحوال ومقامات ، ويؤكد
ذلك أننا نراهم يسكتون من الحديث عن
الصبر والتوكل والتوبة والتأمل والتفكير ،
ومداومة الذكر ، ولهم فيها أبواب طوال
عمرها بها كتبهم ، وملأوا صحائفهم ومسا
استدلوا به على مذهبهم في وحدة الوجود
ووحدة الشهود والتجلي قوله تعالى : « الله
نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة
فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاج
كأنها كوكب دري » ، وكذلك قوله سبحانه :
« فأينا تولوا فثم وجه الله » .

أما الأحاديث التي تشهد لهم ، فقول صلوات
الله عليه فيها برويه عن ربه : « كنت كنزاً
مخفياً فأحببت أن أعرف خلقت الخلق
فبي عرفني » .

والصوفية يتخذون من هذا الحديث دليلاً
على ما ذهبوا إليه من فظرية الحب الإلهي .

ويستدلون كذلك بما رواه الرسول عن
ربه أيضاً : « ما تقرب إلى عبدي بأفضل
مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب
إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت
يده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ،
وعينه التي يبصر بها ، وأذنه التي يسمع بها » .

وقد وجد أصحاب الأذواق والمواجيد
تفسيراً لمذهبهم في الفناء والغيبوبة ، فناء العبد
في ربه والمحبة في محبوبة .

وآخر بعض رواسيها فتقبلها تارة، وترفضها أخرى، وهذه سنة الحياة، وأكبر دليل على ذلك قطور التعاليم الصوفية على مر العصور، وسيبدو هذا التطور واضحاً جلياً في الفصل الآتي حينما نتحدث عن المذارج التي مرت بها في سيرها المتتابع.

مناقشة الآراء السابقة :

ولا بد لنا وقد ذهبنا إلى هذا الرأي أن نرسل كلمة تفسر فيها إلى رد الآراء السابقة قبل أن نمضي إلى فصل آخر فنقول :

إن ما ذهب إليه أصحاب الآراء السابقة لا ينض أن يكون دليلاً على رأيهم؛ لأن كثيراً من الأحوال والقياسات والمؤثرات قد تشابه في أكثر من بيئة فتوجد حالة فكرية متشابهة، والتشابه في الآراء ليس دليلاً على أخذ أحدهما عن الآخر، وفي هذارد على القائلين بالأصل الهندي واليوناني.

أما القائلون بالأصل النصراني فإن ما أثبتناه منذ قليل من حياة الرسول وأحاديثه فيه الكفاية في رد هذا الرأي، وأما القائلون بالأصل الفارسي، فليس ما ذهبوا إليه بشيء؛ لأن العرب والفرس قد اتصلوا من قديم ولم يظهر لذلك أثر ما.

محمد إبراهيم الجبوري

هن الأبواب المختفة من تأمل وصبر وقوبة، وخوف وغير ذلك.

وقد لاحظت وأنا أطالع تراجم الصوفية في حلية الأولياء لأبي نعيم، وطبقات الصوفية لعبد الرحمن السلمي - أن كلا منهما يحرص دائماً على أن يثبت أن المترجم روى الحديث وطلبه، وما ذلك إلا لإشارتهم إلى قوة الصلة التي تربطهم بالسنة. والذي تظمن إلى النفس ويسلم به العقل، ويقبله الواقع، ويرضى عنه الباحث أن الصوفية نزعة إسلامية نشأت في أحضان الإسلام، وتربت في بيئته، واستمدت من منبعه الصافي وجودها، ولم يكن لأي عامل آخر أثر في نشأتها إلا أنها وهي تتقلب في مدارج الزمن، وتنتقل من جيل إلى جيل، قد لاقى في مسيرها كثيراً من النزعات والثقافات المختلفة والنحل المتعددة، وتمرب إليها كثير من رواسيب الديانات القديمة في نفوس أربابها بحكم التأثير بالبيئة والالتقاء للوراثة، فلما تلاقى بها هذا المزيج في حياتها أخذت منه وتركزت بلا شك ولا ينزع في هذا أحد. وخلاصة القول في هذا : أن الإسلام منبعها الأصلي الذي أمد مجراها بالفيض الأول، وشق لها طريقها في عيج الحياة وصخبها، ولكنها لم تعدم بعض الروافد التي كانت تلقى فيها بين آن

الخدمات الاجتماعية عن طريق الدين

للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٢ -

أو الخدم طبق صيني وانكسر ذهب إلى ذلك المكان ، ووضع قطع طبقه المكسور ، وأخذ بدلا عنها طبقا سليما .

وفي مدينة « فاس » بلاد المغرب وقف للثياب ، فمن كان ماراً في شارع وتمزق ثوبه ، أو أصابه شيء لوثه ، بحيث أصبح متعذراً عليه لبسه ، له أن يذهب إلى ذلك الوقف ليأخذ ثوبا جديداً .

وفي « تونس » وقف من كان يريد دخول الحمام ، وليس في يده ما يدفع منه أجره الاستحمام يذهب إلى ذلك الوقف ، فيأخذ صرة صغيرة فيها الأجرة المذكورة .

وفي « مراکش » وقف كبير للنساء اللواتي يقع خلاف بينهن ، وبين أزواجهن ، فإنهن يذهبن إلى هذا الوقف ، ويقمن فيه ما شئن ، ويعشن دون منة من أحد ، إلى أن ينتهي الخلاف بين المرأة وزوجها ، إما بالوفاق أو بالفراق .

وفي « فاس » وقف اسمه « مؤنس الحليل » يؤخذ منه إعانة للوذين أصحاب الأصوات الهجية ، حتى يبكروا في الصعود إلى المئذنة ،

ومن الخدمات الاجتماعية التي يكسبها المجتمع من طريق الدين نظام « الأوقاف » الذي عرفه الإسلام منذ أقدم العصور ، واستطاع هذا النظام أن يوفر للأمة الكثير من الخدمات والمعونات للضعفاء ، والفقراء ، والمعوذين ، وأصحاب الضوائق المالية المختلفة ، وفي موطن آخر تعرضت لذكر فنون الأوقاف التي تؤدي إلى ألوان من الخدمات الاجتماعية ، والتي عني شكيب بالتنويه بها والحديث عنها أكثر من مرة ، ومن هذه الألوان التي يحدثنا عنها تاريخنا القديم أو تاريخنا القريب أو المعاصر ما يلي :

فمنها مدارس ومستشفيات ودور كتب ، ودور لعلاج المجانين ، ودور لعلاج المجاذيم (جمع مجذوم وهو المصاب بمرض الجذام) ، ودور ضيافة ، ومنها ما يوزع الخبز يوميا ، ومنها ما يوزع الحساء (المرق) ، ومنها مؤسسات لأشياء لا تخطر على بال الأوربيين

ومن أمثلة ذلك أن في دمشق وقفا اسمه وقف « الزبادي » ، فمن كان في يده من الأطفال

خطبة الجمعة مثلاً ما هي إلا مجلة أسبوعية دينية مسموعة ، يعالج فيها الخطيب الرشيد البصير أمور مجتمعه وشئون بيئته ، ويشخص ما هناك من أمراض أو علل أو مشكلات ، ثم يصف العلاج لهذه المشكلات من هدى الله تبارك وتعالى الذى يقود إلى الحق وإلى صراط مستقيم . « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهdy به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

ونستطيع أن نقول مثل هذا أو قريباً منه عن بقية الاجتماعات ، وناهيك بمؤتمر الحج الذى يتلاقى فيه الناس من كل حذب وصوب ، يتعارفون ويتآلفون ويقشاورون ، ويتفقون فى النهاية على ما يجب أن يكون ، فوق ما فى الحج نفسه من فوائد الرحلة ورواج التجارة وتبادل المنافع .

والصلاة نفسها فيها خدمات اجتماعية متعددة عند أدائها على الوجه السليم القويم الذى أراده الدين ، لأنها تؤدى إلى رفع المستوى الصحى والنفسى والاجتماعى للفرد ، ومتى صلح الفرد وتعدد الصلاح بتعدد الأفراد كان معنى هذا صلاح المجتمع كله .

فالصلاة توجب على مقيمها أن يكون طاهر البدن ، طاهر الثوب ، طاهر المكان الذى يؤدى فيه الصلاة ، وتوجب على الإنسان

ويترنموا بالنسايبح الإلهية التى إذا سمعها العليل الذى قضى ليله ساهراً يتململ على فراش الألم والارق استأنست بذلك نفسه ، وخفت وحشته .

وهناك فى بلاد الإسلام أوقاف لتزويج البنات الفقيرات ، وأوقاف لإطعام الحيوانات وفى مدخل دمشق ، مرجة كبيرة موقوفة على الخيل المسنة ترعى فيها ، وهناك أوقاف للفقدين ، وأوقاف لرعاية المكفوفين ، وأوقاف لتهدى الطرق ولرصف الشوارع ، وأوقاف لشراء مكافآت للسابقين من صبية الكتائب

ولإذا كان قسم من هذه الأوقاف قد بحيث رسومه بطول الأيام فإن منها ما لا يزال ريعه داراً ، والفقراء يستفيدون منه .

ومن الخدمات الاجتماعية التى نكسبها عن طريق الدين أن الدين نظم لنا فرصاً ومناسبات متقاربة للتلاقى والاجتماع عن طريق صلاة الجماعة المنتظمة كل يوم خمس مرات ، وعن طريق صلاة الجمعة كل أسبوع ، وعن طريق صلاة العيد مرتين فى كل عام ، وعن طريق مؤتمر الحج الأكبر ، وفى هذه الاجتماعات تتوافر عوامل التعارف والتفاهم والتعاون والتآلف ، ويسهل بث التوجيهات الاجتماعية الرشيدة .

الأفراد ، ويحفظ كيان الأسرة ، ويوثق الروابط بين الأقرباء .

ونظام « النفقة » ، التي تجب بين الأصول والفروع ، أو بين القريب والقریب ، ونظام « الحضانة » ، الذي يصون الطفولة من التشرد والضياع ، ونظام « الوصاية » ، على القاصر ، لكي يتصرف الوصى تصرفاً رشيداً حكماً يودي إلى الخير ونظام الحجر على السفه سبباً التصرف حتى يعود إليه رشده وصوابه ، وهناك نظام « النفقة » ، الذي يحفظ حق الجار في الشراء قبل حق الغريب والدخيل ، وهناك نظام الضيافة الذي شرعه الإسلام للغريب لمدة ثلاثة أيام ، وهناك نظام « الكفالة لليتيم والرعاية لماله » ، وهناك نظام « كفالة اللقيط » ، والقيام على تنشئته وتربيته ، وهناك « نظام الدعوة إلى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، وهناك نظام « الحسبة » ، والتطوع بإزالة ما يسوء .

وكل نظام من هذه النظم يحقق خدمات اجتماعية جليلة لو أردنا شرحها لاحتجنا إلى أن نخصص لكل نظام بحثاً نستعرض فيه قواعده وفوائده .

* * *

وهناك قيم اجتماعية نحرص عليها ونتمنى توطيدها وتوكيدها ، والدين يعاون على

أن يتوضأ ، والوضوء هو غسل اليدين والوجه والذراعين والشعر والأذنين والرقبة والرجلين ، وهو لهذا تجديد مستمر لنظافة الأطراف والأعضاء التي تتعرض في العادة للغبار والتراب وملفيليات الجوهر الأخرى ، ولا شك أن رفع المستوى الصحي للأفراد يؤدي إلى قلة الأمراض ، وإلى وفرة النشاط ، وإلى زيادة الإنتاج ، وفي هذا ما فيه من خدمات للمجتمع .

وفي الصلاة تعويد على النظام ؛ لأن الصلاة تؤدي في مواعيد ثابتة ومواقيت محددة ، ولذلك يقول القرآن الكريم : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » . وتعود الأفراد للنظام برفعهم اجتماعياً ويزيدهم رقياً . وفي الصلاة مناجاة ودعاء واستغراق روحي في العبادة ، وهذا الاستغراق ينقي النفس ويصفيها ، ويعلوها ويركها ، وحين يعود المصلّي الصادق الخاشع إلى مجتمعه ، يعود إليه نقياً صافياً طهوراً ، فيصدر عنه الخير ويتوالى منه العمل الصالح .

* * *

والدين الإسلامي قد شرح جملة نظم تؤدي إلى ألوان من الخدمات الاجتماعية ، ومن هذه النظم نظام « الميراث » ، الذي يفتت الثروة من حين إلى حين ، ويقرب بين

والإسلام الحنيف يعلم المسلم - في قرآنه الكريم وسنة نبيه العظيم صلوات الله وسلامه عليه - أن يكون في سلوكه الفردى والاجتماعى مثلاً من أمثلة الخير والبر، والحرص على الإحسان بمختلف ألوانه، والبعد عن السوء والفساد قدر طاقته، فانه يقول: «وأحسن كما أحسن الله إليك»، ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين، والحديث يقول: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

وأساس الأدب الإسلامى فى السلوك الاجتماعى للفرد هو أن يكون المسلم - فوق ابتعاده عن الشر، ونأيه عن الأذى عنصراً من عناصر المعونة والنفع للناس، والتجمل معهم بمكارم الأخلاق، والتحلّى في معاملتهم برقيق الخصال، فإذا كان الحديث يقول: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» فإنه أيضاً يقول: «خير الناس أنفعهم للناس» ويقول: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

وكما تكون المعاملة الاجتماعية الجيدة في أمور كبيرة جليلة تكون في أمور دقيقة يسيرة، فقد تكون في النظرة واللمعة والسكينة والتحية وهيئة الحركة، والإسلام يتتبع هذه الدقائق بالنص عليها والتوجيه إليها، حتى

تشبث هذه القيم الفاضلة، فهناك مثلاً التكافل الاجتماعى، والإسلام يقول: «إنما المؤمنون إخوة»، ويقول الرسول: «المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً»، وهناك العدالة الاجتماعية والروح الاشتراكية، والرسول يقول: «الناس شركاء في ثلاثة: الماء والكلأ والنار». وهناك العدل المؤدى إلى الأمن والسلام والقرآن يقول: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون»، ويقول: «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل».

وهناك الدعوة إلى عدم البغى فى أخذ الثأر، والقرآن يقول: «ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً، فلا يسرف فى القتل إنه كان منصوراً».

ومن الخدمات الاجتماعية التى تسكبها من طـريق الدين أن الدين يعلمنا آداب السلوك الاجتماعى، فهو يؤكد فى عقولنا وقلوبنا أن هذا الإنسان الماقل البصير الذى جعله ربه خليفة فى أرضه، لم يخلق لنفسه وحدها، أو لذاته فقط، بل خلق ليعكون لبنة فى بناء أمة، وفرداً فى عقد مجتمعه، ومن واجب الفرد أن يندمج فى الجماعة ويتفاعل معها، وأن يحسن معاملته لها، حتى يكون فى عونها وتكون فى عونه.

والحديث النبوي يعلمنا كيف نكرم في هذه المجالات أمثال الشيخ الطاعن في السن ، والمرأة المعوز أو الحامل ، والضعيف مهما يكن ، فيقول : « ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قبض الله له من يكرمه عند سنه » ، أى عند شيخوخته وفي رواية طبقات الشعراء : « من أكرم ذا شبيبة - يعنى مسلما - سخر الله له من يكرمه عند شببته » ... ويقول : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر » ، ويعم التحريض على الرحمة والرفق بالضعفاء وإيثار من يستحق التقديم فيقول : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » . ويرشد الإسلام أهله إلى أن الإحسان في المعاملة الاجتماعية مفتاح الأبواب كثير النوافذ ، وقد لا يكلف هذا الإحسان صاحبه جهداً كبيراً ، فيقول الحديث : « تبسمك في وجه أخيك لك صدقة » ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر لك صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة ، ... ومن آداب السلوك الاجتماعي في الإسلام

يسكل الفرد في سلوكه الاجتماعي مع غيره ، فهو مثلاً يحرض المسلم على أن يحسن القول ويبدل تحية السلام لمن يلقاه حتى يشيع التعارف والتآلف ، يقول الحديث : « إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن السلام » ...

ويحرضه على مصافحة معارفه حتى يتأكد الود بينه وبينهم ، وتزول عنهم ما قد يكون غائماً في أفق صلاتهم وروابطهم ، ولذلك يقول الحديث : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا » ، وقال أبو ذر رضى الله عنه : ما لقيت النبي صلى الله عليه وسلم إلا صافحني ! ...

ومن آداب هذا السلوك الاجتماعي أن يتذكر الفرد على الدوام أنه ليس وحده في بيئته ومجاله ، بل هناك من قد يكون أحق بسبقه في ركوب أو نزول أو مسير أو تناول شيء من الأشياء ، أو ما قارب ذلك من أوضاع . وهذا هو القرآن يعلم أهله أن يوسعوا في المجلس أو يخلو مكاناً فيها لمن يستحق التوسعة أو النهوض ، فيقول : « يأياها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس (أى توسعوا فيها) فافسحوا بفسح الله لكم ، وإذا قيل انشزوا (أى انهضوا) فانشزوا » ، يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير ، .

كما أن من آداب السلوك الاجتماعي في الإسلام أن يعاون المرء غيره على الاستقامة في السلوك والتحلي بالمكارم ، وذلك عن طريق النصح الرقيق والتوجيه الرقيق ، والنبى صلوات الله وسلامه عليه يقول : « الدين النصيحة » ، ويقول : « المؤمن مرآة المؤمن » ، ويقول : « إن أحسبك مرآة أخيه ، فإن رأى به أذى فليمطه عنه » .

ومن التعاون على هذه الاستقامة أن يحسن المرء الإغضاء عما يقع فيه صاحبه من حقوة أو خطأ ، فالحديث يقول : « من أقال مسلماً عشرته أقاله الله يوم القيامة » ، ولا يستكتفى المسلم في هذا الباب بالإغضاء عن الزلة ، أو العفو عن الخطأ ، بل هو لا يقيح فرصة للمفسدين كي ينالوا الناس بالتجريح أو الافتراء ، فما أوسع باب الشرف في هذا المجال ، والحديث يقول : « من رده عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار » .

فليكن الإنسان في هذه الحياة - بحسن معاملته للناس وبجميل سلوكه معهم - ورثة تنفع غيرها بالعذا الطيب والعبير اللطيف ، فإذا رآها الناس شغفوا بها وحرصوا عليها ، وإن غاب عنهم تطلبوها وسعوا إليها ، « وإن الله لمع المحسنين » .

أحمد الشرباصي

أن ينصرف المرء إلى ما هو من شأنه ، دون أن يتطفل على شئون سواه ، وأن يتجمل بهذا الأدب حتى في السير والنظر والاستماع وتعلق الفؤاد ، وأن يتحلى مع ذلك بالتواضع في المشية ، ويبعد عن الاختيال في الحركة ، يقول الله تعالى : « ولا تقف (أى لا تتبع) ما ليس لك به علم » ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً . ولا تمش في الأرض مرحاً ، إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً .

وينهى القرآن أبناءه ، على لسان لقمان في وصيته لابنه عن التكبر على الخلق والتباهى على الناس ، حتى يميل المتكبر بخده ، زهواً أو احتيالا وعن مشية التجبر والتفاخر ، وعن العجلة الشائنة في المسير ، وعن علو الصوت في الخطاب علواً منكراً ، فيقول : « ولا تصمخدك للناس » ، ولا تمش في الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الخير . ويعلم الإسلام أبناءه أن يتحرزوا في خطابهم وحوارهم وردودهم عما لا يليق من الألفاظ ، ومما يشين من الكلمات والتعابير ، فالحديث يقول : « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء » ، أى سفيه اللسان .

بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية للأستاذ محمد أبو شنبه

— ٨ —

نظرية المساواة في القوانين الوضعية :

في المقالين السابقين تحدثت عن المساواة في الشريعة الإسلامية الغراء ، وأنها بلغت مداها في عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وفي عهد خلفائه الراشدين المهديين من بعده ، ثم بقيت محافظا عليها في عصور الإسلام الذهبية الأولى ، والآن سأتكلم عن نظرية المساواة في القوانين الوضعية .

لقد كانت هذه القوانين حتى آخر القرن الثامن عشر تميز بين الأفراد ، ولم تكن تعترف بالمساواة بين الحاكم والمحكومين ، والأشراف وغير الأشراف ، ورجال الدين وغيرهم ، فكانت تميز بينهم في المحاكمة ، وفي توقيع العقوبة ، وفي تنفيذها ، وكانت المحاكم تتعدد تبعاً لتعدد الطوائف ، فالأشراف محاكم خاصة ، وقضاة من طبقة خاصة ، ولرجال الدين محاكم خاصة ، وللجمهور محاكم خاصة ، وكانت الجريمة الواحدة يعاقب عليها أمام هذه المحاكم بعقوبات مختلفة .

وكان لشخصية الجاني اعتبارها ، فالجريمة التي يرتكبها الشريف يعنى منها أو يعاقب

عليها بأثقل العقوبات ، وإذا أتاها الرجل الغني الشريف عوقب بأقوى العقوبات ، وكانت العقوبة الواحدة تنفذ على الشريف بطريقة تتفق وشرفه ، بينما تنفذ على الرجل الوضيع بطريقة تتفق وضعته ، وكانت بعض الأهمال إذا أتاها الأشراف ورجال الدين يعفون منها ، وإذا فعلها عامة الناس يحاسبون عليها أشد العذاب ، وقد أفصح عن بعض هذه الميزات نبيينا صلوات الله وسلامه عليه لما أرادوا الشفاعة في حد من حدود الله حيث قال : **« إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، رواء البخاري ومسلم . »**

وما السرقة إلا مثل من الأمثال دعا إلى ذكرها بخاصة محاورتهم الشفاعة في حد السرقة كان هذا حال القانون الوضعي إلى آخر القرن الثامن عشر حتى جاءت الثورة الفرنسية فجعلت المساواة أساساً من الأسس الأولية في القانون ، وأصبحت القاعدة أن تسرى

يرون أن لهم فضلا على أبناء إفريقيا وآسيا ، ولا يزال المستعمرون ياملون أهالي المستعمرات وسكانها الأصليين معاملة حارية من الإنسانية ورعاية حقوق الإنسان مما يجعلنا نؤكد أن قوانين المساواة عندهم لا تعدو أن تكون حبرا على ورق .

ولما لفلس عدم المساواة في القوانين الوضعية في الأمثلة الآتية :

() عدم المساواة بين رؤساء الدول والشعوب سواء أكان هذا الرئيس ملكا أو رئيس جمهورية فبينما يخضع الأفراد للقانون لا يخضع له رئيس الدولة بحجة أنه مصدر القانون وأنه السلطة العليا ، ولا تزال بعض الدساتير تعتبر ذات الملك مقدسة كال دستور الدانمركي ، والدستور الإسباني قبل الجمهورية أما الدستور الانجليزي فيجعل ذات الملك مصونة لا تمس ويفترض أن الملك لا يخطئ ، وفي بلجيكا ذات الملك مصونة لا تمس وكذلك كان الحال في إيطاليا ورومانيا قبل إلغاء الملكية ، وكذلك كان الحال في مصر إبان النظام الملكي الفاسد أما النظام الجمهوري فكان الأصل فيه أنه رئيس الجمهورية غير مسئول ، وكانت شعوب العالم تعترف بهذا الوضع لرؤساء الدول الجمهورية حتى القرن التاسع عشر ثم بدأت تخرج عليه تحقيقا لمبدأ المساواة ، فمنها ما يجعله مسئولا

نصوص هذه القوانين على الجميع ، ولكن مع هذا لم يطبق مبدأ المساواة تطبيقا تاما حتى وقتنا هذا ؛ إذ لم يكن من السهل التخلص من التقاليد القديمة دفعة واحدة ، فبقيت رواسب من التمييز وعدم المساواة اعتبرت استثناءات من مبدأ المساواة التامة ، وصار بعض الكتاب ينتحلون لها المآذير ، أو يبررونها بحيل قانونية ، بينما راح البعض ينتقدها ويطالب بإلغائها ، وكانت الغلبة لهذا الفريق ؛ إذ اتجهت إلى هذا الرأي بعض التشريعات الحديثة التي وضعت في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، وضيقت من مدى الاستثناءات أو حاولت أن تقضي عليها ، واتجاه أغلب المفكرين اليوم إلى المساواة التامة وهم يعملون جاهدين لتحقيقها ولا ندري ماذا سيكون ؟ أيتم لهم ما يريدون أم لا ؟ وإنه نأمل نرجو أن يتحقق الخير الإنسانية .

ومع نزوع القوانين الحديثة إلى المساواة ، فإن التطبيق العملي يعوزه المساواة ولا تزال بعض الدول المتحضرة تؤمن بالفوارق بين البشر ، فلا يزال الرجل الأبيض يحمده لنفسه ميزة على الرجل الأسود ؛ وليس أدل على هذا ما تعانيه أمريكا ، زعينة العالم المتحضر من التفرقة بين الأمريكي الأبيض ، والأمريكي الأسود ، ولا يزال أبناء أوروبا وأمريكا

في كثير من الحالات ، ومن الأمثلة على ذلك في القانون المصري ، أن قانون تحقيق الجنايات يوجب على القاضي أن يحكم بالحبس في كثير من الجرائم على أن يقدر للحكوم عليه كفالة إذا دفعها أجل تنفيذ الحكم عليه حتى يفصل في الاستئناف ، وإن لم يدفعها حبس دون انتظار لنقدجة الاستئناف (المادة ١٨٠ من قانون تحقيق الجنايات المصري) .

ويجوز قانون تحقيق الجنايات المصري للتهمة المحبوس أن يعترض على حبسه فينظر اهتراضه أمام القاضي ، وللقاضي أن يفرج عنه بضمان مالي (المواد من ١٠ إلى ١١٠ من قانون تحقيق الجنايات المصري) .

وفي تقرير مبدأ الضمان المالي خروج على مبدأ المساواة لأن الغنى هو الذى يستطيع دائماً أن يدفع الضمان المالى فيخرج من حبسه أما الفقير فهو فى أغلب الأحيان عاجز عن دفع الضمان فيظل رهين محبسه ، وقد تكون له أولاد يرعاهم يضيعون بحبسه ، وقد تقضى المحكمة ببراءته مما نسب إليه ، فتكون النتيجة أنه حبس لا لأنه أجرم بل لأنه عجز عن دفع الكفالة أو بتعبير آخر لأنه فقير .

(ج) تمييز الظاهريين من أفراد الجماعة :

تمييز القوانين الرضعية الظاهريين من أفراد الجماعة على غيرهم ومن الأمثلة على ذلك

في حالة الحياة العظمى كالدستور الفرنسى ومنها ما جعله مسؤولاً جنائياً في حالة الحياة العظمى والاعتداء على الدستور والجرائم العادية كالدستور البولندى ، وهكذا نرى أن القوانين الوضعية تأخذ مبدأ مسؤولية رؤساء الدول بنظريات ثلاث : فالنظرية الأولى لا تجعل رئيس الدولة مسؤولاً عن أية جريمة ارتكبها والنظرية الثانية تجعله مسؤولاً عن بعض الجرائم دون البعض الآخر ، والنظرية الثالثة تجعله مسؤولاً عن كل الجرائم التى يرتكبها (١) .

ومع تطور القوانين الوضعية تطورا عظيما فلا تزال تقصر عن الشريعة الإسلامية في باب المساواة والتطبيق ، وليس من شك في أن الشريعة الإسلامية حينما أتت بالمساواة التامة بين الحكام والمحكومين ، والرؤساء والمرءوسين فقد أغلقت باب شرمستطيع ربما يدخل منه على المجتمع مفاسد ومظالم إذا ما بليت الشعوب بحكام ظلمة لا يراهم الحقوق ، ولا هم لهم إلا إرضاء نزواتهم وإشباع شهواتهم ، والخفوع لأهوائهم ، والطمع فيما في أيدي الناس .

(ب) تمييز الأغنياء على الفقراء :

تمييز القوانين الوضعية الأغنياء على الفقراء

(١) القانون الجنائى الإسلامى مقارنا بالقانون

الوضعى ج ١ ص ٣١١ - ٣١٢ .

العمال أثناء عملهم بإصابات تؤدي إلى تعطيلهم أو عجزهم أو وفاتهم حيث أوجب أن يكون تعويض العامل على حسب مرتبه في مدة معينة فإن كان مرتبه كبيراً كان التعويض كبيراً وإن كان مرتبه صغيراً كان التعويض كذلك .

وليس من شك في أن في هذا خرقاً لقانون المساواة ، وقد يكون لصاحب المرتب الصغير من الأولاد والأهل الذين يعملون ما يفوق من يعمل صاحب المرتب الكبير . أما الشريعة الإسلامية فلم تراخ هذا في باب الأرش والديات بل سوت بين الناس وبذلك كانت أعدل وأسمى وأحق .

الإعفاءات أخرى من المسؤولية :

وكذلك تعفى القوانين الوضعية رؤساء الدول الأجنبية رؤساء كانوا أو ملوكاً من أن يحاكموا على ما يرتكبونه من الجرائم في أي بلد آخر غير بلادهم سواء دخلوه بصفة رسمية أم متكررين ، وهذا الإعفاء يشمل كل أفراد حاشية الملك أو رئيس الجمهورية .

وتعفى القوانين الوضعية أيضاً المفوضين السياسيين الذين يمثلون الدول الأجنبية من أن يسرى عليهم قانون الدولة التي يعملون فيها ، ويشمل الإعفاء حاشيتهم وأعضاء أمرهم ، ولهذا الإعفاء أضراره فكثيراً

في القانون المصري أن لو كبل النيابة أن يرفع الدعوى العمومية على المتهم في جنحة دون استئذان جهة ما ، ولكن إذا كان المتهم موظفاً أو محامياً أو طبيباً ، أو عضواً في البرلمان ، أو شخصية ظاهرة فإن وكيل النيابة لا يستطيع رفع الدعوى العمومية إلا بعد استئذان جهات معينة ويجوز لو كبل النيابة أن يحفظ القضية اكتفاء بجزء إداري يوقع على الموظف أو الطبيب أو المحامي وبذلك ينجو المتهم من العقوبة الجنائية ، ومثل هذا الحفظ غير ممكن بالنسبة لأفراد الشعب العاديين .

ويجيز القانون المصري لمن وقع عليه ضرر من جريمة أن يطالب بتعويض ما أصابه من الضرر ، والمحاكم حينما تقدر هذا الضرر تراعي مركز الشخص وماله وما أصابه من ضرر وما فاتته من نفع ، فلو أن مدير شركة وعاملاً في نفس الشركة أصيبا في حادث واحد لإصابات متماثلة فطالبا بتعويض يكون تعويض مدير الشركة كبيراً بينما يكون تعويض العامل تافهاً ضئيلاً (١) .

وقد جرى المشرع المصري على هذه الطريقة فيما حدده من تعويضات عن إصابات

(١) التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي ج ١ ص ٣١٥ ، ٣١٥ .

والمرء وسين ، ولا بين الحاكمين والمحكومين
ولا بين الفرد والفرد ، ولا بين الجماعة
والجماعة ، ولا بين الغنى والفقير .

وقد يدهش بعض الذين لا يعلمون أن
يعلموا أن نظرية المساواة التي لم يتم نضجها
وتكوينها في القانون الوضعي الحديث ، بل
القانون القديم قد نضجت تمام النضج ووصلت
إلى أقصى درجات الكمال في الشريعة الإسلامية
الغراء السمحة التي ليلها كنهارها ، وعرفت
هذه المساواة التامة من منذ أربعة عشر قرنا
بيننا لم تعرف القوانين الوضعية هذه المساواة
إلا في آخر القرن الثامن عشر .

فإذا أراد طلاب المساواة التامة أن ينشدوها
في تشريع فليكن ذلك في الشريعة الإسلامية
وسيجدون فيها من أصالة التفكير ، وعدالة
التشريع ، وجلال الصدق ، وسمو الحكمة ،
وعمق النظرة ما يستولى على قلوبهم ، وينطق
ألسنتهم بقول الحق تبارك وتعالى : « ولأنه
لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، »

محمد محمد أبو شربة

ما ينحرف هؤلاء عن أغراضهم التي بعثوا
من أجلها إلى التمسك على الدولة التي هم فيها
أو إساءة استعمال سلطتهم ، ولعلنا على ذكر
من أعضاء بعض البعثات الأجنبية الذين
استغلوا مراكزهم في التجسس على بلادنا ،
ومحاولتهم التخلص من المسؤولية استناداً
إلى هذا الإعفاء .

وكذلك تعنى القوانين الوضعية بمثل الشعب
في البلاد النيابية من العقاب على ما يصدر
منهم أثناء تأدية وظائفهم من الأقوال ، وقد
أخذ الدستور المصري بهذا الانجاء ، والمقصود
من هذا الإعفاء إعطاء أعضاء البرلمان قدرا
من الحرية يساعد على أداء وظائفهم حق
الأداء ، وهذا التمييز اعتداء صارح على
المساواة ؛ لأن هناك من الوطنيين من يشتغل
بالمسائل العامة وله فيها تأثير أكثر مما لدى
عضو من أعضاء المجالس النيابية ، وبالرغم
من ذلك فهم محرومون من مثل هذه الحصانة .

وبعد هذه المقارنات يقين لنا جلليا أن
نظرية المساواة في القوانين الوضعية لا تزال
مهيضة الجناح ، إذ لم تسو بين الرؤساء

تصويب في العدد الماضي

في صفحة ٤٧٥ : العمود الثاني سطر ١٨ : « الصواب قوله تعالى : « فن يعمل مثقال ذرة
خيرا » ... إلى آخر الآيات الكريمة ، .

شخصية المسلم

للأستاذ الحسيني أبو فرحة

— ٢ —

خلقه :

أبو حنيفة إلا فصلا من شريكه بل رفض أن يضيف الثمن إلى حر ماله ، وتصدق به كاملا ، (١) .

ويروى لأنه كان عند يونس بن حبيد حلل مختلفة الأثمان ، بعضها قيمتها أربعمئة والبعض الآخر قيمته مائتان ، فذهب إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان ، لجاء أعرابي وطلب حلة بأربعمئة ، فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها واشتراها ، فضى بها وهي على يديه ، فاستقبله يونس فصرف حلته ، فقال للأعرابي : بكم اشتريت ؟ قال : بأربعمئة ، فقال له يونس : لأنها لا تساوي أكثر من مائتين ، فارجع حتى تردها ، فقال له الأعرابي : هذه تساوي في بلدنا خمسمئة وأنا ارتضيها ، فقال يونس : انصرف معي فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ، ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم ، وخاصم ابن أخيه في ذلك ، وقال له : أما استحييت ، أما اتقيت الله ،

وإذا تحدثنا عن خلق المسلم يتشعب بنا الحديث أيما تشعب ، وكيف لا ، وقد سئلت عائشة رضوان الله عليها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو النموذج الكامل للشخصية الإسلامية فقالت : وكان خلقه القرآن ، .

ولكننا سنجزئ الحديث فنتحدث عن ثلاث صفات تفل بين المسلمين في يوم الناس هذا راجعين أن يهتم بها المسلمون ، ألا وهي ضميره وذوقه وشجاعته الأدبية .

فأما ضميره : فالمسلم صاحب ضمير حي يقظ ، يحاسبه على الصغير والكبير والنقي والقطمير : وهذا أبو حنيفة قد بعث بمحتاج إلى حفص بن عبد الرحمن شريكه في التجارة ، وأهله أن في ثوب منه عيباً فبينه للناس ، فباع حفص المتاع ونسى أن يبين العيب ، واستوفى ثمنه كاملاً لثوب غير كامل ، وقيل إن الثمن كان ثلاثين ألفاً ، فأبى أبو حنيفة إلا أن يبعث لشريكه يكلفه أن يبعث عن المشتري ولكنه لم يمتد إلى الرجل ، فأبى

(١) من كتاب : « أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام » للأستاذ عبد الحليم الجندى .

وكل اتجاه . وحسبنا منها هذه المثل القليلة لتشير إلى الآفاق التي تخلق فيها الشخصية الإسلامية . وتستعلي فيها على جميع الملابس والضرورات على حب النفس والحياة . وحب المال والجاه .
ذوقه :

لقد نهج الإسلام نهجا حكيما لطبيع المسلمين على سلامة الذوق ودقة الإحساس والمحافظة على شعور الغير . ونقرأ الكثير من ذلك في كتاب الله وسنة رسوله .

من ذلك أنه لما تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش أو لم لأصحابه وليمة . فلما طعموا انصرف بعضهم وتخلف آخرون ، وبذل عليه السلام عدة محاولات ليخرجوا ، واستحيا أن يصارحهم بهذه الرغبة .

فلم يخرجوا أيضا . وأخيرا وبعد مضي جانب كبير من الليل . خرجوا متعاقبين وفي ذلك نزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا ، فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق » (١) .

ربح مثل الثمن وترك النصح للمسلمين ، فقال له : والله ما أخذها إلا وهو راض بها ، قال : فملا رضى له بما ترضاه لنفسك ؟ وروى عن محمد بن المنكدر أن غلامه باع لأعرابي في غيبته شقة من الخسنيات بعشرة . فلم يزل يطلب ذلك الأعرابي طول النهار حتى وجده . فقال له : إن الغلام قد غلط فبأهلك ما يساوي خمسة بعشرة . فقال له المشتري : يا هذا قد رضى . فقال ابن المنكدر . وإن رضى فإننا لا نرضى لك إلا ما ترضاه لأنفسنا ورد عليه خمسة . (١)
ومفتاح هذه الحوادث الثلاث هو قول يونس بن عبيد لابن أخيه :

« أما استحييت أما اتقيت الله ؟ ، نعم إنه الضمير الحى اليقظ ، وإنها تقوى الله ذلك ما يثيرة الإسلام في النفس الإنسانية بقوة حين تستشعر روحه ويمتزج بها . وتخالطها بشاشته . ورحم الله ما عزا والغامدية حين جاء كل منهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معترفا بين يديه بجريمة الزنا وطالبا التطهير . وما هو التطهير إنه الرجم بالمجارة حتى الموت .

وإن وراء هذه النماذج التي عرضناها لعشرات ومئات من أمثالها في كل منحي

(١) من كتاب « الرسالة الخالدة » .

للأستاذ عبد الرحمن عزام .

(١) الأحزاب - الآية (٥٣) .

من المشرق سرعان ما ينبرى مضنأ رأيك زامها ومؤكدا أنها تشرق من المغرب . فيجرح شعورك ويؤذي وجدانك . وبالعجبا هؤلاء ، لا يرضيهم أن يكون بالمجلس صامت قترام يخرجونه بالأسئلة حتى يجروه إلى جدلهم ولجاجهم ، إلى هؤلاء وأمثالهم ممن يطلقون العنان للاستهيم في الحديث بالحق والباطل . فيقعون في الكذب ولا يبالون . نسوق حديث أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا زعيم بببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا ، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه » (١) .

وكذلك يكره الإسلام للسلم أن يكون ثوراراً يكثر من الكلام بلا داع ، وينهى على هؤلاء الذين يتصدرسون المجالس محاولين الاستيلاء على دفة الحديث لا عن علم علموه فيشروه . ولكن حبا في الكلام لشهوة النفس ، ويوجه الشخصية الإسلامية إلى الصمت الكريم إلا عن حق تذييعه أو علم تنشره يقول الله تعالى : « لا خير في كثير من نجوام إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح

وبذلك قرر الإسلام مبدأ عاما من مبادئ الذوق السليم . ألا وهو ألا يشغل الزائر على المزور بطول المكث عنده طولا يتضرر به .

ويقرر الإسلام مبدأ الضيافة . ويضع له أسسا سليمة : تحول بينه وبين الانحراف من غايته . فيجعل لإكرام الضيف ثمرة للإيمان باقه واليوم الآخر والضيافة ثلاثة أيام . ويمطى المجتاز زاداً ليوم وليلة . وما زاد على ذلك فهو صدقة . وينهى الإسلام الضيف أن يزيد على ذلك حتى لا يوقع صاحب البيت في حرج قد يدفعه إلى إيذاء ضيفه . .

فمن أبي شريح خويلد بن عمرو رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام . فما كان بعد ذلك فهو صدقة . ولا يحل له أن يشوى عنده حتى يهرجه » (٢) . وينهى الإسلام على هؤلاء المفرمين بالجدل ، بالحق والباطل ، هؤلاء الذين يجعلون من أنفسهم حزب معارضة في جميع الظروف والأحوال . لا لشيء إلا للجدل ، والجدل فحسب . إذا حدثت أحدهم بأن الشمس تشرق

(١) رواه أبو داود واللفظ له . وابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن .

(٢) رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه .

من المعروف شيئاً مهماً صغر . عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق ^(١) » ، وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تبسمك في وجه أخيك صدقة ، وأسر بك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة ، وإماطتك الأذى والشوك والحجم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة ^(٢) » .

وعن أبي جري الهجيمي رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله : إنا قوم من أهل البادية . فعلينا شيئاً ينفعنا الله به . فقال لا تحقرن من المعروف شيئاً أن تأتيه ولو أن تهب صلة الحبل ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستق ، ولو أن تلقى أخاك المسلم ووجهك بسط إليه ولو أن تؤنس الوحشان بنفسك ولو أن تهب الشجع ^(٣) .

شجاعته الأدبية :

وأما شجاعة المسلم الأدبية . فالمسلم قد بلغ

بين الناس ^(١) . ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أنس عنه رضى الله عنه قال : لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر فقال : يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر ، وأثقل على الميزان من غيرهما . قال بلى يا رسول الله . قال : عليك بحسن الخلق وطول الصمت فوالذي نفسي بيده ما عمل الخلاق بمثلهما ^(٢) .

وعن أبي ثعلبة الحشني رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أحبكم إليّ وأقربكم مني في الآخرة محاسنكم أخلاقاً . وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني في الآخرة أسوأكم أخلاقاً الثرثارون المتفيهقون المقتدون ^(٣) » ، وتبلغ التعاليم الإسلامية بالشخصية الإسلامية الذروة في الذوق ورقة الإحساس فتطلب من المسلم أن يكون هاشماً باشاً طلق الوجه . خدوما لإخوانه لا يحتقر

(١) النساء - الآية ١١٤ .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا . والطبراني والبراء وأبو يعلى بإسناد جيد رواه ثقات والفظله ...

(٣) رواه أحمد ورواه رواته الصحيح ، والطبراني وابن حبان في صحيحه . والثرثار . هو الكثير الكلام تكلفاً ، والمفتدق . هو المتكلم بلاء شدته تفاسيحاً وتغليبا لكلامه ، وللتفنيق . للتكبر .

(١) رواه مسلم ..

(٢) رواه الترمذي . وحسنه . وابن حبان في صحيحه .

(٣) رواه الفسائي . والشجع . النعل ...

ويسجل المؤرخون الشيخ قصة أخرى أدل على شجاعة المسلم الأدبية ، وقف فيها الشيخ منفرداً أمام نائب السلطان وأمرائه ، وكانوا يقتلون النفس ويذهبون الروح ، وهم يلهون ويلعبون ، وقف السلطان أمام هؤلاء يستلهم ويضعهم في موضع العبيد ، بل يبيعهم كما يباعون ، وبغلق ثمنهم في مصالح المسلمين .

قال المؤرخون : إن الملك الصالح نجم الدين أيوب ، سلطان مصر ، أسرف في شراء المماليك من بيت المال وأحكمهم في قلعة الروضة ، وأخذ بعد ذلك يعتقهم ويجعل منهم أمراء يقسطون على رقاب الناس ، ولم يصح عند الشيخ ابن عبد السلام عتقهم ، وأنهم لا بد أن يباعوا ويوضع ثمنهم في بيت المال ، وكان من بين هؤلاء الأمراء نائب السلطان واجتمع الأمراء وطلبوا الشيخ ليحدثوه في هذا الأمر العجيب فقال : « لا رأي عندي ولا حكم إلا أن نعقد لكم مجلساً ينادى عليكم فيه للبيع ويدخل ثمنكم إلى بيت المال ، ثم يكون عتقكم بطريق شرعي بعد ذلك » .

ورفع الأمراء الأمر إلى السلطان ، فبحث السلطان إلى الشيخ من يطلب إليه أن يرجع عن قتواه ، فلم يرجع ، فأنكر عليه السلطان أن يدخل في هذا الأمر الذي ليس من شأنه ،

الغاية القصوى في الشجاعة الأدبية ذلك أنه يؤمن أن الأمة لو اجتمعت على أن تضربه بشيء فلن تضربه إلا بشيء قد كتبه الله عليه ، وإن اجتمعت على أن تنفعه بشيء فلن تنفعه إلا بشيء قد كتبه الله له كما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ويؤمن كذلك بقول الرسول الكريم .
وقد سئل أي الجهاد أفضل ؟ فقال : « كلفة حق هند سلطان جائر (١) » .

وبحسبنا نموذجاً الشخصية الإسلامية .
شخصية ظهرت قبيل عصر المماليك وهو عصر يعده الكثير من المؤرخين من عصور التأخير والانحطاط ، ومع ذلك نرى فيه الشخصية الإسلامية في أكل صورها . في شخصية العز ابن عبد السلام . ففي أيام الدولة الأيوبية . لها والى الملك إسماعيل الإفرنج أيام الحروب الصليبية ، وسلم لهم صيدا وغيرها من الحصون لينجدوه على الملك نجم الدين أيوب . أنكر عليه العز بن عبد السلام هذه الفعلة . فغضب عليه وعزله واعتقله . ثم بعث إليه يعده ويمنيه . فقال له رسول السلطان : « تعاد إليك مناصبك وزيادة وما عليك إلا أن تنكسر للسلطان » ، فساكن جواب الشيخ إلا أن قال : « والله ما أرضاه أن يقبل يدي ، يا قوم أنتم في واد وأنا في واد (٢) » .

(١) رواه النسائي بإسناد صحيح .

(٢) عن كتاب « أوثنية الأستاذ الجندی » .

والمسلم يؤمن بالبعث أشد الإيمان ويراه
أمراً واقعاً وحقيقة لا مناص منها ، ويعجب
أشد العجب بمن يرى النشأة الأولى في هذه
الحياة ، ويفكر النشأة الأخرى في الحياة
الثانية . ويواجه المنكرين للبعث بلسان الحال
والقال بماواجه الله به هؤلاء الجاحدين ، حيث
يقول تعالى : « وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال
من يحيى العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها
أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذي جعل
لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه
توقدون . أوليس الذي خلق السموات
والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو
الخالق العليم . إنما أمره إذا أراد شيئاً أن
يقول كن فيكون . فسيقان الذي بيده
ملكوت كل شيء . وإليه ترجعون ، (١) » .

ويؤمن المسلم كذلك بجميع أنبياء الله
ورسله وملائكته وكتبه . قال تعالى : « آمن
الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل
آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق
بين أحد من رسله ، (٢) » .

وأما غايته . فهي العمل للدارين : الدنيا
والآخرة بروح ثابتة وهمة لا تعرف الكسل
ولا الملل . ويعتبر الحياتين الدنيوية
والآخروية وحدة متكاملة الدنيا فيها ممر للآخرة .

فغضب الشيخ وأخرج متاعه اليسير وصار به
يريد أن يعود إلى وطنه بالشام ، وتسامع
الناس أن سلطان العلماء قد غضب على البلد وعلى
سلطانها فغضب الناس لغضب الشيخ ، ولحقوا
به ولما وصل الأمر للسلطان وهلم بغضب
الشعب ، أسرع السلطان فركب بنفسه وسار
حتى لحق بالشيخ ، وأخذ يلاطفه ويتزانه
حتى قبل أن يرجع إلى بيته على شرط أن ينزل
الأمراء على رأيه ، فقبل السلطان ، وعقد الشيخ
لمم سوقاً ، نودى عليهم فيه للبيع واحداً بعد
واحد ، وغالى في أثمانهم ، وقبضها بنفسه
وأنفقها في مصالح المسلمين ، وكان يوماً مشهوداً
وأمرأ عجبا .

إيمانه وغايته :

إن أخص خصائص الشخصية الإسلامية
الإيمان الحى العميق بالله رباً قادراً بيده
مقاييد السموات والأرض ، وبيده وحده
الضر والنفع : « قل اللهم مالك الملك توقى
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز
من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك
على كل شيء قدير ، (١) » ، وتصرخ في وجوه
المشركين مؤمنة بقوله تعالى : « وما قدروا
الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم
القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه
وتعالى عما يشركون ، (٢) » .

(١) يس - الآيات : ٧٨ - ٨٣ .

(٢) البقرة - الآية : ٢٨٥ .

(١) سورة آل عمران الآية ٢٦ .

(٢) سورة الزمر الآية ٦٧ .

طريقه ، فهو إنسان قد اتصلت بأه أسبابه :
 « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
 حيث لا يحتسب » (١) ، « ومن يتق الله
 يجعل له من أمره يسرا » (٢) ، « فمن كان
 يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
 بعبادة ربه أحدا » (٣) .

الحسيني أبو فرحة

عضو بعثة الأزهر بالجمهورية الصومالية

ولا يعرف شيئا لقيصر مع الله . بل الأمر
 كله في الدنيا والآخرة .

ألا وإن المسلم أقوى ما يكون وأشجع
 ما يكون . إذا فجرنا ينبوع الإيمان في نفسه
 وإن المسلم أنجح شخص في الوجود إذا ابقى
 بعمله وجه ربه . وإن قوة في الأرض كائنة
 ما كانت لا تستطيع أن تنهض لمواجهته إنسانا
 وبانبا وعبداد وحانيا . وإن التاريخ الإسلامي
 ليجد لنا عن غرائب وعجائب في هذا المضمار
 لا يقسم المقام لذكرها .

ذلك أن المؤمن وقد فجر ينبوع الإيمان
 في قلبه وأشرق نوره في نفسه قد اتصل بسر
 الوجود . يستمد منه قوته . ويستضيء به

(١) الطلاق الآية ٣، ٤ .

(٢) « الآية ٤ » .

(٣) الكهف الآية ١١٠ .

قال الهام زهير في الحث على الصبر وكان في سفينة غرقت ونجا بنفسه :

لا تعتب الدهر في خطب رماك به
 حاسب زمانك في حال تصرفه
 والله قد يجعل الأيام دائرة
 ورأس مالك وهي الروح قد سلطت
 ما كنت أول مفدوح بمحادثة
 إن استرد فقدا طالما وهبا
 تجده أعطاك أضعاف الذي سلبا
 فلا ترى راحة تبقى ولا تعبنا
 لا تأسفن شيء بعدها ذهبنا
 كذا مضى الدهر لا بدعا ولا عجبنا

قصة لسان العرب بين ابن منظور والخاري

للاستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي

أوسع القواميس الفرنسية العربية ، ضمنه كثيراً من المصطلحات العلمية والسياسية والطبية ، ويقع في أربعة أجزاء ، وطبع بالإسكندرية سنة ١٩٠٣ .

وأراد - رحمه الله أن يتخذ من « لسان العرب » لابن منظور قاموساً جديداً يعرف باسمه ورتبه ترتيباً يخالف ترتيب ابن منظور الذي وضعه له وهو المتضمن لهذين البيتين :

إذا رميت في القاموس ، كشفاً للفظه

فأخبرها للباب والبده للفصل

ولا تعتبر في بدئها وأخيرها مزيداً . ولكن اعتبارك بالأصل

فجعل البحث هو أول الكلمة وما يتلوها

من حروف كترتيب « المصباح » للعلامة

الفيومي و « مختار الصحاح » ترتيب المرحوم

« محمود خاطر بك » ، وتنفيذاً لهذا المشروع

اللغوي الضخم أحضر نسختين من « لسان

العرب » المذكور ، واستعمل مقصده فيهما إلى

أن وصل إلى « الجزء التاسع عشر » ثم انتقل

إلى « رحمة الله تعالى » وقد نجد « الجزء العشرون »

من حكم « الإعدام » لأن « لسان العرب »

يقع في عشرين جزءاً طبعه بولاق الأميرية

لأدولابن ، كما ذكر السيد « أبو طالب زيان »

نشر السيد الأستاذ « أبو طالب زيان »

بعدد فبراير - مارس ١٩٦٣ من مجلة « قافلة

الزيت » بحثاً مستفيضاً نفيساً بعنوان :

« المعاجم اللغوية في الحياة العربية » تناول

فيه الكلام عن المعاجم اللغوية ومؤلفيها

في عصورها المختلفة ، ولم يذكر في هذا البحث

كلمة أو إشارة عن معجم لغوي ظل أعواماً

طوالاً يترقب ظهوره علماء اللغة ومحبو البحث

والاطلاع ، وتساءلوا في الصحف العربية

والجالات عن السر في عدم طبعه إلى الآن ،

لأن مؤلفه من رجالات العلم واللغة والقانون

المعروفين ، وله شهرة واسعة بتأليف

« قاموسه الفرنسي العربي » ،

نحن نذكر في هذه الكلمة « السر في عدم

طبعه إلى الآن » ، وقد ظل غامضاً ولا يعرفه

أحد طوال هذه السنين .

العالم القانوني اللغوي المرحوم « محمد

نجاري بك » من كوم النجار محافظة الغربية

كان قاضياً بمحكمة إسكندرية المختلطة ، وعالماً

بالعلوم القضائية والقانونية بمصر .

وقد ألف قاموسه الفرنسي العربي ،

وعرف باسم « قاموس نجاري بك » ، وهو

في محله ، فقد سلطت المقص على نسختين من الكتاب الأصلي (لسان العرب) ، وقطعت المادة الواحدة أجزاء ، وألصقت تلك الأجزاء على ورق أبيض ، كل جزء في الموضع اللائق ، والحرف المناسب ، وكذلك فعلت فيما أخذت من القاموس .

* * *

وأم غاية للرحوم د نجارى بك ، ، والهدف الذى يرى إليه أن يكون قاموسه الجديد مرتباً على الحروف الهجائية لا وائل الكلمات دون أواخرها ، ليسكون على النظام المتبع في القواميس الغربية . ومع الأسف الشديد أن الغاية التى كان ينشدها ويتوخاها في قاموسه العربى الجديد ، وهى كل بجهوده ، لم نجدها متوافرة في د الملفات ، التى بحثناها وخصناها ؛ فمن ذلك :

١ — أن أوراق هذه د الملفات ، غير مرتبة على الطريقة الهجائية التى كان يتوخاها المؤلف في الترتيب .

ويظهر أن ذلك نشأ من كثرة تناول الأيدى التى عبثت بهذه الأوراق حتى أصبحت مدشوة ، وتتطلب مجهوداً كبيراً ، وزمناً طويلاً ، لترتيبها على الوجه الأكمل ، فإن الملف الخاص بحرف الكاف يشتمل على المواد الآتية بهذا الترتيب في الأوراق الملصوقة عليها :

في بحثه (ص ٣) ولعله يريد طبعة بيروت وبعد وفاته تقدمت د أسرة الفقيد ، بطلب إلى د دار الكتب المصرية ، تريد طبع هذا القاموس نظير مكافأة مالية ، فالتدبنا لمراجعة أوراقه وكتابة تقرير عنه .

فذهبنا إلى منزل الفقيد بحى المنيرة ، وفي غرفة بسطوح المنزل رأينا أكواما من الملفات مدشوة ، ومبعثرة هنا وهناك ، تعلموها الأتربة الناعمة الكثيرة ، وبعد فحصها بدقة وعناية ، ومراجعتها في عدة أسابيع ، وهى على هذا الوضع الشائن الذى قضى المرحوم د نجارى بك ، في عمله صنيين طويلة ، كتبنا هذا التقرير ، وكان السرفى عدم طبعه . وإلى القارى الكريم نصه حتى لا يتساءل باحث في عدم طبع هذا القاموس إلى الآن .

* * *

بعد بحثنا وفحصنا د الملفات ، التى تشتمل على أوراق د قاموس نجارى بك العربى ، ، وتبلغ نحو المائة والخمسين ملفاً ، وهى التى جمع فيها ما ورد في د لسان العرب ، لابن منظور ، بعد استعمال مقصه في نسختين مطبوعتين منه ، وتشتملت شمل مواده ، وتفريقها شذرمذر ، مضافاً إليها ما زاد من البلدان في د قاموس الفيروز آبادى ، ، كما قال المرحوم د نجارى بك ، في المقدمة التى وضعها لهذا القاموس ، ونص عبارته : كل شيء فيه أخذ بلفظه ، أو وضع

على غير نظام ، فتارة نراها منظمة ، ومرة نَجدها مقبولة .

* * *

فما بنشرها سنة ١٩١٧ ، ١٩١٨ - والآخر : « تصحيح القاموس » . وكتصحیحات العالم الجليل المرحوم الشيخ محمود مصطفى ، والعالم الجليل الشيخ محمد البليسي ، وقد توليا رئاسة التصحيح بمطبعة بولاق الأميرية ، وغيرهم .

(هـ) زاد المرحوم « نجارى » بخط يده فى بعض المفردات كلمات ولم يعين المصدر الذى استقاها منه ، ولكن بعد بحثنا وتحقيقنا وجدنا أنه نقلها من اللسان أو القاموس ، وكنا نظن أنه أضافها من غير هذين الكتابين لزيادة الفائدة وتعميم النفع .

(و) أغفل المرحوم « نجارى » فى قاموسه الجديد - مع إشارته فى المقدمة إلى أنه اقتصر على ما فى اللسان والقاموس - هملا ضرورياً وهو عدم إضافة المفردات اللغوية المبعثرة فى كتب اللغة ، وهى التى أهلها صاحب اللسان أو صاحب القاموس ، وكثيرة ما هى ، ليسكون قاموسه كاملاً ، وعمله مستوفياً .

(ز) عدم تنبيه المرحوم « نجارى » فى المقدمة على أنه : هل يعتبر الحرف المشدد بحرفين ، أم بحرف واحد .

(ح) لم ينبه أيضاً على أنه : هل يعتبر التاء المربوطة هاء أم تاء .

« الطريقة المثلى لإعادة طبع لسان العرب » : والطريقة المثلى فى نظرنا لإعادة طبع هذا

وبما هو جدير بالذكر أن المرحوم « نجارى بك » أغفل أشياء كان يجب ألا يتركها ، لأنها ماسة بقاموسه الجديد ، بل هى من الضروريات لإتمام عمله ؛ وهى : (أ) أنه أغفل جميع التصحيحات التى نبه عليها السادة الأساتذة مصححو مطبعة بولاق فى مواضعها بهوامش الطبعة التى سلط عليها مقصده .

(ب) أهمل جميع التصحيحات التى أشار إليها العلامة اللغوى المرحوم « إبراهيم اليازجى » ونشرها بمجلته « الضياء » فى حال حياته .

(ج) أهمل جميع التصحيحات التى نبه عليها علامة عصره ، وإمام زمانه فى اللغة والأدب المرحوم الشيخ محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطى بنسخته الخاصة المحفوظة بدار الكتب المصرية ، والتى أشار إليها بهوامش كتاب « النخوص » لابن سيدة .

(د) لم نجد للمرحوم « نجارى بك » أى تنبيه أو إشارة لما ورد فى اللسان أو القاموس من أخطاء ، وقد نبه عليها العالم اللغوى المحقق الجليل المرحوم « أحمد تيمور باشا » فى كتابين خاصين له أحدهما : « تصحيح لسان العرب » فى قسمين - وقد

وتحت يدنا - والله الحمد والشكر - الكثير من هذه الكلمات مكتوبة بخطنا في جزوات ، وقد ذكرنا بعضها في مؤلفنا : « أبو الفرج الأصمعي وكتابه الأغاني ، الذي نشرته دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥١ (ص ٣٧٢-٣٨٣) وبذلك ينشر للعلاء والمتأديين أوسع كتاب في اللغة وأكثره فائدة .

وقد علمنا أخيراً أن « المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطبع » ، بوزارة الثقافة والإرشاد القومي عازمة على إعادة طبعه ووزعت فعلاً بعض أجزائه على أفراد من ليست في بعضهم الخبرة التامة في التحقيق العلمي والبحث اللغوي ، والتصحيح الفني ، وهي الطامة الكبرى ، والجناية العظمى ، لإسناد مثل هذه الأعمال إلى غير أهلها .

ومع الأسف الشديد أن « لسان العرب » المذكور أعيد طبعه في بيروت في عدة أجزاء وهي مملوءة بالأغلاط ، والتعريفات ولم يراع في تحقيقه وتصحيحه الدقة والعناية ، وتوخى الصواب .

وبعد الاطلاع على المذكرة التي رفعناها إلى دار الكتب بشأن « قاموس نجارى العربى » ، والعيوب التي ذكرناها لم توافق على طبعه ، ولكن هذا هو السر في هدم طبعه ونشره . وعلمنا أن أسرة التفقيد تقدمت به إلى « المجمع اللغوى » ، لطبعه فلم يوافق أيضاً .

محمد هجر الجواد الأصمعي

الكتاب النفيس ، الجليل النفع ، العظيم الفائدة ، أن يطبع كما هو ، مع إضافة التصحيحات التي أشرنا إليها ؛ ويحسن أن يراعى « القسم الأدبي » ، الذي سيتولى تحقيقه وتصحيحه الملاحظات الآتية :

(أ) أن يتوخى فيه الترتيب الذي في طبعة كتاب « أساس البلاغة » ، للإمام اللغوى الجليل العلامة الزخشرى ، بأن توضع مواد في نهري .

(ب) أن يبتدىء كل معنى جديد في المادة بأول السطر .

(ج) ويحسن « بالقسم الأدبي » ، حين مباشرته لهذا العمل أن يجعل بين يديه كثيراً من كتب اللغة الأخرى الموثوق بها - مخطوطة ومطبوعة - ككتاب « المخصص » ، لابن سيده و « تاج العروس » في شرح القاموس ، للإمام اللغوى العلامة الزبيدي وكتب الأضداد في اللغة للأصمعي وابن الأنباري والسجستاني وابن السكيت والصاغاني وغيرهم ممن لهم رسائل خاصة في اللغة لا يعرفها إلا المشتغلون بالبحث والتحقيق ، وقليل ما هم .

(د) البحث عما نثر بين ثنايا صفحات كتب اللغة والأدب من الكلمات اللغوية المفردة التي أهلها صاحب اللسان أو صاحب القاموس كأمالي القالي ، والكامل للبردد ، والأغاني لابن الفرج الأصمعي وغيرها .

بين العالم الإسلامي وأوروبا حرية العقيدة في الإسلام للأستاذ حسن فتح الباب

- ٢ -

الجميع وكفلوا لهم حرية العقيدة . وعلى حين قاوم المسيحيون من الرومان دعوة الإسلام وبدأوا ياتَمرون به وبأهله ، وشنوا هليهما الحروب التعصبية ، ظل المسلمون على تسامحهم ، فالتمزوا في حربهم موقف الدفاع ، وحين انتصروا لم يكرهوا أعداءهم على الدخول في الإسلام ، عملا بأحكام القرآن في رعاية أهل الكتاب وكفالة حقوقهم ، وبوصية الرسول بالمعاهدين والذميين خيرا ، وما جاء بكتابه إلى المقوقس عظيم القبط من دعوة إلى الدين دون إلزام أو إكراه .

والشواهد التاريخية على ذلك في عهد الرسول وخلفائه لا تقف تحت حصر . فقد أقام المسلمون علاقات ودية حميدة مع المسيحيين من أهل الحبشة ولم يفكروا يوما - وهم في قمة انتصاراتهم - في التطلع إلى فتح هذه البلاد ، ذلك أنها لم تقف في وجه دعاتهم بل كفلت لهم حرية الرأي ، فحق على المسلمين احترام حريتها في العقيدة .

وقد بلغ من شأن كفالة الحقوق المدنية والاجتماعية والاقتصادية للذميين ما روى

شواهد من التاريخ السياسي للإسلام على كفالة حرية العقيدة للذميين :

ولقد اغتبط المسلمون بانتصار المسيحية التي يمثلها الروم بزعامه هرقل على المجوسية التي تمثلها الفرس بزعامه كسرى سنة ٦١٤ ميلادية ، ذلك أن المسيحيين أهل كتاب كالمسلمين . وقد ظلت خلة الإخاء بين أتباع محمد وأتباع عيسى وثيقة في حياة النبي رغم ما كان بين الفريقين من مجادلة ، على خلاف ما كان بين المسلمين واليهود من تمادى أول الأمر ثم عداوة استمرت بخيانة اليهود وانتهت بهزيمتهم ، ومصادق ذلك قوله تعالى :

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » .

وبرغم هدم لإقرار المسيحية بنبوة محمد كما يقر الإسلام بنبوة عيسى وعداوة اليهود للإسلام وخياناتهم له أحسن المسلمون معاملة

على الشرط وما كان بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم . . . وكذلك فعل أبو عبيدة في دمشق حين كان يتجهز للمروك . وكتب سويد بن مقرن قائد عمر لزياد وأهل دهمستان وسائر أهل جرجان في العام الثامن عشر للهجرة : « إن لكم الذمة وعلينا المنعة ، على أن عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حال ، ومن استعنا به منكم فله جزاؤه أى جزيته . . وكتب عتبة ابن فرقد عامل عمر لأهل أذربيجان : « ... ومن حشر منهم في سنة د أى جند ، وضع عنه جزاء تلك السنة . . وورد مثل ذلك في عهد سراقه عامل عمر لشهر براز : « ... أن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر نأى أو لم ينب رأه الوالى صلاحا ، على أن يوضع الجزاء من أجاب إلى ذلك .. فإن حشروا وضع ذلك عنهم . . وصالح الجراجمة قرب أنطاكية المسلمين « على أن يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح في جبل اللكام وألا يؤخذوا بالجزية . . وقد اطرده انتشار حرية العقيدة بانتشار الإسلام عبر العصور اللاحقة في السلم والحرب معاً ، وسمايتها المساواة بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات . وحفظ لنا التاريخ وثائق كثيرة تدل على تمسك حكام الإسلام وقواده بهذا المبدأ الإنساني العظيم ، وبلغ

عن الخليفة العادل عمر بن الخطاب حين رأى شيخاً يهودياً يتكفف الناس ، فسأله عن السبب فأجاب : « أسأل الجزية والحاجة والسنة . فقال عمر : « ما أنصفناك ، أكلنا شيببتك وتركناك عند الشيوخوخة ، وأمر بطرح جزيته ، وأن يصال من يبيت مال المسلمين هو و عياله . ومن ذلك قول سيف الله خالد بن الوليد في حديثه عن سياسته في الأقطار التي وفرف عليها علم الإسلام : « وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنياً فاقتقر ، وصار أهل دينه يتصدقون عليه - طرحت جزيته ، وعمل من بيت مال المسلمين هو و عياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام . . وكذلك ما كتبه هذا القائد الإسلامى العظيم إلى صلوبا ابن نسطونا وقومه حين أوغل في الفرات في شهر صفر من العام الثانى عشر للهجرة : « إنا عاهدكم على الجزية والمنعة ، وما منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا . . كما ورد هذا المبدأ أيضاً في رد الأمراء بأمر أبى عبيدة في حمص ما كانوا أخذوه من الجزية من أهلها وما إليها حين جلوا عنها ليتجمعوا لقتال الروم وقالوا لأهل البلاد : « إنهم رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجوع وأنكم قد اشتراطتم علينا أن نمنعكم وإنا لا نقدر على ذلك الآن ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم

الدينية التي وصمت جبين العالم وعوقته من تطوره حيناً من الزمن .

لا سلطان لرجال الدين على سائر الرعية . وقد عصم الإسلام من هذه البربرية عقيدته السمحة التي تجعل الدين لله وتحرم الوساطة بينه وبين الفرد ، فلا سلطان لرجال الدين على سائر الرعية ولا وصاية لهم على الناس : « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان » .

فلا إمام سوى العقل المتحرر بنور من الحق الذي بعث الله به أنبياءه هداة ومرشدين ولا رهبانية ولا كهانة في الإسلام ، ولا صكوك غفران ، وإنما صلة المرء بربه صلة خالصة تنبع من أعماق روحه بلا شريك ولا وسيط ، ومرد الأمر كله إلى الله : « بل لله الأمر جميعاً » .

هو الذي يجزى المرء بما كسبت يده ، والطاعة له سبحانه ورسوله ولأولى الأمر ما عملوا بأحكام الشريعة التي نزلت لصالح البشرية ، والدين عبادة لا وظيفه فلا عروش فيه ولا تيجان وإنما نظام يقوم على العدل والمساواة .

والمشتغلون بشئون الدين في الإسلام لهم ما لغيرهم من حقوق وعليهم مثل ما عليهم من التزامات ، ولا فضل للمخلوق على آخر إلا بالقوى ، بل إن الإسلام لم يعرف بين أهله فئة باسم رجال الدين ، وإنما عرف العلماء والمفسرين والمصلحين والقادة ، لأنه لا طبقة

من ذلك أن جحافل التتار حين غزت البلاد الإسلامية وأسرت كثيراً من المسلمين والنصارى ثم هزمها المسلمون في الشام ، وأسلم ملوكها ، طالب شيخ الإسلام ابن تيمية إمام العلماء في عصره أمير التتار قطلوشاه بإطلاق سراح الأسرى فسمح له بالمسلمين وأذن عليه أهل الذمة ، فقال له ابن تيمية : لا بد من اقتناك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا ولا ندع أسيراً من أهل الملّة ولا من أهل الذمة ، فأطلقهم .

وبفضل حرية العقيدة التي كفلها الإسلام كسب أنصاراً له في كل مكان ، وكانت هذه الحرية من أهم العوامل التي أسهمت في اقتضاره في جميع المعارك التي خاضها .

فقد كانت فتوحه السليمة في إقرار الحق والحرية والعدالة تسبق أنباء معاركه ، ومن ثم لم يجد أعداؤه استجابة وغيره من شعوبهم ، بل لقد مهد بعض هذه الشعوب لدخول المسلمين ديارهم لتخليصهم من طغيان حكامهم ورجال دينهم ، واستطاعت الدولة الإسلامية الناشئة في خلال فترة وجيزة من الزمن أن تقهر أقوى سلطتين سياسيتين معاصرتين لها وهما دولتا : الفرس والروم وأن تبسط سلطانها فيما بعد على معظم أرجاء العالم الذي كان قائماً في ذلك الحين .

وبفضل هذه الحرية الدينية لم يعرف الإسلام ، عبر تاريخه الطويل ، الحروب

بل إن المسجد هو منارة إشعاع للنكر والثقافة في شئون الدين والدنيا جميعا .

ومن خلال هذه الفطرة المتكاملة في الحرية والأحرار ونجت الأمة الإسلامية مما ابتليت به الأمم القديمة من تحكم الكهان واحتكارهم أرزاق العامة باسم الدين ، فقد استغلوا تهاويلهم ومسوحهم وطقوسهم للتضليل ، وخلعوا على أنفسهم صبغة القادة المتحدثين باسم الله والذين رفعت عنهم التكاليف ، واتبعهم الرعية في ضلالهم .

التعصب الديني في العصور الوسطى بأوروبا :

وعلى النقيض من هذه الحرية الدينية التي كفلها الإسلام ، كانت أوروبا في العصور الوسطى ، قد شن حكامها وكهانا حروبا دموية ضارية انغمست فيها شعوبهم طوال عدة قرون ، واستبيحت فيها باسم الدين ، والدين منها براء ، جميع المقدسات الإنسانية من حياة وحرية وكرامة وعدل . وعلى حين سجل المسلمون في الحروب الصليبية من صفحات القساخ والاروة والتمسك بأداب الفروسية الإسلامية النبيلة في معاملة الخصوم ما شهد به حتى غلاة أعدائهم ، ارتكب الصليبيون من المذابح ما سود صحائف التاريخ . وكانت تلك الحملات الوحشية التي شنتها أوروبا على الديار الإسلامية حروبا عدوانية استعمارية شعارها الجور

فيه ولا امتيازات ، فالكل في ظله سواسية ، وميزان التفضيل هو العمل الصالح .

على أن الإسلام يحجد الاشتغال بأمور الدين علما وتفقا لا صناعة وارتزاقا ، فالتفقه في الدين ليس حكرا على أحد ولا وقفا على جماعة بعينها . فالإسلام عقيدة وتفكير ، والعقيدة مناطها القلب ، والتفكير مناطه العقل ، ولا قوامه لبشر على قلوب الآخرين وعقولهم .

وقد كان علماء الدين في الإسلام من أهل الصنائع والحرف فلم يتخذوا عليهم مصدرا للتكسب والاحتراف أو ينصبوا من أنفسهم ولاية على الشعب . فإذا أسندت الدولة إليهم مناصب معينة تتفق ومؤهلاتهم الخلقية والعلمية ، فإن ما يتقاضونه من أجور عن هذه الوظائف العامة هو نظير لما يؤدونه للدولة من أعمال مثل الفتوى والقضاء والحسبة ، شأنهم في ذلك كسائر المسلمين العاملين .

وكان المسجد في الإسلام غير المعبد في الأديان أو المعتقدات الأخرى إذ ارتبطت به العبادة وتغافى فيه العابدون ، فلا قيام للدين والمتدين في غير هيكله ولا غنى لهاعنه . وجاء الإسلام ليحرر الناس من هذا الجود ، فالإنسان - لا المكان - هو وحدة الدين ، والله يُعبد في المسجد ويعبد في كل مكان ، فأينا تولوا فم وجه الله . والناس في حق العبادة مقساوون ولا يتوقف قبول شعائرهم على كهنه أو كهانة .

البروتستانتية في أوروبا ، وكم طارد الأباطرة من اختلف معهم في الدين وساقوهم إلى المجازر بلا شفقة مما يذكر بمطاردة الوثنية للمسيحية في عهدها الأول في الدولة الرومانية ، ثم انتشار المسيحية في أنحاء تلك الامبراطورية ومطاردة الامبراطور الخدي اعترفها للوثنية في المملكة وخارجها ، ولقد استمرت الاضطهادات الدينية في أوروبا منذ القرن الرابع عشر حتى القرن السادس عشر ومذبحة سانت بارتلي ، هي أبلغ دليل على ذلك .

ولم تنكأ أوروبا تنفس الصعداء من هذه الفوضى التي خاضتها في لجج من دماء ، وما أهل القرن السابع عشر حتى عادت المنازعات المذهبية من جديد ، فقام صراع دموي رهيب بين الملوك البروتستانت والملوك الكاثوليك بألمانيا استمر ثلاثين عاما فجلب الوبال على الشعوب وأهلك موارد وأصحابها بالانحلال والفاقة .

ولا شك أن مصدر تلك الصراعات الدينية التي عمت أوروبا في عهود الإقطاع هو طبيعة النظام الديني في تلك العهود ، فقد كانت الكنيسة هي القوامة على شئون الدين وجعل رجالها من أنفسهم أو صياد على الناس يرسمون لهم أقدارهم ومصائرهم على هواهم . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل جاوزت الكنيسة سلطتها الدينية إلى السلطة الزمنية فتأهت أصحابها ، وقامت زعامة دينية مقدسة في روما

والإكراه في الدين ، فلم يكن للمسلمين مناص من التصدي لها بالقوة دفا عما عن النفس وزوداً عن حرية العقيدة .

ومن الأمثلة الصارخة على إنكار حرية الإنسان في عقيدته ما فعلته أوروبا المسيحية بالاندلس بعد اندحار الحكم الإسلامي فيها ، فقد بلغ بها التعصب ضد الإسلام وأهله ما لم تشهد له الإنسانية مثيلاً في أشد العصور ظلاماً وممجية ، فلم يقف في سبيلها وازع من ضمير أو رادع مما اصطاح عليه البشر حتى في جاهليتهم من معاني الوفاء بالعهود والمواثيق ، ولا يكاد المرء يصدق ما أثبتته التاريخ من أعمال الكاثوليك السيف في رقاب قرابة ثلاثة ملايين من المسلمين تنكيلاً وانتقاماً ، ولم يبق من المسلمين على قيد الحياة إلا من قدرت له النجاة بالعودة إلى إفريقية ، ومن أذهله الهول والفرح فارتد عن دينه إلى دين العتاة المعذنين .

على أن أمر التعصب الديني ومصادرة حرية العقيدة لم يكن وفقاً على الحروب الصليبية والاسبانية ضد الإسلام ، بل شمل أوروبا المسيحية نفسها في العصر الوسيط ، فلم تفرق حاكم التفتيش في عقوباتها الوحشية بين المسلمين في الأندلس العربية وبين المسيحيين الذين لا يدينون بالمذهب الكاثوليك في أسبانيا وسائر الممالك

ودب بينهم الفساد وسادت الاطماع الدنيوية ثم عمت المجازر الدينية ، فولى السلام شعار المسيحية .

التساح في الدولة الإسلامية :

وغنى عن الذكر أن نبين ملاح الصورة المقابلة للدولة الإسلامية في تلك العصور ، وأبرز تلك الملاح والسمات المشرقة روح الإخاء والمودة والتكافل بين المسلمين بعضهم وبعض ، على اختلاف أصولهم وألوانهم وأوطانهم ، وروح التساح والالفة بينهم وبين أبناء العقائد والديانات الأخرى ، فلا تعصب ولا عنصرية ، ولا تمايز ولا أحقاد بل الكل في حق الحياة والحرية سواء تحت ظلال الشريعة السمحاء .

ويرجع الفضل فيما ساد العالم الإسلامي من وفاق استمر أحقابا طويلا إلى حرية العقيدة التي دعا إليها الإسلام ، وجعلها إحدى القيم الكبرى التي أرساها احتراماً للإنسانية البشر ، ورفعاً من أقدارهم وحماية لهم من الهوان ، ودفعاً لهم إلى المضى في سبيل التقدم وعمران الكون .

ولم تكن هذه الحرية مبدأ نظرياً تخسب بل كانت تطبيقاً عملياً في عهد رسول الحرية وخلفائه من بعده اهتماماً به المسلمون عبر العصور المختلفة ، وسلبت أجيالهم المتتابعة بعضها لبعض هذا المبدأ العظيم أمانة مقدسة لا سبيل إلى انتهاكها لأنها من رحي الله ،

نحل عمل سلطة القيصر الزمنية ، وتركزت السلطة الروحية في شخص البابا الذي لا يخطئ وسرعان ما دانت لسلطانه الديني الشعوب المجاورة وامتد نفوذه إلى بينة بعد ضعفها ثم زوالها ، وكان رجاله يقهزون خوف الناس من العقاب ورغبتهم في ثواب الآخرة ليؤكدوا سلطان الكنيسة الزماني ، فكانوا يفرضون ضريبة المشور لصالحها ويقررون العقوبة على المخالف لتعاليمها لا فارق في ذلك بين الأمير ورعيته ، ويحرمون من عطف الكنيسة من لا يرون في تصرفاته ما يتفق مع سياستهم ، كما يمنحون البركة ووسائل الصفح والغفران التي يتوجه بها صاحبها دون مناقشة أو حساب إلى جنات الخلد الغناء الفيحاء ١ .

وهكذا تأصل سلطان البابا وخضع له الأمراء ومن خلفهم من الملوك والعوادل بلا قيد ولا شرط ، وسار العالم المسيحي في طريق عمه هو لإرضاء الرب من طريق طاعة البابا روحياً وحكم الإمبراطور زهنيًا ودنيوياً ، هذا الإمبراطور الذي يستمد شرعية سلطته من الكنيسة ويحكم باسمها ونياية عنها ، وما لبث هذا التعاون أن انهار تحت معاول الانقسام والشحناء بين البابا والإمبراطور أو بين القوتين الروحية والزمنية وظل الصراع على السلطة بينهما طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، فضعفت سلطة الإمبراطور وفقد رجال الدين قوتهم المعنوية

والمجتمع « نصا خاصا للحرية الدينية بقوله :
« إن حرية العقيدة الدينية يجب أن تكون
لها قداستها في حياتنا الجديدة الحرة » .

ذلك أن هذه الحرية التي كفلها الإسلام
هي إحدى القيم الروحية التي وصفها الميثاق
في المادة التالية ، بقوله :

« إن القيم الروحية الخالدة التابعة من الأديان
قادرة على هداية الإنسان وعلى إضاءة حياته
بنور الإيمان وعلى منحه طاقات لا حدود
لها من أجل الخير والحق والمحبة » .

« ويؤكد الميثاق حرية الإنسان في عقيدته
بعد ذلك ، بقوله :

« إن الإقناع الحر هو القاعدة الصلبة
للإيمان ، والإيمان بغير الحرية هو التعصب ،
والتعصب هو الحاجز الذي يصد كل فكر جديد
ويترك أصحابه بمنأى عن التطور المتلاحق
الذي تدفعه جهود البشر في كل مكان » .

وها هي جمهوريتنا تفتح أبوابها - كما فعل
المسلمون من قبل - للعلماء الوافدين إليها
للإسهام في نهضتها الكبرى من أبناء الأمم
الأجنبية على اختلاف دياناتهم وعقائدهم
تيسر لهم في الرزق ما أقاموا - وتكفل لهم
الحرية الأساسية للإنسان ، لا تشترط عليهم
في ذلك إلا ما تطالب به أبنائها من احترام
سيادة الدولة والالتزام بأنظمتها وقوانينها
العامّة .

عسى تفتح الباب

ووثيقة حاسمة لا سبيل إلى نقضها لأنها من
صميم الرسالة الخالدة .

وكانت آيات الكتاب الكريم وتعاليم
الرسول ووصايا الخلفاء إلى ولائهم في خطبهم
ورسائلهم هي الضمانات الكفيلة بتحقيق
مبدأ حرية العقيدة لها لأحكامها من قدسية
في قلوب المسلمين وقوة إقناع في عقولهم .

وهي أن هذه الحرية شأنها شأن سائر
الحرّيات الإسلامية مشروطة بقيد لا مفر
من الالتزام به ، وخذ لا يغفل تخطيطه ، ذلك
أنه لا يوجد حق مطلق ولا حرية بغير حدود
ولمّا تكافؤ بين الحقوق والواجبات ، القيد
الذي يرد على الحرية الدينية هو ذاته الوارد
على غيرها بموجب أحكام الشريعة الإسلامية
ونفخ به احترام حقوق الآخرين وحرّياتهم
وعدم الخروج على نظام الدولة الإسلامية
وعقيدتها ، فالإسلام يضرب على يد العاشرين
بكيانه ، والمستغلين ما خلع عليهم من حرّيات
لتحقيق أطماع ذاتية وانتهاج سلوك يمس سلامة
المجتمع وآدابه العامة .

الميثاق وحرية العقيدة :

وفي ضوء القيم الإسلامية العليا التي تسير
عليها حكومتنا الشعبية الثورية ، سجل الميثاق
الوطني في كثير من مصادره استنكاره
للتعصب والإرهاب .

وأفرد في بابه السابع وحول الإنتاج

دولة الإسلام والعالم

على الحدود... بين دولتين وحضارتين

مناطق الحدود الإسلامية البيزنطية بين الإمبراطورية البيزنطية والامبراطورية الفارسية

للأستاذ فتيحي عثمان

مشارف الديار العربية على اختلاف أقطارها لحراسة أمة العرب من غارات المصدين . وكانت العراق قبل الفتح الإسلامي في مجال النفوذ الفارسي ، وكانت الهام قبل الفتح الإسلامي في مجال النفوذ البيزنطي ، وكانت الجزيرة ميدان قتال بين الجانبين ... ولكن الظروف الجغرافية كانت تتيح المنافذ الطبيعية للاتصال .

ودخلت العراق والجزيرة والشام في دولة الإسلام ، فاستقامت الحدود على مشارف الشمال ، تعزز الاتصال داخل المجال العربي الإسلامي وتعزز الاتصال بين هذا المجال والخارج ، كما تعزز الدفاع عن دولة الإسلام وحضارة الإسلام في مواجهة أي انقضاء من أرمينية ، أو عدوان من الروم البيزنطيين في آسيا الصغرى .

كتب ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ سنة ١٢٢٩ م) عن الموصل .

والمدينة المشهورة العظيمة ، إحدى قواعد بلاد الإسلام ، قليلة الظهير كبرا وعظما وكثرة خلق وسعة رقعة ، فهي يحيط رحال الركبان ،

في أخبار الفتوح الإسلامية نجد مؤرخنا الطبري (المتوفى سنة ٣١٠ هـ - ٩٣٢ م) ، يجعل ما روى عن مسير خالد بن الوليد من العراق إلى الشام وانتقاله من جهة الحرب مع الفرس إلى جهة الحرب ضد الروم ، فيقول في أخبار سنة ١٢ هـ (سنة ٦٣٣ م) : « كان أبو بكر رحمه الله قد عهد إلى خالد أن يأتي العراق من أسفل منها ، وإلى عياض بن غنم - أن يأتي العراق من فوقها ، وأيكما سبق إلى الحيرة فهو أمير على الحيرة ، فإذا اجتمعا بالحيرة إن شاء الله وقد فضضتا مسالح ما بين العرب وفارس وأمنتم أن يؤق المسلمون من خلفهم فليقم بالحيرة أحدهما وليقتحم الآخر على القوم ... ثم قصد خالد إلى الفراض ، والفراض تخوم الشام والعراق والجزيرة ، فأفطر بها رمضان في تلك السفرة التي اتصلت له فيها الغزوات والأيام ... » .

وهكذا رسمت الطبيعة وحدة المجال العربي ، ووحدة المصير العربي . . انتقال داخل ديار العرب بغير حدود ، وحدود طبيعية تقف على

والنصف الأول من القرن العاشر الميلادي) الثغور إلى بركة وبحرية وبرية بحرية، وقسم الثغور على الحدود الإسلامية البيزنطية إلى شامية وجزرية وبسكية نسبة إلى ديار بسكر ثم ثغر قايقلا في جهة الشمال، وكان بما قاله: «إن الثغور المقابلة لبلاد الروم: منها برية تلقاها بلاد العدو وتقاربها من جهة البحر، ومنها بحرية تلقاها وتواجهها من جهة البحر، ومنها ما يجتمع فيه الأسران وتقع المغازي في أهلها في البر والبحر، وهو اصم هذه الثغور وما وراءها من بلدان الإسلام وإنما سمي كل واحد منها حاصماً لأنه يعصم الثغر ويحده في أوقات النفير. وقد نقل ياقوت رأياً يعتبر حلب من ثغور الشام، ورجح أنها لم تكن تعد منها، على أن أهميتها الحربية ليست محل جدل، وبخاصة بعد أن صارت قاعدة دولة الحمدانيين الثغرية التي نشأت حول الموصل وامتدت إلى حلب، وبني سيف الدولة بحده في حلب بعد أن دخلها سنة ٨٣٣هـ، بينما ظل أخوه ناصر الدولة حفيظاً على تراث أسلافه من الحمدانيين في أرض الموصل، وقد هدد الرحالة الأندلسي ابن جبير (المتوفى سنة ٨٦٤هـ - ١٢١٧م)، شيئاً من أيجاد حلب، ومن ذلك قوله:

«فكم حاجت من كفاح، وسلت عليها من الصفاح، لها قلعة شهيرة الامتناع، بائة الارتفاع، معدومة الشبه والنظير في القلاع، تنزهت أن ترام أو تستطاع ...»

ومنها يقصد إلى أذربيجان وكثيراً ما سمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة: نيسابور لأنها باب الشرق ودمشق لأنها باب الغرب والموصل لأن القاصد إلى الجبهة ين قل ما لا يمر بها، قالوا: وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل وصلت بين دجلة والفرات، وقيل لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة. وكتب الاصطخري (المتوفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري) عن حلب: «عاصمة بالأهل جداً، على مدرج طريق العراق إلى الثغور وسائر الشامات ...». وهكذا امتد الخط بين الموصل وحلب، أو ما بين الجزيرة والشام، وكان يليه إلى الإمام منطقة عرفت في تاريخ النظم الإدارية والحربية بمنطقة الثغور والعواصم، كان منها ما يلي الجزيرة في شمالي العراق فسمى بالثغور الجزيرة وكان منها ما يلي الشام فسمى بالثغور الشامية. ويعرف ياقوت الثغر بأنه «كل موضع قريب من أرض العدو، كأنه مأخوذ من الثغرة، وهي الفرجة في الحائط - ومنه ثغر الشام وجمعه ثغور وهو يجمع بلاداً كثيرة... ومرهش من ثغور الجزيرة، وأما العواصم فيذكر عنها ياقوت أنها جمع حاصم وهو المانع والعواصم حصون موانع. وقد قسم قدامة بن جعفر (المتوفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري،

الحدود مع تركيا والحدود السورية تتأرجح باطراد نحو الجنوب ... وكان معنى هذا ضياع قيلية لتركيا ثم إضافة مدن كلس وعنتساب وماردين إلى تركيا ، كلها مدف عربية صميعة كان تاريخها منذ الدولتين الأموية والعباسية تاريخ (الثغور) العربية ، أى بمعنى آخر كان نتيجة هذا اقتطاع الظهير الاستبسى التجارى والهنترلاند (الظهير) الطبيعى لمدينة حلب ، فأصبح رأساً بلا جسم ، ووضع منابع نهرها (نهر قويق) الذى يغذيها بمياه الشرب والرى تحت رحمة الأتراك الذين لم يلبثوا أن حولوه عنها تماماً لرى أراضهم ، كذلك أصبح موقع حلب الاستراتيجى هامشياً خطراً سلبها عنصر (العمق فى الدفاع) ، لهذا أخذت تذوى وتتوقف عن النمو ، يضاف إلى هذا أن الحد السياسى الجديد مفتعل يعتمد على القبائل الرهوية التى تتحرك باستمرار عبرها فى مجالاتها القبلية التقليدية مما يخلق مشاكل وحوادث الحدود المزممة ، وفوق كل هذا أصبح الخط الحديدى حلب نصيبين فى حدود تركيا ، مما عزل (الجزيرة) بإنتاجها وفائضها الحبوبى الثقيل عن منافذ الساحل وأسواق الأكيومين Oekumene السورى الحقيقى ، ولقد أدى ضياع الخط الحديدى السابق إلى ضرورة إنشاء خط جديد

ومسكذا قام الاتصال الطبيعى بين أرجاء ديار العرب ، كما قامت حماية طبيعية تمثل خطاً يميزاً ليس فقط فى مجالات الحرب ، بل أيضاً فى مجالات الحضارة :

د فالإقليم واضح التحديد عما جاوره ، بفضل تطويق أنواع ثلاثة قوية من الحدود الطبيعية : البحر شمالاً وجنوباً ، والصحراء جنوباً ، والجبال (خط زاجروس طوروس) شمالاً وشرقاً ... فهنا فضل الجبال واضح فى فصل الحضارات والأجناس واللغات الإيرانية والتركية عن الإقليم رغم بعض التسرّبات الهامشية الثانوية ، فهذه كانت بحق للعالم العربى (سور العرب العظيم) الطبيعى ... والتجانس القاعدى جنسياً ولغوياً ودينياً هو قانون التركيب الداخلى فى العالم العربى ، أما الشذوذ الحقيقى فهو الأقليات الدخيلة ، ولكنها لا تمثل إلا نسبة هدية محدودة ...

د والحد الطبيعى الفيزيوجرافى والتاريخى البشرى لسوريا هو جبال طوروس الحاجز الفاصل الحقيقى بين القومية العربية والقومية التركية (دولة الروم البيزنطيين قبل الفتح العثمانى) ، وكل المدن التركية الحالية جنوب طوروس تحمل أسماء عربية أصيلة ، ولقد كانت (سوريا الطبيعية) تشمل تاريخياً قيلية وأطنة وأذنة ، ومرسين ، واعترف الحلفاء بتلك الحقيقة فى معاهدة سايكس بيكو السرية سنة ١٩١٥ ، ولكن منذ تخطيط

إن المنطقة أعلى الشام والفرات أهمية تاريخية حضارية من قديم ، فقد شهدت الدول والحضارات التي قامت على شواطئ بين النهرين (دجلة والفرات) أو على شاطئ البحر المتوسط ، وشهدت العلاقات العلية والعداية بين تلك الدول . وتاريخ هذه العلاقات يؤلف قصة طويلة مثيرة : من أبطالها ميثاني وخيمتا ، وبابل وآشور ، وفينيقيا ومصر ، وميديا وبارثيا وفارس ، والإغريق والرومان ... إلى آخر الدول التي كانت لها علاقات ومصالح في تلك الديار التي تسمى الآن بالشرق الأوسط ، والتي كان لها في الحضارة تاريخ هريق ...

فهذه المنطقة تشغل موقعا هاما من الطرق الطبيعية من برية ونهرية وبحرية :

فمن الفرات مثلا يفتح أمامها طريقا إلى الخليج الفارسي فالمحيط الهندي والشرق الأقصى ، والبحر المتوسط - وهو منها غير بعيد - يصلها بإفريقية وأوربا ، والطرق البرية تكون شبكة تربط بين المنطقة وبين سائر ديار الشام في مصر ، كما تربط بينها وبين الجزيرة في العراق وإيران ، وتربط بينها كذلك وبين أرمينية ، ثم تربط بينها أخيراً وبين آسيا الصغرى في أوربا وبلاد البحر الأسود .

فلما جاء الإسلام كانت هذه المنطقة تتأرجح بين قوتين عالميتين كبيرتين : الامبراطورية

في مشاريع التنمية الاقتصادية السورية الأخيرة ، كما أن توغل الحدود جنوباً لمصلحة تركيا التي تحتفظ بقاعدة جوية ضخمة في ديار بكر يهدد بإمكان عزل الجزيرة عن النواة النووية في حالات الخطر ، ثم في سنة ١٩٢٢ جاء اغتصاب لواء الإسكندرونة ، وكان معناه سلب نافذة مدينة حلب بعد أن سلب ظهرها من قبل وزيادة تهديد المدينة عسكرياً بهذا الإصفيين المتآخمين على بوابة سوريا الشمالية لاسيما مع وجود قاعدة أطلنة (أذنة) الجوية من قرب ، كذلك كان معنى سلب الإسكندرونة ضياع المارد الطبيعية لمساحة تناهز نصف مساحة لبنان غنية بالمعادن خاصة الكروم والبتروول ومن أرطب أجزاء سوريا التي تشكو عدم كفاية المياه ومن ثم ضياع أغنى أجزائها بالإنتاج الزراعي ، هذا هد ربع مليون نسمة أغلبتهم العظمى من العرب تماما ، أضف إلى هذا ضياع الميناء الطبيعي لسوريا الشمالية التي تعاني أصلاً من تعمقها شرقاً وبعدها الساحل ...

وكان مفروضاً أن يعطى لواء الموصل لفرنسا - أي لسوريا - حسب معاهدة سايكس بيكو السرية سنة ١٩١٥ ، ولكن انجلترا أصرت على ضمه للعراق لتستحوذ هي على بتروله ، كما أن تركيا كانت تطالب به على أساس أقلية التركية ...^(١)

(١) دكتور جمال حمدان : دراسات في العالم العربي .

عام ، ولثغورهم الغنامية والجزرية التي تطل على
هدوم العنيد - الدولة البيزنطية بوجه خاص .
ولم يكن هذا النظام ليتولد في يوم وليلة
بل لابد من أن يبلغ الكتاب أجله . ومن هنا
سار هذا النظام في عدة أطوار ، وحين نضج
أضحت هذه المنطقة فوارة بالحياة . والحياة
فيها ليست في تحركات فيالق الجند ومعدات
الحرب فحسب ، بل كان لها حياتها المتكاملة
التي تؤدي فيها دورها الحضارى الإنسانى
بحكم موقعها الهام بالنسبة لطرق التجارة العالمية
وبحكم مركزها الحساس فى الاتصال الحضارى .

وقعت بلاد النهرين (دجلة والفرات)
كما وقعت بلاد الشام فى نطاق المجال العربى
قبل الإسلام بكثير . وقد أورد الهمداني
فى (صفة جزيرة العرب) شعراً قديماً
لبعض آل أسعد بن ملكيكمرب تقبى منازل
من غادر (الوطن الأم) من العرب ومنازحهم
التي نزحوا إليها :

وغسان حى عزم فى سيوفهم
كرام المساعى قدحوا أرض قيصر
وقد نزلت منا قضاة منازل
بعيداً فأمتست فى بلاد الصنوبر
وكلب لها ما بين رملة عاج
إلى الحرة الرجلاء من أرض تدمر

الفارسية الساسانية والامبراطورية الرومانية
البيزنطية ، ولكل من هاتين الامبراطوريتين
فى تنظيم مناطق الحدود وحمايتها خبرات
واساليب ، وقد شهدت منطقة أعلى الشام
والجزيرة ، علاوة على أرمينية - صراع
الامبراطوريتين الكبيرتين على السيادة العالمية
وكان للعرب قبل الإسلام دورهم فى حماية
حدود كل من الامبراطوريتين ، فقامت إمارتا
اللخميين والغساسنة كنوع من دويلات
الأطراف أو التخوم أو الدويلات الحاجزة
• Buffer States

واستطاع المسلمون أن يصفوا حسابهم
مع الامبراطورية الساسانية فى زمن وجيز ،
كما استطاعوا أن يأخذوا من الامبراطورية
البيزنطية الشيء الكثير ، ولكنها استطاعت
أن تثبت فى عقر دارها طويلاً ، وترد
عن نفسها النوازل ، بل وتباشر الهجوم .
وكان بين أبندى العرب فى سالف علاقاتهم
مع الفرس والروم سوابق ، كما وجدوا
فى الإدارة الحربية الساسانية والبيزنطية تجارب
وحفزهم إلى الوقوف دائماً على أهبة الاستعداد
تربص البيزنطيين بهم ، فضلاً عن ظروف
دولتهم التي امتدت أطرافها وتعددت رعاياها
مما استتبع بطبيعة الأمر من خلافات
وانتفاضات ... كل هذه العوامل تفاعلت
للتستبظ للسليين نظاماً لمناطق الحدود بوجه

ولحم وكانت بالعراق ملوكها
وقد طهرت عدنان في كل مطهر
وحلت جذام حيث حلت وشاركت
هنالك لحما في العلا والتجبر
ومن هنا جاء الإسلام إلى بلاد النهرين
فوجد العرب في أدناها وأعلاها ، وكانت
ديار ربيعة ومضر وبكر تحمل أسماء القبائل
العربية التي نزلت الجزيرة في أعلى العراق -
قبل الإسلام ، وكانت الموصل على دجلة أجل
مدن ديار ربيعة ، والرقعة على الفرات قاعدة
ديار مضر ، وآمد في أعلى دجلة أكبر مدن
ديار بكر التي هي أقصى الديار الثلاثة شمالا
وكان بنو تغلب قد نزلوا في الجزيرة أيضا
كأجاء الإسلام إلى الشام فوجد العرب في كل
مكان ، وفي شمال الشام نزلوا وهم في خيم
الشعر ، ثم ابتنوا به المنازل ...
وكان بقرب مدينة حلب حاضر يجمع
أصنافا من العرب من تنوخ وغيرهم ... ،
كما يروى البلاذري . وهكذا كان للرجال
العربي نطاقا بشريا بجانب حدوده الطبيعية
منذ أمد بعيد ، وامتد العرب إلى هذه
الأعراف الحساسة في خريطة العالم في ذلك
الوقت على مشارف طرق المواصلات وقوى
السياسة الكبرى . وقد ذكر شابو Chapot
أن الأقليم المقسع المسمى Cyrrhestique
قاعدته Cyrrhus قورس عند العرب ، كان

يمتد ما بين الفرات وأنطاكية ، وكانت
قورس تشرف على الطرق ما بين العراق
والجزيرة وما بين أنطاكية وحلب ، كما كانت
خط دفاع أمانى عن حلب وأنطاكية ومركزاً
للفيلق الرومانى العاشر Fretensis . وقد
كانت قورس جزءاً من جند قنسرين عند
الفتح الإسلامى ، وأورد البلاذري في أخبار
الفتوح أنها كانت كالمساحة لأنطاكية بآتيها
كل عام طالعة من جندها ومقاتلتها . وذكر
تشارلسورت Charlesworth أن الطرق
كانت تنبعث في عصر الامبراطورية الرومانية
من أنطاكية في جميع الاتجاهات : غربا
إلى قيليقية (كيليكيا) ثم تستمر إلى بزنطة ،
وشرقا إلى تدمر والفرات ، وشمالا إلى معابر
الفرات الهامة مثل سيمساط ، كما كانت أنطاكية
ترتبط بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق
نهرها سلوقية دسليوكيا .
وقد كان لإقليم الجزيرة بجانب إقليم أنطاكية
يكونان مجالا ممتازاً للحشود العسكرية ،
ويتميز بمواصلات ميسرة في شتى الاتجاهات .
ويرجع فيرجريف أهمية أنطاكية بالنسبة
للطرق البرية على أهميتها البحرية . وكان
الدفاع الرومانى فالبيزنطى في هذه المنطقة
يعتمد على القوات المتحركة المدربة أكثر من
اعتماده على المعاقل المحصنة . (يتبع)

فوضى عثمان

الفكر في الإسلام

للأستاذ عباس طه

به الأمور على ما هي عليه في الواقع .
نخاضة العقل بحكم وظيفتها في التفرقة بين
الأمور الفاضلة وغير الفاضلة والشئون
النافعة والضارة في حاجة ماسة إلى المقومات
الذاتية والمقومات الخارجية . فالمقومات
الذاتية المعارف على جميع ضروبها ،
والتجارب على اختلاف مواضعها لأن العقل
الحاوي من العلم والمجرد من التجارب يتعقل
الأشياء تعقلاً ساذجاً ، ويميز بين الحسن
والقبيح تمييزاً سطحياً ولكن أيسطيع
أن يفرق بين حق وباطل أو بين حسن
وقبيح تفرقة صحيحة ؟

إذا كان ذلك ممكناً لما اختلف الناس ،
في عقائدهم وشرائعهم ومبادئهم على النحو
الذي هم عليه اليوم . لذلك عفى الإسلام
بأمر المقومات العقلية بنوعها كل العناية
بقدر ما عني بنصب العقل حكماً بين ما هو
حق وباطل ، وحسن وقبيح ، وخير وشر .
فأما من ماحية المقومات الذاتية فقد حث
على وجوب طلب العلم فقال تعالى : « وقل
رب زدني علماً » ، وعلل هذه العناية منه
بوجوب طلب العلم بأن العلم يوجد لأهله
مزايا يتجرد منها المحرومون منه ، وهو يريد

الإنسان محمول بفطرته إلى اتخاذ عقائد
دينية له ، وهذه العقائد يتناولها أكثر
المتدينين من آياتهم وقادة أديانهم من طريق
التقليد بدون نقد ولا تمحيص . ولكن
الإسلام حرم على أهله هذا الضرب
من توارث العقائد ، فشرط أن يكون أساسها
العقل وسنادها الدليل .

وهذا ما لا عهد للإنسانية به إلا في العلوم
السكونية بعد الإصلاح الخطير الذي أحدثه
فيها العالم الانجليزي الكبير « بيكون »
في القرن السابع عشر فخرجت المعارف
الإنسانية بهذه الوسيلة من حيز الظنيات
إلى حيز اليقنيات فما أحدثه هذا العبقرى
الانجليزي من التحصيل في مجال المعارف
المادية سبقه الإسلام إليه بأكثر من ألف سنة
في عالم المعتقدات الدينية . فليس على مسلم
بموجب الأصل الإسلامي أن يتناول عقيدة
دون أن يعقلها ويدلل عليها حتى साخ لأصحاب
الأصول من المسلمين أن يقرروا أن إيمان
المقلد لا يقبل منه ، لأن العقل في ذاته
وإن كان خاصة طبيعية من صفاته التميز
بين الحق والباطل والحسن والقبيح ولكنه
في حاجة إلى نور يستمد من الخارج تظهر له

وكرر سبحانه ذلك في عشرات الآيات .
 وورد في الأحاديث النبوية تحضيض
 شديد على التفكير ، حتى جعله النبي صلى الله
 عليه وسلم خير ضروب العبادة فقال : « ففكر
 ساهة خير من عبادة سنة » .

وقد شفع الإسلام هذا التحضيض على
 التفكير ببيان النواحي التي يجب توجيه الفكر
 إليها وهي :

١ - الوجود في جلته ، فقال تعالى
 « قل انظروا ماذا في السموات والأرض ،
 وكأين من آية في السموات والأرض
 يرون عليها وهم عنها معرضون » .
 « أفلم ينظروا في ملكوت السموات
 والأرض وما خلق الله من شيء » .

٢ - الكائنات الأرضية من جمادية
 ونباتية وحيوانية ، والتأمل في صورها
 وأشكالها وطبائعها وأسرار وجودها . قال الله
 تعالى : « فلينظر الإنسان إلى طعامه » ، أنا
 صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شققاً .
 فأنبثنا فيها حبا وعنباً وقضباً . (أى رطباً)
 وزيتونا ونخلًا . وحدائق غلبا . (أى ذات
 أشجار غليظة) وفاكهة وأبا . متاعا لكم
 ولأنعامكم ، . وقال : « وهو الذي أنزل
 من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء ،
 فأخرجنا منه خضرًا نخرج منه حباً متراكباً
 ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات

أن يكون للآخذين به جميع المزايا التي يمكن
 أن يتمتع البشر بها فقال تعالى : « هل يستوى
 الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، وصرح
 بأن بين المؤمن الجاهل والمؤمن العالم درجات
 فقال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم
 والذين أوتوا العلم درجات » ، قال البيضاوي
 « يرفع الله الذين آمنوا منكم » ، بالنصر
 وحسن الذكر في الدنيا ، وإبرائهم في غرف
 الجنان في الآخرة « والذين أوتوا العلم
 درجات » ، ويرفع العلماء منهم خاصة درجات
 بما جمعوا من العلم والعمل . فإن العلم مع هلو
 درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة .
 ولذلك يقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى
 بغيره . وفي الحديث : « فضل العالم
 على العابد كفضل القمر ليلة البدر على
 سائر الكواكب » .

نقول : وقد قدر ابن عباس رضي الله عنه
 هذه الدرجات بسبعين درجة .

وقد حض الإسلام ذويه أيضا على إجابة
 الفكر في الأمور وتناولها بالبحث والتقدير
 وحشم على النظر في الكون والكائنات
 وتنور أسرارها واستكناه مسائرها ،
 واعتبر ذلك أفضل من العبادة بالجوارح
 فقال تعالى : « ويتفكرون في خلق السموات
 والأرض » ، وقال « إن في ذلك لآيات لقوم
 يتفكرون » ، « إن في ذلك لآيات لأولي النهى » ،

فلا تؤخذ بظاهر خلاف ، ولا عرض فائق
فإذا أرادت الحكم على الأشياء ردها عن
الانخداع بالظواهر ما تمرست به من النفوذ
إلى السرائر ، والغوص لاستخراج دقائق
الحقائق .

ولم يكتف الإسلام بهذا من مقومات العقل
فدفع بالآخذين به إلى مخالطة الأمم ، ومعاملة
الشعوب ، وحفزهم إلى التجوال في الأرض ،
والضرب في أكنافها ، ودراسة أحوال
الجماعات الإنسانية ، والنظر في شئونها ،
من قوة وضعف ، وعزة وذلة ، وارتقاء
وجحود ، والبحث عن أسباب ذلك وعالله ،
من أمورها الراهنة ، وتاريخها القديم ،
وتقدير ذلك بالمعايير العلمية ، وقياسها
بالمقاييس الحكيمة ، قال تعالى : « أو لم يسيروا
في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم ، كانوا أشد منهم قوة وأثاروا
الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ، وجاءتهم
رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن
كانوا أنفسهم يظلمون » . وقال : « قل يسروا في
الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين » .
وصرح جل وعز بأن ثمرة هذه السياحات
إزالة ما على القلوب من ظلمات الجهالة ، وما
على العقول من غاشيات الغباوة ، وما علق
بالنفس من ران العماية ، قال تعالى : « أقلم
يسروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون

من أعتاب ، والزيتون والرمث مشقها وغير
متشابه ، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ،
إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » . وقال
« أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت .
وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف
نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت ، الخ .
٣ — الإنسان ، تكونه في الرحم
وميلاده وأطواره وأحواله ونفسه ، قال
تعالى : « وفي الأرض آيات للموقنين ،
وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ، وقال : « وهو
الذي أنشأكم من نفس واحدة فستقر
ومستودع ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ،
وقال : فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من
ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب ،
وقال : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من
طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين .
ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ،
فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ،
ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن
الخالقين » .

فهذا ومثاته أمثاله في الكتاب الكريم
يوقظ في النفس غريزة النظر فيما بين يديها
وما خلفها ، ويشير فيها رغبة ملحة للكشف
المساتير واستجلاء غوامض الخلق ، فنجد
فيها مادة العقل غذاء لها يبلغها غاية ما تصل
إليه من قوة التحليل والتركيب ، للعقولات

عن عوامل التجرد الجسدى والأدبى التى تعترى الذين يكرهون الحركات الجسمية ، ويأفنون تمضية حياتهم بين جدران دورهم ومعايهم . فإذا كان القصد من الدين تكميل الإنسان حساً ومعنى ، فهذه سبيل التكميل وهذه أساليبه ، هدى إليها البشر من طريق العمل ، ونزل بها الوحي الإلهى قبل عصر العلم على خاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم .

يقول خصوم الإسلام : إن الإسلام دين مادي يحض على العمل ، وعلى الضرب فى الأرض ، وعلى كسب المال ، وعلى الفتوح والتوسع فى الأرض ، وغاب عنهم أن الإسلام دين أوحى ليعتقده ، لا ليعتقه ، ويلقى به فى زاوية باعتبار أنه لا يمكن القيام عليه .

ومارقى الإسلام من كل ذلك إلا لتحثك الناحية الأدبية من الإنسان بكل ما يمكن أن يصقلها ، ويستصفي جوهرها ، بتورطها فى مضائق الحياة ومآزمها ، وتمرسها بأحداثها وجوانحها ، فإذا اجتازت كل هذه القواطع خرجت منها مستكملة جميع الشرائط الصحية حاصلة على جميع خصائصها الطبيعية ناضجة فضوجاً يؤهلها لبلوغ جميع غاياتها الروحية .

عباس ط

بها أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور . لم يدع الإسلام هدفاً من أهداف النظر ، ولا موضعاً من مواضع الاستبصار ، ولا عاملاً مما يوقظ غريزة التأمل ، ويذنبه خاصة التفهم إلا دعاء إليها واستنفض الهمم للتنافس فيها ، كل ذلك منه ليطوف بالعقل فى جميع أدوار التربية والنحو فيبلغه النضوج الذى يصبح معه قادراً على الحكم على ما هو حق وما هو باطل ، وما هو حسن وما هو قبيح ، حكماً يكون هو الصواب كله أو قريباً منه .

والذى يلتصق وصايا الإسلام وتعاليمه بجده لم يهمل وجهاً من وجوه تربية الإنسان هذه التربية الأدبية إلا نبه ذويه إليه ، وحضهم عليه ، حتى ما يتوهم بعض الناس أنه لاهلافة له بها ، كالرياضة البدنية ، من المصارعة ، والمصاربة بالسيف ، والسباحة ، والمصاربة على الخيل مما قد يدفع بعض خصوم الإسلام أن يقولوا : ما لهذه الألعاب والدين الذى يستدعى الوقار وحسن السمات والخشوع ؟ ويفيب عنهم أن هذه الرياضات التى يسمونها الألعاب لا تنافى الوقار والسمات الحسن والخشوع ولا أرقى مظاهر التقوى ، ولكنها تعين عليها بفهم وتمقل وحنين صادق بما توجده للجسم من الصحة الكاملة ، وما تقتضيه من مراس عقل وتدبير فكري ، وخروج

مَا يَقْبَلُ الْعَزَلُ إِلَّا سِلَاحَهُ

دراسة للإسلام المعاصر على الساحل الغربي للقارة الإفريقية للدكتور عباس محمود العقاد

A STUDY IN CONTEMPORARY ISLAM
ON THE WEST AFRICAN COAST

والباب الثاني يجعل تاريخ الطائفة الأحمدية منذ نشأتها بالهند في أواخر القرن التاسع عشر، ويتتبع أدوار نشأتها إلى أن قام بالامر في الطائفة د. محمود أحمد، ابن صاحب الدعوة غلام أحمد القادياني، فانقسمت الطائفة قسمين أحدهما المشهور باسم جماعة لاهور وهو يقترب شيئاً فشيئاً من عقائد أهل السنة ويفارق شيئاً فشيئاً بعض الدعوات التي خالفت عقائد أهل السنة عند نشأة الطائفة، والقسم الآخر هو الذي تولى الدعوة بين الوثنيين من أهل إفريقيا، ورسم لتلك الدعوة خطة للتودد إلى القبائل الوثنية، وسماها بخطة الجهاد السلي، محاولاً بها أن يجتنب كل غرابة ظاهرة تنفر الوثنيين وتوقع في نفوسهم أن الدين الجديد يعاديهم وينفصل عنهم كما ينفصلون عنه،

دراسة للإسلام المعاصر على الساحل الغربي للقارة الإفريقية، موضوع كتاب ألفه الأستاذ همفري فيشر، وخص الكلام فيه بالطائفة الأحمدية، التي يظهر من ثنايا فصول الكتاب أنه على خبرة وافرة بشؤونها حيث يقيم المنقسمون إلى هذه الطائفة في الهند وفي الديار الإفريقية.

وقد بدأ الكتاب بفصل عن خصائص الإسلام وخصائص الوثنية التي تساكنه على رقعة واحدة من القارة الإفريقية، وأدار مباحثه على أربعة أبواب: الباب الأول منها يشرح فيه العقائد الإسلامية عامة ويتناول بالشرح نواحيها الخاصة حيث تتصل بالشعوب الوثنية مؤثرة فيها أو متأثرة بها، على نحو يخالف بعض المخالفة مراسم العبادة وأشكالها في الأقطار الأخرى.

الذين يقدمون إلى البلاد وهم لا يعرفون جانب القوة في الدعوة الإسلامية هناك كانوا يسألون زملاءهم : ما هو الجانب الحسن في هذه الدعوة ؟ فيقال لهم : إنه الإيمان بالتوحيد ، وإقامة الصلوات العامة ، ورعاية الصيام في موعد من السنة .

ويذكر المؤلف أن رعاية شهر الصيام قد تغفلت في تقاليد القوم حتى أصبح الوثنيون يتجنبون القتال فيما بينهم خلال شهر رمضان ويعتبرونه شهراً حراماً لا يجوز فيه حمل السلاح ضد الأعداء ، ولو لإدراك الثأر ورد العدوان القديم بمثله .

وفي المسائل التي تيسر التلاقى عليها بين الوثنيين والدعاة إلى الدين الجديد مسألة القرائيل الدينية في الأذكار العامة فإن الإفريقي معروف بمحبته للفناء وارتياحه إلى الهافل التي يترنم فيها بالألحان والأهازيج ، فاستعان الدعاة بعبادات القوم المطبوعة في عباداتهم الموروثة على اجتذابهم إلى عافى الذكر التي يرتلون فيها الأناشيد ويذكرون فيها اسم الله وصلوات الحد والدعاء بدلاً من عبارات السحر والطلاسم التي حفظوها من كهانهم عبدة الأصنام والأرواح والشياطين .

وترخص الدعاة مع أبناء القبائل في عادات التضحية والتقدم بالقرابين من الحيوان والثمار إلى معابد الوثنية ، ولكنهم يجتهدون

بغير أمل في التغامم والتقارب بين الطرفين وذلك في حدود المحافظة على جوهر العقيدة الإسلامية والترخص ببعض الشيء في قشور المظاهر وأشكالها .

والبابان الثالث والرابع يشتملان على خلاصة تاريخية للأعمال التي قام بها المبشرون بدعوة الطائفة ثم قام بها ولاية الأمر لتوطيد الحكم الإسلامى وتنظيم الحياة الاجتماعية بين القبائل التي تحولت عن الوثنية .

والمفهوم من جملة هذه الأبواب أن الدعوة نجحت في توحيد الشعائر الاجتماعية العامة ، وهي صلوات الجماعة والأعياد وصيام شهر رمضان وأداء فريضة الحج بالتعاون بين القادرين عليها والعاجزين عنها .

فالصلوات الجامعة يشترك في أدائها جمهرة المسلمين من الدعاة أو المتحولين عن العبادات الوثنية ، وتزدحم المساجد الكبرى بالمصلين أحياناً حتى تمتد صفوفهم إلى الطرقات والأسواق حول تلك المساجد الكبرى .

وصلوات الأعياد - خاصة - يذكر لها أثر بليغ في تهذيب الحكم وإصلاح أداة الحكومة ؛ لأنها المناسبة التي يقف فيها كم أمام الله وأمام الشعب ، ويمجد عهده على البر والتقوى وتوثيق عرى المودة بين الرعاة والرعايا .

ويقول المؤلف - نقلاً عن مصادر التبشير التابعة للكنيسة الكاثوليكية - إن المبشرين

الاقطار بعد عودة أبي بكر بن عمر من المغرب للتوفيق بين أمراء الموحدين وتوحيد كلمتهم في صد العدوان من أمراء الوثنيين الذين أغلقوا أبواب بلادهم في وجه الدعوة الإسلامية ، ولولا أن الأمراء الوثنيين حملوا السيف لصد الإسلام عن سبيله لما تصدى لهم أمراء المسلمين في ميادين القتال .

ولسكن أصحاب السلطان في البلاد ألقوا في روح أتباعهم أن الدهوة إلى الإسلام لا تعنى شيئاً غير القتال واستباحة دماء المخالفين من المحاربين والمسلمين ، وجاء المبشرون بعد القرن السابع عشر فجعلوا مهمهم كله أن يؤكدوا هذا الوهم وأن يبالغوا في إظهار الفرق بين دعوة التبشير ودعوة الجهاد ، كما فهموه وتوارثوا فهمه منذ سنين . فلما ابتدأ المجاهدون ، المحدثون دعوتهم أعلفوا أنهم خرجوا للجهاد السلي ،

ولم يحملوا السيف ولا هم يعلمون بينهم وبين الوثنيين موضعاً للخلاف يصعب التفاهم عليه بالمودعة والإقناع ، وترخصوا في قبول العادات والتقاليد التي يألفها الوطنيون ولا يسهل تحويلهم عنها دفعة واحدة ، ولا هم يحاسبون عن الإسلام في جوهره أو يتعذر على العادة الجديدة أن تحمل فيه محل العادة الموروثة ، لأنها قد تصطبغ بصبغة الإسلام مع بعض

في تحويلها من شعائر الوثنية إلى شعائر التقرب بها إلى الله للإحسان والصدقة أو للاشتراك بالطعام في الولائم العامة .

وتعد رحلة الحج من أقدس المراسم وأحبها إلى المسلمين الإفريقيين ، ينتظرون موعداً ويرحبون بالعائدين من الديار المقدسة بين أهل القرية من أقارب الحجاج أو جمهرة الغرباء عنهم ، ويحسبونها فريضة اجتماعية يتعاون المؤمنون على أدائها ، فيصطحب القادرون من يستطيعون الإتفاق عليهم لزيارة بيت الله الحرام وأداء الفريضة في مواعدها ، ويتبرع الأغنياء الذين يحال بينهم وبين السفر لمن يريد السفر من الفقراء ولا يقدر عليه ، ويعتقدون أن ثواب المسافر كثواب المقيم الذي أخلص النية للحج ولم يقدر عليه لمرض أو مانع لا اختيار له فيه

وما حرص عليه الدعاة المحدثون أن يجتهدوا غاية اجتهدهم في تبديد كل ما علق بأذهان الوثنيين من الوهم عن معنى الجهاد في الإسلام وأن المسلم لا يستبيح قتل الوثني بالسيف في كل حال ، ولا يوجب عداوة الوثني لغير سبب ما لم يقا به بالعداء ومحظر عليه الدعوة إلى دينه بالحكمة والموعظة الحسنة ، فإنما كان ابتداء الجهاد بالسيف في تلك

عن الوثنية جائز بعد انتهاء أجله ، فقد كان أحد الآباء ينهى ابنه عن دخول الإسلام وظل ينهاء حتى فارق الحياة ، فلما قضى نحبه دان الفقى بالإسلام وظهر له أبوه فى المنام فلم يسمع منه زجراً ولا تأنيباً على مخالفة وصاياه ، بل علم منه أنه هو نفسه قد اهتدى إلى الإسلام .

وهذه السلوى التى لجأ إليها ضمير الفقى المسلم للتوفيق بين حقوق الأسلاف فى عقيدته الأولى وبين عقيدة الإسلام فى الروح بعد الموت مثل حى من أمثلة البقايا التى تتخلف فى ضمائر الوثنى المهتدى إلى الإسلام من شوائب دياناته السلفية ، ولكنها مرحلة من مراحل الطريق لعلماء قريبة الزوال ، ولعلماء أهون من وقته وارتداده على أبواب الحظيرة الإسلامية . على أننا نقسام وتنقاول بعد الإسام بعاقبة اليهود فى ذلك الجهاد السلى : ألا يجوز أن تصبح إفريقيا الغربية ميداناً لتوحيد الكلمة وتقريب المقاصد بين الدعاة إلى الإسلام على هدى الكتاب والسنة ؟ غاية ما يرمى أن تظل تلك البلاد ميداناً للتقريب بين طائفة داعية وبين سائر الطوائف من المقبلين على الإسلام .

عباسى محمود العقاد

التعديل ، كما حدث فى مسألة القرايين ومسألة الأذكار والتراويل .

ويروى المؤلف عن الباحث الحديث فى تاريخ الإسلام ، ترمينجهام ، أهم العقائد التى يشترك فيها جميع المتدينين فى إفريقيا الغربية من المسلمين أو الوثنيين الذين لم يصلوا إلى الإسلام ولكنهم ماضون فى طريقهم إليه ، ومنها الإيمان بالحساب واليوم الآخر ، والإيمان بعالم الغيب فى حياة أخرى غير الحياة الدنيا ، وربما فصلت عقيدة الحياة الأخرى عروة العلاقة فى الأسرة التى جعلت الآباء والأسلاف أرباباً يعبدها الوثنى وأرواحاً يتزلف إليها وينتظر المعونة منها ، فإن عقيدة الحياة الأخرى قد تقيم القنطرة التى تيسر للأحياء العبور إلى الأموات وتيسر للأموات العبور إلى الأحياء ، ولكنها لا توحد بين السماء والجحيم ولا تسمح بانتظار بعث الميت واللقاء بينه وبين ذريته قبل يوم الدشور ، ولكن العقبة قد يتأتى تذليلها من طريقين : أحدهما أن الأسلاف لم يكونوا فى جميع الأحوال هوناً صالحاً للأخلاف ولا كانوا على أهبة الإجابة والتلبية لدعاء الأبناء والأحفاد ، فلا أسف على إقصاء الكثيرين منهم عن المحارب ، والطريق الآخر أن تحويل الآب الوثنيين سبق إلى خواطهم أن تحويل الآب

في الحرم

للأستاذ إبراهيم محمد نجما

أحقا أنا هنا في الحرم وروح أطوف بين الزحام
وبين يدي تفيض النعم ؟ وروحي أنطوّف في المزدحم
ضياء من الله يسمو بروحي وكما ذا دهوت بقلب ينوح
إلى عالم لم تزده قدّم وروح تبوح بدمع الندم
ويسكب فيها رحيق الصفاء أتيتك يا رب أبني رضاك
فتنسى حياة الأسى والالام فمب لي الرضا يا جليل النعم
وسحر جرى في دمي سره فإن حياتي بغير رضاك
كأن الربيع بقلبي ابتسم هباء ، وإن وجودي عدم
وصوت دعائي فوافيته * * *

وروحي غناء ، وقلبي نغم تباركت يا رب ماذا أرى ؟
* * *

دخلت من الباب باب السلام يطير هنا آمنا شاديا
فكبرت لله باري النسم بصوت صفا لحفه وانجم
وهلكت للبيت لما دنوت كطفل رأى أمه أقبلت
وطالعتي ستره من أمم تخف إلى صدرها واتنجم
ورفرف قلبي على ستره فإن سار في جنّيات الحمى
وثأجى ، وقبل ، ثم استلم تآلف في سيره وانتظم

ويارب أنت الذى صفته أهنى نفسى بما نلته
وأسكنته البيت منذ القدم وأحمد ربى على ما قسم
وأمنته فى حماك العزيز وسرت بمكة والذكريات
ومن أنت أمنتى لم يضم يطالعنى وجهها المبتسم
ولو فهم الناس ما يبصرون أحدث نفسى ألد الحديث
لما ضل عالمهم واختصم وأصكب فيها أرق السقم
يعيش الحمام حياة السلام هنا خطرت قدم المصطفى
وبالحرب تشفى وتشفى الأمم وقبل هذا التراب القدم

* * *

وقيل لنا : هذه زمزم فالى إذن لا أضم التراب
وألمه اليوم فيمن لثم ؟ وأقبل النور يمحو الظلام
فقلت بقلبي وروحي : نعم كما أقبل البرء يمحو السقم
ولأفن أين هذا المير * * *

وألقيت نفسى على مائها هنا بدأ الدين دين الشرا
فيا للعدوذة ! يا للكرم ! نزع ، دين المبادئ ، دين القيم
وما كان بي منهم قبلها فكان سلاما لمن سالموا
ولكن هنا يستحب النهم وكان حساما على من ظلم
ولما سمعت فوفيت ما هنا جاء ركب الغنى الكريم
تريد اليهود ، وتبغى الذمم يفتوت السهول ، ويطوى الأكـ
خرجت من الباب باب الوداع تسير الفتوة من حوله
بأجل حلم ، وإن لم أنم وتمشى النبوة تحت العلم

يروم بمكة ردع العصاة فيارب هيء لنا ما نريد
 وبحق الضلال ، وبحق الصنم لنحيا حياة تثير الهمم
 فلما التقى مجموع العنساء نحلق فوق قباب الحياة
 تحاذل طغيانهم وانهمز كما حلق النسر فوق القمم
 وجاءوا يجررون من خزيم وقو عزائمنا في النضال
 قيود الحصان ، وذل الندم إذا ما النضال طغى واحتدم
 فقال لهم : ما تظنونني فلا نشئ حين ترقى الصعاب
 سأفعل بالمذنب المذم ؟ ولا تمنحني حين تلقى الألم
 فقالوا : وهل أنت إلا أخ وألف على الحق شمل القلوب
 بصون الإخاء ، ويرعى الرحم ؟ فبالشمل تقوى إذا ما التأم
 فقال : اذهبوا طلقاء النفوس فبالشمل تقوى إذا ما التأم

* * *

عفا ، قادراً ، عن إساءاتهم ويارب عوداً إلى مكة
 وما العفو إلا أرق الشيم فقد لاذ قلبي بها واعتصم
 وعفو القدير بلبين الحديد لأنهل من نيمات الصفاء
 ويصنوله كل صخر أصم فأهتف من نشوتي بالنعم :
 وكم ذكريات شدتها الحياة أحقا أنا ها هنا في الحرم
 بأرخم لحن ، وأحلى نغم وبين يدي تفيض النعم ؟
 وسطرها المجد في لوحه بأزكى مداد ، وأندى قلم

* * *

ابراهيم محمد نجما

الكتيب

الأعلام الشرقية

تأليف الأستاذ زكي مجاهد
تقديم : الأستاذ حسن جاد

الذي حاول الاحتجار أن يسدله على أجدادنا القومية والأدبية أن يحجبهم عن ماضيهم القريب أو البعيد . فرأينا مما جهم تشغل مكاناً هاماً في المكتبة العربية ، وتسعف المدارس والمحقق في المجالات الأدبية والتاريخية إلى أن قيض الله لامتنا العربية ، أن تخرج من المحنة ، وأن تثب وثبتها الكبرى نحو العزة والقومية العربية ، فتزداد الحاجة إلى هذه المعاجم ، وتصبح العناية بها ركناً من أركان البناء الجديد .

ومنذ الزمن القديم ومعاجم الأعلام توابك الأيام وتصاب القرون ، حتى القرن الثالث عشر ؛ فقد وأينا في القرون الأخيرة : (الدرر الكامنة للسنة الثامنة) لابن حجر ؛ (الضوء اللامع للقرن التاسع) للسخاوي ؛ (الكواكب السائرة للسنة العاشرة) لنجم الغزى ؛ (خلاصة الآثار للقرن

العناية بالأعلام في ميادين الفكر والأدب والوطنية عناية بتاريخ أممتنا القومية ، واستظهار لأجدادها ، وتوطيد لدعائم شخصيتها وعناصر مقوماتها . فالقومية الوطنية تاريخ يتجدد مع الزمن ، وماض يتصل بالحاضر ، وأفكار الآباء وعقولهم تسرى في دماء الأبناء وأعصابهم .

ولن تستكمل أمة نهضتها ووثبتها ما لم ترجع إلى تاريخها وتتعرف إلى ماضيها . وكل حاول الاستعمار أن يبتز تاريخ أممتنا ، وأن يفصلنا عن ماضيها ، وأن يقضى على أعز مقومات صبغتنا الشرقية ، وشخصيتنا القومية ، بصرفنا عن دراسة تاريخنا ، والتموين من شأن آثارنا اللغوية والأدبية والفكرية ، لولا بقعة المخلصين من المفكرين والمؤرخين الذين لم يفتنهم بريق هذا الغزو الخطير ، ولم يستطع ذلك الستار الكثيف

المعمور مرجعاً لكل من يروم دراسة أو تحقيقاً من الشرقيين والمستشرقين في أى موضوع من الموضوعات العلمية أو الأدبية أو التاريخية .

لقد تتبع المؤلف جميع الاعلام في سائر الاقطار الشرقية بمصر والشام والعراق والحجاز ونجد وتركيا والباكستان والمهجر الأمريكى وغيرها ، وقسم معجمه إلى طبقات من الملوك والأمراء والوزراء والسفراء ، والزعماء الوطنيين ، والمصلحين الاجتماعيين ، والعلماء المبرزين ، والفلاسفة المفكرين ، والأدباء ، والشعراء ، والمؤرخين ، والرحالة ، والمتصوفين ، والصحفيين ، وغير ذلك من الاعلام في كل ميدان .

واليوم يصدر الجزء الرابع من هذه السلسلة ، ولن يكون آخر الأجزاء ، وهو خاص بالكتابات والشعراء والرحالة والمؤرخين ، ويحتوى على (٣٣٥) ترجمة وصل بها المؤلف إلى الترجمة رقم (١١٠٨) من السلسلة .

وميزة المؤلف أنه يحاول لنا حياة المترجم له في صورة حية واضحة المعالم ، بارزة الشخصية ، متميزة الجوانب ، ظاهرة المزايا ، ولا يكتفى برسم هذه الخطوط العريضة للشخصية وعرضها في أسلوب رائع أنيق يجعلها تعيش بيننا . بل يقفنا على مزاياها مستشهداً بآثارها

الحادى عشر) للحجى ، (سلك الدرر للقرن الثانى عشر) للرادى ؛ (حلية البشر في القرن الثالث عشر) للبيطار .

وبقى في المكتبة العربية فراغ للقرن الرابع عشر يتطلع إلى من يملؤه ، حق لا يطوى النسيان أعلامه في مجاهل الزمن ، ويغرقهم في لجج الأحداث المتلاطمة . وهذا هو ما نهض به الاستاذ زكى محمد مجاهد في معجمه الكبير (الاعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية) . فوصل به بين الماضى والحاضر ، وأكمل به سلسلة السابقين ، وسد به هذا الفراغ الشاغر لهذا القرن في مكتبتنا العربية .

والعجيب في أمر هذا المؤلف أنه وراق ، ولكنه لم يتخذ الوراقة مسبيلاً للتجارة والاستغلال المسادى ، وإنما جعلها وسيلة للبحث والتأليف العلمى ، على نحو ما صنع ابن النديم صاحب الفهرس ، وياقوت صاحب معجم الأدباء ، والكتبى صاحب فوات الوفيات ، وغيرهم .

فهناك في حانوته الصغير المعمور بين منعطفات خان الخليلى المتشابهة المتشابهة ، يعيش بين كتل من الكتب والصحف والمجلات القديمة والحديثة من سائر الاقطار بالوراقة على تتبعها وجمعها من هنا وهناك ، حتى أصبح هذا الحانوت الضيق الصغير

المجولين من أمثال (عبد الفتاح عباده) ،
(ميخائيل شارو بيم) . ولعالم الشاعر (أحمد
أبو علي) أستاذ حافظ إبراهيم ، الذي أورد
من شعره الرقيق وصفا لرقصة كانت تعرف
(باسم لبا) :

رقص رقصة لبا

حتى فضحن الالبا
بنات روما اللواتي

يلعبن بالناس لعبا
من السكواك أمست

لها المراسع قطبا
فكم تمايلن دلا

واختلن نهارا وعجبا
وكم تفرقن بعدا

وكم تجمعن قربا
مثل العصافير طارت

وغبت الماء غبا
كما ترجم لثمان زمانى الذى يقول :

أرقت وأصحابي خليون نوم
وما أنا ذو ثار ولا أنا مضموم

ولكن هما بين جنبي هاجه
على ذوى القربى عفاقه عنهمو

فإن يك حلى مد أعناق جهلم
فلا زلت فيهم مجهلون وأحلم

وما أنا ممن يظلب الجهل حله
وينزو على الأعراض أو يتجهم

الأدبية والفكرية فى اختيار موفق ؛ ثم
لا يقتنع بذلك حتى يقبض الترجمة بذكر المصادر
الكثيرة المستوعبة لها ، فهو حريص على أن
يحقق لمعجمه هذه المزية الجديرة بالتقدير ،
والتي تميزه عن المعاجم الأخرى ؛ وهو مع
هذا لا يستأثر بما بذله من البحث والتفقيب
والجهد والمال فى تدبج هذه المصادر
والبحث عنها والحصول عليها ، بل يقدمها
إلى كل دارس ويحقق ، فيعينه على تحقيق
ما يروم ، ويوفر عليه هناء البحث والسؤال .

وليس يفوتنا بعد هذا أن ننوه بفضل
المؤلف فى تعريفنا بكثير من الأعلام
المغمورين الذين نقض عنهم تراب النسيان ،
حتى عرفهم من لم يسمع بهم ، ولولاه لظلوا
مغمورين فى مآهات الزمن وبجاهل التاريخ ،
فقد استوعب أعلام هذا القرن من المشاهير
والمغامير ؛ وكما ترجم لغوى وحافظ ومحرم
والزهاوى وطاغور والرافعى وأرسلان
والسكاظمى والسكواكى والمرصفى والبابلي
والمنفلولى والهرأوى وجبران والهمشوى
وغيرهم من مئات الأعلام المعروفة ؛ ترجم
كذلك للشاعر ناجى التركى والشاعر نزار
الإسلام الباكستانى الذى يقول : « إن فى
نفسك جميع الأديان وجميع الأنبياء ، ففى
قابك محراب فسيح لجميع الآلهة ، ليس من
معبد أعظم من قلب الإنسان . » وللبورخين

مالم ينشر أو يشتهر، كما صنع في استشهاده بشعر
شوقي، حيث اختار له مالم ينشر في دواوينه،
كقصيدته المجهولة في ذكر المولد النبوي :
نبي البر والتقوى

منار الحق مطه
له في الأصل أكرمهم

هريق الأصل أكرمهم
أبوة سودد أخذت

بقرن الشمس تزحم
ذبيحيون كلهمو

أمير البيت قيمه
فنعم الغمد آمنة

ونعم السيف لمذمه
سرى في طهر هيكلها

كسرى المسك يفعمه
يقيا في غلاتها

تعالى الله مؤتمه
توف الآي بحمله

إلى الدنيا وتقدمه
ويمسى نور أحمد في

ظلام الجهل يهزمه
وكننت أود لوهني المؤلف بضبط الأعلام

والشواهد الأدبية بالشكل وأرجوان يتدارك
ذلك في الطبقات القادمة إن شاء الله، فإن هذا

الضبط ضرورة تتحجم الفائدة التي تستهدفها
المعاجم، والله الموفق ؟

مصنع مواد

مدرس بكلية الدراسات العربية - بجامعة الأزهر

ومن ترجم لم شاهر ضابط تسرى فيه روح
البارودي هو (محمد توفيق علي) الذي يقول :
يراعى له حد وسبق له حد

فلا بات إلا تحمى أقدامى المجد
ملأت يدي من مهجة الضيم في الوغى

وأثبت رجلى حيث لا تثبت الأسد
ولم يغفل شاهر نجد (محمد بن عثيمين)

الذي يشبه البارودي في مصر من حيث الصبغة
التقليدية والمذهب الكلاسيكي، ويقول المؤلف

هذه : د ويعتبر في نجد كالبارودي في مصر
حيث أعاد للشعر العربي هناك قوته وجزالته،

ورصافته وخولته، بعد الضعف الذي ألم
به في عصور الانحطاط الأدبي، ومن شعره :

وفي اضطراب الفتى نجح لبغيته
وللقادر إسماعيل وخذلان

فاربأ بنفسك عن دار تذل بها
لو أن حصباها در ومرجان

كما يقول :

إذا صحب الهرم الجديدين أحدا
له هبرا تشجيه مرأى ومسمعا

فلاتك ولاج البيوت مشاكيا
بنها ولو تلقى سماما مقنما

فأكثر من تلقى من الناس شامت
عليك وإن تعثر يقل لك لا لها

وعلى هذا النحو يعض المؤلف في معجمه
مستظفرا آثار الأعلام، متحررا في استشهاده

القاموس الإسلامي

تأليف الأستاذ أحمد عطية

عرض ونقد : الأستاذ محمد الدسوقي

١ - القاموس الإسلامي - كما وصفه واضعه الأستاذ أحمد عطية الله - موسوعة للتعريف بمصطلحات الفكر الإسلامي ، ومعالج الحضارة الإسلامية ، وتاريخ الدول الإسلامية وتراجم الأعلام ، مع التعريف بأشهر المؤلفات في المكتبة العربية ، والإسلامية ، مرتبة ترتيباً أبجدياً ، وموضحة بالخرائط ، والصور ، والرسوم ، وتقع في ثلاثة مجلدات .

وقد صدر المجلد الأول من هذه الموسوعة ، ويقع في ٦٦٨ صفحة ، ووصل إلى نهاية حرف الجيم .

٢ - وقد أشار واضع هذا القاموس في مقدمته ، إلى أن الحاجة قد أصبحت ملحة إلى موسوعة مجهزة عن الفكر الإسلامي ، والحضارة الإسلامية ؛ للتعريف بهذا التراث الإنساني الخالد ، وأن بعض الأفراد ، والجماعات ، قد حاولوا سد هذه الثغرة في المكتبة العربية ، ولكن أعمالهم لم تسلم من النقص ، كما أن الاعتبارات السياسية ،

والاستعمارية التبشيرية ، كان لها أثر فيما قام به بعض المستشرقين من بحوث في هذا المضمار ، لاسيما في تقويم الأحداث التاريخية ، أو في تفسير المصطلحات العقائدية الإسلامية .

٣ - والواقع أن المكتبة العربية في حاجة إلى موسوعات علمية في مختلف فروع المعرفة ، وأن التراث الإسلامي بوجه خاص في أمس الحاجة إلى التعريف به ، ونقص غبار الزمان عنه ، وعرضه في صورة جديدة تسهل الانتفاع به والرجوع إلى مصادره ، فقد أصبح هذا التراث تقريباً لا تعنى به إلا طائفة قليلة من المتخصصين والدارسين .

٤ - وهذا القاموس الذي وضعه الأستاذ عطية الله عمل علمي جديد في باب ، وقد بذل فيه جهوداً طيبة يثاب عليها ، وأضاف إلى مادته العلمية المتنوعة : الصور ، والرسوم الموضحة ، كما اهتم فيه بتراث وحضارات الدول الإسلامية في أقصى المشرق ، وأقصى المغرب ؛ لأن تاريخ هذه الدول ، وتراثها العلمي يكاد يكون مجهولاً لدى مسلمي الشرق الأوسط ،

بالكتب التى تحمل اسم الأعلام ، د كإعلام
الناس بما وقع للبرامكة من بنى العباس ،
و د أعلام النبوة ، ، ثم لا يعرف بكتاب
د إعلام الموقعين ، هن رب العالمين ، لابن قيم
الجوزية ، مع أنه كتاب قيم يمثل الفقه
الإسلامى الحى المتطور حسب الزمان ، والمكان
وكذلك يتحدث هن أسد بن الفرات ،
وأسد بن عبد الله القسرى ، ثم لا يذكر شيئاً
هن أسد الدين شيركوه الملقب بالملك المنصور ،
الذى كان من كبار القوادى فى جيش نور الدين
محمود بن زنكى ، وكان أول من رلى مصر
من الأيوبيين ، وزيرا عليها للفاطميين ونائباً
هسكربا هن نور الدين ، كما أنه عرف بكتاب
د بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، الذى
يعرف بتاريخ مصر لابن إياس ولكنه
لا يعرف د بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ،
للحكسانى وهو من أمهات الكتب وأدقها فى
المذهب الحنفى ، ويقع فى سبعة أجزاء ، وأيضاً
لا يعرف بكتاب د بداية المجتهد ، ونهاية
المفتصد ، للإمام القرطبى ابن رشد ، الشهير
بابن رشد الحفيد ، وهو من أمهات الكتب
فى المذهب المالئكى . ومثل هذا كثير ، والتتبع
والإحصاء له مجال آخر .

٧ — وقد وقعت فى هذ القاموس بعض
الأخطاء العلمية ، فى الصفحة السادسة تحدث

غير أن هناك بعض المآخذ التى يجب أن تنال ؛
نظراً لأهمية هذا القاموس فى موضوعه ،
وحرصاً على أن يكون مثل هذا العمل خالياً
من كل ما يشوبه ، أو يقلل من قيمته .

٥ — وأول ما يؤخذ على هذا القاموس ،
أن المؤلف لم يشر إلى المصادر التى رجع إليها
لأن مثل هذا القاموس ، ليس كالقاموس
اللغوى ، يكتبنى بالرجوع إليه فى معرفة معنى
اللفظ ، ودلالاته اللغوية ، ولكنه يعطى
القارى فكرة موجزة عن موضوع ما ، ثم تكون
المصادر فى هذه الحالة لمن شاء أن يستوثق ،
أو يستزيد ، فإغفالها لا مبرر له ، وما كان
يجب أن يكون ، وإذا كانت بعض الموسوعات
المتعلقة بالأعلام ، كالأعلام للزركلى ، ومعجم
المؤلفين لرضا كحالة ، قد نصت على بعض
المراجع ، فإن أهمية المراجع هنا لا تقل
عن أهميتها فى موسوعات الأعلام ، إن لم تزد
عليها .

٦ — كما يؤخذ عليه أيضاً أن المؤلف
لم تمكن لديه خطة منهجية مرسومة فى الحديث
هن الموضوعات التى يجب أن يتحدث عنها ،
ويبدو ذلك من أنه يتحدث فى مادة عن موضوع
ما ثم يعمل فى نفس المادة موضوعات لها
أهميتها التاريخية ، أو العلمية . فمثلاً ، يعرف

على الإمام مالك خطأ واضح ؛ لأن هذا الإمام توفي سنة ١٧٩ هـ قبل أن يولد أبو إسحق بأكثر من عشرين عاماً ، وقد ذكر صاحب تاريخ بغداد من أخذ عنهم أبو إسحق ولم يشر إلى الإمام مالك طبعاً .

٨ — أما المادة الفقهية في هذا القاموس فقد عرضت في صورة مختصرة جداً ولا يقتضى للقارىء غير المختص أن يستفيد منها ، وبخاصة مصطلحات أصول الفقه كالاستصحاب والاستصلاح ولا اعتراض على الاختصار في ذاته ، ما دام لا يخل بالمعنى ، وما دامت هناك المراجع التي يلجأ إليها للتفصيل والتوضيح ، ولكن المراجع مهمة ، والاختصار جاء — في بعض الأحيان — على حساب المعنى ، ففي الحديث عن البيهقونية الصغرى يقول المؤلف : وفي هذه الحالة لا يملك الزوج أن يراجع مطلقته ، ولو كانت في العدة ، وليس له أن يعيدها إلى عصمته إلا برضاها وإلا بعقد جديد ، ومهر جديد وهذا لا يعطى القارىء فكرة وافية عن البيهقونية الصغرى لأن المطلقة إما مدخول بها أو غير مدخول بها ، فإذا كانت غير مدخول بها فإن الطلاق يكون بائناً بينونة صغرى إذا كان بمادون الثلاث ولا عدة عليها ، وفي الحالة الثانية يصير الطلاق الرجعى بائناً بينونة صغرى إذا انقضت العدة

المؤلف عن ابن إباح زعيم الفرقة الإباضية فذكر أنه عاش إبان القرن الأول ، وعاصر الدولة الأموية إلى خلافة عبد الملك بن مروان وأن المؤرخين قد اختلفوا حول مولده وحياته ، ولكن المرجح أنه توفي سنة ٨٦ هـ وبعد هذا مباشرة تحدث عن فرقة الإباضية فقال : هي فرقة تنسب إلى عبد الله بن إباح الذي قام بدعوته لإنان خلافة مروان بن محمد آخر الخلفاء من بني أمية وفي هذا تعارض واضح ، فكيف يكون ابن إباح قد رجعت وفاته سنة ٨٦ هـ ثم قام بدعوته إبان خلافة مروان بن محمد ، والمعلوم أن هذا تولى سنة ١٢٧ هـ ١٩٤

وإذا كانت كتب الفرق والتاريخ ، قد تضاربت في الحديث عن ابن إباح وفي مبدأ دعوته ، فكان الأولى أن يشار إلى تناقض الروايات في إيجاز مع ترجيح ما يراه المكاتب صواباً ، أما أن يكون الكلام في قاموس كهذا ، متناقضاً فلا يجوز .

وفي صفحة ٦٤٧ ، ٦٤٨ تعريف بالفقيه البغدادي « أبو إسحق اسماعيل بن إسحق » جاء فيه ، أنه ولد سنة ٢٠٠ هـ بالبصرة ، ثم انتقل إلى بغداد ، وأخذ الفقه على معاصره الإمام مالك ، أما أن « أبو إسحق » قد ولد عام ٢٠٠ هـ فصحيح ، ولكن معاصرتة ، وأخذه للفقه

٩ — وهذا القاموس يقوم على الترتيب المحاشي في عرض موضوعاته غير أن المؤلف لم يأخذ بهذا الترتيب أحيانا ، هند ما تحدث عن كلمة « أبان » ، بين أنها اسم لأكثر من واحد ، وذكر أربعة يسمون بهذا الاسم ، وترجم لهم ولكنهم لم يرتبهم حجاجيا أو تاريخيا .

أما الأخطاء المطبعية ، فهي قليلة ولكن هناك خطأ يجب تصحيحه وهو يتعلق برفاه الإمام الشافعي ، فقد ذكر عند الحديث عن كتاب الام أن الشافعي توفي سنة ٢٠٤ ثم ذكر في مكان آخر أنه توفي سنة ٢٠٤ وهذا هو الصحيح والأول خطأ .

١٠ — وبعد فهذا جزء مما عن لي بعد قراءة عجلي لهذا القاموس ، لم أقصد بها التقليل من شأنه ، وأهميته ولكن رغبة في أن يكون مثل هذا العمل واقيا وخاليا عما يشوبه ، وليكون مرجعا يوثق به ويعتمد عليه ، وليسد بجدارة فراغا في المكتبة العربية ، وحتى لا تتكرر مثل هذه الأخطاء في المجلدين التاليين إن شاء الله ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

محمد الدسوقي

المحرر بمجمع اللغة العربية

ولم تراجع الزوجة ، فالقول بأن الزوج في هذا الطلاق البائن لا يملك أن يراجع زوجته ولو كانت في العدة غير دقيق ؛ لأن الزوجة البائنة لا تكون في عدة ، فضلا عن قصور تلك العبارة في التعريف بالبينونة الصغرى كما يجب أن يكون .

وعندما عرف الأهلية قال : المقصود بها في الشرع والقانون صلاحيته الإنسان لتلك بعض الحقوق ، وكذلك صلاحيته للتصرف فيها ، وهذا تعريف ناقص للأهلية لأنها من الناحية الفقهية على نوعين : أهلية وجوب ، وأهلية أداء ، والأولى هي صلاحية المرء لأن تكون له حقوق وعليه واجبات ، والأخرى هي صلاحية المرء لأن تكون أقواله ، وأفعاله معتبرة شرعا (١) فلا يقصد فقط بالأهلية صلاحية الإنسان للتملك والتصرف ولكن يراد بها إلى جانب هذا صلاحيته للحقوق المشروعة عليه ، وأن تكون أقواله وأفعاله معتبرة شرعا ولا مجال أيضا للاستقصاء بل ضرب الأمثلة فحسب .

(١) انظر للفقه الإسلامي مدخل لدراسته ونظام المبادئ فيه للدكتور محمد يوسف موسى ص ٢١٩ وما بعدها .

أَنْبَاءُ وَآرَاءُ

السيد / مسجع الشافعي يتحدث عن دور
الأزهر في الدعوة الاشتراكية

افتتح السيد حسين الشافعي نائب رئيس
الجمهورية وعضو مجلس الرياسة الموسم الثقافي
السادس للأزهر وجميع البحوث الإسلامية في يوم
الثلاثاء ١٧ من رجب سنة ١٣٨٣ هـ الموافق
٣ من ديسمبر سنة ١٩٦٣ م فألقى محاضرة
عن دور الأزهر في الدعوة والفكر الاشتراكي
قال فيها : إن الأزهر قد فتح الطريق أمام
كل القدرات والطاقات لكي تبحث عن دورها
في الدعوة إلى الفكر الاشتراكي وبخاصة في
هذه المرحلة التي تبنى فيها الديمقراطية السليمة
وقال : إننا في هذه المرحلة حينما نبدأ في قيام
مجلس الأمة وفي استكمال المنظمات الشعبية نوكد
أن الثورة عمل شعبي وأن الديمقراطية بهذا
تصبح حقيقة وعملا بناء إيجابيا ، وإننا حينما
نطبق الديمقراطية إنما نستهدف دائما
أن نعطي أمثل الناجح ليس أمام المواطنين
فحسب بل لكل الدول التي تتطلع للحرية
وتريد أن تستمدى السبيل في مجال التطبيق
الاشتراكي .

ثم قال : إن الاشتراكية تهدف إلى إقامة
مجتمع الكفاية والعدل ، وهي إلى ذلك سلوك
وخلق ودين . بخلاف الاشتراكية المادية
البحث فإنها تعتمد على قوة الدولة . فإذا انهارت
هذه القوة انهار النظام كله . أما اشتراكية
الإسلام فإنها قائمة على تكوين العاطفة الإنسانية
التي تحجب إلى الإنسان البذل والعمل والتضحية
من أجل المجموع .

وقال : إننا لن نتمكن من الدعوة للفكر
الاشتراكي إلا إذا هلبنا أولا من أين تبدأ
مسئوليتنا ونعرف ما هو المقصود بالاشتراكي
وما هو المقصود بالديمقراطي ، وما هو
المقصود بالوحدة ، فيجب أن يقوم بالدعوة
المؤمن بها ... المؤمن بالفكرة ثم بالقيادة
ثم في سبيل ذلك يكون على استعداد أن يجاهد
دائما بالمسال والنفس في سبيل الفكرة
والعقيدة . ولذا كان على الأزهر أن ينرى
لشكل التحديات وأن يعطي الفكر الاشتراكي
في الجمهورية العربية المتحدة المثل الصالح
في جميع المجالات .

ثم تسلم نائب الرئيس عن أخلاقيات

بالمصحف المرتل ، وهذا المصحف أعدته الجمهورية العربية المتحدة ثم قامت بإهدائه إلى كثير من الدول الإسلامية ليسكون رابطة روحية تربط بين المسلمين في أنحاء العالم .

إن الأمة الإسلامية التي تحب الأمن والسلام تشعر بالسعادة وتفر بالشكر لما تقوم به الجمهورية العربية المتحدة من الأعمال العظيمة التي تتحمل فيما يبذلها الدكتور محمد البهي وزير الأوقاف وشئون الأزهر من جهود .

إن الأخبار الحديثة الواردة من القاهرة تشير إلى أن الجمهورية العربية المتحدة تعد نسخاً وفيرة من المصحف المرتل لإهدائها إلى المسلمين في كل مكان كما تشير هذه الأخبار إلى أن الدكتور محمد البهي وزير الأوقاف وشئون الأزهر قد أقر مشروعاً لإقامة مبنى كبير بميدان رمسيس في وسط العاصمة يطلق عليه « دار القرآن » ، وسيضم هذا المبنى أقساماً متعددة أهمها :

(أ) قسم للتسجيل مزود بالاستوديوهات والآلات الحديثة لتسجيل القرآن بأصوات كبار قارئ القرآن في الجمهورية العربية المتحدة .

(ب) قسم للطبع مزود بأحدث آلات

التنظيم الإسلامي في مجال القربان والأخوة والحرية ... قال إن الحرية هي هدف وغاية وهي طريق ؛ ولذلك لا توجد دعوة إصلاحية على الإطلاق يكون هدفها الحرية إلا كتب لها البقاء .

جريدة مصرية تشير بنفهم الجمهورية العربية المتحدة في مجال الثقافة العربية : نشرت جريدة الأخبار اليومية ، الناطقة بلسان حكومة اتحاد الملاييزيا بتاريخ ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٦٣ مقالا تناول فيه كاتبه ما تقوم به الجمهورية العربية المتحدة في مجال الثقافة الإسلامية وقد لخصه بعد ترجمته الأستاذ عبد الوهاب على إبراهيم مبعوث الأزهر إلى الكلية الإسلامية باتحاد الملاييزيا وبعث به إلى مجلة الأزهر وفيما يلي ملخص المقال :

تحت عنوان « دار القرآن للإذاعة والنشر » قال الكاتب : في كل صباح عقب الصلاة تحمل إلينا أمواج الأثير آيات الذكر الحكيم بصوت الشيخ محمود خليل الحصري القاري المصري فتشعق قلوبنا وتحلق أرواحنا في أجواء روحية صافية .

إن القرآن الذي تحمله إلينا أمواج الأثير كل صباح مسجل على أسطوانات تعرف

المشروعات الإسلامية وخاصة إنشاء مكتبة كبيرة لحماية المواطنين من الكتب والمجلات التي تصدمها مكشبات السفارات الأجنبية في بلادنا .

عبد الوهاب على إبراهيم
مبعوث الأزهر

إلى الكلية الإسلامية باتحاد الماليزيا

السراية العامة لطبعة ممر الاسكندرية
قدم الأستاذ حلمي محمد الشيمي رسالة عن مدى احتياجات قوى الشباب الأزهرى وأنواع الرعايات التي تقدم لهم . . . وقد حصل بها على بكالوريوس الخدمة الاجتماعية بعد مناقشة بمقر المعهد العالي للخدمة الاجتماعية أمام لجنة كونت من الأستاذ محمود فهمي عميد المعهد والدكتورة انتصار يونس أستاذة علم النفس بكلية الآداب والأستاذ عبد المنعم هاشم .

وقد وقع اختيار كاتبها على معهد الإسكندرية لأنه كما يرى ، صورة تمثل شباب الأزهر بمختلف طبقاته وشتى نواحيه وختمها بعدة اقتراحات تتعلق بالثقافة والخدمات والنشاط الفنى الرياضى والاجتماعى .

وهي رسالة جديرة باهتمام المسؤولين والمشرفين على الأزهر ومعاهد التعليم فيه .

الطباعة لطبع القرآن الكريم والكتب الإسلامية باللغات المختلفة .

(ج) قسم للترجمة والنشر لترجمة القرآن والكتب الدينية للغتين الانجليزية والفرنسية لتلبية طلبات المسلمين في ربوع العالم .

(د) مكتبة كبيرة تضم آلاف الكتب وتجمع الكتب الإسلامية ، لتقديم منها والحديث وستصبح هذه المكتبة مرجعا يرجع إليه المسلمون في أنحاء العالم ، وقد قدمت جمعية الشبان المسلمين إلى الدكتور وزير الأوقاف وشئون الأزهر عدة اقتراحات من بينها :

(أ) إنشاء قسم لفحص وتصحيح نسخ القرآن التي تطبع في الجمهورية العربية المتحدة وخارجها لمواجهة ما تقوم به إسرائيل من تحريف القرآن الكريم وتوزيعه في إفريقيا .

(ب) إنشاء قاعة تقام فيها الاحتفالات الدينية ومسابقات القرآن .

إننا ننظر إلى ما تقوم به وزارة الأوقاف وشئون الأزهر في الجمهورية العربية المتحدة بالتقدير والإعجاب ، ونرجو أن تصبح دار القرآن مركز إشعاع للمسلمين في كل مكان .

كما نرجو أن يثير ما تقوم به الجمهورية العربية اهتمام بلادنا فتعمل على تحقيق بعض

فتاوى مختارة ..

باب مقدمة :

ابراهيم محمد الأصيل

[الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر]

كيفية اعتناق الإسلام :

السؤال :

أنا مسيحي وأرغب في اعتناق الإسلام وقد سبق أن أسلمت والدتي وإخوتي جميعهم وساعدتم على ذلك حصولهم على قدر من التعليم ، أما أنا فأبى لم أتعلم ، فأبى الطريقة التي أتبعها لا تكون مسلماً ، وذلك لأنني أشعر بأن الإسلام يسرى في دمي ، وإيماني به يزداد يوماً بعد يوم حتى اقتنعت بأن الدين عند الله الإسلام . فالمرجو إرشادي إلى الطريقة التي بها أشهر إسلامي حتى لا أظل في دين غير الإسلام ؟ .

هزت سوريان واصف

جندى بالقوات المسلحة

الجواب :

اعتناق الإسلام يكفي فيه شرعاً أن يقول المرء : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله » . وبهذا يكون قائلها

السؤال :

أنا أصلي الوقت في ميعاده ولكن أحب دائماً أن أدعو الله العلي العظيم وأكثر

مسلياً ولو لم يسجل ذلك في إلهاد رسمي ، وعليه بعد هذا أن يقوم ببقية الأركان ليكون إسلامه كاملاً ، وبقية الأركان هي : إقامة الصلاة المفروضة ، وأداء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام بمكة مرة في العمر لمن كان قادراً .

أما إثبات الإسلام رسمياً فيحصل في مكاتب التوثيق وهي مكاتب الشهد المعروفة ، ومن لم يسجل إسلامه في مكاتب التوثيق فهو مسلم في حكم الله مادام مقرأ بالشهادتين ولم يحصل منه ما يناقض عقيدة التوحيد . والطريق بعد هذا لمعرفة التفاصيل التي يقتضيها الدين الإسلامي هو سؤال أهل العلم .

المرءاء في الصلوة ، وهل يمنع الحبيصة

منه ومن ذكر الله ؟

لم أتمكن معه من أداء فروض الصلاة والآن وقد عادت صحتي مرة ثانية وأصبحت قادراً على أداء الصلوات بعونه تعالى فأريد قضاء الأوقات التي فانتني في أيام مرضي كما وأني أريد أداءها بطريقة الإيذاء هذا مع الإحاطة بأنني لا أحرف عدد الأوقات الفائتة فما الحكم ؟

محمود محمد عبد الله

الجواب :

قضاء الصلوات الفائتة واجب شرعاً ، ومتى كان المصلي قادراً على تأدية الصلاة من قيام وركوع وسجود فلا يجوز له أن يؤديها بالإيذاء . أما عدد الصلوات الفائتة فيمكنني فيه غلبة الظن فيقتضي بعضها في كل يوم حسب إمكانه حتى يغلب على ظنه أنه قضى جميع ما فاتته .

الشيخ محمد محمود الكعبية في المصنوعة :

السؤال :

لماذا تحدد اتجاهنا نحو القبلة أثناء الصلاة في الكعبة ما دام الله سبحانه موجود في كل مكان ؟

محمد فكري عزمي محمد

الجواب :

قال الله سبحانه وتعالى : « والله المشرق والمغرب فأبنا تولوا فثم وجه الله » .

من دعائي في الصلاة وبخاصة في السجود والركوع وبعد التحنيط الوسطى وتقريباً في كل ركعة .

فهل هذا جائز أم باطل ؟ لأنني سمعت كثيراً أن الصلاة عبارة عن دعاء وسمعت من آخرين أن الدعاء في ختام الصلاة .

وهل يمنع من الدعاء والشكر لله وجود الدورة الشهرية ؟

السيدة / ملكة محمد

الجواب :

الدعاء جائز من المصلي في السجود وبعد التشهد الأخير . والدعاء يكون بالخير ، وبأى لفظ يعرفه الداعي ، لنفسه ولغيره من المسلمين ، الأحياء والأموات ، والدعاء نفسه عبادة مطلوبة من الإنسان ، وخير الدعاء ما كان في هدوء أو في خفية للبعد عن مظاهر الرياء . ولا مانع من الدعاء حين وجود الدورة الشهرية ويكون في هذه الحالة بأدعية غير تلاوة القرآن كما تمنع الدورة الشهرية إقامة الصلاة ، بخلاف الشهادة والشكر والتسبيح والاستغفار وطالب الخير من عند الله فهذا جائز معها .

قضاء الصلوات الفائتة :

السؤال

مرضت مرضاً خطيراً في العام الماضي

الجواب :

الزواج في بعض المذاهب لا بد فيه من ولي يتولى العقد عن المرأة ولا يصح لها أن تتولاه بنفسها كما في الصورة المستول عنها ، وفي بعض المذاهب كذهب الإمام أبي حنيفة - رضي الله عنه - يصح للفتاة البالغة أن تتولى بنفسها عقد زواجها ولكن بشرط حضور شاهدين عدلين على العقد قبل الدخول . وفي هذه الحادثة المذكورة لم يحضرها شهود كما لم يحصل من الرجل قبول ، فلا يعتبر ذلك عقداً مطلقاً ، وإنما هو وعد من الفتاة بأنها لا تزوج غيره ، وهذا الوعد لا يلزمها الوفاء به ، فإذا رأت في ذلك مصلحة فلها أن تحققه بصورة شرعية ، كما لها أن تعدل عنه وتسكفر عن يمينها بالله وعلى المصحف كفارة يمين .

الـؤال :

طه في القاضى وعلمه :

فلسطين تزوج بمصرية وأقام معها بمصر
ثلاث سنوات ولسوء تفاهم غادر مصر إلى
غزة فأنتهز والد الزوجة هذه الفرصة ورفع
الأمر إلى المحاكم يطلب الطلاق باعتباره أن
الزوج لا يعلم له مكان مع أن الزوجة تعلم
مكانه وهي لا تود الطلاق منه ، وفعلأجابات

وقال تعالى : « فويل وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .
وعلى ذلك فالتوجه إلى جهة الكعبة أمر
تعبدنا الله تعالى به وعليها امتثاله ولا يسأل
عن حكمته .

الطريقة التي ينعم بها الزواج :

الزُّوَالِ :

اتفقت مع فتاة واعية رشيدة تبلغ من العمر ٢٥ عاما على الزواج وبعد الموافقة على الشروط حدث الآتي : وضعت يميني يمينها وقالت وافقت على الزواج من فلان ابن فلان على سنة الله ورسوله والنكاح منه وإنني أحبه على أن أكون زوجة مخلصة والله شهيد على .

ثم وضعت يدها اليمنى على كتاب الله
وقالت : د أقسم بالله العظيم ثلاث مرات
أني وافقت بكل إخلاص على الزواج من
فلان زواجا حلالا على سنة الله ورسوله
وأن أكون له زوجة خالصة أمينة والله شهيد
على ما أقول .

فهل يعتبر ذلك زواجا شرعياً وهل يحق لها الزواج من غيرى دون على ، وهل يحق لى مطالبتها شرها ؟

عبد العزيز حسن مطاوع - السعودية

الزواج منه أرسله المدفع المتوفى :

السؤال :

نحن ستة إخوة وأخ الشاك منا نذر نفسه لخدمة الباقيين حتى انتهاء تعاليمنا الثانوية ، وفعلنا تم ذلك وأتممنا التعليم واشتغل كل منا في عمل ، ثم حدث أن مرض أخى المذكور بعد أن تزوج من قريبة لنا وحملت منه ، وفشلت كل المحاولات في علاجه ويئس الطب من شفائه .

وتوفى أخى هذا وقبل موته أوصانى بما يأتى : د زوجتى وابنى بريقتك ، وكانت زوجته قد وضعت طفلا ، وقد ترك ٦٠٠ دينار وأريد أن أقسم هذا المبلغ قسمين وأضعهما فى المصرف باسم الطفل وباسم أمه فهل هناك مانع شرعى ؟ كما أريد الزواج من زوجة أخى المتوفى حرصا على تربية ابن أخى بالإضافة إلى صيانتها فهل هناك مانع شرعى فى الزواج منها ؟

عبد الكريم إسماعيل حوبر - الكويت

الجواب :

نحيب عن السؤال الأول بأن المبلغ الذى تركه هذا الأخ المتوفى يكون ميراثا شرعيا بين ولده وزوجته كغيره من ماله إن كان له مال .

المحكمة طلبه وطلقت عليه ، وبعد سنة من الطلاق حضر الزوج إلى مصر وهو لا يعلم بمراعاة الطلاق على زوجته فواجهه والد البعيا حصل وطلب منه رد زوجته فردها بعد أن عقد عليها ، ثم سافرا معا إلى غزة فحصل سوء تفاهم وطلق الزوج زوجته طلاقا على يد القاضى ثم ردها فى نفس اليوم ، وبعد مدة حصل سوء تفاهم فطلق زوجته للمرة الثالثة ثم ردها وهو يعتبر أن الطلاق الأول غير معتبر .

فهل اعتباره هذا صحيح فيكون له طلاق باقية أو غير صحيح فتبين الزوجية بينونة كبرى ؟ يوسف محمد عبد الواحد

الجواب :

الطلاق الذى أوقعه القاضى فى غيبة الزوج معتبر لأنه قد بنى على أسباب صحيحة عند القاضى .

وعلى ذلك يكون الزوج قد استنفذ مرات الطلاق الثلاث فتبين الزوجية بينونة كبرى لا تحل له حتى تتزوج غيره زواجا صحيحا بعد انقضاء عدتها منه ويدخل بها دخولا حقيقيا ، فإذا طلقها أو مات عنها وانقضت العدة حلت له بعقد ومهر جديدين برضاها . وما ذكر من أنه ردها بعد الطلاق الثالث فهو أمر غير صحيح إذ العصمة قد اتمت .

فللزوجة الثمن فرضاً لوجود الفرع الوارث والباقي لابنه تعصياً ما دام لم يترك غير هذا الابن كما ذكر في السؤال .

أحمد محمد القمري

الجواب :

قسوة الولد على أبويه أو على أحدهما أو على أحد أفراد أسرته أمر لا يجوز بحال من الأحوال ولا يرضاه الله من الولد ، وهو بذلك مسيء إلى نفسه ، وإلى دينه ، وبحل سنن من الله في الدنيا والآخرة ، ومع ذلك فحرمانه من التركة مخالفة لتشريع الله ولم يجعل الله عقوبة العبد بقطع رزقه أو ضياع استحقاقه في التركة لأنه سوف لا يستحقها إلا بعد وفاة المورث له سواء كان الأب أو الأم ، ومن الجائز أن يكون حين استحقاق نصيبه في الميراث مذهب النفس طيب الأخلاق حسن السلك فلا مسوخ لعقوبته بالحرمان ، ونظراً لوجود إخوة صغار يستحقون الترية فإنه يجوز للأب أو للأم أن ينقص الأولاد الصغار بشيء من الملك دون هذا الولد الكبير الذي انتهت تربيته واستغنى عن والديه وذلك عن طريق الوصية في حدود تلك المسال تمييزاً لهم على أخيه الملقى عملاً بقانون الوصية الذي أجاز الوصية للسوارث دون توقف على رضا بقية الورثة .

وهن الثاني بأن زواج السائل من أرملة أخيه لا مانع منه شرعاً بل هو أولى ليرعى مصلحة ابن أخيه بشرط أن تخرج الزوجة من عدة الوفاة وهي بوضع الحمل إن كانت حاملاً ، أو بمضي أربعة أشهر وعشرة أيام من تاريخ وفاة زوجها إن كانت خالية من الحمل .

هل يجوز حرمانه الميراث

من الميراث :

السؤال :

لى ابن عمره ٣٢ سنة متزوج ويعمل بالحكومة بمرتب متوسط ، ولى أبناء لم يبلغوا السن الذى يؤهلهم للاعتماد على أنفسهم وقد عانيت من قسوة الابن الأكبر إذ كان دائماً على شجار معى ومع والدته حتى إنه يستعمل القسوة فى معاملتنا إذا ما رفضنا إجابته إلى طلباته التى لا تنتهى ، وكلما عاملناه بعطف وحلم تمادى فى إيذائنا واتعدى علينا بالضرب وكثيراً ما يهددنا بالقتل وقد تبرأت منه لسوء أخلاقه بعد أن ضقت ذرعاً به ، وأريد أن أعاقبه بحرمانه من الميراث وكتابة

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق : عبد الرحيم فوده

القوية السامية في جمالها وجلالها ، والتي تصور الوحدة الروحية ووحدة الـكون في نفس محمد تصويراً صريحاً ، يستطيع الإنسان أن يصل إلى إدراكه إذ هو حاول السمو بنفسه عن أوهام العاجلة في الحياة . وحاول الوصول إلى كنه الحقيقة العليا ليعرف حقيقة مكانه ومكان العالم كله منها .

لم يكن العرب من أهل مكة ليستطيعوا إدراك هذه المعاني . لذلك ما لبث محمد أن أنحدثهم بأمر إسرائته حتى وقفوا عند الصورة المادية من أمر هذا الإسرائ . وإمكانه وعدم إمكانه .

الدكتور محمد حسين هيكل

من كتابه حياة محمد

التعليق : يخيل إلى أنه لو عاش المرحوم الدكتور هيكل إلى الآن لوجد نفسه حيث وجد العرب من أهل مكة بإزاء قصة الإسرائ . فقد تقدم العلم في السنوات القلائل الماضية بصورة لعلها لم تكن تخاطر على باله حين كتب ما كتب ، فانتقل الإنسان بمادته وروحه إلى ما وراء الأرض وهواء الأرض

الإسرائ :

والعلم في عصرنا الحاضر يقر هذا الإسرائ بالروح ، ويقر المعراج بالروح ، فحيث تتقابل القوى السلبية يشع ضياء الحقيقة ، كما أن تتقابل قوى الـكون في صورة معينة قد طوع ، لما كوني ، إذ سلط تياراً كهربائياً من سفينة التي كانت راسية بالبندقية أن يضيء بقوة موجات الأثير مدينة سسدي في استراليا .

وفي عصرنا هذا يقر العلم نظريات قراءة الأفكار ومعرفة ما تنطوي عليه ، كما يقر انتقال الأصوات على الأثير بالراديو . وانتقال الصور والمسكوبات كذلك مما كان يعتبر فيما مضى بعض أفانين الخيال ، وما تزال القوى السكينة في الـكون تتكشف لعلنا كل يوم عن جديد ، فإذا بلغ روح من القوة ومن السلطان ما بلغت نفس محمد ، فأمرى به الله ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك حوله ليريه من آياته . كان ذلك مما يقره العلم ، وكانت حكمة ذلك هذه المعاني

بأجسامنا الفضاء الكوني حول الأرض على
درب النجوم ، أن نعبث في ذات الوقت فضاء
النفوس البشرية ، لنندرك بقلوبنا ونتذوق
بوجداننا ذلك الأمر الخطير الجليل الذى
نفعله بعبور الفضاء الكوني ، فلا نكون
آلات لا وجدان لها تركب آلات صماء عمياء
لا وجدان لها ، ولا ترتفع إلى حدود عالم
الملا الأعلى بصغارات الملا الأدنى وسفالاته
وحافات ، فننقل إلى تلك الرحاب العلوية
الساكنة الهادئة وحوش الشر والشك والقلق
والإثم والاضطراب التى أكلت قلوبنا
وأكبادنا وشقيتنا بها على الأرض فى الدهر
الأطول الذى مضى ...

أما مركبتنا لعبور فضاء النفس البشرية
والوصول منه إلى ما وراء من عالم الروح
والملا الأعلى الذى يعمر ما وراء ذلك الكون
الكبير ذى الأبعاد والأرقام الفلكية
والمقاييس الضوئية ... فهو الإيمان بسيد
الكون وبما خص به ذلك الإنسان الذى نحملة
جميعاً فى أجسامنا ، ونستوحيه فى أفكارنا ،
ونبادله ما صح وما فسد من شسوتنا .

الإنسان الذى وأينا من « عدسات »
عقول أنبيائه وأصفياه وقلوبهم نور الله
خالق الطبيعة وسيد الكون ، وسمعتنا من
صحفهم وكتبهم وأحاديثهم عن ذاته العليا ،
وهن الكون والحياة والإنسان .

وجاذبية الأرض من الفضاء . وهو يحاول
الوصول إلى القمر ، وإلى غيره من
الكواكب التى يقول فيها : « لنا زينة
السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظاً من كل
شيطان مارد » .

فإذا كانت هذه هى قدرته مع ضعفه
وهوان قدرته أمام الله الذى خلقه
وسواه فكيف بقدرة الخالق الذى يمسك
السموات والأرض أن تزولا .

لقد صدق الله إذ يقول « وما قدروا الله
حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه » .

بل لقد كان شوقى أحكم وأعلم حين قال
فى ذلك :

مشيئة الخالق للبارى وصنعتة

وقدرة الله فوق الشك والتهم

فضاء النفس :

فى النفس فضاء من الحيرة والشك
والغموض ، أشبه بالتيه الذى لا حدود له ،
والحراب الذى لا أنيس فيه .

ولا يقدر على اختراقه إلا من مرّن على
علوم ورياضات للنفس كالعلوم والرياضات
التي مرّن عليها رواد الفضاء بالجسم .

ولا مفر لنا نحن بنى الإنسان فى هذه
الأيام التاريخية التى بدأنا فيها أن نعبث

والباطل والشر الذى يكون بوسواس
شياطين الجن والإنس ، فإذا نسي نفسه
والتمييز بين خواطره غلب عليها الشر وكان
من الغاوين ، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

السيد محمد رشيد رضا
من تفسير سورة الناس

والنفس كالطفل :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تطفمه ينقطع
فاصرف هواها وحاذر أن توليه
إن الهوى ما تولى يصم أو يصم (١)
وواها وهى فى الإهمال سائمة
وإن هى استتحت المرعى فلا تسم
كم حسنت لذة للرب قاتلة
من حيث لم يدر أن السم فى الدم (٢)
البوصيرى

(١) يصم الأول بضم الياء من أصمى الصيد بمعنى أصابه
فوقع بين يديه ، ويصم الثانية بفتح الياء وكسر
الصاد من وصمة يصمه بمعنى طابه ، وشده بصره ،
وشقه ، والوصم ، والعار ، والغب والصنع ،
والفعلان جوابان للشرط فهما مجزومان بخلاف
حرف الملة فى الأول وبالسكون فى الثانى وحرك
بالكسر للروى .

(٢) الدم دهن اللحم والشحم .

وآنسنا بلفظه فى نواديهم ومعابدهم التى
أقاموها للتعرف إليه والتعبد له .
الاستاذ عبد المنعم خلاف - من مجلة الرسالة
نصيب : لكل مؤمن :

يجب عليك أيها المؤمن الذى يريد تزكية
نفسه بحفظها من الشر وجعلها خيرة وأهلا
لسعادة الدارين ، أن تعنى بوقايتها من الشر
قبل وقوعه وبمعالجتها منه بعد وقوعه ، كما
تعنى بوقاية بدنك من الأمراض قبل وقوعها
وبمعالجتها منها بعد وقوعها ، وأن تعلم أن
لكل من أمراض النفس والبدن أسباباً
ظاهرة وأسباباً خفية ، فالخفية من أمراض
البدن أحياء دقيقة تملأ الأرض والفضاء ،
يسمىها الأطباء الميكروبات ، وما عرفوها
إلا فى القرن الماضى ، فهم يرونها الآن
بالمناظير المكبرة ، وأما الخفية من أمراض
النفس فهى لا ترى ، ولذلك سماها الوعى
الجنة والجن د بكسر الجيم ، ومنشؤها
الوسواس الذى تلقى الشياطين فى خواطر
الناس وهم شرار الجنة ، وقد علمنا الوعى أن
لكل إنسان منا شيطاناً يوسوس له بالشر
الذى يغويه ، فالذى يجب على كل منا اتقاء
وسواسه بمراقبة خواطره ووزنها بميزان
الشرح ليميز بين الحق والخير منها الذى يكون
بهداية الدين وسلامة الفطرة الإلهية ،

مَجَلَّةُ الْأَنْزَهَرِ

مجلة شهرية جامعية

مَدْرَسَةُ الْمَجَلَّةِ وَرَثَةُ الْخَيْرِ
أحمد حسن الزيات
لُفْتُ نَوَّانٍ
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

يَشْتَرِكُ فِي الْخَيْرِ
عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَوَّادُ
بَدَلُ الْأَشْتَرِ
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ غمار الجمهورية
والمستحسن والطالب يتغير

بَصْدُ عَنْ مَشِيخَةِ الْأَنْزَهَرِ فِي زَوْنِ كُلِّ شَهْرٍ

الجزء السادس — السنة الخامسة والثلاثون — شعبان سنة ١٣٨٣ هـ - يناير ١٩٦٤ م

لِسَيِّدِ الْمَالِكِ

١٤
٢٤٤٤٦
دوريات

الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

بقلم : أحمد حسن الزيات

في المزيغ الأول من ليلة يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب ، وهي ذكرى الليلة المباركة التي أشرقت فيها الأرض بنور الإسراء ، وانطوت السماء على سر المعراج ، صعدت إلى عليين روح طاهرة بارة بعد أن لبثت في دنيا الناس خمسين سنة تشع بالهدى والعلم ، وتنطق بالحكمة والموعظة ، وتهدى بالكتاب والسنة ، لا يصرفها صارف من هوى ، ولا يشغلها شاغل من شهوة ، حتى لقيت ربها لقاء الصالحين وبين يديها سجل حافل بالجهاد الصابر والعمل المثمر والأثر الخالد والألم المعص ، ومن خلفها ذكر حسن لا ينمحي ، وفراخ واسع لا يمتلي وأسى ممض لا يخف .



الإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت

فيهم صفاء النفس ولطف الحس ودقة الفطنة . فهم وحدهم يدركون النقص فيرومون الكمال ، ويلحظون الخطأ فيطلبون الصواب ، ويسثمون الركود فيريدون التحول . ولذلك كان الإمام شلتوت لا يكره طبعه على حال ، ولا يلبس سمعه على رأى ، ولا يملك لسانه عن نقد ، ولا يكف عزمه عن تغيير ، ولا يخلو جهده عن إصلاح .

كانت عدة الجهاد والاجتهاد مجتمعة لديه ، فقد كان واحد جميله في اكتناه سر العقيدة .. واقتباس نور الشريعة . وكان أفهم العلماء لكتاب الله ، فبراهين قضاياه من قواعده ، وبينات دعواه من شواهد ، ومضامين مؤلفاته من هديه ، وعناوين مقالاته من آيه وكان من أخلص الدعاة إلى سبيل الله : أيقظ همه للإسلام فقرب عقائده للأفهام بما ألقى من دروس وألف من كتب ونشر من مقالات وأذاع من أحاديث ، وتعمق جذور الأصول في الفقه ، وتقصى أطراف الفروع في التشريع ، فوجد في أقوال الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ومدى عصورهم جوابا شافيا عن كل سؤال يخطر على الذهن ، وحلا حاسما لكل إشكال يمرض على المجتمع ، وحكما عادلا في كل قضية ترفع إلى القضاء . وساعده على ذلك ملكة فقهية تنفذ إلى الهلة الباعثة والحكمة المستورة ،

إن في الناس وجلين يربكان الكاتب إذا حاول أن يكتب عنهما : رجلا لا يستطيع أن يحدد ما يقوله فيه ، ورجلا لا يستطيع أن يختصر ما يعرفه عنه . ومن هذا النوع صاحب هذه الروح فقيده الإسلام وشيخ الشيوخ الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت . فقد كان رضى الله عنه من البابة الأولى في الرجولة ! تجلّت في خلّاته مزايا الإنسان الرفيع ، وتمثّلت في أعماله فضائل المسلم المؤمن ، وجعل عمره كله لله وللعلم فأنبت في عمله روح الصوفى الصالح ، وانطبع في فكره أثر الحكميم المصلح ، فامتاز في وقت واحد بمقابلة فيلسوف جبرى ونفسية طفل برى فهو في الحق عاصفة لا تهدأ إلا إذا اقتصر العدل . وفي الخير فضحة لا تسكن إلا إذا انتعش الإحسان . وبهذا الخلق الذى استقام له من الغضب للحق والرضا عن الخير ، جرى في الاعتقاد على الإخلاص ، وفي القول على الصراحة . وفي العمل على الجراءة ، وفي الرأى على الاستقلال ، وفي الحيلة على التمرّد . وهذه الخلال في العلماء ، أشبه بالإرهاص في الأنبياء ، تبلغ درجة المصلحين فيشعرون بذلك الخلق الروحى المقدس الذى لا يفتأ يساورهم في كل هم يحاولونه وكل عمل يزاولونه وكل مكان يستقرون به ؛ لأن مبغشه

فقتضى محمد عبده بحسرة من بنى عباس ، ومضى
المراغى بخيبة من هوى فؤاد ، وخرج
عبد المجيد سليم بنزوة من نزع فاروق ! فاتجه
بعقله وقلبه إلى المشاركة في هذا الإصلاح ،
فاتبع الأول وكان ينحرق أسفا على تعويقه عن
مقصد ، وأيد الثاني وكان يضيق ذروا بطول
تردده ، وعاون الثالث وكان يرتضى أسى على
كف يده ، وكان هو ونقر من إخوانه في
الرأى يجمعون في دار (الرسالة) ، فيتشاكون
ما حاق بالأزهر من ركود ريمحة وانحسار ظله ،
ويشفقون على يشوب الثقافة الإسلامية أن
يصد تياره ما ارتسم في مجراه من الخطام
البالي والغناء الطارئ فكتبوا في الرسالة
فصولا في نقد التعاليم الأزهرية كانت مبعث
وعى في نفوس الطلاب ومشار حركة في قلوب
الأساتذة ، وانفرد هو بدعوة الإصلاح
الأزهرى بعد فشل دعائه من قبله ، فرسم
الخطط وسن المناهج وكتب الرسائل وجبر
المقالات وقدم التقارير ، ثم جعل للإسلام
النقى الواضح قولا في كل مسألة ، ورأى في كل
معضلة ، وتوجيها في كل قصد ، تارة بلسانه
في الإذاعة ، وتارة بقلبه في الصحف ، وكان
من أثر مناصرته لسياسة المراغى ومجاهدته
في سبيل الإصلاح ، أن غضب عليه (القصر)
فأوعز إلى القائم على شياخة الأزهر يومئذ
بفصله من عمله ففصله خمس سنين احتمل فيها

ومعرفة شاملة بأمور العصر تحيط بالظروف
الطارئة والأحوال الداعية ، فاستغنى
عن الاجتهاد المبتدع باجتهاد من نوع آخر
هو الاجتهاد في اختيار الرأى المناسب وترجيح
الحكم الموفق ، دون أن يتقيد بمذهب
من المذاهب ، ولا بإمام من الأئمة ، وإنما
يجرى في فتاواه على أن شريعة الله خالدة
ثابتة عامة لا تتأثر بالمكان ولا تتغير بالزمان
ولا تقسم بالخصوص ولا تضيق بالحضارة
ولا تبرم بالعلم ولا تنبؤ على التطور ومن هنا
واكب الزحف الثورى الاشتراكي في ميدان
الإصلاح العام يؤيده بروح الله ويرشده
بنور الله ويقطع عنه بديانه وإيمانه السنة
الجهل والكيد التي اندلعت من أوكار الرجعية
تضل الناس باسم الدين والدين منهم براء !

كان الإمام محمود شلتوت يرى أن الأزهر
معقل الإسلام الحصين وقبة المسلمين الأخرى
ومنشأ الدعاة والمهداة والقضاة والمعلمين
في مصر وفي غير مصر . فإذا أصلح على الوجه
الذى يريد فقد وضع الطباق على أصل العلة ،
واختصر الطريق إلى بلوغ الغاية .

وكان قد سبقه في محاولة هذا الإصلاح ثلاثة
من أبناء الأزهر النابغين ، ولكنهم منوا
جميعا بالعجز عنه لاستبداد (القصر) يومئذ
بسياسة الأزهر يحريه على هواه وينزله على حكمه

بالقانون والنظام والمال والرعاية . وتبوأ الإمام كرسى الأزهر الجديد وهو يشكر الله على أن مد في عمره حتى رأى نجاح المسعى وتحقيق الأمل . وكان متمناه الباقي أن يمحى في تطوير الجامع العتيق على النهج الذى أسن والمثال الذى تحمى ، ولكن الداء العياء فاجأه فأضعف من طاقته من جهة العزم ، وإن لم يضعف قيادته من جهة الرأى . فكانت هذه الحال سبباً فى ازدياد همه ومضاعفة علمته .

* * *

كان ذكر الشيخ برياسة العلم وإمامة الدين قد دار على الألسنة وسار فى الآفاق ، فكان بريده لا ينقطع بالرسائل ، ومكتبه أو بيته لا يخلو من الزوار ، يفدون إليه من الشرق والغرب اقتباساً من علمه والتماساً لبركته ، سواء فى ذلك المسلمون والمسيحيون والرؤساء والملوك والأمراء والعلماء والقادة ، حتى أصبح مقره من المزارات المعدودة التى يحرص على زيارتها كل قادم إلى القاهرة من رجالات العالم ، وتلك عالمية لشيخ الأزهر لم تتح لأحد من قبله .

وعما ساعده على بلوغ هذه المسكنة دعوته إلى التقريب بين المذاهب والطوائف ، وعمله للسلام بين الأديان والأمم ، واتساع علمه لتطبيق الشريعة على مقتضيات الأحوال والدواعى ، وانطباع خلقه على أخلاق

مكاره العيش ومصاحب الرزق بعزة الكريم وأنفة الابن فلم يمن لها أصابه فى سبيل الله ولم يستكن ، حتى انفرجت الأزمة وانكشفت الغمة ، وتولى مشيخة الأزهر الإمام عبد المجيد سليم وهو من إخوانه وأعوانه فرغب إلى فاروق أن يعينه وكيله ، فأبى الطاغية إلا إذا تخلى شلتوت عن الخطابة والتدريس فى مسجد الأمير محمد على الصغير بقصر المنيل ، فلما كلفته فى ذلك بتكليف من الشيخ الأكبر قال لى فى لهجة تنبض بالغضب : لأن أفصل مرة أخرى من الأزهر ، وأعيش مرة أخرى أنا وأولادى فى صراع الفقر ، خير لى من أن أساوم على كرامتى وأصالح على هوانى ، إن مسجد الأمير الذى أحمل فيه فقه وأنا مدرس ، أحب لى من قصر الملك الذى أحمل فيه الشيطان وأنا وكيل .

وانصرف الشيخ إلى خدمة الإسلام بالتعليم والتأليف ، ومصلحة المسلمين بالتوجيه والتثقيف ، فكان حركة لا تسكن وبركة لا تنقطع ، ولا نظن عالماً من علماء العصر بذل من الفكر والجهد لإعلاء كلمة الله ما بذل شلتوت .

لذلك اختارته (ثورة الإصلاح العام) شيخاً للأزهر ليدفع به إلى مكانه الخالى من صف القيادة العامة ، ويجمع عليه قلوب المسلمين فى أقطار الأرض عامة ، ثم أيدته

اشتغيت وبفضلك اهتديت ، وأصبح منذ ذلك اليوم من أتباعه .

صحبت الفقيد الكريم ثلاثين سنة تمكنت فيها الألفة بينه وبينى . عرفته في مجلة الرسالة وزاملته في مجمع اللغة وعاوته في مجلة الأزهر وبلوته في حالات أخرى مختلفة فلم أعرف فيه إلا العقل النير بالعلم والقلب العار بالتقوى ، والنفوس الراضية بقضاء الله فيما تحب وتكره . ابتلاه الله بالفالج وهو في كمال البنية والعقل فلم يغلبه على الصبر بأس ولم يقعه عن العمل بأس . وإنما ظل على ديدنه يدبر شئون الأزهر ، ويقضى حقوق العلم ، ويغذى نهضة العرب بزاد التقوى كلها حزينهم أمر أو غشيتهم فتنة .

أدركته يومامة من ضعف الإنسان فقال لي في طهجة تتم على القنوط والضجر : « لقد طال الابتلاء يا زيات ! ، فقلت له : هون عليك ! إنك ما دمت تؤدي رسالتك بالعقل الراجح واللسان المبين فلا يهمنا بعد ذلك ألا تلعب الكرة ! فضحك واستترفه وحده الله .

ولكن المنون كانت تقربص بالمرض القلق ساعة الأجل . فلما جاء أطبقت فنه على الضحكة الأخيرة ، وكفنت جسده بالراحة المقيمة ، وأسليت روحه ليلة المعراج إلى رضوان الله في جنة النعيم ... !

أحمد حسن الزيات

الصالحين في السلوك والسمت ، وتأثير حديثه الخصب في مجالسيه بالإيمان والصدق .

كان محدثنا نغم الصوت عصبى اللهجة واسع الرواية يمتزج حديثه بأجزاء النفس فلا يملك السامع إلا أن يتشربه بسمعه وقلبه .

وكان خطيبا جهوري المنطق حافل المخاطر يضع لسانه من فنون القول حيث شاء فلا يتلجلج ولا يتوقف فكان مسجدا قصر المنيل يغص بصفوة المثقفين يوم الجمعة ليسمعوا خطبته ويحضرُوا درسه ، كما كان يغص الرواق العباسي بعلمية المفكرين ليشهدوا درس الإمام محمد عبده .

وكان مجادلا غزير البحر قوى الحجة بصيرا بمواضع الحق قديرا على استنباط الدليل فلا يسع المجادل إلا أن يسلم بحجته ويصير إلى رأيه : حاجه في الله عالم طبيعي من أمة (السويد) كان يمج الإلحاد من مسامحه ويفرزه في كلامه ... وكان قبل لقائه الشيخ قد تحدى فلاسفة اللاهوت أن يحصلوه على الإيمان بالله فما استطاعوا ، فلما زار القاهرة أراد أن يجرب إلحاده في شيخ الإسلام فظل يحاوره ويداوره ثلاث ساعات كما روى الشيخ عبد الحكيم سرور مدير مكتب الإمام يومئذ حتى غمره من الشيخ إشعاع الإيمان وإقناع المنطق فرجع إلى الله صاغرا العقل أبكم الحجة ، وقام قبل يد الشيخ وقال له : بقولك

المُوفِّقُ المُوَفِّقُ

الإمام المصلح "محمود شلتوت"

للأستاذ عباس محمود العقاد

ترجع إلى إقامتها في الإقليم الذي نشأت فيه ،
وإلى الأصل الذي تنتسب إليه ، ...
أما شخصيتها المعنوية فهي ترجع إلى روايتها
الغلبية والعقلية والشعورية ، وعلى قدر
ما يكون لها من التأثير بتلك الروابط
المتفاعلة والحرص عليها وعلى معارفها التي
تكونها ، وعلى الإيمان بمصدر تلك
المعارف ... يكون لها بين الأمم من آثار
الوجود المعنوي .

وكتب عن الصلاة في فصل من فصول
« الإسلام عقيدة وشريعة » ، فقال فيها :
« إنها العنصر الثاني من عناصر الشخصية
الإيمانية » .

وعلى هذه الوتيرة كانت كلمة « الشخصية »
تتردد في أحاديثه للدلالة على قوام كل
« وجود » حق يتميز به عقل الإنسان وضميره
في حياته الروحية ، وهي لحظة من لحظات التعبير
الباطني تدل على معناها وتدل مع هذا المعنى
على مقدار شعوره بكرامة الشخصية وإقترانها
بحق الإنسان وواجبه وبالترتبة التي ناطقها
الحقوق والواجبات ، وتقرر له موقفه من

في كتابات الإمام الفقيه - الشيخ محمود
شلتوت - كلمات لها طابعها الذي تتميز به
بين أمثالها من الكلمات في كتابات غيره ،
من ينهضون بأمانة الدراسة الدينية .
ولعل أبرز هذه الكلمات في كتاباته ،
وفي أحاديثه ، كلمة « الشخصية » .

يلحقها بوصف العقيدة ، ووصف الفرائض
المقدسة ، بل يجعل العقيدة - كما يجعل
الفريضة - مطلباً من معالم شخصية الأمة ،
وشخصية الإنسان في حياته الباطنة وحياته
الظاهرة .

قال رحمه الله في مفتتح مقاله عن رسالة
الأزهر إن : « للإنسان في هذه الحياة فرداً
كلن أم جماعة شخصيتين ، حسية ومعنوية ،
ولا يحظى بالوجود الكامل إلا إذا نال حظه
من الشخصيتين . وشخصية الفرد الحسية
يكونها اللون والطول والعرض ، وشخصيته
المعنوية يكونها إيمانه ومبدؤه وهدفه
في الحياة ، وماله من عقل وتدبير وثبات
ومثابرة في سبيل مبدئه وهدفه » .

ثم قال عن شخصية الأمة الحسية : « إنها

مستقلة مما يضاف إليها من شروح المختلفين وتأويلات أصحاب الرأي أو أصحاب اللغة من المفسرين .

وقد لخص العالم الفاضل الدكتور محمد الهبي هذا المنهج في تقديمه لتفسير الإمام الفقيه فقال : « التفسير الذي تقدمه اليوم للمسلمين هو تفسير للمسلمين أجمعين ، لا لمذهب معين من المذاهب الفقهية ، ولا لون من ألوان العقيدة الكلامية ولا لاتجاه خاص من اتجاهات أهل الظاهر أو أهل الباطن . »

ثم قال عن المنهج الذي اختاره الأستاذ المفسر واقتدى فيه بالمعلم المصلح العظيم محمد عبده فقال : « إنه منهج « جعل السورة وحدة واحدة ، يوضح مراميها وأهدافها وما فيها من عبر ومبادئ إنسانية عامة ، وأنه لا يقيم فيه القرآن على القرآن من رأى خارج عنه ، أو مصطلح انتزع من مصدر آخر ، فجعل كلمات القرآن يفسر بعضها بعضاً كما أطلق الحرية للقرآن في أن يدل بما يريد دون أن يحمل على ما يراد . »

وبهذه المثابة يصبح تفسير القرآن تفسيراً للمسلمين جميعاً ، وعليه يقام أساس التوفيق بين المسلمين أجمعين ، وهي أمانة لا يضطلع بها غير أهلها من القادرين على الاستقلال بأنفسهم وعلى مواجهة الخلاف بما ينبغى للجهته من الشجاعة الصادقة ووسائل الإقناع

الشخصيات الإنسانية الأخرى في إبداء الرأي والاضطلاع بأعباء الدعوة والإقناع .

هذه واحدة من خصال العقل المجتهد ، بل هي أولى تلك الخصال في كل ترتيب لكفايات المجتهدين . من كان له رأى وعلم ولم يكن له نصيبه الأولي من هذه الخصلة فلا سبيل له إلى الاجتهاد ، لأنه يلقي العائق الأول من أداء وظيفة الاجتهاد من قبل نفسه ، ويحجم عن العمل في سبيله قبل أن يصده غيره عن تلك السبيل .

وتلك هي الخصلة التي توافرت للأئمة الأسبقين من أصحاب الرأي والقياس في الشريعة ، وبفضل الثقة التي كانت تملأ نفوسهم ، من هذه الخصلة كانوا يقولون لمن يستكثر عليهم التعقيب على أهل العلم من الصحابة والتابعين : « إنهم رجال ونحن رجال . »

* * *

وإذا اجتمع الاجتهاد في كلمات معدودات صح أن يقال إنه هو القدرة على الرجوع إلى روح القرآن الكريم ، أو أنه بعبارة أخرى تفسير المذاهب بمعاني القرآن الكريم ، وليس هو تفسير القرآن الكريم بمعاني المذاهب أو بنصوصها أو بأقوال الرواة فيها . ولقد كان هذا هو إيمان الإمام الفقيه بالكتاب المبين ، وكان هذا هو منهجه في الاحتكام بالمذاهب إلى آياته وأحكامه ،

وكلمات حفظت اللغة التي نزلت بها وليست هذه اللغة هي التي حفظتها ، ولم يتفق قط للغة من اللغات أن عاشت بكتاب واحد مدى هذه السنين ، فلم تعيش لغة اليونان خمسمائة سنة بكتاب هوميروس ، ولم تعيش لغة اللاتين بعض هذه السنين بلغة فرجيل وهوراس ، وذهبت لغة فارس ولغة الهند وفيها من الكتب ما لا يقرأ اليوم غير كهان المحارب ، وماتت لغات أخرى كانت تعيش قبل الإسلام وبقيت لغة القرآن حية في عالم الديانة وفي عالم الكتابة وفي عالم الثقافة ، وستحيا غداً كما حييت بالأمس ، ماشاء الله ، وصح فيها قول الأستاذ الفقيه : « لأنها ليست في هذا المقام عربية الإقليم والجو ولا عربية النساب إلى أصل ينسب إليه الجنس ... وصارت عربية الشخصية المعنوية المسكونة من حضرى العروبة والإسلام ... » .

ولما تسكلم عن غايته من التعليم في المعهد الأكبر المنى تولاه قال : « نريد تخريج تبرز لائمة في اللغة وفرونها وأئمة في الفقه وأصوله ، نريده تخريجاً أساسه النظر العميق والاجتهاد العلى الذى يكون الشخصية الفقهية والشخصية القوية العربية ، لا نريده تخريجاً ملتزم فيه مخلفات الماضى من آراء ومذاهب بل يجب أن نجتهد وأن نؤمن بأن حاجة اليوم في الفقه واللغة وهقائق الدين غيرها

ياحسان ، وما ينبغي للجهتد المعلم خاصة من الصمود إلى غاية التعليم ، وغاية المعهد العلى الذى يتولاه .

وصف الإمام الفقيه رسالة الجامع الأزهر معهد العلم الإسلامى الأكبر ، فقال فى بعض كلمات : « إنه معهد الهدى وحصن اللغة المسكين . ومن أراد هذه الرسالة للجامع الأزهر ، فقد عرف من قبل رسالة القرآن الكريم ، بل عرف المعجزة الكبرى لهذا الكتاب فى ناحية إعجازه التى لا مرأى فيها ، وهى معجزة الأثر الخالد التى نستطيع نحن - أبناء هذا العصر - أن ندركها وأن يكون إدراكنا لها أقوى وأوضح من سبقونا إلى العلم بمعجزة الكتاب المبين .

معجزة الأثر فى ألف وأربعمائة سنة أقوى وأوضح من معجزته التى شهدها أبناء القرن الأول ثم شهدها أبناء القرون الأولى بعد عصر الدهوة ... فإننا اليوم نستطيع أن ندرك تلك المعجزة التى لا نظير لها والتى تقاصرت عنها الهمم ووقفت دونها دعوات الأفراد والأمم ، وتم بها ما يتم بعمل إله وقول إله ، وهيبات أن يتم بجهد الإنسان بغير معونة الله :

أربعمائة مليون من بنى آدم فرقهم الأجناس واللغات والبغاع والأزمان ، وجمعتهم كلمات القرآن .

إلى الخلاص من طغيان الاستبداد وطغيان الاستقلال .

وهاهنا العصر الذي أصبح فيه معهد الإسلام الأكبر كما قال الشيخ رحمه الله : « يضم السوداني ، والمصري ، والحبيشي ، والبنيني ، والشامي ، والفلسطيني ، والأندونيسي ، والتركتاني ، والسعودي ، والافغاني ، والتركي ، والروسي ، واليوناني ، واليوغسلافي ، والكرودي ، والعراقي ، والكويتي ، والإيراني ، والسيامي ، والباكستاني ، والفلبيني ، والملاوي ، والبرمي ، والأردني ، والبناني ، والنيجباري ، والأوغندي ، واليبي ، والتونسي ، والجزائري ، والمراكشي ، والأوثيري ، والسنگالي ، والصومالي ، والنيجيري ، ... إلى غير هؤلاء من وفدوا إليه أو يتوافدون مع الأيام بلا انقطاع لا جرم كان من بشائر الأمل - كما أسلفنا في غير هذا الموضع - أن ينفض الشيخ شلتوت بمشيخة الأزهر في الزمن الذي تفتحت فيه الطارق بين البلاد الإسلامية بعد أن تحررت من الطغيان الأجنبي عليها وبين هذا المعهد الذي لا معهد في العالم الإسلامي أولى منه بضم الشمل وتقريب مسافة الخلف بين المسلم والمسلم حينما كان في أقاصي البلدان .

ومن عرف الإمام الفقيه عرف أنه قد تزود لهذه الرسالة ب زاد غير عليه الغير

بالأمر ، وأن تؤمن بأن فضل الله في كل ذلك لم يكن وفقاً على الأولين .

ونستعير من أسلوب الفقيه فنقول إن الاجتهاد كما أراده هو الاجتهاد بعناصر « شخصيته » على تمامها كما ينبغي أن يضطلع به المجتهد في جميع العصور ، وهو أتم من ذلك بالفئة إلى عصرنا هذا الذي نعيش فيه ، وبالفئة إلى العصر المقبل الذي يواجهه المجتهدون عما قريب .

فما من عنصر من عناصر الاجتهاد إلا قد ظهر له في هذا العصر باعث يستدعيه لم يكن ظاهراً بهذا الجلاء وهذه الضرورة في عصر من عصوره الماضية .

فها هنا عنصر النظرة الموحدة إلى الكتاب المبين في العصر الذي ارتفعت فيه حواجز الاستعمار الأجنبي ووجب أن تحمل في مكانها روابط القربى بين أمم الإسلام على تباعد الديار وتباعد الشيع والمذاهب التي لا بقاء لها مع توحيد النظرة إلى كتاب المسلمين أجمعين . .

وهاهنا عنصر اللغة في عصر النهضة العربية وقوامها كله نهضة الثقافة العربية التي تتحد بها ثقافة الإسلام في جميع اللغات .

وهاهنا عنصر الاستقلال ، في عصر الحرية الفكرية أو عصر الإنسان ، الحر في الجماعة الحرة ، وقد مضت الجماعات في طريقها

العقل الواحد بينه وبين نفسه في وجهات نظره بين حين وحين ، وبين اعتبار واعتبار .

وبهذه النظرة « القرآنية » ، حمل الشيخ الأكبر في تنظيمه الدروس بمعاهد التعليم ، كما حمل على هذه الهداية في علاقته بالأم الإسلامية وعلاقته ببلاد العرب أجمعين . والجديد في خطته على هذه الجادة القديمة أنه فهم أن اللغة العربية ، أو اللغة القرآنية ، شيء يتعلمه العربي المسلم كما يتعلمه المسلم غير العربي ، فلم يكن على المسلمين غضاظة في هذه المساواة الشاملة ، ولم يكن للعربي إيثار على غيره ؛ لأن عروبه في هذا المنهج هي عروبة القرآن الذي يقساوى فيه المسلم والمسلم من كل جنس ، وبكل لسان

ولئن مضى الإمام المجتهد ولم يعقب برنامجه المفصل للتطبيق الشامل « العملي » ، في المستقبل الذي سيواجهنا هما قريب - لقد عمل وعلم وأعقب المثال الذي يهتدى به من عمل معه ومن تعلم على يديه ، ومن يقدر على مجاراته في اجتهاده والزيادة عليه بما يتهيأ لهم من وسائلهم ولم يتهيأ له في حياته ، ولأنهم الكثيرون بعون الله ، يحجزهم الله وإياه .

عباس محمود العقاد

وشجاعته الصادقة ، وهو زاد القلب الطيب والسجية الكريمة ، تجمع الحوصم على الألفة والثقة كما تجمع الأصحاب والأنصار .

ولقد عرفنا الشيخ الأكبر سنوات في مجمع اللغة العربية فتعودنا أن نعرفه « قرآنيا » في دراسته لأسرار اللغة ، قبل أن نعرفه « لغويا » ، في دراسته لأسرار القرآن ، وكنا نسمعه يقول : « إن القرآن معجز بما هو به قرآن ، ومعنى بذلك نسقه الذي ينتظم ألفاظه ومعانيه ويوحى من معانيها بما ليس في مفردات الكلم ولا في أجزائه التي يقتضيها الإعراب في كل عبارة .. فليست الكلمة الواحدة هي محل الإعجاز ، وليس محل الإعجاز هو الكلمتين أو الكلمات الثلاث التي تتم بها جملة الفعل والفاعل أو المبتدأ والخبر والجار والمجرور أو المضاف والمضاف إليه ، ولكنه نسق دقيق يتخطى لوازم العلاقة بين الألفاظ في النحر والصرف إلى لوازم العلاقة بين المعنى والوجدان ، وبين الوحي والبصيرة ، بما لا تدركه ولا تبلغ إليه بلاغة الإنسان . وهذه البصيرة المتفتحة تسنى له أن يفهم القرآن كتابا للمسلمين جميعا يرجعون إليه فيرجعون إلى مصدر واحد يظل فيه الخلاف ، أو يختلف فيه المختلفون ولكن كما يختلف

صفحة بيضاء من جهاد شلتوت في سبيل الإصلاح الديني، والتقريب بين المسلمين للأستاذ محمد محمد المدني

بهذه العبارات الواضحة حددت لجنة إصلاح الأزهر المؤلفة في سنة ١٩١٠، الفرض من جماعة كبار العلماء، وآمال الأمة الإسلامية فيها، ولم تزل الأمة الإسلامية ناظرة إلى هذه الجماعة الموقرة تقرب منها أن تكون مصدر خير لها في دينها ودنياها، وتقرب منها أن تعمل على إعلاء كلمة الله، ونشر ثقافة الإسلام، وحيادتها بما يقويها، ويدفع عنها غائلة المعتدين. تقرب منها أن ترشدها إلى أحكام الدين نقية بما خالطها من شوائب الابتداع في عقائدها وعباداتها ونظمها ومعاملاتها، ولأن أفرج تحقيقاً لهذه الآمال الجسم أن يؤلف لجماعة كبار العلماء مكتب على دائم، وأن يجعل لهذا المكتب مكان معين معروف، شأن كل هيئة رسمية وغير رسمية من الهيئات التي تعمل لأغراض خاصة. أمامية هذا المكتب بعد إنشائه، فهي ما يأتي:

(أ) معرفة ما تهاجم به الأديان عامة، والدين الإسلامي خاصة، في عصرنا الحاضر، والرد عليه رداً كافياً مقنعاً بأسلوب ملائم لطريقة البحث الحديث.

(ب) بحث ما يحصل فيه الاختلاف

في العدد السابع والثلاثين بعد الأربعمائة من مجلة (الرسالة) الغراء (وهو يقع بين أعداد المجلد التاسع منها)، نجد تنويهاً باقتراح عظيم خطير الشأن صادر من المغفور له الإمام الأكبر الراحل الشيخ محمود شلتوت، حينما كان وكيلاً لكلية الشريعة في نوفمبر سنة ١٩٤١ قدمه على إثر اختياره عضواً في « جماعة كبار العلماء ».

وهذا نص الاقتراح :

« إن هيئة كبار العلماء ركن مهم من أركان الإصلاح في الأزهر، بل الذروة التي يجب بلوغها منه ليعود إليه أركان الفقه - المحققون، والمحدثون الثقات، والمفسرون المطلقون، والفقهاء، والمؤرخون الصادقون، وأهل الصلاح والتقوى.

إن هيئة كبار العلماء هي التي يرجى منها أن تكون تاج الجامعة الأزهرية، ومن أهلها أن يكونوا أساطين العلم، وحفاظ الشريعة، ومقوى لغة القرآن، لتركن ضمائر الواجفة إلى هديهم، وتهدأ النفوس الراجعة بهديهم وإرشادهم وتطمئن قلوب المؤمنين لقيامهم حفاظاً لليقين، وحراساً على شريعة النبي الأمين.

على توجيها في طريق تخدم به الحركة الفكرية الإسلامية ، وتبرز به ثقافة الكليات الأزهرية .

* * *

هذا هو الاقتراح الذي عبر به فضيلة الإمام الأكبر الراحل عما كان يدور بخله في جانب من جوانب إصلاح الأزهر ، يعد هو الجانب الأساسي فيما يبتغيه المسلمون منه ؛ ذلك أن الأزهر هو وارث علم الإسلام ، وليس في هذا العصر جامعة أو معهد علمي ينافسه في تاريخه العريق ، ولا في حفاظه على هذا التراث المقدس .

ومن أول واجباته أن يكون دائما على صلة بالحياة وما يجد فيها ، وما يطب به لمشكلاتها ، فعلاؤه هم الذين يستطيعون بدراساتهم العميقة ، وتحليلاتهم الدقيقة أن يطبقوا علم الإسلام ، وقواعد شريعته ، تطبيقا قويا ، وأن يترجموا أفكار الأولين واجتهاداتهم إلى لغة العصر ، وأن يرضوها على الناس هرصا جميلا ميسرا تدركه العقول ، وترتضيه الأذواق ، وهو في الوقت نفسه الجامعة المعترف بها من العالم الإسلامي كله ، الموثوق برجالها ، المنظور إليها نظرة الإمامة والقداسة .

فإذا استطاع الأزهر أن ينهض بهذه الأمانة ، ويحمل أعباء هذه الرسالة ، واستقر الإيمان بالدين في نفوس المؤمنين ، واطمأن

بين علماء العصر من جهة أنه بدعة يجب تركها ، أو ليس كذلك ، ووضع الأصول الكفيلة بتمييز ما هو بدعة عما ليس بدعة ، والعمل على نشر كل ذلك ، ليرجع إليه الناس ، وتقطع به أسباب الفتنة والنزاع بين المسلمين .

(ج) العمل على وضع مؤلف يحتوي على بيان ما في كتب التفسير المتداولة من الإسرائيليات التي دس على التفسير ، وأخذها الناس على أنها من معاني القرآن ، والتي لا يدل على صحتها نقل ولا يؤيدها عقل ، وهذا يشبه ما قام به رجال الحديث من تجريد الأحاديث الموضوعة في كتب خاصة يرجع إليها الناس .

(د) إصدار الفتاوى في الاستفتاءات التي ترد من المسلمين في جميع الأقطار إلى مشيخة الجامع الأزهر .

(هـ) بحث المعاملات التي جددت وتجدد في العصر الحاضر من جهة حكم الشريعة فيها ، حتى يظهر للناس سعة صدور هذه الشريعة ، وقدرتها على تلبية حاجات الناس في مختلف المصوور .

(و) تنظيم طرق الوعظ والإرشاد ، والاتصال بالهيئات المعدة لذلك .

(ز) التنقيب عن الكتب المفيدة في مختلف العلوم ، والعمل على إحيائها وإخراجها لإخراجا علميا متقنا .

(ح) الإشراف على مجلة الأزهر ، والعمل

أكثر ما يدور عليه الخلاف بينهم ، إنما هو في النظريات الكلامية والقضايا التاريخية التي لاشأن لها بالأصول الإسلامية التي يجب الإيمان بها ولا يعتبر المرء مسلماً إلا إذا اعتقدها ، ودان الله بها ، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يتقاطع المسلمون بعضهم بعضاً ولماذا ينظر بعضهم إلى بعض نظرات التوجس والحذر وسوء الظن ؟ ، ولماذا لا يجتمع علماءهم من كل شعب ومذهب ليدرسوا أحوال أممهم ، وأصول دينهم ، وتعاليم رسولهم ، وما يستقيم عليه في هذا العالم أمرهم ، في جو من صفاء الأخوة ، وتآلف أهل الإيمان ؟ وإذا كان هناك اختلاف في بعض المسائل الفرعية أو النظرية التي لا يضر الاختلاف فيها ، فلنجتمع حول ما اتفقنا عليه ، وهو الأكثر وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه ، وهو الأقل ، ولنعمل جميعاً في صف واحد كسليدين فقط ، لا كشيعه أو سنة أو جعفرية أو زيدية ، ولنتفرغ لإصلاح حال الأمة الإسلامية ، وتصفية يثاتها من رواسب الماضي التي أدت إلى كثير من الضعف ، وأفسدت كثيراً من المفاهيم ، وخلطت الدين بما ليس منه .

وجد الإمام الراحل في هذه الفكرة متفلساً له ، ووجد في (دار التقريب) ، ومجلتها (رسالة الإسلام) منبراً يرسل من فوقه صيحاته الإصلاحية بعد أن أسهم

الناس إلى أن شريعة الإسلام هي الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان .

ولكن جماعة كبار العلماء لم تنهض يومئذ بهذا العبء ، ولم تنشط لتنفيذ هذا الاقتراح ، وظلت جهودها موزعة دون نظام يجمعها ، أو قيادة تدفعها ، وظل المسلمون يشعرون بالفراغ في هذا الجانب .

ولكن الإمام الراحل لم يركن إلى الاستسلام ، فاتجه هو وطائفة من إخوانه العلماء الأقوياء المجددين ، إلى الإسهام في إنشاء (جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية) ومجلتها (رسالة الإسلام) ، وكان في مقدمة الذين اشتركوا في هذه الجماعة — غير الراحل الكريم — منذ تأسيسها المغفور لهم : الشيخ المراغي ، والشيخ مصطفى عبد الرزاق ، والشيخ عبد المجيد سليم ، رحمهم الله ، وغيرهم من الذين سبقوا إلى ربهم ، أو ما زالوا على قيد الحياة يجاهدون في الله وفي مقدمتهم سماحة الأستاذ العلامة الشيخ محمد تقي القمي العالم الإمامي الإيراني — أطال الله عمره — ولقد كان من أهم ما لفت أنظار هؤلاء العلماء وإخوانهم أن الخلافات الطائفية والمذهبية ، قد أفسدت ما بين المسلمين ، وجعلت من كل فريق منهم عدواً للآخرين ، يتربص بهم ويتربصون به ، وأن هذه الخلافات بكرت على المسلمين منذ العهد الأول ، فتفرقوا شيعاً وكل حزب بما لديهم فرحون ، وأن

تفسيره وما يكتبه في مجلة (رسالة الإسلام) من أهم موضوعات الرسائل المتبادلة بينه وبينهم ، كما كان التشاور بينه وبين العلماء في مختلف الطوائف الإسلامية على توليد فكرة التقريب ، متصلا لا يكاد ينقطع .

ومن أهم ما عمل له فضيلته من خلال دعوة التقريب ، ذلك المشروع الجليل الشأن ، الذي يرى إلى جمع الأحاديث الشريفة المتفق عليها في كل باب من أبواب العقائد ، والأخلاق والفقه والأحكام ، والأخبار ، مادامت قد وردت من طريق برأضيه كل من السنة والشيعة ، ويجمعان على لفظه أو معناه .

وقد تحدثت مجلة (رسالة الإسلام) عن هذا المشروع الجليل الشأن في عددها الخمسين الصادر في ذي القعدة سنة ١٣٨١ هـ (أبريل سنة ١٩٦٢) حيث تقول :

من الحقائق المقررة التي تؤمن بها دجاجة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، وتعمل على تجليتها للناس ، وتدعو إليها في كل مجال أن جميع المذاهب الإسلامية تؤمن بالسنة المطهرة كصدر مقدس من مصادر الشريعة مثلها في ذلك كمثل القرآن الكريم ، فليس لمسلم أن ينكر حجية السنة شيعيا كان أو سنيا وليس في هؤلاء وهؤلاء من يقول : هذا الحديث صح وروده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع ذلك لا أعمل به ولست

في تأسيسها ، وكان من روادها الأولين ، وظل يدها ، ويستمد منها إلى آخر لحظة من حياته ، مدة تزيد على خمسة عشر عاما ، هي أكثر أعوامه بركة ونشاطا وتوقدا ، ففيها أنشأ تفسيره الذي كان يفكر تباعا في (رسالة الإسلام) والذي جمعه بعد ذلك وأخرجه في مجلد كبير .

وهذا التفسير هو نسيج وحده ، فإن الراحل الكريم لم يكن يرى به إلى شرح مفردات ، أو تفسير آيات ، أو إثارة مشكلات ؛ وإنما كان يرى به إلى دراسة السور القرآنية دراسة هدفها بيان ما لكل سورة منها من غرض ، وكيف وصات إلى تحقيق هذا الغرض ، وبيان ما للذكر الحكيم في كل مجال من آثار بعيدة المدى في حياة المسلمين ، ومن توجيه راشد إلى التي هي أقوم في مختلف النواحي السياسية ، والمالية ، والحربية ، والاجتماعية والتشريعية ، واقصد تهيات لفقيه مع هذا فرصة الاتصال العلمي بكثير من العلماء في الأقطار الأخرى عن طريق المراسلة والمحاورة ، فاتصل بالمغفور له الشيخ محمد الحسن آل كاشف الغطاء من كبار علماء العراق وبالمغفور له الشيخ شرف الدين الموسوي ، من كبار علماء لبنان ، وبالإمام الأكبر لعلاء إيران ، وهو بالمغفور له الشيخ محمد حسين آقا بروجردى ، وغيرهم ، وكان

التي تقول : كل ما ثبت عن رسول الله يجب العمل به ، بل كلهم يؤمن بها إيماناً لا يعقريه الشك ، وكلهم يعتبر هذا الإيمان ركناً أصلياً من أركان الإسلام ، من شذ عنه خرج من رتبة الإيمان .

لكن الخلاف حين يوجد إنما هو في المقدمة الصغرى التي تقول : هذا الأمر ثبت وروده ، فيقول بعضهم : نعم ثبت فأقبله ، ويقول الآخرون لم يثبت فأنا لا أقبله .

ولذلك اشتهر بين علماء المناظرة قولهم في بعض الأحيان : هذا الخلاف صغرى ، لا كبرى ، أو خلاف في الصغرى دون الكبرى . وهناك حقيقة أخرى تؤمن بها ، ونعمل على تجليتها ، وندهو الناس إلى الإيمان بها .

تلك هي أن العدد الأكبر بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شئون العقيدة ، والشريعة ، والأخلاق ، وسائر الجوانب التي جالت في ميادينها السنة المطهرة قد اتفق عليه كلا الفريقين ، فهو وارد من طريق صحيح يرضيه كل منهما ، أو وارد من طريقين لهؤلاء وهؤلاء ، تطابقا عليه لفظاً أو معنى ، وأنه لا يوجد خلاف إلا في العدد الأقل من أحاديث الأحكام أو الأخبار وليس هذا العدد الأقل من حسن الحظ في الأصول الضرورية التي لا يكون المرء مسلماً إلا بها ، وإنما هو فيما لا يضر الاختلاف فيه ،

مازما شرعاً بهذا العمل ، ولكن ربما قال قائل من هؤلاء أو هؤلاء : هذه الرواية لم تصح عندي فأنا لا أعمل بها ، وإنا نرى هذا بين علماء السنة أنفسهم في مختلف مذاهبهم كما نراه بين علماء الشيعة في نطاق المذهب ومع المذاهب الأخرى ، فكيف من أحاديث صححت عند فقيه ، ولم تصح عند آخر ، وكيف من أحكام فقهية خلافية انبنى الخلاف فيها على موقف كل من قبول حديث معين أو عدم قبول .

والواقع أنه لا غشاضة في ذلك مادام الإخلاص هو وائد الجميع ، وما داموا كلهم مؤمنين بالسنة كأصل من أصول التشريع وبأنه لا يجوز لمسلم أن يرفض ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ويتلخص هذا المبدأ المسلم به عند الفريقين في أن الاختلاف ليس واقعاً في كبرى القياس وإنما يقع أحياناً في صغراه ، فإذا قلنا في قياس من الشكل الأول هذه المناطق : هذا الأمر قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكل ما ثبت عنه يجب العمل به كان معنا مقدمتان : الأولى منهما هي المعروفة عند المناطق بالمقدمة الصغرى ، والثانية هي المقدمة الكبرى ، فإذا سللت المقدمتان صححت النتيجة ، وهي : وهذا الأمر يجب العمل به .

فالمسلمون لا يختلفون في المقدمة الكبرى

السكرتير الصام لجماعة التقريب ، واستعرضا
الفكرة ، وما قام حولها من بحوث وتجارب
وما أسفرت عنه من نتائج ، وما يمكن أن
يسلك من الطرق في سبيل تحقيقها ، فاتفقا
- والحمد لله - على أن المشروع جدير بالتحقيق ،
وعلى أن تقوم دار التقريب بخطوات تنفيذه
العملية على بركة الله تعالى ، وأن يقوم بذلك
رجال من علماء التقريب في مختلف البلاد
الإسلامية ، بحيث تقسم أبواب السنة ،
ويختص كل جماعة من العلماء بقسم ثم يراجع
ما يتم من ذلك أولا بأول في دار التقريب
بالقاهرة ، ويبدأ في إخراج مطبوعا منسقا ،
إن شاء الله .

ولقد كان من آثار جهاد الفقيد في هذا
الجانب أنه عمل على إنشاء (مجمع البحوث
الإسلامية) ليكون مرجعا للمسلمين في كل
شأن علمي ديني ، وهو إحياء لمشروعه القديم
لجماعة كبار العلماء ، غير أنه أفاد من صلاته
بمختلف علماء المسلمين عن طريق دعوة
التقريب ، فراحى في تشكيله أن يكون ممثلا
لجميع المذاهب الإسلامية ، دون فرق بين سنة
وشيعه ، ماداموا جميعاً يعترفون أصول
الإسلام الأساسية .

رحم الله الإمام الأكبر ، وأنزله منازل
الابرار في مستقر رحمته ورضوانه ؟

محمد محمد الطهني

وفيا يسع المسلم باعتباره مسلما أن يترخص
فيه دون أن ينازع أو ينازع .

على ضوء هاتين الحقيقتين المقررتين ؛
رأت دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ،
أن تقوم بمشروع علمي إسلامي جليل الشأن :
ذلك هو جمع الأحاديث التي اتفق عليها
الفريقان في مختلف أبواب الإيمان والعمل
والإخبار والأخلاق وغير ذلك من أبواب
السنة المطهرة : تجمع الأحاديث المتفق عليها
في كل باب ، ويبين مع كل حديث مصدره
من كتب السنة ومن كتب الشيعة ، ودروجه
عند كل من الفريقين ، ويمكن إصدار ما يتم
من ذلك على سبيل التدرج جزأ بعد جزء
حتى يكمل المشروع بإذن الله ، ويومئذ يجد
فيه المسلمون مرجعا متفقا عليه ، صالحا
للاحتجاج به ، والاحتكام إليه .

لقد بذلت في دراسة هذا المشروع جهود
كثيرة من رجال التقريب في مصر وغيرها ،
استغرقت وقتا طويلا ، وعملت تجارب
في مختلف الأبواب والموضوعات ، أسفرت عن
نتائج تؤذن باستقامة الفكرة وتبشر بنجاحها .
ومن ثم اجتمع في هذا الشهر بمدينة
القاهرة قطبان من أقطاب التقريب ، هما
السيدان الجليلان : الأستاذ الأكبر الشيخ
محمود شلتوت ، شيخ الجامع الأزهر ،
والعلامة الحجة الأستاذ محمد تقي القمي

ملك التتار يعتنق الإسلام طوعاً

للأستاذ محمد رجب البيومي

ليدركوا أسباب تفوقه النابعة من هديه
المستقيم ، وصراطه الحميد !

ولو أن الصراع الديني كان لذاك بين
ديانة التتار ودين الإسلام وحدهما ، لقلنا إن
فساد عقيدة التتار قد مكن للإسلام من
الرسوخ إذ وجد الطريق خالية من مزاحم
قوى عنيد ! ولكن التاريخ يثبت أن الصراع
آنئذ لم يكن بين الإسلام والوثنية وحدهما
ولكن المسيحية كانت تقف بأباطرتها
وقساوستها ، وطغيانها الصليبي مع الوثنية
تجاه الإسلام ؛ إذ تعاون الصليبيون مع
التتار على حرب المسلمين ونهضت مصر
المؤمنة تحت زعامة الظاهر بيبرس تحفظ كلبة
أفقه في الناس ، ونهب دماء أبنائها رخيصة
هينة في ذات أفقه ! وقد اهتبل البابا لاونسنت
الرابع طغيان التتار على بلاد الإسلام ليجعل
منه سلاحاً جديداً يسهم معه في إبادة
الإسلام ، فأخذ يرسل سفراءه إلى ملوك
المغول مظهرًا عواطف الود والتقدير ، بل
إن ملك أرمينية المسيحي هيتون كان المحرض
الأول على إرسال حملة هولاكو إلى بغداد ،

صدرت كتب مختلفة تتحدث عن التتار
وما أحدثوه من فظائع دامية في تاريخ الأمة
الإسلامية وجلها تبدأ بتاريخهم الأول منذ
تجمعهم تحت قيادة جنسكيز خان ثم تقف عند
هزيمتهم في معركة عين جالوت ، وكان من
الأنسب أن نتختم بدراسة واقية لاعتناقهم
الدين الإسلامي ؟ وكيف تم ذلك في عصر لم
تكن فيه للإسلام خطوة مادية تجبرهم على
الانقياد والإذعان ، فقد كانوا في أكثر
وقائعهم ظافرين منتصرين ، ولكنهم أذعنوا
طائعين لدين المقهورين المغلوبين ! وتلك
عجيبية العجائب حقاً ، لأننا نعهد المغلوب
ينفضو تحت لواء الغالب ويسير في تياره ،
أما أن يقدم الغالب عن طواعية إلى اعتناق
دين تابعه ، فتلك شهادة مثل الإسلام ،
تؤكد أن مبادئه القويمة تفق بمنطقها العادل
طريقها الواضح إلى العقول المنصفة متى سلطت
البصائر من الأهواء ! وهي من ناحية أخرى
برهان قوى يصفح من يزعمون أن الإسلام
قد انتشر عن طريق السيف ! ! ويدعوم
إلى أن يبحثوا مقومات هذا الدين القوى

ويرجع الفضل في ذلك إلى حماسة الدعاة من المسلمين الذين كانوا يلاقون من الصعوبات أشدها لمناهضة منافسين عظميين هما : المسيحية والبوذية .

وسنقصر حديث اليوم على أول ملك مغولي اعتنق الإسلام طواعية واختيارا بعد أن درسه دراسة بصيرة ، فكان إسلامه في سلطانه ويثته وظروف حصره دليلا على أن الإسلام دين الفطرة الخالصة تهتدى إليه النفوس البريئة متى سلبت من أدران التعصب والجنود ، فقد كان الملك بركة خان عاهل القبيلة الذهبية نائب التفكير فيما يمتنقه قومه من أوهام مقدسة لا تنهض على دليل ، فالهامانية وهي دين المغول القديم تعترف بإله عظيم قادر ، ولكنه ينفرد في عزله تاركا أمر الكون إلى مجموعة من الآلهة الشريرة ذات القدرة على الإيذاء والتقمع ، ويمكن أن تكف عن إيذائها بعض الشيء إذا تقدم إليها سيل من دماء الضحايا والقرايين بين الحين والحين ، وكان السحرة من مدعى الطب والشعوذة هم رجال هذا الدين ممن يقودون النفوس بسيطرهم الروحية وفق ما تمليه شهواتهم الطامعة ، ولم في أرواح الموق اعتقاد بعيد النفاذ فهي في أيديهم كما يدهون يرمون بها إلى من يشذعن تقدسهم أو يتخلف عن أداء الضرائب المتسوالية من المال

وقد ظن بعد سقوطها الرهيب أن أيام الإسلام في الشام ومصر معدودات ، وافطلق النسطوريون في ربوع فارس يبشرون بالمسيحية متذهرين بحماية حلفائهم من روس القطار ، وكان لويس التاسع من قبل ذلك يرسل مندوبه ولیم دوبرك إلى الخان الأعظم يستحثه على مواصلة جهوده في نشر المسيحية وإهما أنه قاب قوسين أو أدنى من تنصير المغول ... ولكن الإسلام في سواد هذه المحنة يتألق ويستفيض ، وتكون له الكلمة الأولى في مغول القبيلة الذهبية بالقفجاق ، ثم الكلمة الأخيرة في مغول فارس أهدائه الألداء ويأبى الله إلا أن يتم نوره : قال السير توماس أرنولد نقلا عن ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن وزملائه في كتاب الدعوة إلى الإسلام بتصرف يسير :

« لا يعرف الإسلام بين ما نزل به من الخطوب والويلات خطبا أشد هولا من هزوات المغول فقد انسابت جيوش جنكيز خان انسياب الثلوج من قن الجبال ، واكتسحت في طريقها العواصم الإسلامية وأنت على ما كان لها من مدنية وثقافة ، على أن الإسلام لم يلبث أن نهض من تحت أنقاض عظمته الأولى وأطلال مجده التاله واستطاع بواسطة دعائه أن يجذب أولئك الفاتحين المتبربرين ، ويحملهم على اعتناقه ،

أسلم الرجل عن اعتقاد وخص ، فجاء إيمانه
ركينا مكيئا ، لا تحيط به الشكوك ، ولولا ذلك
ما دافع عنه معارضيه في حمية وانقاد ١١

لم يدرس بركة خان الإسلام وحده حين
هم بتغيير دينه الأول ، ولكنه التفت
إلى البوذية والمسيحية التفات الباحث المختبر
فوجد الديانة الأولى لا تحمل عناصر البقاء
في رأيه ، أما المسيحية فقد كان سلوك المسيحيين
أنفسهم مما يشيح به عن اتباعها ، إذ أن
الخلافات بين المسيحيين واللاتنيين والإغريق
والنسطوريين والأرمن قد امتدت إلى عسكر
المغول وشاهد الملك من التناحر المذهبي
بين الفرق المتصارعة ما بغض إليه ما يمتقدون
ويقول المسترتر . و. أرنولد في كتاب الدعوة
إلى الإسلام ناسبا قوله إلى وليم روبركص ١٩٣
عن النسطوريين في بلاد الصين مما يجاور
المغول : « إنهم كانوا شديدي الجهل لم يستطيعوا
حتى فهم كتب صلواتهم المدونة بالسريانية
كما يرمهم بالفسق والخسر والجشع وكانت
قساوستهم يتجرون بالمناصب الدينية ،
ولا يبالون بجمع الثروات من وراء طقوس
الكنيسة ويؤثرون جمع المال على نشر
تعاليم المسيح » .

وطيحي أن ينصرف الملك عن دين يتلاق
طوائفه وتقاسر ، مكفرة بعضها البعض ،
ثم يتكالب قساوسته على المادة متجاهلين

والحيوان والدم أحيانا ، ودين كهذا الدين
لا يثبت للنقد لدى الباحث المتجرد ، ولكنه
عند اتباعه من توارثه أحقابا متطارلة يحل
مكانا راسخا لا تزعه الشكوك إلا عند من
كان له قلب ذكي يحتل الحقائق الخالصة في ليل
سالك الظلمات ، وقد كان بركة خان صاحب
هذا القلب الذكي الحصيف ، إذ أخذ يتضايق
كثيرا بما يزاول قومه من طقوس وعبادات
ثم اهتدى إلى بعض شيوخ الإسلام عن
يقومون بالدعوة إلى الله ابتغاء مرضاته ،
فاستمع إليه طويلا ، وترجمت له آيات الذكر
وأحاديث الرسول وسير الصحابة الغامرين
فشعر باستجابة قوية إلى ما يسمع ، ولكنه
ترث كثيرا حتى دعا إليه أعلام الإسلام
في فارس ، فأمر ساحته أفذاذ من العلماء أمثال
نجم الدين كبرى الصوفي الأشهر وتلميذه
سيف الدين الباخري ، وقلب الدين الرازي
وسوام من أخلصوا الله في واجهم الأقدس
فاستطاعوا أن يحلوا محاسن الإسلام ساطعة
وضاءة في عين الملك ، وحين اطمأن قلبه
إلى دينه بادر بالدعوة إليه في مملكته فأجاب
فريق ، ونشر فريق آخر من ثبتوا على دين
آبائهم ، وكادت تقوم حرب أهلية في مملكته
المتحدة لولا حزمه الصارم فقد تهدد المخالفين
فاستكان من استكان ورحل من رحل إلى مملكة
ابن عمه هولوكو ، ومهما يكن من شيء فقد

ويا ليقنى مت من قبل هذا وكنت نسيا
منسيا ، !!

هذه المعتقدات الجراء وجدت من روح
الإسلام في نفس بركة خان ما عصف بها عصف
الرياح بالهشيم ، فانقلب الرجل منذ اعتنق
الشريعة المحمدية لإنسانا كاملا ذا خلق وقلب ،
ولو كتب الله عليه أن يحتجب عن نور الإسلام
لأصبح مثل ابن عمه الطاغية الرهيب ، بل
إن اختلافهما في العقيدة قد جعل بوقوع الحرب
بينهما ، وهذا أمر متوقع لا غرابة فيه ، فقد
اكسح الجبار الآثم حاصمة الخلافة العباسية
والحق بفساد بمثلتها من عواصم فارس ،
فأصبحت خرائب دارسة تبكي الحاضرة الغاربة
والجند الغائب ، وتعرض الإسلام حينئذ
لخمنته الكبرى حين أخذ الشيخ الرهيب يزحف
إلى ديار الشام ومصر ، وجاءت الأنباء
الدامية إلى بركة خان ، فباله أن تسقط الخلافة
ويقتل أمير المؤمنين في هوان ذليل ، فجاءه
بعداء ابن عمه وأمر أتباعه الذين كانوا بين جيشه
والزحف بالانسحاب من مؤازرته ، فتوجهوا
إلى مصر معلنين لإسلامهم ، واستقبلهم الملك
الظاهر بيبرس استقبالا المغتبط الشكور ، ولا
مناص من أن تعرض هنا إلى العلاقة بين
البطلين الكبيرين بركة خان والظاهر بيبرس ؛
لندرك نعمة الإسلام في تأليف القلوب واجتماع
الشمل ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم

متنازهين ، ليبحت من دين يحترمه أتباعه
ويقتدونه بالأرواح خالصين !!

وآية العجب في بركة خان حقا أن الإسلام
قد خلقه خلقا جديدا ، إذ نشأ في بيئة تعتنق
تعاليم الديساق ، وهو الدستور الدهوى
الرهيب الذي أبدعه جنمكيرخان لاكتساح
البشرية ، وتقويض الحضارة على أيدي التتار ،
لجعل من القتل والإحراق والإبادة والهدم
والتخريب وسائل مشروعة لا يختلف فيها
اثنان ، فهي حق التتار وهدم يزاوونونه
دون تأنيب أو تأثيم ، وما تزال كلبة هذا
الطاغية السفاح تدوى في آذان أبنائه وأتباعه :
« لأنني نعمة الله على الأرض ولا بد أن الناس
يستحقون العقاب ، لأن الله قد ساقني إليهم ، !! »
أجل كانت تعاليم جنمكيرخان أهم المعتقدات
التي تلقها بركة خان في صغره ، كما تلقها ابن عمه
هولاكو سواء بسواء ، وتأثيرها المجرم
صارت هراة وبخاري وسمرقند وبلخ وغيرها
من أمهات مدن آسيا الوسطى خرائب تنعق
فيها الغربان حتى اضطر ابن الأثير أن يقول
وقلبه يتميز من الغيظ : « لقد بقيت هدة سمين
معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ،
كارها لذكرها ، فمن الذي يسهل عليه أن
يكتب نعي الإسلام والمسلمين ؟ ومن الذي
يهون عليه ذكر ذلك ؟ فيا ليت أمي لم تلدني ،

كافر باقه ورسوله وقد سهرت قصاصى ورسلى
صحبة رسل السلطان ووجهت ابن شهاب الدين
غازى معهم لانه كان حاضراً فى الموقعة ليحكى
للسلطان ما رآه بعينه من عجائب القتال ،
ثم ليوضح له أنه موفق للخير والسعادات لانه
أقام إماماً من آل العباس فى خلافة المسلمين
وهو الحاكم بأمر الله ، فشكرت همته وحدث الله
تعالى على ذلك .

هذه المعاهدة الشريفة بين الرجلين قد أراحت
الإسلام من شر كثير ، حيث قسمت جيش
هولاكو إلى قسمين ، قسم يقف أمام جنود
بركة بين حدود الجفجاق وفارس وقسم ينازله
الظاهر على سواحل الفرات وهى فى لبابها
معاهدة إسلامية تقوم على الحقيقة المحرة
فى نصرة الحق ومنازلة الطغيان ، ويقول بعض
المؤرخين بأن بركة خان قد نازل ابن حمه
لاعتدائه على بعض مواقع مملكته ومنعه
من نصيبه فى أسلاب الغزو والقتال ، وقد
يكون هذان الحادثنان من أسباب العداء
بين الرجلين ، ولكن اختلاف الدين قبل
كل شئ قد ساعد على اتساع الهوة بين ملك
يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وطاغية
لا يذر من شئ يأتى عليه ! ولنا نستنبط ذلك
استنباطاً ، يقوم على الاستنتاج العقلى وحده ،
بل فلجأ إلى النص الصريح من كتاب بركة
إلى الظاهر إذ يقول فيه : « فليعلم السلطان أننى

أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته
إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار
فأنقذكم منها ... » .

لقد تحالف هولاكو مع الصليبيين على بعد
ما بينهما من العقيدة ليقفا معاً أمام جيوش
الإسلام فى مصر والشام ، وتدبر الظاهر موقفه
الصائغ ثم جاءته جنود بركة خان تعلن إسلام
العاهل وإيمان الرعية ، فلم تفته الفرصة ،
وأقام مشهداً حافلاً فى يوم يجوع له الناس ،
ثم أعلن بقاء الخلافة العباسية ، وانتقالها
إلى مصر إذ قدم إليها أحد أمراء بنى العباس ،
« فبايعه السلطان - كما يقول القاضى ابن
هبد الظاهر كاتب بيبرس - بعد ثبوت نسبه
عند قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز
وبايعه الأمراء والعامة والتتار والواصلون
ثم اجتمع الرسل بالخليفة والسلطان وحملهم
السلطان من المشافهة ما فيه صلاح الإسلام
وعرف أصحابه التتار أحوال عساكره
وكثرتها وما هو بصدد من جهاد وما يبذله
من الأموال فى نصرة الدين وقتال الأعداء
المشركين » .

ورفت الأنباء فى سمع بركة خان فسر بها
سروراً عظيماً ، وبادر بتلبية الظاهر بخط إليه
كتاباً مختصاً قال فيه : « فليعلم السلطان أنى حاربت
هولاكو الذى من دى ولخى (كذا) لإعلاء
دين الله تعصبا لدين الإسلام لانه باغ ، والباغى

فضل كبير للملكة ناشئة ذات عهد جديد
بدينها الحنيف ١

وقد رجع رسل الظاهر بيبرس من حاضرة
بركة خان يثنون ويمظنون ويذكرون
أن لكل أمير من أمراء الملك مؤذنا وإماما،
ولكل خاتون أيضا مؤذن وإمام، وأن مكاتب
الأطفال منتشرة دائبة في تحفيظ القرآن
واستظهاره، وأن عالما مصرياً من الفيوم
يعيش في حاشية الملك الكبير، وقد بسط
الدكتور عبد الوهاب عزام رحمه الله حديث
بركة خان مع رسل الظاهر بالعديدين (٥٥٠ ،
٥٥٣) من مجلة الرسالة وفيهما غناء ومستطاب
لمن يجب أن يقف على مكانة هذا العاهل
الكبير ١

إن الرابطة الإسلامية أقوى الروابط
وأكدها بين أبناء الأمة الإسلامية
وإن ارتباط بركة خان في الجففاق بسياسة
الظاهر بيبرس في مصر يؤكد أن مثل المؤمنين
في توادهم وتوابعهم كمثل الجسد الواحد
إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء
بالحنى والنهر، وصدق رسول الله .

محمد رجب البيومي

المدرس الأول بدار المعلمين بالفيوم

حارب هولاء الكو الذي من دى ولحقى لإعلاء
كلمة الله العليا تعصبا لدين الإسلام
لأنه باغ .

ولما كان مغول الجففاق في حاجة
إلى من يرشدهم إلى تعاليم الإسلام فقد حرص
بركة خان أن يستقدم إليه علماء الشريعة
من شتى الأقطار، وأكثر من المساجد
والمعاهد، وتسامع به ذرى العلم فأمه أنذاذ
الفقهاء من كل صوب، حتى علماء العربية
في النحر والبلاغة والصرف قد وجدوا لديه
على غير معرفة بالعربية ملاذا كريما لأنهم
في رأيه دعاة يتقدمون لغة القرآن، وكان لهم
من المكانة ما لعلماء الفقه والتفسير والحديث
حتى قال ابن عربشاه عن حاصمة بلاده سراى :

لأنها دصارت بواسطة هؤلاء السادات بجمع
العلم ومعدن السعادات واجتمع فيها من العلماء
والظرفاء والأدباء والفضلاء ومن كل صاحب
فضيلة وخصلة نبيلة جميلة ما لم يجتمع في سواها
ولا في جلمع مصر ولا في قراها .

والجمة الأخيرة لا تخلو من مبالغة طريفة
فصر في العصر المملوكى كانت المركز الأول
للثقافة الإسلامية فإذا استطاعت سراى
أن تقرن بها في رأى ابن عربشاه فذلك

ابن قتيبة الساق

للأستاذ علي العمّار

- ١ -

وعاب كل منهما بيتا لصاحبه ، فبعد أن ساق
القصة قال : والبيتان جميعا صحيحان ،
لا عيب فيهما ، غير أن من طلب هيبا وحده
أو أراد إعنانا قدر عليه إذا كان متعاملا
متجنيا ، غير قاصد للحق والإنصاف .

فالحق أن من كل متعننا لا يؤثر الإنصاف
بإستطیع أن يقول ما يشاء ، إستطیع أن یرى
أصح الناس ذوقا بأنه سقیم الذوق ، ولا
يعوزه أن یجیء بالبرهان ، أی برهان .

لقد استحسن ابن قتيبة هذا البيت - من
أبيات - من شعر قتيبة بن زارده :

أضأت لهم أحسابهم ووجوههم
دجى الليل حتى نظم الجرح ثاقبه

فهل هذا البيت من شعر الفكرة ؟ أو من
شعر الأخلاق ؟

من الواضح أن ما أعجب ابن قتيبة في هذا
البيت هو هذا التصوير الجميل لشرف

قلت : إن ابن قتيبة كان يستحسن معاني
ليست أفكارا ، ولا تنحصر منحي أخلاقيا ،
وضربت مثلا باستحسانه لأبيات أبي الشيص
في الغزل ، ولها فظائر كثيرة في كتابه ،
على أن ما يستحسنه من شعر الفكرة
أو الشعر الأخلاقي لا ترده أذواقنا ، بل إنها
تستجده كما استجاده ، وكما أنا نحكم بالجودة
على ما استجاده نرد ما حكم بأنه ضعيف
أو متخلف ، فليس صحيحا أن ذوق الرجل
خفيق كما يرميه بعض معاصرينا .

ولقد استقرت كل العصر الذي حكم له
أو عليه في كتابه فما رأيتمى أخالفه إلا في
القليل النادر ، وأكبر ظنى أن أحدا من
أصحاب الأذواق العربية السليمة لا يخالفه
فيما رأى وحكم ، ولكنى أعتقد أن المسألة
كما قال هو نفسه حين عرض للخصومة التي
وقعت بين مسلم بن الوليد ، وأبي نواس ،

الأحساب ، وكرم الوجوه إذ جعلها تضيء ،
وتكشف ظلمة الليل حتى يستطيع ثاقب
الجزع أن ينظمه في خيط على ضوء هذه
الأحساب ، ونور هذه الوجوه .

حجبت تحيتها فقلت لصاحبها
ما كان أكثرها لنا وأقلها
كما استجاد أبيات طرفة المشمورة من معلقته
ومنها :

ومن ذلك استجادته لبيت الأعتى الذى
ذكرته فى المقال السابق ، وهو :

يا خير من يركب المظى ولا
يشرب كأسا بكف من بخلا

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفقى
لسكا لطول المرعى ونضياء باليد
وما سمعت ولا قرأت أن أحدا عاب
هذه الأبيات .

فقد وصف المعنى بأنه لطيف ، وفسر
هذا المعنى فقال : إن كل شارب يشرب بكفه
وهذا ليس ببخيل فيشرب بكف من بخل .
فالتصوير هو الذى أعجبه - كما هو واضح -
وهذا ما أطلق عليه المتأخرون اسم الكفاية .

وقد استحسنت هذا البيت من جملة أبيات
طابها ، وقال إنه لا يعرف فيها شيئا يستحسن
غير هذا البيت ، وهذا موضع من المواضع
التي أخالفه فيها فأنا أرى أن هذا البيت
أيضا ليس هناك .

وقد حكم لأبيات الجنون المتهورة بالجودة
وما أظن أحدا يستطيع أن ينكر جودتها ،
معنى ، ومعنى ، ومنها :

إن التى زعمت فؤادك ملها
خلقت هواك كما خلقت هوى لها

وكنت عليه أحذر الموت وحده
فلم يبق من شيء عليه أحاذر

أرى قبر نحام بخيل بماله
كقبر غوى فى البطالة مفسد

- في نظرم - لا يرضى إلا عن شعر الفكرة
وشعر الأخلاق .

حكم ابن قتيبة - أولاً - لأبي نواس بأنه
من المطبوعين ، وهذا حق ، وبأنه كان متقننا
في العلم ، ثم ذكر ما أخذ عليه من خطأ
في الوصف ، أو من الإفراط ، أو في التشبيه
وهنا جاء بقاعدة من قواعد التشبيه اعتبرها
المتأخرون من علماء البلاغة أصلاً من أصول
هذا الفن ، قال : وأخذ عليه قوله
في وصف الدار .

كأنها إذ خرست جارم
بين ذوى تفغيده مطرق
شبه ما لا ينطق أبداً في السكوت بما قد
ينطق في حال ، وإنما كان يجب أن يشبهه
الجارم إذا عدلوه فسكت وأطرق وانقطعت
حيته بالدار ، وإنما هذا مثل قائل قال :
مات القوم حتى كأنهم نيام ، والصواب أن
يقول : مات القوم حتى كأنهم موتى .

ثم وصف أبياتاً لأبي نواس بأنها
يستخف ، وعلق عليها قائلاً : الشعر يدل
على نظره في علم الطبائع .

وذكر بيتاً ، وقال إنه لا يعرف معناه ،
ولا رأى أحداً يعرف معناه ، وهذا أشد
عيب عند رجل يرى أن جودة الشعر
في وضوحه .

إن صمرت دور بمن لا أحبه
لقد صمرت من أحب المقابر

وقد قال هنا ابن قتيبة لأنها من خير شعر
أبي نواس .

ومن أحكامه في رد بعض الشعر ما جاء
في ترجمة أبي نواس ، وقد عرض لاستحسان
النقاد شعره له ، فقال : ويستحسن قوله :
اسمى لوجهك يا منى صفة

فكفى لوجهك مخبراً باسمي
(اسم أبي نواس : الحسن) ، ثم قال :

لا تفجى أسمى بواحدما
لن تخلفي مثلي على أسمى
قال أبو محمد : ولا أرى هذا حسناً ، فهل
أخطأ ابن قتيبة في هذا الحكم ؟

الجواب عند أصحاب الأذواق العربية
السليمة .

وقد أردت أن أختار ترجمة واحدة
في كتاب (الشعر والشعراء) لفرى كيف
كانت أحكام هذا العالم ، ففضلت أن تكون
ترجمة أبي نواس ، ذلك أنه ربما وقع
في أذهان الذين يحكمون بقراءة المقدمات
وبمعرفة عابرة بحياة المؤلف وصاحب الترجمة
أن ابن قتيبة العالم السنى ، المفسر ، الفقيه ،
لا يرضى عن شاعر ما جن كأبي نواس ، ولا
ينصفه ، ولا يعجبه من شعره شيء ، لأنه

فقال : يريد : لا تطبخها ، فتخرج من اسم الخمر ، فيقال : مطبوخ أو نبيذ ، أحسبه قال : لا تسمها بالتي كرهت ، فهو أحسن ، وأشبه بالمعنى من تشنها ، فإن كانت الرواية (لا تشها) فقلعه أراد : لا تخرجها بالماء ، فإنها تأتي أن يقال خمر وفيها ماء ، فكأنها ادهت غير نسبها ، وهو معنى حسن .

بعد ذلك جاء بيتين قال لهما من خبيث هجائه ، وبين المعنى الذي أشار إليه الشاعر ، ثم ذكر قول أبي نواس في (إيليس) وعلق عليه بقوله : وفي هذا الشعر من بجونه أشياء تستغرب وتستخف ، ثم حكم بما يراه من خبر شعر أبي نواس ، ولم يفته أن يدافع عن أبي نواس في أشياء كان يلحن فيها ، ويحتج لصحتها من أشعار المتقدمين .

وقد ألحت الأمور الواضحة في الترجمة ، وتجاوزت أشياء بخافة التعاويل ، فهل مثل هذا الناقد في ذلك العصر المتقدم بوصف بأنه ضيق الأفق في النقد ؟

ولنفرض أن ابن قتيبة كان يخطئ في بعض أحكامه ، فهل سلم من هذا الخطأ أحد من النقاد القدامى ، والمحدثين ، من شريقين وغريبين ؟ إن عبد القاهر الجرجاني ، وهو إمام البلاغيين ، وأرفعهم حساً ، وأسلمهم

ثم قال عن أبي نواس إنه سبق إلى معان في الخمر لم يأت بها غيره ، وجاء بأمثلة من شعره منها :

لا ينزل الدهر حيث حلت
فدهر شراً بها نهار
حتى لو استودعت سرارا
لم يخف في ضوئها السرار

السرار استسرار القمر ليلة الثلاثين . يقول : هي من ضوئها لو استودعت ما ليس شيئاً لم يخف ذلك في ضوئها ، وهذا من الإفراط .

وبعد أن جاء بأمثلة أخرى ذكر أبياته في تصاوير الكأس ، وهي أبيات مشهورة ، أولها :

تدار علينا الكأس في مسجدية
حبثها بألوان التصاوير فارس
ثم أخذ عليه خطأ لغويا ، حيث استعمل (النزع) مكان (النزوع) في قوله :

فاذا نزهت من الضواية فليكن
لله ذاك النزع لا للناس

وأخذ في نقد أبي نواس ، فعرض لهذا البيت في الخمر :

لا تشنها بالتي كرهت
هي تأتي دعوة النصب

وهذا الشرح هو الموافق لما قاله المبرد في كتابه (الكامل) قال : وقوله : أخذ يد القميص . الأحذ : خفيف اليد ، قال طرفة : (وأتلع نهاض أخذ مللم) وإنما نسبة بالحفة في يده إلى السرق .

وقد جاء في (رغبة الآمل) : عن ابن بري : ذهب بعض الناس إلى أن الأحذ المقطوع من الحذ ، وهو القطع ، يريد : قصير اليد عن نيل المعالي ^(١)

وكذلك شرح أبو العباس المبرد الرافيين بأنهما دجلة والفرات ، ولم يقل هو ولا ابن قتيبة إن اللفظ زائد .

واسكن الدكتور مندورا يقول : ونحن بعد لا نرى إسرافاً في اللفظ ، ولا ضعفاً في الصياغة في قول الفرزدق : (أوليت العراق : البيت) . ويشرح كلية (أخذ) التي رواها بالخاء والذال فيقول : خذ الجرح خذيذاً : سال صديده . ثم يقول : فالرافدان يزيدان العراق جمالا وشعرا ونبلا ، وليس من الخشوف في شيء ، وإنما هو الفرزدق الشاعر ، الدقيق الحس ، الخبير بطبيعة الشعر ولغة الشعر ، قد عرف كيف يرفع من قدر العراق ، ويضفي عليه جلال الشعر بهذين الرافيين ، وعجز ابن قتيبة عن إدراك ذلك

ذوقا ، قد وقع في أشياء ليس هنا موضع تفصيلها .

فن الإحجاف - في نظري - أن يقول الدكتور محمد مندور معلقا على بعض أحكام ابن قتيبة : وهنا نرى ابن قتيبة كمادته يضع المبدأ ثم لا يحسن النظر ، ولا الذوق ، وكما رأينا في تسم الشعر حسب اللفظ والمعنى ثم لا يجيد التطبيق ، ولا يصدق في الحس .

وقد مررت في هذا الموضوع من كتاب الدكتور مندور ، مندور بعجوبة لم أشأ أن أمر بها دون أن أسجلها هنا .

أورد ابن قتيبة في معرض الحديث عن الشعر المتكلف ، وأن من خصائصه إثبات ما بالمعاني غنى عنه ، أورد قول الفرزدق في عمر بن هبيرة :

أوليت العراق ورافديه

فزاريا أخذ يد القميص

ثم شرحه بقوله : يريد أنه خفيف اليد بالخيانة ، فاضطرته القافية إلى ذكر القميص ثم قال : ورافداه دجلة والفرات .

ومن شرح ابن قتيبة تفهم أمرين :

الأول : أنه جعل (أخذ يد القميص) كناية عن خفة اليد بالخيانة .

الثاني : أنه جعل كلمة (القميص) زائدة .

أما الرافدان فقد شرحهما فقط .

ألا أقول إن الدكتور مندورا هو الذى لم يفتن للكناية فى هذا التعبير ، وذنّب ابن قتيبة أنه فهم الكلام العربى على وجه الصحيح ، فالكناية عن خفة اليد ، وعن النشاط بضمير الساعد أو قطع يد القميص مشهورة فى كلام العرب ، ولذلك وجدناها فى الكامل للبرد كما وجدناها فى الشعر والشعراء ، ولا أعرف أن العرب تكفى عن الخيانة بيد قميص يقطر صديداً .

وقد نظر ابن قتيبة إلى المعنى اللغوى لكلمة (أخذ) فالأخذ - كما فى القاموس - الحفيف اليد ، ومن هنا حكم بزيادة كلمة (القميص) وقال : إن القافية هى التى اضطرت الشاعر إليها .

وعندى أن الشاعر أراد الكناية عن خفة اليد بقطع يد القميص ، فالكناية بقطع يد القميص ، وعند ابن قتيبة والمبرد الكناية بخفة اليد التى هى معنى كلمة أخذ عن السرقة ، وما قلته تخريج لصنيع الشاعر ، وما قلاه أدق ، وأقرب إلى اللغة .

(للحديث بقية)

على العمادى

فحسبه حشوا ، وهى بعد ظاهرة يعرفها أجود الشعر وأخلده ، فالشعر لا يقصد إلى مجرد تحديد المعنى حتى يقال إن الرافدين جزء من العراق أوهما العراق فوجب حذفهما ، لأنهما لا يضيفان جديداً إلى المعنى ، وإنما الشعر نشر روح ، وتحريك خيال ، وبعث إحساس ، وكل فيه من صيغ جميلة لا تسعى إلى غير هذا ، وأما (أخذ يد القميص) فكناية جميلة لم يفتن إلى روعتها ابن قتيبة ، وهل أدل على الخيانة من أن تكفى عنها بيد قميص يقطر صديداً ، وهل أقوى من هذه العبارة ؟ ومع ذلك يقول ابن قتيبة إنها حشو .

وموضع العجب عندى أن الدكتور هول فى غير موضع التهويل ، وأيه حمل الكلام العربى كناية لا يعرفها العرب .

فابن قتيبة شرح الرافدين ، ووافقه على هذا الصنيع زميله المبرد ، وليس فى النسخة التى بين يدي من الشعر والشعراء أن الرافدين من الحشو ، فإذا كانت عند الدكتور نسخة أخرى وفيها هذا الحكم من ابن قتيبة فما أظن أن كلمة (الرافدين) فى هذا البيت تستدعى كل هذا التهويل ، الذى (عجز) ابن قتيبة عن إدراكه .

أما أن ابن قتيبة لم يفتن للكناية فبوى

رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة

للدكتور أحمد الشرباصي

نشأة المجتمع الحجازي من حوله ، وهذا هو القرآن الكريم يصور ذلك بأبلغ عبارة فيقول :
« إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غفي عن العالمين » .

وحينما هاجر الرسول محمد عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة ، كان أول عمل قام به هو تأسيس المسجد النبوي الذي صار للمسلمين معبدا . وقاديا ، ودارشورى ومحل اجتماع لشئون الدين وشئون الدنيا ، وحول المسجد أقام الرسول بيوت زوجاته ، وعلى مقربة من المسجد قامت بيوت الصحابة ، واتسع نطاق العمران شيئا فشيئا ، وواسطة العقد بينها هو مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الذي كان بداية انطلاق أو نقطة اذاعة كحزب للجمعيع الإسلامى الوليد .

ولو انتقلنا إلى أرض فلسطين لوجدنا د المسجد الأقصى ، يضرب بتاريخ إنشائه وقيامه في أحشاء الماضي السحيق ، ومن حول هذا

المسجد هو مركز الإشعاع^(١) الأول في الإسلام ، وهو المكان الرئيسى لنشر الثقافة في المجتمع الإسلامى ، وإذا تذكرنا أن الثقافة في الإسلام أسماها ديني ؛ لأن عمادها هو القرآن الكريم ، ولأن أغلب العلوم الإسلامية بدأت نشأتها لخدمة القرآن ، وتذكرنا أن المسجد هو المعبد الأساسى في المجتمع الإسلامى ، أو مكان العبادة الأول فيه ، إذا تذكرنا هذا وذاك أمكننا بيسر وسهولة أن ندرك أن المسجد هو مبعث الثقافة ومصدر الوعى الروحى والفكرى في المجتمع الإسلامى . والمسجد هو مركز الدائرة في المجتمع الإسلامى أو نقطة الابتداء ، أو بداية الانطلاق في تكوين هذا المجتمع ، ونستطيع أن نلتبس الشواهد على ذلك فنجد منها الكثير ، فهذا مثلا هو المسجد الحرام ، كان نقطة البدء في

(١) رجعت في إعداد هذا البحث إلى الكتب التالية : تاريخ التربية الإسلامية ، وتاريخ المدن الإسلامى ، وتاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ، ومساجد ومآهد ، ووسائل تقدم المسلمين ، ومساجد ودول ، ودور المساجد للتاريخى ، والإسلام والنصرانية

ما يبشئ الإسلام فيه من كليات الهدى وأشعة التنقوى .

وإذا كان الأمويون قد فعلوا هذا فإن العباسيين من ورائهم قد ساروا على الطريقة نفسها ، فهذا هو الخليفة العباسي الأول أبو جعفر المنصور يتولى الحكم ، ويخطرسوما لمدينة بغداد ، ويجعل في وسطها الجامع العظيم المسمى باسمه ، ثم ينهض بعائذ دار السلام من حول المسجد ، فيكون هذا المسجد الجامع نقطة الارتكاز في مجتمع بغداد وما حولها منذ أنشأها المنصور سنة خمسة وأربعين ومائة للهجرة . وهذا أحمد بن طولون يقيم الدولة الطولونية في مصر ، فيجعل شعابها ، وأساس انطلاقها ، مسجده الذي أسسه سنة خمس وستين ومائتين للهجرة ، وألقى فيه الربيع بن سليمان أول درس ديني يوم افتتاحه

وهذا هو الجامع الأزهر الشريف الذي نهض بناؤه سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، لقد كان بداية الانطلاق ، أو نقطة البدء في قيام مدينة القاهرة ، فهذا هو المعز لدين الله الفاطمي يريد أن يبث دعوته الفاطمية في الديار المصرية ، فيبث بقائه جوهر العقل لفتح مصر ، وما يكاد ينجح في ذلك حتى يشرع في إقامة المسجد ، ومن حول المسجد تبتدى الأبنية والدور ، وإذا مدينة عظيمة عامرة ، تستحق أن يسمى « القاهرة » .

المسجد العتيق قامت البيوت والمنازل والعماير ، فنشأ مجتمع وتمثلت أمة .

وهذه المساجد الثلاثة : مسجد مكة ، ومسجد المدينة ، ومسجد القدس ، هي المساجد المشهورة المحبودة التي قال فيها رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى بيت المقدس » .

وحيثما فتح عمرو بن العاص مصر باسم الإسلام أنشأ أول ما أنشأ مسجده المعروف باسمه في « الفسطاط » ، وكان ذلك سنة إحدى وعشرين للهجرة ومن حول المسجد نشأت بيوت المجاهدين ، وكأنها حلقات بعضها وراء بعض ، حتى تكونت المدينة وانبسط العمران فكان يجتمع إسلامي جديد عماده وسفاده وأساسه هو المسجد .

ولما فتح المسلمون الشام وتوطد فيها حكم الأمويين المزهر أرادوا أن يجعلوا للمجتمع صبغته المتميزة ، فأنشأ الوليد بن عبد الملك المسجد الأموي بدمشق ، فكان نقطة الانبثاق والانطلاق في صبغ المجتمع الإسلامي من حوله بصبغته الخاصة المتميزة ، وأصبح المسجد الأموي في عاصمة الأمويين الإسلامي كمرکز الدائرة التي تلف بإطارها من حوله ، مرتبطة به مرتكزة عليه ، مستمدة منه ، مهتدية بنور

وما يحرم ، وحدود العلاقات بين الفرد والفرد ، وبين الأسرة والأسرة ، وبين الدولة والدولة ، وبين الحاكم والمحكوم ، وفي هذا كله تثقيف وتعليم .

كما أن الإسلام قد شرع لنا داخل المسجد وسائل للتثقيف فوق تلاوة القرآن وتدبره في الصلاة ، فهناك خطبة الجمعة الأسبوعية ، وهي أشبه ما تكون بالجملة الأسبوعية ، التي تتحدث عن أمور الإسلام والمسلمين كل جمعة ، وتصور متاعهم ومطالبهم ، وأمورهم ومشكلاتهم ، وتصف لها الدواء والعلاج من الإسلام ، وهي تلقى باللغة العربية الفصحى ، وهذه الخطبة الفصيحة المتكررة كل أسبوع ، تعود لإذن المسلم الكلمة الفصيحة ، وفهم العبارة البليغة ، وبخاصة أن الخطب تعتمد على الكلام الإلهي المعجز : كلام القرآن الكريم ، وعلى أفصح الكلام بعد القرآن ، وهو كلام الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعلى آثار السلف الصالح ، وهم أمراء البيان وفرسان المقال .

ولم يقتصر الأمر هنا على خطبة المسجد ، بل هناك خطبة العيدين ، وهناك خطبة الاستسقاء ، وخطبة الحوف والكسوف ، وكل خطبة من هذه الخطب التي تأتي عند كل مناسبة من مناسباتها تتضمن قدراً من الثقافة يعاون على بث أضواء المعرفة بين أبناء المجتمع الإسلامي .

ونستطيع أن نتابع بمثل هذا القول أو بقریب منه نقوله عن جامع الزيتونة بتونس ، والجامع الأعظم بقرطبة ، وجامع القرويين بفاس وقبة على بالنجف ... إلخ .

ومن هذه الإشارات العاجلة إلى ارتكاز المجتمعات الإسلامية التي نشأت في مختلف الأمكنة والازمنة على المسجد ، يتأكد لدينا أن المسجد فعلاً هو مركز الإشعاع الأول بين المسلمين ، وهو نقطة الارتكاز في مجتمعاتهم ، وهو المكان الأساسي للتوعية والتوجيه فيما بينهم .

ولم تكن المساجد دوراً للعبادة فقط ، بل كانت منبعاً للثقافة ، ومصدراً للحضارة ، ولو نظرنا إلى العبادة ذاتها التي تؤدي في الإسلام لوجدناها تنطوي على ألوان من الثقافة ، فهذه هي الصلاة ، وهي العمود الإسلامي والفريضة الدينية التي تؤدي كل يوم وليلة خمس مرات ، تتضمن تثقيفاً وتعلماً ، لأن عماد الذكر فيها هو القرآن الكريم ، ففي كل ركعة يقرأ المصلح فاتحة الكتاب ، وفيها تعليم وتقويم ، كما يقرأ في كل ركعة من الركعتين الأوليين في الصلاة شيئاً من القرآن ، وفي القرآن عقائد ، وتشريعات ، ومعاملات ، وأخلاقيات ، وحديث عن الفرد والجماعة ، والأسرة والأمة ، والبيوع والمعاملات ، وما يحل

أو تعددت ، فهو أولاً معهد تؤدي فيه الصلوات ، ويعتكف داخله القانتون ، والذاكرون والمرتلون لتزيل رهبهم المجيد ، وهو أيضاً مدرسة مفتحة الأبواب ، لا يرد عنها راغب في علم ، أو طالب لثقافة .

وفي هذه المدرسة الإسلامية يتلاقى أبناء الأمة ، ليفقهوا تعاليم شريعتهم . ويسمعوا سير أجدادهم وبلادهم ، ويتدارسوا ما ينبغي لاجتماعهم وجموعهم . والمسجد أيضاً مبعث وجدان عام ، ومشار عاطفة مشتركة ، فن فوق منبره ، وفي رحاب ساحته ، يتيسر لهداة الأمة أن يعجبوا مشاعرهم ، ويوقظوا أرواحهم ، ويوجهوا موكبهم نحو ما ينبغي أن يتجه إليه . ولو طالعنا صفحات تاريخنا الإسلامي المشرق لوجدنا أن الأعمال الكبرى التي تمت فيه قد بدأت الدعوة إليها في أغلب الأحوال من المسجد ، فيه كانت تعد النفوس ، وتوضع الخطط ، وترسم المناهج ، ويعين الولاة وأمراء الجيوش .

كما كان المسجد يتخذ مجالا للتعليم والتفويض الاجتماعي ، وقاعدة للبطالة - ولذلك يلحق بكل مسجد مكتبة - ومكانا للتمرير والتطبيب ، وناديا للبحث والمشاورة ، وساحة للتدريب العسكري وتعليم الجندي ، وداراً للقضاء والفصل في الخصومات ، وموضعاً لتنفيذ الأحكام ، ومظهرراً لفن المعمار الإسلامي ، ومنبراً للخطابة والشعر . إلخ .

أصغر الشرباصي

وبجوار هذه الأنواع المختلفة المتكررة من الخطب توجد الدروس الدينية في المساجد ، وحلقات الوعظ والاستفتاء ، وحلقات تحفيظ القرآن الكريم التي تعقد في المساجد غالباً ، وهذه كلها تتضمن ألواناً من الثقافة والمعرفة . وكلها حزب المسلمين أمر يحتاج إلى مشاورة أو مباحثة أو مراجعة ، نادى المنادى بين المسلمين قائلاً : الصلاة جامعة ، فيسكون هذا دعاء إلى الاجتماع في المسجد ، فيسارع المسلمون بالسعي إليه ، وهناك يتشاورون ويتباحثون ، وفي أثناء ذلك تتلاقح العقول ، ويستعين كل فكر بأفكار الآخرين ، فيكون من وراء ذلك حماد ثقافي ضخم .

فإذا عرفنا بعد هذا أن المسجد في عصور الإسلام المزهرة كان يتخذ مكاناً للتعبد ، ومعهداً للتعليم ، وداراً للقضاء ، وساحة لتجتمع الجيوش ، وتعين القواد ، وتسليم الأولوية ، وتوجيه المجاهدين ، وموضعاً لاستقبال الوفود والسفراء ، وميداناً للتدريب الحربي أو التمرين الرياضي ، وموضعاً للتمرير ، إذا عرفنا هذا كله ودرسناه بالتفصيل أدركنا الرسالة الثقافية والحضارية والاجتماعية الضخمة التي يقوم بها المسجد في المجتمع الإسلامي .

ومنذ سنوات قلت في كتابي « وسائل تقدم المسلمين ، عن رسالة المسجد : »
« اتسمت رسالة المسجد في الإسلام

فَحَائِشَةُ الْقُرْآنِ

المنافق تَجِدُ عَنْ الْحَقِّ وَيَشْكُكُ فِي الْعَدَالَةِ

لِلْأَسْتَاذِ عَبْدِ الْلطِيفِ السَّبْكِ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ
فَإِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ،
وَإِنْ لَمْ يَعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَوْخِطُونَ .

فقد احتاج عمر ، وهم بقتل المنافق ، وردا
لمثله عن البزاة على الرسول ، والجرأة
على الغمز فيه . .

ولكن النبي منع عمر ، وجنحه إلى الملاينة ،
وقال له : (دعه ، فإن له أصحاب ، يحقر
أحدكم صلته مع صلاتهم ، وصيامه مع
صيامهم يمحرون من الدين كما يمحرق السم
من الرمية) .

يريد الرسول : أن شأن النفاق - بزيادة ،
وطعن في العدالة ، وتجاهل للحق والإنصاف ،
وأمانة حمياء ، وأن هذا المنافق أهون
من سواه شأننا ، فهناك من يسبقونه قظاهراً
بالإسلام ، وهم أسرع منه إلى الكفر
الصراح .

١ - كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقسم
الصدقات يوماً بين مستحقها ، أو كان يقسم
الغنائم عقب انتصاره في هزوة حنين . .
وكان في الحاضرين منافقون ينتظرون حظهم
في العطاء بمقتضى إسلامهم - المصطنع -

فلما لم يصحبهم ما يسد جشعهم قال قائل منهم
في حقد مكشوف : اعدل يا رسول الله ،
فقال له النبي : ومن يعدل إذا أنا لم أهمل ؟؟ .

أو قال المنافق : هذه قسمة ما أريد بها
وجه الله ١١ - كما روى - فقال النبي - صلى الله
عليه وسلم - (رحمة الله على موسى ، فقد أودى
بأكثر من ذلك فصبر) .

وعلى أي صورة كان الاعتراض من المنافق
والجواب من النبي - صلوات الله عليه وسلامه -

في بنى إسرائيل مع موسى ومن جاء بعده حتى نشر الإسلام لواءه فقترب نفاق بنى إسرائيل تحت ظلاله، وفعلوا ما ملثوا به صفحات التاريخ من مهازلم الفسكراء، إذ نشروا سمومهم في البيئة العربية، فكان فيها مناقرون.

٢ - وإنما كانت سياسة الإسلام ألا يقتل النبي - صلى الله عليه وسلم - المنافقين سراً، لها أسلفنا من مطاولتهم بالإمهال عليهم، وبجسارة لم في تظاهروا بهاتفاق دينه، وحفاظاً على السمعة الإسلامية أن تحوم حولها شبهات ..

فإن قتل الواحد منهم قد يفسح للآخرين أن يشنعوا على الرسول بأنه يقتل أصحابه .

وربما أثر هذا القشيع على ضعف العقول فيخرجون من الإسلام إن كانوا فيه، أو يضجرون عنه قبل الدخول، بسبب هذه الشائعات وتكون هذه فتنة، أو من قبيل الفتنة في الدين، والفتنة أشد من القتل أثراً، وسوء مغبة .

ولإنها لقدوة رشيدة لمن أخذ بها في حياته العامة، وسياساتها الاجتماعية، عند المناسبة اللائقة .

٣ - وأنت ترى في موقفنا هذا أن البذاءة زلة فاضحة من زلات النفاق - وكثير ما هي،

فلا عجب أن يسمع عمر وغيره مثل ما سمع من المنافق أو أشد مما سمع .

ولكن سياسة الإسلام، ومنهج الدعوة الإصلاحية ألا يضيق صدر الداعي بما يعاديه من خشونة، وأن ينجح كثيراً إلى الصبر، والتلطف مع الناس، حتى تستجيب نفوسهم إلى الاقتناع، أو يجيق بهم مكرهم السيء، فلا تكون لهم معذرة عند الله أو الناس، ويكون متهم عبدة لغيرهم ويكون التلطف معهم، والحلم بهم أمانة لدى العقلاء على أن النبي لا يريد بهم إلا خيراً لأنفسهم، دون تحكم فيهم، أو إعانت بهم، فتكون الهواة الرحيمة معهم وسيلة من وسائل الدعوة إلى الحق .

وإذا لم يظن إليها البعض، فيسقطن إليها الكثيرون، ويدخل الدين هندهم في صدور رحيبة له، مطمئنة إليه .

وكانت هذه الوسيلة منهج محمد دائماً : لولا أن الكافرين به حسبوها ضعفاً منه، وهيبة لهم، واستمرروا في العدوان .

فكان لا بد من مقاومتهم بما يفهمونه من لغة السلاح والحروب ..

وفي ذكر النبي لموسى وما لقي من عنث قومه توجيه للصحابة والمسلمين إلى أن النفاق غير حديث في أمة محمد، بل هو أصيل

ولكن إيمانهم الحق عصمهم من التبجح ورجع بهم إلى الرضا ، والقناعة فرضوا ، وما آتاهم الله ورسوله ، وقالوا حسبنا الله ، ثم خلقوا أملهم بالله فيما بعد وقالوا « سيؤتينا الله من فضله ورسوله » ، وجددوا عهدهم بالله فقالوا : « إنا إلى الله راغبون » .

وكذلك يكون الإيمان البرى من الشوائب ويكون الترفع عن الذبذبة والهبوط وراء المنافع المادية ، حتى يكون المرء في وضع إنساني تستريح إليه النفس الكبيرة إلى حد ما .
٤ - ولكن النفاق الديني أو الخلق إذا دب في النفس كان المقياس المأخوذ به عند المنافع هو منفعة الذاتية الجماعية .

فإن ظفر ولو بغير استحقاق : رضى وابتجع . . وإن حرم ولو اهدم استحقاقه بسبب ما : سخط وأنكر ، وسفه ، ومرتق من دينه ...

لهذا كانت آيات الله ناعية على النفاق وأهله كل بادرة تبذر منه على لسان المرء ، أو في عمله ، أو في أى ظاهرة شخصية تتعلق به .

فإن كل بادرة من النفاق : قولاً ، أو عملاً أو سواهما : لها أساس معشوم بنظم الاجتماع في قليل أو كثير .

والله يريد للناس عامة .. وللصلابين خاصة

وترى أنها زلة تتعلق بشهوة البطن ، ولا تتعلق بمبدأ : فيسكون فيها شيء من التعليل المحتمل .. !!

وهكذا تجد النفاق يثير جذوة الحقد في النفوس المريضة لأنفه سبب ، حتى ولو كان السبب معطفاً في مأكل ، وكان الاعتراض فيه على صنع رسول معصوم عن الهوى ، وكان أثر هذا الحق مروقا من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

ولو لم يكن النفاق مستحوذاً على أهله ، لكان القليل من الإيمان كافياً في رد المرء إلى صوابه ، وتذكيره أن الأرزاق ليست وراء الجشع والطموح ، وأن تقسيم النبي لها يرمي ذلك كان تنفيذاً لما جرى به قدر الله في تحديد النصيب ، وأن العطاء من الله لا من غيره .

وأن النبي قاسم عادل في عطاء الله .
ولإنكار ذلك ، أو تجاهله هو المظهر البغيض من مظاهر النفاق المردى .

على أن هذا الاعتراض من المنافق تجاوزاً للأدب إلى أبعد غاية .

فلم يمتزج به شيء من الحياء ، ولو كان الحياء نقاءاً وتصنعاً كخفاهم ، وتصنعهم في الدين ١٩٩ .

فقد كان في الجمع كثيرون يرغبون في وفرة العطاء .

أن النفاق من الخطر ، وأن اليهود ، وهم أهله
مظنة الخير في المجتمعات : إلا بقدر
ما يستغلون ، وبقدر ما ينفثون من سموم .

٦ - هذا - ونحن في مجتمع أصيل
في تدينه .

ولكننا أينما بالقرب من اليهود : قديما
وحديثا ، ففسرت إلينا ألوان من نزعاتهم ،
وغدونا تتعثر في تقاليد نفاقهم ، حتى صار
طابعا ظاهرا في مسلك بعضنا أن يستخط
على كثير من شئون الحياة أو يطعن على
الزمن في كل ما يأتي به ، ولا يرضيه من
الدنيا إلا أن تكون في قبضته ناسيا أن هذا
بعينه هو النفعية التي دفعت بالمنافقين إلى
مساقط الجشع . . وناسيا أنه في جانب غير
جانب الدين وفي عزلة من توجيهات الله .

حتى إذا ظهرت بيننا نزعة إلى الخير ،
وانطلق فينا هاتف الإصلاح ، ونهض منا
من يؤذن بالدعوة إلى الفلاح : وجدت حوله
غبارا يثار ، ووجدت في سبيله معوقين هنا ،
أو هناك . . حتى يشمر المنافذ بالإصلاح
أنه يعمل في جهتين - إحداها : مقاومة
العابثين ، وتنحية المعوقين عن طريقه ،
ولمسكات المرجفين بين قومهم بالأباطيل
التي يضللون بها .

والثانية : إيقاظ الوعي من جديد وتوجيه

بجتماع طيبا ، شديد الأركان ، خالصا من
شوائب الفساد ، وعبث المفسدين .

٥ - ولعلك تشهد من سياق الآيات
الوفيرة أن الله رمى المنافقين بكل نقیصة
حتى ليخيل إليك أن الحديث عنهم بلغ مداه
ولكنك تجد القرآن يوجه إليهم الاتهام
بالسوء كله ، في غير تحديد ، فيقول الله تعالى
لرسوله : « ولا تزال تطلع على خائنة منهم ،
فشر هؤلاء المنافقين يمتد كحديث الأفاعى » .

وأكثرية هؤلاء المنافقين قديما وحديثا
هم اليهود وقد حذر الله منهم أكثر مما حذرنا
من غيرهم ، فقال لرسوله ، ولكل مخاطب :
« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا :
اليهود ، والذين أشركوا » ، وعرفنا الله
أن الكذب من خصالهم ، الذاتية ، وأنهم
كانوا يمتنون في الكذب فيحلفون بالإيمان
الأكيدة على براءتهم من النقص ، والنقص
شاخص في كل فجرة من نبرات أصواتهم ،
وفي كل خلجة من خلجات صدورهم ، وفي كل
ظاهرة مما يصدر عنهم .

وحسبك في هذا أن الله ذكر عنهم في سورة
التوبة وحدها تسعة ألوان من الخلف .

وانظر الآيات : ٤٢ - ٥٦ - ٦٢ -
٦٧ - ٦٨ - ٧٤ - ٩٥ - ٩٦ - ١٠٧ .

فهل ترى بعد ذلك البيان في كتاب الله

وهو جانب بل هو أبرز جانب تتلاقى فيه توجهات الدين للدين وللدنيا جميعا . وما يسوغ أن يتجاهل ذلك إنسان منا .

ولا يسوغ أن ينقص حياتنا في هذه الفترة بمقياس المنفعة الشخصية ، كما كان يصنع المنافقون ، وكما يفعل ذلك بعض منا ، وهم الآنانيون فيحمدون السوق إذا وبحوا ، ويسخطون إذا لم يأكلوا حتى يبشعوا .

فإن ذلك هو التخاذل .

والحياة إذا تعرضت لهذا التخاذل فهي وشيكة الانهيار .

وتكون الجناية جنسية أفراد لا يدينون بدين ، ولا يشفقون على وطن ولا يكثرثون بتسريح .

جدير بهؤلاء الذين يتعامون عن واقع الحياة أن يقبصوا ، ويستجيبوا قبل أن تطويعهم الأيام في غير تكريم لحياتهم ، ولا اكتراث بذكراهم .

ولن يجدوا أمامهم - بعد - غير ظلمات ، وصحائف سوداء - فاللهم طهرنا جميعا من شوائب الغفلق ووحده بين قلوبنا على صفاء .

عبد اللطيف السبكي

العزائم نحو أهداف الحياة المنشودة ... وفي كلتا الوجهتين يبذل المجاهدون ما يبذلون من تضحيات ، ومتاعب لا يتحملها عادة غير أولى العزم من الرجال الذين تقوم على كواهلهم معالم الحياة في الأمم الواعية .

أرايت أن الجهاد الذي تحتاجه حياتنا الحاضرة هو الجهاد الذي ينشده الدين منذ أشرقت شمس في دنيانا ؟ .

وإذا كان جهاد الأنبياء قديما وفي حدوده البدائية ، للأخذ بالأمم إلى جانب الهداية ، فإن جهاد المسلمين من أول عصرهم كان لغايات أرفع وأفسح مما سبقهم ، وهو جهاد لتركين دعوة خالدة ، وإقامة أمة تمض بدورها في حياة متجددة ، ناهضة على أوضاع مكفولة البقاء . هذا هو الجهاد المتناسك في معنوياته ، وفي وسائله ، وأهدافه ، وفي كل ما يتطلبه الوطن من حصانة بالعلم ، والصناعة ، والأخلاق ، والكفاح ومضاعفة الجهود المتضامنة . .

هذا هو الجهاد المعبر رسالة ، وأمانة في ذمة الشعوب الإسلامية ، وبه تسلم الشعوب من عدوان الغادين ، وترهب به الطامعين . وهذا هو مانحنا بسبيله في نهضتنا الحاضرة التي بدت طلائعها في جمهوريةنا العربية .

شَيْخُ مُحَمَّدٍ شَلْتَوْت

للأستاذ محمد الشرقاوي

كان يمتد إلى ساعتين - لم أكن أرفع رأسي عن كتاب جديد من كتب الأدب ، أو مجلة صدرت من مجلات الثقافة ، وكنت أختار لجلسي الصف الأخير من الحلقة ، حتى أكون بعيداً عن هيون الشيخ .

وفي د حصة ، ذات صباح سمعت شيخنا يقطع حديثه في العلم وينادي بصوت غاضب : « لانت باللي هناك » ، « لانت باللي في آخر الفصل ومعاك مجلة » ، وكرر ذلك مرة ومرة ، وأدركه بعد مرة أو مرتين أني أنا مقصوده ولكني لم أجب ، ولم أرفع رأسي عن مجلة « المقتطف » . ففلاصوته وزادت نفمة الغضب فيه وهو يقول : « لانت يا ... باللي هناك » . فلم أجب ولم أرفع رأسي . عند ذلك نادى « الملاحظ » وأمره بأن يخرج هذا « الولد » ، وجاء « الملاحظ » ليخرجني فأبيت ، وزاد هياجه وغضبه وهم أن يقوم - لا أدري ليخرجني بالقوة أم ليترك الدرس غاضباً ، ولكن سمعنا جميعاً « التصفيق » الذي كان علامة على انتهاء الدرس ، فانصرف شيخنا وانصرفنا ، ولكن الشيخ مر إلى جانبي مسرعاً وخطف ، من يدي المجلة . وكان شيخ القسم العالي يوم ذاك الشيخ الطيب

بدأنا عامنا الدراسي في « القسم العالي » سنة ١٩٢٨ ونحن نشمخ ونفيه ونمرح .

فقد جاء « الإمام الراعي » ، إلى مشيخة الأزهر ومعه إصلاحاته التي أعلنها في « مذكرته » التاريخية المشهورة ، وزاد شموخنا وتميها وفرحنا أن دخلنا فراينا بجالسنا في داخل الأزهر ، حتى عند القبلة القديمة ، مفروشة بالسجاد ، بعد « الحصر »

وكان اسم « الشيخ شلتوت » له دوى وضجيج يوم ذاك يصل إلى أسماعنا من تلامذته وإخوانه ، وتراه أعيينا فيما نقرأ له من بحوث تجديدية وفصول إصلاحية على صفحات « السياسة الأسبوعية » ، رائدة صحافة الفكر والحرية لذلك العهد .

وجلسنا إلى شموخنا نستمع . ولكن سوء الإلقاء وسوء المنظر عند بعضهم وتشويش المكتب « والملازم » ، فيما تلقى من الله صرفى - أو زاد في انصرافي - عن الإصغاء وعن الاستماع وعن المتابعة . بل عن معرفة مادة « الحصة » واسم الكتاب . ولم يسكن اسم « شلتوت » ، ولا دوى ذكره شغيمعين لي لأرفع وجهي ، أو أمد له سمي . في كل « حصة » - ووقتها

إلى وقد بان على وجهه الرضا بعد التجهم والغضب ، ووجه حديثه إلى الشيخ اللبان يقول : است غاضبا من رفضه تقبيل يدي . بل لقد أحببته لذلك وسأخذ منه صديقا . تلامذتي لا أريد منهم ولا أرضى أن يقبلوا يد أحد ، ولو كان شيخهم .

ثم قام وهو بمسك يدي ، فقلت له سأخرج بعد أن يعطيني فضيلة الشيخ اللبان مجلتي لأنهم قرأتمها فقال : خارج الحصة . قلت : خارج الحصة طبعاً . وعائد الشيخ اللبان في إعطائي المجلة ولكنني وقفت وألمحت ، والشيخ شلتوت واقف إلى جوارى ينتظرنى . وألقى شيخنا اللبان «المقتطف» إلى نهاية الحجرة فتلقفتمها وخرجت مع شيخنا شلتوت وهو بمسك يدي يضحك .

وبدأت بعد ذلك أستمع إلى حصة علم «الأصول» الذى كان يدرسه لنا من كتاب : «الإحكام فى أصول الأحكام» للأمدى . وأحببت منه هذا العلم حتى كنت أعيده لمن تخلف عن الدرس أو لمن قصر به فهمه عن علم شلتوت ووضوح بلسانه وغزارة مادته ..

هذه القصة ، التى أعترف من طولها ، كانت بداية معرفتي بالشيخ شلتوت ، وبداية صلة دامت خمساً وثلاثين سنة كانت بيننا فيها فجوات من الخصام والخلاف وشئ من القطيعة والمغاضبة . ولكنى ، أنا وتلامذته وإخوانه ،

القلب عبد المجيد اللبان . وفى ضحى اليوم التالى جاء من يطلبنى إليه ، ولم أفزع ولم يخطر ببالى أنه حادث الأمس ، فقد كانت بيننا وبين الشيخ اللبان علاقة ود قديم وخلطة ، وكثيراً ما كان يستدعيني ليسأل عن حالى وحال إخوتى بعد وفاة أبى .

دخلت على الشيخ اللبان حجرة المشيخة فى «الرواق العباسى» فحدثني بغضب أبوى عن حادث الأمس ، ثم استبقانى عنده . وبعد قليل دخل شيخنا شلتوت ولم ينظر إلى . وقال الشيخ اللبان إنه استدعانى ورجا الشيخ شلتوت أن يحضر لنتلقى عنده ، وفظرت إلى مكتب الشيخ اللبان فوجدت «المقتطف» الذى كنت لم أتم قرأته ولم أكن أستطيع دفع ثمنه مرة أخرى . ووجه الشيخ اللبان حديثه إلى الشيخ شلتوت معرفاً إياه بى ، وأنى ابن شيخ له عليهم حق الزمالة والصداقة والاستاذية ، ولا بد أنك تعرفه ، فهو شيخنا الشيخ على الشرقاوى ، وابنه هذا يجب أن تعرفه وتصفح عنه وأن يتفجع بعلم شلتوت ورعايته ، ثم وجه الشيخ اللبان كلامه لى ، أو أمره الأبوى ، قائلاً : قبل يد شيخك يا محمود . ولم أروح مكانى بل أسرع بجوابى : لا . لا أقبل يد أحد . وجهت الشيخ اللبان وظهر على وجهه الغضب والألم وهم بأن ينهرنى ويسوئلى . ولكن مفاجأة أذهلته وأذهلتنى . فقد بد الشيخ شلتوت يده

المسايرة للحياة والتطور ومطابقة الشريعة لها كانت منهج حياته كلها منذ نشأ وتعلم وكتب ودرس وحاضر وألف . وكان ، في مشيخته يحاول بقدر ما يستطيع ، أن يوفق بين هذا المنهج وبين أوضاع المنصب وقيوده ومتطلباته وما يحيط ومن يحيط به من الملبسات والناس وقد عرفت وأدركت أنه لقي من ذلك كثيراً من الحرج والصراع النفسى ، ولو طاولته ظروف حياته وميول نفسه لكان أكثر جرأة من الشيخ محمد عبده .

وقد كتب مقالا عنوانه « الدين المعاملة ، جعل فيه الناس أمام الدين ، يفتسمون إلى طوائف ثلاث . طائفة منهم : (ليس لها من الدين إلا كلمة يلوكها بلسانه عند المقتضيات والمناسبات ، أو نسبة يعرف بها عند تعداد السكان . وهم بذلك بعيدون عن الدين وعن الانتفاع بهديه والإفادة من ثمراته طول حياتهم ، وسيبعثون بعيدين كذلك عن الدين غير معدودين في أهله ، ولا مستظلين بظله الظليل يوم لا ظل إلا ظله ، وفي أمثال هؤلاء يقول الله تعالى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » .

وطائفة ثانية وصفها بأنها : (... ترى

تعلنا منه أشياء كثيرة ، وأفدنا منه دروساً وعبراً . وهذه القصة نفسها بعض ما يجب أن نفيد منه فهى درس أراد أن يعلمه لى ولغبرى فى احترام الذات والحرص على الكرامة وتقدير الشجاعة من تلامذته .

كان ذلك فى وقت عرفنا فيه بعض كبار الشيوخ يتحدى تلامذته النجباء فى الامتحان لأنهم لم يتملقوه أو يقبلوا يده .

تعلنا من شيخنا شلتوت شجاعة القول والكتابة والإصرار على الرأى الذى يمتقنه الحق ، عرفنا منه ذلك وهو ينصر الشيخ المراغى فى إصلاحه ، وهرقناه فى موقفه من إباحة الترجمة لمعانى القرآن الكريم ، وأحاديثه عن قصة هيسى وموته ، وفى تقريره حقوق المرأة كما فهمها من الإسلام ، وفى تقريره دراسة الفقه المقارن بعد أن كان بعض رجال الفكر الدينى يسأل عن صلاة الحنفى هل تجوز خلف الشافعى أم لا تجوز !! وعرفنا شجاعته أكثر من ذلك فى موقفه من بعض المذاهب الإسلامية وحديثه عنها فى مجلة الرسالة (١) .

لسنا جادين أمام التطور :

كان هذا عنوان حديث صحفى تحدث به شيخنا شلتوت وهو شيخ الأزهر . وهذه

(١) مقال : « هل انبث الأزهر ؟ » وحى

أن الدين يقع فى دائرة مادية مرسومة هى : صلاة وصوم ، وهمية وتسليح ، وسمت خاص ، وزى خاص ، وخطو خاص ، ونظرات خاصة ، وكلمات معينة تقال فى مناسبات ، وتحسر وتباك على الأخلاق التى ضاعت ، وعلى الدين الذى أهمل ، ولوم وتذريع لكل من تحدته نفسه بالخروج على شئ من المظاهر التى رسموا بها حدود الدين وجعلوها علامة على الإيمان والدين ...

أما من الناحية العملية فتراهم أبعد الناس عن آثار الدين الصحيح ، وأبطل الناس عن تلبية الدعوة إلى الخير . يقبضون أيديهم عن البذل والعطاء ، ويثقل عليهم أداء الحقوق : وإذا اكتالوا على قناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . . يقطعون الأرحام ولا يصلون الفقير ولا يخففون عن مكروب ثم يصفهم بأنهم انقصودون بقوله تعالى :

« رأيت الذى يكذب بالدين : فذلك الذى يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين . فويل للصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون المساهون . »

والطائفة الثالثة هم المؤمنون حقاً ، الذين امتلأت قلوبهم بخشية الله وسلطانه ، وظهر أثر ذلك الإيمان فى أخلاقهم ، فلا غل ولا غضب ولا بغضاء ولا شح ولا قطيعة ، ولا جبن ولا أثره ، هؤلاء هم المؤمنون

الذين : « إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . »

هذا هو الدين : عقيدة نقية ، ونفس

سنية ، وأخلاق رضية ، وقلوب وفيه ، (١) .

وقد ذكرت هيات غير إسلامية ، عند نعيمه ، أنه كاد أن يبلغ فى عاطفته وفهمه المستوى الإنسانى . وفى ذلك شئ من

الصحة ، فبعده عن التعصب كان شاملاً فسيحاً . ولكن ذلك لم يضعف من قوة العاطفة الإسلامية عنده وقد شهدت واقعة ندرك منها ذلك .

كان ذلك فى بيته بمصر الجديدة ، واستأذن فى الدخول عليه كبير أمريكى من المشتغلين

بشئون الشرق والإسلام والأديان ، فلما جلس بدأ يحدث الشيخ عن العلاقة بين الإسلام والمسيحية ، وعن العالم الغربى ، وأمريكا خاصة ، وعلاقتهما بالبلاد

الإسلامية ، ثم قال : إن القرآن الكريم يجد السيد المسيح إلى أبعد غايات التمجيد ، وفى بلده « أمريكا » جمعيات كثيرة ومثقفون

كثيرون يريدون أن تقوم علاقة جديدة بين

(١) حديث الجمعة جريدة « الشعب » فى ٤ سبتمبر سنة ١٩٥٩ . أنظر أيضاً كتابه : « الإسلام

عقيدة وشريعة » ص : ٣٩١ - ٣٩٢ .

وقد اختصر الزائر الأمريكى السكبه حديثه وجلسه بعد ذلك ، واستأذن فى أن يعود مرة أخرى ليتحدث إلى الشيخ الأكبر ، وإلى الشرفاوى ، ولكنه خرج ولم يعد .

ومما فعلناه من شيخنا محمود شلتوت الحرص على روابط الزامه والصدقة : كلما جلست إليه أخذ يتحدثنى عن زملائى فى الجلوس إليه ، وعن تلامذته الذين تقطعت بهم الأسباب وباعد بينهم الزمن ، ويردد أسماءهم وأوصافهم وبلادهم مما كان يحيرنى ويحجلنى حين أجد أنى نسيت كثيراً من هذه الأسماء والبلاد والأوصاف ، وكان حديثه عنهم مفعماً بالفرح والرضى وسعادة الأبوة الصادقة العطوف ، وقد بقى يذكرهم ويتحدث عنهم لم يمنعه من ذلك المرض ولا المنصب ولا تباعد الزمن .

وقد لقي شيخنا شلتوت محنة شديدة من مرضه ، وأخرى يعرفها الخاصة من أبنائه وتلاميذه فصبر على المحنتين صبر الرجال ، حتى اختاره الله والله غالب على أمره ؟

محمود الشرفاوى

الإسلام والنصرانية ، أو يقوم على الأقل تمهيد لهذه العلاقة ، وأن هذه الجمعيات وهؤلاء المثقفين يسعدهم أن تكون لشيخ الأزهر وإمام المسلمين مشاركة فى ذلك . ولو كانت هذه المشاركة كلمة صغيرة يعلن فيها أنه يشجع هذا الاتجاه ويباركه ، أو لا يعترض عليه ، وكان المتحدث الأمريكى يتحدث عربية سليمة ويحفظ بعض آيات القرآن فى السيد المسيح .

وبدأ شيخنا شلتوت حديثه ، أو جوابه ، وكانت زرات صوته تتم عن الغضب ، فقال : ما ذا يراد من شيخ الأزهر أن يقول فى ذلك ، ليس عندى إلا أن أذكر قول الله تعالى : دقل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، ثم قال : هذا عن العلاقة بين الإسلام والمسيحية . أما عن العلاقة بين العالم العربى وأمريكا خاصة ، وبين العالم الإسلامى ، فإنى أترك الحديث فيها لأحد تلاميذى الجالس معنا : محمود الشرفاوى .

وذكرنا قضايا العالم العربى : الصهيونية والجزائر والاستعمار والشر الكثير الذى توقعه أمريكا والعالم العربى بالمسلمين والعرب وبلادهم .

عَجَلُ الذَّهَبِ الَّذِي عَبَدَهُ بَنُو إِسْرَئِيلَ

لِلْأَسَاقِطِ الْكَتُورِ عَلَى عَبْدِ الْوَاحِدِ وَانِي

لأحكام شريعتهم ، بل لقد كفروا بإلههم
نفسه ، ورجعوا إلى وثنياتهم الأولى أكثر
من مرة ، وعبدوا ، العجل وهارون بين
ظهرانيم ، وموسى يتلقى الألواح من ربه .

وقد أورد سفر الخروج ، وهو أحد
أسفار توراتهم المزعومة ، قصة عبادتهم لهذا
العجل في صورة غريبة تدل على أن محرري
هذه الأسفار لا يعرفون لأنبيائهم حرمة ، ولا
يرجون لهم وقارا ، ولا يتورعون عن أن
ينسبوا إليهم أية نقيصة ، حتى خيانة الرسالة
نفسها التي بعثوا من أجلها ، ودفع قومهم
إلى الشرك بالله ، فقد نسب هذا السفر إلى
هارون نفسه عليه السلام أنه قد يسر لبني
إسرائيل سبيل الشرك ودفعهم إلى الوثنية
وهبادة الحيوان والأصنام ، فصنع لهم بيديه
في سيناء عجلا من ذهب ليعبدوه من دون الله
فهو يذكر في إصحاحه الثاني والثلاثين أن موسى
لما غادر قومه لتلقى الألواح من ربه ، وطال
أمد غيابه عنهم ، طلبوا إلى هارون أن يجعل
لهم إلها تدركه أبصارهم ويمشي أمامهم ،
لأنهم لا يعلمون ما انتهى إليه أمر موسى ،

تفكك بنو إسرائيل الصراط المستقيم ،
وخرجوا على تعاليم دينهم ، في عهد موسى
نفسه ومن بعده ، وبعث الله فيهم من بعد
موسى وهارون عدة رسل وأنبياء يهدونهم
سواء السبيل ، ويحاولون إنقاذهم مما كانوا
يقعون فيه من زيف وضلال ، فإنا كانوا يلاقون
منهم في الغالب إلا الإعراض والتكذيب ،
بل كانوا يلاقون منهم أحيانا التعذيب والتقتيل .

وفي هذا يخاطبهم القرآن الكريم إذ يقول :
« أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم
استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ، » (١)

ويقول مبينا تكذيبهم للقرآن ولأسفارهم
نفسها وتمردهم على الرسول والأنبياء :
« وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا
تؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه
وهو الحق مصدقا لما معهم ، قل فلم تقتلون
أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ، » (٢) .

ولم يقف بهم الأمر عند حدود المخالفة

(١) البقرة الآية ٨٧ .

(٢) البقرة الآية ٩١ .

منهم كثيراً قدراً ومنزلة ، أو يرجع أصله إلى إقليم السامرة ، وهو أحد أقاليم فلسطين ، وأن هارون لم يأل جهداً في نهيهم عن ضلالهم والعمل على رجوعهم إلى دينهم الحق ولكنهم لم يستمعوا له ، وأن كل ما أخذه موسى على هارون أنه لم يتركهم ويلحق به ليلبغه ما اتهموا إليه أو لم يقاتلهم بمن هسى أن يكون معه وأن هارون قد برر موقفه بأنه خشي إذا قام بذلك أن يفرق بين بني إسرائيل ويضرب بعضهم ببعض ، وذلك إذ يقول في سورة طه : ... فكذلك ألقى السامري ، فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار ، ، (أى من الحلى التى أشار إليها فى الآية السابقة ، وهى الحلى التى أهداها إليهم المصريون قبل خروجهم وألتي اختلسوها منهم ؛ وقد صهرها السامري على صورة عجل بداخل فمه تجاوزف إذا مر فيها الهواء أحدث صوتاً كهوت الخوار) ، وقالوا هذا إلهكم وإلاه موسى فنسى . . . وقد قال لهم هارون من قبل : يا قوم إنما فتنتهم به ، وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى ، قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تنبئن ؟ ، (أى أن تتركهم وتلحق بى أو أن تقاتلهم مع من عسى أن يكون معك) ، د أفضيت أمرى ؟ قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ،

ولا يدركون الإله الذى يحدتهم عنه ، فطلب إليهم هارون أن يجمعوا له أقراب الذهب المدلاة من آذان فساتيم وبناتهم وغلبنهم فجمعوا له هذه الحلى ، فصهرها بنفسه وصنع منها عجلاً ذهباً ليتخذوه إلهاً ، نفر بنو إسرائيل سجداً له ، وقدموا له الأضحية والقربان ، وقالوا هذا إله إسرائيل الذى أخرجهم من مصر .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى قصة هذا العجل إشارة بجملة فى عدة آيات ، منها قوله تعالى : ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ؛ خذوها ما آتيناكم بقوة واسمعوا ؛ قالوا سمعنا وعصينا وأشر بوا فى قلوبهم العجل بكفرهم ؛ قل يا أيها الذين آمنوا إن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ^(١) . وذكر تفصيلها فى سورتي طه والأعراف مبيناً كذب ما نسبته محرورو سفر الخروج إلى هارون ، فقرر أن الذى قام بصنع هذا العجل وأغرام عبادته وقتلهم عن دينهم فى أثناء غياب موسى عنهم لتلقى الألواح من ربه رجل سامري ، أى منسوب إلى طائفة يقال لها السامرة وهى جماعة من غدير بنى إسرائيل اهتمت اليهودية وامتزجت بالإسرائيليين ، وكان الإسرائيليون ينظرون إليها على أنها أحط (١) الآيات ٩٢ ، ٩٣ من سورة البقرة .

اجعل لنا إلهة كالهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيمكم إلهة وهو فضلكم على العالمين ؟ ١ ، (١) .

* * *

هذا ، وكثيراً ما كنا نسمع من الألمان في مرحلة عدائهم لليهود ، وهي المرحلة السابقة للحرب العالمية الثانية في أثناء الحكم النازي ، دعاية ساخرة يفسرون بها قصة العجل الذهبي الذي عبده بنو إسرائيل ، فكانوا يقولون إن ما عمله هارون كان بناء على اتفاق مع موسى ، وكان غرضهما أن يجمعا من بنو إسرائيل الذهب الذي حملوه من مصر (فكانا في ذلك — على حد كلام الألمان حينئذيه وديين أكثر من اليهود) وأن موسى قد تظاهر بالغضب بما فعله أخوه ، وأخذ عجل الذهب وحرقه ونثره ، ولكنهما عادا لجمعا فلزاته ، لأن الذهب لا يتغير ولا يمتزج بغيره ولا يبيد ، وأن اليهود قد وجدوا في هذا العجل إلههم الحقيقي الذي لم ينفكوا يعبدونه وهو الذهب الأصفر الرنان !! ...

ولعمري إن ما ذكره سفر الخروج في قصة العجل الذهبي هو الذي فسح المجال

لأنى خشيت أن تقول فرقت بين بنو إسرائيل ولم ترقب قولي ، (١) .

وإذ يقول في سورة الأعراف : ، واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً ، اتخذوه وكانوا ظالمين . . . ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بشما خلفتموني من بعدي ، أعجلتم أمر ربكم ، وألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ، فلا تشمت بي الأعداء ، ولا تجعلني مع القوم الظالمين ، (٢) .

وأما قصة طلبهم من نبيهم أن يجعل لهم إلهة يحسونه وهي التي ذكرها سفر الخروج في حادث العجل زاعماً أنهم قد طلبوا ذلك إلى هارون ، وأن هارون قد أذعن لرغباتهم الآثمة ، فقد ذكرها القرآن الكريم على وجهها الصحيح فقرر أن الطلب كان موجهاً إلى موسى نفسه لا إلى هارون ، وأن موسى قد نهرهم وبين لهم ضلالهم ، وسخافة تفكيرهم ، وسوء فهمهم لذات الإله ، وذلك إذ يقول : « وجاوزنا بنو إسرائيل البحر ، فأثوا على قوم يكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى

(١) الآيات ٨٣ ، ٩٨ من سورة طه .

(٢) الآيات ١٤٨ إلى ١٥٢ من سورة الأعراف .

(١) الآيات ١٣٨ إلى ١٤٠ من سورة الأعراف .

لمثل هذه الدعابات الساخرة الكافرة ،
وإنها لا تزيد كفرأفيا تنسبه لموسى وهارون
عما تنسبه أسفار اليهود لأنبيائهم ورسالهم
بل عما تنسبه لإلههم نفسه من صفات
الكذب والغش والنهم والخفلة والخذاع .

* * *

ومن أسف أنه مع هذا الخلاف الكبير
بين قصص القرآن وقصص توراتهم المزعومة
وبين نور الحق فيا جاء به الكتاب الكريم
وظلمات الباطل والزيف والتحريف فيا
جاءت به أسفارهم ، لا ينفك كثير من

المستشرقين ومن يدور في فلكهم يزعمون
أن محمدا قد نقل قصصه من قصص اليهود
وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون
إلا كذبا ، وصدق الله العظيم إذ يقول لرسوله :
« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت
به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق وموعظة
وذكرى للمؤمنين ، . » ولقد كان في قصصهم
هبرة لأولى الألباب ؛ ما كان حديثاً يفترى ،
ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل
شئ . وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ، .
وذكر على عهد الواعظ والفي

من حكم الإمام على

من حلم ساد ، ومن ساد استفاد ، ومن استعيا حرم ، ومن هاب خاب ، ومن طلب
الرياسة صبر على السياسة ، ومن أبصر عيب نفسه عفى عن عيب غيره ، ومن احتقر
لأخيه برأ وقع فيا ، ومن نسي زلاته استعظم زلة غيره ، ومن هتك حجاب غيره انتهكت
هورات بيته ، ومن كابر في الأمور عطب ، ومن اقتحم العجج غرق ، ومن أعجب برأيه
ضل ، ومن استغنى بعقله زل ، ومن تجبر على الناس ذل ، ومن تعمق في العمل مل ، ومن
صاحب الأنزال حقر ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم ، ومن
حسن خلقه سهلت له طريقه ، ومن حسن كلامه كانت الهيبة أمامه ، ومن خشى الله فاز ،
ومن استفاد الجهل ترك طريق العدل ، ومن عرف أجله قصر أهله ثم أنشأ يقول :

ألبس أخاك على عيوبه واستر وغط على ذنوبه
واصبر على بهت السفيف به والزيان على خطوبه
ودع الجواب تفضلا وكل الظلوم إلى حسبيه

من معاني القرآن

وقد نرى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون . قرآن

تقلب الوجه ، تردده وتحوله من جهة إلى جهة .
ولاه كذا . معناه أعطاه إياه ومكنه منه .
وجعله والياً عليه . أو جعله يليه ويحاذيه .
القبلة : الجهة التي يقبل عليها من يريدها ،
وكل ما يستقبله الناس بوجوههم ، وقد غلب
استعمالها في الكعبة لأن المسلمين يستقبلونها
في صلاتهم ويحجونها .
شطره . معناه نحوه . وجهته ، وحيث
اسم للمكان المجهول .

المعنى : يقول الله لنبيه عليه الصلاة
والسلام : نحن نرى كثرة قلب وجهك
في السماء وتطلعك إليها وأنت تردد بصرك فيها
تستشرف إلى وحى يهبط عليك بالاتجاه إلى
قبلة تواتح إليها وتجد فيها رضاك . وتجعلها
جهة تجمع المسلمين على الاتجاه إليها في كل
مكان يكونون فيه . فتأكد أننا مولوك هذه
القبلة التي ترضاها . فوجه وجهك جهة المسجد
الحرام فإنه القبلة التي تتطلع إليها وترجوها .
وفي أي مكان تكونون أيها المسلمون وجهوا
وجوهكم جهة هذا المسجد . وتأكدوا أن

وقد كان النبي والمسلمون يصلون إلى بيت
المقدس في أول العهد بالإسلام وظلوا على
ذلك إلى ما بعد الهجرة إلى المدينة بستة عشر
شهراً . ثم شعر عليه السلام بالحنين إلى المسجد
الحرام . وتطلع إلى أن يكون قبلته وقبلة
المسلمين معه ومن بعده .

١ - لأنه في أحب أرض الله إلى الله كما
يفهم من قوله وهو يردع مكة مهاجراً إلى
المدينة : والله إنك لأحب أرض الله إلى الله
وإنك لأحب أرض الله إلى ولولاً أن فومك
أخرجوني ما خرجت منك .

من قوله : « فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف .

٦ - لأن الله سمى البيت العتيق . وجعله بيته كما يفهم من قوله تعالى : « وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » .

لهذا - ولغيره - كان عليه السلام مع تعظيمه واحترامه لبيت المقدس وإسراء الله به إليه ، يقرب بصره فى السماء ويستشرف إليها بالدعاء ، حتى أرضاه الله بالحق الذى ينفذه والاتجاه الذى يرجوه ... وكان ذلك فى منتصف شهر شعبان كما يذكر الرواة ؟

عبد الرحيم فودة

٢ - لأنه قبله أبيه إبراهيم أبى الأنبياء وإمام الناس كما يفهم من قوله تعالى : « وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمن قال إني جاعلك للناس إماما » .

٣ - لأنه أول بيت جعل متمبداً فى الأرض كما يفهم من قوله تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين » .

٤ - لأن الله جعله حرماً آمناً ومثابة للناس كما يفهم من قوله : « ولما جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً » .

٥ - لأن الله قرن به الخير واليمن كما يفهم

قال ابن عبد ربه فى وصف الحرب :

الاجتهاد التوفيقى ، وثمره الأناة اليمن ، وثمره الحذر السلامة ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال ، والحرب بين الناس سجال ، والرأى فيما أبلغ من القتال .

الحرب رضى ثفالها الصبر ، وقطعها المسكر ، ومدارها الاجتهاد ، وثقافها الأناة وزمامها الحذر ، ولكل شئ من هذه ثمرة ؛ فثمره الصبر التأيد ، وثمره المسكر الظفر ، وثمره

تطور التصوف

للاستاذ محمد إبراهيم الجوشي

أشرنا فيما سبق إلى أن حياة النبي صلى الله عليه وسلم في عزوفه عن الدنيا ، وتركه للطيبات ، وأخذه نفسه بالزهد والتعفف ، وانقطاعه في كثير من أوقاته للتأمل والتفكير ، كل هذا كان فيه القدوة التي تأثرها زهاد الأمة ، ومن أتى بعدهم من التابعين ، وكانت أنماط الحياة التي ينبج عليها الصحابة وتابوهم امتداداً لتعاليم النبي عليه السلام ، فلما جاء الصوفية تأثروا بهذا الطريق ، وساروا على ذلك النهج ، حتى بلغوا ما بلغوا من نقاء السريرة ، وطهر القلب ، وصفاء النفس ، والقدرة على الكشف ، بفضل ما أخذوا به أنفسهم من الزهد في الملمات ، والبعد عن الشهوات ، وعاربة النفس ، والعكوف على التعبد .

التصوف في القرن الأول والثاني :

وبلاحظ على هذا الزهد أنه كان خاضعاً لسلطان الحزن والبكاء وهذان يدلان على مبلغ خوفهم من النار وآلامها ، وعلى الندم الناشئ عن معصية الله سبحانه .

ونستطيع أن نقول : إن الطابع العام للزهد في القرن الأول الهجري وفي بعض القرن الثاني كان الحزن والخوف وغلبة البكاء ، حتى وجد من عرفوا بالبكاين من زهاد هذا العصر ،

وأكبر مثل لذلك في تلك الآونة الحسن البصري المتوفى عام ١١٠ هـ ، فقد كانت دعاية الحياة عنده الزهد في هذه الدنيا والإعراض عن جاهها ، والإقبال على الله ، والتوكل عليه ، والخوف منه ، والتفكير الدائم فيما بينه وبين نفسه ، والتصفح المتصل لما تنطوي عليه النفس من نوازح وأغراض (١) .

فالحسن البصري يمثل هندی فترة الانتقال من الزهد إلى التصوف ، والتصوير الحق له قول أبي نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء : حليف الخوف والحزن ، أليف الهم والحزن هديم النوم والوسن ، أبو سعيد الحسن ابن أبي الحسن ، الفقيه الزاهد ، المشرع العابد ، كان لفضول الدنيا وزينتها نابذاً ، ولشهوة النفس ونخوتها واقداً (٢) .

ففي هذا النص تصوير دقيق لمقدار استشعار الحسن رضي الله عنه عن نفسه الخوف ، وأثره في حياته ، حتى لقد روى أنه رأى قاهداً كأنه أسير قدم لتضرب عنقه ، وإذا تكلم كأنه يعاين الآخرة ، فيخبر عن مشاهدتها ،

(١) الحياة الروحية في الإسلام ص ٧٢ .

(٢) حلية الأولياء ص ١٣١ ، ١٣٢ .

والنزعة الجديدة شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية ، فتددت في أقوالها فيما ورد إلينا عنها من نثر ونظم ، ثم شاع فيما بعد على السنة الصوفية جميعا .

قال الدكتور محمد مصطفى حلى : « وكما طبع الحسن البصرى الحياة الروحية الإسلامية في القرن الأول الهجري بطابع الزهد والخوف والحزن فقد طبعها كذلك رابعة العدوية المتوفاة سنة ١٨٥ هـ بهذا الطابع ؛ إذ كانت في حياتها زاهدة عابدة خائفة حزينة ، باكية ، غير أنها زادت على هذا كله عاملا جديدا ، كان له آثار خصبة قوية في توجيه الحياة الروحية وجهة جديدة ، وذلك أن رابعة لم تصدر في زهدا وعبادتها من الخوف والحزن خشب ، كما كان يصدر الحسن البصرى وغيره من زهاد عصره ، بل صدرت عن ذلك الخوف والحزن : الخوف من النار ، والحزن بما يحتاج إلى الاستغفار ، وعن الحب : حب الله لما يخصها به من نعمه وآلائه ، وحبها لذاته ،^(١) .

وهذا التفصيل الذى أورده الدكتور عن حب رابعة هو الذى عبرت عنه في أبياتها المشهورة .

أحبك حبين حب الهوى

وحبا لأنك أهل لذاك

فإذا سكنت كأن النار تسمى بين هينيه^(٢) ، وعوتب في شدة حزنه وخوفه ، فقال : ما يؤمنى أن يكون الله تعالى قد اطلع في على بعض ما يكره ففقتنى ، فقال : اذهب ، فلا غفرت لك ، فأنا أعمل في غير معمل^(٣) .

كل ذلك يصور ما كان عند الحسن من زهد وخوف ، وأنه كان دائب البحث عن خفايا النفس والسعى في تطهيرها عما يشينها ، مبعدا عنها الغفلة حتى لا تنسى الله تعالى لحظة .

وكان إلى جانب هذا الخوف الذى يمثله الحسن البصرى ، نوع آخر يصحبه بكاء ودموع وخوف أيضا ، ولكنّه ليس ذلك البكاء والحزن الناشئ عن الخشية والرهبة ، وإنما كان مبعثه الضيق من كثرة الحجب المتراكمة على النفس ، فتحول بينها وبين مشاهدة الخالق والتمتع بجماله الأزلى ، واجتلاء طلعته الكريمة ، كان حزنا وبكاء يهيجهما الفوق والحزين إلى الله ، فبكاء الأول كان بكاء الخائف ، أما بكاء هذا فبكاء المهجور أو التبع المحب الذى لم يستطع الوصول إلى من يحب .

وقد غلبت هذه النظرة لإبانة القرن الثانى للهجرة ، ومن هنا نرى الحياة قد لونت بلون جديد ، وهو الحب للذات الإلهية والهيام بها ، والشوق إلى لقائها .

وقد حمل لواء هذه الدعوة الجريئة ،

(١) الحياة الروحية ص ٧٥ . التصوف وفريد الدين العطار ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) (٢٤١) الإحياء ج ٤ ص ١٨٤ .

إليها على مدى الأزمان ، ومن قولها في ذلك :
 إني جعلتك في الفؤاد محدثي
 وأبحت جسمي من يريد جلوسه
 فالجسم مني للجلس مؤانس
 وحبيب قلبي في الفؤاد أنيس
 هذه هي السمات الغالبة على التصوف
 في أول أمره ، وفي فترة انتقاله من الزهد
 إلى أن بلغ استقلاله وهي الخوف والحزن
 والبكاء ثم الحب على يدى رابعة .

التصوف في القرن الثالث والرابع :

كان التصوف في القرن الأول والثاني
 لا يكاد يخرج عن دائرة السكوفة والبصرة ،
 فلما أقبل القرن الثالث ظهر التصوف في كثير
 من الأقطار الإسلامية الأخرى ، والمدن
 المتعددة كبلخ ، ونيسابور ، ومصر ، والشام ،
 وبغداد وغيرها من البلدان الإسلامية ،
 إلا أن بغداد كانت تعد أقوى المراكز الصوفية .
 وقد لوحظ على التصوف في الفترة الماضية ،
 أنه كان أشبه بعلم الأخلاق ، فكان يتحدث
 عن الأخلاق الإسلامية وفضائلها وميزاتها
 فلما أقبل القرن الثالث لم يكتف بذلك ،
 بل أخذ الصوفية يفيضون في شرح أحوال
 النفس الإنسانية ، والكلام عن مدخلها ،
 وبيان مراتبها ، وتحليلها تحليلًا دقيقاً ، على
 أن الحب كما كان طابع التصوف بعد رابعة
 العدوية ، ظل كذلك من أهم خصائص
 التصوف في القرن الثالث ، وقد دار على

فأما الذي هو حب الهوى
 فخلل بذكرك ممن سواك
 وأما الذي أنت أهل له
 فكشفك لي الحجب حتى أراك

وصفوة القول : إن رابعة حملت راية الحب
 الإلهي ، وأسبغتها لمن أتى بعدها من الصوفية
 فاندفعوا بها في بحر لجي لا ساحل له حتى
 غرقوا في عمقه ، وذابوا في محيطه ، وقطعوا
 المسافات الطوال والأشواط البعيدة ، وقد
 حفلت كتبهم بالتنقي بالحب الإلهي ، وحوث
 من الطرائف ما يبهج النفس ، ويشالج القلب ،
 ويشرح الصدر ، وينعش الفؤاد ، وسنفيض
 في حديث هذا الحب عند ما تسكلم عنه باعتباره
 مظهرًا أدبيًا من مظاهر الأدب الصوفي .

وحياة رابعة صورة لما تحس به ، وتصوير
 صادق لمشاعرها ووجدانها ، فقد حدثوا أنها
 كانت دائمة البكاء والحزن ، وكانت إذا سمعت
 ذكر الله غشى عليها زمانا ، وكان موضع
 سجودها كهيئة المستنقع من دموعها ، كما يروى
 الشعراني (١) .

أما حب رابعة فنكتب الصوفية حافلة
 بأخبارها فيه من شعر ونثر ، والحق أن
 رابعة فتحت قمتها جديداً في التصوف
 الإسلامي ، وكشفت فيه عن منبع ثجاج ،
 لما للحب من سلطان على القلوب ، واستهواء

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٧٢ .

من حلول واتحاد ، وبقاء وفناء نفحات مشرقة وآثار خالدة ، ولقد بلغ من اهتمامهم بها أن المحاسبي جعل لها فصلا خاصا أشبه ما يكون برسالة صغيرة تحدث فيها عن أصل حجة العبد لربه ، وأن هذا الحب منه إلهية أودع الله بذرتها في قلوب المحبين .

ولأن نظرة في تاريخ التصوف ترينا أن هذا القرن ظهر فيه مشايخ الصوفية الذين وضخوا معالم التصوف ، وأرسوا قواعد هدى إلى أساس منظم ، وشرعوا للناس سبيله وأبانوا منهاجه .

ومنهم أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي المتوفى سنة ٢٤٣ هـ ومنهم ذو النون المصري المتوفى سنة ٢٤٥ هـ قال عنه السيوطي إنه أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ، ولدى النون كلام كثير يدور حول المعرفة والمحبة ، وله في المعرفة نظرية خاصة .

وكن لأئامه صدى بعيد في نفوس من أتى بعده من صوفية المشرق ولا ننسى أن نشير إلى أبي يزيد البسطامي المتوفى سنة ٢٦١ هـ ذلك الصوفي الذي انتهت به أذواقه ومواجيدته إلى الفناء عن نفسه والاستغراق في الله وقد أضاف إلى قاموس الصوفية لفظ السكر فكان لها والدمعة والحب والعشق أثر بعيد المدى في التصوف الإسلامي ؟

محمد إبراهيم الجبوشي

أسنة شيوخ الصوفية في هذا القرن مثل معروف السكرخي ، وقال الجنيد في المحبة كلاما يعدونه خير ما قيل فيها ، واستعملها ذو النون في كلامه ، وليس أدل على مبلغ تسلط نظرية المحبة على صوفية القرن الثالث من هذا الكتاب الذي بعث به يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي المتوفى ص ٢٦١ هـ يقول فيه :

سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته ، فسكتب إليه أبو يزيد : غيرك شرب بحور السموات والأرض ، وما روى بعد ، ولسانه خارج ويقول : هل من مزيد . وأنشد عجب لمن يقول ذكرت ، إلني وهل أنسى فأذكر ما نسيت أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا حسن ظني ما حفيت فأحيا بالمخى ، وأموت شوقا فكم أحيا هليك وكم أموت شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفد الشراب وما روي (١)

فهذا تسام عجيب في الحب ، وارتجاء رفيع في فلسفة المحبة ، فهو يعجب لمن يقول ذكرت إلني ، وينسكرك هذا لأن الذكر يعقب النسيان والنسيان لا يليق بالمحبين .

وهكذا تتابع هذه النظرية ، وتداولتها أذواق الصوفية على مر ، السنين حتى جاء الحلّاج ، وقد خلف في المحبة وما يتصل بها

الأوزاعي عالم أهل الشام

للأستاذ محمد عبد الله السمان

والحديث ، وحدث عنه مالك والثوري
والزهري وغيرهم من الأئمة المشهورين .

ولإمامة الأوزاعي في الفقه لا تحتاج إلى
تعريف فهو أصحاب المذاهب الفقهية التي
سبقت الفقهاء الأربعة المشهورين ، وإن كانت
مذاهبهم درست وبقى إلى اليوم شيء من آثارها .

يقول الدكتور محمد فروخ في كتابه « تاريخ
الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون » ، بعد أن
تحدث عن أهم المذاهب السائدة إلى اليوم :

« وقد كان لأهل السنة والجماعة مذاهب
بادت أي ترك الناس العمل بها ، منها : مذهب
ابن أبي ليلى المتوفى عام ١٤٨ هـ ، ومذهب
الأوزاعي المتوفى عام ١٥٧ هـ ، ومذهب
الثوري المتوفى عام ١٦١ هـ ، ومذهب شريك
النجعي المتوفى عام ١٧٧ هـ ، ومذهب سفيان
ابن عيينة المتوفى عام ١٩٨ هـ ، ثم مذهب أبي
ثور المتوفى عام ٢٤٦ هـ . »

ولاشك أن مذهب الإمام الأوزاعي كان
من أشهر هذه المذاهب ، فقد اقتصرت في الشام ،
ثم تسربت إلى الأندلس في عهد الحكم الأموي
وظل سائدا هناك حتى جاء عهد هشام بن

سواء أكان اسم الأوزاعي نسبة إلى أوزاع
وهو بطن من ذى الكلاع من اليمن ، أو بطن
من ممدان ، أم نسبة إلى الأوزاع وهي قرية
من دمشق على طريق باب الفراديس ...

وسواء أكان الأوزاعي قد ولد في بعلبك
وفي عام ٨٨ هـ وتوفي عام ١٥٥ هـ ، أم قد ولد
ببغداد وفي عام ٩٣ هـ وتوفي عام ١٥٧ هـ .

فإن الذي لا ريب فيه أن الإمام الأوزاعي
قد توفي ببغداد وفي قرية على بابها يقال لها
حنطوس ، ومدفون في قبلة المسجد وأهل
القرية يتبركون به إلى اليوم .

والذي لا ريب فيه أيضا ، أن الأوزاعي
كان إماما يقنطري به كما يقول الإمام مالك ،
وكان إمام أهل زمانه كما يقول سفيان بن
عيينة ، وكان ، كما يقول يحيى بن معين ، أحد
العلماء الأربعة الذين أجمع الناس على إمامتهم
« الثوري ، وأبي حنيفة ، ومالك ، والأوزاعي » .

لقد نشأ الأوزاعي بقليا في حجر أمه ، التي
كانت تنقل به من بلد إلى بلد ، وتأدب بنفسه
وتفقه على كثير من المشايخ الفقهاء والحفاظ
في عصره ، حتى ساد سائر البلاد في الفقه

ونحن إذا تركنا الأوزاعي أحد كبار الأئمة في الفقه والحديث ، فإنما لنعرض الإمام الأوزاعي العالم الذي اجتمعت في شخصه أخلاق العلماء في مثاليتهما وعظمتاه ، حتى قال بعضهم - كما جاء في الجزء العاشر من البداية والنهاية لابن كثير :

« لم يكن في أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه ، ولا أروع ولا أعلم ، ولا أفصح ولا أوقر ، ولا أحلم ولا أكثر صمتاً منه ... ما تسكلم بكلمة إلا كان المتعين على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه من حسنهما » .

أما شجاعة العالم وهي أكرم ما تكون له ، فقد بلغ الأوزاعي فيها الذروة ، هذه الشجاعة التي قامت عنده على أساسين :

الأول : خشيته لله وحده ، حتى قال بشر بن الوليد : « رأيت الأوزاعي كأنه أهمي من الخشوع » .

الثاني : تعففه عن دنيا الناس ، حتى حدث عنه ابنه محمد فقال : « قال لي أبي : يا بني ، لو قبلنا من الناس كل ما يعطونا لهننا عليهم » .

على هذين الأساسين كانت شجاعة الأوزاعي وكان - كما يقول صاحب الحلية : لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يقول إلا بالحق لا يخاف سطوة العظام .

عبد الرحمن الداخل ، فانتقل إلى الأندلس مذهب الإمام مالك .

ويعتبر الإمام الأوزاعي من أئمة الحديث أيضاً ، فقد صنف فيه بالإنشام ، كما صنف الإمام مالك بالمدينة ، وابن جريج بمكة ، والثوري بالكوفة ، وحماد بالبصرة ، والأوزاعي كتابه « السنن » في الحديث ، كما له كتابه « المسائل » في الفقه .

بل إن الأوزاعي كان من أوائل المصنفين في الحديث في النصف الآخر من القرن الثاني للهجرة بالإنشام .

وكان يعنى كل العناية بالإسناد ، ومن أقواله المشهورة :

« ما ذهب العلم إلا ذهاب الإسناد » .
وقد حمد في أواخر حياته - بعد أن كان يعمل على طلابه الحديث ويصحح لهم ما يكتبونه عنه ليحيزهم بروايته - حمد إلى التفتير من الاعتماد على الكتابة ؛ لأنه تشام بما سيؤول إليه الحفظ ، فلم يسره المجل عن طريق السلف الذين كانوا يتلقون الحديث من أفواه العلماء ، وقال : « كان هذا العلم شيئاً شريفاً إذ كان من أفواه الرجال يتفقونه ويتذاكرونه ، فلما صار في السكتب ذهب نوره ، وصار إليه غير أهله » (١) .

(١) السنة قبل التدوين للأستاذ محمد عجاج الخطيب مطبعة الخمر - القاهرة ص : ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

حرام عليك أيضا ، وإن كانت حلالا فلا تحمل لك إلا بطريق شرعي ، ...
قال عم السفاح :
« ألا تولىك القضاء ؟ »

فأجاب : إن أسلافك - يعني الأمويين - لم يكونوا يشقون على في ذلك ، وإنى أحب أن يتم ما ابتدئوني به من الإحسان ، .
هذه شجاعة الأوزاعي التي جعلت القلوب تلتف حوله ، وتجمع على الوقوف بجانبه ، حتى لقد هم به أحد الولاة . فقال له أصحابه :
« دعه عنك ، وافقه لو أمر أهل الشام أن يقتلوك لقتلوك » .

وهذه مكانة الأوزاعي ، الذي حج مرة ، ودخل مكة ، وسفیان الثوري - وهو من هو مكانة وعلم - أخذ بزمام جمه ، ومالك ابن أنس - وهو بمن لا يحتاج إلى تعريف يسوق به ، والثوري يقول : أفسحوا للشيخ حتى أجلساء عند السكبة ، وجلسا بين يديه يأخذان عنه .

رحم الله الأوزاعي الفقيه المحدث ، إمام أهل زمانه ، الذي ما روى ضاحكا متقهقا قط ، وكان يعظ الناس فلا يبتق أحد في مجلسه إلا بكى بعينه أو بقلبه .

رحم الله الأوزاعي ، الذي أجمع المسلمون على عدالته وإمامته ، فأنق في سبعين ألف مسألة ، والذي مات فلم يترك للدين شيئا

حين تغلب العباسيون على بنى أمية ، استدعاه عبد الله بن علي عم السفاح ، فتأخر عنه أياما ثلاثة ، وفي مثل هذا الظرف يقابى الناس إلى مجالس المنتصرين ليعلموا ولاءهم لهم ويتطوع ضعاف النفوس لتأييدهم إن حقا وإن باطلا ورغم أن المنتصرين استولوا على زمام السلطة ، وقضوا على معظم منافسيهم ، إلا أنهم كانوا في صعيد الحاجة إلى مساندة آراء عالم له مكانته كالأوزاعي ، ولكنهم خاب أملهم ، فساكن مثل الأوزاعي يقول غير الحق ، أو يسخر دين الله لمخلوق مهما بلغ من المنعة والسلطان .

قال له عم السفاح :

يا أوزاعي : ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلة عن للعباد والبلاد أجهادا ورباطا هو ؟ فأجاب الأوزاعي : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » : قال عم السفاح :

يا أوزاعي : ما تقول في دعاء بنى أمية ؟ .
فأجاب : « لا يحمل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » :

قال عم السفاح :

« ما تقول في أموالم ؟ »

فأجاب : إن كانت في أيديهم حراما فهي

من المتاع الزائل ، وإنما ترك علما ، ومثلا
أهل للعلماء الجديرين بأن يكونوا ورثة
الأنبياء ...
إن أحد الولاة جلس على قبر الإمام
الأوزاعي ، فقال : «رحمك الله ، فوالله لقد
كنت أخاف منك أكثر مما أخاف الذي
ولاني .

* * *

هذا هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو
ابن محمد الأوزاعي ، إمام أهل الشام الذي
تخرج في مدرسة أولئك الصحابة الذين نزلوا
بالشام ، أمثال أبي عبيدة بن الجراح وبلال
وشرحبيل ، وعوف بن مالك الأشجعي ،
والعرباض بن سارية ، والذي رفعه عليه إلى
قبة العلماء ، ورفعته عفته عن الدنيا إلى قبة
الغناء ، ورفعته ثقته في الله إلى قبة الأصفياء

جاد الحيا بالشام كل عشية
قبراً تضمن لحده الأوزاعي
قبر تضمن فيه طور شريعة
سقيما له من عالم نفاع
عرضت له الدنيا فأعرض مقلما
عنها بزهد أيما إقلاع

محمد عبد الله السماه

من جيد شعر الخنساء قولها في رثاء أخيها :

إذا القوم مدوا أيديهم إلى الجند مد إليه يدا
فقال الذي فوق أيديهم من الجند ثم مضى مصعدا
يسكفه السوم ما عالم وإن كان أصغرهم مولدا
تري الجند يهوى إلى يديه يرى أفضل الكسب أن يمهدا

حياة سلمان الفارسي وإسلامه

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

جلس المصابون يتذاكرون حوادث موقعة
الحنديق بعد أن نصرهم الله على عدوهم فذكروا
مشورة سلمان الفارسي وبلاءه في القتال ،
فقال الأنصار (سلمان منا) وقال المهاجرون
(سلمان منا) ولكن الرسول قال قوله
التي شرف بها سلمان على الزمان (سلمان منا
أهل البيت) .

في البيت كما تحبس الجارية مخافة أن يقع
له مكروه .
فلما شب الصبي عن الطوق ، تعبهده أبوه
بالتربية والتعليم ، فعلمه المجوسية التي كان
يدين بها ، فلما هرف شيئاً عن دين آبائه
وأجداده ، ترك حياة اللهو واللعب ، وهكف
على دراستها ، حتى أصبح سادن النار ، فهو
الذي يوقدها ويتعبد لها فلا تخبو ساعة
في البيت ... وهكذا شغل الفتي المدال وقته
في تعلم دينه والبحث عن دقائقه ، وما كان
أغناه عن هذا العناء لو لم يكن هناك تدبير
علاوى هو الذي ربهه هذه الوجهة ، فجعله
يطرح حياة اللهو واللعب التي كان يتمتع بها
أشبهاء له وأنداد .

كانت لآبيه ضيعة كبيرة شأنه شأن ذوى
الجاه والسلطان ، وقد شغل عنها حيناً
ببناء له في داره ، فاستدعى ابنه سلماناً
وقال له :

يا بني قد شغلني ما ترى وأخاف إن نحن
أهماناً أمر ضيعتنا أن يصيبها التلف ، فانطلق
إليها لترى ما صار لإيه أمرها . ولكن
لا تغب حتى لا تشغلني عن كل ضيعة
بهي بك .
فإذ كان أبوه زعيم فلاحى قريته ، يعيش
في مجبوحة من العيش وسعة في الرزق .
ويظهر أن أباه لم يرزق غيره ، فأحبه
أشد الحب ، حتى لقد بلغ حبه إياه وإيثاره له
وخوفه عليه درجة عظيمة ، جعلته يحبسه

في قرية يقال لها (جى) إحدى قرى أصحابان
من أعمال فارس ، ولد سلمان في بلاد الجسد
والسودد التي قال فيها الشاعر .

قوى استولوا على الدهر فقى

ومشوا فوق رؤوس الخقب
عمرنا بالشمس هاناتهم

وبنوا أبيساتهم بالشهب
وأبى كسرى حلا إيوانه

أين في الفاس أب مثل أبى
وتفتحت عيناه على الجد الماثل والعز التالذ ،

إذ كان أبوه زعيم فلاحى قريته ، يعيش
في مجبوحة من العيش وسعة في الرزق .

ويظهر أن أباه لم يرزق غيره ، فأحبه
أشد الحب ، حتى لقد بلغ حبه إياه وإيثاره له

وخوفه عليه درجة عظيمة ، جعلته يحبسه

ولما أقبل الليل ولم يعد سليمان إلى بيت أبيه شغل الرجل بأمر ابنه ، وبعث الرسل في طلبه ، واستمر في البحث عنه وتبجح أثره واستقصاء خبره ، وقد ملأ الحزن قلبه واستولى عليه هم ثقيل ، وما زال الرجل دائم السؤال عن وحيدته يحدوه الأمل ويدفعه الرجاء ، حتى حشر عليه .

فلما مثل بين يدي أبيه ، أتبه أبوه على اختفائه وغم وصيته له ، واستعلمه حقيقة أمره وسبب غيبته ... فقال له سليمان :

- يا أبت لاني مررت بقوم يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من أمرهم ، وهزني ما عرفت من خبرهم ونزل دينهم من نفسي منزلا حسنا وعليت أن دينهم خير من ديننا .

فزل هذا القول على الأب نزول الصاعقة ، وظهر الغضب في عينيه وبان الألم في وجهه وقال :

- أي بني إن دينك ودين آباءك خير من ذلك الذي فتقك بزخرفه وتسلط على حسك بتوهمات يقوم بها قوم يتخذون الشعوذة حرفة لم يفور بها السذج أمثالك .

- يا بني عليك أن تعبد ما كان يعبد آباؤك وأن تسير على ما ساروا عليه فلست بأفصح منهم تفكيراً ولا أكثر تعقلاً .

لقد كان الأب يحشى أن تنوشه الوسواس من أجل ابنه الذي لا يقوى على فراقه ... وقصد سليمان ضيعة أبيه ليرعى شئونها وينفذ ما أمره أبوه ، وفي طريقه إليها مرَّ بكنيسة من كنائس النصارى ، وكانوا في تلك اللحظة يصلون ، فسمع أصواتهم ، فدفعه حب الاستطلاع إلى دخولها ليرى ماذا يعملون ويعرف ما يقولون ، ونظر لأنه لم يكن يعرف عن مثل هذه الأمور شيئاً ، ولم يكن له بمخالطة الفلاس ومعرفة أحوالهم عهد ، إذ أنه قضى قضى معظم أيامه رهين البيت ، فلما رأى صلاتهم وسمع أقوالهم أعجب بما رأى ، وما سمع ، وودع في التدين بدينهم والسير على نهجهم ، حتى إذا فرغوا من صلاتهم سألم عن أشياء في الدين أخبروه عنها ، فأدرك بفطرته أن هذا الدين خير من الدين الذي كان عليه آباؤه وأجداده ، ولما سأله عن منبع دينهم وأين يوجد سدنته والعارفون به ، أخبروه أنه يستطيع أن يجد طلبته في بلاد الشام .

ومكث ههنا يرى ما يفعلون ويسمع ما يقولون حتى غربت الشمس ونسى ما كان قد خرج من أجله ، وغفل عن كل شيء إلا عن وجوده مع القوم في كنيسةهم ، لقد أراد سليمان أن يروى نفسه الظمأى التي يحس ثوبها إلى دين تجد فيه مطالها العليا .

سليمانا بذلك ، فاحتال على التخلص من قيده ، ثم لحق بالقوم وصحبهم في رحلتهم حتى وصل إلى أرض الشام ، وهناك أخذ يتنقل من مكان إلى مكان ، يسأل عن أهل هذا الدين ويختلط بهم ويبحث عن أفضلهم هلياً وأوسعهم خبراً وأكثرهم معرفة ، حتى سمع بأحد الأساقفة وأنه سادن هذا الدين وفقهه وخبر في أدق شئونه ، فقصده إليه سليمان ، فلما التقى به قال له : إني قد ملت إلى هذا الدين ، فأجبت أن أكون معك ، أقوم على خدمتك وخدمة كنيسةك وأتعلم معك علوم هذا الدين ، وأصلي وترشدني إلى خير الطرق ، فرحب به الأسقف وقبل ما عرض عليه سليمان وضمه إلى معيته في كنيسته .

عاش سليمان معه يلحظ تصرفه ويتعرف أمره ويقع خطاه ، وقد رأى من صفات هذا الأسقف ما لم يعجبه فهو يجمع الصدقات التي يقدمها أصحابها ، لتنفق على فقراء القوم ، وبدلاً من أن ينفقها على مستحقها فإنه يسكنها لنفسه ، حتى بلغ ما جمعه منها صبيع قلال مملوءة ذهباً وفضة .

لقد رأى سليمان هذا الرئيس الديني الذي ملأه الناس أمرهم ، يؤثر نفسه على الآخرين فيحرم الفقير حقه ويحبس عن المسكين رزقه فسكادت عقيدته في هذا الدين الذي هشقه ،

فسكت سليمان ولم يجب ، ورأى الأب على وجه ابنه علامات تدل على عدم الاقتناع ، فساورته الهواجس وخاف أن يفتن ابنه في دينه ويميل إلى تلك الدعوة التي اجتذبت به ، وحبسه في الدار كما كان يحبسه من قبل .

لم يقنع سليمان بما قال أبوه ولم يرقه هذا التقليد الأعمى ، فقال في نفسه ، كلا والله : إن ما رأيته خير من ديننا الذي ورثناه من أسلافنا ، والذي اعتنقناه بلا تفكير ، وتبعنا تعاليمه دون تدبر ، وإنه لجدير بالإنسان الذي وهبه الله العقل الناضج والفكر الثاقب ، أن ينظر في الأمور ويحكم فيها عقله ويعمل فكره ، وأن يستقصى الأمور ويختار منها أيها خير .

وأخذ يحتمل لنفسه حتى اتصل بهؤلاء النصارى مرة ثانية واحترم برادتهم ويتعرف أخبارهم ويستوحشهم أسرار دينهم ، حتى إذا اقتنع بأن ما يعبدون خير مما يعبده هو وآبائهم ، أرسل إليهم يطلب إذا قدم عليهم من الشام قافلة من تجار النصارى ، وقضوا ما ربههم ، ثم حولوا على العودة إليها ، أن يخبروه ليصحبهم إلى هناك حيث يتلقى من تعاليم دينهم ما يشفي غليل نفسه ...

وانتم هؤلاء النصارى قدوم إليهم من الشام واعزامهم العودة ، فأرسلوا يخبرون

الصالحون ، وأما الباقون فقد بدلوا ، وتركوا ما كانوا عليه ، إلا رجلا بالموصل (سماء له) مستجد فيه طلبتك فإنه على نور من ربه وعلى هدى من شريعته ... حتى إذا فارق الأسقف الحياة ، رأى سلمان أنه لا بقاء له في هذه المدينة ، فشد رحاله إلى الموصل ، ولما بلغها ألقي عصا التسيار وأخذ يسأل عن صاحبه حتى عرف مكانه والتحق بخدمته ، وأقام عنده ما بقي هذا الناسك على قيد الحياة ، وقبل أن يخلى مكانه أوصى سلمان أن يلحق بزميل له في بلدة نصيبين ، فذهب إليها وأقام عند كاهنهما حتى حضرته الوفاة فأوصى سلمان أن يلحق برجل في عمورية فهو من بقي في هذه الدنيا ، فذهب إليه سلمان وأخبره عن كل ما وقع له ، وذكر له كل ما سمع من وصايا الرجال الذين التحق بخدمتهم وما كان من أمرهم ، وطلب منه النصيحة ، فقال له :

يا بني ، أما أمثالي وأمثال من ذكرت من الصالحين فلن يوجد ما أمرك أن تلحق به ، ولكن قد أظلم زماننا نبي يبعث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ويهجرته إلى أرض بين حرتين^(١) بينهما نخل ، وبه آيات وعلامات لا تخفى ، يأكل الهدية ولا يأكل

تزعزع وإيمانه بالنصرانية يتحول ، لولا أن انتهى أمر هذا الأسقف سريعا ، فقد ثار عليه القوم وأبغضوه بغضا شديدا وصلبوه ورموه بالحجارة ، بعد أن كشف لهم سلمان أمره . ثم تولى أسقف أخرى يعرف حق الدين وحق الفقراء ويرمى شئون الناس ، فهو زاهد في متاع الدنيا راغب في الآخرة .

كان هذا الأسقف تقيًا صالحًا راهبًا أمينًا ، مثابرًا على عبادة ربه في الليل والنهار منصرفًا عن كل ما تشتهى النفس إلى ما أعده الله في الآخرة لعباده المتقين .

وعرف سلمان فيه كل هذه الخلال ، فأحبه حبا عظيما ، إذ رأى فيه الصفات التي كان يتخيلها للدين يدعو إلى الحب والسلام ، رأى فيه خير مثل يحتذى في الإصلاح والقنوة الحسنة ، فأقام معه ما شاء الله له أن يقيم مطمئنا إلى جواره ، راضيا برعايته متفانيا في خدمته ، حتى إذا قربت منية الأسقف وظهرت عليه علامات الموت وأحس سلمان أن الرجل مفارق له ، جلس إليه وقال له :

أيها الراعي الصالح ، إنى كنت معك وأحببتك ملء قلبي ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى . وإنى لأرجو أن توصيني وتداني على رجل ألحق به .

فقال له : يا بني والله ما أعلم اليوم أحداً من أهل زماننا يتوفر فيه ما تريد ، فقد ذهب

(١) الحرة بالفتح أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار .

فاستولوا على مامعه ، ثم باهوه لرجل يهودي
فأقام معه صابراً على ما حل به من بلاء ،
يعمل له ما يؤمر به ، شأنه شأن الموالى ،
ومع ذلك فقد كان عيظه في هذا المكان طيباً
ونفسه منه راضية ، إذ رأى فيه تخيلاً بعث
بعض الأمل إلى نفسه على أن يكون البلد الذى
وصف له والذى سيكون مهاجر النبي الجليل
وغالباً ما يخفف الأمل شاق الحياة ويبعث
في النفوس قوة الاحتمال والصبر على ما يلقى
من صنم سيده وإرهاقه له .

وذات يوم قدم رجل من قريظة بينه وبين
اليهودى الذى عنده سلمان صلة قرابة
فاستراه منه وأخذه معه إلى المدينة ، فلما
وقع عليها بصره عرفها من وصف
السكان وإياها ، فاطمأنت نفسه وارتاح
فؤاده ، وحذر به أن هداه إلى بقيته ، وهكذا
استقر به الحال في المدينة ينتظر ما تسفر
عنه الأيام .

صفقت حوله القلوب ابتهاجا
لسناه وصاح يشد والزحام
طلع البدر من قباء علينا
وجب الشكر أشرق الإسلام

عبد المومنون عبد المافظ

الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن
استطعت أن تلحق به في تلك البلاد فافعل .
ولا غرابة في ذلك فقد عرف كثير من
كهان انهم وغيرها قرب ظهور الدين الجديد
وبشروا بالنبي ومكان ظهوره . كما حدث
من بعير الراحب ، عندما رأى محمداً مع صومه
في طريقه إلى بلاد الشام للتجارة ، وشاهد
علامات النبوة ، جعل يلحظه لحظاً شديداً
وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها
عنده من صفاته حتى إذا تأكد من ذلك ،
طلب من صومه أن يرجع بابن أخيه
إلى بلده وحذره من اليهود وقال له : « لأن
رأوه وهرفوا منه ما عرفت ليبغينه شراً
فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، ...
وبعد أن تحدث السكان إلى سلمان
ووصف له العلامات التي لابد أن توجد
في النبي ، وبعد أن نصحه باتباعه ، لأن هذا
الدين الذى سيأتى به هو خير الأديان ،
وأن النبي هو خاتم الأنبياء ، وهو الذى
بشر به الأنبياء السابقون .

التحق بالرفيق الأعلى وبقي سلمان في
عمورية أياما طالت أو قصرت ، حتى أقبل
ركب من قبيلة (كلب) ببادية الشام طلب
منهم أن يصحبوه معهم إلى أرض العرب على
أن يدفع لهم أجرهم ، فصحبوه معهم حتى
إذا بلغوا وادى القري ، ضاقوا بصحبته

صوت من بغداد :

جَامِعَةُ الدِّينِ وَجَامِعَةُ اللِّغَةِ

للأستاذ محمد محمد أبو شهبة

لقد شاء الله سبحانه - وله الحمد والمنة - أن أكون مبعوث جامعة الأزهر إلى جامعة بغداد للتدريس بكلية الشريعة بها هذا العام ، وهي تتسع بجوار مسجد الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في حي الأعظمية ببغداد ، وهي كلية قديمة حديثة : أما حدااتها فباعتبار انضمامها إلى جامعة بغداد بهذا الاسم في السنوات الأخيرة واعتبارها كلية من كليات الجامعة ، أما قدمها فلأنها ترجع إلى القرن الخامس الهجري فقد بناها أبو سعد محمد وابنه السلطان عضد الدولة ملك شاه السلاجوقي بجوار قبر الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - وكان ذلك سنة ٤٥٦ هـ الموافقة ١٠٦٦ م ، وكانت تسمى في هذا العصر مدرسة الحنفية وقد عين لها المدرسون ، ورصد لهم وللطلاب المخصصات المالية الكافية كما كان متبعاً بالنسبة لبقية المدارس الشهيرة المعاصرة ، ثم سُميت في العهد العثماني وقبيل الحرب العالمية الأولى « كلية الإمام الأعظم » ، ثم سُميت « دار العلوم الدينية والعربية » ، ثم « دار العلوم » ، ثم انتهى الأمر بها إلى أن سُميت « كلية الشريعة » ، وكان ذلك

في أواخر عام ١٩٦٠ ثم ضمت إلى جامعة بغداد (دليل كلية الشريعة ببغداد ص ٨ وما بعدها) .

وقد جاء على هذه الكلية وقت كانت وحدها في العراق الشقيق تزوده بالمتقنين ، وقادة الرأي وبما قد يحتاج إليه من موظفين يقومون على شئونه ، وإنما لزوجوها - إن شاء الله - أن تزدهر وترعرع حتى تدبوا مكائنها اللائقة بها ، وتؤدي رسالتها على خير وجه .

وقد كنت أعتقد من يقين أن جامعتنا الدينية الكبرى التي وحدث بين قلوبنا هي الإسلام وأن جامعتنا العربية التي وحدث بين ألسنتنا هي القرآن ، حتى قدر لي أن أكون مبعوث جامعة الأزهر إلى الحجاز أو على التدقيق إلى بلد الله الحرام « مكة » من منذ بضعة عشر عاماً وإلى العراق هذا العام ، فرأيت هذا الاعتقاد حقيقة ماثلة في دنيا الواقع .

ويشهد الله أني لم أشعر بغربة ولا بوحشة فالدين هو الدين ، والتحية هي تحية الإسلام ، والوجوه هي الوجوه ، والطباع هي الطباع ،

واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ،
واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء
فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً
وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها
كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون، (١).
وقوله سبحانه : «لها المؤمنون إخوة»
فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم
ترحمون ، (٢).

وهذه الوحدة الإسلامية هي التي دعا إليها
نبي الإسلام - صلوات الله وسلامه عليه بقوله :
«المؤمن للؤمن كالبنيان يفد بعضه بعضاً»
وما أروع هذا من تمثيل وتشبيه فالبنات إذا
كانت كلها قوية فهي بالانضمام تزداد قوة ،
وصلاية ، وإذا كان بعضها ضعيفاً ، فالضعيف
بالانضمام إلى القوى يصبح قوياً فالهيكل البشري
على أية حال قوى متماسك يصمد أمام عوامل
الهدم والتمزيق ويقول صلى الله عليه وسلم
منها إلى وحدة المسلمين في الآمال والآلام ،
والمشاركة في السراء والضراء والعسر واليسر :
«مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ،
وتعانفهم كشمل الجسد الواحد إذا اشتكى
منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسبح والسم»
رواه مسلم وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم حقوق هذه الأخوة الإسلامية بين

والتقاليد هي التقاليد على تفاوت يسير لا يؤثر
في الجوهر ، كنت أسير في الطريق فأقربني
الناس السلام وهم يقرئونني ، ويؤثرونني
عليهم في الركوب في المركبات العامة
وفي الجلوس ، وإذا سألتهم سؤالا من مكان
أو شيء ما ابتدروا في الإجابة ، وقد يتطوع
بعضهم بصحبتى ليدلني على ما أريد ، وذهبت
إلى المسجد فإذا الناس يتراصون ويتصافون
صفوفاً ، ويقعدون بإمام واحد ، وإذا هم
بعد الصلاة يتصافون ويتعارفون ، وسمعت
الأذان فإذا هو الأذان الذي كنت أسمعه
في القاهرة وفي الحجاز ، ولو قدر لي أن أذهب
إلى باكستان ، أو أندونيسيا ، أو الملايو ،
أو في أي قطر من أقطار الإسلام فسأجد
ما وجدته في مكة ، وفي بغداد من ألفة
ومودة ، وإعزاز وتكريم ، وإحساس
بوحدة الدين والقلوب والمشاعر اللهم
إلا ما يكون من إغواء في اللغة العربية وعجمة
في اللسان هم جادون في التغلب عليه إن شاء الله
بفتح المدارس والمعاهد لدراسة اللغة العربية :
لغة القرآن .

فما الذي صنع هذه الرابطة القوية وهذه
العروة الوثقى التي لا انفصام لها ؟ ليس من شك
في أنه الإسلام جامعتنا الدينية الكبرى
وموحد قلوبنا وموحد غاياتنا وآمالنا هذه
الوحدة الدينية الكبرى ، هي التي صدع بها
الحق تبارك وتعالى في قوله :

(١) آل عمران ١٠٣ .

(٢) الحجرات ١٠ .

بأقـه فقد استـمـسـك بالعروة الوثقى لا انفـصـام لها وأقـه سـمـيـع عـلـيـم ، (١) .

وكما وحـدأقـه بـيـن المـسـلـمـيـن بالإسـلام وحنـد بـيـنهم فـي اللـسـان بالقرآن ، وبفضـل لـغـة القرآن تـمـكـن المـسـلـمـون من الحـيـط إلى الحـيـط أن يـجـيـدوا اللـغـة العـرـبـيـة الفـصـحـى نـطـقـا وكتـابـة وتـأليفا فـهـذا الـكـتـاب هـو الـذـى صـبـر من هـذه الأـمة الإـسـلامـيـة عـلى اـخـتـلاف ألسنتها وشعوبها عـربـا باللسان ، ونـبـغ فـي الثـعـرـبـيـة وعـلـومـها فـي كل قـطـر عـلـماء كـثـيـرون من الفـرس والروم ، والعـجـم والـهـبـر ، بل نـبـغ فـي لـغـة القرآن كـثـيـرون مـن لا يـدـيـنـون بالإسـلام واحـكـنـهم يـعـيـشـون عـلى أـرضـه وتـحت سـمـائه والشـواهد عـلى هـذا كـثـيـرة فـي القـديم والحـديث .

وبفضـل لـغـة القرآن بقيت اللـغـة العـرـبـيـة هـي الرـبـاط القـوى بـيـن العـرب جـمـيـعا عـلى اـخـتـلاف دـيـانـاتـهم وتـبـاعد أقطـارهم ، وتـعـدد لـجـاتـهم العـامـيـة الـتى قد تـتـقـارب أو تـتـبـاعد .

لقد كـنت أـمـقت الدـعوة إلى اللـغـة العـامـيـة فـي التـأليـف والتـعـليم وأعتـبرها دـعوة شـعـوبـيـة وديـسـيـة عـلى العـرب يراد بـها الفـرقة اللـغـويـة وأعتـبرها أـيـضـا إـفـلاسا من دعاتها فـي العـرـبـيـة وقواهدا ، وفهم أسرارها وأساليبها ، وما تـبـيـنت واقعا ملبوسا بفضـل الفـصـحـى فـي التـوثـيق بـيـن الشـعـوب العـرـبـيـة إلا بعـد أسـفـارى إلى الحـجـاز ثم إلى بـغـداد ، لـقد كـانت الوـسـيـلة

(١) البقرة ٢٥٦ .

الأفـراد والـجـمـاعات وهـي إقـامة العـدل لا التـظالم والنـصرة عـلى الأعداء لا التـخاذل والتـسـكـرـيم والاحترام لا التـحـاقـر فـيـقـول : هـ المـسـلم أنـغـو المـسـلم لا يظلمه ، ولا يـخذله ، ولا يـحـقره بـحـسـب امرئ من النـسـر أن يـحـقر أخاه المـسـلم ، وفـي رـوايـة لا يـسـله ، يعنى للأعداء .

ولعل فـي هـذا بـلاغا لـبـعض المـسـلـمـيـن الـذـيـن يتـظالمون ويتـخاذلون بل ويفـحـازون إلى الأعداء ضد إخوانهم المـسـلـمـيـن ولا يـسـمعون فـي سـبـيل هـذه الـوحـدة الـتى هـي من صـنـع الرـحـمن لا من صـنـع الإنسان ؛ لـقد حاول المـسـتـعـصـرون أعداء الإـسـلام والعـروبة أن يـنـالوا من هـذه الـوحـدة ويـقـضوا عـلـيها واستـعـمـلوا فـي هـذا السـبـيل العـنف والإرهاب حـيـنا والـتـرغـيب والإغراء حـيـنا آخـر . ولم يدعوا وـسـيـلة من وـسـائل الدس والتـفـريق إلا لجأرا إليها . وهم وإن كانوا قد وصلوا إلى بـعض ما يـريدون بمـسـاعـدة صـنائعهم المـسـأجـورين فلم يـصـلوا إلى كل ما يـريدون ولن يـمـلأ الله سـبـحـانه الأـمة الإـسـلامـيـة فـي كل عـصر وقـطـر من رـجال مـخـلـصين يـبـطـلون الأـعـيـهم ويردون كيـسـمهم فـي فـحـرمهم ويعـمـلون عـلى بقاء هـذه الـوحـدة أبـد الأبد . إن هـذه الـوحـدة لن يـفـصـمها فـاصـم مادام المـسـلـمـون عـلى الصـراط المـسـتـقيم صـراط الله وهـو الإـسـلام وصدق الله حـيـث يـقـول : ... فـن يـكـفـر بالطـاغـوت ويؤمن

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

٧ - حب التملك

الملك - بكسر الميم وضمة - حيازة الشيء والاستيلاء عليه . والانفراد بالتصرف فيه ، ولا شك أن النزوح إليه من الميول الفطرية التي تنشأ عن غريزة حب الذات ، بل إنه في الإنسان غريزة من الغرائز التي فطره الله عليها . وجعلها فيه أظهر منها في غيره من بقية أنواع الحيوان ، ذلك لأن الحيوان كما

يقول الأستاذ محمد حسنين الفمراوي في كتابه « الغرائز » : « بعيد عن مطامع الملك . يستغنى عن اللباس يستر به جسمه ، ويكتفى بالآزر اليسير من الطعام الذي يجده بلا عناء ويرضى من السكنى بالمأوى الخفير يكن فيه سواد الليل ويحفظ فيه نسله . سواء أكان على فرع شجرة بعيدة المثال . أم في أرض

(بقية المنشور على صفحة ٧٠٤)

للتفاهم التام بيني وبين الطلاب هي العربية الفصحى ، وأخذت نفسي وطلابي بهذا فتم تفاهمنا على خير وجه وأوجدنا جوا عربيا سليما ، وكان تدريبا للطلاب على النطق العربي الفصيح ، وحيدا لو أخذ المدرسون طلابهم بهذا في كل قطر حينئذ ستربي ملكة اللغة الفصحى في نفوس الطلاب ويستجذبون النطق بها بدل أنهم اليوم يستعجبونها ويعتبرون التزامها تسكفا وتقييفا .

وكذلك لمست فائدة الفصحى في مخاطبة الطلاب المسلمين والطالبات المسلمات الوافدين والوافيات من أقطار إسلامية غير عربية إلى جامعة الأزهر وغيرها من الجامعات العربية ، لقد كانت وسيلة التفاهم في قاعات الدرس

والبحث بيننا وبينهم هي اللغة العربية الفصحى ما كان الواحد منهم قط يفهم بالعامية مهما كانت واضحة حتى إذا خاطب بالفصحى فهم ، وهكذا ظهرت حكمة الله سبحانه في التوحيد بين المسلمين في العقيدة والشريعة كما وحد بينهم في اللغة وكان الفضل في هذا وذاك للقرآن . فلي كف دعاة العامية عن دعوتهم الهدامة وليدعوا اللغة العربية الفصحى لغة القرآن تعمل عملها في التوحيد اللساني بين المسلمين والعرب في كل مكان .

د . محمد محمد أبو شربة

الأستاذ بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر
وكلية الشريعة - جامعة بغداد

« وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتبه ربه
فتاب عليه وهدى ، » .

ويمكن بقليل من التفسير أن نجد في جروح
هذه الغريزة التفسر لكثير من المآثم
والمظالم التي تقع بين الناس كالسرقة والغصب
والنهب وما إلى ذلك مما يدخل في معنى أكل
أموال الناس بالباطل ، ويفهم من قوله
تعالى : « لا بل لا تكرموا أنفسكم . ولا تخافوا
على طعام المسكين . وتأكلون التراث كالأكل .
وتحبون المال حبا جما . » أن هذه الرذائل
مردّها إلى البخل والشح والحرص على المال ،
وقد بين سبحانه أن الشعور بالاستغناء يدفع
الإنسان إلى الكبر والجور والظلم ، كما
يفهم من قوله تعالى : « إن الإنسان ليطغى
أن رآه استغنى » . وقد ذكر من أمثلة ذلك
قارون : « إذ قال له قومه لا تفرح إن الله
لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار
الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن
كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض
إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته
على علم عندى ، » .

وبين جل شأنه موقف المترفين من دعوات
الأنبياء والمرسلين حيث يقول سبحانه :
« وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال
مترفوها إنما جاءكم بالأساطير » . وقالوا
نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين ، » .

جدباء لا تتطلع إليها أنظار الأعداء ، ثم إن
في الملك استجابة لمعنى نفيس يحرص عليه كل
إنسان . ويحمد فيه مظهرا لكرامته وسمو
إنسانيته وهو الحرية ، لأنه يهيئ للمالك حرية
التصرف في الشيء المملوك على الوجه الذي
يرضى ذوقه . ويمضى إرادته . ويحقق غرضه ،
وهو إلى ذلك القوة المحركة للسعى والعمل .
وتحصيل أسباب الرزق وتوفير وسائل الرفاهية
والرخاء .

ولكن هذه الغريزة إذا انحرفت عن
اتجاهها السليم وطريقها القصد كانت هلة العال
فيما يقع بين الناس من تفاخر وتكاثر وغداوة
وبغضاء . وأحقاد وشحناء ، وقد روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يهرم ابن آدم
وتشبه منه اثنتان الحرص على المال .
والحرص على العمر ، وكان مما دخل به إبليس
على آدم ليغريه بالمعصية . ويقصيه عن الجنة
أن قال له فيما حكاه الله عنه : « هل أدلك على
شجرة الخلد وملك لا يبلى ، كأنما كان على علم
بما فطر عليه الإنسان من حب التملك .
والرغبة في تجديد ما يطول به إلفه ، ويتكرر
أمام عينيه مرآه : فخر في نفسه الشوق إلى
ما منعه الله منه ونهاه عنه ، وما زال به يضره
ويستهويه حتى انطلى الزور عليه . ونسى ههد
الله إليه . كما يفهم من قوله تعالى : « ولقد
هدانا إلى آدم من قبل ففسى ولم نجد له عزما » .
ثم كان ما ذكره القرآن حيث يقول الله فيه

مظاهر الملكية أو ثمرة من ثمراتها ، وقد أضاف الله المال إلى الناس في كثير من الآيات كقوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » . وقوله سبحانه : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ، وقوله جل شأنه : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها ، فدلّت هذه الإضافة على الملك بالمعنى الذي ذكرته أو أشرت إليه ؛ وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن هذه الإضافة وأمثالها كإضافة أموال السفهاء واليتامى إلى الأولياء في قوله تعالى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » . لكنني رأيت في هذا التأول شيئاً من التكلف والتعسف ، وقياساً مع الفارق الكبير ، إذ ليس للأولياء في أموال اليتامى ما لكل مالك وشيد من حرية التصرف في ماله ، ويمكن ملاحظة ذلك بالتأمل في قوله تعالى : « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً أو كبيراً » ، وقوله سبحانه : « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً » . ولعل مما يؤيد ذلك أن الترغيب في الإنفاق والوعد بالشواب عليه أضعافاً مضاعفة لا يمكن فهمه على استقامته إلا على أساس تقرير مبدأ الملكية ، إذ كيف

ومن ذلك يتبين أن لعزيزة حب التملك أثرها الخطير في حياة الأفراد والجماعات ، فهي من جانب منشأ لكثير من النزعات المخرفة . والاتجاهات الضارة ، ولهذا يجب أخذها بالتوجيه الراشد والتقويم السليم حتى لا تنحرف بأصحابها إلى الشح والظلم والبني والعدوان ، وهي من جانب آخر تثير في النفس دوافع الجدر والعمل . وتوجه نشاط الإنسان إلى استثمار الأرض وتعميرها والانتفاع بما سخره الله له . ولهذا يجب أن يفسح لها مجالها لتؤدي وظيفتها في خدمة الأفراد ومصلحة المجتمع . وعلى هذين الأساسين نحمد الإسلام ، وهو دين الفطرة لا يحرم الإنسان لذة الانتفاع بالملك ، ولا يطلق له حرية التصرف فيما يملك ؛ لأن ملكيته في الحقيقة ملكية نسبية ناقصة لملكية حقيقية تامة ، فإن هذه هي التي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، والغنى الذي يحصل عليه الإنسان إنما هو من الله كما يقول سبحانه : « وأنه هو أغنى وأقنى » ، وقد ذكرنا في المقال السابق أن المال مال الله ، وعرضنا من الشواهد القائمة في واقع الوجود والحياة ، وفي كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل ما لا يدع مجالاً للشك في صحة ما ذهبنا إليه .

أما مظهر الملكية النسبية للإنسان في المال فيمكن ملاحظته فيما شرعه الله من الميراث والزكاة والوصية والنفقة ، فإنها مظهر من

بالتفاوت في القيمة لعدم التفاوت في الجريمة ،
ولأن الغرض من إقامة الحد هو صيانة
حرمة الملك وحماية أمن المجتمع وإحلال
الأمانة محل الخيانة ، وقد تسأل أحد
الشعراء عن يد تدفع ديبتها خمسمائة دينار كيف
تقطع في ربيع دينار . وقال في ذلك :

يد بخمس مئتين عسجد وديت

ما بالها قطعت في ربيع دينار

فرد عليه آخر بقوله :

هز الأمانة أغلاما وأرخصها

ذل الخيانة فافهم حكمة الباري
ونخلص من ذلك بما ذكرته وكروته ،
وهو أن ملكية الإنسان للمال ملكية نسبية
ناقصة ، وأنها بهذه المثابة وهي أساس هذا
الاعتبار تتعلق بها حقوق يجب أن تؤدي
وتتأط بها أحكام يجب أن تحترم وتلتزم .
أما وسائل التملك المشروعة فأهمها العمل بكل
أنواعه . والميراث كما بينه الله في كتابه ،
والوصية ، والهبة ، وإحياء الأرض الموات .
التي لا مالك لها . واستخراج ما في باطن
الأرض من معادن ، وهو ما يعرف باسم
« الركا » ، وإقطاع الإمام أو ولي الأمر
بعض الأرض لمن يزرعها ويستثمرها .

ولا يتسع المجال اليوم لتفصيل كل ذلك . .
فإلى هدد أقدم بإذن الله ؟

عبد الرحمن فودة

يتصور الثواب على الإنفاق والصدقات ،
والعقاب على الشح وكثر الأموال إذا لم يكن
للإنسان حرية التصرف فيما يحصل عليه ،
أو بعبارة أخرى حرية التصرف فيما يملك
أو بعبارة أدق حرية التصرف فيما رزقه الله
وجعله فيه مستخلفاً عليه . . ؟ وكيف يفهم
الاجر على إحسان العمل وإتقانه إذا لم يصر
هذا الاجر ملكاً لصاحبه ينتفع به على الوجه
الذي يراه ، ولا يخرج به عن طاعة الله ،
ويدخر منه لغده ولأهله وأولاده من بعده .

ثم إن استثمار الأموال في المشروعات التي
تعود على الفرد والمجتمع بالخير المشترك
والربح الحلال لا يمكن تحقيقه مع إهدار مبدأ
الملكية ، فإذا لوحظ مع هذا أن معظم أبواب
المعاملات في الفقه الإسلامي تقوم على هذا
المبدأ كالوديعة ، والإعارة ، والإجارة ،
والشفعة والقرض ، والمساواة والمزاولة ،
هرفنا إلى أي حد يحترم الإسلام مبدأ
الملكية ، ويضع له الضمانات التي تصونه
وتشجع بين الناس الأمن على حقوقهم
والاطمئنان على أموالهم ، ويكفي لبيان ذلك
أن نشير إلى حد السرقة ، فقد أمر الله بقطع
يد السارق والسارقة حيث يقول سبحانه :
« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء
بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » .
وقد بينت السنة القدر الذي يستوجب القلع
وهو ربيع دينار فأكثر ، ولا هبرة

عن مؤلفات الإمام الراحل

الإسلام.. عقيدة وشرعة

للاستاذ عبد الجليل شلبي

هذا الأثر الكبير وتحليله ، وإنما هي لمحات طابرة تلقى ضوءاً على طريقته وأفكاره .

تضمن عنوان الكتاب قسمين رئيسيين : قسم يعرض للعقيدة الإسلامية والاساس الذي بنيت عليه ، وقسم يوضح أحكام الشريعة الإسلامية وما فيها من عدالة ودقة ويسر ، ويبدو أن القسم الأول ذكر استبقاء للبحث حتى يكون الكتاب شاملاً للجانبين الإسلام عقيدته وأحكامه لأننا نجد الأفكار التي فيه ومسائله العلمية تزدهم ازدهاماً كما ينبغي .

نهج في هذا البحث منهج المكلامين فاضطره هذا إلى الاحتكاك بالخلافات المذهبية بين طوائف المتكلمين ولكنه لم يشأ أن يتقيد بمذهب منها أو يذكر ما ينصره على مذهب آخر بل رأى أن يعرض عما لا ضرورة إليه من الخلافات ، وهو المنهج الذي نهجه الشيخ محمد عبده في رسالته . ولخص فكرته في هذه الخلافات في قوله : « إن الامايات التي لم ترد

يعتبر هذا الكتاب من أهم كتب المرحوم الشيخ محمود شلتوت وأوسعها انتشاراً . وهو أكثر شيوعاً في الأقطار الإسلامية الشقيقة في آسيا وإفريقية مما يدل على أنه لبي رغبة في نفوسهم وسد ثغرة في ثقافتهم الدينية . كان الشيخ قد بدأ بنشره مقالات مبسطة في حلقات أسبوعية بجريدة الشعب وفي الإذاعة ثم زاد عليها بعد ذلك وأكملها . - وكان الغرض منها إيصال هذه المعلومات الدينية إلى القراء والمستمعين الذين لم يؤثروا حظاً واسعاً من الثقافة الدينية بقصد تغذية هوافظهم وعقولهم بها ودفنهم إلى الاستزادة منها . وقد عمد إلى تبسيط أسلوبها وتهذيب عبارتها لتكون قريبة القنائل غالية من جفاف عبارة الفقهاء ، بل لقد اقتصت في كثير من الأحيان بسم الله بالله الخطابية ويظهر أن الشيخ في هذا الوقت كان يعمل ولا يكتب ، وعلى أي حال نجحت هذه الطريقة في اجتذاب السامعين وإقبال القراء على الكتاب وجعلته في أكثر من مواضعه يرضى ذوق العامة والخاصة على السواء .

ولن يقسع هذا الحديث الموجز لتشريح

ويطول وقوفه عند الفكرة حتى تتضح وتمتق بكثرة الأدلة وجمال العرض وقوة الدليل ، وهو يتخذ أدلته من القرآن والسنة قبل كل شيء ثم من قوانين الاجتماع وسنن التطور ، وحين يحتمل الأثر أكثر من وجه أو يكون محل خلاف بين الفقهاء لا يعرض عن تشريحه كما فعل في القسم الأول ولكنه يعرض الآراء ويوازن بينها ويرجح ما يختاره منها وإذا تأملنا موقفه من هذه الخلافات نجد أنه يميل غالبا إلى اختيار الأيسر من الآراء مما يجعله رجل تسامح لا رجل تشديد .

لم يكن من همه أن يجعل كتابه من كتب الفقه أو أصول الفقه ، لهذا لم يقف عند كل باب من أبوابه ولم يستقص ما ذكره من الأبواب ، وإنما همه فيما ذكره أن يبين حكمة تشريعه وسر فلسفته وضرورة مراعاته ، بهذا كان الكتاب دعوة للإسلام ودفاعا عنه وردا على المغتربين عليه ، وأهم الأبواب التي أولاها هناية هي الأبواب التي تحدث فيها عن المسؤولية الدينية والمسؤولية الجارية وما يدخل فيها من عقوبة وقصاص والتي تحدث فيها عن الأسرة ومكانة المرأة من أسرتها ومكانتها من المجتمع كله وما خصص لها الشرع من وظائف وألقاها من مسؤوليات .

وقد رتب على البحث في الأسرة والمجتمع بحثه في تكوين الأمة الإسلامية ووحدةها وعلاقة المسلمين بعضهم ببعض وعلاقتهم بالأمم والدول الأخرى وما يتصل بهذا من

بطريق قطعي ، أو وردت عن طريق قطعي ، ولكن لا بسبب احتمال في الدلالة فاختلاف فيها العلماء ليست من العقائد التي يكلفنا بها الدين والتي تعتبر حداً فاصلاً بين الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون ، ^(١) ، ولكنه وهو يلخص مسائله المشعبة اضطره البحث أن يلم ببعض هذه الخلافات فلم يتورط في ذكر التفاصيل أو ينحرف عن منهج الكتاب ، وإنما ذكر أساس الموضوع وأحال على الكتب الأخرى فقال : ... وقد ذكرت كتب التوحيد ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه ، وأوردت الأدلة التي استدلل بها كل على ما يرى ، ، أما هو فاقصر على القدر الضروري ، لأن الموضوع تسكيلى ، ولأن الخلافات المذهبية وراء ما وضعه القرآن والسنة لا حاجة به لعامة المسلمين .

وأما القسم الثانى من الكتاب وهو قسم الشريعة فيبدو أنه كان الغرض الاساسى منه عرض فيه فروع الشريعة وأحكامها العامة وتوسع في بعض منها وأوجز في البعض الآخر مراعيًا في هذا حاجة جمهور المسلمين والرد على المتعصبين ضد الإسلام والطاعنين عليه من غيرهم ، وشخصية المؤلف واضحة قوية في هذا الجزء فهو حين يبين وجهة الشريعة في تقنين الأحكام ويشرح فلسفتها وما فيها من جلب نفع ودفع ضرر يعتمد على تفكيره الخاص

مذهب جديد - فالعمود الذي يدور عليه بحمته هو الفقه الحنفي ولكنه يستأنس بأراء الآخرين ويستعين بها وكثيراً ما يرجعها ويأخذ بها - ويبدو تأثره بالشيخ محمد عبده ، والشيخ رشيد رضا أكثر من غيرهما ، فحديثه عن الأولياء وما يرجو العامة من بركتهم أو شفاعتهم هو حديث الشيخ رضا ، وإذ شئت قلت مدرسة ابن تيمية بأنباها القدامى والمحدثين ، وقد جمعت هذه المدرسة من قبل مفكرين بارزين أمثال ابن القيم والألوسي صاحب روح المعاني ، والشيخ عبد المجيد سليم وهو أستاذ شلتوت .

أما حديثه عن الإجماع وأثره في التشريع فيكاد يكون رداً على الأستاذ علي عبدالرازق أو تعديلاً لفكرته وإن كان بينهما كثير من الوفاق .

هذه نظرة الطائر إلى هذا الكتاب الكبير من كتب الشيخ ، وهو عصارة أفكاره وخلاصة تجاربه وزبدة قراءاته ، وقد اشتقت منه مؤلفات أخرى أحضر اعتمدت عليه في الفسكرة وزادت عنه بسط العبارة وكثر الأدلة وإفاضة الحديث ، منها أثر القرآن في بناء المجتمع ، وأثر القرآن في بناء الأسرة ، والقرآن والمرأة ، والمكافل الاجتماعي في الإسلام ... ويدل كل هذا على ما في الكتاب من تركيز وإحاطة وشمول .

رحمه الله تعالى ونفع بعلمه المسلمين ؟

عبد المجليل سليمي

عضو المكتب الفقهي لمجمع البحوث الإسلامية

قوانين المعاهدات في الحرب والسلام وشئون التجارة والمعاملات وختم الكتاب بالبحث في مصادر التشريع الإسلامي وهي الكتاب والسنة والقياس والإجماع .

ويطول بي القول لو ذهبت أحلل منهجه في كل قسم من هذه الأقسام ، ولكن ما منزلة الكتاب بين مؤلفات العصر ، وهل زاد شيئاً في الفكر الإسلامي الحديث ؟

أهم ميزاته أنه مدن الفقه الأزهرى فرفعه عن جفاف الأسلوب وضيق الفكرة وجود الرأي ، وهو بما يذكر من سر التشريع وفائدة العمل به يجمع بين القلب والعقل ويهيج العاطفة والشعور بجانب تلقين المعرفة وتبيين المنطق ، فتراه في العبادات يذكر تاريخ كل عبادة ويصف ما كانت عليه عند الأمم الأخرى ، ويبين أثرها في نفس الفرد وسلوكه وفائدتها له وللجمتمع الذي يعيش فيه ، وفي الحديث عن المرأة يبين منزلة القانون الذي شرعه لها الإسلام وما حدث من ضرر بسبب الخروج عليه فيقنعها بالدليل العمل بأنه قدرها وحافظ عليها وأنصفها - وهكذا يفعل في بقية الأبواب .

والحق أنه لم يأت في كل هذا بجديد لم يسبق إليه أو مبتكر لم يخطر على بال الآخرين ولكن ذلك لا يفض من قيمة الكتاب فهذا العمل في ترتيبه وجمعه ومزج فقهه بفلسفته يمتزج جديداً ، وشيء آخر وهو أنه لم يتقيد بمذهب معين وإذ لم يكن له

الملاحم والمطولات الإسلامية في الشعر العرني للدكتور سعد الدين الجيزاوي

— ٣ —

ومما بلغت النظر في شعرنا الحديث ،
شروع الملاحم والمطولات .

وأول من بدأ المطولات ذات الطابع
الإسلامي في العصر الحديث هو محمود سامي
البارودي فقد أنشأ قصيدة كبرى بلغت
أبياتها أربعائة وأربعين وسبعة أبيات
ب عنوان : كشف الغمة في مدح سيد الأمة .

وهي على وزن وروي قصيدة البردة
المشهورة للبوصيري وموضوعها السيرة
النبوية أيضاً ، إلا أن البارودي قد شرح
وفصل وضمن قصيدته معارف أكثر مما
تضمنته قصيدة البوصيري ومطلع مطولة
البارودي :

يا رائد البرق : يمم دارة العلم
واحدا الغمام لأقمار بذي سلم (١)
ومن المشاهد التي فصلها ، واثنين في عرضها :
مشهد الهجرة النبوية إذ صورته في ستة عشر
بيتاً ، ووقف طويلاً عند غار ثور حتى لكأنه

مصور يرصد حركات معركة ، وبرز في ذلك
التصوير ما كان للبارودي من صفات عسكرية
مثل قوله :

وتجف العنكبوت الغار مخفياً
بخيمة حاكها من أبداع الخيم
قد شد أطنابها ، فاستحكمت ورست
بالأرض ، لاسكنها قامت بلادهم
ثم ظهرت بعد البارودي عدة مطولات منها :

نهج البردة للرحوم أحمد شوقي ومطلعها :
ريم هل القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم (٢)
وقد بلغت أبياتها تسعين ومائة بيت .

ثم حمزية حافظ إبراهيم ومطلعها :
حسب القوافي وحسبي حين ألقها
لاني إلى ساحة الفاروق أهديتها (٣)
وقد بلغت أبياتها سبعة وثمانين ومائة بيت .
ثم بسكريّة عبد الحلیم المصری ومطلعها :

(١) الديوان ج ١ ص ٢٣١ أنشئت سنة ١٩١٠ .

(٢) الديوان ج ١ ص ٧٧ أنشئت عام ١٩١٨ .

(٣) مطبوعة مستقلة عن الديوان ، مطبعة
الجريدة سنة ١٣٢٧ هـ .

في مصر قد بلغت منتهاها ، كما كانت الوطنية المصرية ، والدعوة إلى العزة العربية الإسلامية قد شقت طريقها إلى القلوب ، فأراد الشعراء أن يسهموا بنصيب ، فراحوا يبرزون أجداد الأمة العربية ، والأبطال الإسلاميين ، ويصورون ما كان لنا من عزة وسيادة في ظلال الدولة الإسلامية الكبرى فيما مضى ليكون من ذلك قدوة للشباب .

يقول المرحوم عبد الحميد العبادي : « ولأن دري بالدقة الباهت لحافظ على نظم قصيدته العمريّة ... فاعل الباهت له ما رآه من التيمات حال العالم الإسلامي ... — إبان الحرب العالمية الأولى ، وفساد أمر الخلافة ، فأراد أن يجلو على المسلمين صورة لأفري شخصية ظهرت في الدولة الإسلامية وهي شخصية عمر فيكون للناشئة منها مثال يحتذى ، وينسجون على منواله ، وقد يكون حافظ أراد ينظم هذه هذه القصيدة أن — يجري في غبار شوقي ولا سيما بعد أن نظم شوقي نهج البردة (١) .

ونحن نرجح الباهت الأول ، لأنه هو الذي أوحى به الظروف ، ونرجح أنه نفس الباهت الذي أوحى إلى بقية الشعراء بالسير في هذا المضمار في تلك الفترة من الزمن .

وفي عام ١٩٣٥ ظهرت ملحة المرحوم أحمد محرم الكبرى ، وكانت لها هزة في عالم الأدب .

(١) حافظ وشوقي لاصير في طبعة ١٩٤٨ .

افضنى أبا بكر عليهم قوافياً
وأمطر لساني حكمة ومعاني (١)
وقد بلغت أبياتها أحد عشر ومائة بيت .

ثم حلوية عبد المطلب ومطلعها :
أرى ابن الأرض أصغرها مقاما
فهل جعل النجوم بها مراما (٢)
وقد بلغت أبياتها سبعة وثلاثمائة بيت .

ثم مقصورة للسيد رشيد رضا بلغت أبياتها أربعة وتسعين ومائتي بيت (٣) ، وقصيدة كبرى للمرحوم أحمد محرم أنشأها إبان اشتعال ... الحرب العالمية الأولى عندما بدأ في الأفق انتصار الجيوش الإسلامية ، وقد بلغت أبياتها تسعة وعشرين ومائتي بيت ، وهي ضمن مخطلوطات محرم الكثيرة ، ثم ظهرت في عام ١٩١٩ « أرجوزة العرب الكبرى » للمرحوم أحمد شوقي التي بلغت أبياتها ستة وعشرين وسبعمائة وألف بيت ، ثم همزية العرب في مدح سيد العجم والعرب وقد بلغت أبياتها مائتي بيت وبيت (٤) .

ومما يلاحظ في هذا المقام أن هذه المطولات قد أنشئت في فترة من الزمن كانت سطوة المستعمر

(١) نشرت بجريدة الأفكار بالعدد ٢٥٢٠ مايو سنة ١٩١٨ .

(٢) ص ٢٣٠ من الديوان ، أنشئت عام ١٩١٩ .

(٣) راجع رشيد رضا وإخاء أربعين عاما للسيد شكيب أرسلان

(٤) المؤيد عدد مارس - سنة ١٩١٠ .

عن ضوضاء الدعاية ... ذلك هو السيد
محج الدين الخطيب .

لقد ود السيد محج الدين تنفيذ مشروعات
إسلامية عديدة منها إيجاد ملحمة إسلامية
كبرى تخلد أجداد الإسلام الذي هو أجداد
بالتخليد مما قام به رجال في أمم أخرى
بالتخليد ما أثرهم في ملاحم كبرى كهوميروس
والفرديوسى .

ولقد بدأ السيد الخطيب بعرض فكرة
الإلياذة الإسلامية على المرحوم شوقي بعد
عودته من المنفى ، وظل يتصل به في هذا
الشأن إلى مدة طويلة ويبدو أن شوقي
قد اكتفى بنظم أرجوزة العرب الكبرى
(دول العرب وعظما الإسلام) (١) . فاقحه
السيد محج الدين إلى أحمد محرم ، ولم تكن
الصلة بينهما وثيقة حينذاك ... وما زال به
حتى اقتنع بالفكرة ، وتشبع بها وشرح الله
لها صدره ، فأقبل بعقيدة راسخة ونفس
راضية ، وأخذ على عاتقه القيام بهذا العمل
الخطير مستلهماً الفكرة من وحى الرسالة النبوية
الكريمة حتى هيا الله له السبيل ، وتم على
يدية ذلك العمل الأدبي الإسلامى الكبير ،
ذلك التراث الخالد الذى ما زال مطلوباً إلى
اليوم لم ينتفع به المسلمون ، ولم تزد به
المكتبات العربية .

(١) راجع أصداء الدين ص ٢٣٣ فهناك
عرض لهذه الأرجوزة (لسعد الدين الجيزاوى) .

ولم يكن هدف شعراء المطولات والملاحم
أن يظهروا براعة فنية أو اقتنانيا في صناعة
لفظية ... بل كانت هذه المطولات ظاهرة
طبيعية أملت الظروف ، إذا أصبح الشعراء
حريصين على أن يعبروا عن ذلك الفيض من
المعاني التى انبثقت من « البعث الإسلامى »
الذى صاحب تطور الحياة الفكرية في عصرنا
الحديث ، فكان لابد لهؤلاء الشعراء من البسط
والتفصيل ، وكان طبيعياً أن يكثر المروض من
شعرهم فكانت هذه المطولات والملاحم وعلى
الرغم من أن إلياذة محرم الكبرى لم تطبع إلى
يومنا هذا (١) فإنها أحدث تطوراً في المطولات
إذ أنشأ بعدها كثير من الشعراء مطولات
أطلقوا عليها « ملاحم » كما سئرى ، وهو
ما لم نعهده قبل ظهورها في شعرنا الحديث .
والآن ، نعرض ملحمة أحمد محرم لأهميتها
دون إطالة ، ثم ننتقل إلى ما استجد بعدها
من ملاحم .

ملحمة أحمد محرم :

والئن أتاح الله ... سبحانه وتعالى إلى أحمد
محرم شرف إفتاء الإلياذة فإن فكرة هذا
العمل الجليل لم تنبت بآدى ذى بدء عنده ،
ولانما الذى أوحى بها جندي من جنود
العروبة والإسلام ، يعمل بمجد لا يعرف
الملل ، ونشاط لا يعرف السكال ، بعيداً

(١) طبعت أخيراً في يونيو ١٩٦٣ دار العروبة .

ولما ذاع نبأ الإلياذة ، وإقدام محرم على إنشائها ، ثم نشر القصيدة الأولى منها (١) ... استبشر المسلمون في مصر ، وفي العالم الإسلامي ، وانهاكت وسائل التهانى على الشاهر من مصر ومن العراق ومن الهند وغيرها . ثم تلقت جريدة الفتح من مجلة « الضياء » الهندية أن شاعر الهند الإسلامي « حفيظ » قد شرع في نظم « شاهنامة إسلامية » باللغة الأوردية ، يسجل فيها مفاخر الإسلام ، ثم أشادت الجريدة بما أذاعته الفتح من بشرى قيام شاعر مصر الكبير أحمد محرم بإنشاء إلياذة إسلامية .

وكان لهذا المقال أثره في نفس محرم ، وتشجيعه على المعنى في هذا العمل العظيم فأنشأ قصيدة يحكي فيها شاعر الهند الإسلامي ويتعهد بإتمام مشروعه ومنها (٢) :

صوت تردد في الآفاق يهتف بي
لا سرني هاتف إن لم يجب أدبي
أجل ، هو الخطب إن أمسى أو أثلنا
في الهالكين ، وهم منا على كشب

* * *

للشاعر (٣) الفارسي العذر إن نزهت
به التوازع تغشى موطن الكذب

وقد فرح الخطيب باستجابة محرم ، وأكبر فيه هذا الروح السامي ، ورأى من باب التقدير أن يجعل « إهداء » للجزء الثالث عشر سنة ١٣٥٤ هـ من مجلة الحديقة إليه إذ قال : « ... لقد كنت في مثل هذا اليوم من العام الماضي أدور بعيني في آفاق بمالك الضاد متسائلا عن الشاهر الذي ادخره الله لتدوين عظمة الإسلام والإشادة بمحافظته ، في ديوان مجد تتألق به مكتبة الأدب العربي ، وقد شامت الأقدار أن تكون هذه المسأورة لشاعر مصر الأستاذ أحمد محرم ، فشرح الله صدره للنهوض بأعباء هذا العمل العظيم » .

وإذ كنت قد أهديت الجزء الماضي (١) من الحديقة لصاحب هذه المسأورة ، وكان اسمه لا يزال مجهولاً عنا وراء سجن الغيب ، فإن ذلك لا يمنعني أن أهدى إليه هذا الجزء وقد عرفه الناس ، فمرقوا به الأيد والقوة ، وباثوا يدعون الله له بطول العمر ، ليتحققوا معه وأحفادهم بتريتل « ديوان مجد الإسلام » إلى يوم الدين .

(١) جاء في إهداء الجزء الثاني عشر من الحديقة « ولقد كنت حريصاً على أن يكون هذا العمل المجد من نصيب أمير الشر شوقي ، وسعينا لذلك أكثر من مرة ولكننا أردنا وأراد الله غير الذي أردنا لأنه ادخر هذه المسأورة الكبرى لشاهر آخر لا يزال اسمه مجهولاً عنا وراء سجن الغيب » ، كان شوقي قد انتقل إلى رحمة الله تعالى . وهذا الإهداء يبين لنا مدى اهتمام السيد الخطيب بتقنية الفكرة .

(١) كان ذلك في سنة ١٩٣٥ .

(٢) الحديقة ١٣ ص ٤٧ .

(٣) يقصد الفردوسي في الشاهنامة .

الإسلام عن مديده المعونة لهذا المشروع
ولكن في أسلوب لاذع (١) :

لا تعجبوا مما يكابد شاعر
بالعبقرية والحجا موصوف
أربى على (هومير) في الإلياذة

فيما قلائد للنهى وشنوف
نسخت بأجاد العروبة ما ادعى

ومفاخر الإسلام ، وهى صنوف
مرحى سراة المسلمين لبخلكم

في (طبعها) بالمال ، وهو ألوف
ما كان أكرمكم لوان ورامها

حسنا تحمل وردها وتطوف ١١

وظلت الإلياذة مطوية ضمن غيرها من
إنتاج محرم في ربيع قرن (٢) من الزمان ،
وإن تعجب ، فإنه إلى يومنا هذا لم يكتب لهذه
الإلياذة أن تطبع وتشر وأخيراً تفضلت
دار الكتب بأخذ صورة فوتوغرافية لها
موجودة بدار الكتب بقسم المخطوطات
المصورة من يريد الاطلاع عليها (٣) .

سهم المربع الجزاوى

(١) عن جريدة الصدق العدد ٤٤٤ في ٦ يولية
سنة ١٩٤٢

(٢) ١٩٢٠ - ١٩٤٥ حيث توفى الشاعر .

(٣) برقم (٢٩٤٦٨ ب) وكان ذلك
عام ١٩٥٢ بعد جهود بذلتها مع المرحوم نعيم
ودار الكتب والآن كبرت الصورة وصارت
الأجزاء في حجم متوسط واضح .

وأخيراً طبعت هذه الإلياذة ونشرت في يونية
سنة ١٩٦٣ (دار العروبة) .

أننى على قومه يفتى لهم شرفاً
يرجو عمارته بالمنطق الحرب
إن الالى عصفوا (بالنوبهار) هم (١)

كانوا الغياث لهم من حاصف الذهب
* * *

قال الوشاة : وفى للفرس شاعرهم
وما وفى (شاعر الإسلام والحرب)

مهلاً ، فإنى لقوى إن هم التمسوا
مستودع الود من نفسى لذو حذب

لو لم يطعن بىانى حين أنصرهم
نصرتهم ببيان من دم سرب

إلخ ...

وسار محرم في نظم الإلياذة حتى أكلها
أربعة أجزاء في سيرة النبي عليه الصلاة
والسلام . وظن أن الهيئات الإسلامية ودور
النشر ستلتفهم وتسارع إلى نشرها ،
وإذا عتقا ، وملء المكتبات الإسلامية بها .

وأنه سيتمكن بذلك من إتمام مشروعه
في نظم الأجساد الإسلامية ، وتسجيل عهد

الراشدين والأمويين ... إلى عصرنا الحديث
غير أنه صدم في أول الطريق ، إذ طرق

أبواب الأزهر ، ووزارة المعارف ، والقصر ،
فلم يجدعونا . وأججحت دور النشر بسبب

ظروف الحرب وغلاء الورق ... وقد
سجلت جريدة منبر الشرق تقاعد عظام

(١) يشير إلى الفتح الإسلامى وإخضاع نار
الحجوس بالفرس .

الازهر وقضايانا القومية

للأستاذ تحسين عبد الحى

تجتاز الأمة العربية - في مرحلتها النضالية الحالية - أعظم وأدق مرحلة في تاريخها الحديث - فإلى جانب نضالها الطويل المستمر ضد الاستعمار نراها اليوم تتحرك تجاه نضال أعنف وأشد - هو نضال جماهيرنا من المحيط إلى الخليج من نفسها ...

ولا شك أن مرحلة النضال المعنوى القائمة في أمان متفرقة من وطننا - والتي تحكمها تيارات كثيرة - وافدة - تحتاج منا إلى العمل السريع المباشر - حتى لا تضيع أمتنا في متاهات التناقض الذى يسود عالم اليوم .

إننا حملة رسالة - وأصحاب قيم ومثل عليا . وقيمنا تنبع من أننا أمة حملة رسالة المحبة والسلام والعدل والمساواة في وقت كانت تصطرع فيه أكبر امبراطوريتين في العالم هما امبراطوريتا الفرس والرومان - ومن خلال تمسكنا وإيماننا برسالتنا - استطعنا - أن نقدم إلى العالم وقتها أطول فترة من السلام القائم على العدل في التاريخ ...

واليوم - تحتاج عالمنا - نفس الظروف - وإن اختلفت المسميات فن الشرق تهب ريح المادية ... ومن الغرب تهدر أمواج

السيطرة والتسلط - المدعومة بالتحلل الأخلاقى والمعنوى - محاولة ابتلاع كل من يقف في طريقها ...

ووضعت النظريات - وفسرت المفاهيم - على أسس نفعية مصلحية - ولا نعتقد أن هناك من يختلف معنا على أن كلا من النظامين الماركسى والرأسمالى قد فشلا فشلا ذريعا في ضمان الحياة الروحية وصيانتها لإنسان اليوم ...

ولا أظننى مغالياً إذا ما ذكرت أن التاريخ يحملنا - مرة أخرى - مسئولية التوفيق بين المطالب المادية الذاتية للفرد وبين قيمه ومثله العليا - حتى يستطيع أن يحيا حياة إنسانية روحية .

ولقد وحد العرب صفوفهم وقضوا على الفتنة فيما بينهم فحاربوا المرتدين منهم - وأخضعوا بؤرة الفساد في الجزيرة العربية - وهم اليهود - وذلك قبل أن يبدؤوا العمل على نشر ما آمنوا به على غيرهم من الناس .

وكان الإيمان والوحدة - والقضاء على الدخيل - السبب الرئيسى في مساعدتهم على نشر مبادئهم في كل مكان ...

أو خلخلة الأوضاع الداخلية الإقليمية ...
وقياساً على هذا المعنى فإنه - مادامنا نحن
متفقين على أن القضية الفلسطينية مثلاً - قضية
من أم قضايانا القومية وأخطرها - والتي
يجب أن نعد لها إعداداً علمياً منظماً في مختلف
المجالات - داخلياً وخارجياً ... وإذا كنا
متفقين كذلك على أن وضع اليهود في قلب
وطننا العربي على هذه الصورة - بغض
النظر - عن ظروف وجوده وملاساته
إنما يشكل بالنسبة لنا - خطراً - متحركاً
يستطيع أن يؤثر مستقبلاً في وجودنا نفسه .

كما كان يمثل خطراً على - الإسلام في مراحل
الدهوة الأولى - في الجزيرة العربية ...

آمن المسلمون - وقتذاك - أن القضاء عليه
هو واجب من صميم واجبات الجهاد في سبيل
الله ... فإن من الأجدر بنا الآن ألا نعلمي -
وجود اليهود - في قلب وطننا - وفي أرض
فلسطين المقدسة طابع العداء القوي العربي
- فقط - وإنما يجب أن تؤمن بذلك كقضية
قومية - ودينية - يكون لها نفس الطابع
والمستوى الذي نظره المسلمون الأوائل
إليها ... ونود أن نؤكد أن مجرد تطبيق
هذه النظرة من الوجهة الدينية على اليهود -
برغم تأثيره المباشر في الداخل - سوف
يكون ذا تأثير بعيد المدى في الخارج أيضاً .
والخارج الذي أعنيه ... هو الشعب
الإسلامية والمسلمون في جميع أنحاء العالم .

وكان الإيمان بمبادئ الإسلام كدين
وحياة هو المنطلق الأساسي لكل منجزاتهم
في مختلف الميادين ...

وأمتنا العربية - أقرب ما تكون في مرحلة
تقشابه فيها مع مرحلة الكفاح ضد يهود
الجزيرة العربية - وفترة حروب الردة .

وسوف يكون في مقدورها بعد الانتهاء
من ذلك أن تكون مهيئة - فكرياً -
وحضارياً لتقديم تجربتها الحيوية الجديدة
كنموذج لما ينبغي أن تكون عليه حياة
إنسان القرن العشرين ...

والفرق الوحيد - الخطير - بين أمتنا
في حاضرنا وبينها في ماضيها - هو ضعف عنصر
الإيمان بالدين والقيم والمثل العليا الإسلامية .
ومن هنا تأتي مسئوليات الأزهر التاريخية
كأقدم وأكبر جامعة إسلامية في العالم - تجاه
قضايانا القومية ...

ولا شك أن مفهوم قضايانا القومية
- يجب ألا ينحصر - إقليمياً في الحدود
الطبيعية لوطننا الممتد من المحيط الأطلسي إلى
الخليج العربي وبرغم - أن المجهودات البناءة -
يمكن أن توجه وبالدرجة الأولى إلى ما بين
تلك الحدود ... إلا أن طبيعة الحياة السياسية
والاجتماعية والثقافية - التي يعيشها عالم اليوم
تقشع بصورة تلقائية في اتجاهات متعددة -
تؤثر كل منها في الأخرى وكثيراً ما تؤثر
الأعمال الخارجية - بنسب متفاوتة - في تدعيم

في القارة . . . والذين يتظمون في سلك الجمعيات اليهودية الآن - كل مؤهلاتهم في الانضمام إليها - هو أنهم يهود . . . أى الطابع الدينى - أولاً - فلماذا لا نواجههم بنفس سلاحهم ولنا القدرة المادية . . . والغلبة البشرية - وذلك لكثرة المسلمين في إفريقيا . إن عدد المسلمين في إفريقيا يتراوح اليوم بين ٨٥ ، ٩٥ مليوناً من المسلمين أى بنسبة ٣٤ أو ٣٥ ٪ . تلك النسبة التى تشكل على وجه التقريب حوالى ثلث سكان القارة .

والدول الإسلامية التى يتخذ فيها الإسلام طابع الأغلبية المطلقة والذى يصبح فيها تلقائياً - الدين القومى . . . كثيرة تبلغ - اثنتى عشرة دولة مستقلة في إفريقيا الشمالية - هى الدول العربية الست ثم ، دول الصحراء والساحل مثل - موريتانيا ، ومالى ، والنيجر والصومال ، والسنگال ، وغينيا - ومن الملاحظ أنها جميعاً عدا الصومال - تمثل كتلة واحدة متصلة - مشتركة الحدود .

والصومال - تنفرد بميزة خاصة وهى أن ٩٩ ٪ من سكانها مسلمون - وفى نيجريا الشمالية - حوالى ٨٠ ٪ مسلمون ويبلغ المسلمون نصف سكان أثيوبيا - وفى شرق إفريقيا - وفى موزمبيق ما يقرب من ثلاثة ملايين مسلم . فإذا استطاع الأزهر - بما يمثله فى أذهان مسلمى العالم - وفى إفريقيا بنوع خاص - أن يقود الدعوة المضادة ضد اليهود فى فلسطين

ففى نطاق العمل الداخلى ... يستطيع الأزهر أن يترجم الدعوة إلى إقامة - أسبوع - من كل عام يطلق عليه - أسبوع فلسطين - وذلك بالتعاون مع وزارة الأوقاف ووزارة الثقافة والإرشاد القومى ... ودور الأزهر فى ذلك يكون دور القيادة الفكرية - وعلى هاتين الأخيرتين تنفيذ ذلك بوسائلها الخاصة والعامة وكل منهما تخاطب جمهورها الذى تتعامل معه ... بالأجهزة التابعة لها ...

وفى هذا الأسبوع المقترح - تدرس القضية الفلسطينية من وجهة النظر القومية والدينية فى المساجد - وفى جميع قرى الجمهورية العربية المتحدة - ويخطب لها فى جمعيتين - الجمعة الأولى فى بدايته - والجمعة الثانية فى نهايته ... ومن خلال ذلك سوف يتفهم أولئك الذين ما زالوا لا يعرفون شيئاً عن القضية الفلسطينية - فى أعماق الريف - الكثير منها - وفى مجال العمل الخارجى . يستطيع الإيمان بوجهة النظر الدينية الإسلامية فى اليهود - وفى القضية الفلسطينية - أن يقف حجر عثر فى سبيل الدعاية الصهيونية - اليهودية فى أماكن متفرقة من العالم . . . وبخاصة فى آسيا وإفريقيا .

إن اليهود الصهاينة - يعتمدون الآن - على بعض الدول الإفريقية مثلاً - فى كسر حلقة الحصار العربى - الذى يكاد يودى بها اقتصادياً وذلك عن طريق منظماتهم المتعددة

البروتستانتية الأمريكية... والتي بمهاجمة الإسلام وعقائده هلنا وكذلك اللغة العربية وثقافتها - أصبحت هذه الإرساليات مركزاً للدعوة الاستعمارية السياسية التي تهدف إلى كتابة اللغة الصومالية بحروف لاتينية . وقد اتضح أن جميع الإرساليات التبشيرية الأمريكية التي تزاوّل نشاطها في الصومال تخضع لإشراف سفير الولايات المتحدة في أديس أبابا . إنها تعتبر نقطة ارتكاز للولايات المتحدة في قلب قارة إفريقيا ، وإن سفيرها في أديس أبابا - كان قسيساً من رجال الإرساليات التبشيرية . إننا لسنا ضد المسيحية .. ولكننا ضد أولئك الذين يستخدمونها وسيلة لخدمة المصالح الاستعمارية .

ومن ثم وجب علينا - وعلى الأزهر بالذات - أن يدخل المحارك الكثيرة المتعددة - وبقدم واضحة - وبأسلوب مرن حتى يستطيع أن يوفى بالتزاماته القومية ، تلك الالتزامات التي تتلخص في تكتيل المسلمين وتقويتهم في جميع أنحاء العالم إزاء اليهود في فلسطين كخطر يهدد الإسلام في أرض مقدسة له ... ويدعم الإسلام والمسلمين بالفكر الديني المستنير ليواجهوا - حركات الالتفات الجديدة حول القيم والمثل العليا الإسلامية ... والأزهر في هذا المجال إنما يخدم قضايا الدين الإسلامي والحرية ، والسلام ، والإنسان في العالم .

نحسين عبر الحى

دينياً .. عند مسلمي إفريقيا - فسوف يكون لذلك تأثيره المباشر في مجال القضاء على النفوذ اليهودي الإسرائيلي - في أجزاء متعددة من القارة - مما يدعم قضيتنا - قومية - وعالمياً . وذلك تمهيداً للقضاء عليها - والجهاد ضدها - في سبيل دعم الإسلام والقومية العربية .

وكما نطالب - بتكتيل قوى الإسلام والمسلمين في الجهاد ضد اليهود في فلسطين - نطالب بالأيترك - أولئك المسلمون - نهياً لنشاط الإرساليات التبشيرية - التي ثبت للجميع بطريقة لا يتطرق إليها الشك - أنها لا تخدم أغراضاً - دينية إنسانية - بقدر ما تخدم أغراضاً اقتصادية احتكارية - تبغى السيطرة على أرزاق المسلمين الإفريقيين ومقدراتهم - في الوقت الذي يبارك فيه كثير من هذه الإرساليات التبشيرية - التفرقة العنصرية - في إفريقيا - وتدعمها . بل تسخر المسلمين الإفريقيين في إنشاء الكنائس الضخمة والأحياء السكنية ..

ونشاط هذه الإرساليات في بلد - مثل الصومال - واضح أشد الوضوح فهي تحاول - نشر المسيحية بين المسلمين من أهالي البلاد - حيث لا توجد وثنية ولا ديانات أخرى - مستغلة في ذلك فقر الشعب وحاجته إلى الخدمات العامة والرعاية الصحية - وبالرغم من ذلك فلم يتح لها إلا نجاح محدود ١١

وتنتشر في الصومال المسلم - الآن ،

عبد القاهر الجرجاني وآراؤه في الشعر والشعراء لدؤسان الدكتور أحمد أحمد بدوي

- ٢ -

والبحر في بعض الأحيان من الشعر
ما يشبه الشعر ، كقوله :
وسأستقل لك الدموع صبابة
ولو أن دجلة لي عليك دموع ^(١)
وهو من أجل ذلك يكثر من الاستشهاد
بشعره ، والوقوف عنده لتحليله ، وبيان
سر جماله ، فنراه مثلاً عند ما أراد أن يبين
أمر (التمثيل) في النفس ، وأنه يحرك القلوب
ويملك أعتها ، أورد قول البحرى :
دان على أيدي العفاة ، وشاسع
عن كل ند في الورى وضرب
كالبدور : أفرط في العلو ، وضوءه
للعبسة السارين جد قريب
وشرح ذلك قائلاً : فكرو في حالك وحال
المعنى معك ، وأنت في البيت الأول ، لم تنته
إلى الثاني ، ولم تدبر نصرته إياه ، وتمثله له
فيما يمل على الإنسان حيناً ، ويؤدى إليه
ناظره ، ثم قسمها على الحال ، وقد وقفت
عليه ، وتأملت طرفيه ، فإنك تعلم بعد ما بين

حاليك ، وشدة تفاوتهما في تمكن المعنى
لديك ، وتحبيبه إليك ، ونبله في نفسك ،
وتوفيره لأنفسك ^(٢) .
ويقف معجباً بقوله :
إذا ما نهى الناهي ؛ فلج في الهوى
أصاحت إلى الواشي : فلج بها الهجر ^(٣)
وقوله :
إذا احتربت يوماً ؛ ففاضت دموعها
تذكرت القربى ؛ ففاضت دموعها ^(٤)
ويحلل قوله :
إذا بعدت أبلت ، وإن قربت شفت
فهيئتها يبلى ، ولقيانها يشقى
إذ يذكر أنه قد علم أن المعنى : إذا بعدت
حتى أبلت ، وإن قربت مني شفتني ؛ إلا أنك
تجد الشعر يأني ذكر ذلك ويوجب اطراحه
وذلك لأنه أراد أن يجعل البلى كأنه واجب
في بعادها أن يوجهه ويحبيه ، وكأنه كالطبيعة
فيه ، وكذلك حال الشفاء مع القرب ، حتى

(١) أسرار البلاغة ص ٩٨

(٢) و (٣) دلائل الإعجاز ص ٧٤ .

(١) دلائل الإعجاز ص ٤٢١ .

مقاييس الشعر على حدود المنطق ، ونأخذ نفوسنا بالقول الحق ، حتى لا ندعى إلا ما يقوم عليه من العقل برهان يقطع به ، ويلجئ إلى موجهه ، مع أن الشعر يكفى فيه التخيل ، والذهاب بالنفس إلى ما ترتاح إليه من التحليل (١) .

وإذا كان المتنبي يحتاج في بعض شعره إلى التريث ليفهم ، فكذلك للبحرئى بعض شعر من ذلك النوع ، كقوله :

ضحك إلى الأبطال وهو يروعهم

وللسيف حدين يسطو ورونق (٢)

ولم يورد عبد القاهر شعراً معقداً للبحرئى تعقيد شعر المتنبي .

وعقد عبد القاهر بعض الموازنات بين البحرئى وأبى تمام حيناً ، وبينه وبين ابن الرومى حيناً آخر .

وهو من يرون تقديم البحرئى على أبى تمام ، وهو لذلك ينقل عن الآمدى ما يفصح عن هذا الرأى ، كما فعل عند ما روى قول البحرئى : فصاغ ما صاغ من تبر ومن ورق

وحاك ما حاك من وشى ودباج
وأورد قول الآمدى : صوغ الفوت
وحوكة الثياب ليس باستعارة ، ولكنه حقيقة ، ولذلك لا يقال : كأنه صائغ ؛ وكذلك

كأنه قال : أتدرى ما بعادها ؟ هو الداء المهنئ . وما أربها ؟ هو الشفاء والبرء من كل داء ، ولا سبيل لك إلى هذه اللطيفة ، وهذه النكتة إلا بحذف المفعول البتة ، فأعرفه (٣) .

ويحمد البحرئى يصل إلى مكان نادرة ، هند ما يحذف أو يذكر ؛ فيرى من النادر اللطيف الذى ينطوى على معنى دقيق ، وفائدة جليلة قوله :

قد طلبنا . فلم نجد لك فى السؤ

دد ، والمجدد ، والمكادرم مثلاً

فإن المعنى قد طلبنا لك مثلاً ، ثم حذف ، لأن ذكره فى الثانى يدل عليه ؛ ثم إن فى الجوى به كذلك من الحسن والمزية والروعة ما لا يخفى ، ولو أنه قال : طلبنا لك فى السؤدد والمجد والمكادرم مثلاً ، فلم نجده ، لم تر من هذا الحسن الذى تراه شيئاً (٤) .

ويحمد من الجناس الجيد قول البحرئى :

يعشى عن الجمد الغبى ، ولن ترى

فى سؤدد أرباً لغير أريب (٥)

ويفسر عبد القاهر رأى البحرئى فى جوهر الشعر ، ويوجه قوله :

كفتمونا حدود منطقم

فى الشعر ، يكفى عن صدقه كذبه
فيرى أن البحرئى أراد كلفتمونا أن تجرى

(١) للرجع السابق ص ١٢٥ .

(٢) دلائل الإعجاز ص ١٢٩ .

(٣) أسرار البلاغة ص ٨ .

(١) المرجع السابق ص ٢٣١ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٩ .

ولكن حب عبد القاهر للبحترى لم يحل بينه وبين أن يفضل عليه ابن الروى فى معنى تواردا عليه معا ، حين شبه البحترى الليل بالمداد ، فقال :

على باب « قنسرين » والليل لاطخ

جوانبه من ظلمة بمداد
فقال : إن هذا المعنى ضعيف ، لأن المداد ليس من الأشياء التى لا مزيد عليها فى السواد ، كيف ورب مداد فاقد اللون . والليل بالسواد وشدته أحق وأحرى أن يكون مثلاً ؛ ولذلك فضل عليه عبد القاهر قول ابن الروى :

حبر أبى حفص لعاب الليل

يسيل للإخوان أى سيل
فبالغ فى وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل ..

ومع ذلك يلتمس العذر للبحترى ؛ فيرى أن البحترى كأنه نظر إلى قول العامة فى الشيء الأسود : هو كالنفس ، ثم تركه للقافية (١) . وكذلك يروى أيضا نقد الآمدى للبحترى فى قوله :

فكأن مجلسه المحجب مخفل

وكان خلوته الخفية مشهد
من أن المكان لا يسمى مجلسا إلا وفيه
قول (٢) .

لا يقال : كأنه حائك ؛ على أن لفظة (حائك) خاصة فى غاية الركالة ، إذا أخرج على ما أخرجه عليه أبو تمام فى قوله :

إذا الغيث غادى نسجه خلعت أنه

مضت حجب حرس له وهو حائك (١)
وهذا فيصبح جداً . والذى قاله البحترى :
(حاك ما حاك) حسن مستعمل ، فانظر ما بين الكلامين ؛ لتعلم ما بين الرجلين (٢) .

ينقل عبد القاهر ذلك مقراً له ؛ كما يوازن بينهما حين يعرض قول أبى تمام :
قريب الندى نأى المحل كأنه

هلال قريب النور ، فامثاله ويرى تنكير كلمة (هلال) مستكرها ناهياً يتظلم منه المعنى وينكره ، ويرى سبب ذلك يعود إلى أنه يوم بظاهره أن ههنا أهلة ليس لها هذا الحكم ، أعنى أنه يقنأى مكانه ، ويدنو نوره ، وذلك محال ؛ لأن وصف النكرة بصفة يقيد هذه النكرة ، ويخرج مالا يتصف بهذه الصفة ؛ ولذلك كان تنكير (هلال) هنا فى غير موضعه ، وكان الذى يستقيم عليه الكلام أن يؤتى به معرفاً ، على حده فى بيت البحترى .

كالبدر أفرط فى العلو ، وضوءه

للعصبة السارين جد قريب (٣)

(١) الحرس (بفتح الحاء) : الدهر .

(٢) أسرار البلاغة ، ص ٢٢٩

(٣) أسرار البلاغة ، ص ٢٢٢ .

(١) المرجع السابق ص ١٩٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٠ .

وعندما تحدث عن أثر التمثيل في النفس أورد
شعر البحترى الذى سبق أن ذكرناه ، وأورد
شعر أبى تمام قائلا : تأمل بيت أبى تمام :
وإذا أراد الله نشر فضيلة
طوبت أتاح لها لسان حسود
مقطوعا عن البيت الذى يليه ، والتمثيل
الذى يؤديه ، واستقص فى تعرف قيمته ، على
وضوح معناه وحسن مزينه ، ثم أتبعه بإياه :
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود
وانظر هل نشر المعنى تمام حلتها ، وأظهر
المسكنون من حسنه وزينته ، وعطرك بعرف
عوده ، وأراك المنصورة فى عوده ، وطلع
عليك من مطلع سعوده ، واستكمل فضله
فى النفس ونبله ، واستحق التقديم كله ،
إلا بالبيت الأخير ، وما فيه من التمثيل
والتصوير (١) .

وكذلك يستشهد بقوله :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق
لديبا جتية ، فاعترى تتجدد
فإنى رأيت الشمس زيدت محبة
إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد (٢)
إلى غير ذلك من أمثلة يسوقها فى غير موضع .

هذا وعبد القاهر معجب بوصف البحترى
للبلاغة ، إذ يقول :

فى نظام من البلاغة ماش
لك امرؤ أنه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر العنا

حك فى رونق الربيع الجديد
مشرق فى جوانب السمع ما يح
لحقه عوده على المستعيد
حجج تخرس الألد بألفا

ظ فرادى كالجزهر الممدود
ومعان لو فصلتها القوافى

هجت شعر جبرول (٣) وليد
حون مستعمل الكلام اختيارا

وتجنب ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ القريب ، فأدرى

ن به غاية المرام البعيد (٤)
وإعجابه بهذا الوصف يدل على اتفاقه مع
البحترى فى نظراته إلى البلاغة .

ويستشهد عبد القاهر بشعر أبى تمام ، كما
استشهد بشعر المتنبى والبحترى ؛ فى باب
الاستعارة يستشهد بقوله :

وقد نفرتهم روعة ثم أحرقوا
به ، مثلاً ألفت عقدا منظما (٥)

(١) جبرول : هو الخطيئة .

(٢) دلائل الإعجاز ص ٣٩٧ .

(٣) أسرار البلاغة ص ٤٢ .

(٤) أسرار البلاغة ص ١٠٠ .

(٥) المرجع السابق ص ١٠٦ .

لجعله يهذى ، وجعل عليه الحى ، وظن
أنه إذا حصل له المبالغة في إثبات المكارم
له ، وجعلها مستبعدة بأفكاره وخواطره ،
حتى لا يصدر عنه غيرها ، فلا ضير أن يتلقاه
بمثل هذا الخطاب الجاني ، والمدح المتناقض^(١) .
ويسجل له التعقيد في قوله :

يدى لمن شاء رهن لم يذق جرما
من راحتك درى ما العاصب والعمل^(٢)
ويراه يركب الوعر ، ويسلك المسالك
المجولة ، عندما قال :

سيف الإمام الذى سمته هيبته
لها تخزم أهل الأرض تخزما^(٣)
قررت بقران ، عين الدين ، وانتشرت
بالأشترين عيون الشرك ، فاصطلما^(٤)
وعندما قال :

ذهبت بمذهبه السباحة ، وآتوت
فيه الظنون : أم مذهب^(٥)
(البحث بقية)

المركتور أحمد أحمد بروى

ويقف كذلك عند شعره يشرحه ويحلله ،
فعندما هرض قوله :

وغيرى يأكل المعروف سخما
وتشعب^(١) هذه يبيض الأبادى

قال : لم يرد أبو تمام أن يعرض مثلاً بشاعر
سواه ، بل ليس إلا أنه نفى عن نفسه أن
يكون ممن يكفر النعمة ، ويلوم^(٢) .

ولكن عبد القاهر يرى أنه قد وقع في
ضرب من التهوس عندما قال : وأنت أنزر
من لا شيء في العدد^(٣) .

ويرى أنه قد جنى عليه القهوان ، وفساد
الذوق ، حتى صار ما ينمى عليه عنه أبلغ
شيء في بسط لسان القادح فيه ، والمنكر
لفضله ، وأخصر حجة للتعصب عليه ، وذلك
أنه لم يبال في كثير من مخاطبات الممدوح
بتحسين ظاهر اللفظ ، كقوله :

وإذا ما أردت كنت رشاء
وإذا ما أردت كنت قليبا^(٤)

فصك وجه الممدوح ، كما ترى ، بأنه رشاء
وقليب ، ولم يحشم أن قال :

ما زال يهذى بالمسكارم والعلا
حتى ظننا أنه محوم

(١) شجب لونه : تغير .

(٢) دلائل الإعجاز ص ١٠٧ .

(٣) أسرار البلاغة ص ٩٥ .

(٤) الرشاء : جبل الدلو . والقليب : البئر .

(١) أسرار البلاغة ص ٢٢٠ .

(٢) دلائل الإعجاز ص ٦٩ . والعاصب شجر ص .

(٣) تخزمهم : استأصلهم .

(٤) قران : مدينة . والأشتران : ماله .

ابن الحارث وابنه . واصطله : استأصله .

(٥) دلائل الإعجاز ص ٤٠٢ .

الثورة الثقافية في الإسلام

للأستاذ حسن فتح الباب

تشهد حركة التاريخ وما سجلت صفحاته من وقائع وأحداث أن دعوة الإسلام التي بشر بها محمد عليه الصلاة والسلام في القرن السابع الميلادي ، كانت ثورة اجتماعية شاملة بأجل معانيها ، قصد بها المشرع الحكيم أن يربط الأرض برسالة السماء من طريق صلاح النفس وصلاح المجتمع . فلا غرو أن تقرن الدعوة منذ بدايتها بالنهضة الثقافية ، وأن تكون هذه النهضة إحدى السبل الجوهرية لتعظيم الطغيان ، وإقامة العدل ، وإتاحة فرص الحياة للمجرومين ، وإرساء مبادئ الحق والمساواة بين العالمين .

ذلك أن نشر الثقافة الصحيحة والمعرفة الشاملة هو الدعامة القوية التي يستند إليها الإيمان الحق بالإسلام ، وهو السلاح الذي يفل بأبطال المضللين ويكشف زيف المرجفين ويمهد السبيل لخلق واقع جديد للمجتمع يسير في هداه حتى يبلغ غايته السامية في توحيد أفراد وضمائم الخير والعزة لهم .

تلك هي المقاصد الرئيسية التي توغها الإسلام في ثورته الثقافية ، فالعلم الحق هو الطريق القويم إلى معرفة الله والإيمان به ، وهو سبيل الدولة حكاما وشعبا إلى الرفعة والعزة والرغاء ، وهو أمل البشرية كافة في تحررها وتقدمها ووحدتها ، ومن ثم كان العلم - وهو أكبر روافد الثقافة - حجر الزاوية في الدعوة الإسلامية .

لقد وعت رسالة الإسلام الدور الضخم الذي يؤديه العلم في بناء الفرد وهو وحدة

وكانت الخطوة الأولى في سبيل نشر هذه الرسالة تحرير الجزيرة العربية وبعثها من ظلمات الضلال والأوهام إلى نور الحقائق الدينية والدينية ، إذ كان العرب في جاهليتهم معزول عن التيسار الحضاري السائد في بعض مناطق العالم في ذلك الحين بحكم بيئتهم الصحراوية المغلقة ، وانعدام السبيل إلى موارد الثقافة البعيدة ، فضلاً عن طبيعة الحياة الفطرية وما تنسم به من عدم الاستقرار مجمأ عن أسباب العيش .

ولئن أثبت التاريخ أن العرب قبل الإسلام كانوا على صلات تجارية بدوياً الفرس والروم المتخامتين للجزيرة العربية ، فمن الثابت كذلك أن حضارة هذه الشعوب كانت تمر بمرحلة غروب واحتضار كما يطلق عليها في المصطلح الحديث ، ومن ثم كانت حاجوة عن النهوض العلمي بأهلها بل بالغرباء من أبناء الشعوب المجاورة .

وهكذا خيمت ضلالات الجهالة على العرب قبل الإسلام حتى كان المتعلمون منهم قلة بلغت من الندرة حداً لا يقاس عليه ، وكان حظها من التعليم نزواً يسيراً لا يتجاوز الإمام بمبادئ القراءة والكتابة ، فضلاً لا يتعدى القنور .

أما ما عرف عن العرب في عصر الجاهلية من بلاغة القول في خطبهم ومواعظهم

والشواهد على قيام الدعوة الإسلامية على أساس من العلم والثقافة لا تقع تحت حصر ، وحسبنا أن نشير هنا إلى أن آية الرسول الأولى ومعجزته الخالدة هي « القرآن ، الذي حوى من العلم كل شيء » ، كتاب فصلت آياته ، وأن أول ما أنزل من آيات البيانات على رسوله الكريم قوله تعالى :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

ومن ثم فإن العلم هو دعامة أساسية في بناء العقيدة الإسلامية ، وهو نقطة انطلاقها إلى آفاق العالم الفسيحة لتصبح حضارة إنسانية خصبة تغني البشرية وتهدئها سواء السبيل .

ولقد تواتر ذكر العلم في القرآن الكريم تنجيها للأذهان وحشاً لها على التفكك ، فمن خلال التأمل في خلق السموات والأرض وإعمال الفكر في أسرار الوجود وما تدل عليه من وجود الله يولد الإيمان الحق ، وبثبت في النفوس معناه وتزدهر حكيمته .

رسالة الإسلام عقيدة وحضارة .

ولا عجب أن يبدأ الإسلام بالدعوة إلى العلم والإشادة بأصحابه ، إذ كانت الرسالة التي بعث بها محمد رسالة عقيدة وحضارة جاءت لتهدم القيم البالية والمعتقدات الزائفة وترسي على أنقاضها قيماً صحيحة ومفاهيم رشيدة .

وتحقيق الخير والرفاهية لهم في ظل العقيدة السمحة فحث الرسول الكريم على طلب العلم بقوله : « لا برك الله في يوم لا أزداد فيه علماً » : وجاء في الأثر حثاً على الناس العلم في مظانه مهما بعدت المناهل وشق السبيل « اطلبوا العلم ولو في الصين » .

وإذا ذكرنا المدى الشاسع الذي كان يفصل الجزيرة العربية عن الصين ، واعتماد الاتصال بين الشعوب في ذلك العصر على الوسائل البدائية ، وما يعانيه المسافر ، فضلاً عن مخاطر الطريق من فرقة الأهل والأحباب ، والبعد عن موارد الرزق ومواطنه ، أدركنا قيمة العلم الكبرى في الإسلام .

ويكفي مصداقاً لذلك أن نذكر ما عرسته الرسول على أسرى المشركين في غزوة بدر من إطلاق سراح من يفتدى منهم نفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين للقراءة والكتابة ، ففي الحق أنها أشبه بفدية النفس بالنفس كما تقضى قواعد الفداء التي شرعها الإسلام فالجمل عدو النفس البشرية وملقيها في ركاب العدم ، ولكي تبني دولة عليك أن تحرر النفوس من عبودية الجهالة وتضيء بصيرتها بنور المعرفة فتبعثها من الموت إلى الحياة .

معركة في سبيل العلم :

وفي سبيل هذه القضية الكبرى ، قضية العلم والثقافة ، شحذ الإسلام أمضى أسلحته لتهرب أهدائها وفتح الطريق لأنصارها من أبنائه

وأشعارهم التي كانوا يرتجلونها في المواسم والأسواق ، فتلك موهبة فطرية لا ترقى بهم إلى مصاف العلم ، وليس بوسعها — وحدها — أن تشكل ثقافة حميدة تنبع منها جداول الفكر والحضارة .

التدوين عماد النهضة العلمية :

ذلك أن عماد العلم والثقافة هو التدوين ، وكان قاصراً على رجال معدودين من قريش وردت أسماؤهم في التاريخ على سبيل الحصر ، منهم الخلفاء الراشدون : عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأربع عشرة رجلاً غيرهم . ولقد أصبح هؤلاء الرجال بعد إسلامهم أوائل الرواد المسلمين في النهضة العلمية بإرشاد الرسول صلى الله عليه وسلم فقد اختار منهم كتاب الوحي ، وأوفد طلابهم لبث الدعوة إلى الدين الجديد .

كرامة العلم والعلماء :

ولقد أقسم الله في كتابه العزيز بالقلم ، ووصف ذاته سبحانه في كثير من الآيات بالعلم ، وقال تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . « وما يعقلها إلا العالمون » . « إنما يخشى الله من عباده العلماء » . وكفى بهذا تكريماً للعلم وتعظيماً للعلماء .

وبوحي من آيات الله البينات ، جاءت الأحاديث الشريفة داعية إلى العلم سبيلاً لبلوغ الغايات السامية في الإسلام وهي هداية الناس

ستين يوما) ، وقوله : (حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة ، وعبادة ألف مريض ، وشهود ألف جنازة) ، قيل : « يا رسول الله ، ومن قراءة القرآن ؟ » فقال عليه الصلاة والسلام : (وهل ينفع القرآن إلا بالعلم) .

ويقول الرسول في فضل العلماء (إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم يمتدى بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا انطمت النجوم أوشك أن تضل الهداة) ، (لموت قبيلة خير من موت عالم) .

بل لقد جعل الإسلام مرتبة العلماء تعقب مرتبة الأنبياء وتسبق مرتبة الشهداء ، فقال صلى الله عليه وسلم (يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء) ومن قوله عليه السلام في فضل العلماء حين يتولون مراكز القيادة وخسارة الأمة بفقدانهم : (إن الله لا يقبض العلم انزاعا ينزعه من صدور العلماء ولسكنه يقبض العلم بموت العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) .

التثقيف العلمي في بيوت الله :

ومن آيات الإسلام في تكريم العلم والعلماء أن جعل من بيوت الله المقدسة مدارس للتعليم والتثقيف ، وتلك أبلغ دلالة على إدراك قيمة العلم في تثبيت العقيدة

المخلصين ، ووجه هؤلاء الأبناء لحوض معركتهم الجليلة في كل مكان حتى يرتفع بناء الفسك المتحرر المستنير ، وينقشع ضباب الجهل الخيم على بقاع كثيرة في الأرض ، وكافح هؤلاء الأبطال كفاحا متصلا حتى أصبح منهم القادة الهداة والعلماء المصلحون .

ولا عجب إذن أن يدعو الإسلام إلى العلم والثقافة دعوته إلى الجهاد في سبيل الله ، وأن يشترط في داعية الفسك ما يشترطه في المجاهد من الإيمان بقداصة الرسالة العلمية ، أسلوبا وحملًا وغاية ، وأن يجعل منزلته إذا أدركته منيته وهو يزود عن رسالته منزلة الشهداء في معارك الدفاع عن الإسلام .

وحسبنا في هذا المقال أن نذكر قول الله عز وجل : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة . فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » ، ونذكر قول وسوله عليه السلام : « تعلموا العلم ، فإن تعلمه خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعلمه لمن لا يملكه صدقة ، وبذله لأهل قرية » ، وقوله : (من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة) .

ولقد فضل الإسلام العالم على العابد في قوله صلى الله عليه وسلم (ساحة عالم متسكى على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد

والعربي بفطرته وبمحكم نشأته الصحراوية
شغوف بالأسفار مولع بارتياح الآفاق ،
وكان يفرغ طاقته هذه في طلب المنافع الدنيوية
العاجلة ولإشباع غزائره بالانجاء في الأسواق
ومبادرة اللذات . فلما جاء الإسلام وجه
تلك الطاقة إلى العمل المشمر البناء وانتجاع
موارد المعرفة بمحاث كل طريف ومستحدث
في العلوم والآداب والفلسفات والفنون .

وقد تعمقت أصول الدين الحنيف
في نفوس العرب حتى جدد وادهم من الفقهاء
والعلماء والفلاسفة في طلب العلم وتحصيله
من كل فج عميق . وكان البحث العلمي في سبيل
تفسير القرآن أكبر غاية يتلصق بها المسلم
في دنياه ويأمل بها المثوبة في أخراه .
ونستطيع في ضوء هذا الفهم أن نقبين
مفهوم قول أبي الدرداء : « لو أعيتني آية
من كتاب الله فلم أجد أحدا يفتحها عليَّ
إلا رجل ببرك الغناد (موضع بأقصى اليمن
كن يضرب به المثل في البعد وصعوبة
الوصول إليه) لرحلت إليه » . ومن أجل
هذا الهدف النبيل الذي يبتغيه طالب العلم
يقول الشعبي : « لو أن رجلا سافر من أقصى
الشام إلى أقصى اليمن لسمع كلمة حكمة
ما رأيت أن سفره ضاع » .
(للحديث بقية)

من فتح الباب

والاتصال بآله ، وهي دلالة كذلك على قدسية
المعرفة ودورها الكبير في تعميق وهي الفرد
والجماعة بشئون العقيدة والحياة رفعا لمستوى
الإنسان وإعلاء لشأن المجتمع ، وليس
أشرف من المسجد مكانا للعلم ، ولا أدعى
من الترغيب في تحصيل المعرفة من جملة
مزاياها .

وفى عن الذكر ، ما أفاضت به صحف
التاريخ من الإشادة بالرسالة العظمى التي
اضطلعت بها المساجد في النهضة العلمية عبر
العصور الإسلامية الزاهرة ، إذ كانت مراكز
إشعاع للعلوم والحضارة العربية استفاضت
في العصر الوسيط حين بلغت الدولة الإسلامية
أقصى مراحل التطور الحضاري ونمت
من أصولها شجرة المدنية الحديثة .

ولع المسلمين الأوائل بالبحث العلمي :

كان من أثر بحث الإسلام على العلم والدعوة
إليه ورفع قيمته حتى جعله في مرتبة الفرائض
أن اتجه المسلمون الأوائل إلى التماسه أنى
وجدوا إليه سبيلا ، بل تشربت أرواحهم
بحبه حتى أصبح البحث العلمي ديننا لهم
ومصدرا لثقتهم في أنفسهم وثقافتهم بما
حصلوه من معارف ، فسعوا إلى مناهل
الفكر مهما بعدت المسافة وشقت الطريق في
عالم لم تكن تربطه وسائل المواصلات أو تتاح
له سبل المعرفة التي نشهدها في عالم اليوم .

دولة الإسلام والعالم

على الحدود... بين دولتين وحضارتين

مناطق الحدود الإسلامية البيزنطية بين الإمبراطورية البيزنطية والامبراطورية العثمانية

للأستاذ فتحي عثمان

- ٢ -

وأصله أن يربط فيه الخيل ، ، وفي القاموس المحيط : « والمرابطة أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغرة ، وكل معد لصاحبه ، فسمى المقام في الثغور رباطا ، . ومن هنا لا نجد غريباً في أخبار الرشيد سنة ١٨٧ هـ أنه : « أغزى ابنه القاسم الصائفة ، فوهبه فقه وجعله قرباناً له ووسيلة ، وولاه العواصم ، ورأى الفقهاء المسلمون ألا بأس بسكنى نساء المسلمين وأطفالهم الثغور ، وإن لم يكن بين الثغور وبين أرض العدو أرض للمسلمين ، لأنهم يندبون إلى المقام في الثغور ، وإنما يمكنون من المقام بالنساء والذرائع ، فالنساء سكن للرجال ولأنهم إذا أقاموا في ذلك الموضع بالنساء والذرائع ، كثروا بمرور الزمان حتى يصير ذلك الموضع مصراً من أمصار المسلمين ، ويتخذ المسلمون وراء ذلك ثغراً بالقرب من العدو .

ولكن هذا إذا كانوا بحيث لو نزلت بهم جلبة للعدو قدروا على دفع شرم عن أنفسهم وعن ذرائعهم ... » - كما ورد

جاء الإسلام يستحث المسلمين بدافع العقيدة والإيمان لحفظ الثغور والرباط في سبيل الله ، فكان هذا تعزيزاً للظروف الجغرافية والسوابق التاريخية ، ذكر ابن كثير في تفسير الآية الكريمة : « يأياها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وابطوا ، : « قيل المراد بالمرابطة مرابطة الغزو في نحو العدو ، وحفظ ثغور الإسلام ، وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين ، وقد أورد الآثار التي ترغب في ذلك ، فمنها حديث النبي الذي رواه البخاري : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، ، وروى أحمد : (من رباط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام أجزأت عنه رباط سنة) ، (حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلاً ويصام نهارها) وقد خلف هذا المعنى الديني أثره على كلمة (الرباط) من الوجهة اللغوية إذ غدت اصطلاحاً للجهاد المقدس ، ففي اللسان : « الرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو أو الجهاد

أمة إلى أخرى حملها ، إلا أن يقتحموا عليهم بعد كفر منهم ، فيقدموا مسلحهم بعد ذلك ، فاعتدل ذلك سنة ١٧ هـ - كما يروى الطبري . ويروى البلاذري : د وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر من يحتاج بها إليه من المسلمين ، د وولى أبو عبيدة كل كورة فتحها عاملا ، وضم إليه جماعة من المسلمين وشحن النواحي المخوفة ، د ولما ولى معاوية الشام والجزيرة لعثمان أمره أن ينزل العرب مواضع نائية عن المدن والقرى ، ويأذن لهم في اعتال الأرضين التي لاحق فيها لأحد ... وألزم المدن والقرى والمسالخ من يقوم بحفظها ويذب عنها من أهل العطاء ثم جعلهم من عماله ، د فبعث معاوية لحبيب بن مسلمة ألقى رجل أسكنهم قاليقلا ، وأقطعهم بها القطنائع وجعلهم مرابطة بها ، د وبعث معاوية - إلى قبرص - باثني عشر ألفا كلهم أهل ديوان فبنوا بها المساجد ، وبنى بها مدينة ، وقاموا يعطون الأعلية .

وما كادت أقدام المسلمين تستقر في الشام حتى سارت أول (مدربة) في الإسلام ، أى حملة سلكت الدرب إلى بلاد الروم ويروى أن ذلك كان سنة ١٦ هـ ، ويبدو أن كلا من الفريقين قد عمل على تخريب

في شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني أملاء السرخسي .

وأعطت الاحتكاكات الأولى للمسلمين مع أطراف الدولة البيزنطية وأحلافها من (روم العرب) نذيراً عن الخطر البيزنطي وخبرات عن دور أطراف الدولة البيزنطية وأحلافها في نظام الدفاع البيزنطي . وقد كانت المقاومة البيزنطية في الشمال تبرز أهمية المنطقة خاصة وأنها كانت أقرب مناطق الشام إلى بلاد الروم ، فقد استمرت هجمات الروم على المسلمين من شمال الشام ومن الجزيرة ، ومن هنا اتخذ المسلمون الشام قاعدة للهجوم على الجزيرة فأرمينية ، ثم اتخذت بعد ذلك قاعدة للغارات الدورية على آسيا الصغرى ، وهكذا نشأ التنظيم الإداري الحربي الإسلامي ، ويروى عن عمر بن الخطاب أنه زار الشام سنة ١٧ هـ : د فقسم الأرزاق وسمى الشواقي والصوائف ، وسد فروج الشام ومسالخها ، وأخذ يدور بها ، وسمى ذلك في كل كورة . كما أنه : د اتخذ في كل مصر من الأمصار على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين معدة لكون إن كان ، كما يذكر الطبري . وكان الأصل أن يعتمد كل إقليم على نفسه في الدفاع إلا إذا دعت الضرورة فقامت مسالخ الشام ومصر والعراق على ذلك إلى اليوم ، لم تجز

وأعانت ولاية معاوية على الجزيرة والشام معاشم خلافته بعد ذلك على وضع سياسة حربية متكاملة للشعوب الشامية والجزرية وقد أقدم المسلمون في عهد عثمان على فتح أرمينية من جهة ، وتكوين الأسطول وغزو جزر البحر المتوسط من جهة أخرى ، وصار مقياس المد والجزر في النفوذ الإسلامي أرمينية بالنسبة للجهة البرية على حدود الروم في آسيا الصغرى وقبرص بالنسبة للجهة البحرية في حوض البحر المتوسط ، واتجه الأمويون إلى غزو الروم في مقر عاصمتهم القسطنطينية ، كما بدأ المروانيون يتجهون إلى إقامة تحصينات عسكرية ثابتة على الحدود الإسلامية البيزنطية بعد أن كان أسلوب الدفاع المتحرك والحملة الفصلية من صوائف وشواتي هر السائد عند المسلمين من قبل ، وهكذا ظهرت تحصينات المصيصة والمثقب وقطرغاش ومورة وبوقا ويفراس . وبينما كانت (الثغور) الإسلامية تتطور على هذا النحو ، كانت (البنود) البيزنطية - وهي وحدات التنظيم الإداري الحربي عند البيزنطيين التي كان يجمع القائد strategas في كل منها بين السلطين المدنية والعسكرية - تشهد تطورا آخر من أبرز معالمه قيام بند كبيرايوت البحري للدفاع عن سواحل آسيا

الحصون الواقعة على الحدود بينهما لحاق شقة حرام بين الدولتين No man's land وكان الروم قد بدأوا ذلك حين انسحابهم من الشام ، وجرى المسلمون على (تشييت) الحصون أول الأمر ، فلما ثبت أقدامهم وتتابعت حملاتهم شعروا بحاجة إلى مراكز عسكرية عند الحدود ، فتطلع المسلمون إلى مد نفوذهم إلى الثغور وتحصينها وشحنها بالجند ، وتملأوا من السوابق التي قدمها أعداؤهم بين أيديهم في فنون القتال والتحصين والتنظيم وقد سجل ابن النديم في (بغية الطلب) بواد هذا التطور الهام ، فذكر أن جند حصن كان الجند المقدم وكانت قنشرين يومئذ نفرا والناس كانوا يجتمعون بالجالية لقبض العطاء وإقامة البحوث من أرض دمشق في زمن حمير وهشان ، حتى نقلهم إلى معسكر دابق معاوية بن أبي سفيان لقربه من الثغور ، وكان والي الصائفة وإمام العامة في أهل دمشق لأن من تقدمهم من أهل حصن وأهل قنشرين وأهل الثغر مقدمة لهم وإلى أهلها يتولون إن كانت لهم جولة من عدوهم ، وبدأت العواصم الخلفية والثغور الأمامية تأخذ مكانتها المتميزة في نظام الدولة الإسلامية ، فجرى ترتيب (الروابط) ببعضها وإرسال (الطوالع) إلى بعضها الآخر لتعسكر فترة في تعود ،

في ذمة الله "إمام المسلمين" للأستاذ عباس طه

كان فقيد الإسلام والمسلمين الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت موسوعة علم ودين وأدب ومعرفة ذخرت بعلوم اللسان والفقه الأكبر والفقه الأصغر، وشقى المعارف الإسلامية . وكان شأن الفقيد مع أبناء وطنه في عالم الإسلام والعروبة : يعمل في صمت أبلغ من كل كلام ، وأفصح من كل لسان ، وينشئ لأبناء جيله ومعاصريه وأعقابهم من بعدهم مثالا يحتذى ، وقبسا يستضاء به إذا ضل السبل على الحكام وشملت الحيرة قلوب أهل الخبرة ، فإذا نعيها فقيدها العالم الإسلامي إلى طلاب العلم ورواده وقصاده ونشاده ، فإنما ننحى إليهم فقيها عالما كانت البلاد

على الحدود بين دولتين

الصغرى والجزر المحيطة بها لمواجهة الخطر البحرى الإسلامى ، كما أنشئ من قبل البند البينظى البرى الأرمى (الأرميناق) لمواجهة الخطر البرى الفارسى ، كما حدثت تعديلات في تنظيم البند البرية البينظية لمواجهة الهجمات الإسلامية التي مهدت العاصمة ذاتها . وجاء العباسيون فتابعوا سياسة المروانيين في تحصين الحدود بالجند والمماقل ، يقول ابن النديم في (بغية الطلب) : « اعلم أن دابق كانت مجمعا لساكنة الإسلام في كل صائفة من زمن معاوية بن أبى سفيان ، فكانوا يجتمعون بها ، وإذا تكامل العسكر وقبضوا عطاءهم دخلوا حينئذ من الثغر إلى جهاد العدو ، واستمر ذلك في أيام بنى أمية ،

لاسيا في أيام سليمان بن عبد الملك فإنه أقام بدابق سنين وسير أخاه مسلمة لغزو القسطنطينية وكان يمدد بالعساكر إلى أن مات سليمان بدابق ، وبعد زوال ملك بنى أمية تتبع بنو العباس مدن الثغور وحصونها فعمروها وحصنها ، وغزوا غزوات مذكورة من نواحي حلب ، لاسيما أمير المؤمنين الرشيد ورحمة الله عليه ، فإنه اجتهد في إقامة الجهاد ، وأنفق الأموال الوفيرة في الثغور وأهلها ، وكان يقدم حلب ويرتب أمر الغزو منها ، وكذلك فعل المأمون بعده ومات غازيا بطرسوس ، وجاء المعتصم كذلك وفتح حمورية ، . فنحى عنهما

للعالم الإسلامي الجديد المتحرر بدونها ،
فكم وضع الراحل الفقيه من كتب . ورتب
من نظريات بحث فيها روح الإقدام والكشف
عن المجهول من المعارف الإنساقية والقضايا
الدينية التي لا يزال علماء المسلمين في العالم
الإسلامي يسعون لها من أقوم الطرق وأجداها
سلوكا إلى المقاصد العالية . وحسبنا دليلا
على أصالة ما نقول ، كتبه القيمة في العقيدة
والشريعة التي زخرت بها مكتبات الجامعات
ودور الكتب لينهل منها الصادون ويسير
على هديها السالكون وفي للصدارة منها :
تفسير القرآن ، والفتاوى ، والإسلام
والوجود الدولي للمسلمين ، والإسلام عقيدة
وشريعة ، والقتال في القرآن ، والمرأة
في القرآن ، بالإضافة إلى آرائه في الصحف
الواسعة الانتشار ، التي تلقفها العالم الإسلامي
وطلاب الحقيقة بالقبول في كل مكان .

وقصارى القول : أن الراحل الكريم
لا يزال في قلوب خلصائه وعارفي فضله حيا
بآثاره وجليل أعماله ، وأئن أضنى اليوم
في عداد الراحلين فهو في طليعة الأحياء ،
والناس موتى وأهل العلم أحياء .
رحم الله الفقيد وأجزل له المثوبة .

عباس طه

في أشد حاجة إلى الإفادة من مناهله العذبة
وعقله الحبيب ، وفكره الناضج .
عرفت الفقيد منذ أربعة عقود من السنين ،
فوالله ما لمحت فيه نقيصة تجافها الأخلاق
الكريمة ، ولا أدركت فيه انحرافاً عن الجادة
الواضحة ، ولا تمرداً على السجايا السليمة .
كان الفقيد عالماً متواضعاً ، سكوتاً ولكنه
إذا قال بـ القائلين بزم بنظرياته العلمية وبحوثه
الحالدة التي سبق له في سجل العاصحات من الأعمال
أبقى على الزمن الباقي من الزمن وأخلد في صحيفة
الأيام أثراً وأعطر ذكراً . عرفته في ساعة
النوازل جلدأ على الهوم ، تفرع الخطوب
صفاته فترتد عنها نابية كما ترد الكرة
عن الحائط إذا قرعتها . عرفته صامتا لا يشغل
نفسه بالدعاية العجاجة ، ولا يدل الناس
عل مبلغ ما أوتي من دسوخ في العلم وتفرد
بما لم يتفق لأحد من أشباهه ونظائره .
عرفته وقد وجه إليه هذا السكوت العميق
في صدر حياته سنوات معدودات ولكن
وضح أن صمته كان غير مطابق لواقع هؤلاء
بعد أن استبان لم أن الفقيد لم يكن صامتا
على المعنى الذي تواضع عليه سواد الناس ،
بل كان منصرفاً إلى وضع الخطوط الرئيسية
فيما تمخضت عنه البحوث العلمية الحديثة
وكشفت عنه النظريات الفلسفية التي لا قوام

مَا يُقَالُ عَنِ الْأَنْدَلُسِ

أَسْبَابُهَا الْمَغْرِبِيَّةُ

بقلم : انريكو سوردو

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتاب «أسبانيا المغربية» موضوع في وصف حضارة الأندلس على عهد الدول الإسلامية، وأكثر العناية فيه منصرفه إلى وصف حضارة العمران وحضارة المعيشة وما تنسج له من مظاهر العرف والمادة ومظاهر العلاقات بين أبناء المدينة وأبناء الأسرة، وأكثر ما يكون ذلك في مدنها الثلاث الكبرى، وهي قرطبة وأشبيلية وغرناطة، وإن كان المؤلف يلم أحيانا بما يتصل من قريب بهذه الحضارة في المدن الأخرى من قبيل طليطلة وقادش وبلنسية، وما عداها من أطراف الريف.

ماذا يزيد عليه الكاتب المغربي الأصل لو كتب في هذا الموضوع وأراد أن يودع فصوله وثنايا سطوره ما يجيش في صدره من خواجج الحنين والفخر والإعجاب بآثار ذلك الماضي العزيز على بنيهِ، إذ يكاد القلم العربي أن يقصر عن الزيادة عما أودعه المؤلف كتابه من تلك الخواجج الناطقة خلال السطور في غير تكلف ولا انتباه، ولولا خطرات هنا وهناك يلوح فيها أن المؤلف يخالف العرب في دينه ولغته وجنسه لسبق إلى ذهن القارئ أنه يستمع إلى أغنية من أغاني الحنين الذي قيل في زمانه :

ويجب القارئ وهو يتصفح هذا الكتاب ويقلب ما احتواه من الرسوم والنقوش والصور والتماثيل التي بولغ في الاعتناء بها على مثال لا يقع للنظر على ما يشهده في غير الآثار المقدسة عند أبناء الغرب من المسيحيين.

جادك الغيث إذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما
في كرى، أو خلسة المختلس
ويبدو مما يورده المؤلف من بعض الأمثال الجارية على الألسن إلى اليوم أنه ليس بالغريب

فيقول عن صناع الأندلس اليوم إنهم لا يزالون ينتفعون بما تعلموه من العرب والبربر من صناعات النسيج والفخار والآنية والجلود وصياغة المعادن وتزيين الأخشاب ، ويثبت الرومان فضلهم في تنظيم موارد الماء للرى والشرب والسقاية ، ولكنه يعود فيقول إن غلبة الماء ، في التوافير وفي الجداول المصنوعة وفي الحدائق العليا والسفلى إنما كان ظاهرة « الصحراء » التي يبلغ الماء فيها ما ليس يبلغه في مكان ، من أرواء غلة الأعين والصدور .

ويشيد المؤلف بما اتسمت به الحضارة العربية من قوة الشعور بالحياة الحسية والحياة الفكرية في آن .

ويطيل الوقوف عند ظاهرة « الطرب » ، السماع ونفحات الأصوات والآلات ، فيروى ما يرجحه بعضهم من أنها أصل كلمة « الطربادور » التي تطلق على الشعراء المنفذين بين جنوب فرنسا وشمال البلاد الأسبانية ، ويشير إلى ما تخيله بعضهم من أنها تتصل بمادة « طاب » العربية بمعنى « طيب العيش وطيب الشعور » ، ثم يعود فيقول إن هذا الشعور الذي يدل على قابلية النفس للاحتلال بالحسوية والإحساس بجمال الحياة لم يخلفه اليوم غير ثورة الحس في حلقات مصارعة الثيران ، وغير أناشيد الرقص في الحانات ،

المنفردين أبناء قومه بتلك الأحلام التاريخية ، فإنه يذكر أن أبناء غرناطة في هذا العصر لا يفسون الأسوة بمصاحب غرناطة العربية كلها حريتهم فاجحة قومية يتطلبون فيها حسن الأسوة ، فإنهم يرددون بينهم كلمة تسهر في لفظها ونميتها مسير الأمثال ، ويقولون : « لقد كانت البلية بغرناطة أفدح وأنكى ، ... » كأنهم ورثوا هذه الكلمة عن السنة العرب ثم تناقلوها بفهم تبديل فيها ، أو كأنهم ذكروا البلد ونسوا من أم أولئك المصابون فيه ، ولا حاجة بهم إلى جهد من الذاكرة يلفتهم إلى هذا النسيان ، لأن معالم المباشرة البيتية في أكبر العواصم الأسبانية على عهد العرب لا تزال على ذلك العهد إلى اليوم ، سواء في تنظيم طرقاتها أو تقسيم بيوتها والارتفاع بمساكنها ، وكأنما بقيت محارم الحجاب على حالها كما كانت تثبت في أيام العرب ، فلا تزال المنافذ بين الغرف والحجرات وبين الشارع والسوق كأنها تلك المنافذ التي تستر وراءها مقاصد الحريم .

ويحاول المؤلف ، لو استطاع ، أن ينسى من سبق العرب إلى إقامة الحضارة بتلك البلاد ، ومنهم أسلاف من الرومان والقوط ، ولكنه ينازع القلم إلى ذكرهم ليقول : إن العرب قد صنعوا ما لم يصنعوه ، وقد سبقهم في شوط الارتقاء وإن لحقوا بهم في أزمنة التاريخ ،

ستين ألف كتاب من المصنفات المنسوخة أو المنقولة أو المؤلفة ؛ وأن عدد الكتب في بعض المكتبات التي جمعها خليفة من الخلفاء لم يكن يقل عن أربعائة ألف كتاب ، وكانت منها كتب كثيرة في غير المباحث الدينية ، أثارت جماعة من الفقهاء المزمعين فأرضاهم المنصور بإحراق المئات منها .

ويرى المؤلف أن الثقافة العربية غلبت على كل ثقافة تقدمتها في بلاد الأندلس المغربية ، ولكنها كانت في بعض المدن تنزع المدينة من صبغتها الرومانية التاريخية لتقيم فيما نمطا من الحضارة يذلل فيه التوازن بين الغرب والشرق كما غلب من قبل في القسطنطينية وهو اصم الدولة البيزنطية .

واتقل المؤلف من الثقافة عامة إلى ثقافة الفنون الجميلة فبنى كل ما يشاع في الغرب من محرم الإسلام للاشتغال بالفن الجميل . وقال : « إن الغرب تشيع فيه فكرة عامة لحواها أن الديانة الإسلامية تحرم كل التحريم صور الأحياء ، وكل ما ثبت ثبوت اليقين في هذا المعنى أن التماثيل الدينية محرمة في هذه الديانة ، وفيها هذا ذلك لم يرد في القرآن آية واحدة تؤيد ما يشيع بين الغربيين ، وإنما ورد في الأحاديث النبوية التي ترجع استقصاء الكثير منها إلى القرن الحادي عشر الميلاد ما يفيد استنكار النحت والتصوير . »

تخللها صيحات « ووالى . ووالى . » عند الفسوة والاستحسان ، وما هي إلا تحريف لسكطة الجلالة التي كان من عادة العربي أن يهتف بها لإبداء إعجابه بكل جميل : الله . الله . ويسرف المؤلف في تعظيم هذه الحاسة ، الجميلة عند العربي فيروى من أقاصيصها ما يصدق وما لا يصدق من أخبار الخلفاء والأمراء ، وينقل من ذلك ما قيل من شق الثياب والصياح بنداؤه الباعة والخروج من الحفلة والعردة على الندماء ، ويضيف إلى ذلك ما يرويه عن أمراء بغداد ودمشق وأمراء المغرب وإفريقية ، وأعجبه ما رواه عن رجل من حاشية الملوك التي تحسن ضبط الصدور في موقف الطرب والغضب ، فنقل عن أحدهم أنه نسي نفسه فهجم على المعنى في حضرة الملك وأخذ في تقيله ... وهرض نفسه بذلك للقتل العاجل ، لأن ذلك المعنى كان سجيناً متهماً بالخروج على الأمير ، واحتال على أسماع الملك ببعض فتاته لعله يعفو عنه ويستبقه ...

أما الحياة الفكرية فقد أطلب المؤلف في مرد أخبارها كما أطلب في سرد أخباره عن الحياة الحسية ... ومن ذاك أن قرطبة كان فيها مائة وسبعون امرأة يكسبن وزهن بنسخ الكتب غير الرجال ، وأن المدينة كانت تخرج في كل سنة ما لا يقل عن

هذا الموضوع ، ونفى به موضوع المخلفات الماثورة في مدن الحضارات التي يقول الحنين إليها بين أبناء العصر الحديث حنين القلوب والضمائر نارة وحنين العقول والأذواق نارة أخرى ، ومنها أثينا اليونانية ، والبندقية وبومبي اللاتينيتين ، وبكين الصينية ، ومن العواصم الإسلامية مكة المكرمة Mecca the Blessed المدينة المنورة Maiden the Radiant ملحوظا في ترجمة اسميهما أن يكون كل منهما متبوعا بصفته التي اشتهر بها في اللغة العربية .

ولم - نطلع - بعد على هذين الكتابين الآخرين ، ولا ندرى كيف يهتدى مؤلفاهما إلى التمييز بين ما في المدينتين من معالم القداسة ومعالم الحضارة ، ولكننا نعتقد بما اطالعنا عليه من نماذج هذه السلسلة أن عرض الحضارة العربية على هذه الصورة في الغرب أصح لتعريف الغربيين بمفاخرها من نشر التواريخ المفصلة ، لأن الالتفات إلى مظاهر الفخامة المحسوسة وآيات الفن الرائعة أهم وأقوى بينهم من الالتفات إلى مآثر الروح والضمير .

عباس محمود العقاد

ثم يتوسع المؤلف في بيان المواضع التي تقبل فيها الرسوم والنقوش مع انتفاء شبهة العبادة والتفديس .

ويشتمل الكتاب على أكثر من مائة صفحة كبيرة محلاة بالصور الملونة أو بالنقوش الهندسية المحكمة ، تلحق بها الشروح التاريخية والتحليلات الفنية ، ويوشك أن يحيط بكل ما بقي في بلاد الأندلس من الآثار الإسلامية ولا سيما المساجد والقصور ، وتظهر في بعضها نقوش الكلمات العربية واضحة للقراءة مع تتبع الخطوط بينها وبين ما حولها من رسوم الزينة وحقود البناء ، وهي - فيما نرى - أفصح من كل ما اقترن بها من الشروح والتحليلات في الارتفاع بإعجاب المعجبين إلى ذروة الشعور بجمال تلك الحضارة ، وغاية الاستحسان لذلك الذوق الفني الذي انبثت منه ، وفرد الحنين إلى تصور العهد الذي كانت فيه هذه الآثار عماراً حياً يزدحم بمن فيه ، وتحيط به الدنيا المقبلة وهي مترعة بالنعمة والرخاء .

وكتاب « أسبانيا المغربية » الذي أخرجه طابعوه في هذا الوضع من الزخرف الجميل والأناقة الفنية إنما هو حلقة من سلسلة متناسقة معدة لإبراز الآثار الفنية في مثل

مَحَابِرُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

فِي عَيْدِ النِّصْرِ :

تَحِيَّاتٌ لِبُورِ سَعِيدٍ

لِلأَسَازِ حَسَنِ جَادٍ

فطاروا هباءً ، وولوا سراعاً	سلام على أرضها الطاهرة
ودارت على المعتدى الدائرة	ووقفنا الحرة الباهرة
° ° °	مثال الفداء ، ورمز الإباء
لقد أقسمت قبل ألا تهون	وعنوان ونبتنا الطافرة
وآلا يدنسها المعتدون	وقلعة أحرارنا الثائرين
فهبت لتحصدهم في الفضاء	على سطوة الدول الفادرة
وفي ضفة البحر أوفى السفين	مفاليك صهيون وانجلترا
وفي كل فج ، وفي كل بيت	وثالثة في الحنا تاجرة
وبين خباياهم والحصون	تصدت لملتهم بور صعيد
وكانت لهم رصداً كلنون	بعزلة أبطالها الثائرة
ومقبرة لحصيد المنون	شباباً وشيخاً وطفلاً صغيراً
فكانوا على موعد للفناء	وانثى على غدرهم صابرة
مظلاتهم كفن الماطلين	

وبرت مدينتنا باليمن ولما أبادت قلوب الطفلة
وماخفضت للطفلة الجبين مشى فوق أشلائهم والرمم
وقامت وأصنى إليها الزمان * * *
تردد أنشودة الظافرين سلام لأرضك يا بور سعيد
وبورك هذا الكفاح المجيد * * *

لقد أصبحت مثلاً في الأمم سمعت الظلام ، وصنت السلام
لمز الإباء وحر الشتم بعزم الأسود وبأس الصمود
وصبر الكفاح ، وبأس النضال ودافعت عن مصر كيد الطفلة
ونار الحمية في المصطدم وحقت بالنصر حر الوهود

فأ راعها زحف دبابه وسطرت بالدم فوق ثراك
ولا مدفع قاذف بالحجم سطور الفدا في سجل الخلود
ولا طائرات نصب الفناء فقوى انهضى وأصنى للوجود
على الآمنين بها ، والمدمم حياة السلام وأمن الوجود

على سمعها كان قصف المدا وفي ذمة الشرق يا غر مصر
فع أحلى رنين وأشجى نغم دماء الجريح وروح الشهيد
لقد صمدت في الكفاح المرير سلام لشعبك في الخالدين
ودروعت الظلم حتى انهزم وبورك نصرك يا بور سعيد

من جاد حسن

فَقِيْدُ الْإِسْلَامِ

الْإِمَامُ الْأَكْبَرُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَلِيتُوت

لِلْأَسْتَاذِ حَسَنِ جَادٍ

أَذْهَلَنِي الْخُطْبُ فَرَمَى الْكَلَامُ
وَجَلَّ عَنْ شَجْوِ الْمَقَالِ الْمَقَامُ
قَدْ يُفْهَمُ الْهَوَلُ إِذَا أُطْبِقَتْ
عَلَى دِيَاغِيهِ الْغَوَاشِي الْجَلَامُ
يَا شَاهِرَ الْفَصْحَى أَقْلُ الْكِنَا
أَفْصَحُ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ الْحَلَامُ
آمَنْتُ بِآفِهِ . . . وَمَقْدُورِهِ
فَا لَحَى غَيْرِهِ مِنْ دَوَامِ
نَسِيرٍ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَوْعِدِ
هَلِي بِسَاطِ أَرْبَعِي الْمَدَامِ
سَاقِيهِ لَا يُخْطِئُ . تُدْمِنَانِهِ
وَكَفِّهِ نَفْرَعِ جَاماً بِحَامِ
وَكَلَّمَا غَادَ عَلَى وَرْدِهِ
كَأَنَّهُ صَادٍ يَرُوي الْأَوَامِ
وَنَقْشَ الْعَمْرِ احْتِرَاباً وَمَا
فِي الْمَوْتِ مِنْ بَعْضٍ وَلَا مِنْ خَصَامِ
يُعَانِقُ الظَّلَامَ مَظْلُومِهِ
وَيَجْمَعُ الْأَعْدَاءَ فِيهِ السَّلَامِ

حَيَاتُنَا وَمَضَى وَاحْمَاؤُنَا
خِيَالُ أَطْيَافٍ وَرُؤْيَا مَنَامِ
مَا بَيْنَ مَهْدِ الْمَرِّ أَوْ لَحْدِهِ
دُنْيَا رِضَاعٍ وَالْمُنَايَا فِطَامِ
وَالْحَى مَيِّتٌ إِذْ يَبْحَثُ الْخَطَا
إِلَى الْمَصِيرِ الْحَتَمِ بَيْنَ الزَّحَامِ
وَيَسْتَوِي الْخُتَالُ فَوْقَ الْآثَرِ
حَيّاً وَتَمَنٍ يَرْقُدُ نَحْتِ الرَّجَامِ
وَهَبَقَرَى بَيْنَ أَهْلِ الْفَنَى
وَجَاهِلٌ يَمْرُجُ بَيْنَ السَّوَامِ
. . .
يَا حَادِي الْمَوْتِ بِأَيِّ الْوَدَى
أَوْدَيْتَ؟ أَصْبَحَتْ قُلُوبُ الْأَنَامِ
طَوَيْتَ مِنْ أَرْوَعِ أَهْلَانَا
عَنَا لَدِمْنَا ، يَا لَهْ مِنْ إِيَامِ ؟
الْعَالَمُ الثَّبَتُ الْفَقِيهِ الْفَنَى
كَانَ لَدَيْنَ آفِهِ أَقْوَى دَعَامِ

والثائر الحر الذي لم يان
في الحق أو يأخذه فيه الملام
والساطع الرأى يحل به
مشاكل العصر ويحل الظلام
والداغ الحيف يصمى بها
مُشابه الشك ويفرى السهام
وواسع الأفق ، بعيد المدى
وساحر القول ، فصيح الكلام
يجعل الصوت الرحيب الصدى
كرارة الضغام بين الإجام
كم هز أسمع الورى رجه
فاستيقظ الغاف وهب النيام
ياراقداً في الخلد تحت الثرى
وذكره يسطع فوق الغمام
لما قل من هزمك غير الردى
وربما قل الحسام الحسام
حتى إلى ساحك في غفوة
فأسكت الصوت الشديد العوام
وصاح ناعيك بسمع الدنى
فأقول البيت وضح الشام
أبيك الإسلام في رزته
وقد دعاه اليوم مُخطب جسام

أبيك للخائر في دينه
عمرته الحق فصلى وصام
أبيك يا (عمود) ، ليت البكا
يهدى انتفاعاً أو ينيل المرام
فيا عصى الدمع أسعف لظى
مهجتى الحرى وأطف الضرام
بعض الوفاء الحر من شاعر
يحل فيك الأريهتى الهام
أوليتنى الحب ، ويا طالما
أطربت شعرى في بديع النظام
وكنت تبغى هبرة في الردى
فهل وعيت اليوم وعظ الحام ؟
ياساهر الشكوى على جرحه
ثم فالحنايا للجراح التئام
ويا حليف السهد من سقمه
لا تفك بعد اليوم مهد الصقام
بلغت أقصى راحة فاسترح
لدى حى الله بدار السلام
الله يمزيك بإحسانه
عنا ، ويلفك بحسن التئام
صم جاد صم

الكتاب

الحياة الأدبية في ليبيا (*)

تأليف: الدكتور محمد طه الحاجري

عرض وتحليل : الأستاذ فوزي عبدالقادر البيلادي

يبدأ الكتاب بمقدمة قصيرة يقرر المؤلف حقيقة هامة تبدو غريبة لدى الكثيرين : (يعتبر قيام السنوسية في ليبيا مبدءاً تاريخياً الحديث - وكذلك هو مبدءاً الحياة الأدبية الحديثة فيها ...) .

ويضم المؤلف هذه الحياة إلى مراحل ثلاث : الأولى : مرحلة العهد السنوسي الأول منذ قيام السنوسية حتى الغزو الإيطالي :

الثانية : مرحلة الاستعمار الإيطالي .

الثالثة : مرحلة ما بعد هذا الاستعمار منذ سقوط الحكم الإيطالي حتى اليوم .

وروجه الغريبة فيها تقدم أن تاريخ الحركة السنوسية يكاد يكون مجهولاً في العالم العربي إلا من بعض مواقف خاصة بكفاح الاستعمار الإيطالي في فترة ما قبل الحربين العالميتين الأولى والثانية يشعر المؤلف مدى الغموض الذي يحيط بهذه الدعوة وهل الأخير في مراحلها الأولى فيجمل ما غمض من ذلك التاريخ بالقدر الذي يسمح به منهج الدراسة الأدبية .

الأستاذ الدكتور محمد طه الحاجري أستاذ الأدب العربي بجامعة الإسكندرية قضى بضع سنوات في الجامعة الليبية كأستاذ بكلية الآداب بها وقد أتاحت له هذه السنوات فرصة دراسة الحياة الأدبية في ليبيا ماضياً وحاضراً من قرب كما يسرت له مهمة الاطلاع على كثير من المراجع والمؤلفات التي سجلت جوانب مختلفة من هذه الحياة فلا غرو حينما يعود إلى أرض الوطن ويدهي إلى لقاء محاضرات على طلبة معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة أن يكون موضوعه المفضل (الحياة الأدبية في ليبيا) (الشعر) ولعل الأستاذ الدكتور محمد طه الحاجري يعمد في سنوات تادمه إلى إعداد دراسة أخرى عن النثر وقيام بحق هذا الفرع الهام من فروع الأدب ووقام بحق الحياة الأدبية في ليبيا ذاتها .

(*) مطبوعات معهد الدراسات العربية العالمية ... جامعة الدول العربية ... مطابع دار النشر للجامعات المصرية ١٨٠٠ صفحة من القطع الكبير ...

أفادت السنوية وجعلت منها مراكز دينية وثقافية وكان فيها الحلقات التي تنعقد في المساجد تلقى فيها دروس الفقه وتقرأ فيها كتب التفسير والحديث وما إلى ذلك وكان فيها المدارس النظامية التي أُنشئت في العهد التركي الأخير كما كان فيها إلى جانب ذلك بعض المدارس التي أنشأها الإيطاليون في بعض مدن طرابلس .
ويقتل معك المؤلف بعد ذلك في رياض الشعر الليبي في مراحل نهضته المختلفة وهو أساساً موضوع البحث ، ويبدأ بقصيدة مفسوبة إلى مؤسس النهضة نفسه السيد محمد بن علي يقول في مطلعها :

إلا إنما الدنيا غضارة أيبك

إذا أخضر منها جانب جفا جانب
هي الدار : ما الآمال إلا لجائع

علينا ولا الذات إلا العطائب
وما هذه الأولاد والمال والمنى
لدينا ولا الآمال (٢) إلا المصائب

فلا تكتحل عينك يوماً بعمرة
على ذاهب منها فإنك ذاهب
ومن شعراء المرحلة الأولى الذين عاصروا صاحب الدعوة فالح الظاهري الذي قدم الحجاز مع أستاذه سنة ١٨٤٦ م ويشير المؤلف إلى أن معظم شعر فالح قد ضاع شأنه في ذلك شأن غيره من آثار هذه المرحلة لكن ما بقي منه يدل على شاعرية صادقة وقدرة على صياغة الشعر صياغة صرية جريئة ، ويدلل المؤلف

في القسم الأول من الكتاب وهو الذي خصصه المؤلف للمرحلة الأولى يعرفك المؤلف بصاحب الدعوة السنوية السيد محمد ابن علي السنوسي ويبين لك كيف أن حياته تقع في أربع مراحل تبدأ في مسقط رأسه ومرماه ومفتته في الجزائر والمغرب وتنتهي في ليبيا وتنتقل فيما بين ذلك بين بلاد السودان والمغرب الأدنى ومصر والحجاز واليمن .

وبعد أن ينتهي المؤلف من عرض حياة صاحب الدعوة ومنشئها يقف قليلاً ليقرر أن (النهضة الحديثة التي أتت للشعوب الإسلامية في القرن التاسع عشر كانت تقوم على عاملين رئيسين : أحدهما الاتجاه نحو القديم ومراجعته وإحيائه والآخر تأثير بالحياة الأوروبية في مناهج تفكيرها وإنماط سلوكها وكان أمر هذين العاملين متفاوتاً بين هذه الشعوب كما كان متفاوتاً في ميادين النهضة المختلفة بالقياس إلى الشعب الواحد) ...

ويتساءل بعد ذلك ؟ ما هو موقف النهضة الليبية من هذين العاملين وتطورهما ؟ ويجب على ذلك بأن ارتباط هذه النهضة بالبدعوة كان من الطبيعي أن ينأى بها عن العامل الثاني وإنما كانت تقوم على إحياء القديم وذلك بالرجوع إلى المناهل الدينية الأولى والمصادر الأصيلة للإسلام ، ومن خلال القسم الأول للكتاب تعرف أنه كان في ليبيا أكثر من بيئة عليية كان فيها الزوايا التي

و يمالئ لانه لا يملك إلا ذلك ، ولكن قلبه
يمتلئ حقداً وكرامية لجلاديه .

والمعجب أن هذا الصراع الذى دار فى أحمق
كثير من الشعراء فى ذلك الوقت ظهر بصورة
جلية فى بعض قصائدهم ، ومن ذلك قصيدة
للشاعر محمد المنقارى يقول فيها :

تكلفت مدحا للثيم ولم أكن

مواليه والله يدرى دغائلي
مدحت لثيم النفس لا عن محبة

ولكنه المبهوض عند الأمانيل
ركبت الذى يخنى على الناس سره

وتفسيره قول لبعض الأفاضل
إذا ما يد عزت عليك تالها
بطلع قبلها وذا فـ لـ عاقل

ركبت ذنوباً فى مديحى وربها

أجاب إليها توبى عن رسائل
فأقلت قولاً من ضميرى وإنما

يكلفنى الخنزير شر الحاصل
يكلفنى أن نمدح الشاه ذئبها

وتشكره إن تائها بالختال
ألا قبح الله الوظيفة أنها

تكلفنى أطراء أهل الرذائل
وفى بداية الحديث عن المرحلة الثالثة

وهى المرحلة التى تلت هزيمة الإيطاليين ببرز
المؤلف أهمية الدور الذى لعبته جمعية عمر
الختار التى أنشئت فى مدينة بنغازى فى شهر
أبريل سنة ١٩٤٣ ، وكانت تضم مجموعة من

على ذلك بأيات من قصيدة له فى الحبس
بعث بها من الحباز إلى ليبيا :

سوى طيفكم ليلاً فما تاه فى المسوى

على بعد ما بين الجمالين والحر
عجبت له أنى امتدى لى ويننا

مهامة ينزو الوهم عن جعلها مسرى
أحبابنا واه ما غير الفتوى

وداوى ولا أخلت بلادى لكم ذكرا
أهش لريح الجربياء إذا سرت

وإن أضربت فى القلب من ناركم جراً
ويبدأ المؤلف الحديث عن المرحلة الثانية

بسطور باكية دامية من الاعتداء الوحشى
الذى وقع من إيطاليا على الشعب الليبي

فى خريف سنة ١٩٤١ ، ويرد ضعف الحياة
الأدبية فى هذه المرحلة - مرحلة الاستعمار

الإيطالى . إلى أن الشاعر أو الأديب عامة كان
بين أمرين إما أن يتلقى السلطات الاستعمارية

فيقول الشعر فى تمجيدها والإشادة بها ،
أو يديج الفصول فى تبرير أخطائها ، وإما أن

يسكت سكوت الصبي العاجز حتى لا يعرف
عنه أنه شاعر أو أديب ، وحتى لا يتعرض

لهذه السلطات وتهده فى حياته أو أرزاقه .
وقد اضطر بعض شعراء المعصرت تحت ضغط

الظروف إلى مدح الدولة الباغية وزعيمها
موسوليني ، لكن الشاعر منهم ما كاد يخلو

إلى نفسه حتى يحس بوخز الضمير يقضى
مضجده فيبرر مسلكه بأنه إنما كان يداهن

أيها البلبيل ما هذا الجسود
 أين تمر يدك بين الشجر
 أبعث الألحان في هذا الوجود
 وأملأ الدنيا نشيدا وسر
 لا تطلقهما للحرب أو سلام
 وأترك الدنيا بأهلها تموج
 في هراك دائم أو في خصام
 تحت سطح البحر أو فوق المروج
 صيرون كما سر الكرام
 في طريق ما لهم منه هروج
 هي نفسى هل ترى لخير يسود
 فيه عدل الله ما بين البشر
 أو يسود الشر والدنيا تعود
 لحياة ليس فيها مستقر
 وبعد فإذا كانت إقامة الدكتور الحاجرى
 بالبنيا قد أتمحت له فرصة نادرة للاتصال
 بأسباب النهضة الأدبية ومراجعتها كما أشرنا
 إلى ذلك في بداية المقال فإن القارئ يشعر
 بعد أن يفرغ من قراءة الحياة الأدبية في ليبيا
 أن مؤلفه قد بذل جهدا ضخما في سبيل الوصول
 إلى مادة هذا الكتاب ولم شعث الآثار
 المتناثرة لشعراء هذه الفترة وأنه بذل أيضا
 جهدا أكاديميا صادقا ليخرج من هذه الآثار
 بدراسة علمية متكاملة تؤرخ لفكرة هامة
 من تاريخ الأدب العربى المعاصر وتستحق
 أن تأخذ مكانها عن جدارة بين المؤلفات
 الأدبية الجادة في المكتبة العربية الحديثة .
 فوزى عبد القادر الميلاوى

الشبان المتحمسين العائدين من المهجر والذين
 شاركوا في الحياة المصرية بمجوانيتها المختلفة
 سياسية وثقافية ويتوثبون نحو مجد سياسى
 وأدبى يحققونه بلدهم وبمجموعة من الشبان
 الذين عانوا الاستعمار الإيطالى .

وبتحدث المؤلف عن هذه الجمعية فيقول
 (لا يملك دارس الحياة الأدبية في ليبيا
 في هذه الفترة أن يغفل هذه الجمعية فإن تاريخ
 ليبيا في فترة الانتقال هذه مرتبط بها أوثق
 الارتباط لا في الناحية السياسية خشب بل
 في الناحية الثقافية عامة الأدبية خاصة .

ويلخص بعد ذلك نشاطها الثقافى في أصول
 ثلاثة : التعليم ... الأندية ... الصحافة ويقسم
 المؤلف شعراء هذه المرحلة فريقين فريق
 الشعراء الذين يطلق عليهم الشعراء
 المنضمرين إذ كانوا قد أدركوا العهدين وفريق
 الشعراء الشبان الذين ظهرت مواهبهم في هذه
 الفترة وأنه كانت نشأتهم في العهد الإيطالى .
 ومن الشعراء الشبان الذين لهم في هذه
 الفترة إبراهيم أوسطى وهو قول المؤلف أنه
 (قد لا يكون هناك غيره أتبع له أن يغالب
 الأمية والجهالة فغلبه ما وصار من بعد شاعرا
 فيكون إبراهيم هذا انطلا على حدة وطرازا
 في هذه الفترة) .

ومن قصيدة إنسانية لهذا الشاعر نظمها
 وهو في عجم الجيش الليبي في وادى المنطرون
 هذه الأبيات ...

تاريخ المغرب الكبير

بتأليف: محمد علي دبور

عرض وتقديم: الأستاذ علي مجيبي معمر

ثورة أخرى تنبثق في الجزائر ، ثورة على ظلم التاريخ ، هذا الظلم الذي طال أمد حكمه وامتد زمن سلطانه ، وتوطأت له الأكثاف ، فعاش في المغرب الإسلامي الكبير ، حقبة طويلة من الزمن ، تنفيذ المملوكية المتجبرة ، ونحدر له العقول المتجبرة ، وتساهده أيدي الاستعمار الخفية ، التي تسمى في الظلام ، كما تسمى الأقامى لتنفث السم في أجسام الضحايا الأبرياء .

والمغرب الكبير هو النصف الثاني من العالم الإسلامي ، هذا النصف الذي مد مشعل النور والعلم والحريّة ، ومبادئ الكرامة البشرية إلى الغرب ، فاختطف منه عن طريق إيطاليا وأسبانيا وفرنسا .

ثم تنكر له ووقف في وجهه موقف الوقح الجحود ، الذي تجرد من الحياة والإنسانية ، ثم تجاوز ذلك فرجع إلى هذه الأمة التي مدت له قبس النور والحياة - رجع إليها بالبهتان والعمدوان وزعم الاستاذية ...

قلبك إن ثورة أخرى انطلقت في الجزائر ، تحطم الظلم ، ظلم التاريخ الذي زيفته أقلام

ولئن قام أبطال الثورة المسلحة في جبال أوراس يحطمون رؤوس الاستعمار ، الذي حكم البلاد بالحديد والنار ، فلقد انبثقت من القرارة أبطال ثورة أخرى يحطمون مآدسته الأفكار المنحرفة ، والدعاية المفرضة ، والأفلام المستعبدية ، التي تحدد للظلم ، وتسير في ركاب البغي ، وتزين للبدعة ، وتنتشر بين الناس الكذب والزور والبهتان ، وتذيع ما يبغى الخلاف والفرقة بين أمة تدين بدين واحد ، منذ دخل الفاتحون برسالة الله إلى المغرب الإسلامي الكبير .

تحدو بالنغم الرتيب لموجة عسكرية تسير في ركاب الاستبداد الذي يعطى كل الحقوق لنفسه ويحرم أصحاب الحقوق من كل حقوقهم .

وكان في طليعة هذه الثورة العلمية هذا الكتاب القيم الذي صدر حديثاً في القاهرة تأليف العالم الأديب الأستاذ محمد هادي دبور ، أحد المحاضرين في معهد الحياة بالقرارة في الجزائر .

قرأت الكتاب فوجدته ثورة لاهية تكاد تسمع فيه صليل السيوف في ثورات ماضية ، وأزيز القناويل في ثغورة الحاضرة التي حطمت القيود ، وطردت الاستعمار ، وأذلت فرنسا الباغية فطأ طأت من رأسها وأزالت من شموخ أنفها ، وجردتها من الغرور .

إن تاريخ المغرب الكبير ، كتاب تاريخ ولكن المؤلف سكب فيه حرارة دمه ، ونبضات قلبه ، وعصارة روحه ، وأجيج عاطفته ، هذه العاطفة الجياشة التي تزخر بالحلم وتزخر بالبغض ، وتزخر بالاحتقار .

تزخر بالحلم لأولئك الذين حملوا معمل النور والمهذبة ، وميزان العدل والحق والحريّة والمساواة ، إلى هذا الشعب المغربي الكبير .

وتزخر بالحلم لأولئك الذين دافعوا عن هذه المبادئ في مختلف مراحل التاريخ ، فلم تخضعهم الملكية المقتسطة ، ولا الإمارة

المقتسطة من أبناء العلم ، ولم تقتل فيهم روح الكفاح غطرسة أجنبي يمزون بالقوة ، ويتسلحون بالبغي ، ويمشون بالدم البشري عجب السباع بدم الفرائس . حتى استخلصوا حقوق الأمة ، وأنهم أصداء الملكية ، وطردها الاستعمار كما يطرد الصقر الحقيّر فارغ اليدين من بيت عاصر بالثروة والمال .

وتزخر بحلم الأعلام القليلة التي لم تنخدع بالبريق ، ولم تغتر بالمظاهر فسجلت الحق للحق ، ووصفت الواقع للواقع دون تحيز أو زيف أو ميلان .

وتزخر بالبغض ، بغض أولئك الملوك الذين جلسوا على كراسي الحكم باسم الدين ، ثم ادعوا لأنفسهم حق التسلط والتملك ، تخافوا الله في أماناتهم ، وعاثوا في مقدرات الأمة ، ينجسون ويسرقون ويقتلون .

وتزخر بالبغض لأولئك الذين منحهم الله قوة في البدن ، وشجاعة في القلب ، وصبراً على المكاره ، فسخروا هذه القوى لعبيد الشهوة ، يزيدونهم بهاترفاً على ترف ، وفساداً على فساد .

وتزخر بالاحتقار لأولئك الذين وهبوا نعمة الذكاء فباعوا ذكاهم بمتاع قليل من الحياة الدنيا .

وتزخر بالاحتقار لأولئك الذين أوتوا علماً وأقلاماً فانحدروا عن كرامة العلم ،

وكتبا جديدا في التاريخ الاسلامي ، هذا التاريخ الذي أضافت على تشويهه - دون اتفاق - جهود المؤرخين الأقدمين الذين يسيرن حذائه في ، وإكسب الملوك الظالمين ، والحكام المستبدين . وجهود المستشرقين الذين يعرضون خدماتهم على الإسلام بسوء نية ، وخبيث طوية . وجهود أولئك الذين يحملون السنة فضيحة ، وأقلاما بليغة ، ولكنها متهمة بالمادية الغربية ، فهم يجهلون أن يستروا جمال الإسلام في الدولة المسلمة ، وأن يكشفوا عن هيوب الصفات بالإسلام وليست منه ولا من نظمه ، ثم يدعون إلى فتنة الغرب في شمع الحياة ليغزوا بهذا السراب هذا الشباب المتطلع إلى حياة كريمة .

وقد حفل هذا الكتاب الكبير الذي ألفه الأستاذ محمد علي في فترة من تاريخ المغرب . حفل هذا الكتاب بتصوير بشاعة الظلم ، وتغيير النفوس عنه ، كما حفل بالدعوة إلى دراسة تاريخ الإسلام ، التاريخ النظيف . تاريخ المغرب الذي وقف يتحدى الزمن بالصراع الطويل حتى تم له النصر ، فطم الاستعمار بثورة السلاح ، ونظف البلاد من أدرانها ، وحطم كيد الملوكة والاستعمار في تشويه حقائق التاريخ بثورة العلم ، فنظف الأذهان من أخطائه وإنا لنفتخر من الجوائز ما هو أكبر وأجدى .

علي محيي مصر

وأمانة العلماء ، إلى حواشي الملوك وعملهم وعملاتهم ، يروجون أكاذيبهم وينسبون لهم من الفضل ما هم بعداء عنه ، ويعرثونهم من جرائم قدرة ارتكبوها بأباها عليهم الدين والضمير . فشوهوا نصاعة التاريخ ، وغيروا وجه الحقيقة ، وظلموا من يستحق الشكر والثناء .

عاش المؤلف في الجزائر يكافح الاستعمار الفرنسي بكل أساليبه وحياله ودعاياته وأكاذيبه ، فدرس نفسية الجبابرة ، وعرف مقدار أمانة التاريخ ضد ما يسير في ركاب الظالمين ، ولذلك فقد استطاع أن يفهم كل العصور التي كتب عنها ، ويعرف صدق الحوادث وزيفها ، كأنما كان يعيش فيها ، ويفرق بين المؤرخين فيعرف من يثق فيهم ومتى ينزع منهم تلك الثقة حسب التوجيه السياسي في عصر كل واحد منهم .

وعلى هذا الأساس رجع إلى التاريخ القديم يبحث عن الحقيقة في نفسية الشعوب ورجال الحكم ، ولا يقتصر في تصحيح التاريخ على أقوال المؤرخين لحساب

وقد استطاع المؤلف بما أوتي من صعة الاطلاع ، والصبر على الدراسة ، والتمقيب الحفيا ، والدراسة النفسية للجماعات ، والدول والأفراد ، استطاع بكل أينا اليوم مجهوداً رائعا يعتبر لها نهضة المغرب الكبير .

انبثاء وآراء

مدول تراجم الأعلام

كتب أخى الباحث الأستاذ حسن جاد كلة في عدد رجب عن كتاب «الأعلام الشرقية» جاء فيها أنه منذ الزمن القديم ومعاجم الأعلام تواكب الأيام وتصاب القرون حتى القرن الثالث عشر، وذكر الأستاذ معاجم وضمت في تراجم هذه القرون ثم قال إن كتاب «حلية البشر في القرن الثالث عشر» للبيطار يترجم لأعلام القرن الثالث عشر. وإن المكتبة العربية بقي فيها فراغ للقرن الرابع عشر بتطلع إلى من يملؤه، حتى لا يطوى الفسيان أعلامه في عاهل الزمن، وإن الأستاذ زكي مجاهد قد نهض بهذا في كتابه «الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية».

ومع تقديري لمجهود الأستاذ مجاهد أحب أن أذكر انصافاً للحقيقة والتاريخ أن المرحوم أحمد تيمور باشا - وهو أشهر من نادر على علم كما يقولون - له كتاب عنوانه «تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر»، وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٣٥٩ هـ.

١٩٤٠ م، وقد ترجم فيه المؤلف لطائفة من الأعلام شهدوا جانباً من القرن الرابع عشر، ومنهم المشايخ: محمد الأشموني، وحسونة النواوي، وأحمد الرقاعي، ومحمد العباسي المهدي، وهلي البيلاوي، ومصطفى السفلي، وأحمد أبو خطوة، وغيرهم. رحمة الله على الجميع.

أحمد الشرباصي

تعليق على نقد:

السيد رئيس تحرير مجلة الأزهر

بعد التحية... والتقدير

في عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٨٣ من مجلة الأزهر، قرأت قد لكتاني «المراة في الإسلام» بقلم الأستاذ محمد عبد الله السمان. ومع أنني من المقدرين لما يكتبه الأستاذ السمان على صفحات الصحف؛ وبما يذيعه في البرنامج الثاني، وبما يخرج من سلاسل وكتب تنزع الشئ والتقدير.

مع كل هذا أرجو أن يفسح لي صدره لمناقشته في وجهة نظره، وأن توسع لي مجلة الأزهر ركناً صفهاً في بنائها السابق أوضح فيه أيضاً وجهة نظري.

بالتمهيد فقد طهست معاملة بالاستقصاد الكثير وشوهت خلقه بالآباء العديدين .

بيد أن من أول شرائط البحث التمهيدى استعراض آراء السابقين ، بصورة حيادية لا تتدخل فيها ذاتية الكاتب ، حتى يقبهن الباحث الأرض التى يسير عليها ، وبعد ذلك يحدد موقفه من تلك الآراء ، فقد مخالفتها ، ولكنه أحيانا يوافقها ، وهذا ما حدث بالنسبة للتمهيد ، فقد رضيت عن الآراء التى سقتها ، فن نقل الدم إذن أن تكون لى شخصية فى أمر أوافق فيه هؤلاء الباحثين تمام الموافقة .

ثم إن التمهيد ليس هو صلب الموضوع ، فسا هو لإتمهيد يشبه « البرنس » الذى يلبسه المولود و « البرنس » قد يدل على الوليد ، ولكنه ليس هو نفسه ولا روحه . أما روح الكتاب فإني أزعم أن لى فيه شخصية ، يمكن أن تفسم من نقد الناقد نفسه إذ أنه أقر ما قلته عن بيت الطاعة ، ورفض ما قلته عن الطلاق ، وهذا ينبي عن أن فى الكتاب شيئا يستحق الإقرار تارة ، ويترضى للرفض تارة أخرى ، ويمكن أن تلحقها أيضا من عرض البرنامج الثانى لهذا الكتاب مساء ١١/٥/١٩٦٣ . فقد لقي من مجلة أخبار الأدب ، القبول لبعض جوانب شخصيته ، والضيق ببعض هذه الجوانب .

ولن أترضى للجانب الذى استحسنته الناقد من كتابي ؛ فهذا يعنى أننا متفقان عليه ، ولكنه من ناحية أخرى يدل على أن الأستاذ السمان ليس مغرضا ، فهو استحسنت شيئا أذاعه ، ومتى لم يرض عن شيء أذاعه . لن يضرني في شيء أن الموضوع ، تماورته مئات المؤلفات كما يقول الأستاذ الناقد ، إذ أننا مازلنا نعيش فى أوضاع مريضة وفئانى سلوكا عفنا . ولا عجب فى أن نسمع ونقرأ أن لجنة تعديل قانون الأحوال الشخصية ، تجتمع وتوالى اجتماعاتها هى أن تلتزم حلا لتعديل هذه الأوضاع وتخفيف هذا السلوك . وأنها بالفعل قد وضعت مشروع قانون نشرته جريدة الجمهورية يوم ٢٦ مارس سنة ١٩٦٣ .

وكل هذا يعنى أن بيت الطاعة ، وتعدد الزوجات ، والطلاق ، مشكلات نعيشها ، وأنها تستحق مئات المؤلفات حتى نصل إلى حل مقنع يجمع مجتمعنا أسى من أن تسيره الرغبات والشهوات .

ثم إن عنوان الموضوع ليس ميزانا للكتاب ، وإنما الميزان جوانية الموضوع هل هو مسخ مهزول لآراء السابقين ، أم أنها خلق جديد واضح السمات ؟

الأستاذ السمان يرى أنها مخلوق صفاح آباؤها كتب السابقين ، ويستهجد على ذلك

لن يعود عليه شيء في معرفة هذه الأسرار ،
ولن يضيق المتخصصين أن يعرف القاضى
عنهما شيئاً ، فلا تربطهما به صلة سوى تلك
اللحظة القصيرة التى يقفان فيها أمامه ، على
أنه إذا كان من حق الحكمين - كما قال الأستاذ
السيان : التفرقة بين الزوجين فإنهما في هذا
يصهان القاضى ، ويصبح الخلاف بينى وبينه
خلافاً لفظياً ، فليسبهما هو حكمين من حقهما
التفريق ولاسبهما أنا قاضياً ومستشاره من
حقهما التفريق أيضاً .

وختاماً أبدى تقديرى للأستاذ السيان
ولآرائه ، وشكرى لمجلة الأزهر لسميها
الملح في خدمة العلم والدين ؟

عبد المجيد إبراهيم

ليسانس دار العلوم - جامعة القاهرة

ثم إن الأستاذ السيان يضيق برأى الذى
يوجب جعل الطلاق بيد القاضى ، ويكتفى
- حرصاً على أسرار الزوجية - بإصلاح
الحكمين اللذين أشار إليهما القرآن .

وكفاه الله شر هذا الضيق ، فإن تدخل
القضاء في شؤون الأسرة أمر له سوابقه
في الشريعة الإسلامية المنظمة ، فن حق
القاضى أن يفرق بين الزوجين بالملاءنة ،
وفي حالة إصابة الزوج بالغة أو بغيرها . الخ .
فالإسلام يبيح تدخل القضاء في أمثال هذه
الأمور ، مع أن بعضها حساس ، كالملاءنة
التي يرى فيها الرجل امرأته بالزنا ، أو بنفى
حملها منه ، وكالإصابة باللعنة التي تمس جانب
الرجولة من الرجل ، فهذه الأسرار الحساسة
لا تمنع تدخل القضاء ... إذ أن القاضى
- ومن حقه أن يجعل الجلسة سرية -

لما أحبت بالخلد انفراد
صحائب ليس تنظم البلاد
أبو العلاء

ولو أنى حبيب الخلد فرداً
فلا هطلت على ولا بأرض

تقازى العالم الاسلامى بوفاة الإمام الأكبر

أوتزيد - أجلس إليه كبير أطبائه يشهده
على ما قام به من عمل فى سبيل الله ... قال
ووثوق المؤمن بربه المقبل عليه بنفسه : إننى
أقنيت العمر فى الدعوة إلى الله ، مفسراً
لكتابه ، مبصراً بدينه ، هبلغاً لرسائله
لتسكون كلمة الله فى كل قلب . لتسكون فى قلب
الطبيب ، وفى قلب العالم ، وفى قلب
السياسى ، وفى قلب الوطنى ... !
قال الطبيب : أشهد والمسلمون جميعاً
يشهدون ... قال : الحمد لله .

وافطلق الطبيب من مكانه ، وخلا الإمام
الأكبر إلى أهله ويوصيهم ويوجههم ... وكلما
دهوا له بالشفاء وطول البقاء علت وجهه
ابتسامة مؤمنة راضية وقال : إن الروح
تعرف طريقها إلى الله ... !!
ولم تنتصف الساعة العاشرة من ليلة
الإسراء والمعراج حتى عرفت روحه الطاهرة
طريقها إلى الله .

ومن الجامع الأزهر الذى تخرج فيه
عالمنا ، مكافأه ، وفياله شيعة جماهير
المسلمين جثمانه يلغهم جلال الموت وجلال

سلام عليك أيها الإمام الأكبر :

نداء إلى الله كان يصدع به صوتك ، ونداء
من الله كانت تستجيب له روحك ، وفى وداع
مستبشر من آثار عليك ذهبت إلى الله
نفسك ، وبين يدي نور أعمالك اختارك الله
إلى جواره .

فسلام الله عليك - أيها الإمام العظيم -
عالمنا ، وسلام عليك داعية إلى الله ، وسلام
عليك مجتهداً فى دين الله ، وسلام عليك
فى الملا الأعلى .

كنت على موعد مع لقاء الله ، وكان
المسلمون على موعد مع حديثك من إحدى
آيات الله .

كانت روحك تسبح إلى الله ، وكان
المسلمون يسبحون فى دلائل القدرة ، وجلال
العبرة التى كان يجليها فهمك ويصورها بيانك ،
ويجذب القلوب إليها صوتك القوي المؤمن .
فاهناً بالقبول ، واثق الفوز والكرامة
بشهادة صادقة من أثر لك فى الإسلام خالد ،
وعمل منك فى سبيل الله عظيم .

قبل وفاته - رحمه الله - بإثنتى عشرة ساعة

كان لوفاة الإمام الأبرار الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر رنة أسمى تردد صداها في كل نفس، ومس وقعها كل قلب، وأحس الفراغ العظيم بفقدته كل مجلس علم، كان له من اجتهاده نصيب، وكل مؤتمر كان له من رأيه الناضج وفهمه الصادق حظ، وكل مشكلة وجدت في سعة أفقه ونفاذ بصيرته الحل.

وعلى امتداد أربعين سنة أو تزيد عاشت في جلال نداماته إلى الله الملايين، واستمعت إليه محدثاً وموجهاً ومجدداً ومجتهداً وقرأت له باحثاً في الدين ومنقباً واستمتمت بسعة علمه وفقهه، وسماحة بحثه وشجاعة رأيه.

وفي وفاته مؤمن بكلمته جماهير المسلمين في كل بلد إسلامي، وتقاسمت الحزن عليه والعزاء فيه: ففي جريدة الاخبار كتب الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد تحت عنوان، إمام التوفيق والتقريب، قال:

... كانت رسالته أوفق رسالة لمن يتولى مشيخة الأزهر في زمانه، وهو الزمان الذي حق فيه لهذا المعهد الخالد أن يصبح في العالم الإسلامي كعبته العلمية مع كعبته المقدسة في مكة المكرمة، وتلك هي رسالة التقريب بين المذاهب^(١)، وتقدير مواضع الخلاف

(١) كان فضيلة الإمام الأكبر أحد المؤسسين لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة عام ١٩٤٧ م.

العلم ... جموع من الناس في موكب الوداع وسيل دافق من الخلق لا يمنهم من متابعة السير زحام، ولا يوقف تدافعهم بعد الطريق وطول الزمن ... ولكنهم في إصرار عنيد أبوا إلا أن يحملوا جثمانه على الأعناق وإلا أن يكونوا بين يدي أعماله في مستقر الصالحين.

إنها الروح المؤمنة تجد في قلوب المؤمنين مكانها، وقداسة العلم تنزل من القلوب منزلها، وجلال العلماء العاملين يحل من النفوس محل الإجلال والتكريم.

والإمام الراحل عرفته الدنيا بعلمه وعمله، واجتهاده وفهمه قبل أن تعرفه شيخاً للأزهر بلقبه ووصفه.

عرفه علماء الإسلام على اختلاف مذاهبهم حجة ثبّتاً، وعرف فيه رجال الاجتماع مصلحاً فذاً، وعرف فيه رجال القانون والاقتصاد والطب عالماً متحرراً، واسع الأفق، لطيف الفهم يمزج الدين بالحياة، ويشد الحياة إلى الدين فليس عجيباً أن يأمر العالم كله لفقدته، وأن يستشعر الحسارة والفراغ بموته، وأن يتقبل كل مسلم العزاء فيه.

فسلام عليك أيها الإمام العظيم يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حياً.

محمد النادى البدرى

* * *

وفي جريدة الأهرام كتب الأستاذ صلاح
دسوقي قال :

« لقد التقيت بالإمام الأكبر على صفحات
مؤلفاته ، والتقيت به عن قرب ، وكان لقائي
به في كلتا الحالتين لقاء إعجاب وإكبار .
كنت أراه رجلاً الحق والحقيقة ، رجلاً السلام
والجهاد ... رجلاً العقيدة والعمل .

كان يؤمن بأن الدين يبارك التطور الإنساني
والتقدم البشري ، وكان يؤمن بأن الدين
لا يقف أبداً أمام الانجذافات التحررية
التي يقوم بها البشر من أجل الحياة الأفضل
مادامت هذه الانجذافات لا تمس جوهر الدين
والعقيدة . »

وفي أخبار اليوم كتب الأستاذ كامل
الشناوى قال :

« كنت كلما التقيت بالإمام الأكبر الشيخ
محمود شلتوت أحسست أنى أواجه تقوى
فائرة تؤمن بالله والإنسانية والحياة . فقد
كانت عقليته متفتحة للمعرفة على اختلافها ،
وكان تبهره في العلوم الإسلامية وفهمه لحقيقة
الدين يثير الانتباه إليه ، ولم أعرف بين رجال
الدين من يفوقه في قوة الجدل ، وسلامة
المنطق ، والقدرة على الإقناع ، والاستعداد
للإصغاء إلى رأى المعارض بسماحة ذهنية
وصدر رحب . »

بينها بقدرها الصحيح الذى يمتاز به مع العلم
والإخلاص ، وشجاعة الرأى عن جود التقليد
وغلو المحافظة بغير وعى ولا دراية ، والذى
لا يمنعه عرفان الحق لإمام المذهب أن يعرف
للخالفين بعده حقهم في التعقيب عليه
والموازنة بين صوابه وما ليس بصواب بعد
صره أو في إبان عصره عن خطأ لا عصمة
منه الإنسان ...

ثم قال : ولقد كان يسعدنا الوقت في الفترات
بين مواعيد اللجان أحياناً أن نستمع إلى
رأى الشيخ في خلافاً الأئمة ، فلا نذكر
أنتا سمعنا من شيخ من شيوخ الدين رأياً
خيراً من هذه الآراء فيما اتفق لها من حرية
الفكر ، ومن حسن الأدب في تقدير السلف
الصالح ، من خالفه منهم ، ومن وافقه
على سواء .

وكتب الأستاذ محمد زكى عبد القادر قال :
التقيت بالمرحوم الشيخ شلتوت في أكثر
من مجلس وأكثر من مناسبة ، وجرت لي معه
مناقشات كثيرة عن الإسلام ومضمون
دهوته ، وفي كل هذه المقابلات والاساجلات
لمحت في الشيخ بصيرة متفتحة ، وذكاء وقادراً ،
وتحرراً لا يبلغ به حد إعجاب ولم ألمح فيه جموداً
هند نص أو حكم ، ولكن لمحت دائماً رغبة
في التوفيق بين الدين والحياة ، إيماناً منه
أن الدين هو الحياة .

وعبأه بالحكمة ولكن آثاره ستظل باقية
وروائه ستبقى خالدة.

كان الشيخ محمود شلتوت وارثاً أميناً لتعاليم
جمال الدين وشجاعته . وحافظاً مؤمناً لفلسفة
محمد عبده وجهاده . ولقى بعدهما من عنت
القصور واستبداد الحكام وغلو الرعية مثل
ما لقيّا فكان مثلهما فى صبره فى تمسكه بالحق
فى قيامه بأوامر الدين ووقوفه مع نواحيه
مثلما مجدداً شجاعاً أقصاه الحكام يوماً
عن وظائف الدرس وأقصوه عن حرمة المحمى
وعريضة الأشب فى صحن الأزهر الشريف
ولكنه كان ينافع فى كل مكان ويجاهد فى كل
مقام ولا يخضع لذنوى المقامات مهماطفوا .
إلى أن عاد إلى مكانه فى الأزهر ومقامه
فى معاهده واعتباره بين المسلمين مع ثورة
الشعب العربى . . فى نطاق قضائهما على جمود
الفقه وركود العقل واستغلال الدين . .

لقد حرر الشيخ شلتوت وحاب الأزهر
فدخلته الفتاة . ووسع مجال هدايته فجاء إليه
شباب أوربا وأمريكا . . ورفع صوته فبلغ
مشارك الأرض ومغاربا . . وأوضح سبيل
الدين فوجدت كل دعوة جديدة أصولها فيه
وانتهأ إلى . . رحمه الله وهوض الأمة
الإسلامية عن فقد الضخم .

وفى جريدة الرأى العام السودانية :

رحم الله العالم الجليل الشيخ شلتوت . .

وفى جريدة وطنى ، كتب الدكتور أحمد
عبد المنعم البهى قال :

« كان الإمام الأكبر يرى أن رسالة العالم
الإسلامى لا تقتصر على أداء دروسه ،
أو إلقاء محاضراته على طلبته فحسب ، فربما
كان هذا فى نظره أقل واجباته . أما مهمته
الأولى فهى هداية الناس وإرشادهم ونصحهم
وتوجيههم بإلقاء المحاضرات وجمع الكلمة
والقضاء على المنازعات وذلك لا يكون
إلا باندماج العالم فى هذه المجالات . »

* * *

وفى جريدة الثورة السودانية :

فقيد الإسلام الشيخ شلتوت :

قضت القاهرة أمس الأول يوماً حزيناً
وانتشر الحزن منها إلى جميع أرجاء العالم
العربى والإسلامى لوفاة فقيد الإسلام والمسلمين
للشيخ الأكبر والإمام الأشهر الشيخ محمود
شلتوت شيخ الجامع الأزهر رحمه الله .

سكت الصوت الذى كان يدوى بنور المعرفة
ويجلى بالدعوة إلى الله ولكن صدهاء
لن يخفت وجرسه لن ينقطع وأثره لن يموت . .
سكت القلب الذى كانت تنبعث منه الدعوة
إلى - الإسلام دين الحياة .

ولكن الحركة التى بعثها لن تهدأ والشرارة
التي أوقدها لن تنخبو . اختفى وراء الغيب
ذلك العقل المؤمن الذى طبع الله فيه العلم

إلا تصدى له بالقول الفصل عن دراسة صائبة ومبحث على مستوف وقدم فيه كتاباً يعتبر مرجعاً لهذا الموضوع .

وهو في كل ما يكتب يؤكد حقيقة هذا الدين الذي يصلح لكل زمان ومكان ، وإنه دين ودنيا ...

ولعل القراء يعرفون أنه بدأ في تفسير القرآن وأنه أكمل حتى الآن تفسير العشرة الأوائل من القرآن ، وما كان أروع من تفسير دقيق على مبسط يقرب فهم آى القرآن لكل ذى فهم عادى .

وكم تمنينا لو امتدت به الأيام حتى يكمل أداء هذه الرسالة السامية ويصدر تفسيره الكامل للقرآن كله ... ولما كان أجدره بتحقيق هذه الرسالة وأخلفه بها .

والمغفوق له الشيخ شلتوت يذكرنا بهؤلاء العلماء الأفاضل الذين برزوا في التاريخ الإسلامى أخيراً ، كجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ورحمهم الله جميعاً ، الذين تعمقوا في فهم رسالة الدين وأحاطوا بدقائق الرسالة الإسلامية واجتهدوا فيما يحق فيه الاجتهاد ، وأثار ذلك عليهم سخط الذين يكرهون التطور في أى صورة جاء ويفسرون كل ما يختلف في فهمه أو لم يرد فيه نص جازم بما يوحى بالجمود والوقوف عند صورة معينة من الحياة الاجتماعية لم يعد لها وجود في واقع الناس .

تتلذنا عليه من بعد ومن زمن طويل منذ أن بدأ يكتب في مجلة الرسالة في عهد لها الأول الزاهر ، يكتب عن الدين بأسلوب جديد مشرق ويمرض قضايا الفقهية في تبصر وفهم لأصولها ، وتبصر وفهم لقضايا الحياة الاجتماعية المتجددة من حوله ، ذلكم هو العالم العامل الجليل محمود شلتوت التى نعتة الأنباء يوم أمس الأول والذي شاء الله له أن يغادر هذه الدنيا في يوم من أيام الإسلام المتدسة ، في ليلة الإسراء والمعراج .

وما أحسب أن عالماً من علماء الدين الإسلامى جذب اهتمام الناس إليه وحببت إليهم الدراسات الدينية كهذا العالم الجليل الذى فقدناه بالأمس لما امتاز به من فهم عميق لشئون دينه ونظرة حرة صادقة لهذه الشئون ، فمكل ما جاز فيه أعمال الرأى والاجتهاد لم يتردد في أن يعمل وأيه ويجتهد ، رائده في ذلك مصلحة المسلمين وتحقيق الخير لهم يساعفه في أعمال الرأى ثقافة إسلامية واسعة النطاق ، وعلم واسع أحاط بدقائق الفقه الإسلامى وآراء من سبقوه ممن يعتد بهم من الباحثين والعلماء .

وقد خلف وراءه - رحمه الله رحمة واسعة وأثابه الجنة - مكتبة إسلامية عظيمة تتحدث بمدى عليه الغرير وآرائه الثاقبة ، فما من موضوع أثار نقاشاً واهتم به الناس

الاسى، وباسمى وباسم الشعب العراقى تقدم
تعاونا لكم ولاسرة الفقيد بل وللعروبة
والاسلام سائلين البارى أن يسكنه الجنان
وللجميع الصبر والسلوان .

* ومن الهيئة العلية الإسلامية بالقدس :
لقد لجع العالم الإسلامى بوقاة علم من أبرز
أعلام الإسلام ، المرحوم العلامة فضيلة
الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر
الذى وقف حياته على خدمة الإسلام ودفع
الشبه عنه ، وبين حكم الله فى كثير من الأمور
التي كان يحيط بها الخفاء بفضل آرائه السديدة
وأفكاره الثاقبة ، فمزاىة العلم وأهله والأمة
جميعها ، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين
وعن الإنسانية كلها خير الجزاء .

* ومن مؤسسة التربية الإسلامية
بأندونيسيا :

فى هذه الأوان العصبية المخرجة التي تعاني
فيها الفكرة الإسلامية شتى ألوان الضغط
والتي تزيف فيها أبصار المسلم العادى باحثة
عن المنقذين فى أشخاص الرواد الذين لا يجرود
بهم الزمان إلا نادراً ، فى هذه الآونة تلقينا
نبأ انتقال فضيلة الإمام الأكبر محمود شلتوت
إلى جوار الرفيق الأعلى ، فكان نبأ موجعاً
للقلب ، ومزلزلاً لكيان أولئك الذين يحملون
نفس الرسالة ، ويسرون فى نفس الاتجاه ،
كما كان له رنة حزنة فى مؤسسة التربية

وسيطل اسم هذا الرجل العظيم خالداً
فى التاريخ من بين الشواخ الذين يمتدى بهم
المصلحون ، ويحذون حذوهم ، وهم يحملون
رسالة الدين الذى يصلح لكل زمان ومكان .
وستكون كتبه العظيمة التي خلفها بعده
مدرسة كاملة لطلاب المعرفة والباحثين عن
الحقيقة كلها أبهم هليهم شأن من شئون الدين ،
أو دار خلاف حوله .

وإلى رحاب الخلد روحه الطاهرة لقاء
ما قدم للدين الإسلامى والمسلمين من جهاد
صادق لانارة الطريق لساكنيه ، وتحبيب
هذا الدين للقلوب ، وارتباطه بكل جديد
نافع فى حياة الناس .

* * *

بهذه الكلمات المختصة نعى الكتاب الإمام
الأكبر إلى العالم الإسلامى ، وبهذه العبارات
الملتاعة بعث ملوك ورؤساء الدول الإسلامية
برقيات التعزية إلى مشيخة الأزهر ، وأسرة
الإمام الأكبر . كما ورد لدار التقريب بين
المذاهب الإسلامية بالقاهرة كثير من الرسائل
والبرقيات التي تواسى فى فقيد الإسلام ورجل
التقريب وفيما بلى بعض برقيات رؤساء
الدول والهيئات العربية والإسلامية .

قال الرئيس عبد السلام عارف رئيس
جمهورية العراق : إن فقدان الشيخ شلتوت
مصيبة عمت العربية والإسلام ، نشاطكم

الإسلامية التي ما تزال تذكر أياديه البيضاء
عليها بالشكر والتقدير والعرفان .

* * *

وقال سماحة العلامة السيد محمد الشيرازي :
نعزى رجال العلم والدين لفقد العلامة
الأكبر الشيخ محمود شلتوت ونسأل الله تعالى
أن يجعل خلفه حاذيا حذوه في الاهتمام
بجمع السكمة .

* * *

وأبرق سماحة العلامة السيد كاشف الغطاء :
نشاطركم الأسى والأسف لفقد الإمام
الراحل .

* * *

ومن علماء الشيعة بإيران أبرق سماحة العلامة
الإمام السيد كاظم آل شريعتمداري قال :
لقد خسر الإسلام والمسلمون عالما كبيرا
هو الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر .

* * *

وقال سماحة العلامة السيد محمد هادي
الحسني المبلاني :

خسر العلم ركنا من أركانه ب وفاة سماحة
العلامة الشيخ محمود شلتوت نشاطركم المصاب
وبكم السلوى ، وفصمكم الله لحدمة الإسلام .
جامعة المسلمين الأمريكية في توليدوا
وأوهيو يبعثون إليكم بحزنهم العميق

ومن جامعة مدينة العلم ببغداد :

إن جامعة مدينة العلم المفجوعة بفقد إمامها
الشيخ الحاصل قدس الله سره تعزى الأزهر
الشريف بفقد العلم والدين الشيخ محمود
شلتوت صنو إمامنا الراحل في الدعوة إلى
وحدة المسلمين تغمدهما الله برحمته الواسعة ،
ووفق المسلمين للسير على نهجهما في الاعتصام
بجبل الله المتين .

* * *

ومن السككية الإسلامية العليا بالملايو :
لست أدري كيف أكتب معزيا فيمن
مصيبتنا فيه مصيبة الإسلام ، وخيبة منا بموته
غفيرة المسلمين ، ولكن مما يسرى عنها قليلا
أن الله تعالى قبض إليه تلك الروح الكريمة
يوم ذكرى الاسراء والمعراج المباركة ،
وما نتوقعه له عنده تعالى جزاء ما قدمت
يده للإسلام والعلم من إرشادات ومعارف
يسترشد بها ملايين المسلمين ،

* * *

ومن علماء الشيعة بالعراق أبرق سماحة
الإمام السيد محسن الطباطبائي الحكيم :
فاجعة الأزهر الشريف ب وفاة شيخه الجليل
خسارة نسأل الله تعالى أن يتداركه بلطفه ،

ويشاطرونكم الحزن لفقد الإمام الأكبر
محمود شلتوت .

* * *

إلى العمل القدير أن يكون الخلف كالسلف
في توحيد كلمة الإسلام وتوحيد صفوف
المسلمين .

أمين السر
حسين الخطيب

* * *

ارمحل العلامة الشيخ محمود شلتوت
إلى جوار ربه الكريم فقد الإسلام ابنًا بارًا
وقد المسلمون زعيمًا مخلصًا طالما دعا
إلى الوحدة الإسلامية .

نرجو الله أن يستخلفه من يقفو أثره
ويتابع رسالته ؟
كراتشي - نيونان

الشيخ محمد

رئيس علماء العشيرة الإسلامية

* * *

تلقى مسلمو الاتحاد السوفيتي خبر وفاة
الاستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بالحزن
العميق ، أسكنه الله فسيح جناته وبارك
مشواه ، وإن المسلمين بالاتحاد السوفيتي
يستنزون فقدته خسارة عظيمة للعالم الإسلامي
ويعززون أساتذة الأزهر وتلاميذه وجميع
أفراد الأسرة الكريمة .

المفتي

زين الدين باباخان

* * *

فوجئت بعد منتصف الليل بإذاعة القاهرة
تلحن وفاة طود العلم الراحل . والمجد الشاخ
شيخ الإسلام وعلم الأعلام . وقدوة الأنام
وأحد أولياء الله الكرام .

اصبرنا الله وإياكم ورحمه الله وغفر له
ورضى عنه وقدس روحه في أعلى فردايس
الجنان .

شيخ الإسلام
إبراهيم نياس
السنغال - كولاخ

* * *

إننا نشاطر الأزهر حزنه العميق لفقد
شيخه الجليل محمود شلتوت وقد كرستنا جزءا
من دروسنا ومحاضراتنا لتأيينه والإشادة
بفضله وعرض تراثه الحبيب .
ودعواتنا أن يعرض الله العالم الإسلامي
عن فقدته خيرا .

الفاضل بن عاشور

عميد الكلية الزيتونية - تونس

* * *

جمعية الهداية والإرشاد الإسلامية ببغروت
وقد أصابها الكارثة بفقد علم من أعلام
الإسلام ناضل عنه بقلبه ولسانه تتطلع

تقبلوا خالص العزاء من الجماعة الإسلامية
وشعب باكستان لفقد العالم الكبير الشيخ
محمود شلتوت رحمه الله رحمة واسعة

لاهور - توفيق محمد
سكرتير عام الجمعية الإسلامية
لاهور - باكستان

* * *

كان لوفاة الأستاذ الأكبر العلامة الشيخ
محمود شلتوت وقع أليم وحزن عميق وخسارة

المفتش العام للجمهورية السورية
* * *

كشف

بأسماء السادة رؤساء الروابط الإسلامية وأساتذة الجامعات الأجنبية
ورؤساء العشائر الذين شاركوا في تعزية مشيخة الأزهر والأسرة
فقد الإمام الأكبر

- ١ - الدكتور ذاكر حسين - نائب رئيس جمهورية الهند .
- ٢ - السيد / فالتر فير - سفير جمهورية ألمانيا الاتحادية بالقاهرة .
- ٣ - السيد / محمود عزب صيريجار - رئيس جمعية الطلبة الأندونيسيين بالقاهرة .
- ٤ - فضيلة زين الدين باباغان - مفتي طشقند - الاتحاد السوفيتي .
- ٥ - السيد / لين هلام - الجمعية الإسلامية الموريتانية .
- ٦ - السيد / حسن السعيد - مسجد طهران .
- ٧ - الأستاذ أبو الحسن علي الندوي - لكناؤ .
- ٨ - فضيلة الشيخ محمد - رئيس علماء العشيرة الإسلامية - كراشي - نياناون .
- ٩ - الأستاذ حسين هميري - رئيس الجمعية الإسلامية - قرطبة .
- ١٠ - الأستاذ السيد كاظم الشيرازي (قطر) .
- ١١ - صاحب السعد محمد أمين أزهرى - القائم بأعمال سفارة أندونيسيا .
- ١٢ - رئيس جمعية رابطة العلماء ببغداد .
- ١٣ - الأستاذ أمين السر حسين الخطيب - بيروت .

- ١٤ — الفاضل بن عاشور - حميد الكلية الزيتونية بتونس .
- ١٥ — حميد كلية الفقه - بغداد .
- ١٦ — الأستاذ عبد العزيز الشواف - رئيس جمعية الهداية الإسلامية - بغداد .
- ١٧ — الأستاذ إسماعيل الأيوبي - بغداد .
- ١٨ — الأستاذ محمد الشيرازى - كربلاء .
- ١٩ — الأستاذ محسن الطبطبائى الحكيم - نجف .
- ٢٠ — الأستاذ الدكتورى ف . فريك - مدير معهد الاستشراق - جامعة جوتنبرج (برلين) .
- ٢١ — سعادة جون شان بلاك - سفير كينيا - القاهرة .
- ٢٢ — غبطة بطريرك الأبرستولية المسيحية - القاهرة .
- ٢٣ — سعادة رازى ميرز سيدور - سفير بولونيا - القاهرة .
- ٢٤ — سكرتير بطريركية الارمن الكاثوليكية الآب يوسف صبا - القاهرة .
- ٢٥ — غبطة اسطفانوس الأول - بطريرك الأقباط الكاثوليك - القاهرة .
- ٢٦ — غبطة البطران بطرس هيرا مطران طائفة الغربال - الكاثوليك - القاهرة .
- ٢٧ — سعادة سفير إيطاليا - القاهرة .
- ٢٨ — سعادة سفير يوغوسلافيا - القاهرة .
- ٢٩ — الدكتور لوثر رايمان - مدير معهد كارل ماركس للاستشراق - لينينج - ألمانيا .
- ٣٠ — سعادة فلاديمير بوردانوف - مدير المركز الثقافى السوفيتى - القاهرة .
- ٣١ — سعادة سفير بورما - القاهرة .
- ٣٢ — الدكتور اسكندر أبدير - سمالوط - الهنديا .
- ٣٣ — أسرة مدرسة الفرندسيسكان للبنين - الفيوم .
- ٣٤ — غبطة البابا كيرلس السادس - بطريرك الأقباط الأرثوذكس - الاسكندرية .
- ٣٥ — سعادة سفير بريطانيا .
- ٣٦ — سعادة سفير الهند .

فتاوى مختارة ..

باب يفتح:

ابراهيم محمد الأصل

[الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر ولفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود عميد كلية أصول الدين]

في زمن الله :

على هذه الصفحات من المجلة طالع السادة القراء أجوبة - لفضيلة الإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر - كانت رشداً للحائر وهدياً للتردد ، وجواباً شافياً للسائل ، فحق على الباب أن ينمى فيه علمنا من أعلام الحق ، ومناراً أشع بالهدى والعلم ، وأضاء بالموعظة والحكمة واستضاء بالكتاب والسنة .

أصل - رحمه الله - الروح في ليلة من ليالي الله المعدودة بعد حياة كريمة حافلة بالتحصيل النافع ، والجهاد الدائب ، والتبيين الواضح ، والشرح المستفيض ، مع إجمال إعمال الفكر ، وإجالة الرأي فعد - بحق - في الأئمة المجتدين - ولقد شيع جثمانه الطاهر الخاصة والعامة ، وبكاء القريب والبعيد وصعدت مع الزفريات عليه دعوات حارة له ، فتوجه بأسى مع الداعين إلى المولى جل وعلا أن يحزل له المشوبة في جواره ، وفاق ما قدم لأمته من خير ، وبذل في سبيلها من جهد . هذا وسنوالى إن شاء الله من حين لآخر نشر مختار من فتاويه

المدونة في المسائل التي يستفسر عنها السادة القراء وحرص فضيلته لها من قبل بالاجابة والتفصيل .

السؤال :

ما حكم شرب البيرة والخبز بها - وشرب الكينا للتقوية والعداوى بالخمر ؟
اسماعيل عبد الرحمن اسماعيل - القوات المسلحة
الجواب :

جاء في تقرير المؤتمر الدولي لمكافحة المسكرات عام ١٩٣٩ عن البيرة قوله :

« لأن إنتاج هذا الشراب وغيره من أنواع الخمر لا يستفيد منه إلا صانعه وبائعه ، أما ضحاياه فهم : أولئك الذين أغوتهم الأهواء بإدمانه وتعاطيه . »

لقد اعتبر هذا المؤتمر أن البيرة من أنواع الخمر وهي على كل حال حسباً تذكر التقارير تحتوي على نسبة من الكحول متفاوتة كثرة وقلة . وإذا لم يكن قليلاً مسكراً فكثيرها لا شك مسكر . وقد قال صلوات الله عليه فيما رواه الإمام أحمد وابن ماجه والدارقطني « ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

الله عليه : إن الله لم يجعل شفاؤكم في حرام :
(أجاب عن هذا السؤال فضيلة الأستاذ
الدكتور عبد الحليم محمود حميد كلية
أصول الدين) .

المسح على اللزقة :

السؤال :

هل يمنع وجود اللزقة الأمر بكانية على
الجسد بمكان به ألم من رفع الجبابة إذا أراد
الإنسان الغسل منها ؟
هيد الصردى - اسكندرية

الجواب :

مذهب الحنفية يجب على الجنب غسل كل
جزء من أجزاء البدن ، فإن ضره الغسل
بالماء مطلقا ولو سحنا . مع الجزء الذي يضره
الغسل ، فإن ضره مسحه أيضا . مسحه على الجبيرة
أو الخرقه ومثلها اللزقة ، فإن ضره المسح
على ذلك أيضا سقط عنه هذا الواجب وبهذا
يعلم حكم هذه الحادثة فإنه إن ضره غسل
موضع اللزقة وضره أيضا مسحه أو ضره
حلها ، ليفسل ما تحتها أو يمسحه ، مسح
على اللزقة ، فإن ضره المسح عليها لم يجب
عليه شيء بالنسبة إلى هذا الموضع ، وبكفي
في معرفة الضرر التجربة أو إخبار طبيب
موثوق به ولو غير مسلم ، على ما ذهب إليه
بعض العلماء .

وقد روى البخاري ومسلم أن رسول
الله عليه وسلم حرم المزور ، وهو شراب كان
يتخذاه أهل اليمن من الذرة والشعير ينبذ حتى
يشد ، وهذا نص في البيرة فيقول صلوات
الله عليه فيما رواه ابن ماجه إن من الخطئة
خمرا ومن الشعير خمرا . وروى مسلم وغيره
عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : د كل مسكر خمرا وكل مسكر حرام ،
من هذا تبين أن البيرة خمرا ، وأنها حرام .
وكذلك حكم الكينا المخلوط بالخمر ،
ولا عبرة باختلاف الأسماء ، فقد قال صلوات
الله عليه : (يشرب ناس من أمي الخمر يسمونها
بغير اسمها) .

أما الاتجار فيها فهو داخل في نطاق العنة
التي صيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
يقول : د لعنت الخمر على هشة أوجه :
بعميتها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها
وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها وشاربها
وساقها .

أما شربها للتداوى : فقد سأل طارق بن سويد
الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخمر يصنعها
للدواء ، فنهاه رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم عن ذلك وقال هذه الكلبة التي
هي الحسكة كل الحسكة : إنه ليس بدواء
ولكنه داء .

وفيا رواه ابن ماجه في صحيحه قوله صلوات

مدة النفوس في دعوها زوجها مع الدعاء الحمل : بناء القبور بالآجر :

السؤال :

امرأة توفى زوجها منذ سبعة أشهر وللآن لم تخرج من عدة الوفاة بسبب حمل موهوم لازمها زمناً طويلاً إذ تدعى هذه السيدة أن الحمل ضاع في ظهرها في حياة زوجها أكثر من ستين .

وبناء على دعوها تكون مدة الحمل الموهوم ستين وسبعة أشهر ولم يحصل عليها أثر هذا الحمل لا في بطنها ولا في ظهرها كما تدعى .

فترجو التكرم ببيان المدة التي تنتهي فيها عدة وفاة امرأة توفى زوجها ؟
عثمان صالح حمير - أرتريا

الجواب :

دهوى هذه المرأة وجود حمل عندها طول هذه المدة ستين وسبعة شهور مع عدم ظهور آثار الحمل تعتبر من قبيل الدعاوى المشكوك في صحتها ، خصوصاً أنها تقول إن الحمل انتقل إلى ظهرها وذلك أمر غير معروف .

وعلى هذا يجب عرضها على أهل الاختصاص من رجال الطب العدول فإذا تبين أنها حامل أو غير حامل أمكن تطبيق الحكم الشرعي عليها فيما يتعلق بانتهاء هبتها أو عدم انتهائها .

السؤال :

جرت العادة في سيام على بناء قبور الموتى من الطوب الأحمر - وذلك صيانة لها من تسرب مياه الأمطار الغزيرة إليها . ثم يقام بناء من نفس الطوب فوق القبور لحمايتها من المطر وفي الغالب يجعل جزؤها الأعلى من الأسمنت .

وقد اختلف المسلمون هنا في شأن الطوب الأحمر المحروق لأنه دخل النار - فقال فريق منهم لا ينبغي أن يبنى قبر الميت بشئ دخل النار - وبناء على ذلك أوقف دفن الموتى في هذه القبور التي تم بناؤها حتى يأتي لنا رأى في جواز الدفن فيها أو تحريمه . لقمان مايولين - سيام

الجواب :

الشافعية لا يفرقون بين اللبن وغيره ومنه الآجر أى الطوب المحروق في بناء القبور . وأما الحنفية والحنابلة فقد كرهوا البناء بالآجر كراهة تنزيه إلا إذا كان منع تسرب المياه متوقفاً على البناء به فهند فلك يجوز بلا كراهة . وأما بناء قبور فوق الأرض فنص الشافعية على حرمة إذا كان في أرض غير مملوكة وعلى كراهته إذا كان في أرض مملوكة وهند الحنفية يكره بناء القباب على ما نقله ابن عابدين .

ومن ذلك يعلم أن الأجر بالأسمنت أن يتبعوا في القبور السنة النبوية ولا يبنوا قباباً أو نحوها فوق القبور التي في المقابر العامة .

بَيْنَ الصَّحْفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق : عبد الرحيم فوده

ترجمه: القرآن

وكانت ترجمة القرآن العظيم إلى غير لسانه العربي وهما يطوف بالأحلام ، ونجوى يتخافت بها المتناجون في الظلام ، حتى ضجت الجوانح والقلوب حينما أسرب بالترجمة ودعا إليها إمام من أئمة المسلمين كان شيخاً للجامع الأزهر ، إذ دعا دعوته إلى الترجمة فثارت أمام دعوته عواصف قاصفة ، وزوابع هائفة ، وإذا بعلساء يكتبون ويطبعمون وينشرون نقدم للدعوة إلى الترجمة وزرايتهم عليها ، وبدا الإمام غضبان أسفاً ، فلم يكن النقد قاصداً ، ولم تكن المجادلة بالتي هي أحسن ولما هدأت العواصف ، وسكنت الزوابع ونهاقت ثائرة المعارضين ، ولما سكنت عن الإمام الغضب ، وكنت أصفيه مودة صدق ، وكان كريماً أنيرا لدى ، سأله ولم أكن ظاهرت ولا ظاهرت عليه ، كأنما أستشيريه وأستنصحه .

أبوى أن لدعاة ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية قدرة تنقل إلى العجمة ديباجة القرآن في صفاتها وجلالاتها ، وأسلوبه في براعته وروعته ، ونصح القرآن في حكمته وهدايته ،

ووعظه في قوته ومثاقته ، وزجره في شدته ونقمته ، وتبشيره في حسنه وحليته ... ؟ وهل يقدرُونَ أن ينقلوا إلى الأجمعية قوله الحق ووعد الصدق ، وكتاباته في فصاحتها وبلاغتها ، وقصصه في رونقه وبهائه ، إلى حديثه بالغيب ، وإلى آيات أحكامه في جليل حكمته وعلو آدائها ، وإلى إعجازه بكل أولئك للناس ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . وإنه لتنزيل من رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين . . .

وهل في الأجمعية بيان العربية ، وهل تتفتح على قارئ التراجم ما يتفتح على الذين يتلون كتاب الله كلما تلو من كنوز الهداية والحكمة ومن جواهر المعاني كأنها كوكب دري وكأنها اللؤلؤ المسكنون . وكأنها الياقوت والمرجان ؟ أو هل تنغلق هذه السكنوز وترتج أبوابها . فلا تتفتح إذا جدت الترجمة على المعنى الذي فهمه المترجم حقاً أو باطلاً ، جليلاً أو ضئيلاً ، وإنه لسكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . .

أولست ترجمة القرآن إلى الأجمعية باطلاً

ولا مشورة من المسلمين ، وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى ، فاختاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون ، فصاح المسلمون صيحة واحدة : قد اخترناك لأنفسنا وأمرنا ، رضينا كلنا بك ، فلما هدأت أصواتهم حمد الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله . فإن تقوى الله خلف كل شيء . وليس من تقوى الله خلف ، وأكثروا من ذكر الموت فإنه هادم اللذات ، وأحسنوا الإستعداد له قبل نزوله ، وإن هذه الأمة لم تختلف فى ربها ولا فى كتابها ولا فى نبيها ، وإنما اختلفوا فى الدينار والدرهم ، وإنى والله لا أعطى أحداً باطلاً ، ولا أمنع أحداً حقاً

للأستاذ أحمد حمدان عبد الوهاب
من مجلة نور اليقين - بغزة

لبلة النصف :

فلبلة النصف لم يصح فى صلاتها حديث ، والاجتماع لإحيائها فى المساجد وغيرها لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وحديث النزول فيها إلى السماء الدنيا راويه وضاع ، ودعاؤها الذى يتلقنه الناس بعضهم من بعض ويحفظه متعلمهم وجاهلهم على خلل فى التلقين دعاء يحتوى على أمرين كلاهما يؤدى إلى تفسير القرآن بما لا يشهد بصحته نقل ولا عقل .

المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

قضى الله ألا يأتى كتابه العزيز من بين يديه ولا من خلفه ؟..

وأنصت الإمام يستمع رزينا مطمئنا ، ثم أجاب فى وقاره وسكينته (وددت) أن يوضع كتاب جامع فى دين الإسلام تكون ترجمته لغیر اللسان العربى أيسر وأقرب من ترجمة القرآن العظيم .

الأستاذ عباس الجبل

من كتابه آية البر

التعليق : إن ترجمة القرآن إلى غير اللغة العربية باطل قضى الله ألا يأتى كتابه من بين يديه ولا من خلفه . كما قال صاحب هذه الكلمة - رحمه الله - وقد انعقد الإجماع على استحالة هذه الترجمة . وكل ما كان يقال كان يدور حول ترجمة تفسير القرآن كما انتهى إلى ذلك الراى وحتى ذلك الراى قضى الله أن يظل مجرد رأى فى مصر ، بلد الأزهر وهلمو القرآن .

خلف كل شيء ..

لماولى عمر بن عبد العزيز الخليفة جاء صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة على عادته مع الخلفاء قبله ، فقال له عمر : ما لك ولك ؟ تنح عنى ، إنما أنا رجل من المسلمين ثم سار وساروا معه حتى دخل المسجد فصعد المنبر ، واجتمع الناس إليه فقال : أيها الناس ، إنى قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأى كان منى فيه . ولا طلب له .



مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
لغة نوائف
إدارة الجوامع الأزهرية
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

يشترك في التوزيع
عبد الرحمن محمد العقاد
بذل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
والمدرسين والطلاب يتخفيض ثلث

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر جمادى الأولى

الجمادى الأولى السابعة والثامن - السنة الخامسة والثلاثون - رمضان وشوال سنة ١٣٨٣ هـ - فبراير ومارس ١٩٦٤ م

للسماحة الأستاذ أحمد حسن الزيات

١٤
٢٢٢٢٦
دوريات

مدى الجهد المقبول في الأدب

بقلم : أحمد حسن الزيات

التجديد والتجديد طبعية في الحياة والحى .
سنة الله في كونه . . لا تجد شيئاً يثبت على
وضع ، ولا إنساناً يدوم على حال . إنما هو
التطور الحتمى الذى يخرج بالخلقة من
النقص إلى الكمال ومن الحسن إلى الأحسن ،
تبعاً لعوامل تؤثر في الفكر الاجتماعي من
دين وعلم وحضارة وخلق .
واللغة علومها من أدب وقواعد وأساليب
محكومة بهذا القانون الطبيعي لا تستطيع أن
تجحد والإنسان يتطور ، ولا أن تقف والعالم
يسير . ولقد ظلت أداة التعبير وما يصدر
عنها من نثر ونظم جارية على سنن الجماهليين
والإسلاميين في اللفاظ والتراكيب
والأساليب لا يختلف فيها شاعر عن شاعر
ولا خطيب عن خطيب ، اللهم إلا ما اقتضاه
التحضر من إثارة اللفظ الرقيق وتوخي
الأسلوب العذب . . لذلك كان النقاد الأقدمون
إنما يختلفون في شكل الشعر لا في مضمونه .
فهم يتكلمون في اللفظ الجزل والركيك ،
والأسلوب الرصين والمهلل ، والمعنى المسروق
والمطروق ، والتشبيه المتنوع من وجوه
البادية أو من صور الحضر ، والمطلع الجيد

والرديء ، والتخلص الحسن والقيبح . ويجرون في كل أولئك على أذواق تختلف باختلاف الطبقات والبيئات والصناعات والأجناس . وعذرم في ذلك واضح . فإن الشعراء لأسباب فطرية واجتماعية لم يقدموا إليهم إلا نوعاً واحداً من الشعر هو ما يتصل بالوجدان والعاطفة . فكان النقد أمام وحدة الشعر العربي ونقصه مسوقين إلى أن يمحضروا جمودهم في لفظه . والشكل الخارجي حكمه حكم اللباس والآثام والآنية : يتغير بحكم الزمان والمكان والحالة ، ليس لأحد في ذلك حيلة . لم يحدث التجديد الحق في الأدب إلا حين ازدهرت الحضارة العربية في العراق والأندلس واقتضت الأحوال الاجتماعية تطور النثر والنظم فاستحدثوا في فنون الكتابة الرسائل والمقالات والمقامات والقصص ، وفي فنون الشعر الموشح والزجل والدوبيت والموايليا . وزادوا في العروض المستطيل والمختد ، وفي القافية المسمط والمزدوج . ثم انحسرت ظلال الأدب العربي قبل أن تعبت طريقه وتمحص قواعده وبكمل نقضه . وطمت سيمول العجمة على ما بذر عهد القاهرة وابن

فعموا طرائقه وشوهوا حقايقه ، ثم القوه بين أيدينا جثة يتردد فيها ذماء ، وصورة لا يحول فيها رونق ولا ماء . فنظرنا فيه فإذا هو مسيخ الخلق منكر الطلعة لا إلى القديم ولا إلى الحديث . فأخذنا نجد هذا الأدب البالي بالشرح والتلخيص والدرس دون أن ندم أساسه الواهي ولا أن نرفع بناءه المنقوض .

لقد اختلفت مذاهب الكلام وتعددت أغراض الكتابة وتنوعت فنون الشعر ، ورأى شبابنا في الأدب الأوربي صورا حقيقية حية لما يحول في نفوسهم من الهوى والأمل والفكر فأقبلوا عليه وتركوا أدبنا الصناعي التقليدي يدوى على ألسنة المحافظين وأقلام الجامدين من بقايا العهد القديم .

فالحال إذن تنادى بإعادة النظر في علوم الأدب ليصلح منها الفاسد ، ويتم الناقص ، ويفصل الجمل حتى تنسج لأغراض الحياة ومقتضيات الحضارة ومطاب العصر وحاجات الناس ، فإن الأدب أصبح اليوم شعبيا فيه لكل نمط نصيب ولكل حال صورة ولكل غاية مسلك .

فأما التجديد في اللغة فيمكن أن يكون بقبول ما وضع المولدون والمحدثون من الألفاظ والتراكيب والمصطلحات ؛ لأن اللغة ألفاظ يعبر بها كل

الأنبياء من بذور البلاغة والنقد فأعاقته عن النماء والتفرع . وأخذت الألسنة العيبة تتحرك في هذا التراث المضاع بالهراء والهدر ،

النحو ، ونبذ الأوجه الإعرابية التي بقيت في اللغة أثراً من اختلاف اللهجات في الجاهلية فبابلت الألسن وهوشت القواعد وجعلت كل صواب خطأ وكل خطأ صواباً . وكان من أثر هذه الفوضى في القواعد وسوء تعليم اللغة في المدارس أن زهد النشء فيما وانصرفوا إلى استعمال العامية في الصحافة والإذاعة والتبثيل ؛ لأن العامية حرة تنبو على القيد ، وطبيعية تنفر من الصنعة ، فهي تقبل من كل إنسان وتستمد من كل لغة ، وتصوغ على كل قياس . وبذلك اتسعت دائرتها لكل ما استحدثته الحضارة من المفردات المولدة والمقتبسة في البيت والحديقة والسوق والمصنع والحفل . والناس في سبيل التفاهم يؤثرون السهل ، ويستعملون الشائع ، ويقنأولون القريب . وتختلف اللغة عن مسايرة الزمن وملاءمة الحياة معناه الجلود . والنهاية المحتومة لجود اللغة اندراسها بتغلب لهجاتها العامية عليها وحلها محلها ، إذ تكون بسبب مرونتها وتجودها أدق تصويراً لأحوال المجتمع ، وأوفى أداء لأغراض الناس .

على أن تيسير القواعد العربية لا ينبغي أن يبالغ فيه حتى يجردها من خصائص القوة والخصوبة والبراعة فتصبح أشبه بالهيكل

قوم من أغراضهم وأفكارهم ، والأغراض لا تنتهي والمعاني لا تنفذ ، والناس لا يستطيعون أن يعيشوا خرساً وهم يرون الأغراض تتجدد والمعاني تتولد والحضارة ترميم كل يوم بمخترع والعلوم تطالبهم كل ساعة بمصطلح . ولا علة لهذا الخرس إلا أن البدو المحصورين في حدود الزمان والمكان لم يتنبؤوا بحدوث هذه الأشياء ، ولم يضعوا لها ما يناسبها من الأسماء . بذلك ينهار السد الذي أقامه اللغويون والأدباء الأولون بين الفصحى والعامية فتكسب الفصحى من العامية السعة والمرونة والجدوة ، وتكسب العامية من الفصحى السلامة والصيانة والسمو ، فيكون لنا من تداخل اللغتين وتفاعلهما لغة تجمع بين محاسن هذه ومحاسن تلك . أما مساوئ الفصحى أو عنجهيتها فتموت كما يموت الحوشى المهجور في كل لغة . وأما مساوئ العامية أو حشائتها فتبقى على الألسنة التي تستنديقها من دهاء العامة ، وتكون هي العامية التي لا بد منها في كل لغة من لغات العالم ، ولكن بالنسبة الضئيلة التي لا تطفئها على الفصحى ولا تفرضا على الناس .

وأما التجديد في قواعد اللغة من نحو وصرف وبلاغة فيكون بحذف الغث من التقديرات والتعليقات التي فلسف بها النحاة

العظمى فيه الخفة والبساطة والشكل ، وليس فيه العضل والعصب والروح .

وأما التجديد في العروض والقافية فسيبيننا إليه سليل الشعراء العباسيين والأندلسيين في عصرنا الأدبي الذهبي : نبتسكر أوزاناً تكون أنسب للسرحية والأغنية في سرعة الحركة وحلاوة النغمة . وتعدد البحر ونفوع القافية في المطولات ، ونوحدتها في المقطوعات ونعالج القصيدة باعتبارها كائناً حياً تساعد أعضاؤه على أداء تجربة معينة . وكل أولئك مع المحافظة على سلامة الوزن وتساوى التفعيلات ولزوم القافية . فإن النظم بدونها يفقد الشعر موسيقيته وهي كل شيء فيه ، ويجعله ضرباً عجيباً من الكلام لا هو نثر ولا هو نظم .

ولا بأس باستعمال الشعر المرسل في نظم المسرحية كما فعل الأستاذ عبد الرحمن الشراوى في مسرحية (جميلة) ، ولا باصطناع الزجل والموايل وما يشبههما من الأوزان التي استحدثت بالعامية . فإن الأدب الشعبي يجب أن يرد إليه اعتباره حتى لا تقع فيما وقع فيه الأقدمون . فقد احتقر اللغويون لغة المولدين فلم يدونوها ، واحتقر الأدباء أدب العامة فلم يحفظوه . ولو أنهم فعلوا لوفروا اللغة

الفصحى وللأدب العالي مورداً ثراً بما دار على الألسنة في جميع الطبقات والبيئات من الأمثال والحكم والحجرات والكنايات والطرف فإن العامة كانوا تسعة أعشار الأمة العربية وهي في أوج سلطانها ، واستبحار همرائها ، وأكثرهم أعتاب أمم مختلفة الجنسية والعقيلة والعقيدة قد اتخذوا العامية لغة لهم أودعوها معانيهم ، وتصوراتهم ، وأفضوا إليها بأسرار لغاتهم ، فكافت أمثالهم تسير ، وأقاصيصهم تحكى ومصطلحاتهم تنقل ، ومواضعاتهم تذاع . فليس بما ينفع الأدب لذن الأي فتح للأدب الشعبي باباً فيه مادام الازدواج اللغوي حقيقة واقعة . والتقريب الذى يعمل به بجمع اللغة العربية بالقاهرة ابتغاء المصالحة بين الفصحى والعامية لتأخذ كل منهما بحاسن الأخرى ، كفيل بأن يرفع مستوى الأدب الشعبي إلى الأفق الذى يستسيغه فيه الرجل المثقف .

تلك هى الحدود التى لا يجوز فى رأى أن يتعداها تطوير اللغة ولا تيسير القواعد ولا تجديد الشعر ، وهى حدود تفرق بين الجود والتميع ، أو بين الزمات والاستهتار ، والطبيعة فى قضايا التطور هى القانون . والمتعلق فى مشكلات التجديد هو الحكم .

عن مجلة قافلة الزيت .

أحمد حسن الزيات

الشيوعية عند قدامى اليهود

بقلم : الدكتور على عبد الواحد وافي

أفرادها الذين اعتزلوا المجتمع الإسرائيلي وعاشوا جماعات حول شواطئ البحر الميت فقد ألفوا فيما بينهم نظام الملكية الفردية ، وجعلوا جميع ما تحت أيديهم من أرض ومنقول وملابس وأطعمة ومتاع ملكاً جماعياً شائعاً يحفظ ما يزيد منه عن الحاجة العاجلة في مخازن عامة ؛ ويشرف على شئون إدارته وتوزيعه حراس يختارون من بينهم بطريق الانتخاب العام المباشر ، ويتفرغون كل التفرغ لأعمال وظيفتهم هذه . وحتى المنازل نفسها اعتبروها ملكاً جماعياً ، وتركوها في كل قرية من قرى مفتحة الأبواب لسكن رقيق ، من جماعتهم سواء أكان من أهل القرية أم قداماً من خارجها وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التي كانت تجيز الملكية الفردية وتحيطها بسياس من الحماية ؛ وقد خصص لأحكام الملكية الفردية وطرق انتقائها وحقوقها وواجباتها حين كبير في أسفارهم .

وبجانب هذا النظام الشيوعي أخذت هذه الفرقة أتباعها بأوضاع اقتصادية غريبة ، فمن ذلك أنها حرمت عليهم التجارة لما تبعته في النفوس من جشع وحرص على جمع المال

انقسم اليهود في العصور الأخيرة السابقة لليلاد إلى عدة فرق ، منها فرقة كانت شيوعية في شئونهم الاقتصادية وغريبة في كثير من نظمها الأخرى ومختلفة كل الاختلاف عما عداها من فرق اليهود ، تلك هي فرقة الحسدنيين (من كلمة حسد ، العبرية بمعنى المشفقين ، وقد يطلق عليهم اسم الإسينيين ، أو الآزين ، Esseniens) .

وقد وصلت إلينا أخبار هذه الفرقة من طريق ما كتبه عنها الفيلسوف فيلون (Philon) فيلسوف يوناني من أصل يهودي ولذلك اشتهر باسم فيلون اليهودي ، ولد حوالي سنة ٢٠ قبل الميلاد) والمؤرخ اليهودي يوسف فلافيوس يوسف Flavius Josèphe من أقدم وأشهر من كتب في تاريخ اليهود ولد سنة ٣٧ وتوفي سنة ٩٥ بعد الميلاد) ؛ وقد أشار كذلك إلى هذه الفرقة مشيداً ببعض نظمها العلامة الفرنسي مفتسكيو في كتابه « روح القوانين » .

ومن أهم ما يمتاز به هذه الفرقة نظامها الشيوعي وذلك أنها حرمت الملكية الفردية وأوجبت أن تكون جميع الملكيات ملكيات جماعية ، وطبقت مبادئها هذه على

الناس سواء في ذلك الإسرائيليون منهم وغير
الإسرائيليين ، وتحريم طرائق الكسب غير
المشروع وابتزاز القاس واستغلال هوزم
وحاجتهم سواء في التعامل مع اليهودي أو
غير اليهودي ، وهذا على عكس الفرق اليهودية
الأخرى التي كانت نظمها تقوم على التفرقة
العنصرية ، فتجعل اليهود الشعب المختار الذي
اصطفاه الله وفضله على العالمين ، وتنظر إلى
ما عداه من الشعوب نظرتها إلى شعوب وضيعة
في سلم الإنسانية وتضع قوانينها ونظمها على
هذا الأساس فتفرق بين هؤلاء وأولئك أمام
القانون وفي كثير من شئون الاجتماع ، وتبيح
لأفرادها في علاقاتهم ومعاملاتهم مع غير اليهود
ما لا تبيحه في علاقاتهم ومعاملاتهم بعضهم مع
بعض فمن ذلك مثلاً أنه ما كان يجوز للإسرائيلي
أن يتعامل بالربا مع أخيه الإسرائيلي ولا
أن يأخذ منه رهنًا بدينه وإذا أخذ منه في
الصباح رهنًا من المتاع الذي لا يستغنى عنه
في حياته اليومية كالرحا وما إليها وجب أن
يرده إليه في المساء ، أما غير الإسرائيلي فباح
للإسرائيلي أن يمتصه ويتعامل معه بأشنع
أنواع الربا الفاحش (١) .

ومن أهم ما يمتاز به هذه الفرقة فيما يتعلق
بمبادئ الحرية أنها تحرم نظام الرق وتحظر
أن يملك الإنسان أخاه الإنسان وأن يحرم

(١) انظر فقرة ٣ لصحاح ١ ، وفقرة ٢٠ لصحاح
٢٣ من سفر التثنية .

وجنوح إلى ابتزاز الناس ، كما حرمت صناعة
الأسلحة والذخيرة وسائر آلات الحرب
لتنافر النفاية التي تقصد من هذه الصناعات
مع أهم مبادئهم وهو أن يعيش الناس في
سلام دائم ، وحرمت استخدام الذهب
والفضة والتعامل بهما ، لما يبعثانه في النفوس
من زهو وما يحملان عليه من جشع وشح ،
ولذلك اقتصر نشاطهم الاقتصادي على الزراعة
والصيد وما يحتاجان إليه ويتصل بهما من
صناعات ، وهي في ذلك تختلف اختلافًا
جوهرياً عن سائر فرق اليهود ، فقد كان من
أهم مظاهر النشاط الاقتصادي لهذه الفرق
شئون التجارة وصناعة السلاح والتعامل
بالذهب والفضة ، بل لقد كانت هذه الفرق
تنظر إلى هذين المعدنين نظرة تقرب من
التقديس ؛ بل إنهم حينما عبدوا العجل لم
يعبدوا في الحقيقة إلا الذهب المصنوع منه .
ومن أهم ما يمتاز به هذه الفرقة فيما يتعلق
بالشرائع والنظم الإنسانية العامة أنها تذكر
التفرقة العنصرية وتقرر مبدأ المساواة بين
الناس في القيمة الإنسانية المشتركة ، وتحوص
على التعايش السلمي بين جميع الشعوب .

فمن مبادئ العمل على إلغاء الحروب وأن
يعيش العالم في سلام دائم ، وبجانبه الإضرار
بالحلق وعدم إيذاء أي إنسان حتى لو كان ذلك
لتربيته وتعويدته الامتثال والطاعة ، وسراعاة
الصدق والأمانة والوفاء بالعهد حيال جميع

فرق اليهود فيما يتعلق بالعبادات أنها تحرم الأضحية والقرايين ، مع أن الأضحية والقرايين كانت تعتبر عند الفرق الأخرى من أهم العبادات ، وقد خصص لها قسم كبير من سفر من أسفار توراتهم المزعومة ، وهو سفر اللاويين ، بل إن هذا السفر ليزكر في أكثر من موضع أن الضحايا المحرمة ، (وهى التى تحرق أجزاؤها فى المذبح تحت إشراف أحد اللاويين) يرتاح لها الإله ويفيد منها ويتنعم من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها وأنه يغضب كل الغضب إذا لم تقدم إليه أو إذا قدمت إليه فى صورة غير الصورة المقررة فى شريعتهم ، وأنه قد يصب حينئذ سوط هذا به على المقصرين فيرسل عليهم نارا تحرقهم كما فعل مع ولدين من أولاد هارون ، قدما الأضحية على غير وجهها المقرر وعلى مزاعمهم هذه يرد القرآن الكريم إذ يقول : **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** .

ومن أهم ما يمتاز به هذه الفرقة فيما يتعلق بنظام الأسرة أنها تحرم الزواج وتوجب التبطل والبعد عن النساء . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت ترى أن الزواج واجب دبنى على كل قادر عليه ، وأن من يحجم عن الزواج مع القدرة عليه لا يقل جرمه عن جرم القتال ، لأن كليهما ، على حد تعبيرهم : **يعطى نور الله** ، ويتنقص ظله من أرضه ، ويبعد رحمته عن إسرائيل .

أى فرد من حريته . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت نظمها تقوم على الرق ، وقد خصص للرق وأحكامه حين كبير فى أسفارهم . بل إن أسفارهم لتقرر أن شعب كنعان قد كتب عليه فى الأزل أن يكون رقيقاً لبني إسرائيل ، وأنه لا يفتنى أن يكون لأفراد هذا الشعب وظيفة ما فى الحياة غير هذه الوظيفة ، فإن تمردوا عليها أو طمحوها إلى الحرية وجب على بني إسرائيل أن يردوهم إليها بجحد السيف . وتقرر أسفارهم أن هذا الوضع قد فرض عليهم لدعوة دعاها نوح على كنعان ونسله . وذلك أن نوحا - حسب ما يزعمه سفر التكوين - قد شرب مرة نبذ العنب الذى غرس كرمه بيده بعد الطوفان بدون أن يعلم خاصته المسكرة ففقد وعيه ، وانكشفت سواته ، فرآه ابنه حام على هذه الصورة فسخر منه ، وحمل الخبر إلى أخويه سام ويافت ، ولكن هذين كانا أكثر أدبا منه ، فغلا رداءا وسارا به القهقرى نحو أبيهما حتى لا يقع نظرهما على عورته ، وسترا به ما انكشف من جسمه ، فلما أفاق نوح وبلغه ما كان من موقف أولاده حياله ، لعن كنعان بن حام ودعا على نسله أن يكونوا عبيدا لعبيد أولاد سام ويافت (١) .

ومن أهم ما يمتاز به هذه الفرقة عن بقية (١) فقرات ٢٠ - ٢٩ لمصاح ٩ من سفر التكوين .

من ذكريات النصر في تاريخ الإسلام

للاستاذ محمد محمد المديني

من ذكريات النصر في تاريخ الإسلام يومان خالداً أن أراد الله أن يكونا في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن .

هذان اليومان هما : يوم بدر ، ويوم الفتح .

فأما يوم بدر فهو ذلك اليوم الذي أسس فيه بجد الإسلام ، وانبثقت عزته ، وأصبح المسلمون دولة تخشى وترجى ، ويستمع إلى كلمتها ، ولا يقضى أمر في جزيرة العرب دون أن يحسب حسابها .

وأما يوم الفتح فهو ذلك اليوم الذي استقر فيه الأمر للمسلمين ، وبطل الشرك وحطمت الأوثان ، وطهر البيت الحرام ، وارتفعت راية الإسلام ، ودان العتاة والطفاة بالطاعة والخضوع ، وأصبح الحكم لله وحده ودخل الناس في دين الله أفواجا .

لم يكن المسلمون قبل غزوة بدر إلا فريقاً من الناس نبأ بهم وطنهم ، ونبذهم قومهم

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

ومع أن مبادئ الحسنيين فيما يتعلق بالتبطل لم يتح لها الانتشار بين اليهود ولم تطبق إلا بين الحسنيين أنفسهم وفي مواطن منزلة عن الناس ، فإنها تركت آثاراً ذات بال في الديانة المسيحية التي جاءت بعد ذلك .

فقد ساد في المسيحية الاعتقاد بأن العزوبة أمثل من الزواج وأن الحضور أدنى إلى الله من يقرب النساء .

ومن أهم ما تمتاز به فرقة الحسنيين فيما يتعلق بالحياة الفردية أنها تحارب الترف والحياة الناعمة وتدعو إلى الزهد والتعشف والبعد عن جميع متع الجسم وتنظر إلى هذه المتع على أنها شرور .

ومن هذا يظهر أن هذه الفرقة تخالف في معظم ما تذهب إليه تعاليم توراتهم المزعومة وتلوذهم ، على الرغم من أنها تعتبر نفسها ويعتبرها المؤرخون من فرق اليهود . والحقيقة أنه لا يربطها ببقية فرق اليهود إلا رابطة الجنس ، لأن أفرادها كانوا من بني إسرائيل . ولم تعمر هذه الفرقة طويلاً ، فقد انقرضت في أواخر القرن الأول الميلادي ، أي إنها لم تعيش إلا نحو قرنين أو ثلاثة قرون .

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن يوحنا المعمدان (هو سيدنا يحيى بن زكريا عليهم السلام) كان من هذه الفرقة . ولكن لم يقدم أصحاب هذا الرأي بين يديه دليلاً يعتد به .

دكتور علي عبد الواعظ والي

بالمشركين في ذلك اليوم ، وإنما كانوا يتطلعون إلى قافلة تجارية لقريش يريدون أن يصادروها في مقابل ما فعلته قريش من مصادرة أموالهم ومساكنهم ، ولكن الله - جلست حكمته - أراد أمرا هو أسمى من ذلك وأعلى ، ولو أنهم فوجئوا به دون هذا التدبير الإلهي لكان عليهم شديدا ، ولظنوا أنهم عليه غير قادرين ، ذلك الأمر هو أن يلتقي الحصان وجها لوجه في أول معركة بين الحق والباطل ، وسيعلم المؤمنون أن من الممكن أن تنصر القلة على الكثرة ، وأن الباطل لا يلبث أن تدركه رهبة الحق فيخر صريعا مجذولا ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليعحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » .

فأله تعالى قد وعدهم أن يفوزوا بإحدى الطائفتين : إما طائفة العير ، وهي القافلة التي كان على رأسها أبو سفيان ، وكانت راجعة إلى مكة من رحلة تجارية ، وإما طائفة النفير ، وهي طائفة الحارثيين الذين تفوزوا من مكة للملاقاة النبي وأصحابه والدفاع عن تجارتهم وأموالهم ، وكان المسلمون يودون أن يفوزوا بالطائفة الأولى ، لأنها كسب سهل لا يكلفهم حربا هوأنا ليسوا مستعدين لخوض غمراتها ،

وأهلهم ، فخرجوا تاركين الوطن والمسال والمساكن والمنافع والمتاع ، وانضموا إلى فريق آخر آمن بمثل ما آمنوا به ، يقاسمونهم بلدهم ومنازلهم وأموالهم ويربطون مصيرهم بمصيرهم . وكان أمر أولئك وهؤلاء في الجزيرة العربية عجبا : فلم يألف الناس أن يروا أشخاصا من البداوة الرعاة تملكهم فكرة تتغلغل إلى هذا الحد في أعماق نفوسهم ، وتجعلهم يستبنون في سبيلها بالصعاب ، ويستعذبون العذاب ، ويضحون بالنفس والنفيس ، فكان أمرهم حديث الناس ، عليه تجتمع الأسرار ، وبه تفيض الأخبار ، بين شامت بهم ، ومستهزى . بدعوتهم ، ومتربص لفشلهم وكان أهل مكة يومئذ في عنفوان طغيانهم واستكبارهم ، ومالهم ولا يطفون ولا يستكبرون وقد طوحوا بهؤلاء المعارضين لهم إلى حيث الفقر والبؤس والقلّة والدلة ، وصفا لهم جو مكة ، أصبحوا سادة البيت الحرام ، وظنوا أن الدهر لن يزال لهم مواليا ، وبمخطوطينهم هوأيا ، وأنه لا سلطان يقبل سلطانهم ، ولا كلفة تعملو كلمتهم ، وهكذا تعبت القوة دائما بعقول الطغاة والمستكبرين فلا يفكرون إلا في يومهم ، وتعمى أبصارهم فلا يرون إلا ما أمامهم ، بينما يعمل القدر عمله في تقويضهم وزلاتهم ، لأنهم أهل الباطل ، وأعوان الظلم ، وليس للباطل ولا للظلم في سنة من بقاء .

ولم يكن المسلمون يظنون أنهم سيلتقون

ودعوتهم ، وأصبح الذين كانوا بالأمس يستوثقون بهم ، أو يتربصون لفشلهم ؛ خائفين منهم ، يحسبون حسابهم ، ويعدون العدة لهم ، وأصبح المسلمون من جانبيهم لا ينظرون إلى أنفسهم كأنهم قوم مشردون مستضعفون ، ولكن على أنهم رجال دعوة وجيش فكرة ، قد بدأ بينهم وبين خصومهم أول عراك ، ولا بد أن خصومهم فكروا في الاتهام لأنفسهم ، فهي الحرب إذن ، وهو الجهاد والجلاد ، فليأخذوا هم أيضاً أمبتهم ، وليستيقظ وعيهم ، وليحسبوا لكل أمر بعد اليوم حسابه .

إن هذا التنبيه والتيقظ ، وما كان من تجربة المسلمين لأمر المشركين في ساحة القتال وتجربتهم عليهم ، وهذا الشعور الجديد الذي شعروا به في أنفسهم ؛ هو أساس النصر الحقيقي الذي تكونت به هذه الدولة الفتية الناشئة التي اختارها الله لإعزاز دينه ، وإعلاء كلمته .

* * *

ظلت الحرب بعد ذلك سجالاتاً بين المؤمنين والمشركين ، حتى أذن الله للنور أن ييم ، والبناء أن يتم ، فهياً الله للفتح المبين ، كما هيأ من قبل الأساس المتين ، وذلك أنه كان بين المسلمين والمشركين عهد رضى به المسلمون على مريض ، وذاقوا في شروطه كثيراً من المرارة ، حتى حسبه بعضهم عاراً ومذلة وضعفاً واستكانة ولكن الله دبر به للمسلمين

ولكن الله قضت حكمته بأن يتلاقى المسلمون والمشركون . ففرت طائفة العير ، ونجحت الأموال والتجارة ، ولم تر قریش أن ترجع إلى مكة طائفة الحرب والنفير ، بل قالوا لا بد لنا من أن نرد بدرأ ونقيم عليه ثلاثاً نهر الجزر ، ونظم العام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها .

واستعد المسلمون بعد أن قامت طائفة العير ، فزولوا بدرأ وتمكنوا فيها تمكننا حربياً ملائماً ، وهبوا للنبي صلى الله عليه وسلم عريشاً ، حتى إذا لم يكن النصر في هذه الموقعة للمسلمين لحق النبي بأصحابه الباقين في يثرب ، ولم يقع في يد المشركين .

ثم شجر القتال بين المؤمنين والمشركين لأول مرة ، ووقفت القلة المؤمنة ، أمام السكينة المغفرة بقوتها وعددها ، وشهد التاريخ كيف استطاعت هذه القلة أن تتحدى قوة تفوقها مرات ، وأن تغلبها ، وأن تحطم هاماتها ، وتفلق رءوسها بما تسليحت به من سلاح الإيمان ، وقوة الحق ، وعزيمة اليقين ، وهكذا تمت كلمة وبك الحسنى على المؤمنين بما صبروا ، وأحق الله الحق ، وأبطل الباطل بتدبير من الله ليس لأحد يد فيه . وعاد المسلمون إلى المدينة ، وقد أمر أمرهم ونفبت الأذهان إلى قيمتهم وخطرم

تدركه رهبة ذلك اليوم العظيم حين وقف إلى جانب العباس ، وفي حمايته ، بمضيق الوادي عند خطم الجبل ، ينظر إلى جنود الله تمر أمام عينيه كتبية بعد كتبية ، حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبيته الخضراء من المهاجرين والأنصار ، لا يرى منهم إلا الحدق من الدروع والحديد - يرى ذلك فتدركه رهبة ، وتنهطه الحقيقة السافرة ، فيقول : ما لأحد هؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما .

ثم لا يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل السكبة فيأمر بأصنامها أن تحطم وهو يقول : وجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا .

هؤلاء هم الطريدون المشردون هادوا قادة فاتحين ، وجندا مظفرين ، هذا هو الباطل الذي علا في الأرض حينما حتى حسبه الناس ذاهبا في السماء ، وظنوا أن إن يناله خفض ولا زلزال ، ها هو ذا جائئا على منخريه في الرغام ، ضريح اليدين والفم ، يستجدي العفو ، ويلتمس الصفح الجميل .

لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر وعده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ...

محمد محمد المديني

تدبيراً محكما ، فقد امتلأت نفوس المسلمين غيظا على المشركين ، وحماسة للدهوة الإسلامية ، نقيجة للسكر والشعور بالظلم والضييق بسلطان الباطل ، والتبرم بعدوانه المتلاحق ، والحداق بشئون الحسب ، وظروف القتال يرون ذلك كسبا معنويا عظيما بل يعملون عليه إذا لم تسمح به الظروف والأحوال ، فيخلقونه خلقا ، نقة منهم بأن نفعه عظيم ، وبأنه إذا لم تظهر في أول الأمر آثاره ، فستظهر تلك الآثار فيما بعد ، حين ينفجر الرجل بعد غليانه ، فتراه حينئذ يقذف بالحجم ، ويرى بالموت في ثورة جامحة غاضبة لا تبقى ولا تذر .

بهذا هيا الله المسلمين لأمر أراد ، وهذا نفسه هيا الكافرين لتلقى الضربة الحاسمة وهم أضعف ما يكونون احتمالا ، ذلك بأنهم زعموا لأنفسهم أنهم قد ظفروا بالمسلمين في هذا العهد ، وغلبهم سياسة وختلا ، وأنهم بغير حاجة إلى أن يتقوا بعد اليوم بأسهم ، وبذلك أهملوا فضعفوا ، ثم أسلمهم هذا النور والاستقامة لآمال السلامة والامن إلى أن نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبذلك أهانوه على أنفسهم ، ومكنوه من توجيه ضربته لهم وهكذا فتحت مكة بأيسر جهد ، بل فتحت بما يشبه أن يكون معجزة محمدية بهرت الناس ، وهذا هو أبو سفیان بن حرب ،

نفحات القرآن

تأليف القلوب وتوحيد الصفوف مقصد من مقاصد الزكاة للأستاذ عبد اللطيف السبكي

إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة ملوهم
وفي الرقاب والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل فريضة من الله ،
و الله عليم حكيم .

والتمرد على النظام ، والتطاول على الأموال
بدافع الحاجة .

إن يكن ذلك : فهناك مصارف أخرى ،
يسكون الاستحقاق فيها لغير الحاجة
الشخصية فحسب .

وأهني بها ... المؤلفة قلوبهم ... والغارمين
وابن السبيل .

(أ) والمؤلفة قلوبهم : هم الذين يدخلون
في الإسلام على شيء من ... وهن العقيدة
أول أمرهم ...

(ب) والذين لم يدخلوا فيه ، ويتأثرون بدعوة
الإحسان أكثر من تأثرهم بالرح والسنان ...

(ج) والذين لهم في قومهم سلطان ويمكنهم
أن يدرءوا عنا أذاهم ، وشورهم بتابعهم .
هؤلاء جميعاً يستحقون العطاء من الزكاة :
لا لفقهم : ولكن ترغيباً لهم في الثابت على

١ - لم يكن تشريع الزكاة في الإسلام
لمجرد المواساة لأرباب الحاجة : وإن كان ذلك
من أهم مقاصدها .

وإنما فرضت الزكاة بجانب هذا لأهداف
تتعلق بكيان المجتمع الإسلامي .

والناظر في آية الموضوع يرى أسباب
الاستحقاق متنوعة : ما بين فقر ، ومسكنة ،
وخدمة في تحصيلها ، وتوزيعها إلخ .

ولكنه يرى جميع الأسباب تهدف إلى غرض
رئيسي واحد ، تفتق عنده وجوه الاستحقاق .

فإن يكن الفقر - مثلاً - سبباً يبرر الأخذ
منها لسد الحاجة ، وإشعار المحتاج أنه
مكفول برعاية الجماعة الإسلامية واحقسابه
في عدادها بجانب المياسير من قومه ، حتى
لا يتخلف عن موالاة المجتمع في المجال الإنساني
العام بسبب شعوره بالملذة ، أو بسبب الحقد

لم يتعطل بنسخه ، أو بانتهاء علمه ، وإنما وقف العمل به حين الاستغناء عن المؤلفه .
فإذا رأى ولي الأمر في وقت ما أن تأليف القلوب نافع لنا ، فله أن يعود إلى الإعطاء من حصيلة الزكاة ، كما له في اعتبارنا أن يعطى من بيت المال ما دام في ذلك صلاح لأمر المسلمين .
وقد عرف أن امتناع محرران أولاً في عهد أبي بكر ، ثم في عهده .. وعرف أن الامتناع كان تعزراً بكرامة المسلمين ، وشيوخاً عن ذلة الحاجة إلى غيرهم ... وهذه غيرة محرراً يعهد عنه .
ولكن العطاء في حقيقة ، وفي اعتبار العلماء وسيلة لإعزاز الدين . فإن يكن التعزز بالمنع عن المؤلفه وقت صولة المسلمين ، فإنه يكون بتأليف القلوب كذلك عندما يبدو لولي الأمر هذا .

وهو كلام معقول ، ومرئى في السياسة الشرعية ، والاجتماعية مع مقتضيات الظروف .
٣ - كذلك نظر القرآن إلى الغارمين .. وهم الذين استدانوا لأنفسهم حتى ركبهم الدين ولا يجدون وقاء .. أو الذين تحملوا عن الغير حمالة مالية للصلح بين المتخاصمين ولو كان الغارم غنياً .. فالإسلام يعطى الغارم من مال الصدقات ما يسد به دينه كله ، أو بعضه بقدر ما يستطيع .

والشرط في استحقاق الغارم ألا يكون سفهاً في تصرفه ، وألا يكون دينه في شهوراته

الدين إن كانوا ضعافاً فيه ، أو في الجنوح إلينا ، أو درء ما يدرءونه عنا ، أو بالدعاية لنا ولو إلى حين .

هؤلاء المؤلفه قلوبهم موجودون غالباً في المواطن الإسلامية ، أو حولها .

وكانت سياسة المسلمين جارية على إعطائهم من مال الزكاة منذ صار للمسلمين جماعة ، وصارت لهم حصيلة من الزكاة تقسّم للعطاء ، وذلك تشريع القرآن بصريح عبارته .

وقد بلغ عطاء النبي - صلى الله عليه وسلم - الواحد منهم مائة من الإبل ، أو بقدر ما يرجي منه في الخير ، حسب نظرة الإمام المتولى أمور المسلمين .

٢ - غير أن هذا العطاء للمؤلفه كان موضع اجتهاد بين الصحابة في عهد أبي بكر ومهرضى الله ههما .

رأى عمر أن المسلمين صاروا ذوى قوة عديدة يعتمدون عليها في نشر دعوتهم عند الحاجة إلى القوة الدفعية ، وأن تأليف المؤلفه من غير المسلمين لم تعد إليه حاجة كما كان : فيكون الحكم بإعطائهم مفتقياً لانتهاء علمه ، ووافقه أبو بكر ، ولم يشكر عليهما أحد من الصحابة يومذاك ، ولا في عهد عمر - رضي الله عنهم جميعاً - .

ولكن أئمة الفقه بعد هذا نظروا ، واعتبروا الحكم باقياً ، فإن التشريع فيه

المحرمة ، وفي هذا الاشتراط حيلة رشيدة ،
حق لا يستهين الناس في تصرفاتهم ، معتمدين
على معونة الصدقات . . فإن القعد لإصلاح .
لا تشجيع على الإنفاق .

وظاهر أن إعطاء الغارم رحمة إنسانية
بمن ركه الدين ، حتى لا يستسلم للمذلة
بين الناس ، فضلا عن مساورة الهم للدين
في كل آونة .

كما يعتبر إعطاء الغارم لإصلاح ذات البين
تخفيفا عنه وتقديرًا لمروءته ، وتشجيعا على عمل
المعروف والتعاطف بين الجماعة الإسلامية وصونها
للعمرة القومية أن تنال منها دسائس الأعداء .

٤ - ثم عطف القرآن على - ابن السبيل -
وهو المسافر المنقطع عن ماله ، ولو كان في ذاته
من أهل اليسار . . وفي معناه عند الفقهاء
من كان مقيما وغاب عن ماله في بعد ، أو في أيدي
الناس ، ولو بببلده . . فذلك موضع المواساة
من مال الصدقات ، حتى لا يشعر بالإعراض
عنه ، وبالقلعية المنافية لعاطفة الإخاء وإذا
تصورنا غارما ، أو ابن سبيل وأنه في عزلة
عن التراحم المنشود له أدركنا ما يشعر به من
جفاف الحياة ، وقسوة القلوب ، وتهاؤمه
من ناحية مجتمعه الذي يعيش فيه .

ثم إذا تصورناه مشمولا برعاية المجتمع له ،
ومستأنسا بتوجيهات الإسلام نحوه حتى جعله

صاحب حق معلوم في أموال الموسرين ،
وتصورناه حاصلا على ذلك الحق في غيرك ،
ولا امتنان من أحد أدركنا في وضوح
ما يريده الإسلام لأهله من تعزيز ، وتكافل ،
وترفع عن الأنانية ، والإمسك عن القدر
اليسير الذي فرضه الله لرأب تلك الشغرات
في حياة الأفراد ، وفي صفوف الأمة .

لقد عني الإسلام بتلك الجوانب فيما عني به من
تشريع الزكاة ، وفيما أهدف إليه من تلك المقاصد
حق كرر القرآن دعوته إلى إيتاء الزكاة ، وقرنها
في كل مقام بذكر الصلاة كركن في الدين .

وأشادا كثير بم يستجيب لدعوته ، ويتق
شح نفسه ، ولا يكتنز المال بخلا به عن وجوه
الإحسان ولا يعرض نفسه لأن يكرى في جهنم
بماله الذي يخل به اليوم ، حينما يحصى عليه
بالوقود من ماله هذا ، ويوخ بالتأنيب المهرور
بما فرض الله عليه من شيء ليس كل ماله .
ولا نصف ماله ، ولا ثلث ماله : وإنما هو
العشر ، أو نصف العشر - مثلا - فيما يحصده من
زرع . . أو هو ربع العشر فيما يملكه من
النقود المدخرة الفائضة عن حوائجه مدة عام .
لقد اهتم القرآن بجانب الإحسان في تصريف
الأموال ، حتى أفسح دعوته للعطف بالصدقات
المددوبة على غير المسلمين من أهل الكتاب . .
فإن ذلك رحمة بالإنسانية ، وتقويما لروابط
المجتمع العام .

ما ورد في شأنها من نصوص التشريع ،
ولكن أهميتها عند آكد مما يدرك قصار
النظار ، فالإكثار من الحديث عنها مطابق
لما يقتضيه مقامها في حياة الناس .

٦ - وقد بما تخلف عن دفع الزكاة أقوام
في بعض جهات من البلاد العربية ، وحسبوا
موقوتة بزمن الرسول - صلى الله عليه وسلم -
وتحكم فيهم الشيع ، ولعب بمقولم النفاق ،
وتجهموا للعالمين على تحصيلها منهم في أول
عهد أبي بكر - رضى الله عنه - فجهز لهم
جيوشه ، وأعمل فيهم سيوفه ، حتى أرضخهم
لحكم الله ، وعرفهم أن كلمة التوحيد
- الشهادتين - لا تكون سباجا لمن ينكر الزكاة
أو نحروها من معالم الدين وأن هذا الإنكار
ردة صريحة عن الإسلام .

ودماء المرتدين هدر ، وقتلهم واجب ،
وبهذا أزهقت أرواح الكافرين منهم ،
في غير إبقاء عليهم ، ولا رحمة بهم ، حتى
رشد من وشهد منهم عن بيعة ، وهلك من
هلك عن بيعة .

واستقام في الناس جميعاً حكم الزكاة على
ما شرح الله - ورضى الله عن الصاحبين :
أبي بكر ، وعمر وعن بقية أصحاب الرسول .
٧ - ويمكن أن ندرك من هذا في سهولة
ما يملكه ولي الأمر من حق مشروع في تحصيل
الزكاة ، وفي صرفها في مصارفها أو بعض
مصارفها الثمانية المبينة في الآية ، لتحقيق

ه - وغايتنا من هذا الحديث - على إيجازه -
أن نلتبس من تشريع الإسلام للزكاة على جهة
الفرضية كل غاية نبيلة يتوخاها ، لتحقيق
الحير الفرد ، وللجتماع ، لنذكر في اطمئنان
أن البناء الاجتماعي في اعتبار الإسلام
لأنما يقوم على المؤاخاة ، والمواساة ، والأخذ
بالفضيلة من طريق البذل عن طيب نفس .

وليس يكفي أن نقف عند الجانب الروحي
في الصلاة أو نحروها من شئون التعبد
الشخصي وكأن هذا الجانب المادي من قبيل
الجهاد ، أو هو في حقيقته جهاد .

وطالما تحدث القرآن عن شأن المجاهدين
بالنفس ، وبالمال . والجهاد بالمال يكون
في كل سبيل خيرة .

وأرلاها ما يكون نفعه متصلاً بالناس ،
وبالدين جميعاً كالزكاة .
ويبدو ذلك كله في نهاية الآية . . . حيث
ختمها الله تعالى - بقوله : « فريضة من الله ،
واقه عليم حكيم » .

فذلك تأكيد قاطع بأهمية الصدقات
المفروضة ، وتأكيد لمقاصدها عامة ،
وعلى النحو الواسع الذي عرجنا عليه .

فليس صواباً أن يفهم الناس في الزكاة أنها
بمجرد مواساة للحتاج .

ولو كان شأنها على هذا الضيق كما يتوهم
الواهمون لكان يكفي في الدعوة إليها بعض

حبال يريد الله توثيقها فينا ومعضنا على
الاعتصام بها ليظل بيننا ولاه ، وتعاطف ،
ونسكون أقوياء البنيان .

وقد أصبحنا - والحمد لله - بفضل ثورتنا
الإسلامية في حياة أصيلة ، نقوم على وعى
جديد ، وهزم أكيد .

وهذه بوادر الأمل الصادق ، وملاحج الرجاء
الموفق ، يلاحق بعضها بعضا في كل وقت ،
وفي كل ما نرى ، ونسمع .

ومن بين ذلك - فيما يتعلق بموضوعنا أن
بادرت ثورتنا إلى إنشاء مؤسسة الزكاة
في ضاحية المرج ، وهي دار تقوم على أكثر
من مائة فدان من الأرض وفيها أجنحة ،
وجوانب ومصانع تنهب الناظر وقصر الخاطر
ورسالتها إيواء الأحداث المهملين والعجزة
المتعطلين ، وتشقيفهم بالتعليم ، وإعدادهم
للحياة الكريمة ، والإنتاج في المجال العام .

فإذا توافرت لهذه المؤسسة أسباب النجاح
من كل وجه فإنها ستتمحو آثارا كان لا صقا
بمجتمعنا قدينا ، وسترفع جمهرة منا
إلى المستوى المنشود .

وإنها لو ثبات رشيدة ، ومحاولات مجيدة
وحفظ الله للعروبة رجلها المجاهد ، وصحبه
وأيدهم بتوقيقه حتى تظل مصر وشعبها
في طليعة الأمم الناعمة ؟

عبد المظيف المبكي

ما يناط به من القيام على أمر المسلمين ،
وتحقيق ما يراد بالزكاة من أغراض

وهذا لا يمنع من حق المعطى للزكاة أن
يتولى بنفسه بذلها فيما يريد من مصارفها ...
إذ القصد لإيصال هذا الحق إلى أربابه ، وأن
تسد به ثغرات المسلمين على ما رسم الله
في تشريعه وحينما يرى ولي الأمر أن يهين
على تكميل الزكاة ، ويضعها في مواضعها
يسكون حقا على الأمة أن تظاهره في هذا ،
ليستخلصها من أيدي الجبلاء ، والمتهرين
بها ، والجاهلين لشأنها ... ففي الحق أن
كثيرين من أرباب الأموال التجارية ،
وأصحاب المحاصيل الزراعية ، والمدخرين
للرصيد لا يشعرون بحكم الزكاة ، ولا يقدررون
لاثرها قدرا في حياة المستحقين ، ولا في دعم
النظام العام : حتى إن بعضهم يبخل بها عن
ذوى القرابة منه وإن كانت حاجتهم بادية له
ولعل هذا من أسباب الضائقة التي يعانيها
الاجتماع ، وتماניה الأسر الفقيرة : فضلا عن
جفاف المودة ، وتحجر العواطف بين ذوى
الأرحام ... وما هكذا تكون المودة
في الله ، وفي القربى !!

كنا قبل اليوم في رضوخ لسياسات دخيلة
أو لسياسات تتعثر في خطاها العملية ، ففترت
فيها مشاعر المودة ، وخمد الوعى الدينى ،
وتعلبت الأناذية وتباعدت القلوب وتقطعت

من أمجاد العلماء

قضاة المذاهب يجبهون الطغاة

للأستاذ محمد رجب البيومي

إليه الأميران الخطيران مصرباى وقيت الرحي
ومما أبرز المتصارعين جميعاً على السلطة
يطلبان منه أن يلى العرش من سماحة واقتناع ،
وارتعد الشيخ وتخاذل إذ أنه يعرف أن هذا
المنصب الخطير يحاط بالمؤامرات والدسائس ،
وهو بعد قليل التفسير والحول فلا يعدم من
يشور عليه فجأة ، فيسيل دمه هدراً دون
موجب ، وقد عاش بعيداً عن هذه المؤامرات
الملوكية طيلة حياته ، فلماذا يقف في مهب
العاصفة بعد الستين ! وطال امتناع الرجل
وتأنيه ، حتى التفتت حماسة الحاضرين ،
فأقسموا على المصاحف أن يطيعوا السلطان ،
وَألا يفكر أحدهم في التآمر والاعتقال ،
وبكى الشيخ طويلاً وهو يرتدى الجبة
البنفسجية والعمامة السوداء مما يسمونه شعار
السلطنة ، ثم يركب فرسه الأصيل ومن فوقه
المظلة السلطانية ذات الطيور الفضية يحملها
في ركابه الأمير قيت الرحي نفسه ! وسار
الموكب السلطاني ، وفي نفس الشيخ خواطر
وشجون !

لم يكن قانصوه الغورى وقد شارف الستين
من العمر يظن أنه سيصبح سلطان البلاد ، تسلم
له القيادة من رهب وامثال ، فالرجل قليل
الحول ، ضعيف الانباع ، وهناك من الأمراء
الأفذاذ من يجمعون حولهم الحشود والعدد ،
ليفوز أعظمهم خطراً بسلطة الديار ، فالتزاحم
على أشده بين ذوى القوة من ممالك الجركس !
وماذا عسى أن يصنع شيخ كبير لا يقاس
حواله بأقل المتنافسين خطراً ومهابة ، ولكن
هذا الحول الضعيف كان عامل الترجيح
في اختيار قانصوه ، لأن المتزاحمين الأشاوس
قد تعادلت بهم القوى في كفة واحدة ،
ولم يستطع أحدهم أن يميل ببعض الضغط
إلى كفته فاتفقوا على تولية قانصوه كحل
موقت للصراع الملتب ، فالرجل شيخ مسن
لا يظن أن الزمن سيتنفس بعمره غير مدى
محدود ! وفي مكنة كل أمير أن ينتهز بقاءه
المحدود فرصة مواتية ليحصن قلاعه ، ويميل
بمركز الثقل إلى جانبه ، لذلك فوجيء السلطان
الغورى ذات يوم مفاجأة صعبة ، حين تقدم

أيضا إلى مستوى مشرف ، وأكبر الظن أن الدكتور عزما قد نشرها ليعرض على الناس صوراً من تفكير السلاطين في بعض العصور السالفة ، لا يرى بها مظنة استغادة وتشقيف ! وحسبها أن تكون وثيقة تاريخية ينفع بها في تشخيص البيئة المدلىكية من ناحية ، والعقلية السلطانية من ناحية أخرى ، وإن كان الشيخ حسين بن محمد الحسيني وهو أحد من دوننا هذه المجالس ، يذهب في تقدير السلطان من الجهة العلوية تقديراً لا يستبعد إغراقه من متجول يتكسب ببقاء الملوك فهو يقول عنه بعد ثناء حفيظ :

« وكل هذه الأوصاف والمناقب بما قرن به من محبة العلم والعلماء ، والتفتيش مما وضعته الحكماء في كل نوع من العلوم ، لو يقول البشر في وصف هذا المظهر إنه هو سلطان العلماء المحققين ما هو كذب في حقه ، أو يقول في مدحه إنه سلطان العارفين ما هو هيب في وصفه ، .

وإذا كان قول الرجل إنه سلطان العلماء المحققين مبالغة فيما نسب إليه من العلم فإن قوله سلطان العارفين يمدلها الصوفي مبالغة مضحكة فيما ينسب للرجل من المعرفة الربانية والولوج الإلهي ! إذ أن ما أغرق فيه مصر من المظالم ومصادرة الأموال وسفك الدماء ،

وقد أظهرت الأيام أن تباكي الشيخ المتمنع كان خديعة ماكرة ، يعرف بها من أين تؤكل الكتف ، فقد عمد إلى مسلك ساذق يوطد به دعائمه ، إذ أوهم كلا من مصر باي وقيت الرحي أنه يمدد لسلطانه !

وأخذ يخلو بكلهما خلوات مفرضة حيث يملى لهما في الأمانى ، ويخلق من الخيل ما يخدم سياسته ، حتى أوهم قيت الرحي أنه بسبيل التخلص من مصر باي ، لأجل خاطره ، فالمنخدوع إلى طلائه وساعده على استئصال شأفة غريمه ، وإذ ذاك أخذ الغورى يلوذ بأتباع مصر باي ، مستعيناً بهم في الخفاء على قيت ، حتى تم له التخلص منه أيضاً ! وأصبح سيد الموقف دون شريك !

ولئن كان تاريخه السياسي فيما بعد ذلك من الذبوع والاشتهار ، بحيث لا يخفى عن الدارسين فإننا سنميل بالحديث هنا إلى ملكات الرجل العلوية ، ومكانته في الأدب والشعر ، فقد تناقلت عنه في ذلك مبالغات مفرقة ، وكنا بصدد تصديقها ولم ينشر الدكتور عبد الوهاب هزام رحمه الله طرفاً من بجالسه الأدبية ، كما دونها اثنان من كبار مريديه ، فهذه المجالس وحدها تحدد مركز السلطان العلوي ، وإن نحكم عليها بثقافة عصرنا الراهن فهي بإزائه لا تسارى شيئاً بالمره ، ولكننا حين نحكم عليها بثقافة عصره المملوكي نجد أنها لا ترفع

العصر ، ثم فرضت عليها غرامة فادحة قاما بأدائها في أسف نادم وخزى شنيع ! وكان من الميسور أن ينقضى الموقف دون أن يعقب صداه في دائرة السلطان !

ولكن بعض الذين يحبون أن تشيع أصداء الفاحشة في كل مجلس ! حتى في نفس مجلس القورى نفسه !

قد نقل الأمر إلى الرجل ، وهو - بعد - ليس غريباً عن سمعه ، فقد رأى أمثاله في حمرة المتناول ، ولكن الناقل المغرض أردف ذلك بأنه يأمل أن يصدر السلطان أمره برجم المذنبين فيسكون أول من أحيا شريعة الإسلام من المالميك ! وقد راقبت الفكرة لدى القورى غول المسألة إلى القضاء وطلب أن يصدر قرار الرجم سريعاً تقوم به الدولة على ملامشهود يحضره السلطان !

وقد طار النبأ إلى المذنب المسكين فأشار عليه بعض ناصحيه أن يعدل عن إقراره لأنه اعترف بالزنا تحت سياط الحاكم ، والرجوع عن الإقرار حتى ولو لم يكن مع الإكراه بل لدى الاختيار الكامل يمنع الحد كما أجمع عليه العلماء ، ولهم بصدد ذلك نصوص وأقنسة وقائع لا تقبل التأويل ! ! وقد أثمرت النصيحة ثمرتها فرجع الرجل عن إقراره ، وكتب صاحبه فتوى طاف

والاستخفاف بأقدار الناس حتى إنه كان يفرض على الخليفة المستعصم بالله العباسى أن يركع أمامه ويقبل الأرض بين يديه ! ويدعى بعد ذلك أنه يستمد السلطنة من تأييده الروحي ! كل ذلك لا يجعلنا نقبل ما سطره رواد هذه المجالس عن جامعى البدو وآكلى المرائد إلا بهوين كثير ...

وسنمرض الآن حادثة تاريخية كان لها صداها الرنان في عصره ، لنستدل بها على مبلغ تضامه الفقهى تارة ومدى احترامه لنصوص الشرع تارة ثانية ثم لنسجل بها مظنة نفر من العلماء لا يخشون في الحق لومة لائم ، بل يجحون السلطان في مجلسه بما يردع أهواءه فتشور فائزته ، ويعلمن نقصته ، ثم يخرجون من مجلسه وقد أخلصوا ضمائرهم قه صادقين !

لقد نمى إلى (صاحب الحجاب) وكان يقوم بمهمة مدير الأمن في المحافظة ، أن رجلاً من الناس يأتى بيت صديقه في غيبته وأنه على صلة منكورة بزوجته ، فأخذ الحجاب للأمر أهبطه وراقب المنزل حتى دام الصديق مع معشوقته ، وما زال بهما ضرباً وتبريحاً حتى أقرا بالفاحشة ، وإذ ذاك حملاً مماً على حارين وطيف بهما في ملاء من العيبية والرعاع لتعلن فضيحتهما على الناس ، جرياً على المسألوف من تقاليد هذا

إلى مؤازرته فله من المكانة في بلاد الإسلام والرسوخ في علم الشريعة والاستاذية لمن تلاه من الشيوخ، والمؤلفات الذئعة في شتى العلوم مع ما اشتهر عنه من النزاهة البريئة في القضاء والسيرة العطرة في الناس، والسعي الدائب في الإصلاح... له من ذلك كله ما لا يستطيع السلطان أن يعصف به في مجلس على يعتمد على الحجة ويلوذ بالدلائل، والحق أن رأى شيخ الإسلام زكريا الأنصارى في هذه القضية بما صعب على الغورى أن يهجنه ببعض التحامل أو الادعاء فقد أجمع من كتبوا سيرة الشيخ الأكبر على ثنائه وتقديمه، إلا كلمات خطها السخاوى في ضوئه اللامع وهى من التناقض والتأرجح بين الخمد والمؤاخذة بحيث تكون في مجموعها حجة لشيخ الإسلام ودليلا على تحامل المؤرخ الصديق كما يصف مودته للأستاذ! وأى عظيم سلم من السخاوى حق يسلم منه الأنصارى على جلاله وبعد مرقاه! لقد ادخر الحق لخدلان الغورى مهاما صائبة وقد فتح لها صدره في غطرسة كاذبة حين دعا العلماء إلى النقاش وفي مقدمتهم شيخ الإسلام. كان المجلس رهيبا رائعا، وقد شاء السلطان أن يوجه كلامه لزكريا الأنصارى بادىء ذى بدء بعد أن نظر في غضب إلى من حواه من العلماء، فصاح في غضب:

بها على العلماء بهذا الشأن فأجابوا جميعا بتوقيعاتهم الواضحة وأعلنوا أن الرجوع عن الإقرار يسقط حد الزنادون نزاع! وكان من الطبعي أن ينتهى الأمر السلطان، ولو كان ذا بصيرة فقهية لأدرك مغزى الشارع العادل في هذا الحكم الصائن، ولعرف ما رزى عن ما عز وغديره بمن راودهم الرسول على الإنكار، مؤكداً أن مجرد الرجوع يمنع الحد!! فالإسلام لا يريد اشتها الفاحشة بل يحاصرها في مكانها الضيق بعد أن يتعقبها تعقب الحريص الدوب فإذا نزوة طائشة من بعض المتهمين كان من الصون للجماعة الإسلامية بأجمعها أن تدرأ الحدود بالشبهات فلا تفاجأ أمة القرآن كل حين بمجرومة ومرجومة، وفي التقرير ما يسكنى للثأيب والردع! تلك هى وجهة الشارع ملخصة في سطور يعوزها البسط والتحليل - إذ ليس بجالها هذا المقال - نقول لو كان الغورى ذا إمام بنصوص الشرع ما ارتكب الشطط حين صمم على الرجم، ودعا القضاء والعلماء لمناقشة الموضوع في مجلس خطير تصدره السلطان!! واكتفتهم الأسنة والحراب.

كان العلماء على بينة بما يحاك، فأجمعوا أمرهم على أن يقولوا كلمة الحق دون مبالاة وكان شيخهم الأكبر زكريا الأنصارى هضمهم في حومة الجدال، وثقوا في همتهم وأطمأنوا

الأنصارى ، وكان قد جاوز التسعين ، لكنه احتفظ بقوة الأداء ، وارتفاع الصوت وكان الحق أعاد إليه شباب حنجرته فقال :

إن الرجوع بعد الاعتراف يسقط الحق وجمهور الأئمة على ذلك ، وفي مقدمتهم صاحب المذهب رضى الله عنه .

فأظهر السلطان استمراءه ، وصاح متهمًا . هل هذا ما ترضيه ذمتك يا شيخ الإسلام ! فرد الأستاذ زكريا الأنصارى يقول في لباقة : ليس هذا ما ترضيه ذمتى وحدى ولكنه ما ارتضته ذمة ساكن مصر الإمام الشافعى ! صاحب المذهب وذمته الشريفة لا تقبل التجريح بحال !

فزاد غضب الغورى ورد متعجلاً : أنت شيخ قد كبرت وضعف عقلك ، أما أنتم أيها القضاء فلا أحب أن أراكم بعد الآن ، وقد عزلتكم جميعاً عن القضاء !

وخرج السلطان مزبداً ساباً لاغباً فانفض المجلس أسوأ انفضاض !! ثم هتف الغورى ببعض أهوائه فأصدر أمره بمصادرة أموال البعض ، ونفى البعض الآخر إلى الواحات وضرب نائب مذهب الشافعى الشيخ الزنككونى مع أولاده بالعصا ، حتى كادوا يموتون لأنه فى اعتقاد السلطان قد هباً للنهم سبيل الرجوع عن الاعتراف وبذلك أمكن القضاء من معارضته على رؤوس الأشهاد .

كيف يا شيخ زكريا يضبط رجل فى منزل صاحبه مع عشيقته ويقر بالجرىمة ثم يتراجع فتقرون أنتم بالرجوع !

فسكت زكريا الأنصارى قليلاً ، وقال أحد تلاميذه من القضاء فى اعتداد : للبرترف بالزنا أن يرجع عن اعترافه ، وقد كان رسول الله يراجع المعترفى فيقول لأحدهم لعلك كذا ولملك كذا ليفسح له السبيل !!

فأحمر وجه الغورى وتوقدت عيناه من الغيظ وصرخ يقول أنا ولى الأمر ، لى الحق فى إصدار الحكم بالرجم وليس لكم أن تقفوا أمامى باسم الدين .

فأنبرى قاض متحمس يقول : نعم لك الحق أن تصدر الحكم إذا كان متفقاً مع الشرع الكريم فإذا أصرت على رجيم المتهمين فأنت مذنب وعليك ديتهم .

ارتج المجلس الحاشد ، إثر هذه العبارة ، ارتجاجاً عنيفاً ، فأظهر بعض أمراء المماليك كلمات نابية منكرة ، وقطور أحقرهم فسحب العالم من نيابه ، وأجبره على الخروج ، أما السلطان فقد وقف مغیظاً يضرب الأرض بقدمه ، ويلوح بسيفه مهدداً متوعداً ، وقد نذرت منه عبارات ما كانت تصدر من شيخ بمحك كبير ثم التفت إلى الشيخ زكريا وصاح وأنت يا شيخ الإسلام ما تقول فرد زكريا

فقيه بمن اضطهدهم السلطان ، فقال في ملا من الناس إنه المسجد الحرام ! فضج الجمهور بالتصفيق ، وطار الغيا إلى الغورى فانفجر غيظا ، وأمر بإحضار الفقيه ليؤاخذه على قوله ! وكان المتهم لبقا فقال في ثبات : أردت أنه شبيه بالمسجد الحرام في مكة وعلى الناس أن يخصصوه بالتعظيم والإجلال ، فمز الغورى رأسه وقال في ضيق : لقد أردت شيئا آخر أيها الخبيث !

فغظر الفقيه في شجاعة وقال : لماذا يحاول السلطان أن يحرف كلام الناس ! فكظم الغورى غيظه وصاح به : لا أريد أن أرى وجهك بعد الآن .

ومضت الأيام فإذا حادثة القضاة مفخرة باهرة تسجل في كفاح العلماء ، فتصبح مثلا خلقيا في الاهتداد بالحق وبجابه الطغيان !

محمد رجب البيومي

المدرس الأول بدار المعلميات بالقيوم

أما المتهمان فقد صدر الأمر بشنقهما علنا وعُلقت جثثهما يومين كاملين ليرى الناس في مصر قلة حيلة القضاة وهل استطاعوا أن يقتصروا على السلطان ! !

هذا وقد لبث الشعب المصري يتحدث زمنا غير قصير عن هذه المشادة المخرجة ، فأذاخت الجماهير مختلف الفئات هن الغورى وأخذت تتحدث عنه بما برعت فيه من أساليب التورية والفسكاهة ، وكان كل ذلك يصل إلى السلطان فيريد من أزمته النفسية ، ولكنه لا يستطيع أن يتخذ إجراء رادعا لأن الكلام ذو وجهين ، ومحاولة التحقيق فيه مما يثبت الوجه المذموم في الاسماع ، فيعظم تداوله ، ويساعد السلطان بذلك على إذاعة ذمه ، فيحقق ما يبتغى مناووه .

بنى مسجده الشهير بالغورية ، وأنفق من الأموال المصادرة في تشييده وزركشته ما كان موضع حديث الناس ، وقد سئل عن جدواه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه ، فأدخل عليه الجور في هدله

تداخل المذاهب الفقهية

للدكتور علاء الدين شلبي

قابلية للتطورات وأدنى إلى مجارات الأحداث وتقلب الحضارة ولتنمية هذا المذهب الواسع وتغذيته لا يقف به عند المذاهب الأربعة بل تتخذ من درس المذاهب التي انقرضت والآخرى الشيعة الباقية إلى الآن عناصر لسعته وشموله ما وجدنا فيها قوة وصلاحية لذلك غير أن هذا الرأي ما زال فكرة بين جدران الجامعات ولم يجد مجالا لتنفيذه .

حقاً إن مدرسى الشريعة الإسلامية في كليات الحقوق جميعاً لم ينظروا إلى تفرقة مذهبية وكذلك قانون الأحوال الشخصية المعمول به الآن ولكن هذا كله يعد مجالا ضيقاً ما دامت الجامعة الكبرى التي تتوفر على درس الفقه الإسلامي والتي لها المرجع فيه لم تأخذ بهذا الرأي وأظن أنه في ظل التطور الجديد للأزهر وبأخذ كلياته بالنظم الجامعية الحديثة سيجد هذا الرأي مجالا لتنفيذه في المعاهد الثانوية والإعدادية وهذا فضلاً عن أن توحيد الرأي والفتيا يخفف على الطلاب عبئاً ثقيلاً من درس الفقه على الطريقة القديمة وفي الكتب المعقدة الملتوية .

معروف أن مذاهب الفقه الإسلامي لا تلقى عند هذه المذاهب الأربعة التي تدرس الآن بالأزهر ومعهده وإنما هي مذاهب متعددة كانت هذه المذاهب أشهرها وظفرت دونها بالبقاء وقد انقرضت المذاهب الأخرى قبل نهاية القرن السابع الهجري عدا مذهب الظاهرية الذي ينسب لدارود بن علي الأصماني فقد بقي بالأندلس وبعض بلاد المغرب حتى القرن الثامن الهجري وكان بقاءه وانتشاره هناك رد فعل للدهوة الباطنية التي أذاعها الفاطميون وكان في القرنين الثاني والثالث وأيضا في القرن الرابع يجتهدون أمثال البخاري والأوزاعي والطبري وغيرهم لم يقدر لمذاهبهم البقاء والانتشار .

وقد تردد كثيراً على السنة فئة من رجال الفقه الإسلامي في العصر الحاضر ففكرة إدماج هذه المذاهب الأربعة وجعلها مذهباً واحداً يقوم على الرأي الأنسب والأقوى من أي منها وتبقى آراء الأئمة وآراء المجتهدين في كل مذهب روافد تمتد هذا المذهب الموحد وتغذيته ثم يكون له من اختلاف الآراء وتباين وجهات الرأي مرونة تجعله أكثر

على هذه السنة طوال هدمهم - ولا شك أن هذا كان يغيظ الفقهاء الآخرين . ولما جاءت الدولة الفاطمية جعلت قضاتها من الشافعية لأول مرة في مصر وكان من قضاتها أيضا مالكية ولم يعين قاض حنفي في عهدهم حتى ردم لهذا المنصب صلاح الدين الأيوبي ولعله كان من حسنات الظاهر يبرس أن جعل القضاة أربعة من كل مذهب واحد .

هذه بعض الأسباب التي دعت إلى التفرقة أما إذا رجعنا إلى نشأة كل مذهب وصلته بالآخر فإننا نجد تداخلا وقربا .

كان مذهب أبي حنيفة أول هذه المذاهب ظهوراً نشأ بالكوفة بعيداً عن مشرق الدعوة ولم يكن أبو حنيفة غزير المسادة من الحديث فاعتمد على الرأي ومال إلى القياس والاستنتاج وكان شديد الدكا . واسع الحيلة . أعجب مالك بذكائه وفهمه وقال : إنه لو أراد أن يقيم الدليل على أن سارية المسجد من ذهب لفعل . وتأثر المذهب الحنفي ببيئة العراق تأثراً جعله يختلف عن مالك اختلافاً كبيراً فهي بيئة متحضرة تتلون فيها الحياة وتتجدد الأحداث وهي مهد لفلسفات قديمة وحياة عقلية لم يهيا مثلها لبيئة الحجاز فكان أبو حنيفة يميل إلى كثرة الافتراض وتشقيق الآراء بينما كان مالك يكره ذلك كل الكراهية ولكن لم يحدث أن طعن واحد منهما الآخر أو أذرى بمذهبه .

ولا ندعو بطبيعة الحال إلى طرحها وإنما نستقيها إلى مرحلة أعلا يكون التليذ فيها قديراً على فهمها ومناقشتها والاستفادة منها . وإنما إذ نرجع إلى تاريخ هذه المذاهب وظروف نشأتها نجد فيها تداخلا يدعو إلى هذا التوحيد . وقبل أن نلم بهذا التاريخ نلاحظ أن المذهب والتنازع الشديد بين أتباع المذاهب إنما حدث بين المتأخرين ولم يكن بين الأئمة أنفسهم .

وكما امتد الزمن وغفل الاتباع عن تواريخ أئمتهم اشتد التعصب بينهم وزاد العداء .

وقد كان التزامهم على المناصب وخصوصاً منصب القضاء بما أذكي هذه الخصومة ودفع كل جماعة إلى الإشادة بإمامهم وانتقاص منافسه حتى أفتى بعض الأحناف مرة بأن الفتاة الشافعية ليست كفئاً للفتى الحنفي ثم اشتهرت هناك قاعدة هي أن يمتد تابع كل مذهب أن مذهبه صحيح يحتمل البطلان وأن مذهب غيره باطل يحتمل الصحة وكثيراً ما قام بين أتباع المذاهب مجادلات أدت إلى شجار ومعارك ولم يكن هذا في الأزهر فقط بل كان قبله أيضا .

كان أبو يوسف صاحب أبي حنيفة أثيراً لدى الرشيد وكان الخليفة جعل إليه تعيين القضاة فكان يؤثر فقهاء المذهب الحنفي ويضللهم على غيرهم وجرى خلفاء بني العباس

وما عندهما رحل إلى المدينة فسكن بها أكثر من ثلاثة أعوام يتلقى عن مالك وعن شيوخ المدينة فلما رجع إلى العراق كان يحمل عناصر جديدة للاجتماع واستقاهما من فقهاء المدينة ومن مالك هلى الأخص . . هذا سر ما نجده من مخالفااته الكثيرة لكل من أستاذه وفي أكثر هذه المخالفات نجده يتفق مع مالك أو مع مذهبه بوجه عام والواقع أنه مزج بين المذهبين مزجا قرب بينهما وإن كان ميله الأكبر إلى مذهبه الحنفى . وهذا أمر طبيعى لأن البيئة العراقية أكثر تلاؤما مع هذه الأفكار .

أما حمل ابن الفرات فكان أوسع دائرة من هذا ، فقد قام برحلة واسعة بين المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق ، وفي هذه الرحلة قرب بين هذين المذهبين وكون منهما وأيضا من فقه الأوزاعى مؤلفا حسنا فى الفقه ولكن مذهب مالك هو الغالب عليه على عكس ما فعل محمد الشيبانى .

فى رحلته إلى المدينة قرأ على مالك ثم اتجه إلى العراق بعد أن فرغ من القراءة على مالك فلقى كلا من أبى يوسف ومحمد صاحبى أبى حنيفة وغيرهما ، وكان يحمل مجموعة من المسائل المتفرقة من فتيا مالك عرضها هناك ونوع فيها ، وهى التى عرفت فيما بعد باسم المدونة ومن يقرؤها الآن يجد أثر المذهب العراقى

ومذهب مالك هو المذهب الثانى فى الظهور وكان مالك معاصراً لأبى حنيفة وهو على خلافه حدث له محصول غزير من الحديث وله بصر برجاله وعلم بسنده فهو يعتمد عليه ويتحفظ فى الأخذ بالرأى فإذا أشككت عليه مسألة رجع إلى عمل أهل المدينة وهى قاعدة انفرد بها فى اجتهاده وبسرت له دون أبى حنيفة .

ولم يكن من أصحاب الرأى وأتباع الأثر على طرفى تقيض ولم يكن أحدهما يعيب الآخر . فذهب أبى حنيفة لا يخلو من أثر وقد زاد عليه أبى يوسف فى هذا وخالف الإمام فى مسائل كثيرة محتجا لرأيه بأحاديث صححت عنده ولم تصح عند الإمام ومذهب مالك أيضا لا ينكر الرأى ولا يتخلى عنه بل أغناه عن كثرة الاعتماد عليه وجود ما يغنيه عنه من الآثار . وقد وجه مالك كلا من محمد بن إدريس الشافعى وإسحق ابن الفرات بعد أن فرغا من القراءة عليه إلى العراق ليستفيدا من مذهب أبى حنيفة ورأيه وفى هذا كله خطوة تقريبية بين هذين المذهبين وإن كانت ضئيلة الأثر .

نجد خطوة أوسع عند محمد بن الحسن الشيبانى صاحب أبى حنيفة والرأس الثانى من المجتهدين فى مذهبه - قرأ محمد على كل من أبى حنيفة وأبى يوسف فلما قضى وطره

في مدونه ورأى أنها لابن القاسم وعلى نسق المدونة ، جاءت تأليف المالكية في مصر والمغرب والناظر في هذه الكتب يجد توسعا في الافتراض وإسرافا في تخييل الحوادث يبدو أنه لم يأت إلا من الفقه الحنفي لأن مالكا نفسه كان يكره هذه الطريقة .

من هذا العرض الموجز نجد تداخلا قويا بين هذين المذهبين يأذن بإزالة الخلاف بينهما ويسمح باندماجهما .

كانت هناك عوامل تدعو إلى نشر المذهب الحنفي بين العراقيين هي التي أشرنا إليها من قبل ، ومن أجلها لم يلق المذهب المالكي بينهم رواجا ، أما المصريون فهم أميل للعبادة وأبعد عن التفاسف وأشده هوى إلى عالم المدينة ، ولكن في الوقت الحاضر تقاربت الحياة وتشابهت الظروف وآسوى العلم في مختلف العواصم فلعل هذا أدهى إلى الوحدة وأقرب إلى الالتئام .

أما صلة مذهب الشافعي بكل من الأحناف والمالكية وصلة المذهب الحنبلي بهؤلاء جميعا فأرجو أن أتحدث عنه في العدد القادم ؟

عبد المرحم شلبي

واضحا فيها كل الوضوح فهي مسائل فرعية تنحو منح أبي حنيفة في مسائله ، ولكنها مطبقة على مذهب مالك .

قامت المدونة في التقريب بين آراء الفقهاء بدور لم يهيا لغيرها من الكتب حتى إنه من التجاوز أن تنسب لمالك أو ابن الفرات أو سحنون أو ابن القاسم من المالكية .

عاد ابن الفرات بمدونه إلى مصر فعرضت على فقهاء المالكية فاستفادوا من فروعها ، وأصدروا فتاويهم عليها ، ولعل اسم المدونة لم يطلق عليها إلا في هذا الوقت ، وكان ابن القاسم إذ ذاك رئيس المذهب المالكي بمصر ، وقد أبدى كما أبدى تلاميذه اهتماما كبيرا بها ، ورحل ابن الفرات بها بعد ذلك إلى المغرب ، فلما قرأها صافسه سحنون أعجب بها ، ولكنها لم تكن مرتبة فرتبها وبوبها وزاد فيها ، ولكي يستوثق من عمله عاد بها إلى مصر ، ليعرضها مرة ثانية على شيوخ المذهب بعد الذي جمد عليها من الترتيب والتبويب والزيادة ، وزاد إعجاب ابن القاسم بها ، فأنشأ على نسقها مدونه التي ظفرت بشهرة أكثر ، حتى نازع بعضهم سحنون

الملاحم والمطولات الإسلامية في الشعر العربي للككتور سعد الدين المحيزلوي

— ٤ —

- ٣ — والآن ، نعرض في إيجاز ديوان
د مجد الإسلام ، والإلياذة الإسلامية :
يحتوى هذا الديوان على أربعة أجزاء شملت
الثلاثة الأولى منها ذكر الوقائع والملاحم منذ
أعلن النبي الكريم دعوته إلى أن أتم الله هذه
الدعوة ، واستقر الإسلام بالمدينة وجاءت
الوفود من كافة بلاد العرب مؤمنة مسلمة .
وفي هذه الأجزاء الثلاثة ذكر فزوات
الرسول جميعاً ، والأحداث التي جرت خلال
مقاومة المشركين ، وتسجيل الأمكنة ،
والشخصيات البارزة في الصراع .
وقد افتتح الجزء الأول بقصيدة كبرى
بعنوان : « مطلع النور » ، من أفق الدعوة
الإسلامية ، واستهلها بقوله :
أعلا الأرض يا محمد نوراً
واغمر الناس حكمة والدهورا
حجبتك الغيوب سرّاً تجلى
يكشف الحجب كلها والستوراً
عبء سبل الفساد في كل واد
فتدفق عليه حتى يغورا
وهكذا يسير واصفاً هذا الفور وأثره إلى
- أن يصف موقفه العظيم من همه أبي طالب
حين شكاه فريق من قريش إليه ... :
جاءه عمه يقول : أترضى
أن يقيموك سيّداً أو أميراً ؟
ويصبوا عليك من صفوة المال حية
ما ما طراً وغيثاً غزيراً ؟
قال : يا عم ، ما بعثت لدنيا
أبتغيها ، وما خلقت حصوراً
لو أنوني بالغيرين لأعرض
ست أريهم مطالبى والشقورا
إن يشيروا بما هلت فإنى
لأدع الهوى ، وأعصى المشيراً
دون هذا دى يراق ونفسى
تطمع الختف رائعاً عذوراً
ثم يشير إلى حماية المطعم بن عدي له ...
وإلى ذهابه إلى غار حراء ثم دار بن الأرقم .
ثم إلى الهجرة وما سبقها وما صاحبها حتى
وصل إلى المدينة ، ثم إلى مؤاخاته بين
المهاجرين والأنصار ... وبناء مسجده هناك
إلى آخر ما ورد في عناوين السيرة النبوية كما
وردت في « ابن همام » ، الذى اعتمد عليه

أجزاء الإلياذة من حيث عدم التزام قافية واحدة أو بحر واحد .

فإذا ما انتقلنا إلى الجزء الثاني : وجدناه استمرار للغزوات ، وهو في ٤٤ صفحة وعدد أبياته ٩٤١ ، ويبدأ بذكر غزوة حرم الأسد التي كانت عقب غزوة أحد ، وينتهي بغزوة بني قريظة ، وذكر مدح سعد ابن عبادة رضى الله عنه .

ولقد اعتاد محرم أن يذكر في مقدمة وصف الأحداث والغزوات بكلمة يعرف فيها المناسبة التي سيفشدها فيها (فثلاثا همد حديثه عن غزوة ذات الرقاع قال :

(كانت سنة ٤ هجرية - سببها تأليب بني محارب وبني ثعلبة أهل نجد على النبي وصحبه ، وقد حدثت فيها عجائب حتى سميت بغزوة العجائب ، وقيل سميت بذات الرقاع ، لأن المسلمين ثقت أقدامهم ، وسقطت أظفارهم ، فلفوها بالحرق ... ولما بلغ نجداً أراد المشركون أن يوقعوا به في صلاة الظهر ، ففرقوا صلاة العصر ، ولكن نزلت آيات صلاة الخوف : وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ، ثم يذكر القصيدة وهي ٧٤ بيتاً وهي :

إلى القوم الألى جمعوا الجوعا
إلى نجد ، كفى نجداً هجوعا
أبت شمس الهدى إلا طلوعا

ففاض شعاعها يغشى الربوعا

الشاعر كما جاء في المقدمة ، ثم ذكر غزوتي بدر وأحد .

وانتهى هذا الجزء بعودة النبي الكريم إلى المدينة بعد غزوة أحد ، والشاعر في تصوير هذا الجزء من السيرة كان دقيقاً شديد الحرص على ألا يترك شيئاً مما ورد في السيرة دون تصوير كخيمة أم معبد ... وسراقة بن مالك وبناء مسجد قباء ... والعهد الذي تم بين النبي الكريم واليهود بالمدينة ...

وهذا الجزء يقع في ٨١ صفحة ، وعدد أبياته ١٢٣٥ بيتاً ، ولكن ليست جميعها من بحر واحد ، ولا من قافية واحدة ، بل هي قصائد يتلو بعضها بعضها ويصل بينها تسلسل الأحداث .

وتفاوتت هذه القصائد في الطول إذ تتحد في الوزن والقافية حسب الحادث الذي يدور حوله الحديث ، فثلاثا تجدد القصيدة الأولى من بحر واحد وقافية واحدة (١) ، وهي من خمسة وثمانين ومائة بيت ، وكذلك وصف غزوة بدر في عشر ومائة بيت (٢) . في حين أنه ذكر غزوة « السويق » في أربعة وثلاثين بيتاً فقط (٣) ، وجاءت غزوة أحد في خمسة من خمسين مقطعا ، وبعض هذه المقطوعات أكثر من خمسة أبيات . وهكذا نل في بقية

(١) الخفيف ، والقافية رائية .

(٢) الكامل ، والقافية (هاء) .

(٣) الطويل ، والقافية (دال) .

دعوا الشرك المذل إلى حياة
من الإسلام وارفة الظلال
هو الدين الذي يحيى البرايا
ويصلح أمرهم بعد اختلال
يظل النور في الآفاق يسرى
ويسطع ، ما تلا القرآن تال
وعنه منصرف النبي عليه الصلاة والسلام
من تبوك جمع أصحابه وخطبهم ناصحا ومزودا
ليأبى بقواعد الإيمان فوصف محرم ذلك الموقف :
خطب الرسول ، فكل سمع منصت
في الخافقين ، وكل قلب خاشع
قل يا محمد : كل شئ معارق
يرجو المزيد ، وكل شئ سامع
قل ما يعلبك الذي هو عالم
إن النفوس إلى الفساد نوازع
أدب بدين الله قومك أنه
دين لأشتات الفضائل جامع
هذا تراث العالمين بأسرهم
يجرى عليهم نفعه المتتابع
فلكل عصر منه ورد سائغ
ولكل جيل منه كنز نافع
أما الجزء الرابع : فقد خصص لذكر الوفود
التي جاءت في العام التاسع بعد فتح مكة تباع
النبي الكريم من مختلف الجهات ، ثم كتب
النبي إلى الملوك ، ثم السرايا .
وقد ذكر في مقدمة الجزء الثالث أنه لم يذكر
السرايا بحسب ترتيبها التاريخي ، وأنه أثر

ويسطع في جوانبها سطوعا
إلى غطفان : لأنهم استبدوا
وظن غواتهم أن يهدوا
بنى غطفان : جدوا ، ثم جدوا
جرى القدر المتاح ، فلا مرد
بنى غطفان : صبرا أو هلوعا الخ
والجزء الثالث : كان استمرارا لبقية
الغزوات وهو في ٧٧ صفحة وعدد آياته
١٧٥٦ وأول غزوة ذكرت به هي غزوة
بنى لحيان في السنة السادسة الهجرية .. وآخر
غزوة تبوك ، وهي آخر غزواته عليه الصلاة
والسلام ، وآخر قصيدة وردت بهذا الجزء
كانت عن «مسجد الضرار» ..
وقد ذكر أسباب غزوة «بنى لحيان» ..
وعذرهم برسول النبي الكريم .. ووصف فزعهم
وهروبهم إلى قم الجبال عندما أحسوا بإقبال
النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه عليهما ومن ذلك :
بنى لحيان : لودوا بالجبال
وقوا مهجائنكم حر القتال
أمن غدر ، إلى جبن ؟ لعمرى
لقد ضنقتم بأخلاق الرجال
بنى لحيان : واعجبى لباس
خبت جمراته بعد اشتعال
فورتم تتقوت الموت زحفا
على القمم الشواهد والقسلا
هو المسخ المبين ، فمن أسود
تصيد القناصين إلى وعال ؟؟

ما لنفس من غبطة أو سرور
بمتاع نخشى عليه التفاد

وكيفذا يأخذه في الحديث عن الوفود وفداً
ونداً إلى آخر هذه الوفود وما يتميز به
كل وفد ويختصها بالقصيدة الآتية : —
توالت وفود الله تختار دينه
وترضاه رباً ، مالها غيره وبأ
وبعد :

فهل نكون عباقرة إذا نحن وضعنا ديوان
بجد الإسلام ، هذا في هداد الملاحم ؟
وإذا ما أخرجناه من عدادها أفلا نكون
ظالمين ؟ ؟

لأنه من المستحيل على شاعر في إسلامي أن
يتذكر ما ذكره هو ميروس ولا سيما في عمل
شعري يتناول ناحية إسلامية ألا وهي سيرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد سار محرم في ملحمة على سنن الشعر
العربي من حيث الخيال والمحافظة والتصوير
الفني مع إيراد الحقائق .

ولا ينبغي أن يغيب عن ذهننا في هذا
المقام أن المعلومات المختزنة في عقل الشاعر هي
من أهم منابع الخيال وأن العاطفة هي التي
تسيطر على الصور التي تبرز في التشبيهات ؟

دكتور سعد الدين الجبزاوي

أن يفرد لها قسماً خاصاً ، وأن يتحدث
عن الغزوات والملاحم في مجموعة واحدة
احتفاظاً بالوحدة النوعية في كل باب .

وهذا الجزء يقع في ١١٥ (١) صفحة وعدد
آياته اثنان وأربعون وثلاثمائة وألف بيت .
وقد بدأ ذكر الوفود بوفد « بنى نجران »
الذين جاءوا في حل من الديباج وعلمهم آثار
النعمة . . فقصفت نفوس بعض المسلمين
إلى الدنيا ... فأنزل الله تعالى في ذلك
« قل : أؤنبئكم بخير من ذلكم » وقد مضى
وقد نجران بالجزية . ولم يقبلوا الإسلام :
وقد نجران : إن أردت الرشادا

فاتق الله ، واتبع ما أَراد
وتأمل ، قتلك حجته البية
هنا لم تبق ظلة أو سواد

... ..

وفي ختامها يقول مخاطباً المؤمنين الذين
كادت أبصارهم تزيف :

أيها المؤمنون : توبوا إلى الله
وكونوا لدينه أوتادا
أرغبتم إذ أقبل الوفد في الدنيا
وكنتم من قبله زهادا .. ؟ ؟
إن خيراً من ذلكم ، جنة الله
فلا تعدلوا بتقواه زادا ..

(١) منها ٣٩ صفحة لوفود ، و ٦٦ لكتب ،
و ٧٠ لسرايا .

بحث في علم الجنس

للأستاذ عبد الله كنون

وتطرق إليه الزخشرى في المفصل بعد أن تكلم على أسماء الأعلام التي أطلقت على ما يتخذ ويؤلف من الخيل والإبل والغنم والكلاب وغير ذلك فقال : « فصل وما لا يتخذ ولا يؤلف فيحتاج إلى تمييز بين أفراده كالصير والوحوش وأحناس الأرض وغير ذلك ، فإن العلم فيه للجنس بأسره ، ليس بعضه أولى به من بعض ، فإذا قلت أبو براقص وابن داية وأسامة وثعالة وابن ققرة وبنت طليق ، فكأنك قلت الضرب الذي من شأنه كيت وكيت ، . أصل الوضع :

وهذه التفرقة التي ألع إليها الزخشرى بين ما يتخذ ويؤلف من الحيوان فيطلق عليه علم شخص وما لا يتخذ ولا يؤلف فيقتصر فيه على « علم ، هو ما يدخل في تحديد معناه وكأنها هي أصل وضعه ثم توسع فيه فأطلق حتى على ما يتخذ ويؤلف من حيوان وغيره ، وأصلها لسيديويه فإنه قال في الباب المذكور : « وإنما صنع الأسد وما أشبهه أن يكون له اسم معناه معنى زيد ، أن الأسد وما أشبهها ليست بأشياء ثابتة مقيمة مع الناس فيحتاجون إلى أسماء يعرفون بها بعضها من بعض ولا تحفظ حللها كحفظ ما يثبت مع الناس ويقتنونه

من طرائف اللغة العربية التي تفردت بها عن غيرها من اللغات هذا النوع من الأسماء انتهى يسمى « علم الجنس ، وهو معرفة لفظا ومعنى لأنه ضرب من العلم لا ريب فيه ، وأخطأ من عدّه من قبيل النكرة وجعله كاسم الجنس في المعنى ، وإن كانت تجسرى عليه أحكام المعرفة ، وقد استأثر هذا النوع من الأسماء بانتباه النحاة ، فتحدث عنه سيديويه في الكتاب بقوله : « هذا باب من المعرفة يكون فيه الاسم الخاص شائعا في الأمة ليس واحدا منها أولى به من الآخر ، ولا يتوهم به واحد دون آخر له اسم غيره ، نحو قولك للأسد أبو الحارث وأسامنة ، وللثعلب ثعالة وأبو الحصين وسسم الخ... »

وقد أشار له أبو القاسم الزجاجي في الجبل بهذه العبارة : « ومن المعارف ما يكون تعريفه بالجنس نحو قولك سام أبرص وابن ققرة لضرب من الحيات ، وابن آوى وما أشبه ذلك ، فأما ابن لبون فنسكرة ، وإذا أردت تعريفه أدخلت عليه الألف واللام فقلت ابن لبون ، قال جرير :

وإبن لبون إذا ما لقي قرن
لم يستطع صولة البزل القناعيس

بقوله : « إن أسامة ونحوه نكرة معنى ومعرفة لفظاً وإنه في الشياخ كأسد ، وقد وافقه على ذلك الرضى وغيره . وعليه يكون علم الجنس مرادفاً لاسم الجنس المنكورة في المعنى ، فلا فرق بين أسامة وأسد إلا في الأحكام اللفظية ، فإطلاق اسم العلم عليه حينئذ تجوز .

ولكن المرادى رد ذلك بأن تفرقة الواضع بين أسامة وأسد في الأحكام اللفظية ، تؤذن بفرق من جهة المعنى . ومما قيل في ذلك أن أسداً وضع ليبدل على شخص معين ، وذلك لا يمتنع أن يوجد منه أشكال ، فوضع على الشياخ في جملتها . ووضع أسامة لا بالنظر إلى شخص بل إلى معنى الأسدية المعقولة التي لا يمكن أن توجد خارج الذهن ولا يمكن أن يوجد منها اثنان أصلاً في الذهن ، ثم صار أسامة يقع على الأشخاص لوجود ما هو ذلك المعنى السكلي في الأشخاص .

قال : والتحقيق في ذلك أن تقول : اسم الجنس هو الموضوع للحقيقة الذهنية من حيث هي ، فأسد موضوع للحقيقة من غير اعتبار قيد معها أصلاً ، وعلم الجنس كأسامه موضوع للحقيقة باعتبار حضورها الذهني الذي هو نوع تشخص لها مع قطع النظر عن أفرادها ونظيرها المعروف باللام التي للحقيقة . ثم قال : « وفي كلام سيوييه إيماء إلى هذا الفرق ، فإنه قال في ترجمة : هذا باب من المعرفة يكون الاسم الخاص

ويتخذونه ، ألا تراهم قد اختصوا الخيل والإبل والغنم والكلاب وما ثبت معهم واتخذوه بأسماء كزيد وعسرو ؟ .
عبقرية :

وعلى كل حال فهل تكون هذه محاولة من العرب في ماضيهم التمسحيق للخروج بلغتهم من نطاق اللغة الساذجة التي لا تعبر إلا عن المدلولات الحسية والخارجية إلى مجال اللغة العلمية التي تعنى بتحديد المعاني والحقائق الذهنية ، إذ كان ذلك هو ملحظهم الأول في وضع علم الجنس ؟ إن هذا إذا صح يكون من أعظم الأدلة على عبقرية الفكر العربي حتى في عصر الجاهلية .
تعريفات وشروح :

ومما يلاحظ أنه بعد تخطي هتبة القرن السادس ، بدأ النحاة يتعشرون بالتعريفات المنطقية المعقدة التي يضعونها لعلم الجنس ، وانتهى أمر تلك الحدود البسيطة التي تعتمد على الأحكام اللفظية والخواص التقريبية . فابن مالك وإن قال في الألفية :

ووضعوا لبعض الأجناس علم
كعلم الأشخاص لفظاً وهو علم
فلم يخرج في الظاهر عما قاله النحاة قبله من أنه علم موضوع للجنس وهو كعلم الشخص في اللفظ تجري عليه أحكامه وإن فارقته معنى في كون دلالاته عامة بموجب وضعه للجنس ، إلا أنه عاقد فوضع مذهبه هذا في شرح التسهيل

الاصولية للنحو العربي ، وتنادوا بالرجوع به إلى بساطته الأولى . ومن هؤلاء أبو حيان الذي هلق على تحقيق المرادى المتقدم بقوله : **د** إنه رأى بعض من يميل إلى المعقول ، ويريد أن يجرى القواعد على الأصول . يروم به أن يوجد لاساءة ونحوه وجها يدخل به في المعارف ، وهو بعيد عما تقصده العرب . وسأل الأستاذ عبد المهيمن الحضرمي ، وهو من شيوخ ابن خلدون ، الإمام أبا عبد الله المقرئ ما الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس ؟ فقال له : **ز**عم الخسر وشامى أنه ليس في الديار المصرية من يعرفه غيره ، وأنا أقول : ليس في الدنيا عالم إلا وهو يعرفه غيره ، لأنه حد لفظي أوجب تقديره المحافظة على ضبط القوانين كعدل عمر عن عامر . فاستحسنه عبد المهيمن .

كتاب في علم الجنس :

ونظراً لهذه الأقوال المضطربة في علم الجنس ، فقد ألف فيه أبو جعفر بن خاتمة من علماء الأندلس كتاباً نبيلاً سماه إلحاق العقلي بالحمي في الفرق بين الكل والعلم الجنسي وهو يعني بالكل اسم الجنس كإنسان وأسد وقرص . ولم تقف على هذا الكتاب وإنما ذكره ابن غازي في حاشيته على الألفية ، وقال إنه أجاد فيه ما شاء ونقل منه نقولاً مفيدة ومن جملة ذلك قوله فيه : **د** يظهر لي أن هذا المعنى استأثر به اللسان العربي دون اللسان اليوناني ،

فيه شائناً في أمته ليس واحد منها بأولى من الآخر ما نصه : (وإذا قلت هذا أبو الحارث فأنت تريد هذا الأسد أى هذا الذى سمعت باسمه أو هذا الذى عرفت أشباهه ، ولا تريد أن تشير إلى شئ قد عرفه بعينه قبل ذلك كعرفته زيداً ، ولكنه أراد هذا الذى كل واحد من أمته له هذا الاسم) انتهى .. لجعله بمنزلة المعرف بالالف واللام التى للحقيقة .

زيادة بيان :

وبهذا يعلم أن علم الجنس هو من قبيل اسم الجنس المعرف بلام الحقيقة لا من قبيل اسم الجنس المنكرة . فأسد الموضوع لفرد غير معين من أفراد الجنس هو غير الأسد المعرف باللام ، إن هذا يشير إلى الحقيقة أى الاسمية كما يشير إليها أسامة ، غاية الأمر أن هذه الحقيقة تستفاد في علم الجنس من جوهره وفي مصحوب أل منها ، فإذا قلنا أسامة أجراً من ثعالة ، فكأننا قلنا الأسد أجراً من الثعلب ، فمن أين يتعارق إليه التنكير ؟ .

رجوع إلى الأصل :

ولانعمن في هذه الخلافات النظرية ، وهى طويلة عريضة . لاسيما وقد أصبحت عناية العرب كلهم موجهة إلى تبسيط قواعد النحو وتجريده من محركات العلل وأحكام المنطق . وقد قام باستنكار هذه المباحث فحاة سابقون ، كانوا لا يرون فيها إلا خروجاً عن السذاجة

ما يفهم من كلامهم وما صرح به بعض الشراح عند قول الألفية (ووضعوا لبعض الأجناس علم) والأمثلة التي مثل بها ابن خاتمة لهذا القسم الثاني أعني المولد هي أبو زياد الجعاري وأبو دغفل اللقيس وأبو المضاء الفرس وأبو خداس السنور وأبو اليقظان للديك قال : وهذا النوع غير منحصر ، وهذه العبارة أيضاً من كلامه تفيد أنه لا يختص بالسماع .

والملاحظ أن الأمثلة إلى أني بها كلها مبدوءة بآب ، وأنها لما يؤلف من الحيوان على خلاف الأصل في علم الجنس ، فهل المولد منه هو الذي من هذا القبيل ؟

ثم إننا نسجل أن أبا المضاء عندهم بما جاء قليلاً لما يؤلف من الأجناس على خلاف الأصل ، فهل يكون ذلك هو الداعي إلى الحكم بتوليده عند ابن خاتمة ، ويكون كل ما ضاهاه كذلك ولو لم يبتدأ بآب كهيان بن بيان للجهول ؟

ومصادقا لقول ابن خاتمة أن هذا النوع غير منحصر ، نجد في كتاب المزهر للسيوطي في النوع السادس والثلاثين وهو الخصوص بمعرفة الآباء والأمهات والأبناء والبنات والإخوة والأخوات والأزواء والذوات ، عدداً كثيراً من هذه الأسماء التي تذكر في علم الجنس مبدوءة بآب أو أم أو ابن أو بنت ، ومن بينها أمثلة ابن خاتمة ما عدا أبا اليقظان فإنه أورد بدله أبا حماد ، وبعضها مما يلوح عليه أثر الأعرابية وبعضها الآخر مما يحمل

لاتساع عباراته ولطائف إشارات ، إذ لو كان في اللسان اليوناني لوجد في كتب المنطقي المترجمة وتداولته مناطق الإسلام في كتبهم كإبي نصر الفارابي وأبي علي بن سينا والقاضي أبي الوليد بن رشد الحفيد وغيرهم .

أحكام :

وقد علم أن علم الجنس يساوي علم الشخص في أحكامه اللفظية ، وهذه الأحكام هي أنه لا يضاف ولا يدخل عليه حرف التعريف ولا ينعت بالنكرة ، ويبتدأ به وتنصب النكرة بعده على الحال ويمنع من الصرف مع سبب آخر زائد على العلمية كالتأنيث في أسامة ووزن الفعل في بنات أوبر وابن آوى وزيادة الألف والنون في كيسان علم على الغدر .. ومن أحكامه الخاصة أن ما كان منه مبدوءاً بآب بن كبر هرس وابن آوى وابن أوبر يحمل في الجمع على لفظ المؤنث فيقال بنات عرس وبنات آوى وبنات أوبر ، وكذلك في العدد فيقال ثلاث أو أربع أو خمس بدون تاء . وفي نوادر اليزيدي يقال أبناء آوى وبنات آوى بالوجهين .

تقسيمات : ينقسم علم الجنس :

أولاً : باعتبار وضعه إلى قسمين ، عربي ومولد كما ذكر ذلك ابن خاتمة في كتابه المشار إليه على ما نقله عنه ابن غازي . ولم نر من ذكر هذا التقسيم غيره وبمقتضاه يكون علم الجنس غير مقصور على السماع . وهو خلاف

حلس وأم الهنبر للأتان ، وأم فروة للنمجة
وأبو الحارث وأسامة للأسد وذوالة ودا لأن
بفتح الهمزة وإسكانها وأبو جمعة وأبو جمعة
المذنب ، وثعالة وأبو الحمين وسمسم للشعلب ،
وجيأل وألفاظ كثيرة للضبع ، وابن آوى
وابن عرس لنوهين من السباع وابن مقرض
لدويبة تقتل الحمام ، وصام أبرص وأبو برص
للوزع ، وحمار فبان لدويبة كشمة الأرجل
تنقمص عند ما تلس ، وبنات وردان لنوع
من الحشرات يكون في البيوت ، وأبو براقش
لظائر فيه ألوان يتلون ريشه في النهار عدة
ألوان ، وأبو جمران لذكر الخنافس ،
وأبو حباب لدويبة صغيرة تضيء ليلاً ،
وأم قشعم وشعوب للبنية وبنات المطر لدويبة
حمراء تظهر غب المطر ، وشبوة وأم عريط
وأم العريط باللام للعقرب وأم العوام
للسلحفاة ، وأم حفصة وأم جعفر للدجاجة ،
وأم مهدي للجماعة ، وأبو المرقال وابن دأبة
للغراب ، وعامر بن عامر للبرغوث ، وأبو هذوها
المخترع للشيء ، وابن أحماد للحذر ، وابن أقوال
للسنطيق ، وأبو ذبان للأبخر ، وابن هبراء
للص ، وأبو دراص وأبو ليلى وأبو الدغفاء
للأحق وابن أبي وهيان ابن ميان للجهول
الذي لا يعرف ، وجابر وابن حبة ويقال
جابر ابن حبة للخبز إلى غير ذلك .
ولا يخفى أن في هذه الأمثلة كثيراً مما
هو للألوفات من الاناسى والحيوانات وقد

طابع التوليد ، فهل كل هذه الاسماء ما يندرج
في علم الجنس ، وما يكون منها لما يؤلف
بعد من قبيل المولد ؟ .

إن هذه مباحث بحاجة إلى التفحص ، وإن
أول ما نستفيد منها هو فتح هذا الباب أيضاً
في وجه العاملين على نمو اللغة العربية وتوسيعها
ومسايرتها لروح العصر في النهضة والتقدم .

ثانياً : وينقسم باعتبار مدلوله إلى قسمين
أيضاً عند ابن خاتمة : قسم خاص بالأعيان ،
وقسم خاص بالمعاني ، وجعله غيره ثلاثة
أقسام فاستخرج من قسم الأعيان قسماً خاصاً
بما يؤلف منها وهو القسم الذي استبعده
ابن خاتمة وجعله من قبيل المولد .

أمثلة من القسم العيني

أم غياث السماء ، وذكاء ويوح بالمشاة
ويوح بالموحدة وبزراخ للشمس ، وبنات
نفس للنجوم الشمالية المروقة ، وبنات بخر
للسحاب ، وبنات بخر وبخر لسحاب تجيء قبل
الصيف منتصبات وقاق وأم راشد للفقارة ،
وأم الظباء للفلاة ، وأم صبار للحرة وابن
النعامة الطريق ومخاوض الثعلب وملاحس
البقر ووحش أسمت وبلد أصمت وعين دبار
لأبعد الأرض الذي يحار السائر فيه عن
القصده ، وبنات أوبر لضرب من السمكة
ردى ، وتبدة لمائة من الابل ، وبنات رباط
للخيل ، وبنات صعدة للحمر الوحشية وأم

إلى ذلك سيديويه حين قال : « ومن ذلك ابن قنبر وهو ضرب من الحيات فكأنهم إذا قالوا هذا ابن قنبر فقد قالوا هذه الحية التي من أمها كذا وكذا ، الخ .

ويلاحظ أيضاً أن بعض هذه المسيمات بما له اسم وكنية ، وبعضها ليس له إلا أحد الأمرين ، وبعضها وهو غريب ليس له اسم جنس ، وإنما يعرف بعلمه كحمار قبان وابن مقرض .

ومما يستشكل كون ذلك ويوح وما إليها علم جنس الشمس ، فإذا كان معناه الحقيقة الذهنية فإنها هنا واحدة في الذهن والخارج ، ولا أفراد لها فيما تراه العين إلا ما يقوله الفلكيون من أن هناك شمساً عديدة ، ولكن الواضح لم يقصد ذلك قطعاً على أن اسم يوح رجونا أنه كان يطلق في غير العربية من اللغات السامية على الشمس ، ولا ندري أهو فيها معرفة أم نكرة ؟ وأياً ما كان فإن الاستشكال قائم بالنسبة إلى صفته في العربية وهي العلمية الجنسية ، إلا أن نقول أن الجنسية هنا معتبرة بالنظر إلى الزمن وتنقلات الشمس في أوجها .

والخلاصة أن علم الجنس موضوع طريف في اللغة العربية وهو يقتضى تعاضد الجهود لتحقيق مباحثه .

عبد الله كنوه

ذكرها ابن خاتمة في قسم الأعيان من دهرم الجفيس ، العربي ولم يستشعر أى فرق بينها وبين ما حكم عليه بأنه مولود وهذا هو موطن الغرابة .
أمثلة للقسم المعنوي

برة للبرة ، وفجار للفجور ، ويسار لليسر ، وسبحان للتسبيح على ما فيه من خلاف . وكيسان للفسور ، ومنه سموا الضربة بالرجل على مؤخر الإنسان بأم كيسان وبنات عير للكذب وقيل للباطل ، وطاطن باط للتخليط والكذب ، وأبو همرة وأبو مالك العور ، وأم ملدم بالعدل والعدل وأسماء أخرى للحمى وأم الربيق كرمير وبنت طابق وألفاظ أخرى للدهية ، وأم دفر وألفاظ أخرى للدنيا ، وابنا سمير وابنا جدير الليل والنهار ، وابن ذباب للصبح ، وابن جلال أول النهار ، في قول ، وفيئة بمعنى الحين بعد الحين وغدوة وبكرة وسحر إذا قصدت من يوم بعينه وقيل مطلقاً في الأولين . والأعداد إذا قصدت معانيها مجردة من المعدودات نحو ثمانية ضعف أربعة والأمثلة التي يوزن بها كقولك فعلان فعلى صفة لا تنصرف .

تعقيب :

مما يلاحظ في هذه الأعلام أن صفة ما لوحظت فيها مع العلمية ، كخصاير الضبع فيه معنى انتفاخ البطن ، وابن دابة للغراب لوقوعه على دابة البعير ونحو ذلك وقد أجمع

عِبَادُ الرَّحْمَنِ

لِلأَسْتَاذِ مُحَمَّدٍ الشَّرْقَاوِي

رمضان سنة لا شهر، كما كتب مرة أستاذنا الزيات . فإذا كنا نتلو قول الله تعالى : شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . فنعرف أن الله كرم رمضان نفسه بأن بدأ نزول القرآن فيه ، وجعلناه لذلك شهر العبادة والقرآن والخير . وإذا كنا نعرف من حديث الرسول الكريم أنه : « كان أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان » . فجعلناه نحن أيضا شهر البر والمعروف والصدقة ، إذا نحن قرأنا ذلك وعرفنا ووعينا ثم أطلعنا وعملنا قلن نكون عاملين طامعين إلا إذا كان رمضان وكان عملنا هذا فيه يشمل أيا منا كلها ويستوعب الشهور كلها والعمر كله أى أن يكون ذلك وكدهياتنا ومحور أعمالنا ذلك وأساس كل تصرف نقدم عليه وكل فكرة لنا أو خاطر .

إذا التزم كل منا ذلك في رمضان وغيره كان ذلك دليلا على صدق الإيمان وصفاء القلب ونقاء الضمير ، وإذنا بأننا قد التزمنا « مكارم الأخلاق » التي بعث النبي عليه السلام لإتمامها . وأنتا انتهينا عن الفحشاء والمنكر ،

الذين جعل الله الصلاة نهاية عنهما . وهذا الالتزام لمكارم الأخلاق والانتها عن المنكر والفحشاء ، هما ثمرة الإيمان ، في رمضان وغير رمضان .

ومن منا نحن الصائمون العابدين المطيعين في رمضان وغيره لا يريد أن يكون من عباد الرحمن ؟ .

ولكن : من هم عباد الرحمن هؤلاء الذين نريد أن نكون منهم ؟ .

لقد نسبهم الله إلى صفة « الرحمة » ، فسماهم : « عباد الرحمن » ، ووصفهم فكان أول ما ذكر لهم من الأوصاف اثنتين من فضائل الأخلاق : التواضع والسماحة وكرم الخلق : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاما » . ثم عقب فذكر صلاتهم وعبادتهم المخلصة الخاصة : « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » . ثم ذكر خشيتهم لله ودعاهم أن يصرف عنهم غضبه وسخطه وعقابه : « والذين يقولون : ربنا اصرف عنا هذا جحيم إن هذا بها كان غراما » . ثم ذكر أنهم السويرون العادلون المعتدلون « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا

هذه العبادات التي أمر بها الله وأوجها على كل مكلف لا بد أن توجد في النفس ملكة التقوى، والرعاية لله والخلق والفضائل حتى لا تكون حركات لا تؤدي غاية ولا توصل إلى ثمرة .

فقد أمر الله بالبر والصدقة ، مثلا ، ولكنه جعل لهذا البر وهذه الصدقة آدابا ، لا بد أن تراعى وتلتزم . وفقدان هذه الرعاية وهذا الالتزام يحبط هذا العمل الصالح . كما قال الله تعالى - لأن العمل نفسه قد تكون له دوافع غير كريمة من الأثرة والأنانية والتظاهر والمن : « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى . كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر . فثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ، (١) » .

فنحن فعلم من هذه الآيات الكريمة أن الفضائل والآداب التي تلبس الصدقة والبر وبذل المال ، والدوافع التي تحرك النفس لها ، قد تكون أهم من المال المبذول نفسه ، على حب النفس للمال وحرصها عليه . فسفر الصدقة واصطحابها بالكلمة الطيبة المواسية التي تباعدها عن المن والأذى ،

وكان بين ذلك قواما ، . والذين يؤمنون بالله وحده فلا يخشون أحداً غيره ولا يخضعون لأحد سواه : « والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، . والذين يقدرُونَ الحياة الإنسانية حق قدرها والشرف والعرض : « ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون » . والذين يعرفون للحق حرمة ويتجاوزن عن إساءة المسيء ، فضلا وكرما وصيانة : « والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما » . والذين يسمعون آيات الله بأذانهم فتنأثر بها نفوسهم وتخضع قلوبهم ، « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا » . وأنهم الذين يدعون ربهم أن يهبهم ، من زوجاتهم وأزواجهم ، قررة الأهل من الأبناء والبنات ، وأن يجعل منهم القدوة الحسنة للبتقين : « والذين يقولون : ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للبتقين إماما ، .

من منا ، نحن الصائمين المطيعين ، في رمضان وغيره ، لا يريد أن يكون واحداً من عباد الرحمن هؤلاء الذين بشرهم الله بأكرم بشارة : « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلتقون فيها تحية وسلاما . خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاما » (١) .

(١) عباد الرحمن : الآيات ٦٣ - ٧٧ من سورة

الفرقان .

(١) الآية ٢٦٤ من سورة البقرة .

وصدقتها ، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها . قال - أى النبي عليه السلام - هى فى النار . قال الرجل : يا رسول الله : فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقها وصلاتها ، وأنها تصدق بالأنوار^(١) من الأقط^(٢) ولا تؤذى جيرانها بلسانها . قال عليه السلام : هى فى الجنة^(٣) .

ولا بد أن يكون المراد بالصلاة والصوم والصدقة فى الحديث ما زاد على الصلاة المفروضة وصوم رمضان والزكاة المفروضة أيضا .

والآن نذكر نماذج ثلاثة من هؤلاء المؤمنين الذين امتثلوا أوامر الله فصاموا وصلوا وتعبدوا وأطاعوا ، فأثمر هذا كله ثمرته فى قلوبهم وضمائرهم ، ثمرة من الإيمان والتقوى تحجزهم عن كل شر وتدعوهم إلى كل خير ، فهى رقيقة على كل ما يأتون ويدعون من عمل :

(١) كان أبو حنيفة ، كما نعلم ، تاجراً . ولكن حب المال وشهوة الكسب لم تقطع

(١) فى النهاية من غريب الحديث والأثر : للنور : إناء من صفر أو حجارة قد يتوضأ منه وقد يشرب فيه . يشير الحديث إلى أنها كانت تصدق بالشيء القليل

(٢) الأقط ، أر الأقط : طعام يتخذ من اللبن الخبيض ، وهو من ألبان الإبل خاصة أو المعز .

(٣) مسند أحمد ج ٢ ص ٤٤٠ .

أو بالصمت المذهب العطوف ، مقصد أسى تدهو إليه هذه الآية الكريمة عند البذل والصدقة وتقديم المعروف . أما من يصحب بذله بالإن والاذى فثله كما صورت الآية الكريمة ، ونتيجة عمله وبذله أنه كمن لم يكسب ثواباً ولم يعمل خيراً ولا معروفاً ، مع أنه أنفق وبذل وتصدق . ولكنه قد امتن وأذى غبط عمله .

ثم نعرف من حديث الرسول الكريم أن امرأة تكثرت من الصلاة والصيام والصدقة وقد تطوع بالأيام تصومها وبالليالي تقومها وهى مع ذلك من أهل النار . ولا عجب فى ذلك فى مقياس الحقائق والنتائج والثمرات هذه المتصدقة المتطوعة بالصوم الكثير والتهجد الطويل من أهل النار لأن عبادتها لم تكن صادقة ولا خالصة فلم تهذب نفسها ولم تحجزها عن أذى جيرانها كما سنجده فى الحديث الشريف ، الذى نعرف منه أيضا أن امرأة أخرى قليل صيامها قليلة صلاتها قليلة صدقتها وهى مع ذلك من أهل الجنة ، لأن صيامها هذا القليل وصلاتها القليلة وصدقها القليلة أيضا كانت صادقة خالصة لله فمذبت نفسها ومنعتها من أذى جيرانها وعصمتها عن إيقاع الشر بهم .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله فلانة ، يذكر من كثرة صلاتها وصيامها

ما دفعته ، وقال المشتري : إني قد رضيت بالثمن وما شكوت غبننا . فقال ابن المنكدر : وإن رضيته ، فإننا لا نرضى ، ورد إليه ما دفع من الزيادة .

(ج) ومثل ذلك فعل يونس بن عبد الجليل كان في متجره أنواب وحمل متفاوتة الثمن بعضها بمائتين من الدراهم وبعضها بأربعمائة وذهب يوماً إلى المسجد وترك أخيه في الدكان وجاء زيون يشتري فعرض عليه الأنواب فاختر منها ثوباً بمائتين راقه واستحسنه ، وتقاضى منه ابن أخى يونس أربعمائة ، وانصرف المشتري يحمل حلته على يده فالتقى به يونس وهرفها ، فاستوقفه يونس وسأله عن ثمنها فأخبره ، وقال له يونس : إن ثمنها مائتان لا تزيد ، فأجابه المشتري : إنها في بلدنا تساوي خمسمائة ، وقد اشتريتها ورضيت ثمنها واخترتها بنفسى ولا أجدنى مغبوناً ولكن يونس لم يتركه حتى عاد معه إلى المتجر . وهو يقول : إن النصح في الدين والأمانة في الربح خير من الدنيا وما فيها ، ورد عليه مائتي درهم واختصم ابن أخيه في ذلك لاثنماً زاجراً يقول : أما تتق الله في بيعك ؟ تربح ضعف الثمن ... ؟ فأجابه : إن المشتري قبلها راضياً عنها وعن ثمنها ، فقال له يونس : وإن كان لنا لا نرضى لغيرنا إلا بما رضينا لأنفسنا .

* * *

على قلبه ، ولم نفسه حق الله والدين والخلق ولم يجعله من الذين قال الله فيهم : الذين إذا اكْتَبَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ^(١) . فلم يخدع ولم يرض بالخداع ولو كان من ورثته ربح جزيل . كان حفص بن عبد الرحمن شريكاً له في التجارة ، وترك أبو حنيفة لحفص ثوباً معيباً وأخبره بعيبه وأن ينقص من ثمنه بما يساوى هذا العيب ، وأن يبين لمن يشتري الثوب ما فيه من عيب حتى يشتريه عن ييفة . وباع حفص الثوب ونسى أن يبين لمن اشتراه عيبه ، واستوفى منه الثمن كاملاً . وعرف أبو حنيفة ما كان من أمر شريكه فأرسل إليه أن يبعث عن المشتري ليخبره بعيب الثوب ويرد له بعض الثمن ، وبحث حفص عن المشتري فلم يجده ، ولم يرض أبو حنيفة أن يقبل ثمن هذا الثوب ولا أن يضمه إلى ماله ، بل تصدق به كله ، وفض ما بينه وبين حفص من الشركة ، تهرزاً وحيطه وتقوى .

(ب) وكذلك كان محمد بن المنكدر تاجراً غاب عن متجره فلما عاد وجد غلامه باع ثوباً بعشرة دراهم ثمنه خمسة ، فظل يبحث عن المشتري نهاراً كاملاً حتى وجده فقال له لقد أخطأ الغلام في ثمن الثوب الذى اشتريته باهه لك بعشرة وثمانه خمسة فلك نصف

(١) الآية : ٢ - ٣ للطفين .

كلنا يريد أن يكون من عباد الرحمن ، ولذلك سعى وعمل وصدق إيمان لا يصل إليه أولئك : (الذين تراهم أبعد الناس عن الدين الصحيح ، وأبطل الناس عن تلبية الدعوة إلى الخير ، يقبضون أيديهم عن البذل والعطاء ، ويشغل عليهم أداء الحقوق ، يقطعون الأرحام ولا يصلون الفقير ولا يخففون عن من مكروب ، يصفهم الله فيقول : دأرايت الذي يكذب بالدين ... ؟ فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ، فويل للصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم براءون ويمنعون الماعون) (١) .

عباد الرحمن الذين يريد كلنا أن يكون منهم

هم الذين وصفهم الله تعالى بأوصافهم وذكرناهم هم أولئك الذين (أمتلأت قلوبهم بحسبة الله وسلطانه ، وظهر أثر ذلك الإيمان في أخلاقهم فلا غل ولا غضب ولا بغضاء ولا شح ولا قطيعة ولا جبن ولا أثرة ، هؤلاء المؤمنون الذين : إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) (٢) .

هذا هو الدين : عقيدة نقية ، ونفس سنية ، وأخلاق رضية ، وقلوب وفية) (٣)

محمود الشرفاوي

(٢) الآية ٢ من سورة الأنفال

(٣) للرحول الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت

(١) سورة الماعون :

قال عمر بن الخطاب : ثلاث يثبتن لك الود في صدور أخيك : أن تبدأه بالسلام ، وتوسع له في المجلس ، وتدهوه بأحب الأسماء إليه .

وقال : كفى بالمرء غيلاً أن تكون فيه خلة من ثلاث : أن يعيب شيئاً ثم يأتي مثله ، أو يبدوله من أخيه ما يخفى عليه من نفسه ، أو يؤذي جليسه فيما لا يعنيه .

نظرات في الأدب والتصوّف :

تطوّر التصوّف

للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

- التصوف في القرن الرابع والخامس :
- (ج) الجنديّة نسبة إلى الجنيد .
- (د) والحرازية نسبة إلى أبي سعيد الخراز .
- (هـ) والملاطية أو القصارية نسبة إلى حمدون القصار (١) .
- وفي زحمة هذه الفرق التي أشرنا إليها ، وبين عجيبيج آرائها المتسمة بالجرأة الفاتكة ، من مثل ما ظهر على لسان الحلّاج والبسطامي الذي كان يقول : « سبحاني ما أعظم شأنى » .
- وبقول : « دفعني مرة فأقامني بين يديه » ، وقال لي : يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك قفّلت : زيني بوحدا نيتك ، وألبسني أمانيتك ، وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رأي خلقي قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك .
- هب الفقهاء يردون على هذه الأقوال التي تدل دلالة صريحة على كفر قائلها . وتناولوها وقائلها بالرد العنيف والنجرج القاسي لأن الأمر في اعتقادهم يتعلق بالعقيدة التي يجب أن تظل نقية من الشوائب ، خالصة من الأدران ، ولم يقف الصوفية أمام هذا الهجوم العنيف من جانب الفقهاء مكتوفي الأيدي ،
- (١) السقاية نسبة إلى السري السقطلي .
- (ب) الطيفورية نسبة إلى أبي زيد طيفور البسطامي

في أفقه شهاباً ساطعاً ، فوجد هذا الخلاف المستعر وأخذ ينظر في أسبابه ودواعيه ، وأى الفريقين على حق وأى على باطل ، ثم أخذ يقتل في أطوار - البحث والعلم من طريق إلى طريق ، ومن مذهب إلى مذهب ، كما عير عن ذلك في كتابه المنقذ من الضلال ، فقد كشف فيه عن حيرته ، حتى انتهى به الأمر إلى تفضيل طريق الصوفية ، وأنه هو الطريق إلى السعادة والنجاة وصرح الغزالي بذلك بعد أن درس الفلسفة وعلم الكلام ، وانتهت إليه الرئاسة في علوم الشريعة ، ثم أقبل على طريق الصوفية فحذقه علماً وحلاً ، واستطاع بما أوتي من قوة البيان ، ونصاحة الحجة والقدرة على الجدل والحوار ، وفقاذ البصيرة أن يمزج بين علوم الشريعة والتصوف وأن يدخل كثيراً منه في مباحثها ، وأبان أن هذا متمم لذلك ، وقد تقبل أهل السنة بعده خلال القرنين السادس والسابع هذا الصنيع بالقبول الحسن ، وخفت حدة الخلاف بين الفريقين .

القرن السادس والسابع :

اختلط الصوفية في القرنين السادس والسابع بالشيعة الإسماعيلية ، وتلقوا كثيراً من الفلسفات التي غزت العالم الإسلامي آنذاك ، فبدأ في كلامهم القول بالقطب ، وهذا الاتجاه مأخوذ عن الشيعة في قولهم بالإمام المستور . وذهبوا إلى القول بكشف حجاب الحس ، والاضطلاع على الأمور قبل وقورها

بل انبرى منهم فريق يردون اتهام الفقهاء ، محاولين تبرئة شيوخهم مما لصق بهم ، أو تأويل كلامهم بما يتفق مع معتقدات الجمهور وآرائهم ، واستعرت نار الحرب بين الفريقين ، واتسعت شقة الخلاف ، ومنذ ذلك الحين أخذ كل من الفريقين ينأى عن الآخر بجانبه ، ويشيح عنه بوجهه ، وألقت الانهزامات العريضة من جانب الفقهاء على الصوفية يرمونهم بالكفر والزندقة ، وانبرى الصوفية يقولون إن هذه مقامات لم يصل إليها الفقهاء ، ولم يبلغوا إدراكها ، ولو وصلوا لعرفوا ، ومن ذاق عرف - كما يقولون - وظل الخلاف على أشده بين الفريقين ، ونجم عن ذلك ظهور فكرة علم الشريعة والحقيقة ، والعلم الظاهر والعلم الباطن

وذهب الصوفية إلى أن النفس بدوام المجاهدة والرياضة تصفو وتشف حتى تستطيع أن تصل إلى مراتب من العلم والمعرفة ، يطلعهم الله فيها على كثير من الأسرار ، لا يستطيع الوصول إليها أهل العلم الظاهر ، كما ذهبوا إلى أن العقل الذي يعتمد عليه الفقهاء في إثبات الأشياء ليس سفيراً أميناً قوياً يستطيع أن يصل إلى هذه المدارك .

بل الذوق والقلب هما الطريق المأمون ، وأقبل القرن الخامس وحمل فيما حمل من العباقرة والعظماء أبا حامد الغزالي ، وأطلعه

وقد تعددت فيهما الطوائف الصوفية أكثر من ذى قبل ، ويعتبر هذا غاية ما وصل إليه التصوف من أفكار وآراء ونظريات .

أما بعد ذلك فالتصوف لم يعد أن يكون شرحاً لهذه النظريات أو اختصاراً لها ، أو تعليقاً عليها ، إلى غير ذلك ، ولم يكن له أثر يذكر ، وإن كان التصوف في القرون المتأخرة قد قام بدور كبير في تكييف الحياة الاجتماعية .

بهذا التطواف السريع مع الصوفية في تاريخهم ومراحلهم المختلفة نكون قد وقفنا على أهم التعاليم والمبادئ والنظريات والمثل التي آمنوا بها وعملوا من أجلها وكانت منطلق تفكيرهم وإحساسهم ، ونستطيع أن نقول إن أظهرها وأقواها . الخوف ، والحزن ، والزراية على الدنيا والزهد فيها والشوق إلى الله ، والحب لذاته ، ثم الفناء فيه ، والاستغراق في وجوده ، وكذلك القول بوحدة الوجود ، والتجلى والشهود والاتحاد .

وسنرى فيما بعد أن أدب الصوفية يدور حول هذه المعاني ، ويجول في ساحات هذه الأغراض ، فما هو ذلك الأدب ؟ وما مظاهره ؟ وما مدى الصلة بين الأدب والتصوف ؟

سنحاول أن نجد إجابات عن هذه الأسئلة إن شاء الله .

محمد إبراهيم الجبوسى

والتصرف فيها وأن ذلك إنما يسكون بالمجاهدة والرياضة ، وقتل نزعات النفس ، وإمالة قوى الجسد ، حتى تقوى الناحية الروحية في الإنسان فتستطيع أن تفعل ذلك .

وظهرت أيضاً فكرة الاتحاد والحلول والوحدة ، ونظرية الإنسان الكامل ، مما يعد مزيجاً من آراء الفرق الدينية والفلسفية المنتشرة في ذلك العصر ، وأوضح مثال لذلك السهروردي المقتول في كتابيه «حكمة الإشراق» و«هياكل النور» .

ومن علاقة الصوفية في هذا القرن بحى الدين ابن عربى ، وفي كتبه بين نظم ونثر فيض من هذه الآراء الجريئة .

وفي شعر ابن الفارض وخاصة الثائية الكبرى أوضح بيان لمذهب الوحدة عند الصوفية . وقد لجأ الصوفية إلى الرمز في التعبير عن هذه الآراء ، وحتى من تناول كلامهم بالشرح لم يخرج عن هذا الفلك الذى داروا فيه بما أرادوا من رموز ، وأقرب مثل على القول بوحدة الوجود بحى الدين بن عربى في قوله : سبحانه خالق الأشياء وهو عينها . وقوله : يا خالق الأشياء فى نفسها

أنت لما تخلقه جامع مخلوق ما لا ينتهى كونه

فيك فأنت للضيق الواسع وكان التصوف خلال هذين القرنين يجمع بين الناحية العملية والناحية النظرية ،

رأى في بعض القواعد النحوية

مفاعل ومفاعيل

للأستاذ أحمد مختار عمر

فأما مجرى السلام الأكثر فإن يجمع بالواو والنون ، والمؤنث بالتاء . وكذلك مفعل (بضم وفتح) ومفعول (بضم وكسر) . إلا أنهم قد قالوا منسكراً ومناكير ، ومفطر ومفاطير ، وموسر ومياسير ، . فلكمة الأكثر تفيد أن جمع التكسير كثير لقليل . وهذا الذي اشتملته من كلام سيبويه ، كان حافزى إلى محاولة درس هذه القاعدة من جديد ، ونتجها في كتب اللغة والنحو والأدب . وبعد جولة طويلة في عشرات من أمهات مصادرنا ، تبين لى أن هذا المنع لا مسوغ له ، ولا يستند إلى واقعنا اللغوى ؛ ودليل على ذلك ما يأتى :

أولاً : أنى وجدت من اللغويين من صرح بصحة التكسير ، ومن هؤلاء الفارابى (أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم صاحب ديوان الأدب . وقد توفى سنة ٣٥٠ هـ) فقد قال : « وإذا كانت الزيادة ميا مفتوحة فهو اسم الزمان والمكان والمصدر . هذا إذا كانت العين مفتوحة .. وإذا كانت العين مكسورة

المشهور بين الباحثين أن كل ما بدى بميم زائدة من أسماء الفاعلين والمفعولين لا يصح جمعه جمع تكسير ، وإنما يجمع جمع مذكر سالم . أو جمع مؤنث سالم . ولا يستثنى شيء من ذلك . وقد نص الزنجشري على أن هذا النوع مما يستثنى فيه بالتصحيح عن التكسير ، وأيد ابن يعيش هذا الزعم واعتبر أن ما جاء من هذا النوع مكسراً من قبيل الشاذ الذي يحفظ ولا يقاس عليه (١) ولكن سيبويه يفصل ، فيجيز في مفعول (بضم الميم وكسر العين) الذى يكون للمؤنث ولا تدخله الهاء أن يكسر ؛ وذلك نحو مطلق ومطافل ، ومشدن ومشادن ويمنع تكسير ما عدا ذلك (٢) .

ومع ذلك نلاحظ على سيبويه أن عبارته ليست صريحة في المنع ، فهو يقول : « قالوا مكسور ومكاسير ، وملعون وملاعين ، ومشثوم ومشائم ، ومسلوخة ومسا ليخ ..

(١) شرح للفصل لان يعيش ٥ - ٦٧ .

(٢) الكتاب ٢ - ٢٠١ .

والعين (ومفعلا (بضم وكسر) في بعض المواضع .

ويقول بعد أن عدد منهجه فيما تركه :
« ومنه أني لا أذكر تسكير المزيد من الثلاثي
ولا تسكير بنات الأربعة ، ولا يمثل على
بذكرى متائيم في جمع متأم ونحوه ، فإنما
أذكر ذلك لأشعر أن مفعلا (بضم وكسر)
في نية مفعال ، (١) . ومفهوم هذا أن جمع
متأم على متائم قياس .

ثانياً : أن هذا الجمع قد تردد كثيراً
في كلام اللغويين الثقات ، دون أن يكون مثاراً
للنقد ، رغم كثرة ما ألفت في نقد اللغويين
وتبجح زلاتهم ، ومن ذلك قول ابن قتيبة
في كتابه « أدب الكاتب » ، بعد أن ذكر
بعض الكواكب ومنازلها ، فهذه الكواكب
ومنازل القمر مشاهير الكواكب ، (٢) .
ويقول الفارابي في معجمه « ديوان الأدب » :
« وإبل دقاني أي مهازيل ، ويقول « ابن مناذر
(بضم الميم) شاعر ، وبعض يفتح الميم منه
فيقول مناذر يريد جمع منسذر ، ، ويقول :
« وحفتهم الحاجة إذا كانوا محاييج ، ويقول
« الخذف بالخصى الرى به بالأصابع ، وهو
أحد مناكير قوم لوط ، (٣) . وقد استعمل

مع فتح الميم فهو اسم المكان والزمان مما كان
مستقبلاً على يفعل بكسر العين . وما كان بضم الميم
وفتح العين فهو اسم المكان والزمان والمصدر
والمفعول من أفعل يفعل . وإذا كسرت
العين منه فهو اسم الفاعل من هذا الباب . .
وإذا كانت الميم مكسورة والعين مفتوحة
فهو ما يعمل به وينقل (١) . . . وجمعها
جميعاً بالهاء كان أو بغير الهاء . على
مفاعل (٢) .

وقد وجدت هذا الرأي كذلك عند المبداء في
صاحب « السامى في الأسامى » ، إذ يقول :
« وإذا كان أول حروف منه ميماً زائدة جمع
على وجه واحد سواء كانت الميم مفتوحة
أو مضمومة أو مكسورة ... وكذلك القياس
فيما رابعه حرف مد ولين نحو مملوك ومما إليك
ومفروود ومفاريذ ... وكذلك إن كان مثقل
الحرف نحو مخنث ومخانيث ، (٣) . فهذا صريح
في جواز هذا الجمع .

كذلك يؤخذ من كلام ابن سيدة في مقدمة
« المحكم » ، قياسية هذا الجمع إذ يقول : « ولا يلزم
إذا كان لفظ الجمع مفاعل أن يكون الواحد
مفعلاً (بفتح وكسر) ، بل قد يكون مفعلاً
(بفتح وكسر) ومفعلاً (بفتح الميم

(١) يعنى به اسم الآلة .

(٢) ديوان الأدب الورقة السادسة .

(٣) السامى في الأسامى . لوحة ٣ .

(١) مقدمة المحكم ص ٧ ، ١١ .

(٢) ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٣) ديوان الأدب . ورقة ٢٥٩ ، ٦٦ ، ٢٦٤ .

وقول الراجز :

ألا انهاهما إنها مناهيم ^(١)

وخير ذلك .

رابعا : أننى رجعت إلى كثير من كتب
اللفظة لأحصى ما جمع من هذا النوع جمع
تكسير ، فأحصيت ما يربو على الثمانين كلمة .

ولا أزم أننى أحصيتها كلها ، كما لا أزم
أنها كل ما جمع من هذا النوع جمع تكسير ،
وهذه هى الكلمات مرتبة ترتيبها هجائيا
بحسب حروفها الأول :

همزة : مؤتمر (بضم وكسر ومعناه شهر
المحرم) ومأمر ومأمير - مأسور ومأسير .

باء : مبسق (بكسر السين من أبتقت الناقة
وقع فى ضرعها اللبن قبل الفنتاج) ومسابق
ومباسيق - مهلة (بكسر الهاء ، الناقة
لا خطام عليها) ومباهيل .

تاء : متهم (بضم وكسر) ومتاهم ومتاهيم -
متأم ومتائيم .

ثاء : مثلوج ومثاليج - مثقوب ومثاقيب .
جيم : مجال (بكسر اللام ، الناقة تدر
على الجوع) ومجاليج - مجهض (بكسر الهاء)
ومجاهيض - مجسد (بفتح السين ، ما أشبع
صبغه من الثياب) ومجاسد - مجرج (بكسر

(١) ديوان الأدب ورقة ١٥٦ .

الغير وزأبady فى قاموسه كلمة المشاهير ، ^(١)

واستعمل الزبيدى فى مستدركه كلمة المشاكل ^(٢)

ثالثا : أن هذا الجمع قد تردد فى كثير
من الشواهد النثرية والشعرية ، ومن ذلك
قوله تعالى : « وحرمنا عليه المراضع من
قبل » ، وقول الشاعر :

قالت سليمي لا أحب الجعدين
ولا السباط إنهم مناتين

وقول الآخر :

ترى أنفا دغما قباحا كأنها
مقاديم أكيار ضخام الارانب ^(٣)

وقول الهذلي :

كان مصاعيب غلب الرقا
ب فى دار صرم تلاقى مريحا ^(٤)

وقول الفرزدق :

مشائم ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناهب إلا بين غرابها ^(٥)

وقول أبو ذؤيب :

وإن حمديثا منك لو تبدلينه
جنى النحل فى ألبان عود مطافل

(١) ٢٢٤١ .

(٢) تاج العروس - مادة شكل .

(٣) لسان العرب مادة تن وكير .

(٤) ديوان الهذليين ١٣٠ .

(٥) كتاب سيويو ١٨٤١ .

- الراء ، الناقة ليس فيها ما يروى (بجاريح
- مجهولة وبجاهيل - مجنون وبجانين .
- حاء : محقق (بكسر الخون ، وهو الضامر)
وبحانيق - محدث (بكسر الدال ، الناقة دنا
تتاجها) ومحدث - محرم (بتشديد الراء
وفتحها) ومحارم ومحاريم - محتاج ومحاويج .
- خاء : (محرط بكسر الراء ، الناقة تفقد
لبها) ومخارط ومخاريط .
- دال : مدنية ومدان .
- ذال : مذهب (بفتح الهاء) ومذاهب
- راء : مرد (بكسر الراء وتشديد الدال ،
الناقة شربت الماء فورمت) ومراد - مرء
(الناقة اصتبان حملها) ومرء - مرسل بفتح
(السين) ومراسيل . مرصع (بكسر الصاد ،
النجلة لها فراخ) ومراصيع - مرجوع
ومراجيع .
- زاي : مزهور ومزامر .
- سين : (مسند بفتح النون) ومساند -
مسلوخة ومسالمخ - مسنفة (بكسر النون ،
متقدمة) ومسائيف .
- شين : مشرق (بتشديد الراء وفتحها)
ومشارق - مشثوم ومشائم - مشدن (بكسر
الدال ، الظبية شدن ولدها أى طلع قرنه)
ومشادن ومشادين .
- صاد : مصعب (بفتح العين) ومصاهب
ومصاعيب .
- ضاد : مضمون ومضامين .
- طاء : مطفل ومطافل ومطافيل - مطرف
(بفتح الراء ، رداء من حرير مربع)
ومطارف .
- هين : معضلة ومعاضيل - معجل (بكسر
الجيم) ومعاجيل - معصر ومعاصر ومعاصير -
معوز (بكسر الواو) ومعاوز .
- غين : مغد (بكسر الغين وتشديد الدال)
ومغاد - مغتلم ومغاليم .
- فاء : مفرق (بكسر الراء) ومفارق - مفيق
ومفاويق - مفطر ومفاطير .
- قاف : مقعنس ومقاعس - مقلوب
ومقاليب - مقرب (بكسر الراء) ومقارب -
مقطوع ومقاطيع - مقيد ومقاييد - مقدم
ومقدم (بكسر الدال) ومقاديم .
- كاف : مكسور ومكاسير - مكمر (بكسر
العين ، ولد الناقة إذا نبت في سنامه الشحم)
ومكاعير - مكبون (من صفات الفرس)
ومكابين .
- لام : ملعون وملاعين - ملقح (بكسر
القاف) وملاقح - ملقوحة وملاقيح .
- ميم : ملط (بكسر اللام ، الناقة ألت
جنينها) ومعاليط - مملص (بكسر اللام)

والسين والتاء من كستدع أزل
إذ بينا الجمع بقاها نخل
والهم أول من سواه بالقا
والهمز والياء مثله إن سبقا

ويقول ابن عقيل في شرح الألفية : إذا
كان الخناسي مزيدا فيه حرف ، حذف ذلك
الحرف إن لم يكن حرف مد قبل الآخر ،
فتقول في فدوكس فداكس وفي مدحرج
دحارج . ويقول تعقيبا على بيتي ابن مالك
السابقين : مستدع تقول في جمعه مداع ،
فتحذف السين والتاء وتبقى الميم لأنها مصدرية
ومجردة للدلالة على معنى . ويقول الخضرى :
كلام المصنف يشمل ما كان رباعى الأصول
زيد فيه حرف كدحرج أو حرفان كمتدحرج
ف يقال دحارج . ويقول : حذف العين
الأصل كختار ومنقاد لا يقلب بل يحذف .
ويقول : خاتر ومنقاد . وفيه نظر ظاهر ،
إذ القياس أن يقال : خاتر ومقايد .

وأظننا - الآن - بعد هذه الجولة الطويلة
لا نجد حرجا في استعمال كلمات مثل معاجم
ومشاكل ومواضيع ومفاهيم ومضامين
ومشاريع ومراسيم ومظارييف وغيرها ،
بما شاع استعماله على السنة المتحررين
من الكتاب ؟

أحمد محمد عمار

ماجستير في فقه اللغة

وباليس - بمجر (بكسر الغين ، الناقة تحلب
أبنا خلطه دم) وبماغير - بمجر (بكسر الجيم ،
الشاة التي لا تستطيع النهوض) وبماجر -
بملوك وبمايك .

نون : منفر ومناغير - منهوم ومناهيم -
منجد ومناجد - مفسوب ومناصيب - منزوح
ومنازيح - منقية (سميقة) ومناق - منن
ومناتين - منجب ومناجبة - مندب ومنادبة
منكود ومناكيد - منكر (بفتح الكاف)
ومناكير .

هاء : مهرع (بفتح الراء) ومهراع
- مهذب (بتشديد الذال وفتحها) ومهاذيب
ومهاذبة - مهزول ومهازيل .

واو : موقرة (بكسر القاف وفتحها)
وموقر (بكسر القاف وفتحها) وموقرة
جمعها موارق - مومس وموامس وميامس
ومياميس .

ياء : ميسور ومياسير - ميمون وميامين -
موسر ومياسير .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أسجل على
النحاة تناقضهم مع أنفسهم بخصوص هذا
الجمع ، فح أنهم يمنعونه - كما سبق النقل
عنهم - نجدهم عند حديثهم عن حذف بعض
حروف المنرد التي تخل بالجمع ، لم يلتزموا
ما قالوه من هدم جمع هذه الكلمات جمع
تكسير ، وابن مالك نفسه يقول في ألفيته :

عبد القاهر الجرجاني وأراؤه في الشعر والشعراء لدكتور الدكتور أحمد أحمد بدوي

— ٣ —

ويرى عبد القاهر أن أبا تمام لم يوفق لا يطمع المرء أن يجتنب لجته في استخدام كلمة (الأخضع) ^(١) في قوله : يا دهر ، قُوم من أخدعيك ، فقد أصبحت هذا الأنام من خرقك كما وفق الشاعر الجاسي في استخدامها ، هند ما قال :

تلفت نحو الحى حتى وجدتني وجمعت من الإصغاء ليثا ^(٢) وأخذها وكما وفق البحترى في استخدامها في قوله : ولأني وإن بلغتني شرف الغنى وأعتقت من رقد المطامع أخدعي فإنك تجد للكلمة عند أبي تمام من الثقل هل النفس ، ومن التنغيص والتكدير ، أضعاف ما تجد للكلمة عند الشاعرين من الروح والخفة ، والإيناس والبهجة ^(٣) . بل إن الكلمة عنده قد تجعل في موضع دون آخر ، مثال ذلك أنك تنظر إلى لفظة (الجسر) في قوله :

لا يطمع المرء أن يجتنب لجته بالقول ما لم يكن جسراً له العمل ^(١) وقوله : بصرت بالراحة الكبرى ، فلم ترها قتال إلا على جسر من التعب فزى لها في الثاؤ حسناً لا تراها في الأول ^(٢) . وبرغم أن أبا تمام مولع بالصنعة ، وبالإسراف فيها ، وقد يدفعه ذلك إلى الغموض والتعقيد ، فإن عبد القاهر يعترف بما يأتي به من جيد هذه الصناعة ، كقوله : وأنجدتم من بعد إتهام داركم فيا دمع أنجدني على ساكني نجد ^(٣) كما يثنى على ما يقرضه أبو تمام من الشعر الجيد ، فيرى من السكمانية الغادرة قوله : أبين ، فما يزن سوى كريم وحسبك أن يزن أبا سعيد ^(٤)

* * *

(١) يجتنب : يقطع . والعبية : معظم الماء .
(٢) دلائل الإعجاز ص ٦٢ .
(٣) أمرار البلاغة ص ١٠ :
(٤) دلائل الإعجاز ص ٢٤١ .

(١) الأخدعان : عرقان في جاني العنق .
(٢) البيت : صفحة العنق .
(٣) دلائل الإعجاز ص ٣٨ .

شتان بين اثنين : هذا موهب
 بتسلب الدنيا ، وهذا واعد^(١)
 اطلب بعقلك في الملاح سمية
 أبدأ ، فإنك لا محالة واجد
 والورد إن فكرت فرد في اسمه
 ما في الملاح له سمي واحد
 هذى النجوم هي التي ربهما
 بحيا السحاب ، كما يرى الوالد
 فانظر إلى الأخوين من أدناهما
 شهما بوالده ، فذاك الماجد
 أين الحدود من العيون نفاسة
 ورياسة ، لولا القياس الفاسد
 ويشرح عبد القاهر جمال هذا النص ، فيقول :
 ترتيب الصنعة في القطعة أنه عمل أولا على
 قلب طرفي التشبيه ؛ فشبه حمرة الورد بحمرة
 الحجل ، ثم تناسى ذلك ، وخدع عنه نفسه ،
 وحملها على أن تعتقد أنه خجل على الحقيقة ،
 ثم لما اطمأن ذلك في قلبه ، واستحكمت
 صورته طلب لذلك الحجل علة ، فجعل علة أن
 فضل على النرجس ، ووضع في منزلة ليس يرى
 نفسه أهلا لها ؛ فجعل يشوب من ذلك ، ويتخوف
 هيب العائب ، وغمزة المستزى ، ويجد
 ما يجد من مدح مدحة يظهر الكذب فيها ،

(١) أي أن النرجس للفضل عند الشاعر يظهر
 في أول الربيع ، فكأنه يمد بأن الأزهار
 والرياحين ستنبؤوه ؛ أما الورد للفضول فيظهر آخر
 الربيع فكأنه يتوعد الطبيعة بمآب بهجتها

وكان عبد القاهر معجبا بتشبيه ابن الرومي
 وحسن تعليمه ؛ فعند ما يصف المصلوب قائلا :
 كأن له في الجو حبلا يبوعه
 إذا ما اتقضى حبل أنيخ له حبل
 يعانق أنفاس الرياح مودعا
 وداع رحيل لا يحط له رحل
 يرى في هذا الشعر لونا من الدقة التي تعطى
 صورة المصلوب على وجهها الصحيح ،
 فاشترطه أن يكون له بعد الحبل الذي ينتهي
 ذرعه حبل آخر يبوعه ، يستوفى الشبه ؛
 لأنه إذا كان لا يزال يبيع حبلا لم يقبض
 باعه ، ولم يرسل يده^(٢) .

وما وقف عنده وقفة إعجاب وتقدير قوله
 في تفضيل النرجس على الورد :
 خجلت حدود الورد من تفضيله
 خجلا توردها عليه شاهد
 لم يخجل الورد المورد لونه
 إلا وناحله الفضيلة حائد^(٢)
 للنرجس الفضل المبين وإن أبي
 آب ، وحاد عن الطريقة حائد
 فصل القضية إن هذا قائد
 زهر الرياض ، وأن هذا المارد

(١) أسرار البلاغة ص ١٦٤ .

(٢) حائد : مخالف الحق . وناحله : من
 نصب إليه .

كانها فوق قامات ضعفن بها
أوائل النار في أطراف كبريت
غريبا عجيبا ؛ لأنه شبه نباتا غضا يرف ،
وأوراقا رطبة ترى الماء منها يشف ، بلهب
نار مستول عليه اليبس . ومبنى الطباع ،
وموضوع الجلبة على أن الشيء إذا ظهر من مكان
لم يمهّد ظهوره منه ، وخروج من موضع ليس
بمعدن له ، كانت صباية النفوس به أكثر وكان
بالشفغف منها أجدر . ولو أنه شبه البنفسج
ببعض النبات ، أو صادف له شبها في شيء
من المتلونات ، لم تجد له هذه الغرابة ، ولم ينل
من الحسن هذا الخط (١) .

ولهذا البعد بين المشبه والمشبّه به كان تشبيه
البنفسج بالنار أعجب وأعرب من تشبيه
الترجس في قول ابن المعتز أيضا :

كأن عيون الترجس الغض حولها

مداهن در حشوهن عقيق (٢)
ويطول في القول إن أوردت الأمثلة
الكثيرة التي مثل بها عبد القاهر من شعر
ابن المعتز في باب التشبيه وحسن التعليل ،
وغيرهما .

ولكنه يأخذ عليه أنه لا يحتاط في تنقية
عبارته ، فيرد فيها من الالفاظ ما ينبغي
أن يحترز منه ؛ ويرى ذلك سببا يالحق الضمير

ويفرط حتى تصير كلهم بمن قصد بها ، ثم
زادته الفطنة الثاقبة ، والطبع المشرع في سحر
البيان ما رأيت من وضع حجاج في شأن
الترجس ، وجهة استحقاقه ، الفضل على
الورد ؛ فجاء بحسن وإحسان لا تكاد تجد
مثله إلا له (١) .

والجملّة الأخيرة تدل على ما يحمله عبد القاهر
لابن الرومي من الإكبار والتقدير .

ووجد صاحب الدلائل والأسرار في شعر
ابن المعتز معينا لا ينضب لما يريده من أمثلة
للتشبيه . وابن المعتز مشهور بتشبيهاته
في الأدب العربي .

فن التشبيهات التي أعجبت عبد القاهر عند
ابن المعتز قوله :

وكان البرق مصحف قار

فانطباقا مرة ، وانفتاحا
وإعجابه بهذا التشبيه لا يعود إلى أن المشبه به
والمشبه مختلفان في الجنس أشد الاختلاف فقط ؛
بل لأن حصل بإزاء الاختلاف اتفاق كما حسن
ما يكون وأتمه ؛ فبمجموع الأمرين : شدة
اتلاف ، في شدة اختلاف ، حلا وحسن ،
وراق وفن (٢) .

ويجد التشبيه في قوله يصف البنفسج :
ولا زوردية تزهو بزرقها
بين الرياض على حمر اليواقيت

(١) المرجع السابق ص ١١٠ .

(٢) المرجع السابق نفسه

(١) أسرار البلاغة ص ٢٤٧ / ٢٤٨ .

(٢) أسرار البلاغة ص ١٣٠ .

بشعره . بل إنه يجعل ابن المعتز تليذاً لأبي تمام ، ولا يراه من الشعراء المطبوعين (١) . وإلى جانب تشبيهات ابن المعتز أورد كذلك من تشبيهات أبي فراس ، وأبي نواس ، وغيرهما من الشعراء .

٤ — وعبد القاهر لا يتعصب لشاعر قديم ، ولا يفضل على محدث لقدمه ، فهو يروى للشعراء الجاهليين والإسلاميين والمحدثين ، ويروى المشهورين والمغمورين ، فتراه يستشهد بشعر اسرى القيس وعلقمة وذى الرمة ، إلى جاف ابن لنكك وأبي الفتح البستي .

ولعله كان يرى هؤلاء الشعراء أساتذة تؤخذ قواعد البلاغة عنهم ، وربما كانت هذه النظرة ، برغم ذوقه المرفف ، سبباً في إعجابه بشعر لا يصل إلى أن يرضى عنه ، فضلاً عن أن يعجب به ؛ وخذ لذلك مثلاً موافقته على استحسانهم قول الخليل في انقباض كف البخيل :

كفك لم تخلقا للندى

ولم يك بخلهما بدعة

فكف عن الخير مقبوضة

كما نقص مائة سبعة

وكف ثلاثة آلافها

وتسع مئتيها لها منعة

فهذا النظم الذى هو أشبه شئ بالانغاز

(١) أسرار البلاغة ص ٢٦٢ .

لا يعد من الشعر فى شئ ، فضلاً عن أن يكون شعراً جيداً ، ولن يغنى عنه ما أطال به عبد القاهر فى شرحه ، ويبان سر جماله (١) . وعبد القاهر يرى أن الشعراء يأخذ بعضهم من بعض ، فنه أخذ ظاهر ، كما نرى فى قول البعيت :

أترجو كليب أن يحىء حديثها

بخير ، وقد أحيأ كليباً قديماً ١٢

فقد أخذه من قول الفرزدق :

أترجو ربيع أن يحىء صفارها

بخير ، وقد أحيأ ربيعاً كبارها (٢)

ومنه خفي كقول البحترى :

ولن ينقل الحساد بحبك بعدما

تمكن رضوى ، واطمان متالع

وقول أبي تمام :

ولقد جهدت أن تزبلوا عزه

فإذا أبان قد درسا ويعلم

فقد احتذى كل منهما على قول الفرزدق :

فادفع بكفك إن أردت بناءنا

شهران ذا المضبات ، هل يتحلل (٣)

ويرى الأخذ قسمين : قسم أنت ترى أحد

الشاهدين فيه قد أتى بالمعنى غفلاً ساذجاً ،

وترى الآخر قد أخرجه فى صورة تروق

(١) المرجع السابق ص ١٣٣ .

(٢) دلائل الإعجاز ص ٣٦١ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٦٢ .

وتعجب ؛ وقسم أنت ترى كل واحد
من الشعارين قد صنع في المعنى وصور ، فمن
القسم الأول الذي يكون المعنى في أحد البيتين
غفلا ، وفي الآخر مصورا مصنوعا ؛ ويكون
ذلك إما لأن متأخرا قصر عن مقدم ، وإما
لأن هدى متأخر لشيء لم يهتد إليه المتقدم .
ومثال ذلك قول المتنبي :

بئس الليالي ، سهرت من طربي

شوقا إلى من يبيت يرقدها
مع قول البحري :

ليل يصادفني ومرهفة الحشا

ضدين : أسهره لها ، وتنامه (١)
وذلك لأن البحري لم يزد على أن يتحدث
عن نوم حبيبته وسهره ، في حين أن المتنبي
أبدى عجبه وسخطه على تلك الليالي التي يبيت
فيها أرقا ، شوقا إلى حبيبة غافية .

ومن النوع الثاني الذي ترى فيه كل واحد
من البيتين صنعة وتصويرا وأصاذية على
على الجملة - قول رجل من الخوارج أتى به
الحجاج في جماعة من أصحاب قطرى ، فقتلهم
ومتن عليه ليد كانت هذه وهاد إلى قطرى
فقال له قطرى : عاود قتال هذو الله الحجاج ،
فأبى ، وقال :

أأقاتل الحجاج عن سلطانه

بيد تقر بأنها مولاته

(١) دلائل الإعجاز ص ٣٧٤ .

ماذا أقول إذا وقفت إزاءه

في الصف واحتجت له فعلاته ؟
وتحدث الأقوام أن صنائمه
غرست لدى ، فخطت نخلاته
مع قول أبي تمام :

أسربل حجر القول من لو هجوته

إذا لهجاني عنه معروفه عندي (١)
فسكلا الشعارين قد أبدع في عرض معناه .
ولا يرى عبد القاهر السرقة فيما اشترك
الناس في معرفته ، وكان مستقرا في القول
والعادات ، وإنما تكون السرقة فيما ينتهي
إليه المتكلم بنظر وتدبر ، ويصل إليه
بطلب واجتهاد .

ولم يمر عبد القاهر السرقة والاخذ كبير
اهتمام ، اللهم إلا على أنها لون من ألوان
اشترك الشعراء في المعنى ، وسبب يمد
للوازنة بين المعاني ، ويرى الفرق في الصور
التي يتناول بها الشعراء معنى واحدا .

وكانت دراسة لها وسيلة لدراسة ألوان
المعاني الشعرية ، وأصول هذه المعاني (٢) ؟

دكتور محمد محمد بروني

أستاذ بكلية دار العلوم

(١) المرجع السابق ص ٣٨٣ .

(٢) عبد القاهر الجرجاني ص ٣٧٣ - ٣٧٨ .

الدَّعْوَةُ الزَّاحِفَةُ

لِلأَسْتَاذِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ خَلِيفِهِ

باليقين من سبيل - فصاح ورجعت الأصدا
صبيحته وهرع السادة والعبيد جميعاً إلى
صوت النذير ، فلما اكتملت الحشود خطب
وأنذر .

ومن هنا بدأت الدعوة حياتها المسكخة
فشبت للعواصف الفارسية حيناً ، وللرمضاء
الحارقة حيناً ، وللضرب والهجأ أحياناً ،
بل ثبتت للقتل فاستشهد في سبيلها الرجال بل
النساء ، وكان للنساء غرهن أن كانت سمية أم
عمار بن ياسر أول شهيدة في الإسلام .

ولبت الدعوة في مكة تصارع أمواج
البغي والعدوان أهواها وأهواها حتى أذن الله
لها أن تزحف إلى يثرب لتتخذها مقعلاً ، ثم
لتبدأ منها زحفها إلى الدنيا ، وكانت بيعة
العقبة بمثابة الدعامة الأولى في المعقل اليثربي
كما كانت مفتاح الهجرة التي غيرت وجه
التاريخ فهاجرت الدعوة من القيود التي
ضربت حوالها الوثنية ، وانسلخت من
الدم الذي ضربت به ، وفارقت استضعاف
أعدائها لها إلى رحاب يثرب الفسيح وإلى
صفو الأمن وإلى الشموخ الذي ذلت له كبرياء

اختلست الدعوة خطاياها بين دروب مكة
إلى مضاجع الأرقاء والفقراء فعاتقتها
أحلامهم حين بدأت فكرة لها إشراقة
الفجر ، ثم صارت عقيدة لها قوة الاستمالة
بالوثنيين في هذا الوجود في سبيل الإيمان
برب الوجود .

وتحسست الدعوة كذلك سبيلها إلى
بعض السادة من رؤا في الوثنية الصماء مهانة
لإنسانيتهم الرشيدة ، فلما همست أصاخوا
إلى همماتها وهي تنسرب بين قلوبهم فيتلقاها
الوعي الواثق مرجعاً همسها : لا إله إلا الله
محمد رسول الله .

وعاشت الدعوة أول ما عاشت في جو
الوثنية الخائق تخطف أنفاسها التي تعيش بها
وهي ماضية في بناء النفوس وفي ملئها باليقين
الذي يخلق فيها قوة قادرة على مجابهة الكثرة
العاتية حول الأصنام تعبي قواها للثيل من
يسفون الأصنام .

كذلك عاشت الدعوة حتى أمر الله نبيه أن
يصدع بها وأن ينذر الناس ، فعلا جبل
أبي قبيس - وليس للرهبنة إلى نفسه المدرجة

كل يوم من قوى ، وما قد تمتدح هذه
بعد من الخطر المحتاح فلم تكند تستنفر لإنقاذ
العير حتى نفرت جموعها إلى بدر فلاقها
القوة التي ردتها على الأعقاب تطلب لنفسها
على الصحراء النجاة حيث لم يواتها
النصر .

وانسلخت قريش من معركة بدر لتعود
في آفاقها مرة ثم لتعود في آفاقها ثانية وإنها
وإن اقتصرت في الأولى فقد عادت وفي كل قلب
شعور عميق بالخوف من بأس المسلمين
واستياقتهم في سبيل نصر الدعوة .

أما في الثانية فقد حاربها الطبيعة وحدها
فأطارت الرياح الخيام ومزقت الجوع فرجع
القرشيون وغيرهم وأكثرهم يؤمن بأن وراء
هؤلاء المسلمين تأييداً لا ينكرونه وإن لم
يؤمنوا بمصدره .

ثم زحفت الدعوة إلى مكة مرة وأخرى
فكان في الأولى صلح الحديبية الذي ساء الله
د فتحا مبيناً ، وكان في الثانية دخول مكة
من آفاقها في قوة كالسيل تدفقت بين دروبها
لمجتاح كل أثر لقوة الباطل ولتغسل عن أم
القرى ماضيها المظلم وتتمحو عنها أرجاس
الشرك . .

وهتفت الدعوة في قوة روحية هزت
الأرض والسماء وهي في طريقها إلى البيت
العميق : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك
لبيك ...

الوثنية يوم عادت الدعوة إلى مكة تحطم
أصنامها ، وتطلق بالعفو عبادها فكانت
الدعوة في انطلاقها من سجنها المكى كالشمس
حين تنزع نفسها من وراء الأفق فتجتاز جو
الداي وتخلصه لتغمر الدنيا بضجائها المتلألئ .
وهكذا زحفت الدعوة زحفها الأول إلى
يثرب لتغمر الدنيا بنور الهدى كما أرادت
وكما أرادها الله فكانت في إشعاعها قوة خطفت
أبصار اليهود فسدوا أيديهم يحالفونها
ثم ينافقونها ثم يخادعونها حتى إذا ما سكن
روحهم لسماحتها راحوا ينافقونها
ويجادلون ، وأخيراً شاء الله نصر المسلمين
عليهم : د وأنزل الذين ظاهروهم من أهل
الكتاب من صياصيمهم وقذف في قلوبهم
الرب فربما تقتلون وتأسرون فربما
وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً
لم تظنوها وكان الله على كل شيء قديراً .

وكما كانت الدعوة القوة الحافظة المروعة
 لليهود كانت العرب الخيف للقبائل الضاربة
على مسيرة شهر من يثرب أو على مسيرة شهر
من الدعوة حيث حلت فبعثت القبائل الوفود
تتخائف مع رسول الله صلوات الله وسلامه
عليه وتتعاهد معه ، وكان في الدعوة عندئذ
قوة الطوفان الذي يخيف الوديان ولا تعصم
منه الجبال .

وفزعت قريش وهالها ما تكسبه الدعوة

الذي جاءت به التوراة والإنجيل قبل أن تمتد إليهما يد التغيير والتحريف . .

وتوفي الرسول ومضى الشيطان يوسوس في الصدور وبغريها بالردة فارتد الكثير عن الإسلام وزحفت الدعوة من جديد تعبد إلى الحق من عبدوا الله على حرف، فانطلقت جيوش الحق تروج في بوادي الجزيرة وحضرها ترجع في الناس صيحة الخليفة الأول: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله حي لا يموت . . وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ، ودفعت قوة الحق ضلال المرتدين فأناخوا إلى وبهم وأسلموا له وسلمت الجزيرة من حبس الشيطان، وخرجت الدعوة في جيوشها من الصحراء لتظهر دين الله على كل دين ولو كره المشركون ولتحقق وعده الرسول في تاج كسرى فلاقته قوى أكثر عدداً وأعظم عدداً ولكن سلاح الإيمان الماضي أن تغله قوة في الأرض ، والصبر الذي نسج الله منه لنفوس المؤمنين دروعاً مضاعفة أن تنفذ منه إلى تلك النفوس ما صنعت يد البشر ولا ما صنع الشيطان وحقق الله النصر بعد معارك رهيبة وملكت يد العربي الذي كان يبيت على الطوى تاج

وهتف صاحب الدعوة في القرشيين الذين خشعت رموسهم وخضعت نفوسهم لهذا الجلال : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ... ذلك محمد السمع الكريم الذي أودى في مكة غثق وألقيت عليه سلا الجزور وعذب أصحابه فطرحوا على الرمضاء وسالت دعاؤهم بل قتل منهم من قتل ذلك الرحيم القلب لم يقل ما قال نوح : رب لا نذر على الأرض من الكافرين دياراً ، ولكنه قال : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ودمغ الحق الباطل فإذا هو زاهق وتحطمت أرباب قريش واستسلمت مكة ثم أسلمت ، ومن ثم تفتحت أمام الدعوة السبل إلى آفاق الجزيرة العربية فتقدمت زاحفة إلى الطائف ثم إلى نجد ثم إلى غير هدى وتلك من أنحاء الجزيرة حتى أتم الله ما أراد .

ثم انطلقت الدعوة من حدود الجزيرة في قوة كالشفة إلى أرض الشام وهي تحت حكم الرومان ، وإنما وإن لم تهرز نصراً أولاً غير أنها كانت بمثابة تهديد وإنذار لقوتين تحكما في مصير العالم قرونا : قرى الفرس والروم ، وكانت كذلك بمثابة إذن من الرسول لانطلاق الدعوة بعده إلى العالم لتدحر الوثنية والإلحادية اللتين تغلبتا في بلاد الفرس ، ولترد اليهودية والمسيحية إلى الحق

كل تمزق ولقيت الدعوة في مصر النفوس
الخصيبة ولم تجد من الاستقرار في بلد ما
وجدت في مصر ثم تقدمت الدعوة بعد حين
إلى شمال إفريقيا فأنشأت عبر الصحراء
حتى بلغت المحيط ، ووقف عقبة بن نافع
قائد الجيوش الإسلامية على شاطئ المحيط
يلقي بصره فوق أمواجه العاتية الصاخبة
ثم يهتف : والله يارب لولا هذا البحر لمضيت
بجاهداً في سبيلك وكانت الدعوة تؤذن
حيث تكون :

الله أكبر الله أكبر .

وبعد مائة عام أو يزيد قليلاً من عمر
الدعوة عبرت مضيق طارق إلى أوروبا
حيث أقامت في الأندلس ثمانية قرون
لم تترك فيها شبراً من الأرض لم تمسه جباه
المصلين ، وإن آلاف المساجد التي أقامها
المسلمون هنالك أدت رسالة المسجد فكانت
مدارس لدعوة الله وتحفيظ القرآن ولغته
وعلمه كما كانت محاريب للصلاة وهذه وتلك
حققت تلك المساجد ما تريده دعوة الله .

ثم طوردت الدعوة بعد الثمانية القرون
من هذه البلاد فلم تستطع النفوس التي أضعفها
الترف أن تضمن لها هنالك البقاء أو الحياة
التي ضمنها لها النفوس الصابرة المؤمنة التي
فتحت تلك البلاد والتي مهدت للدعوة
الحياة الصالحة الهادية ...

كسرى وجلجلت في إيوانه صبيحة الحق : الله
أكبر الله أكبر ثم دان الفرس بالإسلام بل
كانوا من أعلام علماء الإسلام ...

ولم تقنع الدعوة بذلك النجاح فتركن حينها
إلى الدعة ولكنها مضت في سبيلها لا يصددها
جلال القياصرة ولا تردها رهبة جيوشهم
التي روعت الزمن لأن القوة التي تنصر دعوة
الله أن يخذلها الله ولن يعلو جاهها جاءه .

وأمام جيوش الدعوة لزاحفه طارت قلوب
الروم في بلاد الشام بعد جولة وجولة كان
فيها للحق صولة أي صولة ، ومكن الله
للإسلام الاستقرار في بلاد الشام بعد فتحها .

وتقدمت الدعوة في أربعة آلاف مقاتل
بل أربعة آلاف داعية إلى مصر للقاء
الرومان الذين كانوا يحكمونها ولكن أصداء
المعارك الماضية كلها وقعة سلاحها كانت
ما تزال ترن في قلوب الرومانيين في مصر
فاهتقدوا حين زحفت الجيوش الإسلامية
إلى مصر أن هؤلاء ليسوا أربعة آلاف
مقاتل فيهم طبيعة المقاتلين وكرم أوفهم
ولكنهم أربعة آلاف جائع قد فتهم الصحراء
الجديدة على هذه البلاد ليلتهموها ومن ثم
لم يجد الرومان بداً من أن يطلبوا الحياة
لأنفسهم وراء الأسوار والحصون وأهل
العرب حيلهم لاستدراجهم من الحصون
ولم تلبث المعركة غير قليل حتى تمزق الرومان

نجاح الدعوة ، وقد قضت الأهواء والأنانية
وحب السلطان ودسائس الاستعمار على تلك
الأخوة فأصبحنا في دنيا أشبه بقطيع الغنم
منا بالمسلمين يجر من كل يوم شعب وتسلخ
عنا في كل حين بلاد .

لقد فقدنا كيافنا كأمة واحدة كان لها
بأسها حين كانت تستغيث المرأة في عمورية
فيلبيها المتصمم بميشه الجرار ليشارك للكرامة
العربية عن جرحوا العزة العربية .

فما أحوجنا اليوم إلى أن نعود إلى دعوة
الحق نفهم معانيها ومراميتها ثم نعلم أرواحنا
إلى تلك المعاني والمرامى لتتفاعل معها لعلنا
نؤمن بها بعد الإيمان الصانع لا المستصنع
السالم لا المسقلم ، الإيمان الذي يجعل من
مئات ملايين المسلمين قوة داهية إلى الله هادية
إلى الحق كقوة المئات التي صنعت المعجزات
ومزقت قوى الفرس والروم .

لننا يوم نؤمن بهذه الدعوة ونعيش فيها
ولها مستجد فينا القوة المندفعة في العالم لنقوده
كله إلى قبلة واحدة يسلم فيها الجميع الوجوه
إلى رب الناس ملك الناس .

فني نؤمن لنقود الدعوة الراحفة ؟

محمد محمد خليفة

ولسكن الله عوض الدعوة الخير في غير
الأندلس حيث انفتحت أمامها آفاق وآفاق
التفت مع البلاد السابقة فولت وجوهها معها
شطر المسجد الحرام .
أيها المسلمون :

لقد آمن بالدعوة أول من آمن رجل
وامرأة وغلالم ثم زادوا قليلا ، ولسكن هذه
القبلة كان لها من قوة الإيمان والاحتمال والتأثير
ما جعلها تندفع بعد فتخلق القوى المحركة التي
تصنع الكثير وتحمي الكثير ، فكانت كقوة
الماء المندفع من الشلالات ، فتخلق القوى
والسكهربية ، الجسارة ، ونحن الآن مئات
من الملايين ولكننا الكثرة الراكدة التي
لم تعد تحرك الدنيا وتصنعها بل يستغلها سواها
ويصنع منها الخير الذي يريد لنفسه .

إن الدعوة التي عاشت بمعانيها في عشرات
النفوس ومئاتها وامتدت في الآلاف غلقت
من كل أولئك القوة الغازية تعيش الآن
في مئات الملايين ألفاظا تجري على الألسنة
مانعة فيها المفاهيم والدلالات وكأنها لم تعمل
تلك المعاني التي حملتها إلى المسلمين الأولين
وحق لهذه المئات من الملايين الإسلامية التي
تعيش الدعوة بينها غريبة أن تغزى
وتستضعف وتستذل .

أيها المسلمون :

إن الأخوة في الله أعظم ما يعتمد عليه

حياة سلمان الفارسي وإسلامه

للاستاذ عبدالموجود عبدالحافظ

— ٢ —

ماذا تقول ؟ ، فغضب منه سيده ولكنه قائلاً له : مالك ولهذا أقبل على هملك ... فليس هذا من شأنك ، فعاد سلمان إلى عمله وقد انصرف كل تفكيره إلى ما سمع ، حتى إذا كان المساء أخذ سلمان شيئاً مما جمع لنفسه وذهب إلى قباء حيث كان الرسول عليه الصلاة والسلام عند أصحابه ، فلما دخل حياً الرسول وقال : إنه بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب ذو راحة ، وهذا شيء كان هندي للصدقة وقد رأيتم أحق به من غيركم فأتيتمكم به ، ثم وضعه بين يدي الرسول ، فسكف الرسول يده عنه وقال لأصحابه : كلوا ، فأكلوا .

فلما رأى سلمان ما فعل محمد عليه السلام ، من إمساكه الصدقة وعدم مشاركته أصحابه رغم ما كان عليه الرسول من حاجة ، ولا سيما وقد ترك ماله وأهله في مكة . قال في نفسه : هذه واحدة .

وترك مجلس الرسول يفكر فيما رأى من محمد العظيم ، فقال إليه وإلى من يلتفون حوله ، وأحب أن يكون منهم ، ولكن أنى له هذا وهو عبد رقيق لا يملك من أمر نفسه

كانت هجرة الرسول إلى المدينة خيراً وبركة على الأوس والخزرج فقد أصلح الله بالنبي بينهم وأزال العداوة والبغضاء التي ظل اليهود يذكونها بدسائسهم ليستغلوا عداة أبناء العمومة في مصابحتهم الخاصة . وبينما يعيش سلمان في أحد جوانب المدينة يقوم على خدمة مولاه ، إذ ارتجت جنبات المدينة واهتزت أركانها بقدوم الرسول وصاحبه وباحتفاء الأنصار بهما فقد صار قدومهما حديث المدينة أوسها وخزرجها ، يهودها ومشركها .

وذاث يوم وسلمان يقوم لسيده بعمل في رأس نخلة إذ سمع سيده الجالس تحته وقد أقبل عليه ابن عم له ووقف عليه قائلاً يا فلان (قاتل الله بنى قيلة ^(١)) لقد مررت بهم فوجدتهم مجتمعين بقباء على رجل قدم هليهم من مكة ويزعم أنه نبي) .

فلما سمع سلمان هذا وهو فوق النخلة أخذته رعشة شديدة وأحس النخلة ترتجف به حتى كاد يسقط من فوقها ، فزل سريعاً يسأل ابن عم سيده وجعل يقول له ما هذا الخبر ؟ .

(١) أصل الأوس والخزرج .

أن ترك بلده مفارقاً أهله ، وقد استهوته عقيدة المسيحية ، وما كان بينه وبين الكهان الذين عاش معهم ، قاضيات نفس النبي لإعجاباً به وإكباراً له وذلك في سبيل الوصول إلى الحقيقة كاملة .

وفي هذه المرة تحقق سلبان من محمد وعرف أنه طلبته وهو الرجل الذي وصف له وسعى للقاءه وأنه هو النبي المرسل الذي حدثه عنه الراهب ، فدس سلبان يده ليباع الرسول ويدخل في دين الله ، وامتلأ قلبه بالإيمان وأشربت نفسه حب رسول الله ، فأخذ يتردد على الرسول يسمع منه ويروي نفسه العطشى من تعاليم الإسلام .

ولم يمض وقت طويل على إسلام سلبان حتى اشترك المسلمون مع الكفار في معارك دامية وصراع جبار ، ولم يستطع سلبان أن يشارك المعركتين الأولتين إذ كان لا يزال مملوكاً يرسف في قيد العبودية ويتجرع آلامها ويحسنى سركتوسها في خدمة ذلك اليهودي . كان سلبان يريد ألا يفوته شيء من شرف القتال ، فشكا إلى رسول الله شوقه هذا ، وألم نفسه لهذا الحرمان القاتل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : كاتب ياسلبان عن نفسك فعاد سلبان إلى سيده وما زال يحتال حتى كاتبه على أن يحضره ثلثائة نخلة ، ثم يحضر أرضها

قليلاً ولا كثيراً وسيده قد يغضب عليه إن علم أنه مال مع محمد ويقسو في معاملته . ليته حر يتمتع بالحرية التي تحوله هذا المقام الرفيع ، بعيداً عن عنت سيده وفضاظته واستبداده به وقسوته عليه .

وبعد أيام جمع شيئاً من زاد وذهب به مرة أخرى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل إلى مجلس الرسول ألقى السلام ! ثم قال بعد أن وضع المال بين يدي الرسول ، إنني رأيتك لا تأكل الصدقة ، فأحببت أن أهديك هدية تكريماً لك ، فدس الرسول يده وأكل منها ودعا أصحابه فأكلوا معه . عند ذلك امتلأت نفس سلبان غبطة وسروراً وقال : هذه ثانية ، وعاد من حيث أتى يعمل فيما يكلف به .

ومرة ثالثة أتى الرسول عليه السلام ، فوجدته قد تبع جنازة في بقيع العرقد وحواله أصحابه فسلم عليه ، ثم استدار خلف الرسول فلم يستطع رؤية خاتم النبوة الذي وصفه له الكاهن من قبل ، فلما لحظ الرسول عمله هذا أدرك أنه يريد أن يرى شيئاً ربما وصف له ، فألقى رداءه عن ظهره الشريف ، فأنكشف خاتم النبوة ، فلما رآه سلبان انكب عليه وقبله ثم بكى ، فقال له الرسول : تحول إلى ياسلبان ، ثم أجلسه بين يديه وسأله عما يريد فأخبره سلبان بقصته من يوم

فقال الرسول لأحد الحاضرين : ادع سلمان
المسكين المسكاتب ، فلما حضر قدم له قطعة
المعدن ، وقال له : خذ هذه فأدع عليك ،
فأخذها واستطاع أن يجمع إليها شيئاً آخر
حتى أكل الأربعين أوقية ، ثم دفعها إلى
سيده ، الذي أخذها فرحاً مسروراً وفك
أسره ، وبذلك أصبح سلمان حراً ، واندمج
في صفوف المسلمين وصار من كبار الصحابة
المقربين .

استقر المقام * رسول الله * والذين آمنوا
معه بالمدينة وتوافد المهاجرون عليها ، ففرز
على المشركين أن تجد الدعوة الإسلامية مكاناً
حصيناً تأوى إليه ، وتخرج منه شعاعها ،
فاشتبكوا مع المسلمين في معارك حامية يذكرونها
التاريخ الذي سجل صفحات مشرقة خالدة
للمسلمين ، ولم يكن المشركون وحدهم من الذين
يتأوتون الإسلام ، بل كان هناك اليهود
الذين يصدقون على النبي ودعوته ويعملون
على استئصالها .

ففي السنة الخامسة للهجرة ذهب وفد من
بنى النضير وبني وائل ليعقدوا مع قريش
محاورة ضد محمد ، وقد رحبت قريش بالفكرة
وفرحت أشد الفرح ، أن تجد من يعينها
على حرب يمدو أحبابه ، فاستجابت لدعوتهم
وانضم إلى قريش غطفان وفزارة وغيرهما
من قبائل العرب ، وخرجت قريش وحلفاؤها

ويزرعها ويتعهدا حتى تخضر وعلى أربعين
أوقية من ذهب .
إنه ثمن باهظ لا شك ومتى كان ثمن الحرية
رخيصاً ، وأنى لعبد لا يملك من أمر نفسه
شيئاً ، القدرة على كل هذا ، ولكن كل ذلك
هان على سلمان في سبيل الدين الجديد الذي
أضأت له جوانب قلبه ، وتحركت من أجله
هو أطفه وحسه ، فأخذ يعمل جاهداً في سبيل
استكمال حريته .

ولما أخبر رسول الله بما كان بين سلمان
وبين سيده وكان جالسا بين أصحابه ، نظر
إليهم وقال لهم عليه السلام : « أعيئوا أخاكم
بالنخل » ، فسبق الصحابة إلى جمع النخل
ومساعدة سلمان ، حتى اجتمع له العدد
المطلوب ، فقال له الرسول اذهب يا سلمان
واحفر لها الأرض ولا تضع واحدة منها
حتى أضعا بيدي ، فذهب سلمان هو وبعض
الصحابة وأعدوا الحفريات ، عند ذلك حضر
الرسول وزرع النخل بيده ، فلم تتخلف واحدة
هن الظهور . قال سلمان : (كنت آتته بالنخلة
فيضعها ويسوى عليها تراباً ، فانصرف ،
والذي بعثه بالحق ما مات منها واحدة) .

بقى الشق الثاني من مكانة سلمان ، وإنه
لأهل الشقين وأكثرهما مشقة ، وبينما الرسول
جالس ذات يوم حضراً أحد أصحابه وقدم إليه
قطعة من الذهب ، كان قد وجدها في منجم ،

في جيش كبير متجهين إلى مدينة الرسول
آملين أن يستطيعوا دكها على من فيها وأحاطوا
بها من كل جانب وفي ذلك نزل قول الله
تعالى : « إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل
منكم وإذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب
الحناجير وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى
المؤمنون وزلزلوا زلزلا شديدا . . . »

ولما علم النبي بذلك جميع أصحابه يستشيرهم
فما يعملون ، ثم أقنعهم أن الأفضل هو
انتظار العدو وراء حصون المدينة لأنها محصنة
من كل جانب بالسدد والقلاع والبساتين ،
وليس على المسلمين إلا أن يحموها من الجانب
الشمالي لأنه ضعيف التحصين .

عند ذلك انبرى سلطان مشير على النبي
بأن يحضر من هذه الجهة الضعيفة خندقا
كالذي رآه في بلاده واستعرض محمد وأصحابه
الفكرة وناقضوها وعندما اقتنع المسلمون
بوجاهتها وقوة نفعها ، شروا عن سواعدهم
في حفر الخندق ، وشارك النبي في حفره
مع بقية المسلمين .

وكان السائر بالقرب من المدينة تصافح
أذنيه أصوات موسيقية تنبعث من الحن
واحدا يبعث الحشية والروعة في النفوس
وهي تقول :

الهم لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزل سكينتنا علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا
وإن أرادوا فتنة أبينا
فإذا دنا من مصدر الصوت شاهد المسلمين
يحفرون دائرة حول المدينة ، كل يؤدي عمله
حتى الرسول يشارك في الحفر ، فإذا سكث
المسلمون سمعته عليه السلام يقول مرثجرا :

باسم الله وبه بدينا
ولو عبدنا غيره شقينا

يا حذار يا وحسب ديننا

واستمر المسلمون في عملهم هذا حتى أمروا
بحفر الخندق ووقفوا خلفه على استعداد
لصد أهدائهم بينما في مكان آخر ليس
بالقريب من المدينة وليس بالبعيد ، أقيم
معسكر ضخم يضم المشركين وحلفاءهم الذين
أخجل فرسانهم طول الانتظار فتهيئوا
للقتال ، وخرجوا في كوكبة مندفعة إلى المدينة
كالسيل الجارف ، ولكن سرعان ما توقفوا
أمام الخندق وقد جمد الدم في عروقهم ،
وهالهم ما رأوا فصاحو مندعين : والله
إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

حدث سلطان قال :

كنت أضرب في ناحية من الخندق فغلظت
على صخرة عاجلت كسرهما مرارا فلم أستطع

وقد عاش سلمان حتى رأى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحقق ، فقد من الله على المسلمين وفتح عليهم مشارق الأرض ومغاربها ودخلت جيوشهم معاقبل الفرس غازية مفتصرة رافعة راية الإسلام فاشرة لواء الحرية والعدل .

فزلزلت عرش كسرى وبددت شمل جيوشه وأصبحت بلادهم تحت حكم المسلمين ففتشوا فيها العدل والطمأنينة ، فاعتبط أهلها ورحبوا بالإسلام دين المساواة ، ودخل كثير منهم في الإسلام .

رأى سلمان كل هذا سرت به نفسه ، وخاصته عندها بعث الخليفة أميرا على المدائن فعاد إلى موطنه الأصلي ينشر بين قومه تعاليم الدين الذي ظل شطرا طويلا من حياته يبحث عنه .

وسار بين أهل المدائن سيرة حسنة مكنت حبه من قلوبهم ، فقد كان يتصدق بعبائنه الذي كان يناله من الدولة ، وينسج الخوص ليأكل من عمله به وظل بها حتى مات سنة ٣٤ هـ .

لقد كان سلمان علما من أعلام الإسلام صحيح الرأي ، عالما بالشرائع قرأ المكتاب ووعاه وسمع الحديث ورواه ، وقد روى له البخاري ومسلم ستين حديثا رضى الله عنه وأرضاه .

عبد الموجد عبد الحافظ

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا مني فلما آتاني أضرب ورأى شدة المكان علي ، نزل فأخذ المعول من يدي ، وضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، ثم ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى .

قال سلمان : فلما رأيت ذلك ، قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما هذا الذي رأيك لمع تحت المعول وأنت تضرب . قال رسول الله أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قلت نعم .

فقال عليه السلام : ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيت أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيت ، أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، قال ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق منها الذي رأيت فأضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها .

فأبشروا ببلوغهم النصر ، وأبشروا ببلوغهم النصر ، وأبشروا ببلوغهم النصر . فلما سمع المسلمون هذا الكلام استبشروا بنصر الله لهم .

وقفه مع رمضان

للأستاذ عبد الرحيم فنوده

أخرجت للناس ، ، بل أى شيء فى تاريخ الوجود كله يعدل هذه المعجزة التى تحدى بها الله الإنس والجن ، وجعلها باقية على الزمن جديدة على الأيام يطالع فيها الناس جمال صنع الله ، وجلال قدرته ، ومنهج شريعته ، ويرون فيها دليلهم إلى الخير وسبيلهم إلى الفلاح .

ثم إن القرآن مع أنه للناس جميعاً كما يفهم من قوله تعالى : « يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للؤمنين ، هو الذى ضمن للغة العرب الخلود وجعلها اللغة الرسمية التى يتخاطب بها المسلمون ، وزينها بالعلوم التى نبتت على شواطئه وتمهدا المسلمون من كل لون وجنس بالرعاية والعناية والتقدير .

وقد وصف الله القرآن بأنه نور حيث يقول سبحانه : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من هداة ، ووصف الرسول الذى تلقاه بأنه نور فقال تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، وقال جل شأنه

يقترن شهر رمضان بذكرى لا يمل الحديث عنها ، وله فى تاريخ العرب والمسلمين شأن لا يرقى إليه شأن ، ولا شك أن أعظم تلك الذكريات ذكرى نزول القرآن فيه ، وفى ليلة مباركة من لياليه ، كما يفهم من قوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ، وقوله سبحانه : « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين . رحمة من ربك إنه هو السميع العليم » . والمتأمل فى وصف هذه الليلة بأنها مباركة كثيرة الخير وبأنها يفرق فيها كل أمر يحكم فلا يلتبس به غيره ، وبأنها كانت زمن الرحمة المرسلة من الله يدرك أنها هى الليلة التى وصفها الله بأنها ليلة القدر ، وذكر أنها خير من ألف شهر ، وأخبر أن الملائكة والروح تنزل فيها من أجل كل أمر ، ثم وصفها بأنها سلام ، وأنها إلى مطلع الفجر ، وأى شيء فى تاريخ العرب والمسلمين يعدل هذا القرآن الذى رفعهم إلى السماء ومكن لهم فى الأرض وجعلهم فى فترة لا يحسب لها حساب فى عمر الأمم وخير أمة

ومن ذلك كذلك يقين لماذا اختص الله هذا الشهر بالصيام ، ويمكن ملاحظة الصلة الوثيقة بين هذا الشهر وهو شهر رمضان وبين الكتاب الذى أنزل فيه وهو القرآن إذا تأملنا قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » ، فإن الثمرة المرجوة من الصيام هي التقوى والتقوى هي سبيل الهداية والاستمتاع بهذا الكتاب كما يقول الله ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، فإذا ذكرنا مع ذلك أن التقوى خير زاد كما يقول الله « وتزودوا فإن خير لزاد التقوى ، وخير لباس كما يقول الله تعالى « ولباس التقوى ذلك خير ، وخير مقياس تعرف به أقدار الناس كما يقول سبحانه « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ثم هي إلى ذلك مفتاح الخير والبركة كما يفهم من قوله تعالى « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » ، إذا ذكرنا ذلك وما إليه مما جاءت به السنة الغيرة المطهرة من بيان فضل صيام رمضان عرفنا أى قدر يتمتع به هذا الشهر ، وقد روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة) يقول الصيام أى رب منعه الطعام والشهوة فشفعني فيه ويقول القرآن منعه النوم بالليل فشفعني فيه

« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً » وقد كان إشراق هذا النور على قلب محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الشهر . فكان وكان نور الله فيه كما يقول تعالى « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء » .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن صحف إبراهيم أنزلت في أول ليلة من رمضان ، وأن التوراة أنزلت لست مضين منه ، وأن الإنجيل أنزل لثلاث عشرة خلت منه « وأن القرآن أنزله الله لأربع وعشرين مضت منه ، ومن ذلك ندرك مكانة هذا الشهر عند الله . وما ينبغي أن تكون عليه مكانته عند الناس ، وقد بين الله الآية التي أنزل فيها القرآن ، فكانت أفضل ليلة في هذا الشهر ، لأنها ليلة القدر ، ومن ثم كان الكتاب الذى أنزل فيها كما يقول الله « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » ، وكان الدين الذى نبع منه كما يقول الله « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

ورشد وخير وبركة على المسلمين ، وقد اقترن مقدمه في هذا العام بهذا المؤتمر الموفق الميمون ، إذ اجتمع رؤساء الأمة العربية وملوكها في القاهرة العامرة ، واجمعوا أمرهم على عمل حاسم يصد عدوان أعداء العرب والإسلام والإنسانية والمسلمين ، ولا شك أن جهودهم ستكون بالنجاح ، وأن حقهم سيدفع باطل الصهيونية ، ومن يمدونها بالعون . أو يمدون لها في النفي .

ولا شك أن واجب المسلمين في كل بلد يعيش فيه مسلم أن يقفوا مع الأمة العربية في كفاحها ضد أعدائهم وأعداء دينهم ، وأن يذكروا - إذا كانوا مسلمين حقاً - أن الولاية لا تكون إلا لله ولرسوله وللدؤمنين . كما ينطق بذلك القرآن الكريم حيث يقول الله فيه : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا » ، وأن يذكروا - مع ذلك - أن الله وعدهم بالنصر ، والأمن ، والخلافة في الأرض . والتمكين لدينهم الذي ارتضاه لهم حيث يقول سبحانه : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، والله لا يخلف وعده ، وقد حقق ذلك للمسلمين الأولين ، وسيحقق ذلك للمسلمين ما آمنوا بالله ، وعملوا صالحاً .

عبد الرحمن فودة

قال : فيشفعان . وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتاكم رمضان ، شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء ، وتغلق فيه أبواب الجحيم . وتغل فيه مردة الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر . من حرم خيرها فقد حرم) ، كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم (أن الصوم جنة وأن دعوة الصائم مستجابة ، وأن من صام رمضان إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) .

وقد اقترن اسم هذا الشهر في تاريخ المسلمين بكثير من المواقف المشرفة والانتصارات الحاسمة ، ففيه كانت غزوة بدر . وفتح مكة . وغزوة تبوك ، وفيه كانت انتصارات المسلمين على القوط في الأندلس وعلى التتار في عين جالوت ، وعلى الفرنسيين في معركة المنصورة وهكذا نرى من آيات الله . وأحاديث رسوله ووقائع التاريخ الإسلامي ما يزيد نفوسنا إيماناً بيمين هذا الشهر وقيمته العظيمة بين الشهور والأيام ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبل هلاله بهذا الدعاء العليّب الحبيب : « اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربّي وربك الله هلال رشد وخير ، فكان ما كان بما ذكرناه أو أشرنا إليه . واستجاب الله لدعائه صلى الله عليه وسلم . فجعله شهر يمين

من دروس الصوم

صِيَامُ اللِّسَانِ

لِلدُّسْتَاذِ عَلَى الْعِمَارِيِّ

وقفت طويلاً عند قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) . وجعلت أومن النظر ، أى علاقة وثيقة بين الصوم والصدق في القول والعمل حتى يجعل الرسول قاتل الزور ، والعامل به مجرد تارك للطعام والشراب في صومه ؟ وكأن الصوم ليس إلا أمرين : أحدهما ظاهر شكلي وهو ترك الطعام والشراب ، والآخر حقيقي خفي وهو ترك الزور ، والعمل به .

حقيقة أن المقصود الأسمى من الصوم هو تهذيب النفوس ، والارتفاع بها عن صفائر الرذائل وكبائرها ، وحقيقة أن الصوم - إذا كان صادقاً - يروض النفوس على كثير من الفضائل ، التي منها العزم على المنكاره ، والإحسان إلى المحتاجين ، والصدق في القول والعمل ، وكف الأذى باللسان أو باليد عن الناس ، ولكن لما ذالم يقل الرسول - مثلاً - لا صوم لجزوع ، ولما ذالم يقل : لا صوم لبخيل ، وإنما شدد التفكير على الكاذب حتى جعله بعيداً عن الله ، وجعل الحق - سبحانه - وهو الغنى عن كل شيء مستغنياً عن صومه ، وليست له - سبحانه - حاجة في أن يدع هذا الكاذب طعامه وشرابه ؟

وقد ذهب في التفكير مذاهب في الإجابة عن هذا السؤال : قلت : إن الكاذب من الرذائل التي تجمع بين الدلالة على تأصل الشر في النفس ، وعلى حقارتها في آن واحد ، لأن الغنى يتخذ الكذب عادة له إنما يفعل ذلك للإضرار بالناس ، والاستهانة بهم ، ولأنه في الوقت ذاته يهبط بنفسه ، ويرخص قدورها لأنه يعرف - حق المعرفة - أنه كاذب ، ومع ذلك لا يعملها على الصدق ، ولا يروضها على قول الحق ، وقد قيل : ليس لكذب مروءة ، ولعل مما يدل على ذلك أوضح دلالة قول ابن السكك - غفر الله لنا وله - ما أراي أوجر على ترك الكذب لأنى إنما أتركه أنفة .

فهذا الزاهد الكبير صاحب نفس عالية ، وهو يغالى بها أن تنزل إلى حضيض الكذب فهو حين يترك الكذب لا يكون في نفسه

ولكن نفسى قالت لى وأنا أحاول أن أقنعها بصرامة هذا الجواب ، وحسمه للقساؤل الذى يملك عليها حسها ، قالت : إن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يشدد فى التكسير ، وفى التنفير من بعض الرذائل ، كى يحمل أمته على تركها ، فينبى الإيمان ، مثلا ، عن مقتضى هذه الرذائل ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن ، أحكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقوله : والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل : من ، يا رسول الله ؟ قال : الذى لا يؤمن جاره بوائقه .

إلى كثير من هذه الإرشادات العالية . قلت لى الملح إختلافا فى طبيعة هذه الأخبار النبوية السكرية مما يجعل الكذب رذيلة متفردة من بين الرذائل ، فالنبي فى الأحاديث الأخرى ينبى الإيمان عن محب أن يستأثر بالخير ، وعن يؤذى جيرانه ، وإكته فى أحاديث الكذب ينبى أن يطبع المؤمن على هذه الخصلة ، وكأنه يقول : إن الكذب يتنافى مع حقيقة الإيمان ، لأن طبيعة المسلم الذى يؤمن بالله ورسوله ، ويصدق بالمغيبات التى لم يرها ، والتى لا دليل عليها إلا ما يقرؤه فى كتاب الله وأحاديث رسوله ، طبيعة المسلم هذا أن يصدق فالصدق طبيعة فيه ، وبغير ذلك لا يسهل عليه التصديق

إلا أنه غير لائق بمثله ، فهو لا يتركه لأنه رذيلة كسائر الرذائل ، وإنما يتركه لأنه لا يليق بالإنسان العارف قدر نفسه . لا يكذب المرء إلا من مهاتته

أو هادة السوء ، أو من قلة الورع وقلت : لعل فى نفسى الإيمان عن الكذاب كما ورد فى قول الرسول حاسما واضحا ما يصح أن يكون جوابا عن هذا السؤال ، قال عبد الله بن جراد : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، هل يزنى المؤمن ؟ قال : قد يكون ذلك ، قلت : يا نبي الله ، هل يكذب المؤمن ؟ قال : لا . ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى : وإنما يفترى الكذاب الذين لا يؤمنون بآيات الله . وفى رواية أخرى ، قيل يا رسول الله ، أيسكون المؤمن جباناً ؟ قال : نعم ، قيل : أفيكون بخيلاً ؟ قال : نعم قيل : أفيكون كذاباً ؟ قال : لا .

ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المسلم إلا الخيانة والكذب .

وقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيقون أشد الضيق بالكاذب ، ويبغضونه أشد البغض ، قالت عائشة - رضى الله عنها - : ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذاب .

فقال : الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه .

ومعنى هذا أن الذي يخرج بعد العراك ، والمسدافة لا يستطيع أن يعود ؛ لأنه قهر فاستكان ، وخرج من وطنه ، والذي ينتصر في هذه المعركة النفسية العنيفة يثبت ، ويوطد أقدامه في مكانه فلا يستطيع قوة بعد ذلك إخراجيه .

والحسكاه العارفون الذين صفت نفوسهم ووعوا ما يشاهدون ، وانقفعوا بالتجارب قد أدركوا هذه الحقيقة التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال أحدهم من استحلى الكذب عسر عليه فطام النفس ، وقال آخر وقد رأينا شارب خمر أفلح ، ولصا نزع ، ولم نر كذبا با رجح ، وقال ثالث : من عرف بالكذب لم يحجز صدقه .

على أن أوضح كلامه وأشمله قرأته في هذا المعنى قول العالم الأندلسي محمد بن حزم في كتابه (طوق الحمامة) : « وما أحببت كذبا قط ، وإنى لأساح في إغواء كل ذي عيب وإن كان عظيما ، وأكل أمره إلى عاقبه عز وجل ، وأخذ ما ظهر من أخلاقه ، حاشى من أعليه يكذب فهو - عندي ماح لكل محاسنه ومعف على جميع خصاله ، ومذهب كل مافيه ، فما أرجو عنده خيرا أصلا ، وذلك لأن كل ذنب فهو يتوب عنه صاحبه ، وكل ذام فقد يمكن

بما جاء به الإسلام ، لا مشاهدة له فيه ، ومن السهل على من يتعود الكذب أن يكذب كل ما يساق إليه من خبر ، بل هذا هو الأشبه بطبيعته ، ولذلك يقولون : الكذاب يستعد أن كل الناس كاذبون ، وما ذلك إلا لما وقر في نفسه من الاستهانة بالصدق ، والاستعداد للكذب ومن ذلك ما روى من أن رجلا قال الحكيم : ما رأيت صدقاء فقال له لو كنت صادقا لعرفت الصادقين .

ورؤية الكذب تسكن في أمر وراء كل هذه الأشياء ، ذلك أنه من الرذائل التي ترسخ في النفس ، وتصبح طبيعة فيها ، فلا يتمكن الكذاب من التغلب ، والفكك من أسر هذه الرذيلة ، وقد أكد لنا رسولنا الكريم هذا المعنى ، في بيان واضح لا لبس فيه ، في حديث مشهور هو قوله صلى الله عليه وسلم : هليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا وإذا كتب عند الله كذابا فقد ثبتت نفسه على هذه الرذيلة ، وأصبح من العسير أن يتحول عنها ، بل ، إنه لا يحاول الخلاص منها .

وقد أدرك بعض العارفين هذا المعنى بوضوح

وهذا الخلق لا يقتصر على الجاهرة بالصوم ، والإسرار بالإفطار ، بل يتعداه إلى كل مخالفة بين السر والعلانية ، وإذا اعتاد إنسان هذه العادة لم تذهب عنه حقيقة الإيمان خصب ، بل حكم على نفسه بالتجرد من حقيقة الإنسانية ، وأى وجود لإنسان لا يصدق باطنه شيئاً من ظاهره ، وأى خطر عظيم يرزأ به المجتمع البشرى من مثل هذا المخلوق ..

أما إذا اعتاد المسلم أن يجاهد نفسه حين يخلو بها فتحدثه أن يمس صومه بأذى ، فإنه بذلك يروضها على الصدق ، ومن تكرار هذه الرياضة يصبح الصدق طبيعة فيه ، فيكأن الصوم يعنى من الكاذب بانتهاك حرمة هو كذلك يغرس فضيلة الصدق في النفوس المتهينة لها .

وبذلك تدرك العلاقة الوثيقة في طبيعة النفس الإنسانية بين الصوم والصدق وأن أحدهما لا يكون على حقيقته إلا بصاحبه ، كما ندرك المعنى البعيد الذى يتضمنه قول الرسول الكريم فى حديثه الذى افقتحنا به هذه الكلمة .

على العواري

الاستتار به والتوبة منه حاشى الكذب ، فلا سبيل إلى الرجعة عنه ولا إلى كتمانته حيث كان ، وما رأيت قط ، ولا أخبرنى من رأى كذاباً وترك الكذب ولم يعد إليه ولا بدأت قط بقطيعة ذى معرفة إلا أن أطلع له على الكذب فينشأ كون أنا القاصد إلى مجانته والتعرض لمثار كتمته .

والصوم نفسه عرضة لخطر عظيم من الكافب ، فإن الذى يتعود الكذب فى قوله يسهل عليه الكذب فى عمله ، فمن الهين عليه أن يظهر أمام الناس صائماً قائماً ، فإذا خلا إلى نفسه انتهك حرمة صومه ، وارتكب ما يتجاشى أمام الناس أن يحوم حوله ، أو يذكره حتى بلسانه ، وهو شر من يترك الصوم علانية ، لأن هذا يرتكب جريمة واحدة هى ترك فريضة من فرائض الإسلام التى لا يصح التهاون فيها ، أما الكاذب المرائى فيرتكب جريمتين : إحداهما ترك هذه الفريضة ، والأخرى رذيلة النفاق التى تعد من أشنع الرذائل ، ولذلك كان متعارفاً مشهوراً أن المنافق فى العقيدة شر من الكافر .

أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيِّ

شَيْخُ الْمَفْسَّرِينَ وَإِمَامُ الْمُؤَرِّخِينَ

لِلْأَسَازَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ هَاشِمٍ

تحصيل البيان وأساليبه بمعرفة لغة العرب ودلالاتها وأوجه النحو وتوجيهاتها والعلوم وفروعها حتى تكون عوناً على المهمة الجليلة ودراسة القرآن دراسة وافية خصل ابن جرير وهووم اللغة وآدابها وقراءتها وبيانها . ونظرة واحدة في أى موضوع من تفسيره الزاخر بالشواهد العربية يتبين منها مقدار علمه وسعة معارفه ، ولم يقنع بهذه الثروة الطائلة لتكون عوناً له على التفسير لكتاب الله فقدم إلى مساحة السنة النبوية الفيحاء الزاخرة فهي الميسنة للقرآن ، وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ، وبذهنه الواهي وإدراكه السليم عاش مع السنة حافظاً لاسانيدھا ومتونها مدققاً في معانيها وجمالها راحلاً يحجوب البلاد طولاً وهرضاً في سبيل تحقيق غايته السامية تتلذذ على أعلام عصره طالباً لعلم الحديث رواية ودراسة مستعيناً بذلك على فهم كتاب الله ورسوله ومن أساتذته في مستقبل حياته محمد بن حميد الرازي وموطنه الذي بخراسان وأحمد بن حماد الدولابي يقول الطبري : كنا نكتب عند

في ظلال بلدة « آبل طبرستان » ، في مطلع فجر سنة خمس وعشرين ومائتين من هجرة الرسول عليه السلام ولد أبو جعفر محمد بن جرير بين يزيد بن كثير بن غالب وازد هر وترصرع على لبان التقوى متزوداً بخير زاد سائر اتجاه الهداية والرشاد توفرت له أسباب النجوغ في العلم وتحصيله .

عنصره الكريم الطيب مثلاً في والده يوجهه إلى طلب العلم واستعداده القويم وحمته العالية يطيران به في آفاقه ورياضته على حفظ القرآن الكريم في صدر حياته أشرقت آماله وبتلاوته تقوم لسانه ، وبنفحاته وأسراره زكت روحه وتفتحت ذاكرته ، وكبر الوليد وأدرك جلال القرآن وتلاقت روحه الصافية مع صفائه وقداسته فأصبح قرآنياً .

أنجبت طاقته الفكرية الهائلة إلى دراسة القرآن واستجلاء أسرارہ وتحصيل معارفه وعلم أن القرآن قد خلق في سماء البيان وتعددت أغراضه هداية وتشريعاً وسمت مقاصده نبلاً وإحساناً ، وقف بهدية الحق الأسمى فوق قمم العلوم والمعارف فلا بد من

« إن أبو جعفر قال لأصحابه : أنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا كم يكون قدره ؟ فقال ثلاثون ألف ورقة فقالوا هذار بما تنفي الأعمار قبل تمامه فاختصره في نحو ثلاث آلاف ورقة ، ثم قال هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم عليه السلام إلى وقتنا هذا ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ فذكر نحو مما ذكره في التفسير فأجابوه بمثل ذلك فقال إنفاقه مانت اللهم ، فاختصره في نحو ما اختصر التفسير . »

ويروى عن علي بن عبد الله السعفي في مجمع الأدباء ، أن ابن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة . ويحدث أبو علي الحسن الأهواني المقرئ في كتاب الإقناع في إحدى عشرة قراءة يقول : « كان أبو جعفر الطبري عالماً بالفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة والعروض وله في القراءات كتاب جليل كبير ... ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ وعلل ذلك وشرحه واختارها قراءة لم يخرج بها عن المشهور . »

ويقول الطبري : حفظت القرآن ولي سبع سنين وصليت بالناس وأنا ابن ثمان سنين وكتبت الحديث وأنا ابن تسع ... وقد كان عازفاً عن الدنيا تاركاً لها ولاهملها يرفع نفسه عن الناس وكان كالفارسي الذي لا يعرف إلا القرآن وكالحديث الذي لا يعرف

محمد بن حميد الرازي فيخرج إلينا في الليل مرات ويسألنا عما كتبناه وكنا نمضي إلى أحمد بن حماد الدولابي ، وكان من قرية من قرى الري بينها وبين الري قطعة ثم نعدوا كالجنانين حتى نصير إلى ابن حميد فنلحق بمجلسه كما سمع العلم من محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب وأحمد ابن منيع الفبوي وأباهم الوليد بن شجاع وأبا كريب محمد بن العلاء .

وحصل ما عند علماء خراسان وبغداد والشام ومصر من أدب ولغة وحديث وتاريخ ومذاهب فقهية وكلامية .

فتدفقت في ذهنه يغايح العلوم وجرت على لسانه وأطمأن قلبه للقدوم على تفسير جامع لكتاب الله فكان ذلك العمل العظيم خالد في سماءات التفكير الديني الذي جعله شيخ المفسرين . « جامع البيان عن تأويل القرآن . »

كما تصدى للتأليف في التاريخ من عهد آدم إلى وقته فكان ذلك العمل التاريخي الجليل الذي أصبح به أمام المؤرخين « تاريخ الأمم والملوك » .

مكانته العلمية :

زخر ابن جرير بالعلم وامتاز بدقة الفهم وجمال الأسلوب فتوفرت له أسباب الثقة وهو امل حلو الرحمة .

يقول ابن السبكي في الطبقات الكبرى :

ويفسر الآية عليها بما يروى من أسانيد عن الصحابة والتابعين ويستشهد بأشعار العرب لتوضيح المعنى للكلمات إذا كان ثمة شاهد على ذلك من كلامهم فيقول مثلاً القول في تأويل قوله عز ذكره : « ولعل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ، يقول تعالى ذكره : « لعل قوم منكم جعلنا شرعة » ، والشرعة هي الشريعة بعينها تجمع « الشرعة » و « شرعا » ، والشرعية « شرائع » ، ولو جمعت الشرعة شرائع كان صواباً لأن معناها ومعنى الشريعة واحد فيردها عن الجمع إلى لفظ نظيرها وكل ما شرعت فيه فهو شريعة ... وأما المنهاج فإن أصله الطريق البين الواضح يقال فيه : « طريق نهج ومنهج » ، كما قال الراجز :

من يك في شك فهذا فلج

ماء رواء وطريق نهج

ثم يستعمل في كل شيء كان بينا . فعنى الكلام لكل قوم منكم جعلنا طريقاً إلى الحق يؤمه وسيلاً واضحاً يعمل به . ثم بعد هذا العرض الشائق يأتي بكلام أهل التأويل معدداً لرواياتهم في معنى الآية مثل حديثنا الحسن ابن يحيى قال : أخبرنا هبة الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة قوله : « لعل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ، قال الدين واحد والشرعة مختلفة ويتبع ابن جرير الرواية

إلا النبوغ في الحديث والفقهاء الذي لم يعكف إلا على الفقه وكذلك في علم النحو والحساب فهو العالم الجامع لشعب العلم المتفوق في أقطار المعارف ويتجلى ذلك في تفسيره العظيم . (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) .

إن أروع ما قد ابن جرير للإسلام وأهله كتابه الجليل جامع البيان عن تأويل آي القرآن فقد جمع البيان وأفاض بالتبيين فكلم أفاد المفسرون من روايته ودرره فساروا على هديه ونهجه إذ هو من أقدم التفسير بالنسبة للكتب المتداولة بيننا كاللوسى وأبي السعود والبحر وغيرها وقد جمع في كتابه الأسانيد بأثارها مرجعاً القوي منها على غيره في معنى الآي عددها لها بالشواهد العربية بما جعل تفسير مرآة لها مصقولة بالأدب العربي ولغته وأحاديث خير البلغاء وآثار الصحابة والتابعين بإحسان وإذا كان تفسير ابن جرير يعد في مقدمة التفسير بالمؤثور فهو أيضاً في مقدمة التفسير بالرأى يميز عنها بأن الرأي والاجتهاد فيه منبثق في ضوء المأثور مستأنساً بهديه فكان حمدة المتأخرين وقودة في كتاباته وهو شرف يقدر له ويحمد عليه .

منهجه في التفسير :

عنه تفسيره لآيات الكتاب يبتدىء بقوله : « القول في تأويل قوله تعالى كذا » ،

ذاكرا قصص الانبياء والمرسلين مع اقوامهم
وأحوالهم في أوطانهم مستثيراً بما في القرآن
كما ذكر أحوال ما وجد على ظهر المعمورة
من ملوك وأحوالهم مع قومهم وموقفهم من
الشرائع الإلهية إلى أن وصل إلى خاتم
المرسلين نبينا عليه السلام فأرخ للسيرة النبوية
فصولاً متممة في مولد الرسول ونسبه وأولاده
وأزواجه ومبعثه وسياسته وغزواته
وسرياته وأحوال الصحابة رضي الله عنهم

والتابعين وذكر الخلفاء الراشدين المهديين .
ثم ما كان من أخبار بني أمية وبني العباس .
كما أن له كتاب (ذيل المزيل) به تاريخ
من قتل من الصحابة وأحوالهم وأخبارهم
وكل الكتائبيين من المراجع التي طبقت
شهادتها الآفاق فاستحق أن يكون إمام
المؤرخين كما هو شيخ المفسرين .

وهذه لمحة خاطفة عن الإمام الجليل
ابن جرير الطبري المفسر المؤرخ المحدث
اللغوي الرحالة في طلب العلم الجامع لكثير
من العلوم والمعارف السابق في الفضل رضي
الله عنه ونفعنا بعلمه ؟

الحسيني عبد المجيد هاشم
المدرس بمعهد الزقازيق

بروايات حتى يخرج الدارس من دراسة الآية
بثروة علمية أدبية تقر بها ويطمئن لها قلبه
وقد ابتدأ تفسيره بمقدمة جامعة لعلوم القرآن
في إعجازه وبلاغته والقراءات وناسخه ومنسوخه
ومحكمة ومتشابهة إلى ما يتعلق به من أقانين
العلوم فكانت مقدمة للدخول في التفسير على
هدى وبصيرة فهو بحق عمدة المفسرين
ومنهل الراشدين .

تاريخ الطبري :

برز ابن جرير الطبري في ميدان التاريخ فنسق
كتابيه « تاريخ الأمم والملوك » تنسيقاً فريداً
وجمع فيه ما يدل على سعة الأخلاق وقوة
البيان فكان حجة في التاريخ الإسلامي ومرجعاً
هاماً من المراجع الكبرى يشرف فيه أسلوبه
الأدبي معززاً وقائمه بأسانيد رواياتها فيما يتعلق
بالوقائع ابتداءً بالكلام على حدوث الزمان
والأيام والليالي مدلاً على أنها حادثة مربوبة
للخلق سبحانه وتعالى وحده لا شريك له .
وذكر أو ما خلق وهو القلم وما بعده مستدلاً
بآثار الواردة في ذلك . ثم تحدث عن قصة
آدم وحواء عليهما السلام منذ كانا في الجنة
وما كان من موقف إبليس اللعين ثم ما كان بعد
الخروج إلى الدنيا لآدم وزوجته وطرد
إبليس واستمر الكتاب يحكي قصة الإنسانية

شرب الخمر وحده في التشريع الإسلامي للأستاذ محمد عطية راغب

- ١ — شرب الخمر من الكبائر المنهى عن تعاطيها ، بالكتاب ، وبالسنة ، وبالإجماع .
أما الكتاب فقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون .
وأما السنة فقول الرسول صلى الله عليه وسلم (كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام) .
وقوله عليه الصلاة والسلام : (لعن الله الخمر ، وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه) .
وقوله صلوات الله عليه وسلامه : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) .
وقوله صلى الله عليه وسلم : (مدمن الخمر كعابد وثن) .
وأما الإجماع فقد اتفقت كلمة المجتهدين من السلف والخلف على تحريم شرب الخمر .
- ٢ — وحكمة تحريم تعاطي الخمر قائمة في التشريع الإسلامي على رغبة المشرع في حفظ عقول البشر ، فضلاً عن أنها تفسد الأبدان ، وتلف الأموال ، ونتيجة ذلك هدم كيان المجتمع .
تعريف الخمر :
١ — ذهب أكثر علماء اللغة إلى أن الخمر هي ، كل شراب مسكر سواء أكان متخذاً من ثمرات النخيل والأعشاب أم من غيرهما .
وذهب فريق آخر إلى أنها ما أسكر من عصير العنب خاصة .
ونحن نرى أن ما ذهب إليه أنصار الرأي الأول هو الأقرب إلى الصواب ، لقوله صلى الله عليه وسلم ، إن من الخنطة خمرأ ، ومن الشعير خمرأ ، ومن الزبيب خمرأ ، ومن التمر خمرأ ، ومن العسل خمرأ ، فإنه يفيد أن الخمر كما يطلق على عصير العنب يطلق على غيره من كل مسكر . والأصل في الإطلاق الحقيقة .
أما في اصطلاح الفقهاء ، فقد اختلفوا في بيان حقيقة الخمر . فذهب الشافعية ،

ونحن نأخذ بالرأى الأول ، لأن تسمية كل مسكر خمرًا إنما جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، يؤيد ذلك ما روى البخاري عن أنس قال : كنت أسقى أبا عبيدة وأبا طلحة وأبى بن كعب ، من فضيخ زهو وتمر فجاءهم أت فقال ، إن الخمر قد حرمت ، فقال أبو طلحة ، قم يا أنس فاهرقها فهرقها .
أركان جرم شرب الخمر :

٢ - لجريمة شرب الخمر ثلاثة أركان ، أولها فعل الشرب ، وثانيها الشارب ، وثالثها القصد الجنائي الواجب توافره لدى الشارب لإمكان عقابه .

فالركن المادى لجريمة شرب الخمر هو تعاطى الخمر عن طريق الفم فقط ، بحيث يصل إلى الحلق ولو لم يصل إلى الجوف .

فإذا كان التعاطى من طريق الفم ، ولم يصل إلى الحلق ، أو كان عن طريق غير الفم كالأنف ونحوه ، أو الحلق ، سواء وصل إلى الحلق أو الجوف أم لم يصل فإنه لا يعتبر شرباً للخمر يترتب عليه الحد .

ولا خلاف بين الحنفية والحنابلة ، والشافعية ، والمالكية ، في أن من شرب من نبيء عصير العنب المشدّد يجب حده سواء شرب قليلاً أم كثيراً ، وسواء سكر أم لا . ولكنهم اختلفوا فيمن شرب النبيذ المسكر . فذهب الشافعية ، والحنابلة ،

والمالكية ، والحنابلة ، إلى أنها كل شراب مسكر ، سواء أكان عصيراً للعنب أو لاى مادة أخرى ، كالبلح ، والزبيب ، والقمح ، والشعير ، والأرز ، لما رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من الخنطة خمرًا ، ومن الشعير خمرًا ، ومن الزبيب خمرًا ، ومن التمر خمرًا ، ومن العسل خمرًا) ولما رواه مسلم من قوله صلى الله عليه وسلم (كل مسكر خمر) ولما رواه مسلم ، وأحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، والفسائى ، عن أبى كثير ، قال سمعت ، أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (الخمر من هاتين والشجرتين الفخلة والعنبه) .

وذهب الحنفية إلى أنها ما أسكر من عصير العنب ، لما رواه البخاري عن ابن عمر أنه قال : حرمت الخمر وما بالمدينة منها شئ . فإن ابن عمر أخبر أن الخمر حين حرمت لم يكن بالمدينة منها شئ مع وجود أنبذة كثيرة فيها حين نزلت آية التحريم ، فنفيه وجود الخمر مع وجود أنبذة كثيرة دل على أن الأنبذة لا تسمى خمرًا ، وإلا ما ساغ له نفي وجود الخمر . فلم من ذلك أن المراد بالخمر في الآية الكريمة هى النبيء من عصير العنب المشدّد .

الحنفية، والحنابلة، والمالكية، والشافعية،
أن يكون الشارب، بالغاء عاقلاً.

ولذا لا عقاب عندم إذا كان الشارب صبياً،
أو مجنوناً، وذلك لعدم التكليف.

٣ - كما أوجب جمهور الفقهاء أن يكون
الشارب مسلماً لإمكان عقابه، فلا حد عندم
إذا كان الشارب كافراً، أو ذمياً، ولو رضى
بمحكمنا، لإعتقاده بإباحة الشرب، ولأنه لم يلتزم
بالذمة ما لا يعتقده.

وزهد ابن حزم، والحسن بن زيادة، إلى
أنه يحد إذا سكر.
ونحن نأخذ بالرأى الأول، لأنه أقرب
إلى الصواب.

٤ - كما ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه
لا حد عندم على الحربى، والمعاهد لأنهما
لم يتزما أحكام الإسلام.

٥ - واتفق الفقهاء على عدم اشتراط
الذكورة، والحرية، والبصر، في إقامة الحد
على الشارب.

ولذا يجب إقامة الحد على الشارب، ذكرًا
كان أو أنثى، حرًا كان أو رقيقاً.

٦ - وذهب أبو يوسف، ومحمد،
والحنابلة، والشافعية، إلى أن السكران الذى
يجب عقابه هو الذى يخطئ فى كلامه مخالفاً
عادته حال صحوه، لقوله عز وجل: «يا أيها

والمالكية، ومحمد، إلى أن من شرب النبيذ
المسكر قليلاً كان أو كثيراً يجب حده سكر
أو لم يسكر، لما رواه مالك عن ابن شهاب
عن السائب بن يزيد أنه أخبره أن عمر
بن الخطاب خرج عليهم فقال لى وجدت
من فلان ريح شراب فزعم أنه شراب العلاء
وأنا سائل عما شرب فإن كان يسكر جلدته
فجلده عمر الحد تاماً.

وذهب أبو حنيفة، وأبو يوسف، إلى
أن العقوبة لا تجب فى الأنبذة المسكرة إلا
بالسكر، لما رواه الدارقطنى أن أعرابياً
شرب من إداوة عمر نبيذا فسكر به فضربه
الحد، فقال الأعرابى إنما شربته من
إداواتك، فقال عمر إنما جلدناك على السكر.

وذهب أبو ثور إلى أن من شربه معتقداً
تحريره تجب عقوبته ومن شربه تائلاً
لا تجب عقوبته، لأن التأويل شبهة كعدم العلم
بالحرمة.

ونحن نرى أن ما ذهب إليه جمهور الفقهاء،
هو الأقرب إلى الصواب، لأننا لو لم نعاقب
كل من شرب النبيذ المسكر من أى مادة
اتخذ قليلاً كان أو كثيراً سكر أو لم يسكر،
لفتحنا الباب للفقوفين الذين لا يردعهم من
المعاصى إلا أن يروا العذاب رأى العين.
ولإمكان توقيع حد الشرب أوجب

ونحن نأخذ بما ذهب إليه مالك ومن وافقه لأنه أقرب إلى الصواب .
وذهبوا أيضاً إلى أنه يشترط أن يعلم الشارب أن ما يشربه خمر . ولذا لا حد على من جهل أن ما يشربه خمر ، لأن الشارب في هذه الحالة يكون جاهلاً بحقيقة المشروب . وإذا شرب شيئاً يعتقد أنه خمر فتبين أنه غير خمر فلا حد عليه ، ولكن عليه إثم الجراءة .

٧ — ولتوقيع الحد على الشارب أوجب ، الشافعية ، والحنفية ، والمالكية ، والحنابلة ، والشيعة ، أن يكون مختاراً ، لقوله صلى الله عليه وسلم ، (عني لأمتي من الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه) .

ولا حد على الشارب المسكر ، لانعدام الرضا عنده ، سواء أكره بالوعيد من قادر أو بالضرب ، أو الجنى إلى شربها بأن يفتح فوهه وتصب فيه .

٨ — وذهب الحنفية ، والحنابلة ، والشافعية وأكثر المالكية ، والشيعة ، إلى اشتراط ألا تكون هناك مزووة اشربها . ولذا لا حد على من غص بالقعة ، وخاف على نفسه الهلاك ، ولم يجد سائلاً يسئفها به ولونجسا سوى الخمر ، لقوله عز وجل ، « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » . وذهب ابن حرفة إلى وجوب إقامة الحد في

الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ، ، ولما روى أن علياً قال : إذا شرب سكر وإذا سكر هذى . وذهب أبو حنيفة إلى أن السكران الذي يجب عقابه هو الذي لا يعرف السماء من الأرض ولا الآتي من الذكر ، لأن عقوبة السكران حدد والحدود يؤخذ في أسبابها بأقصاها ، وأقصى السكر أن يغلب السرور على العقل فيسلبه التمييز بين شيء وآخر .

وذهب مالك إلى أن السكران الذي يجب إقامة الحد عليه هو الشخص الذي يستوى عنده الحسن والقيبح .

ونحن نرى أن ما ذهب إليه أنصار الرأي الأول ، هو الأقرب إلى الصواب .

ولإمكان إقامة الحد على الشارب ، أوجب جمهور الفقهاء ، أن يكون عالماً بتحريم شرب الخمر .

فإذا ادعى الشارب الجهل بالتحريم ، فإن كان ناشئاً ببلد الإسلام لم تقبل دعواه ، لأن هذا لا يكاد يخفى على مثله ، إما إذا كان حديث عهد بالإسلام ، أو ناشئاً ببادية بعيدة عن بلاد الإسلام ، قبل ادعاؤه لاحتمال ما ادعاه .

وذهب مالك إلى عدم قبول دعوى الجهل بالتحريم ، لأنه ظهور الإسلام وانتشاره ببعضه منه جهل بتحريم شرب الخمر ، وإلى هذا ذهب أيضاً فقهاء الشيعة .

الخمر للتداوى ، وخاف على نفسه الموت ،
سواء أكانت الخمر صرفاً أم بمزوجة ، لما
رواه أحمد بن حنبل عن أن النبي صلى الله عليه
وسلم دخل على أم سلمة وقد نبذت نبيذاً
في جرة فخرج والنبيذ يهدر فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما هذا ؟ فقالت فلانة اشتكت
بطنها فنقعت لها ، فدفعه برجله فسكره ،
وقال عليه الصلاة والسلام ، إن الله لم يجعل
فيما حرم عليكم شفاء ، ولما رواه أبو داود
عن أبي الدرداء قال ، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن الله أنزل الداء والدواء وجعل
لكل داء دواء فتداؤوا ولا تداؤوا بالحرمان .
وذهب الشافعي في رواية عنه ، والظاهرية
إلى جواز التداوى بالخمر صرفاً كانت
أو بمزوجة ، لقوله عز وجل : وقد فصل
لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه ،
ولأن المضطر إلى التداوى بها كالمضطر
المضطر إلى شربها فكم أبيحت للثاني فتباح
للأول .
ونحن نرى أن ما ذهب إليه أنصار الرأي
الأول هو الأقرب إلى الصواب ، لعموم
النصوص الواردة في تحريم الخمر ؟

- للبحث بقية -

محمد عتيق رافغ

هذه الحالة ، لعموم النصوص الدالة على
التنهي عن شرب الخمر .

ونحن نأخذ بالرأى الأول ، لأن العموم
قد خص بحالة الاضطرار .

١٩ - وذهب الحنفية ، والظاهرية ،
والشافعية في رواية عنه ، إلى أنه لا حد إذا
شربت الخمر لدفع الجوع أو العطش الشديد
الذي يخشى صاحبه الهلاك على نفسه ولم يجد
ما يسد به رمقه أو يزيل به ظمأه ولو نجاً إلا
الخمر ، لقوله تعالى : وقد فصل لكم ما حرم
ه عليكم إلا ما اضطررتم إليه .

وذهب المالكية ، والشافعية في رواية
أخرى ، والحنابلة ، إلى وجوب إقامة الحد
في هذه الحالة ، لأنه لا فائدة في شرب الخمر
لدفع الجوع والعطش .

وذهب بعض الحنابلة إلى أن شرب الخمر
لعطش ينظر فيه فإن كانت الخمر بمزوجة بما
يروي من العطش أبيحت لدفعه عند الضرورة
كما تباح الميتة عند الحاجة ، وإن كانت صرفاً
أو بمزوجة بشيء يسير لا يروي من العطش
حرمت وعلى شاربها الحد .

ونحن نرى أن ما ذهب إليه بعض الحنابلة
هو الأقرب إلى الصواب .

٢٠ - وذهب الحنفية ، والحنابلة ،
والمالكية ، والشافعية في رواية عنه ، إلى
وجوب إقامة الحد على من اضطر إلى شرب

من معاني القرآن

« وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم
ترحمون » .
قرآن كريم

وقد ذكر الله أن فيه أحسن القصص حيث
قال : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما
أوحينا إليك هذا القرآن » . وأنه أحسن
الحديث كما يفهم من قوله : « الله نزل أحسن
الحديث كتاباً متشابهاً مثاني » ، وأنه كما يقول
سبحانه « تشعبر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » ، بل هو
كما يقول تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل
لرأيتاه خاشعاً متصدعاً من خشية الله » .

ويفهم من قوله : « فاستمعوا له وأنصتوا »
وجوب الاستماع له والإنصات عند قراءته
في كل زمان ومكان لا في الصلاة وحدها كما
قيل ، أما الإعراض عنه وصد الناس عن
الاستماع إليه . ومحاولة تمكيد جوه بالغو فيه
فإنه من أعراض الكفر وعمل الكافرين ،
كما يفهم من قوله تعالى : « وقال الذين كفروا
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه » ، وقوله فيهم
« ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث
إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم » .

نسأل الله أن يفتح قلوبنا للقرآن ، ويشرح
صدورنا بنوره ، وينفعنا بخيره وبركته ،
فإنه كما يقول الله : « كتاب أنزلناه إليك مبارك
ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » .

عبد الرحيم فودة

الاستماع : إدراك الأصوات بحاسة السمع
والإنصات حسن الاستماع .
والرحمة : رقة في القلب تقتضي التفضل
والإحسان ، وهي من الله تفسر بما ينشأ
عنها من النعم .

المعنى : إذا تلى القرآن عليكم أو قرىء
أمامكم أو بعيداً عنكم فاستمعوا له وأحسنوا
الاستماع إليه ، فإن ذلك يرجى منه أن تنالوا
رحمة الله ، قالوا يجب عند قراءة القرآن هو
الاستماع له والإنصات إليه ، لأنه كلام الله .
فيجب أن تتلقاه حين يقرأ بما ينبغي له من
خضوع وإصغاء وانتباه ، ثم إن الاستماع
إليه فوق أنه واجب يمليه الشعور بالواجب
أمام الله ، وضرورة امتثال أمره هو كذلك
السايل إلى رجاء رحمته ونعمته كما يفهم من
قول الله : « ونزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للؤمنين » . وقوله : « يأبى الناس قد
جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للؤمنين » .

فالقرآن شفاء لما تصاب به النفوس من
علل الشك والشبهات ، وموعظة مؤثرة
ترطب المشاعر الجافة وتلين القلوب الجمادة ،
وهدى لا يضل من اتبعه ، ونعمة تنبع من
رحمة الله وتطيب بها حياة المؤمنين .

الموروثات والأدب عند ت. س. إليوت للأستاذ رشاد محمد خليل

- ٢ -

الاجتماعى إلى استعمالها الأدبى ، فلا تقتصر كما ذهب الدكتور رشاد رشدى على مجرد التقاليد الأدبية ؛ وإنما تنسج لتشكل التراث جملة ؛ ويعبر عنها إليوت تعبيراً دقيقاً قديماً « الحس التاريخى » .

« فالتقاليد لها معنى أوسع من هذا وأشميل وهى لا يمكن أن تورث وتحتاج منك فى الحصول عليها إلى جهد شاق ، فهى تتطلب أولاً وجود الحس التاريخى اللازم لاستمرار كيان الشاعر فيما بعد الخامسة والعشرين من عمره ، وهو يتطلب بدوره إدراك الماضى فى الحاضر ؛ ويضطر الكاتب وهو يكتب إلى ألا يحس بحمله فحسب بل بالأدب الأورنى عامة ، وأدب شعبه خاصة خلال الأجيال التى سبقت من عهد هوميروس إلى هذه ، وهذا الحس التاريخى الذى يتضمن الإحساس بالماضى والحاضر وبهما معا هو الذى يجعل الكاتب تقليدياً ، وهو فى الوقت ذاته ما يجعله يشعر بمكانه بالنسبة إلى من سبقه ومن يعاصره ... » (١) .

سبق أن تكلمنا عن الدين وعلاقته بالأدب عند ت. س. إليوت (١) وبيننا فيه حق العلاقة التى تربط بين الأدب والدين فى رأى إليوت ، وكان هذا العرض جانباً واحداً من الصورة ، أما الجانِب الآخر فهو رأى إليوت فى العلاقة بين الموروثات « Traditions » وبين الأدب المعاصر ؛ وهو الأساس الذى تقوم عليه نظرية المعادل الموضوعى ؛ وقد ذكر إليوت رأيه فى مقال له وقد ترجم الدكتور رشاد رشدى فى كتابه « مختارات من النقد الأدبى المعاصر » كلمة « Traditions » بكلمة التقاليد ، بينما قصد إليوت بهذه الكلمة مدلولاً أكثر اتساعاً وحقاً ، ومن الأفضل أن نختصم إلى إليوت نفسه فى تفسير هذه الكلمة ؛ يقول إليوت « إن ما أعنيه بالتقاليد يشمل كل عادات السلوك . عادة فردية ، أو عرفاً سائداً شعبية تعبدية أو طريقة فى التحية ... » (٢) ، وهو ينقل الكلمة بمفهومها المتوسع من استعمالها

(١) مجلة الأزهر ص ١٠٢٩ مقال الدين وعلاقته بالأدب .

(٢)

(١) مختارات من النقد الأدبى المعاصر ص ٤٦

د : رشاد رشدى .

Selected prose, tradition T.S. Eliot

عبد الصبور ؛ لقد أخذ الجزء النقدي من النظرية قائلاً : ماذا نصنع بأدب العصور السالفة ... هنا أصبق القول فأستفيد من ت. س. إليوت نظريته في الموروث الأدبي Tradition لاستعين بها أوسع عما استعان بها إليوت ، إن نظريته في الموروث ليتلخص أحد وجوها في محاكاة آثار الماضي في ضوء التجربة الحاضرة . ولقد نظر إليوت إلى التراث الانجليزي فأعجبه ملتون وبليك ودين وبروك فضلاً عن شكسبير ولم يعجبه بوب وسوينبرن . وقد قامهم جميعاً بفهمه المعاصر ، واستخرج منهم ما يصلح - من وجهة نظره - ليمش من جديد إلى الأبد^(١) . ثم يطالب بتطبيق النظرية على تراثنا من امرئ القيس إلى إبراهيم ناجي لنسبق من هذا التراث ما نراه ملائماً لأذواقنا وأنفسنا .

ثم يعقب على ذلك قائلاً : متى نفهم أن حق الحياة على الأحياء ، أعظم من الموتى حق عليهم ، وهذه الدعوة في ذاتها لا غبار عليها ، فنقد الماضي عملية ضرورية بالنسبة لهذا الماضي وحده ، ولكن بالنسبة لوجودنا الحاضر أيضاً ، فلكي ينمو هذا الحاضر نمواً صحيحاً ، لا بد من عمليات

والتقاليد في تعريف إليوت هي ما يعبر عنه بالحس التاريخي ، وهو تعبير أوسع كثيراً من المدلول اللغوي لكلمة التقاليد ، ومن المدلول الاجتماعي والأدبي لها لأن هذا التعبير يدخله عنصر زائد عن مجرد وجود الشيء ألا وهو الإحساس بوجوده ، وهذا الإحساس لا يرصد الشيء في حالة سكونه وإنما في حالة حركته ليس في الماضي فقط وليس في الحاضر فقط ، وإنما عبر الأجيال إلى أن يصب في الحاضر ويتحرك فيه .

ونظرية « الحس التاريخي » عند إليوت لم تلق عند أدبائنا ونقادنا حتى المغالون منهم في التعصب لإليوت وآرائه ما هو جدير بها من الاهتمام ، فالدكتور رشاد رشدي رغم ترجمته لمقال إليوت الذي تعرض فيه لهذه النظرية لم يدخلها في اعتباره وهو يتحدث عن « المعادل الموضوعي » في كتابه « ما هو الأدب » وعندما تعرض الأستاذ صلاح عبد الصبور في مقال له تحت عنوان « مختارات في فهم الشعر ونقده » إلى هذه النظرية ذهب إلى شيء آخر ليس هو المقصود بالدرجة الأولى ، فقد أخذ منها الجانب الذي وضعه إليوت كاحتراز في التطبيق حتى لا يقبّاد إلى الذهن أن إليوت يدعو إلى اتباع الماضي اتباعاً أعمى ؛ فدعا إلى نقد الماضي وأخذ الصالح منه ، فإذا فعل الأستاذ

(١) المجلة عدد ٧٧ مختارات في فهم الشعر ونقد . صلاح عبد الصبور .

التي يصاغ منها لا تستقر على حال ... وعليه أن يدرك أن هذا التطور أو الارتقاء أو التعميد على الأصح لا يعنى أى تقدم فى نظر الفنان أو العالم النفسانى . وأنه ربما كان فى النهاية نتيجة لعصر الآلات والاقتصاد المعقد الذى نعيش فيه ، على أن الفرق بين الحاضر والماضى هو أن الحاضر المتيقظ ليس إلا وعيا بالماضى فى شكل وإلى مدى لا يمكن وهى الماضى بنفسه أن يبين عنه ... فالمهم أن يحس الشاعر بالماضى إحساسا هليبه ألا يكف عن تنميته خلال أطوار حياته المختلفة ، (١) .

إن الماضى مرتبط بالحاضر بصورة متبادلة لدرجة د أن ما يحدث ساعة خلق أثر فى جديد يحدث فى نفس الوقت لكل ما سبقه من آثار وهى الآثار التى تكون فيما بينها نظاما قائما يغيره دخول الأثر الجديد ضمنها ، ويترتب على هذا أن يتبدل وضع كل أثر فى بالنسبة للجموع من حيث قيمته وصلته به ، وهذا ما نسميه بالتوفيق أو التناسق بين القديم والجديد ، وإن كل من يؤمن بأن هناك نظاما يسود الأدب العربى أو الأدب الانجليزى لا يصعب عليه تصديق أن الماضى يتغير بالحاضر قدر ما يتأثر الحاضر بالماضى ،

المراجعة الدائبة للماضى ، وكشف العناصر التى فقدت صلاحيتها للاستمرار وعزلها ، وتطوير الصالح للاستمرار منها ، وإعطائه روح العصر ، وقد أكد لايوت ضرورة النقد للوروثات لأنه د يختلط فيها الخير بالشر ، وكثير منها يستحق النقد كما أن الموروثات ليست مجموعة من المشاعر فقط ، وليس من الممكن أن نربط أنفسنا بمجموعة من الموروثات التامية دون أن نمتحنها امتحانا عسيرا فما هو صالح لعصر من العصور - ما لم يكن من القواعد الأساسية - قد يكون صارأ بعصر آخر ... إن ما نريده هو أن نستعمل عقولنا ، لأن الموروثات بدون ذلك لا تستحق شيئا ، وعليها أن نعرف ماذا يستحق الاحتفاظ به من الماضى وما يستحق الإهمال ... ، (١)

لكن لايوت لا يختصر هذا الماضى ، ولا يعبر عنه بروح الازدراء التى عبر بها الأستاذ عبد الصبور ، بل على العكس من ذلك ينظر إلى هذا الماضى باحترام ، بل يربط مصير الحاضر به ويلزم الشاعر كما يقول بأن د يحس بالتيار الرئيسى الذى يسرى سريان الشريان هبر الأجيال والعصور السابقة ، وأن يدرك أن الفن لا يتقدم . ولكن المادة

(١) مخزانات من النقد الأدبى للعاصر

د : رشاد وشدى

(1) Selected Prose ; Troidition.
T.S.Eliot.

مع سبق الاصرار نظرية الموروثان رغم
تحميمهم لنظرية المعادل لموضوعي هل لأن
موروثاتنا أعجز من أن تتخطى عقبة الحاضر؟
أم لأننا نرى أن حاضرننا يمكن أن يقوم
وحده وأن ذواتنا لا تحتاج إلى جذور؟

أم أننا اكتشفنا مسائل أخرى نستورد
منها جذورا أقدر على تنمية الحاضر ، ألا
يستوقف هذا الصمت المريب النظر . ١١ ؟
إن موروثنا يعيش فينا ولا نملك خلعه
أو استبداله بإرادتنا ، وقد حاولت أوروبا
مرة يوم أرادت أن تخلع مسيحيتها فإذا كانت
النتيجة ؟ لقد ثارت فرنسا على الكنيسة
باسم الروح المسيحي ، وكان الشعار الذي
اعلنت تحت لوائه تمردا ، الحرية ، والإخاء
والمساواة ، هو صوت المسيح الذي صرخ
به في البرية ... ؟

إن الماضي يتكشف في أصلا بنا منذ اللحظة
التي نبضت فيه الحياة نبضا الأول على ظهر
الأرض ، وكلما هبرت الأجيال خالقا أو
ارتادت مجهولا ازداد التكشف تركيزا ،
وتعمقت خطوط الماضي في نسيج الحاضر .
إن لنا موروثنا كما أن لاليوت وجيله في
في الغرب موروثه الإنجليزي الأوربي إن
لنا مثله موروثنا العربي الإسلامي ، لا أقصد
بذلك الموروث الشعري وحده الذي يبدأ
بأمرى القيس وينتهي بإبراهيم ناجي ،

والشاعر الذي يدرك هذا يدرك أن أمامه
مصنوعات وصعوبات جمّة ، لأنه لا يمكن
لشاعر أو لفنان ما أن يكون له معناه مستقلا
عن كل شيء . وآخر ، فقيمته يجب أن تقوم
على تقدير المصلحة عن سببه ، من الشعراء
والفنانين ، فأنت لا تستطيع أن تقدره وحده
بل يجب ، لأن تفهمه ، أن تقارن أو تفرق
بينه وبين أسلافه ، على ألا يكون هذا
مبدؤنا من الناحية التاريخية فحسب ، وبل
من الناحية الجمالية أيضا (١) .

فتنح إذن أمام نهر يتدفق فيه تيار من
الأمم السحيق ، وهذا التيار لا يتوقف لحظة
عن الجريان ، ولا تفتأ تصب فيه كل لحظة
دوافد من الحاضر الذي يتحول باستمرار
إلى ماضى ، وهذا التيار يتدفق بالماضى في
الحاضر باستمرار ، فيتغير شكله بالحاضر ،
كما يتغير شكل الحاضر به .

لقد رأينا كيف نجاهل نقادنا نظرية
الموروث عند اليون كما تجاهلوا من قبل نظرية
الدين والأدب ، لا عن جهل طبعا بهذه
النظرية فقد ترجمت إلى العربية .

ورأينا حين تعرضوا لها كيف انصرفوا
بها عن مدلولها الأساسى إلى مدلول فرعى
بوضئ نزعاتهم الخاصة .

والآن نحب أن نقائل ، لماذا تجاهل نقادنا

هل يعرف جيلنا شيئاً عن حركة التاريخ العربي الإسلامي وعوامل المدد والانحسار وعن الصورة التي أخذتها كل مرحلة من مراحلها ، كما عرف جيل الغرب تاريخ أوروبا ووضع يده على نبضه في جميع مراحلها ؟ ثم هل قدر جيلنا بصورة واعية مكانة القرآن في تاريخ الأمة العربية الإسلامية والحركة الهائلة التي وضعها في هذا التاريخ ، ثم هل قدروا أى مسؤولية يتحملها جيلنا حين يستهين بقوة الدفع التي يستطيع هذا الكتاب أن يضعها في حاضرنا ؟

هذه أسئلة أضعتها تحت الأنظار ؛ ولكنى أكتفى الآن بأن أقول بأنه لو لم يكن في موروثاتنا شيء سوى القرآن يجب أن يوضع في وهى الحاضر بكل طاقاته وانفجاراته ، لكان وحده كافياً لأن نحمل بإزائه مسؤولية خطيرة لا بالنسبة لحاضر جيلنا وحده ، وإنما بالنسبة للأجيال التي سوف تخلفنا ، وبالنسبة لمستقبل الإنسانية التي تنفتح فيه اليوم هوة رهيبية تطل على العدم لا يستطيع شيء أن يملأها غير كتاب الله : . وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم .

رساد محمد خليل

كما يذهب الأستاذ عبد الصبور ، فذلك جزء من رصيد هائل هو موروث الحضارة العربية الإسلامية بكل ما فيه من أدب وعلم ودين وفلسفة الخ . من قفنا فبك إلى فاتحة الكتاب . ومن شعائر الصلاة إلى ترنيمات المتصوفة ، إلى تقسيات بن رشد إلى نقوش « الأربسكو » ، لقد كشف الغربيون تراثهم من قرون وراجعوه ورتبوه وحلّوه ، وأخذوا منه ما يصلح لهم .

ونحن ماذا صنعنا بترائنا ؟ هل كشفناه وراجعناه ورتبناه وحلّناه ، وأخذنا منه ما يصلح لنا .

إن بعضنا من العناية قد بذل للشعر - بعضاً فقط - فالشعر يحتاج إلى أضعاف الجهود التي بذلت وتبذل في دراسته .

ولكننا نسأل ؟ هل يعرف جيلنا عن مالك والمسيب ، والغزالي ، وابن سينا ، والطبري وابن خلدون .. بعضنا بما يعرفه جيل الغرب عن هوميروس وسرفوكليس ، وهيرودت ، وهيرودت وأرسطو وتوماش الأكويني ! ! وهل يعرف جيلنا عن الموطأ ، وسيرة ابن هشام ، وإحياء علوم الدين ، وتهافت الفلاسفة ، وتهافت التهافت ، ومقدمة ابن خلدون ، بعضنا بما يعرفه جيل الغرب عن الإلياذة ، وأوديب ، والسكون ، والفساد ، والمدينة الفاضلة ؟

مرء شخصيات فجر الاسلام ابن الجب للأستاذ محمد فاوى عمر

فى حديث (بصراحة) الذى يكتبه الأستاذ محمد حسين هيكل فى جريدة الأهرام كتب ما يأتى : فى اليمن مثلاً كان ابن الشيخ الزايدى شيخ حدواح هو الذى تقدم وقطع رأس أبيه بخنجره بعد أن غدر بضابط مصرى وعشرة من جنوده وأطلق النار عليهم من لوراء بعد أن كان يذنه ويذنبهم عهد الأمان . وحمل الابن رأس أبيه بيده ومشى بها فوق الجبال من صرواح إلى صنعاء وعلقها بنفسه على باب العاصمة المشهور باسم باب اليمن لى يراها الناس .

ودال الكاتب هذا الحادث على قوة العقيدة وأنها فوق كل اعتبار - صحيح أنه ليس من السهل على الابن أن يقطع رأس أبيه لأنه خان ، ولكنه من الصعب أن يتحلى الإنسان من عقيدة آمن بها وملكت عليه كل حواسه وكان لهذه العقيدة فى نفسه مركز الأفضلية لما تنطوى عليه من خير عام للناس كافة . وفى مجال المفاضلة يمكن الجزم بأن التضحية بالمصلحة الشخصية ميسور فى سبيل الحفاظ على المصلحة العامة .

ولا شك أن هذا العمل البطولى قليل

فى سير التاريخ . ولا يكاد تظهر إلا فى فترات قليلة متباعدة . فترات يظهر فيها فى منطقة ما دعوة دينية أو سياسية لها من القوة ورسوخ القدم ما يمكنها من قلوب أصحابها فتظهر على مسرح الأحداث مثل تلك البطولات التى يسجلها التاريخ وكأنها قطع فنية نادرة تزيد على مر الأيام وضوحاً وجلالاً . وتتلخص بمرور الوقت من تلك الشوائب النفسية التى تعلق بها . فيظهر العمل على حقيقته مجرداً من كل اعتبار على أساس أنه العمل المثالى الكامل الذى كان يجب أن يحدث حتى يتم اللقاء الحتمى بين الشعوب والعقيدة الواحدة والهدى الواحد . والإسلام - كعقيدة دينية وسياسية واجتماعية - ملك على أنصاره أنفسهم ومشاعرهم . لم تقف فى سبيله عقيدة أخرى معارضة ولم يبق أمامه أى تقليد من تلك التقاليد البالية التى ورثها العرب والتى كانت لها فى نفوسهم مكان التقديس والافتخار . لقد كان أشرف المسلمين أسبق فى التضحية من عاصمتهم بأرواحهم وأموالهم ، ولم تكن التضحية بالمال مهما كثر مما يكون بجالا للبن والافتخار ، ولم تمنح أى علاقة عائلية

لقد كثرت المهاجرون في ديارنا ، واه
ما عدنا وإيام إلا كما قال الأول (سمن كلبك
يا كلك) (أما واه لأن وجهنا إلى المدينة
ليخرجن الأعز منها الأذل) ثم قال لمن حضر
من قومه (هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتهم
بلادكم . وقاسمتهم أممكم ، أما واه
لو أمسكتهم عنهم بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم)
ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم مقالته ؛
قال عمر بن الخطاب (مر به بلالا فليقتله)
هنا ظهر النبي كد أبي القاتل المحنك ؛ والحكيم
البعيد النظر ، والتفت إلى عمر وقال (فكيف
يا عمر إذا تحدث الناس وقالوا إن محمدا يقتل
أصحابه) .

وتراى إلى عبد الله بن أبي ما بلغ النبي عنه
فأسرع إلى حضرته ينفي ما نسب إليه ، ويحلف
بأنه ما قاله وما تكلم به ، ولما بلغ المسلمون
المدينة وأقام ابن أبي بها لا تهدأ له نفس
حسدا لمحمد وللمسلمين وإن تظاهر بغير ذلك
كما أصر على إنكار ما نقل عنه لرسول الله
أثناء ذلك نزلت سورة المنافقين وفيها قوله
تعالى : هم الذين يقولون لا تنفقوا على من
عند رسول الله حتى ينفضوا . والله خزائن
السموات والأرض . ولكن المنافقين
لا يفقهون . يقولون لأن وجهنا إلى المدينة
ليخرجن الأعز منها الأذل والله العزة ورسوله
والبؤمنين . ولكن المنافقين لا يعلمون .
هنالك فهم قوم أن في هذه الآية قضاء

أو شخصية من التضحية بها في سبيل الدعوة .
وتاريخ صدر الإسلام حافل بأروع الأمثلة
على ذلك والتي لم تكن أقل روعة وجلالا
هما أورده الأستاذ هيكل .

وقد اخترت لنفسى بين هذه الأمثلة شخصية
ابن أبي الآب والآب ، مع عرض موجز
لكل منهما .

لقد كان عبد الله بن أبي بن سلول الآب
من أشراف المدينة وزعماء الخزرج ودخل
في الإسلام ، إلا أنه كان منافقا غاية النفاق
مصلحته الذاتية لها الدرجة الأولى من تفكيره
وفي سبيل بلوغ غايته كان يخادع وينافق ،
متنظرا لغدوره ونفاقه أسوأ أوقات المسلمين
وأشد الفترات حرجا في حياة النبي بالمدينة .

أما ابنه عبد الله فكان مؤمنا خالص
الإيمان ، صفت نفسه للإسلام وامتلا قلبه
بدعوة الإيمان ، وكان في مجال العمل الإسلامي
يسمو بنفسه وبعاطفته فوق كل هلافة واعتبار .

بعد انتهاء النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة
بنى المصطلق ، ازدحم أجير لعمر بن الخطاب
مع أحد رجال الخزرج على الماء ، ثم اقتتلا
وتصايحا . يقول الخزرجي : يا معشر الأنصار
ويقول أجير عمر : يا معشر المهاجرين وسمع
عبد الله بن أبي النداء وكان قد خرج مع
المنافقين في هذه الغزوة ابتغاء الغنيمة ، فدار
ما في نفسه على المهاجرين وعلى محمد بن حفيظة
وقال لجلسائه .

على عبد الله بن أبي وأن محمداً لا ريب أمر بقتله . فذهب عبد الله بن عبد الله بن أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال له (يا رسول الله ؛ إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه . فإن كنت فاعلا فرني به فأنا أحمل إليك رأسه . فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده مني . وإنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعى نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله . فأقتل رجلا مؤمنا بكافر) . فأجابه رسول الله (إنما لا تقتله بل تترقى به ونحسن صحبته ما بقي معنا) .

هذا الحادث يدلنا على ما كان عليه الأب من نفاق وكذب . وكما أعماه حقه وحسده فجعله يختار أوقات المسلمين للذيل منهم أما الابن فكان شديد الإيمان صادقا غاية الصدق فيما ذهب يعرض على الرسول من قيامه شخصيا بتنفيذ حكم الإعدام في والده والأيديع لغيره أن يقوم بهذا العمل . فهو يشعر أن قتله لأبيه في سبيل إحقاق الحق أهم عنده من عاطفة الأبوة حتى ولو كان معروفا عنه أنه أبر الناس بوالده . وقد كان رسول الله كريما كبير القلب فترقى بالابن والأب .

وليقين النبي من صدق إيمان الابن فقد ولاه أمر المدينة عند ما خرج للملاقاة قریش في غزوة بدر الثانية .

ولم تكن الحادثة التي ذكرتها آنفا هي الأولى

والأخيرة في حياة عبد الله بن أبي . فقد كان تاريخه حافلا بالمؤمرات والكيد . وكان الله ورسوله يفضحان أمره . وفي حديث الإفك وجد ابن أبي فيه مرعى خصيبا لشفاء مافي نفسه من غل وجعل يذيعه جهد طاقته .

قدمت امرأة مسلمة إلى سوق اليهود من بني قينقاع عند صائغ منهم . وثبت واحد من اليهود طرف ثوبها بشوكة إلى ظهرها . فلما قامت انكشفت صواتها . فضحكوا بها . فصاحت . فقام أحد المسلمين فقتل اليهودي . فقام عليه اليهود فقتلوه . فلما استصرخ المسلمون بالنبي طلب من اليهود أن يكفوا عن أذى المسلمين وأن يحفظوا عهد المهادنة حتى لا ينزل بهم ما نزل بقريش بيد . فاستخفوا بوعيده وتحذوه . فحاصر المسلمون بني قينقاع في دورهم حتى نزلوا على حكم محمد وسلموا بقضائه . فأشار عليه نفر من أصحابه بقتلهم جميعا . وهنا قام عبد الله بن أبي . وكان حليفا لليهود كما كان حليفا للمسلمين . وطلب من النبي عدم تنفيذ ذلك في حلفائه من اليهود . وألح في طلبه . فرأى النبي في إلحاحه ما جعله يعود إلى سكينته وأن يسدى هذه اليد إلى ابن أبي ومن معه من المشركين موالى اليهود حتى يصبحوا مدينين لإحسانه ورحمته ، واكتفى بمغادرتهم المدينة إلى الشام . وفي غزوة أحد أشار عبد الله بن أبي على النبي أن يبقى بالمدينة ويقوم بتحصينها .

وأموالكم . وأقيموا في حصونكم . فإن
معى ألفين من قوى وغيرهم من العرب
يدخلون معكم حصونكم ويموتون عن آخرهم
قبل أن يوصل إليكم) . وتشاور بنو النضير
في مقالة ابن أبي . وانتوا إلى التحصن
بحصونهم وقاتلهم المسلمون عشرون ليلة .
وكان عبد الله بن أبي كاذباً منافقاً فلم يقدم
اليهود شيئاً ولم يكن حطهم معه بأحسن من
بنى قينقاع قبلهم فتصالحوا على أن يتركوا
المدينة حسب رأى النبي .

وكان لهذا النصر أثر كبير في قطع دابر
الفتنة وأثر على المنافقين حتى لا يرفعوا
رؤسهم كلها أصاب المسلمين شر ومن قيام
التهديد بالحرب الأهلية إذا غزا المسلمون غاز
من الأعداء . وقد نزل في ذلك قوله تعالى :
« ألم إلى تر الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين
كفروا من أهل الكتاب إن أخرجتم
لتخرجن معهم ولا نقابيع فيكم أحداً أبداً .
وإن قوتلتم لننصرنكم ، والله يشهد إنهم
لكاذبون . لن أخرجوا لا يخرجون معهم
ولن قوتلوا لا ينصرونهم ولن نصروهم ليولن
الأدبار ثم لا ينصرون . لئن لم أشد رهبة
في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم
لا يفقهون ، »

الرأي محمد فاوى عشر

مفتش دائرة الأحوال المدنية مرسى مطروح

ورغب غالبية المسلمين في الخروج لملاقاة
العدو ، ونزل النبي عند رأيهم وخرج معهم .
حتى إذا بلغوا مكاناً يسمى الشيخين رأى النبي
كتيبة من اليهود من حلفاء ابن أبي . فقال
(لا يستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك
ما لم يسلموا) . فانصرف اليهود عائدتين
إلى المدينة . إذ ذاك جعل حلفاء ابن أبي
يقولون له (لقد نصحتك وأشرت عليه برأى
ثم أبي أن يقبله وأطاع الغلمان الذين معه) .
فصادف قولهم هوى في نفسه . فلما أصبحوا
انخزل مع كتيبتهم من أصحابه وبقى النبي ومعه
المؤمنون حقاً .

وبعد غزوة أحد وما أصاب المسلمين فيها ،
ضعفت هبة محمد والمسلمين في قلوب اليهود .
ورأى النبي ببصيرة السياسي الثاقبة أن يتمنح
هؤلاء اليهود فذهب في عشرة من كبار المسلمين إلى
يهود بنى النضير الذين تظاهروا بحسن استقباله .
وقد أحس النبي أنهم ياتهمون به فانسحب
من مجلسهم وعاد إلى المدينة دون أن يشعروا
به . ثم أمرهم بمغادرة البلاد في مهلة عشرة
أيام . وقال لهم رسول الله (إن رسول الله
أرسلني إليكم أن أخرجوا من بلادى .
لقد نقصتم العهد الذي جعلت لكم بما هممتهم
به من الغدوني . لقد أجلتكم عشراً فن روى
بعد ذلك ضربت عنقه) .

وأثناء تجهيز بنو النضير أنفسهم لتنفيذ
أمر النبي جاءهم رسولان من عند عبد الله
ابن أبي يقولان : « لا تخرجوا من دياركم

دولة الإسلام والعالم

على الحدود... بين دولتين وخصيتين

مناطق الحدود الإسلامية البيزنطية بين الإمبراطورية البيزنطية والامبراطورية العباسية

للأستاذ فتحي عثمان

— ٣ —

يزيد ، وهو يتابع التطور في مراحل المتتالية فيقول ، واستتم أمر حصص ، فكانت حصص قنسرين شيئاً واحداً ، وقد اختلفوا في تسمية الأجناد ، فقال بعضهم : سمي المسلمون فلسطين جنداً لأنه جمع كورا ، وكذلك دمشق وكذلك الأردن وكذلك حصص مع قنسرين وقال بعضهم سميت كل ناحية لها جنود يقضون أطعمتهم بها جنوداً ، وذكروا أن الجزيرة كانت إلى قنسرين فجندوها عبد الملك بن مروان أي أفردوها فصار جنودها يأخذون أطعمتهم بها من خارجها وأن محمد بن مروان كان سأل عبد الملك تجنيدها ففعل ، ولم تزل قنسرين وكورها مضمومة إلى حصص حتى كان يزيد بن معاوية فجعل قنسرين وأنطاكية ومنبج وذراتها جنوداً فلما استخلف أمير المؤمنين الرشيد هارون ابن المهدي أفرد قنسر بكونها قصير ذلك جنوداً واحداً ، وأفرد منبج ودلوك ورعبان وقورس وأنطاكية وقنسرين وسمها العواصم لأن المسلمين معتصمون بها فعتصمهم وتمنعهم

وهكذا بلغ نظام الدفاع الإسلامي من حدود الدولة في أعلى الشام والجزيرة مرحلة النضوج ، وتميزت ثغور الشام عن ثغور الجزيرة ، وكان الخط من ملطية إلى عين ذرية (عين زربي) يمثل تحصينات الدفاع عن الجزيرة ويتضمن مرعش والحدث ، بينما كانت المراكز الرئيسية في تحصينات الدفاع عن الشام هي المصيص وأذنة ومارسوس ، وكانت هذه المواقع العسكرية الهامة وثيقة الصلة بالممرات الجبلية هرجبال طوروس ، وقيل أن معاوية هو الذي جعل قنسرين في شمال الشام وحدة إدارية حربية مستقلة بعد أن كانت داخلة في نطاق جنود حصص ، كما أن عبد الملك ابن مروان هو الذي جعل الجزيرة جنوداً مفرداً بذاته ، ثم تزايد الإحساس بأهمية مناطق الحدود في عهد العباسيين ، فأفردوا العواصم عن قنسرين والجزيرة وجعلوها ولاية بذاتها ، وبفسب الطبري بداية ذلك التطور إلى معاوية ، بينما ينسب البلاذري إلى ابنه

أنطاكية وحران في عهد عمر بن عبد العزيز ويهلل ما يروى ذلك بأن هذا الموقع نفسه قد جعل من السهل إحضار المخطوطات اليونانية من آسيا الصغرى لأن حركة التبادل كانت نشيطة على الحدود في الفترات الخالية من الحروب . وكانت هناك سفارات عليية توفد خصيصاً لجمع المخطوطات من بلاد الروم ، وفي (أخبار الحكماء) أن الرشيد د ولي يوحنا بن ماسويه ترجمة الأكتب الطبية القديمة لما وجدها بأنقرة وعمودية وسائر بلاد الروم حين اقتتحمها المسلمون ، كما يروى ابن النديم في (الفهرست) أن المأمون كتب إلى ملك الروم د يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلاد الروم فأجاب إلى ذلك بعد امتناع . وقد سافرت بعثة في عهد الواثق لزيارة موضع أهل الكهف كما كان الأسرى من وسائط للتبادل الثقافي بين المسلمين والبيزنطيين ، فقد كان لمسلم ابن أبي مسلم الجرمي وهارون بن يحيى فضل لا ينمكر في تقديم مادة طبية للسليين عن الروم ويبرز ابن النديم في (بغية الطلب) كيف تخللت احتكاكات القتال اتصالات الحضارة فيقول: « كننا معشر أهل الشام وإخواننا من أهل مصر وإخواننا من أهل العراق نغزو فيمرض على الرجل منا أن يحمل من أرض الروم قفيزاً بالصغير من فسيفساء ، وذواها

إذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر وجعل مدينة العواصم منبج فسكنها عبد الملك ابن صالح ابن علي في سنة ثلاث وسبعين ومائة وبني بها أبنية ، ، ... كانت بنو أمية تغزو الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية بما يلي ثغور الشام والجزيرة ، وتقيم المراكب الغزو وترتب الحفظة والسواحل ، فلما ولي أبو جعفر المنصور تتبع حصون السواحل ومدنها فعمرها وحصنها وبني ما احتاج إلى البناء منها ، وفعل مثل ذلك بمدن الثغور ، ثم لما استخلف المهدي استتم ما كان بقي من المدن والحصون وزاد في شئنها ، وقد رأينا من اجتهد أمير المؤمنين هرون في الغزو ونفاذ بصيرته في الجهاد أمراً عظيماً ، أقام من الصناعة ما لم يرق قبليه ، وقسم الأموال في الثغور والسواحل ، وأشجى الروم وقهم وأمر المتوكل على الله بترتيب المراكب في جميع السواحل ، وأن تشحن بالمقاتلة ، وذلك في سنة سبع وأربعين ومائتين .

* * *

هل أن الحدود الإسلامية البيزنطية في أحال الجزيرة والشام لم تكن ميدان قتال بين الدولتين بحسب . لقد كانت مجال اتصال بين حضارتين أيضاً ...

يذكر الفارابي السعدي وابن أبي أصيبعة نبأ انتقال د مدرسة الاسكندرية ، إلى

شخصية عبيد الله البطال من مجاهدى العصر العباسي ، وقد وصلت آثارها إلى قصة الفروسية العربية (ذات الهمة) ، (ألف ليلة وليلة) فضلاً عن القصص الشعبي التركي كما أثبت ماريوس كشار Marius Conard على أن معارك الروم قد نالت اهتماماً أكبر في الشعر العباسي ، وسجل أبو تمام والمتنبي وأبو فواس كثيراً من صفحات الجهاد الإسلامي على الحدود . وجاء شعر الحرب سجلاً للعالم الجغرافية والوقائع الحربية وكثيراً ما استند إليه ياقوت في مادته الجغرافية عن بلدان الثغور . وظهر في الأدب الرسمي للدولة الإسلامية (كتب الجهاد) التي ترسل إلى الأطراف للاستغفار للقتال وكانت العبارة الإسلامية الأولى بين قطية في تصميمها وزينتها بقدر ما تسمح بذلك تعاليم الإسلام - على حد رنسيان Runciman ، كما كانت قصور الأمويين نفسها أحياناً قلاعاً بين قطية .

هذا هو خطط الحدود الإسلامي البيزنطي في أعلى الشام والجزيرة .

أرض تخرج بالحركة ، وحية تجدد في روح الجهاد المقدس أسباب القوة لا عواهل الفناء . وهذه صورة ترسوس كما أبرزها الاصطخوي وابن حوفل تكاد تنطق :
د فأما مدينة طرسوس : فالمدينة المشهورة

في ذراع من رغام ، فيجمله أهل العراق إلى العراق ، وأهل حلب إلى حلب ، ويستأجر على ما حلوا إلى دمشق .

وجاء أدب الحرب سجلاً لمعارك الفريقين ، ونحن نجد مثلاً نموذجياً للبطل القوي هند الروم في شخصية مجاهد الحدود البيزنطي ديجينيس أكريتاس Digenis Akritas الذي دارت حول بطولاته في منطقة الثغور ملحمة شعبية ويفترض ما فوجور داتوا Wavrogordato لوقائع الملحمة القرن الواقع بين عامي ٨٦٠ ، ٩٦٠ م وقد جرت أحداثها في أعلى الجزيرة بين سيمساط وملطية وفي كبادوكيا . ومن سلالة حرب الشام وحلفائهم النصارى البيالقة (البولسيين Poulicians الذين اضطهدهم الروم لحلاف مذهبي وكان مركزهم قفريك وهي أبريق هند العرب) .

جاء والد البطل ديجينيس الذي أنجب ولده هذا من زواجه برومية . وهكذا جاءت الملحمة بمثابة رسالة الإسلام ، على حد تعبير ما فوجور داتو ، إلى الحدود التي أكلتها الحروب في شرقي الإمبراطورية البيزنطية ، وإن تغنت بأعجاد البطولة البيزنطية في جهاد المسلمين . كما نجد قصص البطولة العربية في أخبار حصار القسطنطينة أيام الأمويين ، وفي القصص التي تدور حول

البلدة ويرابطون بها إذا وردوها ، وتكر
لديهم الصلاة وترد عليهم الأموال والصدقات
العظيمة الجسيمة ، إلى بما كان السلاطين
يتسكفونه وأرباب النعم يعانونه وينفذونه
متطوعين متبرعين ، ولم يكن في ناحية ذكرتها
رئيس ولا نفيس إلا وله عليها وقف من
ضيعة ذات مزارع أو مسقف من فنادق . . .
هكذا كانت الحدود . . . بين دولتين ،

وحضارتين !

حدود تملج بالحياة . . . لأنها تقف على
أطراف أرض تسكنها أمة حياة ، وحضارة
كلها حياة !

د ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل
على العالمين ، ؟

فتوح عثمان

المستغنى بشهرتها عن تحديدها ، كبيرة عليها
سوران من حجارة ، كانت تشتمل على خيل
ورجال وعدة وعتاد وكراع ، وكانت من
العمارة - والخصب بالعناية ، إلى رخص عام
على مر الأيام وتعاقبت الأعوام . وكان بينها
وبين حد الروم جبال متشعبة من اللكام
كالخاجزين العاملين . ورأيت غير عاقل يميز ،
وسيد حصيف مبرز ، يشار إليه بالدراسة
والفهم واليقظة والعلم ، يذكر أن بها مائة
ألف فارس ، وكان ذلك عن قريب عهد من
الأيام التي أدركتها وشاهدتها ، وكان السبب
في ذلك : أنه ليس من مدينه عظيمه من حد
بجستان وكرمان وفارس وخوزستان
والجبال وطبرستان والجزيرة وأذربيجان
والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر
والمغرب إلا وبها لأهلها دارين لها غزاة تلك

من أمثال العرب

* د لم يذهب من مالك ما وعظك ، معناه : إذا ذهب من مالك شيء فخذرك أن يحل
بك مثله فتأديبه إياك هوض من ذهابه .

* د رب عجلة تهب ريثا ، ومعناه : أن الرجل يعمل العمل فلا يحكمه للاستعجال به ،
فيحتاج إلى أن يعود فينفضه ثم يستأنف عمله .

* د أن ترد الماء بماء أكيس ، يقال لمن مر بماء فلا يحمل منه اتسكالا على ماء آخر
يصير إليه ، فيقال له : أن تحمل معك ماء أحزم لك ، فإن أصبت ماء آخر لم يضرك ،
فإن لم تحمل تخففت من الماء عطبت .

أبغض الحلال إلى الله

للأستاذ أحمد علي منصور

الأزواج على عدم طرق بابه ، إلا عند الضرورة القصوى ، كما يفهم من قول الرسول الأعظم ، صلى الله عليه وسلم : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » ، وقد صح عنه ، عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم ، أنه قال : « ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق » ، ويتبين من هذا أن الشرع الشريف ، لا يحب فسخ عرا الحياة الزوجية ، ولا يدهو إليه ، بلا موجب قوى ، لأن في التفريق بين الزوجين ، بلا مبرر تفريقاً لشمل أسرة كانت آمنة مجتمعة ، وتخريباً لبيوت كانت أهلة عامرة .

ولقد حرص الدين كل الحرص ، على الوفاق بين الزوجين وحسم ما قد ينشأ بينهما من خلاف أو نزاع ، بوسائل شتى ، حتى في الأحوال التي تركب المرأة فيها رأسها وتخرج عن طاعة زوجها ، فقد دعا الرجال إلى التزام جانب الحكمة والروية ، وأرشدتهم إلى سلوك السبيل المحقق للأمل المنشود ، بحزم وأناة ، وفي ذلك يقول الله جل علاه :

« واللاتي تخافون نشوزهن ، فعظوهن ، واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ،

شرح الإسلام الزواج لأغراض سامية ، في مقدمتها التماسل ، وبقاء النوع الإنساني لمارة الأرض ، وليسكن كل زوج إلى زوجته وتقوى بينهما أواصر المودة والرحمة ؛ وبهذا يتم الوئام بين الزوجين ، ويتعاونان على السراء والضراء ، فتصلح الأسرة وبصلاحها يصلح المجتمع ، ويبلغ أعلى الدرجات .

ولا يتحقق ما يهدف إليه الإسلام من الزواج ، إلا إذا بنيت الحياة الزوجية ، على الائتلاف والإخلاص ، وتوافق الطباع ، وحسن المعاملة ، أما إذا تنافرت الطباع ، واستحكمت أسباب النزاع ، وعز الوفاق ، بات الفراق أسلم السبل ، وأبعدها عن الضرر والإرهاق . وقضاء على هذه الأمور التي يجوز أن تعترض الحياة الزوجية ، فتعكر صفوها ، وتجعلها أشبه بأتون مستعر ، أباح الإسلام الطلاق ، لأن سد بابه عند الحاجة إليه ، لإضرار بالزوجين ، وإهانات يجرى إلى الأذى ، ويجعل الحياة بغیضة ، نقيضة الوطأة ، كثيرة الشرور والآثام .

على أن الإسلام ، مع إباحته الطلاق ، اعتبره علاجاً قاسياً ، ودواء مراراً ، وحث

حكم المستحيل ، وقد تكون المرأة حقياً لا نكح
فللزوج في هذه الحالة أن يجمع بين زوجتين
إن كان قادراً ، فإن عجز عن ذلك فليس هناك
ما يؤدي إلى التناسل ، الذي عليه هماره
السكون ، إلا مفارقة زوجه العقيم وقد تكون
الزوجة سيئة الخلق لا ترعوى ، فتجيد
عن أوامر الدين ، فالطلاق حينئذ أضمن
وسيلة للابتعاد عن الوقوع في أحضان الشر .
ومن هذا يتضح جلياً أن الشرع الشريف
لم يجز الالتجاء إلى الطلاق إلا عند الضرورة
الملحة ولقد كان كثير من الأمم غير المسلمة
يعيبون نظام الطلاق في الشريعة الإسلامية ،
ويرون فيه خطأ من كرامة المرأة ، وتلاعباً
من جانب الرجل بالحياة الزوجية ، ولكن
الأيام كشفت لهم عن صوابه والحكمة منه ،
فأيقنوا أن منعه منعا باتا يخالف أسنة الاجتماع
وقواعده ، وتضييق ، وخطر على الحياة
الزوجية ، وفتح لباب الجرائم الخلقية ،
واختلاق الأسباب التي تزلزل كيان الزوجين ،
فأخذوا به وأباحوه ، وأصبحوا يطلقون ،
ولا يرون في ذلك غشاً ولا هيباً .

والدين الآخر حين أباح الطلاق ، أجاز
رده مرة ومرة ، وفي ذلك يقول مولانا جلست
حكمته : « الطلاق مرتان ، فإمساك بمعروف
أو تسريح بإحسان » (١) فإن جاوز المرتين إلى

(١) الآية رقم ٢٢٩ من سورة البقرة .

فإن أطمعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ، إن الله
كان علياً كبيراً ، (٢)

فالعلو القدير - سبحانه - يأمرنا بالتدرج
في المعاملة والتأديب ، بالوعظ ، ثم بالضرب
الشرعي غير المبرح ، فإن أدى ذلك إلى الطاعة
والوفاق ، فليس وإلا فالتحكيم الذي أمر به
تبارك وتعالى - بقوله .

« وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من
أهله ، وحكماً من أهلها ، إن يريدوا إصلاحاً
يوثق الله بينهما ، إن الله كان عليماً خبيراً » (٣) .
أما إذا كان الذنوز أو الأعراض ناشئاً
من جانب الزوج ، فقد حث العزيز الحكيم
على الوفاق ، بقوله عز من قائل : « وإن
أمرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إهراضاً ،
فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً ،
والصلح خير ، وأحضرت الأنفس الشح ،
وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما
تعملون خبيراً » (٣) .

فالإسلام جد حريص على الوفاق ، ودوام
الألفة بين الزوجين ، واستمرار الحياة
الزوجية ، ولا يبيح الطلاق ، إلا إذا استفحل
الشقاق ، وأمسى لم الشمل مستحيلاً ، أو في

(١) الآية رقم ٣٤ من سورة النساء .

(٢) الآية رقم ٣٥ من سورة النساء .

(٣) الآية رقم ٢٢٨ من سورة النساء .

وما يتحملة من أعباء مالية في الإنفاق على مطلقاته أثناء العدة ، ودفع مؤخر الصداق ، وما يتسكفه من مهر جديد إذا أراد التزوج ثانية ، كل ذلك يجعله أكثر حذراً وتبصراً في العواقب .

أما المرأة فإنها سريعة الانفعال والتأثر ، تستسلم كثيراً للأهواء وليس عليها من الأعباء المالية ما يدعوها إلى الإحجام عن الطلاق ، ولم يرض لها الدين أن تقيم في أحضان الغل والهوان وسوء المعاملة ، بل أمر الزوج أن يعاملها بالحسنى ، ويتفرق في معاشرتها ، فإن نأى عن ذلك جاز لها أن تطلب من القاضى الفراق .

وأخيراً - فإن من أهم الوسائل التي تجعل الحياة الزوجية ثابتة مستقرة ، أن يعنى من يرشح نفسه للزواج ، العناية الكبيرة باختيار زوجته ، وأن يتقارب الزوجان في السن ما أمكن ، وأن تتحقق الكفاءة بينهما بقدر المستطاع .

ولا ينذ عن أذهان الرجال ، قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « تنكح المرأة لأربع لماله ، وجماله ، وحسبها ، ودينها ؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك » ،

الثالثة ، دل هذا على أن الحياة الزوجية قد باتت مصدعة الأركان ، وأن المحاشرة قد أمست عسيرة ، فلا يجوز الرجوع إلا بشروط أخرى شديدة ، هي بمثابة التأديب لكل من الزوجين ، وفي هذا يقول اللطيف الخبير : « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ، فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله ، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » (١) .

وبهذا التشريع الحكيم قضى الإسلام على فوضى أهل الجاهلية ، فقد كان الرجل منهم يطلق زوجته ثم يراجعها ، ويفعل ذلك مراراً ، لا لغرض سوى التكيل بها ، فجاء الدين بهذا النظام المتين ، الذى يرفع الظلم عن كاهل المرأة ، ويجعل الحياة الزوجية أكثر ثباتاً واستقراراً .

وإنما جعل الدين الشريف الطلاق بيد الرجل ، لأنه أصبر على المسكاره ، وأملك لنفسه عند الغضب ، ويقدر التبعات الناجمة عن الفرقة ، ويحرص على بقاء الزوجية ، ويقدر على معالجة الخلاف بحزم وبعد نظر ،

(١) الآية رقم ٢٣٠ من سورة البقرة :

رسالة المسجدي في نشر الثقافة والحضارة

للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٢ -

مساجد ذات أثر :

إن نظرة سريعة نلقها على تاريخ المساجد الكبرى في المجتمعات الإسلامية ترىنا أنها كانت مناهل ثروة للثقافة والتعليم والحضارة ، لجامع عمرو الذي بناه سنة إحدى وعشرين ، ثم زيد فيه بعد ذلك ، صار مدرسة ثقافية ، ومحكمة للقضاء ، وكان سليمان بن هتر التجيبي يسرد فيه القصص الوعظ ، وشاهد فيه محمد ابن عبد الرحمن الحنفي - قبل سنة تسع وأربعين وسبعمائة - أربعين حلقة لتدريس العلوم .

في تعمق وتوسع ، ومن وراء هذه الدروس كان كتاب د الأمل ، الجليل في الفقه ، وكتاب د السنن ، في الحديث .

وكان يبدأ تدريسه عقب صلاة الصبح ، فيجلس إليه أولاطلبة الحديث ، فإذا ارتفعت الشمس انصرفوا ، وعقدت حلقة المناظرة والمذاكرة ، فإذا ارتفع النهار أقبل عليه طلاب اللغة والشعر والنحو ، ويظنون هكذا حتى الظهر .

* * *

وبقى الشافعي يفيض على الناس من علمه في جامع عمرو حتى مرض مرضه الأخير ، ولم يستطع الانتقال إلى المسجد ، وتنافس على أن يخلفه في التدريس د البريطي ، ود ابن هبيل الحكم ، ، واستاء أبو بكر الحميدي من هذا الصراع ، وكان من المقربين إلى الشافعي ، فذهب إليه الحميدي ، وسأله عن أحق الناس بمجلسه ، ورجع ليقول للقوم : إن الشافعي يقول : ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف بن يحيى ، وليس أحد من أصحابي أعلم منه !

وكان فيه - كما يروى المقرئ - ثمان زوايا لتدريس العلوم ، منها زاوية الشافعي المنسوبة إلى الإمام الشافعي ، لأنه درس فيها ، وكان قد سمع بجامع عمرو قبل مجيئه إلى مصر ، وتطلع إلى التدريس فيه ، بسبب شهرته وحديث الناس عن الأئمة الذين يدرسون فيه ، ولما جاء الشافعي إلى مصر ، جلس في المسجد ، وعرض على الناس مذهبه وفقهه ، وتكاثر من حوله التلاميذ والمستمعون والمستفتون ، وزادت شهرة الشافعي ، وكان يعلم ما يريد

يقوم بالتدريس فيه ، وكان الشاعر نصيب ابن أبي رباح ينشد أشعاره فيه ، وكذلك أمر عبد الملك بن مروان الشاعر الأخطل بأن يمدحه على منبر هذا المسجد .

* * *

وكان المسجد الأموي بدمشق مركزاً ثقافياً ضخماً ، فيه زوايا للتدريس ، ومساكن للطلبة الغرباء ، ومقاصير لتدريس المذاهب الفقهية ، وزوايا للانفراد وانسخ الدروس فيها ، وكان للخطيب البغدادي حلقة كبيرة بهذا المسجد سنة ست وخمسين وأربعمائة للهجرة وكانت حلقة تنعقد كل يوم .

وكان جامع المنصور ببغداد مدرسة كبيرة تتجه إليها هيون العلماء والطلاب ، حتى إن الخطيب البغدادي ذكر في كتابه « تاريخ بغداد » أنه لما حج وشرب من ماء زمزم ، سأل ربه تبارك وتعالى أن يحقق له ثلاث أمنيات ، من بينها أن يملئ الحديث في جامع المنصور ببغداد .

وكان الكسائي يقرأ علوم اللغة في هذا المسجد ، ومن تلاميذه فيه الفراء ، والأحر ، وابن السعدان ، وفي هذا الجامع أملى أبو عمرو الزاهد كتابه « الباقوت » ، وقد بدأ تدريسه ومحاضراته فيه في شهر المحرم سنة ست وثمانين وثلاثمائة للهجرة ، ولما أتم إملاء الكتاب المذكور

وغضب البويطي وابن عبد الحكم ، واتهما الخيمدي بالكذب ، وحدث بين الثلاثة صراع وجدال ، وأعرض ابن عبد الحكم ، واتخذ له مجلساً ، وامتثل البويطي الفرصة وجلس مكان الشافعي ، وواصل التدريس للناس .

* * *

ومن الزوايا الثمانية المشار إليها الزاوية المجدية التي درس بها قاضي القضاة عبد الوهاب البهسي ، والزاوية الصاحبية لمذهبي المالكية والشافعية .

ويروى ياقوت أن شيخ المفسرين ابن جرير الطبري جلس في هذا الجامع - يطلب من أبي الحسن بن سراج - وأمل دروساً في التفسير والفقه والحديث واللغة والشعر والنحو . كما أنه قد درس في هذا المسجد طائفة من الأئمة الأعلام : أمثال عبد الله ابن وهب ، والليث بن سعد ، ويوسف ابن يحيى ، وأبو بكر الخيمدي .

* * *

وهذا جامع الكوفة نواه يؤثر تأثيراً واضحاً في الحضارة العراقية ، إذ كان مركزاً من مراكز الحياة العامة - كما يقول بعض المؤرخين - ويجتمع فيه الناس ، وتذاع منه قراوات الدولة ، ويعلن منه الحاكم سياسة حكمه ، كما كان لهذا الجامع أثر واضح في الحياة الأدبية والعلمية ؛ إذ كان الشاعر والكاتب ،

رجعنا ، إلى ما كتبه الأستاذة محمد عبد الله
عنان ، وعبد الحميد يونس ، ومحمود أبو العيون
ومحمد عبد المنعم خفاجي ، وغيرهم
من مؤلفات عن الأزهر الشريف .

وحسبنا على سبيل المثال أن نعرف أنه
قد درس في الأزهر الشريف ، حمالة في كل علم
إسلامي ، ومهم أبو القاسم الرعيني الشاطبي ،
وابن خلدون ، وابن الدمايني ، والفخر
البليسي ، وابن الملقن ، وابن حجر ،
والسيوطي ، والمقرئ ، والقلقشندي ،
وشرف الدين المغاوي ، والبليقني والسخاوي
وغیرهم ، وغيرهم .

ولجلال الرسالة التاريخية الممتدة للأزهر
الشريف خلال التاريخ الإسلامي نجد دميثاق
العمل الوطني ، يقول عن الشعب المصري :
إنه تحمل المسؤولية الأدبية في حفظ التراث
العربي الحضاري وذخائره الحافلة ، وبفضل
من أزهروه الشريف حصنا للقاومة ضد
عوامل الضعف والتفتت .

ويقول : « ولم تكن الحملة الفرنسية مع
مطلع القرن التاسع عشر هي التي صنعت
اليقظة المصرية في ذلك الوقت كما يقول بعض
المؤرخين - فإن الحملة الفرنسية حين جاءت
إلى مصر وجدت الأزهر الشريف يموج
بتيارات جديدة تتعدى جدرانها إلى الحياة
في مصر كلها . »

رجع فأعاد قراءته ، وهذبه ونفحه
وزاد عليه .

وفي هذا المسجد كان الشاعر المعروف
أبو العتاهية يملئ شعره - كما ذكر ذلك
أبو الفرج الأصفهاني في كتابه « الأغاني » -
ولقد قص علينا أبو الفرج في الجزء الثالث
من كتابه مثلاً أن أبا العتاهية أنشد في جامع
المنصور على جماعة من الناس الأبيات التالية :

لمني على ورق الشباب

وغصوه الخضر الرطاب

ذهب الشباب ، وبان هني

غير منتظر الأيام

فلا بكين على الشبا

ب ، وطيب أيام التصابي

ولا بكين من البلى

ولا بكين من الخضاب !

وكان ينشدها والدموع تسيل على خديه ،
والناس من حوله تمسك بالآيات !

* * *

وأما الجامع الأزهر الشريف فالحديث
عنه يطول ويطول ، ولو أردنا أن نلخص
ما كان له من آثار في نشر الثقافة الإسلامية
خلال أكثر من ألف عام لاحتاج التلخيص
إلى مؤلف مستقل ، فكيف بمحدث التفصيل
والتحليل ؟ .

ويمكن أن نذكر ملاح لهذه الآثار إذا

وأما جامع قرطبة فحسبنا أن ننقل عنه ما جاء في الجزء الثاني من كتاب «مساجد ومعاهد» وهو :

«إن جامع قرطبة كان يعد أعظم جامعة غربية في أوربا في العصر الوسيط، وقد قيل إن الراهب (جيرير) الذي أصبح فيما بعد (الابا سلفستر الثاني) أتم دراسته في جامع قرطبة. ولا نشك في أن كثيرين من نصارى الأندلس الذين كانوا يعيشون تحت ظل المسلمين قد تعلموا فيه علوم العربية، واستعربوا - أي ثقفوا بالثقافة العربية - إذ وجدوا أنفسهم مضطرين إلى مشاركة المسلمين في حياتهم، رغبة في تقلد المناصب

الكبرى في الإدارة ودواوين الحكومة، وقد نبغ بعضهم في آداب اللغة العربية، وظهر منهم الشعراء والكتاب».

ولو انتقلنا إلى جنوب وادي النيل - السودان - لوجدنا أن المسجد هناك قد قام برسالة كبيرة في مجالات الثقافة

والتوجيه، فقد عرف السودان - كما جاء بكتاب دور المساجد التاريخي - نظام «الخلاوى»، وهي أمكنة يؤمها الطلاب لحفظ القرآن المجيد، وتعلم أحكام التجويد، فإذا انتهى الطالب من حفظ القرآن، وتعلم أحكام ترتيله، شرع يتلقى العلم والتصوف من بعض العلماء.

ثم جاء من عمل على أن تختص «الخلاوى» بتعليم القرآن وتعليم التجويد، وأن تختص المساجد بتدريس العلوم الأخرى، فصارت المساجد معاهد علمية يقوم بالتدريس فيها علماء أجلاء لم يكونوا من أبناء السودان فقط، بل رحل إلى السودان علماء من أقطار شتى، وجلسوا في المساجد هناك يعلمون الناس، ومن هؤلاء محي الدين بن عربي، والجنيد، والحلاج، وأبو الحسن الشاذلي، ولما كان الكثير من هؤلاء من أصلهم الصوفية فقد انتشر التصوف في السودان انتشاراً كبيراً.

أحمد الشرباصي

بين ربيعة الرأي وأعرابي

تسلك ربيعة الرأي يوماً بكلام في العلم فأكثر، فسكان العجب داخله، فالتفت إلى أعرابي إلى جنبه فقال: ما تمدون البلاغة يا أعرابي؟ قال: قلة الكلام وإيجاز الصواب. قال: فما تمدون العي؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم! فسكانما ألقمه حجراً.

الثورة الثقافية في الإسلام

للمستاذ حسن فتح الباب

— ٢ —

هو هداية الفرد وإصلاح المجتمع ، لما في ذلك من تحقيق لمصلحة العمران في العالم . وإذا تأملنا تلك الحكمة التي وردت في الأثر : « اطلبوا العلم ولو في الصين » ، وجدنا دلالة أخرى على هذا المعنى ، إذ لا يستقيم في المنطق أن يتسكبد المسلم مشاق الرحلة إلى الصين والبعث عن مهبط الوحي في الجزيرة العربية ليلتمس التفقه في الدين على أيدي قوم لم تبلغهم دعوة الرسول ، وإنما القصد أن يحيط بما أوتيته أهل الصين من علوم ومعارف تصالح بها أمور الدنيا .

كما نجد مصداق ذلك في حث الرسول صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة على تعلم السريانية ، وهي لغة أجنبية لا يستزيد بها المسلم علما بدينه وإنما ينتفع بها في دنياه . وفي قوله ، عندما سئل عن النخل وتلقيحه ، ما معناه أن هذا من أمور الدنيا التي يرجع فيها إلى التجارب والعقل ، وأن الناس أهل بأمور دنياهم .

ولقد نبغ كثير من المسلمين الأوائل في العلوم الدينية والدنيوية معا ، فكانوا

العلوم الطبيعية نفاول الدين

والمنها :

لا يقتصر مفهوم العلم في الإسلام على الجانب الديني منه ، بل يشمل جانبه الدنيوي كذلك ، تشهد بذلك حقائق العقيدة الإسلامية وتاريخها المجيد ، ذلك أن الإسلام يتميز عن الرسائل السماوية السابقة بأنه دين ودولة ، فلا رهبانية فيه وهو دين العمل والكفاح الإيجابي في سبيل العيش الكريم ، حتى لقد رفع قيمة العمل على قيمة العبادة وحدها لأن العمل نفسه عبادة . والعمل مرتبط بواقع الإنسان ، وقد حث الإسلام على العمل الصالح في سبيل سعادة الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة ؛ وجاءت الآيات القرآنية في أكثر من موضع تشير إلى هذا المضمون وتؤكدده .

ومن ثم كانت الدعوة العلنية في الإسلام تنصرف إلى الحث على تحصيل العلوم الدينية والدنيوية جميعا ، لأن الهدف من نشر العلم

أحداثاً سياسية أو حرية فحسب ، إذ تبلورت في شكلها إلى أحداث ثقافية رائعة . وآية ذلك ما أعقب الفتح العربى لشبه جزيرة أيبيريا الأندلس ، من نهضة علمية أهلت العقل البشرى لاكتشاف الكثير من الجاهل الذى لم يطرأ من قبل ، ثم حفرت هذا العقل على التنقيب والاختراع والابتكار وأفسحت له الطريق ليسير بأبحاثه واكتشافاته بما لم يتيسر للإنسان في يوم ما ، يشهد بذلك ما أنتجته العبقريّة الإسلاميّة في أسبانيا تحت رعاية الخلفاء وأرباب الدولة الأموية في أعوام قليلة إذا قيسست بعمر التاريخ المديد .

ومن الثابت كذلك أن من العناصر الأساسية التي جعلت سرعة الفتح الإسلامية أشبه ما تكون بالأساطير ، أن العرب كانوا يحملون لواء حضارة جديدة تفوقت على حضارة الدول المغلوبة فانساب الفتح الإسلامى في طريقه كالسيل الدافق في أفريقيا وآسيا ، وحطم دولتين عظيمتين كان يدهما زمام العالم وهديره إذ ذاك ، ثم اتجه إلى أوروبا فأمدّها بحضارة إنسانية زاخرة ظل يحمل مشعلها في جميع أرجاء العالم عشرة قرون من الزمان .

المبادئ والقيم العلمية والثقافية في الإسلام

لم يسكنه يزع فجر الإسلام ، حتى هرت

فقهاء في الشريعة وعلماء في الفلسفة والرياضيات ، ومنهم من كان يجمع بين التفقه في الدين والعلم الراسخ في العال .

والإسلام دين حضارة ، فلا غرو أن يدعو إلى التعمق في شتى العلوم والفنون وأن يفتح التوافد ويفسح المجال للأخذ من كل علم بطرف .

ولقد أسندت الحضارة الإسلامية إلى دعائم من علوم الدين والدنيا معا ولا تفضيل لعالم على آخر بنوع ما يحصله من علم ، وإنما بإخلاصه فيه واستخدامه في سبيل خير الناس وورعائهم . ذلك أن العلم في الإسلام سبيل لخدمة الدين والمجتمع معا ، فأما علوم الدين فهي تبين أحكامه للهداية إلى حقيقة العبادات وأما علوم الدنيا فللإرشاد إلى أصلح المعاملات .

الفنوع الإسلامية أهمّات ثقافية كبرى

ولقد أثمرت تلك التعاليم الرائدة التي بثها الرسول في نفوس المسلمين تمجيدها للعلم وتكريما للعلماء فيما أعقب العهد الأول للإسلام من عصور زاهرة ارتفعت فيها أعلام دولة في أقاصى العالم وطبقت حضارته الآفاق .

فالواقع أن الفتح الإسلامية لم تكن

الدليل على أسس ثابتة ودعائم وطيدة حتى يرتفع البناء شأخا خالدا على مدار الأجيال والأحقاب .

وكان هذا المنهج في سداده وقوته مرشدا أميناً قادراً على الهداية على أهدافه الصالحة ، باعثاً على الإيمان بها ، ومن ثم أرسى الرسول الكريم مستلهم كتاب الله عز وجل أصلاح المبادئ وأشرف القيم والتقاليد للنهوض بالجانب الثماني من رسالته ، فأمر بمسكارم الأخلاق في طلب العلم ، ونهى عن دنابا الحلال وقبائح الفعالم .

فالإسلام يحصرم الرأى القائل بأن الغاية تبرر الوسيلة ، ويضرب على أيدي الآخذين بتلك الميكافيلية ، الخادعة ، لأنه دين الحق والخير والفضيلة . ومهما عظم الهدف ودعت الحاجة إلى العجالة في بلوغه ، فلا سبيل إلى ذلك إلا بانتهاج الطريق القويم وإن كلف السائر فيه ضروباً من المشقة والعناء ، بل إن المقصود أو التأخير في تحقيق الأهداف السامية لاهون في الإسلام من أن يسعى إليها على مركب وعري يحط بشرف الإنسان ويزرى من شأنه ، فما قيمة العلم والثقافة بغير رصيد من نبل السجايا وسمو المناقب ؟ .

وإذا كانت رسالة النبوة العلى ترى إلى تحرير العقل البشرى وتطهيره من رواسب الجهل وزيف الباطل وخداع الأوهام وتيسير

العالم لإشراقته الفكرية ، فكانت الدعوة إلى التأمل في خلق السموات والأرض أساس الدعوة إلى الإيمان بالله واعتناق شريعته السمحة وكان منهاج الإسلام في نشر المعرفة بث التوعية بحقائق الحياة والعقيدة في النفس البشرية بقصد تهذيب هذه النفس ورفعها من ظلمات الجهالة إلى آفاق الفكر المستنير ، حتى تصبح طاقة قوية قادرة على مشاركة مجتمعاتها في معركة الإيمان والبعث والتقدم .

ومن أجل تحقيق هذا الغرض وهو إصلاح النفس والنجاة في سبيل إصلاح العالم كوحدة واحدة متماسكة ، نهج الإسلام سبيل العمل الثورى في نشر رسالته الفكرية حتى يتكافأ أسلوب العمل مع أهمية تلك الرسالة وخطرها .

وإذا كان المقصد الاسمى للعلم والثقافة في الإسلام هو جعلهما سبيلاً إلى هداية الفرد واتصاله بالله ، وإلى تقويم الأسرة البشرية جميعاً وتحقيق آمالها في العيش الحر الكريم ، فلا عجب أن تسير هذه الغاية الحميدة وصيالتها بين الناس ، فتحاط تلك الوسيلة بسياج من المثل العالية يحميها من التردى في وهذه الإثم والانحراف .

وهكذا وضع الإسلام للنهضة العلمية والثقافية دليلاً للعمل منبثقاً من دعوته السماوية وغايته المثالية في الدين والدنيا ، وأقام هذا

الخالدة التي شكلت الغربة الصالحة لهذه القيم والجو التي امتلك التقاليد .

فقد كانت تلك المبادئ بمثابة الاسس والقواعد التي التزم بها المسلمون الأوائل في طلب العلم والضمانات التي استحوذوها من عقيدتهم السموحة للنهوض بالثقافة في البيئة الإسلامية وفقا لروح الإسلام وشريعته .

ومن هذه القواعد والضمانات التي تقوم عليها الثقافة ما تلزم به السلطة الحاكمة أو الدولة ، ومنها ما يلتزم به الأفراد أو الشعب .

المبادئ الشرعية

في المجال العلمي والثقافي

إن العلم حق للفرد وواجب على الدولة ، ويثبت هذا المبدأ من القانون الدستوري الإسلامي الذي يلزم الحاكم بالعمل على إشباع الحاجات المادية والمعنوية المشروعة للرجعية ، فلا يحجم عن كفالة هذه الحقوق الدستورية للجماعة - ومنها حق العلم والثقافة - غير الحاكم الظالم ولا طاعة المخلوق في معصية . والإسلام شريعة الحق والعدل ، ومن العدل أن تتمتع المساواة بين الناس فيما تخلعه عليهم الدولة من حقوق ، فلا تميز في حق التعلم والتزود بالثقافة بين فرد وآخر ، وإنما الفرصة متاحة للجميع على قدم السكافو

الطارق له للاهتمام إلى الحق ، فكيف يستقيم أن يكون السبيل إلى تأدية هذه الرسالة هو اطراح المثل الفاضلة والانحراف عن القيم الخلقية الرفيعة ؟ .

وليس أدل على ذلك من أن انتشار الثقافة الصحيحة لا يصحبه أزمات اجتماعية ، فإذا نشأت هذه الأزمات برغم النهوض العلمي والثقافي كانت تلك ظاهرة على قلق العصر ودليلا على أن العلم لم يرق بدوره في تأمين البشرية في مواجهة الأخطار التي تتعرض لها .

وقد نبعت الاسس والشروط التي وضعها الإسلام صونا لشرف الرسالة التي يضطلع بها العلم والثقافة ، من المبادئ الإسلامية العليا التي جاءت بها شريعته الغراء ، والتي استقرت أصولها في ظل الدولة الإسلامية الأولى ، ثم آتت ثمارها في الدولتين العباسية والاندلسية فأبدعت للعالم حضارة زاهرة خصبة أغنت وجدان العالم كله لقرون طوال ، ودفعت صلالات من الأحياء في طريق التقدم وأكشفت آفاقا جديدة من طبيعة الكون والحياة .

ويجمل بنا قبل أن نقنول تلك القيم والتقاليد التي أرساها الإسلام في رسالته الثقافية أن نقدم ملامح من مبادئ الإسلام

ومكافئته ، ومن ثم حرصت الدولة الإسلامية في ضسوء تعاليم دينها الخنيف على أن تبث في نفوس رعيها الإيمان بقيمة الثقافة في النهوض بالفرد والمجتمع من طريق الإقناع بالحسنى ، حتى تستقر في نفوسها تلك المفاهيم وتقبلور قيا وتقاليد يستطيع بفضلها الشعب أن يشارك دولته في تحقيق أهدافها العلمية والثقافية منبثقا من إرادته الحرة ودوافعه الوجدانية .

القيم والنقاير المعرفية

في الثقافة

وقامت فلسفة الإسلام في هذا المجال على أساس أن الفرد من أجل المجموع ، والمجموع من أجل الفرد ، فلا ارتفاع لأحدهما على حساب الآخر ، فالمجتمع بناء هرمي متماسك في قته أجهزة الدولة الموجهة ، وفي قاعدته الأفراد العاملون ، ولا قيام للقمّة بغير قاعدة كما أنه لا قاعدة بغير قة .

وتطبيقاً لهذه الفلسفة جعل الإسلام من القربة الاستقلالية التي تهدف إلى بث الثقة بالنفس والاعتدال عليها منهاجا لتقويم الأفراد حتى ينشئوا كراما أهزة في ظل مجتمع حر ، يفقدونه بأرواحهم إيماناً منهم بمظمة الحرية التي تشبعت بها نفوسهم لثرت فيها بجرى الدماء في العروق .

والمساواة ، ولا تفرقة بين فئة وغيرها لأنه لا طبقية ولا عنصرية ولا امتياز لجماعة دون غيرها في الإسلام ، بل الأكرم والأفضل عنده الله هو الأتقى .

والضمان الحقيقي لعدم استغلال هذا الحق أو التمتع بتلك المساواة هو الإخاء والتعاون ، ففي ظل التسكافل والمشاركة تتم وسائل العلم والمعرفة وتوثق ثمارها لصالح الأفراد والجماعات ، ومن ثم دعا الإسلام إلى اشتراكية الثقافة وخطط لهذا الاتجاه في كافة الميادين كيلا يصبح العلم وقفا على أفراد معينين ، وسداً لمنافذ احتكار العلم والانتفاع به في تحقيق منافع ذاتية أو أطماع طائفية .

تلك هي المبادئ الإسلامية الأساسية التي تلتزم بها الدولة في المجال الثقافي ، وتحصر على كفالتها وحماتها ودعمهما في المجتمع إيماناً برسالتها وتحملها لمسئوليتها غير أنها في سبيل إرساء هذه المبادئ ، وتأكيد لها لا تعتمد إلى القهر والعسف ، ولا تقيم من نفسها وصية أبدية على الناس في جميع شئونهم العسكرية ، وإنما تكتفي بالإشراف الأعلى ضماناً لهذه المبادئ ، فلا تتدخل إلا حينما تدعو الحاجة إلى الذود عن هذا البناء في مواجهة خطر طارىء أو شريطل برأسه ولا طاقة للرعية بدفعه

الاسلام دين العلم والعمل :

وهكذا دعا الإسلام إلى التوسل في طلب الثقافة بالقيم الأخلاقية المثلى فهي الدرج الواقى لمبادئه والباعث على تحقيق غاياته . وتنسق هذه الوجهة التي أنتهجتها الدعوة الثقافية مع روح الدعوة الإسلامية وطبيعتها ذلك أن الإسلام يفرد دون سائر الديانات السماوية بهذا المنهاج البين الرشيد الذي رسمه لمعالج ما يعانيه المجتمع من مشكلات هاجا موضوعيا جذريا يقوم على العلم والعمل فلم يكن اهتمام الإسلام بوضع النظرية أقل منه في ملاحظتها في مرحلة التطبيق ، إذ كان من توجيهات الرسول التي أتبعها الخلفاء والأئمة من بعده أن يتسلح المؤمن بالوصى الذي يتاح له من التأمل في عالم في عالم النفس والسكون ، والخبرة التي يحصلها من ممارسته للحياة وما يخرج منه من هلاقات مع الآخرين .

ومن هنا كان الإسلام ديناً ودولة ، عبادة ومعاملة ، وكان العلم - وهو من دعائم هذا الدين وأركان هذه الدولة - يجمع بين النظرية والتطبيق فلا غرو أن يحدد الإسلام الملامح الرئيسية المفهوم العلمي والثقافي حتى لا ينحرف به سريده عن مقاصده الجميلة ، وأن يوجه طلاب الثقافة وقادتها إلى الطريق الصحيح الذي يصل بهم إلى غاياتهم في إطار الروح الإسلامية ، وأن يبين لهم المناقب النبيلة التي ينبغي أن يتحلوا بها ، وفي وصف العلم الحق الذي يبحث الرسول على انتهاجه ، يقول صلى الله عليه وسلم : « إنه الأنيس في الوحشة ، والصاحب في الغربة ، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والصلاح على الأعداء ، وبه يعرف الحلال من الحرام وهو إمام العمل والعمل تابعه » .

عن فتح الباب

بلاغه إياس المبكرة

دخل إياس بن معاوية الشام وهو غلام : فقدم خصماً له إلى قاض لعبد الملك ، وكان خصمه شيخاً كبيراً ؛ فقال له القاضى : أنتقدم شيخاً كبيراً ؟ فقال له إياس : الحق أكبر منه . قال له : أصكت . قال : فمن ينطق بحجتي ؟ قال : ما أظنك تقول حقاً حق تقوم . قال : أشهد أن لا إله إلا الله . فقام القاضى فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر . فقال : اقض حاجته الساعة ، وأخرجه من الشام حق لا يفسد على الناس .

موقف الإسلام من النظريات الإنسانية في أصل الكون ونشأة الحياة للأستاذ سعد السبيعي

من المسلم به أن البحث والنظر ، وإعمال
الفكر في الكون أرضه وسمائه هو طريق

المعرفة الصحيح ، والكشف عن بعض
ما أودع الله في هذا الكون من أسرار هو
الذي أدى إلى السير بالحياة ، في طريق
النهوض والكمال .

هذا بإطلا .

هذا وغيره من أساليب الدفع إلى النظر
وإعمال الفكر قد وصل إلى حد أنه وجه
اللوم والتقريع إلى الذين يميلون استخدام
وسائل المعرفة والنظر فتبهمهم بالأنعام بل
وسمهم بأنهم أضل منها في قوله تعالى في سورة
الأعراف : « لم يفلحوا ولا يفتقرونها ولم
أهين لا يبصرون بها ولم أذان لا يسمعون
بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك
هم الغافلون » .

والدين الإسلامي لم يحجر على العقول أن
تنظر وتفكر في هذا الكون ، بل هو على
العكس من ذلك فقد جعل الحواجز والسدود
من طريق الفكر الإنساني ، ودفعه إلى النظر
في ملكوت الله من هذا الكون بأقوى
ما عرف في تاريخ الأديان السماوية . يقول الله
تبارك وتعالى في سورة العنكبوت : « قل
صبروا في الأرض فأنظروا كيف بدأ الخلق
ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء
قدير » ، ويقول في آيات أخرى « قل انظروا
ماذا في السموات والأرض ، وإن في خلق
السموات والأرض واختلاف الليل والنهار
آيات لآلئ الألباب ، الذين يذكرون الله
قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون

وما ذلك إلا لأن إعمال فكر الإنسان فيما
حوله ونظرة الصحيح قد يهديه في النهاية إلى
الإيمان برب هذا الكون ، والإسلام ينظر
إلى المعرفة على أنها طريق الإيمان الثابت
الراسخ ، فكلما قطع الإنسان في طريقها
الصحيح شوطاً حصل بنفس النسبة على القدر
المناسب لذلك من اليقين ، فإذا كنا نعيش
في عصر طغرت فيه العلوم والمعارف وسارت
إلى أبعد مدى في دنيا البحوث والكشوف
والتطبيق والنهوض بالحياة ، فإننا نأمل

إنما يخشى الله من عباده العلماء . وكثيراً ما يتساءل الناس عن وجود نص في القرآن وهو دستور الإسلام ، يصل الإنسان في ضوئه إلى معرفة أصل الكون ونشأة الحياة .

ونحن بادئ ذي بدء نوجه الأنظار إلى ما هو معروف من أن القرآن وغيره من الكتب السماوية لها رسالة أبان القرآن الكريم عنها هي الهداية والإرشاد والتذكير والإنذار كما أنه دستور لتنظيم الحياة المثلى للجمع الإنساني .

وإذا : فلس القرآن مرجعاً علمياً لجغرافية الأرض ومعرفة أصلها وتاريخ نشأة الحياة عليها بالمعنى الذى يفهم من كلمة المراجع ، كما أنه ليس مرجعاً لعلم الطبيعة أو الكيمياء أو الجيولوجيا يبحث في قياس الإشعاعات وتحليل الضوء أو في العناصر وامتزاجها وتحللها أو يبحث في طبقات الأرض ، وإنما المراجع الصالحة لذلك كله هي مجموعة البحوث الإنسانية التى كان لها نتائجها التى عن طريقها نهض الإنسان بأعباء الحياة ، فساكن جديراً بالخلافة على هذه الأرض .

فإذا كان قد اشتمل على قدر من الحقائق التى شرحتها هذه العلوم فإننا نلاحظ أنه قد اكتفى بالإشارة أو التلميح إلى هذه الحقائق فى الجمل بالقدر الذى يحتاج إليه صاحب الرسالة أو الداعى لمرضه فى مقام العظة والتذكير

أن يكون فى مجال هذا التقدم مدد من اليقين يزداد به المؤمن إيماناً ، ويشهد فيه غير المؤمن ناحية من نواحي التقاء العلم بالدين حين يفصح الكشف العلمى عن حقيقة من الحقائق العلمية التى تضمنها نص من النصوص الدينية ، فمثلاً نقرأ قول الله تعالى من سورة الحجر : « وأرسلنا لوطاً فأهبطه من السماء ماء فأسقينا كوه وما أُنتم له بخازنين » ثم نربط بين ما نفهمه من الجزء الأول من الآية وبين ما أثبتته الكشف العلمى من تلقيح النبات عن طريق حمل الرياح مواد التلقيح من الذكور للإناث ليعتم الإخصاب .

وفى ضوء ما تقدم وأشباهه ندرك موقف الإسلام من الكشف العلمى الصحيحة التى وصل إليها الإنسان عن طريق البحث والنظر ومدى تحريره للعقل الإنسانى فى البحث فهو لا يحول بينه وبين البحث لمعرفة أصل الأرض أو نشأة الكون وأصل الحياة ، بل إنه ليطلق له العنان لينظر ويبحث ، وقد يصل وقد لا يصل .

كذلك ندرك على قدر فهمنا وجه تكريم القرآن للعلماء فى قول الله تعالى من سورة فاطر : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد وبهض وحر مختلف ألوانها وغرايب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك

الربط بين ما جاء في هذه النظريات وما أشارت إليه آيات القرآن الكريم في هذا الصدد ، ولذلك نجد كثيرا من متأخري المفسرين يستأنسون بهذه الآراء فيوردونها في مسألة تفسيرهم لمضمون هذه الآيات .

وهنا نحب أن نبادر إلى التنبيه على أن حمل النص القرآني على فهم بعينه تبعاً لما تقول به نظرية من هذه النظريات على أن هذا الفهم هو الحق الواقع ولا شيء سواه ، أمر لا يجيزه البحث العلمي الصحيح ، وذلك لما فيه من تقييد النص القرآني العام وربطه بمجلة هذه النظريات الإنسانية وهي في جملتها قابلة للنقض أو البطلان مهما كانت درجتها من الصحة والسلامة في نظرنا ، إذ أنها لا تخرج عن كونها معارف إنسانية ، ومعارف الإنسان محدودة بطاقاته وما يسر له من الوسائل التي تساعده في هذه المهمة ، وهذه الطاقات وتلك الوسائل محدودة قاصرة ، اقرأ قوله تعالى : وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ، وقوله : وفوق كل ذي علم عليم .

وكثير من النظريات العلمية اعتقد السابقون صحتها وكما لها فمقب عليها اللاحقون بما يثبت بطلانها أو نقضها ونحن نلاحظ أن البحوث الإنسانية في نشأة الكون ومادته وأصل الأرض والحياة عليها كلها أو معظمها تخضع

بنعم الله على العباد لخلهم على الإقرار بربوبيته ووحدايته والإذعان لقدرته ، والقرآن الكريم في معرض المعظة والتذكير لم يخل من التعرض لذكر شيء من مادة الكون وأصل الأرض وبده الحياة ، فمثلا يذكر القرآن الكريم في سورة فصلت من مادة الكون قوله تعالى : ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ، اتنيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين . . ويذكر أيضا في معرض الكلام عن أصل الأرض في سورة الأنبياء قوله تعالى : وأولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا نفا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي . .

وكثير من أصحاب النظريات العلمية في هذا الصدد يرون أن السموات والأرض أي الكون بأرضه وسماؤه تكون من مادة كانت مبعثرة في الفضاء بدت في صورة غازية أخذت تتسكتل مكونة سحابة هائلة أو سديما كان أشبه ما يكون بقرص ضخم أو دوامة عظمى كانت تدور في الفضاء ، وأنه قد نشأ عن ذلك كل الكواكب ومنها الأرض ، وعلماء الفلك يذكرون أن الأرض كانت قطعة من الشمس انفصلت عنها ثم بردت قشرتها حتى أصبحت صالحة للحياة عليها ، ونحن إذا قارنا ذلك بما ورد في الآيتين الكريمتين نرى أنه يمكن

ثم نعود بالقارئ إلى الأبحاث الإنسانية التي ظهرت في هذا المجال فنلخصها فيما يأتي :

١ - نظرية التولد الذاتي :

وبجملها أن الأحياء على اختلاف أنواعها نشأت هكذا من نفسها بطريق التولد الذاتي من مواد الأرض دون تدخل قوى أخرى خارجية . وهذه النظرية أبطلها العلماء المنصفون وألحقوها بغيرها من الخرافات التي كانت تتردد في عصور الخرافة عن أصل الحياة ، ولعل القول بأن الحياة بدأت بانحدار غاز الميثان بالمياه في أبسط الصور ثم تسلسلت إلى أهددها من غير تدخل قوى خارجية سيكون محاولة جديدة لبث الحياة في هذه النظرية التي بادت .

٢ - نظرية الحياة من الحياة :

ويقول أصحاب هذه النظرية أن الحياة لا تأتي إلا من الحياة ، ثم اختلفوا في أن الحياة التي على أرضنا انتقلت إليها من جسم سماوي آخر . وقد عرف هذا به الأصل السكوني للحياة ، وقد وقفت الصعوبات التي تعترض إمكان احتفاظ الخلايا بحيويتها أثناء انتقالها من كوكب آخر إلى كوكبنا الأرضي دون صمود هذا الرأي لتحقيقيات البحث العلمي فلحق بغيره من الآراء التي درست .

أم أن الحياة نبتت عليها ابتداء من عناصرها وقد عرف هذا الرأي به الأصل

للقروض والاحتمالات ، كما يتجلى لنا ذلك عند قراءة البحوث التي ظهرت في هذا المجال .

فهذه الاحتمالات تمنع حسب القواعد العلمية الصحيحة من القطع بأن ما وصل إليه باحث في هذا المضمار هو الحق ولا شيء سواه ، فمن يدعى ذلك وهو لم يحضر هذه النشأة ولم يمكس بقطعة من الشمس أو الكواكب الأخرى خلفها ووقف على العناصر المكونة لها حتى يتأتى له أن يدعى أن ما ذهب إليه هو الحق الواقع فينكر ما هداه .

وأما عن أصل الحياة على الأرض فإننا نضع أمام القارئ في إطار واحد هذه النصوص الكريمة من كتاب الله عز وجل :
 « والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم لإخراجها » ، « وجعلنا من الماء كل شيء حي » ، « ومن كل شيء خلقنا زوجين » ، مع قصة خلق الإنسان الأول وزوجه المذكورة في مواضع عدة من القرآن ، ومع ملاحظة ما في هذه الآيات من إسناد الخلق والإيجاد والتسوية إلى الله تعالى ، ومع ما أشار إليه القرآن في غير موضع من أن سر الحياة نفحة من الله لا دخل لسكان من كان فيها ، نقرأ هذا في قول الله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » .

الإنسانية في أصل الكون ونشأته ، وأصل الحياة على الأرض لم تتخلص هذه الأبحاث في مرحلة من مراحلها من أغلال الاحتمالات والفروض التي يضرب في يديها خيال الباحث . وهذا ما يجعل نتائجها لا تقوى على الثبوت الجازم ، كما يجعلها دائماً عرضة للنقض بأبحاث أخرى تكون أوفى وأشمّل .

وإذا فن يدعى الوصول إلى الحقيقة في هذا المضمار يكون ادعائه ضرباً من المبالغة المعقولة التي لا يرضاها البحث العلمي الصحيح وصدق الله إذ يقول في كتابه الكريم :
« ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذين المضلّين عضداً » .
فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

— محمد الصبر عمر —

عضو المكتتب الفنى لمجمع البحوث الإسلامية

الأرضى للحياة ، وأهم المدارس المتعددة لهذا الرأي تلك المدرسة التي تقول بظهور الحياة على الأرض ابتداءً من مادتها عن طريق تدخل قوى غير عادية غارقة للعابية لا تخضع لسيطرة قوانين المادة ولا للبصافة . هذه القوى أرادت النشأة للحياة على هذه الأرض فعميت السبيل إليها وجعلت الحياة تنفد في هذا السبيل الذى سلكته من التطور حتى الآن . وأنه لولا تدخل هذه القوى لما نشأت الحياة على الأرض من تلقاء نفسها كما يزعم الماديون .

ولعل هذه النظرية لهذه المدرسة أقرب إلى الحقيقة التي يعتنقها أصحاب العقائد الدينية من أن الحياة على الأرض تكونت من عناصرها وأن سرها نفحة من الله الباري جل وعلا ، وليس ذاتياً كما يزعم الماديون .

وبعد ما تقدم نعود إلى القول بأن الأبحاث

إخوان الصدق

قال الأخنوف بن قيس :

خير الإخوان إن استغنيت عنه لم يزدك في المودة ، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها ، وإن كوثر عضدك ، وإن استرقدت وفدك وأنشد :

أخوك الذى إن تدهه للملة يحبك وإن تغضب إلى السيف يغضب

مفهوم العدل في الاسلام

للأستاذ عباس طه

الخلقية الفاضلة التي يترتب عليها أداء الحقوق المشروعة لمستحقيها كاملة بحيث لا يظلم أحد في شيء من الأشياء التي أقرها له الدين وجعلها مقصورة عليه .

وهذه الصفة الخلقية الفاضلة تظهر آثارها في ثلاث قوى نفسية : وهي القوة الشهوية ، والقوة الغضبية ، والقوة العقلية ، ولهذا عرفوا العدل بأنه التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في هذه القوى الثلاث ، ففي اعتدال هذه القوى كان صاحبها عادلاً ، مثال التوسط في الشهوات هو أن يقف معها عند الحد الذي أمره به الدين والعقل ، فلا تحمله شهوته على الاعتداء على أعراض الناس وأموالهم وأنفسهم ، ولا تذهب به إلى ما يضره في خلقه أو دينه أو بدنه ، ولا تحمله على ما نهاه عنه الدين من حقد وحسد وغير ذلك . فمن توسط في هذه الشهوة سواء كانت شهوة جاه أو مال أو منصب أو لذة من اللذات البدنية ، واقتصر على ما هو مشروع منها ، فقد هلك زمام العدل مع نفسه ومع الناس . أما إذا طغت عليه شهوته فحملته على

إن الدراسات الدينية التي توالى في العالم المتقدم كشفت عن أمور كثيرة جديدة يأنعام النظر ، أولها أن التدين صفة عامة لجميع بني البشر حديثهم وقديمهم فلم يعثر على أمة لا دين لها ، ولا على قبيل من القبائل البائدة قبل أن يدون التاريخ إلا ولها آثار تدل على أنها كانت تدين لنحلة ، وأنها كانت تعرف أن وراء المحسوسات عالماً محجوباً عن الأنظار فيسه كائنات ترجى موتها ، وتستدر رحمتها . وقد استلذت العقائد الدينية في أنظمة الحكم آماداً طويلة حتى قام الكتاب والفلاسفة بالدعوة إلى التخلص من حكم الملوك الذي كان يستند على العقيدة الدينية . وكانت النظريات التي تبرر السلطة للملوك تغفل ناحية العدل ، أما الإسلام فيعتبر بحق دين العدل .

العدل في مفاهيمه الإسلامية :

مفهوم العدل التساوي بين الناس :

وهو ضد الجور والعنص والظلم غير أن علماء الأخلاق بحثوا في معنى العدل بشئ متاحيه فقررُوا : أنه صفة من الصفات النفس

ومثال التوسط في القوة العقلية هو أن يقف الإنسان مع عقله وتفكيره موقف المتدبر للأمور على ما هي عليه ، المتأمل في أسرار الكون ونظمه وما جاءت به الشرائع الإلهية من حكم واعتقاد ، فن وقف مع عقله هذا الموقف كان وسطاً بين البلادة والغرور ويشتمل ذلك على أمور ثلاثة :
حكمة الاعتقاد ، وحكمة العمل ، وحكمة الأخلاق .

فأما حكمة الاعتقاد : فأولها توحيد الله وتنزيهه عن كل ما لا يليق به . وهذا متوسط بين رذيلتين : الأولى نفي الألوهية رأساً ، أو اعتقاد الإلهين أو أكثر .

وأما حكمة العمل : فهي أداء الواجبات بلا إفراط أو تفريط ، وهذا متوسط بين ترك العمل رأساً والمبالغة فيه كما إذا ترك التمتع بما أباحه الله من خلل طيب .

وحث الدين الإسلامي رجاله على القيام بالعدل في كل صغيرة وكبيرة ، فكان الرئيس منهم ينسى شخصه وولده وأعرش عليه في سبيل إقامة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه . ولو شدنا من ذلك أن نذكر أمثلة لذلك من عدل حكام المسلمين الأولين لظال بنا المقام

الخروج مما أمره الله به ، وزينت له الاعتداء على الناس وأعراضهم وأموالهم وحقوقهم العامة والخاصة فقد جاء بأقبح الآثام وكان من الظالمين الباغين الطاغين ، هذا هو نتيجة الإفراط في الشهوات ويسمى عند علماء الأخلاق خلعة أو مجوناً .

وأما الإفراط في ترك الشهوات الطبيعية التي خلقها الله تعالى لمصالح وحكم ، كإهمال الجسم من الغذاء الحلال الضروري والنظافة وغيرهما ، فإنه يترتب عليه السقم الذي يحول بين المرء وبين أداء وظيفته المطلوبة منه للجمتمع الإنساني .

ومثال التوسط في الغضب ، هو أن يضبط نفسه ولا يطيع غضبه في الخروج عما يقتضيه العقل والدين ، فلا يغضب إلا إذا أتمت كيف الأمراض العامة أو الخاصة ، والتوسط في الغضب يسمى شجاعة ، والشجاعة وسط بين الجبن والتمور ، ومن كان كذلك فإنه يملك نفسه ويصرفها عن إيذاء الناس وظلمهم ، والتعدي على أموالهم وأعراضهم وأنفسهم ويحميها على إعطاء كل ذي حق حقه ، ويدفع عن نفسه ودينه وعرضه عدوان الناس ، وبذلك ينجو من عار الجبن وهدم الغيرة على عرضه وماله ودينه .

فمذلولهم ، ولا تمنعهم حقوقهم فسكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم (الغياض جمع غيضة ، والغیضة مكان يجتمع فيه الماء ثم يقل فينبت فيه الشجر) ، وكان رضى الله عنه يباشر أحوال رعيته بنفسه ليقم بينهم العدل بقدر ما يستطيع ، وكان يؤثر رعيته على نفسه وولده عند نزول الشدائد والإحزن . وما نحن بتقادرين على أن نذكر في هذا المقام ما كان عليه عمر رضى الله عنه من عدل شامل لجميع أفراد الرعية .

ولكن من آثار هذا العدل أن قامت الدولة الإسلامية في عهده على أثار ثابت قد وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل ، فقوى الإسلام في عهده وانهارت الدولتان اللتان كانتا تسودان العالم يومئذ ، وهما الفرس والرومان .

وبالجملة ، فالدين الإسلامى قد أمر المسلمين بإقامة العدل بينهم أمراً صريحاً ، وهدد الظالمين تهديداً شديداً ، ولعنهم لعناً كبيراً ، قال تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) . والله يهدي المسلمين إلى سواء السبيل .

عباس طه

كثيراً ، ولكن لا بأس من أن نورد شيئاً من ذلك حتى أن يكون فيه عظة وعبرة للمسلمين الذين ينالون حظاً من الرياسة .

فمن ذلك ما روى عن الحسن قال : جرى إلى عمر رضى الله عنه بمال فبلغ ذلك حفصة أم المؤمنين ، فجات ، فقالت : يا أمير المؤمنين أنشدك حق أقربائك من هذا المال ، وقد أوصى الله بالأقربين . فقال : يا بنية : حق أقربائى فى مالى ، وأما هذا فمال المسلمين ، غششت أباك ، ونصحت أقرباك ، قوى ! فقامت وافته تجر ذيلها .

ومن ذلك ما روى أنه رضى الله عنه جمع عماله ، وجمع رؤساء القبائل معهم ، ثم قال لهم : إني واثق ما أرسل عيالى إليكم ليضربوا وجوهكم ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أرسلتهم إليكم ليعلموكم دينكم ، ويحفظوا دماءكم وأعراضكم ، ويقصموا يديكم فيشككم ، فمن فعل معه سوى ذلك فليرفعه إلى ، فوالذى نفس عمر بيده إذن لأقصمه منه ! فوثب عمرو بن العاص وقال : أفرأيت إن كان رجل من المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته إنك لحقصه منه ؟ قال : إى والذى نفس عمر بيده إذن لأقصمه منه ! وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه . ألا لا تضربوا المسلمين

الكتب

الإمام الدهلوي في حجة الله البالغة للاستاذ محمد عبد الله السمان

خلافة الخلفاء ، والانتباه في سلاسل أولياء الله ، وإنسان العين في مشايخ الحرمين ، والقول الجميل والدر الثمين في مبشرات النبي الأمين ، وفيوض الحرمين وأنفاس العارفين والتمهيدات الإلهية ، والإنصاف في أسباب الخلاف وعقده الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد ، ثم هذا الكتاب النادر : حجة الله البالغة .

كان الدهلوي فقيها حنبلي المذهب وكان محدثا بارعا ، له مؤلفات وأعمال في الحديث النبوي له الإرشاد إلى مهنة الإسناد ، والنوادر من أحاديث سيد الأوائل والأواخر والمسوى في فقه الحديث باللغة العربية وتب فيه شرح فيه الموطأ ، والمصنف باللغة الفارسية شرح فيه الموطأ ، وله شرح تراجم أبواب صحيح البخاري ، وبالإضافة إلى عمله في الحديث النبوي قام بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة

كان لقبه : دشاہ ولی اللہ ، أما اسمه فهو أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي ، إنه أحد علماء الهند الأفاضل ممن تعمقوا في مفاهيم الفكر الإسلامي ، وأسهموا بأكبر قسط في تمكين العقل من أن يؤدي دوره في صياغة الشريعة الإسلامية داخل إطار من المنطق والحجة .

ولموت في بدملی ، وكان مولده عام ١١١٠ هـ ووفاته عام ١١٧٦ أو ١١٧٩ هـ ، ولم يغادر مسقط رأسه إلا حين رحل إلى الحجاز في طلب العلم عام ١١٤٣ ، وظل هناك قرابة عامين يتلقى العلم ويتزود بالمعرفة من كبار علماء الحجاز .

له مؤلفات عديدة ترجمت إلى لغات كثيرة من البلاد الإسلامية منها : الفوز الكبير في أصول التفسير ، وفتح الخبير بما لا بد من حفظه في علم التفسير ، وإزالة الخفاء عن

واستنباط الأحكام الفرعية والقياس على الحكم المنصوص في العبارة والاستدلال بالإيماء والإشارة ومعرفة المنحوخ والمحكم والمرجوح والمبرم وهذا بمنزلة اللب والدر عند طامة العلباء ، وتصدى له المحققون من الفقهاء .

وإن أدق الفنون الحديثة بأسرها عندى وأعمقها عندى وأرفعها منارا ، وأولى العلوم الشرعية عن آخرها - فيما أرى - وأعلاها منزلة وأعظمها مقدارا ، هو علم أسرار الدين الباحث عن حكم الأحكام ولهاياتها (١) . وأسرار خواص الأعمال ومكانها فهو واقع أحق العلوم بأن يصرف فيه من أطاقه نفائس الأوقات .

وكان أن سلك الإمام الدهلوى المرتبة الأخيرة ، وأفنى حياته فيها ، وما كتابه : (حجة الله البالغة) إلا دليلا وشاهدا .

إن العلامة الدهلوى يشير في مدخله إلى الكتاب قضية وهو يقول : « قد يظن أن الأحكام الشرعية غير متضمنة لشيء من المصالح ، وأنه ليس بين الأهمال وبين ما جعل الله جزاء لها مناسبة ، وأن مثل التكليف بالشرائع كمثل سبيد أراد أن يحتجب طاعة عبده فأمره برفع حجر أو لمس شجرة بما لا فائدة فيه غير الاختبار ، فلما أطلع

(١) لهاياتها : حقائقها ، مفردتها : لمية .

الفارسية على شاكلة النظم العربى وسمى : فتح الرحمن فى ترجمة القرآن . كما نسج ابنه عبد القادر من بعده على منواله فقام بترجمة القرآن إلى اللغة الهندية .

الحق أن العلامة الدهلوى كان ذا باع واسع فى الحديث الشريف ، حتى هذه صاحب اليافع الجنى رئيس المحدثين فى عصره ، وقال عنه الكتاتنى صاحب : فهرس الفهارس .

« أحيا الله به وبأولاده وأولاد بنته وتلاميذهم الحديث والسنة بالهند بعد موتهم وعلى كتبهم وأسانيده المدار فى تلك الديار » .

واهتمام الإمام الدهلوى بالحديث النبوى كان دافعا أساسيا له إلى تأليف كتابه العظيم الذى بين أيدينا (حجة الله البالغة) حتى إنه يقول فى أول مقدمته :

« إن عمدة العلوم اليقينية ورأسها ، ومبنى الفنون الدينية وأساسها هو علم الحديث الذى يذكر فيه ما صدر من أفضل المرسلين من قول أو فعل أو تقرير » .

ولم يكن العالم الجليل مقلدا غيره من سبقه من علماء الحديث والمشتغلين به ، فنراه يرتب أعمالهم فيقول :

« وإن أقرب التقشور إلى الظاهر فن معرفة الأحاديث صحة وضعفا واستفاضة وغرابة وتصدى له جهابذة المحدثين والحفاظ من المتقدمين ... ثم يسألوه فن معانيه الشرعية

بشرح أسرار الأساڤث من أبواب الإيمان وأبواب العلم وأبواب العبادات ، وأبواب الإحسان ، وأبواب المعاملات ، وأبواب تدبير المنازل ، وأبواب سياسة المدن وأبواب آداب المعيشة وغير هذه من الأبواب يبحث الإمام الدهلوى فى القسم الأول من الكتاب أسباب التكليف والمجازاة ، وكيفية المجازاة فى الحياة وبعد المات ، وكيفية استنباط طرق الانتفاع ، ثم حقيقة السعادة ، والسياحات الملية ، واستنباط الشرائع من حديث النبى ، وبيان أسرار ما جاء عنه صلوات الله عليه تفصيلا .

أما القسم الثانى ، فيبحث فيه حكمة التشريع فى العبادات كلها ، والمقامات والأحوال جميعها وفقه المعاملات ، والخلافة والقضاء ، والجهاد والفن وأشرط الساعة .

وفى شق جولاته فى كتابه هذا ، يبدو فقيها متمكنا ، وفيلسوفاً متأملا ، ومنطقيا متعمقا ، وصوفيا متنسكا ، وباحثا متدققا .

إن الكثير من الفقهاء تركوا موضوعات فى الفقه ، ولكنهم قدموا الفقه جسدا لا روح فيه ، أما الإمام الدهلوى فقد امتاز عليهم بأن قدم فى كتابه روح الفقه ، وأبان عن أسرار وفلسفته ، وأزاح عنه كل جمود ألصق به . ورفع عن كاهله عبء الخلافات العديدة فى شكلات الفروع وتوافه الأمور .

أو هضى جوزى بعمله ، وهذا ظن فاسد تكذبه السنة وإجماع القرون المشهود لها بالخير ، ومن عجز أن يعرف أن الأعمال معتبرة بالنيات والهيئات النفسية التى صدرت منها ... فإنه لم يمس من العلم إلا كما يمس الإبرة من الماء حين تقمس فى البحر وتخرج .

ولإزاء هذه الشبهة التى دحضها الدهلوى بقوة منطقته ، نراه يجعل كتابه فى قسمين كبيرين اختص الأول منهما بالقواعد السكلية التى تنظم بها المصالح المصلحة فى الشرائع ، وأكثرها - كما يذكر - كانت مسلبة بين الملل الموجودة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن فيها اختلاف بينهم وكان الحاضرون مستغنين عن سؤالها ، فذهب النبى عليها كما يقبى على الأصول المفروغ منها عند إفادة الفروع فتمكن السامعون من إرجاع الفروع إليها لما رسوا من نظائرها فى العرب المنتسبين إلى المسلة الإسماعيلية ، واليهود والنصارى والمجوس .

وفى هذا القسم ، يرى الدهلوى أن أسرار الشرائع ترجع إلى أصلين مبحث البر والإثم ومبحث الحساسات الملية ، والبر والإثم لا تكتمه حقيقةهما إلا بعد أن يعرف قبلهما مباحث المجازاة وطرق الانتفاعات والسعادة النوعية .

أما القسم الآخر من الكتاب فقد اختص

النحو واللغة ، محرر لمذهب الحنابلة فروعه وأصوله فائق في الفكاك ، ذو لسان وبلاغة في الذب عن عقيدة أهل السنة ، لم يؤثر عنه فسق ولا بدعة اللهم إلا في هذه الأمور التي ضيق عليه لأجلها ، وليس شيء منها إلا ومعه دليله من السكتاب والسنة وآثار السلف ، فمثل هذا الشيخ عزيز الوجود في العالم ، ومن يطبق أن يلحق شأوه في تحريره وتقريره ، والذين ضيقوا عليه ما بلغوا معيار ما آتاه الله تعالى .

إن اتجه إلى الله الدهلوى إلى الدفاع عن فقهاء المسلمين الإمام في غير تعصب لهم أو تحين على مخالفيهم ، يقدم لنا صورة مضيئة لفقيه مستقيم واسع الأفق ، وإن كتابه حجة الله البالغة موسوعة فقهية ذات طابع خاص لم يسبق إليه ، فقد فلسف الفقه الإسلامى ، وبعث فيه الحركة والحياة ، وقدمه في صورة أدبية رائعة امتزجت بالمنطق السليم والحجة القاطعة .

رحم الله الإمام الدهلوى لقد كان أبرز فقهاء القرن الثانى عشر ومحدثهم وفلاسفتهم وإن آثاره التي تركها ولا سيما (حجة الله البالغة) لتحتل اليوم مكانا مرموقا في المكتبة العربية والإسلامية ، في شتى بقاع العروبة والإسلام ؟

محمد عبد الله السواد

وكون الإمام الدهلوى فقيها حنفى المذهب ليس معناه تجريده من الاجتهاد ، أو طبعه لطابع التقليد ، فهو يرى : أن البحث عن المسائل الاجتهادية أو تحقيق الأقرب منها للحق ليس بدعا من أهل العلم ، ولا طعنا في أحد منهم ، كما يرى أن أولئك الباحثين بالتخريج والاستنباط من كلام الأوائل المتحليين مذهب المناظرة والمجادلة ، لا يجب علينا أن نوافقهم في كل ما يتفهمون به ، ونحن رجال وهم رجال ، والأمر بيننا وبينهم سجال .

وأسلوب الدهلوى الأدبى الرائع ، لا يجعلك تحس بشيء من الثقل حين تقرأ له ، ولا يمنحك بك إلى الغموض فتتفر منه ، فهو يجعل ويفصل في عبارات سهلة لا تكلف في ألفاظها ، متلاحقة المعانى حتى لا يتداخل بعضها في بعض فيشقى عليك استيعابها .

إن الذى لا ريب فيه أن الإمام الدهلوى في كتاب (حجة الله البالغة) متأثر ببعض التأثير بمدسة الإمام الغزالى في روحانيته ومنطقه ، كما هو متأثر ببعض التأثير أيضا بشيخ الإسلام ابن تيمية في عقيدته وليس في عنف أسلوبه وقسوة جملده ، وقد دافع عنه أيما دفاع في كتابه (التفهيمات الإلهية) قائلا :

« فإننا قد تحققنا من حاله أنه عالم بكتاب الله ومعانيه اللغوية والشرعية ، أستاذ في

انبثاء وآراء

شهر رمضان المبارك :
شهر رمضان المبارك :

أيها الإخوة المسلمون في مشارق الأرض
ومغاربها .

لقد شرف الله رمضان بنزول القرآن هدى
الناس وبينات من الهدى والفرقان وكرم
عباده فكلمهم أن يصوموا نهاره ، ويقوموا
ليله ، ليصحبوا زمان نزول الهدى بصفاء
نفس وإشراق روح ، وبذلك يفهمون عن
الله مراده ، ويعشقون تكاليفه ويقبلون على
أوامر ربهم لإقبال من يعلم الخير فيما لذيها
ويقتن حسن الجزاء عليها في أخرا .

وليس لله حاجة في أن يدع عباده الطعام
والشراب ، لكنه سبحانه راض بعباده بهذا
الشهر في كل عام ليدرهم على جهاد نفوسهم
جهاداً يقرها فلا تضعف أمام الشهوات ،
ولا تنقاد للزوات ، وحينئذ يتخلى المؤمن
عن الرذائل التي نهى الله عنها ، ويتحلى
بالفضائل التي أمر الله بها .

وإن مشيخة الأزهر ليسرهما أن تني

المسلمين جميعاً به ، وتستزيدهم حسن اعتقبال
له بالعمل الصالح وتأمل أن يجعلوا احتفاءهم
به تهذيب نفس ، وتقوى قلب ، وروح
سلوك وطموح آمال .

وإن بشائر الخير كانت على ميماد مع هذا
الشهر المبارك ، فجمع الله حكم العرب على
قلب رجل واحد ليسدوا على الأعداء
ثغرات التفارقة ويسودوا بأمة للعرب
لتصبح كما أراد الله خير أمة أخرجت للناس
تحمل الدنيا كلها على فضائل دينها القويم
وصراط الله المستقيم .

(دكتور محمد عبد الله ماضي)

وكيل الأزهر

الدكتور محمد عبد الله ماضي

من صدى قاعة الشيخ محمد عبده

لقد كان العنوان المذكور أهلاً محاضرة
الدكتور عبد الحليم محمود . تحدث فيها
عن واقع المسلمين اليوم وما هم عليه من بعد
من روح الإسلام ، وحدد أسباب هذا البعد
وأرجعها إلى حقيقة واحدة وقال إن التخلي
عنها كان مصدراً للعلل التي لحقت بالامة

الرسول عليه السلام فذلك باطل يجب أن يقفوا به عند حد على أن يحكموا بصحة الحديث أولاً وبعد النظر فيه إن تبين ضعفه - لسبب من الأسباب المعروفة في مكانها لمن أراد ذلك ضعفه - لا أن يحكم على الحديث بالضعف سلفاً ثم يلتمس له أسباب الصحة . وهنا أشاد المحاضر بالجهد الذي كان يبذله المحدثون في جمع الأحاديث ومعرفة ما كشف عن نوايا المتحاملين على الأحاديث وهي المصدر الثاني بعد القرآن ، هذا من ناحية ومن أخرى فإن ما عليه المسلمون اليوم من تدهور في السلوك والأخلاق يحدد موقفهم تجاه العبودية الخالصة لله فلو كانوا على صلة تامة بالله لما ساورهم الشك الدائم في مصادر دينهم ولما لحق بهم الضعف والوهن . وهذا البعد هو الذي حداهم إلى أن يستجيبوا لمبادئ الثورة الفرنسية والتي لا تزال رواسيها راسخة في عقلية القرن العشرين .

والمبادئ التي قامت عليها الثورة هي: الحرية المساواة : وهنا كان المستمعون يتوقعون من المحاضر أن يقول إن الإسلام قد جاء منذ أربعة عشر قرناً ومن مبادئه الحرية والمساواة ولذلك فالثورة الفرنسية لم تأت بمحديده هذه بضاعتنا ردت إلينا ، وهنا يصفق الجميع ولكن المحاضر فاجأ المستمعين

الإسلامية ، ألا وهي العبودية الخالصة لله ، ومن هذه العبودية تتحدد مكانة الإنسان في هذا الوجود - بأنه عابد ، وتجلى عظمة الرب - بأنه معبود وهذا هو الوضع اللائق بالإنسان بوصفه أفضل مخلوقات الله ، وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، آية كريمة ترى فيها صدق العقيدة الإسلامية ، والمعين الذي أثبتت منه عالميتها منذ فجر الإسلام فأبناها ، توحيداً في الإلهيات ورحمة في الأخلاق وعدالة في الحكم وبهذه المبادئ جاء الإسلام وعلينا لا يزال في القرن العشرين لا تغيير فيه ولا تبديل ، شهد بذلك أهداء الإسلام أنفسهم حين قرروا أن القرآن المرجود الآن بين المسلمين هو نفسه القرآن الذي نزل على محمد ، في عهد الدعوة ، هذه شهادة المستشرقين ، وذلك هو التصور الحقيقي الذي تقوم بمثله عالمية الإسلام .

فما موقف المسلمين من هذه الحقيقة التي شهد بها الأهداء ، وما مكانتهم على ضوء ذلك التصور والجواب على ذلك يؤخذ من واقع المسلمين أنفسهم وفي هذا القرن بالذات . حقيقة إنهم لازالوا يعتقدون أن قرآنهم هو نفس القرآن الذي تلاه نبيهم وصحبه و ذلك حق ، أما وإن الشك قد أخذ يساور نفوسهم في صحة أحاديث

الإنسان في هذه الحياة هبودية خالصة فه
تنتهي به إلى التوحيد بالحق المطلق ومن هنا
تبدأ الحرية الحقيقية من كل شيء سوى
التزامات العبودية لله وحده، ومن هنا أيضاً
تنبعث الرحمة من كل قلب أسلم وجهه لله،
وبذلك يتحقق التكافل بين الناس وتبطل
المساواة ويبقى العدل .

ما تقدم كان هو التصور السليم لمساواة
الإنسان ولعالمية الإسلام ولتصحيح مفهوم
الحرية والمساواة ، ولذلك أدى بعد المسلمين
عن هذا الفهم إلى تدهورهم نظرياً وعملياً .

ومن ذلك أنهم جاوروا الحركات العلمية التي
تبحث عن أي شيء وتريد أن تخضعه للعقل
سواء كان فيا وراء الطبيعة أو في الأخلاق
ولهذه النزعة رأينا « علم الكلام » قام لبحث
عن التوحيد فاختلف المسلمون في هذا العلم
وكان الأجدر بهم أن يقفوا بالعقل أمام النص
القرآني موقف المفهم أولاً والمؤيد له ثانياً
والمدافع عنه أخيراً ، وكالحجارة التي دفعت
المسلمين على كتابة تاريخ الإسلام وللعقيدة
نفسها وهنا يجب أن يقال إن الإسلام كعقيدة
وكدعوة لا يؤرخ له من البشر لأنه قد أرخ
لنفسه بمجرد ظهوره أما الإسلام كواقع
يعيشه المسلمون يترجم لنا بطولاتهم في الحق ،
فهذا ما لا ينفيه أحد من المسلمين ؟

رفع الله الأسمين يوسف

وأني بالغريب على أسماعهم عندما قال « إن
الحرية والمساواة كلاهما مبدأ فاسد لأنه قام
على أساس فاسد ، فليس الإنسان حراً
ما دامت هناك عوامل تخضعه لها حينها
فيمحط إلى مستوى الحيوانية ويتمرد عليها
حيناً فينتصر ويرتفع إلى الملائكية . وليس
هناك مساواة ما دامت في الطبيعة البشرية
جملة فروق تلتقي في أفراد لتفترق عند آخرين
وحتى الذين تلتقي فيهم إذا أمعنا النظر
وجردناها عادت كما كانت افتراقاً لا اتقاء
واختلافاً لا مساواة ومثال ذلك الذكاء الذي
نجدته مختلفاً بين شخصين مرت بهما نفس
الظروف وقطعا مراحل تعليمية واحدة .
وكعبودية مادية لفساد مبدأ الحرية والمساواة
استشهد المحاضر بالوجودية في مقابل الحرية
وقال عنها إنها فلسفة اللامبالاة والهروب
من المسؤولية ولذلك فهي مذهب فاسد
لا فائدة له واستشهد بالشيوعية في مقابل
المساواة وقال « إنها فلسفة القطيع والراحة ،
فهي عاجز من أن تحقق أبسط صور المساواة
لأنها قامت على الإلحاد . ورغم هذه الصورة
والدلائل المادية تبدو آراء المحاضر عن الحرية
والمساواة غير مقبولة ولكننا أخيراً نراها
على حق عندما نسمع المحاضر يقرر وفي
صوفية بدت لنا مترنة نستشف منها طريقته
في عرض أفكاره حين يقول « إن وظيفة

فتاوى مختارة ..

باب يفدّمه :

ابراهيم محمد الأصيل

فرضية الصيام :

السؤال :

يشكك بعض المضللين في هذه البلاد في فرضية الصيام على المسلمين فالمرجو الكتابة عن هذا بما يرد كيدهم .
عبد الله سيانج - كولومبو

الجواب :

قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . الخ الآية الكريمة .

ليس في بلاد الإسلام من يجهل معنى الصوم الذي طلبه الله من المسلمين في هذا الشهر وليس فيها من يجهل أن صومه ركن من أركان الإسلام ، وفريضة من فرائضه الأولى التي بنى عليها . وقد عبر القرآن عن فرضيته « بمادة » ، لا تحتل غير الإثبات والإيجاب والتحتيم ، بمادة لم تعرف لغير الصوم من أركان الإسلام . بمادة كان أكثر ما ورد التعبير بها في الدلالة على التحتم والثبوت لمقتضيات الذات الإلهية ، أو لمقتضيات النظام السكوني الذي قدره الله في سابق حله للكائنات . ولا يعمره في سقته تغيير ولا تبديل . وإنك إذا قرأت في الدلالة على تحتم تلك المقتضيات قوله تعالى : كتب ربكم على نفسه الرحمة ، وقوله : كتب الله لأغلبن أنا ورسلي . . وقوله : قل إن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا . . وقوله : « أوأنتك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ، فإنك ترى القرآن لم يقف في شرح الصوم وطلبه من المؤمنين عند « المادة » ، المألوفة

ولقد استقر في ضمير المؤمنين أن ما ثبتت فرضيته أو حرمة على هذا النحو ليس محلاً للرأى ، ولا مجال للاجتهاد الذى أباحه الله للعباد ؛ واستقر كذلك في ضميرهم أن من يعث بشئ من تلك الأحكام القطعية ، ويتخذ ذلك العث باسم - « حرية الرأى » ، أو بتوجيه خارجى مدبر - سبيلاً إلى فتنه الناس في دينهم أو زعزعة إيمانهم للحصول على شهرة زائفة مفتعلة ، أو للتعميد بالقضاء على أركان الإسلام لصرف المؤمنين به عن الاعتقاد فيه كل من يريد ذلك جدير بالمؤمنين الصادقين أن يتصدوا له بالحجة أولاً لاكتشف تزييفه ثم محاربه بعد ذلك بالطرق الممكنة والمشروعة ، فهم حينئذ في موقف دفاع عن عقيدتهم التى من أجلها بذل المؤمنون السابقون الأرواح رخيصة حفظاً لها فوصلت لعلها سليمة كما شرعها الله .

السؤال :

تعجيل الفطر وتأخير السحور :
أرجو بيان مدى صحة الأحاديث الدالة على تعجيل الفطر وتأخير السحور .
محمد الشيبانى - العامرية

الجواب :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يزال

في طلب الشئ ، أو الأمر به نحو « فليصمه » ، أو نحو « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » ، أو نحو « والله على الناس حج البيت » . بل سما به إلى مادة « الكتب وكتابة » ، التى عرفت عنه في مقام التعبير عن مقتضى الألوهية ، أو مقتضى التقدير الإلهي في النظام الكونى ، الثابت المتقرر ، ترى القرآن سما بالصوم إلى هذه المادة . بهذا له بالنداء الموقظ للشعور ، وبوصف الإيمان الباحث على الامتثال ، ومشيراً في الأسلوب نفسه إلى أن الصوم تكليف الله العام لهؤلاء ولن معنى من عبادة السابقين « بآيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ، ثم حدد وقته وفصل أعداده على نحو لم يوجد في غيره من الفرائض والأركان .

ومن هنا أجمع المسلمون من عهد التشريع على أن من أنكر فرضية الصوم أو أول طلبه ، أو حرف وضعه ، أو رده إلى مجرد الشوق إليه والرغبة فيه خارجاً عن رتبة الإسلام ، لا تجرى عليه أحكامه ولا يعد من أهله . وهذا هو حكم الله في الصوم وفى سائر ما ثبت فرضيته أو حرمة بمصدر تشريعى قطعى فى ثبوته عن الله ، ودلالته على معناه . وتناقل جميع المؤمنين العلم به هكذا ، جيلاً عن جيل ، وطبقة عن طبقة ،

الناس بخير ما عجلوا الفطر : متفق عليه
من حديث سهل بن سعد .

وروى أحمد من حديث أبي ذر أنه
صلى الله عليه وسلم قال : ما تزال أمة بخير
ما أخرت السحور وعجلوا الفطر ، ولكن
في إسناده سليمان بن أبي عثمان قال أبو حاتم
مجهول . وقال صلى الله عليه وسلم : يقول الله
تعالى : إن أحب عبادة إلى أعجلهم فطرا ،
وراه أحمد والترمذى ، وتال حسن غريب .
وعن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه
وسلم : لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس
الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون ، .
رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه .

وروى عبد الرزاق عن عمرو بن ميمون
الأودى قال : كان أصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم أسرع الناس إفطاراً وأبطأهم سحوراً
قال الحافظ ابن حجر إسناده صحيح .
ولقد حسم الحافظ ابن عبد البر التردد في
هذا الباب حين قال : أحاديث تمجيل الإفطار
وتأخير السحور محاج والعمل بها متواتر .

المسائل :

حكم الصيام في البلاد الذى يطول النهار
فيها طولا غير عادى .

هل يصام رمضان حيث النهار ستة أشهر
وكيف يصام ؟ .

أحمد زوار المجلة

الجواب :

الصوم فرض على جميع المؤمنين دون فرق
بين قطر وقطر وعلى أهل البلاد الحارة والباردة
في السؤال أن يقدرُوا أيامهم ولياليهم
وأشهرهم بحساب أوقات أقرب البلاد المعتدلة
إليهم ، أى بحساب البلاد القوية منهم التي
تتميز فيها الأوقات ويتسع كل من لياليها
ونهارها لما فرض من صوم وصلاة على
الوجه الذى يحقق حكمة التكليف دون مشقة
أو إرهاق . ولا ريب أن أهل هذه الجهات
لا بد أن يكونوا قد اتخذوا طريقا لتقدير
الأيام والأشهر فيما يختص بحياتهم العامة
من أعمال وعقود .

وإذن فمن السهل أن يتخذوا في تحديد
أوقات عبادتهم ما عرف في أقرب البلاد
المعتدلة إليهم ، وبهذا يستطيعون أداء
فروضهم الدينية من صلاة وصوم على وجه
محدد كامل لا عسر فيه ولا إرهاق : يريد الله
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر .

المسائل :

صدقة الفطر :

أرجو بيان الأحكام المتعلقة بصدقة الفطر .
عبد المعطى سالم - طنطا

الجواب :

كلية صدقة اسم لما يخرج منه المسلم من ماله

ذلك إلى العمل على التخلص من ظاهرة الفقر التي يمد بها يده متواضعة الأخفد واليد العليا خير من السفلى .

ويندب لإخراجها بعد فجر يوم العيد وقبل الذهاب لصلاة العيد ويجوز لإخراجها قبل يوم العيد بيوم أو يومين ليتمكن الفقير من الانتفاع بها في يوم العيد والمقصود تحقيق قوله صلى الله عليه وسلم : « اغنؤم في هذا اليوم عن السؤال » .

والقدر الذي يخرج على مذهب الإمام الشافعي صاع (قدحان بالكيل المصري) .
أى تجزى الكيلة عن أربعة أشخاص ولا تجزى القيمة عنده .

ومذهب الإمام مالك يؤول الصاع (قدح وثلاث بالكيل المصري) فتجزى الكيلة عنده عن ستة أشخاص .

ومذهب الإمام أبي حنيفة المقدار الواجب لإخراجها قدح وسدس عن كل فرد فتجزى الكيلة عنده عن سبعة أفراد إذا زيد عليهما سدس قدح .

ويجوز على مذهبه أن يخرج المزكى قيمة الزكاة الواجبة تقوداً وهذا أفضل ولا بأس بتقليد غير الحنفى للحنفى فيه إذ أنه أكثر نفعاً للفقراء وأكثر تمثيلاً مع حاجة الزمن .

سدا لحاجة أخيه الفقير بقصد التقرب إلى الله وكلة فطر يقصد بها الإفطار من صوم رمضان . وهو إنما يكون بغروب شمس يومه الأخير ومن هنا كان الانتهاء من صوم رمضان ، هو السبب الظاهر لوجوب تلك الصدقة .

والحكمة التي قصدت من تشريعها تبين من قول ابن عباس رضى الله تعالى عنه : « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من الفغو والرفث وطعمة للمساكين » .

وتجب على الصائم عن نفسه وعن تلزمه نفقته ، فتجب عن زوجته وأبنائه وخدمه الذين يلى أمرهم وينفق عليهم ولا يتوقف وجوبها على أن يكون الصائم مالكا لنصاب الزكاة المفروضة ، بل يكفي أن يكون عنده ما يفضل من قوت يوم وليلة لنفسه وأهله ، ومن المأثور فى ذلك : « أما غنيكم فيزكيه الله وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما أعطى » .
وفى هذا التشريع إشعار بوجوب عموم التضامن وأنه كما يطلب أن يكون بين الغنى والفقير ، يطلب أن يكون أيضاً بين الفقير والفقير ، وفيه أيضاً إشعار الفقير بمعنى العزة حين يعطى ، ويمد يده عالة بالعطاء ، فيدفعه

بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق : عبد الرحيم فودة

علوم القرآن :

... ويمكن أن نجتزئ الكلام . ولننظم حدود ما وقف عنده أسلافنا فنقول : إن علوم القرآن هي كل علم يخدمه أو يعتمد عليه ، وبذلك يشمل علم التفسير وعلم القراءات وعلم الرسم العثماني ، وعلم أسباب النزول . وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم لأعراب القرآن . وعلم غريب القرآن . وعلوم لدين واللغة على كثرتها كما ذكر الشيخ الزرقاني ، وقد نقل عن السيوطي أنه توسع فيها حتى اعتبرها علوم الهيئة والهندسة والطب ونحوها .

وهكذا لا نكاد نجد ضابطا يمكن أن نحصر به العلوم التي تدخل في مفهوم علوم القرآن ، وقد كان من الخير ألا يكلف الباحثون أنفسهم هناك التجديد ، فالقرآن كتاب الله وقد جعله الله كتاب الكون والحياة ، وما نحن أولاء نجده يهفل اهتمام العلماء الطبيعيين ، ونجد سيلا دافقا من الكتب العلمية التجريبية الكونية تكشف عن جوانب فيه لم تكن معلومة . وتفسر حقائق فيه لم تكن مفهومة . فإذا حدثك إنسان بأنه رأى شجرة تحمل

من الثمر الشهي والزهر الندي ما يوجد في كل أنواع الشجر من ثم حلو الطعم طيب المذاق فتذكر القرآن . وتذكر أن السورة منه سميت سورة لأنها تضم ألوانا من الفنون والعلوم كما يضم السور مدنية سعيدة يجد أهلها فيها كل ما يشبع حاجاتهم ويمتدح حياتهم . أو كما يضم السور بستانا ناضر الزهر . فاضح الثمر . موشى بمختلف روائع الألوان . فإذا نظرت إلى سورة منفردة ومجتمعة فاذا ذكر قوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ، وقوله : « سنزله آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » ، وقوله تعالى : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » .

ع . ف

عن دائرة معارف الشعب

تصوير الثقافة العربية الإسلامية :
رأى المبشرون والمستعمرون عظمة الثقافة العربية الإسلامية . وأنها مصدر هزة للشرق والعرب والمسلمين ، ثم إنهم أيقنوا أن أمة

في الفلسفة وناقشوا وناقشوا وصححوا وشرحوا وأدوا رسالة قل أن أدت مثلها أمة في التاريخ، وأى قول أوضح وأصوب في العلم من قول الدكتور جورج سارطون أحد ثقافت وتاريخ العلم في العالم، حينما قال في هذا الشأن نفسه : « غير أن أولئك الذين ينكرون محاسن العرب ويبخسونها قيمتها ليحتجون مرة ثانية بقولهم : إن الأخذ من مصادر متعددة ليس - على كل حال - خيراً من الأخذ من مصدر واحد . تلك طريقة في المجادلة مضللة . وخصوصاً إذ كان الكلام يتناول الرياضيات، ثم إن الرياضيين العرب في تينك الحالتين المذكورتين آتفا - ولم يفسخوا من المصادر اليونانية والسفسكريدية نسخاً ، ولو أنهم فعلوا ذلك لما جاءوا بفائدة ، ولكنهم جمعوا بين المصدرين . ثم لقحوا الآراء اليونانية بالآراء الهندية . وإذا لم يكن هذا الذي فعله العرب ابتكاراً فليس في العلم إذن ابتكار على الإطلاق ، فالابتكار العلمي في الحقيقة إنما هو حياة الخيوط المتفرقة في نسيج واحد ، وليس ثمت ابتكارات مخلوقة من العدم . »

الدكتور مصطفى خالد

والدكتور عمر فروخ

من كتاب التبشير والاستعمار

في البلاد العربية

لها هذه الثقافة لا يمكن أن تخضع أو تذلل أو تنبذ ، فعمدوا إلى تشويه وجه هذه الثقافة وإلى الخلط من شأنها في نفوس أصحابها ، وكان العمل عليهم سهلاً . أو هكذا ظنوه . فقسموا العمل قسمين : قسماً يتناول حقيقة الرسالة التي أدناها نحن الشرقيين العرب والمسلمين . وما فيها من أوجه العظمة والحقائق التي كانت أساس الرقي الإنساني . أو ما فيها من الآراء الصحيحة الخالدة على الدهر . ثم قسماً من الحقائق التي لم تعرف قبل العصر الحاضر . أما القسم الأول فساروا فيه ينحلون حقائقه الصحيحة وآراءه الثابتة لغير العرب ولغير المسلمين ، يجمع هذا كله قول أرنست رينان الفرنسي : « الفلسفة العربية هي الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية » فكل مظهر عزيز في الفلسفة الإسلامية عند رينان وأتباع رينان إنما هو للفوس أو لليونان أو للنساطرة واليعاقبة ، أو أنه مشكوك فيه ، وكتب المبشرين والمستعمرين مملوءة بمثل هذا الإنكار على العبقرية العربية ...

ونحن لا ننكر أن يكون العرب - في الفلسفة - قد بنوا فلسفتهم على أساس ما قدمه اليونان للعالم ، ولكن من غير الإنصاف أن نقول إن العرب لم يكونوا سوى نقلة . سوى حماة حملوا الفلسفة كما هي من اليونان إلى العالم . إن العرب قد زادوا



الرئيس جمال عبد الناصر
 بجي أعضاء مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية ويقول:

إن الإسلام ينادي بالحرية والإخاء والمساواة والشك القليما، ولكن التوامرات
 السبائية التي نعرفها كلنا تستطيع أن تفسد بين الأخ وأخيه فسيراعى بركة الله
 وليكن هذا المؤتمر هو البداية لجميع كلمة المسامحين على الخير والعمل من أجل الإسلام.

مَجَلَّةُ الْأَنْزَهْرِي

مجلة شهرية جامعية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
لغت نوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

يَشْتَرِكُ فِي الْقِيَمِ
عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَوَّادُ
بَدَلُ الْأَمْتَرِ
٥٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
والمدرسين والطلاب يتبعون

تَبْدُءُ عَنْ شَيْخَةِ الْأَنْزَهْرِي فِي كُلِّ شَهْرٍ

الجزء التاسع - السنة الخامسة والثلاثون - ذو القعدة سنة ١٣٨٣ هـ - أبريل ١٩٦٤ م

١٢
٢٢٢٢٢٢
درر

لِسَمَاءِ الْمَرْيَمِ

مؤتمر علماء الإسلام

بقلم : أحمد حسن الزيات

وجبال اليمن ، فأنعشت ما ذوى من الآمال ،
وحركت ما سكن من العزائم ، ووصلت
ما انقطع من الأسباب . ثم كانت كنفخة
الصور انبعثت على صوتها المدوى حياة
جديدة في الوطن العربي تبشر بالسكيا الممتد
والمستقبل المضمخ كما يبشر الربيع المزهري بالثر
الطيب والربيع المبارك . . وما كان للجسد
أن يعيش بغير روح ، ولا للركب أن يسرى
بغير نجم ، ولا للثورة أن تبلغ بغير دين .
فإنها استطاعت أن تلين الحديد وتزوع الصخر
وتقهر النيل وتصنع الصاروخ وتفسر المعرفة

انتهى منذ أسابيع المؤتمر الأول لرؤساء
العرب ، ثم ابتداء منذ أيام المؤتمر الأول
لعلماء المسلمين .
وإذا كان مؤتمر الرؤساء قد نظر في شئون
الوحدة السياسية على أرفع مستوى ،
فإن مؤتمر العلماء سينظر في شئون الوحدة
العقيدية على أبعده مدى . فالمؤتمران يكمل
أحدهما الآخر . وكلاهما كان رجعا قويا
للثورة الكبرى التي انبجس نبعها من نيل عمرو ،
ثم فاض في بردى خالد ، ثم طوى في دجلة سعد ،
ثم همت بخيرها ونورها سواحل الجزائر

واضح ومظهر جاذب ومنهج قويم . وفي ضوء هذا المنهج الذي رسم له يحدونا الأمل في أن يرى المجمع رأيه الفصل في هذه الأمور الثلاثة التي أعوزتنا فسوء هوزها العقيدة و فرق الوحدة وعوق الدعوة ، وهي توحيد العقيدة وتنقية الشريعة وفتح باب الاجتهاد . فأما وحدة العقيدة والشريعة فلأن الأهواء السياسية والنوازع العصبية والمطامع الدنيوية قد عبثت بها حتى بلغت الفرق المتعارضة المتعادية اثنتين وسبعين فرقة كان بعضها يجادل بعضها بالأحاديث المفتعلة والأقاريل المعتسفة ، ثم اعترأها ومن الباطل فانقرضت قبل نهاية القرن السابع للهجرة فلم يبق منها إلا المذهب الظاهري في الأندلس وفي بعض بلاد المغرب . ثم انتهى الأمر بالمذاهب الفقهية المتعددة إلى المذهب السني والمذهب الشيعي ، فأنحصر الخلاف المذهبي بينهما ، واشتد الصراع والنزاع حولهما . حتى بلغ من بعده وضراوته أن أفنى بعض الأحناف بأن الفتاة الشافعية ليست كفؤا للتمي الخنقي ، وأفنى بعض الشيعة بأن الرجل السني ليس عدلا للبرأة الشيعية ١١ . ثم ضاق الخلاف بينهم قليلا فقالوا : إن أتباع كل مذهب يجب أن يعتقدوا أن مذهبهم صحيح يحتمل البطلان ، وأن مذهب غيرهم باطل يحتمل الصحة . ثم ظهرت بوادر الوفاق بين الفقهاء المعاصرين من أتباع المذهب السني

وتبسط الرغاء ، ولكنها لا تستطيع بغير الدين أن تضع التقوى في القلوب الغلف ، ولا أن تبعث الحياة في الضمائر الميتة . لذلك رأت قيادتها أن المجتمع الثوري الجديد لا يصلح إلا بالدين ، وأن الدين لا يتجدد إلا بالأزهر ، وأن الأزهر متى استكمل أداة التعليم وسائر حاجات العصر ، نهض بالشرق هضنة أصيلة حرة تنشأ من قواه وتقوم على مزاياه وتتغلغل في أصوله ؛ لأن ثقافته المشتقة من مصدر الوحي وقانون الطبيعة متى اتصلت بتيار الفكر الحديث تفاعلت هي وهو فيكون من هذا التفاعل ما يريد به الله تجديد دينه وكفاية شرعه وإدامة ذكره . .

رأت إذن أن تطور الأزهر وتصحح مفهومه وتوسع أفقه وتبعد مداه فسنت له القانون الجديد ، وكان مما سن فيه إنشاء مجمع علمي للبحوث الإسلامية يمثل أمة محمد في هلبائها من كل بلد ، ويقف من أدلائها موقف العلم في كل سبيل ، ويمحرر الفكر الإسلامي من التقليد الأعمى والتسليم العاجز ، ويظهر السنة المحمدية من الأحاديث المسكذوبة والأقوال المشوبة ، ويطور الشريعة في حدود ما أنزل الله وبلغ الرسول ، وينقي العقيدة من المذاهب الباطلة والبدع الضارة ، وينشر الإسلام الصادق الصافي على الناس في معرض

في الرأي وهو أفضل ما نريد . فهو الطريق القاصد إلى بلوغ الغاية التي يتوخاها المجمع من تطوير الفقه وتجديد الشريعة ومسايرة النهضة ؛ لأن رسالة الإسلام بحكم درامها وطبيعتها عمومها صالحة لكل مكان وزمان ، والامكنة تختلف ، والأزمنة تتغير ، والقضايا الاجتماعية والاقتصادية تتولد . وليس من المعقول أن يتنبأ بحدوثها الفقهاء الأقدمون فيضعوا لها الأحكام الصائبة والحلول المناسبة . ومهما تنسع النقول والأحكام فإن مقتضيات الحضارة ومستحدثات العصر أوسع وأمرح .

أما بعد فإن أيسر السبل إلى الإصلاح وأدناها من النجاح أن ينظر بجمع البحوث الإسلامية في التراث الإسلامي المتفرق المشوش فيجمعه في ثلاثة مراجع : مرجع للتفسير تشرح فيه الآيات الكريمة على ضوء الرواية الصحيحة والعلم الثابت ، ويجمع بين ما صحح من أقوال السلف وما صلح من آراء الخلف . ومرجع للحديث يدون به ما لا ريب فيه من الكتب الصحاح ، ويستعان على شرحه بعلوم التاريخ والاجتماع والأخلاق والفلسفة . ومرجع للفقه يشمل ما تواتر من الأحكام وصح من المذاهب وسلم من الآراء . ثم يوضع مقته مواد كالفانون ويشرح شرحاً قنياً يستوعب أصوله

فسالوا إلى التوفيق بين المذاهب الأربعة وإلى التقريب بينها وبين المذاهب الشيعية . فإذا أعان المجمع على هذا الاتجاه انقطعت أسباب الخلاف وانسدت أبواب الفرقة .

وأما تنقية العقيدة والشريعة مما علق بهما من الأحاديث الموضوعة ، والأخبار المصنوعة ، والأساطير الموروثة ، والتقاليد الدخيلة ، والصوفية الزائفة ، فهي ضرورة من ضرورات الإصلاح ووجيبة من وجائب المجمع ؛ فإن من يحن الإسلام حين ضعف أهله وزال سلطانه أن امتزجت به كل نحلة ، وسرت إليه كل علة ، وترامت فيه كل حالة . فكل امرئ واجد فيه ما يلائم استعداده ويمالي هواه . حتى كان من أثر ذلك أن وقر في نفوس المسلمين المضللين أن الإسلام ليس من شأنه الدنيا ، وأن المسلم ليس من همه المادة ، وأن ما هم عليه من رنق العقيدة وظلام الفكر وخدر الشعور إنما هو روح الدين وطريق الجنة ورضا الله ، ثم لا يعجزهم أن يجدوا مصداقاً لما يتوهمون في حديث زائف يسمونه ، أو في كتاب ملفق يقرءونه .

وأما فتح باب الاجتهاد سواء أكن اجتهاداً في الدليل - وهو أضعف ما نرى ، أم اجتهاداً

مصحف غير مصحفه ، فإن الإبقاء على الزائف من الأحاديث والآراء لبس للحق بالباطل ، وطمس للنور بالظلام ، وتعمية للطريق على السالك !

إن يجمع البحوث إذا فعل ذلك وهو حرى أن يفعله طهر شريعة الله من سموم البدع ، ونقاها من شوائب الفرق والشيع ، وجعلها صالحة لأن يردّها الناس صافية كقطرة المزن ، خالصة كقطرة اقه ، ثم يصدروا عنها بالجمع المثالي الذي يسير على صراط الله بقيادة الحق ورعاية العلم ورقابة الضمير .

أحمد حسن الزيات

وليستقصى فروعه في غير حشو ولا استطراد ولا غموض .

هذه المراجع الثلاثة ستكون مادة الدراسة ومرجع القضاء ومصدر الفتوى . ثم تجرد منها مختصرات تدرس في المدارس وتشر في الجمهور وتترجم مع المطولات إلى أكثر لغات الشرق وأشهر لغات الغرب ، ثم ترسل إلى كل بلد يعرف الإسلام أو يريد أن يعرفه .

أما ما عدا ذلك فما كان صحيحاً بقي في المكتبات ليرجع إليه المتخصص والمؤرخ . وما كان زائفاً صنع به ما صنع عثمان بكل

* * *

في ذمة الله الأئمة العقاد

ويجدها بكتابتة ، ونهضة كان ينفخ فيها من روحه ويفيض عليها من عقله ، وأسرة من الكتب تجاوزت السبعين كانت ترجو المزيد من عمره لتتال المزيد من فضله ، وسمعة خالدة على وجه الدهر بالفهم الثاقب ، والاطلاع الواسع ، والعلم المحيط ، والعمل المثمر ، والإباء الأشم ، والحفاظ المر ، والخلق الصريح .

ومجلة الأزهر التي هذاها بأدبه ورواها بعلمه ست سنين كوامل إذ تنعجه لقرائنها العرب والمسلمين في جميع بقاع الأرض لا تملك للفقيد الكريم إلا أن تسأل الله له أن يتغمده برحمته ، وأن ينزله منزلة العاملين المخلصين في نعيم جنته .

قضى الله الذي لا راد لقضائه ولا مقب لمحكمه أن يسكن العقل المفكر ، ويقف القلب المحرك ، ويحف القلم السميال ، ويموت العقاد الإنسان ، بعد ستين سنة قضاه في سبيل الفكر العميق الصافي لا يفتر في نهار ولا ليل ، ولا يكل في صحة ولا مرض ، ولا يهن في رخاء ولا شدة . نزل به صرعة الموت في السابعة الثانية من صباح يوم الخميس الثاني عشر من شهر مارس سنة ١٩٦٤ وقد ترك من ورائه عقولا كان يغادها بالمعرفة ويرأوها بالحكمة . وشيعة كان يسدها بجهده ويوجهها بوجيه ، ولغة كان يمجها بدراسه

مجمع البحوث الإسلامية وأمل المسلمين فيه بقلم: عبد الرحيم فوده

لكل مستوى وفي كل بيئة ، وبيان الرأي فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتصل بالعقيدة ، وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحسنة والموعظة الحسنة ، فإذا أضيف إلى ذلك أن القانون جعل من مهمة المجمع أن يقتضيه ما ينشر عن الإسلام والقرآن الإسلامى من بحوث الأجانب ودراساتهم للانتفاع بما فيها من رأى صحيح أو مواهبها بالتصحيح والرد ، كما جعل من مهمته أن يقوم على رسم نظام بعوث الأزهر إلى العالم الإسلامى ومن العالم الإسلامى ، وأن يعاون في توجيه الدراسات الإسلامية العليا لدرجتي التخصص والعالمية في جامعة الأزهر . أمكن القول بأن هذا المجمع ليس مجرد امتداد لجامعة كبار العلماء . وتجديد لنشاطها ، فإن الفارق بعيد . والبون واسع بين ما كان لها من مجال ضيق ونشاط مقيد محدود ، وما سيكون لهذا المجمع من مجالات واسعة . وثقافات متنوعة . ونشاط في متابعة مختلف المذاهب والاتجاهات

التي يأخذ القراء صورة واضحة الملائح من مجمع البحوث الإسلامية ومجال نشاطه . وآمال المسلمين فيه يحسن بنا أن نعود بهم إلى الأساس الذى قام عليه ، والظروف التى أوحى به والحاجة التى دعت إليه ، فقد نصت المادة السابعة عشرة من قانون الأزهر الجديد على أن الأعضاء الحاليين في جماعة كبار العلماء يعتبرون مستوفين للشروط التى يجب أن تتوافر في عضو مجمع البحوث ومعنى هذا أن مجمع البحوث لم يقصد به هدم جماعة كبار العلماء ، وإنما قصد به البناء عليها والتكئين لها . وتوسيع مجال نشاطها ، وهو بالصورة الكبيرة التى رسمها قانون تطوير الأزهر ، وبالإمكانات التى تزوده بها الدولة وبالثقافات المتنوعة الواسعة التى تتوافر بين أعضائه يستطيع كما جاء في المذكرة الإيضاحية لمشروع قانون إنشائه أن يعمل على تجديد الثقافة الإسلامية ، وتجريدها من الفضول والشوائب ، وتجايتها في جوهرها الأصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها

وصيانة التراث الإسلامى - السكبة الثقافية لجميع المسلمين ، وأنهم منذ دان أهلها بالإسلام . ولأن لسانهم بلغة القرآن تبذل كل ما فى طاقتها من جهد فى المحافظة عليه ، والكفاح دونه والدعوة إليه والجهاد فى سبيله ، أمكن القول بأن الجو الذى نشأ فيه هذا الجمع هو أنسب الأجواء لخدمة أغراضه ولتحقيق الآمال التى يتطلع إليها المسلمون من ورائه ، بل إنه أنسب الأجواء للدراسات الإسلامية الحرة التى تجلوح حقيقة الإسلام وقرضه على سلامته واستقامته كما أنزله الله وقال فيه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وكما قال فيه « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . »

على أن مصر - الجمهورية العربية - وهى تقوم بدورها التاريخى التقليدى فى خدمة الإسلام لا تشعر بأن لها منة على أحد من المسلمين ، بل تشعر أعمق الشعور بأن الله من عليها بهذا الدين الذى هدانا إليه ، وشرفنا به وجعلها معقلاً من معاقله المنيرة ، ومنازة من مناوره الرفيعة ، وذلك بعض ما يجب أن يشعر به كل مسلم فى كل بلد يعيش فيه ، لأنه بعض ما يفهم من قوله تعالى « يمنون عليك أن أسلوأ قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن

وعلاج ما جسد . وما يجسد . وما يسجد . على المجتمع الإسلامى من قضايا ومشكلات .

ولا شك أن الجو الذى تكون فيه مجمع البحوث الإسلامية ، والبيئة التى سيزاول فيها نشاطه غير الجو والبيئة التى تكونت وهملت فيها جماعة كبار العلماء ، وأن عمله - وقد تنهياً له الجو الصالح والبيئة الصالحة - سيكون استجابة طيبة لطبيعة الحاجة المسلمين فى كل بلد يعيش فيه مسلمون ، فقد تحررت مصر - الجمهورية العربية المتحدة - من النفوذ الأجنبى بفضل الثورة الحرة المباركة التى قاد معاركها الرئيس جمال عبد الناصر ، والتزمت فى سياستها الخارجية موقف الحياد الإيجابى بين المعسكرين الكبيرين اللذين يتطلعان إلى السيطرة ويتنازعان العالم ، ولا شك أن فى ذلك استجابة لبعض ما يفهم من قول الله فى كتابه الكريم : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ، كما أن فيه استجابة لنزعة الحرية والرغبة فى السلام عند جميع الشعوب التى تتطلع إلى الحرية وترغب فى السلام ، فإذا لوحظ مع هذا أن مصر - الجمهورية العربية - تمثل - بأزهرها الذى قام أكثر من ألف عام على حراسة اللغة

القروض مثلاً لا تزال حتى الآن موضع القيل والقال ، هل تسمى ربا مهما تكن قليلة ؟ .. وهل تستوى في ذلك قروض الإنتاج وقروض الاستهلاك ، وإذا كانت ربا فهل تبيحه الضرورة الاجتماعية ، لأن الضرورات تبيح المحظورات ؟ .. وإذا كان ذلك كذلك فمن الذى يحدد معنى الضرورة الاجتماعية ؟ .. هل هم علماء الدين وحدهم ؟ .. أم لابد أن ينضم لهم علماء الاقتصاد والعلماء على شئون الأمر في البلاد ؟ .. وهل يمكن أن نشرع لنا نظاما اقتصاديا يخالف نظام الائتمان هذا .. الذى ابتدعه اليهود من قديم الزمان ... ؟

والمذاهب السياسية والاقتصادية التى فقد إلينا من الخارج هل يمكن أن نفهمها ونهضمها ونقتنع بما فى بعضها من اتجاهات إذا كانت تتفق مع شخصيتنا العربية وطابعنا الإسلامى ؟ أم نقنع بما لدينا من بضاعة فكرية ، ونستخلص منها مذهباً أوضح وأصرح ؟ .. الطرق الصوفية .. كيف نعالج ما فيها من أوضاع قاسدة .. واتجاهات منحرفة ؟ .. وهل يمكن أن نستغل ما فيها من طاقات روحية لتحير العرب والمسلمين ؟ ..

مسائل الزواج والطلاق . وما إلى ذلك من مئات المسائل والمشاكل التى أصابت رأس

هداكم للإيمان إن كنتم صادقين » وقوله سبحانه « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ، فالإسلام نعمة أتمها الله علينا يجب أن تقابل بما يذبح لها من ذكر وشكر ، وشكرنا لله على هذه النعمة التامة والرحمة العامة يجب أن يكون الشعور به فوق ما نبذل من جهد ، مجهد ، وجهاد موصول .

ولاشك أن الحاجة إلى مجمع البحوث الإسلامية فى هذا العصر الذى نعيش فيه قد أصبحت شديدة ، فقد جسدت على المجتمع العربى والإسلامى مشكلات كثيرة تحتاج إلى حلول حاسمة سريعة ، وهذه المشكلات من الأهمية بحيث يجب ألا يستقل فرد بإبداء رأى فيها مهما يكن حظه من العلم والبصر بشئون الدين والحياة ، وقد كتبت فى هذا المعنى مقالاً بجريدة الشعب منذ عدة سنوات وطلبت إنشاء هيئة علمية إسلامية ، وقلت فيما قلت : لقد ورثنا تراثاً ضخماً من الأفكار والآراء ، والنظريات يختلط فيه الفاسد بالصالح ، والسليم بالسقيم ، ويحدد فيه أى خابط أو حاطب ما يرضى هوام ، ثم إن هذا التراث كان - ولا يزال - مصدر الرخاء العقلى للإنسانية جمعاء ، فواجبنا ألا نهمله ، وألا ندعه مشروباً بما يكدره ويذكره ، إن فوائد

عليها في المادة الرابعة بعد المائة ، أما هذه العلوم فهي الفقه وأصول الفقه والحديث ومصطلح الحديث ، وتفسير القرآن الكريم وعلوم اللغة العربية والتوحيد والمنطق والتاريخ والسيرة النبوية والأخلاق الدينية ، ولا شك أن هذا المجال أضيق من أن يسع حاجة المسلمين والمجتمع الذي يعيشون فيه ، وأن هذا العمل مع ما له من قيمة عظيمة ، ومع ما للقائمين به من مقام عظيم لا يكاد يخرج من كونه عملا فنيا معهديا أو جامعا بالمعنى الذي يراد من أستاذ جامعي ، وسيرى القراء بالتأمل في قانون لإنشاء مجمع البحوث وقانون لإنشاء هيئة كبار العلماء ، وهو لم يدخل عليه منذ صدوره إلا تعديل قليل ، مدى الفارق أو مدى التطور الذي انتقل بهذه الجماعة إلى مستوى الحاجة ومستوى المشكلات ، ومستوى القضايا الهامة والعامة التي يشعر بها المسلمون ، وإذا كان المجمع لم يستكمل تكوينه من حيث عدد أعضائه ومن حيث الكفايات التي يجب أن تكون فيه ، فإننا نرجو ، مخلصين ، أن يتم ذلك في أقرب فرصة ممكنة حتى يكون مستواه العام متناسبا مع ما ينبغي لمسكنة الأزهر ومكانة الإسلام ؟

عبد الرحيم فودة

المجتمع الإسلامي بالدور لكثرة ما اصطخب حولها من حوار .. كل هذه تحتاج إلى هيئة عليية كبرى تبحث وتدرس وترسم الحلول على ضوء ما لديها من ثقافات متنوعة ، أما أن ينفرد كل واحد بفتوى أو دهرى فذلك سر ما نعاناه من فوضى ..

هذا بعض ما عرضته من الأمثلة والقضايا التي يحتاج المسلمون إلى رأى حاسم فيها ، يطمئنون إليه ويعملون على هداه ، ويلتقون على الأخذ به . ولا شك أن المجمع بصورته التي رسمها القانون يعدد تلبية لهذه الحاجة الماسة ، أما جماعة كبار العلماء فكانت بحكم قانون تكوينها ، وحكم الظروف التي تحيط بها وحكم الدائرة الضيقة التي كانت تعمل فيها أضعف من أن تحتل الأعباء التي ألقيت على هذا المجمع ، ويكفي لتصور ذلك أن نذكر المادة التي حددت لها مجال عملها ، وهي المادة العاشرة بعد المائة من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ فقد جاء فيها أنه يجب على كل من حضراتهم (أعضاء الهيئة) أن يلتقى في كل أسبوع بالجامع الأزهر أو بالمعهد الموجود به ثلاثة دروس على الأقل في العلم التخصصي هو به .

وأن يكون إلقاء الدرس في وقت يتمكن فيه العدد الأكبر من العلماء من حضوره ، وله أن يلتقى درسا عاما آخر في العلوم المنصوص

الدَّعْوَةُ إِلَى الْمُؤْتَمَرِ

أخذت الأمانة العامة للجمع في الإهداء لانهقاد هذا المؤتمر من زمن بعيد واشتركت معها في هذا الإهداء وزارة التعليم العالي وحفاظة القاهرة .
 وأسبوية وإفريقية وأوربية لشهد هذه الصفوة افتتاح الدورة الأولى لمؤتمر هذا الجمع الذي نرجو له النجاح ليحقق أمل المسلمين فيه .
 وقد وجهت الأمانة الدعوة إلى ما يربى على الثمانين من رجال الفكر المعنيين بالثقافة الإسلامية : وهذا بيان بأسماء المدعوين من دول العالم

دول إفريقيا

١ - المملكة الليبية	١ - الشيخ منصور المحجوب	شيخ الجامعة السنوسية .
	٢ - محمد صبحي	نائب سابق .
	٣ - عبد الحميد الديباني	شيخ الجامعة الإسلامية .
	٤ - عبد الرحمن التلهود	عضو بجمع البحوث .
٢ - الجمهورية التونسية	٥ - مصطفى كمال التازي	
	٦ - السيد / الحبيب نورية	الوزير المفوض بالقاهرة .
	٧ - الشيخ الفاضل بن طاشور	عضو الجمع .
٣ - الجمهورية الجزائرية	٨ - الحاج محمد توفيق المدني	وزير الأوقاف .
	٩ - الشيخ نعيم النعيمي	مفتش الأوقاف .
	١٠ - الجلالى فارس	
٤ - الجمهورية السودانية	١١ - هلى عبد الرحمن	وزير الداخلية السابق وعضو الجمع
	١٢ - السيد / محجوب عثمان إسحاق	قاضى القضاة سابقاً .
	١٣ - حسن مدثر الحجار	قاضى القضاة سابقاً .

تابع دول إفريقيا :

رئيس حزب فصر الله	١٤ - السيد/ إبراهيم حاجي محمود	٥ - الصومال
سكرتير عام هموم مسلمي نيجيريا	١٥ - الحاج بشير أوجستو	٦ - نيجيريا
كبير قضاة نيجيريا	١٦ - د أبو بكر جوجي	
أستاذ بالمعهد الإسلامي بتلميد	١٧ - السيد/ محمد سالم عبد الودود	٧ - موريتانيا
زعيم مسلمي غرب إفريقيا	١٨ - الحاج إبراهيم نياس	٨ - السنغال
	١٩ - السيد/ عبده العزيز سي	
	٢٠ - السيد/ محمد المصطفى	
سفير	٢١ - السيد/ أحمدو هامباتي با	٩ - مالي
القائم بأعمال سفارة مالي في جدة	٢٢ - السيد/ عبده الوهاب بكوري	
سفير غينيا في جدة	٢٣ - الحاج شريف بنانيو	١٠ - غينيا
حاكم منطقة لابي	٢٤ - السيد/ بايثو نو عبد الرحمن	
أستاذ لغة عربية	٢٥ - السيد/ باكا با	
رئيس جمعية الأخوة الإسلامية	٢٦ - الحاج سوري إبراهيم كانو	١١ - سيراليون
مرافق	٢٧ - السيد/ إدريس العاوي	
	٢٨ - الحاجي محمد شعبان كرى كرى	١٢ - توجو
مرافق	٢٩ - السيد/ قاسم مناء	
زعيم المسلمين	٣٠ - الأمير بدر	١٣ - أوغندا
من زعماء المسلمين ووكيل الأمر بدر	٣١ - الحاج موسى كاسولى	
وزير معارف أوغندا	٣٢ - السيد/ أبو بكر ماينجا	
شيخ مسلمي أوغندا السفين	٣٣ - الشيخ كهب ناسمبو	

تابع دول إفريقيا :

١٤ - كينيا	٣٤ - السيد / عميد فرج النعموي	من أنصار التوحيد الإصلاحي
	٣٥ - د هوى قاسم علوي	» » » »
	٣٦ - د أبو بكر محمد	» » » »
١٥ - جنوب إفريقيا	٣٧ - السيد / همر خمير	

دول آسيا

١٦ - الجمهورية العراقية	٣٨ - الشيخ أجد الزهاوي	قاضي القضاة سابقا
١٧ - الجمهورية اليمنية	٣٩ - السيد / قاسم غالب	رئيس دائرة أوقاف تعز
١٨ - الكويت	٤٠ - الشيخ خالد أحمد الجسار	مستشار بمحكمة الاستئناف العليا
	٤١ - الأستاذ عبد الله العيسى	قاضي بمحكمة الكويت
١٩ - عمان	٤٢ - الأمير غالب بن علي	حاكم عمان
	٤٣ - السيد / سليمان بن حمير النعماني	مرافق
٢٠ - المملكة العربية السعودية	٤٤ - الشيخ عبد العزيز عبد الله	
	ابن حسن آل الشيخ	وزير المعارف
	٤٥ - الشيخ محمد الحركان	قاضي المحكمة الكبرى في جدة
٢١ - الأردن	٤٦ - د عبد الله غوشة	رئيس الهيئة العلمية بالقدس
	٤٧ - د عبد الحميد السايح	» محكمة الاستئناف الشرعية بالقدس
	٤٨ - د فهمي هاشم	مقيم بالقاهرة
٢٢ - لبنان	٤٩ - د نديم الجسر	عميد كلية الحقوق وعضو الجمع
	٥٠ - السيد / وفيق القصار	مفتي طرابلس وعضو الجمع

تابع دول آسيا :

رئيس المحكمة الشرعية العليا	٥١- الشيخ محمد ناجي سعيد أبو شعبان	٢٣ - قطاع غزة
عضو المحكمة الشرعية العليا	٥٢- الشيخ محمد حسن عواد	
قاضي القضاة	٥٣- الشيخ عبد اللطيف محمد سعد	٢٤ - البحرين
(نجله)	٥٤- د محمد الشيخ عبد اللطيف آل سعد	
رئيس دائرة التبليغات بوزارة المطبوعات	٥٥- السيد/ محمد شاه أرشاد	٢٥ - أفغانستان
	٥٦- د عبد الغفور بهير	
عضو اللجنة الوطنية عن منطقة الحدود الغربية	٥٧- مولانا مفتي محمود	٢٦ - باكستان
عضو اللجنة الإقليمية بغرب الباكستان	٥٨- د غلام غوس	
بكلية براهيمان بادي بشرق الباكستان	٥٩- د تاج الإسلام	
مدير المدرسة الإسلامية العربية بكراشي	٦٠- د محمد يوسف بوري	
رئيس جمعية علماء الهند	٦١- د نضر الدين أحمد	٢٧ - الهند
قاضي الشريعة الإسلامية بولاية بهار	٦٢- د مئة الله الرحمانى	

تابع دول آسيا :

٦٣ - الشيخ فارس محمد طيب	عميد دار العلوم بالديوباند
٦٤ - السيد/ سيف الدين زهرى	وزير الشؤون الدينية
٦٥ - مرافق	
٦٦ - الدكتور محمود يونس	
٦٧ - السيد/ أبو بكر محمد العزیز	زعيم طائفة الملیح
٦٨ - السيد / زارق فريد	زعيم طائفة المورز
٦٩ - السناتور أحمد النور	رئيس جمعية مسلمی الفیلیپین
٧٠ - السيد وان عبدالقادر إسماعیل	رئيس قسم الشؤون الدينية بمصلحة الاستعلامات
٧١ - السيد تنكو أحمد تاج الدين	رئيس قسم الشؤون الدينية بولاية قدح
٧٢ - السيد/ عبد الكريم ساتيو	
٧٣ - السيد/ طاهر تشوكى	
٧٤ - السيد/ مصطفى رونيون	نائب سابق
٧٥ - السيد/ على وصفى أناخان	حام بأقرة
٢٨ - أندونيسيا	
٢٩ - سيلان	
٣٠ - الفيليبين	
٣١ - الملايزيا	
٣٢ - اليابان	
٣٣ - تركيا	

دول أوروبا وغيرها

٣٤ - يوغوسلافيا	٧٦ - المحافظ الحاج عبد الحميد بدرى	مدير الرياسة الإسلامية بجمهورية مقدونيا من العلماء
٣٥ - المجر	٧٧ - السيد/ حسن سياجوزو	عضو البرلمان المجرى
٣٦ - هولندا	٧٨ - الدكتور عبد الكريم جرمانوس	رئيس القسم الإسلامى فى معهد العلوم الاستوائية دامستردام،
٣٧ - إنجلترا	٧٩ - الدكتور رضا مصطفى ملها	أستاذ سابق بجامعة القاهرة
٣٨ - روسيا	٨٠ - الحاج أبو بكر سراج الدين	مفتى المسلمين بطشقند بالاتحاد السوفيتى
٣٩ - اليونان	٨١ - الشيخ زين الدين بخانوف	مفتى رودس
٤٠ - جزيرة موريشيس	٨٢ - الشيخ سليمان كاسليو جولو	وزير الإسكان والشئون المحلية ورئيس الجالية الإسلامية
	٨٣ - السيد محمد عبد الرزاق	

الإسلامية ، وعدد كبير من علماء الأزهر ،
ثم ألقى خطيب المسجد الشيخ عبد الرحمن محمود
خطبة الجمعة فكان مما قاله :

إن المصلحة فى جو القشريع الإسلامى
لها اعتبار وأى اعتبار وهى لا تعنى انطلاق
الهمى وتحكيم الغرض وتصادم الرغبات
ولكنها تعتمد على جلب المنافع ودفع المضار .

قال : أبو حامد الغزالى فى كتابه المستصنى ،
إن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق
وصلاح الخلق فى تحصيل مقاصدهم لكننا نعنى
بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع ، ومقصود

وقد لى الأكثرون هذه الدعوة ، واستقبالهم
فى المطار مندوبون عن الأزهر ووزارة التعليم
العالى ، ثم عادوا بهم إلى الأماكن التى أعدت
لراحتهم فى أغخم فنادق القاهرة ، هيلتون ،
وأطلس ، الكونتنتال ، مهر الخيام .

فى الجامع الأزهر

وقد التقي هؤلاء أول لقاء فى الجامع الأزهر
لأداء صلاة الجمعة وكان فى استقبالهم السادة
وزير الأوقاف وشئون الأزهر ووكيل
الأزهر ، والأمين العام لجمع البحوث

عن الكتاب والسنة والإغراق في الفروع والاشتغال بالرجال عن الحق والضرب في المقامات من غير دليل وقد أقر النبي معاذ ابن جبل على الاجتهاد في الرأي ، وسمنا من بعض أئمة المذاهب تطبيقاً لهذا التوجيه . يقول الإمام مالك رضى الله عنه : كل إنسان يؤخذ من كلامه ويترك إلا صاحب هذا القبر الشريف ، وأشار إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم . وقال : الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه : هذا أحسن ما وصلنا إليه فن رأى خيراً منه فليمتعه ، وقال لتلميذه أبي يوسف وقد رآه يكتب عنه كل ما يقول : ويحك يا يعقوب أتكتب كل ما أقول ؟ إني قد أرى رأياً يبرم وأخالفه غداً وقد أرى رأى غداً وأخالفه بعد غد ...

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه : إذا صح الحديث فهو مذهبي وقال أيضاً : أى أرض تقبلى وأى سماء تظلى إذا جاء حديث رسول الله وخالفته ، وقال أيضاً ... مثل الذى يطلب العلم بلا حجة كحاطب ليل يحمل حزمة من حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري ، وقال : الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : لا تقلدى ولا تقلد ما لكا ولا الثورى ولا الأوزاعى ولكن خذ من حيث أخذوا . نعم ... إن الإسلام دين الحرية فى أعرق معانيها ... فى التجرد الخالص لرب العالمين . وفى تمزيق الحجب عن وجه العقل حتى يفهم وظيفته والغاية التى وجد من أجلها .

الشرع من الخلق خمسة ، وهو أن يحفظ عليهم دينهم ، وأنفسهم ، وعقولهم ، ونسلهم . وما لهم . فكل ما يتعبدون حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة ودفعها مضرة .

وهكذا تنساب فيوضات الرحمة من فصوص هذه الشريعة التى تميزت باليسر فى أحكامها ونفى الحرج فى تعاليمها سواء فى ذلك العبادات أم المعاملات أم العقوبات . ما يريد الله ليكمل عليكم من حرج ولكن يريد ليهللكم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ، . يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، . يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ، والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ، يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً ، . ورحمتى وسعت كل شيء . فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحمل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وهزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ، . أما الخطأ فى فهم مقاصد الشريعة الذى أصاب بعض القائلين عليها وأساء إليها وكاد أن ينفق منها ... فنقفوه ضيق الأفق والبعد

جَلْسَة افْتِتَاحِ الْمُؤْتَمَرِ

كان حفل الافتتاح في دار محافظة القاهرة بالصالة الكبرى للمعاضرات والاجتماعات ، وقد دعى إلى هذا الحفل عدد كبير ، من أساتذة الكليات في جامعة الأزهر . وجامعة القاهرة وعين شمس . وكثير من أعضاء الجمعيات الدينية ، ومراسلي الصحف العربية والأجنبية وقد حضر نائب الرئيس السيد حسن الشافعي والدكتور محمد البهي وزير الأوقاف وشئون الأزهر والسيد صلاح الدسوقي محافظ القاهرة والدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر والدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، وقد بدى الحفل بأى من الذكرا الحكيم من شيخ محمود خليل الحصري ، ثم ألقى السيد حسين الشافعي كلمة الافتتاح نائباً عن الرئيس جمال عبد الناصر وتبعه الدكتور محمد البهي ثم الدكتور محمد عبد الله ماضي . ثم قام فضيلة الشيخ إبراهيم نياس رئيس وفد السنغال فألقى كلمة عن وفود أعضاء المؤتمر ، وتبعه الدكتور محمود حب الله فألقى كلمته . . ثم ختم الحفل كما بدى بالقرآن الكريم . وصلى السيد حسين الشافعي على الأعضاء فصالحهم واحداً واحداً ورحب بهم أجمل ترحيب وفيما يلي كلمة للسيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة :

كَلِمَةُ السَّيِّدِ حُسَيْنِ الشَّافِعِيِّ نَائِبِ رَئِيسِ الْجُمْهُورِيَّةِ

أيها السادة :

السلام عليكم ورحمة الله

لقد كان الاستعمار ، وما زال يقربص بالعالم الإسلامي ويعمل على تفتيت قواه ، حتى يكون هدفا سهلا للتحكم فيه والسيطرة عليه والقضاء على مصادر قوته ، وحتى لا تكون هناك عقبة في طريق استغلاله واستنصاره ... واستعان في ذلك بالأنصار والأعوان ليهبطوا له السبيل وليعبدوا له الطريق ، وكان لابد من أن تتولد إرادة التغيير والثورة عليهما تنفيذاً

بسم الله الرحمن الرحيم — والحمد لله رب العالمين — والصلاة والسلام على سيد المرسلين

السادة : أعضاء مجمع البحوث الإسلامية وضيوف الجمهورية العربية المتحدة في اجتماع هذا المجمع لأول مرة على هيئة مؤتمر في ظل التنظيم الجديد للأزهر الشريف ... أرحب بكم باسم السيد الرئيس جمال عبد الناصر .



الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية يلقي كلمته
وعلى المقعدة الرئيسية يرى السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية
وحوله كبار المسؤولين بالأزهر ويمثل الوفد الإسلامية

فوضع نظامه : بحيث يكون هو الهيئة العليا للبحوث ، وليقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث ، ويعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجديدها من الفضول والشوائب ، وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفي كل بيئة ، وبين الرأي فيما يجد من مشكلات فقهية أو اجتماعية تتصل بالعقيدة ، وحمل تبعه الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما جعل من مهمة المجمع أن يتبع ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامي ، وبحوث لإجانب ودراساتهم للاعتراف بما بها من رأى صحيح أو مواجهتها بالتصحيح أو الرد ويعاون في توجيه الدراسات الإسلامية العليا لدرجتي التخصص والعالمية في جامعة الأزهر والإشراف عليها والمشاركة في امتحاناتها ، وجعلت شروط العضوية في هذا المجمع بحيث يضم أصلاً عناصر لأداء مهمته .

وأنتم أول رعييل بين أعضائه بعد تنظيمه الجديد ، ومهمته ملقاة على عاتقكم أنتم العلماء في جمهوريتنا العربية المتحدة أو في الوطن العربي والعالم الإسلامي .

إن الإسلام يواجه تحديات قوية وصرىحة في مجتمعنا اليوم ، تحديات تريد أن تنال منه وتقضى عليه ولولا وعد من الله جل شأنه فيما قال : « إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون » ، لكان

لسنة الله « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ...

وهذا في الجمهورية العربية المتحدة ، تجلج لإرادة الله وقدرته فأعانت وفصرت لإرادة الثورة ، لإرادة التغيير ... وقد تنازلت هذه الإرادة ... كل مرافق الحياة .

ففضى على الاستعمار تحريراً للوطن . وقضى على الإقطاع وسيطرة رأس المال تحريراً للوطن والمواطن ، وأقيمت العدالة الاجتماعية بإزالة الفوارق بين الطبقات ... وأقيم الجيش الوطني القوي ، ليحمي الوطن والمواطن ... ويدافع ضد أى تدخل لفرقة تنفيذ لإرادة التغيير ... وأصبح الأمر مهمياً لقيام الديمقراطية السليمة التي يصادف اجتماعكم بشاؤها في قيام أول مجلس أمة اشترأكى ... أيها السادة :

إن الثورة ، إيماناً منها بالأزهر وقيمته ، وبال دور الذي قام به في ماضيه ... والذي يمكن أن يقوم به كذلك ، في مجتمعنا الحاضر سواء في الجمهورية العربية المتحدة أو في الوطن العربي والعالم الإسلامي الكبير ... أقدمت جادة على تطوير الأزهر وتمكينه من أن يؤدي رسالة الإسلام فكراً ، وبحسناً ، وعلمياً ، وهماً ، ليشمل كل نواحي الحياة . وكان من بين الهيئات التي نظمها ، قانون تطوير الأزهر ، بجميع البحوث الإسلامية ،

حواجز ، وأرضهم فواصل وأجناسهم حدوداً تحول بين اتصال الأبدان واتقاء القلوب والنفوس . تحدى الاستعمار لإيمان المسلمين وفهم المسلمين لكتاب الله فجعل أفهامهم أنواعاً مختلفة من الإسلام فأصبح لكل بلد إسلام ، وإن الدين عند الله الإسلام ، منذ أن أوحى بالرسالة وأرسل الرسل ، فدين الله واحد وكتابه واحد وقرآنه بلسان عربي مبين .

ومع ذلك فقد نال الاستعمار من وحدة الأمة الإسلامية كما نال من تعاليم الإسلام ومبادئه .

ولكى يكون المسلمون خير أمة أخرجت للناس يجب أن تزول الفواصل والحدود ويجب أن يرجع المسلمون إلى كتاب الله وإلى لغته .

وكما ذكرنا أنتم أعضاء بجميع البحوث والبحوث الإسلامية عليكم تيمة هذه المهمة وأداء رسالتها .

والله موفىكم ولن يترككم أمهالكم .

والسلام عليكم ورحمة الله ...

صبيح السامى

لوضع الإسلام شأن غير شأنه اليوم ، ولكن تحقيق وعد الله جل شأنه مرهون بالإيمان بالكتاب والعمل على حفظه من المؤمنين به .

وهنا دور العلماء في حفظ الإسلام وكتاب الله دور خطير ، إذ ينتظر منهم المسلمون أن يكشفوا حقائق الإسلام وتعاليمه وأن يعرضوها للناس واضحة جلية خالية من الشوائب والتعصب ، وأن يكون عرضهم لها ترجمة لإيمانهم ، وأن يكون ملهم لهذه القيم انفعالا بأنها طاقات يجب أن تبدد ظلام الخوف والفقر والجهل في كل مجتمع يؤمن بها .

إن التحديات التي يواجهها الإسلام اليوم ليست تحديات من الخارج فحسب وإنما هي تحديات من الداخل كذلك .. تحديات الإلحاد والانحراف في الفهم أو الانحراف في السلوك .

والاستعمار لم يتحد كتاب الله وقيمه مبادئه يشوه جانباً منها وينكر جانباً آخر ، ويدفع على السخرية ببعضها وينال باسم العلم بعضاً آخر فحسب - وإنما تحدى كذلك وحدة المسلمين ففرق بينهم وجعلهم شعوباً وطوائف وجماعات ، وجعل مذاهبهم أدياناً ، ولغاتهم

كلمة الدكتور محمد البجّي وزير الأوقاف وشؤون الأزهر

وهذه الهيئة هي التي تجتمع اليوم في صورة
مؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية .

أيها السادة :

إن الجمهورية العربية المتحدة عندما أعادت
النظر في تنظيم الأزهر وهيئاته ، وأصدرت
القانون المعروف رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الذي
تشكلت على أثره هذه الهيئات :

جامعة الأزهر .

بجمع البحوث الإسلامية .

الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية .

المجلس الأعلى للأزهر وأمانته العامة .

استهدفت بعث الحياة والحركة من جديد
في نشاط الدعوة والدراسات الإسلامية
والعربية ، كما استهدفت استئناف البناء
في أجماع المسلمين بعد إحياء تراثهم الديني
والعلمي والإنساني ، وتصفية ما علق بهذا
التراث من شوائب نتيجة لضعف أصاب
المسلمين في وحدتهم وترايطهم كما أصابهم
في تخريبهم وتفقههم وفي نظرتهم للحياة .

السادة رئيس وأعضاء المجمع

السادة ضيوف المجمع

نحييكم في هذا المكان ، في عاصمة الجمهورية
العربية المتحدة .

ونحييكم أيضاً بمناسبة انعقاد أول مؤتمر
لمجمع البحوث الإسلامية بعد صدور القانون
رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم
الأزهر .

ولا يفوتني قبل بدء الحديث أن أرجوكم
في مشاركتنا في الدعاء للمغفور له الإمام
الأكبر الشيخ محمود شلتوت . فهو يستحق
منا في هذا الاجتماع أن نذكره بكل خير لما
بذله من مجهود في سبيل إعادة تنظيم الهيئة التي
توكل إليها العناية بالبحوث الإسلامية ،
ويصدر الرأي في ما يهم المسلمين في مشاكلهم
مستمدة من القرآن الكريم والسنة الصحيحة
وآراء الفقهاء الناضجين والمخلصين في إيمانهم
وفي تفقههم ، سند الرأي وحجة الفتوى ،

كما تفوق أقران لهم في علوم القرآن والحديث أو علوم اللغة العربية .

وكان أهم ما عني به هذا القانون إعادة تكوين الهيئة التي يفاط بها البحث والتوفر على الدراسة العميقة الأصلية ، لتزويد المسلمين بالرأى فيما يعرض لهم من مشاكل ، وفيما تدفع إليه ظروف الحياة من ضرورات تحتم عليهم الوقوف على ما ينصح به إسلامهم وتطمئن به نفوسهم وتزود به طاقاتهم في الحياة نحو العمل المثمر ونحو المحافظة على الكرامة والسيادة .

ولذا قضى هذا القانون في تكوين مجمع البحوث الإسلامية بأن يضم إلى العلماء الباحثين المتخرجين في الأزهر علماء باحثين متخرجين في جامعات الجمهورية ومعاهدها العليا وعلماء وباحثين آخرين عرفوا في العالم العربي والإسلامي بسعة الأفق وعمق التفكير وأصالة الرأى - فإنه لم يقصد بذلك رغبة فحسب في ضم عناصر من أصحاب الثقافات المختلفة والاتجاهات المتنوعة في المعرفة ، بل مع ذلك رغبة في إحياء سنة السلف وتمهيداً لبعث ما كان عليه وضع العلماء المسلمين والعقلاء المسقنين من إجماع في الرأى في قضية من القضايا أو مشكلة من المشاكل .

هذا القانون لم يقصد أن يخرج الأزهر من رسالته ، وعن تاريخ هذه الرسالة في العلم والمعرفة والفقه والدعوة . وإنما قصد تأدية لهذه الرسالة تأدية قوية ، بحيث يصل شعاعها النافذ إلى حياة الملايين من المسلمين في تراثهم وتوابعهم ، وفي وعيهم للقيم الإسلامية وتطبيقهم إياها في حياتهم الخاصة والعامة .

لم يقصد هذا القانون بهذا التنظيم الجديد أن يجعل الأزهر حاكماً لبيئة تعليمية أو علمية في الداخل أو الخارج بل قصد أن يعيد ما كان عليه المسلمون أيام مجدهم وعزهم ، وأيام أن كانوا أصحاب التفوق في ملكات العلم المختلفة سواء في علوم القرآن والحديث أو علوم اللغة العربية أو العلوم العقلية والإنسانية أو العلوم الطبيعية أو الرياضية . قصد أن يعيد للعرب والمسلمين عهد الإمامة الفكرية والريادة العلمية على نحو لا يقل عما عرف للمسلمين في صلاتهم بغيرهم من حيث تزويد هؤلاء بالفكر الحر الرائد ومنهج البحث المستقيم .

ولم يكن غريباً في حياة الأزهر العلمية أن كان له عهد من جهود الريادة في البحث والدراسة في هذه الجوانب كلها ، وإن كان من علمائه من نبغ وتفوق في ضروب المعرفة الأخرى

فيها ، لأن الفجوة الزمنية بين ركود الفكر الإسلامي وفي تفقهه وبين وقتنا الحاضر طال مداها ، ومن أجل طول هذا المدى استقر في الأذهان أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان .

ورخطه لأن الرأي الذي سيتكون ويعبر عما يهدف إليه الإسلام سيكون أثره واسع المدى وعميقا في النفوس ، فالمسلمون في حاضرهم كثرة في العدد لا يستهان بها ، وفي الوقت نفسه بقدر لغايمهم على البعد عن الإسلام عن طريق التشكيك في قيم هذا الدين بالوسائل المختلفة والاتجاهات الفكرية المتنوعة يتوقنون إلى العمل به وتعايونه في حياتهم .

وثورة الجزائر في قيامها ونجاحها آية واضحة على هذه الظاهرة التي ذكرناها . فقد حاول الاستعمار في الجزائر - على وجه خاص - كما حاول في أي أرض إسلامية أخرى على وجه عام أن يبعد حرب الجزائر عن هذا الدين وأن يقوض من وراء ظهره هذا السند التاريخي الإيمان القوي ، وافتن في الإبعاد فنونا عديدة وسلك لهذه الغاية طرقاً مختلفة طوال المائتين والثلاثين عاماً التي قضاها فيها : ومع ذلك فتورة الجزائر قامت تنفيذاً للإيمان بالإسلام والعروبة واستمر حماتها في الكفاح ، الاعتقاد بالجهاد في سبيل الله وعندما نجحت

وإذا لم يشهد مؤتمرنا اليوم مجموعة أخرى من العلماء الذين يمثلون البلاد الإسلامية غير العربية كأعضاء فيه - فإن المؤتمر القادم سيشهد بإذن الله ، بعد أن تتخذ الإجراءات طريقها إلى التنفيذ .

إن مؤتمر يجمع البحوث الإسلامية في دورته الحاضرة سيواجه كثيراً من المشاكل والقضايا والأحداث والتطورات ، جدت أو ترعبت في حياة المجتمعات الإسلامية ، منذ أن وقف الفقهاء عن التفقه واكتفوا بالتبعية لمذهب من المذاهب الفقهية السائدة أو بالسلوك مسلك التلغيق بين جملة من الآراء منها . سيواجه هذه المشاكل والقضايا مطلوباً منه أن يتناولها بالبحث والدراسة . ويستخلص من ذلك الرأي الإسلامي الواضح ، حتى يعود الاتصال من جديد بين حياة المسلمين في سيرها العملية ومبادئ الإسلام في رعايتها لتوجيه الإنسان وبهبة سليمة ، تحفظ عليه حياته وتقويه من عوامل الضعف ، وتدفعه إلى اجتياز العقبات وتحميه من البطالة ، وتحضه على العمل والإنتاج .

وهذه القضايا والمشاكل التي تواجه مؤتمر الجمع في دورته القائمة تشكل مهمة شاقة ، وخطيرة في الوقت نفسه ، شاقة في تناولها بالدراسة والبحث وفي تأصيل حلولها والرأي

إن العصر الذى جسر أنفاق السد العالى فى الصحور ، والذى طوع الصحراء ورمالها فى خدمة الإنسان بعد أن كانت ضدّه ، والذى نزع الاستعمار إلى غير رجعة من شريان الحياة فى جسم الأمة العربية والإسلامية كلها وهو شريان قناة السويس ليضيف مفخرة إلى تلك المفاسر ، وهى لا تقل شأنًا وأثرًا عنه ، مفخرة إعادة تنظيم الأزهر ووصل العاملين فيه بالحياة ولإعدادة ليؤدى دوره فى قيادة الأمة العربية والإسلامية .

ولأنكم أيها السادة ستشهدون هذه المفاسر فى إقامتكم بالقاهرة كما ستشاركون فى تحقيق مفخرة هذا التطوير بالإقدام على حل المشاكل والقضايا التى ستواجهكم وهى قضايا المسلمين عامة وسيكون لصوتكم ولرأيكم الذى تجمعون عليه الأثر النافذ فى حياة المسلمين التى ترقب مؤتمركم اليوم وتتجه نحو القاهرة ونحو الأزهر فيها كما هو العهد بها كما تتجه بعد قليل من الأيام نحو مكة أول بيت وضع للناس مباركًا وهدى للعالمين .

وفكم الله وسدد خطاكم ووفق قادة الشعوب والأمم الإسلامية والعربية إلى ما فيه الخير وأيد قائدنا وزعيمنا جمال عبد الناصر بنصره دومًا .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

وكفور محمد البره

واستقر الأمن كان أول مبدأ عبره دستور الجزائر هو أن الإسلام الدين الرسمى للدولة ، وأن اللغة العربية - وهى لغة القرآن الكريم - اللغة الرسمية للدولة .

ولكن تشكيل مجمع البحوث الإسلامية على هذا النحو وفى اختيار أعضائه من القادة والرواد فى الفكر الإسلامى ومن أصحاب اليقظة والوعى لظروف الحياة المحاصرة وأحداثها ومشاكلها - يزيد الأمل فى التغلب على ما يصادف البحث والدراسة من مشقة وفى تطمين المسلمين على أمر دينهم وتبصيرهم بقيمتهم فى الحياة الإنسانية وأنه وإن كان قد ولد فى الصحراء فهو للإنسان وللصفات الإنسانية الفاضلة فى أى مكان وفى أى عصر: عصر الإبل وعصر الآلة على السواء .

ويقينى أنه لو لم تغم هناك ثورة فى الجمهورية العربية المتحدة ولو لم تكن هذه الثورة ثورة هادفة لخلق مجتمع له تاريخ وماض فى الكفاح وفى حمل رسالة القيم وفى الحفاظ على القرآن لغة ودينًا وإيمانًا ، ولو لم يكن جمال عبد الناصر هو رائد هذه الثورة ونخططها لما برز هذا المجمع فى صورته الحاضرة إلى الوجود ولما توفرت له إمكانيات تعاونته على العمل فى سبيل خير الأمة العربية والإسلامية وفى سبيل الله .

كلمة الدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر

الحمد لله الذي جمعنا على حق التوحيد له ،
وهذاننا إلى شرف الإيمان به والصلاة والسلام
على سيدنا ونبينا محمد ، الذي أرسله الله إلى
الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله
بإذنه وسراجاً منيراً .

وبعد :

لم يكن - رغم ما أريد به عند قيامه -
لطائفة من الطوائف أو لمذهب من المذاهب
ولمّا كان - كما أراد الله - معهداً للفقهِ
الإسلامي ، وللعلم الديني بمختلف فروعها
وقنونها .

كذلك لم يكن الأزهر لمصر وحدها ،
ولمّا كان لأبناء العالم الإسلامي جميعاً ،
يفدون إليه من شتى الديار والأقطار ،
فيتزودون من علومه ومعارفه ويتفقهون
في أمور دينهم ، ثم يعودون إلى أوطانهم
لينشروا الوعي الديني بين أهلهم . فيتحقق
فيهم وبهم داعي الحق ، حيث يقول جل
شأنه : « فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا
رجعوا إليهم » .

ولم تقف علاقة الأزهر بطلابه الوافدين
إليه من بلدان العالم الإسلامي عند مجرد تلقين
العلم ، أو منح الشهادة ، ثم تتفرق به وبهم سبل
الحياة ، وإنما تجاوزت العلاقة هذا الحد
إلى تنمية الروابط والصلات بين الأزهر
وسائر الشعوب الإسلامية بواسطة هؤلاء

فعلى اسم الله تعالى وبركته ، نفتتح المؤتمر
الأول لجمع البحوث الإسلامية .

وباسم الأزهر أحبيكم ، وأرحب بكم
وأدعو الله سبحانه أن يبارك جهودكم ويوفق
مؤتمركم ، ويقود خطاكم على طريق الحمير
والسداد :

وإن الأزهر الذي حمل رسالة الإسلام
ألف عام ويزيد ، واضطلع بنشر الثقافة
الإسلامية في شتى أنحاء العالم ... ليعتز اليوم
بكم وأنتم تلتقون في رحابه ، فيكتمل بكم
عقد هذا المؤتمر الإسلامي العظيم .

أيها السادة :

لقد كان الأزهر دائماً لكم جميعاً ، وبكم
جميعاً ، فقد اتخذ منذ إنشائه في القرن الرابع
الهجري طابعاً إسلامياً عاماً .

كلها من التدهور والضعف - خلال عهدة الاحتلال لمصر - فإنه استطاع أن يكون ملاذاً أخيراً للتراث الإسلامى ، ومعقلاً حصيناً للغة العربية - لغة القرآن - يدراً عنها عادة التدهور الحطير ، ويمكنها من مغالبة لغة الفاتحين ... وتمكن الأزهر مع ذلك من أن يبقى بابه مفتوحاً لطلاب العلوم الإسلامية والعربية ، حتى إنزاح كابوس الاحتلال ، ودبت الحياة فى الحركة الفكرية من جديد ، فعاد الأزهر يمارس نشاطه وقايلته فى هذا المجال ، ويحمل إلى الناس رسالة العلم والإيمان .

على أن الأزهر لم يكتف بما أحدثه من تأثير فى حياتنا الروحية والثقافية ، وإنما كان له فى تاريخ نضال شعبنا صفحات مشرقة ومواقف مشهودة .

فقد نهض الأزهر بدوره الكبير فى إذكاء الحماسة الوطنية وإعداد النفوس لتلبية نداء الحرية ، وقام علماءه متأثرين بمبادئ الإسلام بالدفاع عن مصالح الشعب وتوجيه الناس إلى المحافظة على حقوقهم والتضحية فى سبيل حرياتهم وكرامتهم .

وظل الأزهر طوال عصر الاحتلال قلعة للكفاح الشعبى ، وحصناً للجهاد الوطنى . . رغم ما استهدف له من ألوان العنف والاضطهاد .

الحريجين الذين كانوا يرجعون إلى أقوامهم وقد ارتبطوا بالأزهر عن طريق الروح والإيمان بعد أن تزودوا من معارفه وحملوا معهم المشاغل التى تحدت لهم معالم الطريق ، ففأوا إلى أوطانهم ومعهم نورهم يسمى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا .

ولم يقصر الأزهر فى تزويد الواقفين إليه بمختلف الثقافات والعلوم ، فإلى جانب دراسة الدين الإسلامى ، واللغة العربية بسائر فروعها كانت تدرس بالأزهر علوم الحياة جميعها ، وبخاصة حين وفد إليه كثير من العلماء بعد أن عفت معاهد بغداد وقرطبة ، ففدا الأزهر مركز الدراسات الإسلامية العامة والمسئول عن حياة الدين واللغة .

ومن هنا كانت مسئولية الأزهر أمام كافة المسلمين الذين أساطوه بعواطفهم وأولوه قهتهم ، واستودعوه آمالهم . باعتباره المنارة التى تتعلق بها أبصارهم ، ومركز الإشعاع الروحى والثقافى لهم .

ومن هنا أيضاً كان حرص الأزهر على النهوض برسائله خلال هذه القرون العشرة . رغم ما استهدف له فى بعض الأحيان من عسف وعنت واضطهاد .

وإذا كان الأزهر قد انتابه فى فترات من تاريخه بعض ما أصاب الحركة الفكرية

أيها الأخوة :

فجمع البحوث الإسلامية هيئة من الهيئات التي استحدثها ذلك القانون للعمل على تجلية الثقافة الإسلامية في جوهرها الأصيل ، وتوسيع نطاق العلم بها ، وبيان الرأي في المشكلات المذهبية والاجتماعية التي تنصل بالعقيدة ، وحمل تبعه الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

وقد نص القانون على أن يضم المجمع علماء الإسلام من مختلف ديار المسلمين ليشاركوا في أداء رسالته ، فيتمنى بهذه المشاركة العودة برسالة الإسلام إلى ماضيها الأصيل ، وتكون هذه المشاركة وسيلة إلى توحيد الرأي واتقاء شروخ التفرقة ، كما تكون مظهراً لوحدة الإسلام والمسلمين « وإن هذه أممكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون » .

أيها الإخوة علماء المسلمين :

بارك الله مؤتمركم ، ورعى جهودكم ، وأجرى الخير على أيديكم ، وحقق لكم وبكم الآمال ، وجعل منكم كلية طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

دكتور محمد عبد الله ماضي

وكان لابد للأزهر بعد هذه المرحلة الطويلة من الكشف الشاق ، والجهد الطويل ، وبعد أحقاب اضطرار خلالها إلى التزام الموقف الدفاعي ذوداً عن الدين ، وحفاظاً على العقيدة كمن لا بد له من أن يحظى بقسط من الرعاية يعينه على الحركة المتجددة التي تلائم بينه وبين عصره وتمكنه من أداء رسالته على أكمل وجه ، مع احتفاظه بمخصائصه التي تساهد على قيامه بمهمته في حياطة الدين ، ودعم الثقافة الإسلامية .

وتتمثل هذه الرعاية المنشودة في القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الخاص بإعادة تنظيم الأزهر ، والذي جاء نفحة كريمة من نفحات الثورة المؤمنة للأزهر باعتباره الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التي تقوم على حفظ التراث الإسلامي ، ودراسته ، وتجليته ، ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره في تقدم البشر ، وكفالة الأمن والعلمانية للناس في الدنيا والآخرة .

وإن اجتماعكم - أيها السادة علماء المسلمين وقادة الرأي الفقهي الإسلامي - في هذا المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية نتيجة من النتائج الطيبة التي تتحقق إن شاء الله بقانون تطوير الأزهر .

كلمة الوفود لفضيحة شيخ الإسلام الحاج ابراهيم نياض السنغالي

الأزهر الشريف إلى هذا المؤتمر العظيم حقاً ،
العظيم بأهدافه السامية ، والعظيم بأعضائه
المجاهدين ، والعظيم بمكانه المناسب وزمانه
الذي هيأته لنا الأقدار ، والعظيم برئاسته
الواحية البصيرة : فالقاهرة أنسب مكان
لهذا العمل الجليل ، وفيها الأزهر الخالد
الذي يعتبر بحق قمة الشريعة الإسلامية منذ
أجيال ، والزمان كذلك أنسب زمان نظراً
للأثر الطيب الملبوس الذي تركه مؤتمر القمة
العربي في النفوس من المحيط إلى الخليج ،
وصفاء الجوبين الإخوة العرب خطوة جبارة
نباركها جميعاً ، لأن أهمية العرب والعربية
في الدهوة الإسلامية لا يختلف عليها اثنان .
أيها السادة :

إن أنظار المسلمين في مشارق الأرض
ومنازلها متجهة إلينا بأمال هراض ،
فلنستشعر المسؤولية العظمى الملقاة على هواتقنا
فعلماء الأمة المحمدية هم ورثة الأنبياء ، ومن

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام
على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين . وبعد :
نخامة السيد نائب رئيس الجمهورية
حسين الشافعي .

معالي الأستاذ الدكتور محمد الهبي وزير
الأوقاف وشئون الأزهر .
أيها السادة :

إنه لشرف عظيم لا يدانيه شرف أن
أتيحت لي هذه الفرصة النادرة للتحدث باسم
الوفود الإسلامية بمناسبة افتتاح المؤتمر
الأول لمجمع البحوث الإسلامية ، هذه الوفود
التي ضمت نخبة ممتازة من العلماء الاعلام
ومشايخ الإسلام ، ومن المفكرين من دعاة
الحق الذين لهم سوابق في هذا الميدان المقدس
تحسم كل جدل في إخلاصهم للعمل لله ، وتجهدهم
لخدمة الدين الحنيف .

أيها السادة : إننا مشر الوفود المجتمعة هنا
في هذه القاعة نهتز ونفتخر بتبليبة دهرة

فإن الله ليعتق في كل قرن مجدين يحددون هذا الدين ، وليس على الله بعز أن نكون منهم ، فنول هذا المؤتمر ما يستحقه من عناية جادة ، ولا ننس الطابع العلوي الذي يجب أن يسيطر على أعمالنا جملة وتفصيلا ، فإذا وصلنا إلى نتائج عليية سليمة بفضل الله رفعنا بها عقيرتنا وأبلغناها إلى كل بيت في العالم غزوة جاهلية ، أولوثة مستشرق أو زلوله انحراف ، أو دمرته ماديات ، أو أشقاء جمود وضيق أفق خصوصا في أوربا الحائرة وفي مجاهيل إفريقيا المتطلعة إلى القنور ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

هذا - ولا أنهي كاتبي حتى أهب عن شكرنا العميق للأزهر الشريف ، ولوزيره المفكر الكبير على الجهود الجبارة التي بذلت والتي سقبتل في سبيل رفع الإسلام ، ونشر تعاليمه في سائر أنحاء العالم خصوصا في عهد الرئيس المسلم الفيور جمال عبد الناصر ، وفقنا الله جميعا لما فيه الخير للإسلام والمسلمين ، وكتب لمؤتمرنا النجاح التام وجعله فاتحة عهد جديد في عمر الدعوة الإسلامية يكون له ما بعده ، وما ذلك على الله بعزيز والسلم ؟

ابراهيم نيا-س الصفهالى

خير أمة أخرجت للناس ، وهذا الدين أحيط في العصر الحاضر بأخطار جسيمة ، وبأعداء لدواقفين له بالمرصاد ، لا يألوننا خبالا ، ولا يألون جهدا في الدس والحديمة والتضليل والإغواء ، بالإضافة إلى التركة الثقيلة البقيضة التي خلفها لنا الاستعمار الغربي السكار ، في مناهج للتربية سقيمة ، ومذاهب في الحياة هدامة ، واستبعاد لشرعية الله ، واكتفاء بالقوانين الأجنبية في معظم بلداننا لأنها للمركة تستوجب منا أن نجند كل الطاقات والإمكانات ، والسلاح الأول الكفيل بالنصر والغلبة في هذه المركة إنما هو العود إلى إسلامنا نقييا صافيا ، مستقى من كتاب الله وحى السماء الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومستقى من سنة النبي الكريم . يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، فهذا هو سلاح المؤمن الذي يغلب القنابل الآرية والصواريخ المدمرة .

أيها السادة :

فلنجي هذه الفرصة السعيدة التي سوف تقيع للعلماء والمفكرين من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب الاجتماع للبحث في الدعوة الإسلامية وفي أحوال المسلمين من جديد ،

كلمة الدكتور محمد محمود حبيب الله الأمين العام للجمعية

والجماعة على السواء ، د ويومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله .

واجتماعنا اليوم - وقد جشم الكثير منكم
المشاق والصعاب ، وتحملتوها في سبيل الله
بما لديكم من قوة الإيمان - دليل واضح
على صدق النية وعقد العزم على خطة جديدة ،
يعمل المسلمون فيها متكاتفين ، ومتعاونين ،
في سبيل تحقيق غاية مشتركة ستكون لها
إن شاء الله آثار بعيدة المدى في حياة شعوبنا
المجيدة .

نجتمع اليوم - أيها الأخوة - استجابة
لدهوة الله ، وقياماً بواجب ديني ، تفرضه
علينا كذلك أحداث الحياة ، والرغبة
في البقاء ، في عزة ، وكرامة تليق بنا ،
وبما نحمله ، وندهو إليه من رسالة سماوية
خالدة ، تدعو أول ما تدهو إلى وحدة الخالق
المعبود ، وإلى لزوم تكريم بني الإنسان ،
ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر
والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلاً .

بسم الله الرحمن الرحيم ... وبفضل الله
وعونه وتوفيقه ، وفي رحاب الأزهر الشريف ،
أزهر الإسلام والمسلمين - تلتقي اليوم صفوة
مختارة من أعلام الإسلام والمسلمين في الفكر ،
والشريعة ، والقانون - لتشهد الدورة الأولى
من أعمال مجمع البحوث الإسلامية ، وهو
ولا ريب غرس ناشئ ، وبناء جديد لم يمض
على نشأته حولان ، ولكنه قام ليعمل ،
وليعيش ، ويقوى : تحيطه الجمهورية العربية
المتحدة وتحيطونه أنتم والعالم الإسلامي بكل
عقومات الحياة والقوة لأنه وليد الحاجة ،
وحلم كل مسلم وأمل كل غيور .

فالمسلمون كما ترون وتشهدون في حاجة
إلى منبر أو بناء يوحى العالم به ، وفي بحوثه
الراشدة القويمة حقيقة الإسلام ، في روحه ،
وجوهره ، مبرأ من كل دخيل ، مستوهداً
لقضايا الزمان ، وما يجد فيه من أحداث ،
ومصححاً لمعايير الحياة في شتى ألوانها الفكرية ،
والمقدية ، والوجدانية لكل من الفرد ،

ولقد صدرت بعد ذلك قرارات جمهورية
بتعيين سبعة وعشرين عضواً ، وبتجديد
مكافآت الأعضاء ثم بتعديل بعض مواد
القانون ، كما صدرت قرارات وزارية بتفريغ
بعض أعضاء النجم إلى أعماله .

ولقد شاء الله أن يختار إلى جواره عضوين
من أعضاء الجمع قبل أن يلتقيا بنا في هذا
الاجتماع : كان أولهما المغفور له الأستاذ
إبراهيم مصطفى الذي أسهم بمجهود مخلص
في رعاية لغة القرآن بنوع خاص ثم مضى
من بعده إلى جواره ربه الإمام الأكبر الشيخ
محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق ونعم
جميعاً جهاداً ، واجتهاداً في فقه الإسلام ،
رحمهما الله رحمة واسعة وأنزلهما منازل
الصديقين والشهداء وهو لا يضيع أجر من
أحسن عملاً .

ولقد أخذت الأمانة العامة للجمع بمجهودها
المحدود المتواضع في الإعداد لهذا المؤتمر
من زمن بعيد ، بجانب ما لديها من كثير
من التبعات والأعمال وعرضت موضوعات
علمية ، حيوية ، كمنادج يمكن أن يختار منها
السادة الأعضاء مادة أولى للبحث والدرس
إلى أن يقوم الجمع : بأروقته ، ومجلسه ،
ولجانه ، فيحدد لنفسه ما يشاء من موضوعات
وقد لاقى هذه الاقتراحات قبولا لدى السادة
الأعضاء ، ووردت إلينا بحوث مستفيضة

تجتمع اليوم لنبحث معا عن الوسائل ،
والسبل ، التي تساعد على أن تظهر كلية الحق ،
وتسود القضية في المجتمع ، ويفتشر الوعي
الديني الرشيد ، وعلى أن يفسح المجال للثقافة
الإسلامية الأصيلة فتصبح كتاباً مفتوحاً
يقرأه كل الناس في كل المستويات وفي مختلف
البيئات .

والآن تقدم إليكم - أيها الأخوة - موجزاً
عن الجمع ونشاطاته ، وما نحن بصدد
من أعمال :

أنشئ بجمع البحوث الإسلامية بقانون
رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ : (ليكون الهيئة العليا
للبحوث الإسلامية ويقوم بالدراسة في كل
ما يتصل بهذه البحوث ، ويعمل على تجديد
الثقافة الإسلامية ، وتجريدها من الفضول
والشوائب ، وتجليتها في جوهرها الأصيل
الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل
مستوى ، وفي كل بيئة ، وبيان الرأي فيما يجد
من مشكلات ، مذهبية ، واجتهادية ، تتصل
بالعقيدة ، وحمل تبعه الدهوة إلى سبيل الله
بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، كما يتبع الجمع
ما ينشر عن الإسلام ، والتراث الإسلامى
من بحوث الأجانب ودراساتها ، للارتفاع
بما فيها من رأى صحيح أو موجهتها
بالتصحيح والرد إلى ما هنالك من أغراض
ومقاصد أخرى للجمع) .

ووكلت لإينا تبعة أمانة جلييلة ، تتجه لإينا من أجلها أنظار المسلمين ، ننظر القول الفصل في كثير من المشكلات التي طرأت على حياة الناس ، وأصبحت كأنها جزء مقوم لهذه الحياة ، كما يرتبط بمجهودنا اليوم مستقبل الأجيال المقبلة التي قد تجد نفسها مكبلية بأغلال المادية الجارفة ، والفردية الهدامة القاتلة .

وما دامت قد قويت منا الهمة ، وصدقت منا النية ، وعاهدنا الله في صدق ، وإخلاص أن نحيا لله ، فالأمر ليس بجد عسير ، وسيكون لنا ما نسعى إليه - إن شاء الله - لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ، وسيتحقق للسلمين بمجهودكم المبارك ما يبغون من عز ، ومنعة ، في الدين ، والدنيا ، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ، والله ولي التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

دكتور محمود هب الله

في بعض هذه الموضوعات ، وستعرض كلها على حضرات الأعضاء للبحث والدرس في الأسبوعين الآخرين من هذه الدورة للؤتمر ، وسيلقى من هذه البحوث في الأسبوعين الأولين ما سمحت ظروف سكرتارية المؤتمر بترجمته ، وإعداده ، وتجهيزه نظراً إلى أن الكثير منه لم يصل إلى أيدينا إلا من أيام قلائل .

وقد وضع نظام المؤتمر على أساس أن يشترك السادة الأعضاء والمدهون جميعاً مدة أسبوعين في الجلسات ، والندوات ، والحفلات ، والزيارات ومقابلة معالم النهضة الحديثة في الجمهورية العربية المتحدة ، وبعد هذين الأسبوعين يفرد أعضاء الجمع بالاستمرار في مؤتمره أسبوعين آخرين ، يتحول فيهما المؤتمر إلى لجان للبحث والدراسة والاقتراح في كل ما قدم إليه من موضوعات ، كما يرسم الحطة للجلس الجمع الذي لا بد أن ينعقد - بحكم القانون - مرة على الأقل كل شهر ، وما إلى ذلك من أعمال أخرى يحددها القانون .

ومن ذلك ترون - أيها السادة أنه قد ألقى علينا - نحن أعضاء الجمع - هبة ثقيل

هذا وفيما يلي نغث بعض البحوث المهمة التي
أقيمت في المؤتمر بترتيب الجلسات التي أقيمت فيها :

الجلسة الأولى

عوامل انتشار الإسلام

للسيد الأستاذ علي عبد الرحمن



تحدث فضيلة الأستاذ علي عبد الرحمن
عن عوامل انتشار الإسلام وردها إلى عوامل
ذاتية وعوامل خارجية . فالعوامل الذاتية
ترجع إلى بساطة العقيدة الإسلامية وخلوها
من الغموض والتعقيد ومرونة التشريع
الإسلامي وصلاحيته للتمشي مع تطورات
الحياة، والدهوة الملحة للأخذ بمكارم الأخلاق
والبعد عن سيئاتها والعوامل الخارجية ترجع
إلى اختلاط المسلمين بغيرهم في الحروب
وغيرها ، ثم ذكر أن الحروب الإسلامية
لم يكن يقصد بها إكراه الناس على الدخول
في الإسلام فإيه لا إكراه في الدين ، وقد
أفاض في بسط الحديث عن هذا الموضوع
ثم انتقل إلى واجب المسلمين الآن إزاء نشر
الإسلام فقال :

الذاتية التي أدت إلى انتشار الإسلام بسرعة
وشمول ، والعوامل الخارجية التي ساعدت
على نشر الإسلام ، ومهدت الطريق أمام زحفه ،
حتى عم الآفاق .

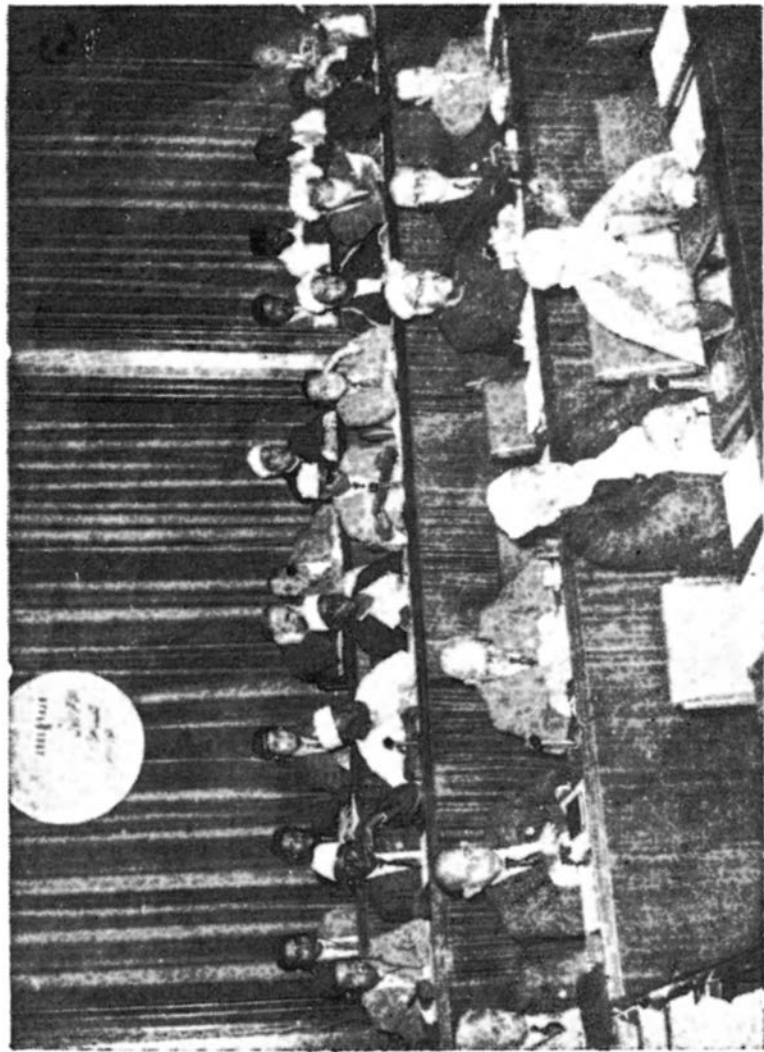
ونريد في هذا الفصل ، أن نشير إلى
أن المجتمع الإسلامي بعد أن تمزقت الدولة

واجب المسلمين الآن إزاء نشر الإسلام :
أشرنا في الفصلين السابقين إلى العوامل

في كل قطر نهضة ، وفي كل أمة نقطة ، ومع أن الإسلام من القوة بحيث لم تؤثر فيه عهود الاضمحلال ، وما أصاب المسلمين من تأخر وذل واستعباد ، بل ظل محتفظا بقوته ، وصفاء جوهره ، ينتظر عودة المسلمين إليه ورجوعهم إلى تعاليمه ، ليصعد بهم الدرج الذي صعد به أسلافهم ، فكانت لهم الكلمة في الأرض ، وانتهت إليهم قيادة الأمم والشعوب - ومع أن المسلمين الآن كما قلنا قد استيقظوا من سباتهم ، ونهضوا من كبوتهم ، وبدءوا يرجعون إلى الإسلام وتعاليمه وتربيته وتشريعه ، إلا أن هناك أمراً مقدساً هو أيضاً من تعاليم الإسلام التي أمر بها وطالب بالعمل بموجبها - وذلك الأمر : هو واجب المسلمين نحو نشر الإسلام والدعوة إليه إذ لا ريب أن الرسالة الإسلامية وهي موجهة إلى البشر أجمعين مهما اشتملت عليه من عوامل الانتشار واحتوت من الحجج والبرهان هي دائماً في حاجة إلى من يقومون بعرضها بأسلوب يتمشى مع كل بيئة ويتخذ من الوسائل ما يتوفر لكل عصر . والقرآن قد أهاب بالرسول الكريم بأن يبذل ما في وسعه لنشر الدعوة بين البشر .

والمسلمون مأمورون تبعاً لذلك بحمل الشعلة إلى كل ركن وإيصال تعاليم القرآن إلى كل مكان . يأياها النبي إن أرسلناك

الإسلامية بعد العصر العباسي إلى دويلات متعددة ، وبمالك متفرقة ، بدأ الاستعمار ينحرف على الأنظار الإسلامية وينسخ عليها بكليلة ، وبدأت روح المسلمين المعنوية تهبط ، وتهبط ، حتى أصبحوا أخيراً نهياً مقسماً ، وقطيعاً مستسلماً ، تسوقه الدول الأوروبية صوق الأنعام ، ويتسلط المستعمرون على إمكانياته المادية والادبية ، فاستدار المسلمون ، ولولا تعاليم الإسلام ظهورهم ، وأرهبتهم قوة الغرب ، واستهوتهم مدنيته فانجرفوا يسرون ، وفق تخطيط المستعمرين . بخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات ، واستمروا على هذه الحال قروناً عديدة ، وهم يتخبطون في هذا الليل البهيم ، حتى فقدوا الثقة بأنفسهم ، فاهتقد الكثيرون منهم أن الإسلام هو سبب انحطاطهم ، وأن المستعمرين وتعاليمهم ، وتربيته ، وتعليمهم ، هو الطريق الوحيد لنهضتهم ورفقهم ، إلى أن تكشفت لهم الهاروية التي ظنوا يقربون منها ، وأدركوا أن الاستعمار يسوقهم إليها بخيله ورجله ، فبدأ المسلمون أخيراً يحسون ويتألمون ثم أخذوا يقولون ، ويتمردون ، ثم وقفوا يعملون لطرد المستعمرين ، ويتجهون إلى ماضيهم المجيد ، ويرجعون إلى كتابهم الرشيد ، فبدأت



صورة لأعضاء الوفود الإسلامية في جلسة الافتتاح

المسلمين كشعوب أن تشرع في إنشاء المنظمات المختلفة وأن تجند لتلك المنظمات الشخصيات المفكرة العاملة الواعية ، وأن تضع تحت تصرفها الإمكانات الواسعة من الأموال ووسائل الإعلام والدعاية والنشر - وواجب الحكومات الإسلامية أن تتجه نحو التزريع الإسلامى ففيه كل أسباب النهضة والرفق ، وأن تعمل بكل ما لديها من قوة ونفوذ على نشر تعاليم الإسلام ، وأن تساعد تلك المنظمات الشعبية مساعدة فعالة وتحيطها برعاية كاملة وهناية واضحة وأن تعمل على تربية الأجيال القادمة تربية إسلامية ، وأن تحارب هذا النفوذ الاستعماري الذي يسيطر الآن على عقول المسلمين ويؤثر على كل حركاتهم وسكناتهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون - وإنى أحصر الميسادين التي يفهم أن يتجه إليها العمل الآن في ثلاثة :

١ - تبليغ الدعوة لأولئك الذين لم تبلغهم بعد - أو على الأصح - لم تبلغهم واضحة جلية وذلك في المناطق التي تتجه نحو الوانبة في إفريقيا وآسيا وإسترااليا .

٢ - عرض الدعوة على وجهها الصحيح ؛ وبالأسلوب الملائم على أولئك الذين لم يتعرفوا على الإسلام وأخذوا من واقع المسلمين وتختلفهم دليلا على عجز الإسلام عن الصعود بالإنسان إلى مدارج الحضارة والحياة السكرمة - وذلك في أوروبا وأمريكا.

شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ، ، داح إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وهذه الدعوة القوية بما اشتملت عليه من تبشير وإنذار وبهذا الهدى الذي يشع نوره سراجاً منيراً وبهذا الأسلوب في نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وبهذا الجدل العادل الهادي المتزن بذلك كله أمر القرآن وعمل الرسول الكريم بقوله وفعله وتقريره فإذا تصدى للدعوة الأعداء يريدون إطفاء نورها أو صدها هن السبيل المستقيم أو يحاولون إقامة العقبات والأعراق في طريقها أو يحاولون إجماد الفتنة وبث روح التخاذل في صفوف المسلمين ، خيفة لا بد من إظهار السيف ، واتخاذ العدة وحمل السلاح لحماية الدين والذود عن حياضه وإحاطة الدعوة إليه بسياج متين من القوة والمنعة - فنحن مأمورون بسلوك هذا الطريق وحمل هذا المشعل فواجبنا أن نضع التخطيط الملائم لحال العصر الذي نعيش فيه - واجب

وانتخدت لها فروطا في مناطق متعددة من إفريقيا ومراكز متفرقة في آسيا، وحلقات متنوعة في استراليا لتدرس هذه المنظمة طبيعة الحياة في كل منطقة، وأحوال سكانها وتقاليدهم وهماجدهم، ثم تتخذ الأسلوب المناسب لهدايتهم إلى الإسلام وإدخالهم في عظمته بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن وبالقعدة الحسنة، والسلوك الحسن، والمعاملة الرقيقة، وإني واثق من أن مهمة هذه المنظمة سهلة ميسرة إذا توفرت إمكانيات النشر ووسائل الدعاية وأخلص الدعاة المرشدون. وإني أقول ذلك من علم وتجربة وقد قضيت نحو من ست سنوات وأنا أتنقل في أرجاء المديرية الجنوبية الثلاث (أعلى النيل والاستوائية وبحر الغزال) وأتصل بالمواطنين البدائيين الصغار بين بين منابت الأعراس والغابات ومواطن الحشائش والمستنقعات وزرت مراكز المبشرين من كاثوليك وبروتستانت محاولا - في أوقات فراغي - أن أحمل على نشر العقيدة الإسلامية بين أولئك البدائيين متعاوناً مع بعض الغيورين من التجار والموظفين - مع دراسة لأحوال المبشرين المسيحيين وتقبع لأساليبهم وأنشأنا جمعية (المؤلفة قلوبهم) فاستطعنا أن نبث الدعوة الإسلامية حسبنا نملك من إمكانيات ومن جهد ووقت ومال، واقتنعنا بأن العمل في هذا الميدان سهل ميسور، وأن

٣ - إرجاع المسلمين أنفسهم إلى جوهر الإسلام وعقيدته السليمة وتشريعه الحكيم وتعميق ذلك في نفوس المسلمين ونبي ما علق بالإسلام من خرافات وأباطيل ومن جمود وركود، وإيضاح موقف الإسلام بما جدد من تصرفات وأحوال ومعاملات لم تكن معروفة أيام نهضة الإسلام واستنباط الأحكام والتشريعات التي تقضى بها روح الإسلام وقواعده التشريعية العامة وتدعو إليها مصلحة المسلمين في نطاق المبادئ الإسلامية التي اختطها القرآن الكريم، وفصلها الرسول العظيم وأبرز كبار العلماء المتقدمين معالمها ورفعوا مناراتها هدى للباحثين المجتهدين.

إن هذه الحقول الثلاثة تحتاج إلى عمل جاد وفي المسلمين من العلماء الخبراء بطبيعة كل حقل العدد الوفير، وفي متناولهم الآن من وسائل العلم، ومخترعات العصر، وأجهزة الإعلام، وسهولة المواصلات، ما يجعل مهمتهم سهلة، وعملهم منتجا إن شاء الله.

الميدان الأول. نشر الدعوة الإسلامية بين الوثنيين وأولئك الذين لا دين لهم إلا نوع من الفاتشية هو إلى التقاليد والعادات أقرب منه إلى الدين، وهؤلاء هم أغلبية شعوب العالم، فالهلايين من سكان آسيا ومن سكان إفريقيا واستراليا هم من هذا النوع، فإذا أنشئت منظمة للقيام بهذه المهمة تعتمد على رجال أقوياء من مختلف البلاد الإسلامية،

إلى تنظيم ولا تعتمد على سند أو معين ، ولا تتخذ من الوسائل والأساليب إلا المنهج البدائي البسيط، وهذه الحال تبعث في نفسك الاقتناع التام بأن الدعوة لو نظمت واستندت إلى هيئة ترعاها واتخذت الوسائل اللازمة من أجهزة النشر والإعلام ، ومن وسائل الحماية والبيان ، ومن مناهج التربية والتعليم فلا بد أن تنجح ثمرتها وتؤتي أكلها وتعلو كلمتها . ومع أنى لم أتجول في آسيا الوثنية ، ولا أعرف هنا إلا النزر اليسير ، ولكنى أعتقد أن مجرد المقارنة المهادنة بين الإسلام وغيره من الأديان الوثنية السائدة في الشعوب الآسيوية ، هذه المقارنة التي يعرضها الدعاة المسلمون لأولئك القوم بالتي هي أحسن ، وبالموعظة الحسنة ، وبالأسلوب الذي لا يجرح كرامتهم ، ولا يمس شعورهم ، هذه المقارنة لا بد أن تؤدي إلى نشر الإسلام واعتناق عقيدته ، والاعتصام بحبله ، فلو وجدت المنظمة التي تهيم الأذهان لهذه المقارنة لعم الإسلام .

الميدان الثاني : عرض الدعوة بالأسلوب الملائم على أولئك الذين لم يتعرفوا على الإسلام كذلك في الأمة المسيحية في أوروبا وأمريكا فإن انتشار العلوم والمعارف بين أولئك القوم قد كشف مزايا الإسلام وسمو تعاليمه ، وتطور تشريعه ، اللهم إلا غشاوة رقيقة لا تزال تحجب عن أعين أولئك نور الإسلام وضيائه فلو اتجه كبار العلماء المسلمين

ما يبذله المبشرون المسيحيون من مجهود لوبذل المسلمون عشر معشاره لأثمرت جهودهم أضعاف ما ثمره جهود المبشرين ، ومع أن المتتبع لسير الدعوة الإسلامية يجد أن التجار المسلمين الذين تجولوا في المناطق التي يسكنها البدائيون من الوثنيين أو الذين يأخذون الدين مأخذ العادات والتقاليد هم الذين يرجع إليهم الفضل في إيصال العقيدة الإسلامية إلى الأرجاء المقرامية الأطراف ، فإذا استعرضت سير الدعوة الإسلامية في إفريقيا فإنك تجد زوايا المتصوفين من السنوسيين في حدود الصحراء شمالا وأتباع الحاج عمر بن قدي في حدود الصحراء غربا ، وطلائع العلويين في سواحل إفريقيا الشرقية والرواد المتعديين من الجلالة السودانيين المنتشرين في جنوب السودان وأواسط إفريقيا، إذا استعرضت ذلك في الماضي وتبعت ما تقوم به جمعية التبشير الإسلامي في السودان ، والشيخ عبد القادر الجفري في يوغندا والكنغو ، وغير هؤلاء ممن لم يسعدني الحظ بمعرفتهم من الدعاة .

علت أن المسلم مبشر بطبيعته ، فأينما حل ولائ سبب كانت رحلته لا بد أن يقوم بمجهود كبير لإبلاغ الدعوة إلى أولئك الذين يتصل بهم في المناطق غير المسلمة وإذا تعقبت ذلك المسلم وجدت أثره واضحا ، ومفعوله كبيرا ، وسعيه مشكورا ، هذا بالرغم من أن هذه مجهودات فردية ومحاولات شخصية لا تسفند

شهادة أحد كبار المستشرقين الألمان - وهو «الدكتور مارتن هاريمان» ، إذ يقول : وإذا قابلت ما أتوا به من العظام في هذا السبيل بإدخالهم في دينهم الملايين من أهم شديدة الاحتزاز بقوميتها ، كثيرة التسك بديانتها ، بما قام به في القرون الأخيرة دعاة المال الأخرى على حذقهم فنون الدعوة ، واعتمادهم على الجاه والمال ، وتمرسمهم بأساليب الأخذ والتأثير ، تعجب غاية العجب ، ولا تجد تعليلا يقبله العقل إلا في أن للإسلام سلطانا على العقول خارقا للعادة ، تنقاد إليه ، متى عرض عليها ، فلا تجد بدا من الإذعان له ، بل وبما يجعل هذه الآمال أقرب ما تكون إلى الحقائق شهادة الفيلسوف البريطاني المعاصر «برناردشو» ، إذ يتنبأ بأن أوروبا - جميعها ستدخل في دين الإسلام في القرن التالي فيقول :

«لقد وضعت دائما دين محمد موضع الاعتبار الثاني بسبب حيويته المدهشة فهو الدين الوحيد الذي يلوح لي أنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة ، بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل جيل من الناس ، ولقد أدرك في القرن التاسع عشر مفكرون مخلصون أمثال «كارلايل وجون وجيليون» ، القيمة الذاتية لدين محمد ، وهكذا وجد تحول حسن في موقف أوروبا من الإسلام ، ولكن أوروبا في القرن الراهن تقدمت في

بلغات أوروبا وأمريكا ، المتضلعين في العلوم الحديثة ، الواقفين على ربح الإسلام وأسراره ومروفته ، لو اتجه بعض هؤلاء العلماء إلى تعريف أولئك القوم بالإسلام لاستطاعوا رفع تلك الغشاوة الرقيقة ولوجدوا الأوروبيون والإمريكان أن الإسلام متمشيا مع الكثير من أسباب حضارتهم وقوتهم ، فهو لا يتنافى مع العلوم التي حذقوها ، ولا مع التشريعات والقوانين التي يسرون عليها في ميادين الحياة المختلفة ، ولا مع الأسس القديمة التي تقوم عليها الحضارة ، بل على العكس من ذلك فسيجدون فيه العلاج لما يشعرون به من أمراض اجتماعية وارتبكات اقتصادية وظلمات مادية ومشاكل كثيرة في هذه الحياة المعقدة ، ولقد كان لي شرف الاجتماع ببعض أعضاء جمعية التعريف بالإسلام بدار الضيافة المسلمين بالقاهرة ، تلك الجمعية التي أقامها كبار المسلمين بأمریکا للتعريف بالإسلام بين الأمريكان ، والتي حدثني عما قامت به صديقي الدكتور محمود يوسف الشواربي أحد مؤسسيها وكبار العاملين فيها ، كما أني قرأت كثيرا عن نشاط إخواننا المنحدرين والباكستانيين في نشر الإسلام بأوروبا فلو وجدت المنظمة العليا ، ووجدت هذه التيارات ، ونظمت وسائل الدعوة واختارت الدعاة المخلصين لها لأمكنها نشر الإسلام في وقت قصير بين تلك الشعوب الكبيرة وبما يقوى هذه الآمال

جود، ووكود . وإيضاح موقف الإسلام مما جد من تصرفات وأحوال ومعاملات لم تكن معروفة أيام نهضة الإسلام .

كان المسلمون في العصور الأولى متشبعين بروح الإسلام عالمين بأسراره قد تربوا تربية إسلامية صحيحة فصفت نفوسهم واسقوا بصيرتهم فأخذوا بتعاليم القرآن وتأسوا بأحاديث الرسول وفهموا القواعد الأساسية للتشريع الإسلامي واجتهدوا وعملوا رأيهم في نطاق ما وضعه الإسلام من قواعد عامة فاستطاعوا بذلك أن ينهضوا نهضة عظيمة في وقت قصير مما لم يشهده العالم مثيلاً وأقاموا حضارة زاهية سداها ونحتها تعاليم الإسلام وأحكامه وتشريعاته وجمتمعاً متأسكاً متين الأخلاق قوى التربية وكانت تلك الدولة الإسلامية التي أسسها الرسول العظيم واستمرت حتى أفلت شمس العباسيين في المشرق وانحصر ضوء الأمويين في المغرب كانت هي المدينة الفاضلة التي يحلم بها الفلاسفة ويرسمون خطوطها في عالم الخيال ثم مرت بالمسلمين اليالي السود واستمروا قروناً طويلة وهم ضعفاء أذلاء تفرقت كلمتهم وتصدع بنيانهم وتداعت عليهم الأمم كما تنداعى الأكلة على القصاع فذهبت وبجهم وانهارت دولتهم ولم يكن ذلك عن قلة ولكنهم أصبحوا غثاء كثثاء السيل فرحفت عليهم الأمم المستعمرة فاستعبدهم وأذلته

هذا السبيل كثيراً فبدأت تشق عقيدة محمد وفي القرن التالي ربما ذهبت إلى أكثر من ذلك فتعترف بفائدة هذه العقيدة في حل معضلاتها فهذه الروح يجب أن تفهموا أن كثيرين من أبناء أوروبا دخلوا في دين محمد حتى يمكن أن يقال إنه ربما تتحول أوروبا كلها إلى الإسلام .

ومما يجعل طريق الإسلام إلى أوروبا وأمريكا وآسيا مبدءاً معبداً هذا التراجع الذي أشرنا إليه ، تراجع نحو اليسار في العالم الرأسمالي ، وتراجع نحو اليمين في العالم الشيوعي وبما أن الإسلام يقف في الوسط بين هذين الطرفين فهذا التراجع استعداد كبير إلى التلاقى مع الإسلام وسيجد أولئك القوم في الدعوة الإسلامية منفذاً لهم من مضمار المذهبين ؛ وبالتالي سيجدون في هذه الدعوة السبب القوي لإسراع خطوات التراجع ذات اليمين وذات اليسار حتى يتلاقوا مع الإسلام في الطريق الوسط : طريق الحق والعدل والصدق . وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً .

الميدان الثالث : إرجاع المسلمين إلى جوهر الإسلام وعقيدته السليمة وتشريعه الحكيم وتعميق ذلك في نفوسهم ونفى ما هلق بالإسلام من خرافات وأباطيل ومن

المنعقد اليوم والذي يلتف حوله هذا المؤتمر العظيم الذي يضم الصفوة من علماء المسلمين وأولى الأمر في العالم الإسلامي هذا المؤتمر إنما هو بداية المرحلة الحاسمة لهذه الحركات الإصلاحية التي تطل من كل قطر إسلامي فواجب هذا الجمع أن يقوم بمهمته التي تليها عليه حركة الإصلاح الشاملة وأن يلتفت إلى حال المسلمين اليوم فيوضح لهم ما هم فيه من انحراف ويرجع بهم إلى حظيرة الإسلام ويبصرهم بجوهر تعاليمه وينزع عن الإسلام ما علق به من خرافات وأباطيل وما لصق به من بدع وضلالات ولن يتم ذلك إلا بأمرين.

١ - الرجوع إلى التربية الإسلامية الصحيحة وذلك بتعديل برامج التعليم ومناهج التربية في المدارس والمعاهد والجامعات حتى ينشأ جيل جديد يفهم الإسلام ويتأثر بتعاليمه ويسير وفق هديته .

٢ - باتخاذ الوسائل لتربية الجمهور وتوجيه الوجهة الإسلامية في حياته المعنوية وأخلاقه الاجتماعية ومعاملاته الاقتصادية حتى يلجأ النشء خارج المدارس والمعاهد إلى جو إسلامي يتفاعل مع تربيته وبذلك يتحول المجتمع في فترة قصيرة إلى مجتمع إسلامي صحيح . أمام العالم الإسلامي اليوم مشكلات كبيرة اجتماعية واقتصادية لم تكن معروفة في العهد الأول ، فإن تطور الحياة وما أحدثته المواصلات والمبتكرات الحديثة من طائرات ، ورايو وتليفزيون ، من اتصال

فقدوا الثقة بأنفسهم واستحال الإسلام في مجتمعهم ألفاظاً غالية من المعاني ورسوماً لا حياة فيها واتجهوا صوب المستعمرين يأتمرون بأمرهم ويقبضون طريقهم فغاص الاستعمار في عقولهم ونفذت تربيته إلى قلوبهم فأصبحوا فريقين : فريقاً انطفاً نور الإسلام في قلبه فانصرف عنه إلى نوع من الإلحاد والشك في صلاحية الإسلام للحياة واعتقد أن الأخذ بأسباب المدنية الغربية والانغماس في بهرجها والاستمتاع بشهواتها هو الحياة كل الحياة وأن الإسلام دعوة رجعية بدليل تأخر المسلمين وانحطاطهم في كل الأقاليم — وفريقاً اكتفوا من الإسلام بالمظهر واستعملوا الإسلام شبكة يصطادون بها الدماء وتمائم وتعاويذ يستهدون بها الجهاد وخرافات وأباطيل يضلون بها البسطاء فضاع الإسلام بين الملحدن المنغمسين في الملامى والمليذات والرجعيين المستغرقين في البدع والخرافات ولم يبق في كل قطر إلا قلة ظلوا مستمسكين بجوهر الدين كالفابض على الجمر وأولئك هم الغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس وأولئك هم محط الأمل ، وموضع الرجاء . والمتنبع للحركات الإسلامية في عصرنا هذا يشعر بأن أولئك الغرباء في كل قطر إسلامي قد شرعوا يقومون بحملة الإصلاح وقد سرت حركتهم في أوصال المجتمع فوجدت تجاوباً في كل مكان فانتصت دائرتها في كثير من البلدان ولا ريب أن هذا الجمع

الإسلامية على وجهها الصحيح في المناطق الوئيلة وبين البدائيين الذين لا دين لهم من يتخذون العادات والتقاليد أو من يدينون بالفقشية أو التاوئية - كما تقوم بعرض الإسلام والتعريف به في أواسط الشعوب الأوروبية والأمريكية - وتنشئ لتففيذ مهمتها اللجان المختلفة والفروع المتعددة في أرجاء العالم ما أمكن ذلك وتتخذ من الوسائل ما يمكنها من أداء مهمتها .

٢ - منظمة من كبار العلماء المحققين الواقفين على أسرار الشريعة العالمين بأصولها وفروعها وروحها ومدلولها ، الملمين بأحوال العصر وما يسود المجتمع الإنساني اليوم من تيارات وتصرفات ومعاملات وعلوم ومخترعات ليستنبطوا حكم الشرع ورأى الإسلام في كل مشكلة أو نظرية أو تصرف أو معاملة وجدت أو نشأت بعد وكود المسلمين وعجزهم عن الاستنباط وقفلهم لباب الاجتهاد بما لا وجود لحكمه أو الإشارة إليه في كتب الفقه وأبحاث العلماء المتقدمين . هذا - وأسأل الله أن يوفقنا جميعا لما فيه خير الإسلام والمسلمين - والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عل عبر الرحمن

عضو مجمع البحوث الإسلامية

قوى بين البلدان وارتباط وثيق بين الأمم وتشابك شديد بين المصالح واحتماك مستمر بين الآراء والأفكار ، كل ذلك قد أحدث بعض المعاملات الاقتصادية ، والمشكلات الاجتماعية والنظريات العلمية مما لا تجد له حكا في الكتاب والسنة ، وما استنبط من أحكام في المذاهب المختلفة لأنه لم يكن معروفا للعلماء والباحثين حتى يجتهدوا ويبدلوا جهدهم لتحديد موقف الإسلام منه - فصلى المجمع أن يدرس هذه الأحداث ويتبع تلك المشكلات ويستجلى هذه النظريات ، ثم يعمل على عرضها على قواعد الإسلام ومبادئه وأسس تشريعه ليوضح للمسلمين الحيادي حكم الإسلام في هذه التصرفات ليخرجهم من هذه الحيرة وهذا الارتباك .

وإني أختم هذا البحث - استخلاصا لما وضحت - باقتراح عمل منقذ والأخذ به يجعل من هذا المجمع أداة فعالة في تحقيق بعض الأهداف التي يشعر العالم الإسلامي الآن جميعه أنه وجد من أجلها : وهو أن ينشئ المجمع منظمتين من كبار العلماء والإخصائيين سواء من أعضاء المجمع أو من غيرهم من المختصين من أرجاء العالم الإسلامي .

١ - منظمة مركزية للقيام بفسر الدعوة

هذا وقد خصص بعض جلسات المؤتمر لمناقشات الأعضاء حول البحوث التي أقيمت وستنشر ملخصا لهذه المناقشات عقب البحوث .

الجلسة الثالثة

الاجتهاد في ماضيهِ وحاضره

لفضيّلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن



كان هذا موضوع بحث فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وقد تحدث فيه عن الاجتهاد حديثاً مستفيضاً ، فعرفه لغة واصطلاحاً كما عرف المجتهد ، ثم بين المعاني التي يطلق عليها الاجتهاد عند الفقهاء ، وقال إن الاجتهاد إذا أطلق في عباراتهم ينصرف إلى الاجتهاد المطلق سواء كان مستقلاً أم منقسياً .

وفي الفصل الثاني أبان عن شروط الاجتهاد المتفق عليها بين الفقهاء ، والمختلف فيها ، ورجح رأى الأكثرين من أهل العلم القائلين بأنه لا بد للمجتهد من حفظ القرآن كله ، كما رجح الرأى القائل بأنه لا يشترط الإحاطة بجميع السنن خصوصاً بعد أن دونت الأحاديث في الكتب ، وبوبت تبويباً فقهياً بحيث يسهل الرجوع إليها .

وفي الفصل الثالث بين حكم الاجتهاد ، وقال إنه يكون واجباً عينياً ، ويكون واجباً على الكفاية ، ويكون مندوباً ويكون حراماً والحرام - كما قال - هو ما كان في مقابلة دليل قاطع من نص أو إجماع .

وبين في الفصل الرابع المصيب في الاجتهاد ، وقال في ذلك - على ما ذهب إليه الأكثرون من العلماء - إن لله حكماً معيناً في الحادثة قبل الاجتهاد فن صادفه كان مصيباً ، ومن لم يصادفه كان غلطاً .

وفي الفصل الخامس تحدث عن زمن الاجتهاد ، وذكر أنه مما لا شك فيه أن الاجتهاد وقع في زمن الرسول .

أما اجتهاد الصحابة في زمن الرسول فنههم

الله ألهمهم ذلك ، ومعناه أن الله تعالى لو أدخل زمانا من قائم بالحجة لزال التكليف إذ لا شئت إلا بالحجة الظاهرة ، وإذا زال التكليف بطلت الشريعة .

وقال الزبيرى إن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة في كل وقت ودهر وزمان ، ولكن ذلك قليل من كثير ، فأما أن يكون غير موجود كما قال الخصم فليس بصواب لأنه لو عدم الفقهاء لم تقم الفرائض كلها ولو عطلت الفرائض كلها لحلت الثلثة بذلك في الخلق كما جاء في الخبر ، لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ، ونحن نعوذ بالله أن نؤخر مع الأشرار . انتهى زركشى .

وقال ابن دقيق العيد هذا هو المختار عندنا لكن إلى الحد الذى تنقضى به القواعد بسبب زوال الدنيا في آخر الزمان ، وقال في شرحه خطبة الإمام : د والارض لا تخلو من قائم بالحجة والامة الشريفة لا بد لها من سالك إلى الحجة على واضح المحجة إلى أن يأتي أمر الله بأشراط الساعة الكبرى .

قال الزركشى ومراده بالأشراط الكبرى طلوع الشمس من مغربها مثلاً وله وجه حسن وهو أن الخلو من مجتهد يلزم منه إجماع الأمة على الخطأ وهو ترك الاجتهاد الذى هو فرض كفاية ، وقال والده العلامة بمجد الدين في كتاب تلخيص الأفهام من المجتهد في هذه

من قال بجواز وقوعه مطلقاً سواء كان المجتهد في حضرة الرسول أم كان غائبا . ومنهم من أجاز له أن غاب عن حضرته صلى الله عليه وسلم دون من كان في حضرته .

وفي الفصل السادس تكلم من تجزئ الاجتهاد وذكر اختلاف الأصوليين في ذلك .

أما الفصل السابع وهو الأخير فكان من : لا يخلو عصر عن مجتهد :

اختلف الأصوليون هل يجوز شرعا خلو العصر عن المجتهد ؟

قال الزركشى في البحر المحيط يجوز خلو العصر عن المجتهد عند الأكثرين ، وجزم به في المحصول .

وقال الرافعى الخلق كالمثقفين على أنه لا يجتهد اليوم ولعله أخذه من الإمام الرازى .

ومن قول الغزالي في الوسيط فقد خلا العصر عن المجتهد المستقل .

ونقل الاتفاق فيه عجيب ، والمسألة خلافية بيننا وبين الحنابلة وساعدتهم بعض أئمتنا .

والحق أن الفقيه الفطن للقياس كالمجتهد في حق العامى لا الناقل فقط .

وقالت الحنابلة لا يجوز خلو العصر عن مجتهد وبه جزم الأستاذ أبو إسحاق والزبيرى في المسكت .

فقال الأستاذ وتحت قول الفقهاء لا يخلو الله زمانا من قائم بالحجة أمر عظيم ، وكان

خاتمة الشرائع فإنها متكفلة ببيان أحكام أفعال العباد إلى قيام الساعة وحكمة الله جلّت قدرته تأتي أن يترك الناس سدى من غير مرشد يرشدهم إلى ما فيه صلاحهم في معاشهم ومعادهم ، ويبين أحكام الحوادث المتجددة والدائمة ما دامت السموات والأرض ، وقد تقرر عند الكل أن الاجتهاد فرض كفاية ولا يختص ذلك بعصر دون عصر ولا بزمان دون زمان فالواجب على العلماء أن يحصلوا من شروط الاجتهاد التي تقدم ذكرها ما يتأدى به فرض الكفاية ، فإذا درسوا الكتاب والسنة والأسنة والإجماع والقياس ودرسوا اللغة العربية دراسة تيسر عليهم فهم الكتاب والسنة ، ودرسوا أصل الأصول دراسة تؤهلهم لاستنباط الأحكام من الأدلة الشرعية ، وحصلت عندهم الملكة التي يقتدرون بها على استنباط الأحكام ، وجب عليهم استنباط أحكام الحوادث المتجددة ، فإذا قام بذلك بعضهم سقط الإثم عن الباقين ، وإذا لم يقوم به واحد منهم أثم الجميع ، وهذا الحكم ثابت ودائم ما دامت الدنيا ، فالقول بجواز خلو العصر عن المجتهد المطلق شرطا ، وأن الحق ينحصر في هذه المذاهب الأربعة وأنه لا يجوز العمل بغيرها محجور على فضل الله وتفضيق في رحمته الواسعة التي وسعت كل شيء .

هذا :

الأعصار وليس ذلك لتعذر حصول آلة الاجتهاد بل لإعراض الناس في اشتغالهم عن الطريق المفضية إلى ذلك ، وتوقيف الفتيا على حصول المجتهد يفضي إلى حرج عظيم ، فالجواز قبول فتوى الراوى عن الأئمة المجتهدين المتقدمين .

ثم قال الزركشى : وأما قول الغزالي وقد خلا العصر عن المجتهد المستقل فقد سبقه إليه القفال شيخ الخراسانيين ف قيل المراد بمجتهد قائم بالقضاء فإن المحققين من العلماء كانوا يرغبون عنه ولا يلى في زمانهم غالبا إلا من هو دون ذلك ، وكيف يمكن القضاء على الأعصار بخلوها من مجتهد والقفال نفسه كان يقول للسائل تسأل عنه مذهب الشافعي أما عندي؟ وقال هو والشيخ أبو علي والقاضي الحسين لسنا مقلدين للشافعي بل وافق رأينا رأيه ، فهذا كلام من يدعى رتبة الاجتهاد ، وكذلك ابن دقيق العيد كما نقله ابن الرقعة ، قال الزركشى والحق أن العصر خلا عن المجتهد المطلق لا عن مجتهد في مذهب أحد الأئمة الأربعة ، وقد وقع الاتفاق بين المسلمين على أن الحق منحصر في هذه المذاهب وحينئذ فلا يجوز العمل بغيرها . انتهى . زركشى في البحر المحيطة ملخصا .

والحق أنه لا يجوز شرعا خلو العصر عن المجتهد لأننا قد علمنا أن الشريعة المحمدية

قال العز بن عبد السلام : « ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدافعاً وهو مع ذلك يقلده فيه ويترك من شهد له الكتاب والسنة والأقضية الصحيحة جموداً على تقليد إمامه بل يتحيل لدفع ظاهر الكتاب والسنة ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة فضلاً عن مقلده ، وقال لم يزل الناس يسألون من اتفق من العلماء من غير تقييد لمذهب ولا إنكار على أحد من السائلين إلى أن ظهرت هذه المذاهب وتمصبوها من المقلدين فإن أحدهم يتبع إمامه مع بعد مذهبه عن الأدلة مقلداً له فيما قال كأنه نبي مرسل ، وهذا نأى عن الحق وبعد عن الصواب لا يرضى به أحد من أولى الألباب . »

وقال الإمام أبو شامة : « ينبغي لمن اشتغل بالفتنة ألا يقتصر على مذهب إمامه ويعتقد في كل مسألة صحة ما كان أقرب إلى الكتاب والسنة المحسنة ، وذلك سهل عليه إذا كان أتقن معظم العلوم المتقدمة ، وليتجنب المصعب والنظر في طرائق الخلاف فإنها مضية للزمان ولصفوه مكدره ، وقد صح عن الشافعي أنه نهى عن تقليده وتقليد غيره . » وقال أستاذنا المحقق الشيخ محمد باقر المطيعي فيما كتبه على شرح الاسنوى منهاج

والذي يظهر لي أن النزاع في خلو العصر من المجتهد وعدم خلوه عنه نزاع لفظي لم يتوارد فيه النفي والإثبات على محل واحد فورد النفي غير مورد الإثبات فن قال بالخلو أراد الخلو عن المجتهد المطلق المستقل الذي يبني اجتهاده على الأصول التي وضعها هو ، ولا شك أن الأصول التي يبني عليها استنباط الأحكام قد فرغ منها وليس لأحد أن يزيد عليها ، ومن قال بعدم خلو الزمان عن المجتهد أراد المجتهد المطلق المنتسب الذي يبني اجتهاده على أصول إمامه الذي ينتسب إليه أو المجتهد في المذهب وهو الذي يعرف الأحكام الفقهية التي استنبطها إمامه ويعرف أدلتها وما أخذها ، ويرجع منها ما يقضى الدليل بترجيحه أو المجتهد في الفتوى وهو الذي يعرف الراجح من مذهب إمامه فيفتي به فهو لا يرجع وإنما ينقل الراجح من مذهب إمامه فيفتي به .

فن قال بعدم الخلو أراد أحد هذه الأنواع الثلاثة الأخيرة .

ومن قال بالخلو أراد المجتهد المطلق المستقل وفي هذا الذي ذكرنا بيان لحال الاجتهاد في الماضي والحاضر توخيها فيه الإيجاز مع بيان ما نعتقده حقاً .

وقبل أن نختم البحث ننقل كلام جماعة من علماء الأصول المحققين الذين يعتمد برأيهم يؤيد ما ذهبنا إليه من أن باب الاجتهاد مفتوح إلى قيام الساعة .

وقربت الساعة وهذا القرن الذي نحن فيه قد كان فيه هذان الإمامان وهما الوالد وقبلة شيخه ابن الرفعة ، وكان من أقران ابن دقيق العيد مجتهداً لا شك فيه وما اختلف تلامذة ابن عبد السلام في أنه بلغ رتبة الاجتهاد ، وهكذا لا يعهد عصر إلا وقد أقام الله فيه الحجة بعالم بين أظهر المسلمين ولن تبحر حجة الله قائمة وإن تفاوتت مراتب القامئين وشريعة الإسلام ظاهرة وإن اختلف ظهورها وفق الحمد والشكر انتهى كلام ابن السبكي .

وقال في فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت :
 « ثم إنه قد استدلل بما خرج به حجة الإسلام قدس سره والرافعي والقفال بأنه وقع في زماننا هذا الخلو وفيه ما فيه لأن وقوع الخلو بمنوع وما ذكره مجرد دعوى والإمام حجة الإسلام وإن كان من جملة الأولياء لا يصلح حجة في الاجتهاديات ثم إن من الناس من حكم بوجود الخلو من بعد العلامة النسفي . واختتم الاجتهاد به وهنوا الاجتهاد في المذهب . وأما الاجتهاد المطلق فقالوا اختتم بالائمة الأربعة حتى أوجبوا تقليد واحد من هؤلاء الأربعة وهذا كله من هوساتهم لم يأتوا بدليل ولا يعبا بكلامهم وإنما هم من الذين حكم الحديث أنهم أفتوا بغير علم وضلوا وأضلوا ولم يفهموا أن هذا إخبار

البيضاوي قال الإمام ابن السبكي صاحب جمع الجوامع في كتابه ترشيح التوضيح بياناً بأن والده كان من المجتهدين فإن قلت ما ادعيت من بلوغ الشيخ الإمام درجة الاجتهاد المطلق مردود بقول الخزالي في الوسيط وقد خلا العصر من المجتهد المستقل وهذا لم يتفرد به بل سبقه إليه القفال شيخ الخراسانيين ، وذكره القنوي والرافعي عن الوسيط ساكتين عليه قلت :

قد نظرت في هذا الكلام وفكرت فيه فظهر لي أنه ومن سبقه إليه أرادوا خلافاً من مجتهد قائم بأعباء القضاء فإنه لم يكن في القضاء في زمانهم مروق ولا منظور إليه بكثير علم بل كانت جهابذة العلماء منهم يربأون بأنفسهم عن القضاء وكيف يمكن القضاء على الأعصار بخلوها عن مجتهد ؟ هذا منكم من القول ، والقفال نفسه كان يقول للسائل في مسألة الصبرة تسألني عن مذهب الشافعي أما عندي ؟ وقال هو والشيخ أبو علي والفاضل الحسين وغيرهم لسنا مقلدين للشافعي بل موافقون وافق رأينا رأيه فما هذا بكلام من يدعي زوال رتبة الاجتهاد . وقد قالت طوائف لا يخلو كل عصر عن مجتهد وهي مسألة خلافية بين الأصوليين يعجبني فيها قول المجتهد المطلق تقي الدين بن دقيق العيد : إنه لا يخلو العصر عن مجتهد إلا إذا تداعى الزمان

بالغيب في خمس لا يعلمهن إلا الله . انتهى
كلام شارح مسلم الثبوت .

وقال الشوكاني في إرشاد الفحول ، وما قاله
الغزالي رحمه الله من أنه قد خلا العصر
عن المجتهد قد سبقه إلى القول به القفال
ولكنه ناقض ذلك فقال : إنه ليس بمقلد
لشافعي وإنما وافق رأيه كما نقل ذلك عنه
الزركشي وقال قول هؤلاء القائلين بخلو
العصر عن المجتهد بما يقضى منه العجب فإنهم
إن قالوا ذلك باعتبار المعاصرين لم فقد عاصر
القفال والغزالي والرازي والرافعي من الأئمة
القائمين بعلوم الاجتهاد على الوفاء والكمال
جماعة منهم ومن كان له إلمام بعلم التاريخ
والاطلاع على أحوال علماء الإسلام في كل
عصر لا يخفى عليه مثل هذا بل قد جاء بعدهم
من أهل العلم من جمع الله له من العلوم فوق
ما اعتده أهل العلم في الاجتهاد وإن قالوا
ذلك لا بهذا الاعتبار بل باعتبار أن الله عز
وجل رفع ما تفضل به على من قبل هؤلاء
من هذه الأمة من كمال الفهم وقوة الإدراك
والاستعداد للعارف فهذه دعوى من أبطل
الباطلات بل هي جهالة من الجهالات ، وإن
كان ذلك باعتبار تيسر العلم لمن قبل هؤلاء
المنكرين وصعوبته عليهم وعلى أهل عصورهم
فهذه أيضا دعوى باطلة فإنه لا يخفى على من
له أدنى فهم أن الاجتهاد قد يسره الله للتأخرين

تيسيرا لم يكن للسابقين لأن التفاسير والكتب
العزیز قد دوفت وصارت في الكثرة إلى حد
لا يمكن حصره والسنة المطهرة قد دوفت
وتكلم الأئمة على التفسير والتجريح
والتصحيح والترجيح بما هو زيادة على
ما يحتاج إليه المجتهد .

وقد كان السلف الصالح ومن قبل هؤلاء
المنكرين يرسل الحديث الواحد من قطر
إلى قطر فلا يجتهد على المتأخرين أيسر وأسهل
من الاجتهاد على المتقدمين ولا يخالف
في هذا من له فهم صحيح وعقل سليم وإذا
أمعنت النظر لوجدت هؤلاء المنكرين إنما
أوتوا من قبل أنفسهم فإنهم لما عكفوا
على التقليد واشتغلوا بغير علم الكتاب والسنة
حكموا على غيرهم بما وقعوا فيه واستصحبوا
ما سهله الله على من رزقه الله العلم والفهم ،
وأفاض على قلبه أنواع علوم الكتاب والسنة
ولما كان هؤلاء الذين صرحوا بعدم وجود
المجتهدين شافعية فما نحن أولاء نذكر لك
من وجد من الشافعية بعد عصرهم من
لا يخالف بخلاف في أنه جمع أضعاف علوم
الاجتهاد ففهم ابن عبد السلام ، وتلميذه
ابن دقيق العيد ثم تلميذه ابن سيد الناس ،
ثم تلميذه زين الدين العراقي ثم تلميذه ابن
حجر العسقلاني ثم تلميذه السيوطي . فمؤلا
سنة أعلام كل واحد منهم تلميذ من قبله

حصره فقد تجرأ على الله عز وجل ثم على شريعته الموضوعة على كل عباده ثم على عباده الذين تعبدهم الله بالكتاب والسنة ثم قال فإن هذه المقالة تستلزم رفع التعبد بالكتاب والسنة وأنه لم يبق إلا تقليد الرجال الذين هم متعبدون بالكتاب والسنة كتعبدهم من جاء بعدهم على حد سواء ، فإن كان التعبد بالكتاب والسنة مختصاً بمن كانوا في العصور السابقة ولم يبق لهؤلاء إلا التقليد لمن تقدمهم ولا يتمكنون من معرفة أحكام الله من كتاب الله وسنة رسوله فما الدليل على هذه التفرقة الباطلة والقسالة الزائفة وهل النسخ إلا هذا سبحانه هذا بهتان عظيم « انتهى شوكانى » .
والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

نور الحسن

قد بلغوا من المعارف العلمية ما يعرفه من يعرف مصنفاتهم حق معرفتها ، وكل واحد منهم إمام كبير فى الكتاب والسنة محيط بعلوم الاجتهاد إحاطة متضاعفة عالم بعلوم خارجة عنها ثم فى المعاصرين لهؤلاء كثير من المائلين لهم ، وجاء بعدهم من لا يقصر عن بلوغ مراتبهم والتعداد لبعضهم فضلاً عن كلهم يحتاج إلى بسط طويل .

وقال الزركشى فى البحر ولم يختلف اثنين فى أن ابن عبد السلام بلغ رتبة الاجتهاد وكذلك ابن دقيق العيد ثم قال الشوكانى ، وبالجملة فتطويل البحث فى مثل هذا لا يأتى بكثير فائدة فإن أمره أوضح من كل واضح ، وليس ما يقوله من أسرار التقليد بلازم لمن فتح الله عليه أبواب المعارف ورزقه من العلم ما يخرج به عن تقليد الرجال . ثم قال ومن حصر فضل الله على بعض خلقه وقصر فهم هذه الشريعة المطهرة على من تقدم

الجلسة الرابعة

فلسفة الحرية في الإسلام

لفضيلة الأستاذ الشيخ نديم الجسر



هذا موضوع البحث القيم الذي تقدم به سيادته لمؤتمر المجمع في دورته الأولى ، وقد مهد له بذكر الحافز له على اختياره وأجزه في أمرين :

أولها : نظرة غير المسلمين من مواطنين وأجانب إلى الإسلام من خلال منظار مسلط على واقع حياة المسلمين مع ما قد يكون من تحجاف هذا الواقع مع مبادئ الإسلام الصحيحة السامية وأوضح خطأ هذه النظرة

وثانيها : ما يراه من أن دعوة الإصلاح يجب أن تقوم على أساس من حرية الفكر الذي تتلاقى عليه العقول السليمة . وهو يتلاقى دائما مع ما في الإسلام من حق وخير وجمال وكمال .

ثم أوضح سبب قيام المشاكل في المجتمع وعرض لأهمها في العصر الحاضر وإمكان حلها في ضوء تعاليم الإسلام والفكر الإسلامي وتلك المشاكل التي عرض لها في هذا البحث هي مشكلة الصراع المستمر بين رغبة الفرد بحكم غرائزه في ممارسة حريته المطلقة وبين رغبة المجتمع بحكم العقل في تقييد هذه الحرية كلما دعت لذلك حكمة الحياة الاجتماعية والفوضى

الأخلاقية والعائلية والتمييز العنصري والإيمان والإلحاد ، والمسلكية بين الإطلاق والتقييد . وقرروا في كلامه أن الأديان السماوية وفي مقدمتها الإسلام لا تختلف مع العقول السليمة في تحديد الأخلاق السكرية وتميزها من الفاسدة فالزنا وتعاطي المسكر ولعب الميسر والسفاهة والتبذير كلها أمور مردودة يمتنعها العقل ، ومفهوم الحرية في الإسلام يقضى بمنعها لما فيها من الضرر بالفرد والأسرة والمجتمع . وتناول في كلامه عن مشكلة الأسرة حرية المرأة وحرية الطلاق وتعدد الزوجات وتحديد النسل ، فذكر عن حرية المرأة

الإيمان والإحاد . فقد أوضح الباحث في كلامه
 ههما أن حل الإسلام لما يقوم على أساس
 مفهوم الحرية الطبيعية والضرورية للإنسان
 من حيث هو إنسان . فمن حيث التمييز العنصري
 أثبت أن هذا المفهوم واضح مقرر في آيات
 كثيرة من القرآن عددناها ونذكر منها - الآية ١٣ -
 من سورة الحجرات : «يا أيها الناس إنا خلقناكم
 من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل
 لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» .

ومن جهة الإيمان والإحاد يتضح هذا
 المفهوم أيضاً في دعوة الإسلام الإنسان إلى
 الإيمان عن طريق الفكر والنظر . وفي صيائمه
 لأهل العقائد التي لا تصطدم بالحق والخير عن
 الإكراه . وعلى هذا الأساس هو مل أهل
 الكتاب والنجوس . وأيضاً في اكتفائه
 بعرض وجهة نظره في الوحدة الحقة المبرأة
 عن كل شائبة عرضاً مهنياً لا إكراه في الدين
 قد تبين الرشد من الغي» .

وذكر في علاج الإسلام لمشكلة الملكية
 بين إطلاقها وتقييدها على ضوء مفهوم الحرية
 الذي قرره أن حرية التملك وحرية التصرف
 في المملوك عقاراً أو منقولاً أو نقداً ، وحرية
 التعاقد بين الناس كلها حقوق طبيعية مالم
 تصادم هذه الحرية حقاً أي خيراً لصالح الفرد
 أو المجموع ، فإذا حصل ذلك توقفت هذه

في الإسلام أنه لا يوجد شرع ولا قانون قديم
 أو حديث بلغ في تعدد حريتها مبلغ الإسلام
 وأوضح ذلك بعقد مقارنة بين ما منحه الإسلام
 لها من حق حرية الزواج بمن تريده وحرية
 التصرف فيما تملكه ، وحرية طلب الطلاق
 عند الضرر وحرية الخدمة والعمل وبين
 ما كانت عليه المرأة الغربية إلى عهد قريب
 من الحرمان من التصرف في مالها إلا بإذن
 من زوجها وحرمانها من تعاطي الأعمال
 وحق طلب الطلاق .

وأما حرية الطلاق وتعدد الزوجات وتحديد
 الفسل فقد قرر في وضوح لا مزيد عليه أن
 المفكر المنصف لا يمكنه الاقتناع بسلامة
 الرأي القائل بمنع الطلاق أو تقييد الحرية
 فيه إلى الحد الذي يقرب جنة النعيم الزوجي
 إلى جحيم . كما لا يمكنه الماراة في أن إباحة
 التعدد بمعناها الصحيح الذي حدده الإسلام
 قد تصبح ضرورة لحل مشكلة من أعظم
 المشاكل من الناحية الصحية ، أو العائلية ،
 أو الخلقية . حين تنقلب في هذه الحالات
 غايات الزواج ويهاجم إلى آلام وكروب ،
 وهكذا الأمر في تحديد الفسل فإن علاج
 الإسلام لهذه المشاكل يمكن اعتباره متواءماً
 مع مفهوم الحرية الصحيح الذي اعتبره
 الإسلام حقاً طبيعياً للإنسان .

وأما مشكلة التمييز العنصري ومشكلة

الحق في الرجوع عن هذا الإقطاع ، وقال آخرون هذه الملكيات الكبيرة باطلة في أساسها ، لأنها ما تكونت وتضخمت إلا من الغصب والإكراه والعدوان على صغار المالكين ، فللدولة أن ترد الحق إلى نصابه ، وزعم غيرهم أن الملكية وظيفة اجتماعية . وقال المانعون إن حق الملكية في الإسلام حق مقدس لا يجوز مسه أبدا .

وهكذا تردد الآراء بين الإفراط والتفريط فما هو الحل الوسط العدل المعتدل الذي نجيذه شريعة الأئمة الوسط ؟ .

لا ريب في أن حجج المنكرين لحق الملكية من أساسه تتناقض مع حرية التملك التي أوضحنا بإسهاب أنها حرية طبيعية وبديهية وناظمة وضرورية في نظر الإسلام .

أما رأي الأئمة ثلثين بإبطال الملكيات الكبيرة لأنها تكونت من الغصب والإكراه والسرفرة فإن حججهم فيه ليست بالحجة القاطعة الشاملة لكل الملكيات ، والتحقيق عن الغاصب وغير الغاصب يصطدم بصعوبات كبيرة تجعله كالمستحيل بسبب قدم العهد وتفرق الحصص بين وراث الغاصبين والمشتريين منهم ، وهي صعوبات تشبه الصعوبة التي أدركها عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه حين أراد أن يسترد أراضى الدولة التي كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أبقاها في أيدي أصحابها أهل البلاد

الحرية وأمكن الحد منها . وأيد ذلك بذكر موقف الإسلام من مشكلة سوء التصرف في استعمال الحق وكيف عالجها علاجاً يدل على سمو نظرته في فهم معنى الحرية الفردية فهما سبق به الإسلام كل التشريعات المعاصرة . ونفذ الرسول صلى الله عليه وسلم عملياً بقضائه للأنصارى صاحب الحائط ضد سمرة بن جندب الذى أساء استعمال الحق

وختم السيد الباحث هذا الباب بالكلام على تحديد ملكية الأرض الزراعية ومدى إمكان حل مشكلتها في ضوء مفهوم الحرية المقررة في الإسلام وإليك نص بيانه في ذلك :
تحديد ملكية الأرض :

وتعودنا هذه الأبحاث في حرية التملك وحرية التصرف إلى البحث الأعظم وهو تحديد ملكية الأرض الذى يعالج في بعض بلاد الإسلام باستملاك قسم من الملكيات الزراعية الكبيرة بشمها وتوزيعها على الفلاحين الذين لا يملكون من أرض الوطن شبرا واحدا ، بدلا من معالجته بالطريقة الشيوعية المتطرفة التي تنزع الأراضي كلها وتعتبرها ملكا للدولة . لقد كثرت الأقاويل والحجج والاعتراضات والرود حول جواز تحديد الملكية الزراعية فقال بعض المجيزين إن الأرض وخيراتها ملك لله ونحن مستخفون فيها ، وقال بمضهم إن الأرض ملك الدولة تقطعها من تشاء ولها

كلا . إن الإسلام لم يحدد أمام هذه المعضلة ولم يعجز عن حلها ، بل أوجد لها الحل الصحيح الحكيم عندما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى في الآية (٧) من سورة الحشر : ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم .

فانحصار الثروة الأرضية في أيدي الأغنياء يتداولونها بين بعضهم دون أن يكون لغيرهم من الفقراء أى حصة فيها أو أمل في تداولها هو أمر لا يرضاه مالك الملك الرزاق العليم الحكيم لأنه يعلم بحكمته أنه مخالف لمصلحة المجتمع .

وسيان أن يكون هذا الانحصار حاصلا بتملك سابق لنزول الآية أو بتملك جديد بعد نزولها لأن العلة في منع الانحصار قائمة في الحالتين .

والحالة الاجتماعية في كل بيئة هي التي تدور عليها الحكم فإذا بلغت الحد الذى يجعل الشعب طبقتين : طبقة تملك كل الأرض وطبقة لا تملك شبرا من الأرض كما كان واقع الأنصار أهل المدينة مع المهاجرين إليها نشأت من هذا التفاوت العظيم ضرورة اجتماعية تقضى المصلحة العامة بمعالجتها معالجة معقولة لا يقصد بها حصول التساوى بين

المفتتحة لينتفعوا بها ويؤدوا خراجها من غير أن يبيعوها ، ثم أباح بنو أمية بيعها .

فقد وجد ثانياً العمرين أن الأراضى قد توزعت في الموارث وانتقلت بالبيع لأيد كثيرة ، وفي استردادها صعوبة لا تتحقق معها العدالة فصرف النظر عن استردادها ومنع بعد ذلك من بيعها .

أما المانعون لتحديد الملكية فإنهم يحددون أمام حكمة الآية الواردة في سورة الحشر ويحددون أمام حكمة القاعدة الشرعية السامية الفاتحة : (إن الضرورات تبيح المحظورات) .

إن تجمع الملكيات الكبيرة وتركزها في أيدي أفراد قليلين مع حرمان ٩٩ بالمائة من الشعب من الملكية لشيء من أرض الوطن ، كان وما زال يؤلف المشكلة التي تنبه لها وحال دونها عمر بن الخطاب والصحابه حين أبوا أن يعطوا أراضى البلاد المفتتحة إلى المسلمين الفاتحين ، كي لا تكون دولة بينهم فتحرم من الملكية بالمرّة الأجيال القادمة من المسلمين ، فجعلوها ملكاً خراجياً للدولة كما سبق القول . وهى مشكلة اجتماعية كبرى أصبحت تطوى في الأعماق خطراً كبيراً على الدولة الإسلامية بل على الإسلام كله .

فهل تعتبر أحكام الإسلام جامدة عاجزة عن حل هذه المعضلة ؟

الإسلام المفاهيم بتقليد الأجانب المتأخرين مع المستعمر على الدولة ، قد أورشهم نعيم الحرف لبنان عظامهم وترهلا في جلودهم ، ورقة في أخلاقهم وخوراً في قلوبهم . . . فإذا اجتاحت البلاد جائحة د رضوا بأن يكونوا مع الحوالم وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ، ...

أما الذين يؤلفون السواد الأعظم من الشعب ، الذين يقدمون إلى الموت عند الذود عن الوطن والذين كان من شأنهم في أيام من الإسلام ؛ أن يكونوا حماة الحى ، لأن الإيمان ربط على قلوبهم والعمل قوى سواعدهم ، والشدائد شددت عزائمهم ، فقد أصبحوا ، بحكم هذا الظلم الاجتماعى الذى وانقهم طيلة دور الانحطاط الإسلامى ، يقبعون فى أوكار من الفقر والبؤس والذل ، جياح البطون ، عراة الأبدان حفاة الأقدام ، مراض الأجسام قلوبهم محشوة بالحق على المترفين الذين عبدوهم وأذلوم ، وعلى الدولة التى لا تعرفهم إلا عند الخدمة العسكرية ، وعلى الأقدار التى يتمونها ، فهم إلى الكفر بالله أقرب منهم إلى الإيمان .

هذا هو حال المسلمين وبه استطاع الاجنبى المستعمر أن يظاً بنعاله وقابهم ويمتص منابع الثروة فى بلادهم ، ويتخذ من مساجدهم مرابط للخيمول ومن بناتهم خادعات ،

الناس فى الثروة فالتساوى أمر اقتضت حكمة الله ، الذى فضل بعض الناس على بعض فى الرزق ، أن يكون مستحيلاً ولكن يقصد بتلك المعالجة تخفيف أثر الطبقة التى تجعل فئة أسياد الأرض وفئة أقدان الأرض بل أقدان الأغنياء ، لكى لا تنقطع الصلة بالمرء ، بين المواطنين وأرض الوطن ، وليحل التواد والفرام والتشادحل التباغص والقسوة والتنافر بين أعضاء الجسد الواحد الذى إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحنى والسر .

فهل نحن المسلمين فى واقعنا الاجتماعى بهذا التفاوت العظيم الذى يستوجب المعالجة ؟ إن الصورة الواقعية لكل قطر من الأقطار الإسلاميه منذ فكاً كأت علينا الأمم وتألبت علينا جيوش المستعمرين تسكاد تكون على الوجه الآتى :

قطر مترامى الأطراف ، غنى التربة ، غزير المياه ، هظيم السكنوز ، يملك جزء من ألف جزء من سكانه تسعين بالمائة من أرضه والباقى من السكان لا يكادون يملكون شيئاً .

والأغنياء مالكو الأرض مؤلاء أكثرهم أصبحوا من المترفين السفهاء المبذرين المتخشين المتفككين الزبالة المقاسرين المحتكرين لموارد الثروة المفسدين لضائر المحكام بالرشوة ، الساخرين من شعائر

يحميهم من تحديد الملكية ويحفظ عليهم ترفهم
ولكن غاب فآلهم فالاستعمار قد ذهب من
العالم إلى غير رجعة . ولكن الشيوعية هي
التي ستأتي إذا دام هذا الظلم الأسود يلف سواد
الشعب السكاح ...

وليت المترفين الذين يبخلون بقسم من
أراضيهم وأموالهم يدركون حكمة الغزالي رحمه
الله حين يقول في (المستقصى) : —

إذا خلت الأيدي من الأموال ، ولم يكن
من مال المصالح ما بني بمخرجات العسكر ،
وخيف من ذلك دخول العدو بلاد الإسلام
أو ثوران الفتنة من قبل أهل الشر ، جاز
للإمام أن يوظف على الأغنياء مقدار كفاية
الجند لأننا نعلم أنه إذا تعارض شران
أو ضرران قصد الشرع دفع أشد الضررين
وأعظم الشرين وما يؤديه كل واحد من
الأغنياء قليل بالإضافة إلى ما يخاطره من
نفسه وماله ، لو خلت خطة الإسلام من ذي
شوكة يحفظ نظام الأمور ويقطع مادة
الشرور .

ألا رحم الله الغزالي فقد كان وهو
في (طوس) يشم ريح الشيوعية تهب من
مكان قريب . والسلام عليكم ورحمة الله .

نريم المجر

عضو مجمع البحوث

مفتي طرابلس ولبنان الشبلى

ومن شبانهم خدما وجنودا يقدفهم إلى
خطوط النار الأولى ، ويحتكر لنفسه النفط
الذي ينبع من أرضهم ليحرقهم بناره ...

فهل يجوز بعد هذا أن نقول لمن يريد
إصلاح هذا الحال بشيء من العدل الاجتماعي
إن حق الملكية حق مقدس لا يجوز مسه ؟

وبعد فإن الإسلام يبيح استملاك العقار
بل استملاك المسجد وهدمه لتوسيع الطريق
وكل قرانين العالم تجيز ذلك اليوم فهل نقول
بجواز الاستملاك لتوسيع الطريق ، وهو أمر
تافه في الإصلاح ، ولو كان العقار المستملك
لأيتام لا يملكه سواه ، ثم تنسك على الدولة
استملاك قسم من أرض فرد غني يملك ألوف
المكترات ، إذا كانت مصالحة الأمة والدولة
والاجتماع كلها في خطر محقق واقع أو وشيك
الوقوع ؟

إن جميع شرائع السابوية والأرضية متفقة
على وجوب تفضية الأفراد بأرواحهم
في سبيل الدفاع عن شرف الوطن أو عن حق
تافه من حقوقه فهل تنسك على الدولة حقها
في استملاك قسم من أملاك الأغنياء بشئ إذا
كان الوطن بأرضه وسكانه أمام خطر
الاستعباد ... ؟

إننا إذا دام هذا الحال صاترون إلى أحد
المصيرين : الاستعمار أو الشيوعية وإننا لا علم
أن المترفين يفضلون الاستعمار الرأسمالي الذي

الجلسة الخامسة

قضية الاجتهاد

للأستاذ الفاضل بن عاشور



جعل الاجتهاد على مراتب، منها ما يمكن أن ينقطع ومنها ما لا يمكن أن ينقطع، وقد بين الاجتهاد الذي لا يمكن أن ينقطع وهو من تحقيق الحائط: بما هو حاصل بعد ثبوت الحكم بمدركه الشرعي، وهو راجع إلى إدخال جزئيات القضايا تحت الحكم، لا إدخال جزئيات الاحكام تحت الدليل، فليس هو من الاجتهاد الذي نقصده، وإنما هو عمل القاضي في تنزيل الحكم المدون على القضية النازلة، والملف المقلد عندما يبين انطباق حكم مقرر من قبل على الصورة المسئول عنها، وقد صرح ابن قاسم في الآيات البيّنات، بأن صاحب هذه المرتبة ليس من الاجتهاد في شيء.

وأما الصورة التي فوق هذه، مما جعله

تناول فضيلة الباحث موضوع الاجتهاد على نحو آخر، غير النحو الذي تناوله عليه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن، فأرخ لهذا الفصل من الفقه الإسلامي، وتبع الاجتهاد منذ نشأ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن قوى واشتد في القرون الثلاثة الأولى، إلى أن أصابه بعض الوهن والضعف في القرون المتأخرة ثم ظهرت في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر الدعوة التجديدية الإصلاحية التي قادها السيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده. ثم تسأل: هل انقطع الاجتهاد؟ أو استمر مطرداً؟ فإذا كان قد انقطع، فماذا نعني بتجديده؟ وإلام نهدف من ذلك؟ وإن كان لم ينقطع فما الذي نشكوه من أمرنا اليوم؟ وما هو السبيل إلى علاج ما نشكوه؟

إن وضع هذا السؤال المفرج، في خاتمة المطاف، ليعود بنا إلى ما كنا نرجو عليه: من مسألة صور الاجتهاد ومرتبه التي قال بها أكثر علماء الأصول.

ولقد أحسن ضبطها وتلخيصها أبو إسحاق الشاطبي في كتاب الاجتهاد من المرافعات: إذ

بإمكانه قد حصل بالفعل، وأن العلماء والعامة من المسلمين قد قنعوا بمالة انقطاعه ولم يحدث لهم اختلالاً في أمرهم ، ولا اضطراباً ، كالذين نحن فيهما اليوم .

وإنما كان هذا الاكتفاء - في الحقيقة - راجعاً إلى أن أوضاع الحياة الفردية والاجتماعية قد استمرت منذ أن انقطع الاجتهاد المطلق ، إلى أن ظهرت الحركة الإصلاحية الحديثة صدر القرن الحاضر متحدة أو متقاربة جداً ، في عامة مقوماتها فكانت التقادير والاعتبارات التي أخذ بها الفقيه في القرن الثالث والقرن الرابع ، باقية بعميقها ، لا يستطيع فقيه في القرن الثامن أو التاسع أن يأخذ إلا بها ، وإذا كانت صور تقدير الحوادث النازلة قد بقيت متشابهة فإن الرجوع بها إلى الدليل لا يكون إلا من الطرق التي رجعت إلى الدليل منها عند المتقدمين فيكون تشابه الحوادث قاضياً بتشابه الأدلة ، وتقارب مسالك الاستدلال ، فبذلك لم ينهياً تكون دافع يدفع بالفقيه إلى النظر في الأدلة ومسالك الاستدلال ، بحيث أصبحت أكثر الصور التي تعرض للحياة الناس بعد استقرار المذاهب وتمام التفريع فيها سابقاً حدوثها تقرير الحكم لها إذا أكد المقيمه ذهنه بوضع حكم لها لم ينته به كده إلا إلى تحصيل الحاصل ، وقد نقل عن إمام الحرمين أنه قال :

الشاطبي قابلاً للانقطاع ، فهو محل بحثنا ، وهي التي رأينا أنها انقطعت بتنازل متتابع درجة فدرجة عند جمهرة الفقهاء ، ولكننا رأينا أيضاً أن ذلك التنازل لم يشمل جميع الفقهاء ، لوجود قلة تدافع في كل عصر حكم التنازل الذي أتى على الأكثرين ، والذي بمقتضاه اعتبر المجتهدون درجات على ما بينه الأصوليون : فالدرجة العليا وهي درجة الاجتهاد المطلق هي التي أبغنا بانقطاعها وتعطل سبيلها منذ ألف سنة ، وما أمكننا أن نجد بعد الفرق الرابع من بلغ لايها ، على كثرة ما تطلع الناس إلى مقام الاستقلال في الاستدلال لأننا وجدنا قصارى ما بلغ إليه الباعثون : اختياراً لقول من بين أقوال ، على طريقة الإنصاف ، أو رجوعاً إلى دليل لاستنباط حكم لم يستنبطه واحد من السابقين ، لكن على المناهج التي كانوا قد سلكوها من قبل للاستدلال . وأجيب ما في ذلك أن الذين ذهبوا إلى الاجتهاد ، من القدماء والمحدثين ، وأتوا بما عدوه ، وعده الناس ههنا اجتهدا ، لم يكونوا فيما أتوا إلا في المراتب الدنيا من مقامات المجتهدين ، فهل زاد الواحد منهم على الاستقلال بالفتوى في مسائل معدودة ؟ أو الانتصار لمذهب غير مذهبه ؟ أو لقول متروك أو ضعيف أو مرجوح ؟

فالحق أن الانقطاع الذي قال الشاطبي

مستعار ، دخيل على المسئلة ، غريب على الدين ؟ وقد رأينا أن كل ما سبقت محاولته في هذا الباب راجع إلى مسائل جزئية أكثرها نازل بمراتب عن مرتبة الاجتهاد المطلق الذى تكلمنا على انقطاعه ، وقد قال والدنا الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه : « مقاصد الشريعة الإسلامية » ، وقد اشتدت الحاجة إلى أعمال النظر الشرعى والاستنباط والبحث عما هو مقصد أصلى للشارع وما هو تبع ، وما يقبل التغيير من أقوال المجتهدين وما لا يقبله . . وبين أن الطريق إلى ذلك هو جمع يجمع على محضره من أكابر علماء كل قطر إسلامى على اختلاف مذاهب المسلمين ليدسطوا بينهم حاجات الأمة ويصدروا فيها عن وفاق فيما يتعين حمل الأمة عليه .

فها هو حاضر الاجتهاد اليوم بين يدي هذا المجمع الجليل فأى طريق هو سالك إلى تحقيق ما لم يزل ينادى به المهملون الصادقون فى أمر الاجتهاد .

إن الطريق الأفقود إلى تحقيق تلك الغاية إنما هو المشروع فى عمل علمى صحيح يبنى - قبل كل شئ - على أن الذى يراد بعشه أو تجديده إنما هو اجتهاد حق ، وليس نقضا للاجتهاد أو عثافيه . وذلك بتبهير الباحثين بأن الاجتهاد حركة عقلية فى أحكام الدين المشروعة لمصالح الأمة ، كما بنينا عليه أول البحث ، وليس الاجتهاد مجرد حركة عقلية تنجيه مباشرة إلى المصالح . فهو صوص الوصى

يبعد أن تقع مسألة لم ينص عليها فى المذهب ولا هى فى معنى المنصوص ولا مندرجة تحت ضابط فتبقى المسائل القليلة ، التى لا تبعد كثيرا عن أخواتها بما لا لعامل التخرج أو الترجيح ، ولذلك فإن تعطل الاجتهاد المطلق وتنازل الاجتهاد فى المراتب ، لم يكن فيما قبل القرن الثالث عشر إلا نقصا علميا يحق لمن شكوا أن يشكوا ، لكن لم يترتب عليه خلل اجتماعى .

أما بالنسبة للقرنين الأخيرين فإن الأوضاع انقلبت انقلابا تاما بحيث أصبحت المسائل المدونة فى كتب الفقه قليلة النظائر فى الحياة العملية الحاضرة ، وذلك هو الذى جعل مشكلة الاجتهاد مصورة فى يومنا الحاضر بما لم تتصور به فى القرون العابرة ولا يمكن أن تتصور به ، فقد أصبحت مظهرا لانعزال الدين عن الحياة العملية ، وأندفاع تيار الحياة بالأمة الإسلامية فى مجرى الهوى ، الذى ما جاء الدين إلا ليخرج بالمكلفين عن داهيته فإذا استطاعت الدولة الإسلامية أن تلتق قوانين للأحوال الشخصية ، تستمد من المذاهب المختلفة ، نصا أو تخريجا ، فإن هى من بقية القوانين العامة والخاصة ؟ وأين الدارسون للشريعة ؟ والباحثون فى الأحكام والداعسون إلى الاجتهاد فيها من مبالغ الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والقانونية التى تطفح على بلاد الإسلام بكل نظام أجنبى

منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم والفتيا
 « وقد خط الشاطبي - في كتاب المقاصد من
 الموافقات - بين يدينا منهجا واضحا في اعتبار
 المصالح ، واقتضاء الشرع إياها ، وطريق
 جلبها بالأحكام الشرعية ، وإن سبقة إلى
 الإمام بذلك الشيخ هز الدين بن عبد السلام
 في مقدمة « القواعد » ، ونجم الدين الطوفي فيما
 كتبه في شرحه على الأربعين النووية ، على
 حديث « لا ضرر ولا ضرار » ، وهو ما أبرزه
 في عرض وتلخيص محكمين الأستاذ مصطفى
 زيد في رسالته التي أحرز بها درجة الأستاذية
 في الشريعة من كلية دار العلوم . وبناء على
 مراعاة المصالح التي قصد الشرع إلى اجتلابها
 بعد ضبطها وتفصيلها يقع تقرير القواعد
 السلكية التي نوه بشأنها القرافي .

وهذه القواعد قد سبق الاعتيان بها من
 قديم ، من فتهاء المذاهب الأربعة . فآلف
 فيها القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادى
 المسالك في القرن الخامس كتابا سماه :
 « الجوع والفروق » ، لم تقف عليه ، ولكن
 ذكره تلميذه مسلم بن علي الدمشقي في كتابه
 « في الفروق » ، وهو كتاب توجد نسخة
 مخطوطة منه أو من مختصر له في خزنة
 جامع الزيتونة الأعظم بتونس ، وجابر
 عز الدين بن عبد السلام في القرن السابع ،
 فألف كتاب القواعد ، وطبق فيه في جزئيات

هى مادة الاجتهاد الأولى ، ومنها تستمد
 القواعد التي تكون مبادئ للأفكار المتحررة
 تطبق الدين على حياة العصر ، بما يرجع
 به الظن أنه مراد الله من مصلحة الأمة اليوم
 وإذا كان الاستنباط من الأدلة يعتمد - من
 جهة - على مسالك الاستدلال التي بحث فيها
 القدماء ، وتضمنها علم أصول الفقه ، فإن تلك
 الجهة ليست إلا نصف أصول الشريعة فقط ، كما
 بينه شهاب الدين القرافي في أول كتابه في الفروق
 وأما النصف الآخر فهو الذى ذكر القرافي أنه
 لم يذكر منه شئ في أصول الفقه : وهى القواعد
 الفقهية الكلية . ولعل مسالك الاستدلال ،
 المذكورة في أصول الفقه ، الراجعة إلى مفاد
 الألفاظ ، وما يمرض لها ، وما يرجع إليها ،
 لا تقتضى منا جديدا كثيرا ، وهى ليست الأهم
 من النصفين ، وقد جعلها الشاطبي خادمة للنصف
 الآخر . ولكن لنأني النصف الآخر : نصف
 القواعد ، سبحانه وطوبى ، لأنه - كما قال الشاطبي
 في المسألة الثالثة من كتاب الاجتهاد في الموافقات
 - مبنى على فهم مقاصد الشريعة ، وذلك
 المقاصد مبنية على اعتبار المصالح ، والمصالح
 معتبرة من حيث وضع الشرع ، لا من حيث
 مطلق إراك المكلف . قال الشاطبي : فإذا
 بلغ الإنسان مبلغا به يفهم عن الشارع قصده في
 كل مسألة من مسائل الشريعة وفي كل باب من
 أبوابها فقد حصل له وصف هو سبب في تنزله

والمأني ، فإذا كان استقراؤهم قد انتهى بهم إلى قواعد خلافية بين المذاهب ، فإن هذا الاستقراء لو سلط عليه استقراء لأمكن أن يستخرج به من تلك القواعد الجزئية قواعد اتصافية ، تكون أصولاً مشتركة بين المذاهب ومباني عامة للفقهاء الإسلاميين من حيث هو ، وبذلك نسمو عن النظريات الظنية ، إلى القطعيات اليقينية كما يريد الشاطبي من أصول الفقه ، ولعله لهذا الغرض وضع كتاب المواقفات في مقابلة كتب الفروق . وقد حاول المروزي منذ القرن الرابع وضع هذه القواعد ولكنه ساء بها إلى الأصل العالي ، فجاءت قليلة بجملة ، وهي الأربعة التي في خاتمة كتاب الاستدلال من « جمع الجوامع » : (اليقين لا يرفع بالشك ، والضرر يزال ، والمنفعة تجلب التيسير ، والعادة محكمة) .

ففي الوسط بين التفصيل النازل : الذي درج عليه أصحاب القواعد والفروق ، والإجمال العالي : الذي اعتصم به القاضي الحسين ، نجد القواعد الكلية القطعية ، التي هي ملاك مقاصد الشريعة ، فنبحث بها النصف الثاني من أصول الفقه ، ونجدد الاجتهاد الرشيد في أفقه الأعلى ونتمكن للدين سلطانه على حياتنا بعد أن انفلتت عنه ، والله المستعان .

الفاضل بن عاشور

المسائل معنى انبناء الشريعة على جلب مصالح المكلفين . وتبعه تليذه شهاب الدين القرافي فألف كتابه الشهير في المروق ، وأبدع فيه ما شاء . وألف في القرن الثامن زين الدين رجب الحنبلي كتاباً في القواعد ، رتبته على الأبواب وفتح عنها جزئياتها ، وعالم فاس الكبير أبو عبد الله المقرئ كتاباً في القواعد الضابطة لأوجه الخلاف وفي القرن التاسع ألف أبو العباس الوائشري التلمساني كتاباً سماه القواعد أيضاً جملة معاهد لمسائل الخلاف وألف في القرن العاشر الشيخ زين الدين بن نجيم الحنفي كتاباً في الأشباه والنظائر ، فجعله أصولاً للمذهب الحنفي استنبطها من استقراء الجزئيات ، وجعلها مداراً للاختلاف الأصلي بين المذهب الحنفي وغيره .

وهؤلاء الأئمة جميعاً ، وإن أبدعوا في إبراز القواعد إلا أنهم نظروا فيها إلى الناحية الاختلافية ، ففهم من جعلها لضبط المذهب وتناسب فروعه : مثل القرافي وابن رجب ، ومنهم من جعلها مرجعاً لبيان مباني الاختلاف مثل المقرئ الذي يقول أول كتابه : « قد صدت إلى تمهيد ألف ومائتي قاعدة هي الأصل القريبة ، لأهميات مسائل الخلاف المبتدئة والغريبة . رجوت أن يقتصر عليها من سميت به المهمة إلى طلب المباني ، وقصرت به الأصول عن الوصول إلى مكان النصوص من النصوص

التلفيق بين أحكام المذاهب

الأستاذ محمد أحمد فرج السنهوري



استهل الأستاذ الفاضل كلامه قبل الدخول إلى الموضوع فبين أن المسألة الملفقة أو التلفيق في التقليد أو تخيير المقلد من أحكام المذاهب ما يعمل به في عباداته أو غيرها يعتبر من المسائل التي لم يبدأ الحوض فيها إلا في العصور الإسلامية المتأخرة. وقد ظهرت العناية بها واضحة في نطاق العبادات ومسائل الزواج والطلاق. ثم ذكر أنه منذ ظهور الاتجاه إلى تخيير الأحكام من المذاهب الفقهية لتسكون قانوناً يعمل به في هذا العصر والحاجة إلى هذه العناية تقوى وتعتد ليكون في بحث هذه المسألة والاهتمام بها كشف للحقائق وتبصرة لعامة المسلمين.

ثم مهد لبخه بالكلام على نشأة الفقه الإسلامي وقطوره. فذكر أن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم لأنها خاتمة الشرائع المباركة فهي تقسح لحاجات الناس وتسائر مصالحهم في شتى البقاع ويختلف العصور. فقد كانت تلك القواعد المرنة ميداناً للاجتهاد ظلت أبوابه مفتحة على مصاريمها بعد انقضاء عصر التشريع ولجها من هو أهل للدخول فيها، وكان هذا في العصر الأول من عصور الاجتهاد إلى أن ظهر فقهاء الأمصار وكان لكل منهم مدرسته

ولكل مدرسة طلابها في الاجتهاد والتخريج والفتوى وبظهورهم ظهرت المذاهب الفقهية الجماعية وقلوبت هذه المذاهب بتدوين كل مذهب أقوال الإمام الذي ينسب إليه المذهب وأقوال أصحابه وكبار أتباعه من المجتهدين الذين ساروا على منهج إمامهم في الأصول والتفريع والتطبيق فنما ببحوثهم واجتهادهم مذهبه الفقهية خاصة والفقه الإسلامي عامة واتسع نطاقه اتداعها عظمياً غطى حاجة المجتمع الإسلامي في ذلك العصر. ثم تلا ذلك عصر التقليد والمقلدين الذين لم يستندوا في تقرير المسائل على أقوال واضحة منقولة عن الأئمة المجتهدين. وإنما التمسوا لها المأخذ في أقوال

بالجواز مطلقا ، وبين قائل بالمنع مطلقا ،
وبين قائل بالتفصيل ، وأوجز ما يستند إليه
كل فريق فيما يذهب إليه .

ثم نثني بالكلام على التفريق في التقليد ،
فبين حال المقلد من كونه عاميا صرفا وذكر
أن هذا الصنف من المقلدين لا مذهب له ،
وأن مذهبه في كل نازلة هو مذهب من أفتاه
فيها ، أما إذا كان ذا نظر وبصر بالمذاهب
لم يبلغ به مرتبة الاجتهاد فنذكر أن هذا
الصنف إذا تمذهب بمذهب لإمام معين كان
معنى هذا أنه متبع له في المعرفة والاستدلال
وفي العمل إذا ما دعت إليه الحاجة ، ولا يلزمه
ذلك بالتزام هذا المذهب بعينه ، بل له
الانتقال عنه كلية أو في بعض الأحكام وقد
يقل عن كثير من العلماء تحولهم عن المذاهب
المقلدين لها إلى الأخذ بغيرها ، فليس من
واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله ولم يثبت
أن الله أوجب على أحد من الناس التمسك
بمذهب رجس معين من الأمة بحيث يقلده
في دينه في كل ما يأتي ويذر دون غيره .

وبين أن التفريق في التقليد يقع على ضربين :
أولهما : يكون بتخير الأحكام السكلية
للعمل والمعرفة والاطمئنان على أرجحيتها
دون نظر إلى جزئيات تلك الأحكام .

وثانيهما : يكون بتخير الحكم للعمل به
في نازلة معينة . وقد قال في كلامه عن الضرب
الأول أنه لم يعرف أحدا ممن أجازوه قيده

غامضة والشواهد في أحكام فقهية متناثرة
في المذاهب . فظهر بهذا العمل التفريق بين
أحكام المذاهب الذي هو موضوع البحث .

وقد حصر كلامه في ثلاث شعب للتفريق
هي شبه مستقلة على ما بينها عن الارتباط
الوثيق والتسلسل وهي :

١ - التفريق في الاجتهاد .

٢ - التفريق في التقليد .

٣ - التفريق في التشريع .

بدأ كلامه في هذه الفروع الثلاثة ببيان
معنى التفريق ، فذكر أن المعنى اللغوي لهذه
الكلمة هو : دمج الأشياء والملازمة بينها
لتكون شيئا واحدا أو لتفسير على وقرة
واحدة ، وأن هذا المعنى لها هو الأكثر
استعمالا ، وهو مراد الفقهاء والأصوليين
والمحدثين عند استعمالهم لها .

ثم أعقبه بالكلام على التفريق في الاجتهاد
المعروف بالاجتهاد المركب ، ومثل له بأن
يجتهد اثنان أو أكثر في موضوع فيكون لهم
فيه قولان أو أقوال ، ثم يأتي من بعدهم من يجتهد
في الموضوع نفسه ويؤدى اجتهاده إلى الأخذ
من كل قول ببعضه ، ويكون مجموع ذلك مذهبه
في الموضوع ، وبذلك يكون اجتهاده اجتهادا
مركبا بالنظر إلى ما سبقه من اجتهاد .

وقد عرض لهذا النوع من التفريق في أحوال
عدة وفي نهاية المطاف ذكر أن الأخذ بهذا
النوع اختلف فيه الأصوليون ، بين قائل

ولما ألفت لجنة الأحوال الشخصية كان فيها صفوة مختارة من كبار العلماء ورجال القضاء الشرعي وشيوخ المذاهب الأربعة الذين اتسعت معارفهم وقويت مداركهم ، وتوافرت لهم المدارس والتحقيق ، واكتملت تجاربهم ، فكانوا هيئة ممتازة لها ما لها من القدرة والمكانة في الفقه الإسلامي وقد وأوا أن الزمان تغير تغيراً عظيماً ، وأن الحياة الاجتماعية تطورت تطوراً واسع المدى ، وأن المصالح قد تضاربت وتشابكت وأن الأوضاع المستحدثة قد كان من ورائها مشكلات متكاثرة ، هي أحوج ما نكون إلى المواجهة السريعة التي ترضى المصالح أتم رعاية ، وترفع الحرج وتسهل الحلول الميسرة في فطاق الفقه الإسلامي ورأوا أن في الفقه الإسلامي كنوزاً عظيمة ترتفع فوق كل تقويم ، وفيه ثروة ضخمة لا تدانيها أي ثروة فقهية أخرى ، وفيها الكفاية وما هو فوق الكفاية للوصول إلى شتى المقاصد وخير الغايات إذا أحسن استعملها ، ولن يكون هذا الإحسان اليوم إذا وقفنا عند أحكام مذهب بعينه ، ولن يكون إلا إذا كان التخير من أحكام المذاهب المستبصرة ، فهذا يحقق المصالح ، ويهدي إلى الحلول الموافقة وهو في الوقت نفسه ببق العمق الإسلامي شراً المزاومة العاقبة والصراع العنيف مع الشرائع الوضعية ، ويدفع عنه همز الأفاكين ولزهم ، ويحمي الأقطار الإسلامية من الاستعمار التشريعي الذي تغفل

بقيده أو اشترط فيه أي شرط . أما الضرب الثاني وهو تلفيق التقليد في العمل عند النوازل المعينة الذي تسكلموا في منعه أو في جوازه بشروط بينها مع ما فيها من اختلاف في العلماء وبعد سرد طويل وعرض مفصل . لما ورد في المذاهب الفقهية أو أثر عن العلماء في هذه بالشروط أنبغه بقوله :

بعد هذا كله ظهر لنا أن الاستناد إلى إجماع المسلمين للاستدلال على بطلان التلفيق استناد غير صحيح .

ثم ختم بحثه بالكلام على العنصر الثالث وهو التلفيق في التشريع . وماك نص بيانه فيه .

* * *

التلفيق في التشريع

لا أعني بالتلفيق في التشريع إلا تخير ولي الأمر من أحكام مختلف المذاهب الفقهية المعتبرة بمجموعة من الأحكام لتكون قانوناً يقضى ويفتى به بين من يخضعون له . ولا أعلم أن شيئاً من الأحكام الفقهية جمع ليكون قانوناً قبل الذي كان في عهد لأتراك العثمانيين من إصدار المجلة العدلية كقانون . وهذه المجلة لم يكن فيها تخير من أحكام المذاهب بل كانت كل أحكامها من مذهب أبي حنيفة والتخير من أحكام المذاهب الأربعة لتكون قوانين قد وقع فعلاً في مصر منذ سنة ١٩٢٠م ثم اتسع نطاقه بعد ذلك في لجنة الأحوال الشخصية التي شكلت سنة ١٩٣٦ ميلادية ولا يزال التخير في حدود هذا النطاق جارياً حتى الآن .

واحد لا يقع طلاقه إلا واحدة رجعية ، فمن تزوج على هذه الصفة وطلق مثل هذا الطلاق وراجع زوجته كمن مستديماً لعصمتها على وجه يتحقق فيه ما سمي بالتلفيق القادح ، غير أنه تلفيق قد وقع اتفاقاً في هذه الجزئية ولم يقصد إليه بخصوصه في التقليد ولا حين التخيير فكان تلفيقاً لا حرج فيه وجائزاً حتى عند من يمنعون التلفيق القادح .

ورأوا أنه حتى لو جاروا من يخطئون بين الأمور ، فأعطوا تخيير الأحكام السككية من غير نظر إلى الجزئيات حكم التلفيق القادح إذا أفضى إليه هذا التخيير وجعلوه منه نكاحاً لمسألة خلافية - إن صح هذا التعبير - وليس العمل بقول المانعين أولى من العمل بقول المجوزين بل العكس هو المتعين لقوة دليل المجوزين ولما فيه من المصالح المظنية للأفراد ولجماعة المسلمين ولا يترتب عليه أي مفسدة من المفاسد التي اتقها المانعون من التلفيق المقصود في الجزئيات والملاحظ عند التقليد ولو قدرنا أن المنع أقوى فإن التخيير لا يكون قانوناً إلا إذا أمر ولي الأمر باتباعه وأمره مرجح أقوى ، ولذلك وجبت طاعته فيما يأمر به متى كان في صالح الرعية ، إلا أن يأمر بمعية متيقنة . هذه هي سبيل المتخيرين أو الملقين في التخيير ، وهي أفضل السبل في أيامنا ، وفيها الخير كل الخير للإسلام والمسلمين ، والله سبحانه هو الهادي إلى الرشاد . ، ، ،

محمد أحمد فرج السهروري
عضو الجمع

في أحشائها جميعها ، رأوا هذا فأقدموا على التخيير مؤمنين بأن جميع الأئمة على هدى مزرهم ومؤمنين بأن في اختلافهم رحمة وأن هذه الأزمان هي الأوقات التي يجب أن تتجلى فيها هذه الرحمة بأعظم مظاهرها فبدت طلائع البشري تحقق الأهداف كلها .

ورأوا أن تخييرهم هذا ليس تخيير اجتهاد وليس إلا تخيير مقلدين . ورأوا أنه تخيير لأحكام كلية لم ينظر فيكس إلى الجزئيات وما عسى أن ينشأ عنه حين العمل فهو تخيير لم يعترض عليه أحد ولم يمنع منه أصولي ، ولا فقيه ، وهو أبعد ما يكون عن أحداث القول الثابت وأضرابه وما نازح حوله من الخلاف وهو أبعد ما يكون عن التلفيق في التقليد عملاً وما نازح حوله . ومن ظن أنه منه فقد تشابه عليه الأمور ، ولم يوفق إلى الفرق بين المفاهيم المختلفة فاختلطت عليه الأمور ونما أسلفته في هذا البحث ما يكشف الغطاء ويمحو الغشاوة .

ورأوا أن السكثرة الغالبة من الأحكام السككية التي يتخيرونها لا تنفي عن العمل إلى التلفيق الذي تسكّموا فيه وقالوا : إنه تلفيق قادح ، ولم تتفق كلمتهم فيه . فهي أحكام الأمور مختلفة لا تجمع بينها رابطة ، فلا شأن لها بما يسميه بعضهم بالتلفيق القادح أما في النادر فإن هذا التخيير قد يفضي إلى هذا التلفيق حين العمل كالإبقاء على الأحكام التي تقول بصحة الزواج بلا ولي وبعبارة النساء ، مع الأخذ بأن من طلق ثلاثاً بلفظ

الجلسة الثامنة

نظام المحسنة في الإسلام

للككتور إسحاق موسى الحسيني



تبين في الإسلام ، في ضوء تاريخ الأديان البدائية والسموية جميعا ، فضيلتان : الأولى النظر الشامل إلى الحياة ، باعتبارها وحدة مؤلفة من عناصر متداخلة . فالجانب الروحي لا يقل خطراً عن الجانب المادي ، وأدب النفس لا يقل عن أدب الجماعة ، والمعاملات تعتمد على أسس أخلاقية ، اعتماد العبادات على أسس روحية ، ولل فرد ما للجماعة من حقوق ، والفضائل جميعها متساوية في الاتباع لا تغني واحدة عن الأخرى ، وبعبارة أخرى دعا الإسلام إلى السعادة الكاملة في الدارين ، وإلى إقامة مجتمع فاضل مشترك في السراء والضراء متعاون على البر والتقوى أمر بالمعروف ناه عن المنكر ، قال الله تعالى : والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

والفضيلة الثانية : النظر إلى الناس جميعا أسرة واحدة تتعارف وتعاون ، لا تفاضل بينها إلا بالتقوى ، والنظر إلى وحدة

الرسالات السماوية وأخوة الأنبياء جميعا دون تفريق بين أحد منهم ، ونجم من ذلك النظر سماحة في المعاملة ، وعدل وإحسان وأخذ بالحكمة حيثما كانت وللغائدة حيثما وجدت ، وانتشار الإسلام في الأرض ، واستيعاب الحضارة الإسلامية خير ما في الحضارات الإنسانية .

الفردية والفضائل الاجتماعية وبتحقيق العدل والحق والإنصاف في جميع المعاملات .

لا شك في أن الحسبة منبثقة من الإسلام نفسه ، قائمة على القواعد الشرعية والاجتهاد العرفي وأنها نمت بنمو المجتمع الإسلامي حتى أصبحت نظاماً دقيقاً فريداً . ولذا عدها بعض المؤلفين كالماوردي ^(١) المتوفى سنة ٤٥٠ هـ . وابن الأخوة ^(٢) المتوفى سنة ٧٢٩ هـ . من قواعد الأمور الدينية ، وعدها ابن خلدون ^(٣) المتوفى سنة ٨٠٨ هـ وظيفة دينية .

والحسبة لغة - كما في لسان العرب - مصدر احتسابك الأجر على الله . تقول : فعلته حسبة ، واحتسب فيه احتساباً والاحتساب طلب الأجر . والاسم الحسبة وهو الأجر . واحتسب فلان على فلان أنكر عليه قبيح عمله . . . وهي في الشرع - كما قال الماوردي - « أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله » ^(٤) وعرفها الغزالي بأنها « عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للمنع من مقارفة المنكر » ^(٥) .

ووردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تدهو إلى مكارم الأخلاق ، وإلى الفضائل الاجتماعية ، وإلى التعامل بالحق والعدل كالبر بالوالدين ، وإيتاء المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين ، وإطعام البائس الفقير ، والرفق بالضعفاء والمرضى ، والعفو والصلح ، والصبر ، والصدق ، والوفاء ، والصدقة والتعاون على البر والتقوى ، والانتشار في الأرض ابتغاء فضل الله .

ووردت آيات كثيرة نهى عن مساوىء الأخلاق والذنوب كالجهل بالسوء من القول وظن السوء والكذب ، والحياة ، والظلم ، والبغى ، والعدوان ، والفحشاء ، وأكل الأموال بالباطل ، وأكل أموال اليتامى وقهرهم ، والتعطف في الكيل والميزان ، والتبذير ، أما أحاديث الرسول عليه السلام وآثار الخلفاء والصحابة فكثيرة جداً ، وهي جميعها مستوحاة من المبادئ القرآنية ومؤيدة لإياها وشارحة لها ^(١) .

والحسبة أثر من آثار الفضيلتين السابقتين لاعتمادها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولشمول اختصاصها بالأخلاق

(١) الأعلام السلطانية ص ٢٤٥ : القاهرة ١٢٩٨ هـ

(٢) معالم القربة ص ٧ .

(٣) للقدمة ج ٢ ص ٥٢٦ لجنة البيان العربي بالقاهرة ١٩٥٨ .

(٤) الأحكام السلطانية ص ٢٢٧ .

(٥) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٢٢٦ للطبعة الخيرية بالقاهرة .

(١) أثبت ابن الأخوة في (معالم القربة في أحكام الحسبة) بعض هذه الآيات والأحاديث ص ١٥٠ - ٢٠ مطبعة دار الفنون بکردج سنة ١٩٣٧ .

غضب عليه لاستغوائه العامة وقتله سنة ١٥٧ هـ^(١).

وذكر أبو الفداء في حوادث سنة ١٦٩ هـ أن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الفاري أحد القراء السبعة ، توفى في تلك السنة وأنه كان محتسبا ، للخليفة الهادي^(٢) وذكر الغزالي في الإحياء^(٣) قصة محتسب ، زمن المأمون ، حفيد المهدي ، أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فأحضره المأمون وعززه لاحتسابه من غير أمره . فسقط من المأمون كتاب وصار تحت قدمه فأحسب عليه الرجل ورفع المأمون الكتاب وقبله ثم قال له : لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك لإينا أهل البيت ، ونحن الذين قال الله تعالى فيهم : الذين إن مكثناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، فرد عليه الرجل بأنه من أعوانه وأوليائه وله الحسبة اتباعا لقوله تعالى : والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . فأعجب المأمون بكلامه وأذن له بالمضي على ما كان عليه بأمره .

واستعمل الغزالي في القصة لفظه المحتسب .

(١) تاريخ بغداد ج ١ ص ٧٩ القاهرة ١٩٣١ .

(٢) الخضر في أخبار البشر ج ١ ص ١٢

القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ .

(٣) ٢ - ٢٨ .

وواضح من كتب الحسبة أن الرسول عليه السلام وخلعاه من بعده وقرأ من العلماء المتطوعين في القرنين الأولين للإسلام ، كانوا يرشدون إلى أمور دينهم ودنياهم ، يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، قبل أن تكون الحسبة منصبا من مناصب الدولة يتولاها محتسب^(١) وورد في الأحاديث والآثار أن الرسول عليه السلام وخلفاءه ولوا على السوق عاملا . ولى الرسول سعيد ابن سعيد بن العاص بن أمية على سوق مكة . وولى عمر بن الخطاب السائب بن يزيد مع عبدالله بن هبة بن مسعود على سوق المدينة^(٢).

وفي منتصف القرن الثاني للهجرة - في بداية العصر العباسي - اتسعت الدولة ، وتراحت أطرافها ، ونشطت الصناعة والتجارة ، وكثرت الأسفار ، فانقرضت بالوظيفة محتسب يتولاها بأمر الخليفة أو أحد ولاته . وربما حدث ذلك في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور الذي أنشئت في عهده مدينة بغداد ونظمت أسواقها وطرقها . فقد ذكر الخطيب البغدادي أن المنصور ولى الحسبة يحيى بن زكريا ثم

(١) الأحكام السلطانية ص ٢٤٥ ، وإحياء علوم الدين للغزالي ج ١ ص ٢١١ - ٢١٤ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي ج ٢ ص ٥٧٥ سنة ١٣٣٦ هـ والترتيب الإداري لاكتاني ج ١ ص ٢٨٥ الرابط ٣٤٦ هـ .

للهجرة، واستعيض عنها في بعض البلاد العثمانية بمجالس المدريات، ونقل في المقتبس^(٣) عن (المجلة التونسية الفرنسية) دون ذكر العدد والتاريخ تطور الحسبة في تونس قائلا: «وقد انتهت الحال بأن جعلت بعض أهال المختسب في تونس بين مجلس العشرة الأعيان... وكان من خصائصه النظر في شئ البضائع، وهو يحكم على الجيد منها والردىء فيما إذا حدث اختلاف بين البائع والمشتري وذلك بوساطة أمين التجار ولم يكن أعضائه هذا المجلس يقبضون راتبا وكان لأعضائه امتيازات خاصة. كأن يكون له حق التصدر على سائر التجار ويجلسون في بعض الأحوال بالقرب من «الباب»، وقد تولت محكمة العرف اليوم ما كان يتولاه مجلس العشرة سابقا من أمور الاحتساب. وكانوا يحكمون فيما يعرض من المسائل كما يحكم أهل الخبرة. وهذه المحكمة مؤلفة من أمين التجار وعشرة معاونين.

وقد أخذ شيخ المدينة ينظر في بعض الأعمال التي كان يتولاها المختسب سابقا. وهو يرأس نقابة الحرف وحكمه لا يقبل النقض فيما يحدث من الاختلافات في مسائل الصناعات وهو المسكف بحجز أموال المفلسين وبيعها في تونس، وتوزيع ما حصل من أمانها على أرباب الديون على اختلاف تابعيتهم...

(٣) المجلد ٦ سنة ١٩١١: ص ١٥٨-١٦٠.

ويبدو من كلام ابن خلدون. أن المسلمين في شمال إفريقيا والأندلس أدخلوا الوظيفة في عموم ولاية القاضي بولي فيها باختياره، إذ قال: «وقد كانت الحسبة - في كثير من الدول الإسلامية مثل العبيديين بمصر والمغرب والأمويين بالأندلس داخلة في عموم ولاية القاضي بولي فيها باختياره. ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخليفة، وصار نظره عاما في أمور السياسة، اندرجت في وظائف الملك وانفردت بالولاية. والماوردي^(١) وهو صاحب أقدم فصل وصل إلينا عن الحسبة جعل الحسبة واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم، وأثبت فروقا بينهما، الأمر الذي يدل على أن الحسبة في القرن الخامس هـ - على الأقل - كانت مستقلة عن القضاء في المشرق.

وقد استمرت الحسبة منذ القرن الثاني إلى نحو أواسط القرن الثالث عشر للهجرة، قال المرحوم محمد كرد علي في المقتبس^(٢) تنقسم الحسبة إلى دينية ومدنية، فالدينية منها قد بطلت من بلاد الإسلام منذ أصبحت حكوماتها لا تحافظ على جوهر الدين بالذات وأما المدنية بقي أثر ضئيل منها في مصر خصوصا إلى نحو أواسط القرن الثالث عشر

(١) الأحكام السلطانية ص ٢٢٨.

(٢) مجلد ٣ ج ٩ سنة ١٩٠٨ ص ٥٣٦.

ما كتب ضاع ولم يصلنا إلا قليل . وأقدم ما وصلنا الفصل الذى كتبه أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ فى كتابه الأحكام السلطانية ، ثم الفصل الذى كتبه الإمام أبو حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ فى كتابه إحياء علوم الدين (٢) .

أما الكتب التى وصلت إلينا أسماءها فتبلغ نحو الثلاثين (٣) ، المطبوع منها حسب علمنا : (١) نهاية الرتبة فى طب الحسبة لعبد الرحمن بن نصر الشيزى القاهرة ١٩٤٦ م .

(٢) معالم القرية فى أحكام الحسبة لمحمد ابن محمد بن أحمد القرشى المعروف بابن الأخوة كبردج ١٩٣٧ م .

(٣) فى آداب الاحتساب لأبي هبدا الله محمد بن أبي محمد السقطى الأندلسى باريس ١٩٣١ م .

(٤) الحسبة لابن هبدون التيجيى الأندلسى (نشرت فى المجلة الآسيوية ضمن ثلاث وسائل) باريس ١٩٣٤ م .

(٢) ذكر كوركيس عواد الفصول والنبد التى كتبت فى الحسبة فى مجلة الجمع العلمى العربى بدمشق مجلد ١٧ ص ٤٣٣ - ٤٤٤ ، سنة ١٩٤٢ .

(٣) المصدر السابق ومقال الحسبة فى الإسلام لمحمد كرد على فى مجلة المقتبس مجلد ٣ ص ٥٣٦ - ٥٥٤ ، سنة ١٩٠٨ .

ومشايع الحارات ثم اليوم مضطرون إلى أن يقدموا بيانا مطبوعا عن يولد ويتوفى فى أحيائهم من المواطنين وهؤلاء المشايخ صورة مصغرة من المحاسبين أمس . وقد أثبت النص لأهميته .

وتتبع الحسبة فى مصر الدكتور السيد الباز العمري منذ نشأتها إلى نهايتها . وخلاصة ما وصل إليه أنها تطورت باختلاف العصور ، وأنها بقيت فى مصر ، فى نطاق الالتزام سقى سنة ١٢٣٤ هـ (١٨١٩ م) حين ألغى التزامها وأصبح المحاسب موظفا تابعا لديوان الحديوى منذ سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) ودخلت مظاهر الوظيفة فى وظائف أخرى (١) .

ولم يبق من الوظيفة اليوم إلا الاسم . وفى بعض القرى الفلسطينية يطلقون « الحسبة » على السوق الذى يقصده الباعة من القرى ، وهو خلاف سوق القرية الثابت .

لقد عنى المسلمون بالحسبة عناية كبيرة ، فألفوا فيها الفصول والكتب ، ولكن معظم

(١) أعارنى الدكتور العربى مخطوطه مشكورا . وهو الذى حقق ونشر (نهاية الرتبة فى طب الحسبة) القاهرة ١٩٣٦ . والنقل من المخطوط ص ٤٩ . ويرجع إلى بحث المرحوم عبد الحميد العبادى فى مجلة : مجمع اللغة العربية الجزء الثامن ص ٤٢٢ - ٤٢٧ لسنة ١٩٥٥ .

المتوفى سنة ٢٨٦هـ^(١). ويذكر له كتاب آخر اسمه الحسبة الصغرى (المهغرى) ولهذا الكتاب أهمية خاصة لأنه أقدم ما وصلنا اسمه، ولأن صاحبه تولى الحسبة ببغداد زمن المعتضد. ولكنه مفقود^(٢).

وكتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيزرى أقدم الكتب المطبوعة، وقد توفى مؤلفه سنة ٥٨٩هـ، واعتمد عليه معظم الذين ألفوا بعده كابن الأخوة المتوفى سنة ٧٢٩هـ، وابن بسام من رجال القرن الثامن الهجرى، ومن المحتمل أن يكون الشيزرى قد تولى الحسبة، إذ في كتابه من التفصيل والتدقيق وسعة الاطلاع ما لا يتحقق إلا لصاحب هذه الوظيفة.

ولهذه المؤلفات شأن كبير في تاريخ الحضارة الإسلامية لثلاثة أسباب: الأول: لأنها تكشف عما بلغته الحضارة الإسلامية من البسطة والرفعة بباحث دينى أصلاً، وتبين الحرف والصناعات التي جمعت في عصور الرق وتخصصت في دقائق الصناعة، والثاني: لأنها تكشف عن براعة المؤلفين المسلمين في درس الحرف والصناعات الكثيرة وتتبع

(١) كشف الظنون لحاجى خليفة، ط ١٠ استانبول، ج ١ ص ٦٦٥، سنة ١٩٤١م.
(٢) كوركيس هواد، مجلة الجمع العلمى العربى المذكورة سابقاً.

(٥) الحسبة في الإسلام لابن تيمية القاهرة ١٣١٨ هـ وغيرها ١٩٠٠ م.

(٦) الحسبة لجمال الدين يوسف بن عبدالمهادى المعروف بابن المبرد الدمغى ببيروت ١٩٣٧ م.

(٧) الإشارة إلى محاسن التجارة لأبى الفضل جعفر بن على الدمشقى القاهرة ١٣١٨ هـ، ١٩٠٠ م.

(٨) المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار لعبد الرحمن بن أبى بكر الدمشقى المعروف بالجويرى بيروت ١٩٠٩ م.

(٩) الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية لأبى الحسن الخزازى تونس.

(١٠) السرايب الإدارية لمحمد الحسنى الإدريسى الكشانى الرباط ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م.

(١١) ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمختص لابن عبددرن وابن عبدالمؤيد والجوسقى القاهرة ١٩٥٥ م.

(١٢) الحسبة لعبد الرزاق الحصان بغداد ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

أما المخطوطات فتبلغ سبعة عشر كتاباً^(١) وأقدم ما وصلنا اسمه الحسبة الكبير (الكبرى) لأبى العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسى (١) كوركيس هواد فى المرجع السابق.

الزوج ، والتلميذ على الأستاذ ، والرعية على الراعى ، مع فروق (١) لطيفة ، وهى بذلك وظيفة اجتماعية قبل أن تكون وظيفة حكومية ، وشملت الحسبة جميع مظاهر الحياة الدينية والدنيوية ، كما شملت الأخلاق الفردية والقيم الاجتماعية والمعاملات .

أما الدين فحق الله على الناس ، وأما الدنيا فحق الناس بعضهم على بعض ، وأداء حق الله مقدم على أداء حق الناس ، لأن الدين هو الوازع الدائم الذى يغنى عن الوازع المدنى . وما لم يتم فى الإنسان ضمير حتى ينبض بحب الله ويتبعه إلى مرضاته ، فى جميع الحركات والسكنات ، فإن الوازع المدنى يعجز عن أداء عمله كاملاً ، ولذلك كانت الدعوة إلى العبادات جزءاً لا يتجزأ من الحسبة ، كى يبقى الضمير حياً متوجهاً إلى الله تعالى فى كل حال . وهى ابن تيمية أمر المحقّب من العامة بالصلوات ، بأن الصلاة هى أعرف المعروف من الأعمال وهى عمود الإسلام وأعظم شرائعه ، وهى قرينة الشهاداتين ، (٢) . ولهذا المعنى قال الله تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (٣) .

أسرارها ، وإظهار وسائل الغش فيها ، والثالث : لأنها تضم ذخيرة لغوية لا وجود لها فى المعاجم ، وثبتت أن اللغة العربية وسع صدرها مئات الألفاظ الدخيلة (٤) .

إن للحسبة - سواء أكانت أمراً بالمعروف أم نهياً عن المنكر ، تلزم كل مسلم ، أم وظيفة فى الدولة ينهض بها وال - دلالة بليغة على نوع المجتمع الذى أراد الله للمسلمين .

وإن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية صريحة فى الدعوة إلى إقامة مجتمع فاضل ، لكل عضو فيه حق الإرشاد إلى ما هو حق وخير ، وحق الاعتراض على كل ما هو باطل وفاسد .

ولذلك أجيّزت الحسبة التى بمعنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لكل مسلم مكلف قادر وإن لم يكن مأذوناً (٥) . ودلل الفخرالى على جوازها للفاسق والريق والمرأة (٦) . كما دلل على إثباتها للولد على الوالد ، والعبد على السيد ، والزوجة على

(١) دعا المرحوم عبد الحميد العبادى بجمع اللغة العربية فى القاهرة إلى جمع هذه الألفاظ وشرحها فى مجلة المجمع ، ج ٨ ، ص ٤٢٧ ، طبعت سنة ١٩٥٥ .

(٢) الإحياء ٢/٢١٤ .

(٣) الإحياء ٢/٢١٤ .

(١) الإحياء ٢/٢١٨ .

(٢) الحسبة فى الإسلام ، ص ٩ .

(٣) المنسكوت ٤٥ .

على آبائهم كتنقل الزبل وحمل الحبابة وغير ذلك ، وأن يتحرى بأن يكون السائق لم - المكلف بأخذ الصبيان يومياً إلى المكتتب - أميناً ثقة أهلاً ، لأنه يتسلم الصبيان في الغدو والرواح ، وأن يمنع المؤدب من تحفيظ الصبيان الشعر المسترذل والنظر فيه (١) ، وأن يأمر الأولاد ببر الوالدين والاعتقاد لهما بالسمع والطاعة والسلام عليهما وقبيل أيديهما عند الدخول عليهما (٢) ، وألا يضرب الصبي إلا تحت قدميه ثلاثاً أو خمساً (٣) .

وللحسب أن يأخذ السادة بحقوق العبيد والإماء ، وألا يسكنفوا من الأعمال ما لا يطيقون وإذا استعداء العبد في امتناع سيده من كسوته ونفقته جاز أن يأمر بهما ويأخذ بهما بالتزامهما (٤) .

ويجب عليه أن يراعى سيرة أهل الأسواق المختصين بمعاملة النساء وأما تهم . فإذا تحققت منهم أقرهم على معاملتين ، وإن ظهرت منهم الريبة وبان عليهم الفجور ضيعهم عن معاملتين وأدبهم على التعرض لمن (٥) .

وعناية الحسبة بالأخلاق تظهر في مواطن كثيرة ، منها أنه يجوز للحسب أن يأمر الجماعة الذين دون الأربعين عدداً أن يقيموا صلاة الجمعة ثلاثاً ينشأ الصغير على تركها فيظن أنها تسقط مع زيادة العدد كما تسقط بنفسه (١) . وللحسب أن يأمر بتعجيل الصلاة ثلاثاً يفضى تأخيرها بالصغير الناشئ إلى اعتقاد أن هذا هو الوقت دون ما تقدم (٢) وما يأخذ الحسب بمراعاته تقييد المعلمين في أداء عملهم خشية أن ينشأ الصغار على طرائق يكون تقلهم منها بعد الكبر عسيرا فيقر منهم من توافر عليه وحسنت طريقته ويمنع من قصر وأساء عما تفسد به النفوس وتخبث به الآداب (٣) . ويطلب من الحسب نفسه التحلي بالأخلاق السكرية كالرفق، والحلم، والصبر لما جاء في الآثار لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر ، فقيهاً فيما ينهى عنه ، وفيما ينهى عنه ، فقيهاً فيما يأمر ، وفيما ينهى عنه ، فقيهاً فيما يأمر ، فقيهاً فيما ينهى عنه ، (٤) .

وللحسب أن يمنع المؤدب استخدام الصبيان في حوائجه وأشغاله التي فيها عار

(١) نهاية الرتبة ، ص ١٠٤ .

(٢) نهاية الرتبة ، ص ١٠٣ .

(٣) في آداب الحسبة السقطي ، ص ٦٨ .

(٤) الأحكام السلطانية ، ص ٢٤٤ .

(٥) الأحكام السلطانية ، ص ٢٤٤ .

(١) الأحكام السلطانية ، ص ٢٣٠ .

(٢) الأحكام السلطانية ، ص ٢٣١ .

(٣) الأحكام السلطانية ، ص ٢٤٢ .

(٤) الحسبة في الإسلام لابن تيمية ص ٦٢ .

أو عطبها ؛ لأن الدواب ليس لها نطق تعبر به عما تجرد من المرض واللام (١) .

وأما عناية الحسبة بالقيم الاجتماعية وصلاح الجماعة وكفالة خيرها وأمنها وسلامتها فشواهد كثيرة .

منها ما رواه السقطي في آداب الحسبة ، أنه وجد في السكوفة محتسب لم يترك مؤذنا يؤذن في منار إلا معصوب العينين من أجل ديار الناس وحرهم (٢) .

وعلى المحتسب أن يأخذ حمالي اللحم ألا يحملوه إلا في أوعية يضعون اللحم فيها كل ليلة ، ويفصلونها من الغد (٣) ، وأن يمنع الجزارين من نفخ الذبيحة عند سلخها لئلا ينفخ فيها من به بحر فيتغير طيب اللحم (٤) .

وأبعد من هذا في المحافظة على رقة الإنسان ألا يأكل المزين ما يغير نكهته كالבصل والثوم والسكرات وأشباه ذلك لئلا يضرر الناس برائحته عند الخلقة (٥) . وقد بلغوا حد الترف حين قرروا أن يأمر المحتسب

وتعدى عمله الرفق بالإنسان إلى الرفق بالحيوان . إذ عليه أن يأخذ أرباب البهائم بعلموقتهما إذا قصرُوا وألا يستعملوها فيما لا تطيق (١) . ويروي ابن تيمية عن الرسول قوله : « هي لرجل أجر ، ولرجل صتر ، وهي لرجل وزر . فأما الذي هي له أجر فرجل ربطها تغنيا وتعففا ، ولم يفسق حق الله في رقابها ولا ظهورها ، (٢) .

وهي المحتسب أن يأمر جلالي الخطب والتبن وغيرهم إذا وقفوا في العراض أن يضعوا الأحمال عن ظهور الدواب ، لأنها إذا وقفت والأحمال عليها أضرتها ، وكان في ذلك تعذيب لها . وقد نهى الرسول عن تعذيب الحيوان لغير مأكلة (٣) . ويذكر الشيزري في الحسبة على الجزار ألا يجر الشاة بوجها جراً عنيفاً وألا يذبح بسكين كائنة ، لأن ذلك تعذيب للحيوان (٤) ويشترط على من يتعاطى البيطرة أن يكون ذا علم بعلم الدواب وعلاجها ، ذا دين يصده عن التهم عليها بقصد أو قطع أو كي أو ما أشبه ذلك ، بغير خبيرة فيؤدى ذلك إلى هلاكها

(١) نهاية الرتبة ص ٨٠ .

(٢) ص ٧٠ .

(٣) في آداب الحسبة للسقطي ص ٦٧ .

(٤) في آداب الحسبة ص ٣٢ .

(٥) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ٨٨ .

(١) الأحكام السلطانية ، ص ٢٣٤ ، ٢٤٣ .

(٢) الحسبة في الإسلام ، ص ٣٢ .

(٣) نهاية الرتبة ص ١٤ ، ١١٧٠ .

(٤) نهاية الرتبة ، ص ٢٧ .

بعد الفراغ من البيع ، أن ينثر ملحا مسحوقا على القرمية التي يقصب عليها اللحم لئلا تلحسها الكلاب ، أو يدب عليها شيء من هوام الأرض : فإن لم يجد ملحا فالأشنان المسحوق يقوم مقامه . وضعوا القضاة من إخراج توالى (أعجاز) اللحم من حده مساطب حوائثهم لئلا تلاحقها ثياب الناس فيضررون بها (١) .

وإني ، وقد طوقت معظم بلاد الغرب ، أقول : أية حضارة هذه التي بلغها المجتمع الإسلامي حين كانت أوروبا في عصور الظلمات ! وبوسعى أن أستمّر في إيراد أمثال هذه القواعد التي تدهشنا وتدهش القارىء الغربى . ولكفى أتتقل إلى ناحية أخرى ، وأحيل المستزيد إلى (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) الفيزرى .

لقد كان تنظيم الجماعة وتوحيد كلمتها هدفا من أهدافهم (٢) . ولذلك قرروا وجوب التأمير على الجماعة حين يكون عددها ثلاثة ، اتباعا لقوله عليه السلام : « إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم » (٣) وقوله : « لا يحمل ثلاثة يكونون بفلاة من الأرض

المذلك أن يدلك يده بقشور الرمان لتصير خشنة فتخرج الوسخ من ناحية ، ويستلذ بها الإنسان من ناحية أخرى (١) . وأوجبوا على المجان ألا يعجن إلا وعليه ملغبة - ثوب من غير كم - أو بشت - رداء من الصوف مقطوع الأكم - وأن يكون ملثما أيضا ؛ لأنه ربما عطس أو تكلم فقطر شيء من بصاقه أو مخاطه في العجين . وأن يشد على حبيته عصاة بيضاء لئلا يرق فيقطر منه شيء في العجين . وإذا عجن في النهار فليسكن هذه إنسان في يده مذبة يطرد بها الذباب عنه (٢) .

وأوجبوا على الحلوانى ألا تبرح المذبة في يده يطرد بها الذباب عن حلواه (٣) . وأوجبوا على الصانين (البقالين في مصر) أن تكون بضائعهم مصونة في برانس وقطامين لئلا يصل إليها شيء من الذباب ، وهوام الأرض أو يقع عليها شيء من التراب والغبار ونحو ذلك ، وأن تكون المذبة في أيديهم لدفع الذباب عن البضاعة وأن تكون أثوابهم ومغارفهم وآيتهم وموازينهم نظيفة مذسولة (٤) . وأوجبوا على القصاب

(١) نهاية الرتبة ص ٧٨ .

(٢) نهاية الرتبة ص ٢٢ .

(٣) نهاية الرتبة ص ٤٠ .

(٤) نهاية الرتبة ، ص ٦٠ .

(١) نهاية الرتبة ، ص ٢٨ .

(٢) الحسبة في الإسلام لابن تيمية ص ٣ .

(٣) الحسبة في الإسلام ، ص ٥ .

حسبما قرر ابن تيمية (١) . اتباعا لقوله تعالى : « فويل للصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون المساهون ، (٢) .

وجوز ابن تيمية للبحثاج إلى إجراء ماء في أرض غيره ، من غير ضرر لصاحب الأرض ، أن يجرها (٣) وأوجب بذل المنافع عند الحاجة كتعليم العلم والإفتاء وأداء الشهادة (٤) واعتبر الصناعات الضرورية للبحثاج كالفلاحة والنساجة والبنية فرضا على الكفاية ، إلا أن يتعين فيكون فرضا على الأعيان ، لأنه لا يتم مصلحة الناس إلا بها (٥) . ولولى الأمر أن يجبر أهل هذه الصناعات على ما تحتاج إليه الناس من صناعتهم . وأن يقدر أجره المثل ، وكان ذلك من التسعير الواجب .

وأوجبوا أهل ذوى المكنة عمارة المساجد وبناء الأسوار ، وإصلاح أماكن الشرب ، ومراعاة بئى السبيل ، إذا لم يف بذلك بيت المال . ومن أعوزه المال أهان بالعمل .

إلا أمروا أحدهم ، ، وإذا وجب ذلك في القلة فهو أوجب في الكثرة .

وقرروا وجوب تنظيم الجماعة لأداء صلاة الجمعة . وأوجبوا على المحتسب أن يأخذهم بإقامتهم ويؤدبهم على الإخلال بها إن كانوا هداة قد اتفق على انعقاد الجمعة بهم كالاربعةين فما زاد . وإن لم يبلغ العدد الاربعين أمر بها إذا اتفق رأيه ورأى القوم على انعقاد الجمعة بذلك العدد (١) .

وجعلوا لأصحاب كل صنعة سوقا يختص بهم ، ونقابة تجمعهم ، وجوزوا للمحتسب أن يجعل لأهل كل صنعة هريفا من صالح أهلها خيرا بصناعتهم مشهورا بالثقة والأمانة يكون مشرفا على أحوالهم ويطالعه بأخبارهم (٢) .

وجعلوا للفقير والمحتاج حقا في مال الغنى وملكه . فإذا اضطر قوم لا مكان يأوون إليه إلى السكنى في بيت إنسان فعل المحتسب أن يسكنهم فيه ، ولو احتاجوا إلى أن يعيهم ثيابا يستدفئون بها من البرد أو إلى آلات يطبخون بها أو يبنون أو يسقون يبذل هذا مجانا لهم . وإذا احتاجوا إلى أن يعيهم دلوا يسقون به أو قدرا يطبخون فيها أو فأسا يحفرون بها وجب بذل ذلك لهم مجانا —

(١) الحسبة في الإسلام ص ٣١ .

(٢) سورة الماعون ، ص ٧ .

(٣) الحسبة في الإسلام ، ص ٢٢ .

(٤) السابق ، ص ٢٢ .

(٥) السابق ، ص ١٧ .

(١) الأحكام السلطانية ، ص ٢٣٠ .

(٢) نهاية الرتبة ، ص ١٢ .

وأساس المعاملات جميعها مراقبة الله (١) والحكم بين الناس بالعدل (٢) والمحافظة ، على أموال الناس وأعراضهم وأرواحهم . والمتاجرة بالأمانة والصدق ، وما إلى ذلك من قواعد نص عليها الشرع ، ولذلك قال الشيرازي : « إن الضابط في أمور الحسبة هو الشرع المطهر ، فكل ما نهى الشريعة عنه محظور ووجب على المحقّب إزالته والمنع من فعله ، وما أباحت الشريعة أقره على ما هو عليه (٣) وقرروا أن يكون وإلى الحسبة فقها عالماً بأحكام الشرع (٤) ، وأن يكون حراً هدلاً ذا رأى وصرامة وخشونة في الدين وعلم بالمنكرات المظاهرة (٥) .

وإتباعاً لهذه القواعد منع المحقّب احتكار الطعام ، وألزم التجار المحتكرين بيعه إجباراً (٦) ومنع الغش في جميع المبيعات ، ووضع لذلك قواعد غاية في الدقة ، كأن يزن الخياط الثوب الثمين ليرده إلى صاحبه بوزنه (٧) وأن يفرد القصاب لحوم المعز عن الضأن

وإذا تعرض للمسألة ذر جلد وقوة على العمل ، زجره المحقّب ، وأمره أن يتعرض للاحتراف بعمله ، فإن أقام على المسألة عززه حتى يقلع عنها .

ومد محقّب تونس - زمن أبي زكريا الحفصى - يد العمون للأندلسيين الذين نزحوا من ديارهم إلى تونس ، وجعل فقراهم عند أناس من أهل البلاد يعملون لهم ، وأذن لغيرهم أن يسكنوا حيث أرادوا .

وجروا هذا الجرى في إقامة المجتمع الفاضل في كثير من الأمور بطول شرحها كأخذ الأولياء بشكاح الأيامى من أكفائهم إذا طلبن ذلك ، ومنع زيادة حولة السفن خشية غرقها ، ومنع انتهاك حرمة البيوت ، ومنع التجسس على الناس لكشف ما لم يظهر من المحظورات (٨) .

أما المعاملات في المجتمع الإسلامى فتكشف كتب الحسبة عن قواعدها وأول ما يلاحظ أن تلك القواعد عامة يقصد بها جميع الناس دون تمييز في الدين أو الجنس أو المنصب . فليس للخليفة أو القاضى أو أرباب الولاية امتياز . وللمحقّب أن يحاسب عليهم جميعاً (٩) ولا فرق بين المسلم والذى في المعاملة . فكلأهما مكلف بتنفيذ ما عليه من واجبات ، وأخذ ماله من حقوق حسب الشرع والمهد .

(١) السابق ص ٢٤٤ .

(٢) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١١٤

(١) نهاية الرتبة ص ٧٨ .

(٢) الحسبة في الإسلام ص ٥ .

(٣) نهاية الرتبة ص ١١٨ .

(٤) السابق ص ١١٨ .

(٥) الأحكام السلطانية ص ١٢٨ .

(٦) نهاية الرتبة ص ١٢ .

(٧) السابق ص ١٧ .

المحتسب في حله ويجب ألا يتصدى للفصد إلا من اشترت معرفته بتشريع الأهضاء والعروق والعرض والشرابين وينبغي للمحتسب أن يأخذ على الأطباء عهداً وأن يحلفهم ألا يعطوا أحداً دواء مضرأ ولا يركبوا له سما ، ولا يصفوا التآئم عند أحد من العامة وألا يفسحوا الأسرار وألا يهتكوا الاستار .

وقد ابن تيمية التفسير في الأموال والأعمال في كثير من الحالات ، كأن يتمتع أرباب السلع عن بيعها مع ضرورة الناس إليها إلا بزيادة على القيمة المعروفة ، أو أن يختص بشراء طعام وبيعه فهنا يجب التفسير عليهم بحيث لا يبيعون إلا بقيمة المثل ، ولا يشعرون أموال الناس إلا بقيمة المثل أو أن يحتاج الناس إلى سلاح للجهاد فعلى أهل السلاح أن يبيعوه بعرض المثل ، أو أن يحتاج الناس إلى الصناعة والفلاحة والحياكة فيجب للمحتسب أهلها عليها ويقدر لهم أجره المثل ، أو إذا احتاج الناس إلى من يصنع لهم آلات الجهاد من سلاح وجسر للحرب وغير ذلك ، فيسعر بأجرة المثل .

وهكذا قامت المعاملات على الدين والعلم والمصلحة والمنفعة المشتركة دون ضرر ولا ضرار ولا تقريظ ولا إفراط ، ولا جور

ولا تضيق إسحاق موسى الحسيني

ولا يخلط بينها (١) . وألا يخلط القطن جديد القطن بقديمه (٢) ، وأن يتخذ البائع الأبطال والأواني من الحديد (٣) ، وأن يعرف الصائغ المفقري مقدار ما في الحلي المكنوشة من الفس ، وألا يسبك أحد في السكور شيئاً من الحلي إلا بمحضرة صاحبه (٤) وللحاسب أن يختار الكيالين والوزانين ، إذا اتسع البلد ، من الأمانة الثقة ، وأن يدفع أجورهم من بيت المال إن اتسع لها (٥) وله أن يتيقن في بعض الصناعات من علم أصحابها وأن يختبرهم ، فالبراز ينبغي ألا يتجر بالبز إلا إذا عرف أحكام البيع وعقود المعاملات وما يحل له وما يحرم عليه وقد قال عمر بن الخطاب : لا يتجر في سوقنا إلا من تفقه في دينه والواجب ألا يتعاطى الصيرفي الصرف إلا بعد معرفته بالشرع وألا يتعاطى البيطرة إلا من له دين يصده عن التهم على الدواب بقصد أو قطع أو كي وينبغي أن يتمتحنه

(١) السابق ص ٢٨ .

(٢) السابق ص ٦٩ .

(٣) السابق ص ١٩ .

(٤) السابق ص ٧٧ .

(٥) الأحكام السلطانية ص ٢٤٠ .

الجلسة التاسعة

الإسلام والعلاقات الدولية

للأستاذ: محمد أبو زهرة



يقوم هذا البحث الذي أهده وألقاه فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد أبو زهرة على الموضوعات الآتية :

١ - الوحدة الإنسانية كما جاءت في القرآن والسنة ، وأسباب النزاع في هذا الوجود .
٢ - القواعد التي تقوم عليها العلاقة بين الناس وتطبيقها على الدول كما تطبق على الآحاد .
٣ - العلاقات في حال السلم ، والأصل في العلاقات بين المسلمين وغيرهم .

٤ - العلاقات في حال الحرب ، والقيود التي يقيد بها المؤمن في حربه ، ثم أعقاب الحرب .
وإلى القراء الموضوع الأول من هذا البحث الواسع المستفيض :

١ - الوحدة الإنسانية :

عبرت آيات كثيرة في القرآن عن الناس بأنهم أمة واحدة ، وأنهم يبتدون في الوجود من أصل واحد ، وينتهون إلى نهاية واحدة وهي لقاء الله الذي خلقهم ، وإن اختلفت الأجزاء خيراً أو شراً ، نعمياً مقيماً أو عذاباً أليماً .

قال تعالى : « هو الذي خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ، . وإن النبي صلى الله عليه وسلم صرح بهذه الوحدة ، فقال عليه السلام : « كلكم لأدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى »

وقد بين القرآن في خلق آدم أن الناس جميعاً ينتهون في نسبهم إليه ، وأن الناس مع هذه النسبة الواحدة قد اختلفوا في اللون واللسان ، وتباينوا قبائل وشعوباً ، وأجناساً ، وكل ذلك من آيات الله تعالى في السكون ومظاهره ، باختلاف الأماكن يوجد اختلافاً في الألوان والألسنة ، ولذلك ربط

أشار إليه النخس الكريم . ولكن انصرفوا
عن هذا المقصد ، فكان الاختلاف سبباً
للتناكر ثم التناحر ، ثم كان من هذا أن شج
أهل كل إقليم بخير ما عنده ، وقامت المنازعات
على ما رزق الله الناس في الأرض ، وما ينجر
من أكران .

ولقد أثبت الله سبحانه ذلك الاختلاف
مع إثباته سبحانه وتعالى الوحدة فقال
تعالى : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله
النبیین مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم
الکتاب بالحق لیحكم بین الناس فیما اختلفوا
فيه ، وما اختلف فيه إلا الذین أوتوه من
بعد ما جاءهم البینات بغیا بینهم ، فهدى الله
الذین آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه
والله یدهی من یشاء إلى صراط مستقیم ، .

أثبت الله سبحانه وتعالى الوحدة الإنسانية
من حیث إن الناس جميعاً أمة واحدة ، وإن
هذه الوحدة تتضمن وحدة الأصل ، كما
تتضمن وحدة التكوين ، وكما تتضمن وحدة
الغرائز ، ووحدة الاستعداد للخیر والشر ،
فالغرائز كلها واحدة ، فغرائز الإنسان في
أقصى الشمال هي غرائزه في أقصى الجنوب ،
والله سبحانه وتعالى ذكر أن كل نفس فيها
نزوع إلى الخیر وفيها نزوع إلى الشر ، كما قال
تعالى : « وهدیناه للنجدین ، أی نجد الخیر

سبحانه وتعالى بین اختلاف الالوان
والألسنه وخلق السموات والأرض ، فقال
تعالى : « ومن آیاته خلق السموات والأرض ،
واختلاف ألسنتکم وألوانکم ، إن فی ذلك
لآیات للعالمین ، ثم إن اختلاف الظاهرة
الإنسانية عن أصلها وهو التراب محبه
بلاشك الاختلاف فی كثير من المظاهر ،
ولذا یقول سبحانه : « ومن آیاته أن خلقکم من
تراب ثم إذا أنتم بشر تنشقرون . »

ولیس ذلك الاختلاف معارضاً لأصل
الوحدة ، ولا یصح أن یكون سبباً للنزاع ،
بل یجب أن یكون سبباً للتعارف والتواد .

ولذا قال سبحانه : « یأیها الناس إنا خلقناکم
من ذکر وأنثی ، وجعلناکم شعوباً وقبائل
لتعارفوا إن أکرمکم عند الله أتقاهم ، فهذا
الاختلاف للتعارف ، لالتناکر ، ولا یستحققر
بعض الشعوب غیرها ، وإن التعارف لیس
هو المعرفة المجردة ، بل المعرفة المشعرة التي
تتلاقى فیها كل القوى الإنسانية لخير الإنسان
وإنما یكون التعارف لخير الإنسانية إذا
قدم أهل كل إقليم ما عندهم من خیرات الأرض
وثمراتها لغيرهم ، وبذلك تتبادل المنافع ،
وینتفع أهل كل إقليم بما عند غیره ویقدم له
ما عنده من خیر ، وبذلك ینتفع ابن الأرض
بخیر الأرض كلها ، وذلك هو التعارف الذی

لبعض هدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين .

اختلف الناس مع أصل الوحدة والتكوين ، وتوزعهم الأرض ، وتباينت أجناسهم وألوانهم ، وفي طبيعتهم حب الغلب وحب السلطان ، وحب الاحتلال آحاداً وجماعات ، ودولاً .

وجرى بينهم التغالب على السلطان وعلى الأرض وعلى المال ، فصار أهل كل إقليم يريدون أن يهكوا الآخر أحياناً باسم العصبية القبلية ، وأحياناً باسم الاقتصاد والثروة ، وأحياناً باسم الدين ، والمسوخ لكل هذا قوة فيمن يريد التغلب ، وضعف ولو كان نسبياً فيمن يدافع الغلب أو يستخذي له .

ومن هذا الوقت جرى التناكر بدل التعارف ، والتعاون على الاعتداء والإثم بدل التعاون على البر والتقوى ، والعدل .

ولاشك أن التعارف الذي دعا إليه القرآن ، واعتبره غاية فاضلة لاختلاف الشعوب والقبائل في العنصر والأرومة ، وتوزعهم في الأرض كان وحده كافياً لحل كل نزاع ، واسكن الناس في جماعاتهم ودولهم ، كما هم في أحادهم تسيطر عليهم الغواية التي أخذ بها الشيطان نفسه فكان لابد من التعاون لتنظيم هذا التعارف وجعله مسيطراً في العلاقات الإنسانية بين الجماعات البشرية في كل الأرض .

ونحمد الشر ، وقال تعالى : « وقفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » .

ولأنه من هذه الوحدة في الغرائز ، ومن الوحدة في الاستعداد للخير والشر كان اختلاف الناس ، فمنهم من غلبت عليه شقوته ، فسار في طريق الشر مستجيباً لداعيه ، مغلباً له على داعي الخير ، ومنهم من سعدوا فغلب عليهم جانب الخير ، فكان لابد من أن يختلف الفريقان بسبب اختلاف المنزهين ، ولذلك جاء النبيون لبيان الخير وتوضيح معامله ، ومع ذلك استمر الاختلاف ولم يحسم ، فمن الناس من استجاب لدعوتهم ، ومنهم من عصى واستمر في الغواية ، وتسكب عن طريق الهداية . وكانت حينئذ العداوة بين الأخيار والأشرار ، أو بعبارة أدق عداوة الأشرار للأخيار .

ولأنه منذ امتنع إبليس عن السجود لآدم وأحس إبليس بأنه ضل وغوى ، ولم يرجع إلى الحق وقال : « رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادة ربهم المخلصين » ، منذ ذلك الوقت ، وإبليس يغري بالشر ويزينه ، ويجلب من الناس لغوياته فريفاً كبيراً ، ويستعصم ويتقى فريق آخر ، ولذلك كان النزاع المستمر بين أهل الخير وأهل الشر ، كما قال تعالى مخاطباً الناس ومن يخوهم : « وقلنا اهبطوا بعضكم

٢ - قواعد العلاقات الدولية :

الأساس الذي تقوم عليه كل الأسس في تنظيم العلاقات الدولية في الإسلام هو التعارف الذي جعل الغاية العالية من اختلاف الناس عناصر وقبائل .

١ - المساواة : وإن هذا التعارف لا يكون إلا بين متماثلين ، ولا يكون بين أدنى وأعلى ، لأنه كان هناك أعلى وأدنى فإن التحكم يكون ، وحب السلطان يعلو ، وبذلك يكون التناكر ، وتثمر الإنسان للإنسان ، وبذلك وجبت المساواة في المعاملة وطالب بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أحب لأخيك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكرهه لها » . وإن هذا الحديث ينطبق على الجماعات والدول كما ينطبق على الأفراد ، فلا فرق في قانون العدل والمساواة بين الأفراد والجماعات بل إن ما يطالب به الواحد يطالب به الجميع ممثلاً في الدولة ، وإن اختلفت أساليب تحقيق المطلوب فتحقيق المطلوب في الواحد أسهل من تحقيقه في الجماعة ، وإن كانت الغاية واحدة فاختلاف الطرق مشقة وتعبيداً لا يغير من الغاية .

وإذا كان التحكم هو الذي أفسد على الناس الأخذ بطريق المعاملة بالقساوى فقد اتخذوا

وقد ثبت في ماضى الإنسانية وحاضرها أنها لم تثبت دعائم التعارف فيما بين دولها ، لأن حب الغلب وحب الامتلاك وحب السلطان ، كل هذا جعل التعارف الذي يقوم على التعاون يمتحن ، وتحمل محله الرغبة في التحكم باسم العنصرية أحياناً ، وباسم جهل بعض الشعوب أحياناً ، وباسم تسخير بعض الأجناس للبعض الآخر زعماً بالباطل ، وباسم الاقتصاد أحياناً ، ووراءه احتياج بعض الأقاليم للبعض الآخر ، وهكذا .

وإذا كان التناكر هو الذي يسود العلاقات الإنسانية ، إذا استقلت هي بتنظيم هذه العلاقات ، فلا بد إذن من هداية من السماء تنظم التعارف الإنسانى وتهدى لى هي أقوم وبذلك جاءت الرسائل السماوية ، وبعث النبيون مبشرين بالخير إن اتبعوا ، ومنذرين بالعذاب إن عصوا .

وجاء الإسلام ، وهو آخر الأديان السماوية الذى جاء به محمد خاتم النبيين ، وآخر لبنة في صرح الرسالة الإلهية منظمًا قواعد العلاقات الإنسانية بين الأفراد والدول على أمثل طريق وجعل أساس العلاقة الدولية التعارف الذى جاء به النص القرآنى : « يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وقد ذكرناه من قبل .

ذلك خيرا لا شك فيه ويؤدي إلى خير الإنسانية ، وإلى التعاون على الخير . ولقد سأل بعض الصحابة النبي وقد رآوه ينهى عن العصية ويشدد في النهي ، فقال : « أمن العصية يا رسول الله أن يحب الرجل قومه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا ، ولكن من العصية أن ينصر الرجل قومه على الظلم ، ولقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم من ينصر قومه على الظلم ببعير يتردى في ركية من النار ، فقال النبي الذي آتاه الله الحكمة : « مثل من يعين قومه على الظلم مثل البعير المتردى في الركي فهو يزرع بذنه » .

وإن ذلك التشبيه صادق كل الصدق تؤيده الوقائع والأحداث في زمننا ، فإن مبالغة القادة والزعماء في نصره أقوامهم ياغوائهم ، وإعانتهم على الظلم ، ليلتموا الأرض ويستغلوا ما فيها ومن فيها قد جعل العالم يتلظى في أتون من نيران الحروب ، حتى إذا أطفأ الله نارا أوجع ابن الأرض أخرى ، وذلك بسبب التعصب المردى للأقوام .

٢ - التعاون الإنساني :

وإن أول مظهر للتعارف الذي هو الغاية المثلى من اختلاف الاجناس والألوان هو التعاون - وإن التعاون هو مظهر التلاقى النفسى في المجتمعات صغيرها وكبيرها ، وهو مظهر التلاقى النفسى ، والتعارف العملي

ذريعة له اختلاف الناس في الألوان ولكن حارب ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد سمع بعض الناس يعير الآخر ، فيقول له : « يا ابن السوداء ، فغضب عليه السلام وقال : لقد طف السكيل - قالها ثلاثة ، ثم قال ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى . كما اتخذ الناس في هذا العصر الجهل سبيلا لتحكم المتحضرين في المتخلفين علما أو حضارة ولكن المنطق الإسلامى حارب ذلك فأوجب على العالم أن يعلم الجاهل ، واعتبر العالم الذى لا يعلم كاتما للعلم ، وكاتم العلم ملعون في القرآن الكريم ، ولقد قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : « لا يسأل الجاهل لم لم يتعلموا ، حتى يسأل العلماء لم لم يعلموا » .

ومن أسباب التحكم الذى يقطع سبيل المعاملة العادلة ، ثم يقطع سبيل التعارف الإنسانى التعصب للقبيلة أو للوطن تعصبا ظالما ، ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن العصية ، فقال : « ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية » .

ولكن هل يتضمن النهى عن العصبية النهى عن الوطنية ؟ إنه بلا ريب يتضمن النهى عن الوطنية التى تؤدي إلى الظلم أما التى لا تؤدي إليه ، فإنها غير منهى عنها ، فإنه إذا أدت العصبية أو الوطنية إلى أن يصلح كل قوم أحوالهم وينمو موارد من غير اعتداء يكون

في الأسرة الإنسانية ، وإن قوله تعالى :
 « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا
 على الإثم والعدوان » . قد خوطب به
 المؤمنون بالنسبة لجيوس بني الإنسان ، والنص
 الكامل « ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم
 هن المسجد الحرام أن تعمدوا وتعاونوا على
 البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان
 وانتقوا الله إن الله شديد العقاب » .

ولقد نفذ عليه السلام مبدأ التعاون الدولي
 عندما جاء إلى المدينة ، وعقد حلفاً مع اليهود
 وأساسه التعاون على البر وحماية الفضيلة ،
 ومنع الأذى . ولكن اليهود نقضوا العهد ،
 ودبروا الأمر مع المشركين على الاعتداء
 عليه ، مع أن أساس هذا التعاون كان التضافر
 على إقامة الحق ودفع الاعتداء .

وكان عليه السلام يعقد العهد مع القبائل
 العربية مسلماً وغير مسلماً للتعاون على الخير
 وما يسمى بلغة عصرنا التعايش السلي .

ولما ذهب حاجا لبيت الله الحرام ، ومعه
 جند كثيف وحاولت قريش أن تمنعه ،
 فند إليهم يد السلام ، ولم يثر في هذه الحال
 حرباً أو خصاماً ، بل أثار دهوة إلى التعاون
 على احترام بيت الله المعظم وقال النبي الحكيم

« لو دعيتي قريش إلى أمر فيه رفعة البيت
 لأجبتهم » .

وأقوى أحوال التعاون ما يكون أساسه
 التعاون على نصرة الضعيف . ولقد حضر
 وهو شاب في مقبل عمره حلفاً لبعض
 أشراف قريش عقد في دار عبد الله بن جعدان
 تعاهدوا فيه لينصرون الضعيف على القوى
 ما بل بحر صدقة ، وما رسائير وحمراء ،
 وقال الهادي الأمين ما معناه : « لقد حضرت
 بدار عبد الله بن جعدان ما لا أزن به حمر
 النعم ، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت » .
 وإنه في الوقت الذي يشعر فيه كل بني
 الإنسان أنهم متعاونون في استغلال
 كل ينابيع الثروة في الأرض ، وأنهم
 متلاقون بقلوبهم المحبة ، وأعمالهم المتعاونة
 تحتقن روح النزاع ، ويحتقن مبدأ التنافر
 على البقاء الذي ينادي به الظالمون ، وهو الذي
 جر على العالم كله الويلات ؛ إذ حسب كل قوم
 أن بقاءهم هو في الاعتداء على غيرهم فإنه
 حيث ساد ذلك المبدأ كان قانون الغابة هو الذي
 يحكم ويسيطر .

إن الإسلام لا يدعو إلى التنافس على البقاء
 لأنه يقرر أن التعارف والتلاقق نفسياً وعملياً
 هو سبيل البقاء ، ولذلك جعل التعاون
 الإنساني هو الأساس ؛ لأن فيه عمران
 الأرض ، ونشر المحبة بين الناس .

٣ - الكرامة الإنسانية :

لكل الأجناس ، ولكل الناس حضرم وبدوهم ، متقدمهم ومتخلفهم ، وعلى القادر أن يعين الضعيف ، وعلى المتعلم أن يعلم الجاهل وعلى المتقدم أن يأخذ في تأفله المتخلف .

وإن الكرامة يقتضيها قانون التعارف والتعاون ، فليس من التعاون أن يكون أحد الفريقين مستعليا ، والآخر مستخدما وإنما التعارف والتلاقى الروحي والعمل ، والتعاون هو أن يكون الواحد في عون الآخر .

ولم التمييز بين الناس بالحضارة والبدانة ، والقرن والعصر سبب جوهرى من أسباب النزاع في هذه الأرض فإنه منذ أن استهبت كرامة الإنسان ، واتخذ الأقوياء المتحكمون في سياسة العالم الملونين والمتخلفين يستغلونهم وقد قام النزاع على من يتحكم فيهم ، كما يقنازع الناس على بضائع بين أيديهم يريد كل واحد أن يفتنصها ، ولما بدأ المستغلون في أرضهم وديارهم انبعث نزاع بينهم وبين المتحكمين ، وهو من جانب الذين استضعفوا في الأرض دفاع عادل أوجبه الفطرة ، وأوجبه الكرامة ، وأوجبه الشرائع العادلة ، وأوجبه الدين الإسلامى الذى يربى الكرامة والهزة في قلوب معتنقيه ، ويحصلهم على احترام الكرامة في غيرهم .

وأخبار النبى صلى الله عليه وسلم في تكريم الإنسان متضاربة ، وأعمال الصحابة في ذلك

وردت النصوص القرآنية التى تصرح بأن الإنسان خليفة في هذه الأرض ، وأن الله سبحانه وتعالى سخر له الكون وما فيه ، وآتاه استعدادا عقليا يستطيع به معرفة الأشياء وطرق الانتفاع بها ، ولقد قال تعالى في بيان بدء الخلق : « وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر ، وكان من الكافرين ، بهذا الاستعداد العالى الذى مكن الله به لابن الأرض من تسخير ما في الأرض كان ابن الأرض مستحقا لأن يسجد له الملائكة ومستحقا لهذه الكرامة في الأرض ، ولقد صرح القرآن الكريم بها ، فقال تعالى : « ولقد كرّمنا بني آدم ، ورحمناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا . »

وهذه الكرامة يستحقها الإنسان لأنه إنسان ، لا لأنه أبيض ، أو حمرى ، أو متعلم أو متقدم ، نهى حق لكل الألوان ، وحق

واضحة بيّنة ، وهى أوضح ما تكون فى عهد
 محمد رضى الله عنه .
 ولأنه لا يمكن أن يكون سلام عادل فى هذه
 الأرض من غير احترام الكرامة الإنسانية
 فى كل إنسان وفى كل أرض وكيفما كان اللون ،
 ومهما اختلف العنصر والجنس .
 ٤ - التسامح :
 كان لابد لاستجابة دهوة التعارف
 الإنسانى العام من التسامح ، لتتلاقى القلوب
 على غير عداوة أو إحن ، ولذلك دعا
 الإسلام إلى التسامح غير الذليل ، فهو يبنى
 العلاقات الإنسانية سواء أ كانت بين الآحاد
 أو كانت بين الجماعات والدول على التسامح
 من غير استسلام للشر ، ولذلك أمر النبي
 صلى الله عليه وسلم بالصفح الجليل عن يعاديه
 فقال تعالى : « فاصْفَح الصَّفْحَ الْجَمِيلَ »
 والصفح الجليل هو الصفع فى عزة وقوة
 ومن غير استخذاء أو استسلام .
 وقد طبق النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ
 التسامح فى علاقته بالمشرىكين وغيرهم فى معاهداته
 وحروبه ، فتراه فى صلح الحديبية وهو الصلح
 الذى عقد بينه وبين المشركين عندما أراد
 أن يحج فنعوه ، وأبوا أن يدخل البيت
 الحرام ، وكان الصلح فيه شطط من جانب
 المشركين ، وسماحة من جانب النبي صلى الله

عليه وسلم ، فقد أصرّوا على أن يمنعه
 من الحج فى عامه هذا ، فقبل هذا الشرط
 ومعه جيش يستطيع أن يذك عليهم ديارهم ،
 واشتروطوا مع ذلك أن من يخرج من مكة
 مسلماً لا أسفاً بالنبي والمؤمنين يرد إليهم
 إن لم يكن ذلك برضا من أهله ، وأن من يخرج
 من عند النبي مرتداً إلى مكة يقبلونه ، فقبل النبي
 الكريم ذلك الشرط ، حتى ضج بعض
 المؤمنين ، ووقف عمر بن الخطاب يقول :
 « لماذا نرضى بالدنية فى ديننا ، ولكنها
 الحكمة النبوية ، إذ آثر الصبر والسماحة وحقق
 الدمام ، ولم يكن ذلك قبولاً للدنية ، ولكن
 الهدى الإسلامى الذى حث على الصبر بدل
 القتل والقتال ، والرفق بدل العنف وتأجيل
 فى رفق خير من تعجيل فى عنف . وسمى الله
 سبحانه ذلك الصلح فتحاً مبيناً ، فقد قال تعالى :
 « وإنا فتحنا لك فتحاً مبيناً . ليغفر لك الله
 ما تقدم من ذنبك وما تأخر » ويتم نعمته عليك
 ويهديك صراطاً مستقيماً . وبصرك الله نصراً
 عزيزاً » .

وقد كان ذلك فتحاً للقلوب التى كانت مغلفة
 على الشرك ، فإنه فى أثناء هذه الهدنة أسلم
 كثيرون من دهاة قريش وصناديدها ،
 وحسبك أن تعلم أنه أسلم داهية قريش
 عمرو بن العاص وصنديدها خالد بن الوليد
 وما استطاعت من بعد ذلك أن تشن حرباً

وقد طبق النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ
 التسامح فى علاقته بالمشرىكين وغيرهم فى معاهداته
 وحروبه ، فتراه فى صلح الحديبية وهو الصلح
 الذى عقد بينه وبين المشركين عندما أراد
 أن يحج فنعوه ، وأبوا أن يدخل البيت
 الحرام ، وكان الصلح فيه شطط من جانب
 المشركين ، وسماحة من جانب النبي صلى الله

كما يدعى الجهلاء الكاذبون ، إذ لو أرادها
لملكها بملك البين ، لأنها تكون أمة تملك ،
وتباح لها ملكها بملكيتها لها .

وبهذا يتبين أن التسامح هو السياسة التي
رسمها النبي صلى الله عليه وسلم في العلاقة بين
الناس بعضهم مع بعض ، وهي السياسة
الشفافية للقلوب المجروحة في أعقاب الحرب ؛
لأن القلب المجروح يجب أن يوقأ جرحه بدل
أن يشكأ قرحه .

هـ - الحرية :

إن الحرية ثمرة من ثمرات التعارف
الإسلامي الذي دعا إليه القرآن الكريم ،
فإن التعارف الحقيقي لا يكون إلا بين
الأحرار ، فلا يكون سيد وعبد ، ولا مسيطر
ومقهور ، بل يكون بين أحرار على قدم
المساواة ، ولا تكون المساواة إلا على
أساس التعادل في الحرية .

والحرية الحقيقية أن يقدر الحر الحرية
في غيره كما يقدرها في نفسه ، والحرية والهو
والإنانية لا تجتمع ، فإن الحرية سيادة
الإنسان على نفسه وأول مظهر من مظاهرها
كبح الرجل لأهوائه وشهوته ، والحرية
مبنى اجتماعي يظهر في علاقة الإنسان بغيره
ومراعاته لحقوق غيره كما يراعى حقوق نفسه
فهي والأثرة نقيضان لا يجتمعان ، تتلاقى
مع الإيثار ولا تتلاقى مع الأثرة .

على النبي صلى الله عليه وسلم مع هنجيتها
وعنف لجاعتها ، فكان ذلك الصلح المقسح
فتحاً مبيناً .

وإن القساح الذي رطب القلوب وعداها ،
هو ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم بعد
أن فتح مكة ، وغلب على المشركين الذين
أرادوا قتله ، وأخرجوه وأصحابه من ديارهم
فقد قال : للبلا من قريش في أول لقاء بعد
النصر العزيز : « ما تظنون أني فاعل بكم ؟ »
قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم فقال لهم الرسول
السمح الكريم : « أقول لكم : ما قاله أخى
يوسف لإخوته : لا تريب عليكم اليوم يغفر الله
لكم ، وهو أرحم الراحمين . »

ولقد كان ذلك شأنه عليه السلام في كل
حروبه يعالج القلوب بالصفح والتسكين بدل
أن يورث الإحن بالإذلال والانتقام .
ولنضرب لذلك مثلاً بغزوة بني المصطلق ،
فقد أسر المسلمون مائة بيت من بيوتهم ،
واسترقوهم ، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم
أن يمن عليهم جميعاً ، فجاء وتزوج جويرة
بنت الحارث ، فأطلق كل من في يده أسير
من في يده منهم ، وتحروروا جميعاً من الرق ،
وقالت : عائشة رضي الله عنها « ما كانت امرأة
أبرك على قومها من جويرة ، لقد هتق بها
مائة من بيوت العرب . وما كان الزواج إلا
لهذا التصرف السمع ، فإكان لشهوة يبتغيها

وإن حرية التدين لا تتحقق من منع الإكراه فقط. بل لها نبتدىء من ذات نفس الشخص، بأن يكون تفكيره في العقيدة متحررا، فيحكم العقل غير مقيد بأوهام، ولا خاضعا لأهواء، ولذلك نقرر أن حرية الاعتقاد تتكون من عناصر ثلاثة :

أولها : تفكير سليم غير مأسور بتعصب لجنسية أو تقليد أو شهوة فكثيرا ماتتحكم الأهواء والعنصرية باسم التدين .

ثانيها : مع الإغراء أو الإكراه للحمل على عقيدة ، فليس بحر من يعتقد اعتقادا دينيا تحت تأثير الإغراء بالمس أو المنصب أو الجاه ، وإنه من أشد أنواع الإكراه تسليط المخدرات والمسكرات كما يفعل بعض المبشرين بالمسيحية في إفريقيا .

ثالثها : العمل على مقتضى العقيدة ، وتسهيل ذلك لكل معتق لدين من غير إرهاب .

ولقد حمى الإسلام هذه العناصر فنع التقليد من غير دليل ، وحث على أن يكون العمل على مقتضى الاعتقاد ، وعمل على حماية عقيدة الدين يستظلون بظله ، أو يعقدون معه عهدا ، أو لا يثيرون عليه حربا ، بل له سهل لهم القيام بشعائر دينهم ، وقد قرر الفقهاء فيما استنطوه من نصوص قرآنية ونبوية ، ومن أعمال الصحابة قاعدة تقول : « أمرنا بتركهم وما يدينون ، وبهذه العقيدة المجمع عليها من

واقعد وجدنا في هذا الزمان زعماء الأمم يعمدونهم بوصف الأحرار ، ويصفون أنهم بأها الأمم الحرة - ووجدنا هؤلاء يمحكون أهواءهم في شئون غيرهم ، فزرى العام الآن يخضع لشهوات حكام ، وأهواء مجالس نيابية ، قد جازيت حكم العقل الحراسية ، وهذا لا يراه الإسلام إلا استعبادا لأهواء النفوس والشهوات وليس من الحرية في شيء .

ولقد أحرمت النظم الإسلامية في العلاقات الإنسانية حرية العقيدة احتراماً كاملاً . فتنى القرآن الكريم أن يكون الإكراه طريقاً لاعتناء دين ، ومنع المؤمنين أن يكرهوا أحداً على دينه فقال تعالى : « لا إكراه في الدين ، وخوطف إلى الله عليه وسلم مطاباً بمنع الإكراه في الدين ، فقال تعالى : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، ولقد أراد أحد الصحابة أن يكره ابنين له على الإسلام فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وتلا قوله تعالى : « لا إكراه في الدين » .

وإن الإسلام اعتبر امتحان المؤمن في عقيدته فتنة هي أكبر من القتل ، فقال تعالى : « والفتنة أشد من القتل ، وما فتح باب قتال في الإسلام إلا لحماية الحرية الدينية ، ولمنع فتنة المؤمنين فقال تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » .

أن يخضع لدولة غير إسلامية ، ولا يجوز للمسلمين أن ينضموا تحت لواء غير إسلامي لأنه لا يمكن من تنفيذ أحكام دينه في الماء ملات وإقامة الحدود .

وأما بالنسبة لغير المسلمين فإن الإسلام حرم الاعتداء على حرياتهم ، وإخراجهم من ديارهم ، ما داموا لا يعتدون على المسلمين ولا يقتلون إلا إذا اعتدوا كما سفينه إن شاء الله تعالى عند الكلام على إباحة القتال .

وإنه في حال القتال وتوقع الاعتداء منهم نخيرهم بين هدي وثقونه ، أو دخول في الإسلام ، أو القتال فإن اختاروا العهد كان لهم هدمهم ، وإن اختاروا الإسلام دخلوا في ذمة المسلمين .

٦ - الفضيلة :

ختم الله سبحانه وتعالى الآية التي تبين أن الغاية المثل من اختلاف الناس شعوبا وقبائل هي التعارف بقوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله اتقاكم » ، والتقوى هي جماع الفضائل الإنسانية كلها ، فالتعارف يجب أن يكون مع الفضيلة ، والفضيلة كما هي مطلوبة بين الأفراد هي مطلوبة بين الجماعات ، واقدحت القرآن الكريم على التمسك بالتقوى جماع الفضائل في حال السلم وفي حال الحرب وكان التمسك في الدعوة إليها عند قيام الحرب فقد قال تعالى : « فن اعتدى عليكم فاعتصموا

الفرع . حيث حرية الاعتقاد ، فلا يضار غير المسلم ، بل يقيم شعائره حراً غير مضطرب . ويروي في ذلك أن عمر بن الخطاب عندما ذهب إلى بيت المقدس رأى رضى الله عنه هيكلا لليهود قد ستره التراب ، ولم يبق منه إلا أعلاه ، فجاء بفضل ثوبه ، وحمل بعض التراب المتراكم عليه ليزيله ، فاقتدى به جيش المسلمين ، فزال كل ما ستر الهيكل وبدأ واضحاً ليقم اليهود عنده شعائهم .

وفي هذه الرحلة المباركة حضروا وقت الصلاة ، وعمر قريب من السكينة ، فملى خارجها ، فقيل له لا يجوز الصلاة فيها ، فقال الإمام الحر : « خشيت أن أصلي فيها فيزيلها المسلمون من بدي ، ويتخذوها مسجداً » .

وإن فقهاء المسلمين إذ يقررون الحرية على ذلك النحو السمع بدمشون من فكرة صحيحة ، وهي أن من له دين خير ممن لا دين له ؛ لأن من له دين ولو غلطاً له ضمير ديني يزره . ولقد ضمن الإسلام الحريات الإنسانية كلها ، فضمن حرية الإقامة ، وحرية القول ، وحرية الرأي وحرية العمل كما ضمن حرية تقرير المصير .

ولمخرج على حرية تقرير المصير بكلمة موجزة . لقد ضمن الإسلام حرية تقرير المصير للؤمنين به ، وحرية تقرير المصير أما بالنسبة للمسلمين ، فإنه لا يجوز للؤمن

وصرح القرآن الكريم بأن العدالة مع الأعداء هي أقرب للتقوى فقد قال تعالى : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، ويقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم ، .

والعدل في كل صورة هو نظام الإسلام الأمثل ، فقد قال تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ، . وقد قال العلماء إن هذه أجمع آية لمعانى الإسلام .

وإذا كان لكل دين سمة ، فسمه الإسلام العدالة ، فالعدالة هي الميزان المستقيم الذى يحقق العلاقات بين الناس في حال السلم وحال الحرب ، ففي السلم يكون حسن الجوار قائما على العدالة ، وفي الحرب يكون الباعث عليها العدالة ، وإن كل المبادئ الإنسانية من تسامح وحرية يكون في ظل العدالة ، فالتسامح الذى يؤدي إلى ضياع الحقوق لا يكون تسامحا ولا يكون رحمة ، بل يكون ظلما ويؤدي إلى أشد أنواع القسوة ، فالتسامح مع الظالمين آحاداً أو جماعات قسوة على الذين ظلمهم وأكلوا حقوقهم .

وإن العالم لا يصلح إلا إذا كانت العدالة ميزان العلاقات الإنسانية في كل أحوالها ،

عليه يمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ، والسبب في ذلك هو أن النفوس عند القتال تندفع في حال احتدام الحرب وقد تقع فيها مخالفات الفضيلة وخصوصا إذا كان العدو ينتهك حرمتها .

ولا يصح للمسلمين أن يجاروا أعداءهم إن اعتدوا على الفضيلة ، بل ليلتزموا بها فإذا كان العدو يمثل بالقتل لا يمثل المسلمون بهم ، وإن كان العدو يقتل النساء والذرية لا يصح أن تقتلهم ، وإذا كان العدو يقتلك حرمت النساء لا تنتهك حرمتهم .

وقد حدث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن جرى بعض المسلمين الأعداء فقتل بعض الأطفال فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما بال أقوام جاز بهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية ألا لا تقتلوا الذرية ، ألا لا تقتلوا الذرية ، ويوصى عليه السلام ألا يقتل الأسير ، فيقول : « لا يعترض أحدكم أسير أخيه فيقتله ، .

وهكذا تكون معاملة المسلمين لغيرهم على أساس الفضيلة يتجاوزون حدودها مهما يستحكم شر الأعداء .

٧ - العدالة :

قامت العلاقات الإنسانية كما ينظمها الإسلام على أساس من العدالة سواء أكانت المعاملة مع الأولياء أم كانت مع الأعداء

رحمة مع الظالم ، والمعاملة بالمثل أعظم دفعا للظلم .

ولكن المعاملة بالمثل مقيدة بالفضيلة ، كما أشرنا من قبل ، فإذا كان العدو يترك حرمانها لا يصح لجيش الفضيلة أن يحاربها فيها ، وقد روينا من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ما يؤكد ذلك .

وفوق ذلك فإن المعاملة بالمثل يجب ألا تتجاوز الذين يقاتلون في الميدان ، فلا يصح لجيش العدل أن يقتل الذين لا يقاتلون .

٩ - الوفاء بالعهد :

إن الطريقة المثلى لاستقرار السلام ، وجعل التعارف على أساس سليم هو معاهدات الأمان وعدم الاعتداء . وإن المعاهدات لا تستمد قوتها من نصوصها فقط ، بل من عزم عقديها على الوفاء بها ، ولذلك حث الإسلام على الوفاء بالعهد ، وقرر أن الوفاء بالعهد قوة في ذاته ، والنسك في العهد من أسباب الضعف ، وقد وثق الله سبحانه وتعالى العهد بأن قرر أن من عاهد من المؤمنين فقد اتخذ الله عليه كفيلا ، وقرر سبحانه أنه لا يصح أن تكون الرغبة في زيادة رقة الدولة ، أو زيادة قوتها مسوغا للغدر ، والآية الجامعة لهذا قوله تعالى : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله

فلا يبغي قوى على ضعيف ، ولا يضيع حق خضوعا لأمر الواقع ، كما هو منطق هذه الأيام حتى صرنا نرى العلاقات الدولية تقوم على مجموعة من الظلم متكافئة .

وإن العدالة هي ميزان التعارف الإنساني الذي نصت عليه آية للتعارف العام بين الأجناس والشعوب .

٨ - المعاملة بالمثل :

وهذه مقشعة من العدالة غير منفصلة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به » . وبمقتضى ذلك القانون العادل كان على المسلم أن يعامل من يعتدى عليه بمثل ما يعامله ، ولا يزيد عما يفعل إلا بمقدار ما يحميه من تكرار الاعتداء عليه ، وإذا كان الاعتداء ظلما ، فردده عدل .

ولا يتنافى ذلك مع مبدأ التسامح والفضيلة لأن التسامح يجب ألا يؤدي إلى شيوخ الظلم ، وإن شيوخ الظلم فساد لا ريب فيه ، وإن الفضيلة الإسلامية ليست فضيلة مستحذية مستسلبة ، بل هي فضيلة إيجابية دافعة ، لا تخضع للشر والأشرار ، بل تستعلى عليهم جميعا .

وإن العدالة لا تنافي الرحمة ، بل إنها تلازمها فحيث كانت العدالة كانت الرحمة ، ولا توجد

الناس أجناساً وقبائل يجب وصلها بالمودة والعمل على الإصلاح ومنع الفساد ، ولو اختلف الناس ديناً وأرضاً وجنساً : ولا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون .

وإن المودة الموصولة لا يقطعها الحرب ، ولا الاختلاف في الدين ، ويروى أنه في مدة الحديبية بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أقرشيأ أصحابهم جاثمة ، فأرسل عليه السلام إلى أبي سفيان زعيم الشرك في قبة خضبانة دينار ليشتري بها قمحا ويوزعها على فقراء قريش . ففي أثناء الحرب تقطع العلاقات بين الدولة الإسلامية والدولة المحاربة ، ولكن لا ينقطع الصلات بين رعايا الأعداء الذين لا يشتركون في القتال ، ولذلك لا يمنع قيام الحرب أن يقيموا في ديار الإسلام ولا يؤذون في أنفسهم ولا تمس أموالهم ، والمستأمنون في تعريف الفقهاء هم الذين يقيمون في الديار الإسلامية مدة محدودة بأمان يعقد للتجارة وتبادل المنافع .

وقد فتح باب المودة للشعوب قديسي الحرب ويفتح باب السلام العزيز الكريم .

يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كآلهم نقضت غزوها من بعد قوة أنكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة ، إنما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون .

فقد شبه الله سبحانه الذي ينقض العهد من الرؤساء بالحمقاء التي تغزل الغزل ثم تنقضه وتجعله شعراً متناثراً ، بعد أن قوى بالقتل وبين سبحانه أنه لا يصح أن تتخذ الغش والتحديعة للرغبة في أن تكون أمة أرى من أمة ، أي أكثر عدداً ونماء وسعة في الأرض من أمة أخرى ، فإي القرة التي تكون من نقض العهود مآلها الزوال .

وقد بين عليه السلام أن خيار الناس هم الموفون بعهودهم فقال صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بخياركم ، وخياركم الموفون بعهودهم ، وقال عليه السلام : « أنا أحق من وفي بعهده » وقد عقد مع المشركين صلح الحديبية على ألا يقاتلوه ويؤادوه ، عشر سنين كما أشرنا من قبل ، فقال بعض المسلمين للنبي أنهم على ذمة الغدر ، وأنهم يمدون لقتاله ، فقال عليه السلام : « هم ونواياهم ونستعين الله تعالى عليهم » .

١٠ - المودة :

إن الأخوة الإنسانية العامة التي أرجب الإسلام بها التعارف عند ما يختلف

وإن كتب النبي صلى الله عليه وسلم
التي أرسلها إلى الملوك والرؤساء متضمنة
دعوتهم إلى الإسلام ، وجاء فيها النص على
أن عليهم التبعات فيما يتعلق برعاياهم ، وأن ذلك
يقتضى أن عليهم أن يعطوا حرياتهم ليعلموا
الإسلام وليعتنقوه إن أرادوا مختارين ،
ولذلك جاء في رسالته إلى هرقل ملك الروم
« أسلم تسلم ، وإلا فطليك لئيم البريسيين ،
والبريسيون ، هم الزراع والعمال وغيرهم
من لاسطوة لهم .

ولهذا المبدأ الجليل كان الإسلام حريصاً
على حماية حريات الضعفاء وخصوصاً حرية
الدين وما كان قتال المسلمين إلا لحماية هذه
الحرية ، فساقل المشركين إلا لأنهم قتلوا
المؤمنين في دينهم ، وما قاتل الروم إلا لأنهم
قتلوا الذين آمنوا من أهل الشام ، ووازن
بين هذا المبدأ وما عليه الدول الآن .

محمد أبو زهرة

وإذا كانت المودة موصولة غير منقطعة
فالرحمة تلازمها ، بيد أنها أهم شئولا إذ أن
المودة تكون بين الشعوب ، أما الرحمة فإنها
تكون بين الشعوب ، وفي ميدان القتال ،
فلا يجز على جريح ولا يقتل أسير ، ولا يقتل
مستسلم معلناً لاستسلامه .

ومن مظاهر الرحمة العادلة ، والمودة
الواصلة العمل على نصر الضعفاء ؛ لأن
الإسلام دين سماوى يحكم بأوامر الله تعالى
وكل الأديان حثت على حماية الضعفاء من
الاقوياء . سواء أكانوا أحراراً أم كانوا دولاً
وجاءت ، ولقد قال تعالى : « ونريد أن نمن
على الذين استضعفوا في الأرض ، ونجعلهم
أئمة ونجعلهم الوارثين ، وقال النبي صلى الله
عليه وسلم : « ابغوني في ضعفائكم ، فإنما
تقصرون وترزقون بضعفائكم » .

والإسلام لا ينظر فقط إلى حماية الدولة
الضعيفة من الدولة القوية ، بل يعمل على حماية
الشعوب التي أرهقتها الطغيان وأضعف النخوة
فيها الاستبداد .

مناقشات المؤتمر

عرض وتعليق

للاستاذ على العماري

- ١ -

كان أول بحث ألقى في المؤتمر بحث فضيلة
الأستاذ الكبير الشيخ على عبد الرحمن من كبار
علماء السودان حول دعوامل انتشار الإسلام.

وقد دار حول هذا البحث من المناقشات
ما يشعر بأن موضوعه هو أهم ما يشغل
المسلمين ، وأهم ما يشغل مجمع البحوث ،
بل لقد قال فضيلة الشيخ فرج السنودي إن
هذا الموضوع هو صميم عمل المجمع .

وكثير من المناقشات تناول جزئيات
جانبية في الموضوع ، ومع ذلك فالمناقشة
التي تنازلت الموضوع الأصلي كان لها مع
إجابات فضيلة الأستاذ صاحب البحث
من الفائدة ما لعله لا يقل أهمية عن البحث
ذاته .

تكلم بعض الأعضاء عن الإسلام في
إفريقيا السوداء ، فذكر أن المسلمين هناك
يواجهون مشاكل كثيرة ، وهداوة زرقاء
من المسيحية والاحمدية ، والقيانية ،
والبهائية ، وأتباع أغاخان ، وعلاوة على

لعل أكثر أعمال المؤتمر فائدة . وأولها
على ما يعتلج في نفوس المسلمين في العالم
الإسلامي ، هي هذه المناقشات التي دارت
حول الأبحاث التي ألقاها أعضاء مجمع
البحوث الإسلامية .

ذلك أن هذه الأبحاث وقفت على أعضاء
المجمع ، وليس من حق غيرهم أن يتقدم
ببحث لهذا المؤتمر ، أما المناقشة فإن لكل
عضو في المؤتمر الإسلامي الكبير أن يعلق
على أي موضوع بما ينع له .

ولذلك فلا نبعد إذا قلنا إن هذه المناقشات
أعطتنا صورة صحيحة إلى حد كبير لما يشغل
بال المسلمين في شتى أقطارهم ، كما أعطتنا
بجانب الأبحاث - آراء علمية ناضجة ،
وأفكارا إصلاحية مخلصة .

ورغبة منا في أن نعطي القارئ صورة
تقريبية لما دار في المؤتمر من ناحية ولما يهم
المسلمين من ناحية أخرى رأينا أن نعرض
لأهم ما دار في هذه المناقشات :

لحم الخنزير لأن المسلمين يعبدون الخنزير ، كما يحرم الهنود - مثلاً - أكل لحم البقر لأنهم يعبدونها .

وأبرز تعاقب على هذا الموضوع كان من الدكتور إسحاق الحسيني إذ قال : إننا يجب أن نبدأ من حيث انتهى المبشرون ، فننشئ معاهد خاصة لتدريس الأديان ، في البلاد الإفريقية والآسيوية وأشار إلى أن القدوة الحسنة أم حامل في نشر الإسلام وقد أقاض فضيلة الأستاذ الباحث في بسط هذا الموضوع وقال أولاً إنه يوافق الدكتور الحسيني موافقة تامة في أننا يجب أن نبدأ من حيث ابتدأ المبشرون ، وذكر أن له بعض التجربة ، وأنه زار بعض بلاد أواسط إفريقيا ، وعاش زمناً في جنوب السودان ، ورأى طرائق المبشرين وأساليبهم وقال إن المبشرين يأتون من أوروبا وأمريكا حيث الحياة الصاخبة ، والمتنع الميسرة ، ثم يمكثون وسط الزوج في الغابات مدداً تتراوح بين ست وعشر سنوات لا يملون ولا يسأمون وقال إن السر في ذلك أنهم يعدون في بلادهم لهذا العمل فيراضون على العزلة وعلى الابتعاد عن أضواء الحياة ، ثم لما المبشرين يفتشون المدارس في المناطق الإسلامية ويتظاهرون بأنهم لا يتعمرسون فيها المسائل الدينية وهدفهم من ذلك أن يخرجوا متعلمين مسلمين يشعرون بأن لهذه المدارس فضلاً عليهم

الفقر والمرض ، وقال إن على أعضاء المؤتمر أن يجدوا حلولاً لنشر الإسلام في هذه المناطق من العالم .

وتحدث أحد علماء العراق عن الإسلام في الأرجنتين ، وقال إن هناك نحو مليون ونصف مسلم ، ولأنه بقي داعية هناك نحو عشر سنوات ، وزجد نفوس المسلمين شديدة التسك بالإسلام غير أنه يخشى على أبناء هؤلاء من التبشير فإنه يحاول أن يميل بهم عن دين آباءهم ، وإذا لم يتداركهم العالم الإسلامي فيرسل إليهم الدعاء ، وتؤلف كتب في الموضوعات التي تشغل أذهانهم مثل رأى الإسلام في المسيح عليه السلام وفي السيدة مريم - لأن المبشرين يوهمون المسلمين بأن الإسلام يحط من قدرهما وفي الطلاق وتعدد الزوجات ... وما إلى ذلك ، ثم ترسل هذه الكتب لتوزع هناك ، يقول إذا لم يفعل العالم الإسلامي ذلك فإنه في شك كبير أن تبقى ذرية هؤلاء المسلمين على الإسلام .

وأشار المتحدث من الشرق الأقصى إلى أن تلك الجهات تواجه موجة مضادة من الأديان الأخرى ، وإنها بحاجة إلى دعاة ، وإلى إرشاد وتعليم ، وأن أعداء الإسلام يصيبون الإسلام بأن فيه تعدد الزوجات ، وفيه الاسترقاق ، كما ذكر أن بعض أعداء الإسلام في أوروبا وفي آسيا يوهمون الناس أن الإسلام حرم

الدعوية مؤنثا برسائله متحمسا لها ، وأن يكون فدوة حسنة ، ومثلا طيبا .

أما العتبة الكبرى وهي الناحية المالية فيجب أن تساعد في تسييرها الحكومات الإسلامية ، والهيئات التي تعنى بنشر الإسلام . ثم قال فضيلته إن هذا يتعلق بنشر الإسلام بين الوثنيين ، أما نشره بين الأوربيين والأمريكيين ومن لا هم فيحتاج إلى وسائل أخرى ، ذلك فإن هؤلاء يعرفون . ويعقلون ، ولكنهم يجهلون الإسلام ، فهم لا يبحثون إلا إلى إيضاح الدعوة ، وتبريف بها .

أما خدمة الإسلام بين المسلمين أنفسهم فتكون بالعمل على الرجوع بهم إلى جوهر الإسلام ، وعلى الجمع أن يهتم بهذه الناحية فيضع الكتب والفتاوى ، ويستعين بوسائل الإعلام الأخرى .

وعادفاً كما أننا أقدر من المبشرين بالمسيحية على التبشير بالإسلام ، ذلك أنهم يجهلون من أقصى الأرض ، ونحن حين نذهب إلى جنوب السودان مثلاً إنما للتقى بأبناء جلدتنا ، وهم يأنسون إلينا لأننا نشبههم ، ومن اليسير علينا أن نتعلم من زمن وجيز لغاتهم المحلية ، ومصداق ذلك أن من زر مناطق التبشير ، وقد زرتها يتأكد أن المسيحية لا تجد تجاوباً صحيحاً ، ولا تلقى أرضاً خصبة ، فإذا صدقت نيائنا ووجدنا العون على أن ننشئ المستشفيات ،

حتى إذا ما سارت إليهم أو إلى بعضهم مقاليد الأمور في بلادهم هادونوا التبشير وغضوا الطرف عن أخطارته .

وبنشى المبشرون كذلك المدارس والمستشفيات والمناطق الوثنية ، وبأخذون الأطفال ولبثونهم مبادئ المسيحية ، ويرفقون حتى يعطوا آباءهم هذه المبادئ لا رغبة في تحويلهم إلى المسيحية فحسب ، بل تمهيدا لأن يجد الطفل الذى تربى في مدرسة تبشيرية جوا ملائما في المنزل فترسخ مبادئ المسيحية في نفسه فنرى أن المبشرين عالجوا المرضى ، وعلموا الجاهلين ، وغالطوا أهل البلاد وعاملوهم معاملة رقيقة ، وكانت بأيديهم لمكانيات عظيمة أعانتهم على أن يؤدوا رسالتهم على أكمل وجه .

ثم قال يجب أن نبدأ في مهمتنا الإسلامية بالمنظمات الشعبية ، وأن نحث الحكومات الإسلامية على أن تمد هذه المنظمات بالمعونات وأن نفصح لها الجبال لكي تؤدي رسالتها .

كما ينبغي أن تعتمد هذه المنظمات - أولاً على أبناء البلاد التي يراد نشر الإسلام فيها ، فإنهم أهرف بأبناء همومتهم ، وأصبر على أداء الرسالة ، ثم تستعين بأزواد الأوائل الذين نزحوا إلى هذه البلاد ، وكونوا لهم صلات خاصة بأهلها ثم يأتى بعد ذلك دور الدعاة الذين يوفدون لهذه الغاية ، وعلى أن يكون

وعضو المجمع : أستغرب أن يقول الدكتور محمود أن الدين لا يقبل المرونة ، والخفتق لا تقبل التعليل فمن نعتقد أن دين الإسلام يرتكز على عمود واحد هو العقل ، وكل حقيقة تناقض مع العقل تناقضاً يحجبها ظاهراً نحن مأمورون بتركها .

نعم الآيات البينات لا تقبل التحوير لاسيما مع العقل ، أما إذا عرضت قضايا في الدين أو في المجتمع أو في السياسة فإننا نحتاج إلى رأى ، وختم كلمته بأن سلطان العقل أقوى من سلطان النص .

وأل الدكتور مهدى علام : لولا المرونة في فهم الإسلام لما استطعنا أن نجلس هنا بهذا الزى (الإفرنجى) ثم ذكر حديثاً قال فيه إنه دستور في المرونة ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : (من وجد منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان) .

وقال أحد الأعضاء : إذا فسد الإسلام مروته فقد فقد عنصر خلوده ، وأهم خصائصه وهو صلاحيته لكل زمان ومكان ، ولا أهم للاجتماع معو إلا المرونة في حدود معينة ، وقد أظهر علماء المسلمين من المرونة ما كان له أثر كبير في انتشار الإسلام ، وسيادته ، وأقترح أن يفسح المؤتمر صدره للتحقيق في مسألة المرونة .

والمدارس الصغيرة ، والصناعات الخفيفة استطعنا أن ندخل أكبر عدد من هؤلاء في الإسلام في زمن قد لا يطول كثيراً

* * *

وتأتى بعد هذه النقطة في الأهمية النقطة التي ثارها الدكتور عبد الحليم محمود عضو المجمع وعميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر فإنه علق على كلمة الأستاذ الشيخ على عبد الرحمن التي يقول فيها إن من عوامل انتشار الإسلام مروته بحيث يشمل جميع الأسس القانونية اللازمة لإقامة مجتمع فاضل ، وأن يضع القواعد العامة التي تكفل صيانة حقوق الأفراد والجماعات ، فقال الدكتور عبد الحليم بعد أن ذكر أن المحاضرة جمعت الموضوع من أطرافه في أسلوب جميل ، وفكرة واضحة ، وأن كل هذا يتناسب مع المركز الذي يحتله الشيخ على في العالم الإسلامى ، قال إن التطور أمره غريب فالإسلام لا تطور فيه ، الإنسانية لم تطور عقلياً ، العقل الإنسانى باعتباره مجرد عقل لم يتطور ، نعم تطورات المادة ، ليست هناك حقيقة قابلة للتطور ، ليس هناك مرونة في التشريع ، يجب أن تنفى فكرة التطور من العالم الإسلامى باعتبار التشريع ، وباعتبار العقل ، وباعتبار الأخلاق وهنا انتهت المناقشة عن الموضوع الأصيل إلى كلمة الدكتور عبد الحليم ، فقال الأستاذ زديم الجسرمقى لبنان

وانتهى النقاش حول هذه النقطة باقتراح يطلب إلى الدكتور محمود أن يعد بحثاً في هذا الموضوع .

ولكن الأستاذ المحاضر الأصلي عاد فقال إنه دهش لقول الدكتور عبد الحلیم محمود كما دهش لقول الدكتور حزين إن الإسلام لا يعرف دعوة المحترفين ثم قال : إننا إذا استبعدنا هذين يجب أن ينفض الجمع لأنه لا يمكن أن يؤدي أية وظيفة بعد ذلك وأنه قصد من المرونة أنا فستطيع أن نرجع إلى الإسلام كثيراً من المعاملات التي تحدث في عصرنا أو في أي عصر قادم ، فنستخلص منه ما يناسب التصرفات المستحدثة .

وجاء دور تعدد الزوجات ، فكان من الطريف أن هلق عليه بعض العلماء من البلاد الآسيوية الشقيقة ، فقال إن التعدد هو الأصل وإنه في القرآن غير مشروط بشرط ، في حين شرط زواج الواحدة بخوف عدم العدل ، وذلك في قوله تعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما نأب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، وقال إن الأنبياء والصحابة كان أكثرهم متزوجاً بأكثر من واحدة .

وتكلم أحد أعضاء المؤتمر - وهو مسلم انجليزى - فقال : إن مسايرة العصر كلمة خطيرة ، فالعصر هو الشيطان ، وإن نقيجة ذلك ترك السنة ، وترك الحضارة الإسلامية ، وقد سأله في أثناء الاستراحة عن بيان أوفى لمقصوده قال : إن علينا أن نسكيف حياتنا بالروح الإسلامية ، ثم تتطلب من الإسلام حلولاً لما يمرض لنا في هذه الحياة ، وليس علينا أن نخضع لصور الحياة المختلفة التي خلقتها المجتمعات ثم نلتبس من الإسلام أن يسايرها ، ثم قال إنه يشكر الدكتور عبد الحلیم محمود ، وذكر أن كل مسلم لا يشك في مرونة الإسلام في حدود معينة ، لكن ينبغي أن نعرف أن المبالغة في المرونة هي الخطر الأكبر .

وعاد الدكتور عبد الحلیم محمود للموضوع فقال : إنه مسرور لفتح المناقشة في هذا الموضوع ، وإن من المعروف أن للإسلام ثلاثة جوانب : العقيدة ، وهذه باتفاق لا تطور فيها ، والأخلاق ومعنى المرونة فيها أن الصدق - مثلاً - يكون فضيلة في زمن دون زمن ، وللتشريع - وهو موضوع المنازعة - وهو عبارة عن قرآن وسنة ، وإجماع وقياس . وإدراج حكم جزئى تحت قاعدة كلية أصلية لا يخرجها عن أن تستمر قاعدة ، والدين قد أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

أن أقتله مننت عليه بالحياة أفيكون أمراً عظيماً أن استرقه وقد أقيمت عليه حياته ؟ وتحدث الأمير غالب عن مأساة عمان والجنوب العربي ، وتسليط الاستعمار هناك وتحدث رئيس الوفد الفلسطيني عن مأساة فلسطين ، ودعا كل منهما إلى أن يهتم المسلمون في جميع أقطارهم بهذه المشاكل الخطيرة . فإن في بقاء الاستعمار في أى مكان ، وفي بقاء اليهود في فلسطين خطراً على الإسلام نفسه . ولم يفت المؤتمر أن يعلفوا على مسائل عليية في نقد بعض الالفاظ ، أو بعض الشروح والتفاسير ، أو أن يشيروا من ناحية الشكل إلى الاستطراد ، أو التقصير في الشرح أو في إهمال بعض الجوانب .

وكان من أبرز ذلك ما قاله الشيخ السائس معلماً على شرح الأستاذ الشيخ على عبدالرحمن لقول النبي صلى الله عليه وسلم (بدأ الإسلام غريباً) وهذا نص ما جاء في البحث (غير أنه - يريد الإسلام - من حيث العمق ظل يحتاج ضوءه حيناً ، ويشرق وجهه أحياناً وسيظل على هذه الحال حتى يعود غريباً كما بدأ ، وحينذاك د فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أقصد الناس ، .

وإذا كان بعض المحققين من العلماء قد فسروا هذا الحديث بأن الإسلام قد بدأ

ولم يرق لهذا العالم أن يقال إن التعدد ضرورة ، وأنه كالجرعة من الدواء ، وقال إن ذلك مآلة للذين يعيبون الإسلام بهذا التعدد ، وهو في حقيقته ليس بعيب ، بل هو أمر مباح كسكل الأمور المباحة ، وفيه خير كثير .

ودارت مناقشة حول الاسترقاق في الإسلام تداركت أكثر ما هو معروف في هذا الموضوع ، ولكن الدكتور عبدالحميد محمود اعترض على أن يبرر الرق في الإسلام بأنه كان متفشياً في الأمم السابقة ، وقال إن القائل أن يقول إن الخطأ لا يبرر الخطأ ، ورد الشيخ على بأنه إنما ذكر ذلك ليبين أن الرق كان أمراً متمكناً في النفوس فلم يكن من الخير أن يلغى طفرة ، ففتح الإسلام باباً واحداً ضيقاً لدخول الرق منه ، في حين أنه فتح أبواباً كثيرة واسعة لخروج الأرقاء إلى الحرية كما أحسن الإسلام معاملة الرقيق ، وذكر في ذلك بعض الآيات وبعض الأحاديث وبعض الوقائع .

وعلق عالم شرقي فقال إن الذين يعيبون الاسترقاق في الإسلام لا يفهمون . ذلك أن رجلاً دعوته إلى ديني - وهو الدين الحق - فرفع على سيفه يريد أن يقتلني فرفعت عليه سيفي وكان يمكنني أن أقتله ، ولكنني بدل

قال الشيخ السائس : أرى أن هذا الرأي لا يتفق مع المعنى اللغوي لكلمة (غريب) فهي من الغربة أر من الغرابة ، فالتفسير لا يتفق مع الحاشية .

وقد رد الشيخ على بأنه يختار التفسير الثاني للكلمة ، وأن الغريب من الغربة ، ومعنى الغربة الدهشة والذهول الذين أصابا الأمم المعاصرة حينذاك من قفرة الإسلام ، وأن هذا الفهم تؤيده الرواية الأولى للحديث وهي فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس .

فهؤلاء لا يكونون إلا مع قفرة الإسلام ، وأنه يرى بشائر هذه القفرة في استعداد المسلمين لاسترداد مركزهم السليب في كل مكان ، وأن تلك القفرة الأولى للإسلام هي الآن على الأبواب ، وأنه يرجو أن يكون في أعضاء الجمع من كبار العلماء الطليعة التي تتقدم صفوف أولئك (الغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس) .

على العمارة

غريباً ، ضعيف الأثر ، خافت الصوت ، قليل الصراء ، وسيعود بعد قوته إلى حالته الأولى غريباً ، ضعيف الأثر ، خافت الصوت قليل الصراء ، ويميل أولئك العلماء تبعاً لهذا التفسير إلى جميع رواية الحديث القائلة فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس مشيرين إلى الشا . على تلك القلة من المخلصين الذين سيحافظون على قوة إيمانهم حينما تفسد عوائد الكافة من المسلمين ، إذا كان بعض العلماء قد فسروا الحديث على هذا النحو ، فإنني أميل إلى ما ذهب إليه المتفائلون من العلماء الذين يقولون إن الإسلام في أول عهده فخر قفرة قوية تغتص على جميع الصواب وتخطت كل الحواجز والأشواك ، وارتفع مناره كعمود الصبح في مدة رجيذة ، فعمت أنواره كل الأجزاء المعمورة من الأرض في ذلك الزمان ، وأخذ بيد تابعيه ، فاخترق بهم الصفوف حتى احتلوا مكان الزعامة في الأمم وتولوا قيادة الشعوب وتسلوا أئمة الأمور وسيعود الإسلام بعد ضعفه ، وخفوت صوته وتكاثر أعدائه الحاقدين من المغضوب عليهم ... سيعود إلى قوته السابقة ، فتعلو كلمته ، وبقرى ساعده .

مناقشات المؤتمر

عرض وتعليق

للاستاذ على العمّار

- ٢ -

وابتدأ الحديث أحد أعضاء المؤتمر فوجه أسئلة تضمنت الاستفسار عن اشتراط الشروط المتفق عليها لتحقيق الاجتهاد ، وهل لمن اشتراطها مستند ؟ وما هو ؟ وهل اتفاق الأصوليين غير المجتهدين يعتبر حجة في الدين ؟ وهل الأئمة الأربعة أو أحدهم اشتراطوا تلك الشرط في الاجتهاد ؟ ثم قال : إن الشافعي قال : لا قلدوني في كل ما أقول ونظر لزمسك . وإن الشوكاني قال : بوجود الاجتهاد .

ثم تكلم الدكتور عبد الحليم محمود فقال : لا يسعى إلا لشكر الاستاذين الفاضلين ، غير أني أريد إضافة كلمات ، الاجتهاد ليس اختراعاً ، ولا مجال للرأي الشخصي فيه . إذا قال مجتهد هذا رأي فيجوز التمسك به ، لا يزل الثقة به ، الاجتهاد هو المحاولة المستميتة الجاهدة لتوضيح رأي الإسلام ، أو لكشف ما بهاء يكون رأي الإسلام ، ليس هناك مجال لما يمكن أن يسمى رأياً شخصياً . الاجتهاد اتباع ، وأمر الرسول عام مطلق : اتبعوا ولا تبدهوا فقد كفيتم .

قام بعد ذلك الشيخ محمد أبو زهرة فقال إنه

في مبدأ هذه الجلسة ألقى الدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر ، ورئيس المؤتمر كلمة موجزة ثم فيها على طريقة المناقشة ألقى انتهجها أعضاء المؤتمر في الجلسة الماضية ، وشكروهم على هذه الطريقة المثلى التي هم أحق بها وأهلها ، فهم علماء المسلمين ، وقادة الرأي فيهم ، وهي الطريقة الإسلامية الصحيحة ، فقد أبدى كل منهم رأيه بصراحة وإخلاص وفهم عميق لرسالة المؤتمر ، وبشعور بالغ بالمهمة الملقاة على عاتقه ، وفي الوقت ذاته كان كل متحدث - مع اعتزازه برأيه - يحترم آراء الآخرين .

ثم بدأت المناقشة حول الاجتهاد : ماضيه وحاضره (وقد تحدث في هذا الموضوع طه المان جليلان ، أولهما الشيخ محمد نور الحسن وكيل الأزهر السابق وعضو المجمع ، وثانيهما الشيخ الفاضل بن عاشور مدير جامعه الزيتونة وعضو المجمع) انتهيا منه إلى أن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحاً

وقد دارت المناقشة في الموضوعات الآتية .

١ - جدل فقهي حول الاجتهاد :

بالفروع ، وهى ليست من الأصول ، فهما مختلفان من حيث المنطق ومن حيث الزمن .
ثم وقف الدكتور عبدالحليم فقال : [هما قضيتان بمعنى واحد : الاجتهاد كشف وليس اختراعا ، الاجتهاد اتباع وليس ابتداعا ، وشرح ما أراده بكلمة . ليس هذا رأي . فقال متناها : أنى أحاول جاهدا أن أخضع رأى للنصوص ، وألا أقحم شخصي عليها ، ثم قال : ليس فى الدين جديد ولا تجديد ، وكل ما نعمله إما كشف لما كان عليه الرسول ، ولما محاولة لإدخال حادثة جزئية تحت قاعدة كلية ، ومرد هذا عندى إلى قول الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (اتبعوا ولا تبدعوا فقد كفيتم) ، وهذه العبارة الأخيرة لها مدلولها العظيم فيما نحن بهدده .
وأما حديث معاذ بن جبل - رضى الله عنه - حين أرسله الرسول إلى اليمن ، وسأله بماذا يحكم ، فقال بكتاب الله ، ثم بسنة رسول الله ثم اجتهد رأيي فهو حديث لا يفهمه كثير من الناس ؛ ذلك أن معاذاً أرسل إلى اليمن فى وقت لم يكن الدين قد كمل فيه ، وإذن فليس فى الحديث دليل ولا شبه دليل فيما يتعلق بأى أو الفكرة ، ثم ختم كلامه قائلا فى صرامة : ليس فى الدين رأى شخصى باعتباره رأيا شخصيا .

فأفضى بنحو مما أسمع ، فن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار) .

أما حمل النبي فى شئون الدنيا فإن لا أسى ذلك اجتهدا . والحديث المشهور (أنتم أعلم بشئون دنياكم) يروى ناقصا لغرض سي . ويجب أن نرويه كاملا ، وهو ما كان من أمور دينكم فألى ، وما كان من أمور دنياكم فأنتم أعلم به .

والنبي قد اجتهد فى بعض الأحكام . ثم قال : ومن الغريب أنى وجدت بعض كبار المشايخ يقول : إن اجتهد النبي ليس بحجة ولأنه من الانحراف ألا نعتبره حجة . قلت لعل ملاحظ هذا أنه ثل أن النبي إن لم يقرهلى اجتهداه امتنع العمل به ، وإن أقر كانت الحجة هى الوحى لا اجتهداه صلى الله عليه وسلم .

وأما الثانية فهى من قول الشيخ ابن عاشور : إن الطوفى سبق إل القول بأن الشريعة مبنية على مصالح العباد فالحق أن الغزالى سبق الطوفى فى هذا ، والطوفى خطىء كل الخطأ حين يقول : إنما ثبتت المصلحة المقطوع بها ينسخ بها النص المقطوع به .

وأما الثالثة فهى قول الباحث : إن من هم الأصول القواعد ، والحق أن الأصول غير القواعد ، فهذه ضبط للأحكام التى وصفت

عليه ، وهذان لا مجال للاجتهاد فيهما ،
ومنها ما كان محل خلاف فهو مجال للترجيح ،
وما هو غير منصوص عليه أصلاً فهو الذي
يكون موضوعاً للاجتهاد والحكم .

ومن أفعال النبي ما يكون جليلاً ، وهذا
ليس موضوعاً للاتباع ، نعم كان ابن عمر
يتحرى ألا يسير في المدينة إلا في السكك
التي مشى فيها رسول الله ، ولكن هذا كان
للتبرك لا للاتباع ، وفعل أبي إذا كان يرجع
إلى التبعدياً به يكون حجة على لمشروعية ،
وتعليق التكليف الديني بأمور الدنيا على
معنى أنه قد يشمل الإباحة .

٢ - باب الاجتهاد لم يغلق أبداً :

وهذا ما انتهى إليه الباحثان الفاضلان ،
وقد أيدته بعض أعضاء المؤتمر فقال مندوب
المغرب : إن عندنا مجموعة في اثني عشر مجلدأ
فيها فتاوى الأمدلس وإفريقيا والمغرب ،
وفيها الكثير الطيب من الاستنباط للنوازل
الحادثة .

وأعاد مندوب الجزائر إلى الأذمان الحديث
الذي يتضمن أن الله يرسل كل مائة عام لهذه
الامة من يجدد لها دينها ، وأخذ يذكر المجتهدين
فقال : إن عمر بن عبد العزيز كان صاحب امانة
الاولى ؛ لأنه توفي سنة ١٠١ هـ وإن الشافعي كان
صاحب المائة الثانية لأنه توفي سنة ٢٠٤ هـ .

ثم قام الشيخ الفاضل بن عاشور ، وقال :
إن فضيلة الشيخ نور قد اعتبر بحسب
مكسلا لبعثه ، وإنه لذلك فوضي في الرد
على ما ورد من ملاحظات على البحثين ،
وقال إنه سعيد بهذا التقدير وهذه الثقة .
ثم قال : إن كل المناقشات التي دارت حول
البحثين تشتمل على أمر واحد هو استحقاقها
للتشكر .

أما ما قاله الدكتور عبد الحليم فهو أمر
قد جاء به البحثان ، واتجهت نحوه جميع
المناقشات فالرأي الشخصي الذي لا يستند
إلى دليل لا يقره أحد ، وإنما الرأي
طريق للكشف ، وهو لا بد أن يرجع إلى
موارد الأدلة ، وليس في المسلمين من يقول :
إن الاجتهاد أمر مطلق لإرادة الشهوات ،
وليس من يقول : إن النصوص تقتضي الحكم
بدون استنباط ، وإذن فالخلاف لم يظن .

وللجهتد أن يقول : هذا حكم الله ، وله
أن يقول : هذا رأي ، أي في تحصيل حكم
الدليل ، والإمام مالك يرد كثيراً في الموطأ
قوله : هذا هو ما نرى .

أما إجماع الأصوليين فلا مجال له في الدين ،
ولأنما المهم هو إجماع المجتهدين . ثم بين أن
الأحكام الشرعية على مراتب ، فمنها المعلوم
من الدين بالضرورة ، ومنها الحكم المجمع

وأن الغزالي كان مجدد المائة الخامسة ...
وهكذا .

ثم ذكر ما ورد في الكتب من النعي على التقليد والمقلدين ، من مثل قولهم : التقليد لا يثمر علما ، والمقلد لا يسمى عالما إلا هلى سبيل الجواز ، والاجتهاد مرادف للعلم ، والتقليد مرادف للجهل والعامية ، ثم قال : حتى المتأخرون يقولون : التقليد والاتباع والعمية أمور مترادفة ، وقد أجمع المسلمون الأولون على وجوب الاجتهاد ، وما أجمع عليه المسلمون لا يصح خرقه .

ويقصر مندوب يوغوسلافيا الاجتهاد هل السلف فيقول : إن السلف أدركوا حقيقة كونهم ورثة الانبياء ، فنظروا إلى الحياة ومشاكلها ، وإن القرآن والسنة ، وكلما جدت مشكلة من أى نوع اجتهدوا واستنبطوا من أصول الإسلام حلالها ، وبذلك اتسع الفقه الإسلامى ، ولكن مع الأسف الشديد بل العمق أن المسلمين لم يسايروا تطور الحياة ، وقد تمسكوا بالذاهب خال ذلك دون النظر فى القرآن والسنة .

وبذلك استولى الجمود والتقليد وانعدمت الأصالة ، واستولت الحرافات والبدع ، ووجد الاستعمار بيئات صالحة لبث سمومه ضد الإسلام والمسلمين ، وقد تضافرت العوامل الداخلية ، والخارجية ضد الإسلام

للنضاه عليه ، لكنه ثبت أمام كل المحاولات .
٣ - الاجتهاد الجماعى :

وقد برزت فى المناقشات فكرة الاجتهاد الجماعى ، فقد قال مندوب الأردن : إن شروط الاجتهاد ربما لا يتفق تحققها فى شخص واحد ، وقد يفسر تحققها فى عدد من الأشخاص يشكون بمجهودهم مجتهدا ، فأرجو أن يتوصل المجمع إلى فكرة الاجتهاد الجماعى ، والسير عليها ، ولذا أقرت المكورة فتكون أساسا لمنع مدعى الاجتهاد ، ونجاحها يتوقف إلى حد بعيد على تمثيل أكبر عدد ممكن من الأقطار الإسلامية ، وتكون هذه المجموعة مرجعا أعلى تولى نقد الاجتهاد الفردى أو إنزاهه ، وأيد هذا الاقتراح الشيخ على عبدالرحمن مندوب السودان ، وقال : لم تحقق هذه الشروط صعب ، ولا سيما (صدق النية) فهو أمر لا يمكن التحقق منه بسهولة ، ولا يمكن ضبطه وصيحدث الاختلاف فى الحكم على تحقق الشروط قطعا ، وإن فى المجموعة التى تحدث شخصا معنويا ما يحقق ذلك ، وما يبعد سوء النية كما أيد علماء آخرون منهم .
الشيخ الفاضل بن عاشور والسيد عبد الغفور باهر مندوب أفغانستان .

٤ - مهمة المجمع :

بدأ فى كل مناقشات أعضاء المؤتمر احترامهم بمجمع البحوث الإسلامية ، وآمالهم الكبيرة

وشروطه ، وأنواعه فكل ذلك مدون في المکتب يمكن الرجوع إليه ، ومن الغريب أننا تحدثنا في الاجتهاد بطريق التقايد ، فهل آن الوقت لأن نقوم برسالتنا ، علينا أن نبدأ من حيث انتهى السابقون .

وقال الشيخ ناجي أبو شعبان مندوب فلسطين : لسنا في حاجة إلى القول ، وإنما نحن في حاجة إلى العمل ، وأقد أخذنا في المقدمات وقتاً طويلاً ، وهذا يؤخر الوصول إلى الهدف ، مثلاً كلمة (المرونة) أخذت وقتاً لاداعي له ؛ إن عمل المجمع بتنفيذ القرارات ووظيفة المؤتمرين هنا هي حل المشاكل الدينية ، وكيفية البحث ليست من هذه المشاكل .

وقال الشيخ حسن مدثر قاضي قضاة لـ ودان سابقاً : المهم الآن أن نعرف الأمور المستحدثة التي يعرضها المؤتمر لنرى رأي الدين فيها .

وقال مندوب تونس الأستاذ كمال التنازي : الاجتهاد فرض كفاية ، ولكن لم يقم به أحد - يريد في عصرنا الحاضر - فهل سبب ذلك تواني الهمم أو عدم توفر شروط الاجتهاد؟ . أرى أن على المجمع أن يبحث الأسباب التي قعدت بعلماء المسلمين عن القيام بهذا الغرض عليه أن يتبنى موضوع الاجتهاد ، ويكون له لجنة من كبار العلماء حتى يوجد المجتهد .

قيه ، وقد قال مندوب يوغسلافيا . المجمع حادث تاريخي خطير ، له من الخطورة وسيكون له من النتائج ما لا يمكن تقديره في هذه اللحظة . إنه سيرجع مجد المسلمين ، وقال : إن للمجمع مهمة أخرى غير البحث والدروس ، وهي جمع شمل المسلمين ، وتوحيد كتبهم وتحقيق الوحدة الإسلامية .

والحقيقة المرة أن المسلمين افترقوا فرقا مختلفة ، دينية وحزبية ، وضعفت بينهم الروابط الإسلامية حتى غدوا لا يعرف بعضهم بعضاً فمن الواجب أن يربط المجمع الأجزاء المتفرقة من العالم الإسلامي برباط واحد .

وعلى المجمع أن يضع الأسس التي يقوم عليها بناء المجتمع الجديد ، حتى لا يضطر الساسة إلى استيراد النظم واقتوانين من الخارج .

وإذا كان قد انتهى الاستعمار العسكري والاقتصادي فلا يزال الاستعمار الفكري قائماً وهو أخطر من كل استعمار ، وهى المجمع أن يظهر أذهان المسلمين من هذا الاستعمار .

إن معظم ماسمناه يدور حول ما قام به العلماء السابقون . وهو شوق جليل ، ولكن كنت أحب أن أسمع ما يجب علينا أن نقوم به أمام مشاكلنا المتعددة ، كنت أود أن أسمع جديداً في الاجتهاد ، أما حكم الإسلام في الاجتهاد

وبعض الناس يقولون إن التشريع الوضعي خير من الشريعة الإسلامية ، ويجب القضاء على هذه الفكرة ، فينبغي أن تولف لجان وتخرج لنا قوانين إسلامية ، وحينئذ تكون الطريق معبدة لوضع الشريعة الإسلامية في وضعها الصحيح .

وطالب مندوب الجزائر بوضع دستور مختصر ذي مواد مرفقة مبسطة منزوعة من الفقه الإسلامي وتطبع وتوزع على العالم الإسلامي خصوصاً ما يتعلق بالنظم الاقتصادية .

وأيد ذلك مندوب (موريتانيا) وزاد بأن الحكومات إذا وافقت فسنكون سعداء لأننا نرى بلادنا تسير على هدى الإسلام ، وإذا لم نوافق فقد قننا بواجبنا .

وقال مندوب تونس : إن الأزمة الحقيقية هي أزمة التشريع ، إن قوانين البلاد الإسلامية مستوردة من الخارج ، فهل فتح باب الاجتهاد يحل هذه المشكلة ، إن واحداً من علماء المسلمين لم يجرأ أن يضع قوانين ونظماً مستمدة من روح الإسلام لحل هذه المشكلة . وهكذا ظهرت هذه الدزيمه واضحة ، وربما كانت من الأهداف الأولى لجمع البحوث الإسلامية ، ونرجو أن تجد طريقها إلى التنفيذ في أقرب وقت .

على العماري

وقد علني رئيس الجلسة على بعض ما قيل فقال : إن هذا الجمع يسمى بجمع البحوث الإسلامية ، فمهمته الأولى البحوث الإسلامية ، ومما بل من أهمها الاجتهاد .

وقال الأستاذ سعيد المرياني : أسأل لماذا اجتمعنا هنا ؟ لماذا أنشئ بجمع البحوث ؟ ما الدوافع التي حملت الشارع على إنشاء الجمع ؟ أبان القانون بوضوح حاجة المسلمين ، كل المسلمين إلى الرأي الجديد لنفي وجودنا إذا أنكرنا حق المسلمين أن يتدبروا وجودهم ، ومشاكلهم ، ويأجثوا كل ذلك بنصوص الإسلام نصاً وروحاً .

٥ - مركز الشريعة الإسلامية :

وقد بدا بوضوح اتجاه كل أعضاء المؤتمر إلى إحلال الشريعة الإسلامية محل القوانين الوضعية في دساتير البلاد الإسلامية ، وقد مر قريباً ما قاله مندوب يوغوسلافيا من أن على الجمع أن يضع الأسس التي يقوم عليها بناء المجتمع الجديد .

ومن تكلموا في هذه المسألة الأستاذ الدكتور إبراهيم البان ، وقد قال : النقطة الهامة هي مركز الشريعة الإسلامية ، والاجتهاد فرع عنه ، وقد كان هدف الاستعمار الأول هو تعطيل الشريعة ، وقد حقق هذا الهدف في كثير من البلاد ، بوضع قوانين وضعية موضع الشريعة الإسلامية .

«العالم الإسلامي في المؤتمر»

إعداد الأستاذين :

هل العماري و محمد عمر

السنغال

خلاصة ما قاله مندوبها :

يوجد في العالم الإسلامي فراغ يجب أن يسده الجمع ، فالأشرون قد استطاعوا بنشاطهم المزود بكل الإمكانيات وضعنا في موقف الدفاع وتحميدنا في هذا الموقف . وهم يتلسون المطاعن على الإسلام حتى تشغل بها عن الأعمال الإيجابية فملينا ألا نلتفت لمزاعمهم . فهم يثيرون القبار على تشريع الإسلام للرق ، مثلاً ، ولا داعي أن نرد على ذلك فالمسلمون عاشوا فترة من حياتهم يسرقون أسرى الحرب وليس ذلك هيباً يؤخذ على الإسلام فالرق في عصر الفتوحات الإسلامية كان من الخطط الحربية التي لا غبار عليها . « ونحن نعلق على هذا المآخذ الذي يتذرع به هؤلاء المصلون الذين يلبسون مسح التبشير للطعن على الإسلام . بأن الرق الذي شرح في الإسلام وتصح الإسلام فيه الأبواب العديدة للرقيق على مصاريمها يخرج من أيها شاء بأبسط الوسائل وأيسرها . هذا الرق في أسوأ صورة ، خير من الحرية في قيودها الغبيضة التي يفرضها الرجل الأبيض على عبيد الأرض والمصانع والمناجم من الملونين .

في المامرة كعبة الثقة الإسلامية ، وقلة أنظار العالم الإسلامي ، ومناطق الرجاء في وحدة المسلمين وبعث مجد الإسلام . وفي أجمل مكان من الضفة الشرقية لنيلها الخالد . انعقد أول مؤتمر لجمع البحوث الإسلامية وقد مثل دول العالم الإسلامي في هذا المؤتمر علماء أجلاء لا كثر من اثنتين وأربعين دولة آسيوية وإفريقية وأوربية . برزت في كلمات هؤلاء العلماء ومناقشتهم أثناء انعقاد جلساته صور معبرة عن أحوال الإسلام والمسلمين في بلادهم .

ونحن نأمل أن ننقل إلى القارئ الكريم طرفاً من هذه الصور في خلاصة موجزة لبعض الكلمات التي أقيمت من بعض الصفوة وقادة الفكر في بلاد الإسلام . إذ أن تجلية أحوال المسلمين والتعرف على مشاكل المجتمعات الإسلامية من أجل دراسة هذه المشاكل ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لها يعتبر جاجاً مهماً من جوانب رسالة الجمع . عبر عنه أحد السادة من أعضاء الوفود بقوله : « إن التعريف بالوطني الإسلامي جزء مهم من أعمال المؤتمر » .

واحدة على دفعها لى تحديهما ، وهذا لا يكون إلا بالوحدة الإسلامية وإذأفهى أسهى العايات .
لقد قيل لنا إن الإسلام متخلف عن ركب الحضارة لأنه يقعد بأهله عن السير فى طريقها ، ولكننا رأينا هنا كيف استطاعت مصر المسلمة أن تحول الصحارى إلى جئات خضراء ، فإذا كنا نؤمن بالقرآن فعيننا أن نعمل به . فنحن نواجهنا مشا كل عديدة فى حياتنا ويجب حل هذه المشاكل على ضوء تعاليم الإسلام .

والعالمية العظمى من شعبنا لا يؤمنون بدين أى دين ، وقد فسلت المسيحية فنسلا ذريعاً فى نشر دعوتها فى بلادنا . حتى أولئك الذين يزعمون أنهم - يحيون لم يتعمق الدين المسيحى فى نفوسهم ، وإذا فعلوا أن ننشط فى نشر دعوة الإسلام من أجل زيادة عدد المسلمين فى العالم وتعميق هذا الدين فى نفوس المسلمين .

سيراليون

بما قاله مندوبها :

من واجب كل مسلم أن يتحدث بصراحة فليس من شأن هذا المؤتمر الدعاية السياسية ولا من شأنه أن يكون موضعاً للتناظر بين أعضاء الوفود فى تعداد مفاخرهم ومفاخر بلادهم ولا ينبغى أن يكون للحكومات المختلفة أى تأثير على المؤتمر وتوجيهه

هذه القود التى تسلبهم أبسط مبادئ الحرية والمساواة .

ثم قال إن الجزء الأكبر من إفريقيا شديد الرغبة فى الانسجام والتعاون مع بقية اجزاء العالم الإسلام ليقوى ساعد المسلمين به ويستند فى مواجهة سبل المبشرين الذين يستعينون بالصهيونية فى محاربة الإسلام والكيد له . ومن أمثلة ذلك ما حدث فى بعض دور التعليم فقد سأل أحد الأساتذة تلاميذه : هل نحن فى حاجة إلى الإسلام فى القرن العشرين ؟ ، ولم ينتظر جواباً بل استطرد قائلاً : ، إن الحياة تتطلب أن يكون الإنسان حراً وإسلام يحل على القدر فيحد من حرية الإنسان ، وبالبحث ظهر أن هذا الأساء صهيونى .

و نعلق على هذا الحادث وأشباهه بأن جهود الصهيونية فى محاربة الإسلام معروفة وأفرها ما أثبتته التحقيق فى ثورة جنوب السودان من تحريك أصابع الصهيونية للماتمين بها قد أن قائد هذه الثورة يتلقى تدريباته فى إسرائيل .

كينيا

خلاصة كلمة مندوبها :

إن هناك قوى شريرة تتجمع لتعطيل الإسلام وإن من واجبنا كسفراء لهذا الدين أن نقف أمام هذه القوى الشريرة ونعمل يداً

غيانا

كما قاله مندوبها : السيد/ عبد الغنى شاكر :
 جاء الإسلام إلى بلادنا عام ١٨٤٥ عن طريق
 الجالية الهندية . ومنذ ذلك التاريخ لم يأت
 مبشرون بهذا الدين . فالدعاة لهذا الدين المتهفون
 بثقافته يكاد وجودهم أن يكون معدوماً من
 ديارنا ، كما أن الكتب المؤلفة بالانجليزية عن
 الإسلام ، هذه الكتب نادرة ؛ ولذلك
 فالمسلمون في بلادنا يواجهون خطراً كبيراً
 على عقيدتهم من المبشرين المسيحيين لفلة حظ
 هؤلاء المسلمين من الثقافة الإسلامية وبتدر
 ازدياد عجز المسلمين عن حصولهم على حظهم
 من هذه الثقافة يكون خطر هؤلاء المبشرين
 ولذلك فنحن في حاجة إلى مثقفين مسلمين
 مزودين بكل الإمكانيات من قبل الجمع
 ليقوموا على تدريس مواد الدين واللغة
 العربية ؛ لأن التعاليم الإسلامية وإن كانت
 تدرس عندنا في المدارس الابتدائية وتنفق
 عليها مئات الألوف من الدولارات . إلا أنها
 دراسة سطحية لا تؤدي إلى التعمق في هذا
 الدين . ولذلك فاجتماع ملحّة إلى البعثات
 الإسلامية ليؤدي المبعوثون دورهم في حمل
 رسالة الإسلام ؛ ونشرها في ديارنا التي تعتبر
 من أكثر بقاع العالم استعداداً لتقبل مبادئ
 الإسلام ؛ نظراً لأن الناس هناك لا يستجيبون

ونحن أبناء إفريقيا الغربية حضرنا إلى
 هنا ومعنا آمال المسلمين هناك ، ومن وراءنا
 القلوب تنتظر في لحفة ما ترجع به .

ولمّا لأقولها صريحة : الإسلام في بلادنا
 وفي بلاد كثيرة في حاجة ملحّة إلى ما يقويه
 ويعينه على بث دعوته ونشرها ، وأجدر من
 يقومون بذلك هم العرب . فكلنا نجلهم لأننا
 نعتقد أنهم عشيرة النبي ، وأن القرآن نزل
 بلغتهم .

ثم نعي إلى القديانية وحذر من الشيوعية
 وعاب مسلك كثير من مشايخ الطارق الجفاني
 الدين والأخلاق لتكالب بعضهم على جمع
 المال بطرق غير مشروعة ، وذكر أنه حضر
 إلى البلاد شيخ قيجاني جمع ما يربى على ٤٠
 ألف ليرة وذهب بها إلى غير وجهه ، وحض
 على تطهير المجتمع الإسلامي من أمثال هؤلاء
 الذين يجلبون على الإسلام والمسلمين العار
 والنكال .

وكان مما قاله مندوب إفريقيا السيد /
 إدريس العلوي : إننا نواجه مشاكل كثيرة
 منها المسيحية والاحمدية والفقر وما يرد من
 الهدول الأمريكية ، وإنني أطلب من المؤتمر
 العمل على إيجاد حلول لدرء أخطار تلك
 المشاكل والعمل على نشر دعوة الإسلام في
 هذه المناطق البعيدة من العالم .

هو عصية الأحباش الدينية ضد مسلمي الصومال البالغ عددهم نحواً من ستة ملايين ونصف مليون مسلم يشن عليهم الأحباش حرباً صليبية يلقى فيها كثير من المسلمين في قراهم الآمنة حتفه بقنابل الجيش الحبشي الفائرة .

ولقد ظهر في العدوان الحبشي الأخير مدى التعارن بين الأحباش وإسرائيل في العمل على تحطيم هذه الجمهورية الإسلامية ١٠٠٪ جمهورية الصومال الفتية الناشئة ومن الأدلة على ذلك العثور على طيارين من اليهود في بقايا الطائرات الحبشية المحطمة ومما يؤسف له أن تجارى حكومة كينيا الحبشة في موقفها من الصومال منساقة مع العصبية الدينية ومتجاهة ما يوجهه عليها قانون الوحدة الإفريقية .

ولذلك فإنني أعلن هنا أن واجب المسلمين يدعمهم إلى الوقوف في جانب مسلمي الصومال ومساندتهم في رد العدوان الآثم عن حدودهم . واسترداد الجزء السليب من وطنهم الذي يسكنه شعب مسلم فائر لا يرضى بغير حريته بديلاً .

نيجيريا

مما قاله مندوبها : إنني أعتقد أن الإسلام سينتصر في آخر الأمر مهما كانت الصعوبات

في هذه الأيام لدعوة التبشير بالدين المسيحي رغم ما يبذل في سبيلها من جهود وأموال لاهتقادهم بأن هذا الدين مستورد من أمريكا وإنجلترا . وغدوا يتطهون إلى الإسلام الأمر الذي دفع بكثير من اعتنقوا المسيحية إلى التحول إلى الإسلام ؛ لأن الإسلام دين عقل يدعو إلى التحرر .

ويمكن لدعوة الإسلام أن تشق طريقها في بلادنا بنجاح هظيم عن طريق الإذاعة والتعليم في المدارس وإصدار الكتب والنشرات الدينية . وإمكاناتنا العلمية والمادية لا تمكننا من أداء ذلك على ما ينبغي ولذلك فنحن في حاجة إلى مزيد المساعدة . وفأمل أن يتحقق قريباً رؤية هؤلاء المبشرين المسلمين المجيدين للغة الانجليزية ليتمكنوا من أداء رسالتهم في بسر . ثم ذكر في ختام كلمته ما يقوم به غلام أحمد في هذه البلاد من قيادة جماعة من المأجورين والمضللين لشويه معالم العقيدة الصحيحة .

الصومال

بجمل ما قاله مندوبها السيد / الأستاذ إبراهيم حاجي محمود في تصوير مشكلة المشاكل التي يعاني منها الصوماليون في هذه الأيام : إن الهجوم الحبشي على حدود الصومال لا يعد نزاعاً على الحدود كما يذاع وإنما دافعه الحقيقي

يؤدي بنا إلى عدم معرفة كثير مما أشار إليه القرآن الكريم .

وإذا كان الإسلام هو دين الحقيقة الثابتة وكتابه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فإن كثيرا من بنى الإنسان يجهلون ذلك وعلينا - معاشر المسلمين - تجلية هذه الحقيقة هؤلاء . فدين الحق واحد ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك .

جنوب إفريقيا

ذكر ممثلها في المؤتمر السيد / عمر خبيري أن المسلمين في بلاده صامدون لما يلاقونه من ألوان العسف والقهر مستلهمين من عقيدتهم روح الانضال والتسك بالحق . فلم تستطع التيارات المعادية للإسلام تحويل المسلمين عن دينهم أو فتنتهم فيه إذ بجنوب إفريقيا قيادات إسلامية ودي واجها بكل ما تملك من طاقة ، منها المجلس القضاة الذي منه تصدر مجلة أسبوعية إسلامية تقوم بدور كبير في الدفاع عن قضايا المسلمين . ومنها جمعية الشباب الإسلامية التي تقف بمجهوداتها العظيمة سداً منيعاً في وجه التيارات المعادية للإسلام من المبشرين ومن أصحاب المذاهب المنحرفة . هذا الجهد المشكور الذي يجعلنا أقربى على القول بأن الأمر قد استقر لأهل السنة والجماعة في بلادنا وكان مما قاله : إن

التي تعترض طريقه ومهما يلاقى من الإجحاف على يد من ينتسبون إليه أو غيرهم ممن يدينون بغيره أو من لا دين لهم .

« يريدون أن يطفئوا نورا باقواهم وبأى الله إلا أن يتم نوره » . فهو دين الفطرة الإنسانية تعاقب الرسل على تدعيم أسسه وإرساء قواعده . وواجبنا أن نعمل لأنفسنا ولديننا . فانه شاهد على عملنا وقل أعمالنا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .

علينا أن نعيش حياة المسلمين في ظل تعاليم الإسلام إذا أردنا أن نكون أعضاء أقوياء في هذه الحياة ولا ينبغي أن ننظر فقط إلى الآخرين .

المبشرون الغرباء يأتون إلى وطننا ويسلكون شتى الطرق متذرعين بالوسائل التي يريدون بها التمكن من تحويل أبنائنا إلى النصرانية . هذا هو ما يحدث في بلادى .

فعلى المسلمين أن ينظروا للتبشير بتعاليم الإسلام في هذه البلاد . وأن تتابع أمواجهم التبشيرية في أفواج متلاحقة لتعليم أبنائنا في إفريقيا مبادئ الدين الإسلامى وتبصيرهم بالمقررات الخلقية التي تزخر بها مبادئ هذا الدين ، وإثنا - معاشر المسلمين - لا نبذل جهودا كافية في دراسة التوراة والإنجيل لنقف على ما فيهما .

وجعلنا بالأمور المتصلة بالتوراة والإنجيل

المسلمين ليأخذوا طريقهم إلى اعتناق هذا الدين . ثم تساءل قائلاً لماذا لا تدرس الإنجليزية والعربية والفرونية لتتمكن من الإسلام بكل ثقة ؟ ؟

ثم قال : وعندها رابطة مسلمي توجو تعمل جهدها على توصيل الثقافة لكل مسلمي البلاد . كما تعمل على تنفيذ قرارات المجلس الأعلى المهتم على شئون الثقافة الإسلامية . ثم ذكر أن مسلمي توجو على استعداد لتقبل قرارات مؤتمر الجمع من أجل صالح الإسلام والعمل على تطبيقها . وآمل في الجمع أن يبذل من الجهود ما يصل به إلى حل لمشاكل العالم الإسلامي في نطاق تعاليم دينه .

تونس

طلب مندوبها السيد كمال التازي من الجمع توجيهه هناية خاصة إلى : دراسة المشاكل التي تعترض التشريع الإسلامي في العصر الحاضر دراسة وافية . فقد رأى من غالب أعضاء المؤتمر استجابة الملل بفتح باب الاجهاد بعد الإعداد له إعداداً كافياً . ولا شك أن هذا شير خير . إذ ليس من الحق في شيء ل ليس من مصلحة المسلمين عزل الدين عن الحياة وقصره فقط على الأحوال الشخصية والمعاداة . ولذا يجب التوجه أولاً إلى ميدان الاقتصاد بحيث إن معاملات كثيرة لا تخضع للتشريع

آمال المسلمين الذين يعيشون في بلاد غير إسلامية تتجه إلى هذا المؤتمر خاصة . ترجو منه الخير الكثير للإسلام والمسلمين . ولذا كل المسلمون في بقاء الأرض ينددون الوحدة الإسلامية . فإن ذلك سيظل ضرباً من الهم ما لم تتخلص أول الإسلام من السيطرة الاستعمارية .

ولم مشاكل الاقتصاد من أهم ما يشغل بال المسلمين . فعلياً أن نعمل على تحرير النظام الاقتصادي في المجتمع الإسلامي ليقوم على أساس من تعاليم الإسلام ، الذين الصالح لكل زمان ومكان .

توجو

وقد ذكر مندوبها في كلمته الأخطار التي تهدد عقيدة الطفولة الإسلامية . المتمثلة في لجوء بعض المسلمين إلى تثقيف أبنائهم في المدارس المسيحية هذه المدارس التي كثيراً ما تكون من مهمتها غير الظاهرة فتنة هؤلاء الأطفال بما تتخذ من الوسائل الملتوية لتحويل هؤلاء الصغار بل والشباب منهم من عقيدتهم الإسلامية .

ومن أجل هذا يجب أن نزل إلى المعركة ونحن مسلون بسلح الثقافة حتى تتمكن من الانتصار على المسيحية في هذا الميدان وفي غيره من ميادين التبشير التي تمكن للعقيدة من نفوس المسلمين وقضى الطريق أمام غير

وفي اعتقادي أن كلمة «شيعية» لم يعد لها ما يبررها ، فقد كان ذلك عهد ما فرقنا الأهواء والأحزاب والتعصب البغيض ، أما الآن فلا داعي لترديد مثل هذه الكلمات .

وقال مندوب الكاظمية السيد / محمد الحالصي :
يجب أن نكون عند مستوى مستواياتنا هدفنا العمل الإيجابي من أجل أن تكون السيادة للإسلام وتعاليمه ، فالحكم بغير ما أنزل الله كفر وظلم وفسق ، كما جاء في آياته البينات من سورة المائدة .

سيلان

قال مندوبها السيد / عبد العزيز :

يوجد في سيلان ٧٠٠ ألف مسلم يكونون ٧ / ٠ من عدد سكانها ، ونحن من أقدم المجموعات التي تعيش في سيلان من نسل مسلمي العرب الذين عاشوا في القرن السادس الهجري والذين ظل مهمهم في صعود إلى أن أصيب بضربة قسوية على يد الاستعمار الذي حاول بكل الوسائل عزلنا عن العالم الإسلامي ، ويقول: إن مسلمي سيلان قد استفادوا كثيراً من زعماء مصر المسلمين الذين تفاهم الاستعمار إلى بلادنا ، وعلى رأس هؤلاء الزعيم المصري الخالد الذكر أحمد هرابي الأزهرى الثقة ، والذي كان في الفترة التي قضاها بيننا إماماً لنا يبصرنا بأمور ديننا ويوجهنا في أمور دنيانا

الإسلامي . فابتعاد المسلمين عن مبادئ الإسلام في ميدان التعامل الاقتصادي يضع في أذهان الأجيال القادمة أن الإسلام غير صالح للمصر الحاضر .

ثم بآى بأنه ينبغي أن تكون لنا عزيمة أسلافنا من العلماء في فهم تعاليم الإسلام التي لا تضيق بالحلول لمشاكل العصر وذكر أن عالمنا قيرانيا عظيمًا اتخذ كلباً للحراسة فلما قيل له إن الإمام مالمكاره اتخذ كلباً للحراسة قال : يحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا : لو كان مالك في زماننا لا اتخذ إمام داره أسداً ضارباً

العراق

قال يمثل النجف الأشرف البلد العلمى الشيعي بعد أن بلغ تحية علمائه إلى أعضاء المؤتمر : إن من واجب الجمع وضع دستور إسلامي ، ونحن طالبنا بهذا كثيراً بعد أن جربنا كثيراً مبادئ غير إسلامية مستوردة فماذا استفدنا منها ؟ .

فقد تخلت هنا السعادة يوم تخلينا عن تعاليم الإسلام . والذي نحتاج إليه لاسترداد هذه السعادة هو وضع دستور إسلامي منزه عن واقع تعاليم الإسلام ، فلم يعد لهذه المؤتمرات من فائدة إذا لم نخرج منها بعمل إيجابي ، ولم يعد كافياً أن نقول ونكسر من القول ، بل علينا أن نقول ونعمل بما نقول .

اليابان

بما أفاض به مندوبها فى وصف حال التدين فى بلاده قوله :

« إن اليابان بأسرها أصبحت تتطلع إلى دين جديد . وأنها تحللت من البوذية . ومن الممكن بمجهود شخص تحويل اليابان إلى الإسلام . »

الفلبين

ذكر مندوبها : أن بلاده نحو ثلاثة ملايين من المسلمين من عدد السكان البالغ عددهم ثمانية وعشرين مليون نسمة منهم أربعة وعشرون مليوناً مسيحياً كاثوليكياً وأن اللغة السائدة هناك هى اللغة الانجليزية ورغم بعد موقع هذه البلد عن حدود العالم الإسلامى بنحو ٦٠٠ ميل من حدود شرق آسيا . فقد زحف إليها الإسلام فى القرن الرابع عشر عن طريق أحد العلماء المشاهير . وفى القرن السادس عشر وصلت إليها أول بعثة عربية إسلامية بعد أن كان الإسلام قد بذر بذوره فى هذه البلاد ونما حتى وصل إلى الطبقة الحاكمة .

ولقد حاول الاستعمار الأسبانى جاهداً تحويل هؤلاء المسلمين إلى مسيحيين كاثوليك ولكن المسلمين ثبتوا على دينهم وجاهدوا جهاداً عنيفاً فى سبيل المحافظة على هذا الدين وبذلك استطاع الإسلام أن يبقى رغم كثرة الكاثوليك

فكان لنا المرشد والناصح الأمين ، فقد كنا نشفق من تعلم الانجليزية فشجعنا على تعلمها ، وعن طريقه عرفنا الأزهر .

ونحن - المسلمين - نعمل الآن بتقديم وشجاعة لنقلب دورنا الهام فى النهوض بجزيرة سيلان لأن ديننا الإسلام هو الدين الحق ، الدين العظيم الذى استطاع أن يمدنا بالقوة التى مكنتنا من مجابهة الاستعمار بفضل تعاليمه القويمة التى كشف لنا الأزهر عن سناها الهادى إلى طريق الحق .

* * *

والله المتحدث اقنصر على التنويه بمجهودات الزعيم أحمد عرابى كرمز لإخوانه من المصريين الذين نفاهم الاستعمار إلى هذه البلاد النائية ليوقف نشاطهم ويثبط هزيمة الثوار ضد هؤلاء المستعمرين ، وما درى الاستعمار وأصحابه أن الإسلام لا يعرف له وطناً ، فوطنه العالم كله ، والمسلم أين يهل يكون موطنه ووطنه يؤدى فيه رسالة الإسلام إلى أهله ، والمرحوم سائى البارودى مكث فى منفاه سبعة عشر عاماً يقوم بواجبه الدينى والوطنى . فكان هذا النفي له ولإخوانه من الزعماء خيراً لدينهم ووطنهم من حيث أراد الاستعمار بهم الضرر والتسكيل .

علماء المسلمين لدراسة مشاكل العالم الإسلامى ومحاولة إيجاد الحلول لهذه المشاكل التى يرى أنها لا تحل إلا بالرجوع إلى تعاليم الإسلام لاستنباط هذه الحلول ثم أخبر وفود المؤتمر بأن البرلمان الباكستانى قرر وضع دستور تحكم به الباكستان تستمد أصوله من تعاليم الإسلام . ثم توجه بالدعوة إلى شعوب العالم الإسلامى من فوق منبر المؤتمر إلى التأسى بالباكستان فى هذه الخطوة المباركة وذكر أن الحكومات لا يصح أن تسمى حكومات إسلامية إلا إذا عملت هذه الحكومات بتعاليم الإسلام فأنه يقول فى كتابه الكريم : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » ، فإذا كان المسلمون مسلمين بذلك ، فلا صلاح لهم إذا إلا برجوعهم إلى تعاليم الإسلام . وذلك تتفاب جميع الشعوب الإسلامية فى حكمها بقانون واحد هو قانون الإسلام فدينهم واحد ورسولهم واحد . وهندئذ تظهر حاجة العالم الإسلامى الشديدة إلى هذا الجمع الذى يجب أن تمثل فيه جميع الدول الإسلامية ؛ ليضع القرارات والقوانين التى تبلغ إلى جميع الدول الإسلامية ؛ ويكون من مهمته الرد على الاعتراضات والطعون التى يوجهها أعداء الإسلام إليه بمثلة فى تشريع

ومحاولاتهم المتكررة للضغط على المسلمين . وفى نهاية القرن التاسع عشر خرج الأسبان على أثر انتفاك الأمريكان معهم وغدت أمريكا هى الحاكمة وناهض المسلمون الحكم الأمريكى ، وبالرغم من أنهم كانوا يعيشون فى جهات متفرقة من البلاد فقد ظلت هذه المقارعة عشر سنوات . وقد حاول الأمريكان من جانبهم إبعاد المسلمين عن دينهم بواسطة ادعاءات مضللة . حتى تأثر بها المسلمون زمنا نظرا لتعنى الأمية بينهم إذ ذك وادعاء هؤلاء أنهم لم يمجثوا مبشرين بل قدموا لتنظيم هذه البلاد والهوض بها .

وعندما نالت العميين استقلالها فى سنة ١٩٤٦ كان المسلمون يعتبرون من المجتمعات المتخلفة . وكانت معلوماتهم عن الإسلام - طعية نظرا لبعدهم عن لوطن الإسلامى . وعلى أثر هذا الاستقلال قدم إليها المبشرون بالإسلام من الهنود المسلمين فكانوا سببا فى تقوية المسلمين بها وزيادة عددهم وبقظتهم . والآن يوجد بالجمهورية العربية المتحدة مائة طالب قليبى ينهلون من الثقافة الإسلامية والعربية . ثم قال فى ختام حديثه : نحن نود دعاة مسلمين للتبشير بدين الإسلامى فى بلادنا ، وتبصير المسلمين فيها بأمور دينهم .

الباكستان

تقدم مندوبها بشكره الأزهر على دعوته

فى كتابه التكريم : د ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، فالدعوة للإسلام واجب حتمى وكتبتان ما فى كتاب الله يستحق الإنسان عليه القنة .

والمبشرون يشغلون ليل نهار غير مبالين بالذبات التى تعترض سبيل دهورهم ولهم جمعيات كبيرة تزودهم بالأموال الكثيرة التى لا تقف عند حد . ففى المسلمين ألا يكونوا أقل من هؤلاء جهدا فى نشر دعوة الإسلام وتعاليمه السمحة .

ثم حمد الله على إفتاء هذا الجمع الذى يعد من الهيئات الإسلامية الكبرى فى مهمتها وتبعاتها الثقيلة وهو يرجو له التوفيق فى هذه المهمة ليتمكن من إحياء التراث الإسلامى ونشر الثقافة الإسلامية بكل وسائل الإعلام والنشر . وخاصة إرسال البعثات التى تقوم بنشر هذه الثقافة .

وفى النهاية أعلن مناصرة إندونيسيا لقضية فلسطين بكل ما تملك وأنهم لا تعرفون بإسرائيل . وستقف مع العرب بأذلة جهدها ومالها ودورها فى سبيل نصرته قضية فلسطين العادلة.

يوغوسلافيا

عن كلام مندوبها فى المؤتمر :

نحن نعيش فى منطقة بعيدة عن أرض

للطلاق وتصدد الزوجات وما إلى ذلك من الطعون التى يظهر لكل ذى بصيرة فيها وجه البطلان . كما تكون من مهمته بحث مسائل الربا وغيرها من أمهات المشاكل التى تسود العالم الإسلامى .

ثم نادى بوجود عمل المسلمين صفا واحدا لحل مشكلة فلسطين ونوه بأن الباكستان على أتم الاستعداد لبذل الدم والمال فى سبيل تحريرها وتطهيرها من رجس الصهيونية . كما ناشد الدول الإسلامية مساهمتها فى حل مشكلة كشمير البلد المسلم .

إندونيسيا

كان مما قاله السيد / محمود يونس ممثل إندونيسيا :

اسمحوا لى بإلقاء كلمة صغيرة . فقد قرأت قانون لإنشاء مجمع البحوث الإسلامية . رقم ١٠٣ وفى المادة ١٥ منه أنه الهيئة العليا للبحوث الإسلامية وهو المهيم على تجلية الثقافة الإسلامية ونشرها وإذا يسكون هذا المجمع وحيدا فى موضوعه وحيدا فى غرضه . وهو الأول من نوعه فى بلاد الإسلام جميعها فهو بعد الإسلام مناط الربط بين بلاد الإسلام جميعها .

ومن مهامه الأساسية التقريب بين المذاهب الإسلامية . وتجلية الثقافة الإسلامية والسير بدعوتها فى أحسن طريق تحقيقا لقول الله

هولندا

قال ممثلها السيد / رضا مصطفى :
لأنني أمثل بلدا صغيرا سكانه من المسلمين
لا يتجاوزون ألفا ومائتي مسلم تقريبا ،
وذكر في كلمته أنه حضر إلى القاهرة في سنة
١٩١٩ وكان شديد الإعجاب بالأزهر وجامعته
واعترض فيها عن التحدث بلغة غير عربية
لأنه لا يجيد التحدث بها وإن كان يحسه لذة
في الاستماع عند ما تطرق أذنيه أصوات
تتحدث بالعربية ، وقال : إنه قد حضر إلى
القاهرة بعد مضي أربعين عاما تقريبا يملؤه
السرور بالعودة إلى نفس المكان ، القاهرة
العظيمة ، وبدعوة من أزهرها العتيق .

ثم أخبر في كلمته عن وجود جمعية في
هولندا تحت اسم « جمعية أصدقاء المسلمين »
ومن أهدافها نشر الإسلام في ربيع هولندا
وقد حصلت على كثير من التقدم في هذا
الاتجاه في السنوات العشرة الأخيرة ولذلك
فهو يأمل في اعتناق كثير من الناس هناك
للدين الإسلامي إذا ما وجد الدعاة له المؤهلون
للتبشير بدعوته .

وفي نهاية كلمته توجه بالرجاء إلى الله أن يكلل
أعمال الجمع بالنجاح حتى يكون لإنتاجه
المدى البعيد في نشر دعوة الإسلام وتخليص
تعاليمه من الشوائب التي كدورت صفاء هذه
التعاليم .

الإسلام ، وبهمننا أن نحيا بالإسلام لا أن
تعبد به خشب ، وإذا فعل الجمع أن يتجه
إلى دراسة نظام الحياة الراضية وأن يجد حلا
للمشاكل التي تتكاثر سببها في سماء حياة
المسلمين ، فليس هناك ما يدهو إلى الخوف
من مسايرة الزمن ، فمن المقرر أن التطور
من سنن الحياة والمعنى الذي أقصده من مسايرة
الزمن ، هو المحاولة الجادة لصنع حياة
المسلمين بصيغة إسلامية .

إنجلترا

في كلمة قصيرة عبر عندي بها السيد أبو بكر
سراج الدين عن مشاعره ومشاعر إخوانه
المسلمين هناك نحو العالم الإسلامي والآمال
التي يرقب تحقيقها في لحظة للنهوض بالجماعة
الإسلامية ، كان منها قوله :

أيها العرب : أقم في دار الإسلام هنا
تفعلون ما تشاءون ، ونحن في ديارنا البعيدة
ننظر منكم السكتم من الأحرار في النهوض
بدعوة الإسلام والأخذ بيد المسلمين ، فلا
تخيبوا آمالنا .

إن التجديد في الدين هو عبارة عن إحياء
وتعميق الشعور بهذا الدين ، وإرجاع الناس
إلى أصوله .

مع أعضاء الوفود

للاستاذ سعد عمر

بأن الدعوة الإسلامية وصلت إليها في القرن الرابع الهجري عن طريق القيروان وأن عدد سكانها الآن مليونان ونصف تقريباً كلهم مسلمون إذ لا يوجد بها من غير المسلمين إلا بعض الأجانب الذين تدفع إلى وجودهم الحاجة إلى المساعدات الفنية في بعض المصالح. ويذكر أن موريتانيا تتمازج عن غيرها من بلدان العالم الإسلامي بأنه لا يوجد فيها يهودى واحد. والغالبية العظمى من السكان يشككون العربية والقليل عامتهم زنجية، أما لغة الصلاة للجميع فهي العربية الفصحى.

والمساجد منتشرة في المدن والقرى. وربما تعددت المساجد في المدينة أو القرية الواحدة ولكن الجمعة بها لا تتعدد. هذه المساجد منها ما هو قديم يغلب عليه الطابع العربى ومنها ما هو حديث يغلب عليه الطابع العصرى فيما يحيط به من الشوارع الفسيحة المنروسة بالأشجار على الجانبين.

والتعليم في البلاد نوعان من المدارس: أهلى يقوم بتحفيظ القرآن والمواد الأخرى دون تقييد بنظام معين وهذا النوع منتشر

وإنما للصورة السابقة تتبع ما تقدم ببعض الأحاديث التي جرت مع بعض أعضاء الوفود خارج قاعة المؤتمر.

موريتانيا

مع: الشيخ محمد سالم بن محمد هلى بن عبد الودود. رئيس المحاكم الابتدائية للفقه الإسلامى التي تقسم بالفصل في قضايا الأحوال الشخصية والقضايا المدنية التي يكون المحصوم فيها من أهلى البلاد. أما قضايا الجرائم وقضايا الحقوق المدنية التي يكون طرفا النزاع فيها من الأجانب. فيفصل فيها نوع من المحاكم يعرف بمحاكم القانون الوضعى والشيخ محمد سالم ثقافته عربية إسلامية تلقاها على والده ثم سافر إلى تونس في درجتين تدرجيتين على أعمال المحاكم. وله إنتاج علمى في فروع القانون المسم المطبوع بالطابع الإسلامى والقانون الإدارى. كما أن له تحقيقاً في بعض المسائل الفقهية والشرعية والقانونية.

أجاب عن سؤال بشأن عدد سكان الجمهورية الموريتانية ونسبة المسلمين بينهم، ووصول الدعوة الإسلامية إلى هذه البلاد.

أو من خالط عقائدهم المخرفات التي لا تمت إلى تعاليم الإسلام بسبب .

وأجاب عن سؤال بشأن انفعال الموريتانيين بالأحداث التي تجري في العالم العربي وعما يراه الثقوية رابطتهم بالأمة العربية .

بأن كل ما يجري في العالم العربي له أثره وصداه الذي يهز أوتار قلوب الموريتانيين فهم ينفعلون بأحداثه إلى درجة أنهم يعيشون فيها ، وخاصة ما يتعلق منها بالجمهورية العربية فهم يقرضون الشعر في المناسبات السارة والأحداث المؤلمة ، التي جرت وتجري في العالم العربي : مثل حرب السويس ، وقيام الوحدة بين مصر وسوريا ، ووقوع كارثة الانفصال ، ونجاح مؤتمر الملوك العرب ، ولكي تزداد الروابط قوة بينهم وبين شعوب الأمة العربية ، لا بد من البعث المتصلة التي تستقدم إلى الجمهورية العربية وغيرها من الدول العربية المستنيرة حتى ينهل الموريتانيون من مناهلها العذبة ، ويذكر أن الخطوة الأولى في هذا الطريق بدأت بزيارة السيد / محمد النبوي المهندس موريتانيا على رأس وفد يمثل سائر المصالح المختلفة ، واتفاقه على إرسال موريتانيا لعدد كبير من أبنائها إلى الجمهورية العربية لينتفعوا بالثقافة العربية والإسلامية في شتى فروعها المختلفة ، وهو يذكر أن الطلاب الموريتانيون الآن يتحرفون

في كل اقصى تقريبا . وآخره في تشرف عليه الحكومة . وكان هذا النوع في عهد الاحتلال مصبوغا بالصبغة الفرنسية . تطور في عهد الاستقلال الذي حصلت عليه البلاد في سنة ١٩٦١ فدخلته العلوم الدينية والعربية . ويعتبر المعهد الديني بالجمهورية الموريتانية من أهم دور التعليم بها . توليه الدولة عناية فائقة . والأزهر به الآن مبعوثان يؤديان واجبهما على أكمل وجه .

والثقافة الإسلامية كانت تصل إلى هذه البلاد عن طريق المكتتب والمعلّومات الدينية التي تجلب من القاهرة والبلدان الأخرى . ونجد في كل بيت غالبا مكتبة تحوى كتب الدين تاريخ الإسلام والمؤلفات الخلية القديمة التي توارثها السلف عن الخلف ومظمها من المخطوطات وهو يرى لبعث النهضة الدينية في بلاده أن تكثر الحكومة من إرسال البعث للبحر في علوم الدين واستقدام المعلمين إلى البلاد لفسر الثقافة الدينية المستنيرة . حتى يمكن القضاء على المخرفات التي تشوب عقائد كثير من الناس ومقاومة بعض الانحراف في سلوك من تشبهوا للثقافة الغرب وهم قلة فمن طريق هؤلاء المالبين بتعاليم الدين وأخلاقه الصحيحة يمكن أن نشق طريق الدعوة في وسط الأحرار والغابات لإنقاذ من ضللتهم ثقافة الغرب اللادينية

وقد قام هذا الحزب بثورته في أوائل سنة ١٩٦٣ وهي ماضية في طريق النصر للتخلص من الاستعمار وأذناه نهائيا كما أنه عضو في لجنة الدستور التي تستخلص مواده من الفقه الإسلامى

وله مؤلفات كثيرة - منها - الصومالية بلغة القرآن . عبارة عن كتابة اللهجة الصومالية بلغة عربية . ومنها - كفاح الحياة - وكتاب التعليم في الصومال - وكتاب منهجى في النظم القانونية للرافعات الشرعية . كما أنه يحاضر في المعهد الجامعى بمقدشو في مادة اللغة العربية .

وقد أجاب عن سؤال بشأن التطورات التي لاحظها في حياة المجتمع المصرى في المهة التي غاب فيها عن القاهرة بأن التطور الذى رآه من الوجهة الأولى يعتبر تطوراً ثورياً شاملاً لكل مرافق الحياة في هذه البلاد بل شاملاً للإنسان العربى نفسه في كيانه ووجوده .

كما أجاب عن سؤال بشأن عدد المسلمين بالصومال والجمعيات الدينية الإسلامية بها ومدى نشاطها ونشاط الجمعيات التبشيرية الأخرى . بأن نسبة المسلمين في الصومال تكاد تكون ١٠٠ ٪. إذ لا يوجد إلا عدد من غير المسلمين ضئيل يقيم في جيوتى له كنيسة في مقدشو تشرف على نواحي النشاط الكنسى الكاثوليكي في إفريقيا ..

شوقاً لتلبية أول إشارة لهم بالقدوم إلى هنا ، وليكونوا الذواة لحل أعباء النهضة في بلادهم التي بدأت حكوماتها في استغلال ما تزخر به أرضها من الثروات في الظاهر والباطن بتعاقد ما مع بعض الشركات لاستخراج هذه الثروات ، والتي من أهمها النحاس والبتروول والثروة الحيوانية وغيرها .

وهو يرقب للتوتمر نجاحه في مهمته الجليلة حتى يكون له فعا ليته في توحيد صفوف العرب والمسلمين ، وحتى يمكنه حل مشكلات الحياة التي يمانى منها المجتمع الإسلامى ، حلا تقوم أسسه على تعاليم الدين الإسلامى الحنيف .

الصومال

مع : - الأستاذ إبراهيم حاجى محمود . مدير القسم العربى بوزارة الاستعلامات الصومالية ومن أهل منطقة أوجادين المتنازع عليها بين الصومال والحبيشة .

ولقد درس بالأزهر وحصل على طالية اللغة العربية في سنة ١٩٢٦ ، ثم دبلوم كلية التربية بجامعة عين شمس سنة ١٩٥٧ وله نشاط سياسى ودينى واسع المدى ، فهو الآن رئيس حزب نصر الله الصومالى الثورى الذى يعمل بكل قواه للتخلص من الاحتلال في هذه المنطقة هذا الاحتلال الذى يلبس على جسده ثوب الاحتلال الحبشى بينما العنصر اليهودى مخبوء تحت هذه الثياب .

الرسالة على أكل وجه . حتى يتمكنوا بعملهم هذا من صد تيار التبشير والإلحاد الذى يمدد المستعمرون بكل الإمكانيات . وفى نهاية حديثه توجه إلى المولى بالدعاء وجاء أن يكلاً هذا الغرس الناشئ برعايته فيمده بروح من عنده حتى يقوى على النوض بقبعة مهمته الثقيلة على خير وجه .

السودان

مع : فضيلة الشيخ حسن مدثر قاضى قضاة السودان السابق والذى مارس هذه الوظيفة من سنة ١٩٥٢ إلى أن أحيل إلى التقاعد فى سنة ١٩٥٨ .

وقد أجاب سيادته عن الأسئلة التى وجهت إليه بشأن مذكرته التى تقدم بها إلى البرلمان السودانى لوضع دستور الحكم فى السودان على أساس من مبادئ الشريعة الإسلامية بما يأتى :

كان الحافز لى على وضع هذه المذكرة ما يراه ويراه غيره من الناس من أن السودان بلد يقوم نظام جماعته على العادات العربية والنظم والتقاليد الإسلامية وأكثر سكانه يدينون بالإسلام . وإذا فالضرورة والواجب يحتملان فى بلد كهذا أن تكون الأسس العامة لدستوره قائمة على قواعد الاسلام وأن تكون القوانين التى يحكم بها المجتمع الإسلامى فى نطاق دستور إسلامى لا يتعارض العمل بها مع مبادئ

ويوجد من الجمعيات الإسلامية بالصومال جمعية حماة الدين الإسلامى . والرابطة الإسلامية . ولها نشاط واسع المدى . كما لرجال الدعوة الدينية من مبعوثى الأزهر نشاط غير محدود وله أثر عظيم فى تبصير المسلمين بأمور دينهم . ولإضاءة طريق الخير والمعرفة لهم .

أما النشاط التبشيري هناك فقد أصبح منحصراً داخل حدود كنيسة مقديشو بل داخل جدرانها . أما خارج بنائها فقد قضى عليه نهائياً على إثر مقتل المبشر الأمريكى إذ منعت الحكومة أى نشاط للتبشير المسيحى فى هذه البلاد التى نص فى دستورها على أن الفقه الإسلامى هو الذى تستخلص من قواعده أسس التشريع فى البلاد .

وأمل السيد إبراهيم حاشى فى الجمع أن يكون نواة لجامعة إسلامية كبرى أعضاؤها من كل أقطار الإسلام . وأن يصبح له أثره فى توجيه المجتمع الإسلامى توجيهاً دينياً صحيحاً ليستعيد الإسلام والمسلمون سالف مجدهم وعزمهم . وأن تحظى قرارات هذا المجتمع بالاحترام حتى يكون لها أثرها فى سلوك الحكومات الإسلامية . كما يرجو أن يعمل الجمع على تقوية التبشير بالدين الإسلامى فيرسل الدعاة إلى المناطق النائية مزودين بكل الإمكانيات التى تعينهم على أداء هذه

وكنت أرى الخطوط العاصمة للدستور الإسلامي الذي يمنح المجتمع المسلم العدالة الاجتماعية ، والحرية ويحل مشاكل هذا المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تعاني منها الإنسانية في هذه الأيام الكثير ، واضحة في المبادئ العامة للإسلام كبدا الأخوة والمساواة التي قررها القرآن وأكدتها سنة الرسول وكبدأ الشورى الذي يرتكز عليه الحكم الديمقراطي في الأمم المتعدنية ، وكضمان الحريات الأساسية : حرية التفكير ، وحرية القول ، وحرية العقيدة ، وتقرير مبدأ العدالة ، ومبدأ التعاون والتضامن الاجتماعي ، ومبدأ تكافؤ الفرص ، وصيانة حرمة التملك والاقتصاد ، إلى غير ذلك ، مما يدل في وضوح على أن الإسلام ليس دين عقيدة وعبادة فقط وإنما هو عقيدة ونظام ودولة .

وفي نهاية حديثه تمنى للدوتم كل نجاح وتوفيق في مهمته المقدسة ، وجاء لإيجاد الحلول المناسبة لمشاكل المجتمع الإسلامي في ضوء تعاليم الدين الإسلامي الجيد .

العراق

مع : فضيلة الشيخ كمال الدين الطائي :
سكرتير جمعية الآداب الإسلامية ببغداد ،

الإسلام الذي قام عليها نظام هذا المجتمع . وأنه كرجل يمارس القضاء يؤسفه ويسوءه أن تحكم بلاده بقوانين مخالفة لشريعة الإسلام ومبادئه العامة منها المستعمرون ؛ لا لتحجى عقائد هذا المجتمع وتقاليد كما هو المفروض في قوانين كل دستور بل شروها للقضاء على هذه العقائد وتلك التقاليد . وقد زال الاستعمار وأصبح أمر الأمة السودانية بيدها وهي أمة إسلامية بحكم الكثرة المطلقة للمسلمين فيها . وإذا فلا عذر لها في هدم إلغاء تلك القوانين الدخيلة والرجوع إلى الإسلام لوضع دستور إسلامي فيه من القوانين ما يحمي عقيدة هذه الأمة وآدابها العامة وطاداتها العربية الأصيلة .

وقد انتهت من وضع هذه المذكرة في ربيع الثاني سنة ١٣٧٦ هـ الموافق نوفمبر سنة ١٩٥٦ : تقدمت بها إلى الوزراء ولجنة الدستور فور الانتهاء من إعدادها ووزعتها على أعضاء البرلمان السوداني فخطبت بالتأييد المطلق من معظم أعضاء المجلس إذ أيدها أكثر من مائة وستين عضواً من أعضاء البرلمان ، إلا أن المشروع لم يتم نظراً لحل المجلس على إثر قيام الثورة السودانية والعمل بالدستور المؤقت الذي تحكم به البلاد في فترة الانتقال .

ولم يعرف بموضوع البحث من قبل ، وهو يرى أن تكون الموضوعات التي يتقدم بها الباحثون في هذه الدورة شاملة لكل المشاكل التي تواجه المجتمع الإنساني في حياته الحاضرة سواء أكان ذلك من الناحية الاجتماعية كمشكلة الانحلال الخلقي في المجتمعات الإسلامية ، ومشكلة تعدد الزوجات ومشكلة الطلاق أو من الناحية الاقتصادية كعاملات البنوك ، وصندوق التوفير ، والتأمين على الحياة ، والأوراق المالية ، وغير ذلك من المشاكل .

إندونيسيا

مع : السيد / البروفيسور إبراهيم حسين :
 عميد كلية الشريعة بجامعة فلين ، وجامبي
 بسوطة الجنوبية وسوطة الجنوبية الغربية .

سئل سيادته عن الوسائل التي تمكن الدعوة الإسلامية من صد التيارات التبشيرية التي أخذ نشاطها يزداد في هذا البلد الإسلامي في العصر الحاضر فأجاب بأن هذه الوسائل تملخص في الآتي : —

أولاً : — يجب العمل على عودة الطلاب الأندونيسيين الذين أنماؤا دواستهم هنا بالأزهر ليؤدوا رسالتهم في تعميق الإسلام في نفوس المسلمين ونشر دهورته في صفوف البقية الباقية

ومدرس بمدرسة الحضرة القادرية ، الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وإمام خطيب جامع المردية ، وصاحب مجلة الكشف التي بدأ ظهورها في سنة ١٩٣٠ ، واجتمعت عن الظهور كلية في عهد عبد المكرم قاسم ١٩٦٠ وكان اسمها يتغير أحياناً تبعاً لتغير الظروف السياسية في مدة ظهورها .

له مؤلفات ومباحث دينية . منها :

- ١ — مباحث قرآنية ، وهو عبارة عن موجز لبعض الدراسات التي تختص بالقرآن
- ٢ — كيف حال الإسلام مشكلة الفقر .
- ٣ — أحاديث التفسير التي ألقيت في الإذاعة وغيرها من المنتديات الدينية .

سئل عن رأيه في مجلة الأزهر فأجاب بأنه يشترك فيها منذ إنشائها وتصله تبعاً وقال : إنها مجلة سائرة تخدم ناحية معينة هي الثقافة العربية والإسلامية . ومديرها الأستاذ الويات - من الإخوان الأحرار على العراقيين وهو ينصح بأن تعنى بنشر أخبار العالم الإسلامي كافة كما ينصح المشرفين على تحريرها بأن يعملوا على العودة بها إلى المستوى العلمي الرفع الذي كان طابع هذه المجلة منذ زمن بعيد .

وأجاب سيادته عن سؤال بشأن موضوع البحث الذي سيقدم به إلى المؤتمر في دورته الأولى بأنه حضر إلى القاهرة ظهر اليوم

الإسلامية من أداء رسالتها في هذه البلاد وهو يرجو من المعينين بشئون هذه الدعوة في مختلف البلاد الإسلامية . العمل السريع الجاد المختصر . والله لا يضيع أجر العاملين .

الأرجنتين

مع فضيلة الشيخ ساطع أحمد رفيق الجبيلي . وهو من أصل عربي إذ ينتمي لعشيرة بني جميلة السعدنانية بالعراق . ولد بها ودرس المرحلة الابتدائية والثانوية بمدارسها . وبجانب هذه الدراسة قد درس العلوم العربية والشريعة والفلسفة على أستاذ الجليل فضيلة الشيخ أحمد الزهاوي وغيره من علماء العراق وفي سنة ١٩٤٩ حضر ضمن بعثة الأوقاف العراقية إلى القاهرة فدرس في كلية الشريعة بالأزهر وحصل على الشهادة العالية منها ثم على العالمية مع إجازة التدريس من تخصص التدريس . وعاد بعد ذلك في سنة ١٩٥٤ إلى بغداد حيث مكث بها فترة وجيزة وحل بعدها إلى أمريكا الجنوبية .

ويقول الأستاذ ساطع الجبيلي أنه بعد هجرته تجول في معظم ولايات أمريكا اللاتينية متفقدًا شئون المسلمين في هذه الولايات ودارسًا لأحوالهم فكان من الأمور التي لفتت نظره حال الطفولة الإسلامية في هذه البلاد التي توشك على الفناء مما دفعه إلى التفكير في خطة لإنقاذها وتعريفها

غير المسلمة ، وهو يرجو مساعدة الجمهورية لهؤلاء الطلاب بدفع نفقات سفرهم وتزويدهم بالكتب الإسلامية التي تساعد على أداء مهمتهم في نشر الثقافة الإسلامية والتسكين لها في هذه البلاد .

ثانياً : أن تقوم البلاد العربية الإسلامية وخاصة الجمهورية العربية بإنشاء مراكز إسلامية لها في أنحاء متفرقة من إندونيسيا لتقوم هذه المراكز على الدعوة الإسلامية ورعاية شئونها بحيث يتبعها معاهد للرعظ والإرشاد ومدارس لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الدين ويكون لها مستشفيات وملاجئ . للاهتمام بحيث لا تقل هذه المراكز الإسلامية في مستواها عن الجمعيات التبشيرية التي أخذت تغزو البلاد بدعوتها التبشيرية من أنقى البلاد إلى أقصاها حتى يكون لهذه المراكز فعاليتها في صد تيار التبشير الذي يحتاج هذه البلاد .

ثالثاً : الإكثار من البعثات الإسلامية لفشر دعوة الإسلام والعمل على تكوين جمعيات إسلامية تبشيرية في المدن والقرى لمقاومة النشاط التبشيري الذي تقوم به جمعيات التبشير الأخرى على أن تستخدم الجمعيات الإسلامية كل الوسائل التي تمكنها من أداء رسالتها على الوجه الأكمل .

هذا ما يراه سيادته لتسكين الدعوة

كل أسبوع لمناقشة القضايا الإسلامية في هذه البلاد وما يجب عمله لها .

وأهم المناطق التي بها مسلمون في أمريكا اللاتينية الأرجنتين - فنزويلا - البرازيل ، ثم بوليفيا وأرجواي والمكسيك . ثم هدد ضئيل في شيلي . وعدد المسلمين في أمريكا اللاتينية حوالي المليون ونصف منهم ٥٥٠ في الأرجنتين وحدها .

والشعب الأرجنتيني ميله شديد إلى الإسلام ولا سيما الشباب المثقف فقد دخل في الإسلام منهم حوالي ثمانية عشر شاباً . أحدهم « سيف الدين درك والقر موصغ » الذي أسلم على الرغم من معارضة والده له . وعلى الرغم من تهديد هذا الوالد المليونير له بالحرمان من ثروته الطائلة .

واقدا استطاع هذا الشاب المؤمن المسكن أن يؤثر على والدته فأسلمت كما قام بتأسيس معهد لدراسة الإسلام في جامعة نيومكسيكو تحت اسم « معهد نور الإسلام » وهو شاب مثقف ثقافة عالية ويتكلم عدة لغات منها الألمانية . وأعظم أمنية له أن يكون له حظ وافر من الثقافة الأزهرية التي تؤهله لأن يكون مبشراً إسلامياً كبيراً .

ويقول الشيخ ساطع إن الحرية مكفولة للمسلمين في أمريكا يمارسون في ظلها أمورهم التعبدية بل الحكومات اللاتينية تحميهم

بأمور دينها فلما استقر به المقام في قرطبة بالأرجنتين سنة ١٩٥٦ كان أول عمل قام به هو :

تأسيس معهد للتربية الإسلامية لتدريس اللغة العربية قراءة وكتابة ومحاكاة . مع تحفيظ القرآن الكريم وتجويده . وتدريس مبادئ الإسلام وأحكام الشريعة ، والتاريخ الإسلامي والسيرة النبوية الشريفة . هذا المواد التثقيفية الأخرى . وبالمعهد الآن مائة وأربعة وعشرون تلميذاً وتلميذة يدرسون باللغة الأسبانية كل المواد إلا ما يرتبط منها باللغة العربية والقرآن الكريم .

والمال اللازم للإنفاق منه هلى هذا المعهد يقوم على تبرعات المسلمين هناك وهذه التبرعات لما لم تكن وافية بسد نفقات الأغراض التي أنشئ من أجلها المعهد والتوسع فيها بمرور الزمن فإنه قام بإصدار جريدة أسبوعية تحت اسم « صوت الإسلام » نصفها إسباني ونصفها تطبع بالزنيو لعدم وجود مطبعة عربية . توزع هذه الجريدة في كل أنحاء أمريكا اللاتينية وقد وصل آخر الأعداد التي طبع منها في الأسبوع الأخير إلى ٧٣٠٠ نسخة نفدت كلها هقب ظهور الجريدة .

كما تفرع عن المعهد جمعية تحمل اسم الشيبية الإسلامية يجتمع أعضاؤها يوم الأحد من

هى إعداد المدوسين الأكفاء لتعليم هؤلاء اللغة العربية والدين وإرسالهم إلى هذه البلاد ولكي تنجح الدعوة الإسلامية والتبشير بها في هذه البقاع لابد من الاستئناس بأراء الخبيرين من المسلمين هناك بوسائل نشر الدعوة الإسلامية لخبرتهم العملية وعما رستهم السابقة التي وضعت أيديهم على أنجح الوسائل لنجاح هذه الدعوة .

وأمنيته لمجمع البحوث التوفيق والسداد . ولمداد الله له بكل القوى التي تمكنه من حمل تبعة أعباء مهمته الشاقة . حتى يؤدي رسالته على خير وجه . في جمع كفة المسلمين . وحل مشاكلهم وإحياء تراثهم الإسلامى الخالد .

اليابان

مع : السيد / عبد الكريم ساتيو الأستاذ جامعة تاكوشوك . والذي يقطن في كوتيباسي طوكيو .

يذكر السيد الأستاذ أنه من أهل جزيرة في اليابان عدد سكانها ٢١١ كلفهم مسلمون . وكان إسلامهم من ثلاثة أهوام فقط على يد أحد التجار الباكستانيين . الذي التقى بالأستاذ عبد الكريم ولس من مخالطته له صدقه في الحديث . والدقة في الأمانة . وحسن معاملته للناس . وقد لاحظته وهو يصل ويحافظ على أداء الصلاة في أوقاتها . فسأله عما يعرف

وتحى عقائدهم ولهم مساجدهم التي يؤدون فيها صلاتهم . وفي سان باولو بالبرازيل مسجد البرازيل الشهير الذى أنشأته الجمعية الخيرية الإسلامية ، وهى القائمة على شئونه . ولكن يصعب تنشئة الأطفال بهذا المقر الدين بسبب بعد مساكن آبائهم عن هذا المسجد الذى يعتبر المركز الثقافى الإسلامى للمسلمين في هذه البلاد . ويقول إن أكثر مسلمى البرازيل من مهاجرى لبنان من سهل البقاع وهم رغم حداثة هدهم بالمجرة إلا أنهم أغنياء كرام . وعدد المسلمين بالبرازيل نحو ١٨٠ ألف مسلم موزعين في أنحاء البرازيل .

وهو يرى أن أهم مشاكل المسلمين في أمريكا اللاتينية هو ما هو جهل كثير من المسلمين هناك بأبسط أمور العقيدة الإسلامية مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى موافقتهم على زواج الشابات المسلمات من غير المسلمين . بل بعض هؤلاء المسلمات ضالها يهودى وخدعها وتزوج منها . وإزاء هذه الحادثة وأشباهاها فإنه أرسل استغاثة في سنة ١٩٥٨ إلى رؤساء وملوك الدول الإسلامية وقادتها تحت عنوان « استغاثة الذرية الإسلامية في أمريكا الجنوبية » رجاهم جميعاً في هذه الاستغاثة مساعد العون والمساعدة لانتشال هذه الذرية من الفناء .

وخير وسيلة لذلك كما يراها الشيخ ساطع

ولما سئل عن قضية فلسطين ومدى ما يعرفه اليابانيون عن مشكلة اللاجئين العرب وشعورهم نحو هؤلاء اللاجئين .

أجاب بأنه كان يعتقد حتى قدم إلى هنا أن الإسرائيليين جزء من الشعب العربي ظلهم إخوانهم وعاداهم المعريون خاصة ، نظراً لما يقوم به اليهود من دعاية قوية تطمس معالم الحقيقة ، والتي يسلكون فيها كثيراً من الطرق المشوية ، والشعب الياباني كله على هذا النسق الذي كان يعتقده السيد/ عبد الكريم قبل قدومه إلى هنا تضلله الدعاية اليهودية وبوازرها النفوذ الأمريكي في هذه البلاد والحقيقة قد تكتشفت له بعد أن حل بأرض الجمهورية العربية وسمع بحقيقة المشكلة ورأى ظلم الصهيونية والمؤازرين لها بحسب ما رأى هؤلاء اللاجئين المشردين عند زيارته لقطاع غزة ، ولذلك فهو يرى أن تنشيط الدعاية العربية والإسلامية في كشف تضليل اليهود وتعريف العالم كله بمشكلة فلسطين هذا البلد الذي حول الصهاينة والمستعمرون أهله الأصليين إلى شعب من المشردين اللاجئين . وهو كفرد مسلم يهيب بكل المسلمين وخاصة العرب منهم الوقوف صفا واحداً لنصرة هذه القضية العادلة حتى يعود الحق لأصحابه بطرد هذه الفئة الباغية من اليهود وعودة البلاد لأصحابها الحقيقيين .

من تعاليم دينه : الإسلام ، فأجاب بالقليل الذي يعرفه منها لأنه غير واسع الثقافة والمعلومات عن الدين الإسلامي . ورغم هذا القليل الذي حدثته به من هذه التعاليم السمحة . فقد أعجب بها وأسلم هو وأولادهم دعا الآخرين إلى الإسلام فأسلمت طائفة منهم وكانت طائفة التي تسلم تدعو غيرها إلى الإسلام بعد أن تأخذ نفسها بالصفات التي يتصف بها هذا الباكستاني المسلم . وبذلك كانوا قدوة حسنة يجتذب الآخرون إلى الإسلام حتى أسلم كل من بالجزيرة رجالاً ونساء وصبية وفتياناً .

وهؤلاء المسلمون الحديثو العهد بالإسلام يحفظون بعض آيات القرآن الكريم ، ولكنهم لا يفهمون لها معنى وإنما يرددونها على حد تعبيره كالبيغاوات . ولذلك فحاجتهم ماسة إلى شخص واسع الثقافة بالدين الإسلامي يرشدهم إلى تعاليم السمحة ويعمق أثر الإيمان في قلوبهم . ويعدهم لحمل دعوة الإسلام في اليابان كلها ، إذ اليابانيون بوجه عام لا دين لهم ، وهم أكثر تقبلاً لدعوة الإسلام من غيرها لأن الإسلام دين الفطرة ، وإذا وجد الإنسان الكف للقيام بهذه الدعوة وهو يبدى أسفه لعدم وجود هذا الداعية الآن في بلاد اليابان . ويذكر أن دعوة التبشير بالدين المسيحي في بلاد اليابان لا تلقى بها نجاحاً واسعاً رغم ما يبذله المبشرون هناك .

توصيات المؤتمر

ويعرب المؤتمر عن ترحيبه واعتزازه بإنشاء مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر لدعم الأخوة الإسلامية وتوطيد أواصر التعاون بين علماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ونشر الثقافة الإسلامية والقيام بالدعوة إلى سبيل الله في جميع البلاد والأقطار امتثالاً لقوله تعالى : ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقوله : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون..

ويسجل المؤتمر تقديره البالغ للنجار والكامل الذي تلقى به علماء المسلمون وقادة الرأي فيهم دعوة الأزهر إلى هذا المؤتمر الجليل . مما يؤكد بقلعة العلم الإصلاحي وحرصه على التعاون لإحياء مجد الإسلام بتوضيح مبادئه وتجليه تعاليمه ونشر مفاهيمه ليسهم برسالة السمحة في إنقاذ البشرية من هراسل الشر والانحراف واليهـ ودها إلى الأمن والسلام .

كما يسجل المؤتمر تقديره للخطوة التي اتخذتها الجمهورية العربية المتحدة للنهوض

إن علماء الإسلام الذين قدموا إلى القاهرة من شتى بلاد العالم للمشاركة في أول مؤتمر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر يحمّدون الله سبحانه وتعالى أن هياً لهم هذا اللقاء المبارك في رحاب الأزهر الشريف وبدعوة من مشيخته الموقرة . ليتدارسوا الأمور التي تتعلق بالدعوة الإسلامية وليبحثوا المسائل التي تهم المسلمين في جميع الأقطار والأوطان ، وليدعموا أواصر الأخوة والمودة بينهم وليوحدوا جهودهم لنشر الثقافة الإسلامية حتى توصل رسالتهم في الحركة الفكرية الإنسانية .

ولأنهم ليتقدمون بصادق التحية والتقدير إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة لوفايته الكريمة لهذا المؤتمر وتفضله بإيفاد السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية لافتتاحه .

كما يتقدم أعضاء المؤتمر بالشكر إلى حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، وشعبها الكريم وإلى السيد الدكتور وزير الأوقاف وشئون الأزهر لما أحاطواهم به خلال انعقاد المؤتمر من حفاوة وتكريم .

والمسلمين ، ودعوتهم إلى مؤازرة شعب فلسطين في حقه في العودة إلى وطنه السليب باعتبار ذلك كله واجباً دينياً مقدساً .

ثالثاً : وضع خطة حكيمة للدهوة إلى سبيل الله ومقاومة التحديات التي تواجه الإسلام ودحض الشبهات التي تثار حوله .

رابعاً : تفسيخ مواطن الضعف في المجتمعات الإسلامية والعمل على علاجها .

خامساً : العمل على إصدار الفتاوى والأحكام المستمدة من أصول الإسلام وتعاليمه في المشكلات التي جددت وتجدد في حياة المسلمين حتى تسير نهضتهم على هدى من دينهم الحنيف .

سادساً : اتخاذ الوسائل الكفيلة بزيادة عناية الشعوب الإسلامية جميعاً باللغة العربية لغة القرآن ، عناية تسير لهم الوقوف المباشر على ما اشتمل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية وما وصل إليه أئمة الدين .

سابعاً : العمل على دهم الروابط بين المسلمين وتوثيق صلاتهم بجميع البحوث الإسلامية الغنى أنشئ . ليكون ملتقى لقادة الفكر الإسلامي لينفض بهممة التوجيه في نشر الدهوة وإعداد الدعاة الذين يستطيعون النهوض بواجبهم الديني الكبير .

وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون .

والله ولي التوفيق .

بالأزهر ويرى فيها خطوة على الطريق الصحيح لإعداد رجل الدين المزود بالعلم وبالخبرة الفنية والعملية التي تمكنه من أداء رسالته الدقيقة والإنسانية .

ويعرب المؤتمر عن سروره البالغ أن صاحب اجتماعه الأول وضع الحجر الأساسي للبني الجديد لكل من دار القرآن وجامعة الأزهر ويسجل بمزيد من الغبطة ما أتيح لأعضائه من فرصة المشاركة في هذين الاحتفالين ويرجو أن يتحقق بإنشائهما مزيد من الخير للإسلام والمسلمين .

ويوصي المؤتمر بأن يخص بجمع البحوث الإسلامية المسائل الآتية بمزيد من العناية والبحث في المرحلة التالية من دورة انعقاده الحالية وفي أعماله المقبلة :

أولاً : وضع خطة إيجابية لتكوين الشخصية المسلمة على أساس من المبادئ الإسلامية التي تدعو إلى العزة والحرية والكرامة ، وتمكن المسلمين من مواجهة قضاياهم ، وتهيبهم رد أي هدوان على حقوقهم في أي قطر من الأقطار . فالمسلمون أمة واحدة وهم متضامنون بوحى من دينهم وإيمانهم في حمل مسؤولية العمل لصالح الأمة الإسلامية .

ثانياً : تعريف المسلمين في مختلف أنحاء العالم بخطور قيام إسرائيل على الإسلام

كلمة الختام

للاستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضي
رئيس المؤتمر

من الطواهر العظيمة الكريمة أن بالغ حرصكم على المساهمة في هذا الواجب الإسلامي إلى درجة أن تغلبت إرادتكم القوية ووثبتكم في تلبية الدعوة على كل العوائق والظروف، فحرصتم على الحضور ولو في آخر لحظة .

وإن اجتماعنا في هذا المؤتمر - أيها الإخوة الأفاضل - لمو بداية خير وبركة للإسلام والمسلمين ، فقد التقينا لقاء الإخوة المتعاونين في سبيل البر والتقوى ، وساهمنا جميعاً في البحث والمناقشة وبدأنا الطريق الذي ينبغي أن نسير فيه قدما لنجد الحل لمشكلاتنا وقضايانا من مبادئ الإسلام وعلى هدى من تعاليم السمحة التي ينبغي علينا أن نحمل مشعلها الوضاء ونسير في الطليعة حتى نهدي البشرية إلى الخير والسلام .

ستمودون أيها الإخوة إلى بلادكم سالمين بإذن الله بعد أن أكدنا الروابط ووثقنا الصلات التي تجمع بين كافة المسلمين وخاصة بين علماءهم وذوى الرأى منهم الذين يدركون ويقدررون المسئولية الملقاة على عواتقهم تجاه ديننا وتجاه أمتنا .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين . الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

أيها الإخوة الكرام :

نحمد الله سبحانه وتعالى إليكم ، فقد هبنا لنا الأسباب التي مكنتنا من دهوركم للاشتراك في المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية .

وستتم إن شاء الله بهذا الاجتماع الفترة الأولى من انعقاد المؤتمر ، الذى يواصل جلساته إن شاء الله بالسادة العلماء ، من أعضاء المجمع حتى يتم عمله في هذه الدورة .

وإن مشيخة الأزهر لتقدم إليكم جميعاً خالص الشكر وعظيم التقدير : فقد رأينا منكم الاستجابة الكريمة الطيبة لتلبية دعوة المشيخة لحضور هذا المؤتمر حيث أقبلتم هنا الإقبال المحمود على المساهمة في حمل الأمانة وأداء الرسالة - رسالة الأزهر - وحي رسالة الإسلام - ولا عجب فأنتم علماء الإسلام وفقهائه وقادة الرأى بين المسلمين ، ولقد كان

في النهاية إن شاء الله كتاب المؤتمر الذي يضم جميع الأعمال التي تمت في هذه الدورة ، وسوف نوافي حضراتكم بهذا الكتاب فور صدوره .

ومن بشارت الخير ودلائل التوفيق أن تتم الفترة الأولى من انعقاد المؤتمر في هذه الليلة المباركة التي صدر فيها الإعلان الدستوري في الجمهورية العربية المتحدة وهو ينص على أن الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية .

وفي ختام هذه الكلمة أرجو أن أقدم باسم حضراتكم راسي إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر بخالص الشكر وعظيم التقدير لما أحاط به سيادته المؤتمر وأعضائه من رعاية وتكريم .

حفظ الله السيد الرئيس ورعاه ، وأبقاء ناصراً للإسلام والمسلمين ، وعاملاً في جمع كلمة الأمة الإسلامية والأخذ بيدنا إلى الطريق السوي المستقيم حتى يتبوأ المسلمون مكانتهم العزيلة الكريمة بين الأمم والشعوب . والله يبارك جهودكم وجهادكم أيها الإخوة علماء الإسلام ، ويهديكم ويهدينا سواء السبيل ؟

دكتور محمد عبد الله ماضي
وكيل الأزهر

وإن يجمع البحوث الإسلامية ليرجو منكم جميعاً أيها الإخوة العلماء أن تواظروا ببحوثكم وآرائكم واقتراحاتكم وأن تدهموا صلاتكم به ؛ فالجميع - شأنه شأن الأزهر - لكم جميعاً وبكم جميعاً ، ومسئوليته أمانة في أعناقكم جميعاً . . . ويد الله مع الجماعة .

وإن هذه البداية المباركة الطيبة لمؤتمرات يجمع البحوث الإسلامية التي التقيتم فيها جميعاً باسم الله وعلى بركة الله لتبشر بأن المجمع سيحقق إن شاء الله الآمال المعلقة عليه في تجديد الثقافة الإسلامية ، وتنشيطها ، وتقييمها من الشوائب والفضول ، لتبعث من جديد تأثيرها وقايلتها في الحركة الفكرية الإسلامية .

وإننا لنتجه بالشكر أيضاً إلى جميع الإخوة الذين ساهموا معنا في لإنجاح هذا المؤتمر . . . سواء أكان ذلك ببحوثهم التي قدموها ، أو بأرائهم واقتراحاتهم التي أبدوها ، أو بمناقشاتهم القيمة التي فتحت الأبواب المغلقة ، وهدت إلى الطريق المستقيم وسوف نستفيد من ذلك كله ، ونصل إلى وضع المحطات المناسبة وإيجاد الحلول اللازمة لما يعرض لنا معشر المسلمين في الحياة من مشكلات وصعاب . . . وسيخرج المجمع

بيان

المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

« إنه المدين عنده الله المزمع »

والإسلام عقيدة وشريعة : عقيدة تحكم صلة الإنسان بربه وشريعة تنظم سلوك الناس أفراداً ومجتمعات ودولاً .

وإذا كان الإسلام هو الدين عند الله إلى آخر الدهر ، كان لا بد أن تواجه شريعته كل حاجات الناس أفراداً ومجتمعات ، وتنظم جميع صور العلاقات الإنسانية في المجتمع الإسلامي . وأساس الشريعة هو الكتاب والسنة والفهم الصحيح لهما ، لمواجهة الصور الإنسانية التي تتعاقب على البشر بتعاقب الأزمنة .

وقد اجتهد أئمة الفقه الإسلامي في فهم الكتاب والسنة واستنباط الأحكام منهما ما وسعهم الجهد ، وكانوا من دقة الفهم ونقاء النفس وسعة الأفق بحيث وضعوا قواعد وأصولاً للأحكام تعد تراثاً إنسانياً ومرجعاً عاماً لكل المشتغلين بالفقه والقانون في كل المجتمعات وفي كل العصور ، وصار للفقه الإسلامي أثر واضح في تشريعات المستعمرين من كل أمم الأرض ، وارتقت به الحضارة الإنسانية إلى آفاق بعيدة المدى . . .

ولكن هذه الانطلاقة الوائبة لم تلبث أن تراخت ، حين تكالب الاستعمار على المسلمين بصور من العدوان نالتهم بالأذى في أنفسهم وفي أموالهم وفي أرضهم وفي العلاقات التي تربط بين بعضهم وبعض فعنهم ذلك أكثر من كل ما عدها من شئون دنياهم وآخرتهم ، والزم كل منهم ثغره للدفاع عن مقدساته ، فوقفوا مكانهم لا يكادون يتقدمون خطوة إلى أمام ، والحياة من حولهم ماضية في طريقها إلى ما أراد الله .

ومضت القرون وهم وقوف في مكانهم ذاك يكافون بدرجات متفاوتة وصور مختلفة رد ذلك العدوان والتخلص من آثاره ، وتعاقبت أجيالهم على الكيف للخلاص من عدوهم ، حتى صار انتصارهم في معركته هو الغاية ، كل الغاية ، لا يكادون يذكرون وراء ذلك غاية ...

فلما انتهى كفاحهم بالنصر بعد قرون وقفوا يحيلون النظر فيما حولهم من صور الحياة وألوان السلوك وأنواع المعاملة ، فوقع أعينهم على فنون من الحضارة وصور من النشاط وألوان من المعاملة لا عهد لهم

بعضها فيما يعرفون ، فمنهم من أنكر ذلك كله ورآه بدعة يضل بها المسلم عن سبيل الله ، ومنهم من ولغ فيه ولوغ الظمان في ماء آسن لا يبالي أن يكون ما يشربه طيبا أو خبيثا ، ومنهم من توقف ليسأل نفسه أو ليسأل غيره الرأي في حلال ذلك وحرامه ، ومنهم من تجرأ على الفتوى لنفسه أو لغيره ، بأهلية للإفتاء أو بغير أهلية ، وأنهم الأمر على الكثرة الغالبة من المسلمين فوقفوا حيارى لا يدرون ما يأخذون من ذلك وما يدهون ، ولعل بعضهم قد حاول مخرجا من حيرته ، بإيهام نفسه عن اقتناع أو عن غير اقتناع ، بأن الدين عبادة وحسب ، وأن للعلاقات الإنسانية قوانين أخرى يضعها الناس ، وهو خطأ كبير يوشك — إن عم — أن يؤصل القطيعة بين الشريعة الإسلامية والاجتماع .

ويعدلوا المعوج من سلوك الناس ويقيموا المسائل ، تصديقا وطاعة لقول الله : « ولتكن منكم أمة يدهون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . هؤلاء الأمة هم برهان لهذا الدين السمح الخالد المتجدد بقوته الذاتية وعلى أساسه الأزلي الثابت لمواجهة كل حاجات الإنسانية المتطورة إلى كمالها .

ولتجميع هؤلاء الصفوة على صعيد واحد ليروا رأى الإسلام فيما يهم المسلمين من شئون دنياهم وآخرتهم ، كان إنشاء مجمع البحوث الإسلامية .

ليكون هذا المجمع هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية ... وليقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث ...

وليعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص ...

وليوسع نطاق العلم بالإسلام الصحيح لكل مستوى وفي كل بيئة ...

وليرى الرأي فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتصل بالعبادة ...

وليحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ...

ولكن الله — سبحانه — قد جعل الإسلام دين الفاس إلى آخر الدهر لصالح دنياهم وآخرتهم ، ومن ثمة كان في كل جيل من المسلمين — برغم جليلة الحوادث وتزاحم الأخطار — علماء أخيار ذوو رأى وبصيرة يفقهون كتاب الله وسنة رسول الله ، فيعرضون عليهما كل ما يجد من الأحداث والصور في حياة الناس ليروا فيه رأى الإسلام فيحلوا ما أحل الله ويحرموا ما حرم

مستوليانهم الكاملة لمواجهة المشكلات التي تجلت في الصورة المذكورة ، وانتهت مداولانهم ودراساتهم إلى إمكان تصنيف أهم المشكلات التي تواجه المجتمع الإسلامي المعاصر تحت أربعة عناصر رئيسية هي :

— مقاومة العدو المشترك للإسلام والمسلمين .

— وتجريد الإسلام مما خلق به من الفضول والشوائب .

— وتنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين المسلمين على أساس إسلامي سليم .

— والعمل على توحيد كلمة المسلمين ومحو أسباب التقاطع بينهم وإزالة أسباب الخلافات المذهبية .

ذلك لأن :

١ — أعداء الإسلام يحاولون بكل ما يملكون من وسيلة أن يزعزعوها العقيدة الإسلامية في قلوب المسلمين لصرفهم عن روح الدين وبلبلة أفسكارهم بما يتيح لهم السيطرة عليهم واستغلالهم .

٢ — وأن معارك القرون قد خلفت غباراً كثيفاً ستر الرؤية الواضحة لكثير من مبادئ الإسلام وشوه بعضها وألحق بها شوائب يبرأ منها الإسلام .

٣ — وأن الحياة الاجتماعية للمسلمين وما تعتمد عليه من فنون الاقتصاد

وليتبع ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامي من بحوث ودراسات ...

وليرسم نظام بعوث الأزهر إلى العالم الإسلامي ومن العالم الإسلامي ...

وليعاون في توجيه الدراسات الإسلامية العليا في جامعة الأزهر .

وقد أتاحت لهذا المجمع فرصة ليرى صورة من المجتمع الإسلامي المعاصر باجتماع هذا المؤتمر الذي التقى فيه ممثلون لبعضه وأربعين بلداً تبادلوا الحديث عن شئون بلادهم ، وعرضوا الكثير من مشكلات المسلمين في تلك البلاد ، وجعلوا صورة

لا ينقصها الوضوح عن أحوالهم فكان ذلك مثل عملية مسح واستبانة لا بد أن يكون لها أثرها عند التصدي لعلاج مشكلات المجتمع الإسلامي المعاصر .

وقد انتهت المرحلة الأولى من ذلك المؤتمر بطائفة من التوصيات تكون جزءاً من خطة العمل للمجمع في مستقبل نشاطه .

وقد استأنف المؤتمر مرحلة أخرى بأعضاء المجمع خاصة ، فمكث على دراسة الصورة التي تكشف لأعضائه من الأحاديث والآراء والتوصيات التي عبر عنها ممثلو البلاد الإسلامية الذين حضروا المرحلة الأولى للتؤتمر .

وقد استشعر أعضاء مجمع البحوث الإسلامية

لأنه يقوى يد العدو على إنزال الأذى بالملايين من المسلمين ، فهو جهاد متعلق بحق الله وحق الملايين لا بذات الآثم .

وأن الصهيونية التي يحاول الاستعمار بعد أن تحطمت أسبابه الظاهرة أن يغلف بها أهدافه تحت ستار جديد ، هي داء استعماري خبيث يستهدف به الاستعمار أن يتمكن بآثاره في حياة المسلمين وتستمر سيطرته عليهم ، ومن ثمّة كانت مجاهدتها فرضاً كذلك على كل مسلم حيثما كان وكل تخلف عن ذلك عصيان لله تعالى وإثم كبير .

ثانياً : يقرر المؤتمر أن الكتاب الكريم والسنة النبوية هما المصدران - الأساسيان للأحكام الشرعية ، وأن الاجتهاد لاسقنباط الأحكام منهما حق لكل من استكمل شروط الاجتهاد المقررة ، وكان اجتهاده في محل الاجتهاد . وأن السبيل لمراعاة المصالح ومواجهة الحوادث المتجددة ، هي أن يتخير من أحكام المذاهب الفقهية ما يفي بذلك ، فإن لم يكن في أحكامها ما يفي به فالاجتهاد الجماعي المذهبي ، فإن لم يف كان الاجتهاد الجماعي المطلق .

وينظم النجمع وسائل الوصول إلى الاجتهاد الجماعي بنوحيه ليؤخذ به عند الحاجة .

ثالثاً : يقرر المؤتمر :

(١) أن موضوع الزكاة والموارد المالية في الإسلام وطرق الاستثمار - وعلاقتها

والمعاملات المالية ، قد ملأت قلوب المسلمين بالقلق وأوقفت كثيراً منهم على حافة الإثم ، بسبب التطور السريع البعيد المدى في اقتصاديات العالم .

وعما لا شك فيه أن التعاون الاجتماعي يقتضى إبداء رأى الإسلام واضحا سليما في هذه المشاكل لتعود إلى القلوب طمأنينتها ويثبت إيمانها بدينها ، وسلاحه للحياة الحديثة المتجددة .

٤ - ومن نافذة القول إن : تقاطع المسلمين واستمرار الخلافات المذهبية بينهم قد أحدثا في المجتمع الإسلامي فرقة نكرت وجوه بعضهم في نظر بعض ، وغلفت بالشك والريبة قلوب بعضهم بالنسبة لبعض ، فظهروا أما والإسلام يوحدهم أمة ويربط بينهم بأخوة ويريدهم جسدا واحدا إذا اشتكى منه عضوته داعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر . وبناء على هذا قرر المؤتمر ما يأتي :

أولاً : أن الاستعمار وأعدائه - سواء في البلاد التي لم تزل ترزح تحت نيره أو في البلاد التي جلا عنها مخلفا آثاره - هو الخطر الأول الذي يجب على المسلمين أفرادا وجماعات ودولاً أن يجاهدوه بالمقاومة الجادة المستمرة حتى يتم تحرير المسلم قلبا وضميرا ، ووطننا ومعرفة ، وأن كل تقصير في مقاومة ذلك العدو هو عصيان لله تعالى وإثم كبير ،

العامة إلى شئ. منه أخذ من صاحبه نظير قيمته يوم أخذه ، وأن تقدير المصلحة وما تقتضيه هو من حق أولياء الأمر ، وعلى المسلمين أن يسدوا إليهم النصيحة إن رأوا في تقديرهم غير ما يرون .

رابعاً : يقرر المؤتمر أن واقع المجتمع الإسلامى المعاصر يفرض على المجمع أن يلمس الوسائل لتوثيق الصلة بين المسلمين في شتى بلادهم ليجمعهم كلمة ، ويوحدهم رأياً ، وينظمهم صفاً ؛ يتعاونون آحاداً وجماعات على البر والتقوى ، ويتعاقدون في العمل لما فيه خيرهم وخير الإنسانية من غير إقليمية ولا مذهبية ولا تنازع .

كما يقرر أن استكمال المجمع لأجهزه السكيفية بنشر رسالة الإسلام وتجلية حقائقه والدفاع عن مثله ، وتخطيط الوسائل لهذه الواجبات وتمويلها ورسم مناهجها والإعداد لها - أمر ضرورى يجب المبادرة له لينهض المجمع بمسئوليته السكيفية التى يفرضها واقع المجتمع الإسلامى المعاصر .

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ؛ فأصبحتم بنعمته إخواناً . »

بالأفراد والمجتمعات وحقوق الملكية العامة والخاصة هى موضوعات الساعة لأنها ملتبقة شعبتين من شعب الشريعة الإسلامية ، وهما العبادة والسلوك الاجتماعى ، ومن أجل ذلك يقرر المؤتمر أن تكون هذه الموضوعات محور نشاط المجمع في دورته المقبلة .

(ب) ويقرر المؤتمر بعد الدراسة المستفيضة لموضوع الملكية أن حق التملك والملكية الخاصة من الحقوق التى قررتها الشريعة الإسلامية وكفلت حمايتها ، كما قررت ما يجب فى الأموال الخاصة من الحقوق المختلفة وأن من حق أولياء الأمر فى كل بلد أن يحدوا من حرية التملك بالقدر الذى يكفل دور المفاصل البيئة وتحقيق المصالح الراجحة ، وأن أموال المظالم وسائر الأموال الخبيثة والأموال التى تمكنت فيها الضمة - على من هى فى أيديهم أن يردوها إلى أهلها أو يدفعوها إلى الدولة ، فإن لم يفعلوا صادرها أولياء الأمر ليجمعوها فى مواضعها ، وأن لأولياء الأمر أن يفرضوا من الضرائب على الأموال الخاصة ما يفي بتحقيق المصالح العامة ، وأن المال الطيب الذى أدى ما عليه من الحقوق المشروعة إذا احتاجت المصلحة

ENGLISH SECTION

EDITED

BY

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

AND

IBRAHIM MOHAMED EL-ASSIL

English Section

CONTENTS

1. Cairo Conference of Muslim Scholars
by A. H. Al-Zayyat 1
2. The First International Conference of the Islamic
Researches Academy
by A. M. Mohiaddin Alwaye 4
3. Inaugural Session :
 - a) Speech by Hussein El-Shafi . . . , . . . 9
 - b) Speech by Dr. Md. Al-Bahay 12
 - c) Speech by Dr. Md. Abdullah Madi 17
 - d) Speech by Shaikh Ibrahim Nayas 19
 - e) Speech by Dr. Mahmud Hubb Allah 21
4. Meetings & Discussions
by Ibrahim Mohamed El-Assil 24
5. Philosophy of Freedom In Islam
by Shaikh Nadim Al-Jisr 26
6. Ijtihad by Shaikh Nur Al-Hasan 28
7. The Arabs and the Spread of Islam
by Dr. Soliman Huzayyin 30
8. Statement & Resolutions of the Conference 33

subjects for discussions at the next session of the Academy.

b) After exhaustive study of the subject of ownership the conference resolves that private ownership is one of the rights granted by the shariah as it has also allowed rights of others in private property.

The conference further resolves that the ruler in every country has the right to curtail freedom of ownership to the extent necessary to avoid evils and to ensure the interests of the country; that the wealth acquired wrongly and through illicit means, and wealth of doubtful ownership should be returned to the owner or to the state, and in case it is not done, the state should forfeit all such wealth in order to restore it to the owner; that the ruler has the right to impose such tax on the private wealth as may be necessary for the public good; that the state has the right to take away any part of the private property in lieu of compensation when such acquisition becomes necessary in the public interest; that the determination of what public interest is the

right of the ruler, and that the Muslims have a right to suggest to the ruler what they deem right.

iv) The conference resolves that the present condition of the Muslims imposes a duty on the Academy to explore ways and means of unifying Muslims of all the countries so that they may form a united front cooperating individually and collectively in virtue and piety and working together for their own good and the good of humanity.

As it also resolves that the Academy should as early as possible equip itself with all the means necessary for the spread of Islam, and its defence, and the planning necessary for carrying out these duties as also the pooling of resources. This is a matter of utmost importance demanded by contemporary Muslim life.

"Hold fast to the cable of Allah and do not be divided. Remember the favour of Allah on you: You were enemies and he united your hearts and you became brethren with the favour Allah."

separation which estranged Muslims from their own brethren and filled their hearts with suspicion. Thus they appear to be different nations in spite of the fact that Islam has united them.

Based on this the Conference has resolved as follows :

i) Colonialism along with its supporters — both in lands which continue to be under its yoke and in lands from which it has departed leaving behind its effects — constitutes the first danger which Muslims must individually and collectively resist with continuous efforts till the heart, the conscience, the country and the learning of the Muslims are liberated. Any dereliction of this duty is disobedience to Allah and a great sin because it ensues the enemy to harm millions of Muslims. It is, therefore, a struggle relating to the sight of Allah and the right of millions of Muslims not confined to the right of the sinner alone.

Zionism under which colonialism seeks to cover its aims after the destruction of all its overt means, is a malicious disease with the help of which Colonialism aims at continuing its sway over the Muslims. To struggle against Zionism is, therefore, the duty of every Muslim

wherever he may be, and its avoidance is disobedience of Allah and a great sin.

ii) The Conference resolves that the Book of Allah and the Apostolic Practice are the basic sources of Islamic legislations and the use of personal interpretations to deduce laws from these sources is the right of all those who possess the qualifications of a mujtahid.

To solve modern problems principles should be sought from the legal schools. By no principles are found in them collective ijtihaad should be exercised within the framework of the existing legal schools. Should this also prove fruitless, independent collective ijtihaad should be exercised.

The Academy will facilitate the exercise of ijtihaad in both these kinds whenever the need arises.

iii) The Conference resolves :

a) that the problems of Zakat, the sources of wealth in Islam, the ways of investment, the relation of wealth to individuals and societies and the rights of ownership, these are pressing problems because in them meet two sections of the shariah, viz., worship and social behaviour. The conference, therefore, resolves that these problems be the

between Al-Azhar and the Muslim world and to co-operate with Al-Azhar in directing higher Islamic studies.

The conference in which representatives of more than forty countries participated and exchanged views on various problems facing Muslims in their countries, provided for the Academy an opportunity to have a glimpse of contemporary Muslim Society.

The first stage of the Conference made Certain recommendations which will form part of the plan for the future activities of the Academy. The second stage of the conference confined to the members of the Academy only studied the papers, the views and the recommendations of the representatives of Muslim countries who participated in the conference. The study revealed that the important problems facing the Muslims at present can be grouped under the following four heads :

i) to resist the common enemy of Islam and the Muslims.

ii) to purge Islam from accretions and encrustations,

iii) to regulate social and economic relations amongst Muslims on sound Islamic lines.

iv) and to work for the unity of the Muslims, and for ending differences based on legal interpretations.

This is because :

i) the enemies of Islam are trying with all the potentialities at their disposal to weaken the faith in the heart of the Muslims in order to wean them away from the spirit of Islam and to confuse their thought - all this to enslave them and rule over them.

ii) the conflicts of centuries have left a thick layer of dust on many of the principles of Islam, thus obstructing a clear view of these principles, and disfiguring others with encrustations from which Islam is free.

iii) modern social life involving various economic transactions filled the Muslims with anxiety and pushed them to the brink of sin on account of quick and far-reaching developments in the economic field.

Needless to say that social cooperation demands sound and clear views of Islam on these problems so that Muslims might rest assured of Islam's validity in the changing Conditions of life.

iv) and finally disunity of Muslims and the continuous existence of legal differences created a

of them regarded these as innovations that would mislead the Muslims from the path of Allah, some rushed into this new life as one dying of thirst would rush to drink dirty water, some others tarried to ask Themselves or to enquire from others which of these new forms of life were lawful and which unlawful, and yet some others dared to issue fatwas for themselves as well as for others whether they had the necessary qualification or not, The majority of the Muslims stood confused. Some tried to get out of this confusion by suggesting to themselves, with or without conviction, that religion consisted only of worship and that there were rules other than religions to regulate human relations. This is a serious mistake, and if it becomes common, it will totally estrange Shariah from Muslim Society.

But since Allah has appointed Islam to be the religion of the people till the end of the world for their welfare in this world and the hereafter, the raises in every generation scholars with learning and insight who understand the Book of Allah and the Sunna ; they seen the guidance of thes two sources in determining what is right and wrong in modern life, and they rectify what is wrong in human behaviour. This confirms the word of Allah wich says : " Let there be a section

from you who call (others) to good, enjoin what is right and prohibite what is wrong : they alone are the successful ".

This section constitutes the proof of this everlasting faith which renews itself from within to face all the varying needs of evolving humanity.

The Academy of Islamic Researches was founded to bring together on one platform this distinguished section so that they might find out the views of Islam regarding problems that concern the Muslims in this world and the hereafter.

The Academy was established to serve as the highest body for Islamic researches which undertakes the study of all that pertains to Islamic heritage, and works towards the reorientation of the Muslim culture, its purging from accretions, and its presentation in its true element, while fecilitating knowledge of and acquaintance with it on all levels and in all climes. It also aims at findig solutions for legal and social problems pertaining to faith, to take up the task of calling to the path of Allah with wisdom and goodly admonition, to follow up all the studies and researches published about Islam and its heritage, to plan exchanges of deputation

STATEMENT

ISSUED BY

The First Conference of Academy of Islamic Researches

In the Name of Allah, The Merciful, the Compassionate.

“Verily Religion with Allah is Islam.”

Islam consists of faith and legislation; faith to regulate Man's relation with his Lord and legislation to regulate human behaviour in the capacity of an individual, a society and a nation.

Since Islam is the only religion acceptable to Allah, it is imperative that its legislation should take into consideration all the needs of the people, individually and Collectively, and should regulate all kinds of human relations in the Muslim society.

The basis of legislation is the Book and the Sunna and the correct understanding of both. Scholars of Muslim Jurisprudence strove hard to understand the Qur'an and the Sunna, and to deduce rules from them. Their understanding was so precise, their hearts so sincere, and their vision so broad that the principles they formulated are considered a valuable human legacy and an authority for

the study of law and jurisprudence in all societies and in all ages. Further, the Muslim jurisprudence has greatly influenced legislations of all the nations of the world, and has contributed to the advancement of human civilization.

This activity, however, was short-lived. Its speed was stowed down by Colonialism. The affliction caused by colonialism engaged the minds of the Muslims more than any problem of this world or the hereafter, and every one held fast to a fortress defending his sacred belongings. Thus they stood where they were without stepping one step forward while life around them was going ahead.

Thus they stood for centuries struggling, in many ways and with varying degrees of success, against this aggression. Finally, when victory came to them after centuries, they watched life around them in its variegated forms and found some of them to be quite new to them. Some

b) Remains of ancient cities and abandoned capitals, as well as changes in caravan routes in what has become dry areas in both the Syrian desert and the region of Hadhramut and Yemen. The change in the altitude of a succession of capital cities over the Yemen plateau is another indication.

c) Historical documents left by both Graeco-Roman and early Arab writers. From these documents one may infer the slow and gradual onset of aridity in both Southern and Northern Arabia.

The final conclusion the author reaches is the fact that the Arab movement of spread had its origins in the face of increasing aridity in the few centuries preceding the appearance of Islam. It was also moulded by the effect of the geographical environment and the geographical situation. In its origins the Arab movement was to be similar to the earlier movements of expansion by the nomads.

The arid regions during oscillations of climate. Like previous movements of expansion it should have been more prompt and vigorous, and should have led to destruction in the neighbouring and perhaps far areas. It may be noticed that the power of both the Persian and the Roman empires has helped contain the nomads of the Pre-Islamic era within their increasingly drying

deserts. This retarded Arab emigration, though it did not prevent turmoil and local wars within Arabia itself. When differences between Persians and Romans weakened both giants, the Arabs had their chance to carry their new mission to the outside world. At this time, however, Islam did not only unify Arab community; but is also bestowed upon the Arabs new spiritual values, new moral ideals and new norms of behaviour. The old turmoil and disintegration of the Pre-Islamic era soon gave way to unity of aim and action. The new heavenly guidance, as well as the new outlook gave the Arab movement and its leadership an entirely new philosophy of thought and action. It was the spread of a mission and not the conquest of new lands. With the Qur'an in their right hand the Arabs spread west, east and south east both by land and by sea. The rôle of the "merchant-missionary" from Arabia was a particularly significant feature in the spread of the new creed from what became the geographical lighthouse in the heart of the old world. Thus, in the unique movement of the spread of Islam both natural, historical and spiritual factors gave their contribution to make the movement of the Islamic spread from Arabia what it was and what it remained to be until our present day.

forward a new, and rather unusual approach namely the geographical aspect of this movement of spread. In other words, we should like here to outline the contribution that could be made through the study of what may be called the "spiritual geography" of the Arab movement of spread at the dawn of Islam. This, we hope, should help us appreciate more closely the complementary nature of the natural, the human and the spiritual factors affecting that movement of spread.

The main points we shall bring forward in more detail in our communication are as follows :

1) The effect of the "geographical situation" upon the movement of spread both locally and universally. The fact that the mission was revealed in the liking region of Hidjaz helped in the process of unification of the Islamic community of the Arabs and in the spread of the new creed. Also the geographic situation of Arabia itself in the heart of the old world and the easy access from it to the outside world in all directions both by land and by sea have greatly facilitated the movement of spread.

2) The natural geographical environment of Arabia has also had its lasting effect upon this movement of spread both from the social and

political points of view. By this natural environment we mean the land, the climate, the flora and the fauna of the region. Selected examples and illustrations of the effect of this environment will be given in our communication.

3) The author will also attempt to give what he hopes to be a new interpretation of the Arab Movement just before and at the dawn of Islam, in the light of a hypothesis of climatic change at that time. It is claimed that this change took place gradually from about the middle of the third century A.D., until it reached its climax in the sixth century. It was an oscillation of climate leading towards more pronounced aridity. The change was not great in extent; but being already a desert or semi-desert country, any drop in the amount of rainfall, however small, led to desiccation and to the need for emigration and spread. The indications upon which the author builds up this hypothesis of a phase of aridity are as follows :

a) Indications from antiquities from the early centuries of the Christian era, such as cisterns and other antiquities both in Yemen and in North East Africa. The lowering of the level of underground water in wells from the early Roman period in Jordan also points out in that direction.

THE ARABS AND THE SPREAD OF ISLAM
(A Comparison between Natural, Human and Spiritual Factors)

RESUME OF COMMUNICATION

by

DR. SULIMAN HUZAYYIN

(Member of the Academy and Rector of Assiut University)

The spread of Islam from Arabia represents a unique phenomenon in history. It can be distinguished from other movements of spread by the following features :

1) Its immense widespread along a belt extending from the Atlantic to India and over to the Pacific.

2) Its dual nature of being both terrestrial and maritime, this latter feature being represented especially in East Africa and the Island World of South East Asia.

3) Its far reaching effects in both the racial, social and cultural spheres.

4) Its spiritual mission with its deep, far-reaching and permanent effect.

5) Its vitality and continuity which were represented in the relatively recent outlayers of Muslim communities reaching the Americas.

Through these characteristics this unique human phenomenon of spread proved its effectiveness both as a "creed" and as a "movement".

It continued over many centuries, thus proving again its vitality. This latter feature may perhaps be noticed in the cultural and spiritual, rather than the political history of the Arabs and Islam. The Arabic language, for example, has been used as a living language for over sixteen centuries. In that respect, it can perhaps be matched only by the Chinese language, though this latter never attained the universality or the spirituality of the Arabic language. The spiritual aspect of the spread of Islam was further characterised by the fact that it was always coupled by solidarity of Islamic thought, inspite of differences in environments.

The movement of spread of Islam has attracted the attention of students and researchers of all ages. Most of their attention, however, was directed towards the political, social or spiritual aspects of the history of Islam. It is the aim of this humble communication to put

all through the ages. Further, Divine Wisdom requires that a humanity should not be left without a teacher to guide them regarding matters of this world and the hereafter and to provide them with solutions to the variegated problems that will continue to arise as long as the heavens last. It has been agreed upon by all that *ijtihad* is a "sectional duty" (*fard kifaya*) and that it is not confined to any particular age. It is the duty of the scholars, therefore, to acquire the qualifications for *ijtihad* to enable them to discharge the duty. Those who have studied the Qur'an, the Sunna, the *ijma* and *qiyas* and have a good knowledge of the Arabic language to enable them to understand the sources, and are well-versed in the principles of deducing laws, ought to exercise *ijtihad*. If one or more of such scholars discharge this duty, others are absolved of the responsibility; but if none of them takes up the task, all will be sinners.

Those who hold that *mujtahids* are found in every age, and those who hold an opposite view are not actually far apart from each other.

The difference lies only in the type of *mujtahid* each group has in mind. Those who deny the appearance of *mujtahids* in every age mean by a *mujtahid* an independent doctor of law who bases his deductions on principles he himself has formulated. As for those who profess the appearance of *mujtahids* in every age, they mean by a *mujtahid* one of the following :

- i) an independent doctor who bases his deductions on the principles formulated by his imam.
- ii) a limited doctor, i.e., one who knows the rules deduced by his imam and prefers one to the other in the light of arguments.
- iii) a doctor who knows which of the deductions his own imam has preferred and issues *fatwas* accordingly.

In support of his view that "the gate of *ijtihad* is open till the end of the world" the author finally cites quotations from eminent scholars such as Al-Izz bin Abd Al-Salam, Imam Abu Shamah, Shaikh Muhammad Bakhit etc.

Ijtihad : its past and Present

BY

SHAIKH MOHAMMED NUR AL-HASAN

In Chapter One the author explains the word Ijtihad etymologically and defines it as a technical term. He then defines the term mujtahid and discusses the different connotations of the word.

In Chapter Two he discusses the qualifications of a mujtahid, those qualifications that are agreed upon by all the jurists as well as those regarding which opinions differ. He prefers the view held by the majority of jurists that a mujtahid should get by heart the Quran. He does not, however, hold that a mujtahid should memorize all the hadith, as their scientific codification has greatly facilitated reference work.

In Chapter Three he enumerates the various types of ijtihad, viz., wajib, mandub and haram. The last type of ijtihad consists of an opinion which contradicts a clear text or the consensus of the scholars.

In Chapter Four he discusses the basis of success or failure of

a mujtahid. He holds, as the majority of jurists have held, that each problem has only one particular solution. He who gets at it has succeeded in his ijtihad, and he who misses it has failed.

In Chapter Five he speaks about the age of ijtihad. He is sure that it started during the time of the Prophet himself. Opinions differ as to the validity of the Companions' ijtihad. Some jurists claim validity for their ijtihad whether it was exercised in the presence of the Prophet or in his absence while others hold only such of their ijtihad valid as was exercised in the Prophet's absence.

In Chapter Seven, which is the last, the author dwells at length on the validity of mujtahids appearing in every age. In support of his view he argues as follows :

The appearance of a mujtahid in every age is a religious necessity, for being the final dispensation, Islam is expected to guide the people

Dealing with the solutions to these problems that Islam can offer, the author says that there is nothing in the ethical teachings of Islam or any other heavenly faith that sound minds will reject.

Speaking about woman's freedom he says that Islam has given her freedom to marry whom she likes, to demand divorce from her husband when such a step becomes necessary, freedom to spend her wealth as she wills and the freedom to work. He then describes how the Eastern woman till recently was deprived of these freedoms which Islam has granted her in the interest of a happy family life. Regarding divorce, polygamy and birth control he has the following to say. Divorce has been devised to avoid the evil effects of an unhappy marriage; health and family reasons justify polygamy; and birth control should be viewed in the light of Islam's idea of individual freedom.

Speaking about racial segregation he says that Islam has declared equality of all human beings. Save virtue Islam recognizes no basis for superiority.

Regarding the problem of unbelief, he says that the only way of calling people to faith is through study and discussion without the use of force or compulsion. (There is no compulsion in faith; the right has now become evident from the wrong).

Discussing the problem of land ownership, he says Islam follows a via media avoiding the extremities of total abolition of ownership as enunciated by Communism and of unlimited ownership as enunciated by Western Capitalism. In support of this view the author quotes from Ghazali's al-Mustasfa. Ghazali says :

"When hands are empty of wealth and there is no money to maintain the army, and there is fear of the enemy entering the land of Islam or fear of disturbance from miscreants, it is permitted to the imam to impose on the rich a tax to maintain the army. For we all know that when two evils are found at one and the same time, the law permits us to end the greater evil with the help of the lesser one. And what every rich man pays will be less than what he will have to spend to defend himself were there no government to maintain order and to cut at the root of evil."

Philosophy of Freedom in Islam

by

SHAIKH NADIM AL-JISR

Mufti of Tripoli and Northern Lebanon

At the outset the author mentions two reasons that led him to choose this topic. Firstly, the impressions that non-Muslims have of Islam by watching Muslims as they are. The life that the Muslims lead is, in certain respect, far away from the noble principles of Islam. Secondly, The author thinks that any call for reformation should be based on freedom of thought.

Difficulties in human society are a result of the constant conflict between the individual's desire to enjoy complete freedom and the society's desire to check this freedom in the interest of social life. The most important problems that Society faces to day are the following : ethical and social anarchy, racial segregation, faith in God versus atheism and limited ownevship versus unlimited ownership.

achieved by the following important factors :

- 1) Creation of concord among Muslim nation.
- 2) Exchange of cultural delegations.
- 3) Agreement on a common language.
- 4) Commercial and economic co-operation.
- 5) Creation of a forum of scholars from various countries to engage in ijihad.

Shaikh Hussain Salyan Jose of Yugoslavia commented on the apprehension of the delegates regarding Islam's adapting itself to the changing times. He said that he saw no need for apprehension, for evolution was one of the Divine laws.

Islam's keeping pace with the time did not mean blindly following the materialistic society and rejection of spiritual values, but it meant casting life into the Islamic mould and the creation of a new socieity based on the principles of Islam. He added that humanity which was precariously poised on the brink of a nuclear war could only be saved by Islam.

These are only a few of the many opinions that were expressed by the delegates. The one thing that is evident from these discussions is the need for the Muslims to unite, to consult each other and to gather round the principles of Islam " holding fast to Allah's cable " .

to carry out this task is a reinforcement to al - Azhar which for centuries has remained the hope of Muslims everywhere. Though Allah has blessed Egypt with al-Azhar, it is in fact the property of all the Muslims. Seekers of light and learning repair to it from every part and students from all the countries where Muslims are found gather under its roof - a true representation, indeed, of the unity of the Muslim world. This high position that al-Azhar occupies played a great part in attracting Muslim scholars to this historic conference. The discussions that the scholars carried on and the papers that they read in the many sessions of the conference not only point to the great interest of the scholars in the problems that face us, but also give us a true picture of these problems. We wish, therefore, to refer briefly to some of the discussions and publish summaries of some of the important papers :

The first paper read in the conference dealt with the factors that helped the spread of Islam. From the discussions that followed it was clear that it was the most important problem that has been engaging Muslim minds as it was also the foremost object of the

Academy. As one of the delegates put it, "It was the core of the Academy's activities". The discussions regarding various details of the problem and the replies given by the author of the paper proved to be of great value, no less valuable than the paper itself. One of the delegates spoke on Islam in Africa and referred to the difficulties that the Muslim face there, and to the hostile attitude of Christianity, Ahmadism, Qadianism and Bahaism. He called upon the delegates to find out effective means of spreading Islam in this region.

Shaikh Mustapha Kamal al-Tazi of Tunis emphasized the need to study the problems that arise in our daily life, especially in the economic field and to explain Islam's view vis-a-vis these problems. This would prove to the coming generations that Islam is suited to all times and climes. Some of the problems that he referred to are : tax versus Zakat, unification of the lunar calendar, utilization of the animals sacrificed on the occasion of the hajj etc. Shaikh Abd al-Karim Saito of Japan called for the starting of missionary movement in Japan. The Pakistani delegate, Shaikh Ghulam Ghauth said that Muslim unity could be

(Cont. P. 26)

The Academy of Islamic Researches :

Meetings and Discussions

By

IBRAHIM MOHAMED EL-ASSIL

SUB - EDITOR

On March 7, 1964 History was eagerly watching Cairo, the seat of al-Azhar to witness an epoch-making event in the history of Islam and its fallowers. For on that day was held, under the auspices of the Academy of Islamic Researches, the first international Conference of Muslim scholars. Religious dignitaries from every nook and corner of the Muslim world responded to the historic invitation to attend the Conference which represented the unity of Islam in the real sense of the word. After the Arab Summit which was held at the beginning of this year and which unified the Arabs, came the international conference of Muslim scholars to unify the Muslims, to look into their needs, to solve problems of the day that face them and to find out the most effective means of spreading the message of Islam. Muslim unity which was the hope of every Muslim has now almost become a reality

just as Arab unity itself has materialized. Both these unities are interdependent : for in the might of the Arabs is the might of Islam, and their weakness is tantamount to the defeat of Islam. This explains why Muslims everywhere evinced so keen an interest in both the Conferences.

I am not far from the truth when I say that the International Islamic Conference has created a confidence in the heart of every Muslim who is looking forward to a bright future for the Muslim Nation.

The conference has emphasized the importance and the utility of Academy of Islamic Researches. It is a forum for the Muslim Community to which Muslims will turn for solution to the various religious problems that face them at present. The Academy that has been created

The programme of the conference has been drawn up as follows: The members and the delegates will take part during the first two weeks in meetings, parties and visits to various places to see the progress the United Arab Republic is making. During the next two weeks the members of the Academy will hold meetings. The conference will then turn into committees for study and discussion. The members will also draw up programmes for the meeting of the Academy which according to its constitution, should be held at least once every month.

Thus you see, Gentlemen, that we, the members of the Academy, have been charged with a great responsibility. The eyes of Muslims are, therefore, directed towards us, expecting to hear our verdict in many of the problems that they meet in their daily life and have

become part of their life. In the same way, on our efforts rests the future of the coming generations who may find themselves fettered with the bonds of sweeping materialism and fatal individualism.

As long as we have strength of will and sincerity of purpose, the problem is not difficult, and God willing, we shall achieve what we aim at ("Verily Allah does not change the state of a people unless they themselves change it.") and the hopes of the Muslims to live with honour in this world and the hereafter shall become a reality as a result of your efforts. "Say: Work; Allah and His Apostle and the believers shall soon see what you do; you will certainly be returned to the Knower of the unseen and the seen and He shall inform you as to what you did."

And Allah's is the guidance.

Peace and blessings of Allah be on you.

to prevail in the society, to spread the understanding of religion and to widen the scopes of Islamic culture in such a way that it becomes an open book to be read by people in every walk of life.

Brethren,

I shall present before you a brief account of the Academy and its growth and the task that we hope to achieve. The Academy was instituted by Law No. 103/1961 to be the highest body for research. It will work to revitalize Islamic culture, to cleanse it from unwelcome foreign elements, and to bring it back to its pristine purity. It will express its views on juristic and social problems connected with the dogma. It will call the people towards the Path of Allah with wisdom and goodly admonition. The Academy has also been charged with the task of studying all that is published about Islam and the researches carried out by non-Muslims to benefit from what is good and to refute what is wrong etc.

Later on laws were passed appointing twenty-seven members of the Academy and laying down qualifications of the members, then modifying certain clauses of the original law. The Ministry also passed laws relieving certain members of their other duties to devote all their time exclusively for the Academy.

Allah willed to take away two of the members to His proximity before they could meet us in this assembly. One is Ustadh Ibrahim Mustapha who contributed sincere efforts to the language of the Qur'an and the other is the Grand Shaikh Mahmud Shaltut, the former Rector of Al-Azhar. All of us know his interpretations in the field of fiqh. May Allah shower His choicest blessings on both of them and rank them with the righteous and the martyrs ! Allah certainly does not waste the reward of those who do good.

The General Secretariat of the Academy pooled its humble resources since a long time in preparation for this conference and presented some vital issues from which members could choose topics for study. These proposals were acceptable to the members and exhaustive discussions on these topics have reached us. These papers will be presented to the members for study during the last two weeks of this session of the Academy, and during the first two weeks of the session such of the papers will be read as have been translated and scrutinized. As many of the papers reached us during the last few days the Secretariat could not look into all of them.

Speech

by Dr. MAHMUD HUBB ALLA

General Secretary of the Islamic Researches Academy.

In the name of Allah, the Merciful, the compassionate, and by the grace of God, His help and guidance, and under the auspices of Al-Azhar - Azhar of Islam and the Muslims - meet today a distinguished group of Muslim thinkers and scholars in the Shariah and law to attend the first session of the Islamic Researches Academy which just now is a tender plant or a newly built edifice whose age does not exceed more than two years. But it has come into being to work, to live and to grow from strength to strength and it will do so as it is surrounded by the United Arab Republic, and by you and the world of Islam, and because it is a result of necessity and the dreams of every Muslim.

The Muslims, as you see, are in need of a forum in whose sound researches the world will see the truth of Islam as they really are, free from all foreign elements, offering solutions to contemporary problems, and rectifying the concept of life in its various aspects of thought, faith and intuition both for the individual as well as the

society. "On that day shall the Muslime rejoice in Allah's succour."

In our assembling here today, inspite of the many difficulties and hardships which most of you have suffered, is a clear indications of your sincerty and determination to carry out with cooperation a new plan for a success that will, God willing, leave far-reaching effects in the life of our glorious nation.

Brethren,

We meet today in response to the call of Allah and to the call of our religious duty. The meeting is also an expression of our will to live with honour and glory that befit us and befit the heavenly message we preach which calls the people towards the unity of the Creator and the glorification of mankind. "Verily We have honoured the sons of Adam, and have carried them on land and sea and have provided them with goodly food and have preferred them to many of what we have created."

Today we have met to discuss together ways and means to exalt the word of truth, to cause goodness

people". Our religion at the present time is surrounded by grave dangers with bitter enemies lying in wait for it. In addition to this are the evil effects left by the unbelieving western colonialism in the form of unwholesome educational set-up, fatal modes of life, removal of the divine Shariah and introduction of foreign laws in most of our countries. This is a conflict in which we must mobilize all our forces and resources, and the first weapon that will ensure succour and victory in this battle is our return to Islam in its true element, based upon the Book of Allah, the heavenly revelation which is inaccessible to falsehood from any direction, and based on the Sunnah of the noble Prophet - (Allah raises the status of those that believe and of those that have been given knowledge). This is the weapon that will outdo the atomic bombs and destructive rockets.

Gentlemen:

Let us salute this happy opportunity that will soon provide to scholars and thinkers from the farthest east to the farthest west an occasion to meet and discuss fresh ways and means of disseminating the message of Islam. For Allah raises in each century people who rejuvenate this religion and it is not difficult for Him to make us from

them. Let us, therefore, evince in this Conference the interest that it deserves and let us not forget to maintain an academic spirit in all our deliberations. When we arrive at sound academic conclusions we shall make them known to every country in the world which has been attacked by heathenism, or spoilt by orientalism, or shaken by spiritual deviation or estroyed by materialism or hit by mental stagnation, especially in the puzzled Europe and in the unknown corners of Africa which are eagerly waiting for light to dawn upon them. "And Allah shall certainly help those who help Him and Allah is mighty and powerful".

I shall not end my speech without expressing our thanks to the blessed AL-AZHAR and its thoughtful Minister for their mighty efforts to raise the banner of Islam and to spread its teaching in all parts of the world specially in the reign of the zealous Muslim President Gamal Abdul Nasser.

May Allah guide all of us to do what is good for Islam and its followers and make this conference a grand success and render it the opening of a new era in the life of Islamic mission. And this is not difficult for Allah

Peace be with you.

SPEECH

BY

SHAIKH AL-ISLAM AL-HAJJ IBRAHIM NAYAS
OF SENEGAL

On behalf of the delegates to the First Conference
of the Academy of Islamic Researches
on March 7th 1964

Praise be to Allah to the Lord of the Worlds, and blessings and salutation be upon the Seal of the Prophets and the Leader of the Apostles.

Your Excellency the Vice-President, Honourable Minister for Waqfs and AL-AZHAR and Gentlemen :

I deem it a great honour to have been given this unique opportunity to speak on behalf of the Muslim Delegates on the occasion of the inauguration of the first Conference of the Islamic Researches Academy. These delegates on whose behalf I stand to speak are a distinguished group of Muslim scholars, dignitaries and thinkers who have sincerely devoted their lives for the noble cause of Truth and the service of Islam.

Gentlemen :

We, the delegates assembled here in this place are indeed proud of having accepted the invitation extended to us by AL-AZHAR to attend this really great Conference. It is great in its noble objectives, great in its heroic delegates, great

in its venue, great in its timing and great in its far-sighted leadership. For this place is the most suitable venue for this noble task as here on this soil stands the age-old AL-AZHAR which is rightly considered the bastion of Islamic Shariah since many centuries, and the time likewise is the most suitable one on account of good feelings created by feelings created by the Arab summit in the hearts of people from the Atlantic Ocean to the Arabian Gulf. The creation of better relations between the Arab Brethren is indeed a great achievement which we all bless, for no two persons differ on the importance of the Arabs and the Arabic language in the spread of Islam.

Gentlemen :

The eyes of Muslims all over the world are directed towards us with hopes. Let us, therefore, realise the great responsibility that has been placed on our shoulders. We, the scholars of the Muslim Nation are heirs of the Prophets and " the best Community raised for the

awarding degrees, after which they part with their Institution. The relationship has strengthened the ties between Al Azhar and all the Islamic peoples through those graduates who return to their native lands being spiritually and faithfully attached to Al-Azhar where they have acquired what will shed light on the right path. They return to their native lands with "Their light between their hands and in their right ones ; and they said : O Lord, complete our light."

Al-Azhar has become the rightful custodian of the Islamic heritage. It has afforded its students the opportunity to delve deep into studies, the Arabic language as the various human sciences at large.

Although Al-Azhar, during certain periods of its history, was afflicted with some of what befell the intellectual movement, as a whole, particularly during the foreign occupation of Egypt, could yet manage to guard Islamic Heritage and protect the Arabic language — the language of the Qura'n — against the intrusion of the foreign tongue. Al-Azhar could, therefore, manage to keep its door wide open for all learners wishing to study Arabic and Islamic Sciences till the occupation was over and the intellectual movement was once again revived. Al-Azhar, then, resumed its function and effectiveness in this respect, thus, bearing to all people the message of Knowledge and Faith.

To help Al-Azhar fulfil its mission and adapt itself to the needs of modern times Law No. 103 was issued in 1961 with the aim of re-organizing Al-Azhar. Thanks to the government of the Revolution Al-Azhar has become : The Supreme Islamic Organisation that preserves the Heritage of Islam, makes a clear study of it, propagates it and stands as the true bearer of the Islamic Message to all peoples pointing out the Truth about Islam and its influence in the progress of humanity, and maintaining security and satisfaction for the people in this world and hereafter.

Gentlemen, the Learned Men of Islam and the Leaders of Islamic Thought :

Your meeting at this first Congress of the Academy of Islamic Researches is an outcome of the law of the Evolution of Al-Azhar.

This Congress is also a manifestation of the Unity of Islam and the Muslims.

" This, your Nation, is but one Nation. And I am your Lord ; worship me."

Brothers, the Learned Men of Islam :

May God bless you, guard your efforts, help you achieve righteousness, and guide you along the right path.

May God's peace, mercy and blessings be upon you.

The speech

Delivered by Dr. MOHAMED ABDULLA MADI

Vice-Rector of Al Azhar and President
of the Congress of the Academy of
Islamic Researches

Praise be to God who has caused us to rally round the Truth and guided us to the honour of having Faith in Him; and may God's peace and blessings be upon our Holy Prophet whom God sent to be a bearer of good tidings and a warner, and one who calls to God's grace by His leave, and a lamp spreading light.

It is in the name of God, the Merciful the Compassionate that we inaugurate the first Congress of The Academy of Islamic Researches. And in the name of Al-Azhar, I greet and welcome you and pray to God Almighty, that He shall bless your efforts and lead your conference to success and guide you on the path of righteousness.

As a matter of fact, Al-Azhar, that has undertaken to carry out the message of Islam over a thousand years, thus propagating Islamic culture throughout the world, has the Privilege of having convened this congress.

Gentlemen :

Al-Azhar has always been of you and for you. Since its inception in the Fourth Century, it has adopted a general Islamic attitude; It has never stood, for any particular group or sect, but has stood, according to God's will, as an Institution for the study of Islamic Law and the Religious Sciences in all their various branches.

Besides, Al-Azhar has not been for Egypt alone, but has belonged to the Islamic World at large. From all countries and lands Muslims flock to it to acquire knowledge and study Religious Sciences. Then they go back to their countries to awaken religious consciousness amongst their compatriots, therefore having the principles of Truth realized in and through them.

The relationship of Al-Azhar with its guest students who come to it from various parts of the Islamic World is not confined to instruction or

Al-Azhar to preform its role in guiding the Arab Nation and the Islamic world.

Gentlemen,

You will witness these glories during your stay here. You will participate in realising the development of Al-Azhar through helping to solve the questions and issues that will face you - the problems of Muslims at large.

The decisions and opinions you are going to take will undoubtedly

have deep effect on the millions who watch the news of this conference, as they usually do, with their eyes turned towards Cairo and Al-Azhar just in the same way as they will turn after few days, to Mecca, the First House set up for the worship of Allah.

We implore God to crown your efforts with success, guide the leaders of Islamic and Arab Nations to the path of righteousness and always support our guide and leader, President Gamal Abdel-Nasser.

Wassalamu alaikum
warahmatu Allah.

evidence of the afore-mentioned phenomenon. Emperialism has endeavoured in Algeria, in particular, and in every other Islamic land, in general, to separate the Arabs of Algeria from their religion and to cause this strong support of history and belief to collapse. It had derived different arts and followed, for one hundred and thirty years, different methods to achieve its aim. Nevertheless, the Algerian Revolution has broken up as an outlet for the Algerian's belief in Islam and Arabism. Its main support, in its hard struggle, was its belief in a fight for the Word of God. When its success was achieved and its affairs settled, its constitution declared, in its first articles, that Islam is the official religion and that Arabic, the language of the State.

But the formation of the Islamic Researches Academy in this way and in the choice of its members from among the leaders and pioneers of Islamic thought and from among the keen observers of the conditions of present life, with its events and problems, increases our hope in overcoming the difficulties which research work and study face, assuring the Muslims about their religion, explaining its value in human life and showing that Islam, though the desert was its birthplace, is meant

for Man and Human virtuous qualities in every age and place: the age of the camel as well as age of the machine.

I firmly believe that had not a revolution taken place in the United Arab Republic, had not this revolution aimed at creating a society that has a history and glorious past in struggle, a society that has undertaken the message of ideals and the preservation of the Holy Qur'an as a religion and creed, and had not President Gamal Abdel-Nasser been the pioneer planner of this Revolution, this society would have neither emerged in its present form nor the potentialities that enabled it to coöperate with others for the sake of the Arab Nation, the Islamic world and God's sake would have been possible.

The era wherein the tunnels of the High Dam are dug among rocks and desert to be made serviceable to man instead of being an enemy to him, this era which has eradicated, once and for all, colonialism from its domination over the Suez Canal, the vein of the entire Arab Nation as well the Islamic world, adds up a new glory to the list another important achievement the reorganisation of Al-Azhar - in a way that enables graduates and member to participate in life and prepares

among its members, new figures representing different cultures and various attitudes of knowledge but, added to this, it aims at the revival of the traditional teachings of the formers and the pavement of the way for the renewal of the attitude of brilliant Islamic Ulama and jurists in coming to agreement about any case problem.

If some other Ulama, representing Non-Arab Islamic countries, do not witness to-day's Conference as members, the following conference, if God wills, will include them after the necessary steps have been taken.

The Conference of the Islamic Researches Academy, in its present session, will face many difficulties, cases, events and developments which have appeared for the first time or precipitated in the lives of the Islamic communities after the jurists have stopped to give their opinion and satisfied themselves by adhering to one of the creeds prevalent or by trying to come to a compromise concerning varying creeds. The conference will face such difficulties and cases and it is bound to deal with them by research and study to select the clear Islamic opinion. This will help to the return anew of the relation between the lives of the Muslims in their practical passage under the protection of the principles of Islam so

as to guide man correctly towards the clear direction which will guard his life, protect him from the elements of weakness, help him to overcome obstacles, save him from idleness and urge him to work and production.

These difficulties and cases which face the conference in its present session from a hard and serious job. It is hard because it will have to study and give original solutions to them, because the gap of time between the time of stagnation in the Islamic thought and its jurisprudence and the present has been so great. And because of this big gap it has been believed that nothing better could be achieved.

It is serious because the opinion which will be formed and will explain the aim of Islam will have a wide and deep effect on the souls. The Muslims at present are quite a considerable number which cannot be ignored. The more they are forced to deviate from Islam through shaking their belief and understanding of this religion by different means and different intellectual tendencies, the more they yearn to stick to its principles and to apply them in their lives.

The Algerian Revolution, in its break and success, is a clear

befallen the Muslims in their unity as well as in their jurisprudence and outlook for life.

This Law does not mean that Al-Azhar would deviate from its message or the history of this message in science, knowledge, jurisprudence and preaching. It is meant to enable Al-Azhar to fulfil its message in an effective way so as to help its penetrating rays to reach the life of millions of Muslims in their unity, friendship, and apprehension of the Islamic values and applying them in their private and general lives.

By the reorganization of Al-Azhar the Law does not mean to make Al-Azhar mimic any other educational or scientific institution inside or outside it. It means to renew the status of the Muslims in the days of glory and greatness when they surpassed everybody else in their faculties for learning whether in the subjects of the Qur'an and the Hadith or in Arabic, intellectual and human sciences or in physics and mathematics. The Law means to restore to the Arabs and Muslims the age of intellectual patronage and scientific leadership in no less a way than what had been known of the Muslims in their relations with others and supplying

them with the leading free thought and the scientific method.

It is not strange in the intellectual history of Al-Azhar to have an age of leadership in research and study in all the previous spheres, and to have among its men Ulama who have excelled in other fields of knowledge, just as they have excelled in the sciences of the Qur'an or Sunnah or the Arabic language.

One of the most important interests of the Law is to reform this body, which is in charge of research and devotion to original deep studies, to supply the Muslims with opinions about the problems which face them and which the necessities of life has put forward and made it urgent for them to know what their Islam advises, what relieves their souls and what supplies their capacities in life, to urge them towards effective work and the preservice of their dignity and superiority.

If this law has enacted that the formation of the Islamic Researches Academy should include research Savants graduated from Al-Azhar, research Savants from the Universities, higher institutes of the Republic and other research Savants, well-known in the Arab and Islamic world for their broad outlook, deep thought and original opinion, the Law does not express a mere desire to have,

Speech

by

DR. MUHAMMAD AL-BAHAY

Mr. President,

Dear Members and Guests of the Academy.

In the Name of God, the Merciful, the Beneficent.

You are welcome here, in the Capital of the United Arab Republic.

We welcome you on the occasion of the meeting of the first Islamic Researches Academy Conference after the issue of Law No. 103 for 1961 concerning the reorganization of Al-Azhar.

Before starting my speech, I would like to ask you to join us in invoking the Almighty God to bless the eminent Shiekh Mahmoud Shaltout, Rector of Al-Azhar.

He really deserves to be remembered in this conference by us for all the good he has done and for the effort he has given to organize the body which is in charge of Islamic researches and which gives opinion about the problems concerning Muslims; an opinion derived from the Qur'an, the verified Sunnah and the opinion of the mature juris-

prudents who are honest in their belief and jurisprudence, the three of them being the reference and criterion.

This body meets to-day in the form of a conference for the Islamic Researches Academy.

Gentlemen,

When the United Arab Republic reconsidered the organization of Al-Azhar and its institutions and issued Law No. 103 for 1961, the following institutions were formed :

Al-Azhar University, Islamic Researches Academy, General Department for Al-Azhar Institutes, the High Council for Al-Azhar and its General Secretariat. By so doing, the United Arab Republic aims at prompting life and movement anew in the activity of preaching and Islamic and Arabic Studies. It aims also at the resumption of building up the glories of the Muslims, after reviving the religious, scientific and human heritage and at clarifying this heritage from the blemishes caused by the weakness that had

Today Islam is facing many strong challenges which aim at doing away with Islam. Had it not been for Allah's promise contained in His words: "We have revealed the Reminder and We shall protect it," the position of Islam would have been different from what it is today. But realisation of Allah's promise rests on our faith in the Book and our effort to preserve it.

The role of the Scholars, therefore, in preserving Islam and the Book of Allah is indeed great. Muslims expect them to expound the truths of Islam and its teachings and to present them to the people in their pristine purity and to explain them to the people in clear terms and in an unbiased way. This exposition of the Scholars should be an expression of their faith, and it should create in the minds of the people a feeling that Islamic values are forces that will end the darknesses of fear, poverty and ignorance in every society that believe in them.

The Challenges that Islam faces today are not only external but also internal; not only challenges from colonialism and its tricks, but also challenges from atheism and deviation in understanding and deviation in character. Colonialism not only challenged the Book of God and its values and its principles, distorting some of them and rejecting the others, mocking at some and doing away

with other in name of science, but also challenged the unity of Muslims. It divided them into nations and sections and groups, and transformed their legal school into religions, their languages into barriers, their land into distances, and their races into frontiers, all of which stood in the way of their physical as well as spiritual contact. Colonialism challenged the faith of the Muslims and their understanding of the Book of God, and created for every country an Islam, though "religion with Allah is Islam" since He revealed His message and sent messengers. Religion of Allah is therefore, one and His Qur'an is one which is in the clear Arabic tongue. Albeit colonialism did away with the Muslim Unity as it distorted the teachings of Islam and its principles.

If Muslims are to be "the best Community raised for the people" it is imperative that these barriers between them should end and it is also imperative that Muslims should return to the Book of God and to its language.

And as we have mentioned before it is for you the members of the Islamic Researches Academy to carry out this task.

May Allah guide you. Your deeds will never forsake you.

Peace and blessings of God, be on you.

an easy prey to its occupation and exploitation. To do this it sought the help of its supporters who could pave its way. In spite of all this, it was but natural that the will to change should be born and that it should revolt against this exploitation in accordance with the law of Allah "that Allah does not change the state of a people unless they change it themselves."

Here in the United Arab Republic appeared the will and power of Allah and supported the will of the Revolution, i.e., the will to change, and this will has entered every walk of life. As a result colonialism was ended so that the Country might be free, and feudalism and capitalism were ended so that the country and the citizen might enjoy freedom. Social justice was then established by banishing class's difference. A strong national army was created to defend the country and the citizen and to meet any interference in the carrying out of the people's will to change.

Gentlemen :

Realising the value of Al-Azhar and the part it had played in the past, and the part it can play in our present society, not only in the United Arab Republic and the Arab Countries, but also in the whole world of Islam, the Revolution strove seriously to reorganize Al-Azhar and to render it fit to spread the message of Islam by thought, research, learning and deed in such a way that Islam covers all walks of human life.

Among the other institutions brought into being by the law of the Reorganization of Al-Azhar is the Islamic Researches Academy. This Academy is meant to be the highest body for research. It will work to revitalize Islamic culture, to cleanse it from unwelcome foreign elements, and to bring it back to its pristine purity. It will make it known to the people in every walk of life. It will express its views on juristic and social problems connected with the dogma; it will call the people towards the Path of Allah with wisdom and goodly admonitions. The Academy has also been charged with the task of studying all that is published about Islam and the legacy of Islam and the researches carried out by non-Muslims to benefit from what is good in them and to refute and rectify what is wrong. The Academy will also help in directing higher studies at Al-Azhar for the students of Specialization and Alamiyyah, in supervising such studies and in holding examination in them.

Conditions that have been fixed for membership of the Academy will ensure enrolment of persons best suited to carry out these tasks.

You are the first batch of scholars to be amongst the members of the Academy after its inception and on you - the Scholars of the United Arab Republic, the Arab Countries and the Muslim world - rests the responsibility of translating into action the objects of the Academy.

The Inaugural Session of the Conference

The Inaugural session of the Conference was held in the conference hall of the Cairo Governorate. A large number of university professors, members of several cultural organizations and Arab and foreign press reporters were present. Mr. Hussein Shafi, Vice-President, Dr. Muhammad al-Bahay, Minister for Awqaf and al-Azhar, Mr. Salah al-Dosuqi Governor of Cairo, Dr. Muhammad Abdullah Madi deputy Grand Shaikh of al-Azhar and Mahmud Hubb Allah, secretary general of the Academy of Islamic Research, participated in the session. The deliberations commenced with the recitation of the holy Quran. Mr. Hussein Shafi then delivered the inaugural address on behalf of President Gamal Abdul Nasser. Latter Dr. Muhammad al-Bahay, Dr. Muhammed Abdullah Madi Dr. Mahmud Hubballah, and Shaikh Ibrahim Nayas addressed the Conference. Shaikh Ibrahim Nayas spoke on behalf of the delegates participating in the Conference. The session ended, as it had begun, with the recitation of the holy Quran. At the end of the session Mr. Hussein Shafi Shook hands one after another, with the Delegates and welcomed them.

Following are the texts of the speeches delivered in the session:

SPEECH

BY Mr. HUSSEIN EI-SHAFI

VICE - PRESIDENT

On the occasion of the first Conference of the Islamic
Researches Academy in 7th March 1964.

As-Salamu Alaikum wa Rahmat
Ullah :

In the name of Allah, the Com-
passionate, the Merciful. Praise be
to Allah, the Lord of Worlds and
peace and blessings be on the
Leader of the Apostles !

Members of the Islamic Resear-
ches Academy, and guests of the
United Arab Republic attending the

first meeting of this Academy in
the form of a Conference held under
the auspices of the Al-Azhar after
its reorganization, I welcome you
all on behalf of President Gamal
Abdul Nasser.

Gentlemen :

Colonialism has been lying in
wait for the Muslim World to di-
vide its strength so that it may fall

emigrants were facing. He further added that the Indian people considered the Palestine question a human problem for which an urgent reasonable solution must be sought.

From all this we can see how important this international conference was. The aims of the Conference have been briefly summarised in the following words by Dr. Muhammad Abdullah Madi, Deputy Grand Shaikh of Al-Azhar : "It is the greatest Conference of the Scholars of Islam who shoulder the responsibility of spreading Islam and solving dogmatic and

social problems, and this under the auspices of the Academy of Islamic Research which is the highest body for Islamic research and which undertakes the study of all that pertains to Islamic heritage, and which comprises distinguished scholars of Islam representing all the schools of Islamic thought.

It remains to be seen how far the Academy succeeds in achieving these aims but there can be no two opinions about the importance of what it has actually achieved : it has given the Muslem scholars a forum to meet and an opportunity to share each other's views. This indeed is no mean achievement.

1 — Revenue and the right of state to Taxation in Islam.

2 — Arab and Muslim Expansion : a consideration of the natural and human factors.

3 — Land-owning by the individual and its benefits in Islam.

4 — The claim of the poor to the property of the rich.

5 — The system of ihtisab or 'Moral Control' in Islam and the right of the individual to the State.

6 — Ijtihad or Individual Interpretation : its past and present.

7 — International Relations in Islam.

In all one hundred and twenty delegates, all great scholars, representing forty-two countries attended the Conference. In addition to these, professors of AL-AZHAR, presidents of societies and Islamic centres all over the world were also present. The countries that participated in the Conference were as follows :

From ASIA : Iraq, Yemen, Kuwait, Oman, Afghanistan - Pakistan, Lebanon, Indonesia, India, Ceylon, Philippine, Malasia, Turkey, Jordan, Saudi Arabia, Soviet Union, Japan, Gaza and Bahrein.

From AFRICA: Libya, Tunis, Algeria, Sudan, Somalia, Nigeria, Mauritania,

Senegal, Mali, Guinea, Sierra Leone, Togo, Union of South Africa, Uganda, Kenya and Mauritius.

From Europe: Greece, Yugoslavia, Hungary, Holland and Britain.

From America: Trinidad.

Before the Conference ended the delegates paid a visit to the Gaza Strip on an invitation from the Governor General who extended the invitation to the delegates on behalf of the sons of the Arab Palestine. During their visit the delegates held a meeting and issued a communiqué reiterating that Palestine is An Arab country whose sons have been wrongfully driven out. The Communiqué called upon the Muslim World to take necessary steps for restoring the right of people of Palestine. It also thanked the Arab Kings and Heads of States for their support to the Palestine problem in the Arab Summit Conference. Of the non-Arab delegations, the Indian Delegation evinced special interest in the Palestine problem. Shaikh Maulana Muhammad Tayyib, the head of the Indian Delegation said in reply to a question that the partition of Palestine would be a heinous crime. He added that the Indian people were deeply concerned with the economic and social problems that the Palestinian Arab

and that Islam knows no conflict between religion and learning in the widest sense of the word.

Secondly, AL-AZHAR had always remained an international seat of learning. It has welcomed in the past, as it does now, students from all parts of the world irrespective of race, colour, language and even religion. These students drawn from different countries and speaking different languages have always met in harmony and unity, studying, discussing and arguing in a purely academic spirit. There is hardly any country in the world where the alumni of this great University are not found sharing with others the wisdom they have acquired at Al-Azhar.

The Academy decided this year to hold under its auspices the first international conference of Muslim Scholars from all over the world.

On Shawal, 22, 1382 (March 6, 1964) the Conference commenced in Cairo which, in addition to being the capital of the United Arab Republic, has been the centre of Islamic Culture and the bastion of Islamic heritage for many centuries; It was a dream come true, for it was the cherished hope of Muslims all over the world that such a conference of international

character be held to realise the aspiration of sincere Muslims for the establishment of intellectual and cultural contact between the sons of the Islamic nation dwelling in the far corners of the world.

The Conference discussed papers prepared by members of the Academy, and dealing with various topics. These papers, and those which the Academy will continue to prepare and publish will be of two types :

a) The first type deals with subjects, which, although not entirely new, need a new presentation in the new social set up created by the Industrial Revolution. Researches carried out in this field will aim at knocking the rust off the minds enslaved to material welfare and lifting the screen from our eyes blinded by the glare of modern life.

b) The second type deals with problems created by modern inventions and scientific advancement. It is hoped that this Academy will provide solutions to many of these problems in the light of the Quran and the Sunna.

of the papers that were read and discussed in the Conference, the following deserve special mention :

this century, created a hiatus between Islam and the modern life. Those that clung to the old ways of life were denied acquaintance with modern thought, and on the other hand those that were brought up in the new tradition were totally ignorant of Islam and its glorious heritage. The need to bring about a harmony between Islam and to the modern life was never greater than it is now. It was AL-AZHAR that came forward to do this.

In 1961, under the auspices of AL - AZHAR was established an Academy of Islamic Research to serve as the highest body for Islamic research. This Academy undertakes the study of all that pertains to Islamic heritage, and work on international level towards the rejuvenation of the Muslim culture, its purging from accretions, and its presentation in its true element, while facilitating knowledge of and acquaintance with it at all levels and in all climes. It

also aims at following up all that is published by Muslims and non-Muslims alike - about Islam and its legacy to benefit from what is right in it, and to repute and rectify what is wrong.

The Academy is an international body and comprises a select

number of scholars with profound knowledge of Islam and its heritage. To help strengthen the unity of Islam and to bring out the academic character which has distinguished AL - AZHAR, all Muslim countries and all schools of Islamic thought are represented in the Academy. This is also to ensure that the views expressed and the resolutions adopted by the Academy may suit the different localities and the varying societies in the Muslim World.

It was in the fitness of things that AL - AZHAR should take up this task of rejuvenating Islamic culture and bridging the gap that has been growing between Islam and the modern thought. For AL-AZHAR is "the first house that was built for knowledge", and since it was founded ten centuries ago it has kept the torch of Islamic sciences burning. It has been stimulating faith through knowledge and it has kept alive learning by study and research with perseverance, patience, deliberations and endurance.

The fact that this great and glorious university was first housed in the mosque and remained so far many centuries is proof positive that in Islam worship and learning go hand in glove with each other

THE FIRST INTERNATIONAL CONFERENCE OF THE
“ ISLAMIC RESEARCHES ACADEMY ”

by :

A. M. MOHIADDIN ALWAYE

Islam is not a religion in the sense in which it is used to denote christianity, Judaism, Buddhism etc, but it is a complete system of life suited to all times and climes and acceptable to all those that dwell under the sun. It is but natural for such a universal message to adapt itself to the varying conditions of life. Since its inception, thirteen hundred years ago, Islam has been a living force, grappling with every new situation that arose and solving every new problem that it faced. Great doctors of law known as mujtahids have flourished in the past and with their profound

knowledge of the sources of legislation in Islam, viz. the Quran, the hadith, the qiyas and the ijma they have interpreted Islam in the light of the changing patterns of life in every age.

But unfortunately during the past few centuries of Muslim downfall, mental inertia, deterioration in educational standards, lack of patronage of scholars and divines—all this conspired to put an end to ijtihad. This and the ever-growing inventions and discoveries in the fields of science and technology that commenced from the dawn of

supplied to all the countries which know Islam or wish to know it.

As for the existing writings, the authentic from them will remain in libraries for study by research Scholars and specialists; and the false and unauthentic from them will meet the fate which the unofficial Qur'an met at the hands of Uthman, for its existence is a constant danger to authentic report and will misguide those that seek the truth.

If the Academy fulfils this task — and it can do it — then it will have cleansed the Shariah from the harmful innovations, and unwelcome encrustations, and will have made the religion of Islam a “well of guidance undefiled”. People drinking deep of it will create an ideal society which will march on the straight path under the guidance of Truth, the protection of Science and the supervision of Conscience.

The second task before the Academy is the purging of the faith and practice of Islam from false and unauthentic traditions and tales that have come down from one generation to another, from customs and manners that have crept into our faith and practice from outside, and from beliefs that corrupt mysticism has injected into Muslim minds. During the centuries of Muslim downfall Islam was forced to Accept and absorb beliefs and practices which were far from being Islamic and sometimes were actually anti-Islamic. Thus entered into the framework of Islamic thinking the hatred of everything material. Monasticism became the dominant feature of Islam. Muslims were taught to look down upon worldly life. Islam was considered to be a bundle of beliefs that opens the gates of paradise.

The third task before the Academy is the problem of personal interpretation (ijtihad). This alone is the path that will lead to the goal that the Academy strives to attain viz. The reorientation of fiqh and the modernization of the Shariah. The message of Islam is for all times and climes. The living fiqh of Islam has to mould itself with the changing conditions in the social and the economic fields. We cannot therefore expect the early doctors to have

fore-seen the modern problems and to have worked out their solutions.

The nearest and the easiest way for the Academy to reform the existing conditions would, therefore, be to study the legacy of Islam which comprises various elements and to codify it into three authoritative encyclopaediae : the first for the study of the Qur'an, the second for the study of Hadith and the third for the study of Fiqh. The Qur'an will here be explained in the light of authentic sayings and modern scientific knowledge. Due place will be given to the sound explanations of the later Scholars side by side with those of the early savants. The Hadith will be codified from the authentic collections of Hadith, and explained in the light of researches in the fields of History, Sociology, Ethics, and philosophy. Fiqh will be codified from the practice that has come down to us and from the sound interpretations of the legal Schools.

These three collections will form an authority for legal decisions and the basis for all fatwas. Summaries of these will then be published for study in education institutions; and these along with the originals will be translated into most of the Eastern languages and the most important western languages, and copies

(Cont. P. 4)

Azhar should be reorganized and broad-based. With this object in view the Revolution passed the new law for the reorientation of this great centre of Muslim learning. Among the other new institutions established by this Law, is the Islamic Researches Academy which brings together Muslim Scholars and savants from all the countries. This new forum will strive to liberate Muslim thought from blind following, to purge the sunna from spurious and unauthentic traditions, to modify the Shariah within the framework of the Quran and the Sunna, to cleanse the faith from encrustations and harmful innovations and to present the faith of Islam to the peoples of the world in clear terms and on scientific lines. We hope that the Academy will give us its considered view on the three following issues, viz. Uniformity of belief, purging of the Shariah and permission to the use of personal interpretation. The lack of these factors has greatly distorted our religion, torn asunder our unity and hindered the propagation of Islam.

The uniformity of belief fell a prey to political parties, and worldly greed till the number of schisms in Islam reached seventy-two. Each one of these Schisms tried to overcome the other, and to do so it sought to prove its validity with spurious and

unauthentic traditions. But, however, all these schisms disappeared one by one before the end of the seventh century of the Hijra^h, except the Za'hiri School which held its sway in Spain and certain parts of Morocco. As for the legal Schools, they finally resolved into four Schools of the Sunnites and some Schools of the Shiites. The differences among the various Schools of the Sunnites on the one hand, and the Sunnites and the Shiites on the other hand grew in intensity with the passage of time till finally they were estranged from each other so much that some Hanfite doctors held that a Shafii girl was not a kufu (suitable) for a Hanfite boy, and in the same way some Shiite doctors held that a Sunnit boy was not a Kufu for a Shii girl. Later these differences narrowed down and this attitude of hostility towards each other gave way to one of tolerance. It was then said that the followers of each School should believe that their School was basically right though it might be wrong; and that the other Schools were basically wrong though they might be right. Recently doctors of the various Sunnite Schools have shown signs of unity and rapprochement not only among the various Sunnite Schools but also between these, and the Shiites.

CAIRO CONFERENCE OF MUSLIM SCHOLARS

BY A. H. AL-ZAYYAT

EDITOR - IN - CHIEF

Just a few weeks ago ended the summit Conference of the Heads of Arab States, and has now commenced the Conference of Muslim Scholars. While the former conference discussed at the highest level issues relating to political unity, the latter will seek to pave the way for religious uniformity. In fact these two conferences compliment each other.

Both these Conferences are an echo of the Great Revolution that started on the banks of the Nile of Amr bin al-As, then moved to the banks of the Burdi of Khalid bin Walid and later to the banks of the Tigris of Sa'd; it echoed in the mountains of Yemen and its light shone on the shores of the Mediterranean bringing life to Algeria. It created hopes and kindled courage. It connected the bonds that were broken. In short it awakened the Arabs to a new life of unity and a brilliant future.

A revolution cannot survive without a faith even as a body cannot live without a soul, and a ship cannot reach the goal without the guidance of the pole-star. The

Revolution can certainly soften iron, grow fields on stones, harness the Nile, Manufacture rockets, spread Knowledge and provide amenities for the people, but without the moving force of faith can it stimulate hearts that are dying to a life of piety and responsibility? The leaders of the Great Revolution were alive to this need: they were sure that the new revolutionary society would not live without religion. They also knew that religion would not keep pace with the changing times without the guidance of Azhar. When the educational needs of Azhar are complete and when it adapts itself to the new situation, it will usher in the East a free and original Renaissance that will reorientate the entire East, for when its culture, derived as it is from Revelation and the laws of Nature, will come into contact with the modern thought, they will react on each other, and this fusion of the ancient culture with modern thought will give birth to reorientation of religion as Allah wills it.

It was, therefore, necessary that

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
للعنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدبرسين والطلاب
تخفيض خاص

تصدرت عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء العاشر - السنة الخامسة والثلاثون - ذو الحجة سنة ١٣٨٣ هـ - مايو ١٩٦٤ م

سما الله العليم الغني

١٤
٢٤٤٤٦
دوريات

وزير الدين والخير

بقلم : أحمد حسن الزيات

ولقد اقيمت يوما من أيام الصيف الأسبق في مصيف بلطيم ، وكنت قد عرفته من قبل بالسباع ، والعيام بسرارة خقه وسمو أدبه مستفيض ، فلا يجرى ذكره على لسان مثقف إلا روى عن مجالسه ونوه بمواهبه وحدث عن أبياده .

راعى وأنا أحده سعة اطلاعه على الأدب وطول باعه في البلاغة ، فقلت له : إن ما أصبته من علوم المفدسة ، إنما جاءك هن طريق المدرسة ، فمن أى طريق جاءك هذا الذوق الصافي لروائع الأدب ، وهذا العلم الوافي ببدايع الفن ؟ فقال في لهجة المتواضع

شاء العليم الحبير صاحب الدين وواهب الخير أن يتولى أمور الأوقاف وشئون الأزهر في مرحلة الانطلاق الثورى العالم الأديب أحمد عبده الشرباصى نائب رئيس الوزراء فكانت هذه الولاية توفيقا من فضل الله ، وتحقيقا لأمل المسلمين ، وتصديقاً للقول المأثور : لا يزال الناس بخير ما ولوا خيرهم أمرم . والمهندس الشرباصى ياجماع الراى متميز بالدين والعلم والخلق والكفاية ، فليس عجباً أن تعقده عليه الآمال في تعمير الخير في الأوقاف عن طريق العدالة ، وتجهيد الدين في الأزهر عن طريق الدراسة .

والفنى عظيما تتجلى عظمته أكثر ما تتجلى في دمايته ، فأنت تتقلب منه في مثل أعطاف النسيم ليما ورقة ، وفي مروته ، فهو يشع الفضل إشعاعا هادئا فلا من ولا زهو ولا تسكف ؛ وفي تواضعه ، فأنت تحدته حديث الصديق للصديق أو الذر للندفلا تشعر أهو الوزير أم أنت .

إن للأزهر بفضل هذه الشئائل في نائب رئيس الوزراء نواشي من الأمل أن تكذب ، ووجود من الظن أن تحظى ، وإن للأزهر في سرحلة الانطلاق الثورى غاية لن يعوقه عنها تخلف من ماض ولا تعسف من حاضر ؛ فإن الثورة العامة لن تبلغ مداها البعيد إلا في هداية العقيدة ورقابة الضمير ، ومن أجل ذلك رأيت قيادتها تطوير منهجه وتصحيح مفهومه فسنت له القانون الجديد . والقانون ميت ما لم يحيه التنفيذ ، والتنفيذ باطل ما لم تحقه العدالة ، والعدالة التي يأمر بها الله ويرجوها المسلمون أن يبق للأزهر كيانه وسلطانه ، ولن يبق له هذا السكبان وذلك السلطان إلا إذا قام بقيانه الجديد على أركانه لا على أنقاضه . والاركان التي بنى عليها الأزهر العتيق هي تبليغ الرسالة العظمى ، وحماية اللغة الفصحى ، وتصحيح العقيدة العليا ، وتوجيه الأمة الكبرى ،

الكبير : جاءني من نشأتى الأولى بين شباب الأزهر أيام الطلب ، فكنت آخذ فيما يأخذون من اللغة والأدب ، وأحمل نفسى على مجاراتهم في الاطلاع والبحث ، حتى تحرك في فطرتى النزوع إلى فقه الدين وعلم العربية . وهذه النشأة وإن كانت كذشأة حافظ إبراهيم بين طلاب الجامع الاحمدى لا تكنى وحدها لتجعل من المهندس الشرباصى أديبا ولا من الضابط حافظ إبراهيم شاعرا ؛ وإنما كانت في الرجلين تنبيها للملكة غافية ، وتوجيها لاستعداد موهوب ، وقد استمر أثر هذه النشأة في حياة المهندس العامة حتى وثق الصلة الفكرية بينه وبين العقيدة الأديب الأستاذ الباقورى ، فكان لها في كل ليلة ندوة أدبية يندو إليها صفوة المفكرين والباحثين من رجال الأزهر وغيرهم ، فيتناكرون فيها دقائق المسائل وروائق الأحاديث وطرائف النوادر ، ثم ينصرفون عنها وفي أذهانهم أقباس من الهدى والنور تشع في كل مجلس ، وتشيع في كل عمل .

هذا الادب الذى استفاده الشرباصى من مناشئ فطرتة ، ومن طبائع نشأته ، قد استحال في حياته العامة أديبا فى نفسه يتخلقه ويعمل به ، وأديبا على لسانه يتذوقه ويتصرف فيه ، وأديبا على سمعه يعيه وينضج عليه . فكان بهذا الأدب النفسى واللغوى

وفي رأى المراقبين من رجال الأوقاف والأزهر أن الله قد حمل الشرباصى هذه الأمانة في هذه المرحلة ، أيوفق بين تقديم الجامع وجديد الجامعة ، وينسق الأمر بين كراسى الدرس ومنابر الدعوة ، وينظم الإحسان بين واقفيه ومستحققيه ، ويمهد السبيل للتعاون المثمر بين مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في الأوقاف ليجمعها القلوب والشعوب على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة عن طريق التعارف والتآلف والتشاور ، ذلك لأن سلطان الدين أكمل وأشمل من سلطان السياسة وقوة الحكم ، فإن هذين لا يتجاوزان بقعة من الأرض ولا أمة من الناس . ولكن ذلك ينسبط على كل مكان فيه لله ذكر ، ويهيمن على كل إنسان له في الإسلام فكر . وعلما الدين هم الطوائف التي تفرقت من كل فرقة ليتفقوا في الدين ولينذروا قومهم . فإذا تفقهوا ولم ينذروا أنكروا ما خلقوا له ، وعصوا ما أمروا به . وليس الإنذار أن يلجوا بذكر الحساب والعذاب ، وإنما الإنذار أن ينهوا عن الخطيئة ، ويوجهوا الحائر ، ويرشدوا الغوى ، وينصبوا في مجاهل الأرض أعلام الطريق .

ولو كان علماء الإسلام يعملون لكان لهم مثل ما للبشرين والمستعمرين والمستشرقين من

فإذا توسع في ضروب العلم وأحاط بفنون المعرفة ، فذلك ليقسع أفقه في فهم الرسالة ، ويمهد مداه في نشر الدعوة . وتلك الأركان هي التي رسخت أصولها في نفوس المسلمين تحت كل أفق فييس من الخير أن تنفض ولا أن تزهزع ، والأزهر بهذا المعنى زمامة روحية كسبها لمصر علماء الأخيار وأبناؤه الأبرار في مدى عشرة قرون .

* * *

إن الجمع بين شئون الأزهر وأمور الأوقاف في يد واحدة تصرفها على خطة مرسومة لغاية معلومة حسنة من حسنات الثورة . وهي سياسة يقتضيها منطق الأشياء ويؤيدها حكم الواقع ، فإن الأزهر يفقه في الدين ويدعو إلى الخير بالدرس والنظر والاجتهاد والتعليم والتأليف والحجة ، وجهاز الأوقاف ينفذ ويطبق بالإمامة والخطابة والوعظ والإحسان والإيمان والعمل . فالتلازم فيما واقع ، والتلازم بينهما قائم . ففى توليها يد مصرفة ورأى فضييع ونية صادقة وعزيمة نافذة انطلقا معاً في الآفاق اتى كشفها للتحويل الثورى انطلااق النور الهادى من بؤرة الشمس ، أو الروح السارى من كلمة الله ، فيتبها الإصلاح بالروح والمادة ، ويتحقق الكمال بالدين والدنيا ، وتكتمل الوسائل للنهوض والعمل .

التطورات التشريعية للطلاق

للاستاذ محمد محمد المدني

- ١ -

الطلاق في اللغة : هو فك القيد عن المقيّد حساً أو معنى . يقال : أطلقت البعير من قيده ، أى حللته عنه ، وأطلقت الأسير من إيساره ، أى خلّيت سبيله ، والطلق أيضاً : العبد الذى نال حريته فخرج بها من قيود الرق . ويستعمل الطلاق أيضاً فى معنى الترك والمفارقة ، فيقال : طلق البلاد ، أى فارقها ، وطلق القوم ، أى تركهم . واستعماله فى إنهاء عقد الزوجية ملاحظ فيه كل من هذين المعنيين . فالرجل يطلق زوجته ، أى يحلها من قيد الزواج ويفارقها ويتركها ، فهى طالق . وقد سئل بعض العرب فقيل له : أطلقت امرأتك ؟ فقال : نعم والأرض من وراءها ! ويقال : رجل مطلق ، أى كثير التطلق للنساء ، ومنه حديث على كرم الله وجهه : « إن الحسنى مطلق فلا تزوجوه » .

الطلاق فى اصطلاح الفقهاء : والطلاق فى اصطلاح الفقهاء ينظر إلى هذا المعنى اللغوى مع إضافة بعض القيود : فهو « رفع القيد الثابت بالنكاح فى الحال أو المآل بلفظ مخصوص » .

فرفع هذا القيد فى الحال يكون بالطلاق البائن ، ورفع فى المآل يكون بالطلاق الرجعى . والمراد باللفظ مخصوص هو ما كان : صريحاً فى إفادة معنى الطلاق وحل العصمة مثل طلقك ، أو أنت مطلقة أو أنت الطلاق . أو كناية ، وهو ما يحتمل الطلاق وغيره ويترجح فيه معنى الطلاق بالقرائن ، أو بالنية كأن يقول لها : « أنت خلية ، أو دبرية ، أو مطلقة » بسكون الطاء . من الإطلاق ، أو حرام .

والفرق بين « مطلقة » بتشديد اللام وفتح الطاء ، و « مطلقة » - بسكون الطاء : أن الأول من « طلق » وقد غاب استعماله فى حل العصمة ، فصار حقيقة حرفية ، أما الثانى فن « أطلق » ويغلب استعماله فى الإطلاق من القيود الحسية ، فلا ينصرف إلى حل العصمة إلا بمرجح لذلك .

الطلاق فيما قبل الإسلام :

مبدأ الطلاق معروف ومسلم به إجمالاً فى الأمم والشعوب قبل الإسلام . فقد كان جائزاً عند قدماء اليونان ، وكان للرجل أن يطلق المرأة ، وليس لها أن تطلب التطلق .

يدها وأطلقها من بيته أو إذا مات الرجل الآخر
الذى اتخذها له زوجة لا يقدر زوجها
الأول الذى طلقها أن يعود ليأخذها لتصبح
له زوجة بعد أن تنجست .

٥ - أما الشريعة المسيحية فلا تجيز الطلاق
إلا لعلّة الزنا ، ومن نصوص إنجيل متى
(الإصحاح الخامس) . عدد ٣١ : « وقيل من
طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ، وأما أنا
أقول لكم ، إن من طلق امرأته لا لعلّة الزنا
يجعلها تزنّى ، ومن تزوج مطلقة فإنه يزنّى » .
ويعملون هذا الحكم فى الشريعة المسيحية
بأن الزواج سر مقدس من الأسرار الإلهية
التي تتم مرتبطة بالطقوس الدينية تعبيرا عن
إرادة الله ، فإذا كان انحلال الزوجية بإرادة
أحد الزوجين أو باتفاقهما فقد غلبنا إرادتهما
على الإرادة الإلهية .

ولقد ظهر الكثير من المشتغلين بشئون
الأسرة أن هذا الحكم شديد ينبغي إعادة
النظر فيه تيسيرا على الناس ، وبذلك بعض
المحاولات للتوصل إلى نوع من هذا التيسير كأن
يكون الاتفاق والتراضى بين الزوجين سببا
من أسباب التطلق يعرض على سلطة قنصله
أو لا تجيزه ، ولكن هذا لم يستقر عليه الأمر
بعد ، لأنه يصطدم بقواعد الشريعة المسيحية .
وهناك عادات وتقاليد وتشريعات وضعية
غير هذا كله فى مختلف الشعوب قديما وحديثا
تفاوتت قربا وبدا فى شأن الطلاق بالنسبة

ودلت بعض العقود التي عثر عليها عند
الجرمان على أن الطلاق كان جائزا عندهم إذا
اتفق عليه الزوجان .

وأجاز قدماء الرومان الطلاق للزوج والزوجة
كليهما ، ثم أدركته بعض التطورات التشريعية
عندهم ، فالنقى حق الزوجة فيه وقصر على الزوج
ثم أعيد هذا الحق مرة أخرى للزوجة ، ثم
جعل بالاتفاق بين الزوجين .

« والشريعة اليهودية تجيز الطلاق ، ولا تمنع
الرجل من طلاق زوجته ولو بغير سبب
سوى رغبته فى التزوج بأجل منها ، إلا أنه
لا يليق برجل من أهل الخير والمعروف
أن يقدم على الفراق بدون سبب يستوجب
الطلاق ، والأسباب التي يحل معها الطلاق هى
الزنا والعقم وعيوب الخلقة أو الخلق .

بل أوجبوا على من لم يرزق من زوجته
بذرية بعد معاشرتها عشر سنوات أن يفارقها
ويتزوج بغيرها .

وإذا طلقت الزوجة ، ثم اقترنت بزوج
آخر ، ثم طلقت منه أو مات عنها ، فلا يجوز
للأول أن يتزوجها مرة ثانية ، وقد ورد
فى سفر التثنية (إصحاح ٢٤ - ١ عدد ١ -
إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فإن لم تجد
نعمة فى عينيه ، لأنه وجد فيها عيب شئ ،
كتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها
وأطلقها من بيته عدد ٢ فإن أبغضها الرجل
الآخر كتب لها كتاب الطلاق ودفعه إلى

روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت :
 « كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلق
 وهي امرأته إذا راجعها وهي في العدة ، وإن
 طلقها مائة أو أكثر ، حتى قال رجل لامرأته :
 والله لا أطلقك فتبينين مني ، ولا آويك أبدا
 قالت وكيف ذلك ؟ قال : أطلقك فبكيا همت
 هدتك أن تنقضي راجعتك ، فذهبت المرأة
 فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأخبرتها
 بذلك ، فسكتت حتى جاء النبي صلى الله عليه
 وسلم فأخبرته ، فلم يقل شيئا حتى نزل قوله
 تعالى : « الطلاق مرتان : فإمساك بمهر
 أو تسريح بإحسان ، ولا يحل لكم أن تأخذوا
 مما آتيتكموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما
 حدود الله ، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله
 فلا جناح عليهما فيما اقتدت به ، تلك حدود
 الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله
 فأولئك هم الظالمون . فإن طلقها فلا تحمل
 له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ،
 وفي رواية مما روى به ذلك عنها : « قالت
 عائشة : فاستأنف الناس الطلاق مستقبلا :
 من كان طلق ، ومن لم يكن طلق ، أي ساروا
 في مستقبل أمرهم على ما شرعه الله تعالى من
 ذلك ، سواء منهم من كان قد سبق له الطلاق
 على غير هذا الحد ، ومن لم يكن طلق .
 ومن انحرفات الجاهلية في شأن الطلاق
 أيضا ، أن الرجل كان يطلق زوجته ثم يدهي
 أنه إنما طلقها لعبا ولهوأ ولم يرد الطلاق -

لها ذكرنا ، وليس من منهجنا في هذا البحث
 أن نطيل ذكرها وبيان ما فيها من تفاصيل .
 بيد أنه لا بد من ذكر خلاصة لما كان عليه أمر
 الطلاق عند العرب في الجاهلية لشدة ارتباط
 ذلك بما ورد نقدا له أو نهيا عنه في مصدرى
 الشريعة الأساسيين وهما القرآن والسنة .
 فقد كان الطلاق معروفا مسلبا به عند العرب
 في الجاهلية ، وكانت لهم فيه عادات وانحرافات .
 منها : أن الطلاق لم يكن له حد ولا عدد
 معين فالرجل يطلق امرأته كما يشاء ، وفي أى
 وقت يشاء ، ولو تكرر ذلك عشرات المرات
 فإن كان الطلاق لمغاضبة عارضة عاد الزوج
 بعد أن يسكن غضبه وتهدأ نفسه - فراجع
 زوجته قبل انقضاء عدتها واستقر معها ، وإن
 كان لمضارة المرأة ومكايدها ، طلقها ثم أعادها
 قبل انقضاء عدتها ثم طلقها ثم أعادها... وهكذا .
 وكان النساء يلاقين من ذلك حرجا كبيرا فلا
 تعد المرأة نفسها مطلقة ولا مزوجة ولا تشعر
 بأن حياتهن بعيدة أو شقية ، إنما هي في يد الزوج
 يتحكم فيها كما يشاء دون أن يكون لها أى حق
 في الاعتراض عليه ومحاولة وقفه عن طغيانه .
 ومما يدل على ذلك ما أخرجه ابن جرير
 عن ابن عباس قال : « كان الرجل يطلق امرأته
 ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها ثم يطلقها ،
 ثم يفعل ذلك يضارها ويضلها أى يمنحها بذلك
 من أن تزوج من غيره لذا تم طلاقها منه .
 وقد استمر هذا يحدث حتى أبطله الإسلام .

٣ — الظهار ، وهو تشبيه الرجل زوجته بمحرمة عليه ، حرمة تأييد ، كأن يقول لها : « أنت علي كأمي ، أو كظم رأي ، - ولما كثر التعبير الثاني في هذا النوع سمى «ظهارا» .
٤ — الخلع وهو الطلاق في نظير ما تبدله المرأة لزوجها ، أو في نظير إعادة ما دفعه لها من مهر ، وقد روي أن هاشم بن الطرب زوج ابنته من ابن أخيه ، فلما دخل عليها نفرت منه ، فشكا إلى أبيها ، فقال له : لا أجمع عليك فراق أهلك ومالك ، وقد خلعتها منك بما أعطيتها .

وبقينا عما ذكرنا * أن العالم قبل الإسلام كان يقنازه مبدئان :

أحدهما : عدم الاعتراف بمشروعية الطلاق إلا في حالة واحدة ، هي حالة الزنا من أحد الزوجين .

الثاني : الاعتراف بمشروعية الطلاق ، على تفاوت في تقرير هذه المشروعية ، بالنسبة لصاحب الحق فيه ، وللظروف التي يستعمل فيها هذا الحق ، والاسلوب الذي يكون به ، وأن هذا التفاوت قد وصل في بعض المجتمعات إلى حد التعسف من قبل الزوج ، رغبة في اضطهاد المرأة ، وإهدار كرامتها الإنسانية وحقوقها الزوجية ، بل إلى حد التمسك بالطلاق وانحاذه هزوا ولعبا

فإذا كان موقف الإسلام ؟ (يتبع)

محمد محمد المرنى

ويدل على ذلك ما ورد في أسباب النزول ، مما أخرجه ابن أبي عمر في سنده ، عن أبي الدرداء قال : « كان الرجل يطلق ، ثم يقول : « لعبت ، ويعتق ثم يقول : « لعبت ، فأنزل الله تعالى قوله : « ولا تتخذوا آيات الله هزوا . » ولقد أتف بعض الفساق في الجاهلية تحكم الأزواج في زوجاتهم بأسلوب الغش والمضارة الذي ذكرناه ، فكان يشترطن على أزواجهن أن يكون أمرهن بأيديهن ، إن شئن أقن وإن شئن تركن معاشرتهم وأوقعن الطلاق ، وذلك لقدورهن وشرفهن واعتزازهن بما لهن من كرامة ، ومن هؤلاء سلمى بنت عمرو ابن زيد الخزرجية ، وفاطمة بنت الخرشب الأنمارية وعاتكة بنت مرة ، وغيرهن .

وكان هؤلاء الفساق وأمثالهم ممن جعلن أمرهن بأيديهن عادة طريفة إذا أردن تطليق أزواجهن ، وتلك هي تحويل باب الحجاب ، فإن كان بابه قبل المشرق ، حولته المرأة قبل المغرب ، وإن كان بابه إلى جهة اليمن ، حولته إلى الشام ، فإذا عاد الرجل إلى الحجاب فرأى ذلك ، علم أنها قد طلقته ، فرجع من فوره ولم يدخل . وكان الجاهليون يعرفون أنواعا من الطلاق وهي :

١ - الطلاق المعروف ، ويكون بلفظ « أنت طالق ، أو حباك على غاربك ، أو داذبي ، حيث شئت ، أو « أنت مخلى كهذا البعير » .
٢ - الإيلاء وهو الحلف على ترك قربان المرأة مدة ، وغالبا عندهم سنة أو سنتان .

الموطأ للإمام مالك^{رضي}

للأستاذ الفاضل بن عاشر

تمهيد:

لئن كان القرآن الكريم ، ينبع نهر الثقافة الإسلامية ، فإن تحت القرآن كتباً فصلت حكمته ، وأشاعت هديه ، ثبتت ما أحكم فيه ، وفصلت ما تشابه منه .

وإن الثقافة الإسلامية لم يبلغنا سبلها سلسالاً عذبا فراتا ، إلا بعد ما امتزجت ولائد تلك الكتب ، بأمهات الحكمة القرآنية فربتها وانقلبت بها كوثرًا - وإن لم تكن بدونها ثمداً .

فهل بنا نقف على تلك الكتب ، وقفات قريباً تكونها ، وتصرفها ، وصور ما ضمن من معانٍ تخريجية ، وتوجيهات تربوية ، هي التي تكاملت الثقافة الإسلامية بها بحيث لا ينفرد واحد منها بتكوين تلك الثقافة ولا تقوم تلك الثقافة بالخلو عن واحد منها .

فإن الثقافة ليست المعرفة ، ولكنها كيفية نفسية تنطبع عليها المدارك والمعارف بحيث يكون إدراك كل ذي ثقافة لحقيقة من حقائق الوجود ، أو مطلب من مطالب المعرفة ، يختلف في كيفيته ، عن إدراك ذي ثقافة أخرى ، فتختلف الثقافات ، ولا تختلف

المعلومات ، ولذلك قيل : إن العلم لا وطن له ولا قومية ، أما الثقافة فهي بفت القوميات وربية الأوطان .

فالكتب التي نعتبرها ، روافد الثقافة الإسلامية ، لم يثبت لها هذا الاعتبار مجمعها معلومات عن الإسلام ، أو تقريرها أحكامه وآدابه ، ولكنها كتب ضمنّت من الصور وجمعت من المثل ، وفصلت من الدقائق وقربت من الأذواق ، ما يتكون من مجموعه أثر نفسي ، يحصل من الاتصال بذلك الكتاب تعري به النفس على صورة من الإدراك ، تتكامل أجزاؤها من بين ذلك الكتاب وأمثاله حتى تحصل فيها الكيفية التي يختلف بها إدراك المسلم للعاني والحقائقي ، عن إدراك غيره فتلك هي الثقافة الإسلامية ، وتلك روافدها .

الموطأ لمع مام مالك :

حقاً ، إنه ليس لنا ، معاصر المسلمين ، فيما الأهم من كتب ، إلا كتاب واحد وهو القرآن وإن الحرص على أن يبقى ذلك الكتاب لأرب فيه ، سامياً عن أن يدنو غيره من منزلته ، لم يزل شأن الملة الإسلامية ، أخلاقاً عن أسلاف .

ومن ذلك ما يؤثر عن أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، من أنه لم يرتض من سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، فعله في كتب القنوت والتشهد وغير ذلك في مصحفه بحاشاة المصحف الكريم عن أن يشمل شيئاً غير القرآن ، فإن عثمان وإن كان يعلم أن عبد الله بن مسعود لا يغلط فيعتبر من القرآن ما ليس منه ، وأن عبد الله لا يختلف مع عثمان في ذلك فإن فيمن سيأتي به الزمان من الاختلاف ، من قد يغلط في ذلك أو يبتدع فيه ، فيقول به غلطه أو ابتداعه إلى أن يختلط كلام الناس بكلام الله ، اختلاطاً يلزم الأمة من أمر ذلك ما لا يلزمها في دين الله ، كما وقع من الذين مضوا قبلنا من جعلهم الله هظه لنا .

وكذلك كلما جاءت الرغبة في أن تجمع أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأعماله تحسن لرجال من القامتين بخلافته في أمته من بعده ، كتابة ذلك ، قامت الحشية من الفتنة ، والخرج من البدعة ، ما نعا من إنجاز تلك الرغبة ، لاسيما إذا كانت الكتابة من الصحابة الذين جاء بتركيتهم القرآن وأجمعت الأمة على أنهم قدوتها ، وأن أحداً من سوام لا يبلغ مقامهم في الدين ولا يذانيه .

فسكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كلما خطر له خاطر كتابة الأحاديث

ثم إن من يذكر ما وقع فيه أهل الأديان المتقدمة من زيف وباطل وضلال ، حين كتبوا الكتب المتضمنة غير الوحي الإلهي فتعبدوا بكلماتها واتخذوها مصحف الملة ، ومرجع الدين ، وقد سوها وعكفوا عليها وألزموا الناس باتباعها ، ومن نفذت إلى روحه قوارع القرآن العظيم في نعيه على هؤلاء فعلمهم ، فاقشع جلوده من خشية الله أن يصيبه بما أصابهم ليشدد حذره من ذلك ، ويقوى حرصه على أن يباعد ما بينه وبين الشبه هؤلاء الذين ورد فيهم مثل قوله تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويل لهم عما كتبت أيديهم ، وويل لهم عما يكتبون ، .

كذلك مضى السلف الصالح لهذه الأمة الإسلامية ، على أن يحموا عقيدتهم من أن تتعلق بأثارة من هلم مكتوب تنزل عن عقيدتهم منزلة الشيء المخالط لكتاب الله تعالى ، أو المعقب له مثل ما وقع في مخالط التوراة والإنجيل وعقب عليهما . من التلويح والمشتباة بالنسبة إلى العهد القديم ، أو أهمل الرسل والرسائل بالنسبة إلى العهد الجديد . ولما كتبت المصاحف ، كان الحرص قويا على أخذ الحيلة من أن يوضع مع كلام الله غيره ، مجموعاً إليه بين دفتي مصحف واحد .

عليه الروايات تطابقاً أحله بمحمل المنقول بالتواتر، أو ما تواردت عليه أقوال المجتهدين نوارداً تدرج به في سلم مراتب الإجماع، بحيث أصبحت العلوم المستندة إليها في تقرير الأحكام الفقهية وليست جزئيات قطعية الأهيان في ذاتها يرجع إليها كما يرجع إلى نصوص القوانين، ولكنها خلاصات كلية نشأت من استقراء موارد التصرفات النبوية في تطبيق أحكام الدين، من باب الفقه، وما للفقه إلا استنباط من مصادر الشريعة أو أصولها التي هي الدلائل الإجمالية المستمدة من كلام الوحي. والسنة في ذلك مثل القرآن لأنها أيضاً وحى يوحى. ولكن ليست السنة مادة تلقينية للفقيه يحدد فيها الأحكام مفصلة تفصيلاً جزئياً، ولكنها مادة تخرجية يستنبط منها الفقه الأحكام التي يكون هو واضعها في مجالها بصورة جزئية فممارسة السنة، إذن، أمر ضروري لا يقسم للفقيه عمل بدونه ولكن السنة لا تقرر بذاتها الحكم الشرعي تقريراً مباشراً جزئياً. حتى ينضم إليها عمل الفقيه، الذي هو النظر والفهم، وتحقيق الصور بمتفقاتها ومفترقاتها، ونقد طرق الرواية وتأويل المختلف منها بالجمع أو بالترجيح، فممارسة الفقيه لجزئيات السنة تكون فيه أثراً هو أقرب إلى الآثار التوجيهية التروية، بحيث لا يمكن أن يعتمد تلك الجزئيات جميعها

والسنة النبوية، استشار واستخار، ثم أحجم عن ذلك شاكساً، وأعرض عنه قاطعاً بقول: «ذكرت قوماً من قبلكم كتبوا مع كتاب الله كتباً، فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله، وإنى والله لا ألبس كتاب الله بشيء».

ولقد كان في هذه الصرفة الإلهية، قانون فاصل ناهيك به من فاصل، بين القرآن العظيم الذي هو نبع نهر الثقافة الإسلامية، وبين ما أتى بعده من رواقد انصبحت إلى ذلك النهر هو فاصل قرن كامل، ينظم ثلاثة أجيال من الأمة، الصحابة والذين يلونهم، والذين يلونهم لم يكن فيه للدين من كتاب غير القرآن، وكان مع ذلك انتشار الدين معارداً، ودوائه متسعة وفقهاؤه مجتهدين في إقامة شريعته. وطريقة وسولم الأظم صلى الله عليه وسلم، في تقرير أحكام الدين والاجتهاد فيه، موقرة في نفوسهم لا يرجعون فيها إلى سفر، ولا ينشرون لأجلها صحيفة.

وكانت أقوال الرسول وأعماله وتقريراته، تصل إلى المجتهدين بطريق الرواية الفردية معرضة إلى ما تعرض إليه الروايات والأخبار من تحرف في النقد، وحاجة إلى الأخذ والترك، والتعديل والتجريح حتى حصل من تتابع ذلك، جيلاً فجيلاً، شعور بأن ليس للفقه في الدين مرجع ضروري بعينه، إلا ما تطابقت

« ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء » . بهذه الكلمة خط الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه منهجه في العلم ، وعليها بنى صنيعة في كتابه الذى ابتدأنا به ، في روافد الثقافة الإسلامية ، كتاب الموطأ : فقد جعل هذا الكتاب قليلا من كثير ، هو القليل الذى أنبته ، وحدث به وأشاعه في الناس من الكثير الذى رواه وحفظه وكتبه ، ثم تركه فلم يحدث به ولم يعتمد به ، وحال بينه وبين الناس وبذلك كان مالك لهذه الأمة إماما هاديا أراها كيف تستخدم الفقه بالعلم وتجمع بين الأثر ونظر ، وتقيم معيار النقد للأخبار المأثورة من النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يختلط عليهما من أمر دينها ، ما ينافي بعصمته ، ويخل بأحكامه .

فلقد شاع الاهتمام بآثار النبي صلى الله عليه وسلم ، قولا وفعلًا وإقرارا شيوعا ملا القرن الأول اهتماما بالأثر ، وانصرفا إلى السنة وشاع الاهتمام بآثار الصحابة وأقوالهم وهديم شيوعا وسع فطاق الأثر ، وضخم ثروة السنة في ذلك القرن وكان من طبع هذا الشيوع بما قارنه من قصد إلى ترك التدوين وانصراف عن كتابة الحديث بل وتحذير منها لما شرحناه من أسباب ذلك ، أن النقل الذكري للآثار السنية قد تعرض إلى شيء كبير من

ولكنه يتصرف بالملسكة الحاصلة من جميعها فالصرفة الإلهية التى تأخر بأثرها تدوين السنة إلى منتصف القرن الثانى هى التى هيئت الأمة لإدراك مقام السنة من التشريع حتى لا يخيل لآلها أن هناك كتابا لازما للتقرير أحكام الدين لزوم القرآن أو قريبا منه حين تدرك أن السنة لم تدون بالكتابة إلا بعد مضى الفقه أشواطا مستندا إليها متصرفا فيها وبعد أن استوى الناس بانقراض الصحابة فلم يبق فيهم إلا راد ومردود عليه فبذلك تكونت داعية تدوين السنة ناشئة من الفقه ، بعد أن أذن الفقهاء من أن يكون في كتابة السنة في منتصف القرن الثانى ما كان يخشى من ذلك في أوائل القرن الأول ، فلما قام الفقه ، واستقرت أذهاب ، وتأصلت حركة الاجتهاد جاء تصنيف السنة تصويرا لعمل الفقهاء وشد للأثر بالنظر ، وتقريبا للناس من إدراك مقام الاجتهاد ، ومخالطة عمل المجتهدين ، إذ يريهم ما أخذوا به من السنن ، وكيف تصرفوا في فهمه التصرف الذى أنتج لهم ما قرروا من الأحكام . ولذلك لم يزل الناس يحدون في كتب السنة الأولى بمجاذب ناحيتين : يتركهم مقسمين عن أيتهم تغلب ، ويمثل ذلك نظروا إلى أول هذه الأوضاع السنية وأقدمها وهو الموطأ فلم يزلوا يتساءلون هل الموطأ كتاب فقه أو هو كتاب حديث .

ضرورية مقاييس نقدية سليمة ينعطف بها على نفس تلك الجزئيات التي استقرأها أولاً فيتمكن من تقويم بعضها ، وتعديل بعض وإلغاء بعض آخر مستعصماً في ذلك التقدير النقدي ، بما استقار في خصله من معرفة يقينية حاصلة من مجموع تلك الآثار ، وليست ماثلة في جميعها .

ذلك هو الخوال الذي نسج مالك ابن أنس عليه موطأه ، وذلك هو المبعج الذي وصفه وقربه الناس فوثقوا به ، وأقبلوا عليه ، وقوموا به علماً إسلامياً جليلاً : هو علم الحديث الذي ليس هو كما يظن الواهمون رواية المتسوسن والأسانيد ولكنه البصر في نقدها ، وطول الباع في تناول الثابت منها وطرح الزيف المخالط لها ، وقديماً قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع » . ومن هنا سلك المنوهمون بكتاب الموطأ والمعرفون للناس بعظيم شأنه في الدين مسلك المقارنة بين ما روى مالك وما خرج فيه وانتهجوا نهج التدليل على مكائنه ببيان ما حذف منه بما أثبت ، وما نقص بعد ما وفي فقد نقل القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب عارضة الأحوذى شرح صحيح الترمذى : أن مالكاً روى مائة ألف حديث جمع منها في الموطأ عشرة آلاف ثم لم يزل

الاختلاط أحوج إلى تمحيص دقيق ونقد عميق ، ولقد اهتم العلماء ببيان مداخل الاشتباه وهوامل الضعف وأسباب الوضع بما أغنى ويعنى وقارن كثرة تلك الهــوامل من موجبات الاختلاط حب بليغ في نفوس الأمة الإسلامية لنبيها الأكرم وشغف بأخباره وآثاره على نحو ما قال سلطان العاشقين :

أسعد أخى وغنى بمحبته
وانثر على سبيل حلاه وشنف
لأرى بعين السمع شاهد حسنه
معنى فأتحفنى بذاك وشرف
وفي هذه العاطفة السكرية ما يفيض على كثير من مداخل الخطأ في الحديث منه . ويمهد سبلاً لرواج أحاديث لم يتقنها ومواقع التمسد حسن الظن ، وزيفها سوء القصد .

على أن في المعارف المستخلصة من تأويل مختلف الحديث المختزنة في قلوب أهل الفقه والرأى بما قد ذفقه فيها من أنوار ما هو كفيلاً بتخليص الزيف من الصحيح وتمييز الحق من الباطل وأنها حتماً لطريقة مثل ، ومنزع غريب تلك التي يتمكن بها فسر المستفهم من تتبع جزئيات نظرية ظنية حتى يستخرج من استقراءها معارف يقينية ضرورية ثم يستمد من تلك المعارف التي صارت عنده

جميع المحدثين ، وزكوا أسانيدها وخرجوها عن مالك في كتبهم ، ورويت عنه في صحيح البخاري ومسلم .

ومنها أحاديث لم تتصل أسانيدها إما لعدم التصريح بصاعم من النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي الموقوفة . أو لعدم تعيين الصحابي الذي سمعها منه ، وهي المرسلة وهذه الأحاديث الموقوفة والمرسلة التي في الموطأ ، وإن لم يروها رجال الصحيح ، بعد مالك عنه ، لأنهم يختلفون معه في الاستدلال بالمرسل والموقوف ، إلا أنهم رَوَوْها من طرق أخرى ليس فيها وقف ولا إرسال فثبتت من تلك الطرق عن غير مالك موافقة لما خرجها به مالك مرسلة أو موقوفة ، فكان ذلك آية توثيق ، وحجة تزكية زائدة لحديث مالك عند أهل الصحيح ، بحيث أن كل ما ورد في الموطأ ، مرسل أو موقوف . قد ثبت مسنداً عند أهل الصحيح ، إلا أربعة أحاديث معروفة . وأما المدارك الاجتماعية المتفق عليها فهي التي يقول مالك فيها : الأمر الذي أدركت عليه أهل العلم ببلدنا ، ويقول الأمر المجتمع عليه عندنا . وأما السنن العملية الماثورة فهي التي يقول فيها : الأمر عندنا . وأما اجتهادات الشخصية فهي التي يقول فيها : في ما نرى والله أعلم .

وقد حله جمعه لهذه الفنون من العلم على

يعرضها على السكتاب والسنة ويقارنها بالآثار والأخبار حتى رجعت إلى خمسمائة . ونقل القاضي عياض في المدارك أن مالكا وضع الموطأ وفيه أربعة آلاف حديث أو أكثر ومات وهي ألف حديث ونيف بخلصها عاما بعد عام بقدر ما يرى أنه أصلح للمسلمين وأمثلة في الدين .

وكان هذا العمل التحصيلي النقدي الذي أتاه مالك في الموطأ مبنيًا على أن بيئة الفقه في المدينة قد حوت من مختلف الآثار ورسوخ السنن المتصلة ما يمكن القائم على فقه مجتهدية أن يجعل من مجموع المروي عنهم سنداً تصرفه في الأحاديث بالنقد والتحصيل وذلك مرجع مذهبه في الاحتجاج بعمل أهل المدينة احتجاجاً يسمو منزلة على منزلة أخبار الآحاد لأنه ليس شيئاً مأثوراً عن واحد ، وإنما هو معرفة مستنبطة من مجموع أشياء ماثورة عن كثيرين في الموطأ أثر نبوي ، وفيه مدارك اجتهادية متلاقية بين الفقهاء من الصحابة فمن بعدهم ، وفيه سنن عملية ماثورة منقولة بطريق الاستقاضة عند أهل المدينة وفيه اجتهادات شخصية لمالك . فالآثار النبوية بعضها منقول بطريق الإسناد ، وهي ستائة حديث موصولة سلسلتها من مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذكر أسماء الرواة واحداً عن واحد ذكر تعيين وهي التي اعتمدها

اختلافها أن يسلك بينهما مسلك الترجيح الذي لا يعتمد على سلامة الإسناد ، وفقه الرواة وإتقانهم فحسب ، بل يعتمدى ذلك إلى النظر فى المعانى . والاجتهاد فى الأقيسة والاستحسانات ، حتى ينتهى به ذلك إلى أن يروى الأحاديث مسندة من أوثق السلاسل عنده ، وهى السلسلة المشهورة عند علماء الحديث بسلسلة الذهب . مالك من نافع من عبد الله بن عمر ، فيخرج بهما حديث « المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفارقا » ثم يقول « وليس لهذا عندنا حد مع وف ولا أمر معمول به » . فيبقى الحديث المروى بمنزلة التعطيل مع كونه سليم الإسناد عملاً بمتضى المعارض له من سنة عملية مشهورة ، واجتهاد بالرأى . فعلى ذلك بنى الموطأ على الاختيار ، والنقد ، وشده

الأثر بالنظر ، ومعارضة الأخبار والأقيسة والآثار والاجتهادات بعضها ببعض . فروى عنه الآثار من وافقه على حاملها ومعانيها ، ومن خالفه فى ذلك . فكان الرواة عنه من المخالفين له فى المعانى والمخاصل ، مجردين للأحاديث مما اتصل بها من فقه ، أو مخرجين بالمخالفة فيه ، فهم مقتبسون من الكتاب اقتباساً لا آخذون بحملته ، لأنه فى جملة كتاب فقه لا كتاب حديث ، لم يقصد منه تبين ما روى ، وإنما قصد منه تحقيق ما اجتهد ، وإسناد ما نظر ، فما مورد الأحاديث فيه إلا مورد الأدلة للفقه ، والمدارك للأحكام .

• للبحث بقية ،

الفاضل بن عاشور

محاوره بين الحجاج لإعرابي زاهد

قال الأصمعي : خرج الحجاج ذات يوم فأصحر ، وحضر غداؤه ، فقال : اطلبوا من يتغدى معنا ، فطلبوا فلم يجدوا إلا أعرابياً فى شملة ، فأتموه به ، فقال له : هلم : قال له : دعانى من هو أكرم منك فأجبتة قال : ومن هو؟ قال : الله تبارك وتعالى دعانى إلى الصوم فأنا صائم . قال : صوم فى مثل هذا اليوم على حر؟ قال : صمت ليوم هو أحر منه : قال فأفطار اليوم وصم غدا . قال : ويضعن لى الأمير أن أعيش إلى غد؟ قال : ليس ذلك لى . قال : فكيف نسألتى عاجلاً بأجل ليس لى إليه سبيل؟ قال : لى طعام طيب . قال : والله ما طيبه خبازك ولا طبابخك ، ولكن طيبته العافية . قال الحجاج : ذاقه ما رأيك كالיום أخرجه عنى .

فتح القلبي

مقام النبوة فوق سيفاهة السفهاء للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(أ) ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن .
(ب) قل أذن خير لكم يؤمن بالله ، ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم .
(ج) والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم .

- ١ - نرى للقرآن الكريم حلة مستمرة من المنافقين ، ونغازيهم في الدين ، على النفاق والمنافقين . وفي المجتمع .
- وإذا شئت أن تقصى معايب هؤلاء المسخوطين وجدت نفسك أمام ظلمات بعضها فوق بعض .
- ووجدت من شأنهم ما ينزل بهم عن المستوى الإنساني ، بل ما يخرج بهم عن الآدمية المتعقلة .
- كانوا لا يكفون عن سفه القول عامة ، ولا عن الغمز في شخصية الرسول ولا أهله ولا أصحابه .
- وكيفما استطاعوا فهم هدامون للإسلام قديما .
- وهي منهم يسير المنافقون المقلدون . وطالما تكلمنا وتكلم أسلافنا ومعاصرونا
- كانوا فيما بينهم يتناولون الرسول بالغمزات والمطاعن ، فقال قائل منهم - يوما لا تتحدثوا بهذا اثلا يبلغ محمدا ما نقوله ، فيفعل بنا ما نكره .
- فأجابه من أجاب : إذا عرف محمد : أنكرنا وحلفنا له على الكفر ، ومحمد يصدقنا فيما نقول له دائما . لأنه أذن ، يعني يسمع ، ويصدق دون تمييز بين صدق وكذب .
- ولفظ الأذن مبالغة منهم في وصف النبي بكثرة ما يسمعه ، حتى كأنه كله أذن للسمع .

٣ - وفوق ما تقدم من تبرئة النبي ،
ووصفه برسوخ الإيمان ، وإطمئنانه إلى
المؤمنين فهو رحمة من الله بالنسبة للمؤمنين
ظاهراً ، حيث يفسح صدره لهم ، ويتقاضى
عن أخذهم بما يستحقون .

وهو رحمة - كذلك - للمؤمنين الصادقين ،
حيث كان سبب هدايتهم .

غير أنه رحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة .
ورحمة في الدنيا فقط للمنافقين .

وإذا كان النفاق والسفاهة تقيصة منكورة ،
فهما مع الرسول أشد نكراً ، وضاعة .

وما يكون غمراً في الرسول من ناحية شخصه
أو رسالته ، أو أهله ، أو أصحابه : فهو
بالنسبة إلى جانب الله أنبيح من كل قببح ،
لأنه تكذيب صراح لكل ما جاء من جانب الله
تزكية للرسول في هذا .

ولن ينال حمداً شيء من هذا السفاهة : لأنه
في عصمة الله من شوائب النقص ، وفي رعاية
الله أن يعلق به شيء مما يقال على ألسنة السفهاء .

٤ - والله - تعالى - يتولى بجبروته جزاء
السافهين هل رسوله فيقول :

(ج) د والذين يؤذون رسول الله لهم
عذاب أليم .

أرأيت : أن الله يتوعد بالعذاب الأليم
كل من يؤذى عبده ورسوله محمداً ، وإن كان
النبي في نجوة من علوق الأذى به ؟؟

والله تعالى يكشف لرسوله من هذه النجوى
المعقونة ، ويلقنه الجواب الحاسم في قوله :

(ب) قل : هو - الذي تتجسسون عنه
في نجواكم أذن حقاً كما تصفونه ولكم أذن
خير لكم ، يسمع من جانب الله ما يبلغكم
ليهديكم به ، ويعطوا لكم بحمله ، فيصدق
ظاهراً ما تدعونه من الإيمان ، ويقبل
اعتذاركم حينما تعتذرون عن الجهاد ، ويتيسر
لكم أن تجلسوا في مجلسه ، ولا يفضح أمركم
ولا يعاملكم بما تستحقون من تنكيل ..

وهذه مرونة الإسلام في إيماءكم ،
وسياسته في الدهوة إلى الإيمان كما أمر الله ،
حتى تكون منكم توبة وتصديق ، أو يكون الله
شأن فيكم .. وذلك كله خير لكم لو تعلمتم !!

والنبي أعز مكاناً مما تسفمون به ؛ فهو
يؤمن بالله أصدق الإيمان ، فلا يزيغ كما
تزيغون ، ولا يكذب على الله كما تسكذبون .

وهو يؤمن ويصدق المؤمنين غيركم ،
ويستجيب لهم عن طمأنينة .. لأنهم آخذون
بأدب الإسلام .. فلا يتناجون بالسوء ،
ولا يسمعون في سؤال ، ولا يتحللون من
تشريع .

وهذه تزكية للمؤمنين ، وفيها تعريض واضح
ببعض نقائص المنافقين ، فوق ما سمعت له
الآيات من حديث النجوى .

حتى لا يناله الأذى منهم ، ولو عن غير عمد وانظر إلى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي : إلا أن يؤذن لكم إلى طعام ، غير ناظرين إناه . ولكن إذا دعيتم فادخلوا ، فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم واهه لا يستحي من الحق . » إلى أن قال : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ، إن ذلكم كان عند الله عظيما ، »

فهذه آية تزجرهم عن هفوات لم يكونوا يفتنون لها ، حتى لا يدخلوا بيت النبي إلا بإذن ، فإذا دعاهم إلى الطعام ، جاءوا على مواعده دون مبادرة عن وقته كثيرا فإن ذلك مدعاة الانتظار . . وهو غير لائق ، ومدعاة التطلع إلى ناحية الطعام ، وقد يقع النظر على غير ما يراد أن يعرف من شؤون البيت وفي الآية أمر بالانصراف بعد الطعام . . دون إطالة في الحديث . فإن كل ذلك كان يؤذي رسول الله ، لما يجر إليه من المحذور . وخاصة في تلك البيوت الضيقة التي لا تسمح بالمسك لتغير أهلها والنبي كان يخجل أن يصارحهم بالانصراف ، والله لا يستحي من مصارحة عباده بما هو حق ، وعلينا ألا نتحرج من قول الحق .

إن مقام النبوة لا كرم على الله أن يقربه إنسان بسوء فالويل لمن يحاول الغمز في هذا المقام ، ولو بتلويح من منكر القول وزوره ، ولو كان الغمز عن طريق غير مباشر : كأهله ، وأصحابه .

هـ - وقد أفاض القرآن في الثناء على رسول الله ، وعلى أهله ، وأصحابه : حتى لا يستهين إنسان بتوريط نفسه في المساس بجانب النبي - صلى الله عليه وسلم - من أي ناحية تتصل به .

وصفه القرآن بمناقب ثلاث : فقال : « عزيز عليه ما هنتم حرم علىكم . بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فالنبي صلى الله عليه وسلم يثق عليه أن يقع الناس في مخالفة شريعته الحققة ... وهو حريص على تحقيق النفع للمؤمنين ... وهو بالمؤمنين شديد الرفق ، فلا يكلفهم ما يصعب عليهم ولا يختار لهم إلا الأيسر من الطاعات . وهو رحيم بهم ، فلا يواجههم بمكرهه ، ولا يدع سبيلا للياس إلى نفوسهم وإنما يهون عليهم ، ويمنح إلى التيسير في دينهم وفي دنياهم . فمن كانت هذه صفاته فلا يليق الغمز فيه ، ولا الغض من شأن أهله أو أصحابه فهذا يؤذيه .

٦ - وقد كانت للمؤمنين - قديما - بعض هفوات لا يلاحظونها لإزاء الرسول ، ولكن الله عليهم حكما : حفاظا على الأدب مع الرسول

إلى الخير إلا بمحاولة الأخذ بقشريع محمد عليه السلام . فكيف لا يكون النبي أجدر بحبنا له . وإن كانت محبة الإنسان لنفسه أمراً فطرياً فإن هذه الفطرة بحاجة إلى تهذيب وتثقيف ، حتى يعلم المرء ماله وما عليه في جنب الله ، ورسوله .

٨ - وكما أشاد القرآن برسول الله ، وأهله : فقد أشاد بصحابته ، وبشر بعضهم بالجنة وهو على قيد الحياة . . . وشهد لهم بالاستبسال في مقاومة المشركين ، واعترف لهم بوضوان الله عليهم لصدقهم في بيعتهم للنبي تحت الشجرة يوم الحديبية ، ولقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة .

كما أفاض في الثناء على جهادهم معه ، ونصرهم له ، وبذلهم الأرواح ، والدماء ، وتضحياتهم بالأموال ، واحتمال فوقتهم للأهل ، والوطن في تأييد النبي ، وإعلاء كلمة الله . .

وإلى جانب الآيات في كتاب الله : أوصى النبي - صلى الله عليه وسلم - بأصحابه ، وحضنا على الاقتداء بهم في دينهم ، وفي علمهم ؛ لأنهم الأماء على تراث النبوة . . . ولهم في الفضل والتكريم ما يسمو بهم على الغمر فيهم ، أو التشكيك في سياستهم ، وما كان منهم إلا متابعة للكتاب والسنة ، وما اجتهدوا بعد الكتاب والسنة إلا ليمتدوا إلى الحق

٧ - وفي الآية نهي للمؤمنين عامة عن التزوج بإحدى زوجاته ، بعد أن يفارقها الرسول : حياً أو ميتاً . . فيقطع الله ، خواطرها من كان يحدث نفسه بذلك من المسلمين قبل معرفة الحكم ، ويصرح الله في القرآن بأن هذا الإيذاء يعتبر عند الله جرماً عظيماً .

وهل كان يليق بمسلم أن يستحوذ على من كانت حليلة لسيد الناس ، وخاتم رسله ؟ ؟ أو كان يليق بمن كانت في حيازة الرسول أن تنزل عن مكانتها من معاشرة النبي إلى معاشرة من دونه منزلة ، وأبعد من مكانته إلى غير حد يحيط به الخيال ؟ ؟

ولقد رفع الله منزلة زوجات الرسول ، حتى اعتبرهن أمهات المؤمنين ، وليس فوق مكانة الأم سمواً في التقدير ، والصيانة ، والمهابة ، وواجب المحبة الخالصة .

كذلك كان من ثناء القرآن على رسول الله وعلى أهله والنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ، وكان الصحابة يحبونه أكثر من أنفسهم ، ويذودون عن شخصه بأجسامهم ، وأرواحهم ، بما يخافونه على حياته .

فإنه خير للجميع ، وأدلى بالحياة من أى إنسان سواه .

وأما نفس الإنسان فتأمره بالسوء ، وتجنح به إلى الهوى ، وقلبا يكون منها اتجاه

وما رضى واحد منهم لنفسه أن يشذ عن الجماعة : إلا باجتهاد لا يظنه خطأ ، ولا شذوذا .

تسربت هذه الجرأة في التشيع وامتدت عدواها إلى مسلمين معاصرين .

فأخذ بعضهم بسفه ويحدث عن سفة محمد ، ويشكك فيها درن روية ، أو مهابة أو إثارة من علم يعتمد عليها .

فإذا سمعوا حديثاً لا يفهمونه قالوا : غير معقول أن يكون هذا تشريراً للمسلمين ؟ ؟

وإذا وجدوا صحابياً كثير الرواية عن رسول الله قالوا : هذا الصحابي منهم فيما يحدث به .

بل تطاول بعضهم ففشر في الناس كلاماً ينفي فيه أن السنة كلها من عند الله ، ويقرر في جهالة أن الدين الإسلامى قرآن فقط . . وهكذا من إرجاف المرجفين ، فيما يتعلق بالنبي ، أو برسالاته أو بأهله ، وأصحابه .

وكل ذلك إيذاء للرسول بوجه مباشر ، أو غير مباشر .

وإن وعد الله ، ووعيده لحق ، وصدق الله في قوله : « والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » .

عبد اللطيف العبدى

ما استطاعوا وإن يكن لبعضهم مواقف تقسح للنظر والتعليق : فهو اجتهادهم ، ولهم هذرهم . وليس من صالح المسلمين قديماً ، ولا حديثاً أن تثير حول الصحابة خلافاً ، ولا أن نفهم أنفسنا في تلك المقامات التي رفع الله من شأنها وأصبغ عليها رضوانه .

٩ - وإن ناساً من خلق الله تجاوزوا قدرهم ، وتشيعوا لصحابي ، على صحابي ، وخرجوا عن أدب الإسلام ، وتمذهبوا بمذاهب فيها عصبية جاحدة ، وفيها إسراف في الاختلاق ، حتى تجاوزوا توجيهات القرآن والسنة ، وانصرفوا كثيراً عن الصواب .

وحتى رفعوا بعض الصحابة إلى مقام فوق مقام الصحبة ، ونزلوا ببعض الصحابة إلى المقام الدون ...

والصحابة جميعاً كالنجوم بشهادة النبي لهم ، ويجب أن نتق الله فيهم كما أمر النبي بذلك . . وعلينا أن نقفهم بهم ، فإن الاقتداء بهم سبيل التقوى لله ، كما هو الأمر المنشود ...

١٠ - هذا التشيع وما يتصل به من أوضاع عمقوة ، وما تعلق بذلك من تهريج في الدين ، واختراع ما لا يستسيغه العقل من أباطيل الباطنية ، ونحوهم . كان ذلك كله شؤماً هلى وحدة المسلمين ، وكان افتياتاً على أصحاب محمد الذين أقرروا حياتهم في دعم الوحدة الدينية .

وحدة الوجود والفناء في الله وتنازع الأرواح في عفتائد الدين البرهمنى للأستاذ الدكتور علي محمد الواسع والي

وهو أحد شروح « الفيدا » ؛ فيقرر هذا السفر في عبارة صريحة « أن الله والنفس الإنسانية وجميع الكائنات شيء واحد » . وهذا هو ما يعبر عنه بنظرية وحدة الوجود التي سرت إلى التصوف الإسلامي ونظريات بعض فلاسفته وبخاصة ابن عربي الحاتمي والحلاج ، وتفسر عقدم هذه الوحدة على طريقتين :

(أحدهما) أن ذات القديم كامنة في المحدثات متحدة بها ، وهي كلها مظاهر لها ، وهو القائم عليها ، أي المقوم لوجودها ، وبهذا يفسر بعضهم قول الحلاج إذ يقول مينا حقيقة ذاته هو : « ما في الجبة إلا الله تعالى » . وتفسير وحدة الوجود على هذا الوجه مطابق كل المطالعة لعقيدة البرهمنين ، ومشبه للاتحاد الذي تدعيه النصاري في المسيح .

(والأخرى) أن ذات القديم هي الموجودة وجودا حقيقيا ، أما المخلوقات فلا وجود لها إلا في الحس ، وهو وجود وهمي ، ولا يريدون الوهم الذي هو قسم العلم والظن والشك ، وإنما يريدون أنها كلها عدم في الحقيقة ، وجود

تقوم العقيدة البرهمنية الهندية المقررة في الأسفار المقدسة لهذا الدين وهي أسفار « الفيدا » ، وفي قوانين مانوا ، المتحدة من هذه الأسفار على الدعائم الثلاث الآتية :

١ — وحدة الوجود : فالموجود بحق في نظر هذا الدين هو الله تعالى وحده (براهما) وليست هذه الكائنات الامظاهر منه فقد صدرت منه جميع هذه الموجودات ، وسرت روحه في الجناد والنبات والحيوان . وإلى هذا تشير أسفار الفيدا إذ تقول على لسان براهما : « إنني أنا الله نور الشمس ، وضوء القمر ، وبريق الذهب ، وميض البرق ، وصوت الرياح ، والعرف الطيب يذبح في الأرجاء ، والأصل الأزل لجميع الكائنات وحياة كل موجود ، أنا الأول والآخر ، أنا الحياة والموت لكل كائن » . وتقول في موضع آخر : « إن الله واحد لأنه الجميع » (أي جميع الكائنات ، فهي كلها مظاهر منه) فهو رب الأرباب ، مالك العالمين ، وغالق السموات والأرضين ، . وتبدو فكرة الوحدة واضحة كل الوضوح في سفر الفيدانتا ،

لم تحدث في الدور الذي حدث فيه العمل ،
فهي لا بد حادثة في دور من الأدوار التالية
له ، ويعبرون عن هذه الفكرة بكلمة دكارما ،
وإلى هذا يشير العلامة أبو الريحان البيروني
في كتابه القيم الذي ألفه عن الهندومعتقداتهم
وفلسفتهم وثقافتهم وجعل عنوانه هذا
البيت من الشعر :

تحقيق ما للهند من مقولة

مقبولة في العقل أو مرذولة
إذ يقول : دكارما أن الشهادة بكلمة الإخلاص
إيمان المسلمين ، والتثليث علامة النصرانية
والإسبات علامة اليهودية ، كذلك التناسخ
علم النحلة الهندية (يقصد البرهمية) . فمن لم
ينتحلها لم يك منها ولم يعد في جملتها .

ويؤيد هذا القضية بنصوص من أسفارهم
فيقول : تحقيق علينا أن نورد من كتبهم
شيئا من صريح كلامهم في هذا الباب ... قال
باسديو لأرجن يحرضه على القتال وهما بين
الصفين : إن كنت بالقضاء السابق مؤمنا
فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن معا بمسوق
ولا ذاهبين ذهابا لارجوع معه ، فإن الأرواح
غير مائنة ولا متغيرة ، وإنما تترد في الأبدان
على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب
والكهنولة ثم الشيخوخة التي عقبها ما موت
البدن ثم العود ، وقال له : وكيف يذكر
الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية

في المدرك البشري فقط ، ولا وجود في الحقيقة
إلا لله تعالى . ويتفق هذا التفسير كذلك مع
بعض النصوص الواردة في هذا الصدد
في أسفار البرهمنين .

٢ - تناسخ الكائنات وتحوال الأرواح
(الكارما) وتقرر العقيدة البرهمية أن أرواح
الكائنات التي صدرت عن الموجود بذاته

هو الله متجولة متناخضة ، ينتقل بعضها إلى
مواطن بعض ، ويقمص بعضها أجسام
بعض ، وهذا هو ما يعبر عنه بالتناسخ
أو تحوال الروح ، فهم يعتقدون أن الروح
جائلة متنقلة في أطوار شتى من الوجود ،
تنقل من جسد إلى جسد ، سواء أكان من
الإنسان أم من الحيوان ، في طريقها
إلى هدفها الأخير (الذي سنبينه في الدفاعة
الثالثة) ويعتقدون أن كل ما يصيب الكائن
في أية مرحلة من مراحل تناخضه إنما هو
تدريج لمقدمات وأعمال حدثت في مرحلة
ما من مراحل وجوده ، فما يصيب الإنسان
مثلا من سعادة وآلام إنما يكون جزاء
أو نتيجة لأعمال صالحة أو شريفة عملها
في وجوده الحالي أو في وجود سابق ، حينما
كانت روحه مقيمة كائنا آخر ، فكل عمل
يأتيه الإنسان له ثمرة ونتيجته حتما . وهذه
الثمرة لا بد أن تحدث في دور من أدوار
الميلاد المتكررة التي تنقل فيها الروح ، فإن

يسمى « ترجكورك »، وهو النبات والحيوان غير الناطق : يتردد الروح في أشخاصها بالتناسخ إلى أن ينتقل إلى الإنسان، على تدوير من أدون المراتب النائية إلى عليا المراتب الحساسة . وكونها فيه على أحد وجهين : إما لقصور مقدار المكافأة عن محلي الثواب والعقاب ؛ ولما لرجوعها من جهنم . فعندهم أن العائد إلى الدنيا « من الجنة ، متأنس في أول حياته . والعائد إليها من جهنم متردد في النباتات والحيوان إلى أن يبلغ مرتبة الإنسان . أى إن أرواح الناس في حياتهم الأولى تكون في المنزل الوسطى وهى منزلة العمل والكسب فإذا ماتوا انتقلت أرواح الخيرين منهم إلى الجنة « المنزل العليا ، تستوفى فيها جزاء العمل مدة مضروبة بحسب قدر العمل وكثاله ، وانتقلت أرواح الخاطئين منهم إلى جهنم « المنزل السفلى ، تستوفى فيها كذلك جزاء عملها مدة مضروبة بحسب مبلغ جرمها وبعد اسقيفاء جزاء عملها في الجنة أو في النار تنتقل الأرواح الخيرة من الجنة إلى آدميين آخرين فترجع إلى المنزل الوسطى ، وأما الأرواح الخاطئة فتنقل من النار إلى الحيوان والنبات ، ومنزلة الحيوان والنبات منزلة رابعة فير المنازل الثلاث السابق ذكرها ، تستقر فيها في بادئ الأمر الأرواح غير الآدمية لأنها قاصرة عن المنزل الوسطى ومن السمو

الوجود ، لا هن ولادة ، ولا إلى تلف وعدم ، بل هى ثابتة قائمة ، لا سيف يقطعها ، ولا نار تحرقها ، ولا ماء يغصها ، ولا ريح تبيسها ، لكنها تنقل من بدن إلى بدن إذا عتق . بمعنى قدم أى أصبح قديماً ، لا يصلح لاحتمال الروح ، نحو آخر ليس كذلك ، كما يستبدل البدن اللباس إذا خلق « أى بلى ، فاعليك لنفس لا تبديد ١٤ » .

وأما الطريقة التى يجرى بها هذا التناسخ فتصل من بعض وجوها بعقيدة البرهمنيين في الجنة والنار . ويشرح البيروني عقيدتهم هذه مبيناً اتصالها بمذهبهم في التناسخ إذ يقول :

المجمع يسمى « لوك » . والعالم ينقسم قسمة أولية إلى علو وسفل وواسطة . فيسمى العالم الأعلى « سفر لوك » ، وهو الجنة ؛ والعالم الأسفل « ناكلوك » ، أى مجمع الحيات وهو جهنم ، ويسمى أيضاً « نزلوك » ، وربما سموه « باتال » ، أى أسفل الأرضين ؛ وأما الأوسط الذى نحن فيه فيسمى « مادلوك » ، و « مانش لوك » ، أى مجمع الناس . والأوسط لا كفساب ؛ والأعلى للشواب ؛ والأسفل للعقاب . وفي هذين الأخيرين يستوفى جزاء العمل من استحقهما مدة مضروبة بحسب مدة العمل . والكون في كل واحدة منهما للروح مجردة عن البدن . وللقاصر هن السمو إلى الجنة أو الرسوب إلى جهنم « لوك » ، آخر ،

على طريق التناسخ وتجوال الروح ، ثم تعود في النهاية إلى الله متى جاء الأجل ، كالقطرة من الماء المذب ، تصعد بخارا من البحر ، وترقى في السماء ، وتفتقل من جهة إلى جهة ، وقد تتحول إلى قطع من الثلج أو البرد أو غير ذلك ، ثم تسقط على قمم الجبال ، وتجري في الأنهار ، ثم ترجع في نهاية مطافها إلى البحر الذي انفصلت عنه في أول الأمر .

أو كالماء الحبيس في قنداق مقلوب - حسب تشبيه أصفارهم نفسها - يظل منفصلا عن الهواء الخارجي وإن كان منه ، حتى يتحطم القنداق ، وحينئذ يزول الفاصل بينهما ويتحدان .

فصير كل إنسان هو الاتصال بالله والرجوع إليه والفناء فيه . ومن ثم وجب أن يتجه كل إنسان ، في أثناء حياته نفسها إلى غاية المقررة له ، وهي الفناء في الله . وخير وسيلة لتحقيق هذا الفناء تتمثل في إهمال مطالب الجسم وتعذيبه لتصفو الروح التي هي قبس من الخالق ، ولإعراض عن متع الحياة والتعفف ، ومداومة العبادة ، والإكثار من الصوم بوجه خاص لما يتضمنه من حرمان الجسم من حاجاته الضرورية .

وقد انتقلت هذه العقائد والنزعات إلى التصوف الإسلامي ونظريات رجاله ، وما يأخذ به الصوفية أنفسهم من التعفف وتعذيب الجسم والعزوف عن متع الحياة ولذا أُنْذِرنا بقية المشور على الصفحة التالية

إلى الجنة وعن الرسوب إلى النار ، وتستقر فيها كذلك أرواح الآدميين العائدة من جنهم . وهاتان الطائفتان من الأرواح المستقرتان في الحيوان والنبات تتجولان في أشخاص الحيوان والنبات بائتناسخ إلى أن تنفثا إلى الإنس على تدرج من أدنى المراتب النامية إلى عليا المراتب الحساسة ، فتصبجا في المنزل الوسطى ... وهكذا دواليك . فالثواب والعقاب هندم في الجنة والنار إنما يكونان للروح وحدها مجردة من البدن ويكونان مؤقتين لأجل محدد لا دائمين .

وقد انتقلت عقيدة البرهمنين في التناسخ إلى كثير من العقائد الدينية الأخرى ، وتركت رواسب في « الفولكلور » في كثير من الشعوب ، حتى الشعوب الإسلامية نفسها ، فكثير من عامة المصريين أنفسهم ، وخاصة في الريف ، يعتقدون انتقال أرواح النائمين والموتى إلى بعض الحيوانات والحشرات .

٣ - رجوع الأرواح إلى مصدرها الأول وهو الله والفناء في ذاته . تقرر العقيدة البرهمنية أن روح كل كائن تعود في نهاية مطافها إلى مصدرها الأول الذي نشأت منه وهو الله . والإنسان أحد هذه الكائنات ، فيعرض له ما يعرض لها ، وروحه قطرة من نور الله انفصلت عن الله إلى أجل محدود ، واتصلت به ، ثم تنصل بعده بـكائن آخر وآخر وهكذا

من أبحار العلماء : عالمٌ مثاليٌ يتحدّى ابنَ طولون للأستاذ محمد رجب البيومي

والعزل ، والإدارة والحكم ، مهدت له
الدسائس السود ، لتجعله بين عشية وضحاها
في غياهب السجون ! ثم يختار أمير ضئيل
من بني العباس ليصير دمية أخرى يتلاعب
بها الأتراك كما يشاءون !

هكذا كان جنود الأتراك ! ولكن ابن طولون
قدر له أن يشب على رياضاتهم الحربية فيلتقي
معهم في مضمار الصيال والعراك ثم ينفرد عنهم
في ثقافته الدينية فيدرس القرآن والحديث
ويتأثر بما تهديه إليه روح الإسلام من
إنصاف وعدالة وإبشار للخير والمعروف !

كان أحمد بن طولون استثناءً واضحاً بين
أبناء جنسه ، فمهدنا بجنود الأتراك منذ عهد
المعتصم لا يفيثون إلى خلق فاضل ،
أو يمتصمون بدين قويم ، فهم يربون تربية
رياضية تقسوم على الشجاعة والفروسية
وتركن إلى أساليب الاحتيال والدهاء ،
ومن يصل منهم إلى مكان القيادة في القصر
يوجه اهتمامه إلى المسكيدة والاعتبار ، وينظر
إلى الخليفة العباسي كدمية صماء يحركها
أنى أراد ، فإذا عن له أن يضع الأمر في
نصابه أو يتمسك ببعض حقوقه في التولية

و بقية المنشور على الصفحة السابقة ،

نحن من رسول الله وقد غفر له ما تقدم من
ذنبه وما تأخر ؟ ! قال أحدهم : أما أنا فأصلي
الليل أبداً . وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر
أبداً ولا أفطر . وقال ثالث : وأنا أعزل
النساء . ولا أنزوج أبداً . فجاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال : أتم الذين قلتم كذا وكذا ،
أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له ؛ ولستكني
أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأنزوج
النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني .

دكتور علي عبد الواحد وافي

ومداومة العبادة والتجود والإكثار من الصوم
وقد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام نهياً
صريحاً عن هذه المناهج المتطرفة في التدن ؛
فقال عليه السلام : « إن هذا الدين متين ،
فأوغل فيه برفق ، إن المنبت لا أرضا قطع
ولا ظهراً أبقى » ، وفي الصحيحين عن أنس
ابن مالك أنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت
أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون
عن عبادته ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها
(أى هدوها قليلة في نظرهم) ؛ قالوا : أين

فهنالك من يتألمع إلى مكانه وقد أخذ على عاتقه أن يجمع المال ما استطاع !

جاء ابن طولون إلى مصر وهو حرج الصدر ضائق النفس بما يقوم به أبناء جنسه في قصور الخلفاء ! وقد هز عليه أن توكل لهم الأمور العليا في سياسة الإسلام ثم لا يكرنوا سادة كراماً يتقيدون بالموائيق ! بل يتحولون إلى وحوش متتمرة تتصارح في الظلام وقد يأكل بعضها بعضاً دون شيم أو إباء ! وهم يعدلوا بأفضل منه في شيء حتى يصدر عن إرادتهم ! ولو كان الخليفة العباسي مسموح الكلمة نافذ السلطان لوجب طاعته ولكنه غائر مسقلم لمن يسومونه الذلة والهوان ! فلا عليه أن يتزحزح عن كابوسهم الثقيل فيعهد الأسباب إلى استقلاله وانفصاله !

وهو من الحرص والحذر بحيث يستطيع أن يرسم الخطة البعيدة لتصل إلى الغاية متى تباح دون استعجال ... درس الحاكم أحوال الإقليم . وقد استطاع في زمن يسير أن يهدئ الفتن ويسكن الثورات ، ثم حمل بدهائه على أن يجمع في يده أمور البريد والخراج ، فلا تستطيع الرسائل المغرصة أن تنشأ به عن طريق التلصص والوشاية ، ثم ليجمع من المال ما يسد ببعضه أفواه الطامعين في بغداد ، ويدشئ الدولة الجديدة بالبعض الآخر ، وقد واثته الأقدار بما يريد ، فجذ من الحوادث السياسية ما ساعده على إبعاد صاحب البريد

وقد ساعدت هذه الصفات النبيلة على تدعيم مكانته عند الناس ، فكان أبناء جفسه من الأتراك يشقون في كرامته فلا يظنون فيه التآمر والإيقاع ، وإذا هم أحدهم بمكيدة ماتحاشى أن يلم بسرهارجل همام كابن طولون فيكون أداة لتعظيمها وهو نا عليها لا لها ، أما أمراء العباسيين وخلفاؤهم فقد ركنوا إلى رجواته ، فحين خلع المستعين بالله وأبعد إلى منفاه ألح في اصطحاب ابن طولون ليكون حارس غربته ورفيق وحشته !

فقام على حراسته مقاماً كريماً ، ثم جاءته إشارة شاذة من رؤسائه بالعمل على تدبير مصرعه ! فتماظمه أن يكون غادراً بمن وثق فيه وأبى أن يخضع لما يريدون ! وكان أن اعتزل الحراسة ونيط بالمستعين سواء ليهدر دمه بعد سريعات ! وعاد ابن طولون إلى مقر الخلافة نظيف الخلق طاهر الضمير !

وقد تبسم له الحظ لبعض المصادفات السارة فاحتير والياً على مصر من قبل سواه ، ولم يسكن في وهم أحد أن هذا الفتى التركي سيدشد عن ولاية الأقاليم في عهد الخلافة العباسية ! فقصر راء أن ينهض على تحصيل الضرائب ، وصوق الأموال إلى عاصمة الحكم ! فإذا أحب أن يثال حظوة لدى الحاكمين ببغداد ضاعف الخراج وأجزل الهدايا من الفضة والنضار ، ليضمن بقائه أضعاف أعوام في ولايته ! وإلا

غير الضجيج الصاخب ، فيعلن عصيان ابن طولون ، ويجاهر بلعنه على المنابر ، وخروجه على الدين !

ماذا يصنع ابن طولون وقد جاءت الأنباء أن اسمه يذكر مشيعاً بالاعتات على منابر الجمع في كثير من مساجد الإسلام ! لقد ساقه تفكيره إلى الدعوة إلى خلع الموفق من ولاية العهد والجهر بلعنه على منابر مصر والشام ! وأعد مؤتمراً من العلماء والوجهاء فأصدر قراره بخيانة الموفق وأهله ! وظن ابن طولون ألا يشد أحد في ولايته عن رأيه ولكن فوجيء به ألم خطير يعارض قرار الخلع ، ولا يجد لابن طولون حقا في إصداره ذلكم هو القاضي الفقيه بكار بن قتيبة ! فقد استطاع أن يعلن رأيه المعارض دون أن يرهب أحداً ولو كان ابن طولون !

على أننا نقرأ ما دون من تاريخ هذا القاضي فنعجب لشعوره الديني المرفه ، إذ رزق حسامية بالغة جعلته يستعمل مواقع الزلل في الأحكام ! ! كان نظام القضاء على عهده بداثياً يدخل المدعى فيعرض شكواه ويحضر شهوده ثم يستمع القاضي وينظر فإذا ارتاحت نفسه إلى حكم أصدره مستنداً إلى الدلائل ، وتنتهي المسألة عند ذلك ، ولكن بكاراً كان يدور كل يوم جميع ما يصدر من أحكام ثم يتفرغ في المساء إلى مراجعة أعماله ، ومحاسبة نفسه ليستدرك

وطرد صاحب الخراج ! وأصبح بذلك رجل مصر دون منازع ، فاتجه إلى تكوين جيش عربي كبير وأسطول بحري قاهر ، واحتك من النفوذ ما أعانه على أن يخلع قتاب الحذر عن وجهه فيقف من بغداد موقف القرن ! لم تسكت الخلافة عن طموح ابن طولون ! فقد كان الموفق ولي العهد صاحب السلطة الفعلية ببغداد ، جمع حوله الأتراك بما بذل من إقطاعات ومناصب ووعود ، وصار موضع الأخذ والرد ، وأخوه المعتمد أمير المؤمنين لا يملك من الأمر سوى القب وحده ! وقد تعاظم الموفق أن يقدم ابن طولون على الاستقلال ، وفهم الرجل على غير حقيقته ، فظنه ضعيفاً مغترأ لا يثبت لصدام ، وأرسل إليه خطاباً يوحى بالتهوين والتحقيق والاستعلاء ! ثم دعاه إلى تقديم الحساب والنهوض إلى بغداد في رهبة وامثال ! وقرأ ابن طولون كتاب الموفق وابتسم ! وكأأنه أراد أن يغمزه من مكن ضعفه ، فرد عليه بأن ولي العهد قد خلع الطاعة حين حاصر الخليفة الشرعي وسلب سلطانه ، فهو في رأيه حاص ناشز مغتصب يقبوا مركزاً يستلبه بالقوة لا بالحق ، وأولى به أن يذعن لأخيه بدل أن يطمح إلى مصر ! وليس له الحق في بغداد ، فضلاً عن التناول إلى غيرها من الأصقاع ! وكان حتماً أن تدور الحرب بين الرجلين ثم ينهزم الموفق فلا يبقى لديه سلاح

بكار كفا بكف وصاح إن الله ولنا إليه راجعون
أيقال قاض عفيف، فسدت الدنيا ! وكأنه
يرى العفة أمرا بدهيا مقررأ لا ينص عليه
في جواب ! فإذا تميز بها بعض القضاة دون
سواهم فقد حق البلاء ! ومن طرائفه في ذلك
أنه قال في أحد مجالسه : ما حلت سراويلي
على حلال قط ، يريد أنه لم يتزوج على
الإطلاق فقال أحد الحاضرين ولا على حرام
أيضا فصاح غاضبا : يا سبحان الله ! والحرام
يذكر كأنه أمر يتوقع . . .

على أن تطرفه في المحاسبة كان ياجئه إلى
ما يشبه التزمت وهو بعد غير مستغرب من
فقيه دقيق يستمول حرمة القضاء ويرى أن
القاضى يذبح نفسه بغير سكين ، قدم عليه بمصر
رجل من أهل البصرة كان رفيقه أيام الطلب
بمساجد العلم هناك فأكرمه واحتفى به احتفاء
عرفه الناس ثم احتجج إلى شهادة لديه فشهد
عند القاضى مع رجل مصرى فتوقف عن
الحكم وظن الناس أنه لا يقبل شهادة المصرى
فسئل في ذلك فكان عجيبا أن يقول : المصرى
على عدالته ولسكنى السبب هو صديقه البصرى
فقد أكل معه في الصغر أرزا في سمن وعسل
فنفذ العسل من ناحية بكار فتفتح من جهة
صاحبه هذا حتى جرى العسل نحوه فقال
البصرى متضاحكا : « أخرقتها لتغرق أهلها ،
فعلت أنه يهزأ بالقرآن في مثل هذا ، وبقي
ذلك في نفسى حتى ردت شهادته . . . »

ما فاتته إن عن له بعض الرأى فيما كان !
وقد بلغ من تقديره مركزه القضاى أن دموعه
كانت تغلبه حين يشتهه الأمر عليه فيستعين
بصلاة الليل ليألمه الله السداد ، قال أحمد
ابن سهل الهروى : كنت ألزم غريما لى
إلى بعد العشاء الآخرة ، وكنت أسكن جوار
بكار فانصرفت بعد العشاء إلى منزلى فإذا هو
يقرا بصوت عال : يا داود ! إنا جعلناك خليفة
فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع
الهُوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون
عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب ، فرقفت أسمع إلى تلاوته المعجزة
طويلا ثم انصرفت فتمت فى السحر على أن
أصير إلى منزل الغريم فإذا بكار يقرأ الآية
ويبكى ، فعلت أنه كان يقرأها طول الليل !
هذه الحساسية البالغة كانت تجعله يحفظ
للقضاء حرمة ويرى القاضى رجلا مثاليا
يرتفع عن الميول والأهواء ويتخلق بأرقى
ماسنه الإسلام من نبيل السجايا ورفيع
الصفات ! قدم عليه قوم من أصحاب الحديث
يروون عنه وكان محدثا إماما فى فنه يعرف
مواضع الجرح والتعديل فى السند ووجوه
الضعف والقوة فى المتن ، وفيض فى ذلك
بما ينبنى عن رسوخ أصيل فيما يروى عن
رسول الله - فسألهم قاضى من أى البلاد
أنتم فقالوا من الرملة إحدى مدن فلسطين
فسأل ما حال قاضيك فقالوا : عفيف ! ف ضرب

لأن ذلك ضعف البشر وانهم يارهم فابتسم للرجل وحظى عنده بعد ذلك !!

إن رجلا مهييا كيكار لا ينظر إلى الخلاف بين ابن طولون والموفق نظرة تتعلق صاحب الأمر في بلده بل نظر إليه من وجهة الحق كما يلوح في نفسه ! فقد أدرك لغوره أن الحكم بخلع الموفق من ولاية العهد بعد أن أسندت إليه لا يرجع إلى ابن طولون وحده حتى يتصدون سائر عايا الخلافة العباسية أمرا خطيرا كذلك الأمر ! وهو بعد أن يعقب غير فتنة مساحة حمراء تقوم بين القاهرة وبغداد تسيل من ورائها أنهار الدماء وتتساقط آلاف الرقاب !! ثم إن خلع الموفق لن يغير من الأمر شيئا فسيخلفه إنسان على شاكلة ، وسينفتح مجال التآمر والدسائس لرؤساء القصر العباسي من جنود الأتراك وزعمائهم ؛ فإذا كانت مصلحة ابن طولون الشخصية تقتضى خلع الموفق فإن ما يعقبه من أهوال تشيب لها الرأس يحتم على القاضي أن يجاهر بالمعارضة ؛ فليعلم ابن طولون استقلاله عن خداد كإشياء ، أما أن يحرض على التبعية الاسمية في ظل خليفة دون ولي عهده فهذا ما تنسج له نوافذ الشر فيندلع اللهب ويحترق الناس .

طعن الأمير في آماله حين واجهه بكار بالرفض الصريح ! ووقع ابن طولون بين عا ملين إما أن يرجع عن خلع الموفق فيثبت بذلك سيطرته الشرعية على حكمه ويصبح

هذه طرائف تنبئ من تحرره المفرط الذي جاوز كل حدا وطبيعي أنه لم يكن يختص به فريقا دون فريق فقد كان يلتزمه مع ابن طولون نفسه دون تخرج أو خشية : مات رجل وعليه دين الأمير فطلب عامل المخرج من أحمد بن طولون أن يأمر القاضي ببيع داره فأرسل ابن طولون إلى بكار في ذلك فقال حتى يثبت عليه الدين فأثبتوه وسألوه البيع فقال حتى يثبت عندي أنه ملكه ، فأثبتوه وسألوه البيع ، فقال حتى يحلف من له الدين فجاء ابن طولون وحلف أمامه فقال بكار أما الآن فقد أمرت بالبيع .

وقد كان ابن طولون يعمل من مواقف القاضي الصريحة أنه لا يهابه في شيء بل يجهر بالحق على رؤوس الأئمة لكان في مجلسه ذات مرة فتخاصم رجلان فقال له أحكم بينهما فنظر في القضية وتوجهت اليمين على أحدهما فاستحلفه فلما فرغ قال له الخصم : استحلفه أيها القاضي برأس الأمير فصاح بكار غاضبا : يا هذا قد حلف بالله وهو أعظم من الأمير فقال بل استحلفه برأس الأمير فقال له بكار تحلف برأسه فقال الرجل لا ، فصاح القاضي يا عدو الله تحلف بالله خالق السموات والأرض وتمتنع أن تحلف برأس مخلوق مثلك ، وأخذ ينظر للأمير وهو يقلب كفا على كيف ! ولا ندرى كيف أدرك ابن طولون

الحديث إلى أحمد بن طولون أن يأذن لهم في السماع منه فأذن لهم ، فكان يحدّثهم من طاق المحبس وهم من حوله يسمعون فيسكتون . وإذا كان الموت نهاية كل شيء فقد مرض ابن طولون مرضه الأخير ، وأخذ يراجع أعماله في لحظاته الحاسمة فكان شيخ بكار في سجنه يؤرقه ويأخذ عليه منافذ السماء والأرض فأمر بنقله إلى دار خاصة به وكأنه بذلك يسكتني بتعديده لإقامته كما تقول في عصرنا الحديث ثم هاجت نوازعه ، فسكتب إليه يستعله ويستغفره فجاء ورد بكار يقول : أنا شيخ كبير وأنت عليل مدنف والملتقى قريب والحكم الله . فكان ابن طولون في احتضاره يبكي ويردد هو شيخ كبير وأنا عليل والملتقى قريب والحكم الله !! ثم بلغ السكتاب أجله ، فمات الوالي وأعقبه بكار بعد أربعين يوما من وفاته ! وكان الملتقى قريبا كما حسب القاضي وواقفه الأمير !!

لقد قرأت تاريخ ابن طولون فأعجبت به ، ولكن إعجابي ببكار يدفعني أن أخفي رأسي لذكراه ، وأن أستمطر رحمت السماء على بطل نزيه جاهد فصبر ، وامتنع ففسكر . . . وهكذا الرجال .

رحم رب البيومي

المدرس الأول بدار المعلمين بالفيوم

في نظر العامة عاصيا مجاهر بالشره ويدعو إلى العناد ! ولما أن يقتصر من بكار على ورعه وتقواه ! ونحن نفهم الآن أن أسطورة التبعية للخلافة العباسية بمنهجها الوراثي أبما عن جسد لا تمت إلى الإسلام فلا على ابن طولون أن يشذ عليها دون أن يحتاج إلى سند من أمير المؤمنين ! ولكن ما نفهمه الآن في القرن العشرين من هذه المسألة لم يكن واضحاً مفهومًا لدى العامة من المسلمين حتى تغير الزمن وزالت غشاوة السيطرة الوراثية عن العيون فتبينت الحقائق كما يجب أن تكون وهذا ما لم يتيسر لابن طولون في زمنه ولعله كذلك لم يسكن واضحاً بمعناه الصريح في حمل بكار ! ولقد كان من نقيضة هذا الموقف المتأزم بين القاضي وابن طولون أن غضب عليه غضبا شديدا ، فضربه بعود من حديد وأمر بتمزيق ثيابه وسحب على وجهه مسلوب الجلباب ثم أودع السجن ومكث أياما في مكان ضيق لا يستطيع أن يمد به رجله ثم نقل إلى محبس آخر أكثر راحة ! وما يذكر أن القاضي كان يحافظ على الصلاة سننا ونوافل في محبسه وكان يلزم نفسه حين تأتي صلاة الجمعة كل أسبوع أن يقتل ، ويلبس ثيابه ويحجى إلى باب السجن فيرده السجنان ويقول أعذري أيها القاضي فما أقدر على إخراجك فيصيح بكار متجها إلى السماء اللهم فاشهد لقد صنعت ما على ! وقد طال محبس القاضي فطلب أصحاب

عناية الإسلام بتربية الناشئين للأستاذ عبد الرحيم فوده

في المجتمع فهم طور من أطواره ودور من أدواره ، وصوره من صورته في مرحلة من مراحل حياته ، ثم إنهم إذا كانوا أطفال اليوم فهم رجال الغد . وبمقدار ما يبذل من العناية في إهدادهم وإرشادهم . وتغذية مواهبهم وتزكية نفوسهم وتربية نوازع الخير فيهم يكون حظنا وحظ المجتمع في المستقبل منهم بل إن ما يرجى منهم ويؤمل فيهم مع العناية بتربيتهم تربية صالحة وتوجيههم توجيهاً سليماً يهون أمامه كل جهد ، ويسهل بجانبه كل صعب ، بل تعذب في سبيله كل تضحية ، فهم كما قال الشاعر :

ولنما أولادنا ينفذا

أكبادنا تمشي على الأرض
وعملنا معهم ينبغي أن يكون على الصورة
التي نلحها من قوله تعالى : « كزرع أخرج شطاء فآزروه فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » .

فإن النشء بالنسبة إلينا كالشوط بالنسبة إلى الزرع ، يخرج من أصوله فراخاً صغيرة فتؤازرها أصولها وتمدها بالماء والغذاء حتى تنموا وتغلظ وتمتد وتقدت . ثم تستوى على

لا شك أن هدف التربية السليمة هو إهداد الفرد جسمياً وعقلياً وخلقياً ليسكون لبنة صالحة في بناء المجتمع ، وخلية حية في جسم الأمة ، وتربية النشء لهذه الغاية واجب اجتماعي كبير يشترك في تبعته والتعاون عليه كل بيت وكل مدرسة وكل جهاز من أجهزة الإلهام والتوجيه في الدولة ، بل إن المؤمنين والمؤمنات بمقتضى إيمانهم كما يقول الله فيهم : « بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، فهم - جميعهم - مطالبون بأن يتولى بعضهم بعضاً بما يصلحه ويستقيم عليه أمره . وتطيب به حياته .

ولا شك أن الأبناء والبنات بالنسبة لآبائهم وأمهاتهم وجودهم الممتد ، وحياتهم المتجددة ومهمهم الموصول ، ومستقبلهم المأمول ، وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ، وقال تبارك وتعالى : « والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ، أما مكانهم

وتأديهم وتهيئة الجو الصالح لهم ، وتوجيههم إلى ما ينفعهم وينفع مجتمعهم ، ويفهم من قول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا . . أن على كل مسئول أن يقي نفسه وأهله من سوء بحسن التربية وسلامة التوجيه والتزام أحكام الدين .

أما واجب المجتمع نحو الناشئين مثلث في الدولة أو الحكومة وأولى الأمر فيمكن أن نلاحظه أو نلاحظ جانباً منه فيما كان يعمل عبر رضى الله عنه بأزاء تربية الناشئين ، فقد فرض لكل مولود لقيط مائة درهم من بيت المال كما فرض لكل مولود من زوجين ، ولم يأخذ الأبرياء من اللقطة بظلم المجرمين من الرجال والنساء ، وكان ذلك استجابة لما يفهم من توجيه القرآن الكريم إذ يقول الله فيه :

« فإن لم تعلموا آباءهم وإخوانكم في الدين ومواليكم ، أما اليقيم - وهو من فقد آباءه ولم يبلغ مبلغ الرجال - فشأن العناية به في الإسلام أشهر من أن يذكر وبكفي في الإشارة إليه أن نذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا . . (وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما) . وقد قال الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بعد أن ذكره بفضل في حال يتيمة : « فأما اليتيم فلا تقهر » ، وقال الإمام محمد عبده في تفسيره لهذه الآية : ولو علم الناس ما في إهمال تربية

سوقها ، وتزهر وتثمر ، فيكسرها الخير ويعظم الرخاء .

ولا شك أن مرحلة الطفولة هي المرحلة الخصبة المناسبة لتربية الشخصية السوية وتوجيه الغرائز والميول . وتهذيب الآذواق والأخلاق ، فإن الطفل كما يقول علماء النفس كالعجينة اللينة ، يشكلها الإنسان كما يشاء ، أو كما يقول الإمام الغزالي رحمه الله أمانة عند والديه . وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، فهو قابل لكل ما ينقش عليه . ومائل لكل ما يمال به إليه ، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه ، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شق وهلك ، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له .

فالشر الذى يفسد من إهمال التربية لا يقع على الناشئين وحدهم ، وإنما يتعداهم إلى المربين من أهلهم وذويهم وأولى الأمر فيهم ، والجرائم التى تسكد صفو المجتمع ، وتعكر جوحياته إنما ترجع أولاً وآخراً إلى سوء التربية ، أو إلى إهمال أمر الناشئين وتركهم مع قرناء سوء بخاطونهم ويتأثرون بهم وينهجون نهجهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت ، والتضييع كما يكون بالتقصير في توفير القوت للأطفال أو العيال يكون بالإهمال في تهذيبهم

ما يجب أن يكون عليه الآباء والأمهات في البيت . والمعلمون والمعلمات في المدرسة ، كما يظهر . ما ينبغي أن تتوخاه أجهزة الإعلام فيما تعرضه من صور وأفلام ، وقصص وتمثيلات . وروايات وأغنيات . فإن لهذه الأجهزة تأثيراً خطيراً في سلوك الناشئ ، وكيان الأسرة ، وحياة الأمة ، ولا شك أن المجتمع العربي والإسلامي . يستألف حياة جديدة . ويستهدف قima عالية يستعذب في سبيلها الكفاح والعرق والارق وبذل الأرواح ، وواجب المشرفين على هذه الأجهزة يتقاضاهم أن يقننوا لهذا الدور الخطير ، وأن يتعهدوه بما يزيه ويقويه ويعينه على بلوغ أهدافه ، وأن يباهدوا بينه وبين عوامل الإغواء والإغراء والتحلل والتبذل ، وأن يذكروا قول الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحميمكم ، وقول الشاهر الحكيم :**

ولا يبلغ البغيان يوما تمامه

إذا كنت تبنيه وغيرك يهضم

عبد الرحيم فودة

الأيام من الفساد في الأمة اقدروا عناية الله بأمرهم في كتابه قدروها ، وابدلوا من سعيهم ومن ما لهم في إصلاح حال الأيتام كل ما استطاعوا ولو أحس كل واحد بأن الموت قريب منه ، وأنه هدف لنباله . لا يدرى متى يأخذه عن ولده فيتركه إما غنيا يأكل ماله الأرضي . أو فقيراً يستنذله الأديان . لتسابقوا إلى تقويم أمر اليتيم تسابقهم إلى القذة والنعم .

وتبدو عناية الإسلام بتربية الناشئ فيما أوجبه على الأم من رخصة الطفل ، وما أوجبه على أبيه من النفقة عليه حتى يستطيع الكسب ، وما أوجبه لأمه من حق حضائنه رعاية لصحته وتوفيرا لأسباب راحته ، هذا إلى ما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم : **(أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم)** . وقوله عليه السلام : **(ليس منا من لم يرحم صغيرنا)** ، فإكرام الأولاد وإحسان أدبهم ، والرحمة بهم في المكانة الأولى من اهتمام الإسلام ، وإذا كانت القدوة الحسنة والأسوة الطيبة أكبر مؤثر في سلوكهم لأنهم في هذه الفترة من حياتهم مولعون بالتقليد والمحاكاة . ظهر لنا مدى

حَكْمُ اللَّهِ وَحَكْمُ الْفَقِيهِ

للأستاذ محمود الشرقاوى

طاق لا تحمل لك حتى تزوج آخر وتطلق منه
واسقنجد بغيره من د طلبة العلم ، والعارفين
فقالوا له مثل مقالة المأذون ، وكلهم قال له :
هذا حكم الله ...

ثم صاح الفلاح الشيخ : يا سيدى الشيخ :
يبنى وينخرب ، لو خرجت منه زوجتى وحياتى
تنتهى إذا فارقتنى ، والموت خير لى من أن
أراها تعيش يوما واحدا فى بيت رجل آخر .
وقال له أبى وهو يعايشه ويضحك : أحبا
أيها الرجل العجوز ... ! فأسرع يجيب : نعم
أحبها ، أحبها ، زوجتى وأم أولادى .
د شوف لك طريقة يا سيدنا الشيخ .. !

فقال له أبى : هون عليك يا شيخ حفتى
عد إلى زوجتك فراجعها وأصدها لعصمتك
كأنه طلاق واحد ، وكان الرجل لم يصدق
أن هذا المشكل ، يفتى بهذه السهولة وهذا
اليسر فصاح بصييح يا سيدنا الشيخ ... وأجابه
أبى : نعم صييح وأنا أفتيك ، ولكن
لا تعد لمثلها .

وخرج الشيخ حفتى مهرولا مسرورا
وعاش بعد ذلك سنوات طويلة زوجا وأبا
وجدا مبارك الذرية .
وبقيت دهرًا طويلًا تعجب كيف أفتاه

كلما هممت بكتابة هذا البحث أو فكرت
فى موضوعه ذكرت قصة من أيام الطفولة
شهدتها فى بيتنا قبل دهر طويل .

كننا نقضى إجازة الصيف فى القرية ، وكان
الناس يتوافدون على البيت يجلسون إلى أبى
على المصطبة ، أو المنطرة ، يستمعون إلى
ما يلقى عليهم من حديث الفقه والدين ،
ويسألونه فيما يريدون من فتيا ، وقد يشكون
ما يلحقون من تعب د الفلاحة ، وشح الماء
ويطلبون إليه الدهوات الصالحة ، لأولادهم
وعاصيلهم حتى يباركها الله . وكنت كثيرًا
ما أجلس وأسمع وأشارك بقلبي وعقلي .

ودخل فى إحدى الليالى رجل شيخ بعد أن
انصرف الناس ، دخل مسرعًا ملهوفًا كأنما
يفزعه شيء . فلما استقبله أبى قال يصيح :
أنقذنى يا سيدى الشيخ وخذ ييدى وأنقذ
بلى من الخراب .

وكانت قصته ، كما حدث بها أبى ، أنه اختصم
مع زوجته ، فلما غاضبته قال لها : د أنت طالق
ثلاثًا ، وكان ذلك بالأمس . وتسامع الناس
بذلك فأخذتهم الدهشة وعلام العجب : بعد
هذا العمر الطويل وهذه العشرة الهنية ...
وذهب إلى المأذون ، فقال له : زوجتك

وخطورة الأمر هنا أن أكثر المفتين والعلماء إذا سألهم سائل عن حكم الله، كما اعتاد الناس أن يسألوا، أفقوم برأى هرفوه أو قرءوه لا يعرفون غيره، وقد يكون هذا الرأى أصبح لا يسير روح العصر ولا يحقق صوايح الناس، وغيره، مما قال به الأئمة والعلماء أيضاً، هو الذى يسير ويحقق الصوايح ولكن المفتين والعلماء لا يعرفونه ولا يحشون أنفسهم أقل عناء في البحث عنه أو التفكير فيه، ويقف السائلون المستفتون حيارى ضيقة صدورهم أمام هذا القرار الحاسم: «حكم الله»، كما سمعوا من وصفه. ولكن الأمر كما نرى بعد نهاية البحث يختلف جداً.

ذلك أن العلماء من سلفنا كانوا يخشون الله ويهابون أمانة العلم، وكانت هذه الخشية وهذه المهابة تجعلهم يتواضعون في جزمهم بالأحكام، ويتميزون القول بأن هذا أو ذاك «حكم الله»، مع جزمهم بصحته وصوابه حسب يرون ويعتقدون بما أدى إليه اجتهادهم الخاص واستقام أمامهم دليله.

وفي ذلك يقول ابن القيم هذه الكلمة الرائعة في حديثه عن الإفتاء وأدب المفتي: (لا يجوز للمفتي أن يشهد على الله ورسوله بأنه أحل كذا أو حرمه أو أوجبه أو كرهه إلا لما يعلم أن الأمر فيه بما نص الله ورسوله على إباحته

أبى هذه الفتوى، وكل العلماء في البلدة وكذلك المأذون، قالوا له إن: «حكم الله» هو طلاق زوجته حيث لا تعود له «حق» تنكح زوجا غيره،.. «حق» عرفت بعد هذا الدهر الطويل أن ما أفنى به هؤلاء ليس وحده «حكم الله»، بل هو حكم الفقهاء قال غيرهم بغيره، ثم جاء قانون الأحوال الشخصية، بعد ذلك فجعل القاضي ملزماً بالحكم الذى قال به هؤلاء والفتوى التى أفتاها أبى قبل ذلك بعشرين سنة للشيخ الربيعى الملهوف الجازع.

وعرفت بعد هذا الدهر الطويل أن هذا الحكم أيضاً هو مذهب الإمام ابن تيمية، وأنه هو الذى كان يجرى عليه عمل الصدر الأول من المسلمين في عهد أبى بكر وشطر من خلافة عمر، ولا يحكم بغيره الآن في مصر قاض.

ثم ذكرت هذه القصة مرة أخرى ونحن فعالج في ندوة «التليفزيون»، مشكلة أسرة تريد أن تتحكم في نسلها وتحتّم عليها ظروفها الصحية وأوضاعها الاقتصادية أن تفعل، وكلا الزوجين راض بذلك ملح فيه، ولكن «العلماء»، قالوا لها عندما سألا عن «حكم الله»: إنه حرام، وحى قصة ذكرتها في مقال سابق (١).

(١) مقال: تحديد النسل في الإسلام: مجلة الأهرار عدد شهر رجب ١٣٨٣ هـ ديسمبر ١٩٦٣ م.

فقال عن مجتهدين - أو أكثر - وصلا إلى حكمين مختلفين في مسألة واحدة : « فاجتهدان مصيبان مثل رجلين قيل لكل واحد منهما أعط كل فقير وجده درهما من مالى ، قال : كيف أعرف أنه فقير . . قيل : إذا اجتهدت في تتبع قرائن الفقر حتى تبين لك فقره فأعطه ، فاختلفا في رجل قال أحدهما هو فقير وقال الآخر ، لا والمأخذان متقاربان يسوغ الأخذ بهما فكل منهما مصيب لأنه ما أدار الحكم إلا على من يقع في تحريره أنه فقير وقد وقع في تحريره ذلك من غير تقصير ظاهر ، ^(١) .

وكذلك يقول ابن القيم : « حضرت مجلسا فيه القضاء وغيرهم ، جرت حكومة حكم فيها أحدهم بقول زفر ، فقلت له : صار قول زفر هو حكم الله الذى حكم به وألزم به الأمة . . قل هذا حكم زفر ولا تقل هذا حكم الله ^(٢) ، . وفى توضيح ذلك والاستدلال عليه ، من الناحية الفقهية قال العلماء : « . إن الاستفتاء لم يزل بين المسلمين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا فرق بين أن يستفتى هذا دائما ويستفتى هذا حينئذ بعد أن يكون مجعلا على ما ذكرناه كيف لا ولم يؤمن بفتواه أيا كان أنه أوحى الله

أو تحريره أو إيجابه أو كراهته وأما ما وجدته في كتابه الذى تلقاه عن قلده في دينه فليس له أن يشهد على الله ورسوله به ، وبغير الناس بذلك ، ولا علم له بحكم الله ورسوله .

قال غير واحد من السلف : يحذر أحدكم أن يقول : أحل الله كذا ، أو حرم كذا ، فيقول الله له : كذبت ، لم أحل كذا ، ولم أحرمه . وثبت في صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (. .) وإذا حاصرت حصنا فساؤلك أن تنزلهم على حكم الله ورسوله فلا تنزلهم على حكم الله ورسوله . فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا ، ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك ^(٣) .

وفى ذلك يقول الإمام مالك أيضا : « لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن الغرائب . ولم يكن العلماء يقولون : هذا حلال وهذا حرام . ولكن أدركتهم يقولون : هذا مستحب وهذا مكروه .

فاجتهد الفقيه والحكم الذى قال به هو وأيه هو وفهمه الخاص للشريعة ، منسوب له لا إلى الله ، هو حكمه ، الذى أدركه من شريعة الله . وقد ذكر عالم مستنير مجتهد مثلاً لذلك

(١) شاه ولي الله دهلوى رسالة « عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد » ص ٤ طبع حجر بمجهر التارخ وللـ كان .

(٢) « إعلام الموقعين الجزء ٤ » .

(٣) « إعلام الموقعين الجزء ٤ » ص ١٧٥ « مطبعة دار السعادة » بالقاهرة ١٩٥٥ ، والحديث رواه مسلم وأحمد وغيرهما .

الرأيين - إذا كان من أهل الفهم لأحكام الشريعة . ويجيزون لغيره أن يقلد ويعمل بالرأى الذى يراه أيسر لنفسه محققاً أصوله بل إن منهم من يجيز لنا أن نبحث عن الأيسر فى كل مذهب فنعمل به مادامنا مقتنعين بصحة دليله . ومنهم من يجعل ذلك مستحباً ، ليسيراً للعوام ،^(١) إذا سأل منهم سائل أو استفتى .

و حكم الله ، كلمة كبيرة وأمانة عظمى كان العلماء والأئمة الذين يعرفون ما هى الأمانة العظمى يتخرجون منها ويخشون الله أن يقولوها أو يحملوها . لذلك كان مالك يقول : « ما كان شئ أشد على من أسأل من مسألة من الحرام والحلال ، لأن هذا هو القطع فى حكم الله . ولقد أدركنا أهل العلم فى بلدنا وإن أحدهم إذا سئل عن المسألة كما أننا الموت أشرف عليه . » وقد كان كبار علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم من يجتهدى السلف يتعاشون أن يسموا ظنونهم الاجتهادية : حكم الله ، أو شرع الله . بل كان أعظمهم قدراً وأوسعهم علماً يقول : هذا يبلغ على واجتمدى ، فإذا كان صواباً فمن الله ، وإن كان خطأ فنى ومن الشيطان ،^(٢) محمود الشرفاوى

إليه الفقه وفرض علينا طاعته وأنه معصوم ، فإن اقتدينا بواحد منهم فذلك لعلمنا أنه عالم بكتاب الله وسنة رسوله فلا يخلو قوله : إما أن يكون من صريح الكتاب والسنة ، أو مستنبطاً منهما بنحو من الاستنباط ، أو عرف بالفرائض أن الحكم فى صورة ما منوط بعلة كذا واطمأن قلبه بتلك المعرفة ففاس غير المنصوص على المنصوص فكأنه يقول : ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كلما وجدت هذه العلة فالحكم ثمة هكذا والمقيس مندرج فى هذا العموم . فهذا أيضاً معزو إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولكن فى طريقه ظنون^(٣) .

ومن هنا ، فقط ، نستطيع أن ندرك كيف نجد للشافعى مذهبين قديمين فى العراق وجديده فى مصر ، وأن نجد له ، فى مسألة واحدة ، رأيين مختلفين وفتويين متباينتين ، رأى وفتوى فى المذهب القديم ورأى آخر وأخرى من الفتاوى فى مذهبه الجديد ولا نستطيع أن نقول من أى منهما : إنه حكم الله ، لأننا لو قلنا ذلك ، جعلنا لشريعة الله حكيمين مختلفين فى مسألة واحدة . وحاشا لشريعة الله أن يكون ذلك . وإنما نقول إن كلا الحكمين هو حكم الفقيه ، الشافعى الذى أدركه بفهمه من شريعة الله . والعلماء الفقهاء يجيزون لكل مسلم أن يعمل بما تستريح له نفسه من (١) ص ٩ - من رسالة ولى الله الدهلوى .

(١) انظر ص ١٤١، ١٦٦، ٢١٦ من رسالة الدهلوى .

(٢) الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى : ص ١٠٣ من كتابه : « مالا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين » دار القلم بالقاهرة ١٩٦٢ .

ابن قتيبة السّاقِد

لأستاذ عليّ العمّاري

- ٢ -

العجيبة الطريقة التي عبر بها الشاعر عن ذمّه
ودهشته من فراق الأحبة ، فهو يضع الرجل
قبل البرذعة ، ومن حق البرذعة أن توضع
أولاً ؛ لأنها تكون أسفل الرجل ، وهو
يحط نفسه فوق جملة ليعبثه على المسير ،
ويذى أنه لم يفك عقاله ، وخير ما يقال
في هذه الصورة إنها مابحة ، فهذه الكلمة
تعبر تعبيراً دقيقاً عما يحسه متذوق هذا
الشعر .

بينما يثبت ابن قتيبة هذا في كتابه يحىء
ناقد حديث فيذكر بيتين من الشعر قريبين
من هذه الأبيات ، ويبين ما فيها من جمال
لا يدري ماذا يقول عنه ابن قتيبة ، ولنترك
لناقد يتحدث عن فكرته ، لنُدع القارىء
يتأمل ويعجب .

يقول الدكتور محمد مندور في كتابه :
(النف المضحى) : وهذه نظرة الفقيه
ابن قتيبة ، وهي بدورها نظرة ضيقة ؛
إذ من الواضح أن مادة الشعر ليست المعاني
الأخلاقية ، كما أنها ليست الأفكار ، وإن

لا أدري لماذا يسخر بعض الكتاب
من نقادنا القدماء ، ولو نظروا إليهم بعين
الإنصاف لوجدوا عندهم بعض ما يعجبونهم
بالغفلة عنه .

جاء في كتاب ابن قتيبة (الشعر والشعراء)
في ترجمة (جران العود) . ويستملح قوله :
بان الأنيس فسا للقلب معقول
ولا على الجيرة الغادين تعويل

يوم ارتحلت برحلى قبل برذعتي
والقلب مستوهل بالبين مشغول
ثم اغترزت على فضوى لأرفعه

إثر الخول الغواذى وهو معقول
ويفهم من قوله (يستملح) أن أرباب
الأذواق السليمة قبله ، وفي عصره يستملحون
هذه الأبيات ، وقد سجل هو هذا الرأي ،
ولم يعقب عليه بما يدل على أن هذه الأبيات
مليحة عنده أيضاً .

وبدهى أن ملاحظة هذه الأبيات لا ترجع
إلى ما فيها من فكرة أو حكمة ، أو خلق
حسن ، وإنما ترجع إلى هذه الصورة

أعتقد أن أي منصف يقرأ هذا الكلام وما نقلته عن ابن قتيبة لا يسمه إلا أن يحكم بمدى الظلم الذي يلحقه نقادنا المحدثون بنقادنا القدماء ، بل أعتقد أن الدكتور مندورا نفسه لو وقع نظره على حكم ابن قتيبة على الأبيات التي نقلنا عنه أنه كان يستملحها كما استملحها من قبله ، أقول لو وقع نظر الناقد على هذا الحكم لأعنى نفسه من السطور التي أراد بها أن يوضح من شأن الرجل ، وأن يلزمه الحجة في صورة بارعة خلت من (معنى) وهي جميلة حسنة .

فالصورة التي أشاد بها الدكتور هي نفس الصورة التي حكم لها ابن قتيبة بالملاحه ، صورة ذاهل لا يدري ما يفعل ، وهو يقوم بأعمال تدل على شرود لبه ، واضطراب عقله غير أن صاحب ابن قتيبة دل عليها بوضع الرجل قبل البرذنة ، وبالوثوب على الجمل دون أن يفك عقاله ، وصاحب الدكتور مندور دل عليها بالخط على الرمل ، ثم نحو الخط ، ثم إعادته ... وهكذا .

ومن يدرينا — بل هو ما نرجعه — لعل ابن قتيبة لو اطلع على بيتي ذى الرمة لاستحسنهما كما استحسن أبيات جرير العود . أليس الأمر كما قلت من أن نقادنا اعتمدوا على مقدمة ابن قتيبة وراحوا

من أجوده ما يمكن أن يكون مجرد تصوير فني ، كما أن منه ما لا يعدو مجرد الرمز لحالة نفسية رمزاً بالغ الأثر ، قوى الإيحاء ، لأنه عميق الصدق على سذاجته ، ولعل خيرا الأمثلة على ذلك قول ذى الرمة الشاعر الدقيق الحس وقد حط رحاله بمنزل الحبيبة وتفقدتها فلم يجد لها :

هشية مالي حيلة غير أنني
بلفظ الحصى ، والخط في التراب مولى
أخط وأحمر الخط ثم أهيد
بكفى ، والغربان في الدار وقع
فأى معنى يريد ابن قتيبة من مثل هذه الصورة الجميلة الصادقة ؟

صورة شاعر أصابه الحزن بالذهول فجلس إلى الأرض منهمكا يائسا ، يخط ويمحو الخط بأصابع شرد عنها القلب فأخذت تعبث بالرمال وفي الغربان الواقعة بالدار ما يملأ الجو أسى ولوعة ، وهل أصدق من هذا وصفا ؟ وهل أقوى منه على إيحاء ؟ ثم من يدرينا ؟ لعل جماله في خلوه من كل فكرة ، ولعل صدقه في تنأى بساطته .

وهكذا يظهر لنا ما في نظرية ابن قتيبة من ضيق عندما يتطلب معنى في كل بيت من الشعر ، كما ظهر لنا فساد رأيه في العلاقة بين اللفظ والمعنى .

بلفظة الأطراف على الصفة التي يختص بها الرفاق في السفر من التصرف في فنون القول ، أو على ما هو عادة المتظرفين من التلويح والإشارة ، وقد رأى أن ذلك ينبىء عن طيب النفوس ، وقوة النشاط ، وفضل الاغترباط لآلئة الاحباب ، وتنسم روائح الاحبة والاطوان .

أما الاستعارة اللطيفة التي أصابت موقعها فهي في جمل سلاسة سير الإبل كالماء تسيل به الأباطح ، وذلك لإخبار عن سرعة السير ووطاء الظهر ، وفيه ما يزيد من نشاط الركبان ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيبا ، والتعبير بأعناق المظلي دون التعبير بالمظلي يشير إلى أن السرعة والبطء يظهران غالبا في أعناقها .

ثم يخلص عبد القاهر إلى رأيه وهو أنه لا توجد حسنة خاصة باللفظ حتى إن فضل الحسنة يبقى لتلك اللفظة ، ولو ذكرت بانفرادها فالحسن لذن في السجع والتأليف وليست الألفاظ هي التي تحوز الفضيلة باجتماعها ، وإنما ذلك شأن المعاني .

ولاشك أن كثير من النقاد تأثروا بتحليل عبد القاهر لهذه الأبيات ، وأنحوا باللائمة على ابن قتيبة الذي لم يدرك ذلك التناسق التعبيري الخاص ، وذلك الإيقاع الناشئ من

يحاسبونه على ما ورد فيها ، وكان الواجب أن يقرأوا كل الكتاب بل أن يطالعوا كل كتبه الأخرى قبل أن يرموه بضيق النظر والسذاجة في النقد إلى آخر ما رموه به من نفاثات ١٩ .

ثم نعود إلى مناقشة ابن قتيبة فيما أورده من شواهد فنقول :

لعل أبيات كثير : (ولما قضينا ...) أكثر الشواهد حظوة بنظر النقاد فيها ، فقد عرض لها أبو هلال العسكري وكان رأيه فيها كراى ابن قتيبة ، ثم عرض لها عبد القاهر الجرجاني ، فأبان ما فيها من صدق الشعور ، وجمال التعبير ، وروعة الخيال ، وهو يجرى على أصله الذي ظل يدافع عنه في كل ما كتب في البلاغة ، وهو أن جمال الكلام إنما يرجع إلى معناه ، فهو يذكر هذه الأبيات ويحللها ليثبت أن ثناء العلماء عليها من جهة ألفاظها ، ووصفها بالسلاسة لم يكن إلا لاستعارة وقعت موقعها وأصابت غرضها ، أو حسن ترتيب تسكمل معه البيان ، وبعد أن مهد هذا التمهيد شرع في تحليل الأبيات فقال : فأول محاسن هذه الأبيات التعبير عن قضاء المناسك كلها ثم التفخيم على طواف الوداع في الشطر الثاني ثم وصل الرحيل بمسح الأركان ، والدلالة

عبد القاهر - أن يطيل في استخراج معان لهذه الأبيات هو دفعه بشدة أن يكون حسن الكلام راجعا إلى لفظه ، كما أن من المسلم به أن في الأبيات ألفاظا موحية ككلمة (أطراف الأحاديث) ومثل كلمة ولم ينظر الغادى الذى هو رائج فهذه العبارة تدل على أن كل إنسان مشغول بنفسه عند الرحيل وهذا شأن من قضى وطره ، وازمع العودة إلى أهله .

وبقدر ما أطال عبد القاهر في استخراج معان من هذه الأبيات قصر ابن قتيبة كما قصر أبو هلال في تحليلها ، وقد سلبها كل فضيلة غير فضيلة اللفظ ، فعندهما أنه لا طائل تحت هذه الأبيات ، ولا معنى فيها ، وهو - منها - وقوف عند المعنى الأول ، ولعل ما رآه عبد القاهر يجعلانه من محاسن الألفاظ وهو - في الجملة - نظر غير سليم .

وأما أبيات جرير : (إن الذين غدوا بلبك غادروا . . البيتان) و (إن الهيمون التى فى طرفها حور . . البيتان) فقد علق بعض النقاد المحدثين على البيتين الأولين بأن فيهما خيالا بديعا ، وتصويرا رائعا ، وجمالا في التعبير ، وصدقا في الشعور وكل هذا حسن ، ويبدو من صنيع ابن قتيبة - وإن لم يصرح بذلك - أنه يجعل كل هذا من دلالات الألفاظ ، وقد قال عن هذين البيتين - كما سبق - إنهما من

التناسق ، وتلك الصور التى يشعها التعبير كما يقول أحدهم (١) .

والحق أن الشيخ عبد القاهر حمل الأبيات أكثر مما تحتمل ، وأتانا لو أخذنا بهذه الطريقة في تحليل الشعر لم يعرنا أن نلتبس لضعف الشعر فضائل من هذا القبيل فكلمة « ظلال الألفاظ » التى يلجأ إليها بعض النقاد كلمة مرننة ، ولا يمكن معها الضبط والتحقيق .

والحق - كذلك - أن هذه الأبيات تروحننا في سهولة ألفاظها ، وحسن مخارجها ، وأن المعنى الرائع الذى يقف عنده القارئ الحصيف لا يوجد فيها ، فالمتذوق الشعر قد يهره معنى فيقف متأملا مفسكرا معجبا كما نجده في شعر ابن الرومى وأبى تمام وكثير من الشعراء وقل أن نجد شعرا جيدا ولا نجد فيه من مثل ما ذكره عبد القاهر وليست هذه هى المعانى التى ينوه بها ابن قتيبة على حد ما نوه بمعنى البيت :

يفضى حياء ويفضى من مهابته

فما يكلم إلا حين يلبسم

وليس من شك في أن الأمر الذى دعا

(١) الأستاذ سيد قطب في كتابه (النقد

إن العيون التي في طرفها حور
قتلنا ثم لم يجيبين قتلنا
وفي الهجاء :

ففض الطرف إنك من نمر
فلا كعبا بلغت ولا كلابا
وذكر بعضهم أن قول جرير (إن الذين
غدوا . .) أغزل ما قالته العرب .

وأما بيت لبید فقد ذهب فيه بعض النقاد
والمحدثين مذهب ابن قتيبة ، فقال ، قول
لبید :

ما عاتب الحر الكريم كغفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح
يقول ابن قتيبة في هذا البيت : إنه جيد
المعنى ، وقصرت الألفاظ عنه فهو قليل الماء
والرواق ، وعندى أن هذا البيت قد استأثر
العقل به فكان جيد المعنى ، ولكن تعوزه
العاطفة التي كانت تبعده عن أن يكون نظما
لحكمة معروفة ، وتبعث فيه خيالا جميلا ،
وأسلوبا موسيقيا ، ولعلك تشعر بحاجة إلى
شئ من التأويل لتصل بين الشطرين صلة
شعرية ملائمة (١) .

ونحن حين نحكم الذوق المجرد عن التعليل
نحس في هذا البيت بما أحس به ابن قتيبة ،
فهو فعلا قليل الماء والرواق .

(١) الأستاذ أحمد الشايب في كتابه : (أصول
النقد الأدبي) ص ١٩٦ .

الشعر الذي حسن لفظه وحلا ، فإذا أنت
قدشتم لم تجد هناك طائلا ، والحقيقة أن
التقصيدة كلها التي منها هذان البيتان رائعة
النسج ، هذبة الألفاظ بديعة الخيال ،
ولكن المعاني فيها نادرة .

وطبيعى أن كل كلام له معنى ، وإلا لكان
خلقا من القول ، وكيف يمكن أن يتبادر إلى
الذهن أن شعرا جميلا أو رديئا قد خلا من
معنى يدل عليه ، غير أن المعنى الذي يقف
عنده ناقد كإبن قتيبة معنى خاص ، وهو الذي
ينفيه عن مثل هذين البيتين .

وأبيات جرير تعجبنا وتروعننا ، وقد
أعجبت الأوائل فكانوا يذكرونها في معرض
الإشادة بجرير وتفضيله ، قال بعض نقادة
الشعر : رأيت أعرابيا فأعجبني ظرفه ،
فسأله : أجزير أشعر أم الفرزدق ؟ فقال
الأعرابي : بيوت الشعر أربعة : نخر ،
ومديح وهجاء ، ونسيب ، وفي كلها غلب
جرير . قال في الفخر :

إذا غضبت عليك بنو تميم
حسبت الناس كلهم غضايا
وفي المدح :

أستم خير من وكب المطايا
وأندى العالمين بطون راح
وفي الفسيب :

الجراني صاحب كتاب الوساطة ، فقال إنه كان مع حماد وابن دأب ينحلون القدماء شعرهم فيندج في أثناء شعر القدماء ، ويغيب في أضعافه ، ويصعب على أهل العناية لإفراده ويتعسر .

وإذا كان خلف بهذه المنزلة كان شعره جيداً لأنه يشقبه على الناقد البصير فلا يفرق بينه وبين الشعر المطبوع .

وبعد قرون من وفاة ابن قتيبة جاء ابن خلدون فكان رأيه في أشعار العلماء هو رأى ابن قتيبة غير أنه زاد فعلى ذلك بنوع المحفوظ ؛ لأنه يرى أن نوع المحفوظ له تأثير في الملمكة الأدبية ، والعلماء يعنون بحفظ القوانين العلمية ، وهي بعيدة عن الأساليب الأدبية فتسكون ملكتهم قاصرة في الأدب .

(وبعد) فإنه لم يمكن ينبغي أن يطلب من ابن قتيبة أن يؤصل أصولاً واسعة شاملة في النقد ، فإن ذلك تسكليف بما هو فوق الطاقة في ذلك العصر ، وحسبنا أن الرجل فتح أبواباً واستعان بعلمه وذوقه وترك لنا مسائل أعانت النقد بعده وأعانتنا ، وكانت حلقة لها قدرها في مسير النقد الأدبي عند علماء العرب ، وكانت فصلاً متمماً من فصول (اللفظ والمعنى) .

على الهامري

ولست مع الناقد الفاضل في أن الوصل بين الشطين صلة شعرية تحتاج إلى شيء من التأويل ، بل الأمر من الوضوح بحيث لا يحوج إلى شيء من الفكر المتأمل ، إلا إذا كان الناقد يفهم من هذا البيت معنى غير ما نفهم .

ليبد يريد أن يقول : إنه لا يصلح الإنسان شيء أجدى عليه من نفسه ، فهي التي تحسن عتابه ، وتوجيهه إلى الخير ، وتغيره من الشر ، ومع هذه الحقيقة الواضحة فإن الجليس الصالح يصلح الإنسان ، ولكن لا بنفسه ، وإن كان فيه بعض الغناء .

وأخيراً لعل ابن قتيبة أول من نبه من أصحاب المكتب المؤلفة إلى قصور أشعار العلماء وتخلفها ، وأنها ليس فيها شيء جاء عن إسماعيل وصهولة ، ثم ضرب مثلاً مقنعاً بشعر للخليل بن أحمد ، ولعله كذلك - كان منصفاً حين استثنى خلفاً الآخر ، وهذه أجودهم طبعاً ، وأكثرهم شعراً ، وقد كان خلف كذلك ، فقد كان معلماً للأصمعي ومعلماً لأهل البصرة ، قال عنه الأخفش : لم أدرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي ، ومع ذلك قال عنه بعض اللغويين : كان خلف يضع الشعر ، وينسبه إلى العرب فلا يعرف ، وله ديوان شعر .

وحدث عنه الناقد الذواقة علي بن عبد العزيز

تداخل المذاهب الفقهية

للدكتور علاء الدين شلبي

قد عاد إلى صنوه في التلمذة على مالك ، وقد كتب الشافعي هناك رسالته الأولى وحدد فيها مذهبه وهو مذهب وسط بين اتباع الأثر والاستئثار بالرأى ولكنه في وسطيته أكثر ميلا إلى المالكية .

ونظرا لأن العلاقة بين الشافعي وأستاذه العراقي لم تكن على وفاق تام قامت بينهما عدة مناظرات ظهرت فيها روح الجدال العراقي كما ظهرت مقدرة الشافعي على تشقيق الكلام واستنباط الأحكام ولكن مكانة الأستاذ هناك وقوة نفوذه وكثرة أتباعه كانت من أسباب مضايقة الشافعي ولم تكن هذه الخصومة ترجع إلى مجرد الخلاف في الرأى وطريقة الاجتهاد بل كان هناك عوامل أخرى وراء ذلك جعلت الشافعي يضيق بالعراق فرحل منه بعد إقامة لم تطل أكثر من عامين .

كان الشافعي مثالا للإخلاص للعلم وكان إذا اقتنع برأى يهمله أن يجد له أنصارا وقد عرضت عليه بعض المناصب الكبرى في العراق فأعرض عنها مخافة أن تشغله عن العلم ولعله كان يهمله أن يظل بالعراق فإنه بعد رحيله

رأينا فيما سبق مدى ما بين المذهب الحنفي والمذهب المالكي من تداخل واتصال . ولعلنا لمسنا زوال التعصب للرأى بين كبار الأئمة المجتهدين ورأينا تقدير الإمام مالك رأى أبي حنيفة وإن كان هو نفسه لا يأخذ به كما رأينا الدور الذي قام به محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة في مزج المذهبين . أما محمد بن إدريس الشافعي فله دور أوسع في هذا التقريب فقد تلمذ أولا على مالك وكان أستاذه يحبه ويحمله وكان هو ميالا للتفاريع وتوليد الجزئيات ولم يكن مالك يحتمل مثل هذا الإلحاح من غير الشافعي من تلاميذه فكان هؤلاء يوعزون إليه أن يسأل الإمام عما لا يحجرون عليه من الأسئلة التي لا يحجبها الإمام وكثيرا ما كان الإمام يقول له أعراقي أنت أو أمن أهل الرأى أنت ؟ مسفتكرا عليه هذا المذهب الجدلي ولكنه إذ فرغ من الدرس عليه وجهه إلى العراق ليغذي نزعة الرأى التي عنده بمنهج أبي حنيفة وفي مدرسته . وقد تلمذ الشافعي في العراق على محمد بن الحسن إذ كانت رئاسة المذهب قد انتهت إليه بعد أبي يوسف وبهذا يسكون الشافعي

حشده على التزام الشافعي والاستفادة منه ومن العجيب أن محمدًا هذا كان يطمع أن يخلف الشافعي على كرسيه ورياسة مذهبه وكان الناس يتوقعون ذلك لما بينهما من محبة ولما كان يبيده الشافعي من إجلال وتقدير لذلك محمد هذا وعلمه ولكن الشافعي أثر البويطي بوثاقة مذهبه من بعده فعاد محمد إلى حلقة المالكية ولم تقم بينه وبين البويطي مفازعات . اعتمد فقه الشافعي قليلا على الرأي وكثيرا على الأثر ولكن في صوغه واحتجاجه يذهب مذهب العراقيين الجدلي وكتاب الأم بما فيه من افتراضات ورد عليها وأسئلة وأجوبة يذكرنا بطريقة الزخشرى في كشافه وكلاهما من أثر المذهب العراقي في الجدل . يتضح من هذا العرض السريع أن هذه المذاهب الثلاثة ذات صلة كبيرة بعضها ببعض وعلى حظ من الوفاق في الأصول ، أما المذهب الرابع مذهب الحنابلة فقد قام على الحديث وجانب الرأي وكان ابن حنبل من تلاميذ الشافعي ولم يترك كتباً فقهية محمد مذهبهم ولهذا بعده الشافعية من رجاله ويعده المحدثون من رجالهم وكل ما تركه هو فتاوى خالف فيها كلا من الشافعي ومالك ثم كان أتباعه هم الذين حددوا المذهب وألفوا فيه ولم يكثر أتباعه في هذا المذهب لتقيده بالحديث ونفوره من الرأي وهو على أي حال فرع من مذهب مالك والشافعي .

عنه عاد إليه ثانياً ولكن لم يستقر مقامه به ولم يكن العراقي ولا الحجاز مستعدين لقبول مذهبه وفي كلا الإقليمين مدارس أساتذته وتلاميذهم ورواج فقههم ولهذا اتجه إلى مصر .

دخل الشافعي مصر سنة ١٩٨ هـ وكانت كلها من أتباع المذهب المالكي وكان بنو عبد الحكم هم القائمين على هذه المدرسة . وقد تعجب أن الشافعي هم بالرحيل عن مصر لولا أن أواه بنو عبد الحكم فأنزلوه دارهم وتبرعوا له بالمال وجمعوا له من ذوى الثراء وأفسحوا له في المسجد بجانبهم وكان عبد الله بن عبد الحكم شيخ المذهب المالكي يحمل علمه ويقدر اجتهاده والتف حول الشافعي طائفة من التلاميذ كانوا مالكيين قبل مقدمه وشجعه هذا كله على الإملاء والدرس والتأليف حتى أخرج في خمسة الأعوام التي أقامها بمصر ثروة طيبة من الفقه الإسلامي وأحدث تموجات تجديدية في الفكر المصري لعله هو أول من أدخلها عليه ولم تكن بين الشافعي وبين مالكية مصر مناظرات كالتى قامت بينه وبين محمد بن الحسن في العراق بل إن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم كان صديقا حميلا وكان المتعصبون من المالكية يشكون لآيئه حضوره على الشافعي وملازمته له فكان يقول لهم إنه : شاب طموح يجب أن يطلع على الأفكار والآراء الأخرى وإكتمه كان إذا خلى بابنه

وقد أتاحت المقادير لهذا المذهب في العمور المتأخرة رجالا عملوا على نشره وفتحوا فيه باب الاجتهاد - فابن تيمية وابن عبد الوهاب وجمال الدين الأفغاني كل أولئك نشروا منهجا في إجلال الحديث والأخذ به ونفروا من التمسك بأقوال الفقهاء أى كان لونهم وطريقتهم وهم في الواقع نشروا مذهب الحديث ودعوا إلى الاقتداء بالسنة ومع ما هم عليه من محاربة البدع وتحريم كثير من الأشياء جعلوا الفقه الإسلامى فوق المذاهب وفرقوا بحق بين الشريعة وبين الفقه فالفقه اجتهاد أما الشريعة فهى ينبوع هذا الفقه ، ولكل قدير على الاجتهاد أن يجتهد ويفهم من النص غير ما يفهمه الآخرون وقد يعطى النص حكيم متباعين ولكن لا بأس على أى من المجتهدين ما دام لهم سند من القرآن أو الحديث . وبهذا فتح الحنابلة باب الاجتهاد بعد أن أغلق زمنا طويلا وأعادوا إلى الفقه بعض المرونة وتشددوا الذى يعاب عليهم هو في واقعه دعوة إلى التساهل لأنهم تشددوا في تحريم التقليد وتقديس الأشخاص ودعوا إلى إعمال العقل والاتصال بالله مباشرة في العبادة والاتصال بشرعه مباشرة عن طريق الشريعة لا عن طريق الفقه فزجوا بين المذاهب جميعا ولم يفرقوا بينها .

ولا يشذ الفقه الشيعى وخصوصا فقه الفاطميين عن هذا ، فالفقه الفاطمى أنضح فقه شيعى وهو يكاد أن يكون صورة من فقه المالكية وأكبر الظن أنه استفاد منه كثيرا في مصر والمغرب ، أما فقه الشيعة الإمامية فإذا استثنينا بعض مخالقات في العبادات وقوانين الأحوال الشخصية وهى الصور التى تخالف مذاهب السنيين نجد أن قوانين ومعاملات وأحكام البيع والرهن وما إليها تصلح للاتفاق مع المذاهب السنية ونحن نأرجح من حسابنا كل الأفكار الباطنية فهى في حقيقتها ليست إسلامية ، وقد كفا ما كل من الغزالي وابن تيمية وابن حجر الرد عليهم في هذا . ولكننا نقبل طريقة اجتهاد الشيعة وخصوصا ما نجده في كتب داهى الدعاة الفاطمى كروافد الفقه الإسلامى ولنا أن نتقبل منها ما نتقبله ونرفض ما نرفضه ومنذ سنوات أدخل الأزهر في منهجه درس الفقه الشيعى وهو طبعيا يدرسه للثقافة والتاريخ لا للعبادة والعمل وهذا الدرس يطلع أبناءه على لون من التفكير يفيدهم في منهجهم ويمدهم بزاو جديد ولكن تكون الدراسة الفقهية في الأزهر والكتليات التى تعنى بدرس الفقه الإسلامى دراسة موضوعية يجب أن تبحث أبوابه ومسائله الكبرى في جميع المذاهب التى تناولته فإذا كانت جزئية من جزئياته محل

تضارب الآراء واختلاف وجهات النظر كان لنا أن نأخذ منها ما يناسب حياتنا وليس الحتم أن يكون المناسب هو الإباحة بل قد يكون المنع هو المناسب وقد يكون المناسب غيره وقد قال عمر ذلك على ما قضينا وهذا على ما نقضى .

ونحن في العصر الحديث عصر التوحيد في الاتجاهات المختلفة نرى أنه من المناسب أن نأخذ بمذهب فقهي واحد هو الفقه الإسلامى ولا داعى لأن يقسم الطلاب في الأزهر والمسلمون في الانقسام إلى شافعية وأحناف ومالكية وغيرهم فقد حالت هذه الطريقة دون اتحاد المسلمين على رأى واحد في

العبادة كما حالت بين طلاب الأزهر وبين الدراسة الموضوعية كما حجبت عنهم كتبها في الفقه ما كان يليق أن تهمل من دراستهم . فالدراسة المذهبية هي التي نحت كتب ابن حزم الظاهري عن دراسة الأزهر وهي من غير شك أخصب ما كتبته وأكثر جدوى وما زلت آمل أن أرى كتاب المحلى ينقح ويصحح ويطبّع بأيدٍ أزهريّة وأن يأخذ مكانه من دراسة الأزهريين ومراجعهم .

هذا المنهج الذى تحدثت عنه هو ما ينبغي (فيما أرى أن يكون أساس التطوير الجديد لدراسة الفقه الإسلامى) .

عمر الميرى سليمى

نزل بأعراى من بنى سعد أضياف فقام إلى الرحى فطحن لهم فطرت به زوجته في نسوة
فقلت لمن : أهذا بعلى ؟ فأخبر بذلك فقال :

تقول وصكت صدرها بيمينها

أبعلى هذا بالرحى المتقاعس

فقلت لها لا تعجبي وتبينى

بلائى إذا التفت على الفوارس

أست أرد القرن يركب رده

وفيه سنان ذو غرارين يابس

إذا هاب أقوام تجشمت هول ما

يهاب حمياء الأله المداعس

لعمر أهلك الخير لى لخدام

لضيقى ، ولانى إن ركب لدارس

رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة

للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٢ -

جامعات هامة :

يسمى كثير من الباحثين المساجد بالجامعات العامة ، وذلك لعدم الاختصاص فيها ، ولتفتح أبوابها للجميع ، حتى حلا لبعض أن يلاحظ وجه الشبه اللفظي والمعنوي بين كليتي الجامع ، و الجامعة ، وقد قالوا إن كلمة الجامعة ، لها مدلولات عدة ، منها المدلول اللغوي ، وهو المجموع - أى كل العدد - والعموم . ومنها المدلول الموجود للكلمة في اللاتينية المتأخرة وهو الجماعة ، والشركة ، ومنها المدلول المفهوم من معنى مجموع الأساتذة والطلاب يجتمعون في مكان لتدريس العلم وتلقيه في الفروع العليا من المعرفة .

وأغلب هذه المدلولات موجود في معنى الجامع ، فالجامع يضم الناس وهم العموم والمجموع والجامع فيه معنى الاجتماع والتلاقى والجامع تدرس فيه العلوم المختلفة الشريفة التي يخلق فيها الفكر كثيرا من الأحيان في آفاق عالية سامية قد تبلغ أدق مسائل الفكر من أمور العقيدة والروح .

وإنما لنقرأ في الجزء الأول من كتاب

مساجد ومعاهد ، هذه العبارة : المساجد الجامعة وإن كان الهدف من إنشائها هو أداء الفرائض ، إلا أنها ساعدت على التألف والتعارف ، ونشر التعليم وإذاعته ، ونشر أوامر الدولة وقوانينها ، وكانت تتخذ محاكم لفض المنازعات الدينية والمدنية ، وأقيم فيها بيت المال .

وكانت تعقد فيها الدروس ، كما أقيمت المكتاتيب لتحفيظ القرآن والتعليم الابتدائي فكانت بمثابة جامعة للطلاب ، ينشأ فيها طفلا ويتخرج فيها عالما .

ونستطيع أن نلاحظ النهضة العالمية في مدرسة المسجد ، لأننا لا نشترط في دخولها سنا معينة بل يدخلها الكبير والصغير ، والناشيء الفتي والشيوخ الطاعن في السن ، ولا نشترط في دخولها غنى أو فقرا ، ولا حسبا ولا نسباً بل يدخلها الأبيض والأسود والغنى والمعدم وليس هناك اشتراط لمصروفات أو نفقات بل التعليم هنا بالجان ، وهو مبذول لكل طالب يطلبه بلا تفرقة بين شخص وشخص ، وليس هناك من تمييز بين فرد وفرد في المكان أو الزمان أو الإجابة أو غير ذلك من الأمور .

زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتاناً وإثماً بيننا ؟ .

وتدبر عمر فيما قالت المرأة ، فاستبان له صوابها ، فلم يسكب عليه أن يرجع عن رأيه وقال قولته التي رواها التاريخ وروعاها سمع الزمان : أصابت امرأة وأخطأ عمر ! .

وبما يدلنا على أن المرأة كانت تأخذ حظها كاملا من ثقافة المسجد وتوعيته أن الفناء حينئذ وأين أن الرجال يتغلبون عليهن في أوقات الاجتماع المشتركة داخل المسجد ذهب وفد منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلن له : يا رسول الله ، لقد غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوما نناقك فيه واستجيب الرسول لهن وخمسن يوما يلقاهن فيه ! .

وفي تاريخ الإسلام كشيرات من النساء تألقن في سماء الثقافة والعلم والمعرفة ، وبلغن درجة التعليم والتدريس ، وكانت أغلب الدروس منهن تلقى في المساجد الجامعة التي أخذت روح الجامعات ، ففاض غيثها العلمي هنا وهناك ومن هؤلاء السيدة نفيسة بنت أبي محمد حسن التي يروى أن الإمام الشافعي لما دخل مصر سمع عليها الحديث ، وكانت وفاته سنة ثمان ومائتين للهجرة .

وأم المؤيد زينب بنت الشعري التي سمعت من السكثيين ، وأجاز لها الحفاظ أبو الحسن

ولإذا نظرنا إلى مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام في صدر تاريخه نجد أنه كان مفتوح الأبواب للجميع ، لا يفرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين نسب ونسب ، ولا بين مقام ومقام ، فأبو بكر القرشي ، وأبو ذر الغفاري ، وأبو موسى الأشعري اليمني ، ومنقذ بن حبان البحريني ، وبلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، وفيروز الديلمي ، الكل يتلافون في رحاب المسجد ، فلا يحس أحدهم بفارق بينه وبين غيره ، والكل يجلسون في حلقة العلم الإسلامي يفترون من مناهله ، كل حسب طاقته ومبلغ قدرته .

وجامعة المسجد مفتوحة الأبواب للرجال والنساء على السواء ، فللمرأة الحق في السعي إلى المساجد ، وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« لا تمنعوا إماء الله بيوت الله ، وللبرأة المسلمة أن تشهد الجماعات والجمع ، وأن تسمع الخطب والدروس والعظات ، وليس هذا فقط ، بل للمرأة أن تشارك في المناقشة ، ونحن نعرف كدليل على ذلك أن الفاروق عمر بن الخطاب أراد ذات يوم أن يضع حدا للبهور خشية مغالات الناس فيها ، فقامت امرأة من صف النساء في المسجد تقول :

إن هذا أمر ليس لك يا عمر ، وكيف تفعل ، والله تعالى يقول : « وإن أردتم استبدال

مشهورة ، أخذت صحيح البخارى ومسند الشافعى عن الزبيدى ، وروى عنها الحديث الأمير عون والقاضى كريم الدين وغيرهما . وزينب بنت يحيى بن عز الدين بن عبد السلام السلى ، وهى حفيدة الإمام المشهور العز بن عبد السلام ، وتفردت برواية الجامع الصغير ، للطبرانى ، وتوفيت سنة خمس وثلاثين وسبعمائة .

وبنت الكمال زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسية . قال عنها الذهبي : لأنها تفردت بقدر حمل بعير من الأجزاء بالإجازة ، وتزاحم عليها الطلاب واستفادوا منها كثيرا ، وماتت سنة أربعين وسبعمائة . وأخذ الإجازة عنها ابن بطوطة الرحالة المشهور ووصفها بأنها رحلة الهدى . وصفية بنت أحمد بن أحمد المقدسية الصالحية ، سمعت من الكرماني وابن عبد الدائم صحيح مسلم وغيره ، وحدثت بصحيح مسلم وغيره وماتت سنة إحدى وأربعين وسبعمائة .

وجويرة بنت أحمد بن أحمد بن الحسين ابن موسك بن موسى الهكاري ، سمعت من ابن الشحنة وسف الوزراء وابن عمر الكردى وابن الطباع ، وقال عنها ابن حجر : « وسمع منها بعض مشايخنا وكثير من أقراننا » . وماتت سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة .

وزينب بنت عبد الله بن عبد الحليم الحنبلى التى كانت من نساء الحديث المشهورات .

الفارسي ، والرخشري المفسر صاحب « الكشاف » وغيرهما ، وكان من تلاميذها ابن خلكان صاحب « وفيات الأعيان » ، وقد توفيت بنيسابور سنة خمس عشرة وستمائة .

وشهادة بنت أبى نصر أحمد بن الفرج بن عمر الأبرى البغدادية ، التى سمع عليها خلق كثير ، واشتهر ذكرها وبعد صيتها ، وكان من تلاميذها الإمام المشهور ابن تيمية الحراني الذى سمع منها الحديث ، وتوفيت سنة أربع وسبعين وخمسمائة .

ومنهن العروضية مولاة أبى المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب ، التى أخذت العلم عن مولاها ثم فاقتة وسبقته ، وكانت تحفظ الكامل للبرد ، والنوادر للقالى وتشرحهما ، وقرأ عليها هذين الكتابين أبو داود سليمان ، وتوفيت عام أربعين وخمسمائة .

وفاطمة بنت علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندى ، كانت فقيهة محدثة مدرسة زاهدة ، ذاعت مؤلفاتها ، وكان الملك العادل نور الدين يستشيرها ويستفتيها ويعضدها .

وفاطمة بنت جمال الدين سليمان الأنصارى الدمشقى . كانت عالمة محدثة ، وعين أخذ الحديث عنها الصفدى ، وكان لها مال كثير أنفقته فى وجوه الخير ، وتوفيت سنة ثمان وسبعمائة .

وست الوزراء حفيدة وجيه الدين الحنبلى وبنت عمر بن أسعد بن المنجا ، كانت محدثة

الكامنة ، ، وابن بطوطة في رحلته وغيرهم ، كما يمكن العثور على أسماء عشرات من النساء اللاتي تألقن في سماء العلم ، وكانت لهن صلاتهن بالمساجد .

ويذكر التاريخ أن الأزهر الشريف كان يعقد فيه مجلس من مجالس الحكمة التي أنشأها الفاطميون لدراسة الدعوة الفاطمية ، وكان يعقد فيه مجلس للنساء ، وفي صفحات تاريخ الأزهر الشريف ، والمعهد الاحمدى الدينى بطنطا ما يفيد وجود نساء تعلمن في هذين المسجدين ونلن درجات علمية .

ومن الصبغة العامة للمسجد التي تجعل تأثيره الثقافي ذا ألوان أنه كان منبرا للأموور العامة ، فهذا مثلاً عمرو بن العاص يقوم في مسجده الجامع بالفسطاط ، فيشرح للناس ما يهمهم من أمور ، فيبدأ بالحمد لله والصلاة على رسول الله ، والحث على الزكاة وصلة الأرحام ، ثم يقول :

« يا معشر الناس ، إياكم وخلالاً أربعا ، فإنها تدعو إلى التعب بعد الراحة وإلى الضيق بعد السعة ، وإلى الغلة بعد العزة : إياكم وكثرة العيال ، وإخفاض الحال ، وتضييع المال ، والقليل بعد القال ، في غير درك ولا نوال . ثم إنه لا بد من فراغ يثول إليه المرء في توديع جسمه ، والتدبير لشأنه ، وتخليته بين نفسه وبين شهوراتها ؛ ومن صار إلى ذلك

وزينب بنت محمد بن عثمان بن عبد الرحمن الدمشقية ، عالمة الفصيحة البليغة الفقيهة المحدثه ، وكان من تلاميذها ابن حجر العسقلاني وكثيرون ، وأقبل على درسها الكثيرون .

وزينب بنت عثمان بن محمد لؤلؤ الدمشقية كانت عالمة فاضلة مبرزة في علوم السنة ، وأخذ عنها ابن حجر العسقلاني ، ولها رسائل في الفقه والسنة ، وتوفيت سنة ثمانمائة .

وعائشة بنت علي بن محمد بن عبد الغنى بن المنصور الدمشقية ، كانت عالمة بالنحو والصرف والبيان والعروض والحديث ، وفتحت حلقة للتدريس ، واتفق الناس كثيراً بعلومها ومعارفها .

وعائشة بنت محمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبد الهادى بن يوسف بن محمد ابن قدامة المقدسى . كانت سيدة المحدثين يدمشق على عهدهما ، وروى عنها ابن حجر ، وقرأ عليها كتباً كثيرة ، وتوفيت سنة ست عشرة وثمانمائة .

وعائشة بنت يوسف بن أحمد بن نصر الباهونية الأدبية النقية ذات العلم والعمل ، صاحبة مؤلفات وأشعار ، وتوفيت سنة ثنتين وعشرين وتسعمائة .

وقد تحدث عن هؤلاء النساء ابن خلكان في « وفيات الأعيان » ، وابن كثير في « البداية والنهاية » ، وابن حجر العسقلاني في « الدرر

الاعداء حولكم وتشوف قلوبهم إليكم وإلى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية . . .

حدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كشيفاً ، فذلك الجندي خير أجناد الأرض ، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : ولم يا رسول الله ؟ فقال : « لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة » . فاحمدوا الله معشر الناس على ما أولاكم ، فتمتعوا في ريفكم ما طاب لكم ، فإذا بيس العود ، وسخن الماء ، وكثر الذباب ، وحمض اللبن ، وصوح البقل ، وانقطع الورد من الشجر فحى إلى فسطاطكم على بركة الله .

ولا يرجع أحد منكم ذو عيال إلا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سمته أو عسرتة أقول قولي هذا وأستحفظ الله عليكم .

وهذه الخطبة التي ألقاها عمرو بمسجده في القسطنطينية لا تقتصر كما نرى على التوجيه والتثقيف في شئون الدين والعبادة فحسب ، بل تدخل في صميم أمور الحياة والتوجيه فيها ، مما يدل على أن ساحة المسجد من طبيعتها أن تكون ميدان توعية ثقافية في كل شئون الدين والدنيا .

أحمد الشرباصي

فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل ، ولا يضيع في فراغه نصيب العلم من نفسه ، فيحوز من الخير عاطلاً ، ومن حلال الله وحرامه غافلاً . يا معشر الناس ، إنه قد تدلت الجوزاء ودكت الشعرى ، وأقلمت السماء ، وارتفع الرباء ، وقل البدى ، وطاب المرحى ، ووضعت الحوامل ، ودرجت السخائل ، وعلى الراعى أن يحسن وعيته . فتحى لكم على بركة الله تعالى إلى ريفكم تنالوا من خيريه ولبنه ، وخرافه وصيده ، وأريحوا خيلكم وسمنوها وصونوها وأكرموها ، فإنها جمعتكم من هدوكم ، وبها مفاتحكم ونصركم . واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيراً وإياكم والمومسات المعسولات ، فإنهن يفسدن الدين ويعصرن الهمم ، حدثني عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ستفتح عليكم من بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإن لهم فيكم صهراً وذمة) فكفوا أيديكم ، وعفوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، ولا أعلن ما أتى رجل قد أسمن جسمه ، وأهزل فرسه .

واعلبوا أنى معترض الخيل ^(١) كاهتراض الرجال ، فمن أهزل فرسه من غير علة ، حططت من فريضته قدر ذلك . واهلبوا أنكم في رباط إلى يوم القيامة لكثرة (١) أى يقوم باستعراضها للتأكد من سلامتها وجودتها .

نظرات في الأدب والتصوف :

المذهب الرمزي في أدب الصوفية

للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

مما يدل على خيبتهم الواسعة بالنفوس
وأحوالها .

وقد تركوا في هذا كله المقالات الإضافية
والبحوث القيمة والفصائد الجياد التي بلغت
القدرة في الجمال الفني والتصوير البديع ،
ونظراً لصعوبة المعاني التي يرمون إليها ،
ووهوة الوصول إليها ، وعمق موضوعاتها
لجئوا إلى الرمز والإشارة في تعابيرهم ،
واستعانوا بالصور والتشبيهات والأخيلة
بتخذونها وسيلة للإبانة عن أغراضهم ،
والكشف عن خلجات نفوسهم ، فهم
الذين أوجدوا المذهب الرمزي في الأدب
العربي بلا منازع ، وهم دعاة والواضعون
لأسسه والناجحون سبيله تشهد بذلك آثارهم
من شعر ونثر .

وقد دعاهم إلى ذلك اللون من التعبير أنهم
كانوا يعرضون الكثير من النظريات المعقدة
ويدركون أنهم إذا صرحوا بها هاجوا
الفقهاء ضدهم ، فكانوا يلجئون إلى الرمز

هرقنا فيما سبق أن الصوفية نهجوا في الحياة
منهجاً خاصاً ، واختلفت نظرهم إليها عن
نظرة غيرهم ممن يعاصرونهم على اختلاف
القرون بهم ، ومع ذلك فقد شاركوا غيرهم
في كثير من الآراء والمشاكل التي عرضت لهم
في محيط حياتهم

والصوفية كغيرهم من الناس في حاجة
إلى التعبير عما يحول في صدورهم . ويضطرب
في حنايا قلوبهم ، وإلى تصوير ما يدينون به
من الآراء والمعتقدات في قالب فني جميل ،
من مناجاة ووجد وعشق ، وما يقرأى لهم
في رياضاتهم ومجاهداتهم من لمحات إلهية ،
وجذبات روحية ، وإلهامات قلبية ، سواء
ما انفردوا به دون سواهم ، أو ما شاركوا
فيه غيرهم من الآراء والنظريات .

وهم إلى جانب ذلك فصلوا القول في السلوك
والأخلاق وخفايا النفوس ، وشرح خلجاتها
والتعمق إلى أسرارها والبحث عن دقائقها ،
تحدثوا عن هذا كله حديث المدقق الفاحص

وكذا إن قلت ها أو قلت يا
وَأَلا إن جاء فيه أو أما
وكذا إن قلت قد أنجدلى
قدر فى شعرنا أو أنهما

وكذا السحب إذا قلت بكنت
وكذا الزهر إذا ما ابتسما
أو أنادى بحداة يعموا
بانة الحاجر أو ورق الخمي

أو بدور فى خدور أقلت
أو شمس أو نبات أنجما
أو بروق أو رهود أو صبا
أو رياح أو جنوب أو سما

أو طريق أو حقيق أو تقا
أو جبال أو تلال أو رما
أو حليل أو رحيل أو ربي
أو رياض أو غياض أو حمى

أو نساء طاعيات نهدي
طالعات كشموس أو دى
كل ما أذكره مما جرى
ذكره أو مثله أن تفهما

منه أسرار وأنوار جلت
أو علت جاء بها رب السما
لفؤادى أو فؤاد من له
مثل مالى من شروط العليا

صفحة قدسية علوية
أعلمت أن لصدقي قدما

خفية بأسهم ، وإيثارا للسلامة من شرهم ،
وذرأ للرماد فى العيون ، ومن السهل على من
درس آثارهم الوصول إلى هذه النتيجة التى
وصلنا إليها .

وقد ذهبوا فى الرمز مذاهب شتى : ففهم
من رمز بالخمر ، ومنهم من رمز بالحب ،
وقال « نيكلسون » ، إن ذا النون المصرى هو
أول من استعمل الرمزىة « الباكوسية » ،
التى أغرم بها شعراء الصوفية (١) ومن هذا
نعرف أن الرمزىة نشأت مع التصوف
فى أول العهد به والصوفية أنفسهم قد أثر
عنهم ما يفيد التجاهل إلى الرمز لعمق المعانى
التى يعبرون عنها ، وفى ذلك يقول ابن عربى :
« ليس فى مستطاع أهل المعرفة لإيصال
شعورهم إلى غيرهم ، وغاية ما فى هذا المستطاع
هو الرمز عن تلك الظواهر لأولئك الذين
أخذوا فى ممارستها » (٢) .

ولابن عربى أيضا قصيدة يشير فيها إلى
استعمال الرمز فى تعبيراته وكتاباتاته أو ردها
فى ترجمان الأشواق وهى :

كل ما أذكره من طلل
أو ربوع أو مغان كلها

(١) فى التصوف الإسلامى وتأليفه من ٨
ترجمة عفيفى .

(٢) التصوف الإسلامى العربى من ١٤٦

وفي الشعراء أظهرهم ابن الفارض ، ومحى الدين بن عربي ، والنابلسي والفهروردي . هذا في دائرة الأدب العربي ، ويقول الدكتور عبد الوهاب عزام : « إن الأدب الفارسي ويقبعه التركي والأردى قد ترجم من فكر الصوفية ووجدانهم بالشعر لا بالثر وبلغ شعراء الصوفية في هذا السبيل غاية لم يدركها شعراء أمة أخرى » (١) .

هكذا مقدار ما بين الصوفية والأدب من صلات ، والمذهب الأدبي الذي آثروه في التعبير عن آرائهم وترجمة أفكارهم ، وتسجيل خواطرم ولحانهم .

وبعد ، فما هو الأدب الصوفي ، وهل هناك بحق أدب يمكن أن يسمى الأدب الصوفي ، وإن كان فما هي مظاهر ذلك الأدب الذي نريد أن نتكلم عنه .

هذه أسئلة تدور بخاطرنا الآن ، وسنحاول أن نجعل من الفصول الآتية إن شاء الله إجابات عنها ولإثباتها .

محمد إبراهيم الخبوشي

(١) التصوف وفريد الدين العطار ص ٤٢

فأصرف الخاطر عن ظاهرها
وأطلب الباطن حتى تعلما
وقد نشأ عن هذا اللون من التعبير أن انفرد الصوفية بلغة خاصة بهم ، واصطلاحات لاتعدادهم ، وأما ليب تحمل سمتهم دون غيرهم ، حتى لقد دعا ذلك بعضهم أن يؤلف في معاني هذه الاصطلاحات ، وآخر من عرفنا من هؤلاء الشيخ حسن رضوان « المصري » من صوفية هذا القرن .

وكان الثثر والشعر مجالا فسيحا للصوفية حينما يسجلون رأيا أو يعبرون عن لحظة من لمحات القلب ، وإشراقة من إشراقات النفس فأثارهم موزعة بين كل منهما إلا أن الثثر قد ذهب بالجزم الغفير من ذلك النصيب ، والشعر الصوفي بالنسبة للثر قليل ، وإن كان في الذروة من الجودة كما سئرى .

وكتب الصوفية حافلة بالثر المنسوب إلى مشايخ الصوفية ، خاصة كتب التراجم منها مثل : حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ، وطبقات الصوفية لعبد الرحمن السلمي ، ورسالة القشيري وما أثر عنهم من أحزاب وأوراد وحكم : كالشاذلي وابن عطاء الله السكندري وكثير سواهما .

الثورة الثقافية في الإسلام

للأستاذ حسن فتح الباب

- ٣ -

العلم عطاء ونوميه :

الهدف الواسع للثقافة :

والمؤمن المثقف الحق هو الذي يتتبع الناس بعلمه ، ولا يبتخل به ، ذلك أن العلم أخذ وعطاء ، والله تعالى يسبح عليه هلى الصالحين من عباده ، والرسول صلى الله عليه وسلم هو إمام المعلمين ورائدهم ، وقد قدم أروع المثل فى سبيل تعليم المؤمنين وتشجيعهم فواجب العلماء ألا يدخروا وسعاً فى هذا السبيل ، وأن يجعلوا من أنفسهم مراكز إشعاع لنور العلم والمعرفة .

ومصدق ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار) ، و (ساعة عالم متكئ على فراشه ينظر إلى علمه خير من عبادة العابد ستين يوماً) .

ولكى توثق الثقافة ثمارها ينبغى أن يكون العمل الجماعى دستوراً ، فلا ينفرد علم به ، وإنما يشارك الآخريين فى تحصيل المعارف وكشف الجديد منها ، ذلك أحرى أن يوثق الأواصر ويديم الروابط الفكرية بين أهل

تذبح مقومات الثقافة فى الإسلام - كما تقدم - من طبيعة رسالته وجوهر عقيدته فالإسلام هو الدين الحق الذى أنزله الله على نبيه هدى ورحمة للعالمين ، ومن ثم ينبغى ألا توضع حدود فاصلة بين العلم والدين ، إذ أنهما نشأ من منبت واحد وهو التفكير ، وهما يلتقيان غرضاً واحداً هو إسعاد البشرية روحياً ومادياً . والسبيل إلى ذلك أن يكون العلم هادفاً إلى بلوغ الغرض الاسمى لدعوة الهداية وهو تأمين الناس من شر ما يلقون من أنفسهم ومن تقلب الأحداث ، وأن يكون رب العلم إيجابياً بناءً فى سعيه إلى بث الحكمة والمعرفة بين الناس ، فلا يركن إلى الصوامع والأبراج العاجية ، وإنما يهبط إلى أرض الواقع ليشارك الناس حياتهم ويفيدهم بما حباه الله من ثراء فكرى . قال تعالى : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، وقال عليه الصلاة والسلام (لا رهبانة فى الإسلام) .

والواقع أن القيادة الجماعية والنقد الذاتي كانا من أهم الضمانات التي أرساها الإسلام للنهوض بحركة الإحياء العلمي والثقافي ولكفالة التطوير الدائم للمجتمع . فالنقد الذاتي عملية موضوعية يواجه فيها الأفراد أنفسهم فيخلصون قلوبهم من نوازع الذاتية الفردية ويقهرون التطلعات والمطامع الشخصية ، وهي عملية تطهير مستمر للنفس تزيل ما يمكن أن يرسب فيها أثناء السعي في ميادين الحياة ، والنقد الذاتي لا يقتنى مع الطموح الذي تجبذه الروح الإسلامية ، ولكنه ضد الانتهازية التي يقف دونها الإسلام مقلباً أظفارها .

والعلم عبادة ، فلا خير في امرئ لا يلتزم بقدسية الفكر والمعرفة وإن حظاً منهما بالنصيب الأوفى . وأوجب ما تستلزمه هذه القدسية الشجاعة والأمانة والدقة والبعد عن الغرض . واقد نصر الله عالمنا أحسن القصص في كتابه الحكيم ، وبين فيه من المثل والعبر ما يهدي الناس إلى الآداب التي تصلح حياتهم وتحقق أمنهم ورفاهيتهم فيذكر القرآن في سورة الكهف قصة موسى مع العبد الصالح إبراهيم بها إلى ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان في طلب العلم من حسن التواضع والنأي عن الغرور واحتمال المشاق في سبيله .

والعلم ويعود على المجتمع بالحخير العميم نتيجة لحفز الهم وشحن الجهود وحشد الطاقات .

ونعمة مقوم آخر للثقافة الإسلامية الصحيحة ينبثق من طابعها الإيجابي ، وهو الحركة والمرونة وانفساح الأفق ، فالإسلام دين الحرية يأبى الجود في العلم والثقافة ، ويحث على التحرر والانطلاق في ظل الشريعة السمحة والمبادئ الخالدة .

النهضة الثقافية تحرر في الرأي ونقد للذات :

ومن شأن هذا التحرر أن يخلق القيادات الرشيدة والحلاليات الصالحة في صفوف المجتمع فتزدهر الحضارة وينعم البشر بفتاها الخصب ويعمر العالم بالقدرات الخلاقة والسكافيات الموفورة وتتجدد الحياة ويطيب العيش فيها .

وهما هذه النهضة الثقافية حرية الرأي والفكر في إطار المثل العليا والتقاليد القويمة في المجتمع الإسلامي ، فلا قيد على النقد الحر البناء ولا عقوبة على الخطأ اليسير مع حسن الفية وكرم الطوية . وينبغي أن يبدأ الإنسان بنقد ذاته فلا يتعصب لقوله أو عمله ذلك أن العصمة لله وحده ، وإنما يكسب المرء من تجربة الخطأ في حين أن الإصرار على الخطأ عن تعصب أو جهالة ينأى بصاحبه عن حظيرة المجتمع ، وقد يريده في موارد التهلكة .

تؤدي إلى وحدة المشاعر والأفكار .
ولولا اللغة العربية التي سادت في جميع أرجاء الوطن العربي على اختلاف العصور والدول ، لما أمكن للثقافة الإسلامية أن تنتشر هذا الانتشار الذي يعتبره المؤرخون من أبرز الظواهر في تاريخ الإنسانية والذي يدل على خصوبة اللغة العربية وأصالتها وقدرتها على جمع شمل أهلها وتوحيدهم ، إذ كانت واسطة التفاهم بينهم وسبيلا إلى التقاء مشاعرهم .

وقد كانت اللغة العربية قبل الإسلام هي لغة الجزيرة العربية وبعض أطراف الشام والعراق ، فأصبحت في ظله لغة سكان الوطن العربي من الخليج شرقا إلى المحيط غربا ومن جبال طوروس شمالا إلى أواسط إفريقيا جنوبا .

وقد وحدت هذه اللغة الخالدة العرب في جاهليتهم ، فلما نزل بها القرآن دعم تلك الوحدة على أساس من الدين الحق ، وأخفى قداسه عليها وتطور بها العلماء المسلمون حتى صارت لغة حضارة تسير الحياة والزمن . ومازال اللسان العربي المبين لم يتغير في أصوله منذ أربعة عشر قرنا برغم ما أصيب به العرب والمسلمون من نكبة الاستعمار والحكم الدخيل .

ويقول الرسول عليه السلام في الحث على التزام الأمانة العلمية وتجنب التغرير والتبويه عن طريق التشاور بين أساتذة العلم ومربيه (تناصحوا في العلم ، فإن خيانه في العلم أشد من خيانه في المال) .

تلك هي المقومات الرئيسية للعلم والثقافة في الإسلام وقد تطورت هذه المقومات بتواتر الأخذ بها وتدعيمها حتى أصبحت قيا علمية - وثقافية واضحة في كل العصور الإسلامية الزاهرة ، فتفتحت منها حضارته العظمى ، ونمى من علماء المسلمين رواد وأبطال سمعوا في الآفاق ينشرون نور العقيدة ويبشرون بمبادئها السامية ويرفعون ألوية ثقافتها الإنسانية الحقبة أينما سلكوا أو أقاموا .

اللغة والثقافة من أركان الوحدة العربية :

ولقد كانت الثقافة الإسلامية وما زالت من المقومات الأساسية للقومية العربية ، وكانت وحدتها عاملا هيا دعم الوحدة العربية منذ أقدم العصور التاريخية ، إذ يرجع إلى الثقافة المشتركة في العالم الإسلامي الفضل في توحيده في ظل الدولة الإسلامية ، ولقد اقترن ازدهار الدولة دائما بازدهار الثقافة ، وأصابها الوهن بالتناقص عن نشر العلوم والثقافات بين أبنائها . ذلك أن وحدة الثقافة

أن اللغات الأوربية تفرعت من اللغة اللاتينية الأم ، ومن ثم نادوا باستبدال العامية بالعربية ، وهو زعم باطل لا يستند إلى أساس ، ذلك لأن الشعوب العربية تتكلم لهجات قريبة من اللغة الفصحى ، على حين أن اللغات التي تفرعت من اللغة اللاتينية خرجت عليها في قواعدها وضمت أخلاطاً من لغات مختلفة ، فالألمانية على سبيل المثال مزيج من اللغات الجرمانية واليونانية واللاتينية ، أما اللغة العربية فلم تدخل في تركيبها لغات أجنبية .

وهكذا كانت اللغة العربية وعاء للثقافة في الإسلام وديواناً لأجداد المسلمين وأداة لحضارتهم وواسطة لنقل المعارف بين الشرق والغرب نظراً لتوسط الوطن العربي في موقعه من العالم .

واستطاعت هذه اللغة الأصيلة أن تنهض بدورها التاريخي في الثورة الثقافية التي أشعلها الإسلام في ظلمات التاريخ فشعت أنوارها الفاعمة تهدي البشرية إلى سبيل السبيل وتحقق أمل الإنسان في التحرر والوحدة والرخاء .

فتح الباب

ولقد حاولت الشعوب قديماً الانتفاص من اللغة العربية وقدرتها على حمل مشعل الثقافة والمعارف العلمية المتطورة . وكانت ترى بذلك إلى هدم الثقافة والحضارة العربية لإخلاء السبيل لأعداء العرب والمسلمين كي يفزوا ببلادهم بلغتهم وثقافتهم ، ولكن العرب تمسكوا بلغتهم وثقافتهم وصمدوا في تحدى خصومهم إدراكاً منهم أن اللغة العربية هي وعاء ثقافتهم الإسلامية ولسان دينهم ، وهي أبرز الأسس في نشوء قوميتهم وتكوينها ، وانتصر الإسلام والعرب بانتصار لغتهم ، ولم يفلح الفرس والأتراك في هصور العباسيين في زعزعة اللغة العربية وإحلال الفارسية أو التركية محلها أو مساواتها بها .

ثم جاء الاستعمار الحديث فتبنى أسلوب الشعوبية القديمة في محاولة القضاء على اللغة العربية متوسلاً بذلك إلى القضاء على الحضارة العربية والقومية العربية التي هي ثمرة تلك الحضارة ، ولقد عمد الاستعمار إلى استخدام مختلف الأساليب من وعد ووعيد وترغيب وترهيب لتحقيق مقاصده العدوانية فافترى على لغة القرآن الأكاذيب ونسج المؤامرات واسنال إليه بعض الفئات مغرراً بدهوى

الملاحم والمطولات الإسلامية في الشعر العزني للدكتور سعد الدين المجيزاوي

- ٥ -

الجفاف الذي يسرد عليك مجموعة من المعارف في أعداد وأرقام ، أما الشعر القصصى فليس فيها منه شيء ، لأنها تفقد أهم أركانها وهو الخيال القوى الناقد الذي يقص عليك الأسطورة أو الحادثة التاريخية ، فيجعلك تستشعر ، وتلذسها بكل تفاصيلها وجزئياتها لمسا قويا ، حتى لكانها تحفر في ذهنك حفرا .

فالدكتور ضيف يرى أن عمل محرم هذا لا يستحق أن يسمى ملحمة أو إليادة ، ويبقى هذا الرأي على أمور أهمها :

١ - أن الشاعر لم يزد على أن حول سيرة الرسول إلى نظم ، فيه خصائص الشعر التعليمى الذى يسرد مجموعة من المعارف في أعداد وأرقام .

٢ - وأنه لم يعالج معركة بعينها ، وإنما تحدث عن عدة غزوات وحروب في عدة قصائد ضم بعضها إلى بعض .. كما أنه لم يستغل حادث غزوة بدر ونزول الملائكة فيطلق العنان لخياله ويمجد التصوير .

نقد الدكتور شوق ضيف وردنا عليه :
ولسنا نذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور شوق ضيف في ملحمة محرم من أنه لا يكتب ملحمة كالمحمة التي كتب فيها هوميروس ، وإنما يكتب ، أو قل ينظم سيرة الرسول . و الفرق بين نظم السير الشعر القصصى ، ذلك لأن الأول عمل آلى ، فالشاعر يقرأ التاريخ ، ثم يحوله شعرا ، أو قل يحوله نظما ، وهو لذلك لا يعالج حربا ولا ملحمة بعينها ، وإنما يعالج سيرة بطولة فيها الحرب ، وفيها غير الحرب .

و الخلاصة أن إليادة محرم ليست كما يظن حدثا جديدا في أدبنا ، بل هى عمل مسبق ، وأن من الخطأ أن نسميها . أو يسميها صاحبها إليادة وإنما هى مجموعة من القصائد في سيرة الرسول وغزواته ، وهى أشبه ما تكون بالقصائد الغنائية ومع ذلك فغنائيتها ضعيفة لاذ ليس فيها مشاعر مثيرة ، ولا صور حية ناضرة ، فلا تقرأها حتى تجد أنها زائفة بالفتور وسرطان ما يملؤك السأم والملل ، وهى لذلك شيء بين الشعر الغنائى والشعر التعليمى

٣ - فقدان هذا العمل أهم أركان الشعر القصصى وهو الخيال القوى النافذ الذى يصلح للأساطير .
أعني الساهرين على كلوم
تورقهم ، فثلك من أعانا

* * *

ومن أجل ذلك فهو يحكم على الإلياذة محرم، كما يسميها صانعها أو غيره بأنها لا ترقى إلى مرتبة الشعر الغنائى ، بل هى شئ شبيه به ، وأن ما فيها من آثار الغنائية ضعيف يبعث السأم والملل فى النفس إذ ليس فيها صور حية فاضرة تثير المشاعر .
فيالك خيمة للبر فيها
جلال لا يرام ولا يدانى
جلال الله ألقاه عليها
فجعلها بروعة وزانا
وفيدة : جاهدى ودعى الهوى
فما شرف الحياة لمن توافى
ورب مجاهد بلغ الثريا
وما عرف الضراب ولا الطعانا
وكم هز الممالك فى عيها
فتى ما هز سيفنا أو سنانا

لملح ...

ولكننا للحقيقة والإنصاف نقول :
١ - إن محرم ، لم يعمل على تحويل السيرة النبوية إلى نظم ، أو شعر تعليمى ، وإنما هو صور سيرة الرسول تصويرا شعريا أدى معه إلى جانب العمل الفنى فى التصوير عرض الحقائق التاريخية فى أمانة ودقة وتفصيل مغنى فى أسلوب أدبى لا تعليمى .
انظر مثلا إلى قوله فى مطلع الإلياذة :
املأ الأرض يا محمد نورا
واغمر الناس حكمة والدهورا
وفيدة : على الناس الحنانا
وزيدى قومك العالمين شأنا
خسذى الجرحى إليك فأكرمهم
وطوفى حولهم آنا فآنا
وإن هجج النيام فلا تنامى
عن الصوت المردد حيث كانا
هذا الروح الشعري : بكل مقومات الشعر العربى الرصين هو طابع الإلياذة العام ، غير أن طبيعة الموضوع ، وطوله ، وكثرة المواقف ، وحرص الشاعر على التسجيل الشامل للسيرة النبوية . . كل ذلك قد اضطر الشاعر أن يضع عناوين كثيرة تسير مع تسلسل الحوادث حتى أن الرأى يخالفها عناوين لكتاب تاريخ لادىوان شعر ، وأحيانا تتقارب هذه العناوين فتزيد فى الإيهام ، ولكننا إذا قرأنا ما وراء هذه العناوين وجدنا ما يعد من أروع الشعر .

ولئن وجد في بعض القصائد ما يشعر
بالسرد التاريخي أحياناً ، فإن هذا لا يخرج
الملحمة في مجموعها عن كونها شعراً ،
ولا يضعها بحال في عداد النظم ، أو الشعر
التعليمي .

وإذا نظرنا إلى عمل محرم في إلياذته
من حيث تصوير السيرة النبوية شعراً .
ثم قارناه بعمل شوقي رحمه الله في « أوجوزة
العرب الكبرى » وجدنا البون شاسعاً
ولاسيما في الجزء الخاص بالسيرة النبوية
إذ غلبت طبيعة الموضوع على شوقي فكان
في عرضه ناظلاً .

وما لنا نذهب بعيداً ونتعسف كما تعسف
الدكتور شوقي في اعتباره إلياذة محرم
« غنائية » وما بناه على عدم استكمال
غنائيتها من تقليل قيمتها ؟
ومن قال بأن الملحمة ينبغي أن تكون
غنائية ؟

نعم إن « الموضوعية » هي أهم خصائص
الشعر القصصي ؟ استمع إلى أرسطو يتحدث
عن « موضوعية » هوميروس في الإلياذة :
« فالحق أن الشاعر يجب ألا يتسكلم
عن نفسه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً لأنه
لو فعل غير ذلك لما كان محامياً . أما سائر
الشعراء فيزجون بأنفسهم في كل موضع
ولا يحاكون إلا قليلاً ونادراً ، بينما هوميروس

وقد رأينا في النماذج السابقة ما يؤيد هذا
الرأى ، وإليك نموذجاً آخر عن شهيد بدر :
طف بالمصارع واستمع نجواها
والثم بأفياء الجنان تراها
ضاح الشذا القدسي في جنباتها
فانشق ، وصف المؤمنين شذاها
حلل يروع جلالها ، ومنازل
من نور رب العالمين سناها
خمت حماة الحق ، ما عرف امرؤ
عزالهم من دونه أرجاها
شهيد بدر أتم المثل الذي
بلغ المدي ، بعد المدي ، فتناهى
علتم الناس السكفاح فأقبلوا
ملء الحوادث يدفعون أذاها
أما الغداء ، فقد قضيت حقها
وجعلتموه شريعة نرضاها
من رام تفسير الحياة لقومه
فدم الشهيد يبين هن معناها
لولا الدماء تراق لم تر أمة
بلغت من مجد العريق مناها
أدنى الرجال من الممالك من إذا
عرضت منايا الخالدين أباه
وأجل من رفع الممالك مظهرأ
بان من المهيج السماح بناها
(فهل من الإنصاف أن نقول إن هذا
« نظم » وليس شعراً ؟؟)

وإذن فن الإجحاف أن نوافي الدكتور شوقي على رأيه في تقليل أهمية إلياذة محرم لأنها ليست موضوعية لها ، ولأنها لا تصور كل ما صورته هوميروس ...

٢ - ولقد عفى محرم بعرض السيرة النبوية كاملة بأسلوب الشعر ، ولو قد وقف عند غزوة واحدة مثلاً واستبحر بخياله في أحداثها .. لكان عارضاً لجزء من موضوع كامل ، قصد هو أن يعرضه جميعه ، وهذا الموضوع هو سلسلة متصلة الحلقات من صراع رهيب غير وجه التاريخ واشترك فيه أشخاص ، وكانت فيه مواقف بطولية تستحق التخليد ، ويتلخص هذا الصراع في إعلان دعوة ، ثم المناخسة عنها ، ثم انتصارها واستقرارها ، فهو موضوع واحد فلا بد أن يعرض جميعه ما دام هدف الشاعر تيسره دراسته وتداوله ..

أما إنه لم ينظم قصيدة واحدة بقافية واحدة ووزن واحد كما فعل هوميروس فإن طبيعة الشعر العربي ، وقيود القافية ألا تسعف محرم ، ولا غيره بإنشاء أكثر من خمسة آلاف بيت على قافية واحدة .. وتعدد الأوزان والقوافي لا يقدر في عمل محرم ما دامت هناك وحدة وتسلسل في تصوير الأحداث ..

يبدأ باستهلال موجز ثم يعرض على الفور رجلاً أو امرأة أو أى شخص آخر يصور خلقه .

ولا جدال في أن الشعر القصصى هو الذى يتحدث فيه الشاعر عن سواء وعن مظاهر الطبيعة ، والمجتمع البشرى بعاداته وتقاليده ، وأبطال الحروب من غير أن ينم عن شعوره إزاء كل ذلك .

فإذا انقل الشاعر وعبر عن ذاتية في بعض أجزاء الملحمة ، فإن ذلك لا يقدر في عمله ولا يخرج عن شعر القصة وقد ورد في إلياذة هوميروس بعض الشعر الغنائى كرماء (أخيل) ووداع (هكتور) لزوجته وما شاكل هذا ،

فإذا فعل أحد محرم إلياذته في غير هذا ؟ إن طبيعة موضوعه قد اضطرت أن يكون موضوعياً ، يعبر عن غيره لا عن نفسه ، وأحياناً كان يفعل فيعبر عن إعجابه عندما كان يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن ألمه مثلاً عندما كان يرثى شهداء بدر أو غيرهم .

ومن الطبيعى ألا ينجح محرم في إلياذته الإسلامية إلى ما يطلبه الدكتور شوقي من الحديث عن الآلهة واشترأ بهم في الغزوات فإن ذلك بنافى العقيدة ، ولا يقره الإسلام . بل قد رأينا أفلاطون يستنكر ذلك من هوميروس نفسه !!!

قل (يا أبا سفيان) غير ملوح
فالسيف يخطب ، والخطوب تصرح

بيض على بلق ، تساقط حولها
سود مدممة تصاف وترمع

٣ - ولعل فيا عرضاء من نماذج
الإلياذة ما يشهد باستيفاء عندهم الخيال -

كما يعرفه الذوق العربي الإسلامي - مستمدا
من المعلومات التاريخية الإسلامية ، موجهها

بعاطفة إسلامية خالصة ، مصوراً في تلك
الصور البيانية الرائعة وما نحسب أن أحداً

يحكم على الإلياذة محرم بأنها خالية من الألوان
البيانية ، وما نشأ منها من صور قوية حية

مؤثرة ذات إيحاءات تبعث على النشاط
النفساني والذهني معا لا أنها تدعو إلى

السامة والضجر ، خذ مثلاً فير ما مريك
وغير ما يشيع في الإلياذة جميعاً ... تصويره

لفزع بني لحيان ، الذي أصابهم عند ما هلكوا
بالغزو - بعد أن كانوا يتحدثون من يحدتهم

عن قوة محمد وصحبه :

بني لحيان : راعبي لبأس
خبعت جمراته بعد اشتعال

فررتم تتقون الموت زحفاً
على القمم الشواهي والقلال

هو المسخ المبين ، ثن أسود
تصيد القانصين إلى وطال ؟ ؟

ولم يغفل محرم حديث نزول الملائكة
في غزوة بدر ، بل إنه صور وأجاد ولسكن
في حدود ما تسمح به العقيدة الإسلامية
لأن لم يكن بوسعهم أن يترك العنان للخيال
فيذهب مذهب هو، يروس - استمع إليه
في ذلك :

الله أرسل في السماء كتيبة
تمفو كما هفت البروق اللبح

تموى مجلجة ، تلب أعين
منها ، وتغذف بالعواصف أجنح

للخيل حجمة تراع طوها
صيد الفوارس ، والعناق القدح

وحيزوم : أقدم ، إنما هي كرة
عجلى تمهاذبك العناق فتمزح

جبريل ، يضرب ، والملائك حوله
صف ترض به الصفوف وترضح

تلك الحصون المانعات ، بمثلها
تدري المعادل والحصون وتذرح

لقوم في أعناقهم وبنانهم
نار تريك الداء كيف يسبح

جفت جذور الجاهلية والتوى
هذا النبات الناضر المسترشح

طلق الثرى من حولها لما ارتوى
من ذوب مهمتهم ، يحف ويبلح

ومن الدم المسفوح رجس موبق
ومطرير يلد الحياة ويلقح

تصويرا للمواقف حاسمة ، فيها ألوان البطولة والغداه ، والصبر ، وتناولت شخصيات جديرة بالتخليد . . فإن عرض هذا اللون من الشعر على الشباب الإسلامى يخلق فيه ذلك الروح الوثاب إلى المثل العليا والقيم الإنسانية الرفيعة .

أما من الوجهة التاريخية فإن هذه الإلياذة قد سجلت فترة ناضرة من حياة المسلمين بخاصة ، وتاريخ الإنسانية بعامة . . تلك الفترة التى اضطهرت فيها مبادئ الإيمان والتوحيد ورسم الخطوط الأساسية العامة للعقدالة والرقى الاجتماعى ... مع الوثنية والفوضى الاجتماعية .. فصرعها وغيرت مجرى التاريخ .

وبالنظر إلى تدقيق محرم فى تصوير الأحداث مفصلة إلى حد كبير ، مع حرصه على ذكرى ما يتعلق بالسيرة ، واعتناؤه فى كل ذلك على مرجع هام من مراجع التاريخ الإسلامى ، فإن هذه الإلياذة تعتبر مرجعا من مراجع السيرة النبوية العامة التى تكون صدر تقيف عام بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وهبده المبارك .

ونسكتفى بما تقدم عن محرم والإلياذة ، راجعين أن تتاح الفرص الكشيرة ، وتنبأ الظروف لدراسة هذا الذخر الثمين .

دكتور محمد بن الجيزاوى

ثم أقرأ كذلك تصويره فى غزوة أحد لذلك الحوار العنيف الذى دار بين المبارزين من المسلمين والمشركين ، ثم وصف مقتل حمزة تجدفنا بارعا فى دقة التصوير .

وكيفما كان الأمر فإن ديوان مجد الإسلام ، لمحرم أو إلياذته ، أو ملحمة ، كما تسمى لم تعرض بعد على بساط البحث أمام الأدباء والنقاد كما ينبغى فى مصر وغيرها من الأقطار العربية إذ أنه لم يطبع ، ولم تعمر به المكتبات لذلك ينبغى ألا نأخذ برأى هادم لقيمه .

وسوف تنصف الأيام ذلك الشاعر الذى وقف حياته على خدمة العرب والإسلام . وإذا أردنا أن نعرف قيمة هذه الإلياذة بالنسبة لثرائنا العقل ، وجدنا أنها ذات قيمة كبرى من الوجهتين الأدبية والتاريخية .

فإنها من الوجهة الأدبية قد أضافت ذخرا ثميناً إلى الشعر العربى يعتبر أكبر عمل من نوعه فى شعر العصر الحديث ، وقيمتها من هذه الناحية لا تقتصر على عدد أبياتها ، بل لأنها فى موضوع واحد له أهميته بين موضوعات التاريخ الإسلامى إذ يعتبر رأسها جميعا وهو السيرة النبوية ، وقد جمعت أشبات هذا الموضوع ، وهرخته هرصا شافها مفايرا لأسلوب النثر المألوف فى رواية مثل هذا الموضوع .

وإذ قد عرفنا أن هذه الإلياذة تضمنت

مِنْ نَحْوِ مَجْمَعِ الْبَحْثِ

نظام الحسبة في الإسلام

للدكتور إسحاق موسى الحسيني

(بقية)

بقيت مسألة يستلزم الإنصاف ذكرها ، لأن كتب الحسبة تكشفها ، هي التفتن في الغش ، مع أن أوامر الله صريحة بمنعه . فكيف وقع ذلك في مجتمع فاضل قام على ما بيننا من قواعد دينية وخلقية من أسس ما عرفته المجتمعات الإنسانية ؟

أيرجع ذلك إلى طبيعة المدن الكبيرة التي يكثُر قاطنوها ويفجدر إليها الغرباء بائعين ومشتريين ؟ يقول الشيوزي في ختام الفصل الذي عقده على غش العطارين : « ولا يتجاسر على عمله ويبيعه إلا الغرباء الأعاجم ومن يدور في خلال الدروب . فلا يعمل الخسب السكشاف عن ذلك كله ، وإشهار فاعله بالتميز على ما تقدم ، ^(١) .

أيرجع إلى أن العرب أصلاً كانوا يزورون هن الصنائع ويكثرونها إلى فئات معينة كالنور والمودحتي أضفى أكثر أربابها من أهل الذمة ^(٢) .

أيرجع إلى الترف الذي استفحل في المدن

(١) نهاية الرتبة ص ٢٣ .

(٢) د د د د .

ودفع الناس إلى كسب المال حلالاً أو حراماً ؟ أيرجع إلى تفشي الرشى والتسكيب بالحسبة بعد أن أعرض عنها السلطان ، ونذب لها من هان (١) .

أيرجع إلى أن الخسب صار ملتزماً - في بعض الأزمنة - يشتري الحسبة بالمال ويمارسها بالقهر والسلطان ، ويجمع الأموال بالحلال والحرام ويوم ذلك سككت عن الغش حتى استفحل ؟ أيرجع إلى تفشي المذاهب الهدامة حتى أصبح المجتمع الواحد مجتمعات متناحرة يغش بعضها بعضاً ؟

أيرجع إلى آفات الطبيعة من أوبئة وقحط وما ترتب عليها من خزن التجار الأوزاق وبيعها بالفلاء ، وانتشار الجوع والفقر ؟ غشنا ليس منا (٢) .

كل هذه الأسباب أو بعضها جائز . ولكن الحقيقة التي ينبغي أن يقال هي أن المؤمن الذي يعرف حق الله وحق الناس لا يغش ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من يضاف إلى ذلك أن الغش يقل ويكثر

(١) الأحكام السلطانية ص ٢٤٥ .

أولاً : ألف كتاب والى المدينة البيزنطى فى القرن العاشر للميلاد ، والحسبة وإن تأخر التأليف فيها إلى أواخر القرن الثانى للهجرة أو أوائل القرن الثالث ، ترجع أصولها إلى نصوص فى القرآن الكريم وفى الأحاديث النبوية ، وإلى سنة رسول الله وخلفائه ، منذ فجر الإسلام ، أى قبل كتاب والى المدينة بنحو قرنين ، وأصاب ابن بسام بقوله : ونجم من ذلك علم خاص يدهى بعلم الاحتماس يبحث عن الأمور الجارية بين أهل البلد من معاملاتهم التى لا يتم التمدن إلا بها ... (١) .

ثانياً صدر كتاب والى المدينة بالعبارة التالية : « إن الله بعد أن خلق ما هو كائن من الأشياء وكفل للعالم الأمن والوفاق خط بإصبعه على الألواح القانوق ، ونشره علينا حتى لا يتناول الناس ، وقد اهتمدوا به ، بعضهم على بعض ، ولا يطفى القسوى على الضعيف ، بل يذبغى أن تسير كل الأشياء وفق ما هو مقدر لها من نظام (٢) . والمعروف أن الإنجيل لم يحتو على قانون ، ولم يتدخل فى شئون الدولة ، إذ قرر أن ما لله لله ،

باختلاف البيئات . فهو كثير فى المدن قليل فى القرى والبادية . وهو كثير عند أصحاب الحرف والصناعات وقليل عند المزارعين . وهو كثير فى المدن التى يطرقها الدخلاء والغرباء . قليل فى المدن النائية قليلة المسالك . هـ — وأخيراً هل اقتبس المسلمون الحسبة من البيزنطيين وصبغوها بالصبغة الإسلامية ؟ دها المستشرق Gustar von Grunebaum فى كتابه Medieval Islam (١) إلى عقد موازنة بين الحسبة فى الإسلام ، وكتاب (والى المدينة) البيزنطى (٢) .

الذى The Byzantine Book of Perfect ينظم شئون الصناع والتجار فى القسطنطينية . ولا ندرى الحافز إلى ذلك ، أهو اعتقاده أن المسلمين اقتبسوا الحسبة من البيزنطيين وصبغوها بالصبغة الإسلامية أم ما وجدته من وجوه الشبه بين حامل المحاسب المسلم ووالى المدينة البيزنطى من ناحية وبين كتب الحسبة التى ألفها المسلمون ، وكتاب والى المدينة البيزنطى من ناحية أخرى .

وقد قرأنا كل ما وصل إلينا من كتب الحسبة وقرأنا كتاب والى المدينة البيزنطى وانتهينا إلى ما يلى :

(١) ص ٢٤ ط شيكاغو ١٩٤٧ .

(٢) نقله إلى العربية ونشره الدكتور السيد الباز العربى فى مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ١٩ ، ج ١ ، مايو سنة ١٩٥٢ من ص ١٣٥ — ١٧٨ .

(١) نهاية الرتبة فى طلب الحسبة لابن بسام المحقق ، مجلة الشرق سنة ١٠ هـ د ٢١ ص ٩٦٢ سنة ١٩٠٧ .
(٢) ص ١٤٦ .

والولاية ورجال الدين الأمر الذي يدل على اختلاف كل في النصد والوسيلة .

رابعاً : يندر في كتاب والى المدينة ذكر العبادات والأخلاق في حين تعنى الحسبة بها أكبر عناية ، وتجمل حقوق الله في مقدمة ما ينبغي أن ينظر فيه المحتسب وقد أجمع مؤلفو الحسبة على أنها من الأمور الدينية وأن الضابط فيها هو الشرع (١) .

خامساً : كتاب والى المدينة يضع قيوداً على الأجانب واليهود والعبيد ، والحسبة على تقيض ذلك لا تجعل من هؤلاء فئات مقيدة وهي تطبق أحكام الشرع والعهد حتى اشتهر المسلمون بالتسامح ، واتخذ اليهود العالم الإسلامى ملجأ في عصور الاضطهاد ومحكم التفتيش ، واستأثروا ببعض الصنائع .

والخلاصة : أن الفروق جوهرية في الهدف والأصول والفرع ، ولا مسوغ للقول أن الحسبة مقتبسة من البيزنطيين .

ولكن هل انطوى المسلمون على أنفسهم وحرّموا الإفادة من الحضارات الإنسانية ؟ جميع القرائن تدل على أن الحسكة كانت ضالّتهم ، والفائدة مطلبهم ، وأنهم كانوا كالعالمين يلتقطون الحسكة والفائدة بعيون حادة البصر ويتجنبون الضار ما وسعهم الحال .

(١) الأحكام السلطانية ، ٢٤٥ ، ونهاية الرتبة ص ١١٨ الخ .

وما لقيصر لقيصر ، وما ذكر في سفر التثنية من العهد القديم أضيق من أن يتسع للبحاى الواردة هنا ، والعبارة أشبه بما يعتقد به المسلمون من أن القرآن الكريم كتب في اللوح المحفوظ .

ثالثاً : معظم كتاب والى المدينة يدور على الجواهرين والصيارفة وتجار الملابس الحريرية وتجار المفسوجات الحريرية السورية وتجار الحرير الخام وغزالي الحرير ونساجيه وتجار المفسوجات الكتانية وتجار العطور والروائح ، وصناع الشمع وصناع الصابون من ص (١٥١ - ١٦٧) وصناع الجلود وباعة الخنازير ، وأرباب الخانات ، وقليل جداً منه يدور على باعة المواد الغذائية ص ١٦٧ - ٢٦٨ - والجزارين ص ١٦٩ - ١٧٠ وباعة السمك ١٧١ - والخبازين ١٧٢ - ومفتشى سوق المشية ص ١٧٤ - ١٧٦ - وأرباب الحرفة كالسبكائين والمزخرفين والرخامين والطلائين ص ١٧٦ - ١٧٨ .

وعناية والى المدينة بالقسم الأول الأكثر يرجع إلى أن مصاد تلك الصنائع متصلة بالإمبراطور والأمراء والإقطاعيين رجال الكنيسة الذين كانوا يحرصون على توفرها في الأسواق وعلى أن يكون بعضها بأيديهم والحسبة تعتمد في أكثر على حاجات الشعب كالغذاء والكساء وبناء المساجد والأسواق

ومن الثابت من الوثائق أن المملكة الصليبية في بيت المقدس أخذت المحبة وأعمالها من المسلمين حتى إنهم استعملوا لفظة « المحاسب » العربية في كتابتهم Mathessep (٢) .

وفوق كل ذي علم عليم ...

ونخرج من هذا البحث بثلاث نتائج :
الاولى : الدعوة إلى بحث ما اندرس من المحبة ، لاسيما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اتباعا لقول الرسول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » ، على أن يتولاها أصحاب العلم والكفاية . وذلك للقضاء على السلبية ، ومظاهر التفكك التي تبدو في بعض المجتمعات الإسلامية .

الثانية : العناية بالتراث الإسلامي الذي يحتوي على جواهر فريدة والذي فرطنا فيه حتى خرج كثير منه من ديارنا .

الثالثة : العناية بتاريخ الإسلام والمسلمين وللتأليف فيه بالعربية وباللغات الإسلامية والأوربية كما يفهمه الناس على وجه الصحيح مصنى من الشواثب .

دكتور إسحق موسى الحبيبي

(١) نشر الوثائق الدكتور السيد البر العربي بالفرنسية والعربية وألحقها بكتاب نهاية الرتبة ص ١٢٥ - ١٢٩ .

وهذه القرائن موجودة في كتب المحبة نفسها .

١ - فالحرف والصناعات التي وجدوها مفيدة أذنوا بها في بلادهم ، وتعلموها من أربابها ونبدوا ما لم يقدم كالتنجيم والعموذة (١) .

٢ - رروا في كتبهم عن اليونان والفوس والهنود ونعتوا هلبام بالحكام (٢) .

٣ - ترجوا العلوم كالفلسفة والطب والصيدلة والكيمياء .

٤ - لم يجدوا عذورا في اقتباس عهد (بقراط) وهو وثي (٣) .

ولذلك شهد المؤرخون أن الحضارة الإسلامية فتحت فتوحات باهرات في مختلف النواحي ، وأنها كانت القنطرة التي عبرت عليها الحضارة الإغريقية القديمة إلى أوروبا فأيقظتها من سباتها .

(١) معالم القرية لابن الأخوة ص ١٨٢ ونهاية الرتبة ص ٩٨ .

(٢) نهاية الرتبة ص ٩٨ ومعالم القرية ص ١٥١ .

(٣) نهاية الرتبة ص ٩٨ وبقراط طبيب يوناني أطلق عليه أبو الطب وله حوالي سنة ٤٦٠ قبل الميلاد . انظر طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٤ - ٢٧ وحاشية نهاية الرتبة ص ٩٨ رقم ٢ .

الملكية في الاسلام

للأستاذ علي الخفيف

- ٩ -

التعريف بالملكية :

في القاموس المحيط : ملكه ملكا ، مثلك الميم ، وملكه عركة وملكه بضم اللام أو يثلك احتواه قادرا على الاستبداد به .

وكلمة الملكية على هذا اسم صيغ من المادة منسوباً إلى المصدر وهو الملك ويدل

على معنى الاستئثار والاستبداد بما يتعلق به من الأشياء وذلك ما يلاحظ فيما انتهى إليه معنى الملك عند رجال الشرع والقانون إذ قد عرفوه بما لا يجائ هذا المعنى فعرفه الخاوي القدسي : بأنه الاختصاص الحائز .

أي الذي يخول صاحبه منع غيره وعرفه السكالي بن الهمام في أول كتاب البيع من كتابه فتح القدير : بأنه القدرة على التصرف ابتداءً لإلزامه . يريد أنه قدرة مبتدأة لا مستمدة من شخص آخر وعرفه القرافي في كتابه الفروق : بأنه حكم شرعي قدر وجوده في حين أو في منفعة يقتضى تمكن

من أضيف إليه من الأشخاص من انتفاعه بالعين أو بالمنفعة أو الاعتياض عنها ما لم يوجد مانع من ذلك .

وعرفه صدر الشريعة في شرح الوقاية بأنه اتصال شرعي بين الإنسان وبين شيء يكون مطلقاً تصرفه فيه وحاجزاً عن تصرف الغير .

وقد أضمنت هذه التعريفات جميعها معنى الاختصاص والاستئثار فهو موضح به في بعضها ولازم لما يدل عليه بعضها الآخر .

وهذا هو ما نجد فيه عرفه به رجال القانون إذ عرفه بعضهم بأنه سلطة تمكن صاحبها من استعمال الشيء والإفادة منه بجميع الفوائد التي يمكن الحصول عليها على نحو مؤبد وقاصر على المالك^(١) وعرفه آخرون بأنه حق يعطى صاحبه سلطة على

(١) محاضرات في القانون المدني الفرنسي ج ١

تدفع إليه في بداية وجود الإنسان ونشأته ولم يكن له من هم يومئذ سوى سد حاجته إلى ما يطعمه يتناول منه ما يشبعه وربما لا يفكر في ادخار شيء منه لانعدام التزام عليه يومئذ ، ولذا كانت العروض في ذلك شائعة بين الناس فائضة عن حاجتهم وفيها فوق كفايتهم وكانت بسبب ذلك مباحة فيما بينهم فكانت صلة الإنسان بها هي الإباحة التي انتمت بالتطور إلى أن صارت ملكية بالمعنى السابق وذلك بعد مدة من الزمن وبعد حدوث التزام وتعارض الرغبات مما دعا إلى الحيابة ودفع إلى الادخار والاختصاص ومن هذا يرى أن أمر الناس في البداية كان يقوم على الإباحة ثم تطورت بمرور الزمن إلى أن صارت ملكية تقوم على الاستئثار والمنع وكان لها بعد ذلك حين وجدت الشرائع من القواعد والحدود والتهذيب والخصائص والآثار ما اختلف باختلاف الشعوب والشرائع والأعراف وكان هذا الاختلاف مرتبطا ارتباطا وثيقا بالنظم الاجتماعية والمعتقدات الدينية .

وهي هذا الأساس نستطيع أن نقول إن الملكية لم تكن إلا تطورا أخيرا للإباحة التي كانت لجميع الناس في عهدهم الأول في مجال الانتفاع بما سخر لهم في هذا الكون بما يحويه سطح الأرض ولم تنقلب ملكا

الشيء تجعل له فيه ولاية ومسكنة وتخوله جميع وجوه الاستعمال والانتفاع والاستهلاك ما لم يلزم من ذلك ضرر بالغير (١) .

وعرفه آخرون بأنه الحق في الانتفاع بالمال المملوك على وجه التأييد والتصرف فيه بطريقة مطلقة دون من عداه من الناس (٢) .

ويرى في بعض هذه التعريفات أن حق الملكية قد قيد بالآثار المترتب عليه إضرار بالغير وهذا ما انتهى إليه أخيراً نظر الفقه والقضاء إذ حدد فيه سلطان الملكية بعدم التجاوز إلى الإضرار بالغير وإن كان هذا الضرر محل خلاف في تقديره وتحديد ما يراه منه ونتيجة ذلك ألا يعد من آثار الملكية ما يترتب عليه الإضرار بغير المالك عند استعماله ، ذلك ما انتهى إليه التطور في معنى الملكية على مرور الزمن واختلاف البيئات والأعراف ووصول التفسير إلى ما وصل إليه من تبلور ونضج .

ولم يكن هذا المعنى هو ما كانت عليه الملكية في بداية نشأتها إذ لم تكن إلا مجرد انتفاع تدعو إليه الحاجة ثم ينتهي بسدادها . ولم يكن لعنصر الحيابة والاختصاص أهمية

(١) حقوق بغداد في القانون الفرنسي للدكتور
لنهي الأستاذ بكية حقوق بغداد .

(٢) دكتور محمد صالح في كتابه أصول الامتداد

وبناء على ما تقوم عليه الملكية من الاستئثار والتسلط يرى أنها حين نشأت ووجدت إنما نشأت وتعلقت بالفرد إذ هو الذى ابتدأ الحياة لحاجته ، والاستئثار فى سبيل سد خلته من طعام ونحوه فنشأت بذلك الملكية الفردية التى تختص بفرد معين وكان ذلك فى زمن لم تتميز فيه الملكية الجماعية ولم تبلور ، وبعد ذلك بمدة وجدت الملكية الجماعية وتميزت وذلك حين وجدت القبيلة وصار لها وجود تتميز فيه بالترابط والاستقلال والتعاون ، والتناظر ، ووحدة السكن والغرض والسعى للحصول على الرزق وتوفيره فظهرت بسبب ذلك ملكية القبيلة للأرض التى تقلهم وفيها نشأوا وفيها يسعون للراعى التى ترى فيها أنعامهم ، وملكيتهما للأنعام التى ترعى فيها وذلك بجانب ملكية أفرادها لما هو من خصائص كل شخص من طعام وملبس وسلاح ونحوه . وبناء على ما كان لكل شخص من حق فى الانتفاع بما يجده أمامه حيث تدعوه حاجته إلى الانتفاع به على وجه من الوجوه وعلى ما انتهى إليه أمر الناس من إقرارهم مبدأ الاختصاص والاستئثار فيما تحوزه أيديهم بما يرون أنهم فى حاجة إليه وكان فى بداية أمره محلا لانتفاع الجميع وشيوع ذلك فيهم وانتشاره بينهم

بالمعنى المعروف إلا باستئثار القائم على الحياة والمنع ولا يزال هذا الوضع الأول أو هذه الصورة الأولى للملكية ماثلة إلى الآن فى الانتفاع العام بالماء والكلاء والغار وغيرها مما تحتويه الفياق والجبال والأنهار والبحار ومن هذا كانت النار من بين الإباحة والملك هو ما فى الملك من معنى الاستئثار والمنع .

وقد وجد هذا الاستئثار نتيجة لغريزة فطرية فى الإنسان هى حبه للاستئثار والحياة فن هذه الغريزة نشأت الملكية ونولدت فإن الإنسان الأول لم يكن ليسد حاجاته الضرورية إلا بوسيلة التناول والاحتياز وهو إذا ما احتاز تملك وإن كان تملكه يومئذ لا يعنى أمراً خلاف حياته لما استولى عليه فى سبيل سد حاجته ، ولذا كان مجال الملكية يومئذ ضيقاً لا يكاد يتجاوز ما يتصل بالإنسان اتصالاً مباشراً فى سبيل اقتناؤه الخاص كالطعام واللباس وآلة الدفاع ونحو ذلك ، ثم اتسع مجالها شيئاً فشيئاً بمرور الزمن إلى أن شملت سطح الأرض وما يحويه سطحها بل لقد تجاوزت فيما بعد المشاهد من الأشياء إلى الآور المعنوية الاعتبارية كحقوق الاختراع والاكتشاف والتأليف مما يعرف بالملكية الأدبية والملكية الفنية .

حبه للحياة والاستثمار ولما جبل عليه من ميل ورغبة في الحياة لا تكون له إلا إذا طعم ولا تطيب له إلا إذا سكن فإذا تناول ما يقيته أو استقر فيما يسكنه فقد ملك قوته وسكنه كما يمتلك ما يدفع به عن نفسه من سلاح ونحوه .

وهذا بالنظر إلى الملكية الفردية ، أما الملكية الجماعية فهي مظهر من مظاهر وجود الجماعة واستقلالها وتميزها ، ولما كان الفرد أبقى وجودا من وجود الجماعة كانت الملكية الفردية حابقة في الوجود على الملكية الجماعية فوجدت الملكية الفردية بوجود الإنسان أولا ثم وجدت بجانبها بعد ذلك الملكية الجماعية وذلك بعد أن نشأت الجماعة وتميزت بروابطها وصفاتها ، وقد ظل الأمر على هذا بجمع العصور التاريخية والأزمان المتعاقبة لم تنفرد إحداها عن الأخرى ، وغاية ما يلاحظ أن إحداها قد تغطي في وجودها على وجود الأخرى فتكون أكثر شمولاً وأظهر وجودا وأخرى أن تعد القاعدة التي يقوم عليها اقتصاد المجتمع ونظامه المالي والاجتماعي .

كان ذلك عند قدماء اليونان وقدماء الرومان وفي إسرائيل وفي المصريين وغيرهم من الأمم وكانت ملكية الأرض عندهم هي مجال

نستطيع أن نقول إن إقرارهم هذا الوضع ليس إلا إقراراً لحق الملكية الفردية وإنه لم يكن إلا منحة منحها المجتمع بإقراره ونزل عنها لما رآه فيها من مصلحة ووفاء بالحاجة واتساق مع الرغبة ، وإنما قد أصبحت أساساً لقيام نظامهم الاقتصادي ، وقياماً لحياتهم التي يعيشونها . وكانت الملكية الفردية بمراعاة هذا المعنى أقرب أن تكون خلافة يقوم بها الفرد مقام المجتمع ، وأنها ليست بالحق المطلق ، وعلى ذلك يجب أن تؤسس حقوق المالك فيما يملك بحيث يكون الإنسان فيه مضطاعاً بنبابة اجتماعية ، مطالباً بحقوقها متمتعاً بحماية القانون في نطاق حدودها ، فإذا ما تجاوزها حرم من تلك الحماية وهذه النظرة لا تخالف في الواقع نظر الشريعة الإسلامية إلى الملكية الفردية بدليل ما قيدت به منها من قيود تهدف إلى عدم الإساءة في استعمال حقوقها كما سيأتي بيان ذلك .

في تاريخ الملكية :

الملكية ظاهرة من ظواهر المجتمع لا تنفك عنه ولا تزاله حتى أنها تعد لازمة من لوازم الحياة وبما فيها من معنى الاستثمار تلاحظ في الحيوان يستولى على قوته فيذود عنه بقوته ويحرص على الاستقلال به ، وهي في الإنسان أثر لغريزة من غرائزه هي غريزة

تأثير اختلاف الرغبات والقدرة على العمل والرغبة في اختصاص كل بشرة بمجوده ونشاطه ، وكذلك كانت ملكية الأنعام فيهم قبل دخولهم أرض كنعان ملكية جماعية أسرية لكل أسرة أنعامها وإن كانت مشوبة ببعض مظاهر الملكية الفردية ثم استحوالت فيما بعد ذلك إلى ملكيات فردية لكل شخص أنعامه الخاصة به ، ويدل على ذلك أن الحديث الذى جاء فى العهد القديم عن أصحاب الأنعام ومنازلاتهم بشأن تلك الأنعام ، إنما كان حديثاً عن أشخاص مالكين لها يمثلين لأنفسهم لا يمثلين الجماعات أو أسر .

أما ملكية المنقول من الأموال كالمنازل والنقود فقد كانت فيهم ملكية فردية كما يدل على ذلك ما جاء فى العهد القديم من قصص .

غير أن استقرار الأمور على هذا الوضع هياً لهم الفرص العديدة لاستثمار الأموال ، ولإنماء الثراء فطفقوا يعملون ويستثمرون ، ولاختلافهم فى القدرة على العمل والاستثمار والإحسان فيه وانتهاز الفرصة عند سنوحها تباينت ثرواتهم وعظم التفاوت بينهم واختل التوازن المالى بين طبقاتهم ، فاستعملوا المعزوق منهم على من هم أقل ثراء واستعبدوا الفقراء منهم فسلبوهم أموالهم وحقوقهم وظهر الإقطاع فيهم ، فاحتاز الأرض عدد محدود منهم

تداول المال والثراء ، لأنها كانت فى تلك العهود قبل النهضة الصناعية وانتشار التجارة على وضع واسع أهم مصدر للثروة إن لم تكن يومئذ المصدر الوحيد لها وكان هذا التداول نتيجة طبيعية لحال تلك الأمم الاقتصادية والاجتماعية وتغيرها بسبب ظروفها الاقتصادية المتطورة وما كان يطرأ على توزيع الثروة من تفاوت عظيم يودى إلى اكتنارها وتجمّعها فى أيدي عدد قليل من أفرادها بينما يرى أكرم - ثر أفرادها فى فقر مدقع جعلهم فريسة لاطماع ذوى الثراء الواسع وشرهم فساموم ذلاً واستخدموم آلات قاصمة الإرادة لتنفيذ أهـوائهم ورغباتهم تحت تأثير عوزهم وحاجتهم .

الملكية فى بنى إسرائيل :

فى بنى إسرائيل وجدت الملكية بنوعها فكان للشخص منهم ملكية خاصة تتناول حاجاته الشخصية وما يتصل بها من أدوات ، وكان لهم بجانها ملكية جماعية تتمثل فى ملك الأرض ، وذلك حين استولوا على أرض الكنعانيين وأرض فلسطين ، فقسموها بينهم على عدد قبائلهم فكان لكل قبيلة حظ معلوم يتناسب مع عدد أشخاصها وذلك وفقاً لما شرع لهم ، كما جاء ذلك فى سفر العدد . وعلى ذلك كانت ملكية هذه الأرض ملكية جماعية ثم انتهت فى النهاية إلى ملكيات فردية تحت

عندهم من العوامل الهامة التي أثرت في حياتهم السياسية وكانت ملكية الأرض عندهم في بداية أسرها جماعية تختص بها القبائل ثم تحولت إلى ملكية أسرات كما يستفاد ذلك من الإلياذة ثم استعالت بعد ذلك إلى ملكيات فردية غير أنه قد أتى على إسبطة بعد هذا التحول عهود كانت تلغى فيها الملكية الفردية ويعاد توزيع الأرض بين الأسرات نتيجة لتضخم الثروات وصيرورة أكثر الأرض إلى فئة قليلة من السكان وسوء توزيع الثروة القومية وظهور الطبقات في الأمة وسيادة الإقطاع مما أدى إلى اضطراب الأمور وثورات النفوس ، وده إلى معالجة هذه الحال وإصلاح هذا الفساد .

الملكية عند الرومان :

وعلى هذا الوضع أيضا كانت ملكية الأرض عند الرومان فكانت عندهم في البداية ملكية جماعية وظلت الحال على ذلك ردحا طويلا من الزمن ثم بدأت تنجز إلى ملكيات فردية وما لبثت بعد ظهورها في الوجود أن استخدمت في القسايق على جمع المال وإنماء الثراء وشراء الأرض ولم يمض وقت طويل حتى وصلت ملكية الأرض إلى درجة

تكدست معظم الثروات في أيديهم واختفت الملكيات الصغيرة ، وهوى أكثر أفراد الشعب إلى حضيض البؤس والشقاء مما دعا نبي الله أشعيا إلى أن يقول : ألا تعسا لأولئك الذين يمدون ملكياتهم من منزل إلى منزل ومن حقل إلى حقل حتى لا يكون موضع قدم لغيرهم وحق يستأثروا وحدهم بسكنى هذه البلاد ، الإصحاح الخامس ، وكان ذلك سببا في ظهور أفكار اشتراكية اعتنقتها فرقة الحسدبين في القرن الثاني قبل الميلاد فهاهنت هذه الفرقة تندد بنظام الملكية الفردية وما لهذا النظام من آثار سيئة في المجتمع وتدعو إلى الملكية الجماعية والتسوية بين الناس والتعشف في المعيشة ، وجعلوا جميع ما في حياتهم من أرض ومنقولات وملابس وطعام ومتاع ملكا عاما شائعا يحفظون ما يزيد منه على حاجتهم في مخازن عامة ويشرف على إدارته وشئونه وتوزيعه أناس يختارون لذلك بطريق الانتخاب ولم يتح لهذه الفرقة ولا لمبادئها الدوام فانهقرضت بعد مدة من الزمان .

الملكية عند اليونان :

وكذلك كان حال الملكية عند اليونان فسارت سيرها في إسرائيل وكانت الملكية

من تحدته نفسه بالإغارة عليها لا يختص بذلك صاحب المال .

أما الملكية الجاهلية فلم يكن لها فيما يبدو مجال في هذا النوع من الأموال عند العرب وإن جاز أن تكون قد وجدت في أنعامهم في وقت من الأوقات ملكاً للقبيلة جميعاً على سبيل الشيوع وبخاصة إثر الإغارات التي كانوا يشنونها على غيرهم قبل أن يتقاسموا الغنائم التي يغنمونها فيما بينهم .

وكذلك كانت الملكية الفردية موجودة في الأرض والمساكن بالنظر إلى الحضريين سكان الحواضر والقرى كمكة ويثرب ونحوهما فكانوا يملكون دورهم ملكاً خاصاً كما كان لهم من الأرض ما يقومون على زراعته وجنى محصوله للانتفاع به وفيما روى من الآثار عن يثرب وساكنتها من الأوس والخزرج واليهود وعن خيبر ومزارعها ونخيلها وعن مكة ودورها أدلة عديدة على وجود هذه الملكية في الدور والأراضي والنخيل بما لا يدع محلاً للريبة في ذلك فمن ذلك ما ورد أن أسامة بن زيد قال لرسول الله عليه وسلم - حين قدم مكة - أنزل في دارك ؟ فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور . وما روى من أن النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر

من التجمع في إحدى أناس قليلين بينما اضطرب غريمهم تحت تأثير فقرهم وشدة عوزهم إلى العمل بالأجر الضئيل في المزارع والحقول وكان من نتائج ذلك حدوث اضطراب وصيان اقتصادياً معالجة هذه الحال . في مصر :

أما في مصر فقد كانت أيضاً في عهد الفراعنة ملكية جماعية إذ كان يعد الملك المالك الأول لجميع الأرض وما سواه من الرعية تابع له - غير أنه قد عثر على عقود يرجع تاريخها إلى حكم الأسرة الثانية عشرة ٦٤٠ ق.م تدل على اختصاص ورثة متوفى بما تركه من عقار وقد نص فيها على أن له حق التصرف فيها حسب إرادته .

الملكية عند العرب قبل ظهور الإسلام

لم يكن العرب قبل الإسلام أهل حضر جميعاً ولا أهل بادية جميعاً بل كان منهم من يسكن البادية ومنهم من يقيم في الحواضر والقرى لا ينتقلون من نجع إلى آخر طلباً للباء والسكّاء خلافاً للأولين . وكانت الملكية الفردية موجودة في القرى فكان كل فرد منهم يملك أمواله ومتاعه وسلاحه وخبائه وأنعامه ملكاً خاصاً وكان مع ذلك يتعتق في ملكه هذا بحماية قبيلته فكان لإلها جميعاً الدفاع عن أموال أفرادها وحمايتها

كانت غزواتهم للاستيلاء على الأنعام والأموال فيأخذونها ملكاً لهم ثم يعودون بها إلى نجوعهم . كما كانوا يعرفون حى الأرض وذلك يجعلها حراماً يمنع غير حامعيها من الرعى والإقامة وكان من هذا الحى ما يجعل حى للقبيلة تمنعه من غيرها من القبائل بقوتها ويكون الانتفاع به مشتركاً بين جميع أفرادها كما كان منه ما يكون خاصاً بسيد من ساداتها فيكون الانتفاع به مقصوراً على أنعامه دون أنعام غيره قرب أم بعد ذلك حين يرى الرجل العزيز فى القبيلة أن يتخذ حى لنفسه فينزل منزلاً يخصباً يراه منتجعاً صالحاً فيوفى بكلب على جبل أو مرتفع به ثم يستعويه ويقف من أتباعه من يتسمع لصوته حيث انتهى صوته بالصواء حماه من كل ناحية فيرى مع العامة فيما سواه ويمنعه من غيره اختصاصاً به ولم يكن هذا تملكاً بل كان الغرض منه مجرد انتفاع مقصور على الحامى مدة مرفوعة تتحدد بصلاحية المسكان للرعى فإذا انتهت صلاحيته انتهت حمايته .

الملكية فى الإسلام :

ذلك كان الوضع فى جزيرة العرب أو الصورة العامة التى تمثل الوضع فيها فلا تجافيه ولا تتعد عنه فلاحظ فيها الإسلام والأسر على هذا الوضع لا تسكاد تعرف

إلى المدينة أشرك المهاجرين مع الأنصار فى دورهم ومنه كذلك ما يدل على أنه كان للأنصار مزارع تشغل حياتهم اليومية وما يدل على أن عثمان رضى الله عنه قد اشترى من يهودى بئر معونة لتكون للمسلمين جميعاً وفوق ذلك جاء فى السكتاب العزيز من سورة الحشر حديث عن المهاجرين ودورهم وأموالهم فيها : د للفقراء والمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً كما جاء فى الأحزاب حديث عن بى قريظة هما كانوا يملكون من حصون وديار وأموال وأرض فيها : د وأهل الذين ظاهروهم من أهل السكتاب من صياصيم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً . وأررئكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تظفروا . وأهل السكتاب فى الآية هم بنو قريظة الذين كانوا يسكنون فى يثرب والآية نزلت فى غزوة الأحزاب أما بالنسبة إلى أهل البادية فلم يكن لهم فيما يبدو ملكية خاصة فى الأرض والدور إذ كانوا يقيمون فى الأخبية ولا يستقرون فى أرض بل ينتقلون من أرض إلى أخرى طلباً للماء والكلاء ومن مرعى نضب مأواه وجف كؤؤه إلى حيث يجدون ذلك وأقرا ويؤيد ذلك أنه لم يعرف عنهم أنهم غزوا غيرهم فى سبيل الاستيلاء على أرضهم وإنما

دون الأنصار عدا سهل بن ضيف وأبا دجانة
أظهروا فقرهما وشكاهما إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك على رأس
سنة أشهر من وقعة بدر كما روى أنه صلى الله
عليه وسلم قسم أموال بني قريظة على المسلمين
بعد إخراج الخنس لجعل للفارس منهم ثلاثة
أسهم وللراجل سهم ، وحين فتح الله عليه
خير سأل أهلها من اليهود أن يقرم عليها
على أن يكفوه عملها ولهم نصف الثمرة بما
تفبته الأرض ويشمره الشجر والنخل ، فقال
صلى الله عليه وسلم نركم بها على ذلك ما شئنا
وعلى هذا عاملهم على أن يخرجهم منها متى
شاء فكان صلى الله عليه وسلم يجعل ما يخرج
منها نصفين نصفاً لرسول الله والمسلمين ونصفاً
لن ينزل منهم من الوفود والأمور ونواب
الناس ، وكان للرسول في النصف الأول
الخنس وباقيته لمن شهد فتحها للفارس منهم
ثلاثة أسهم وللراجل سهم ، وحين أجلاهم
عمر رضي الله عنه لم يجعل لهم حظاً في الأرض
ولا في الثمر فكانت كلها للمسلمين ، وتلا ذلك
أن أرسل أهل فدك إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم من اليهود أن يصالحهم على
النصف من أرضهم ونخلهم فأجابهم إلى ذلك
فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فيها نفقته وما بقي كان في سبيل الله
وفي أبناء السبيل ولم يزل أهلها بها إلى أن

فيها ملكية الدر والأرض إلا بين أهل
المواضر والقرى والحوائط أقر القرآن
ما للناس من هذه الملكية فأقر ملكيتهم لمافي
حياتهم من أموال وملكيتهم لديارهم
وأرضهم وقد ظهر هذا الإقرار في نسبتها
إليهم في آيات عديدة مثل قوله تعالى : وقالذين
هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في
سبيلى وقالوا وقتلوا ، لا كفرن عنهم سدياتهم ،
د آل عمران ١٩٥ ، وقوله تعالى : وهو الذى
أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب
من ديارهم لأول الحشر ما ظننم أن يخرجوا
وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله ،
(الحشر ٢) وقوله : ولا تقربوا مال
اليقيم إلا بالتي هى أحسن ، الأنعام ١٥٢
وقوله : وإن تبتم فلكم رؤس أموالكم
لا تظلمون ولا تظلمون ، البقرة ٢٧٩ . إلى غير
ذلك من الآيات التى لا تدع مجالاً للشك
في دلالتها على إقرار تلك الملكية .

وكذلك جاءت السنة بما يدل على ذلك ،
وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم حين
أظفروا الله ببني النضير أجلاهم عن ديارهم
بما استقلت به ركابهم عدا السلاح ، أما
ما تركوه بعد ذلك من أرض ونخل وأشجار
ومال فقد كان بما أقام الله على رسوله فكافته له
خاصة يضعه حيث شاء فاستبقى منه ما يدر عليه
نفقة السنة وقسم الباقي بين المهاجرين الأولين

بالمسلمين من الوفود والأحداث لإقرار الملكية الأرض ملكية جماعية إذ لم يكن ذلك النصف مملوكا لشخص معين وإنما كان ملكا لجماعة المسلمين تصرف غلته في نوافلهم ووفودهم وما ينزل بهم من أموال فكان مصرفه مصرفا عاما في شؤون جماعة تخص المسلمين جميعا . وكان الانصار في زمنه صلى الله عليه وسلم أصحاب أرض وحقول يزروها ويكرونها كما روى عن رافع ابن خديج : كنا أكثر الانصار حقلا فكنا نكسرى الأرض . كما روى عن أسيد بن حضير : كان أحدنا إذا استغنى عن أرضه أو اقتقر أعطاها بالنصف أو الثلث أو الربع إلى غير ذلك من الآثار . وإلى ذلك أيضا قال صلى الله عليه وسلم : أحيا أرضا ميتة فهي له رواء الترمذي وهو يدل على أن الأرض الموات لا ملكية فيها لاحـ . وأنها تصير ملكا خاصا لمن أحياها .

راجع الجزء الرابع من البداية والنهاية لابن كثير والجزء الخامس من نيل الأوطار صفحة (٢٣٠) إلى صفحة (٢٢٦) والأموال لأبي حنيفة صفحة (٨) .
« فذك قرية قريبة من خيبر . »

« يتبع »

على الخفيف

أجلاهم عمر حين أجل اليهود من جزيرة العرب ، فوجه إليهم من قوم نصف الأرض وما عليها بقيمة عدل فدفعها إليهم وأجلاهم إلى الشام .

وقد سألتهما فاطمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من أبي بكر بناء على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد منحها إياها في حياته فأبى عليها ذلك إذا لم تقم حجة عليه ولم تنتقل إليها ميراثا لما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة .

وفي هذه الآثار ما يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل لكل غاز بما شهد الفتح ملكية خاصة فيما شهد فتحه من الأرض . تطبيقا لقوله تعالى : « واعدوا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذئ القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل . » أما الأربعة الأخماس فكانت للقائمين بالسنة كما حدث ذلك في أرض خيبر إذ كان لكل من شهد فتحها ثمرة سهمه منها . وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصف فذك ملكا خالصا له إلى أن أجل عمر أهلها عنها وأعظام عوصا عن نصفهم فيها فصارت كلها للمسلمين .

وفيما ورد عن صنيعة صلى الله عليه وسلم في غنائم خيبر من تخصيص نصفها بما ينزل

الإيمان والإسلام

للأستاذ عباس طه

فمعنى الإيمان في اللغة التصديق مطلقاً سواء كان بالله ورسوله أو بغير ذلك . فمن صدق بالله كان مؤمناً في اللغة كمن صدق بإله آخر أو بآلهة متعددة كما هو الحال في المشركين الذين يعبدون الأصنام . أما معناه في الاصطلاح فإليك بيانه على الترتيب الآتي :

الأول : اصطلاح جمهور المتكلمين من الأشاعرة ، قالوا : الإيمان : هو التصديق بالقلب . فمن صدق بقلبه بأن الله إله واحد ، وأن محمداً عبده ورسوله إلى الناس ، كان مؤمناً لا يخلد في النار يوم القيامة . وقد اتفق معظمهم على أن من صدق بالله ورسوله ثم أدركه الموت قبل أن ينطق بلسانه أو يعمل بجوارحه فإنه يكون مؤمناً بينه وبين الله تعالى وحجتهم في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » . فقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فهذا يدل على أن الذي يؤمن بالله ورسوله

اختلف العلماء في معنى الإيمان والإسلام اختلافاً كثيراً ، وسبب ذلك يرجع إلى ما فهمته كل طائفة من ظواهر الأحاديث الصحيحة ، فإن بعضها يدل على أن بعض الأعمال البدنية من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد وغير ذلك داخلة في معنى الإيمان ، وبعضها يدل على اتحاد الإسلام والإيمان ، وبعضها يدل على تغايرهما ، وبعضها يدل على أن الإيمان هو التصديق فقط بدون ذكر الأعمال ، إلى غير ذلك مما سنكشف عنه .

عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أي العمل أفضل ؟ فقال : إيمان بالله ورسوله ثم ماذا ؟ قال الجهاد في سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ قال حج مبرور ، رواه البخاري .

وبتعلق بشرح هذا الحديث أمور أحدها : معنى الإيمان والإسلام وشرح معنى قوله : الجهاد في سبيل الله ثم شرح قوله حج مبرور .

إن الذين يريدون الوقوف على معنى الإيمان والإسلام يجب أن يقرؤوا قبل كل شيء بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ، والمعنى الشرعي الذي يوافق اصطلاح كل طائفة من الطوائف الآتي ذكرها .

وعاش مدة يستطيع أن ينطق فيها بالشهادتين وعلم بوجوب النطق بهما، فحكمه عند جمهور الأشاعرة كحكم الأول في كونه غير مخلد في النار؛ لأن المدار في ذلك على الإيمان بآله ورسوله، وقد أورد على هذين الوجهين أن فرعون موسى مؤمن لأنه أقر بلسانه ولا بد أن يكون في قلبه مثقال ذرة من إيمان في هذه الحالة مع أن المسلمين يجمعون على أنه ليس بمؤمن، نعم قال صاحب الفتوحات المكية: إن فرعون مؤمن بهذا القول، ولكن رأى صاحب الفتوحات المكية هذا لا يخرج الإجماع، والواقع أن سياق الآية لا يؤيد صاحب الفتوحات وأنصاره لأن الله سبحانه وتعالى لو علم منه الإيمان حقاً لرد عليه رداً جميلاً، ولكنه رد عليه بما يفيد أن إيمانه في هذا الوقت لا يجذب به نفعاً، وكيف يصنع بقوله تعالى: «وآلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين»، هذا يدل على أن إيمانه لم يكن في الوقت الذي ينفع فيه الإيمان كما قال تعالى: «ولست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن»، والرأي السديد في بيان هذا الوقت هو أن يتأكد الإنسان من موته ولم يبق له أي أمل في الحياة، وقد ورد أن فرعون قال ذلك حين أُلجِه الغرق وأصبح هالكا لا محالة على أن صاحب الفتوحات

لا بد أن يخرج من النار وإن كان قد يعذب على ما كسبه من عمل سيئ. ولا سييل إلى جعل الإيمان في الحديث بمعنى العمل الزائد على التصديق كما هو رأى بعض الأئمة؛ لأن الحديث صريح في أن المراد بالإيمان هو المتعلق بالقلب، وهو التصديق فحسب.

ولا منافاة بين هذا الحديث وبين ما أخرجه البخاري عن أنس وهو: (يخرج من الناس من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير) وفي بعض الروايات (وزن ذرة من إيمان).

وذلك لأن حديث أبي سعيد الخدري الذي يحتاج به الأشاعرة معناه أن التصديق كان في الخروج من النار بدون أي عمل، وحديث أنس معناه أن التصديق - مهما كان وصفه - مع قوله لا إله إلا الله يكفيان في الخروج من النار. وهو كذلك، فإنه إذا صح أن يخرج منها من كان في قلبه ذرة من الإيمان وإن لم يقل لا إله إلا الله صح أن يخرج منها من آمن وقال لا إله إلا الله من باب أولى فلا تنافي بين الحديثين.

هذا حكم من آمن بآله ولم يتمكن من النطق بالشهادتين ثم مات، أما من آمن بقلبه

في أن مثل هذا التصديق قابل للزيادة والنقص فإن الواقع المحس هو أن المصدقين متفاوتون في استمساكهم باعتقادهم وإن تساوا في اتصافهم به ، فترى اثنين من العقلاء يعتقدان عقيدة واحدة سرت إليهم من آبائهم أو من البيئة التي نشؤوا فيها ولكن يمكن تشكيك أحدهما دون الآخر ، ويرجع ذلك إلى قوة اعتقاد أحدهما دون الآخر ، فدل ذلك على أن التصديق لا يلزم أن يكون على حالة واحدة ، فاعتقاد القلب الجازم الذي لا يرتكز إلى دليل يقيني قابل للقوة والضعف . وهذا هو رأى كثير من السلف منهم الإمام مالك والشافعي وأحمد بن حنبل ولهم على ذلك أدلة منها حديث أبي سعيد الخدري وحديث أنس المذكورين ، ومنها قوله تعالى: «فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً» أما الإمام أبو حنيفة فقد نقل عنه أنه قال : الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وإن كان قد يتفاوت بأمور زائدة عليه خارجة عنه ، فقد تكون أسباب الإيمان أكثر جلاء عند بعض الأفراد دون بعض ، فإذا ظهر السبب بنسبة واحدة كان التصديق متساوياً عند الجميع ، مثال ذلك الحكم بمحدث العالم ، فإنه بعد معرفة أدلته ودفع الشبهة الواردة عليها يصبح كالحكم بأن الواحد نصف الاثنين . والامر في ذلك هين ، فإن الحنفية يسلبون بأن الإيمان

المسكية قرر أنه سيعذب بما كسبت يده ولكن لا يخلد في النار إلى الأبدية وهذا مذهبه في فرعون وغيره من الكافرين . فالواقع أنه لم يأت بجديد في مسألة فرعون ، وذلك لأنه يرى أن الخلود والتأبد الواردين في القرآن معناهما طول المسدة ، وقد وافقه على هذا الرأي ابن تيمية وابن القيم ، واستدل ابن القيم على ذلك بأدلة كثيرة في كتابه حادي الأرواح ، فن أراد أن يعرفها فليرجع إليه . ومن هذا فجمهور الأشاعرة الذين قرروا هذا لم يقولوا : إن مرتكب الجرائم التي نهى الله عنها لا يعذب عليها إذا مات ولم يتب ولكنهم يقولون إنه سيعذب على ما كسبت يده ، والله يعفو عنه إذا شاء ذلك ، وما كان لأحد أن يقدم على جريمة من الجرائم وهو يعتقد أنه على حظ عظيم ، وأنه لا يدرى هل تغفر له هذه الجريمة ويسكون داخلاً فيمن يصح أن يشاء الله لهم المغفرة أو لا فليس في هذا الرأي تساهل في الحق على أداء الواجبات الدينية والخلقية التي كلف الله بها العباد .

هذا وظاهر الأحاديث التي تقدمت يقتضى أن التصديق يزيد وينقص ، وهو كذلك ، ولكن التصديق يطلق على الاعتقاد الجازم الحاصل على دليل يقيني لا شبهة فيه ، وهذا لا يحتمل الزيادة والنقص ، ويطلق على التصديق الحاصل بالتقليد ولا شبهة

وقلى كل حال فهم مجمعون على أن مرتكب الكبيرة لا يقال له مؤمن ، ويخلد في النار إذا مات وهو مصر عليها وهو قول لا يلتقي مع كثير من نصوص الكتاب والسنة وكيف يتفق ذلك مع قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . وقوله : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً » وإن كان مثقال حبة من خردل أثينا بها ، وكفى بنا حاسبين ، فهل من العدل أن يعمل الإنسان صالحاً في كل أدوار حياته ثم إذا ارتكب كبيرة مرة واحدة ومات حبط كل عمله ؟ إن هذا قاسد لاشك فيه . نعم يحبط الأعمال كلها الردة عن الدين ، فإذا ظل عاملاً طول حياته ثم ارتد عن دينه ومات حبط عمله بنهر القرآن ، ومن الغريب أن واصل بن عطاء زعيم المعتزلة يقول : إن ترك المندوب يهدم الإيمان ، فمن فعل مكروهاً يخلد في نار جهنم ، ومعنى ذلك أن معظم المسلمين يخلدون في نار جهنم ، فإن المندوبات لا حد لها ، فإذا ترك الإنسان مندوباً ولم يفعل ما يكفره ثم مات يخلد في النار . وهل يقول بهذا من به مسحة من تعقل ؟ .

الرأى الثالث : للخوارج وهؤلاء على رأى واصل بن عطاء في هذا الموضوع فإنهم يقولون : إن الإيمان بالله معناه المعرفة بالله

يقوى ويضعف لا بحسب ذاته ، بل بحسب الأدلة الخارجة عن ماهيته . ولكن هذا تكلف لا حاجة إليه ، فإن الظاهر يؤيد جمهور الفقهاء والمحدثين الذين لا يشترطون في الإيمان أن يكون بمعنى التصديق الجازم الحاصل هن دليل يقينى لا يحتمل التشكيك . هذا هو اصطلاح جمهور المتكلمين الأشعريين .

الرأى الثانى : للمعتزلة ، وهؤلاء قالوا : إذا تعدى الإيمان بالباء كما إذا قيل . آمن به ، فإن معناه يكون منحصرأ فى التصديق الجازم أما إذا ورد الإيمان بدون تعدي بالباء فإن معناه يكون شاملاً للاعتقاد والأعمال والإقرار باللسان ، وهل أعمال الجوارح والإقرار باللسان داخلان فى ماهية الإيمان الشرعى أو هما شرطان فى صحته ؟ الظاهر أنهم يقولون إنها جزء من حقيقة الإيمان ، وإن كان بعض شراح الحديث نقل أنهم يقولون إنها شرط لصحته .

وعلى كل حال فإن المعتزلة يقولون لا يتحقق الإيمان إلا إذا اشتمل على ثلاثة أمور : التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والأعمال التى كلف بها العباد . فإذا ترك شىء من ذلك لم يكن العبد مؤمناً . وهل الأعمال التكليفية تشمل المندوبات أو هى مقصورة على الواجبات ؟ خلاف فيما بينهم . والمحققون منهم على أن المندوبات لا تدخل فى الإيمان .

قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

هذا أهم ما قيل في الإيمان ، ولا يخفى أن الحديث الذي معنا يدل على أن الإيمان غير أعمال الجوارح ، لأن السائل سأل عن العمل مطلقاً سواء كان عمل القلب أو عمل الجوارح ، فأجاب الرسول الأكرم أفضل الأعمال عمل القلب وهو الإيمان ، فأطلق الإيمان على عمل القلب .

أما الجهاد والحج فهما من الأعمال الظاهرة وهو دليل لمن يقول : إن الأعمال خارجة عن حقيقة الإيمان .

أما الإسلام فعناه لغة : التسليم وترك الاعتراض فيما لا يلائم : أما في الشرع فإنه قد ورد على ثلاثة أوجه ، أحدها : أنه مرادف للإيمان ، وثانيها أنه مغاير للإيمان ثالثها : أنه جزء من الإيمان داخل فيه .

مثال الأول قوله تعالى : « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين . فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » . ومعنى الآية : فأخرجنا آل لوط المؤمنين من القرية التي كان يسكنها قومهم فلم نجد فيها غيرهم ، إذ لم يكن بينهم قوم لوط مؤمن سوى آل لوط - باستثناء امرأته - فسماهم الله أولاً مؤمنين ، وسماهم ثانياً مسلمين فدل ذلك على أن الإيمان والإسلام (البقية على صفحة ١١٢١)

وبكل ما وضعه الله عليها دليلاً عقلياً أو نقلياً من الكتاب والسنة ، ويتناول طاعة الله تعالى في جميع ما أمر به من فعل وترك صغيراً كان أو كبيراً ، فمن ترك خصلة من هذه الخصال فإنه يكون من الكافرين ، وهذا رأى واهن .

الرأى الرابع : للرجئة ، وهؤلاء كانوا مع المعتزلة على طرفي تقيض ، فالمعتزلة أفرطوا ، والمرجئة فرطوا ، وقالوا إن كل الذنوب كبيرة كانت أو صغيرة لا قيمة لها بعد الإيمان ، فمن آمن بالله ورسوله فقد نجح ولو كان زانياً سارقاً قاتلاً . وهذا فساد في الدين لا حذله . ولعله قد سرى إلى هؤلاء من أن عقيدة الإيمان بالمخلص تسكن في النجاة . ولئن صح هذا كانت التكاليف الشرعية عبثاً ، وكانت الأوامر الإلهية التي وردت في كتاب الله وصلة رسوله هواءاً ولعباً .

والرأى السديد الذي يقتضيه صريح الدين ويؤيده العقل : هو أن الناس يحجزون بأعمالهم من خير وشر ، فمن عمل صالحاً وهو مؤمن كان له على الله أن يدخله جنات النعيم ، ومن عمل سوءاً وهو مؤمن فإنه يحجزى عليه بالعذاب بقدر هذا العمل ، والمؤمنون بالله ورسوله لا يخلدون في نار جهنم وإن كانوا يعذبون عن أعمالهم ، والكتاب والسنة يؤيدان ذلك في كثير من المواضع ، أبرزها

جنات واعظة

للأستاذ الحسيني محمد أبو فرحة

والابن أباه . واتهمت الأعراض وديست
السكرامات .

وباعجبا أن يجعل وسيلة السعادة سببا
للشقاء . ولكنه ضلال الإنسانية بسبب
بعدها عن هدى السماء ، ورسالات الله .
فعاقبا الله على تنكب الطريق السوى
وقد أرشدنا الله في كتابه وسنة رسوله
في وضوح واضح إلى الطريق الصحيح
للتعامل مع المال . اكقساما وإنفاقا
وادخارا مصححا في ذلك فطرة الناس
إلى الأموال .

فلم يرض لهم أن يكونوا عبيد الدرهم
والدينار ، كما يحب لهم أن يفكروا لها ،
قال تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار
الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ،
وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد
في الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين » .
وقال صلى الله عليه وسلم : (تعس عبد
الدينار وعبد الدرهم وعبد الخيصة إن أعطى
رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس
ولإذا شيك فلا انتعش) .

كما قال صلى الله عليه وسلم : (اليد العليا
خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول ،

(١) المال عصب الحياة الدنيا وزينتها وسيلتنا
إلى صرورياتها وكالاتها ، وهو صنو البنين .
وكلاهما يحرص الإنسان عليه . ويرى فيه
سعادة نفسه . وطمأنينة قلبه . قال تعالى :
« المال والبنون زينة الحياة الدنيا » .

وقد قرئته الله بالبنين في ثمان وثلاثين آية
من آيات الكتاب الكريم . مقدما المال
على البنين وفي ذلك إشارة إلى أن تعلق النفس
بالمال أشد من تعلقها بالبنين .

والمال كان مصدر الصراع بين الأفراد
والجماعات . فبسببه اقتتل الناس وتفرق
الأحبة . وما كانوا ليقتتلوا ويتفرقوا
فيعملوا النعمة نقمة . ويعملوا زينة الحياة
سببا لشقايتهم لو أنهم أنزلوه منزلته . وهي
كونه وسيلتنا لسعادة الدارين . فلم يتخذوه
صنا يعبد من دون الله ، ويتقربوا إليه
بشتى الوسائل . غير مفرقين بين مشروع
ومسكر . ولكنهم قد اتخذوه صنا .
وتقربوا إليه بكل شيء : وعلى مذبحه
أراق الأخ دم أخيه وقتل الأب بفيه .

(١) ملاحظة : هذا المقال والذي قبله

ليسا من بحوث مجمع البحوث .

إذن فقد كفر الرجل ؛ بعد أن بطر وركن إلى ماله مفتخراً به ، وبني وطني وتجبر ، واهتز بماله وجهه ، وجعل المال ، وهو نعمة من الله عليه سبباً لطغيانه وكفرانه .
وصدق فيه قوله تعالى : « كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » .

وهنا ينبغي له صاحبه مسفها رآه أن جعل المال سبب الكفران والفخر . مذكراً له بنعمة الله عليه في خلقه في أطوار شتى .
طورا بعد طور . حاثا له النظرة الصحيحة لنعمة المال . بنسبتها لله وشكره عليها ، والتبري من حوله وقوته في كسبه . فكم من باذل لا ينال ، ولو كان جهد الإنسان هو كل شيء لما تخلفت ثمرة من عمل .

قال تعالى : « قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكننا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحداً . ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا . فنى ربى أن يؤتى خيراً من جنتك ويرسل علينا حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقا . أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلبا . »

انتهى الحوار . ونحن الآن بإزاء رجل أوتى مالا : جنتين عظيمتين . فكفر بعد

وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستغنى يعنفه الله ، ومن يستغنى يغنه) .
وفى ذلك حث واضح على اكتساب المال ليصلح الإنسان به من شأنه وليحسن به إلى غيره ، وفى الحديث الذى قبله تنفير من الإسراف فى حب المال إسرافاً يجعل الإنسان ينتقل من كونه حيداً مالكا للبال ، إلى كونه عبداً له .

هذا وقد لفتت نظرى أربع قصص واقعية ، ثلاث فى القرآن الكريم ، وواحدة فى السنة النبوية حول المال ، وتصحيح النظر إليه ، والتعامل معه ، وذلك عن طريق القصة وأثرها فى النفس عظيم ، واتخذ موضوعاً لها فى جميع القصص لون من المال بعينه يغلب على النفس حبسه والميل إليه ، ذلك هو البساتين الغناء والحدائق الفيحاء ، والجنان النضرة .

* * *

القصة الأولى : يدور الحوار فيها بين رجلين ، أوتى أحدهما جنتين من أعناب ، محفوقتين بنخل وجعل بينهما زرع ، وجفر خللها نهر . وكان له ثمر ، فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأهز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبديد هذه أبداً ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلباً .

وأما القصة الثانية : فعن سبأ ، جنتان
عن يمين وشمال . كلوا من رزق ربكم
واشكروا له ؛ بلدة طيبة ورب غفور .
فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم
بجنتهم جنتين ذواتى أكل خبط وأثل وشيء
من سدر قليل . ذلك جزيناكم بما كفروا
وهل نجادى إلا السفور .

صدق الله العظيم ، وما ظلمهم الله ولكن
كانوا أنفسهم يظلمون .

وهل طلب منهم كفاء ما أنعم به عليهم
إلا أن يعرضوا له حقه ، ويؤدوا له شكره
والشكر لله على نعمه سباج لها يحفظها من
الهلاك ويزيد فيها ؛ لأن شكرتم لأزيدنكم ،
ولكن القوم غلبت عليهم شقوتهم فأعرضوا
فحق عليهم كلمة الله ، ولئن كفرتم إن
عذابى لشديد .

وأى عذاب نزل بهم إنه السد الذى بنوه
ليتحجزوا المياه خلفه لوقت حاجتهم ،
وليحميهم من غالة الغرق قد تهدم بنيانه
وتصدعت أركابه ، فأغرق مساكنهم وأتلف
بساتينهم ، ثم أبدلهم الله من جنتهم المفرقتين
ما لا يسمن ولا يفتنى من جوع وأسماه جنتين
تهكما بهم وأى خير فى ثمر مرشع وطرقاه
لا ظل وثمر ، وسدر قليل النفع . ذلك
جزاء كفرانهم وعدم شكرهم .

أن بطر واقتخر وبغى وتكبر ، فماذا كان
من شأنه بعد ذلك ، هنا موضع العظة والعبرة
أهلك الله حديقته ، فلم يعد أكثر مالا ،
وثاب الرجل إلى رشده بعد أن جرد من المال
د ؛ يا ليتنى لم أشرك بربى أحداً ، وبطل الجاه
فلم يجد فئة تنصره من دون الله وما كان
منتصراً ويصور الله ذلك أتم تصوير فى قوله
سبحانه وتعالى : د وأحيط بشمره فأصبح
يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى غاوية على
هروشا ، ويقول يا ليتنى لم أشرك
بربى أحداً .

ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله
وما كان منتصراً . هنالك الولاية لله الحق
هو خير ثوابا وخير عقبا .

يا الله للناس ، ألا يعرف الإنسان ربه
إلا أن تنزل به جائحة تعيده إلى رشده ،
وتصلح من فكره ألا ما أجهل من يجعل
نفسه عبد العصا . وبؤسا لإنسان يطغيه
المال مهما كثر ، ويقف حائلا بينه وبين
النظر الصحيح ، آمنت بالله ، ما شاء الله كان
لا قوة على أمر إلا بالله ، تلك هى الجنة
الاولى : وفيها دعوة لتصحيح النظر للبال
بنسبته لله منعما به ، وعدم اتخاذ وسيلة
للباهاء والفخر ، والتبرى من الحول والقوة
فى جمع المال وتشميره وحفظه ، بل الأسر
بيد الله وحده .

فلما رأوها هالهم ما رأوا ، وظنوا لأول وهلة أنهم ضلوا طريقهم ، وأن الحديقة التي أمامهم ليست حديقتهم . ثم لما تأملوا في أمادتها وجزموا بأنها حديقتهم أيقنوا بأنهم حرموا منها . وهنا قال أحد لهم رأياً : ألم أقل لكم حين تشاوركم على حرمان الفقراء هلا تذكرون الله بالخير . وهنا . هنا فقط أدركوا خطيئهم وعظيم جرمهم فتسبوا وأنابوا .

قال تعالى : إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصر منها مصبحين . ولا يستغنون فظاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم . فتنادوا مصبحين . أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين . فانطلقوا وهم يتخفئون . ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين . وغدوا على حرد قادرين . فلما رأوها قالوا إنا لعاملون . بل نحن محرومون . قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون . قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلأومون . قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين . عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون . كذلك العذاب والعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون .

يا لله للسلين . فكم من بلاء نزل . وآفة حلت بزروعهم في ضراوة العام بعد العام . وكم من جهد بذل لمسكاتها إن أفلح حينها .

فإذا كان موطن العبرة في القصة الأولى انتهى هن اتخاذ المال وسيلة للباهاء والفخر والحث على عدم الركون إليه . والتبرى من الحول والقوة في كسبه وحفظه ، فإن موطن العبرة هنا هو الحث على شكر الله على نعمة المال ، بالاعتراف له سبحانه بأنه هو المنعم المتفضل ، وأداء حق الله فيها لأن ذلك هو تمام الشكر .

وأما القصة الثالثة : بخلافها . أنه كان فيمن مضى رجل صالح يملك بستاناً ، وكان ينادى الفقراء والمساكين وقت جنيهه ، فلما مات الصالح قال بنوه إن فعلنا مثل ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ، فإن المال قليل والعيال كثير . وأقسموا ليقطعنها في وقع الصباح الباكر حتى لا يقبعمهم المساكين ولم يهولوا إن شاء الله فجمعوا بذلك بين العزم على حرمان المساكين والاعتماد على حيلهم وقوتهم فحسب .

وهنا نزل على جنتهم إيلا بلاء مخصوص أحاط بها من جميع جوانبها فأصبحت كأنها قطعت ثمارها ، بحيث لم يبق فيها شيء ، أو صارت كالليل في أسودادها واحتراقها . ولما أصبح الصباح ذهبوا إلى حديقتهم مستخفين عن أعين الساكنين ، مصرين على جنى ثمر الحديقة وحرمان الفقراء منها .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« بيننا رجل في فلاة من الأرض . فسمع
صوتنا في سحابة : اسق حديقة فلان فتسقى
ذلك السحاب فأفرغ ماءه في جرة . فإذا
شجرة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك
الماء كله فتتبع الماء . فإذا رجل قائم
في حديقته يحول الماء بمسحاته . فقال له يا عبد
الله ما اسمك ؟ قال : فلان للاسم الذي سمع
في السحابة . فقال له يا عبد الله : لم سألتني
عن اسمي . قال : سمعت في السحاب
الذي هذا مأوه يقول : اسق حديقة
فلان لاسمك فا تصنع فيها ؟ قال أما إذ قلت
هذا . فإني أنظر إلى ما يخرج منها .
فأتصدق بثلثه . وآكل أنا و عيالي ثلثه
وأرد فيه ثلثه . »

وموضع العظة هنا يكن في تصدق الرجل
بالثلث . وابتدأ به . فسخر له ماء السماء
تسخيراً أسمعه الله لذلك الرجل في الفلاة ،
يا قوم : إن الباب مفتوح على مصراعيه
لمن أراد الولوج .

فأيما إنسان بذل من ماله للفقير والمسكين
وغير ذلك من وجوه البر . طيبة بذلك
نفسه . فسحب الخير في سماء الله تنتظر
الأمر بالتوجه . ستمه من سمعه . ولا ضير
إن لم يسمعه بأذن رأسه أحد . قال تعالى :
« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا

خاب أحيانا . وهم في كلتا الحالتين قد خسروا
خسراناً مبيناً . أليسوا في حال نجاح جهدهم
في مكافحة الآفة قد خسروا جهدهم الموجه
لمكافئتها ، وما لهم المبدول ثمناً لمبيداتها .
والعلاج :

بذل ولا تفر . وشكره على ما أنعم به .
شكر يدفع إلى صالح الأعمال . وكريم الفعال .
وأما القضية الرابعة : فيذكرها الرسول
الكريم صلوات الله وسلامه عليه . قصة
واقعية عمن مضى قبلنا . قصة تكن فيها أبلغ
حظة وعبرة لقوم يتعظون ويعتبرون .

قصة يؤمر فيها ماء السماء بالتوجه إلى
حديقة معينة لديها . ويسمع ذلك الأمر
إنسان بأذن رأسه حتى تكون الملاحظة أتم
والعبارة أكمل . ويتابع ذلك الرجل هذا الماء
المأمور . فإذا به يتجه لحديقة يحمل فيها
صاحبها ، فيسأله الرجل عما يعمل في حديقته
فإذا به يتصدق بالثلث . ويطمع هو و عياله
الثلث . ويرد فيها الثلث . وما بلغت النظر
في ترقب ما يعمل أنه ابتداء بالصدقة قبل أن
يذكر طعمته وطعمة عياله . وبذلك يكون
الرجل قد قدم حق الله على حقه . وأعظم
الصدقة ما بادر به صاحبه . قال تعالى : « وآتوا
حقه يوم حصاده . »

وهو حديثه صلى الله عليه وسلم المتضمن
لهذه القصة . عن أبي هريرة رضى الله عنه

مواطن الفخر والمباهاة بماله ، وبعبء أيضاً
عن المن والأذى . فهو لم يعمل على إذاعة
صنيعه بين الناس . يلتبس بينهم جأها كاذباً
ومجدا زائفاً . لا بل كان ضيفنا بسره
حريصاً على عدم إذاعته .

أنظر إليه لم يجب الرجل المستفسر عن
سؤاله إلا بعد أن أخبره بالآية التي شاهدها
ولكن السماء كانت حريصة على إذاعة سر
الرجل ونشره بين الناس . درسا عملياً بليغاً .
فأسمعت صاحب الفلاة ما سمع . وأرته
ما رأى .

* * *

نما يتقدم يتبين لنا أنه لا يكنى المسلم
أن يجمع المال من حلال . وأن يؤدي
حق الله فيه للفقير والمسكين . بل يلزمه
مع ذلك ما هو أهم منه . ألا وهو تصحيح
النظر إلى المال . بنسبته إلى الله منهما به .
والتبرى من حوله وقوته في كسبه وحفظه
ودوام الشكر لله عليه . وأداء حق الفقير
والمسكين . شاعراً بأنه يأنفقه إنما يسدى
لنفسه معروفاً أى معروف . يتحجب لربه
ويحفظ بذلك ماله من الجوائح تنزل به .
لا أقول ثورة الفقير والمسكين عليه ، ثورة
تزلزل كيانه وتذهب بثروته . بل أهم منها
وأشد وأنكى غضب الله عليه ، غضباً يشمل
في ثورة الطبيعة . صواعق ورمود وخرق

عليهم بركات من السماء والأرض ، وبالتأمل
في القصر الأربعة نجد أن ثلاثاً منها أهلكت .
وواحدة منها فقط هي التي نجت من الهلاك .
ولم تنج حسب . بل سخر لها السحاب ذلك
القسخير المثير .

والثلاث المهلكة وإن انفقت في
الإهلاك . فقد اختلفت أسبابه في كل منها .
فالأولى : أهلكت . بسبب الفخر بها .
ثغراً انتهى بصاحبها إلى البغى والكفر .
والاعتماد على حوله وقوته . والثانية :
أهلكت . بسبب عدم شكر الله عليها .
بالاعتراف له سبحانه بأنه هو المنعم
المتفضل . والثالثة : أهلكت بسبب العزم
على فكرة قاحدة . نعم مجرد العزم عليها .
ألا وهي حرمان المساكين مما اعتادوا
أخذه ، وأما الرابعة : فقد سخر لها السحاب
وشملتها هناية الله ورعايته .

ذلك أن صاحبها كان نموذجاً إسلامياً كاملاً
في نظره للبال . فهو قد أخرج الثلث صدقة
مبتدئاً به ، وإذا دققنا النظر نجده قد أخرج
النصف ، لأنه رد الثلث في الأرض بذرا
وحرثاً وخدمة . فكأنه شاطر الفقير ماله .
وذلك أكمل الشكر أن جادت نفسه .
بنصف الثمر . فدل فعله على عقيدة سليمة ،
وقلب مليء بالإيمان مغمم بالشكر لله سبحانه
والرجل مع ذلك بعيد كل البعد عن

متفقان في المعنى . وحررق ونضوب للباء . كما ورد في قصصنا السابقة .

وعلى ذلك فالمسلم حين يتعامل مع المال إنما يمارس ضرباً من العبادة . يجد فيه سعادة نفسه وطمأنينة قلبه . فهو حين يعمل لكسبه يتوكل على الله توكلًا يجعله يبذل الأسباب . وبفرع الجهد لإتقان العمل .

ثم هو لا يتعامل مع الطبيعة . وإنما يتعامل مع رب الطبيعة . خالق السبب والمسبب . فهو جرىءٌ مقدم فقيحة إيمانه بقوة مولاه

وعظمته . ولا يعرف الجبن والخنوع والرضا بالدون والخوف من مظاهر الطبيعة . خوفاً يقعه عن العمل . ويسلبه الكسل . تلك هي أهم الفروق بين نظر الإسلام للبال ، ونظر غيره من النظم . وشتان ما بين النظرين ، وبعد ما بين المهديين . أسأله سبحانه أن يأخذ بنواصينا إلى هديه لأنه سميع مجيب .

الحسيني محمد أبو فرحة

عضو بعثة الأزهر بالجمهورية الصومالية

(بقية المنشور على صفحة ١١١٤)

ومثال الثاني قوله تعالى دقات الأعراب آمناً ، قل لم تؤمنوا . ولكن قولوا أسلمنا ، فإن معنى أسلمنا : أظهرنا الإسلام والخضوع وقلوبنا غير مصدقة ، فالإسلام هنا مغاير للإيمان . ومثال الثالث : ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له : أي الأعمال أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : الإسلام . فقيل له أي الإسلام أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم الإيمان . فدل ذلك على أن الإيمان داخل في الإسلام وجزء منه . وأما الجهاد في سبيل الله فهو فريضة من أهم الفرائض الدينية ، والعناية به ينبغي أن تكون فوق كل عناية ، وذلك لأنه يتوقف عليه هز الأمة وصيانة دينها وكرامتها ، ولقد كان المسلمون الأولون على شيء لا يحصىون في

الحياة الدنيا إلا على العزة والكرامة والمحافظة على دينهم بجميع الوسائل المشروعة ، وأولها الجهاد في سبيل الله . ومقاومة المفسدين الذين يريدون أن يستفلوهم ويسلبوهم مجدهم وكرامتهم ويعيشوا بأخلاقهم ودينهم ، وإن لنا في سيرة النبي الأعظم وأصحابه ومن حذا حذوهم من المؤمنين حقاً أكبر العظات وأجل العبر . وأما الحج المبرور : فهو من أجل رسائل التهذيب وأعظم قواعد الإسلام المبنية على ضرورة التعارف والاتحاد والتناصر والتواد ففي الحج خضوع لله عز وجل ، وذكر أعظمته التي لا تحدها العقول ، وفيه منافع للناس من تعارف وتواد وفيه ذكر لليوم الآخر .

عباس طه

نشأة الكون

بين الدين والعلم

الدكتور شريف محمد شريف

المفصلة قوله تعالى : « قل أنتم كنتم تكفرون بالذى خلق الأرض في يومين وتجهلون له أن دادا ، ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم . »

وفي هذا الشأن أيضاً ورد بالإصحاح الأول من سفر التكوين في العهد القديم « التواتة ، ما يأتي :

« في البدء خلق الله السماوات والأرض ، كانت الأرض خربة وخالية ، وعلى وجه الغمر ظلمة ، وروح الله يرف على وجه المياه ، وقال الله ليسكن نور فكان نور ، ورأى الله النور أنه حسن ، وفصل الله بين النور والظلمة ، ودعا الله النور نهراً ، والظلمة دهاها ايلا ، وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً .

من الناس من يزعم أن الكون أزل لا أول لوجوده إلا أن هذا الزعم لم يلق رواجاً في أى عصر من العصور إذ أن فكرة خلق الكون كانت ولا تزال عقيدة السواد الأعظم من البشر ، وحديث الخلق في ستة أيام معروف لدى كثير من شعوب الأرض . ولقد تعرضت الأديان لفكرة خلق السموات والأرض بأوجه شتى ، بعضها موجز وبعضها مفصل ، وتجمع الأديان السماوية الكبرى على أن خلقهما استغرق ستة أيام ، فجاء بالقرآن الكريم قوله تعالى : « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، وقوله : « أنتم أشد خلقاً أم السماء ، بنهاها . رفع سمكها فسواها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . »

ومن الآيات الموجزة في خلق السموات والأرض في ستة أيام قوله تعالى : « الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ، » ومن الآيات

وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية ، وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء فخلق الله التناين العظام ، وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها ، وكل طائر ذى جناح كجنسه ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وباركها الله قائلا أثمرى وأكثرى واملئ المياه في البحار ، وليكثر الطير على الأرض ، وكان مساء وكان صباح يوما خامسا .

وقال الله لتخرج الأرض ذرات أنفس حية كجنسها ، بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها ، وكان كذلك ، فعمل الله ووحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها ، وجميع دبابات الأرض كأجناسها ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وقال الله لنعمل الإنسان فيمتسلطون على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض ، فخلق الله الإنسان ، ذكرا وأنثى خلقه ، وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملئوا الأرض ، وأخضعوها ، وتسلطوا على سمك البحر ، وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض ، وقال الله إني قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على وجه كل الأرض ، وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزرا لكم يكون طعاما ، ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء ،

وقال الله ليسكن جلد في وسط المياه ، وليسكن فاصلا بين مياه ومياه ، فعمل الله الجلد ، وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد ، وكان كذلك ، ودعا الله الجلد سماء ، وكان مساء وكان صباح يوما ثانيا .

وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة ، وكان كذلك ، ودعا الله اليابسة أرضا ، وجميع المياه دعاه بحارا ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وقال الله لتنبث الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا ، وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه بزره فيه على الأرض ، وكان كذلك ، فأخرجت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا كجنسه ، وشجرا يعمل ثمرا بزره فيه كجنسه ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وكان مساء وكان صباح يوما ثالثا .

وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل ، وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين ، وتكون أنوارا في جلد السماء لتنير على الأرض ، وكان كذلك ، فعمل الله النورين العظيمين ، النور الأكبر لحكم النهار ، والنور الأصغر لحكم الليل ، والنجوم وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض ولتحكم على النهار والليل ، ولتفصل بين النور والظلمة ، ورأى الله ذلك أنه حسن ، وكان مساء . وكان صباح يوما رابعا .

عليه الآن ١ فقد كانت الأرض - في رأى علماء الفلك - عند بدء تكوينها قريبة من الشمس وصغيرة الحجم وكان اليوم الكامل حينذاك قصيراً جداً على الأرض حتى اقد بلغ في مرحلة معينة أربع ساعات فقط ثم أخذ طول اليوم على الأرض يتزايد كلما بعدت الأرض في فلكها عن الشمس وتزايد حجمها ، حتى أصبح اليوم بطوله الحالى ، فهل كانت الأيام الستة قصاراً جداً أم طوالاً جداً أم كانت من طول أيامنا هذه ؟ وحتى أيامنا على الأرض يختلف فيها طول الليل والنهار على مدار السنة لأن محور الأرض ليس عمودياً على مستوى فلكها بل يميل عنه بزاوية مقدارها ثلاثة وعشرون درجة ونصف درجة ، وقد أدى هذا إلى تغير وضع الأرض بالنسبة للشمس على مدار السنة ، فاختلف طول كل درجة من الليل والنهار . وفيما يلي بيان بأطوال النهار حسب دوائر العرض :

طول النهار	درجة العرض
١٢ ساعة	صفر°
٢٠ ساعة	٦٣°
شهر	٦٧°
٦ شهور	٩٠°

وفي المناطق التي يبلغ فيها طول النهار شهراً فأكثر أى في أطراف الأرض تظل

وكل دابة على الأرض فيها نفس حية أعطيت كل عشب أخضر طعاماً . وكان كذلك ، ووأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً وكان مساء وكان صباح يوماً سادساً .

على هذه الصورة أوضحت الأديان السماوية الكبرى كيفية خلق السماوات والأرض في ستة أيام وهنا ينبغي لنا أن نقف قليلاً للتدبر هذه الآيات ولنتفهم بعض النقاط على النحو الآتى :

أولاً : كم كان يقدر طول اليوم حين خلق السماوات والأرض ؟ أهو يومنا الذى يتكون من نحو أربع وعشرين ساعة على وجه التقريب أو ثلاث وعشرين ساعة وست وخمسين دقيقة وأربع ثوان على وجه التحديد ؟ وذلك هو الوقت الذى تستغرقه الأرض الآن لتتم دورة كاملة لها حول محورها أمام الشمس ، أم أن اليوم الذى يعنيه الله تعالى يوم آخر له طول آخر لا يملكه إلا هو ؟ لا سيما وأن الله يقول فى كتابه : **« وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون »** . ويقول أيضاً : **« تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »** . ولقد ثبت فلكياً أن دورة الأرض التى يعبر عنها بالحركة اليومية لم تبلغ طولها الزمنى الحالى إلا عندما تم تكوين الأرض واستقر وضعها على ما هو

الأرض ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم ، وهذه هي المدة التي تستغرقها دورة الأرض مرة واحدة حول الشمس على بعد معين ثابت يقدر في المتوسط بنحو ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال ، فلو أن هذا البعد زاد على ذلك أو نقص ل زاد طول السنة أو نقص بمقداره ، ولذلك يمكن القول مثلاً : إن سنة القمر ثمانية وعشرون يوماً ونصفها نهار ونصفها ليل ، وفيما يلي بيان بطول السنة في كل كوكب بالمجموعة الشمسية هي مدة دورته مرة واحدة كاملة حول الشمس حسب بعده عنها :

الكوكب	طول السنة
عطارد	٨٨ يوماً أرضياً
الزهرة	٢٢٥ يوماً أرضياً
الأرض	سنة واحدة
المريخ	١٨٨ سنة أرضية
المشتري	١١.٩ سنة
زحل	٢٩.٥ سنة
أورانوس	٨٤ سنة
نبتون	١٦٤.٨ سنة
بلوتو	٢٥٠ سنة

هذا بالنسبة للكواكب السيارة في المجموعة الشمسية التي هي بدورها تدور حول فلك

الشمس ظاهرة طول مدة ذلك النهار فلا شروق لها ولا غروب بل تدور حول المنطقة على الأفق .

ومهما يكن من اختلاف في أطوال الليل والنهار في مختلف أنحاء الأرض فإن السنة دائماً اثنا عشر شهراً حتى ولو كان نصفها نهاراً ونصفها ليلاً ، وقد أكدت ذلك أيضاً الآية الكريمة : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض » .

ومع ذلك فإن الزمن لفظ ذو معنى نسبي ، فقد رأينا أنه يختلف طولاً من الليل والنهار على الأرض ، كما يختلف من كوكب إلى آخر في مجموعتنا الشمسية ، وكذلك يختلف من نجم إلى نجم ، فمقدار القمر مثلاً يساوي أربعة عشر يوماً بلياليها على الأرض ، وليله أربعة عشر يوماً كذلك ، وسبب هذا أن القمر يتم دورته حول نفسه مرة واحدة كل ثمانية وعشرين يوماً .

ولو أخذنا السنة مقياساً للمقارنة الزمنية في مختلف الكواكب لرأينا عجباً ! ونمهد لبحث ذلك بتقديم السؤال الآتي : ما معنى السنة ؟ وبالمبحث نجد أن السنة تعني دورة واحدة للكوكب في فلكه حول الكوكب أو النجم الذي هو تابع له ، فالسنة مثلاً على

الساعة بحساب زمنا الأرضي !! فكأن
الأيام الستة لا تعادل في رحلة « جاجارين »
سوى تسع ساعات فقط ، وقد تثبت رحلات
الفضاء في الغد القريب أن الستة أيام بمثابة
لحظة خاطفة ، وأن عملية الخلق السكوني على
هذا الأساس سريعة جدا فيطابق ذلك قوله
تعالى : « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له
كن فيكون » ، وقوله « وما أمرنا إلا واحدة
كلمة بالبصر » .

ثانياً : أيهما أسبق خلقاً؟ الأرض أم السماء؟
إن غالبية الآيات الخاصة بخلقهما تتضمن
دائماً سبقاً لخلق السماوات كما يبدو في الآيات
الآتية :

« إن ربكم الله الذي خلق السموات
والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش »
« الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها
ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر
كل يحوي لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصل
الآيات لعلكم تلقوا ربكم توقفون . وهو
الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً .
« الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض
مثلن » ، فإن قيل مثلاً إن « واد المعطف »
في هذه الآيات إنما هي لمطلق الجمع بحيث
لا تفيد في هذا الشأن ترتيباً فإني أرد على
ذلك بالآية الآتية التي صرحنا بتصريحاً قاطعاً
بسبق خلق السماوات على الأرض وهي :

أو مدار أكبر وأعظم ، وبالطبع تبلغ السنة
حينذاك آلاف بل ملايين من السنوات على
الأرض ، أليس ذلك بحق مصداقاً لقوله
تعالى : « وإن يوماً عند ربك كألف سنة
بما تعدون » .

على هذا الأساس يمكن البحث في طول
اليوم حين خلق السماوات والأرض ، وأعتقد
أن الوصول إلى رأى قاطع في هذا الشأن
جدد هسير ، وأرى أنه لا بد لنا من التسليم
بأنها ستة أيام من أيامنا الأرضية في منطقتنا
العربية حيث يبلغ طول كل منها أربعاً
وعشرين ساعة على اعتبار أن هذه المنطقة
مهبط الأديان المباركة الكبرى ، وأن المكتب
المنزلة إنما مخاطب قاطناتها على أساس ترتيب
سليم مؤداه توجيه الفكر الإنساني من المعلوم
إلى المجهول ، والمعلوم في هذه المنطقة أن
طول اليوم أربع وعشرون ساعة ، وليس
معنى هذا أن خلق السماوات والأرض كان
بطيئاً للغاية كما يبدو بالنسبة لنا أهل الأرض
ومن وجهة نظرنا ، ولكن هذه المدة المحددة
بستة أيام بالنسبة لمن هو خارج نطاق كوكبنا
الأرضي ليست إلا لحظة خاطفة « كبح البهر »
أو هو أقرب ، ، ولا غرابة في ذلك فقد
استطاع رجل الفضاء الأول « يوري جاجارين »
وهو يدور حول الأرض عن كسب أن يشهد
يوماً كاملاً بنهاره وليله في نحو الساعة ونصف

« أما المرحلة التي تلت ذلك فهي إتمام الخلق لكل منهما ، ويبدو أن إتمام الخلق للأرض من حيث تثبيت الرواسي وتقدير الأقوات ومباركة ما في الأرض بالإكثار ، كل ذلك كان سابقا - فيما يبدو - على إتمام خلق السموات من شتى أمورهما وتزيين السماء الدنيا بالمصابيح الممثلة في النجوم كالشمس والقمر وإن كانت آية سفر التكوين توضح خطوات متبادلة في إتمام الخلق بين السموات والأرض وعلى ذلك فلا تعارض بين الآيات في ترتيب خلق السموات والأرض ، ولئن كانت إحدى الآيات قد ذكرت أن الأرض بعد ذلك - أي بعد إتمام خلق السموات - دحاها ، فإنني أعتقد أن لفظ « دحاها » معناه جعل الأرض كالدحية أي البيضاء بمعنى أن الأرض ليست تامة الاستدارة بل هي منبعجة عند دائرة الاستواء ومفرطحة عند القطبين وذلك من تأثير الدوران حتى أن القطر القطبي ينقص عن القطر الاستوائي بنحو ثمانية وعشرين ميلا ، ومصدق ذلك قوله تعالى : « أولم يروا أننا نأتى الأرض نغقصها من أطرافها » .

ومع ذلك فقد قطعت الآية الآتية بالرأى في الأسبقية بين خلق السموات والأرض مؤكدة انفصالها في وقت واحد لا سبق فيه لأحد الطرفين على الآخر : « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا

« أأنتم أشد خلقا أم السماء ، بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها » .

وبينا هذه الآيات جميعا تؤكد أن خلق السموات أسبق من خلق الأرض نرى آيات أخرى تؤكد عكس ذلك أي أن الأرض خلقت أولا ثم خلقت السموات ، من ذلك قول تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ، وقوله أيضا : « أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ، ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم » . إذا تدبرنا هذه الآيات جميعا وقارنا بينها وبين الإصحاح الأول في سفر التكوين بالتوراة لا تضح لنا أنه خلال يومين تم انفصال الأرض من السماء بقدره الله ، ومعنى ذلك أن بدء خلقهما كان في وقت واحد ليس فيه سبق ولا تأخير .

السبع والأرض ومن فيهن ، ، ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ، ، ففضا من سبع سموات في يومين ، ، الذي خلق سبع سموات طباقا ، ، ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ، وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا .

وأما الأرض فقد ورد ذكرها مفردة دائما في الآيات إلا آية واحدة فيها تليح بسبع أرضين وهي : « الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما » .

فهل السموات سبع حقاً ؟ وهل الأرض مفردة أم سبع أيضاً ؟ إذا أنعمنا النظر في الآيات السابقة لوجدنا أن الآيات التي ورد فيها لفظ السماء مفرداً تعني بالسماء هذه السماء الدنيا التي هي أقرب شيء للأرض بدليل أن لفظ السماء في هذه الآيات غالباً ما يقترن بما ذلك من سحب وغمام وبروج ومصاييح إلهية للزينة ، بل إن آية منها حددت موضع هذه السماء المقصودة بقولها : « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » ، أما بقية الآيات فقد ورد فيها لفظ السماء إما جمعاً مطلقاً وإما محددات في العدد بسبع .

وفي اعتقادي أن السموات كثيرة العدد جداً وليست محددة بسبع ، فقد أثبت علم الفلك الحديث تعدداً كبيراً للمجموعات النجمية والكواكب ، وأما الرقم سبعة فلما

ففتقناها ، كما أن الآية التي ذكرت في ظاهرها سبقاً لخلق الأرض هي خلق السماء نصت على أن بدء خلقهما كان في وقت واحد ، تدبر قوله تعالى : « ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين » .

ثالثاً : عدد السموات والأرض :

فأما من السموات فقد جاء ذكرها في بعض الآيات مفردة وفي بعضها جمعاً مبهم العدد بينما صرح بعض الآيات بأن عددها سبع ، فلتدبر هذه الآيات :

« الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء » ، « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين » ، « ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه » ، « ويوم تشقق السماء بالغمام » ، « تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقراً منيراً » ، « والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون » ، « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » ، « الله الذي خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء » ، « إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً » ، « الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش » ، « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » ، « تسبح له السموات

أو هل لجنهم سبعة أبواب فقط ؟ ثم لماذا يحدد عدد المدد من البحار بسبعة ؟ أليس هذا دليلاً على مجرد كثرة العدد ؟ وفي القرآن الكريم مواضع ذكرت بها أعداد لا أظن أنها تراد لذاتها بل هي للدلالة على الكثرة فقط ؛ من ذلك قوله تعالى : « والمالك على أرجائها ، ويجعل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » ، وقوله « عليها تسعة عشر » . وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة . وما جعلنا هداهم إلا فتنه للذين كفروا .

هذا فيما يختص بعدد السموات ، أما الأرض فأرى أيضاً أنها أرض واحدة وإن كان لها من الكواكب أشباه ونظائر ، ولئن فسدت الآية على أن الله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن فيأتى أهتقد أن المقصود من ذلك أن الله خلق من نوع الأرض عدداً كبيراً كما خلق من نوع السماء ، أو أن يكون المراد أن طريقة خلق الأرض كانت مماثلة لطريقة خلق السموات كيفاً لا كمّاً ، وذلك بطريقة الفتق بعد الرق كما تقتضى بذلك النظرية السديمية . هذا ما يقوله الدين في نشأة الكون وخلق السموات والأرض فإذا يقول العلم .

لقد ظهرت في هذا المجال نظريات مختلفة أحدها النظرية السديمية ولكن قبل عرضها يحمل الإمام بشيء عن مدى معرفتنا بمادة تركيب الكون على ضوء التقدم العلمى الحديث .

أن القرآن جارى العرب في اعتقادهم الفلسفى بأن الأرض مركز الكون وأن الأنير المحيط بالأرض توجد فيه النجوم والكواكب السبعة المعروفة آنذاك وهي بترتيب بعدها عن الأرض : القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل ، وأن هذا الأنير منقسم لكواكب السبعة إلى كرات سبع طباق متتامة يحيط طالها بصافلها فيختصر كل كوكب بواحدة منها ثم تعلوها جميعاً كرة ثامنة فيها جميع الكواكب والنجوم الثابتة .

وإما أن القرآن جاراهم في مدلول الرقم سبعة الذى يبدو أنه كان عند العرب يطلق على تعدد الأشياء بقصد الدلالة فقط على مجرد الكثرة دون أن يقصد به العدد ذاته حقيقة ، وجرياً على هذه العادة وردت بالقرآن آيات يدل الرقم « سبعة » فيها على مجرد الكثرة لا على العدد الحقيقى ، فمن ذلك قوله تعالى : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبئت سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء » ، وقوله لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ، وقوله : ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله .

فهل يمكن للحجة عادة أن تثبت سبع سنابل ؟

بفعل الجاذبية وتدور حول محاورها تبعاً لدورة المجرة ، ومن الدوران تتضاغط المجموعة تدريجياً وترتفع حرارتها من الداخل وتنتهى العملية بتولد نجم فى مركز التضاغط .

وقد يصل حجم الغاز المتضاغط إلى جزء من مليون جزء من حجمه الأصلي ، وهذا يبين كيف أن النجوم رغم وفرتها إنما تشغل جزءاً ضئيلاً جداً لا يكاد يذكر إذا قورن بحجم الفراغ الذى تولدت فيه ، وكيف أنها تبعاً لذلك تستطيع التحرك فى الفضاء الكونى بحرية كاملة . أما من نشأة الأرض فقد ظهرت بشأنها عدة نظريات أحدها ثلاث لعلماء الفلك وتتلخص فى الآتى :

١ - الأرض جزء من الشمس : يفترض أصحاب هذه النظرية اقتراب نجم غريب من الشمس فامتدت بفعل جاذبيته أجزاء خارجية منها وكونت ارتفاعاً كبيراً يزداد تضخماً كلما ازداد الاقتراب به لأنه مر بسرعة هائلة ، وبعد ذلك أخذت الحبيوط الغازية تتمزق إلى كتل تألفت منها الكواكب ، ثم فقدت هذه الكواكب منذ انفصالها عن أمها الشمس الطاقة التى تزودها بالحرارة ، وهكذا أخذت تبرد بالتدريج حتى أصبحت الغازات سوائل والموئل أجساماً صلبة كما نرى اليوم فى غالبية المجموعة الشمسية من الكواكب التى تحوى الأرض .

ينشر فى الفضاء الكونى غاز خفيف رقيق أشبه ما يكون بالدخان غير المرئى من خفته ، وحيث إن الغاز له خاصية الانتشار فهو دائماً يملأ الفراغ وبناء على ذلك فالفضاء الكونى يملؤه هذا الغاز أو الدخان الأول ، وليس فى الحقيقة سوى الأيدروجين الذى أخذ يتكثف لأسباب ما فى مناطق فسيحة جداً فتكون بحامض ضخمة من السحب ، ثم تمخضت كل سحابة عن سديم برمتة ، وتبارك الله إذ يقول : « ثم استوى إلى السماء وهى دخان » .

فالأيدروجين إذن هو المادة الأساسية التى بنى منها الكون ، ومن المعروف كيميائياً أن الأيدروجين هو أبسط أنواع المادة تركيباً وأهمها فى تكوين الماء ، وإذا تفجر غاز الأيدروجين فى سلسلة من التفاهلات الذرية تحت ظروف ملائمة تحول إلى الهليوم وانطلقت من ذلك طاقة كبيرة فى صورة إشعاعات ، وهذا هو ما يحدث فى الشمس والنجوم .

يمكن القول إذن أن الكون بدأ فى صورة غاز الأيدروجين ، أما العناصر الأخرى فقد تولدت بعد ذلك تحت ظروف خاصة .

أما من كيفية نشأة النجوم فأولى الخطوات فى ذلك أن بعض الغاز المسكون للمجرة ينقسم إلى مجاميع أو سحب تزداد داخلها الكثافة

- ٢ - كان للشمس قرين : قفترض هذه النظرية أن الشمس كانت نجما مزدوجا ثم انفجر النجم المصاحب للشمس فتسكونت من بقاياها هذه الكواكب التي تدور حول الشمس ، وعلى هذا الأساس فليست الأرض وأخوانها من الكواكب السيارة بغات الشمس بل ريدياتها .
- ٣ - غبار سديمي في رحلة الشمس : هذه أحدث نظريات اليوم ومفادها أن للشمس قد عبرت في وقت ما سحابة سديمية فملقت بها طبقة من الغبار لم تلبث أن اكتسبت حرارة
- شديدة وقوية هلى الدوران ، ومن هذا الغبار الحار الدائر تكشفت الأرض والكواكب السيارة الأخرى .
- هذه النظريات العلمية الحديثة التي تفسر نشأة الكون وخلق السموات والأرض وهى جميعاً نظريات افراضية متفاوتة ، ولعل المستقبل القريب والنقد العلمى يطالعا بنظريات أخرى فى هذا الشأن فى أبحاث الفضاء ، فلنرتقب ولنتدبر . فالعلم لا حدود له ، وفوق كل ذى علم عليم ؟
- دكتور شريف محمد شريف

من خطبة لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أوصيكم بعباد الله ونفسى بتقوى الله ولزوم طاعته ، وتقدير العمل ، وترك الأمل فإنه من فرط فى عمله لم ينتفع بشيء من أمـله ، أين التعب بالليل والنهار ، والمقتم للجبج البعار ، ومقاوـز القفار ؟ يسير من وراء الجبال وطال الرمال يصل الغدو بالرواح والمساء بالصباح ، فى طلب محقرات الأرباح ، هجمت عليه منيته ، فعظمت بنفسه وزيته ، فصار ما جمع بورا ، وما اكتسب ضرورا ، ووافى القيامة محسورا .

سيارة يختارها أزهرى للأستاذ أبو بكر ذكرى

من قبل . وكنا ليل نهار في تلك التجربة أشبه
بوفود في جامعة الأمم تبدأ يومها وتختتمه
في مشاهدة وجوه جديدة من أبناء الأمم
الأخرى يبعث مرآها شتى المشاعر
والاحاسيس .

وبعد أسبوعين تيسر لنا مسكن مجاور
لتلال الدراسة الشاغرة لا يفصله عنها غير
طريق ترب لا يزيد عرضه عن بضعة خطوات .
كنا أربعة من الأصدقاء أشبه بالإخوة
الأشقاء السعداء بوحدتهم وتعاونهم .
ولا أستطيع الآن أن أتذكر الدافع الذي
دفعنا إلى عادة الصعود على تلك التلال
الترابية العالية كلما لطفت الفسائم وخفت
حرارة الشمس وأقمت ذهب الأصيل على
كل معالم القاهرة العظيمة الواسعة .
كل ما أذكره أن ذلك كان قد صار عادة لنا
لا يقطعنا عنها إلا شاغل ذو أهمية . وكنت
في نفسي أتمنى أن لو شجرت هذه التلال
وكسيت بالحشائش الخضراء لتمنح المنطقة
نصيبا من سحر الطبيعة وجالها وتدرأ عنها

وفي عام ١٩٢٤ على التقريب كنت قد
اتممت دراسى الثانوية بنجاح . وكان نظام
الأزهر إذ ذاك يقضى بأن تكون الدراسة ،
في القسم العالى ، في نفس مبنى الأزهر بالقاهرة .
وتحتم على ككل طالب آخر مماثل لي
أن يتنقل إلى القاهرة . ورحت أشعر بأسف
حميق لفراق الإسكندرية ذات الشطآن
الساحرة والطبيعة الرائعة والمياه التي تتلاقى
على أمواجهم الرافضة موجات بشرية من كل
بلاد العالم .

وفي بدء العام الدراسى التالى كانت طرق
المواصلات تقذف بالمشات منا إلى مدينة
القاهرة لتتلاقى في محيط واحد وأبناء جميع
المعاهد الأزهرية من مختلف النواحي
وفكون مجتمعاً جديداً له طابعه الجديد .

ولست أنسى ما حيلت حلاوة وسعادة
الغوم في أروقة الأزهر نحو أسبوعين
حتى يتيسر لنا الحصول على مسكن .
لأنها تجربة كانت تبدو لنا فرصة لم نمارسها

كنا نتعسف الطرق إليها لنرى هناك كيف ينصف العمال الكادحون قتل الصخور بالمتفجرات ثم يحطمونها لينقلوها إلى حيث تبنى بها بعض مباني المدينة . وكما كان يروى أن أجد بين فتات هذه الصخور أصداف حيوانات بحرية مختلفة الأشكال مما لا يوجد إلا على سواحل البحار الملحة . وأعجب من ذلك أن نجد في صفحات تلك الأحجار الجبلية نماذج كاملة لبعض الأسماك المعروفة لنا والتي نأكلها حتى اليوم . هل كان البحر الأبيض هنا يوما ثم تراجع في ملايين السنين ؟

وكنا أحيانا - أنا وزميلي - نمضى في تسليق هذه القمم وننتشى بروعتها حتى يلوح لنا شبح حيوان ينفلت من جحره إلى حيث لا ندرى فنطلق ونحن بين النشوة والخوف من عواقب أمر لم يكن سبق لنا أن تعودنا مثله . وكنت عند النوم أحلم بخيالات ساحرة عن هذا العالم العجيب وأتمنى أن لو نقلت أتربة تلال الدراسة إلى أغوار هذه القمم ثم صعد إليها الماء وزرعت وأقيمت عليها معابد ساحرة في شكل مدينة أسطورية . . ومن العجب أن يتحقق هذا الحلم الخرافي وتؤسس مدينة المقطم كذلك ، وإن يكن ذلك بطريقة أقرب إلى الاستغلال المألوف منها إلى الابتكار والاختراع . وأنا وإن لم يتح لي مشاهدة

سحب الغبار الخائفة التي تثور أحيانا فتغطيها بحجاب كثيف من الأتربة الفاتحة ... ومن عجب أن يتحقق بعض آمينتي بعد قرابة أربعين عاما في عهد ثورتنا المجيدة لقد شجرت بعض تلك التلال وإن لم تأخذ الصبغة السكاملة للتمزهات الانيقة المبتكرة .

وكنت أتمنى أن لو أقيم بين أشجارها غرف عالية تجمع بين البساطة والجمال والهدوء تعطى لمن يطلبها من هواة الخلوة والفكر والتأمل لقاء أجور معتدلة فيقضيون فيها أوقات فراغهم كما لو كانوا فوق قمم الجبال الخضراء الساحرة ، في أجمل مناطق السياحة العالمية .

أما هند ما كانت أنظارنا تقع على مرتفعات جبل المقطم فقد كنا نجد لها جلالا ورهبة لا تخلو من الجمال رغم تجردها من كل دلائل الحياة . إنها صخور صلبة وعرة صماء لا تجد العين فوقها أثر لآية خضرة ولا لآية حياة تتحرك إلا أن تكون الضباب والوحوش القابعة في مغائرها وشقوقها .

ولم تلبث نوازع النفس الطلعة أن دفعتنا إلى تلك القمم الصخرية الوهرة لنسكشف من أسرارها ما يمكن كشفه . . ولم أجد من زملائي موافقا سوى الأستاذ الشيخ محمد سرور مقلد المدرس الآن بمعهد الإسكندرية

المشروع حتى الآن لكثرة شواغلي ، فقد سمعت ناسا يذكرون العقبات التي تحول دون بلوغه ما كان يرجى منه . وما تذليل تلك العقبات بمشقة لو استخدم فيها الأسلوب الابتكاري على مستوى المخترعات .

وقد يقال وما علاقة هذه التلال والقمم بمشروع العربية بلا وقود وهي عنوان حديثنا ؟

والجواب أولاً أن حديث العلم والاختراع كله يتمتع لا محبة حرمان القارئ من فوائده وثانياً أن فكرة العربية أول ما علقت بخيالي إنما جاءتني فوق هذه التلال ، كنت قد سمعت من المخترع الشعبي المرحوم الأستاذ إبراهيم مقلد من أهل ارمانية من مركز إيتاي البارود أنه يفكر في عربية تجرى بدون أية قوة ميكانيكية على الإطلاق ، بمجرد ثقل من الأثقال المعدنية أو نحوها يوضع خلف محورها فيضغط على محور العجلتين الخلفيتين فتجرى بثقلها وبقائدها ، دون أية حركة من يديه ولا رجليه ودون أى وقود ... وصارحته إذ ذاك ، وأنا طفل وهو رجل ، باستحالة ذلك الاختراع ، وتوفى رحمه الله وهو لا يزال مقتنعا بفكرة تدل على غاية العلوم الذي هو خاصة المخترعين جميعا .

كنت قد أشرفت فوق حافة أحد هذه التلال فرأيت تحتي عمالا ينقلون منها التربة على عربات صغيرة ذات قضبان يسمونها (الترولى) وكم راعى أن قائدها كان يجعلها تجرى به وبمحملها جرياً سريعاً بواسطة هود من الخشب المتين متصل بنقطة فوق المحور الخلفي وبالمضغط على طرف ذلك العود كانت العربية تنزلق إلى الأمام شيئاً فشيئاً ثم تجرى بسرعة مذهشة .

ومع أن هذه هي نظرية صديق في إطارها النظري البحث فإنى لا أزال متمسكاً باستحالتها لأنه بكل في اختراعه قوة الضغط إلى نقل من الجداد لا حس له ولا قصد ولا حركة أما في هذا ، الترولى ، فإن عليه انسانا يضغط برجله خلف المحور ويتحيز لذلك حتى يتم انزلاق العربية أولاً ، ثم تجرى بنظرية الاندفاع الذاتي .

وانتقلت من القاهرة إلى الريف ، ولا يزال خيال العربية وفكرتها في رأسي بشكل غامض ، وانفق بعد ذلك بسنوات أن اشترينا في طرف الصحراء أرضاً للاستصلاح ، وكنت أذهب إليها أحياناً لأرى ماهى عليه . وكان ذهائى وهو دق دائماً بواسطة عربة أجرة كبيرة بعشرين كيلو متراً

الطاقة على أى شكل كان ذلك الجواز .
والمحرك الذى يعطى ألف حصان لو زهت منه
الخدافة لم يعط حتى عشرة أحصنة بل ربما
توقف واختل .

ولا يستثنى من ذلك سوى الأجهزة التى تدار
بالكهرباء أو بدفع الماء . فانها لا تحتاج
إلى الخدافة . وإن كانت معها تكون أعظم
جهدا وأكبر إنتاجا .

وسنتكلم إن شاء الله مرة أخرى كيف
أمكن نقل الخدافة من آلات الاحتراق إلى
آلة (لا احتراقية) بلا قود لأنها الفكرة التى
لم يكن قد تلبه إليها عقل فى العالم فيما يختص
بآلات المواصلات . والله نسأل أن يأخذ بيد
العاملين لخير العروبة إلى ما فيه سعادتها وأن
يوفق رائدها الفذ الرئيس جمال عبد الناصر
بأنى السد العالى . وإن طال الأجل فستدار
هذه العربة الفردية الخاصة بسكهرباء السد العالى
فى جميع القرى على نمط جديد لم يتح لمفكر
حتى اليوم والحمد لله أولا وآخرا وإلى الأبد .

أبو بكر محمد زكري

الأستاذ المساعد فى كلية أصول الدين

ذهابا ومثلها إيانا ... ورأيت أهل
الجهة المساكين يتكبدون هذه المسافات
فى أشد أيام الصيف والشتاء مشاة وحفاة
فى كثير من الأوقات . من أجل دواء يشترية
أو طفل يداويه أو قليل من الخضر يبيعه
ليشترى سكرا أو شاي أو كيسلة من الحب
يطحنها وبعد ثلاثة أيام تزد ثم يعود لنفس
العذاب

ورحت أفكر فى فكرة عملية لجهاز
مواصلات يستغنى عن الموتور ، العالى الثمن
ويمكن لأى رجل وأمرأة ركوبه ليقبه
من عوارض الجو القاتلة ويوفر منه فيكفيه
ربع الساعة بدل الساعة ، على الأقل .

ورحت أتمس لذلك كله طريقة تمهدى إليه
قواعد الطبيعة والميكانيكا ، وخصصت مكانا
منعزلا لتجاربى وكلما دلت التجربة النموذجية
المبسطة على إخفاق فكرة تحولت إلى غيرها .

وأخيرا تركزت فى رأسى فكرة استعمال
الخدافة لتغنى عن الموتور ، . . . إن الخدافة
هى سر القوة الميكانيكية فى كل جهاز لتوليد

العقائد في الدراسات اللغوية

للمكتوب كمال بشار

أظن أن الجانب اللغوي عند العقاد لم ينل ما نالته جوانبه الفكرية الأخرى من البحث والدراسة ؛ بل قد نضيف إلى ذلك أن هذا الجانب لم يحظ حتى الآن بدراسة واعية جادة ، ومن ثم كان دورنا في هذا المجال شاقا عنيقا ، وبما يزيد في هذه المشقة وتلك الصعوبة أمران مهمان ، أولهما يتعلق بمادة البحث ، وثانيهما يتعلق بالانتماء الفكري العام عند الراحل الكريم نفسه .

كل هذه الصعوبات قد وعيناها وتدبرناها منذ شرعنا في التفكير في هذا الموضوع ، غير أن هذه الصعوبات لم تمنعنا مطلقا من تبسّع أعمال الرجل ومحاولة تقويمه من وجهة النظر اللغوية الحديثة . وأظنه ليس من الإنصاف في حق العقاد أو في حق نفسه على سواء أن أدعى أنني آت الآن بدراسة تفصيلية أو شبه تفصيلية لآثاره اللغوية . إن الذي أستطيعه في هذا المقام لا يمدد أن يكون تخطيطا لدراسة أشمل ، ولا يجاوز أن يكون رسماً لإطار عام لبحث أوسع وأكثر استيعاباً .

وعقدنا أن قيم البحوث اللغوية تقاس بثلاثة مقاييس مجتمعة غير منفردة .

أظن أن الجانب اللغوي عند العقاد لم ينل ما نالته جوانبه الفكرية الأخرى من البحث والدراسة ؛ بل قد نضيف إلى ذلك أن هذا الجانب لم يحظ حتى الآن بدراسة واعية جادة ، ومن ثم كان دورنا في هذا المجال شاقا عنيقا ، وبما يزيد في هذه المشقة وتلك الصعوبة أمران مهمان ، أولهما يتعلق بمادة البحث ، وثانيهما يتعلق بالانتماء الفكري العام عند الراحل الكريم نفسه .

فالمادة اللغوية التي خلفها لنا العقاد كثيرة منوّهة ، تقتضي من الدارسين أناة وصبرا بالغين ، وتحتاج في عرضها ومناقشتها إلى وقت أوسع وأفسح مما يحتمله هذا المقام ، وهذه المادة - بالإضافة إلى ذلك - موزعة بين آثاره العديدة ، ومتناثرة هنا وهناك في بطون تلك الآثار .

أما الانتماء الفكري عند العقاد فصعوبته توحده وتفردّه ؛ فهو اتجاه أو - بالأحرى - منهج خاص بالرجل وحده ، تلبس فيه بوضوح شخصيته وعقليته : شخصية قسوية لا تلين في غير حق ، ولكنها دائما تعف في سبيل هذا الحق ، وعقلية جبارة تنفذ إلى

العلوم الإنسانية كلها وعلى مستوى واحد من حيث الإخاء والدقة ، فبعد الفرق بينهما واستوى العقاد عملاقاً على قمة الفكر الإنساني الواسع العريض ، واكتفى يسبرسن ببضاهته اللغوية التي لا تمثل إلا جانباً واحداً من جوانب الثقافة الإنسانية .

فإذا ما انتقلنا إلى المقياس الثاني من مقاييس الحكم على أعماله اللغوية (وهو مجالات الدراسة) ، ألفينا العقاد يصول ويجول في مجالات البحوث اللغوية الحديثة كلها .

لقد جرى العرف بيننا نحن اللغويين أن نقسم علم اللغة إلى الفروع التالية .

(١) علم الأصوات . وهو نوعان أحدهما هام phonetics ، وثانيتها نسميه نحن بعلم الأصوات التنظيمي phonology .

٢ : الصرف morphology .

(٣) النحو syntax .

(٤) المعجم lexican .

(٥) السيماتيك semantics أو ما نسميه نحن بعلم المعنى (١) .

(١) ع- لم لاغنى يدرس معاني الكلمات والجمل والعبارات في الكلام الخي المنطوق على مستوى اجتماعي صرف ، وهو في ذلك يتفق مع المعجم في شيء ويختلف عنه في أشياء . كما أن علم المعنى يخالف ما يسمى بعلم المعاني عند علماء العربية ، فالأول أهم ، إذ الثاني يمثل جزءاً من بحوث الأول عند بعض المدارس اللغوية ، أما عند البعض الآخر فهما علمان مختلفان ولكل منهما مجاله الخاصة .

ما سجله في كتابه ، أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ، وبعض فصول كتابه الآخر ، اللغة الشاعرة ، أما الاتجاه المعيارى فيتضح بوجه خاص في مناقشة المشكلات الخاصة باللغة الغربية . والسرف في ذلك واضح ، وهو أن العقاد في هذا المجال يريد أن يقنع المنحرفين والمتعصبين ضد اللغة العربية بالدليل الهادى الواضح .

وإذا كان لنا أن نربط منهج العقاد بمنهج لغوية أخرى غربية أو شرقية ، انصرف الذهن إلى العالم اللغوى الجليل أوتويسبرس Otto Jespersen . وليسبرسن منزلة خاصة ومكانة ممتازة لا ينكرها عليه أحد من اللغويين المحدثين . ذلك أن الرجل قد أسهم بنصيب كبير في إرساء قواعد البحث اللغوى ، وإليه يرجع الفضل في تقريب مبادئ هذا البحث وأساسه إلى أذهان الدارسين . على أن هناك فارقين كبيرين بين الرجلين . أولهما أن العقاد كان أسعد حظاً من صاحبه ، فقد نهج في عمله ولم يخلط بين منهجه في بحوثه ، وإنما أفرد لكل منهج بحثاً من لون خاص أما يسبرسن فمكنا يعلم أنه لم ينجح من هذا الخلط الذى يعد من أكبر عيوبه في الدراسات اللغوية . أما الفرق الثانى بينهما فهو أن يسبرسن لغوى فقط ، أما صاحبتنا فهو مفكر وباحث يضرب بفكره الكبير إلى أحماق

الكتاب

تقديم وتعليق : محمد عبد الله السمان

الكتاب يعرض موضوعات خمسة :

١ - المصحف للنفس والمجتمع والدولة ، ويرى المؤلف أن لضرورة هنا إلى الإشارة إلى شمول الإسلام واستيعابه بذكر شتى أحكامه ، ولا إلى القواعد والنصوص التي حفل بها وهو يبنى عائداً تذوب فيه الفوارق الجنسية ، لأنه يريد أن يتناول الجانب العبادي ومسئولية الدولة منه ، هذه الدولة لا تكون مسئلة يوم تكون إقامة الصلاة وإقامتها مثلاً سواء في نظرها .

٢ - مسير الإسلام بين المجتمع والدولة ، ويرى المؤلف أن الإسلام ليس شكل دولة وبرنامج حكم . . . وحسب ، إنه دين متعدد التعاليم متسع المبادئ ، وشعبه التي تنفرج في الحياة تفرع القنوات في الأودية ، وصفها الرسول بأنها بضلع وسبعون شعبة ، وهذا عدد ليس للإحصاء ولكن لبيان اسقياب هذا الدين لمنازع النشاط الإنساني كله .

٣ - نحو تجديد الإسلام وتحرير أمته ويرى المؤلف أن تجديد الإسلام ليس أكثر من تجلية حقائقه الأصلية ، وتجريد القرائن السامية من الشوائب العارضة وتمكين الأحرار والعقلاء من اعتناقه من إعجاب ورغبة

١ - معرزة : المصنف في المعالم الإلهية

للأستاذ الشيخ محمد الغزالي

هذا عنوان كتاب جديد ظهر أخيراً للشيخ الغزالي ، نشرته دار الكتب الحديثة بعابدين ، في أكثر من ثلثائة وخمسين صفحة من القطع المتوسط .

أشار المؤلف في مقدمته إلى : أن الله يأبى أن يكون بحمل صلته بخلقه لحظات هندوء أو سحران ، أو مفاجأة في هذه البيوت التي أقيمت باسمه ، ثم ينطلق الناس بعسدها في هرصات الأرض يحبون كيف يشتهون ، ويتعاملون بما يتراضعون عليه من قوانين وتقاليد . ثم ذكر : أننا نحن المسلمين نعتقد أن ما بين دفتي المصحف الشريف هو مراد الله من عباده ، وفي هذا المصحف صور رائعة للحق ، في العقيدة والخلق والعبادة والمعاملة تكفي للأنام معاشها هنا ، ومعادها هناك ، وليس لهذا المصحف بعد ذلك طابع إقليمي ، ولا نزعة خاصة ؛ لأن العالمية شائعة في آياته كلها شيوع الصفاء في وجه المرأة .

الحق أن السكتب ثورة فوق أنه دراسة طرقت كثيراً من المفاهيم الإسلامية ، كانت في ميسر الحاجة إلى الدراسة والإثارة .

* * *

٢ — بين المربى واحداً :

الأستاذ عبد المنعم النمر

وهذا السكتب الجديد للؤلؤ نشرته الدار القومية بالقاهرة ، وأرادته دراسة تحليلية تهدف إلى بيان منهج الإسلام في علاجه لمشاكل الحياة ، وإلى تقديم المبادئ والتعاليم الإسلامية صافية ، وإلى تصحيح أفكار بعض الناس بما خلق بها من تناقض بين الدين والحياة ، وإلى أن الإسلام يعمل على إحياء الأمة القوية العزينة في كل جانب من جوانب الحياة المادية والروحية على تسواه .

في المقدمة ذكر المؤلف أن التعرب عند ما اتجه منذ قرون إلى الاستيلاء على الشرق ولا سيما قلبه النابض - العالم الإسلامي - اتخذه وسيلتين للهجوم عليه : هما المجرم الفسكرى والهجوم المسلح ، وكان يعمل - كما علمنا - أن الهجوم الفسكرى أشد خطراً وقتكاً وأبعد أثراً من الهجوم المسلح ، ولذا وجدناه يركز هجومه على معالم الإسلام ومبادئه ، وأتاحت له قوته المادية في السيطرة وفي أدوات النشر والإذاعة أن يروج لباطله ويبث الشكوك في حقائق الإسلام ،

٤ - في سلم النهوض ، ويرى المؤلف أن العودة بالمسلمين إلى الإسلام علماً ومهلاً ، هي وظيفة المجتدين لدين الله ، الناهضين بأمرته كي تؤدي رسالتهم الكبرى ، والعودة بالإسلام إلى ما كان عليه أيام الرسول ، تستدعي - إلى جانب ترقية الإيمان من الشوائب - قيام حكاه من طراز عاقل عادل ، تختارهم الأمة اختياراً حراً ، وتختارهم الأمة اختياراً حراً ، ونحاسهم إذا شئت حساباً مرأ .

٥ - الذين جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، وفي هذا الموضوع الأخير ، تعرض المؤلف لموقفه المعروف في المؤتمر الوطني للقوى الشعبية ، وموقف الذين اتخذوا من موقفه وسيلة إلى النيل من الإسلام ودعاة الإسلام ، والشيخ الغزالي في هذا الموضوع لم يدافع عن نفسه وإنما دافع عن وجهات نظر الإسلام ، ضد لفيف من المنحرفين .

وختم المؤلف بعهد ذلك كتابه بكلمة موجزة أشار فيها إلى أن الجماهير المسلمة لم تنس دينها على كثرة المنسيات ولكن خصوم الإسلام لا تنتهي محاولاتهم لهدم الإسلام . وأدواتهم لبلوغ هذه الغاية كثيرة خفيها أكثر من جليها ، وما كرها أهدم من ظاهرها ، وعلى المسلمين في القارات الخمس ، أن يلبسوا هذه الحقيقة . . .

الكتاب ، أما بحوث : رمضان ونزول القرآن ، الصيام ، ذكرى بدر ، أعيادنا ، الحج ، بين الأمس واليوم ، الدعوة إلى الله بالحسنى ، الوعد الحق ، الهجرة ، فهذه كلها لا ارتباط لها بموضوع الكتاب ، وإن كان كل منها يقوم دراسة مستفيضة جسيمة بالاستيعاب ، ومع تقديرنا للؤاف وهو علم أديب ، وباحث مطلع ، وكاتب مستدير ، إلا أننا كنا نود أن يفرغ الجهد فيما يتصل بموضوع على جانب من الأهمية هو موضوع الدين والحياة .

* * *

٣ — العقائر الإسلامية :

للأستاذ الشيخ سيد سابق

أصدر هذا الكتاب المؤتمر الإسلامي بالقاهرة في أكثر من ثلثائة صفحة ، وكتب المؤلف مقدمة مسجبة له ، تناول فيها الإسلام إيماناً وعملاً ، ومفهوماً وإيماناً ، ووحدة العقيدة وخلودها ، ومنهج الرسل في الدعوة إلى الإيمان ، وأثر الانحراف عن منهج الرسل ثم ضرورة العودة إلى تجديد دعوة الإيمان . وقد أملت فصول الكتاب بعد ذلك بالعقيدة وفروعها : معرفة الله ووصيلتها ، ومبادئ التفكير وغايتها ، والمعرفة عن طريق الأسماء والصفات ، والتقليد كحجاب للعقل ، ثم اسم الله الأعظم ، كما أملت بالذات الإلهية ، وكون إدراكها مستحيلاً وبالطبيعة وتأكيداً

وما جاء به من مبادئ قوية توفر السعادة للمجتمع ، وكان لهذا أثره على عقول بعض المسلمين المثقفين ، وأحياناً على قادة الفكر والثقافة . فانساقوا في تياره ورددوا اتهاماته وانصرفوا عن مبادئهم .

ولإزاء هذا يرى المؤلف أن من الواجب بعث الروح الدينية في النفوس وما يساعدها على هذا أن نعبد النظر في بعض الأفكار المخيلة على الإسلام ، والتي تعتبر أثراً من آثار الانحلال أو الانحراف أو الجحود الفكري في العصور السابقة ، فنعمل على تنقية الإسلام من الشوائب التي نقرت منه بعض أهله ، ونقدم المبادئ والتعاليم والأفكار الإسلامية الصافية صفاء المصنوع الذي نستمد منها .

ونحن مع المؤلف أولاً في اتجاهه هذا ، فالغرب لم يسطر على الإسلام بالسلح الفكري إلا بعد أن وضع أصابعه على منافذ الضعف في الأفكار المخيلة على الإسلام ، والمدونة في كتب التراث التي منحناها صفة القداسة ، وشهرنا حصا الإروهاب في وجه من يحاول المساس بها والتي لم يزل لها تأثيرها في حياتنا ولكننا إذا حاولنا من جانب آخر أن تناقش الكتاب في مجمله ، فلن نجد ارتباطاً كاملاً بين العنوان والأبحاث الداخلية فيه فبحوث الدين والدنيا ، والإسلام وزينة الحياة الدنيا ، كيف نفهم الإسلام ، سنة الله في رفق الأمم ، هذه البحوث لها ارتباط وثيق بعنوان

مظهر من مظاهر عقيدته ، فإذا صلحت العقيدة صلح السلوك واستقام ، وإذا فسدت فسدت واعوج ، ومن هنا كانت عقيدة التوحيد والإيمان ضرورة لا يستغنى عنها الإنسان ليستكمل بها شخصيته وبحقق آدميته وإنسانيته الحق أن الكتاب هرّض شامل للعقائد الإسلامية لجرد الإسلام السريع بها ، وموجز يجد للكتب الضخمة التي استوعبت هذه العقائد ، وقد خلا هذا الموجز من الإسفاف وتجرد عن الجدال الممل ، إلا أنه خلا أيضا من المناقشة الجادة لما أثاره علماء الكلام والمتصوفة في كثير من القضايا العقائدية المعقدة ، ولم يستوعب كثيرا من الرد على الشبهات التي أثارها المترهبون بالإسلام من المستشرقين والمذمومين .

وإذا كان هناك مثار حجب في الكتاب فهو أن المؤلف عرض قضية المهدي المنتظر ، وبجى المسيح الدجال ليثير الفتنة في الأرض ونزول هيسى ليقاوم هذه الفتنة ويقضى عليها في آخر الزمان . هرّض المؤلف كل هذه القضايا ، وكأنها من المسلمات التي لا تحتاج إلى نقاش مع أنها قضايا خلافية كأشراط كبرى للساعة ، وأمور عقيدية تحتاج إلى أدلة يقينية قطعية الدلالة والورود ، وليس في كتاب الله ولا في السنة المتواترة ما يؤيد ظهور المهدي ولا عبث الدجال ولا نزول هيسى آخر الزمان .

محمد عبد الله السمان

وجود الخالق وبالفطرة كدليل على وجوده سبحانه ، ودليل على أن لا سند للإلهاد يعتد به . تعرض الكتاب لصفات الله ، فذكر من الصفات السلبية : الأول والآخر ، وليس كمثل شيء والوحدانية ومن الصفات الثبوتية : القدرة والإزادة ، والعلم والحياة والكلام ، والسمع والبصر ، وهذه الصفات الثبوتية هي صفات الذات . أما صفات الأفعال فصفة الخلق ، والرزق ، وعاب المؤلف الاختلاف في صفات الذات : هل هي عين الذات ، أم أن الله عالم بالذات وحى بالذات ، أو أنها صفات زائدة على الذات ، أم أنه عالم بعلم ، وحى بحياة ، وقادر بقدرة وهكذا واعتبر أن مثل هذا الاختلاف من التخيل على الإسلام ومن البدع الطارئة على العقيدة ، ومن المنكرات التي يجب على المسلمين التنزه عنها فإن ذات الله أجل من أن نقارول على هذا النحو .

وهرّض الكتاب لحقيقة الإيمان وثمرته والملائكة وحقيقة خلقهم وطبيعتهم أعمالهم والجن وحقيقة وجودهم ، والكتب الصاوية المدونة وغير المدونة ، والرسول وأعمالهم الكبرى ، والآيات الخارقة التي أيدوا بها ، والروح مع الجسد وبعد الجسد ، وأشراط الساعة الصغرى والكبرى ، والمهدي المنتظر والمسيح والدجال ، والبعث وشبهات منكرية ثم ختم المؤلف كتابه بفصل عن الجنة والنار والشفاعة للمصاة ، وبتعقيب موجز ذكر فيه أن سلوك الإنسان وتصرفاته في الحياة

انبثاء وآراء

صلى مؤتمر مجمع البحوث :

كان لانعقاد مؤتمر مجمع البحوث بالقاهرة
صلى بعيد المدى فى أنحاء العالم الإسلامى ،
وقد بعث كثير من الأعضاء بعد سفرهم
برقيات ورسائل ننشر منها ما يلى :

منه يومه وسهره

السيد/ الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضى
وكيل شيخ الأزهر ورئيس مجمع البحوث
الإسلامية .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :
فإنه بطيب لى أن أتقدم لى سيادتكم
بعد العودة لى بلادى بالشكر الجزيل على
كل ما لاقيناه فى بلادكم من الحفاوة الكريمة
والضيافة الجالفة ، وعلى كل ما قولنا به من
الإكرام والتعظيم من الأزهر الشريف ومن
غيره من الهيئات والمؤسسات والجمعيات .
ولاشك أن تشرفنا بمقابلة الرئيس الجليل
جمال عبد الناصر لما سيقى فى ذكرياتنا طول
الدهر ، وبما لا نساها أبدا .

ولقد استمعنا لى البحوث القيمة وللى
المناقشات والتعليقات المفيدة التى كان الغرض
منها إضاءة السبل التى تؤدى بالمسلمين لى

مستقبلهم الأفضل وللى استرجاع ما كان
للإسلام والمسلمين من المجد والعظمة وللى
خلق مجتمع جديد يقوم على المبادئ
الإسلامية السامية .

والذى شاهدناه من حفل وضع
حجر الأساس لدار القرآن ولجامعة الأزهر
الجديدة ولوضع حجر الأساس لمدينة الأزهر
فى غزة ومن زيارتنا لقطاع غزة والسد العالى
فى أسوان وللمديرية التحرير .

كل ذلك أكد وبرز إيماننا بزعامة الجمهورية
العربية المتحدة للعالم الإسلامى وبأنها تقوم
برسالة الإسلام خير قيام ، والفصل فى ذلك
كله يرجع لى بطل الإسلام والعروبة الرئيس
جمال عبد الناصر نصره الله وأيده زخرا
للإسلام والمسلمين .

وأنتى أحمد الله وأنتى عليه كل ثناء
لما أتاح لى فرصة اشتراكى فى هذه الأعمال
الجليلة التى لها أهمية تاريخية وستكون لها
من الفوائد ما لا يمكن تقديره فى هذه اللحظة
وبما سرنى غاية السرور ، وعلى وجه
الخصوص ما رأيته من أن الأزهر أصبح
فى يد رجال جمعوا بين الثقافتين : الثقافة

ووصلنا الوطن بالسلامة والراحة بعد ساعتين وربع ، نشكر الله تعالى على ذلك ، ولنا لشكركم على ما قدمتم به نحونا مع أعضاء المؤتمر وجميع الوفود من الحفاوة والتكريم وتوفير وسائل الراحة ، سائلين المولى جل جلاله التوفيق والسداد لنا ولكم ولرجال المؤتمر والأزهر الشريف .. لأنه سميع مجيب . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد اللطيف بن محمد آل سعد
قاضي المحكمة الشرعية بالبحرين

صين الطرود

فضيلة الأستاذ رئيس مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية المحترم :

يسرنا وقد عدنا إلى الأردن بعد حضور المؤتمر في القاهرة أن أقدم جزيل الشكر ، وعظيم الامتنان لفضيلتكم ولجميع البحوث الإسلامية ولشيخ الأزهر الشريف والحكومة الجمهورية العربية على ما لقيناه من الجميع أثناء إقامتنا في الجمهورية العربية من حفاوة وتكريم ، وما لهناء من عواطف كريمة وشعور نبيل .

ولنا لسأل الله تعالى أن يمجركم جميعاً خير الجزاء ، وأن يوفقنا جميعاً لما فيه خير المسلمين وصلاحهم ، والله من وراء القصد .

عبد الله غوشة
قاضي قضاة الأردن

الإسلامية الصحيحة والثقافة العصرية ، وهذا استطاعوا أن يدركوا حقيقة الفكرة الإسلامية وأن يقوموا بواجبهم في أداء رسالة الأزهر التي هي في الواقع رسالة الإسلام .

ويقيني أن مجمع البحوث الإسلامية سيلعب دوراً هاماً في حياة المسلمين وفي نهضتهم الحالية ، وندهو الله أن يوفق أعضاء المجمع في أداء مهمتهم العظيمة والشاقة .

وتفضلوا بقبول فائق احترامنا
حسين سليمان جوزو

مجمع الأزهر العوضي الوكيل

السيد صاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر .

أقدم أخلص تهاني على نجاح مؤتمر المسلمين ونأمل أن يحق الله لكم منه ما أطمح فيه . والسلام عليكم ورحمة الله .

العوضي الوكيل

صين البحرين :

حضرة الأجل السيد الأستاذ الدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر الشريف المحترم حفظه الله ورحاه .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال عنكم والدعاء لكم بتميز بالجميل . لقد غادرنا القاهرة العائرة في الساعة الحادية عشرة من ليلة الخميس الماضية بالطائرة

ماضى وكيل الأزهر الشريف ورئيس مؤتمر
البحوث الإسلامية .

سلام تام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .
وبعد ، فيطيب لي بعد عودتي إلى المغرب
أن أتوجه إليكم بالشكر الجزيل على ما غيرتمونا
به من عطف ورعاية وإكرام أثناء تشرّفنا
بالمقام ببنسكم ، بمناسبة حضورنا في المؤتمر
الأول الكبير للبحوث الإسلامية بدعوة
مشكورة منكم .

كما يطيب لي أن أنوه بحصافتكم ومقدرتكم
الفائقة وتفكيركم الغزير في تسيير أعمال المؤتمر
وحسبكم في حفظ توازنه وولايته والتقدم
بمخلفاته المتسلسلة من حسن إلى أحسن سواء في
أثناء عرض البحوث والكلمات أو في أثناء
المناقشات والمداولات والاقتراحات .

إن رجال الثقافة الإسلامية في المغرب تتبعموا
باهتمام كبير الخطوات الموفقة التي سجلها مؤتمر
البحوث الإسلامية وإنهم ليعلقون على ذلك
كبير الآمال في تحقيق العزة الإسلامية والنخوة
العربية ويباركون بإعجاب تلك التوصيات
السبع التي انبثقت من حكمة وحكمة
أعضاء المؤتمر صفوة علماء العالم الإسلامي
والتي سيكون لها بحول الله أحسن الأثر في
توثيق هري المسلمين وتنمية أواصر المودة
والأخوة بينهم في مشارق الأرض ومغاربها

سيادة الاخ الكريم الدكتور محمد عبد الله
ماضى وكيل الجامع الأزهر :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد :
فقد رأيت أثر وصولي للوطن سالماً
بحمد الله أن أزعجى لكم شكرى الجزيل
على الحكمة التي كانت تتجلى من إدارتكم
مؤتمر يجمع البحوث الإسلامية الأول ، وعلى
الحفاوة التي شملتوني بها مدة إقامتي في القاهرة
راجياً من الله سبحانه أن يأخذ بناصركم
ويوفقكم في يجمع البحوث ، فإن المهمة شاقة
والمسئولية أمام الله والتاريخ .

ولإنه لتجربة نرجو الله أن يجعلها ناجحة
في حفظ قوة الإسلام ، وصلاحيته لكل
زمان ومكان ومجابهة الأحداث ، وأن
نخرج من هذا المعترك ظافرين ومنصورين
بنصر الله وتأيدده . والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته .

من المخلص
عبد الحميد السائح
عضو المحكمة الشرعية العليا بالأردن

عن تونس :

جامعة القرويين - كلية الشريعة
ظهر المهرز - فاس - صندوق بريد ٦٠
فضيلة الأستاذ الكبير الدكتور محمد عبد الله

نشكركم ونحي ما بذلتم في إعداده من جهد ، وفقكم الله دائماً لخدمة الإسلام وتعاليمه المقدسة .

محمد تقي الحكيم

هل يجوز نفل مقام إبراهيم عليه السلام؟

قال الله تعالى: «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأماناً ، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى ، صدق الله العظيم .

لقد تواتر كلام المفسرين من السلف الصالح عن معنى ان مقام بأنه محل إقامة الخليل عليه السلام ، وهل هذا فإنه يشمل جميع الحرم وقال آخرون : إن المقصود بالمقام جميع المشاعر .

فعلى التفسير الأول : من صلى في أية بقعة من بقاع مكة فقد اتخذ من مقام إبراهيم مصلًى .

وعلى التفسير الثاني : من صلى في أى مشعر من مشاعر الحج فقد اتخذ من مقام إبراهيم مصلًى .

فكيف بمن يصلى داخل المسجد الحرام سواء كان في الحادث منه أو القديم لأنه من باب أولى قد اتخذ من مقام إبراهيم مصلًى .

أما ما ورد من أن معنى المقام إنما هو محل القدم في الصخرة القائمة داخل السياج الذى أمام المقام ، وإن معنى الصلاة إنما هو

حتى يكونوا صفوا واحداً في الإطاعة بخاطر لإسرائيل .

وتقبلوا فى الختام فائق احترامنا وتقديرنا والله يحفظكم ويرعاكم والسلام .

مدير كلية الشريعة

الحاج أحمد بن شعرون

مه مالى :

الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر ورئيس المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية .

أرى من الواجب المقدس بعنى لكم هذه البرقية معبراً عن شكرى العميق للشعب العربى الكريم ورجال الأزهر الذين أتاحوا لمسئلى العالم الاجتماع التاريخى للنهوض بالإسلام ونطلب من الله سبحانه وتعالى أن يلهم أعضاء المجمع فى جلساته التالية ، وأن ينصرم والشعب العربى المؤمن فى جهاده تحت قيادة الرئيس المقدم جمال عبد الناصر !

عبد الوهاب دكرورى

قائم بأعمال سفارة جمهورية مالى فى جده

من العراق :

السيد الدكتور محمد عبد الله ماضى وكيل الأزهر الشريف كان للأجواء العلمية التى وفرتها بجمعكم الموقر ، واللقاءات الفكرية بين أعلام الإسلام أعمق الأثر فى النفوس .

ما يحاذيه حتى يتسع المطاف ويرتفع الحرج
عن المسلمين إذ أننا لم نقف على نص صريح
يدل على إلزام المقام هذا الوضع .

أما ما ردد من أن الرسول صلى خلف
المقام فإنه عليه الصلاة والسلام حينما صلى ،
لم تكن الصخرة في هذا الموضع بل كانت
بجانب الكعبة ، فحتمل أنه صلى إلى الكعبة
حيث كان المقام أمامه (بينه وبين الكعبة)
ومن القواعد الثابتة أنه إذا حصل الاحتمال
سقط الاستدلال .

وقد نقل الأزرقي في تاريخه أن المقام
قد نقل من مكانه أكثر من مرة حينما كانت
تجرفه السيول قبل أن يردم عمر رضي الله عنه
الحرم الردم الأعلى . ثم جاء سيل حارم الذي
عرف في التاريخ بسيل أم نهشل فنقل المقام
إلى أسفل مكة ، ثم رده عمر إلى محله الحالي
بشهادة من رجل يقال له المطالب بن أبي وداعة .
وهذا الرد لا يثبت وجوب استدامته
في هذا المحل وليس هناك ما يمنع من نقلة
إلى الموضع المناسب حتى يتسع المكان
للحائضين .

لذلك فإننا نأمل من إخواننا العلماء إعادة
النظر في موضع نقل المقام . وأن يجتمعوا
ويتفقوا على الرأي الصواب
عبد الله إبراهيم الأنصاري
الدوحة - قطر

الدعاء ، فإن ذلك بعيد التداول والمعنى ، وعلى
فرض صحته فإن جواز نقلها من محلها للضرورة
القاهرة لا يوجد دليل على منعها .

بل لقد ورد أن الرسول صلى الله
عليه وسلم هو الذي أمر بنقلها من مكانها
الأول بجانب الكعبة إلى هذا الموضع
وقال آخرون ، إن الذي أمر بنقلها هو عمر
رضي الله عنه .

ومفهوم من هذه الرواية أن النقل قد
تم فعلا سواء بأمر من رسول الله صلى الله
عليه وسلم أو من خليفته عمر رضي الله عنه
وكان ذلك توسعة للطائفتين في الصدر الأول
من الإسلام .

وأى مضايقة وازدحام أشد مما يتكلفه
المسلمون اليوم في موسم الحج . فهم في يسر
وراحة أثناء الطواف من جميع الجهات
إلا عندما يحاذون الحجر الأسود فن هناك
يواجههم الضيق والعنف والمدافعة والمناقشة ،
ولقد سمعت مسلماً يسب أخاه بسبب الضيق
في الوقت الذي كان ينبغي أن يدعو له
بالحداية والتوفيق .

ولعل من حكمة الله العلي العظيم في تشريع
الحج وحج المسلمين في هذه المشاعر للتآلف
والتوادد فلذلك يجب أن يزال كل عامل
يحدث للشقاق والتباغض بين المسلمين .
وليس هناك ما يمنع من نقل المقام إلى

فتاوى مختارة

تقديم : ابراهيم محمد الحصيل

استقبال النقود بالهدى في الحج :

السؤال :

شاهدت كما شاهد غيرى من حجاج بيت الله الحرام تكديس لحوم الهدى في منى لعل يحوز استقبال النقود بالهدى حرصاً على المنفعة أرجو تفصيل القول في هذا .

عبد المعطى سليمان - دميره

الجواب :

يظن كثير من الحجاج أنه يجب على كل حاج أن يذبح هدياً في حجه ، وأن يكون ذبحه في أيام معينة هي : أيام النحر الثلاثة ، وفي مكان معين وهو منى خاصة . ومن هنا نرى الفقراء أو البخلاء يعمدون إلى ما قل ثمه من هدى مريض أو هزيل فيذبحونه فلا يطيب لحمه لآكل ولو كان فقيراً يتضور جوعاً ، وبذلك تتكدس لحوم الهدايا في منى وتتعفن ، وتنبعث منها الروائح الكريهة ، فتفسد الجو ، وتنتشر بها جراثيم الأمراض ، وفي ذلك من الأذى والضرر ما لا يرضاه الشرع ، الحريص على صحة الناس ، وطيب الحياة .

وبذلك وقعت مسألة الهدى في الحج ، بين جهل في التطبيق والعمل ، وبين نظر قاصر يحاول بهذا الجهل تغيير حكم الله فيها ، دون أن يتعرف واقع المشروع ويذهب الناس إليه ، فيبقى حكم الله على ما شرع ، ويسلم الجو من الأذى والضرر .

والله أرحم عباده منهم ، وهو لا يشرع لهم إلا كل خير نافع ، وأجل من أن يتعبدوا بما فيه شر أو ضرر ، وتشريعه فوق ما يربطون به نظرهم من سوء التصرف المبني على الجهل بأحكامه ، وشرائعه .

معنى الهدى :

والهدى اسم للحيوان الذى يهدى باسم الله إلى الحرم ويذبح فيه ، ويطعم منه الفقير والمسكين ، فإذا وجبت جنوبها فاكلوا منها وأطعموا الفقانع والمعتر كذلك سخروا لها لكم لعلمكم تشكرون . . وقد أرشد القرآن إلى الروح الذى يقبل الله به الهدى ، وهو روح الإخلاص والتقوى ، شأن كل التكليف ، لا يكفي في تقبلها شكلها ولا صورتها ، وإنما يرفعها إليه ، الإخلاص ، وهو المعنى بقوله تعالى : : لن ينال الله لحومها ولادماؤها

ولكن يناله التقوى منكم ، . كما لا يناله من الصلاة الحركات والسكنات ، ولا من الصوم ، ترك الماء كولات والمشروبات ولكن يناله منهما ما يحملان من معاني الخشوع والإخبات ، ومراقبة القلب وحسن النيات .
« إنما يتقبل الله من المتقين ، .
الزهرى في القرآن :

قد عرض القرآن للهدى من جهات ثلاث :
أولها : جهة التنويه بشأنه ، فطلبه وطلب الإخلاص فيه لله ، وجعله من الهماثر التي يجب المحافظة عليها ، ويحرم إهمالها وإحلالها ، ففي سورة المائدة : يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ، ولا الشهر الحرام ، ولا الهدى ولا القلائد ، ولا آمين البيت الحرام ،^(١) . وفي سورة الحج : والبدن جعلتها لكم من شعائر الله لكم فيها خير ،^(٢) وفيها ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب^(٣) .
ثانيها : جهة الحالات التي يطلب فيها ، وهي : حالة الإحصار ومعناه ، المنع عن إتمام الحج أو العمرة بمرض أو عدو ، وهي المذكورة بقوله تعالى في سورة البقرة : « وأنتم أحرأ الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ،^(٤) .

وقد طلب الهدى فيها عينا متى تيسر .
وحالة الاعتداء على الإحرام بفعل محظور من محظوراته ، كتغطية الرأس ، أو لبس مفصل على الجسم أو قتل صيد الحرم ، وهي المذكورة بقوله تعالى في سورة البقرة : « فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك^(٥) »
وبقوله في سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بلغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما^(٦) »
وقد طلب الهدى في هاتين الحالتين على سبيل التخيير بينه وبين غيره من الصوم والإطعام ، وقد بين الرسول أن المراد صوم ثلاثة أيام ، أو إطعام ستة مساكين .
وحالة التمتع بالتحلل من الإحرام الأول على إرادة استئناف إحرام آخر للحج عند الخروج إلى عرفة ، وهي المذكورة بقوله تعالى : « فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم ، وقد طلب الهدى هنا ، هلى أن يكون له بذل عند العجز .

ولكن يناله التقوى منكم ، . كما لا يناله من الصلاة الحركات والسكنات ، ولا من الصوم ، ترك الماء كولات والمشروبات ولكن يناله منهما ما يحملان من معاني الخشوع والإخبات ، ومراقبة القلب وحسن النيات .
« إنما يتقبل الله من المتقين ، .

الزهرى في القرآن :

قد عرض القرآن للهدى من جهات ثلاث :
أولها : جهة التنويه بشأنه ، فطلبه وطلب الإخلاص فيه لله ، وجعله من الهماثر التي يجب المحافظة عليها ، ويحرم إهمالها وإحلالها ، ففي سورة المائدة : يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ، ولا الشهر الحرام ، ولا الهدى ولا القلائد ، ولا آمين البيت الحرام ،^(١) . وفي سورة الحج : والبدن جعلتها لكم من شعائر الله لكم فيها خير ،^(٢) وفيها ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب^(٣) .
ثانيها : جهة الحالات التي يطلب فيها ، وهي : حالة الإحصار ومعناه ، المنع عن إتمام الحج أو العمرة بمرض أو عدو ، وهي المذكورة بقوله تعالى في سورة البقرة : « وأنتم أحرأ الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ،^(٤) .

(١) الآية ٢ من سورة المائدة .

(٢) الآية ٣٦ من سورة الحج .

(٣) الآية ٣٢ من سورة الحج .

(٤) (٥) الآية ١٩٦ من سورة البقرة .

(٦) الآية ٩٥ من سورة المائدة .

زمنه ومكان ذبح الهدى :

وكما عرض القرآن للهدى من جهة التنويه بشأنه ، ومن جهة الحالات التى يطلب فيها عينا أو تخيير آيينه وبين غيره ، عرض له من جهة المكان الذى يذبح فيه ، ثم علمها إلى البيت العتيق ، هديا بالغ الكعبة ، حتى يبلغ الهدى محله ، والمراد بما دل عليه قول الرسول وعمله ، الحرم كله ، وقد صح عنه عليه السلام ، أن منى كلها منحر وأن مكة وجاجها منحر ، وإذن ، ففى مكان ذبحه متسع ومتسع عظيم ، وليس خاصا بمنى كما يظن كثير من الناس .

أما الوقت الذى يذبح فيه الهدى ، فلم يعرض له القرآن ولم يصح فيه تعيينه حديث وإذن ، فلن وجب عليه الذبح عينا ، أن يذبح هديه فى أى وقت شاء بعد أن وجب عليه ، وليس هناك ذبح يتعين زمنه ، سوى الأضحية ، التى تكون فى أيام النحر الثلاثة وهى غير الهدى ، وهى لا تجب — إن صح أنها واجبة — على حاج أو مسافر .

وقد بين الفقهاء أن هدى التمتع يجوز ذبحه بمكة قبل الخروج إلى عرفة بل قبل الإحرام بالحج ، وهو أهم ما يجرى فيه الجدل بين الناس وأهم ما يحدث به تلك الظاهرة الكريمة .

الهدى منه شعائر لله :

بهذا الذى ذكرناه نعلم أن الهدى من شعائر الله التى يجب المحافظة عليها ، ولا يصح التهاون

فيها أو إغفالها حسبا ولا عملا وشعائره ، والشعائر هى العلامات الواضحة الظاهرة التى اعتبرها الدين مظهرا من المظاهر العامة ، وهذا لا يتحقق إلا بعمل ظاهر يراه الناس فى مناسبات خاصة . وإذا أردت زيادة فى الإيضاح فانظر إلى موقف الشريعة من الأذان . إذا اعتبرته شعيرة من شعائر الدين يقاتل أهل القرية أو المدينة على تركها وإن لم تكن من الفرائض .

ألا وإن الشعائر فى نظر الإسلام مكانة الفروض المقدسة . وعلى هذا اتفقت كلمة الفقهاء فى ذبائح الحج ، ولم يرو عن أحد منهم خلاف فى ذلك ، نزولا على حكم تلك الآيات الصريحة الواضحة ، وتحقيقا للغرض المقصود ، وهو التقرب إلى الله بإزالة الدم ، والله سبحانه وتعالى أن يتعبد عباده بما يشاء : بما يدركون حكمته وبما لا يدركون . وما كان اختلاف الفرائض فى عدد الركعات والكيفيات ، وتحديد الأوقات واختلاف مقادير الزكاة ، والمكفارات ، وسائر ما دخله العد أو اعتبرت فيه الكيفية — إلا نوعا من هذا التعبد الذى يتجلى فيه بوضوح مقتضى العبودية الحقة ، وهو الامتثال لأمر الرب الحكيم ، عقل معناه أو لم يعقل .

من شعائر الهدى الروحية والعقائد :

والعلماء يذكرون فى هذا المقام أن هذه القرية تذكر بمحادث الفداء الذى حصل

وهما معنيان يحصلان بالقلب ، وبأى مظهر من مظاهر الخضوع والمراقبة ، فليست هناك حاجة إلى ركوع أو سجود أو غيرهما من كيفية الصلاة الخاصة ، وبذلك يفتح باب الشرع على مصراعيه ، ولا يقف ضرره عند حد الأضاحى وفدية الحج .

الشرعية لا توجب لها :

أما ما يبررون به مثل هذا التفسير من أن لحوم الذبائح تتسكدس في منى ، وترك التمتعن بالمفسد الجور ، أو للنار المذهبة للأموال ؛ فهذه الحالة - إن صحت - ليست ناشئة عن أصل التشريع الذى هو خير كله ، وإنما نشأت عن عدم التنظيم ، وعدم الإمام بأحكام الشرع ؛ فإن الشرع لم يطلب من كل حاج أن يذبح فالذى نوى الحج واستمر على إحرامه حتى أكمل حجه لا يجب عليه ذبح ، ولم يوجب أن يكون الذبح - فيما يطلب فيه الذبح - في خصوص منى ولا بجزرتها ، ولا في اليوم الأول من أيام النحر ، فأيام النحر كلها زمن للذبح ، والحرم كله مكان للذبح ، والذبح لم يطلب حينئذ إلا في حالات مخصوصة وما عداها فالحاج خير بينه وبين غيره : من صدقة أو صيام .

فلو عرف الحاج أحكام الله على هذا الوجه فيما يختص بالدماء ، فتصدق من لم يطلب منه الذبح ، وذبح من طلب منه الذبح ، وفرقوا

لإبراهيم الخليل وولده عليهما السلام ، وتنبه النفوس المؤمنة إلى مبدأ التصحية في سبيل الله وطاعته بأعز شئ لديها : ودقيناه بذبح عظيم . على أن في العمل بهذه القرية سرّاً اقتصادياً يرجع إلى سكان البادية . ولعله من مصداق دهوة أبيهم لإبراهيم حين قال : « ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا » . ذلك أن الماشية وأس مال أهل البادية ، وموسم الحج هو السوق التى تنفق فيه هذه السلعة ، عن رغبة لا مشقة فيها ، وبذا يحصلون على أرزاقهم من أعمالهم ، ومن ثمن أموالهم ، دون أن يتضرروا لذلك السؤال ، أو يترقبوا لمن العطاء .

لا تغيير في أمور النعم

من هذا يتضح جلياً أنه لا يجوز للسلبين أن يفكروا في استبدال النقود بالهصدى أو الأضاحى التى طلبها الشارع بذاتها ، إقامة للتصدق بشمها مقامها ؛ إذ ليس القصد هو التصديق ، وإنما القصد - كما قلنا - التقرب بها نفسها وإننا لو أجبنا لأنفسنا هذا النهج من التفكير - بناء على ما نظن من حكم التشريع - لافتتح علينا باب التفكير في التخلي عن الأعداد والكيفيات التى طلبت في كثير من العبادات ، ولأمكن لقائل أن يقول : إن الغرض من الصلاة هو الخضوع ومراقبة الله

ومكانه ، وطلبه وعدم طلبه - يجب على المسلمين - وفيهم والحمد لله موسرون كثير - أن يعملوا على استخدام إحدى الوسائل الحديثة لحفظ هذه اللحوم وإدخالها طيبة ، ثم توزيعها على الفقراء والمحتاجين في جميع الأقطار الإسلامية إن ضاق عنها القطر الحجازي ، أو يبيعها بأثمان تصرف فيما ينفع الفقراء والمساكين ، أو في سبيل الله العامة وإنني أعتقد أن هذا المشروع حق كفته الدولتان العظيمتان : الجمهورية العربية ، والمملكة السعودية رأينا آثاره ، وانتفع الناس بشمراته ، في المواسم المقبلة إن شاء الله

حكم تناول طعام متعامل بالربا :

السؤال : شخص يتعامل بالربا ودعا في فيمن دعا إلى طعام بمناسبة فاحكم الأكل من هذا الطعام؟
عبد الهادي مصطفى - شبرا الخيمة

الجواب : يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

كل جسد نبت من تحت فالتار أولى به .

وعليه فلو كان دخل الداعي كله من الربا فالأكل من طعامه حرام وهو مسئول أمام الله عن ارتكاب هذا العمل المحرم وإذا كان بعض ماله من حرام والبعض الآخر من مورد حلال فالأكل منه جائز مع الكراهة شرعا لأنه أصبح مالا مشبوها وتناول المشبوّه جائز وإن كان هدم تناوله أولى لقوله عليه الصلاة والسلام فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه .

الذبح على الأماكن والأيام ، ثم تخيروا الذبيحة من غير العجاف والمرضى ، وهيتها بالسلخ والتقطيع - لما كان لهذه الشكوى موضع ، ولكن جرت سنتنا في التفكير أن نعد الوضع الذي جرت إليه العادات - وإن كانت فاسدة - صورة للشريع ، فنحكم عليه بالقبح ، ثم نحاول التحل عنه بالقضاء على أصله ، وبذلك ندخل في باب من التغيير والتبديل في أحكام الله ، ولانبت بعد ذلك أن نترك الشريعة كلها حائبا ، باستحساننا الفاسد المبني على واقع جرم إليه الجهل وعدم التنظيم .

اقتراح لحل المشكلة

وبعد : فإن الكلام في هذا الموضوع ليس وليد اليوم ، بل سبق أن تحدث فيه المرحوم الهلباوى بك مع فضيلة المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى ، فأحال فضيلته بحث من الوجهة الفقهية الشرعية ، على فضيلة الإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق فقرّر فضيلته بعد البحث : بأن الفقهاء جميعا يعتبرون التعبد في هذه المسألة بإرافة الدماء ، دون أن يرى في كلام واحد منهم ما يشير - ولو من بعيد - إلى جواز استبدال النقود بها . فاطمان الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى إلى هذا وأقره ، وقد عرض الشيخ شلتوت على الشيخ المراغى اقتراحا هو :

أنه على فرض تكديس اللحوم - كما يقولون بعد مراعاة الأحكام الشرعية في زمان الذبح

فهرس أبجدى عام

لموضوعات المجلد الخامس والثلاثين

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
		(١)	
٧٣٦ ...	أسبانيا المغربية لأثر يك سور دو	٨٦٣ ...	أبفض الحلال إلى الله
١٥٣ ، ٢٦ ...	الإسلام والمدنية الحديثة	١٨٥ ...	ابن الفارض وما يقال عنه
٧٨ ...	الإسلام والمعركة ضد الجوع	١٠٦٨-٦٦٣ ...	ابن قتيبة الناقد
١١٠ ...	الإسلام في تاريخ العالم		أبو جعفر الطبرى شيخ المفسرين
٢٧٥ ، ٢٤٧ ...	الإسلام في زنجبار		ولامام المؤرخين
	الاستعباد والحرية بين المدنية	٨٤٠ ...	أبو الفرج الجوزى - يتحدث
٣٢٦ ...	الحديث وشريعة الإسلام		هذه رحالة
٣٣٢ ...	الإسلام رسالته في عالم اليوم	٢٩٤ ...	الاتجاه نحو الكعبة في الصلاة
٣٩٣ ...	الإسلام محرم العبيد	٦٣٤ ...	الاجتهاد في ماضيه وحاضره
٤٠١ ...	الإسلام وثقافة المرأة	٩٣٦ ...	الاجتهاد - قضيته
٤٩٤ ...	الإسلام والمذاهب الأدبية - كتاب	٩٤٩ ...	أجرة مكث الماشية في الحق
٥٤٥ ...	الإسلام وتحديد الفسل	١٢٤ ...	أحاديث لأعضاء وفود المؤتمر
	الإسلام عقيدة وشريعة للإمام	١٠١١ ...	أحمد محرم شاعر العروبة والإسلام
٧٠٩ ...	الراحل الشيخ محمود شلتوت	٤٩٩ ...	اختلاف الفقهاء وأسبابه - كتاب
٨٨٨ ...	الإسلام في القرن العشرين	٣٦٢ ...	الأدب بين الصعود إليه والمهبوط به
١١١٠ ...	الإيمان والإسلام	٥١٣ ...	الأدب العربى وانجاهات القومية
٩٧١ ...	الإسلام والعلاقات الدولية		العربية
٣٧٧ ...	إضافة مبلغ على المبلغ الأصلى كأتعاب	٤٨٤ ...	الأزهر وقضايانا القومية
٦٢٢ ...	الأهلام الشرقية - كتاب	٧١٧ ...	
	إقراض المصوغات المنضبطة		
١٢٥ ...	وزناوعياراً		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١	أمة التوحيد توحيد	١	أمة التوحيد توحيد
٧٠	الهجرة الحديث	٣٧٢	أساس معجزة وعظمته
٥٢١	التطهير في الإسلام	٣٨٥	أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش
١٠٣٥	التطورات التشريعية للطلاق	٣٢١	الإنتاج وترقيته
٨١٠، ٦٨٩	تطور التصوف	٢٤٦	الإنسان العقائدى - كتاب
٧٥٤	تعازى العالم الإسلامى بروفاة الإمام الأكبر	٣٩٣	الأوزاعى عالم أهل الشام
٨٩٢	تعبيل الفطر وتأخير السحور	(ب)	
٥٠٧	تعليق على فتوى حكمة تحريم لحم الخنزير	٨٣	البابية أو البهائية
٧٥١	تعليق على نقد	٧٩٩	بحث فى علم الجنس
٣٨٩	تفسير الإمام الشيش محمد عبده	٥١٦	براهين الإيمان عن طريق براهين الشكوك
٤٧٥	التكليف والشواب والعقاب	٧٦٦	بناء القبور بالآجر
٩٥٤	التلفيق بين أحكام المذاهب	٣٧١	بنك ابن الأمهات - بيان عنه
	التنافس السلمى حول الثقافة		بين الشريعة الإسلامية والقوانين
١٧٧، ٥٩	فى الإسلام	٥٨١، ٤٣٥، ٣١٠، ٦٥	الوضعية
١١٤٨	تناول طعام المتعامل بالربا وحكمه	١٢١	بين الكسائى وسليويه
١٠٢١	توصيات مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية	(ت)	
(ث)		٢٤٩	تأبين عالم أندونيسى كبير
١٠٨٦، ٨٧٠، ٧٢٦	الثورة الثقافية فى الإسلام		تأليف القلوب وتوحيد الصفوف
(ج)		٧٨٠	مقصد من مقاصد الزكاة
٧٠٢	جامعة الدين وجامعة اللغة	٢٤٤	تاريخ المغرب الكبير كتاب
	جريدة ملايوية تشيد بتقدم الجمهورية	٣٧٧	تحرير عقود الرهن بفائدة
٦٣١	المتحدة فى مجال الثقافة الإسلامية	٧٤٠	تحية لبور سعيد - قصيدة
٩١٢	جلسة افتتاح المؤتمر	١٠٧٤، ٧٩١	تداخل المذاهب الفقهية
١٢٣	الجمع بين صلاة المغرب والعشاء لعذر العار		
١١١٥	جنات واضظة		

الصفحة	الموضوع
٤١٧	الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد وعالمها
٢٥٣	الخميس والأربعين بدعة في الإسلام

(د)

٢٤٣	الدراسات النفسية عند المسلمين
٢٤٣	لعبد الكريم عثمان كتاب، ...
٦١٥	دراسة للإسلام المعاصر على الساحل الغربي للقارة الإفريقية
٦٢٣	الدعاء في الصلاة وهل يمنع الحيض منه ومن ذكره
٨٨٤	الدعوى في حجة الله البالغة ...
٦٣٠	الدعوة الاشتراكية للسيد حسين الشافعي
٨٢٣	الدعوة الزاحفة ...
٩٠٥	الدعوة إلى المؤتمر ...
٢٢٥	دين الخلود ...

(ذ)

٢٥٣	الذبح أمام الميت عادة جاهلية ...
١٢٢	ذكرى الرافعي ...
٥٥١	ذو النون المصري بين التصوف والأدب

(ر)

٤٦٢	رأى جديد في أشعار المدح ...
٥٠٥	الروى والأحلام ...
٢٣١	الربيع بين أدبي الشرق والغرب ...
٢٦٠	الرحمة المهداة ...
١٠٧٨، ٨٦٦، ٦٦٩	رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة ...

الصفحة	الموضوع
(ح)	

٣٤٧	حد السكر ...
٣٨٠	حرمة زواج البنت بعد وطئ أمها حراما
١٦٧، ٣٨	حروف القرآن وحدوده ...
٥٩٨، ٤٢٩	حرية العقيدة في الإسلام ...
٤٩٨	الحسبة في الإسلام (كتاب) ...
١٠٦٤	حكم الله وحكم الفقيه ...
٢٧٧	حكم إخراج الزكاة خارج البلد ...
٧٦٤	حكم شرب البيرة والاتجار بها ...
٧٦٤	حكم شرب الكينا للتقوية ...
٣٧٨	حكم صلاة الجمعة في غير مسجد ...
٨٩٣	حكم الصيام في البلاد التي يطول فيها طولاً غير عادي ...
٥٠٦	حكم نقل المسجد إلى مكان يقسع ...
٣٧٨	لعدد أكبر ...
١٢٤	حكمة تحريم الخنزير ...
١٣٠	الحمل الصناعي ...
٧٥١	حول أمة التوحيد تتوحد ...
١٢٠	حول تراجم الاعلام ...
١١٩	حول مقام الثورة الوطنية والفنية ...
٧٤١	في شعر أحمد محرم ...
١١٩	حول موضوع التبشير في أندونيسيا ...
٧٤١	الحياة الأدبية في ليبيا . كتاب

(خ)

٥٧٥، ٤٣٩	الخدمات الاجتماعية من طريق الدين ...
----------	--------------------------------------

الصفحة	الموضوع
١٨٩ ...	صلة القرابة في نصوص القرآن
٢٥٢ ...	الصمت عند الجنائز
٥٦٩-٤٥١ ...	الصوفية وعلاقتها بالزهد
٨٣٦ ...	صوم اللسان
٣٣٦ ...	صبيغ أخرى للبهاغة

(ط)

٢١٥-٩٦ ...	طبيعة الشعر العربي
٦٣٥ ...	الطريق التي يتم بها الزواج
٦٣٥ ...	طلاق القاضي وحكمه

(ع)

٢٥١ ...	عادات المسآتم
٢٣٨ ...	العالم العربي اليوم
١٠٠٠ ...	العالم الإسلامي في المؤتمر
١٠٥٥ ...	عالم مثالي يتحدى ابن طولون
٨٠٥ ...	عباد الرحمن
١٩	العبث بالتاريخ الصحيح ضلالة في الدين
	عبد القاهر الجرجاني وآراؤه في

٨١٨-٧٤١، ٥٣٥	الشعر والشعراء
٢٧٥	العتاب في رفق - تسكريم وإعزاز
٦٨٣	عجل الذهب الغني - عبده بنو إسرائيل
٤٦٨ ...	عدالة التوزيع
٧٦٦	عدة المتوفى عنها زوجها مع ادعاء الحمل
٧ ...	العدد في اللغة العربية

الصفحة	الموضوع
	الرعاية الاجتماعية لطلبة معهد
٦٣٢ ...	الإحصائية
٣٥١ ...	وفاءه الطمطاوى صحنى من الأزهر
(ز)	

٦٣٦ ...	الزواج من أرملة الأخ المتوفى
(س)	

١٥٠	سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله
٢٣٥	سر هذا الوجود عازب عن كل موجود
٨٢٨، ٦٩	سلطان الفارسي - حياته وإسلامه
	سيارة بغير وقود مخترعها عالم
١١٣٧، ١٨٢ ...	أزهرى

(ش)

٢٦٩ ...	شخصية الرسول الأعظم
٥٨٦-٤٥٧ ...	شخصية المسلم
	شرب الخمر وحده في التشريع
٨٤٤ ...	الإسلامى
١١٧ ...	شرح العقيدة النونية - كتاب
١٩٦ ...	شكيب أرسلان الناقد
٦٧٨ ...	شيخى محمود شلتوت
٧٤٣ ...	الشيوعية عند قدامى اليهود

(ص)

٨٩٣ ...	صدقة الفقار
	صفحة بيضاء من جهاد شلتوت
	في سبيل الإصلاح الدينى
٦٥١ ...	والتقريب بين المسلمين

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	(ق)		
٦٢٦ ...	القاموس الإسلامى «كتاب»	١٢١ ...	العقائد فى الدراسات اللغوية ...
	قرارات المؤتمر الأول لمجمع		العلم والعمل فى الإسلام ...
١٠٢٥ ...	البحوث الإسلامية ...		على الحدود بين دولتين
١٤٥ ...	القرآن يشهد لأبى بكر الصديق	٨٥٩ - ٧٣١ ، ٦٠٥ ...	وحضارتين
١٢٥ ...	القتل الخطأ	١٠٦١ ...	عناية الإسلام بتربية الناشئين ..
	قصة لسان العرب بين ابن منظور	٩٢٧ ...	عوامل انتشار الإسلام
٥٩٣ ...	والنجارى		(غ)
٦٣٤ ...	قضاء الصلوات الفاتمة ...		الغسل مع صبغ الشعر وتخضيب
٧٨٥ ...	قضاء المذاهب يجهون العظيمة ...	١٢٤ ...	الأظفار ...
	(ك)		(ف)
٣٧٣ ...	كتابة المصحف اقترح حولها	٣٠٠ ...	الفارابى وشعره
٥٠٢ ...	كتابة المصحف بالإملاء الحديث	٨٩١ ...	فرضية الصيام
٣٧٩ ...	كفارة اليمين ...		فقيه الإسلام الشيخ محمد شلتوت
	الكلمة الختامية لمؤتمر مجمع	٧٤٢ ...	«قصيدة»
١٠٢٣ ...	البحوث الإسلامية	٦١١ ...	الفكر فى الإسلام
	كلمة الحاج إبراهيم إيناس السنغالى نيابة	٣٤٢ ...	فلسطين فى شعر شوقي
٩٢٢ ...	عن الوفود ...	٩٤٣ ...	فلسفة الحرية فى الإسلام
	كلمة الدكتور محمد البهى وزير		فلسفتى فى الحياة والمبادئ التى
٩١٥ ...	الأوقاف وشئون الأزهر	٢٦٣ ...	اهتديت إليها ...
	كلمة الدكتور محمد عبد الله ماضى	٤٨٩ ...	فهم الإسلام
٩١٩ ...	وكيل الأزهر ورئيس المؤتمر	١١٨ ...	فى أصول الحديث «كتاب» ..
	كلمة الدكتور محمود حب الله	٦١٩ ...	فى الحرم «قصيدة» ...
٩٢٤ ...	الأمين العام لمجمع البحوث	٧٣٤ ...	فى ذمة الله امام المسلمين
			فى مطلع الأهوام لظرة إلى التنجيم
		١٣١ ...	فى العالم المتمدن
		٥ ...	فى مطلع العام الهجرى

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٨٦٥	المسح على اللزقة	...	كلية السيد / حسين الشافعي نائب
٨٨١	مفهوم العدل في الإسلام	٩١٣	رئيس الجمهورية
٨١٣	مفاعل ومفاعيل	٤٩٥	كما تحدث الرسول - كتاب
...	المقومات الخلقية والأدبية ومدى	٦٣٣	كيفية اعتناق الإسلام
٣٥٤	تأثيرها في تقدير الإسلام	(ل)	
...	المنافق يحمي من الحق ويشكك	٢٥٣	لاحداد إلا لامرأة على زوجها
٦٧٣	في العداة	٤٢٣ ، ٢٠٣	اللفظ والمعنى
...	مناقشات المؤتمر الأول لمجمع	(م)	
٩٨٦	البحوث الإسلامية	٨٩٧	مؤتمر علماء الإسلام
...	مناهج الإسلام اتقوية روابط	١٠٨٣	المذهب الرمزي في أدب الصوفية
١٢٨ ، ١٢	الأسرة	١١٠٠	الملكية في الإسلام
١٧٢	من أجل الطيبات	...	بمجمع البحوث الإسلامية وأمل
٤٨٦	من أخلاق الشريعة وآدابها	٩٠١	المسلمين فيه
٧٧٦	من ذكريات النصر في تاريخ الإسلام	٥٢	محاولة لبحث القديم
٤٤	من روائع المثق بن حارثة	٢١	المحرم والسنة وعاشوراء
٨٥٥	من شخصيات فجر الإسلام ابن أبي	...	محمود شلتوت - الإمام الأكبر
٥٥٥ ، ٤٤٤ }	الملاحم والمطولات	٦٤١	محمود شلتوت
٧٩٥ ، ٧١٢ }	الإسلامية في الشعر العربي	١٥٦ ، ٣٤ }	المتجمع الاشتراكي في
٩٩ }	ملك يكفر عن خطيئته	٤١٣ ، ٢٩٠ }	ظل الإسلام
٤٠٦	ملك التتار يعتنق الإسلام طوعاً	٧٠٥ ، ٥٤١ }	مدى التجديد المقبول في الأدب
٦٥٧	...	٧٦٩	المرأة في الإسلام - كتاب
٤٣ }	من معاني القرآن	٤٩٧	مراجعات إسلامية
١٧٦ }	...	٣٥٨	المسئولية الجماعية بين الشريعة
٢٤٥ }	...	...	الإسلامية والشرائع السابقة
٣٠٩ }	...	٢٨٠	...
٤٣٤ }	...		
٥٦٢ }	...		
٦٨٧ }	...		
٨٤٩ }	...		

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٩٧	عن ملاح الإسلام	٣٩٧	عن ملاح الإسلام
٥٢٦	نعمة المال والبنين شقوة على المنافقين	١٤٤	مشيخ الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم كتاب
(ه)	والكافرين	٨٥٠	الموروثات والأدب عند تـسـ الـيـوت
١١٤٧	الهدى وحكم استبداله بنقود	١٠٢٩	المواطأ للإمام مالك
١٣٦	هذا بيان للناس	٦٤٦	الموقف الموفق
٥٠٧	هل تأخير الثمن في البيع محل الزيادة عليه	موقف الإسلام من النظريات الإنسانية	
٦٢٧	هل يجوز حرمان الابن العاق من الميراث	في أصل الكون ونشأة الحياة	
(و)		٨٧٦	مولانا أبو الكلام آزاد
٣٨٤	الوجهة الثقافية في تونس	٣٠٤، ٢٠٩	مولانا آزاد والخلافة
٢٥٧	الوحدة الإنسانية مزية الدعوة المحمدية	٥٦٣	المولد النبوي الاحتفال به في مصر الإسلامية
٢٩	وحدة الشاعر	٢١٥	
١٠٥١	وحدة الوجود	(ن)	
١٣٠	وحدة لا وحدتان	٢٢٠	نبي الإسلام عظمت
وحدة الهدف مبدأ من مبادئ		١١٦	النبي محمد كتاب
٩١	الإسلام الخالدة	٤٨٢	نحو أدب إسلامي
١٠٣١	وزير الدين والخير	١١٢٢	نشأة الكون
٨٣٢	وقفه مع رمضان	نداء الخطابين في القرآن أسرار وبلاغته	
(ي)		٩٥٨	نظام الحسبة في الإسلام
١٦٠	يعقوب بن كلس	٥٣٠	نظرية الفروق الجنسية في ضوء الإسلام

